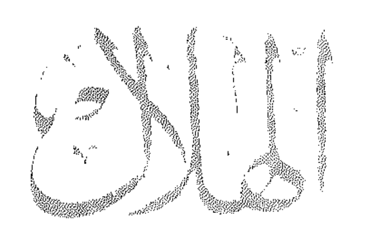

التعليم المصرى على قمة الهاوية
تسلل الأوربيين إلى مصر
طائرة الميدان الأحمر
الإرهاب.. إلى أين؟!





السنة الرابعة والتسعون



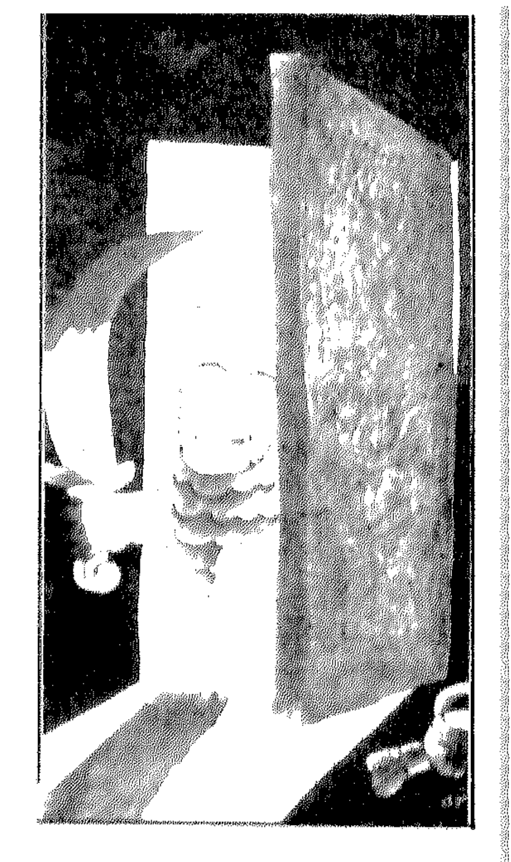


# من روائع الفن الإسلامي

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢ اول يوليو ١٩٨٧ م - ٥ ذو القعدة ١٤٠٧ هـ

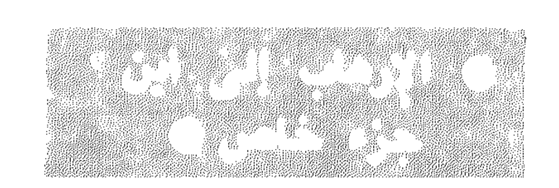
لوحة من الفن الإسلامي تعود الى عام ١١٩٩ م تمثل انواع العلاج الطبي التي كان يمارسها العرب في تلك الاونة .. وفي الهلال الذي بمركز الصورة تظهر اهم انواع العلاجات ..

واللوحة مرسومة في شمال العراق ويغلب عليها عنصر الحركة



الغلاف : لوحة للفنان
حلمى التونى

في هذا العدد




ص



## ● فكر وثقافة ●

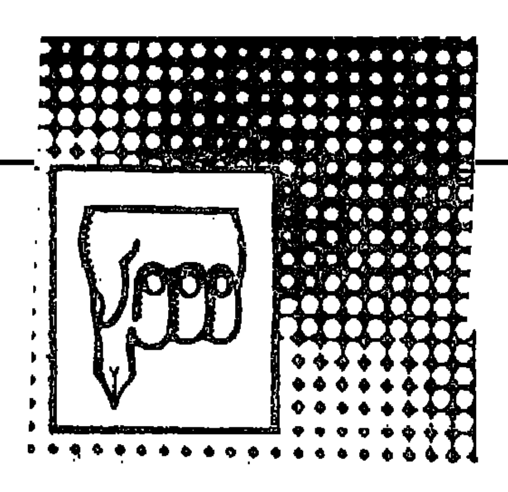
● شعر وقصة ●



● دراسة الهلال ●



● الابواب الثابتة ●



## عزيزى القارئ

# الإرهاب لايلد أفكاراً !

لم يحدث فى تاريخ مصر الحديث كله ، من عهد محمد على باشا الى ايامنا هذه ، عدوان بالاسلحة النارية على أديب أو شاعر أو مفكر أو صحفى .. حتى فوجئت مصر كلها فى الشهر الماضى باطلاق رصاص المدفع الرشاش على زميلنا الأستاذ مكرم محمد احمد .. فهذه هى الحادثة الأولى من نوعها فى تاريخ مصر الحديثة .

وقبل هذه الحادثة كان ثمة دستور غير مكتوب بين جميع اهل الرأى من اقصى اليمين الى الوسط .. الى اقصى اليسار ، الى مابين هؤلاء واولئك من آراء متعددة متناقضة .. وكان هذا الدستور يقول لجميع اصحاب الرأى : ان الحقيقة لاتظهر ولاتنتصر الا بجدال حر بين الآراء المختلفة ، وبانتقاد متبادل بين الاقلام والأفكار ، فهذا الطريق دون غيره من الطرق هو الذى يتيح للانسان المصرى والعربى ، مسلما كان او غير مسلم ، ان يطلع على التيارات الفكرية التى تزحم كوكبنا هذا الصغير الذى اصبح على مشارف القرن الواحد والعشرين اشبه بقرية صغيرة يعرف الناس فيها بعضهم بعضا ، وتتشابك مصالحهم ، كما تتشابك مصالح اهل القرية الصغيرة الذين تجمع بينهم الانساب والارحام !

إن جدال الافكار المتباينة ، بل والمتناحرة ، ينبغى ان يكون جدالا حرا متكافئا يحقق مصلحة الانسان العربى والمسلم فى عالمنا هذا المعاصر الصغير الممتلىء بالأخطار والاحتمالات المثيرة .

ويصبح الانسان العربى والمسلم فى مهب الرياح العاصفة القاتلة ، اذا حاولت جماعة من الجماعات ، تحت أى شعار من الشعارات ، وبانتحال أى هدف من الاهداف ، ان تقف حجر عثرة فى طريق الجدال والنضال الحر بين الاراء ، والمساعى المختلفة فى السياسة والادب والفلسفة والاجتماع وكل معقول ومنقول مما يتجادل حوله الناس فى عالمنا المعاصر المزدحم بالمذاهب السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية .

ان الامم المتقدمة تزحف الآن نحو القرن الحادى والعشرين وملء ايديها خطط لمواصلة تطورها خلال مائة سنة أو اكثر ، فهل يفيدنا فى اللحاق بهذه الأمم ان نتجادل بالرصاص وان يكون الرأى الصحيح عندنا هو الرأى الذى يملك مدفعا رشاشا وسيارة ذات ارقام مزورة ؟!

اننا من منظور مهمتنا وعملنا كمجلة ثقافية تخاطب عقل الانسان العربى والمسلم المعاصر ، نرى بكل وضوح ان عقل هذا الانسان سوف يتعرض لهزيمة رهيبة فى مواجهة تيارات عصرنا وعواصفه ، وسوف يجد نفسه مغلوبا على امره ، عاريا من كل وسيلة تحفظ عليه وجوده فى العالم المعاصر الذى لايستطيع ان يبقى فيه الا من يمتلكون ناصية التقدم والتفكير الصحيح .

نحن نرى بوضوح تام هذا المصير الأليم للانسان العربى والمسلم ، اذا استبدل براسه المفكر مدفعا رشاشا لايعرف التفكير .. فان ظهور المدفع الرشاش بديلا من راس الانسان ، يلغى اول مايلغى انسانية هذا الانسان ويجعله اقل درجة من ذوات الأنياب والمخالب فى الغابات لأن الارهاب لايلد افكارا ..

ان مجلة الهلال تصدر منذ بضعة وتسعين عاما ، وهذه هى اول مرة تضطر فيها الى كتابة افتتاحيتها عن الارهاب الذى يهدد اصحاب الاقلام والآراء .. فلم يحدث قط طوال هذا التاريخ الطويل ان اطلقت جماعة ارهابية رصاصها على مفكر او كاتب او صحفى ، برغم الاختلافات التى لم تنقطع يوما بين الأفكار والآراء .

فهل يعنى هذا ان مجتمعنا قد تقدم بضعة وتسعين عاما - منذ صدور الهلال - أم ان مجتمعنا قد تقهقر بضعة وتسعين عاما قبل صدور الهلال .. اى الى عهد ابراهيم بك ومراد بك والبرديسى بك والمماليك العثمانلية » ؟!

ان مجرد اضطرارنا الى طرح هذا السؤال ، يدل على الحال التى صرنا اليها .




بقلم: د. أحمد كمال أبو المجد

# الخائفون من الإسلام والخائفون عليه ..

على امتداد العالم الإسلامى من مشرقه الأدنى الى مغربه الأقصى حوار ساخن حول ظاهرة واحدة اوشكت ان تحجب كل ماعداها من قضايا العرب وهموم المسلمين .. ظاهرة ينظر إليها البعض بعين القبول والرضا فيسمونها المد الإسلامى أحيانا .. ويطلقون عليها وصف الصحوة الاسلامية تارة اخرى .. وينظر اليها اخرون بعين السخط والبغضاء والقلق فيسمونها « التطرف الدينى » او يطلقون عليها وصف الارهاب الدينى ويرون فيها نذيرا بشر مستطير وخطر داهم يتهدد العباد والبلاد ..

ولو ان اطراف هذا الحوار الدائر التزموا جميعا بادب الحديث وموضوعيته ، واداروه بينهم فى سماحة نفس وعفة لسان وقلم .. واتبعوا فيه منهج العلم المتحرر المترفع فوق المصالح الذاتية والمواقف العارضة .. لو انهم فعلوا ذلك لقلنا ان هذا الحوار لايمكن الا أن يكون باب خير وبشيرا بين يدى اصلاح ورشد .. ولكن الذى نراه من حولنا غير ذلك فقد تحول الحوار إلى مبارزات كلامية تصطك فيها الاقلام ويعلو صريرها من فرط الهياج والتوتر .. وتتهدج فيها الاصوات من شدة الانفعال والتأثر وتتداخل فيها اخلاط من الموضوعات واشتات من القضايا .. حتى ليسأل المرء نفسه بعد ذلك كله ايصلح هذا اللون من الحوار مدخلا لمواجهة الازمة وعلاج المشكلة ام انه ـ وقد شابته هذه الآفات ـ قد صار مظهرا من مظاهر الازمة وجزءا من اجزاء المشكلة ..

وأغرب من ذلك كله واشد اثارة للحيرة .. ان كثيرا من المتحاورين لا يفصحون ابدا عما يريدون .. ولا يعلنون عن حقيقة مواقفهم . والخنادق التى يتخندقون فيها .. وإنما يتخفوا وراء اقنعة يلبسونها .. وحجب للتمويه يستترون وراءها وبذلك تشتد الحيرة بالقارئين والسامعين . ويختلط الامر على المؤيدين والمعارضين .. ولا تتقدم القضية قيد أنملة بهذه الاكداس من الصفحات التى تسجل وقائع تلك المبارزات وتلك الالاف من الساعات والايام التى تضيع على الامة كلها وهى مشغولة بهذه المبارزات الكلامية عن كثير من قضاياها الحقيقية والمصيرية ..

## ● تعالوا ننزع الاقنعة

وهذه السطور محاولة لنزع الاقنعة عن وجوه اطراف الحوار وتحديد المواقف الحقيقية لكل منهم .. وتحرير موضوع الخلاف الحاصل بينهم ... ومعرفة الاسباب الحقيقية لهذا الخلاف .. وتنحية الحجج والاسباب غير الحقيقية التى يسوقها المتحاورون تعمية وتمويها .. حتى تخلص لنا صورة صادقة وحقيقية وبسيطة لجوهر هذا الخلاف الدائر حول ظاهرة « المد الاسلامى الجديد » .. ولقد ادت بنا متابعة السيل المنهمر من الكتابات حول هذا الموضوع فى صحفنا ومجالسنا وندواتنا الى ان موقفين متميزين بضمان اكثر المشاركين فى الحوار الدائر .. الموقف الاول موقف الذين ساء ظنهم باكثر روافد التيار الاسلامى الذى يرونه من حولهم .. واطلعوا من امرها على مايجدون فيه نذيرا بما يوشك ان يفعله ممثلو تلك الروافد اذا آل أمر الناس اليهم ، وصار لهم الحل والعقد فى امور المجتمع وتنظيمه .. واستقرت بين ايديهم مقاليد السياسة وصولجان الحكم .. وزمام القول فيما يجوز ومالا يجوز .. واكثر المنتمين الى هذا الموقف يعلنون انهم مع الاسلام فى صفائه الاصيل ، ونقاوته الاولى ، وسماحته التى لا ينكرها الا جاحد او مكابر .. ولكن اين السبيل الى ذلك كله ..؟ **والاسلام فى نهاية الامر ليس الا دعوة ورسالة يحملها رجال امثالنا .. يصيبون ويخطئون .. ويحسنون ويسيئون وبهم تعرف الدنيا الاسلام ، ومن خلالهم تتعامل معه .. فاذا كانت الفكرة الغالبة بين ممثلى روافد التيار الاسلامى والمتحدثين باسمه تخطىء وتسىء وتجور وتظلم .. فتلك هى الحقيقة الاجتماعية الوحيدة التى يتعامل معها الناس .. أما المبادىء المطلقة ، والقيم الكاملة والمثل الصالحة فانها تظل نماذج للخير يهتدى بها الناس وتتجه اليها الأجيال ..** يقتربون منها احيانا ويبتعدون عنها أكثر الاحيان .. ومن الدقة فى تحديد مخاوف هذا الفريق أن نفرق بين موقفين متميزين يفصل بينهما خيط دقيق ، الأول موقف الذين يسيئون الظن بروافد الحركة الاسلامية .. وينتبهون الى مايحمله امتداد نفوذها وتاثيرها من أخطار دون أن يكون لهم موقف معاد للاسلام أو منكر له .. والآخر موقف الذين لهم موقف سابق ، ورؤية قديمة ، وعداء مستحكم للاسلام وللأديان كلها ... وهذا الفريق الأخير يمارس حيلة قبيحة ماكرة حين يزج بنفسه وسط أفراد الفريق الأول ..

# الخائفون من الاسلام والخائفون عليه ..

ويستخرج من أعماق نفسه كل ما انطوت عليه من كراهية للدين والمتدينين .. وللاسلام بروافده كلها .. ثم ويسقط ذلك كله على "القضية الماثلة" وهى قضية الممارسات الخاطئة لجماعات وتنظيمات ترفع لواء الاسلام وتصيح بشعاراته .. إن الخطر الحقيقى فى هذا التمويه لا يتمثل فى كذبه وتستره .. وانما يتمثل فى اختلاف الهدف بين الفريقين .. فالذين يعبرون عن مخاوفهم واشفاقهم من سوء فهم بعض المنتمين للجماعات الاسلامية .. وسوء تصرفهم .. وفساد اسلوبهم .. يفعلون ذلك من موقع اسلامي ، وموقف اصلاحى ورغبة صادقة فى الترشيد .. لذلك فانهم ينتقدون بحساب يحذرون وينهبون بمقدار ومعيار .. و.د يذكرون الفضائل والمزايا جنبا الى جنب مع المثالب والنقائص والعيوب .. أما الذن يكتبون ويتكلمون من خندق الرفض المطلق للاسلام أو للأديان فى عمومها .. فإن هدفهم هو اجتثاث "التدين" من جذوره .. والقضاء على التوجه الاسلامي وكل توجه دينى بغض النظر عن ممارسات اتباعه .. لذلك فانهم يسرفون ويبالغون ويجسمون الأخطار .. ويبخسون الناس حقهم .. وقد يتنكرون لمبادىء فى العمل وأساليب فى الحركة نادوا بها وزعموا انهم ملتزمون بها .. ان كل وسيلة عندهم جائزة ومقبولة مادامت تصل بهم فى النهاية الى اخلاء الساحة من هذا الصوت الاسلامى الذى يكرهونه ، ويتمنون زواله ، وتغص بذكره حلوقهم .. اننا لا نكتب هذه السطور لنعلن رأيا فى هؤلاء الرافضين للاسلام جملة وتفصيلا .. فتلك قضية أخرى .. ولها مقام غير هذا المقام .. أما الذى يحتاج الى مناقشة هادئة فهو المخاوف المشروعة التى يبديها المشفقون من أخطاء بعض الدعاة وتجاوزات كثير من الشباب الذين يتحركون بين الناس باسم الاسلام ودعوته ، والذين يملأون حياتنا العامة بنداءاتهم لتطبيق الشريعة ، وتصحيح العقيدة "وأسلمة المجتمع" ..

## ● تعطيل دور العقل ●

إن هذه المخاوف ترجع الى امور أربعة :

**أولا : الاتجاه الى اجترار الماضى واستعادة تجاربه الأولى ، والذهول عن حقائق الحاضر وتغيرات المستقبل ..**

ولهذا الخوف مايبرره .. ذلك أن كثيرا من المنتمين لروافد التيار الاسلامى المعاصر .. يرون فى "ماضى الأمة" عصر الصفاء الأول والنقاء المطهر من أوشاب الحضارات المغايرة كما يرون فى "الالتزام بهذا الماضى" ضمانا وأمانا فى مواجهة محاولات "الغزو الثقافى" التى تتعرض لها الشعوب فى مراحل ضعفها .. وهذا الاتجاه الى الماضى والانحصار فيه يوصف أحيانا بالسلفية ، ويوصف أحيانا بالتقليد ، ويوصف فى جوانبه السياسية والاجتماعية بالرجعية ..

**ثانيا** : الاتجاه الى التمسك بحرفية النصوص ، وتعطيل دور العقل فى عملية تغيير المجتمع .. وهذا التخوف له ـ كذلك

مايبرره ذلك أن كثيرا مما يكتبه دعاة بعض الجماعات الاسلامية يدور حول محور واحد مؤداه أن "الاتباع" هو المنهج الاسلامى الصحيح ، وأن الابتداع زيغ وضلال .. وأن طاعة الخالق تقتضى الوقوف عند النصوص وحدها ، وأن الدعوة الى تحكيم العقل اما دعوة غير اسلامية ، أو دعوة فرق اسلامية كالمعتزلة خارجة فى منطق هذا الفريق عن المنهج السلفى الذى هو منهج أهل السنة والجماعة .. ولهذا وجدنا هذا الفريق يصب الوانا من اللعنات على المعتزلة ومنهجهم وفكرهم كما ينظر بعين الريبة والشك الى دعوات "العقليين" فى تاريخ الفكر الاسلامى من أمثال الأفغانى ومحمد عبده وكل من يتأثر بفكرهم .. ولهذا أيضا نجد هذا الفريق يوجه جانبا كبيرا من وقته وجهده لمحاربة "التجديد" فى الفكر الاسلامى يحسبانه تعبيرا عن موقف مبتدع غير ملتزم ، متأثر بالضرورة بأفكار غير اسلامية ..

كذلك يجد هذا التخوف سندا وشاهدا فى الصورة التى يتصور بها كثير من الدعاة قضية "تطبيق الشريعة" فى المجتمع .. فالشريعة فى هذا التصور بناء جاهز مكتمل يستدعيه المجتمع فى لحظة تاريخية مواتية فيصلح أمره كله وتتراجع المفاسد كلها .. وذلك دون التفات للحقائق الاجتماعية التى تثيرها عملية "التطبيق" أى تطبيق النصوص على الواقع الاجتماعى .. ودون التفات لمتطلبات التطور الاجتماعى التى تقتضى من الفقه أن يتطور وأن يتجدد ليلاقى الحاجات المتجددة للجماعات المسلمة فى الازمنة المختلفة والامكنة المختلفة ..

### ● طاعة أولى الأمر

ثالثا : الاتجاه الى اقامة حكم سياسى دينى أوتوقراطى .. يحكم فيه الحاكم بصفته الدينية ويستخدم فيه الأوامر الدينية .بطاعة أولى الأمر ليقيم فى النهاية نظاماً استبداديا يطلق سلطات الحاكم ولا يعبأ بحقوق المحكوم ...

وهذا التخوف لا محل له فى شقه الأول وقد يكون له مايبرره فى شقه الآخر ..

ذلك أن علماء المسلمين ـ من أهل السنة والجماعة قد اجمعوا قديما وحديثا على أن الخلافة ، وهى المصطلح المستخدم قديما لوصف نظام الحكم الاسلامى ، ليست نظاما دينيا يستمد الحاكم فيه سلطته من مصدر الهى ، وانما هى سلطة تستند الى البيعة ، والبيعة عندهم عقد يقوم على الرضا ، وهو عين التصوير الذى صور به النظام الديمقراطى فى أوربا حين اعتبر العقد الاجتماعى اساسا وتفسيرا ـ نظريا أو تاريخيا ـ لشرعية السلطة السياسية ومعنى هذا أن الفكر السياسى الاسلامى لا يقدم للحاكم المسلم ذريعة دينية للاستبداد السياسى ، ولا يضفى على أعماله عصمة ولا قدسية .. ولا نحتاج هنا الى ذكر الأمثلة المعروفة من مثل قول الخليفة الأول ابى بكر : أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم » اذ هى شاهدة كلها على أن السلطة السياسية فى الاسلام سلطة مدنية ، وسلطة مقيدة وفرق هائل بين مسألة أساس شرعية السلطة وهو الرضا من المحكومين وطبيعة النظام القانونى السائد وهو الشريعة الاسلامية ذات المصدر الالهى ( فى شق منها )

أما التخوف الذى له مايبرره فهو أن

## الخائفون من الاسلام والخائفون عليه ..

الحماس الدينى والرغبة فى استعجال تطبيق الشريعة الاسلامية أو اسلمة المجتمع فى مظاهر حياته كلها . قد تغريان بعض ذوى النيات الحسنة بقبول استبداد الحاكم وظلمه لمخالفيه ، واستهانته بالشورى ، واعتدائه على الحقوق والحريات .. مادام يتجه الى تطبيق الشريعة الاسلامية ويؤيد المنادين بهذا التطبيق .. والأمثلة من حولنا قريبة العهد وقريبة المكان على أن هذا التخوف له مايبرره .. وأن الحاجة ماسة وشديدة الى التحذير من الوقوع فى هذا المنزلق .

● روافد ماضية متطرفة

**رابعا : الاتجاه الى العنف ، والاعتداء على المخالفين ، واهدار حقوق غير المسلمين فى المجتمعات الاسلامية ..**

**ومع أن صدورنا قد أوشكت أن تضيق بالتحامل الشديد الذى بدا فى كتابات عدد غير قليل من كبار كتابنا والذى دفعهم الى تعميم القول ، وارساله على عواهنه ، والوصول بالمقدمات الى نتائج لا تترتب عليها عقلا ومنطقا فى هذه القضية الاجتماعية والسياسية الدقيقة .. مما انتهى بكثيرين الى تصور أن العنف ظاهرة اسلامية وأن الضيق بالمخالفين والتضييق عليهم مشكلة اسلامية . كذلك وأن اهدار حقوق غير المسلمين خطر ملازم للمد الاسلامى الذى يتعاظم يوما بعد يوم .. نقول مع ذلك إن ارتباط العنف ببعض الجماعات التى ترفع شعار العودة الى الاسلام .. ارتباط لا يمكن انكاره وان كانت له اسبابه العديدة المعقدة .. واذا كان العنف امرا مستنكرا فى العقل ، فادح الضرر فى الواقع الاجتماعى .. فإنه حين يصدر عن جماعات ترفع لواء الاسلام وتصيح بشعاراته يغدو خطيئة كبيرة فى حق الناس .. وفى حق الاسلام الذى لا يعترف لأحد بالاسلام الا "اذا سلم الناس من لسانه ويده" والذى حرص نبيه ﷺ** على أن يعلم الدنيا فى آخر خطبة القاها فى حجة الوداع فى العام الذى قدم فيه على ربه ، فيقول : « أيها الناس ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا » والذى يقول كذلك ان « الرفق مادخل فى شىء الا زانه ومانزع من شىء الا شانه » أما حقوق غير المسلمين فإن التاريخ شاهد على أنها كانت على امتداد التاريخ الاسلامى - محل حفظ ورعاية .. وأن الافتئات عليها قد كان الاستثناء ولم يكن القاعدة .. على غير ماوقع فى تجارب أخرى لقيت فيها الفرق المختلفة - داخل الدين الواحد - ألوانا من الظلم والاضطهاد ليس هذا موضع الحديث عنها ...

ان المخاوف التى عددناها مخاوف مشروعة ، يبررها مسلك كثيرين من المتحدثين باسم الاسلام والزاعمين انهم دعاته ..

ولكن الأمر في شأنها يحتاج الى مزيد من التدقيق والضبط .. فأصحاب الممارسات الخاطئة التي تثير هذه المخاوف قد يكونون أعلى صوتا وأحد نبرة وأكثر اثارة للمتاعب وأسباب القلق .. ولكنهم يظلون هامشا صغيرا على جانبي تيار عريض له ممارساته المختلفة تماما عن كل ماتقدم .. وله من سماحة الاسلام ورفقه وعدله واعتداله نصيب كبير .. وأصحابه يملؤهم الاشفاق والاسى من ممارسات المغالين والمتشنجين وضيقي الصدور .. ويعز عليهم أن ينسب ذلك كله الى الاسلام ...

ومن حق القارىء أن ندله على حقيقة مازالت غائبة عن كثيرين .. وهى أن الممارسات الخاطئة للروافد الهامشية المتطرفة قد ولدت مزيدا من اليقظة والوعى عند جماعات كبيرة من الدعاة والساسة والقائمين بالعمل الاجتماعى داخل التيار الاسلامى الاصلاحى .. ولذلك بدأت الساحة على امتدادها الذى أشرنا اليه في صدر هذه السطور تمتلىء بجماعات من المثقفين والساسة المسلمين يرفعون أصواتهم كما لم يرفعوها من قبل معلنين براءتهم وبراءة الاسلام من صور الغلو والتطرف التى ولدتها ظروف "الأزمة" فى المجتمعات الاسلامية .. والتى لا يمكن بحال أن تحسب على "الصحوة الاسلامية" كما يحلو لكثير من الكتاب والمحللين أن يحسبوها عليها .. كذلك نسجل أن عشرات الملايين من المسلمين وقد تطلعت نفوسهم الى تفسير حى للاسلام ومبادئه يتجاوزون به النظرة التقليدية الدينية التى لا تزال ترددها بعض منابر الدعوة الحكومية او الرسمية فى بعض بلاد المسلمين فانهم مع ذلك يرفضون أن يمنحوا ثقتهم وتأييدهم للجماعات الهامشية التى تنزع السكينة والاستقرار والأمن من نسيج المجتمعات المسلمة ، وتزرع بذور الشقاق والتوتر والقلق داخل تلك المجتمعات وتصرفها عن كثير من قضاياها الكبرى والمصيرية الى قضايا فرعية وجزئية تغيب عنها رؤية المصالح الحقيقية ، كما تغيب عنها رؤية الاحجام والأوزان النسبية لتلك المصالح ..

فلعل الذين يملؤهم الخوف والاشفاق من بعض الممارسات الخاطئة لفريق المتحدثين باسم الاسلام والمنادين بتطبيق شرائعه .. أن يدخلوا هذه الحقائق فى حسابهم ، وأن يتذكروا أن الخيار الحقيقى المطروح هو العمل الدائب لترشيد التوجه الاسلامى ، برده الى الأصول الأخلاقية الكبرى للاسلام فى عقيدته وشريعته وآدابه .. وهى أصول تقوم على الايمان بالله ورسوله والايمان بحرية الانسان وكرامته .. واشاعة روح الخير والبر والتعاون والمرحمة .. كما تقوم على أن العقل شريك فى معرفة الحق والاهتداء الى الصواب والرشد .. وأن من لا عقل له فلا دين له .. ومن لاحرية له فلا تكليف عليه ..

● ضحايا عصر الهزيمة

أما الخائفون على الاسلام .. فإنهم ضحايا الهزيمة الحضارية والسياسية والعسكرية التي تعرضت لها الأمة الاسلامية .. وهى هزيمة هددت الاستقلال الحضارى للمسلمين فى

# الخائفون من الاسلام والخائفون عليه ..

**وجوده كله** .. وصاحبتها قفزات متعاقبة فى مجالات العلم والصناعة قفزتها الحضارة المنتصرة .. وبقى المسلمون ـ فى مكانهم ـ يستقبلون ثمرات تلك الثورة العلمية ولا يكادون يشاركون فى صنع شىء منها .. ثم جاءت الثورة فى مجالى علوم الانتقال والاتصال .. فتهاوت الحواجز وسقطت الجسور .. والتقى الماء على أمر قد قدر .. فإذا بثقافات الآخرين تحل قريبا من دارنا .. واذا ملايين المسلمين يوشكون أن يفقدوا معالمهم وسط طوفان الأفكار والنظم الوافدة الينا من كل فج عميق ..

واذا هذا الجيل من الشباب يستولى عليه الخوف من الضياع وتطارده أشباح غزو جديد يقضى على مابقى للمسلمين من فرص الافاقة والانبعاث ، ويسلبهم "معالمهم" ويجعل منهم فى النهاية موالى تابعين لحضارات أخرى لا هوية لهم .. ولا تميز لحضارتهم ولا دور لهم فى سباق الأمم والشعوب .. ولا مكان لهم على خريطة المستقبل .. لذلك انتشرت بين الشباب روح غريبة من "المحافظة" على القديم والوقوف عنده ، والارتياب فى الجديد والشك فى دعاة التجديد .. ومد الجيل كله ساعديه يريد أن يحتضن الاسلام ليحميه ، ويتطلع الى بناء سور حديدى كبير يقيم داخله بناءه الاسلامى المتميز والاصيل .. وكان طبيعيا أن تحمل هذه الروح المحافظة معها عددا من المواقف التبعية .. فى مقدمتها موقف الابتعاد عن الآخرين .. والتحرج من الأخذ عن الغير ... والاعتقاد بوجود مؤامرة مستمرة متصلة الحلقات على الاسلام والمسلمين ومداومة الحديث عن الغزو الثقافى وخطر الافكار المستوردة .. ورفع شعارات "العودة" الى الذات الحضارية ، وحماية الحضارة الاسلامية الوليدة من أوشاب الحضارات الغازية ...

وموضع الخلل والخطأ فى تصور وسلوك هؤلاء الخائفين على الاسلام أمور ثلاثة :

**الأول** : أن الفرض الأساسى الذى يقوم عليه تصورهم فرض خاطىء .. فهم يتصورون الاسلام كيانا ونظاما مختلفا عن كل ماعداه اختلافا مطلقا .. وينسون فى غمرة خوفهم على الاسلام .. ان الاسلام هو دين الانبياء جميعا .. وأن الحنيفية كانت دين ابراهيم عليه السلام .. وأنه سبحانه شرع للناس من الدين « ماوصّى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » كما ينسون أن المسلمين ناس من الناس وأن الاسلام ليس نتوءا ناشزا على تاريخ الانسانية ومسار تطورها .. كما ينسون قوله ﷺ ترى الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام ..

وينسون أن النبى ﷺ شهد فى الجاهلية حلفا كريما هو حلف الفضول وانه ﷺ قال فيه : لقد شهدت فى دار ابن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم » وهكذا وزع ـ سبحانه ـ الحكمة والرشد على خلقه جميعا ولم يجعل على المسلمين حرجا فى البث عنها والأخذ بها أنى وجدوها

**الثانى** : أن عزلة المسلمين عن غيرهم لم تعد أمرا ضروريا ولا جائزا ولا ممكنا ..

(أ) فهى ليست أمرا ضروريا لأن حضارة الاسلام قد ولدت ونمت وشبت عن الطوق وأفاءت على الانسانية عبر التاريخ خيرا كثيرا وعلما نافعا وقيما صالحة .. والزعم بأن الحضارة عند مولدها تحتاج الى حضانة وحماية حتى تنمو وتشب ويشتد عودها ، هذا الزعم تعبير مجازى لا يثبت عند التحقيق .. **فالحضارة تولد مرة واحدة ولا يتجدد مولدها مع تعاقب المد والجزر فى تاريخها .. وكما قال** ﷺ : **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ..**

**فكذلك نقول : لا عزلة بعد انتشار الاسلام ، ونمو الحضارة الاسلامية ورشد العقل المسلم والضمير المسلم ولكنه جهاد وعمل موصول مع العاملين ، وفى موكب الانسانية الرحب الذى يتنافس فيه الناس وتتسابق الشعوب ..**

(ب) والعزلة غير جائزة لانها تحول دون اداء المسلمين دورهم التاريخى فى تعمير الكون وهداية الأخرين .. كما أنها تحرم المسلمين فرصتهم التاريخية فى الوعى بحركه الحياة من حولهم .. وبغير هذا الوعى يستحيل أن يكون للمسلمين مكان على خريطة المستقبل المملوءة بالناس والشعوب ..

(جـ) والعزلة ـ بعد ذلك كله ـ لم تعد ممكنة بعد الثورات العلمية والصناعية المتتابعة ، وما أدت اليه من اسقاط حواجز الزمان والمكان .. فالشعوب اليوم كلها تعيش فى قرية واحدة .. ولم يعد لطلاب العزلة من سبيل الى ممارسة هذه العزلة دون أن يقطعوا عن أنفسهم شرايين الحياة .. وهواء التنفس .. ونسمات الحياة الاجتماعية التى فطر الناس عليها ..

## ● الخوف من أشباح الغزاة

**الثالث** : أن فكرة "النقاء الحضارى" ورفض الأفكار المستوردة والعيش الدائم تحت ظلال الخوف من أشباح الغزاة .. ذلك كله موضع نظر كبير ..

ذلك أن أكثر الأفكار التى نعايشها افكار مستوردة .. من مكان آخر أو من زمان آخر ... والفرض أن المسلمين أصحاب عقول وأن لهم فى اختيارهم من تجارب الآخرين وأفكارهم معيارا وميزانا .. واين موضع الغرابة فى الاستئناس بتجارب الآخرين ، والنبى ﷺ يقول : **الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها** .. وكيف ينسى هؤلاء الخائفون على الاسلام ان النبى ﷺ يوم الخندق قد استشار سلمان الفارسى واخذ بنصيحته .. وأن تدوين الدواوين الذى بدا فى عهد عمر بن الخطاب قد كان نظاما فارسيا ، **وان المسلمين لم يجدوا ـ فى عصور نهضتهم ـ حرجا ولا**

# الخائفون من الاسلام والخائفون عليه ..

غضاضة فى أن يأخذوا من غيرهم وأن يأخذ غيرهم منهم .. لهذا يكون من الحماقة أن ينصب بعض الناس اليوم أنفسهم حماة للاسلام .. يرفضون ـ نيابة عنه ـ كل فكرة وافدة ولو كان فيها الخير للمسلمين .. ويحرمون أنفسهم وأهليهم فرص الصلاح والرشد اذا كان الذى يحقق لهم ذلك نظاما سبق اليه غيرهم من شعوب الأرض ..

**وليذكر أولئك الخائفون على الاسلام أن الله سبحانه هو الذى أنزل الذكر وهو الذى يحفظه .. وأنه سبحانه هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. فليس الاسلام ـ اذن ـ فى حاجة الى وصاية أحد .. وحماية أحد .. ولا تحتاج شريعة الله الى أن يستدرك عليها أحد من الأولين أو الآخرين .. ذلك أنها الحق الخالص والخير المحض .. وأنها تحكمها فى مدها وجزرها سنة الله الخالدة .. « كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض » .**

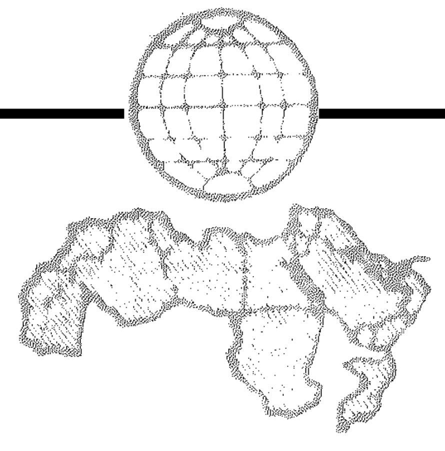
وهكذا .. وبعد أن تنزع الأقنعة فى هذا الحوار الساخن تتبدى المخاوف على جانبى الحوار .. خوفاً من الاسلام أوخوفا عليه .. والحوار الحق لا يجوز أن تحركه المخاوف أو أن تتحكم فيه الهواجس ..

وليت الخائفين من الاسلام يدركون أنه ـ لو تخلصوا من عقدتهم فى النظر اليه ـ أبر بهم وأرحم وأصلح لهم وأهدى مما يظنون ..

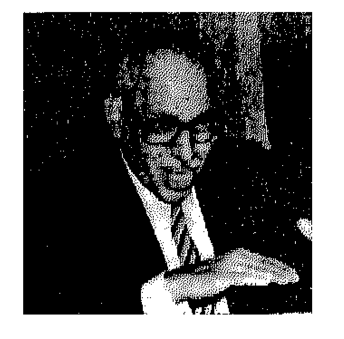
**وليت الخائفين على الاسلام يدركون أن الله غالب على أمرهم وأن الله تعالى لم ينصبهم حفظة على دينه وانما ابتعثهم دعاة وهداة ومصلحين .. وأمرهم أن يكون جدالهم بالتى هى أحسن .. وأن يدفعوا بالتى هى أحسن .. وأن يكونوا ـ بعد أن يتحرروا من هواجس الخوف على الاسلام ، رموزا حية لسماحة الاسلام ورفقه وعدله ورحمته ..**

**وليت الفريقين جميعا يثوبون الى رشدهم ويلقوا من أيديهم تلك الصواعق المحرقة التى يتقاذفونها بينهم ، فتسقط على الأمة كلها .. كأنها حجارة من سجيل ..**





# أقوال معاصرة



د . كمال ابو المجد

● « الرؤية المعلبة للاسلام ، رؤية متراجعة منغلقة على الماضي ، متحجرة اسلاميا وعقليا ووطنيا وصحيا »

د . كمال ابو المجد

● « العمل على تقوية اسرائيل هو بطريق غير مباشر تقوية لامريكا » .

جوناثان بولارد

الجاسوس الاسرائيلي

● كل عمل يؤدي الى الاضرار بمصالح الولايات المتحدة وحلفائها عمل من اعمال الارهاب » .

وليم كيسي

مدير المخابرات الامريكية السابق

● ننادي بالحوار والتفاهم وهم يهددون بالبندقية»

رئيس وزراء لبنان المغتال

رشيد كرامي

رشيد كرامي

● « كرامي كان متطرفا ، سقط فريسة لنفس القوى التي شجعها هو بنفسه » .

شيمون بيريز

وزير خارجية اسرائيل



شيمون بيريز

● « لا خيار امامي عن أن استنشق الهواء واشرب الماء واعمل واستريح واحب الوطن » .

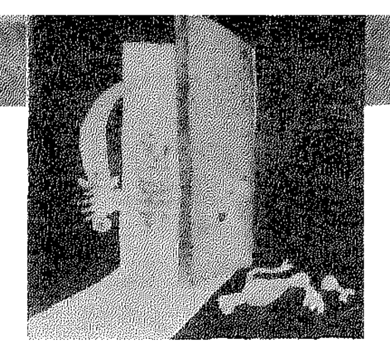
اميل حبيبي

الاديب الفلسطيني

● « بريطانيا بلد معوق اقتصاديا واجتماعيا » .

نيل كينوك

رئيس حزب العمال



# تغيير المنكر.. من يملكه..؟ وكيف يكون..؟

بقلم: د. محمد سليم العوا

---

● عندما ارتفعت راية تغيير المنكر قامت الخوارج والفتن السياسية

---

● كيف يسوغ للمرء أن يفرض رأيه بالقوة تحت دعوى تغيير المنكر..؟
عندئذ يتجه المجتمع إلى الفوضى

---

**يتميز التنظيم الاسلامي للحياة الاجتماعية بعديد من الخصائص التي يقوم عليها تفرده عن غيره من النظم الاجتماعية القديمة والحديثة ، والتي تجعل دراسته – حتى لغير المؤمنين به – مسألة مثيرة للمتعة العقلية والنشاط الذهني . ولعل ذلك كان احد أسباب الغنى الفريد في الاراء والمذاهب الفكرية والفقهية التي استمدت من الاسلام او قامت في ظل نصوصه الاصولية ، أو عنيت بتفسير هذه النصوص وتاويلها في مختلف العصور والظروف**

ومن المميزات البارزة في التنظيم الاسلامي للحياة الاجتماعية تفرده بجعل « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » واجبا على كل مسلم قادر عليهما . ففي الوقت الذي تكتفي فيه اكثر النظم السياسية والاجتماعية « تقدمية » بجعل « الجهر بالرأى » حقا او مجرد رخصة ، فان الاسلام جعل ذلك « واجبا » او بتعبير الفقهاء «فرضا».

وهو فرض يجد مصدره في القرآن الكريم نفسه ، فهو يدعو المؤمنين بصيغة الامر الى ذلك : « ولتكن منكم **أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون »** .

وهو – في آية أخرى – يربط بين هذا الواجب وبين الايمان نفسه : **« كنتم خير امة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »** .

ولا يكفي للحكم بصلاح الفرد في حكم القرآن – أن يكون مؤمنا قانتا عابدا – اى صالحا في نفسه – بل يتعين للحكم بصلاحه أن يكون صالحا « اجتماعيا » أو صالحا في « الشئون العامة » بقدر صلاحه في « الشئون الخاصة » :

« **ليسوا سواء : من اهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين »** .

في نصوص السنة عشرات الاحاديث التي تتصل بهذا الواجب وتأمر به ، وتبين كيف يجب على المسلم القيام بادائه .. وفي الفقه الاسلامي الاف الصفحات التي تدور حول « فقه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » بل فيه مؤلفات قامت كلها حوله وقد اتخذ العمل السياسي المكتسب الى الاسلام – في كل العصور – من واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بوجه عام ، ومن الجزء المتعلق بوجوب تغيير المنكر ، بوجه خاص ، أساسا يقوم عليه ، وسندا يدعو الناس به الى الالتفاف حول الدعاة السياسيين وتأييدهم .

فالخوارج في صدر الدولة الاسلامية قاموا تحت ستار هذا الواجب ، وثورات آل البيت كانت

# تغيير المنكر.. من يملكه..؟

رايتها التي ترفعها دائما هي تغيير المنكـــر ، ومرورا بكل الثـــورات السياسة ـ وبالتاكيد الاجتمـــاعية والاقتصادية ـ في تايخ الاســـلام ، وانتهـــاء بالاحزاب والجمـــاعات السياسيةالمعاصرة : كان تغيير المنكر هو أقوى الاسانيد ، وأهم الـدعائم التي قامت عليها دعوة هؤلاء جميعا ،

وطبيعي أن لا يكون هؤلاء جميعـا على درجة واحدة من « الفهم » أو « الفقه » الصحيح للاسلام · هـــذا مع عدم الفحص أو البحث عن درجة الصدق ، أو الاخلاص أو التجرد اذ كلها امور تدخل في أعمال القلوب التي لا نملك نحن البشر وسيلةللبحث عنها أو الكشف عن حقائقها ·

وقد شهدالتاريخ الاسلامي ـ دائما ـ وتاريخنا الحديث ـ بصورة خاصة ـ حالات كثيرة ـ أسيء فيها فهمالحق ـ بل الواجب ـ في تغيير المنـكر · وكانت أسوأ هذه الصورة هي التي تصور فيها بعض « المؤمنين » أن من واجبهم تغيير مايرونه منكرا بأيديهم، وفق الطريقة التي يرونها « وحدهم » مناسبة · وضـــد « الاشخاص » أو « الاماكن » أو « الجماعات » التي يرونها « منكرا » يجب تطهير الارض منه بمحوه من الوجود ، أو يظنون أنها تمارس « منكرا » تصر على عدم الانتهاء عنه وبالتالي تستحق أن يوقع عليها الجزاء ـ مهمـــا كان مقداره ونوعه ـ الذي قدروه « هم » ويتولون بحكم « واجبهم » تنفيذه بأيديهم ·

وشهد التاريخ الاسلامي ـ كذلك ـ عهود ... كانت فيها الامة ـ جلها ان لم نقل : كلها ـ واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى وصف واحد من هذه العصور الامام الغزالي في الاحياء : « ··· وقد كان الذي خفنا أن يكون ، فانا لله وانا اليه راجعون ·· اذ قد اندثر من هذا القطب علمه وعمله · وانمحق بالكليـــة حقيقته ورسمه · فاســـتولت على القلوب مداهنة الخلق ، وانمحت عنها مراقبة الخالق ، وعز على بســـاط الارض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم » ·

وهكذا وقعالمشتغلون بالعمل العام ـ بتعبيرنا المصري ـ تاريخيـــا بين جانبي الافراط والتفريط ، وهكذا يقع في أحد الجـــانبين ـ الا من عصم الله وهم قليلون ـ دعـــــاة العصر والمشتغلون بالعمل الاسلامي العـــام فيه · فكيف السبيل الى الخروج من هذا المأزق ؟

## ● الجهل بالاحكام الاسلامية

ان الازمة ـ في نظـــرنا ـ أزمة فكرية أساسا ، سببها ومحورهـــا « الجهل » بالاحكام الاســـلامية ، والايمان « ببعضها » دون بصر مدى ارتباطه « بالبعض الاخر » ، والفردية في التفكير : فبعضنا يرى النجاة في تركه كل شأن من شئون الامة العامة وبعـــده عمـــا يجب « الريح » من الابواب ايمانا بالنصيحة التقليـــدية لامهاتنا وجداتنا : « سده واستريح » ·· وبعضنا يرى واجبه في أن يخلص المجتمع من الشرور والاثام ـ بتغيير المنكرات ـ ولو غيرها وحده ، بيده أو مسدسه ، طلبا للشهادة في سبيل الله » أو طمعا في خلود « البطولة السياسية » وهما معنيان جميـــلان

يستحقان التضحية في سبيلهما ، بشرط ان تتوافر أسباب قبول هذه التضحية عند الله ثم عند الناس .

والمشكلة الفكرية في قضيتنا مظهرها — أو في الحقيقة جوهرها — ان الافراد الذين يتولون تغيير المنكر المظنون بأيديهم عند جانب واحد من جوانب « واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر » ، وينسون أن الفقه الاسلامي السديد قد جعل هذا التغيير على درجات — سماها الفقهاء مراتب — وجعله لاشخاص معينين — لا لكل انسان — وجعله في أمور معينة — لا في كل ما يظن الفرد أنه يجوز فيه الانكار أو التغيير .

وبغير هذه القيود يتحول المجتمع الذي يمارس فيه كل فرد بلا ضابط ولا نظام حق تغيير ما يراه منكرا الى فوضى يضيع فيها حق الفرد بقدر ما يضيع حق الجماعة .

وتنبها الى هذا المعنى أكد الفقه الاسلامي — بما يشبه الاجماع — أن التغيير في المنكرات يجب أن يقع بترتيب معين : فالمرء يغير المنكر — أو ينكره بقلبه . ثم ينكره بلسانه ثم ينكره أو يغيره بيده اذا لم يجد التغيير .

والتغيير باليد لا يكون الا اذا أمن المغير وقوع فتنة اكبر من المنكر ذاته الذي يسعى لازالته .

**وليس كل انسان له أن يغير المنكر . وانما هذا واجب يقتصر على من يستوفي الشروط التي قررها الفقهاء لذلك واهمها العلم بما يأمر** به وينهى عنه ، وهو العلم الاجتهادي المستمد من الدليل ، لا العلم التقليدي أو التلقيني المستمد من تقليد الآخرين أو تلقينهم .

وليس كل فعل لا يرضى الفرد عنه يجوز له تغييره ولو كان عدم الرضا نابعا من ظنه ان هذا الفعل مخالف لنص شرعي !! بل يجب أن يكون هناك اجماع بشروطه الاصولية على كون فعل ما منكرا ، أي مخالف لامر شرعي في القرآن الكريم او السنة أو لواجب مجمع عليه في الاسلام .

فأين من هذه الشروط كلها التغيير باليد في العمل السياسي و الاجتماعي العام ؟!

**ان معظم المسائل السياسية والاجتماعية تدخل في باب الامور الاجتهادية التي لا يجوز فيها الخلاف بين المسلمين ، والتي يسع فيها الاسلام اراء متباينة مادامت قائمة على فقه النصوص وفق الواقع الاجتماعي والسياسي للامة . فكيف** يسوغ لاحد ان يفرض على الناس رأيه فيها بالقوة تحت دعوى « تغيير المنكر » ؟ وهل يعد ذلك مقبولا في ضوء مبادىء الاسلام التي أوجزنا خلاصتها ؟

ان فكرة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر — في ذاتها — فكرة عبقرية لانها تقتضى أولا ان يتعلم كل فرد قادر في الامة الواجب والمباح والممنوع . ويعرف ما تتفق الامة عليه . فاذا تحقق ذلك نشأ حقه — بل واجبه — في الامر والنهى .

والمجتمع الذي يتصف مجموع افراده بهذا الفهم لاتكاد تقع فيه المحرمات أو الممنوعات — أو حتى مجرد التجاوزات — الا على وجه الصدفة ، أو الغفلة ، أو الانحراف العارض . والصدفة تسوغ العفو والتسامح ، والغفلة والانحرافات العارضة يقتضيان النصح أو التنبيه

# تغيير المنكر.. من يملكه..؟

اكثر مما يقتضيان العقوبه او العنف فى التغيير .

## ● الانتماء الى الامة

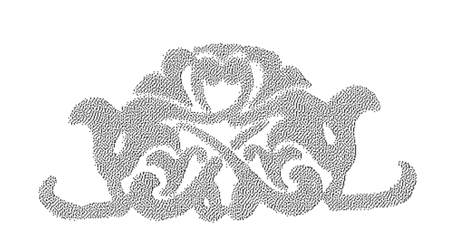
اما مشكلة الفردية فى الفكر والتصرف ، فانهـا تثير قضيتين بالغتى الاهمية : قضية الانتماء الى الامة ، وقضية علاج الانحراف الفردى او الاجتماعى او الجماعى .

فالانتماء الى الامة يوجب على الفرد الترفق فى اداء واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان مهمة المسلم الفاقه لدينه هى الدعوة لا العقاب ، وهى النصيحة لا اقامة الحدود . والدولة من جانبها لايجوز لها ان تتصدى للعنف الناتج عن الانحراف الفكرى بعنف مضاد .. لان شهادة التاريخ كله تثبت بما لا يدع مجالا للشك ان العنف لم يقتل فكرة ، ولم يمحق جماعة ، ولم يعدل من مسيرة فئة ضلت الطريق او اخطات الهدف .

والاستناد الى الاسلام ذاته فى علاج مثل هذه الانحرافات الفكرية - الفردية والجماعية - يقومباستدعاء مستمر لقاعدة الاسلام فى احترام اختلاف الاجتهادات وتقديس تنوع الاراء ، والحفاظ على حق كل ذى رأى فى ابداء رأيه والدفاع عنه .. وعلى هذه القاعدة قبل الفقهاء حتى فى شئون التعبد الخالص لله تعالى ان تكون هناك اراء متباينة ، تصل احيانا الى حد المتضاد او التناقض ، ومع ذلك فان احدا لا يسوغ لاحد الانكار فيها ، او تغيير بغير النقاش العلمى المستند الى قواعد الاسلام وكلياته واصوله . فكيف لا نقوم بالامر نفسه فى تفصيلات حياتنا السياسية والاجتماعية ؟!

ان الذين يرون وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وانا منهم ، يجب عليهم ان يقبلوا بمنطق هذا الواجب نفسه ، الا يقودوا الامة كلها - والا يقودوا انفسهم من باب اولى - الى نهاية فاجعة يباح فيها ما ليس مباحا ، وتستحل حرمات شملها الاسلام بحمايته تحت دعوى تغيير المنكر ، او عقاب الذين يغيرونه على غير الوجه الصحيح - اسلاميا - للتغيير .



● بعضهم يخلط بين « الثَّرِىُّ » و« السَّرِىّ » .. أما الثرى فهو ذو الثراء ، وأما السرى فهو الرجل الشريف .. وفعله « سرا .. يسرو » ..

● تقول · أُحِبُّ هذا الشيء « بضمة فوق همزة القطع وكسرة تحت الحاء فى الفعل المضارع : أُحب » .. وتقول ايضا : أَحب هذا الشيء « بفتحة فوق همزة القطع » .. والفعل الماضى .. أَحْبَبْتُ ، وحَبَبْتُ ..

قال شاعر قديم متفكها :

أُحِبُّ ابا مروان من اجل تمره

واعلم ان الجار بالجار ارفق

وقال المتنبى :

حَبَبْتُكَ قلْبى قَبْلَ حُبِّكَ من نأى

وقد كان غدارا فكن انت وافيا

● تقول فى وصف المحاربين ذوى العدد الكثير : هم المحاربون الأكثر عددا ، وتقول اذا شئت : الاكثرون عددا .. كلاهما صواب ..

● كان بعض المتفيهقين فى الجيل الماضى يقول : ان النسبة الصحيحة الى كلمة « طبيعة » هى « طَبَعِىٌّ » بفتح الطاء والباء ، على اساس قاعدة معروفة ولكن الجاحظ وغيره من البلغاء استخدموا كلمة « طبيعى » لدقتها فى النسبة ، كقولك « مَدِينِىٌّ » حين تنسب احد سكان المدينة المنورة ، لكيلا تختلط هذه النسبة الخاصة بالنسبة العامة حين تقول « مَدَنِىٌّ » بفتح الميم والدال ، وقد استعمل المجمع اللغوى وجميع البلغاء فى عصرنا كلمة « طبيعى » وتجدها فى كلام العقاد والمازنى ومصطفى صادق الرافعى وشكيب ارسلان وغيرهم ، ولم يشذ عنهم الا من يقفون عند القواعد بلا تمييز !

● اذا قلت : « العلوم الدينية والدنيوية » فالمعنى « العلوم الدينية والعلوم الدنيوية » .. والتعبير الأول اخصر وصحيح تماما ..

● تقول : « هذا الشيء اعجب الينا » اى احب الينا واشد اثارة لاعجابنا وعجبنا .. وهذا تعبير عربى معروف منذ الجاهلية ، ولكن بعض الضَعَفَة « بفتح الضاد والعين والفاء ، اى : الضعفاء » من اهل زماننا يظنون انه تعبير غير صحيح ، ولله فى خلقه شئون !

# الأشواك

بقلم : د . شكرى محمد عياد

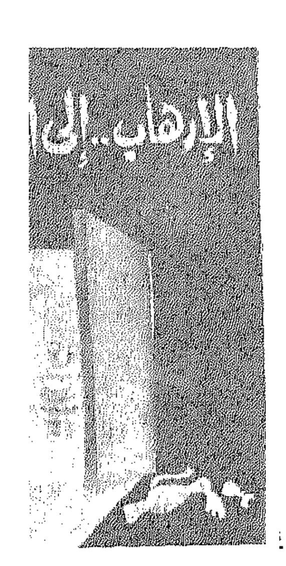
## دائرة العنف

**لو تكلمنا باعصاب متوترة عن محاولات الاغتيال الأخيرة ، لحققت هذه المحاولات الغرض الأكبر منها .**
**فالشخصيات التى استهدفتها هذه المحاولات يمكن ان تكون قد اختيرت بناء على « مواصفات معينة » : فهى مرة تمثل الأمن ، ومرة تمثل الرأى ، ومرة تمثل العلاقات الخارجية للدولة . وعندما يجىء رد الفعل المضاد من هذه الجهات الثلاث : فتلجأ سلطات الأمن الى القمع ، ويتحول اصحاب الرأى من النقاش الى التسفيه والادانة ، وتكتسب السفارات الأجنبية شكل ثكنات عسكرية فهنا تكتمل دائرة العنف .**

فالهدف من الاعتداء على حياة اشخاص معينين لايقتصر على هؤلاء الاشخاص بالذات . إن الهدف هو إثارة الفتنة . والفتنة لاتوجد الا حين ينتشر العنف والعنف المضاد . وجو العنف والعنف المضاد هو الجو الذى يناسب اصحاب الفتن ، لأن سواد الناس لايطلبون الا الأمن الذى يسمح لهم بالسعى على معايشهم ، فاذا اصبح الخروج الى الاسواق محفوفا بالمخاطر ، هان عليهم ان يسلموا جل امورهم الى من يضمن لهم ولو قسطا صغيرا من

الامن ، فهنا يثب اصحاب الفتن الى كراسى الحكم وهى مقصدهم النهائى .
ولكن القصة لاتنتهى عند هذا الحد .
فكما ان العنف يولد العنف ، فكذلك الفتنة تولد الفتنة .

والذين استولوا على السلطة بتدبير حالة من الخوف ، يبعثون الأمل فى نفوس غيرهم من الطامحين الى السلطة ، فما امكن تحقيقه مرة ، يمكن ان يتحقق اكثر من مرة . وهكذا تنشأ الفرق المتصارعة فى الخفاء او فى العلن ، ويكون النصر ، آخر الأمر ، للأخبث والأقسى .هذه سنة التاريخ فى الفتن ، لاتتخلف ابدا . ومهما تردت الفتنة بثوب العدالة ، او ثوب الحق ، او ثوب الدين لتجند بعض ضعاف العقول تزين لهم القتل والتخريب باسم هذه المقدسات ـ فإن غرضها النهائى بل الوحيد هو ان تهدم السلطان القائم لتقيم سلطانها هى . وكثير من الناس تختلط عليهم الأمور فيحسبون ثورة ما هو فى حقيقته فتنة . والفرق بينهما كبير فى الطبيعة اوالاهداف والوسائل .




الفتنة سلبية محضة ، مظهرها الفكرى انكار ما هو قائم ، ولذلك تتبلور تعاليمها فى سلسلة من المحرمات . والثورة إيجابية دائما ، تبشر بمجتمع جديد ، يولد من المجتمع القائم ولكنه ينقضه ، او على الاصح يعيد ترتيبه ليتخذ وضعا اقرب الى العدل . فاذا نظرنا الى الدوافع النفسية الفردية وراء كل من « الفتنة » و « الثورة » وجدنا ان هناك نوعا من عدم التسليم بالواقع ، ورغبة فى تغييره ولكن هذه الرغبة اذا لم يتحكم فيها العقل ، ولم تستند الى العلم ، تحولت الى فعل تدميرى محض . هذه هى الخامة النفسية التى يتولى صياغتها مدبرو الفتن . وهم عادة افراد يتصفون بدرجة هائلة من الشعور بالعظمة ، بحيث لايبالون بآلام الآخرين . وربما توهموا انهم يتمتعون بنوع من الكشف او الالهام . هذه صفات تحدث عنها علماء النفس بوضوح ، ورأينا امثلة لها فى بعض المحاكمات .

ولكن الرغبة فى تغيير المجتمع قد تكون نابعة.من رؤية واقعية لنواقصه ، وادراك موضعى لامكانية التغلب عليها ، وحب للغير ، قد يدفع الفرد للتضحية بسعادته الشخصية ، وربما للمخاطرة بحياته ، من اجلهم . هذه هى صفات الثوريين الحقيقيين وهى لاتتمثل فى مهاجمة الأوضاع القائمة بقدر ماتتمثل فى تبنى براعم المستقبل وتعهدهما بالجهد المتواصل .
والفتنة تحقق هدفها النهائى حين تتمكن من اسقاط النظام القائم وتتحول إلى سلطة . فأهدافها لاتتجاوز ذاتها ، ومن هنا يصبح نشاطها كله مركزا على الدفاع عن بقائها . اما الثورة فلا يلزم ـ أصلا ـ ان تستولى على السلطة لتنجح . إن الثورات العلمية والتعليمية والفنية ليست أقل قيمة فى تاريخ البشرية من الثورات السياسية . إن كل تغيير فى أسلوب حياة الانسان هو

ثورة وربما كانت الثورات الهادئة ، التى تتم دون ان يشعر بها احد ، هى اعظم الثورات وادومها اثرا . انظر الى الثورة الصناعية فى أوربا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر انظر الى الثورة فى نظم المعلومات فى عصرنا . انظر الى الثورة الروحية التى بدأنا نشهد إرهاصاتها فى العالم كله وربما أثبتت انها اعظم الثورات فى تاريخ الانسان : طبيبة إنجليزية تشارك سكان مخيم فلسطينى محنتهم الطويلة حتى تاكل مثلهم لحم الكلاب ، سكان مدينة المانية يحتجون على ارسال اغذية ملوثة بالاشعاع الذرى الى شعوب العالم الثالث . أحزاب الخضر التى يتزايد تاثيرها فى جميع ارجاء العالم الصناعى ، إذ تدين العدوان المستمر على الطبيعة .

هذا الاختلاف العميق بين الفتنة والثورة ، من حيث الطبيعة والأهداف ، يستتبع اختلافا فى الوسائل لايقل اهمية عن سابقيه ، ويزيد عليهما انه يقدم لنا علامات واضحة تمكننا من ان نميز بسهولة بين ما هو فتنة وما هو ثورة .

فالفتنة التى تعادى المجتمع كله ، ولاتبالى بما يصيب الابرياء من محن والام ، لاتحجم عن ارتكاب القتل الفردى او الجماعى ، لاحداث مناخ الرعب الذى يهيىء لها الفرصة للاطاحة بالنظام القائم . وفى مقابل ذلك لاتهتم الفتنة بالتحليل العلمى للأوضاع القائمة ، ولاً تقبل الحوار الهادىء مع خصومها الفكريين ، وتفضل الدعوة السرية على الدعوة العلنية ، او تنظم مستويين للدعوة : مستوى علنيا مخففا الغرض منه استمالة الجمهور او تحييده على الاقل ، ومستوى سريا على درجة من الصراحة يخص به الانصار الذين يهيئون للمهمات الخطيرة .

وبما ان الثورة لاتعادى المجتمع بل تحاول تغييره الى الأصلح ، فإنها تتوسل لذلك بالبحث العلمى اولا ، ثم بالعرض الواضح ثانيا . فبمجرد الشعور بأن ثمة فسادا فى المجتمع (او حتى ان كل مافيه فاسد) لايكفى لمعرفة مايجب عمله . بل يجب الفحص عن جميع العلل الاجتماعية والتعمق فى فهم اسبابها حتى تمكن ازالتها . وتجب الاحاطة بالوقائع الموضوعية التى يعايشها انسان العصر لمعرفة انسب الطرق للتعامل معها . ثم إن الثورة بعد ذلك او خلال ذلك تعرض فكرها على جمهور الناس فاتحة لهم ابواب الامل فى

المستقبل ، موضحة منهجها فى السعى لحياة افضل . وهنا يمكن ان تصطدم الثورة بقوى معارضة ، فتضطر الى الدفاع عن نفسها ، ودستورها فى هذه الحالة : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » .

## ● الإســـلام بـــرىء

لا أصدق أن جماعة تنتسب الى الاسلام يمكن ان تتخذ من القتل وسيلة لنشر دعوتها .

إن كانوا يريدون « ثورة » فى أحوال المسلمين (ولا أقول « ثورة اسلامية » فالاسلام دين انزل كاملا فلا يثور ولا يطور) فليعدوا للثورة عدتها واولها البحث الدقيق والفكر المستنير . ولا أظن ان احدا سيعارضهم فعالمنا مريض وكلنا نشعر بهذا المرض ونتمنى ان نشفى منه وان نساعد غيرنا على الشفاء .

وإن كانت « الفتنة » فقد علموا ان المسلمين لم ينالوا خيرا منذ فتنة قتل عثمان . وقد بدأت الفتنة فى خلافة عثمان نفسه . ومعنى ذلك ان « الدولة الاسلامية » التى يتحدثون عنها لم تعمر اكثر من خمس وعشرين سنة ، عشر منها فى حياة الرسول . ولا يمكن القول ان الله اراد بدينه شرا حين جعل مدة حكمه فى الأرض أقصر من عمر جيل واحد .

إن حكمة الأحداث التاريخية ليست من الأمور التعبدية ، فلا جناح علينا ان بحثنا عنها ، بل إن مثل هذا البحث فرض كفاية ، على المسلمين .

وقبل ان اقول كلمة فى هذا الموضوع ، أقدم يقينى المطلق بأن فى علماء المسلمين اليوم من هم أفقه منى بكتاب الله وسنة رسوله وتاريخ المسلمين مائة مرة . ولكننى لم اقرأ لأحدهم عن القضية التى نحن بصددها كلمة شفت غليلى ، فانا اقول ما عندى فى ذلك ، عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحقرن أحدكم نفسه » .

هل قرأتم قصة ثعلبة بن حاطب ؟ انه الرجل الذى نزلت فى شأنه هذه الآيات من سورة التوبة (٧٥ ـ ٧٧)

« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصَّدَّقنَّ ولنكوننَّ من الصالحين . فلما ءاتهم من فضله بخلوا به وتولَّوْا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » صدق الله العظيم

قال الامام البيضاوى فى تفسيره « نزلت فى ثعلبة بن حاطب ، أتى النبى

صلى الله عليه وسلم وقال : ادع الله ان يرزقنى مالا . فقال عليه الصلاة والسلام : ياثعلبة ، قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه . فراجعه وقال : والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه . فدعا له . فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة . فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة . فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لايسعه واد . ياويح ثعلبة ! فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات . فاستقبلهما الناس بصدقاتهم . ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرءاه الكتاب الذى فيه الفرائض . فقال ما هذه الا جزية ، ما هذه الا اخت الجزية . فارجعا حتى أرى رايى . فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة ... »

ولنتوقف هنا لحظة . فلو كانت الصدقات او الزكاة اخت الجزية كما زعم ثعلبة لأخذت منه مضاعفة كما يفعل حكام الدنيا بغرامة التاخير او مخالفة التهرب من الضرائب ولكن اسمع بقية القصة :

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن الله منعنى ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على راسه . فقال : هذا عملك ، قد امرتك فلم تطعنى ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فلم يقبلها . ثم جاء بها الى عمر رضى الله تعالى عنه فى خلافته فلم يقبلها . وهلك فى زمان عثمان رضى الله تعالى عنه » ا .هـ .

احكام الله فى كتابه هى اذن احكام دينية ، واقوال الرسول وافعاله كلها آداب نبوية ، والعمل بها لايصح ولايقبل الا ان كان صادرا عن ايمان ، والعقاب على تركها ـ فى المقابل ـ لايكون الا بغضب الله ورسوله .

لعلك تشعر ـ ايها القارىء الكريم ـ اننا بدانا ندخل فى دروب خطرة فانت تسالنى فماذا نفعل بالحدود ؟ فاقول : انظر ـ هدانا الله واياك ـ الى المواضع التى وردت فيها ايات الحدود ، تجد آية تامر بالحد وبعدها آية تحض على العفو . لا يستثنى من ذلك الا حد الزنا . وهذا مثل من أمثلة الاعجاز فى كتاب الله الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فالمجنى عليه فى جريمة الزنا مطعون فى شرفه . فكيف يطيق العفو ؟ فكان ان حل اللعان محل العفو للغاية نفسها .

ولكنك تسأل مرة اخرى ، ولعلك قد ازددت حيرة :
فهل يعقل ان الله ـ جلّت حكمته ـ أنزل احكاما لا يرجو أن نعمل بها ؟
فأقول وبالله التوفيق : بلى ، انه يأمرنا بها ويريدنا ان نعمل بها ، ولكن عن إيمان به وحب لرضاه ، لا عن طمع فى ثواب او خوف من عقاب فى الدنيا .
لذلك قال رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ( وتأمل أسلوب القصر) « إنما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » .
وتعال نقترب أكثر فأكثر من حكمة التاريخ ، التى هى حكمة الخالق جل وعلا . فقد اراد الله للانسان أن يرتفع فوق ضعفه ، فأخذه بالتربية درجة بعد درجة ، كالطفل فى المدرسة .

أنزل شريعة على موسى ، فلم يطقها قومه ، وعصوها وهو لا يزال بين ظهرانيهم . وبقى اليهود فى صراع دائم مع شريعة الله .
ثم بعث عيسى مصدقا لرسالة موسى ، ومطهرا لنفوس اصحابه من الخوف والرياء وكان السلطان الزمنى القاهر قد افسد القلوب والضمائر ، فكان الشعب محتاجا الى تذكيره بان فوق هذا السلطان القاهر الجائر الذى لابد ان يبيد يوما سلطانا عادلا رحيما لايبيد ابدا . وقال لهم : اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلم يكن الوقت قد حان لاقامة مملكة الله على الأرض . ولكنهم لما قويت شوكتهم تعجلوا الأمر وحسبوا ان ملكوت السماء يمكن ان يقام على الأرض من خلال الكنيسة ، وكان ذلك وبالا على المجتمع المسيحى ، فقد زجت « الكنيسة المحاربة » شعبها فى حروب طاحنة ـ داخلية وخارجية ـ استمرت قرونا ، بينما كان الفساد يستشرى داخل الكنيسة نفسها .

ثم جاء محمد خاتم الانبياء والرسل فاقام بنفسه حكم الله فى الأرض . حدثت المعجزة ولم يكن من الممكن ان تدوم فحكم الله لايقوم على الأرض الا بايدى البشر . والبشر فيهم ضعف فلا يمكنهم ان يكونوا ربانيين فى جميع احوالهم .
هكذا قامت مملكة السماء على الأرض ، لمحة بلغت فيها النفوس البشرية اقصى درجات العطاء والتجرد ، ولم تخل مع ذلك من اخطاء مميتة ، كخطأة ثعلبة هذا الذى باع دينه بدنياه .
كانت حكومة الخلفاء الراشدين اختبارا عمليا لما يستطيع البشر ان يعملوه اذا ارادوا ان يكونوا ربانيين وقد مات ثلاثة من الخلفاء الأربعة مقتولين وتعاقبت الفتن . وما وعينا الدرس الى يوم الناس هذا .






# التيار الإسلامي وأسطورة الاضطهاد

بقلم: د. فؤاد زكريا

**من المفهوم أن تلجأ بعض التيارات السياسية إلى العنف حين تجد نفسها محاصرة ، وحين تضيق أمامها سبل العمل وتغلق أبواب التعبير . وليست هذه بالطبع قاعدة عامة ، لأن اليسار ، على سبيل المثال كثيرا مايحاصر ويمنع من ممارسة نشاطه ويتعرض للاضطهاد فى عدد غير قليل من بلاد العالم ، ومع ذلك فإنه لايتبع فى الأغلب أسلوب العنف الارهابى الذى يقتنص الخصوم غدرا ثم يهرب ومع ذلك فإن العقل يستطيع ان يتصور ذلك الوضع الذى لاتجد فيه جماعة سياسية معينة من سبيل إلى العمل سوى استخدام القوة ضد الخصوم ، حين يوصد أمامها كل ماعدا ذلك من المنافذ .**

ولقد حاول تيار الاسلام السياسى ، الذى اكتسب قوة كبيرة منذ السبعينيات ، ان يصور نفسه بصورة المضطهد المحاصر ، الضحية ، المستشهد فى سبيل الحق ، وكانت هذه الصورة هى المبرر الذى يقدمه كلما حوسب على لجوئه إلى العنف . غير أن هناك من الأسباب القوية مايؤكد أن الحقيقة غير ذلك وأن تيار الاسلام السياسى ، إذا ماقورن بغيره من التيارات السياسية المعارضة ، هو أبعد الجميع عن معاناة الاضطهاد مفهوما بمعناه الشامل ، وأن حلقة العنف تبدأ منه دائما ، فترد عليها الدولة بعنف مقابل .

وسأحاول فى هذا المقال أن أثبت أن فرص العمل أمام تيار الاسلام السياسى

تفوق ماهو متاح لغيره من التيارات بمراحل . ومن ثم فإن العنف الارهابى الذى تلجأ إليه بعض فصائله ليس وليد الاضطهاد ، بل هو يرجع إلى عناصر تنتمى إلى صميم التكوين الفكرى والاعداد النفسى لهذا التيار . وبعبارة أخرى فإن التيار الدينى السياسى يتمتع بمزايا واضحة ، على حساب غيره من التيارات ، بحيث يمكن القول إن الصراع بينه وبين التيارات الأخرى ، يمينا ويسارا ، هو صراع غير متكافىء تميل كفة الميزان فيه لصالحه بوضوح قاطع .

★ ★ ★

١ ـ فلنتأمل أولا ميدان التعليم . ففى هذا الميدان الحيوى يكتسب التيار الاسلامى فى بلادنا قوة هائلة ، لأن الطريقة التى تتكون بها عقول الناشئين من أبنائنا ترعى الفكر الدينى رعاية تامة ، بل أن المرء لن يكون مغاليا إذا قال إن مناهجنا التعليمية تدعم هذا الفكر فى صورته التقليدية التى تشكل تربة صالحة لظهور الأفكار السلفية بشتى أنواعها . ولنسأل أنفسنا بصراحة : كم من الكتب الدينية المقررة فى مختلف مراحل التعليم العام ، وكم من كتب اللغة العربية التى تتضمن محتوى دينيا غنيا ـ كم منها يغرس فى النشء قيم الاسلام الايجابية أعنى قيم التفكير العقلى والسعى إلى المعرفة ومحاربة الظلم الاجتماعى وتحقيق العدل والمساواة بين البشر ؟ وكم منها ، فى مقابل ذلك ، يركز على شكليات الدين ويدعو إلى الطاعة المطلقة و « إيمان العجائز » ؟

ومن ناحية أخرى فإن نسبة التعليم الدينى المباشر فى بلادنا تزداد بلا انقطاع فالمعاهد الدينية ، على المستوى الابتدائى والثانوى ( بالاضافة إلى معاهد الأزهر وكلياته بالطبع ) تنتشر وتزدهر وتجتذب المزيد من الطلاب ، ويشكل طلبة هذه المعاهد نسبة غير قليلة من المتعلمين فى المحافظات الريفية بوجه خاص . وهكذا يتمتع التعليم الدينى فى مصر ، من حيث الكم ، بقاعدة واسعة ، أما من حيث المضمون فلا يمكن لأحد أن يزعم أن محتوى هذا التعليم يتعارض مع اتجاهات التيار الاسلامى السياسى فى بلادنا . ومعنى ذلك أن التعليم الذى تقدمه الدولة لايشكل أية عقبة فى وجه هذا التيار ، بل إنه ، على العكس من ذلك ، يسانده ويدعمه بشتى الطرق المباشرة وغير المباشرة .

٢ ـ فإذا انتقلنا إلى ميدان الاعلام ، وجدنا للموضوعات الدينية نصيبا لا يستهان به فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون . بل إن الحيز والوقت اللذين يخصصان لهذه الموضوعات يفوقان مايخصص لأى موضوع « دنيوى » آخر على حدة . ولكن الأمر لايقتصر فى هذه الحالة بدورها على الجانب الكمى ـ أعنى المساحة المخصصة للمقالات الدينية فى الصحف ، والوقت الذى تستغرقه الأحاديث والندوات الدينية فى الارسال الاذاعى والتليفزيونى ـ بل أن المحتوى ذاته يقدم أرضية مناسبة تتيح لتيار الاسلام السياسى أن يفيد منها إلى اقصى حد . فالاسلام المضىء بالعلم والعقل والحكمة والحضارة نادرا مايجد له مكانا فى وسائل الاعلام هذه ، بل تسرى وجهة النظر التقليدية والسلفية على معظم

مايُكتب ويقال ، وتذاع فتاوى على نسق فتوى « الطين الأرمني » المشهورة وتقدم نماذج لايتضمن معظمها أبداعا أو اجتهادا حقيقيا ، وتتكرر العبارات والأفكار التى ظلت تردد منذ مئات السنين بحذافيرها ، ويصور التراث الاسلامى ، لا على أنه قوة حية متجددة بل على أنه صحائف مختزنة لا دور لنا إزاءها سوى أن ننفض عنها غبار الزمن .

ومن جهة أخرى ، فإذا كانت هناك قلة من الصحف تفسح المجال لكتابات تعارض تيار الاسلام السياسى ، فإن أغلب الصحف تتبارى فى مجاملة هذا التيار . وفضلا عن ذلك فإن لهذا التيار صحفه ومجلاته العديدة التى يهاجم فيها معارضته بكل حدة ، ومع ذلك فإنه يضيق ذرعا إذا ظهر ، من أن لآخر مقال يعارضه ، ويسارع بالشكوى مما يعانيه من « اضطهاد » إعلامى ويهدد صاحب المقال أو ناشره بالويل والثبور . وهكذا يبدو أن التشخيص الحقيقى لموقف التيار الاسلامى من ميدان الاعلام هو أنه يريد أن يكون وحده فى الساحة يهاجم الآخرين كما يشاء ويعرض فكره دون معارضة من احد ، اما إذا ظهر ابسط رد عليه أو مناقشة له ، فإنه يرى فى ذلك اضطهادا يستحق مرتكبه اشد العقاب .

٣ ـ ولست أود ان أطيل الحديث عن ميدان الاقتصاد ، لأنى لست من خبرائه ولكن متابعتى للأحداث العامة تسمح لى بأن أقول باطمئنان تام ـ إن التيارات الاسلامية تزداد تغلغلا وتوسعا فى هذا المجال من خلال البنوك والمصارف الاسلامية وشركات توظيف الأموال العملاقة التى تجتذب كل يوم ملايين جديدة من مدخرات المواطنين . ولم يعد المساهمون فى هذه الشركات يفعلون ذلك لأسباب دينية فقط ، أعنى استجابة للحس الدينى الذى يحرم عليهم التعامل بالربا ، بل إن عددا لايستهان به من « العلمانيين » أصبحوا يوظفون أموالهم فيها لسبب دنيوى بحت هو أنها تعطى أكبر عائد من الأرباح . والذى يهمنا فى هذا كله هو أن أمور التيار الاسلامى فى الميدان الاقتصادى أصبحت مزدهرة الى حد لايترك لممثليه أى مجال للشكوى من الاضطهاد فى هذا المجال .

٤ ـ ولعل الرصيد الأكبر للتيار الاسلامى السياسى فى بلادنا ينبع من أنه يرتكز على ذلك الشعور الدينى العميق الذى يجرى فى دماء الشعب المصرى منذ عشرات القرون . فمنذ أيام الفراعنة كان الحس الدينى سمة مميزة لشعبنا ، ومن هنا رأينا أهم إنجازاتهم وآثارهم تتخذ طابعا دينيا واخرويا لاتخطئه العين وامتد هذا الحس الدينى إلى العصر القبطى ثم ازداد تغلغلا وتأصلا منذ أن اعتنقت اغلبية الشعب المصرى الاسلام . وهكذا فإن اية حركة إسلامية نشطة ، فى الوقت الحاضر ، تستطيع أن تعتمد على رصيد هائل مختزن على مر التاريخ من المشاعر الدينية العميقة ولاتحتاج هذه الحركة إلى جهد كبير لكى تجند وراءها عشرات

الألوف من البشر وخاصة إذا أضيفت إلى ذلك ظروف موضوعية تجعلهم متلهفين - فى ظل الأوضاع الصعبة القائمة - إلى الحل البديل . فالنجاح السريع الذى تحرزه دعوة الاسلام السياسى لايرجع فى الواقع الى براعة يتصف بها أصحاب هذه الدعوة أو إلى قدرة غير عادية لديهم على اجتذاب الجماهير ، بقدر مايرجع إلى أن دعوتهم تستفيد من ذلك المخزون الضخم من المشاعر الدينية ، الموجود بالفعل لدى هذه الجماهير وتجده أمامها جاهزا ، وتحصل عليه بلا عناء . وفى ذلك تختلف التيارات الاسلامية عن كافة التيارات السياسية الأخرى التى تضطر إلى أن تنحت طريقها فى الصخر وتجد لزاما عليها ، من أجل نشر مبادئها السياسية ، أن تبدأ من الصفر .

وهكذا يمكن القول ، بمعنى معين ، إن دعاة الاسلام السياسى ليس لهم فضل كبير فى هذا النجاح الملموس الذى أحرزوه فى السنوات الأخيرة لأنهم ركبوا موجة عاتية موجودة بالفعل ، وكل مافعلوه هو أنهم إعلنوا أنفسهم ناطقين بلسان ذلك الحس الدينى العارم الذى كان يتملك الجماهير قبل ظهورهم ، وسيظل يتملكهم من بعدهم ، وأخذوا على عاتقهم توجيهه والانتفاع منه ، بعد أن احتكروه لأنفسهم من أجل تحقيق هدف سياسى محدد . وهذا وضع يمنحهم تفوقا لافضل لهم فيه على جميع التيارات السياسية الأخرى ، ولايمكن فى ظله أن يتحدث أحد منهم عن أى أضطهاد يعانون منه .

بل اننا لو شئنا الدقة لقلنا إن المعارضين لهم هم الذين يلقون منهم اضطهادا لايستهان به ، فما دام التيار الاسلامى السياسى قد جعل من نفسه تجسيدا للحس الدينى لدى الانسان العادى وممثلا وحيدا له ، فإن من السهل على أصحابه أن يتهموا أى تيار آخر مخالف لهم بالكفر ويصبح سلاح التكفير أداة قوية يستخدمونها بطريقة تعسفية من أجل تخويف المعارضين وإسكات أصواتهم . ومما يضاعف من تأثير هذا العامل ، أن مستوى الحرية فى مناقشة المسائل الدينية يهبط فى مجتمعنا العربى يوما عن يوم ، بحيث تُحرَّم فى أواخر القرن العشرين مناقشة أمور كانت تبحث بكل حرية فى أوائله . بل كان الفقهاء والمتكلمون يناقشون ماهو أخطر منها وأجرأ فى القرون الأولى للاسلام . وهكذا يستغل التيار الاسلامى ضيق الأفق الثقافى السائد من أجل فرض أضطهاد فكرى على معارضيه يصل أحيانا إلى حد الارهاب الصريح .

## ● ميدان المثل العليا

٥ - وتترتب نتائج هامة على انتفاع التيار الاسلامى السياسى من ذلك الرصيد الدينى الضخم الذى يتلقاه جاهزا أهمها أن هذا التيار يستطيع أن يتخلص دائما من مواجهة تفاصيل الواقع العملى ، مكتفيا بالمبادىء العامة التى تتسع لشتى التأويلات . والواقع أن الحس الدينى لدى الانسان هو فى جوهره تطلع إلى مثل أعلى يتجاوز عالم الواقع ، وهو رؤية للعالم كما ينبغى أن يكون وكل مثل أعلى هو بطبيعته هدف بعيد يسعى الانسان بلا انقطاع إلى بلوغه ولكنه لايحققه إلا بصورة جزئية .

غير أن عجز الانسان عن بلوغ المثل الأعلى لايعنى تخليه عنه . بل إنه يظل يسعى إليه حتى وهو يعلم أن واقعه لن يسمح له بتحقيقه إلا بصورة منقوصة .

وهكذا يتمتع الداعية إلى التيار الاسلامى السياسى بميزة هائلة بالقياس إلى كل من يدعو الى مذهب سياسى اخر : إذ يتحرك الأول فى ميدان المثل العليا ، بينما يتحرك الثانى فى ميدان الواقع الملموس ، والمثل العليا بطبيعتها أسمى وأرفع من الواقع . ومن جهة أخرى فإن الدعوة إلى المثل العليا ، مادامت تعلو على مستوى الواقع ، تسير فى طريق خال من العقبات ، لايصطدم بمشكلات الواقع على حين أن المذاهب السياسية الأخرى التى توصف بأنها « علمانية » كالرأسمالية والاشتراكية والليبرالية ، الخ ... تضطر إلى مواجهة العقبات التى يثيرها فى وجهها الالتزام الدائم بعالم الحياة الواقعية . ومن هنا فإن المذهب القائم على أسس بشرية تجريبية يصطدم بعقبات لانهاية لها ، لأنه يحتك دائما بالعالم الفعلى ويواجه مشاكله أما المذهب الذى يحلق فى سماء المثل العليا فإنه يتحرك فى عالم من الحرية التامة يتجاوز مصاعب الواقع وعقباته .

وفى هذه الناحية يكون لتيار الاسلام السياسى ، بشعاراته الدينية المثالية ميزة كبرى على تلك المذاهب المرتكزة على الاحتكاك بعالم الواقع بحيث تكون المقارنة ذاتها بين هذا الطرف وذاك ظالمة من الاساس . وبعبارة أخرى فإن جميع المحاولات التى تبذل من أجل المفاضلة بين الاسلام كايديولوجيا أو عقيدة سياسية ، وبين الايديولوجيات الاخرى التى تظهر فى ظل تجارب تاريخية ملموسة ، كالرأسمالية والاشتراكية والشيوعية والفاشية ، الخ ... تقع فى خطأ أساسى ، هو خطأ المقارنة بين المثاليات التى وُضعت لتكون هدفا بعيدا يستحيل بلوغه كاملا وبين الأفكار المستمدة من خبرة الواقع المعقد الملىء بالمشاكل والصعوبات .

٦ - وهناك ميزة كبرى يتمتع بها التيار الاسلامى السياسى ، إذا ماقورن بكافة التيارات الاخرى التى تمثل المعارضة فى بلادنا هى أن قدرة الأول على السيطرة على العقول أعظم بكثير . ذلك لأن دعاته يقدمون تعاليمهم ( التى هى فى الأغلب اجتهاداتهم الخاصة ) على أنها تعاليم سماوية لاتناقش ، ويضربون بذلك عصفورين سمينين بحجر واحد : إذ يضمنون الطاعة المطلقة من جانب الأتباع ويستغلون الميل الغالب لدى أكثرية الناس إلى الانقياد لسلطة توفر عليهم مشقة التفكير وتقدم إليهم حلولا جاهزة . وعلى العكس من ذلك فإن اى حزب معارض أخر لابد له أن يطالب الناس بالتفكير والمشاركة فى تحليل الأوضاع والبحث عن مخرج من المشاكل . وهذه عملية شاقة يتمنى الكثيرون - خاصة فى أوقات الأزمات الاقتصادية والسياسية - لو وجدوا من يعفيهم منها .

وتلك سمة لاتقتصر فى الواقع على مجتمعنا وحده ، بل إن شعبا عظيما كالشعب الألمانى قد كشف بوضوح فى فترة غير بعيدة من تاريخه ، عن حاجته إلى من يقوده ويوجهه وهو معصوب العينين ، حين تراكمت عليه الهزائم العسكرية والأزمات الأقتصادية والسياسية فى فترة مابين الحربين ، فأسلم قياده برضاء تام « للفوهرر » أى للقائد والموجه والمعلم الذى يفكر ويقرر نيابة عن شعبه . وبالمثل يكتسب التيار الاسلامى بفضل منهج الطاعة المطلقة الذى يتبعه فيما بين كافة مستوياته التنظيمية ميزة كبرى تجذب اليه اعدادا كبيرة من الناس ، وخاصة فى الظروف الصعبة الراهنة ، وتعطيه سبقا واضحا بالنسبة إلى كافة التيارات الأخرى .

٧ - وأخيرا ، فإن قوى المعارضة الأخرى تعتمد أساسا على الكلمة المقروءة ، على حين أن تيار الاسلام السياسى يعتمد فى المحل الأول على الكلمة المسموعة مما يعطيه قدرة هائلة على الانتشار بين أعداد من الناس ويمنحه ميزة لا تتوافر لغيره . ذلك لأن الاتجاهات المعارضة الأخرى توجه دعوتها أساسا من خلال الصحف أو النشرات أو الكتب . وفى ظل الأمية المتفشية ،والأزمة الأقتصادية الطاحنة ، يحق لنا أن نتساءل : كم من الناس يشترون هذه الصحف والمطبوعات ؟ ومن من هؤلاء الذين يشترونها قادرون على قراءتها بوعى واستخلاص النتائج المطلوبة منها أعنى كم منهم يتمتع بالمستوى الذهنى والثقافى الذى يتيح له تحليلها وفهمها فهما صحيحا ؟

وفى مقابل ذلك يتمتع التيار الاسلامى بميزة مخاطبة جمهوره فى الأغلب من خلال الكلمة المسموعة ، أى فى المساجد والحلقات والتجمعات والندوات ، وفى أحيان غير قليلة عن طريق التليفزيون ( أقوى منابر العصر التكنولوجى ) الذى يذيع بلا انقطاع أحاديث دعاة ناجحين ومشهورين يمهدون الأرض لتيار الاسلام السياسى حتى لو لم يكونوا واعين بأنهم يعملون لحسابه . ولاننسى فى هذا الصدد استخدام الأشرطة الصوتية ( الكاسيتات ) التى كانت من العوامل الهامة لنجاح ثورة الخمينى فى ايران ، والتى أصبحت أداة من أهم أدوات الدعوة الاسلامية فى بلادنا .

ونستطيع أن نعدد ثلاث مزايا رئيسيه على الأقل للكلمة المسموعة بالقياس إلى الكلمة المقروءة :

الأولى هى الاتساع الكبير لقاعدة جمهورها ، وخاصة - كما أشرنا من قبل - فى ظروف انتشار الأمية والأزمة الاقتصادية .

والثانية هى أن الكلمة المسموعة تسمح بالتأثير على الجماهير عن طريق عوامل أخرى غير العقل فالمتحدث أو الخطيب يستطيع استخدام صوته بطريقة تثير انفعالات قوية لدى السامعين وتستحوذ على مشاعرهم حتى ولو كان منطقه هابطا وتفكيره سقيما ويمكن القول إن نسبة كبيرة من الدعاة المشهورين حاليا يدينون بشهرتهم لطريقتهم فى الالقاء ، ولمؤثراتهم الصوتية ، أكثر مما يدينون بها اعلمهم أو رجاحة عقولهم .

# التيار الإسلامى
## وأسطورة الاضطهاد

والثالثة أن من طبيعة المنابر التى تقدم فيها الكلمة المسموعة أن تكون إرسالا من اتجاه واحد ، واستقبالا سلبيا من الاتجاه الآخر . فالتليفزيون والكاسيت لامجال فيهما للنقاش والرد ، وانما يتلقى الجمهور مايسمعه ويتقبله بلا اعتراض فتقوى لديه بالتدريج عادة التصديق السهل والتسليم السريع .

وفى هذا كله تكتسب دعوة الاسلام السياسى مزايا هائلة بفضل الأساليب الخاصة التى تستخدمها ، والتى تعطيها تفوقا واضحا على كافة الاتجاهات الأخرى .

### ● فرصة أفضل بكثير

فى كل ماسبق كنت أحاول أن ارد على دعوى الاضطهاد التى تتردد بلا انقطاع على لسان التيار الاسلامى . والنتيجة التى اود ان أخلص إليها هى ان هذا التيار إذا ماقورن بغيره من التيارات العاملة فى ساحة السياسة المصرية والتى تسير مثله فى طريق المعارضة ليس مضطهدا على الاطلاق ، بل إنه يتمتع بمزايا أساسية تجعل فرصته فى العمل والدعوة إلى أهدافه أفضل بكثير من أى حزب أو اتجاه معارض آخر .

اما إذا تأملنا الموضوع من زاوية العلاقة مع الحكومة ، فإن العنف الذى تمارسه الدولة يأتى دائما كرد فعل على عنف سابق صحيح أن رد فعل الدولة كان فى بعض الأحيان أقسى مما ينبغى ، ووصل أحيانا إلى حد البطش فى الخمسينيات والستينيات ، ولكن بداية مسلسل العنف كانت تأتى دائما من جانب التيار الاسلامى السياسى إما عن طريق القيام بعمليات مباشرة وإما عن طريق تكوين تنظيمات شبه عسكرية تستشعر فيها الدولة خطرا عليها . وعلى أية حال فإننى لست على الاطلاق من المؤيدين لسياسة مواجهة العنف بالعنف ، وأعتقد أن مسلك الحكومات المصرية ، منذ الأربعينيات ، فى مواجهة الحركات الدينية ذات الطابع السياسى كانت تشوبه أخطاء فادحة وكان يتسم بقدر غير قليل من التخبط ومن معالجة القشور دون الجذور ومواجهة العضلات دون العقول .

وبعد هذا كله ، تظل علامة الاستفهام الأصلية قائمة : فتيارات المعارضة الأخرى قد تعرضت فى أحيان غير قليلة ، لاجراءات عنيفة مارستها ضدها الدولة ، ومع ذلك فإنها لم تحاول اللجوء إلى أى شكل من أشكال الارهاب . فلماذا كان التيار الاسلامى السياسى هو وحده الذى يلجأ من خلال بعض فصائله ، إلى العنف الارهابى ؟ إذا كانت الظروف التى يعمل فيها هذا التيار كما بينا ، مواتية إلى حد بعيد بالقياس إلى غيره فإن حجة الاضطهاد لابد أن تسقط وينبغى علينا البحث عن تعليل آخر .

وواقع الأمر أن الاتجاه الذى يتصرف على اساس أنه يملك الحقيقة الواحدة المطلقة التى لايسمح بأى خروج عنها ، لابد أن يتولد لديه النزوع إلى العنف

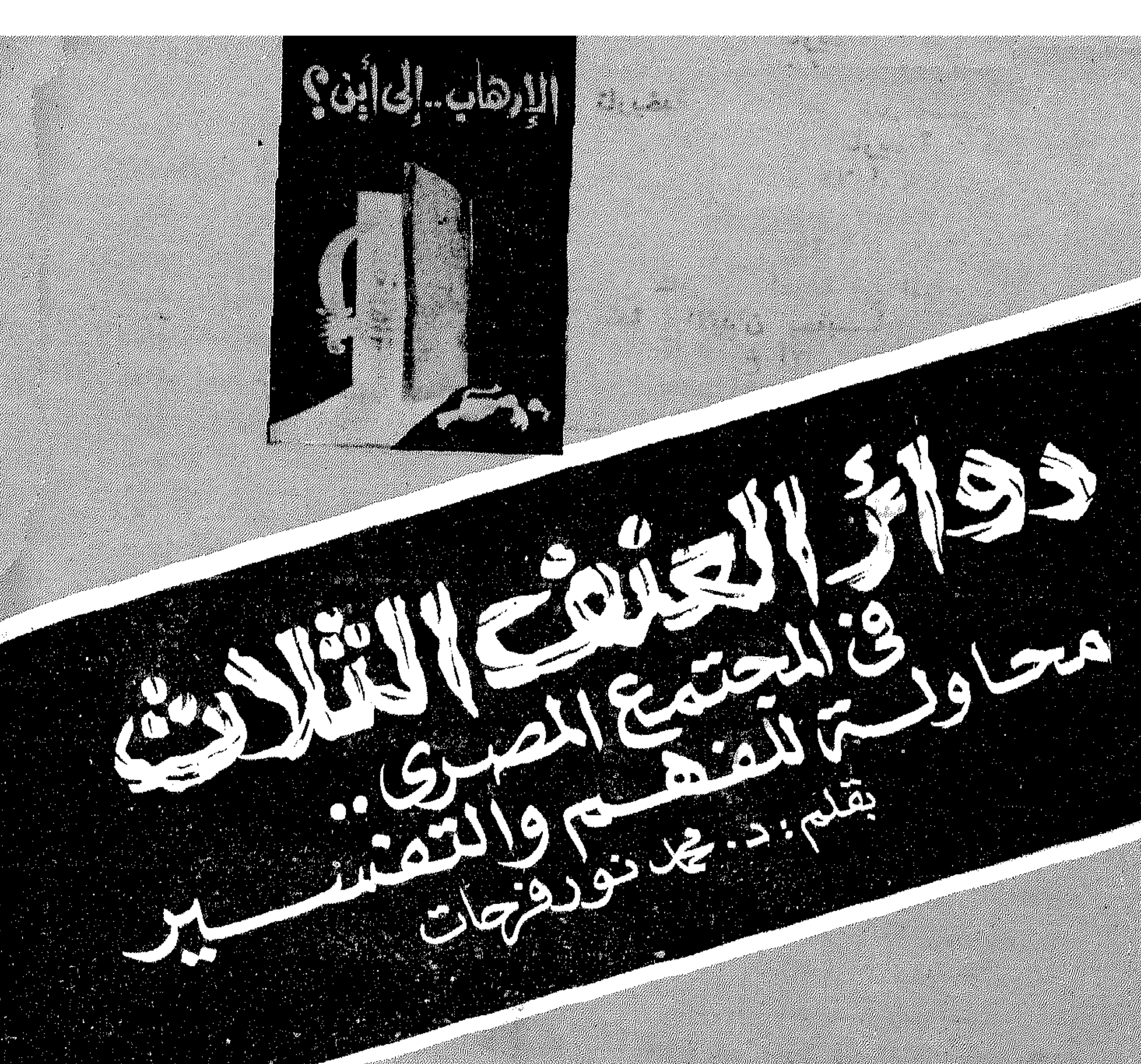
فحين يقسم الناس إلى حزب الله وحزب الشيطان ، وحين يحتكر بعض البشر لأنفسهم تمثيل الحس الديني والايمان المستقر فى قلوب الملايين منذ آلاف السنين ، وحين تصف هذه القلة كل من عداها بالجاهلية أو الزندقة ، عندئذ لايعود العنف أمرا مستغربا . فالارتباط وثيق فى رأيي ، بين الاعتقاد بامتلاك الحقيقة الوحيدة المطلقة وبين العجز عن التفاهم بأية لغة غير لغة الرصاص .

إن الشاب الذى تربى على الايمان الراسخ بأنه هو وجماعته المسلمون حقيقة ، وبأن إسلام الآخرين جميعا ناقص أو باطل ، يسهل إقناعه بضرورة استئصال من يخالفه في الرأى وتصفيته جسديا ، بل إنه ليؤمن بأنه حين يفعل ذلك فإنه يكتسب لنفسه ثوابا ويحقق لأمة الاسلام كل الخير . والمذنب الحقيقى فى هذا هم الدعاة الموجهون ، الذين يستولون على عقول مريديهم من خلال تفسير باطل لأيات وأحاديث مثل : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان » فهم يرون فى هذا الحديث دعوة للمسلم الغيور على دينه إلى استئصال « المنكر » باليد قبل اللسان وبالطبع فإنهم لايقولون لهؤلاء الشباب إن تحديد « المنكر » ينبغى أن يترك لأهل العلم ، ولايحذرونهم من أنه لو ترك تقرير ماهو منكر وماهو غير منكر لأى إنسان يتوسم فى نفسه الايمان ولو سمح له بأن يغير هذا الذى يراه منكرا بيديه لكان معنى ذلك أن يُترك أمر تنفيذ القانون لكى يتولاه كل فرد فى المجتمع بنفسه فيتحول المجتمع إلى غابة تتصارع فيها الوحوش .

إن القطاعات التى تنزع إلى العنف فى التيار الاسلامى السياسى لاتفعل ذلك لأنها مضطهدة ، أو لأن المجتمع يضيق عليها الخناق أكثر مما يفعل مع غيرها من الجماعات المعارضة ، وإنما هى تلجأ إلى العنف لأن طريقة تكوينها وتربيتها النفسية والذهنية تؤدى إلى هذه النتيجة حتما . ولكن المشكلة هى أن هذا العنف الذى لايرتكز على أى أساس من الفهم الصحيح لما يستحق البقاء وما يستحق الفناء فى المجتمع ، يسير دائما فى الاتجاه الخطأ ، ويطيش رصاصه على الدوام بعيدا عن الهدف الصحيح .

وحسبى ، تدليلا على ذلك أن أطالب أى إنسان مقتنع بالعنف سبيلا لاصلاح المجتمع ، بأن يطرح على نفسه السؤال الآتى : إذا كانت وسيلتى الوحيدة لاستئصال الفساد والمفسدين فى بلد كمصر هى استخدام البندقية فهل ينبغى أن يكون أول من أصّوب نحوهم هذه البندقية هم حسن أبوباشا ومكرم محمد أحمد ؟

أما الشعب المصرى الأصيل فإنى أطرح السؤال الآتى على وعيه الذى لا أشك فى أنه مازال فى مجموعه سليما : هل يحق لنا أن نتبنى موقف أولئك الذين تركوا أكبر اللصوص والنهابين يعيثون فى بلدنا فسادا ولم يجدوا هدفا يطلقون عليه رصاصهم سوى وزير سابق دعا إلى الحوار معهم ، وكاتب كان ذنبه الوحيد هو أنه اختلف معهم فى الرأى ، ولم يستخدم ضدهم إلا لغة العقل والمنطق ؟




# دوائر العنف الثلاث في المجتمع المصري
## محاولة للفهم والتفسير

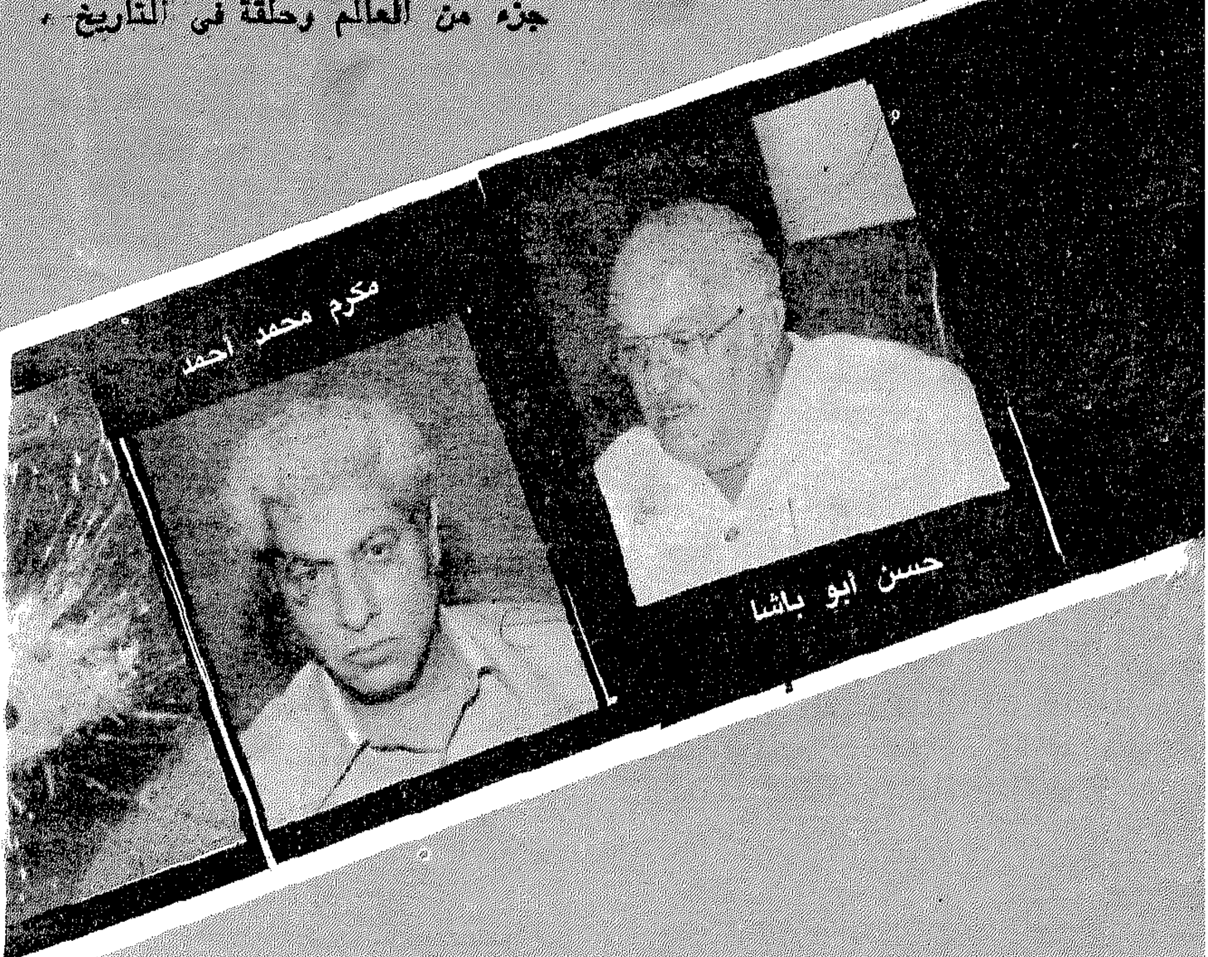
بقلم: د. محمد نور فرحات

العنف هو اسلوب لحل الصراعات يتبناه فرد او جماعة بهدف حسم الصراع لصالحه بالاستناد الي القوة الماديه وحدها . وظني ان هذا التعريف هو اكثر التعريفات شمولا وقبولا ، من بين التعريفات الكثيرة التي صاغها علماء السلوك الانساني المهتمين بظاهرة العنف كظاهرة انسانيه معاصرة ، تؤرق البشرية ويبحث الساسة والمفكرون والمصلحون عن حلول لها .

والعنف بهذا المعنى ظاهرة عالمية أولا ومستمرة ثانيا . فهو ظاهرة عالمية يكاد لا يخلو منها مجتمع من مجتمعات اليوم الا القليل ، فقد أضحى كوكبنا على مشارف القرن الواحد والعشرين كوكبا للصراعات الانسانية العنيفة المختلفة الاسباب والمتباينة المظاهر . وليست أمثلة جماعات الالوية الحمراء ، وبادر ما ينهوف ، وصراعات السود الامريكيين ، ونضال الباسك والجيش الاحمر ، وقلاقل الشباب الفرنسيين ، والسيخ الهنود ، الا امثلة قليلة للحركات العنيفة المنظمة أو غير المنظمة التى تسود عالمنا اليوم .

والعنف أيضا ظاهرة مستمرة عبر التاريخ ، لم تخل منه حقبة تاريخية واحدة على قدر منا وعى الانسان من حقبات تاريخية . بل ان التاريخ لينحنى أجلالا امام العديد من حركات العنف الجماهيرى القديمة والوسيطة والحديثة ، تلك الحركات التى كان لها اثرها فى انهاء حقبات بائدة والايذان بحقبات مشرقة من حقبات التاريخ الانسانى .

ومع كل ذلك ، اى مع التسليم بعالمية العنف وتاريخيته ، فان هذه العالمية وتلك التاريخية يجب الا تلهينا نحن المتدبرين لواقع مجتمعنا اليوم ، عن الاسباب الداخلية والعوامل المعاصرة ، وهى التى يجب ان تتوجه اليها الانظار عند بحث هذه الظاهرة الان . فالتفسير بالعالمية وبالتاريخية هو تفسير يبعث على الراحة والاطمئنان والظفر ، وكيف لا ونحن جزء من العالم وحلقة فى التاريخ ،



# دوائر العنف الثلاث

ولكنه تفسير لا يضيء امامنا الطريق نحو مواجهة الظاهرة التى نعانى منها الان .

## ● اهداف متباينة

والملاحظة الاولى التى نود أن نبديها ، ان طلقات الرصاص التى دوت فى الاونة الاخيرة فى شوارع القاهرة ، متخذة لها كل مرة هدفا مختلفا يجب أن تؤخذ فى حدود الدائرة التى تنتمى اليها . والزعم عندى ان ظاهرة العنف الانسانى يمكن أن تنقسم الى دوائر متعددة تفوق كل دائرة فيها الدائرة التى تليها من حيث السعة .

**الدائرة الاولى : فى دائرة العنف الجماهيرى** ، وهى اكثر دوائر العنف سعة وفيها تشترك قطاعات واسعة وكبيرة من الجماهير ، وهى عبادة جماهير الفقراء وتعمد الى استخدام القوة أو التلويح بها من اجل الحصول على مكاسب اجتماعية واقتصادية محددة .

**والدائرة الثانية : هى دائرة عنف** التنظيمات أو العنف المنظم ، وفيها يحاول مجموعة من الافراد يتمتعون بقدر من التنظيم فى استخدام العنف من اجل تحقيق الاهداف العقائدية أو السياسية التى يتبناها هذا التنظيم

**والثالثة هى دائرة عنف الافراد** عندما يعم فى المجتمع لجوء الافراد الى العنف المادى لحسم صراعاتهم الشخصية والفردية .

هذا ، وان كانت حوادث العنف الاخيرة ( محاولة اغتيال حسن ابو باشا ، والدبلوماسيين ، الامريكيين ، ورئيس تحرير المصور ، وقبل ذلك عدد من الحوادث المتناثرة، وان كانت هذه الحوادث كلها تنتمى الى الدائرة الثانية دائرة عنف التنظيمات ، التى لها تفسيراتها واسبابها الخاصة ، الا أن احدا لا يستطيع أن ينكر **أن المجتمع المصرى منذ حقبة السبعينيات وحتى الان يتجول بحرية انطلاق بين هذه الدوائر الثلاث ويزدرد من كل كاس منها بقدر**

فقد شهدنا تظاهرات الخبز فى يناير ١٩٧٧ ، وقبل ذلك وبعده حفل مجتمعنا بما اصطلح على تسميته بالحوادث المؤسفة وهى عبارة عن تصدى مجموعات من الجماهير بالعنف لممثلى السلطة وخاصة رجال الشرطة، واختلطت المعارك الانتخابية عندما بالمعارك الفعلية التى تستخدم فيها الايدى والاسلحة ، وخرج جنود الامن المركزى مطالبين بالعدل يعيثون فى المدينة تدميرا وتحطيما ، ولجأ العمال فى عدد من المواقع الى سلاح الاضراب للمطالبة بحقوقهم التى تمنعها عنهم الادارة ، وهذه كلها وغيرها مظاهر للعنف العفوى التى تعبر عن الاحباط الاجتماعى لقطاعات واسعة من الجماهير المصرية .

**وفى مجال العنف المنظم ، فقد اغتيل رئيس الجمهورية السابق بواسطة تنظيمات تنتهج العنف اسلوبا فى العمل السياسى ، وعلى نفس الوتيرة جرت محاولة اقتحام الكلية الفنية العسكرية وسقوط الصرعى نتيجة لذلك، وشهدت محافظات الصعيد** مشاهد درامية من حوادث الاقتتال المغرقة فى عنفها ، واستقر الامر عند محاولات الاغتيال الاخيرة التى تتحدث عنها مصر كلها .

وعلى مستوى العنف الفردى تتعدد مظاهر الجرائم الجديدة كما

وكيفا على العلاقات الاجتماعيــــة المصرية والتى تتخذ من العنف الدموى الذى يستفز أبسط القيم الانســانية أسلوبا لها ٠

## ● محاولة البحث عن الاســباب

اذن ، فالعنف بدوائره الثــلاث ظاهرة متصاعدة يعاني منها المصريون الان ، والبحث فى الاسباب يجب ألا يخلط بين الاسباب العامة التى تقف وراء العنف كظاهرة عامة بدأ يشتد وقعها على المصريين منـــذ اوائل السبعينيات ، وبين الاسباب الخاصة بكل دائرة من هذه الدوائر المتفردة ٠ ولا نزعم فى هذا المقال الســريع اننا بصدد محاولة اعطاء تفســير لظـــاهرة العنف فى مصر على المستويين العام والخاص فهذا أمـر يجب ان تقوم عليه فرق من الباحثين تضمهم وتقوم على رعايتهم مراكــز البحوث المصرية ٠ وانما حسبنا فى مقامنا هذا ان نقدم مجمـــوعة من الفروض تصلح للاختبار بواسطة دراسات لاحقة لننتهى الى اثباتهـا أو نفيها ٠ وهى فروض تســتند الى ملاحظة التركيبه الاجتماعية ونمــط العلاقات الاجتماعية السائدة فى مصر الان ، كما انها تستند ايضـــا الى مشاهدات التاريخ ، خاصة واننـــا ننتمى الى مجتمـــع تاريخى تلعب عادات التاريخ دورا بارزا فى ادارة حاضره وتوجهات مستقبله ٠

ولنبــدأ بفحص دوائر العنف من المستوى الخاص الى المستوى العـام فنطرح بصددها تساؤلات اكثر ممــا نقدم من اجابات ٠

فأولا : أعتقد أنه من المقبول والمبرر ان نفترض ان شيوع مظـاهر العنف الفردى فى الاونة الاخيــرة ، ومن امثلتها جرائم الاغتصاب ، وقتــل الاقارب وجرائم العنف لاسباب مالية وجنسية وغير ذلك من الجرائم التى يقشعر لها الحس الانسانى ترجع فى المقام الاول الى المزلزال الذى حـدث بجهاز القيم فى المجتمـــع المصرى والناتج عن الانتقال المفاجىء وغيـر المسبوق بمقدمات من سياسة التنميـة الاقتصادية الموجهة الى سياســة المشروع الفردى وما تبـــع ذلك من سيادة قيم الانانية والفردية والتطلع الى الثراء السريع أيا كان الطـريق اليه مشروعا قانونا وخلقا او غيـر مشروع ٠

وثانيا : نعتقد أيضا أنه من المقبول والمبرر أن نفترض ان ظاهرة العنف المنظم أو عنف التنظيمات ترجـــع الى مجموعة من العوامل الفــكرية والعوامل السياسية ٠ أما عن العوامل الفكرية فتتمثل فى تبنى عـــدد من المجموعات المهمومة بقضايا المجتمع فى مصر لافكار تنفى الاخـرين ، اى لافكار بحكم مكوناتها المعرفيةلاتقبل ان تتعايش مع افكار الاخـــرين فهى الوحيدة من وجهة نظرها المســموح لها بالتواجد ، لانها وحدها تمثل الحق كله وغيرها يمثل البـــاطل كله ٠ ولا وسطية أو توفيقية بين النقيضين ، فالركائز الفكرية لهذه المجموعـــات تنظر الى التعددية السياسية على انها من قبيل اللغو وبالتـــالى تنتفى أى امكانية للحوار أو لادارة الصراع مع الاخرين بطريقة سلمية ، واكـــون

متجنيا على الحقيقة ناكلا عن أمـــانة الملاحظة ان عزوت مذهبية نفى الاخرين الى فصائل من التيار وحدهـــا ، وان حجبت هذه المذهبية عن تيـارات اخرى ٠ فبين الاسلاميين المســتنيرين من يتبنى قيما سياسية هى على اعظم ما تكون سعة وليبرالية ، كما أن من غيرهم من اقصى جماعات اليســار

## دوائر العنف الثلاث

والميمين من يتشسح بوشاح الشمولية بحيث لا يتصور أن تتسع ساحة العمل السياسى لغيره وحده دون غيــره • فالظاهرة موجودة على اى حال هنــا وهناك ، وان كان الظاهر منهــا حتى الان يعلن انحيازه لمفهومه الخاص عن الاسلام ويرفع رايته •

### ● العنف المنظم

وعنف التنظيمات او العنف المنظــم ترتد أسبابه ايضا الى عوامل سياسية ضاربة بجذورها فى واقع الحيـــاة السياسية فى المجتمع • ذلك أن هــذه الجماعات السياسية التى تقوم علــى نفى الاخرين ، هى جماعات منفيـــة ومتغربة اجتماعيا بفعل ممارســـات السلطة والتى تعتمد هى أيضا عــلى نفى وتغريب من عداها • فليس لنــا أن نتوقع فى مجتمعنا تمنع قطاعات كبيرة منهم من حق التنظيم السياسى المشروع ، ونقف بين التنظيمـــات السياسية المعترف بها وبين الاتصـــال بالجماهير ، ونجعل من الديمقراطيــة نموذجا سياسيا مختزلا للحـــق فى الشكوى ، ليس لنا ان نتوقـــع الا ان يقابل النفى بالنفى والتغريب بالتغريب وليس لنا ان نتوقع سى مجتمع تنـفى فيه السلطة الحاكمة خصـــــــــومها السياسيين نفيا جسديا يستفز الضمير الانســـانى عن طريق التعـــذيب ، ليس لنـــــا أن نتوقـــع الا ان يتسم هؤلاء الخصوم بالضراوة تجـاه السلطة وتجاه المجتمع بأكمله ، اذ ان تلك هى الخبرة الوحيدة التى تعلموها فى العمل السياسى داخل السـجون المصرية ، فنفى بنفى وتغريب بتغريب •

وثالثا : ونعتقد ايضا بل نــــكاد نوقن ، ونحن على حق فى يقيننا هذا أن العنف الجماهيرى ، وهو اكثـــر دوائر العنف اتساعا ، والذى يتمثـــل



ـ هل تخترق الرصاصات العقول .. كما اخترقت الزجاج ؟

فى هبات الجماهير من اجل الحرية ولقمة العيش ، ليس سوى رد فعل تلقائى غير منظم تجاه السياسات الاجتماعية والاقتصادية التى طبقت فى مصر منذ السبعينيات ، والتى نتج عنها تشويه فى خريطة الطبقات الاجتماعية المصرية ، ونتج عنها تحول قطاعات كبيرة من الطبقة الوسطى المصرية الى صفوف الفقراء والمعوزين ، ونتج عنها اخيرا ان الاجتماع برفع الصوت فى الشارع وفى مواقع العمل اصبح هو الوسيلة الوحيدة للبقاء فى ظل مناخ سياسى عجزت فيه الاحزاب السياسية عن ان تحتوى حركة الجماهير فى الشارع المصرى · ومما يزيد هبات الجماهير من اجل الخبز والحرية اشتعالا وعنفا الدور الاجتماعى الخطير الذى تلعبه فى هذه الاحداث الطبقات الشاردة ، وهى الطبقات المغرقة فى عوزها التى تقع خارج السلم الاجتماعى لوقوفها خارج العملية الانتاجية تماما · هذه الطبقات التى يطلق عليها الباحثون فى التاريخ الاجتماعى المصرى لفظ الزعر او الجعيدية اوالهياشة اوالدرافيلويعسكر افرادها على اطراف القاهرة والمدن الكبرى هربا من قحط الريف ، ويقدر عددهم بالملايين فى ظل اسلوب للانتاج عاجز تماما عن استيعابهم ، ويلعبون اخطر الادوار فى اضرام النيران فى الهبات الاجتماعية بحيث يستفحل امرها وتستعصى على التحكم فيها

تلك كلها فروض خاصة لمحاولة فهم وتفسير دوائر العنف الثلاث فى المجتمع المصرى الان ، وخلف هذه العوامل الخاصة المفترضة ، يقف فى نظرنا عامل عام وشامل يتحكم فى ظاهرة العنف المصرية تحكمه فى كافة الظواهر الاجتماعية المصرية الاخرى · فالحقيقة التى تعلن عن نفسها لدى محاولة البحث عن معنى للتاريخ الاجتماعى المصرى انك ان اردت ان تحيط بهذا المعنى فابحث عن الدولة · فالدولة فى مصر ليست كشأنها فى كثير من المجتمعات الاخرى ظاهرة عارضة يعى المواطنون ذواتهم خارجها ، بل هى ظاهرة متحدة مع النسيج الاجتماعى المصرى تلعب فى هذا النسيج أخطر الادوار واهمها قاطبة ولديها امكانية وسعة لمواجهة العنف ولا أريد ان اطيل على القارىء فى حديث اطلت فيه فى بحوث ودراسات سابقة ، ولكن حسبى ان اقرر مع كثيرين غيرى أن الدورات التى مر ويمر بها التاريخ المصرى من عصور الازهار الى عصور الاضطراب الى عصور الازدهار انما هى دورات الفاعل والمتحكم الاساسى فيها جهاز الدولة المصرية بالحالة التى يكون عليها وبانحيازه او عدم انحيازه نحو قيم العدل والحرية · فالفترات الاجتماعية التى تنحاز فيها الدولة لصالح الفقراء وتوجه جهدها الى احداث تنمية اجتماعية واقتصادية حقيقية تاخذ فى الاعتبار اساسا مصالح الفقراء والمنتجين ، يظهر المجتمع بمظهر الوحدة والتماسك والالتفاف نحو الدولة والامتثال لارادتها ، وفى الاوقات الاخرى التى تتلهى فيها الدولة عن مصالح جماهير العامة والفلاحين والفقراء وتنصرف الى تحقيق مصالح الصفوة ، ينفرط عقد المجتمع ويفتقد المجتمع صفة التماسك ، ويتشرذم الى مجموعة من الجماعات الفرعية تحاول أن تنوب عن الدولة فى القيام بوظائفها واولها وظائف وضع القانون العادل والحاقه بالجزاء واحسب أن التفصيل فى هذا الامر مطلوب ومطلوب ونسأل الله العون على القيام به فى دراسات لاحقة ·




# تأملات في كتاب "القتل السياسي"

بقلم : فتحي رضوان

**شهدت مصر في الفترة التي صاحبت ثورة سنة ١٩١٩ واعقبتها نشاطا سياسيا عنيفا لم تشهد مثله بعد ذلك بسنوات ، وكان من خصائص هذا النشاط انه لم يكن ينقضي سوى بضعة ايام او على الاكثر اسابيع حتى تقع جريمة قتل او محاولة وبذلك لم ينج وزير من وزراء تلك الايام من محاولة قتل تهدد حياته . ثم هدأ هذا النشاط حتى كاد يتوقف تماما ثم استؤنف في الحلقة الرابعة من القرن العشرين وتصاعد حتى بلغ غاية العنف والشدة .**

وقبيل ثورة سنة ١٩١٩ أى في ٨ ابريل سنة ١٩١٥ حاول مجهول قتل السلطان حسين ، قتله بعيار نار من مسدس الا ان القذيفه لم تصبه واصيب بعدة جراح وفي يونيو من نفس العام تمت محاولة اغتيال ابراهيم باشا فتحى وزير الاوقاف ووقعت المحاولة في محطة السكة الحديد بمصر وكانت وسيلة القتل خنجرا ، اذ طعن المجنى عليه ثلاث طعنات ، وحوكم عليه بالموت ونفذ في القاتل صالح عبد اللطيف حكم الموت ، وفي ١٠ من يونيو سنة ١٩١٩ شرع مجهول في قتل رئيس الوزراء محمد سعيد باشا امام منزله بالاسكندرية ولم يقبض على الفاعل .

وفي ٢٢ من يونيو سنة ١٩١٩ تمت محاولة اخرى لقتل محمد سعيد باشا وقد اقتصرت هذه المحاولة على مجرد بلاغ من مجهول عن نية آخر لقتل رئيس



دولة النقراشى باشا واحمد حسين باشا ومعالى ابراهيم عبد الهادى باشا



احمد ماهر باشا

الوزراء وانهم خبأوا قنبلتين فى مكان ما لاتمام الجريمة وقد تم تفتيش المكان ووجدت قنبلتان ولكن الشرطة لم تهتد الى الفاعلين ثم تلقت النيابة بلاغين فى ٢٢ ـ ٦ ـ ١٩١٩ ، ٢ ـ ٩ من نفس السنة عن التحضير لقتل محمد سعيد باشا ولم تسفر هذه البلاغات عن شىء ، وقد اتهم فى هذا البلاغ الدكتور محمد سعيد باشا احد رجال التعليم وعبد الحى كيره احد البارزين فى العمل السياسى السرى اتهم معهما فى هذه الجريمة طالب بالازهر يدعى سيد محمد على ومحمد شكرى الكرداوى موظف وقد حكم على الاول بعشر سنوات سجن مع الشغل وحكم على الثانى بخمسة عشر عاما ، وقد فر الاخير من وجه العداله وبقى مختفيا حتى انتهت فترة قيام الحكم بالعفو .

وفى ١٢ من نوفمبر سنة ١٩١٩ قتل الكابتن صموئيل كوهين اثر اصابته باربعة اعيرة وواضح ان هذا



عبد الرحمن فهمى

المقتيل كان من الضباط اليهود الذين يعملون مع البريطانيين فى المستعمرات

وفى يوم ١٢ من نوفمبر سنة ١٩١٩ اطلق مجهولون على اربعة جنود بريطانيين اثنين برتبة جاويش وعسكريين وانحصرت الاصابة على واحد من الاربعة ولم يضبط احد كما وقعت محاولة مشابهة فى ١٥ ـ ١٢ ـ ١٩١٩ على احد الضباط الانجليز

# تأملات
## "في كتاب القتل السياسي"

ولم يصب ولم يقبض على احد كما لم يقبض على احد في محاولة قتل اثنين من الضباط الانجليز اثناء سيرهما ومعهما فتاتان انجليزيتان وبعد عدة اعتداءات على جنود وضباط انجليز وقعت عدة محاولات قتل على الوزير اسماعيل سرى باشا فى ١٨ ـ ١ ـ ١٩٢٠ ومحاولة اخرى فى ١٢ ـ ٢ ـ ١٩٢٠ على الوزير محمد شفيق باشا وكان كل منهما وزيرا للاشغال العمومية ومهندس رى كبير، ثم جاء دور القضية الكبيرة التى سميت قضية المؤامرة الكبرى ووجه الاتهام فيها الى الوطنى الكبير عبد الرحمن فهمى بك وكان سكرتيرا للجنة الوفد بالقاهرة واتهم معه عدد من خيرة شباب مصر مثل محمد لطفى المسلمى وكان طالب حقوق وامتد عمره واصبح نائبا من نواب الشرقية وحسنى عبده المشناوى وكان كذلك طالبا بكلية الحقوق وتوفيق صليب الذى اشتغل بالصحافة فى اكبر الجرائد والدكتور محمد حلمى الجيار كان طالب طب وحصل على اجازة الطب من جامعة استانبول بعد ان فر من السجن وكان جرجس عبد الشهيد الذى وصل الى منصب المستشار بمحكمة الاستئناف وحامد المليجى الصحفى وابراهيم عبد الهادى الذى وصل لمنصب رياسة الوزراء وهو الذى فى عهده صدر قرار تنفيذ حل جماعة الاخوان المسلمين بعد قتل محمود فهمى النقراشى • وقد استمرت هذه القضية شغل البلاد والشاغل حتى حكم فيها بعقوبات شديدة اول الامر ثم خففت.

• وعادت محاولات قتل الجنود الانجليز فى شوارع القاهرة وكان من هذه المحاولات وقع فى ٦ من مايو سنة ١٩٢٠ ثم ٨ من مايو نفس السنة ثم ٩ من نفس الشهر ونفس السنة ومحاولة اخرى مماثلة فى ٢ ـ ٦ ـ ١٩٢٠ ثم شرع فى قتل توفيق نسيم باشا رئيس الوزراء فى ١٢ ـ ٥ ـ ١٩٢٠ وقد قبض على المتهم وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالموت فى ٢٦ ـ ٦ ـ ١٩٢٠ ونفذ الحكم فى ٨ من يوليو •

ثم اتهم عدد من المتهمين فى قضية المؤامرة الكبرى التى كان المتهم الاول فيها هو عبد الرحمن بك فهمى بمحاولة قتل شهود الاثبات فى تلك القضية الاولى •

واطلق الرصاص مرتين على محمد بدر الدين بك مدير الامن العام فى يومى ١ ـ ١ ـ ١٩٢١ و ٥ ـ ١٢ ـ ١٩٢٢ ولم يعرف الفاعل • ثم اطلق عيار نارى على محمد عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء فى ٢٣ ـ ٢ ـ ١٩٢٢ واتهم اربعة ، ثم اطلق سراحهم عندما صدر قانون عفو • واستمر اطلاق الاعيرة النارية خلال سنة ١٩٢٢ على ضباط وجنود بريطانيا اثناء سيرهم فى شوارع القاهرة وقد بلغ عدد محاولات قتل هؤلاء الجنود نحو سبع محاولات وتمت محاولة ثامنة فى ٢٣ ـ ٤ سنة ١٩٢٢ فقتل عبد الخالق ثروت وقبض على اربعة متهمين وقدموا للمحاكمة وحكم عليهم باحكام متفاوتة •

ولكن حسن باشا عبد الرازق عضو حزب الاحرار الدستوريين والاستاذ

اسماعيل زهدى قتلا على ابواب نادى حزب الاحرار المستوريين فى يوم ١٦ من نوفمبر سنة ١٩٢٢ وكان حسن باشا من كبار اعضاء حزب الاحرار، وقد حوكم على هذه الجريمة الدكتور شفيق منصور وزملاؤه فى قضية قتل السردار البريطانى ( قائد الجيش المصرى السير لى ستاك باشا فى ١٩ من نوفمبر سنة ١٩٢٤ ) .

**وقد وصلت هذه السلسلة الطويلة من حوادث القتل ومحاولته الى حادث ضخم ، كان له دور كبير تجاوبت به أصداء مصر والعالم كله ، واعنى به مقتل الجنرال الانجليزى السيرلى ستاك الذى اسندت اليه الحكومة قيادة الجيش المصرى ليجرده من كل مقومات الجيش ، وليجعل ضباطه وجنوده اشباحا لا يمارسون شيئا من فنون العسكرية ولا يتحلون بشىء من خلق الجنود المصريين الذين عاشوا** قبل الاحتلال البريطانى فى سنة ١٨٨٢ يخوضون المواقع ويحققون الانتصارات المعظيمة فى السهل والجبل وعند خط الاستواء وفوق الثلوج وكانت بعض خيوط هذه الجريمة تنتهى الى أيدى البريطانيين الذين ما كادت الجريمة تقع حتى بادروا الى استغلالها فوجهوا انذارا الى حكومة مصر طالبين التحقيق السريع فى الجريمة وانزال اقصى العقاب بفاعليها ، مع طرد الجيش المصرى من السودان عقابا لحكومة مصر وكأن حكومة مصر هى التى قتلت السيرلى ستاك ، وقد ابت المصدفة الا ان يقتل السير كيرزوق قائد الجيش البريطانى نفسه فى طريق من طرق لندن عاصمة الامبراطورية البريطانية مما يقطع ان الحكومات لا تسأل عن الجرائم السياسية التى تقع على ارضها الا اذا شاركت فيها مشاركة ثابتة المهم ان الشرطة القت القبض على ثمانية من المتهمين . ثمانية من شباب مصر هم الدكتور شفيق منصور الذى بدأ حياته فى العمل السرى عقب تخرجه فى مدرسة الحقوق سنة ١٩٠٩ فقد اتهم فى قضية مقتل بطرس غالى باشا سنة ١٩١٨ ، ثم طالبا الحقوق والمعلمين العليا عبد الحميد وعبد الفتاح عنايت وهما شقيقان ومحمود راشد وابراهيم موسى وراغب حسن ومحمود اسماعيل وقد نفذ الحكم فى ١٣ اغسطس سنة ١٩٢٥ . وقد توصلت الشرطة الى معرفة هؤلاء الشبان بفضل شهادة تقدم بها شاهد ملك هو نجيب الهلباوى الذى كان من قبل متهما فى جناية الشروع فى قتل السلطان حسين كامل .

**وبعد وضع اليد على هذه الجماعة النشطة الجريئة ، هدأت حركة القتل السياسى فى مصر لبضع سنوات حتى استعادت شدتها ابتداء من ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٥ وهو تاريخ مقتل الدكتور احمد ماهر .**

فهل كان وضع اليد على هذه الفئة هو السبب فى انقطاع حركة العمل السياسى السرى باعتبار أن هؤلاء كانوا رأس الجماعة التى تستهدف الموت ، وتجازف فى سبيل انقاذ خطة القتل التى التزمتها الواقع ان ذلك يبدو للنظرية السطحية . وتاريخ الحركات السرية يؤكد أن سقوط شعبة من العاملين فى هذا المجال لا يؤدى الى توقف حركة العمل كله او سرعان ما يعاود الباقون خارج السجون عملهم أو قد يعود الى مسرح العمل السرى سواهم فى السر ، اذن فى هدوء العمل السرى بعد انقاذ حكم الموت فى قتلة السردار فى اغسطس سنة ١٩٢٥ . ونفس السبب الحقيقى لهذا الهدوء تغير موقف بريطانيا من المطالب المصرية وما انتهى اليه اللورد

# تأملات

## في كتاب "القتل السياسي"

اللنبى المندوب السامى البريطانى فقد تبين ان موقف العناد من الحركة الوطنية عبث لا طائل تحته ، وان المصريين مستعدون لمواصلة الكفاح وان اعمال العنف لا تدل على انها شعبة منعزلة يمكن محاصرتها والقضاء عليها بل انها تعبير عن الشعور الوطنى العام وقد حصل تغير الموقف البريطانى على الوجه التالى ·

اولا : افرجت بريطانيا عن سعد زغلول واخوانه واطلقت سراحهم من المنفى ·

ثانيا : خففت وطأة الاحكام العرفية والمحاكم العسكرية البريطانية ·

ثالثا : اعلنت أن مصر دولة مستقلة دستورية ذات سيادة ·

رابعا : منحت مصر دستورا كان يتضمن النص على الحريات الجوهرية ·

خامسا : جرت انتخابات كانت وحدها الانتخابات ، الحرة النزيهة بين عشرين انتخابا جرت بعد ذلك وكانت مزورة · وعاد سعد زغلول فاستقبل استقبال الفاتحين ، والغت الاحكام المعطلة للصحف ، والنشاط الحزبى ، وعقدت الاجتماعات وخطب الخطباء فى كل مكان ·

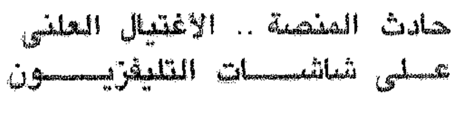
تحولت مصر من سلطنة الى ملكية دستورية يحكمها ملك ينص الدستور على انه يملك ولا يحكم وان اساس الحاكم فى البلاد هو فصل السلطات وان القضاء مستقل والقضاة لا يخضعون الا لضمائرهم · هذه الاحكام العظيمة وهذه النقلة الضخمة، وجو الحرية الذى ساد وعودة المنفيين واطلاق سراح المعتقلين كانت بلاشك دشا باردا القى على نار الذين كانوا يرون انه لاسبيل الى اجلاء الانجليز الا بمطاردة الانجليز واعوانهم برصاص البنادق حتى تصبح حياتهم فى مصر جحيما لا يطاق ، وكان هؤلاء محقين تماما وقد تحرك فعلا كثير من الساسة الانجليز نحو تحسين الاوضاع السياسية فى مصر ، وزيادة القدر المتاح من الحرية لابنائها ، وقد نجحت هذه السياسة فعلا ووضع القاتلون المصريون بنادقهم جانبا واستعدوا لخوض حياة سياسية جديدة،واستعدوا للانتخابات العامة ونظموا صفوفهم وبهذا الاسلوب خفت حملة العنف فى مصر وبعد ان كان لا ينقضى اسبوع او اسبوعان حتى تنطلق رصاصة الى صدر باشا من باشوات الحكم فى مصر ·

واثبتت هذه التجربة ان الوسيلة الناجحة فعلا لتطويق العنف السياسى هى الغاء مسبباته فان كان هناك ظلم سياسى وتضييق على المواطنين ، واذا سادت روح القهر ، فلابد من رصاص ينطلق فى الظلام ، ولابد ان يعلو صوت الرصاص لا صوت المنافسة والجدال ، وقد استفادت بريطانيا من هذا الدرس فى كل موضع من امبراطوريتها ، فكلما عنفت الامور واشتد ساعد حملة البنادق وسقط الجرحى والصرعى من انصار الحكومة سارعت حكومة بريطانيا الى تخفيف حدة القيود واطلقت الحريات ، ودعت الى دورة من المفاوضات · حدث هذا فى الهند وحدث فى ايرلندا وحدث



اخيرا فى قبرص كما حدث فى مصر على الوجه الذى اسلفت اليه الاشارة ·

وهذا ما نستخلصه من مطـــالعة الصفحات التى طالعناها فى السطور السابقة · ولذلك فنحن ندعـــو الى معالجة اسباب الارهـــاب ، ونزيد من مقدار الحرية فيتاح لكل نشاط انشاء حزبه واصدار جـــريدته وعقـــد اجتماعاته · ونعيد النظر فى القوانين المكروهة، وعندها ستخف حالة التوتر ويسود الوطن جو من الســـكينة الصحيحة والطمأنينة الصادقة ·



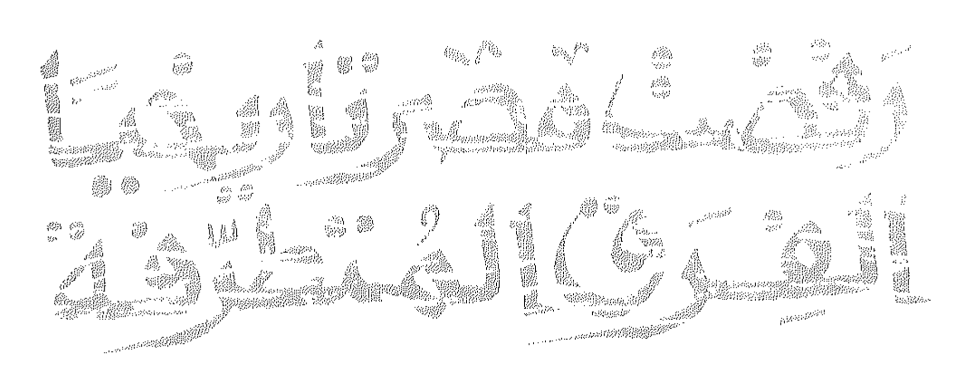
حادث المنصة .. الأغتيال العلنى عـــلى شاشـــات التليفزيـــون

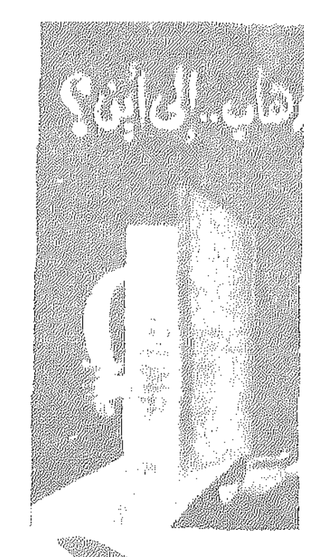


محمود عبد اللطيف المتهم فى اغتيال عبـــد الناصـــر

لاشك ان الكثيرين وفى مقدمتهم رجال الحزب الوطنى القديم حزب مصطفى كامل ، كانوا يرون فى كل ما صدر من السلطات البريطانية من مظـــاهر تفريج الضيق ، واسباغ صور الحرية على اسلوب الحكم ، هو مجرد خديعه يقصد بها صرف المجاهدين عن جهادهم والقاء الفتنه بين الوطنيه بتقديم وهم المفاوضات ولكن الاحساس الغالب كان المقدار المتاح من الحرية واصبح اعظم من طرقات حملة البنادق من الوطنيين، ولكنه تقدم نحو الافضل ويجب استغلاله والانتفاع به · فى مجالات الكتـــابة والخطابة والاجتماع ولهـــذا كسبت السلطات البريطانية جولة ضد العنف فلما تأزمت الامور ثانية بسبب أزمـــة فلسطين عاد العنف الى سطوته ودوى صوت الرصاص من جديد ·

# جذور التطرف الدينى




بقلم : د. محمود إسماعيل

**رأينا ان تاريخ الاسلام فى مصر العصور الوسطى لم يعرف ظاهرة التطرف الدينى ، فقد لفظت مصر الفرق المتطرفة فى ذات الوقت الذى اسهمت فيه بتقديم انجازات فكرية دينية مستنيرة ومعتدلة للعالم الاسلامى باسره .. كما ان طبقة الكهنوتية لم تتخلق فى تربة مصر المعطاءة بل كان رجال الدين فقهاء ومعلمين وفى ذات الوقت مناضلين وكادحين .. وقد ارجعنا ذلك الى عوامل جيوتاريخية ، اقتصادية واجتماعية . وبنفس المنظور وذات المنهج نرصد بواكير ظاهرة التطرف فى مصر الحديثة والمعاصرة .**

يرتبط تحديد بداية تاريخ مصر الحديث ببدايات القرن الثامن عشر وليس بالفتح العثمانى سنة ١٥١٧ كما درج المؤرخون التقليديون على غرار الاوربيين الذين ربطوا تاريخ العرب الحديث بالتاريخ الاوروبى . وحجتنا فى ذلك ان المرحلة العثمانية برمتها امتداد للعصور الوسطى من حيث سيادة النظام الاقطاعى لنمط انتاج أفرز معطياته الثقافية السلبية من اتباع وتقليد ونصية وغيبية تسليمية . وحين تخلخل البناء الاقتصادى ـ الاجتماعى بفعل الحملة الفرنسية وسياسة محمد على ممهدا المجال كان من الطبيعى ان يواكب هذا التحول تطور فكرى .. ولقد تحدد هذا التحول الفكرى كما وكيفا بمدى التحول الاقتصادى ـ الاجتماعى فى صورته غير الكاملة وغير الحاسمة . اذ فى الوقت الذى أفرز فيه النمط السابق التيار « المحافظ » السلفى أفرزت البورجوازية المتنامية ـ ولكن غير الثورية ـ أغطيتها الفكرية الليبرالية التى تبنت العقلانية واعطت التقدم الصناعى والتقنى الذى ميز عصر محمد على عن العصور السابقة ويعنينا فى هذا المقام رصد ظاهرة



حسن البنا



محمد عبده

الاصلاح الديني او – ان شئت – ظاهرة التنوير في الفكر الديني التي بدات ارهاصاتها مع الشيخ حسن العطار ومن بعده رفاعة الطهطاوى واخيرا حركة الافغاني ومحمد عبده ·· تلك الحركة التى احتضنت التيارات المغربية التى افرزتها الثورة البورجوازية الاوربية وربطت بينها وبين الاتجاهات التراثية العقلانية والمادية · لم تكن الدعوة للاصلاح الدينى – كما ذهب معظم الدارسين – نتيجة للغزو الفكرى الاوربى بقدر ارتباطها بالتطور الاقتصادى – الاجتماعي والسياسى فى كيان المجتمع المصرى ·

وكان واد « الجنين » الليبرالى بعد ضرب تجربة محمد على و « تحجيمه » ثم وقوع مصر تحت وطاة الاحتلال البريطانى بمثابة احياء للتيار السلفى المحافظ ·· دليلنا ما حل بالطهطاوى ومحمد عبده من محن النفى والمطاردة · لكن مدرستهما ظلت تمارس وجودا شاحبا سوف يتعاظم فيما بعد سواء على صعيد الحركة الوطنية أو على صعيد الثقافة والفكر · فاذا كان التيار « المحافظ » فى الفكر الديني – ومثله عبد الله النديم – راى فى الارتباط بالجامعة الاسلامية والدولة العثمانية وسيلة لمناهضة الاحتلال ، تلك الصيغة التى حددت مسار الحزب الوطنى ومنظره الشيخ جاويش بلا مدافع ، فان التيار الليبرالى سيجد ضالته فى البورجوازية المتنامية التى عبر عنها حزب الوفد بزعامة سعد زغلول ·

لم يكن زغلول ورفاقه الا « تلامذة » فى مدرسة الامام محمد عبده وامتدادا لها على الصعيدين الفكرى والنضالى · وكان ظهور الوفد واكتسابه جماهيريته المعروفة تعبيرا عن دور البورجوازية المصرية المتعاظم ممثلة فى طلعت حرب وشركاته · وكان فى ذات الوقت بمثابة دحر مؤقت للتيار السلفى المحافظ الذى عبر عنه الحزب الوطنى ·

● الوفد ·· وعوامل الضعف

ولان حجم البورجوازية المصرية كان محدودا لعجزها عن منافسة الرأسمالية الأوربية ، كان الوفد يحمل فى داخله عوامل ضعفه اذ ضم شرائح من طبقة كبار الملاك ذوى

الاتجاه المعتدل وهو أمر سوف يؤدى الى حدوث الانشقاقات المعروفة « مكرم عبيد والنقراشى » .. كما سيؤدى الى وجود دور غير محدود لاحزاب الاقلية التي كانت تعبر عن طبقات كبار الملاك وفلول الاقطاعيين، بل لعل فشل ثورة ١٩١٩ ولجوء الوفد واحزاب الاقليات الى أسلوب « المفاوضات » كوسيلة لحل قضية التحرر الوطنى كان من أسباب ظهور الحركات الشيوعية فى العشرينيات لتعبر عن طموحات الطبقة الكادحة وبعض شرائح البورجوازية الصغيرة .. بل سوف يؤدى فى ذات الوقت الى ظهور تيار « راديكالى » داخل الوفد نفسه ( محمد مندور وجماعته ) .

وكانت معاهدة ١٩٣٦ التى شاركت فيها أحزاب الاقلية الى جانب الوفد بمثابة معلم جديد فى تاريخ الحركة الوطنية نضاليا وفكريا . فلم تحقق المعاهدة الطموحات الوطنية مما أفرز فيما بعد استنكارا شعبيا سوف يتبلور بعد قليل فى ظهور قوى جديدة على ساحة العمل الوطنى . فظهور « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » بفصائلها المختلفة كانت اعلانا عن فشل الاحزاب السياسية المعلنة عموما . كما كانت بمثابة مخاض لميلاد أحزاب وجماعات جديدة تلتمس أسلوب النضال المسلح بديلا لاسلوب المفاوضة الذى لم يجد فتيلا . وساعد على ذلك فقدان الوفد لجماهيريته على أثر حادث ٤ فبراير المشهور ..تمثلت الاحزاب والجماعات الجديدة فى حزب « مصر الفتاة » الذى رغم تطرفه الفاشى طرح القضية الاجتماعية بوضوح بعد أن شغلت الاحزاب التقليدية أساسا بقضيتى « الجلاء والدستور » .

## ● ميلاد الجماعات المتطرفه

وفى ذات الظروف ولذات الاسباب سيجرى احياء التيار الدينى السلفى وسيظهر على الساحة ممثلا فى جماعة « الاخوان المسلمين » . وهذه الظروف أيضا هى التى أفضت الى تشرذم الحركات الشيوعية وانقساماتها المعروفة .. ففضلا عن تأسيسها على يد قادة أجانب بالاضافة الى « هزال » دور البورجوازية : ما كان من الممكن أن تحتل مكانة التوجيه السياسى فى ظل الظروف التى أحيت التيار الدينى السلفى الذى شجعه القصر والاحتلال معا ولو بطريق غير مباشر لضرب الاتجاهات الراديكالية الجديدة .

ويعنينا فى هذا المقام أن نتوقف عند « حركة الاخوان » باعتبارها الجنين الذى سيكبر ليلد الجماعات الدينية المتطرفة ، موضوع الدراسة ، ولقد كتب الكثير عن هذه الجماعة وفكرها وطموحاتها السياسية بما يغنينا عن اللجاج . لكن يجب على الاقل أن نثبت بعض الملاحظات الجوهرية وهى :

١ ـ ارتباط الحركة « بهزال » دور البورجوازية وافلاسها على الصعيد الوطنى . فبعد تصدع الوفد انضمت بعض فصائله وخاصة من العمال والفلاحين والمهنيين « المدرسين والمهندسين والاطباء والصيادلة الخ » الى الحركة ، ليشكلوا دعامتها الاساسية .

٢ ـ أنها كانت معاصرة لحركات مماثلة فى العالمين العربى والاسلامى

انطلاقا من ذات الظروف السوسيو - سياسية · ولذلك سوف تؤثر كثيرا وتتأثر أيضا بفكر منظرى الاتجاهات الدينية عموما ، بل سيقدر لها أن تنتشر فى معظم بلدان العالم العربى انطلاقا من تأثير واشعار دور مصر الحضارى والتاريخى ·

٣ - أن اعلانها عن طبيعة نشاطها وتكريسه فى الأمور الدينية أساسا قد حماها من أخطار الصراع والتنافس السياسى فى الساحة الوطنية على الاقل فى سنوات نشأتها ·

٤ - أن الحركة فى ذات الوقت كانت تتطلع الى دور سياسى اتخذ فى البداية صورة « الاحتساب » ثم بدأت تنغمس نفسها فى السياسة متذرعة بأن الاسلام دين ودنيا ، عقيدة وشريعة ·

٥ - أنها لم تجد معارضة من مكامن القوة الممثلة فى القصر والانجليز بل العكس هو الصحيح ، إلقيت التأييد والتعضيد · فالقصر كان يجد فيها معولا يهدم حزب الوفد ، والاحتلال يجد فى الحركة أداة « للتهويم والتغييب » انطلاقا من خبرة تاريخية ومعرفية أصلتها دوائر الاستشراق ·

٦ - أن هذا التأييد والتشجيع دفعا بالحركة الى الانتقال الى مرحلة « العنف المسلح » وبالذات أسلوب « الاغتيال السياسى » ذلك الاسلوب الذى يعبر عن « المراهقة السياسية » والذى أفضى الى مرحلة من العنف والعنف المضاد الذى أفضى الى اغتيال حسن البنا والقاء الاخوان فى السجون ·

٧ - برغم ذلك استمرت الحركة وتطورت الى مرحلة نظرت فيها للعمل السياسى مفيدة من تاريخ « الحركات السرية الاسماعيلية » · ويظهر ذلك بوضوح فى [illegible] « الجهاز السرى » كأداة ووسيلة للوصول الى السلطة ·· كما ظهر منظرون لفكر الحركة وقد افادوا فى ذلك من مسلمى الهند « فكر المودودى بالذات » ويظهر ذلك فى كتاباته

محمد على باشا



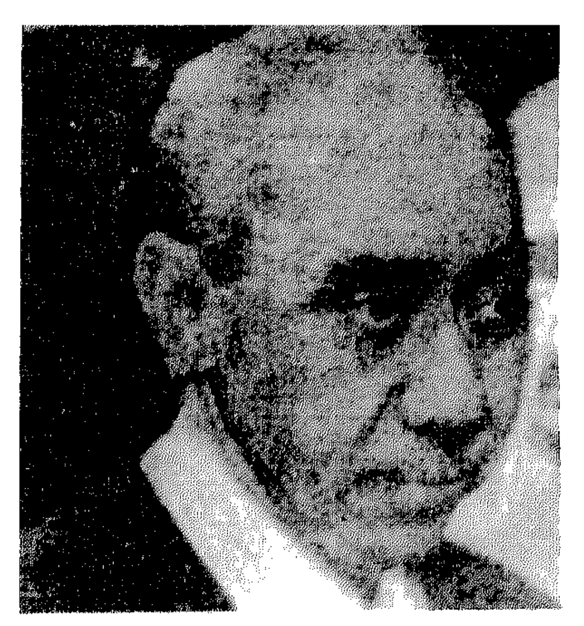
الشيخ رفاعة الطهطاوى



**« سيد قطب » الذى طرح المفهوم السياسى الاسلامى كدين ودولة · وكذلك عبد القادر عودة صاحب الاجتهادات المعروفة فى التشريع الاسلامى كبديل للقوانين الوضعية ·**

٨ ـ برغم ذلك كان « الاسلام السياسى » وفقا لمنظور جماعة الاخوان ينطوى على « هولامية » و « عجز » و « تلفيقية » · دليلنا على ذلك شعار الحركة القائل « الله غايتنا ـ الرسول زعيمنا ـ القرآن دستورنا ـ الموت فى سبيل الله اسمى أمانينا » !!··

٩ ـ أن سياسة العنف كانت قاسما مشتركا بين الكثير من القوى الوطنية كنتيجة لفشل أسلوب التفاوض المعتدل ، ونتيجة ايضا لمؤثرات نازية وفاشستية ·· ظهرت بصماتها فى



سيد قطب

جماعات الفتوة الوفدية ومصر الفتاة وان بز الاخوان الجميع فى هذا الصدد تحت تاثير « الهوس الدينى »

١٠ ـ ويؤخذ على جماعة الاخوان اغفال الجانب الاجتماعى الذى أخذ يفرض نفسه حتى على برامج الاحزاب التقليدية ناهيك عن المنظمات الشيوعية وحزب « مصر الفتاة » الذى طرح شعار الاشتراكية متاثرا بمبادىء حزب العمال البريطانى فى اطار فاشستى · وكان ذلك من أسباب التركيز على الجانب « التآمرى الانقلابى » كأسلوب للعمل السياسى ·

**ولعل ذلك كان من أسباب عدم تنامى الحركة عموما رغم تدهور القوى السياسية الاخرى اليمينية « احزاب الاقلية » والبورجوازية « الوفد » والمحاصرة « الشيوعيون » ومصر الفتاة خاصة بعد انتصار دول الحلفاء على دول المحور التى راهن عليها الاخوان ومصر الفتاة ·**

وكان انتصار الحلفاء بمثابة وضع عراقيل جديدة أمام الحركة الوطنية المصرية ، فظلت القوى التقليدية على المسرح السياسى تتخبط فى سياساتها مع تفاقم الازمة الاجتماعية والهزيمة فى حرب فلسطين · حيث باتت العوبة فى يد القصر والانجليز ·

**فى ذات الوقت كان تنظيم « الضباط الاحرار » يعد العدة للثورة التى اندلعت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ مصر وبالتالى فى تاريخ الفكر الدينى ·· كان الصراع بين الاخوان والثورة بمثابة معلم جديد فى ضوئه يمكن رصد وتعقب تنامى ظاهرة التطرف الدينى ـ وهو ما سنكرس له المقال التالى ·**




# الأدب.. والعنف السياسى

بقلم: محمود قاسم

## ● الحقيقة .. اكثر غرابة من الخيال

**ليس صحيحا بالمرة ان القرن العشرين هو وحده عصر العنف ـ خاصة السياسى منه ـ لكنه هو الذى قام بتجسيد جرائم العنف بشتى اشكالها من خلال وسائل الاعلام التى قامت بنقل العنف ـ على وجه السرعة ـ الى البيوت وسط مؤثرات صوتية وبصرية ملونة او مجسمة تزيد من الاحساس به وتضاعف من تأثيره ..**

ولو تصورنا ان احدى الجرائم التى حدثت فى الفترة الاخيرة قد دارت فى عصر يخلو من كل هذا الكم من وسائل الاعلام ، ما خرجت هذه الجرائم ـ رغم اهميتها ـ عن حدود الدائرة المكانية التى شهدتها . الا ان وسائل الاعلام قد جعلت من الناس جميعا شهودا لما حدث وهى تجسد لهم الجرائم وتنقل وقائعها الى بيوتهم .. من خلال لقطات مكبرة .. وكلمات مؤثرة ..

وقد لعب الأدب ـ كما لعبت السينما أيضا ـ دورا كبيرا فى توصيل أحداث العنف الى الناس . لدرجة أن الأدب أصبح معلما ومتنبئا ونذيرا لكافة أشكال العنف . فهو معلم جيد لهؤلاء الذين يمكنهم تطبيق خطة محكمة دبرها أحد أبطال الروايات فلاقت نجاحا . مثل حكاية الرجل الذى سرق أحد المتاحف بنفس الأسلوب الذى حدث فى رواية عن متحف « طوبكابى » . ولعب الأدب دور المتنبىء حين تخيل ليوناردو شاشا اختطاف رئيس وزراء ايطاليا عام ١٩٧٤ فى روايته « تودو مورو » فتقوم عصابة الالوية الحمراء بعمل ذلك فعلا بعد اربع سنوات مع الدو مورو .. كما أن الأدب نذير حين يحذر من النتائج التى انسالت بسببها

# الأدب .. والعنف السياسى

كل هذه الدماء القانية . وتحطمت على اشلائها جثث أغلبها من الابرياء

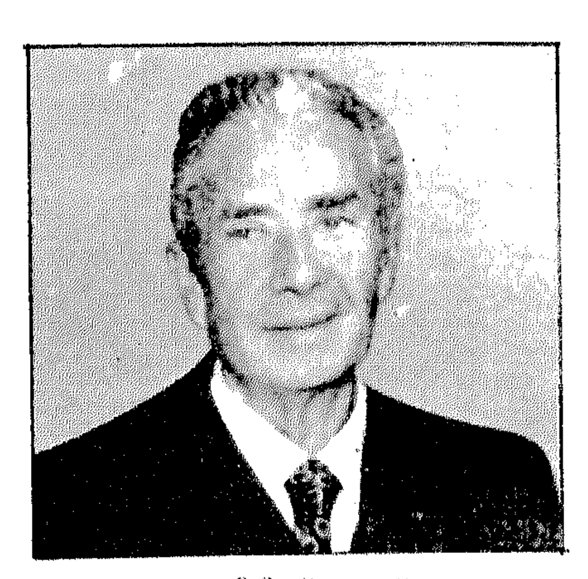
وقد اهتم الأدب دوما بابراز شتى اشكال العنف خاصة السياسى منه . فهذا العنف مثير فى المقام الاول سواء فى اسبابه أو نتائجه .. وبالنظر الى الروايات التى اهتمت بالعنف السياسى سوف نرى أنها تجمع سمات متقاربة منها :

● ارتبط أدب العنف السياسى بما يدور فى مناطق بعينها من العالم . مثل أمريكا اللاتينية والشرق الاوسط وجنوب افريقيا وايطاليا .. وفى بعض الاحيان سنجد أن ابناء هذه المناطق من الشرفاء هم الذين يحملون على عاتقهم تصوير العنف بشتى الابعاد .. خاصة ادباء أمريكا اللاتينية المنفيين خارج بلادهم لمواقفهم المضادة .. مثل ماركيت ويوسا ، وارنستو ساباتو واليهوكار بنتير . ثم اندريه برنيك وكوتيزى فى جنوب افريقيا .. كما الهمت أحداث هذه المناطق العديد من ادباء العالم الآخر بتصوير ما يحدث فى هذه البلاد من عنف . مثلما فعل جون لوكاريه فى روايته « الطبالة الصغيرة » عن العنف فى الشرق الأوسط ومثلما فعل الفرنسى هيرفين بازان فى روايته « نيران تخمد نيرانا أخرى » عن العنف فى أمريكا الوسطى رغم أن الكاتب لم يزر هذه البلاد قط .

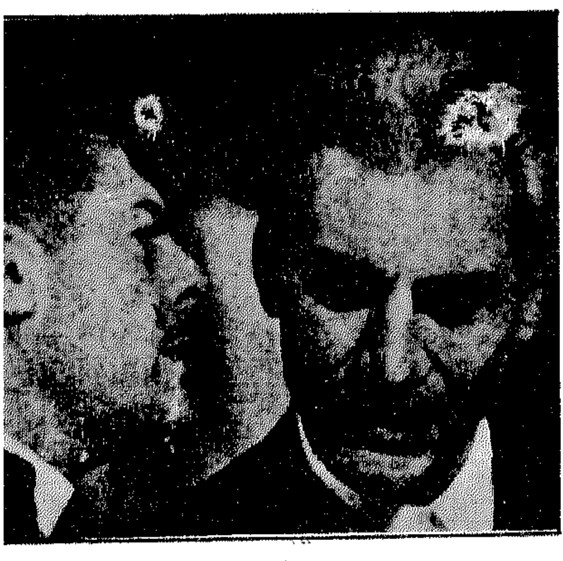
● لعب أغلب الأدباء الذين كتبوا عن العنف السياسى دورا كبيرا فى الحياة السياسية داخل وخارج بلادهم ففى داخل البلاد انضم الكثيرون الى الاحزاب السياسية ولعبوا دورا مؤثرا وعندما يتم نفيهم الى الخارج يزداد دورهم البطولى وقد يصبح بطلا قوميا .. وكثيرا ما تتلقفهم دول خصومة وتبرز نضالهم . من ابرز هذه الاسماء أندريه برينك .. اما ليوناردو شاشا فهو احد ابرز اعضاء الحزب الشيوعى الايطالى وقد اشترك فى القضايا العامة مثل محاكمات المافيا . والعنف السياسى والارهاب الذى مارسته جماعة الضغط وعلى رأسها الألوية الحمراء .

● برز نوع جديد من الأدب اطلق عليه اسم « الخيال السياسى » يعتمد فى المقام الأول على تصور الكاتب لشكل السياسة فى دولته او فى العالم خلال سنوات المستقبل . وقد اتفق اغلب ادباء هذا النوع أن « العنف السياسى » هو سيد العصور القادمة . ولعل جورج اورويل هو أحد الذين نبهوا لهذا العنف فى روايته « ١٩٨٤ » ثم جاء من بعده العديد من أدباء هذا النوع مثل أنتونى بيرجس وهارى هاريسون وكيرت فنجوت . وفى السنوات الاخيرة قدم أدباؤنا العرب بعضا من هذا الادب مثل « السيد من حقل السبانخ » لصبرى موسى و « ثقب فى قاع النهر » لمعدر كامل .

● الجهات التى تمارس العنف السياسى فى هذه الروايات هى فى الغالب منظمات ارهابية سرية . جيدة التنظيم . تقوم بعمليات غسيل المخ لاغلب اعضائها الذين يجيدون اطلاق الرصاص حتى اذا اطلقوا رصاصاتهم الطائشة فان عقولهم ووجدانهم تكون خالية تماما من التفكير أو مراجعة الضمير . مثل عصابه اليكسيس فى رواية « البرتقالة الالية » لانتونى بيرجيس . وعصابة الالوية الحمراء فى ادب ليوناردو شاشا . اما



الدومورو .. الوجه الحقيقى



الدومورو .. على الشاشة

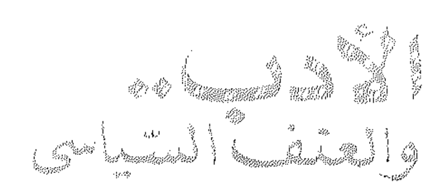
الضحايا فهم غالبـــا من الابرياء وهم من اصحاب الكلمة الشريفة او من الزعماء الذين يحظون بشـعبية كبيرة ٠

وقد اخترنا ان نؤكد على تجربة ليوناردو شاشا لأهميتها القصوى ٠ ورغم اننا سبق أن تنـــاولناه فى الهلال ـ اكتوبر ١٩٨٣ ـ بالتفصيل ٠ لكننا سنتحدث عن جزئية صغيرة من أدبه من خــــلال قضية الـدو مورو لاهميتها الشديدة خاصة بعدالحوادث الاخيرة من ناحية وبعـــد ان ألقيت الاضواء عليها فى فبراير الماضى بعد فوز فيلم « قضية مورو » باحـــدى الجوائز الكبرى فى مهرجان برلين الاخير ٠

وليوناردو شاشا ـ او شقشق ـ وهو سليل احدى الاسرات العــربية التى تعيش فى صقلية وقد اهتم دوما بما يدور فوق أرض الجـــزيرة من عنف سياسى ٠ كما اهتم بقضـــايا المافيا ٠ وهو كاتب غزير الانتاج ٠ يكتب الرواية والمقال السياسى ويعد أحد الكتاب المعاصرين الذين ينالون سمعة طيبة من كل الاطراف ٠ وهو عضو فى الحزب الشيوعى الايطالى وسوف نتناول هنا قضية مورو التى انشغل بها ولعلها أحد أسباب شهرته٠

## ● الخيال قبل الواقع ●

فى عام ١٩٧٤ طلع شاشـــا على الشعب الايطالى برواية غريبة الاسم غريبـــة الموضــــوع ٠ رواية هى « تودومورو » وتدور حول اختطاف ومصرع رئيس وزراء يدعى « م » ولأن رئيس الوزراء فى ايطاليا آنذاك هوالدو مورو رئيس الحزب الديمقراطى المسيحى وهو الحزب المنافس لـذلك الذى ينتمى اليه شاشا ٠ فان الاذهان سرعان ما ربطت بين « م » وبين مورو خاصة ان شاشا قد وصف بطله بما اوحى انه يقصده بالفعل ٠ فهو رجل ألقى بنفسه وببلاده فى أحضـــان الامريكيين ٠ فتقوم مجموعة سياسية معارضة باختطافه واغتياله ٠ وقد وصف شاشـا الطريقة التى يتم بها الاختطاف وهى اقرب الى تلك التى اتبعتها عصـــابة الالوية الحمراء عندما نزل الدو مورو من منزله فى صباح السادس عشر من مارس ١٩٧٨ وكان انذاك رئيسا للحزب الديمقراطى وقد ترك منصب رئاســة الوزراء ٠ وفى ذلك الصباح كان مورو متجهـا




الى البرلمان محاطا بحراسة مشددة حيث تم ابلاغـه أن هناك أكثر من محاولة لاغتياله .

ورغم كل اجـراءات الامن فقـد تم اختطافه وقتل الكثير من الحرس المرافقين .. واقتيد مورو الى غـرفة صغيرة أقرب الى التابوت . لاتتسع الا لمكان واحد . بها سرير صـغير للغاية . ومنضدة كى يكتب عليهـا رسائله التى وجه بعضها الى الحزب الشيوعى والبعض الاخر الى أصدقائه وافراد اسرته . وتوالت الرسائل من قبـل مورو .. والتقط المختطفون صوره محبوسا وأرسلوها الى الصحف وتوترت ايطاليا طوال خمسة وخمسين يوما . وذات صباح طلبوا منه ارتداء البزة الجديدة التى جاءوا له بها . وأعطوه كيس نقود كى يستعمله فى الاتصال الهاتفى ، وفى ركوب التاكسى .. ثم وضعوه فى حقيبة سـيارة وامروه أن يغطى نفسه . ثم أطلق زعيمهم النيران على جسـده .. واقتيدت السيارة الى الساحة التى يطل عليها الحزب الديمقراطى والحزب المسيحى حيث تم اكتشاف جثته فى صباح اليوم التالى .

وقد قام المخرج الايطالى اليوبترى ـ أحد أشهر المخرجين الذين اهتموا بظاهرة العنف السياسى ـ باخـراج رواية « تودومورو » للسـينما عـام ١٩٧٦ وهى نفس الفتـرة التى كان مورو فيها رئيسا للوزراء . وامعانا فى الواقعيـة قام الممثل جـان ماريا تولنته بصبغ شعره وقصه على طريقة مورو . كما تكلم بنفس أسلوبه

ولم يعد خافيا أن تودو مورو هـو بالفعل الرئيس ألدو مورو .

## ● أكذوبة رجل الدولة ●

يقول شاشا ـ لونوفيل ليتـرير ( ٢٠ يناير ١٩٧٧ ) ـ ان الظروف التى دفعته الى كتابة هـذه الرواية نتجت عن الضـائقة الاقتصادية التى عانت منها ايطاليا فى تلك السنوات .

والتى كانت تتضخم يوما وراء اخر . مما جعل البعض يتوقع ان ايطاليـا ستمر بتجربة شيللى التى كـانت قد شـهدت لتوها تجربة انقـلاب الديكتاتور بينوشيه ضـد سلفادور الليندى .

**ويقول شاشا فى مجـلة بانوراما الايطالية ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٦ ـ ان تودومورو كان يمثل نموذجا سياسيا لما يمكن ان يحـدث لرجل السـياسة حين يواجه العنف . ثم حـدثت الاحداث واصبح الدو مورو ضحية للعنف السياسى . لذا فلاتزال شخصية تودو مورو اقرب الى النموذج .**

لذا كان على شاشا ان يكون اول المتحدثين عن « قضية مورو » عقب اغتياله .. فأصدر فى شـهر أبريل عام ١٩٧٨ كتابا يحمل نفس العنوان هو أقرب الى الرواية منه الى التحقيق الصحفى .. رغم ان الكاتب قد قام بجمع الرسائل التى بعث بها مورو من سجنه الاخير . ومطالب الالوية الحمـراء التى بعثت بهـا طيلة الشهرين التى لم يكن لايطاليا فيهـا من حديث سوى عن الدو مورو . وقد بدأ الكاتب كتابه بعبارة : « اصبح الواقع فى ايطـاليا الان خيـالا ساذجا » .

والتصقت « قضية مورو » بشـكل مباشر بليوناردو شاشا .. فقـد



ليوناردو شاشا

راح البعض يتصور ان حزبه المنافس يتشفى في مورو .. ولكن الكاتب حاول ان يكون حياديا · لان القضية تخص ايطاليا وزعماءها السياسيين وفي حديث نشرته مجلة كانزان الادبية في فرنسا ( العدد ٢٩١ الصادر في اول ديسمبر عام ١٩٧٨ ) يقول مدافعا عن مورو ·

نحن نعرف ابعاد تلك الاكذوبة الرسمية الضخمة · وهي ان الدو مورو رجل دولة من الدرجة الاولى · فهذا كذب · فكيف لنا ان نصدق ان الدولة موجودة ؟ فهل كان على الوطن أن يضحي بمورو · عند هذا الحد احتج مورو · وطلب ان يتم التبادل به · صاح انه لا يريد ان يموت .. قيل ان مورو مجنون · او انه شخص متقلب · وانه ليس نفس الشخص الذى عرفوه · ولم يود احد أن يستمع الى ما يردده · خاصة انه اتهم اصدقاء الامس ..

« لا · لم يكن مورو مجنونا · بل قام بالتفاوض سعيا لتبادل به ببعض السجناء · ولم يفش أى سر · ولم يخن .. بالتأكيد انه اصبح شخصا اخر » ولكن ازاء هذا الموقف الذى يتعلق بخيانة حزبه · فان وقاحة أصدقائه قد اسكرته وهم يخرجون على كل المبادىء المسيحية التى تتعلق بهذا الامر ·

الغريب .. والغريب حقا ان الدو مورو نفسه قد تصرف فى الواقع بنفس النص الذى كتبه شاشا فى روايته عن تودو مورو الذى كتب فى احدى رسائله : « يا سادة آمل الا تحادثونى عن الالم وانتم ترددون ان الدولة لا تزال موجودة فرجل فى مثل سنى .. وبكل الثقة التى اكنها لكم · فاننى اخبركم أن وضعى لا يحتمل ·

ومرة اخرى تلعب السينما دورها .. ففى أواخر عام ١٩٨٦ قام مخرج ايطالى شاب يدعى جوزيبه فيرآرا باخراج رواية شاشا الثانية « قضية مورو » بنفس الاسم · وكان على جان ماريا فولنته ـ من جديد ـ ان يصبغ شعره ويقصه على طريقة تودو مورو ، وان يغير الاسم من تودو مورو الى الدو مورو · وان يتقمص الشخصية التى منحته جائزة احسن ممثل فى مهرجان برلين ١٩٨٧ فى نفس الفيلم ·

# عندما يعشق الفيلسوف

بقلم: د. أحمد أبوزيد



فى مذكراته الشخصية ( السرية ) كتب الفيلسوف البريطانى الشهير برتراند رصل بتاريخ ٢١ يوليو ١٩٨٣ يقول :

« حلمت الليلة الماضية اننى ارتبطت بالزواج من آليس ، ثم اكتشفت فجأة فى الحلم ان اهلى خدعونى حين اخبرونى ان امى قد ماتت بينما هى تقيم فى الحقيقة فى مستشفى المجانين ، ولذا فأنا مضطر الى ان اصرف فكرة الزواج من ذهنى تماما .. ان هذا الحلم يطاردنى بشكل مزعج طيلة هذا اليوم ( يوم عيد ميلاد آليس ) »

« اننى افكر فى آليس طول الوقت ... بينما يراودنى الشك فى حقيقة مشاعرى ... ومع ذلك فأنا اعتقد ان حبى صادق وحقيقى ليس الان فقط وانما كان كذلك منذ اول مرة . فانا دائم التفكير فى ادق الذكريات التى احتفظ بها عن تفاصيل لقاءاتى معها ...»

والاشارة هنا الى آليس بيرسال سميث التى تزوجها رصل بعد ذلك بعام فى سنة ١٨٩٤ . وكان رصل يتودد اليها ويتقرب ويحاول استمالتها اليه بعد ان وقع فى غرامها بينما كانت هى تبدى كثيرا من التحفظ والتردد فى مبادلته الحب ،

وترى ان ما بينهما هو نوع من الصداقة التي هي في نظرها اهم واقوى من الحب

وقد اشار رصل في مذكراته الخاصة اكثر من مرة الى هذه العلاقة ومدى تعلقه بها رغم تضارب مشاعره ، وكيف ان ذلك الحب كان يملك عليه أمره بحيث كانت تتراءى له في احلامه ويصيبه الهلع حين يرى في نومه ان امه مجنونة وانها لاتزال تعيش في مستشفى للامراض العقلية وان ذلك قد يكون سببا في فشل مشروع الزواج مع انه يعلم ان امه قد توفيت بالفعل منذ زمن طويل . وتسجل هذه المذكرات اختلاف نظرة كل منهما الى تلك العلاقة والاحاديث التي كانت تدور بينهما حولها فيكتب مثلا في ١٢ اغسطس ١٨٩٢ اى بعد حوالى ثلاثة اسابيع من ذلك الحلم يقول :

**« هذه اسعد ايام حياتي حتى الان لقد جاءت آليس واحدى بنات عمومتي لتمضية الليلة هنا ، ثم بقيت هي بعد رحيل ابنة العم . وذهبنا نحن الاثنين للتجديف في قارب ، ودار الحديث بيننا حول الحب والزواج ... وقد بينت لها رأيي عن ان الحب او التعاطف او الصداقة ـ ايا مايكون الاسم ـ هو اعظم مايمكن للانسان ان يصل اليه وانه هو الشيء الوحيد الذى يستحق من الانسان عناء البحث عنه . ولكن آليس كانت ترى ان اعظم مايصبو اليه المرء هو الاستقلال . وحاولت ان ابين لها ان الاستقلال هو مجرد وسيلة لغاية اعلى واتفقنا الى حد كبير على ان الزواج يهيىء فرصة افضل لتحقيق الحب الروحي ، وان الصداقة بين الجنسين مستحيلة ولكنني تأكدت في الوقت ذاته من صدق تصوراتي عن نفور المراة وكراهيتها للاتصال الجنسي الا اذا كان من اجل الانجاب .»**

ولم يكن في هذا الاكتشاف مايسعد برتراند رصل الذى يعترف في بداية كتابه « السيرة الذاتية » بان :

**« هناك ثلاث عواطف او نوازع بسيطة ولكنها قوية بشكل جامح كانت تتحكم في كل حياتي وتوجهها وهي : اللهفة للحب ، والبحث عن المعرفة ، والشعور بالاسى والاشفاق الشديد لمعاناة البشر » .**

فالبحث عن الحب كان دائما احدى النزعات الاساسية في حياة رصل . وقد لعب دورا هاما في هذه الحياة وسبب له كثيرا من المشاكل العائلية والمضايقات الاجتماعية والازمات المالية ، ودفعه في بعض الاحيان الى ان يسلك اساليب غريبة للتغلب على تلك المشكلات التى انعكست على سمعته العلمية ومكانته الاكاديمية .

وعلى اية حال فقد انتهى الامر بين برتراند رصل وآليس سميث بالزواج عام ١٨٩٤ . وكان رصل في الثانية والعشرين من عمره . ودام الزواج سبعة عشر عاما ثم اكتشف رصل ( فجأة ) انه لم يعد يحب آليس . وقد هبط عليه هذه الاكتشاف وأخذه على غرة ذات يوم وهو راكب دراجته ، ويقول في ذلك :

**« لم يكن لدى قبل تلك اللحظة ادنى فكرة حتى عن ان حبي لها كان يقل ويتضاءل ».**

وهذا هو نفس الشخص الذى كان قد كتب من قبل فى تلك المذكرات نفسها يوم ٢٥ اغسطس ١٨٩٣ وقبل ان يتزوجها بشهور قليلة وهو يعرب عن سعادته وفرحه بها :

**« لقد تسلمت خطابين من آليس وكتبت لها رسالتين : انه يبدو لى ان فى استطاعتى ان اتحمل الاقامة فى اى مكان مادمت استطيع الاتصال بها عن طريق الخطابات التى تأتى على اية حال فى المنزلة التالية للوجود معها وفى صحبتها ... انها تحتل فكرى من الصباح حتى المساء ثم تسكن احلامى من المساء حتى الصباح ».**

بل انه هو نفس الشخص الذى كتب تلك المذكرات ايضا وفى نفس التاريخ عن احد احلامه فيقول :

**« لقد حلمت ان الانسة ستيفنس تغازلنى بنهم وشغف فى الاحراش القريبة ووجدت نفسى مرغما تقريبا على ان احيط خصرها بذراعى وأقبلها ، ولكننى قلت لها وانا أفعل ذلك يجب الا تتصورى اننى أبغى الزواج منك فانا احب امرأة اخرى »**

ولذا فمن الغريب ان يحدث كل هذا التحول الفجائى وينسى فجأة ذلك الحب الاول الذى ظل يلهث وراءه فترة طويلة وقد يكون هناك بعض الاختلاف بين آليس وبرتراند رصل فى المستوى الفكرى . ولكن لاشك انه كان بينهما كثير من التجاوب والتلاقى كما تكشف عنه بعض صفحات تلك المذكرات . ففى سبتمبر عام ١٨٩٣ يسجل رصل حوارا دار بينهما وتكشف عن طبيعة العلاقة بينهما وسوف انقل لك معظم ذلك الحوار لاهميته . وقد بدأ بإبداء رصل تذمره من ان الحياة لم تحقق له كل مطالبه فترد عليه بان الانسان يستطيع ان يحصل على كل مايبغيه بالدأب والمثابرة ، ثم يستقر حنانه معا بعض المشاكل ويتناولان بالتحليل علاقته باصدقائه فى شىء من الصراحة ويعترف رصل بانه كان يهتم دائما باصدقائه اكثر مما كانوا هم يهتمون به .

هى : انك لاتثق بهم

أنا : كلا .. ( فترة صمت ثم بعد كثير من التردد وكبح الصراع الطويل بداخله ) .. اننى واثق انك انت ايضا لاتهتمين بى مثلما اهتم انا بك .

هى : لا ، ولكننى اتعاطف معك تماما . ثم ما الذى تريده اكثر من ذلك ؟! اننى ارجو ان تأخذ صداقتنا بنفس الهدوء الذى تأخذ به الصداقات الاخرى ، اننى اعتقد ان ذلك قد يؤثر فى علاقتنا .

أنا : لقد حاولت كثيرا ، ولكنها ليست علاقة كغيرها من العلاقات .. لقد جاهدت كثيرا ولكننى لااستطيع ان اخذها بهدوء .. ( فترة صمت طويلة قالت فى نهايتها بصوت مرتجف ) .

هى : اعتقد اننى لو كنت اكثر إحساسا وادراكا للامور لكان من الواجب علىّ ان اضع حدا لهذه الصداقة من اجل صالحك انت ولكننى اهتم بهذه الصداقة انا نفسى كثيرا ..

انا : ( مقاطعا ) لا .. لن تستطيعى ان تفعلى ذلك . فهذه العلاقة هى الشىء الوحيد الذى يجعل للحياة معنى بالنسبة لى

هى : حسنا .. من حسن الحظ اننى لست اكثر احساسا وتقديرا للامور ولكننى ارجو ان تنبذ من ذهنك فكرة الزواج . فالصداقة ألطف من الزواج بكثير . اننى لااريد ان اتزوج على الاقل قبل وقت طويل .. طويل جدا .

انا : سأحاول ان آخذ الامر بهدوء . وسيكون ذلك اسهل لو اننى استطعت ان اراك مرات اكثر .

( وفى اليوم التالى دار بينهما الحديث على النحو التالى )

هى : اشعر اننا يجب ان نتحدث عن الصداقة مرة أخرى قبل أن نبدأها .. لست واثقة من انك سوف تدخل فى هذه العلاقة بعيون مفتوحة .. هل تعتقد اننا لو صرنا صديقين حميمين دون ان اقع فى غرامك فى اخر الامر فان ذلك يسبب لك كثيرا من الالم ؟

انا : ولكن هذه هى فرصتى الوحيدة .. اننى استطيع ان اؤكد لك ان حبى لن يتغير ابدا . ومن الخطأ ان تعتقدى انك سوف توفرين علىّ كثيرا من الالم لو اننا انفصلنا الان . ولكن اذا كان لابد من الانفصال فمن الافضل إرجاء ذلك الى ابعد وقت ممكن لان حبى لم يكن ابدا اكبر مما هو عليه الان بالفعل »

ورغم هذا كله فان هذا الزواج تحطم عام ١٩١١ فقد دخل رصل فى مغامرة جديدة كان لها دوى شديد واستمرت خمس سنوات مع احدى سيدات الطبقة الراقية وهى الليدى اوتولين مورل اوف جارسنجتون ، زوجة احد اعضاء مجلس العموم الاحرار . وكان لتلك العلاقة تأثير بالغ السوء على حياته التى كانت حتى ذلك الحين مستقرة وآمنة وهادئة الى حد كبير .

● ● ●

ثم لم تلبث هذه العلاقة العاصفة ان توارت وتراجعت امام مغامرة جديدة كان طرفها الاخر ممثلة ( ارستقراطية ) ايضا وهى الليدى كونستانس مانسون . ثم انزوت هذه العلاقة ايضا امام علاقة اخرى مع شابة اصغر سنا هى « دورا بلال » التى تزوجها رصل عام ١٩٢١ . اى بعد طلاقه من زوجته الاولى بعشر سنين وقد انجب رصل من « دورا » طفلين ، ولكن ذلك لم يمنعه من الدخول فى مغامرة عاطفية مع مربية الاطفال لم تلبث ان انتهت بالزواج منها عام ١٩٣٦ بعد ان تم طلاقه من « دورا » . وانجب رصل طفلا ثالثا من هذه الزيجة الجديدة فاصبح له بذلك ثلاثة اطفال وبدأ يدخل فى مرحلة الشيخوخة التى تهدأ فيها رغبات الانسان العاطفية والجنسية ، ولكن قلبه خفق بالحب لفتاة امريكية فطلق دورا عام ١٩٥٢ وهو فى الثمانين من العمر لكى يتزوج من هذه السيدة الامريكية التى شاركته بعض نشاطه السياسى ودخلت السجن معه بسبب ذلك النشاط عام ١٩٦١ وكان حينذاك فى التاسعة والثمانين .

وكان لابد لهذه الزيجات الاربع والعلاقات الغرامية الاخرى ان تنعكس على حياته فقد كان عليه ان يضطلع بالتزاماته المالية نحو ثلاث مطلقات

دون ان تكون لديه الموارد المالية الكافية ولذا لم يكن امامه الا ان يزيد من انتاجه وان يقبل بعض الاعمال ويقوم ببعض الكتابات التى لايمكن تفسير صدورها منه الا فى ضوء حاجته الشديدة الى النقود . فقد كتب مثلا سلسلة طويلة من المقالات القصيرة بلغت ١٥٦ مقالا بين عامى ١٩٣١ و ١٩٣٥ لمجموعة مجلات هيرست تدور كلها حول امور عامة بل بعضها موضوعات تافهة وغريبة مثل مقاله عن : « من الذى يحق له ان يستخدم احمر الشفاه » أو مقالة عن « هل يحق للاشتراكيين تدخين السيجارة ؟» وما الى ذلك . ثم دفعته هذه الضائقة المالية الى ان يقبل ـ وهو يقترب من السبعين من عمره ـ دعوة احد اصحاب الملايين الامريكيين الى القاء محاضرات فى الفلسفة فى المعهد الذى يحمل اسمه وهو معهد بارنز فى فيلادلفيا . ولكنه لم يلبث ان فصله من العمل عام ١٩٤٢ لصعوبة التعامل معه . ومع ذلك فقد كانت هذه الفترة فى فيلادلفيا من اهم الفترات على الاقل لان تلك المحاضرات كانت هى الاساس الذى بنى عليه كتابه الشهير ( تاريخ الفلسفة فى الغرب ) وهو اكثر كتبه رواجا وانتشارا وقد حقق له هذا الكتاب لاول مرة فى حياته دخلا كبيرا وأتى له بالتالى بالاستقرار المالى الذى كان يفتقر اليه قبل ذلك .

وكان لبعض هذه الزيجات اثر مدمر على سمعته العلمية والاكاديمية ، فقد شارك زوجته الثانية مثلا فى بعض الانشطة الاجتماعية التربوية التى كانت تهتم بها ، وقاما معا بانشاء مدرسة ( تقدمية ) عام ١٩٢٧ فى هامبشاير . ولكن المدرسة اثارت ضدها عاصفة من النقد والهجوم العنيف من الصحافة فى اوائل الثلاثينيات لانها كانت تنادى ليس فقط بحرية التفكير وحرية التعبير عن الرأى بل وايضا بحرية الحب . وكان من الصعب الدفاع عن المدرسة بعد ان تكشفت الامور عن بعض الفضائح العاطفية فى حياة كل من الزوجين . فقد انجبت من رصل طفلين على ماذكرنا ولكنها فى الوقت ذاته انجبت طفلين اخرين من رجل غير زوجها ، كما ان رصل نفسه كان على علاقة مع مربية اطفاله التى اصبحت زوجته الثالثة عام ١٩٣٦ . وكان من الطبيعى ان يسىء ذلك الى سمعته ومكانته لدرجة انه حين ارادت جامعة ولاية نيويورك إلحاقه بالعمل فيها ضمن هيئة التدريس بها اعلنت احدى السيدات رفض الحاق ابنتها بالكلية الجامعية التى كان سيدرس بها خشية ان ( يعتدى ) الاستاذ على تلميذته او ان يفسد اخلاقها بشكل من الاشكال وذلك على الرغم من ان الفتاة لم تكن ستتخصص فى الفرع الذى يقوم هو بتدريسه وهو المنطق الرياضى . واثارت المرأة القضية امام المحاكم وأفلحت فى ان تجعل القاضى يحكم لصالحها بل وان يوجه اللوم الى الجامعة لانها أنشأت كرسيا « للبذاءة وقلة الادب » .

وعلى اية حال فانه على الرغم من البداية الاكاديمية الطيبة التى بدأ رصل بها حياته فان الظروف التى وجد نفسه فيها أو التى اوجد هو نفسه فيها صرفته

بالضرورة عن تلك الحياة الاكاديمية الجادة والجامدة . والكثيرون يلاحظون ان اعماله العلمية ظهرت كلها قبل ان يصل الى سن الخامسة والاربعين قبل ان ينصرف الى الاهتمام بالشئون العامة والسياسية وأن يكتب فى موضوعات يتصف بعضها بالسطحية . وقد تكون هذه الانشطة والكتابات قد جلبت له الشهرة وذيوع الصيت ولكنها باعدت بينه وبين طريق العلم والتفكير الفلسفى بالمعنى الدقيق للكلمة . ويذهب بعض الكتاب فى تفسير ذلك الى ان رصل كان قد فقد فى الحقيقة اهتمامه الاول المبكر بالفلسفة ، وان هذا ليس بالامر المستغرب من رجل متقلب فى حبه وميوله وعلاقاته كما يقولون . ولكن المؤكد هو اهتمامه بمشكلات عصره وانتاجه الغزير الوفير الذى تناول فيه كثيرا جدا من الموضوعات المختلفة المتنوعة ومالقيه فى سبيل ذلك من عنت وسجن هو الذى جعل له كل هذه الشهرة الواسعة العريضة بحيث ان الكثير يشبهونه بفولتير . ولقد كان الحكم عليه بالسجن عام ١٩١٨ لموقفه المعادى للحرب والخدمة العسكرية من اجل الحرب هو ـ فى رأى الكثيرين ـ البداية الحقيقية لابتعاده عن التفكير الفلسفى الاكاديمى .

**ولعل ذلك كان وراء عدم اختياره زميلا ( كاملا ) بكلية ترينتى بجامعة كيمبردج الا فى عام ١٩٤٣ بعد أن كان قد تجاوز السبعين من العمر وحقق كل تلك الشهرة الواسعة ، وذلك على الرغم من أنه كان قد أمضى فى تلك الكلية خمس سنوات كما عمل محاضرا فى الجامعة لبعض الوقت . فلقد نشأ برتراند رصل فى بيت جده اللورد جوردون رصل بعد أن توفى والداه قبل أن يبلغ الرابعة من عمره . ولم يلبث الجد نفسه أن مات بعد سنتين وبذلك نشأ ( برتى ) الصغير ـ كما كانوا يدعونه ـ فى بيت معظم أفراده من النساء . وتولت تربيته عماته وعدد من المربيات ، كما أنه تلقى تعليما خاصا كما كانت عادة كثير من العائلات الأرستقراطية فى القرن التاسع عشر . وبذلك لم يترك بيت العائلة الا بعد أن بلغ السادسة عشرة حين ( أرسلوه ) الى لندن قبل أن يدخل جامعة كيمبردج فى سن الثامنة عشرة ، وكان ذلك عام ١٨٩٠ .**

وليس من شك فى أن الفترة المبكرة من حياته بوجه عام هى التى شهدت أعماله ( الأكاديمية ) الجادة والتى كان من أهمها ( أسس الهندسة ) عام ١٨٩٧ و ( مبادىء الرياضيات ) عام ١٩٠٣ و ( مشكلات الفلسفة ) عام ١٩١١ وأهم كتبه كلها وهو كتاب ( برنكيبيا ماثماتيكا Principia Mathemetica ) الذى ألفه مع وايتهيد عام ١٩١٠

وأسلوب رصل فى الكتابة بوجه عام أسلوب متميز لا يمكن للمرء أن يخطئه بما فيه من عمق ولماحية وفطنة وثقة بالنفس واعتداد بالرأى وبما يعكسه من قدرة على تسلسل الأفكار وربطها بعضها ببعض رغم كل ماقد يكون فيها من تشعب وتعقد وتشابك . وحين سئل رصل عام ١٩٣٠ عن اسلوبه وطريقته فى الكتابة

وعن غزارة انتاجه اعترف بأنه كان فى البداية يراجع مايكتبه عدة مرات ويدخل عليه كثيرا من التغييرات والتعديلات والتصويبات ، وأنه ظل على ذلك الحال حتى بلغ الثلاثين من عمره ، أى حتى عام ١٩٠٢ . فقد شعر حينذاك أن أسلوبه قد استقر وبانت ملامحه وبذلك لم يعد يراجع مايكتبه أو يدخل عليه أى تعديلات الا فى القليل النادر ، وأن تلك التعديلات لا تتعدى فى الأغلب تغيير كلمة واحدة بأخرى اذا وجد أن تلك الكلمة قد تكررت بكثرة . وهذا يفسر الى حد ما على الأقل كثرة انتاجه وغزارته ، وذلك اذا نحن أخذنا فى الاعتبار أيضا حاجته الى التعود كى يقابل ديونه والتزاماته المالية نحو مطلقاته . ولكن من الانصاف مع ذلك أن نقول انه منذ البداية ومنذ عهد التلمذة كان يكشف عن قدرات غير عادية سواء من حيث التفكير المنطقى الناضج أو ترتيب أفكاره وعرضها فى شكل متسق . كما أن كثيرا من آرائه واتجاهاته الفكرية ومواقفه ظهرت بوادرها فى سن مبكرة نسبيا وأنه ظل متمسكا بها طيلة حياته . ثم يجب ألا ننسى انه نشأ فى بيت كان يتسم بالجدية فى التفكير وطريقة الحياة بحيث ان الأحاديث اليومية العادية كانت تأتى على درجة عالية من العمق والذكاء وتدور حول المسائل التى تشغل بال المجتمع فى ذلك الوقت مثل عقوبة الاعدام وأثرها فى المجتمع ككل وعلاقة ذلك بمبدأ العدالة المطلقة . وكانت احدى عماته بالذات تؤمن بأن المجتمع هو الذى ( يخلق ) الجريمة ولذا فليس من حقه أن يعاقب عليها .

ولكن على الرغم من نشأته الارستقراطية وانتمائه الى أسرة عريقة فإنه كان خلال معظم حياته الطويلة التى امتدت الى مايقرب من قرن كامل ( ١٨٧٢ - ١٩٧٠ ) يؤرق هذه الطبقة الراقية ويقض مضاجعها ويناوشها بآرائه وتصرفاته . فحياة رصل كانت مليئة بالحركة والتمرد فى المجالات الاجتماعية والسياسية أو حسب تعبيره هو مجال ( معاناة البشر ) وكان ذلك الهاجس وراء اندفاعاته ومشاركته فى كثير من التظاهرات التى تعبر عن السخط والاحتجاج على كثير من الأوضاع السياسية والاجتماعية . وقد زج به فى السجن أكثر من مرة بل انه حكم عليه بالسجن هو وزوجته الرابعة لمدة شهرين لمشاركتهما فى المظاهرات وحركات الاعتصام والجلوس على الأرض فى الميادين العامة . وكان ذلك فى عام ١٩٦١ وهو فى سن التاسعة والثمانين . ولكن قوة الرأى العام البريطانى والضغط الشديد الذى مارسه أديا فى الحال الى تخفيض ذلك الحكم الى أسبوع واحد فقط ، أمضاه الفيلسوف وزوجته على أية حال فى مستشفى السجن . وكان اشفاقه من معاناة البشر وراء تلك المشاركة فى حركات الاحتجاج والاعتصام والتمرد والاضراب . فقد كان يرفع - مثلا - لواء الدعوة الى تحريم استخدام الأسلحة النووية وبخاصة بعد أن امتلك الروس تلك الأسلحة الرهيبة . وهو نفسه يفسر ذلك الموقف بأنه حين كان السلاح النووى فى أيدى المعسكر الغربى وحده لم يكن ثمة مايدعو الى الخوف من استعماله ، على الأقل لأن الجانب الآخر - أى المعسكر الشرقى - كان يسلم بالأمر الواقع ويذعن له فى رضوخ واستسلام ولا

يملك القدرة على التحدى بحيث يضطر الغرب الى الالتجاء الى تلك الاسلحة الخطرة . أما بعد أن توصل الروس الى ذلك السلاح المخيف فإن مخاطر التحدى من الطرفين وبالتالى فرصة اللجوء اليه زادت زيادة كبيرة ، ولذا كان لابد من العمل بكل قوة على منع انتشار تلك الاسلحة وتحريم استخدامها فى الحروب .

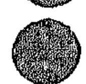
● ● ●

**ولقد ظل برتراند رصل طيلة حياته شخصية ثائرة متمردة لدرجة أن الحزب الذى ينتمى اليه ، وهو حزب العمال ، ضاق به ذرعا وأوصى بفصله من عضويته عام ١٩٦٢ وهو فى سن التسعين . ولكن التوصية لم تنفذ ، وانما كان رصل هو الذى قام بتمزيق بطاقة العضوية بعد ذلك بثلاثة أعوام ( سنة ١٩٦٥ ) أثناء اجتماع عام احتجاجا على موقف حكومة العمال السلبى ازاء السياسة الأمريكية فى فيتنام . وكان ذلك هو قمة ماوصل اليه من مشاركة فى القضايا العامة ، وبدأ بعدها فى التراجع بحكم السن ، وان ظل محتفظا مع ذلك بحيوية فكره ويقظة ذهنه حتى آخر أيامه . ويقول بعض الخبثاء من الكتاب ان رصل كان مجنونا بحب الشهرة والدعاية لنفسه وأن ذلك الجنون ازداد بتقدمه فى العمر وأن ذلك كان هو السبب الحقيقى وراء مشاركته فى كل تلك الحركات السياسية والتحررية والسير فى التظاهرات وتوقيع العرائض والنداءات وما اليها .**

وقد يكون من الصعب تصنيف رصل فى فئة بالذات من الناس . فقد كان يبدو دائما فى نظر البعض وحسب تعبير الأستاذ أنتونى هاورد ـ مجرد ( زائر نصف آدمى من احدى الغابات المسحورة ) وقد قال رصل عن نفسه فى أواخر أيامه !

**« لقد كنت خلال حياتى أتصور نفسى على التوالى ليبراليا ثم اشتراكيا أو داعية للسلام ، ولكننى لم أكن فى الحقيقة أياً من هذه الأشياء بكل معانى الكلمة . فقد كان عقلى يميل دائما الى الشك ولذا كان يهمس لى دائما بشكوكه وارتيابه وهواجسه فى الوقت الذى كنت أريد منه حقا أن يصمت . وبذلك كان يبعدنى دائما وينأى بى عن ذلك الحماس السهل الذى كان ينعم به الآخرون ، ويلقى بى فى أحضان تلك العزلة البائسة الكئيبة » .**

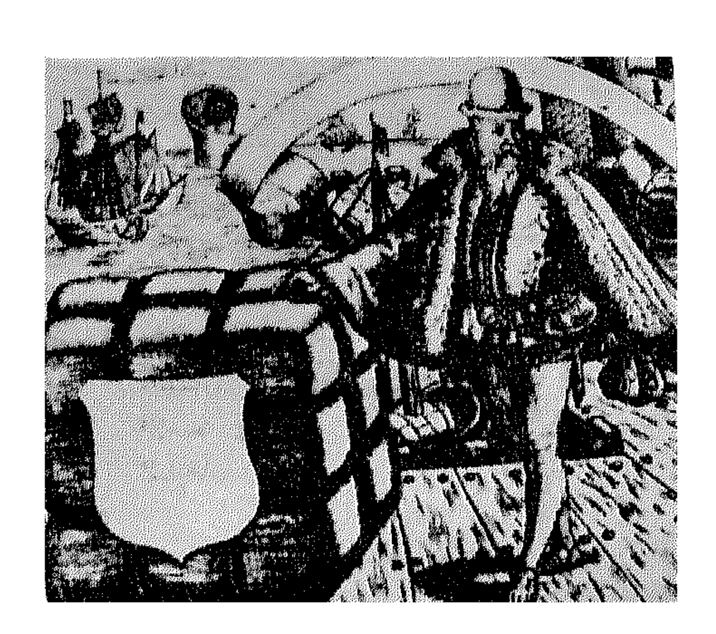
وقد تبدو تلك العزلة التى يتكلم عنها هنا غريبة وغير مفهومة بالنسبة لرجل أحرز كل تلك الشهر وذيوع الصيت . ولكن مناوشاته الدائمة حرمته من كثير مما كان جديرا به . والمثال الواضح على ذلك هو امساك جامعة كيمبردج عن أن تمنحه الزمالة ( الكاملة ) فى كلية ترينتى حتى عام ١٩٤٢ بعد أن تجاوز السبعين من العمر ، ولكنها بعد ذلك أصبحت تفاخر به الجامعات الأخرى بعد أن تنكرت له كل تلك السنوات . ومع ذلك فالذى لا شك فيه هو أن سنوات التلمذة والعمل فى كيمبردج فى أوائل حياته كانت هى الخطوة الأولى التى أيقظت روح التمرد والثورة التى طبعت حياته كلها بذلك الطابع الذى ظل ملازماً له والذى فتح له الطريق الى الدخول فى تاريخ الفكر الانسانى من أوسع ابوابه .

# الأوربيون في مصر في عصر محمد علي

بقلم : حسين أحمد أمين

لم تكن الوجوه الأوربية بالمنظر غير المألوف فى مصر قبل وفود الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ . فقد عرفت مصر القناصل الذين كان استنجادهم بفرنسا بسبب إساءة المماليك المزعومة الى التجار الفرنسيين من المبررات المعلنة للغزو الفرنسي . وعرفت الرحّالة من أمثال نيبور وڤولنى ، والجماعات التى كانت تفد إليها لتقصّى أحوالها أو دراسة إمكان غزوها ، كجماعة الضباط الذين أرسلهم إليها لويس السادس عشر . وكان هناك الافرنج المترددون عليها للتجارة ، خاصة فى الاسكندرية ، ثم الافرنج «البلديون» بالقاهرة وبعض المدن الكبرى ، وهم الذين حدّثنا الجبرتى عن إقبالهم على فتح المطاعم والحانات لجنود الحملة الفرنسية ، وعمل بعضهم كمترجمين لقادة الحملة وعلمائها .



التجار يمهدون الطريق

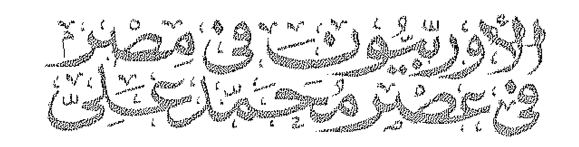
غير أن عدد هؤلاء جميعا لم يكن من الضخامة بحيث يكفل أحاطة عموم أهل القطر ، بل ولا سكان المدن الكبرى عدا الاسكندرية ، بأحوال الافرنج وعاداتهم ، وبحيث يترك أثره أو يحدث تغييرا في مظاهر حياة لفيف من الشعب ، خاصة ان الأجانب وقتها كانوا يشعرون بالخطر والعزلة ، لايجازف أحدهم بالخروج من القاهرة أو الاسكندرية أو رشيد أو دمياط دون حراسة مسلحة ، وكان للتجّار منهم في القاهرة حيّ مسوّر خاص بهم ، يتولى حراسة بواباته جنود من الانكشارية .. أما هذه الاحاطة وهذا التأثير فقد بدءا بالغزو الفرنسي ، حين قدم بونابرت في صحبة نحو ثلاثين ألفا من الجنود ، وخمسمائة مدنيّ ، و ١٦٥ عالما ، وثلاثمائة من النساء ، وانتشر هؤلاء جميعا في مدن القطر وأريافه وصحاريه من الاسكندرية إلى أسوان .

## ● الأفاقون

وقد فضّل المئات من الفرنسيين البقاء في مصر عند رحيل الحملة عام ١٨٠١ ، وانحاز بعضهم إلى طائفة أو أخرى من الطوائف المختلفة المتنازعة في مصر في السنوات ما بين ١٨٠١ و ١٨٠٥ . غير أن غالبيتهم سرعان ما مالت إلى محمد على دون المماليك والعثمانيين ، وداعبها الأمل في أن يتمكن من تأدية خدمات جليلة للمصالح الفرنسية في الشرق . فلما تولى حكم مصر التحقوا بخدمته ، وانبروا يسدون إليه النصح والعون في شئون الحرب والسلم .. وبعد هزيمة نابليون في واترلوا عام ١٨١٥ وسقوطه خشي عدد كبير من جنوده أن يتعرض لهم لويس الثامن عشر بالاساءة والتنكيل ، فأسرعوا بالهجرة إلى الشرق يعرضون على حكامه خدماتهم . وقد استقبلت مصر طائفة من هؤلاء الجند ، اعتنق بعضهم الاسلام وتبنّى عادات المصريين .

وقد كان من المألوف ، ومن الطبيعي ، أنه كلما أقبلت أمة متخلفة على الأخذ بأساليب التمدّن الغربي ، تدفّق عليها في ركاب الخبراء والمدرّبين والمستشارين الغربيين ، زمرة من المحتالين والأفاقين من أوربا ، سعيا وراء الكسب عن طريق استغلال مطامح الحكام وسذاجة الشعوب . وصفحات الأدب الروسي زاخرة بصور هؤلاء الذين وفدوا إلى روسيا في أعقاب «إصلاحات» بطرس وكاترين ، فتلهفت المنتديات على دعوتهم ليكونوا نجوم سهراتها، وأرباب الأسر الكبيرة على إسناد مهمة تعليم الأولاد إليهم .. كذلك فإن ما احس هؤلاء باتجاه محمد علي وحكومته إلى الاقتباس من نظم الغرب بأي ثمن ، وتكريمهما الزائد للأوربي لمجرد تمتعه بجنسية أوربية ، حتى توافدت على مصر افواج من الأطباء والمهندسين ومبتكري المشروعات والتجار والعسكريين ، يحملون إلى الوالي رسائل توصية ، أو بدون رسائل توصية ، هذا يعرض اختراع غواصة ، وآخر يشرح وسيلة مبتكرة لرفع المياه «مؤكدا أنها إذا روعيت تجيء بالمعجزات المدهشات» ، وثالث يقترح صنع قذائف من نوع جديد لاحراق سفن العدو وتدمير حصونه ، ورابع قد ابتدع اساليب مستحدثة لتدبير القتال وتعبئة الجيوش ، ثم أطباء دجالون يدعون معرفة اسرار علاج الدوسنتاريا والرمد الصديدي والطاعون ، يغرّرون بالسذّج ، ويقابلون بما لا يُستقبل به غير الكبراء من مظاهر الحفاوة والتبجيل «وماهم في الحقيقة إلا لصوص» . وكثيرا ما كانت تُجرّب في مصر اختراعاتهم هذه ، مما كانوا قد عرضوه في بلادهم من قبل فرفضتها ، فلا تؤدي الى غير الفشل .

وقد قصّ علينا كلوت بك في كتابه «لمحة عامة إلى مصر» نبأ أحد هؤلاء الدجالين ، وهو «البارون» دوفلتنجن ، الذي قدم إلى الاسكندرية فاستُقبل احفل استقبال من أهل الطبقات العليا فيها ، تقديرا لكتب التوصية



العديدة التى زوّد بها . وقد بدأ هذا الألمانى بالنزول فى دار عظيمة تنمّ عن كافة مظاهر الأبهة ، وإنفاق المال عن سعة ، يستقبل الزائرين من أهل البيوتات الكبيرة والأسر الكريمة ، فلا يدور حديثه معهم إلا عن قصوره الشامخة وأمواله الطائلة فى ألمانيا . وكان الناس يتسابقون إليه راجين أن يتفضل عليهم بإصدار أمر أو التعبير عن رغبة ، ليتباروا فى تحقيقهما فورا ، وما من أحد منهم إلا تقدم إليه بماله يسأله التعطف عليه بقبوله . وصار الناس يتفاخرون بأنهم ممن فازوا بحظوة المثول بين يدى البارون ، وإذا صادفت فى الطريق وجيها وسألته عن وجهته أجاب بكبرياء وصلف أنه يقصد البارون .. ثم إذا بالشكوك تحوم حوله بعد إقامته فى الاسكندرية نحو عام ونصف ، وإذا به يعترف بحقيقة حاله ، وبأن قصوره وأمواله لم تكن قط الا بمخيلته ، فضاع على الناس ما لايقل عن خمسين الف فرنك كانوا قد أقرضوه إياها .

**وينصح كلوت بك فى كتابه القناصل الفرنسيين بتطهير الجالية الفرنسية فى مصر من المحتالين الذين لا ذمة لهم ، ممن يلوّثون سمعة أمتهم باغتنامهم فرصة سذاجة الشعب المصرى وركونه إليهم لابتزاز أمواله ، وانتحالهم الألقاب والصفات للتغرير به .. غير انه يمضى فيهاجم طائفة أخرى من الأوربيين ، كانوا يحذرون «محمد على» من أبناء جنسهم ، ويتهمون لديه الموظفين الأوربين فى حكومته بقلة الكفاءة والجهل ، ذاهبين إلى ان «إصلاحاتهم» لا تفيد البلاد ، أو أنها خيالية غير ميسرّة التحقيق فى مصر . والظاهر أن أفراد هذه الطائفة التى هاجمها كلوت بك (وهو الموظف الكبير فى حكومة محمد على ، وكان يمكن أن ينطبق عليه اتهامهم) ، كانوا أولئك الزائرين الأوربيين لمصر (خاصة الكتاب والفنانين منهم) ، الذين رثوا لحال المصريين إذ رأوهم «يهجرون عاداتهم المحمودة ليستبدلوا بها العادات الأوربية» ، وكانوا معجبين بمصر ايما أعجاب ، شديدى التحمس لشعبها ، مسارعين إلى تقليد طرائق المسلمين فى المعيشة والملبس ، حتى انهم صاروا فى مصر يسيرون حفاة ويلبسون العمائم ، «رغم أن استخدامها فى مصر قد قل وأصبح يكاد يقتصر على الطبقة الدنيا من الشعب» .**

## ● طبقاتهم

أما عن غير هؤلاء الأفاقين والرحالة ، فقد كان بمصر عدد من القناصل الاوربيين وأعوانهم ، يمثلون فرنسا وانجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا وأسبانيا والسويد وصقلية وسردينيا وهولندا وبلچيكا والدنمارك وتوسكانيا ، يقيم كبراؤهم بالاسكندرية ، ويقومون فى الواقع بمهام السفراء ، ولهم نواب من الافرنج فى القاهرة ، ونوّاب من أقباط مصر فى دمياط ورشيد والسويس وقنا والأقصر .

ثم تجار الجملة ، ومعظمهم بالاسكندرية ، وتجار القطاعى من أصحاب متاجر الزجاج والمجوهرات والاقمشة ومتاجر الأزياء الحديثة التى كانت توقف زبائنها على حركة الأزياء المستحدثة فى اوربا . وكان بالاسكندرية وحدها نحو مائة متجر أوربى ، ونحو عشرة مطاعم للفرنسيين والأيطاليين والأنجليز ، ومقاه يقدّم فيها الچيلاتى والشوكولاته على الطريقة ، ومخابز إفرنجية كان الناس يقبلون إقبالا كبيرا على شراء فطائرها . كما كان بالقاهرة عدد كبير من المطاعم على الطراز الأوربى .

السير سيدنى سميث فى حضرة والى عكا عام ١٧٩٩ وقد صور الفنان الذى رسم الصورة نفسه فى اقصى اليمين



چوڤانى بالترونى رحالة ومكتشف ولاعب سيرك طوله اكثر من مترين عمل فى القاهرة فى خدمة هنرى سولت



الاناقة على الطريقة الشرقية .. صورة اللورد جيمس سيلك وحرمه فى اثواب شرقية
تحت الموضة الراقية فى اوروبا فى تلك الايام.



ثم أرباب الحرف والصنائع من النجارين والبنائين وصانعي الأقفال والسمكرية والنحاسين والصاغة وصانعي المركبات والساعات والأحذية والقبعات والخياطين لملابس الرجال والنساء . أما عن موظفي الحكومة من الأجانب ، فيقول كلوت بك إنهم كانوا عام ١٨٤٠ أقل كثيرا مما يظن الناس ، وذلك حين بدأ محمد على يستغنى عن البعض لانقضاء الحاجة اليهم ، وهو ما يستنكره كلوت بك «بالنظر الى حاجة الأنظمة الجديدة إلى الحرص على ثمراتها واطراد السير والتقدم ، مما يستدعى الاستمرار في طلب العون من الأوربيين والاسترشاد بهم» . أما عن عددهم فكان بينهم مائتا طبيب وصيدلى ، وعشرون مدربا في الجيش ، وما بين عشرين وخمسة وعشرين مدرسا أغلبهم فرنسيون ، ثم مديرون وصناع من الفرنسيين والانجليز والايطاليين .

**وقد بلغ عدد القاطنين الأجانب في مصر في أواخر حكم محمد على نحو عشرة آلاف من بين مجموع السكان البالغ حوالى ثلاثة ملايين نسمة . وكان أكثرهم عددا اليونانيون (٥٠٠٠ نسمة) ، فالايطاليون (٢٠٠٠ نسمة) ، فالمالطيون (ألف) ، فالفرنسيون (٨٠٠) ، فالانجليز (مائة) ، والنمساويون (مائة) ، فجمع من الروس والأسبان والسويسريين والبلچيكيين والهولنديين والألمان والدنماركيين (مائة وخمسون) وكان بالاسكندرية وحدها نحو نصف هذا العدد (٥٠٠٠ اوربى) من بين مجموع سكانها البالغ ستين الف نسمة .**

**وكان الأوربيون في مصر يقطنون احياء انيقة خاصة بهم ، «فحى الأفرنج بالارسكندرية ارقى بكثير من بقية احياء المدينة الآهلة بالوطنيين» . وكان بالقاهرة حىّ خاص بالأرستوقراطية التجارية منهم من اصحاب البنوك والسماسرة ومنظمى التجارة في منتجات مصر والهند ، هو عبارة عن شارع رئيسى يغصّ بحوانيت اليونانيين والأرمن (وكان عدد الأرمن وقتها نحو ألفين) . ويذكر الشاعر الفرنسى چيراردو نيرڤال في كتابه «رحلة الى الشرق» انه كان بالقاهرة فندق خاص بالفرنسيين «به بيانو وبولياردو» وفنادق خاصة بالانجليز يأكل نزلاؤها ـ شأن المسافرين في البواخر ـ من معلبات الخضر واللحم دون الماكولات المصرية الطازجة .**

وقد لاحظ نيرڤال أن الاوربيين في مصر بوجه عام لا يعرفون البلد وأهله معرفة وثيقة ، «قد غلب عليهم السأم ، ولايظهرون إلا في أماكن معينة تناسبهم ، ولا يتحدثون مع من هم من طبقة أقل من طبقتهم ، يسعدهم مقابلة الأوربيون الجدد ، ولكنهم لايجرأون على الاختلاط بالمصريين أو على مشاهدة احتفالاتهم ورقصهم ، ويخشون أن يراهم الناس في المقاهى أو الملاهي ولا يعقدون صلات أخوية مع عربى من العرب الكرماء الذى يهديك بدافع من شعور الودّ علبة غليونه ، او الذى ما أن يراك تتوقف للاستطلاع أو بسبب التعب أمام بابه حتى يبادر بتقديم القهوة لك .. وكان المصريون يدهشون لمرأى القفافيز (الجوانتيات) السوداء في أيدى الاجانب ، ويتساءلون كيف يمكن أن يكون للمرء يدان سوداوان ووجهه أبيض !» . ثم يعلق نيرڤال على نمط معيشة الأوربيين هذا في مصر بقوله «إنه كان من الأولى بهؤلاء إلا يغادروا أوطانهم ، أما من ناحيتى فقد كنت في مصر أحيا حياة شرقية تماماً .

**وكان اغنياء الأجانب يتوسعون في الانفاق والبذخ في الأثاث والثياب وتعقّب الأزياء الباريسية ، ويقيمون الحفلات الراقصة والاحتفالات في كل مناسبة . وكان**

لهم بالاسكندرية مسرحان ، أحدهما لعرض المسرحيات الفرنسية ، والآخر للأوبرا الإيطالية ، بناهما هواة المسرح من الافرنج وتولوا إدارتهما . كما كان بالقاهرة مسرح صغير يتردد عليه الايطاليون والأرمن واليونانيون ، ويعرض «قود فيلات» يمثلها فرنسيون ، ويعزف ضمن فرقته الموسيقية بعض الضباط فى جيش محمد على .

## أخلاقهم

ولم يكن للأجانب حق الملكية العقارية فى مصر . ولكنهم كانوا كثيرا ما يلجأون إلى الحيل القانونية التى تمكنهم من استغلال الاملاك والمصانع كاستخدام الاقباط فى تملك العقارات بالوكالة عنهم . ويتحدث نيرفال عن سيدة قبطية كانت تمتلك أكثر من عشرين منزلا بالوكالة عن بعض الأجانب ، ويقول إن البيت الذى سكنه فى القاهرة كان فى الحقيقة ملكا لاحد موظفى القنصلية البريطانية .. غير أنه كان للأجانب حق امتلاك الحوانيت ، يملأونها بالسلع من منتجات كافة الأقطار الأوربية . فكان لانجلترا مكان الصدارة فيما يختص بالاصواف ، وفرنسا بالمستحدث من الأزياء ، ومرسيليا بالبقالة واللحوم المدخنة وغيرها «وتبذل الصناعة الأوربية قصارى جهدها لاجتذاب الأغنياء من سكان القاهرة والأتراك التقدميين والأقباط واليونانيين ، وهم الأكثر استعدادا لتقبل العادات الأوربية . وثمة فى الموسكى مشرب بيرة إنجليزى ، يقصده الناس لمقاومة مفعول مياه النيل التى تصيبهم أحيانا بالرخاوة . وهناك مكان آخر هو صيدلية كاستانيول ، ويأوون إليه هربا من الحياة الشرقية ، ويستعيد فيه الأوربيون ذكرياتهم عن الحياة فى وطنهم ، بينما يجلس الشرقيون وعلى صدورهم الأوسمة البراقة يتحدثون بالفرنسية ويقرأون الصحف» ويضيف نيرفال قوله إن بعض التراجمة المصريين تولّد لديهم بسبب كثرة مخالطتهم للأجانب «ميل متطرف الى البيرة والويسكى» .

ويتحدث كل من كلُوت بك وچيراردو نيرڤال عن الطوائف المختلفة من الأجانب فى مصر . فأما الانجليزى «فمن أشد أفراد الجاليات الأوربية حرصا على عاداته ، إذ تراه فى القاهرة - كما فى لندن - لا يستطيع الاستغناء عن أكل البوفتيك والروزبيف وجبن الشستر أو عن تناول المشروبات قوية المفعول ، ولا يأنس إلا الى أبناء جنسه ، لايختلط بغيرهم إلا قليلا . وبالنظر إلى صلابة أخلاق الانجليز والتزامهم الوقار فى سلوكهم والجد فى معاملاتهم ، وتراهم يؤلفون هنا أسمى طبقات الجاليات الأجنبية وأشرفها وأصونها لكرامتها «وهم فى مصر يلبسون قبعات مستديرة مكسوّة بالقطن للوقاية من حرارة الشمس ، وغطاء للعينين لتخفيف حدّة الضوء ، ووشاحا يحميهم من الأتربة ، وعلى معاطفهم غطاء خارجى من القماش المشمع لحمايتهم من الطاعون ومن الاحتكاك بالمارة من أهل البلد . وترى الانجليزى وقد أمسك بيده من داخل القفاز بعصا طويلة يُبعد بها عنه كل عربى موضع ريبة ، وتابعه يقذف بهؤلاء العرب يمنة ويسره» !

أما الفرنسيون الذين ،لاحظ نيرڤال أن الكثيرين منهم قد باتوا يقلدون الانجليز فى معيشتهم وسلوكهم ، فيراهم كلوت بك مخالفين للانجليز فى الطباع والميول ، سريعى التحمس للشىء وسريعى الملل منه «والشرقيون يؤثرونهم بالمحبة لما جبلوا عليه من الأدب والذكاء وحضور البديهة والبشاشة والكياسة ، وهى طباع إذا أضيفت إلى ماتركوه بأرض مصر من ذكرى وجودهم بها (أثناء الحملة الفرنسية) ، تحمل الأهالى على اختصاصهم بمودتهم» .

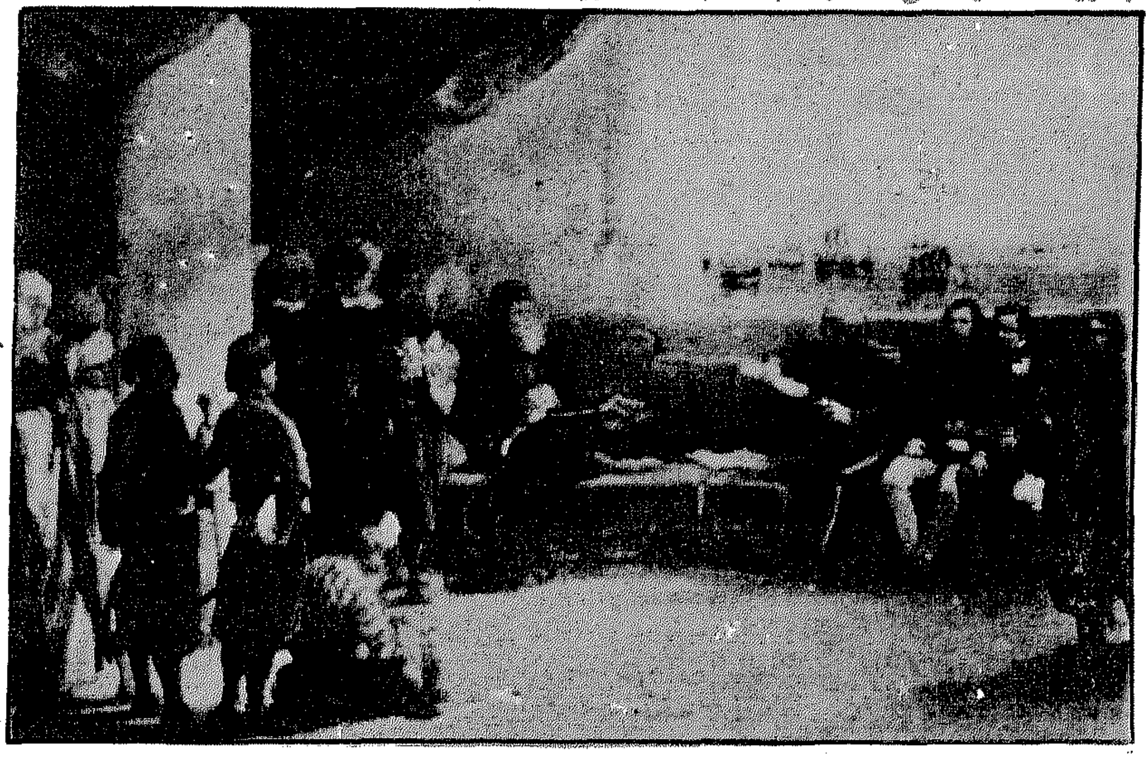
**وقد اشتهر الالمان فى مصر بدماثة خلقهم وطيب سريرتهم اما الايطاليون فقد**

كانت أخلاق أهل الطبقة الوسطى منهم - وهم كثيرون - «سببا فى إلقاء كثير من التهم الجائرة على عاتق الأمة الايطالية بأسرها» وأما اليونانيون فمنهم من هم من سلالة الاغريق القدماء، يسكنون مصر منذ أمد بعيد، وقد تحوّلوا عن لغتهم إلى العربية مع احتفاظهم بالكثير من السمات المميزة لشعبهم، ومنهم من هاجر إلى مصر بعد الفتح العثمانى لها، وجميعهم تقريبا يعمل بالتجارة. وكان ابراهيم باشا قد أسر عددا كبيرا من الشباب اليونانى خلال حرب المورة، فبيعوا فى مصر رقيقا، ثم اعتنقوا الاسلام، ووصل بعضهم إلى رفيع المناصب فى الادارة والجيش.

## معاملتهم للمصريين

وقد لاحظ كلوت بك فساد الاخلاق المنتشر بين الجالية الافرنجية وانتهاكهم حرمة التقاليد المصرية، وسوء استغلالهم للحرية التى منحها محمد على للأوربيين «من فيوض مكارمه». ويقول نيرڤال إن الكثيرين من الافرنج الذين التحقوا بخدمة الوالى اعتنقوا الاسلام، إما عن مصلحة لضمان طاعة مرؤوسيهم المسلمين لهم، أو طلبا للمتعة بالنظر إلى أوهامهم المتعلقة بلذات الحريم، والسلطان المطلق للزوج او للسيد، وفكرتهم عن النساء الفاتنات اللواتى تتضافر جهودهن من أجل إسعاد رجل فرد، ثم عادوا بعد ذلك الى المسيحية حين تبدلت أوهامهم، أو انقضى أمد وظائفهم.

مقابلة بين محمد على باشا والقنصل البريطانى الكولونيل بلتريك كامبل فى قصر الباشا بالاسكندرية عام ١٨٣٩



وكان الأوربيون بوجه عام «يعاملون الشعب المصرى المسكين بازدراء جم» . فقد أصبحوا الآن يقاسمون الجنس التركى امتيازاته ، وتبنوا نظرة الاتراك إلى المصريين . بل إنه حتى الأرمن الذين كانوا يتعقبون الغزاة العثمانيين فى تنقلهم من قطر الى آخر ، واستقر بعضهم فى مصر عقب الفتح العثمانى ، تعلّموا أن يعاملوا المصريين بعجرفة وصلف ، وهم الذين ذاقوا من الاتراك كافة صنوف الأذلال والمهانة ، بل وصاروا يتحاشون الاختلاط بأهل مصر . ويتحدث كلوت بك عن مسلك الشدة والقسوة الذى سلكه الأوربيون مع المصريين ، فيقول إن بعضهم «كان يعتبر المصريين كائنات حقيرة ليست من الجنس البشرى ، ويقول علنا أنه لا ينبغى مخاطبتهم إلا بالكرباج .. ولذا فإن هؤلاء يحرصون عند وصولهم إلى مصر على التزوّد بالكرابيج يضربون بها من غير رحمة ولا سبب معقول أفراد الحمالين الحمارين والمراكبية» . وأما السياح منهم ممن يصادفون المشاق فى رحلتهم إلى مصر ، وتسوءهم صعوبة اللغة العربية ورداءة الطرق وقلة أسباب الراحة مما اعتادوه فى بلادهم ، فكانوا يكثرون من الشكوى ، ويستشعرون الكراهية لمصر والمصريين ، لايرون الأشخاص والأشياء فى ضوء حقيقى ، ثم يتنفسون الصعداء حتى تتوارى أرض مصر خلف سفينة العودة ، حتى إذا هم وصلوا الى بلادهم ، أطلقوا العنان لالسنتهم يذمّون مصر وأهلها ، وإن كتبوا عنها كتبوا مالا يطابق الحقيقة» .

ومع ذلك فقد كانت الامتيازات والتسهيلات التى يوفّرها محمد على وحكومته لهؤلاء الأجانب ، من المقيمين والسائحين ، عظيمة لا حصر لها . فهو يحتفى شخصيا بكبار الزوار ، ويُنزلهم قصوره أو قصور كبار رجال دولته . وأما السياح العاديون فهم يزورون مايشاءون زيارته من الأماكن والآثار فى راحة ويسر ، ويزوّدهم الوالى بكتاب توصية للانتفاع به حيثما حلّوا . وكانت صيغة خطاب التوصية من محمد على على النحو التالى :

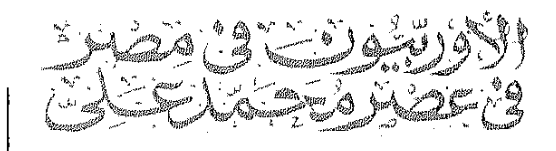
«إن صديقنا الحميم القديم المسيو ـــ ، وجنسيته ـــ ، جاء إلى أملاكنا ليزور المعاهد الأثرية وغيرها من الأماكن المفيدة له فى أبحاثه . وقد قدّمه إلينا جناب قنصله . فبناء عليه قد سلمناه فرماننا هذا لينتفع ويستظهر به أثناء رحلته فى طول أملاكنا وعرضها فعلى المديرين والمأمورين وأرباب الحل والعقد ، ملكيين وعسكريين ، وبالجملة كل من يقدم إليهم هذا الفرمان ، أن يعنوا بأمره ، ويهتموا بأداء الخدمات التى يروم منهم قضاءها ، حتى لاترفع إلينا منه شكوى فيما بعد .

«ونوصيكم بعمل مايلزم كى لا يلحقه حيف ، أو يوجّه إليه شتم من الفلاحين أو غيرهم ، وأن تبادروا بموافاته بكل ما يحتاج إليه ، وألا يدفع ثمنا عنه إلا ما يطابق السعر الجارى فى البلاد ، وذلك فيما يختص بأجر ركوب الدواب والمراكب وثمن الأغذية .. الخ . وإنى اعتبر أن الخدمات التى ستؤدونها إليه كأنها أُدّيت إلينا بالذات» .

وكان الأجانب إن رفعت مراكبهم فى النيل أعلام دولهم ، ويضمنون سلامتهم واحترام الفلاحين لهم ، خاصة إن كان العلم هو العلم البريطانى ، وهو الذى كان يستخدمه من هم من غير انجلترا طلبا للمزيد من الطمأنينة ! وكانت الشرطة المصرية إن ضبطت أوربيا متلبسا بانتهاك حرمة امرأة مسلمة ، تطلق سراحه غالبا دون عقوبة . ويضيف نيرقال قوله إنه بوجه عام ، «لايستطيع أحد فى القاهرة ـ غير الأتراك ـ مقاومة الافرنج ، وأن كل أوربى لا ينتمى إلى طبقة الصناع و التجار يعتبر فى مصر شخصية كبيرة» .

## ● تأثيرهم فى المصريين

وقد كان لوجود الأوربيين فى مصر أثره فى



بعض عادات المصريين وأخلاقهم فى عصر محمد علىّ ، خاصة الأغنياء منهم .

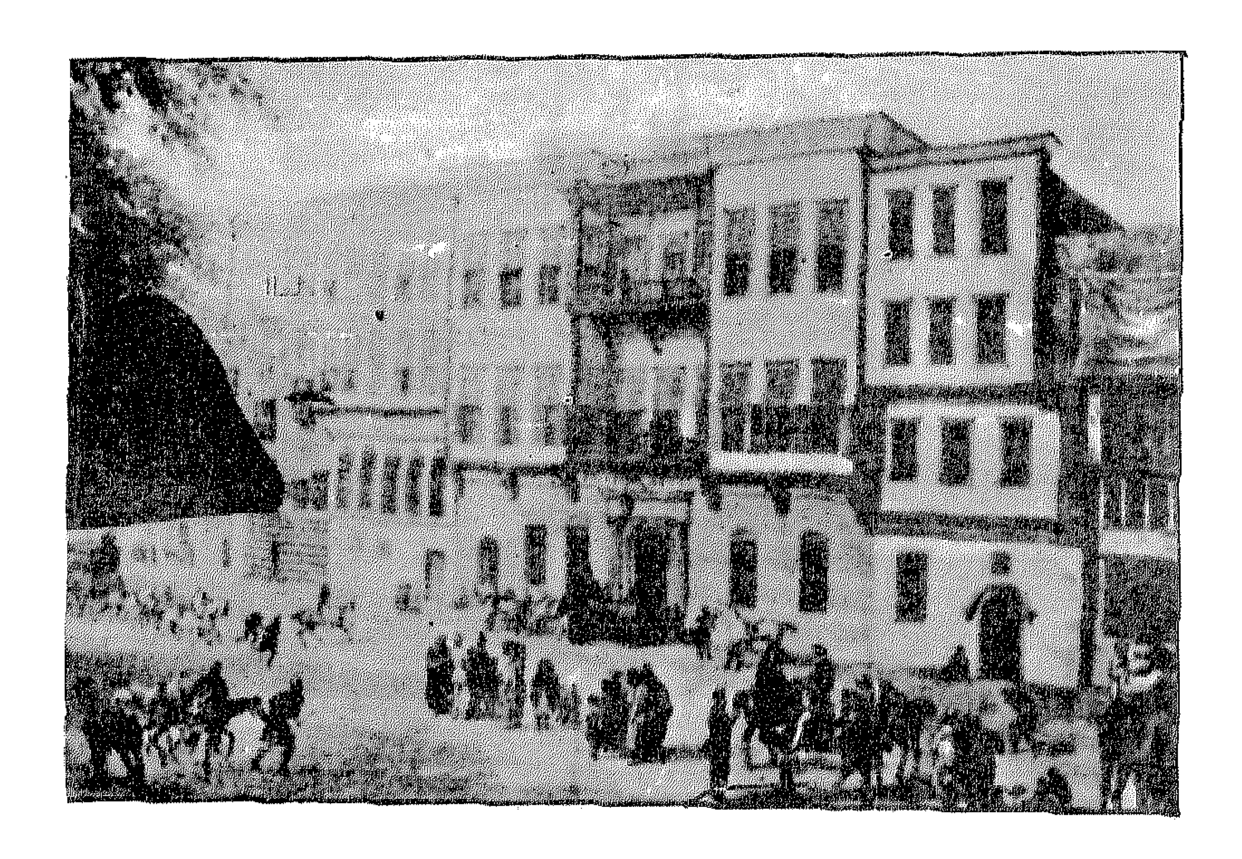
فقد حرص أغنياء المصريين على استيراد فاخر الأثاث لقصورهم من الدول الأوربية ، من المرايا والثريات وساعات الحائط ، الى آخره . وقد شغفوا بهذه الساعات شغفا شديدا حتى كان البعض منهم يعلق فى الحجرة الواحدة ساعتين أو ثلاثا ! وقلدّوا الأوربيين فى طريقة تناولهم للطعام ، فاقتنوا صحافا كصحافهم ، واستعملوا الشوك والسكاكين والكئوس . غير أنهم كانوا كثيرا ما يخلطون فيتناولون الحساء فى صحاف الحلوى ، ويشربون النبيذ فى أقداح الشمبانيا ، وقد يتناولون قطعة اللحم بأصابعهم ثم يغرسون الشوكة فيها ويرفعونها الى أفواههم . وإن أقيمت مأدبة على النمط الأوربى ومرّ الخادم على المدعوين بطبق الطعام ليغرفوا لأنفسهم منه ، تناول المدعو الطبق من يد الخادم ووضعه أمامه ظانا أنه بأكمله له ! وقد كانوا قبل اتصالهم بالأوربيين لا يعرفون غير الماء شرابا عند تناول الطعام فإذا هم الآن وقد نقلوا عن الأوربيين عادة شرب النبيذ وغيره من المسكرات ، وإن كان إقبالهم عليها فى غير اعتدال ، لايلتمسون فيها نشاطا أو فائدة ، وإنما يلتسمون فقدان الوعى . يقول كلوت بك . «ذلك ان الشرقيين لا يأخذون فى الغالب من اخلاقنا وعاداتنا كلما اختلطوا بنا سوى ما كان منها سيء العاقبة ، بعيدا عن الصواب» .

أما عن الملابس فلم يطرأ تغيير كبير عليها فى عهد محمد على ، اللهم إلا فى الجيش حيث بدأوا بحذف العمامة من ملابس الجنود بعد تنظيم الجيش عام ١٨٢٣ ، وتبعوها بحذف الأكمام الواسعة التى تحدّ من الحركة . وكان إبراهيم باشا أول من استبدل الطربوش بالعمامة ، فلم يلبث جنده وغيرهم أن قلدوه ، ولبس محمد على نفسه ملابس الجند التى نقلها عن ألبانيا . وكان اختيار الطربوش دون القبعة يسبب كراهية المسلمين للبس الأخيرة واعتباره بمثابة الكفر . وأما عن النساء فقد قصّرن الأكمام فأصبحت تنتهى عن المعصمين ، وأغفلن الجبّة فأضحى ارتداؤها مقصورا على المسنّات وشاع استعمال الجوارب بين نساء الأغنياء . وقد تركن العمامة الكبيرة المرصّعة بالجواهر ، وكذا الملابس المزركشة بالذهب ، وحل محلها نسيج حرير الموصلين البسيط .

وقد كان للحية دوما احترام عظيم عند المسلمين وغيرهم من الشرقيين باعتبارها رمزا للرجولة والقوة . وكانوا يرمون من لاشارب له ولا لحية بأقبح الصفات ، فإن أقسموا بهما كان القسم يمينا لاحنث فيه . غير أن «محمد على» أمر بحلق لحى الضباط والجنود ، فإذا بعادة حلقها تنتقل إلى الاعيان خاصة عندما بداوا يرتدون الثياب على طراز الزىّ العسكرى سواء كانت لهم مناصب فى الجيش أو لم تكن .

وعندما علم محمد على أن لكل فرقة بالجيوش الأوربية جوقة موسيقية خاصة بها ، وأحب الا تكون حكومته دون حكومات الغرب فى هذا الصدد ، استدعى إلى مصر طائفة من الموسيقيين الفرنسيين أنشأوا معهدا للموسيقى لتعليم مائتين من جنود الجيش المصرى العزف على الآلات الأوربية الحانا عسكرية وغناء الاناشيد الأوربية ! يقول كلوت بك : «إنه بالرغم من انه كان المفروض أن أسر بسماع أنغامنا العسكرية وأنا شيدنا الوطنية فى البلد الذى سار فيه ابطالنا قبل ثلاثين عاما ، لم أشعر قط بمثل ذلك الاغتباط لاستعارة المصريين لها منّا ، ونقلهم إياها عنا دون تحوير . فموسيقانا لا تؤثر بالمرة فى المصريين ، حتى أن نشيد المارسيلييز الذى يعرفونه ويميزونه عن غيره من الاناشيد الفرنسية ويسمّونه

محمد على يتفرج على مذبحة المماليك بالقلعة ويستمتع فى نفس الوقت بانفاس النرجيلة .



حديقة الازبكية «عندما كانت حديقة» ويطل عليها فندق شبرد البريطانى «هكذا كان اسمه»

بانشودة بونابرته ، لا يهز وترا واحدا فى قلوبهم ، ولا تنشرح لـه صدورهم .. وبالتالى فإن مطالبة المصريين باستعمال آلاتنا الموسيقية والتغنى بأناشيدنا الأوربية لا تحقق الغرض المطلوب من الموسيقى العسكرية ، وهو إثارة النشاط والحماس فى الجند ولاشك فى أن الموسيقى لغة ، وإرغام المصريين على سماع موسيقانا تُعزف على آلات لم يألفوها ، وهو كإرغام امرىء على حفظ عبارات فصيحة فخمة بلغة لايفهمها .. وعلى هذا فالمصريون الذين يغمى عليهم سرورا إذا سمعوا الأغانى المصرية المملة ، لايشعرون لدى سماعهم اغانينا إلا بالملل وانحراف المزاج وإذا كان من الآلات الأوربية ما يلتذون بسماعه وتبهجهم رؤيته فهو الطبل الكبير ! .. وقد كان الأحرى والأفيد أن يستدعى إلى مصر فنانون اوربيون قادرون على فهم كنه الموسيقى المصرية وعبقريتها ، ليطوّروها ويجعلوا منها موسيقى خاصة يكون للآلات الوطنية نصيب فى عزفها» .

ومع ذلك فقد ظل التاثير الأوربى فى عادات المصريين ومفاهيمهم محدود النطاق ، وظلت الغالبية على اعتزازها بتقاليدها بل وعلى اعتقادها بتفوقها على تقاليد الفرنجة . وقد نقل لنا چيراردى نيرفال حوارا شائقا دار بينه وبين احد المصريين حول المرأة يعكس مثلا لهذا الاعتزاز :

قال المصرى : إن نساءكم الروميات (الاوربيات) هن للناس جميعا ولسْن لكم وحدكم . فتلك المخلوقات الحمقى يكشفن وجوههن كاملة لا لمن يريد رؤيتها فحسب ، بل وحتى لمن لا يريد رؤيتها . لقد رأيت بعضهن فى الطريق يتنظرن إلىّ فى شغف ، بل ودفع الفجور إحداهن إلى محاولة تقبيلى ! وَلَيْتَهُن كن ممن يسرّ المؤمن أن يسمح لهن بتقبيل يده ! ولكنهن «زراعة شتوية» لا لون لها ولا طعم . وجوه مريضة وأبدان جائعة بوسعى أن أحتوى جسد الواحدة منهن بين ذراعىّ ! أما من يتزوج من إحداهن فلن يعرف بيته غير الحرب والشقاء .. النساء عندنا يعشن معا فى جانب من المنزل والرجال فى جانب ، وهو السبيل الوحيد الى الهدوء والراحة . أما نساؤكم فيعشن مع الرجال فى مكان واحد .

قال نيرفال : ولكن ألا تعيشون مع نسائكم فى الحريم ؟

صاح الرجل : ياقوة الله ! من ذا الذى لاتحطم ثرثرتهن راسه إن هو أقام معهن رجالنا يقضون أوقات فراغهم فى النزهة او الحمام أو المقهى أو المسجد أو فى الزيارات والاستماع إلى القصص والأشعار ، أو فى التدخين بصحبة الأصدقاء وكل هذا ادعى للتسلية من الحديث مع النساء اللاتى لا يشغلهن إلا الأمور السخيفة كالزينة والقيل والقال

قال نيرفال : ومع ذلك فانتهم تحتملونهن فى أوقات الوجبات ..

ردّ المصرى : لا ياسيدى نحن ناكل إما بمفردنا او مع أصدقائنا .. صحيح ان بعض الرجال ياكلون مع نسائهم ، غير أن الناس لا يقرّونهم على مسلكهم هذا ، كما ان شخصيتهم تتسم بالرخاوة ولاجدوى من حياتهم .. فالأحرى إذن أن يبقى ابناء كل جنس مع من يشاكلهم ..

قصة قصيرة

# كل تلك الفصول

بقلم : سعيد الكفراوى

فيما بين الظلمة والفجر ، تدرج النسوة صاعدات الى سطوح الدور ينشرن طرحهن السوداء فى الريح ، وينظرن من خلالها فتبدو الدنيا مكتسية بسواد الطرح الخافقة .

كانت تقرع الكفوف النحاس فيتردد صدى الطرق على الابواب :

« ولدى يموت ، وينتزع كبدى .. افتحوا الدور » .

هبطت النسوة الدرج .. كن حاسرات الرؤوس ، يضربن صدورهن باياد كالمخالب .. ويغصن فى ليل كالعمى ، وعلى السطوح لا تزال تضرب الريح الطرح المنشورة .

« يا الهى القدوس ، هذه ليست صرخة لكنه الوجع » .

انزاحت حملان الصوف المبتلة بالعرق ، وانتزعت الصرخة الاجساد من مراقدها .

« ادفعوا الموت عن ولدى » .

بدا اول النهار على ارض المجاز ، الذى يفصل الدار عن سياجها ، نعش من خشب اصفر باربعة اذرع وظل ، ومصباح صفيح كتميمة قديمة يستقر فى نهشة بجدار الطين . من بطن النعش تفوح رائحة شيح قديم .. وعطر رخيص باذخ ، وذكرى لموتى راحلين .

« ولدى » .

ولم تذرف دمعة .

قبضت بيدها على خناق جلبابها ودارت فى البيت براس مشعث ، وكف مفرود وهى تصرخ :

« آه » ..

شلشلت بطرحتها ، وتحركت ناحية النعش فزحف خيالها حتى استقر فوق الكسوة الدرير . طفقت تصرخ بلا دمع فى وداع ابن الثلاثين .

بعد تجهيز الجسد للدفن بمراسيم الشريعة .. استند ضرير للجدار وتلى الآيات بصوت كسول .

« ولدى » ..

دقت صدرها بقبضة الذئبة الثكلى . صاح احد الرجال :

« اكرام الميت دفنه ، والدنيا هذا النهار حارة » .

توقف قارىء المعتب عن اهتزازه ، وانبجس ضوء الشمس خيوطا .

البست النعش طربوش ابنها المفارق . سوت زره بيدها وابتسمت . احاطت الطربوش بلاسة

# كل تلك الفصول

وضعتها فى مقـــدمة النعش •

سكنت لحظة مطاطئة الراس فوق الكسوة ، ثم رفعت عينيها للجمع وحدقت فيه ، حيث كان يتوزع نفر قليلون بجـوار السور وعلى ارض المجاز وبجـانب النخـلة ، وصاحت فيهم :

« ولـــدى ازفـــه للموت » •

انطلقت زغرودة ..

جلجلت كالجرس •

انتبهت المشيعين الذين اخـذتهم المفــاجاة ، وتمتموا آسفين •

« ابنى الوحيد الذى من صلبى ، يذهب حيث ابوه » •

واطلقت اخـرى :

« جلت المراة » •

قالها رجل فى عبه ، ومسح دمعته الساقطة •

عادت بعد ان وارت وحيدها التراب ، فى ذيلها نسوة البلـد ..

كانت صامتة ، مزمومة الشفتين تنظر الى الافق البعيد حيث البراح على الارض البور المتوحدة فى ذلك الزمن البعيد •

وقفت امام بابهـــا وشدت جسـدها الفارع ونظرت حفنة الدور .. بيوت عشرة • بيت على التـــرعة وخمسة فى الجـــوار ، وثلاثة فى حضن بعضها البعض ، ثم بيتهـــا بالقرب من المسجد الصـــغير • فيما تبـــدو ســاقية بقـواديس من فخـــار موروثة ، وعلى البعد تلوح اخصاص تصـفر بقشها الريح البدائية ، ومن خلفها يطل شاهد قبر ابنها الواحد •

دخلت دارها واغلقت الباب •

مرت من الاعـــوام عشرون ، وهى مسجونة بارادتها ، خدمتهااختها كل تلك السنين ، تذهب اليها مرة فى الصباح، ومـرة فى المســـاء ، فتطعمهـا وتسقيهـا ثم ترد عليها بابها •

فى العشرين سـنة الاولى تمادى النيـــل فى الزيادة ، كان ذلك فى شـــهر صفر الذى يوافق شــــهر مسرى القبطى وظل يفيض حتى ثـالث ايـام النسىء ، فاختفى الزرع وبـدت البلد كقوارب عائمة •

وهبت فيها ريح القبول فسد طلع النخيـل .. وكسفت الشمس مرة • واختنق القمـــر مرتين وذلك لإختلاط البروج • وحوطت الدور الجديدة الدور العشرة القديمة• وشق طريق يصل البلد بالمـــركز وســـمع دق اجــــراس فى مدرسة اقيمت على عجـــل .. واختير للبلـــد عمــدة وشيخ للغفر ومأذون • وسار على السكة اول طالب علم •

وعندما ودعت اختها الدنيا ، ومع آخر لقفة نفس امسكت بيد بنتهـا وهمست لها « وصيتى خالتك » خدمتهـا بنت الاخت من الســـنين عشرين • فكانت تزورها مع الغروب حيث تخطو متلفعة بطرحتها بجــانب الجدران كشبح •

فى العشرين الثانية وقعـــت بالكفــر اول جريمة ثار ، واعتـدى اخ على اختـه فقطعوه بالبلط وراح دمه ، وولد طفـــلان من سـفاح ، وعمت الدودة الغيطان، وسرحت عـلى الاوراق وعلى شطوط التـرع ، وزحفت حتى باحـــات الـــدور ، لــدرجة ان الخلائق كانت تجـدها لابدة فى المراتب وعلى المخدات وداخـــل فرش المنام ، ولما ضاقوا بها اســـتعملوا الســـموم



فبادت طيور كانت موجودة فى الكفر منذ الازل ، وشرع فى بناء المسجد الجامع بقبة ، وخلاوى عشرة ، وحمام وطلمبة بعجلة من حديد وصهريج على السطح ، ولما تم البناء توفى العارف بالله الشيخ « ايوب » ، ولما ظهرت له كرامات خارقة ، ومعجزات تحير الالباب دفن تحت القبة داخل ضريح مزدان بالنقوش .. وصار الجامع مزارا ، وامتد على شاطىء النهر شريط لقطار اسموه الفرنساوى .. والذى كان يطلق صفارة فى المساء وصفارة فى الصباح ، وتسورت البلد بالشجر وبدت الارض فى ذلك الزمن مضيافة وطيبة القلب .

وكنت قد تجاوزت العشرين ، احلم دون الترابى بالمستحيل ، واعشق الخرافة ، والحكايا القديمة وارغب فى الولوج خلال الابواب المغلقة ، بابا بعد باب ، واحاول بكل الصدق التعرف على الحقائق البسيطة المدهشة .

وكانت تاسرنى حكاية السيدة التى بلغت التسعين من العمر ، والتى كانت تمت الى بقرابة من بعيد ، والتى حاولت ان اطرق بابها مرة فحذرنى شيخ المسجد وقال « اياك المراة مخاوية » ولاننى تخلصت من الخوف بالمعرفة سخرت من الرجل وعزمت على ان انتهك وحدة العجوز مهما كلفنى الامر .. وعندما قابلتنى بنت بنت اختها سالتها : « ما اخبرها ؟ » فنظرت ناحيتى بنظرة عدائية وتجنبت طريقى ، وفى مرة ثانية قلت لها : « خذينى معك » . ولما ردت على « الى اين ؟ »

# كل تلك الفصول

قلت لها : « عند العجوز » • دفعتني في صدري وقالت لي : « لا تحاول وحاذر » • ولما انصرفت من امامي ووصلت الى الباب •• نظرت ناحيتي ، فهرولت تجاهها لكنها اغلقت في وجهي باب الدار •

ولما كنت مغرما من صغري بتسلق النخيل، لذا تسلقت نخلتها المائلة من فوق السور ، حيث هبطت على سطح دارها • بيت نصفسقفه من السعف ، تقشر كله وضربت الرطوبة جوانبه • رايت على السطح صومعة للغلال، وحماما لا يطير ، وارانب انفلتت مختبئة تحت الخيش وصف الطوب المركون للجدار شعرت برجفة ، فالى اين يقود هذا السلم الهابط ؟

فتحت باب السطح ونزلت الدرج ينتفض قلبي • كان اول ما احسست به رائحة شيح •• ثم هبت نسمة رطبة وانا اهبط الدرجات •

فجاة توقفت عندما شاهدت ضفيرتين مجدولتين من شعر الشعث ابيض ، وراس غاف على اول درج السلم • همست « هي » احسست بي فانتبهت وحركت جسدها فيما يستقر على صدرها صندوق من خشب تحتضنه كفاها في اصرار • تحرك الراس تجاهي فرايت الوجه وقد كسته التجاعيد ، تبرق العينان ببريق لم تطفئه كل تلك السنين • قلت : « ازيك » فاطلقت نباحا ومدت يدها ناحيتي وكانها تدفعني بعيدا ، فذعرت وشعرت كانني مدفوع الى فراغ مخيف •• رجعت بظهري حتى النخلة التي اخذتني واسلمتني للارض •• تنشقت الهواء وعند مروري بالوسعاية تطلعت الى النسوة بشك وبشيء من الريبة •

بعد انقضاء ثلاث من السنين ، هبت ريح السموم من الغرب ، وعتمت الدنيا ثم اظلمت •• وهطلت امطار في غير اوانها . واهتزت الارض هزة خفيفة فسقطت دار من الدور العشرة الاول •

سمعت من يصرخ : « فتحت العجوز باب دارها » •

عبرت القنطرة عدوا ، ظهري لسبيل الماء المبني على شط الترعة •• تساءلت : « هل آن الاوان لاسبل عينيها واواسيها لحظة ان تحتضر ، انا الذيجئت بعدها بعد انقضاء هذه السنين » •

وكانوا لفرط دهشتهم قد راوا الباب يفتح من غير توقع ، وتهب من داخل الدار رائحة بخور ، وصندل محترقين ، ويسقط من منور السقف حصيرة من نور مفروشة على ارض مكنوسة ومرشوشة بماء خفيف •

وصلت واجف القلب ، كانت تقف بالبابكاملة على ظهرها سنيتها ، محلولة الشعر الذى كان يصل حتى فخذها، تطوحه ريح مواتية ، وكنت ارى في عينيها ذلك البريق الذى خوفني •• تحتضن صندوق الخشب المصدف • والمطعم بالعاج •• سمعتها تقلت صوتا كالنذير ، اتى الى عابرا العتبة : « آن الاوان » •• لم افهم واقتربت منها مستفهما « يا الهي لقد انقضى زمن طويل » قالت بصوت واضح: احضروا الشيخ

« رضوان » اللحاد » ·
قالوا لها :
« الشيخ « رضوان » مات » ·
قالت :
« احضروا ولده »·
قالوا :
« لحق بابيه » ·
قالت :
« وحفيده » ؟·
قالوا :
« هجر دفن الموتى »
ردت بلا انزعاج :
« ومن يوارى الموتى التراب بالكفر » ·
قالوا :
« اسماعيل زايد »·
قالت :
« احضروه ، حتى لو كان عظما فى قفة » ·
قبل ان تختفى داخل حجرتها ، نظرت ناحيتى وكانهـا تعـرفنى ، وسمعتها تتمتم « مثلى من سـلخ عمره من الزمن ، لا يمـوت الا عندما يريد » واختفت خلف باب حجرتها ·
اجتزت المجـان ، ووطات ظـلال العريشة المبرقشة بزهرات اللبلاب البنفسجى ، ورأيت قرب السور قطـا يغتسل بلسـان من ورد ·· حدجنى بنظرة خضراء وماء ناحيتى كاشفا عن مخلب وناب ·
عندمـا وصلت كانت مسجاة على ظهـرها ، وكنت قادرا فى الضوء الساقط من النافذة على رؤية آخر ومضة مـن عينيها وفى قلبى يهدر صوت « سـلام على الريح ، سـلام على التراب ، تلك امراة من ايام خلت » ·
سمعتها تقول « الولد ·· الولد ·· ابعـدوه عن النهر » ·
ادركت انهـا ارتدت لايامها الماضية ، وانها لا تزال تعيش امومتهـا الاولى ·
قالت لى : « انهـا سوف تذهب » فقلت لها « بدرى » فقالت « بدرى من عمـرك » وابتسمت عن اسنان من لبن ·· قلت « كانما لم يعـد شىء يفرحها ، ترحـل مدركة ان امتلاك العمر حلم مستحيل » ·
بدا الشيخ يتـلو بصوت ضمخه الحزن ، وبعـد ان انتهى لقنهـا دعوات عجلى وتنحى جانبا ·
اعطتنى الصندوق ، وقالت « هذا لك » ·· وغامت الحيـاة فى وجهها · تتبعت عيناها الشاحبتين خـط الموت الذى يشق الان طريقه، تدركه الحـواس بارث الفناء ، يخطو من فوق القنطرة الخشب ، التى يجرى من تحتها المـاء الى مستقر بعيـد ، طامسا آثار ابناء آوى المنطبعة فى وحل المراوى هناك حيث تجثم الجبانة التى انتثرت فى اعداد كثيرة ، تفصلها دروب مزروعة باشجار تتعـرى من اوراقها المصفرة ·
سكنت المراة القديمة فقلت : « ماتت » ·
تاملت الصندوق · له رتاج من فضة ، وعلى جوانبه فصوص العاج والصدف تنتثر تحـت زهرات ملونة ·· « من اين جاءت به ؟ » ·
فتحت الصـنـدوق واخرجت ما فيه ·
صابونة عرس ·· حق من رمال بيضـاء ·· خصلة من شعر اسود ·· مكحـلة من فضة مرودها على شكل نجمة المساء ·· صورة باهتة لولـد مبتسم ، عـلى راسه طربوش ·· ورقة مالية بمائة جنيـه ، خضراء ومشروخة مـن الوسط ، ملصقة بورقة شدت حوافيها وبان من تحتها القـدم ، على الورقة رسم المئذنة تسبح وسط الخضرة الباهتة، اسفل المئذنة تاريخ قديم وحرف لكتابة منتظمـة ·· وارقـام تشى بان الورقة ذات المـئذنة ضربت فى عهود مضت ، وانهـا لم تسـتبدل فى عهود تليت ، ومن ثـم توقف التعامل بهـا من زمان ، حيث كانت داخل ذلك الصندوق الـذى رافقها كل تلك الفصول ·

# الصالون القومى لعلى مختار

## ومحنة استكشاف نظرية الثورة

بقلم : عبد الرحمن شاكر

---

اذا كان قد قيل عن الزعيم الوطنى مصطفى كامل انه لم يعمل بالمحاماة بعد تخرجه فى كلية الحقوق لان « قضية » واحدة كانت تشغله وأعطاها عمره وهى قضية الوطنية فى مصر .. فان الطبيب المصرى الذى رحل عن عالمنا منذ أسابيع ، وهو الدكتور على مختار لم يكن يشتغل بالطب طيلة حياته لان « حالة » وحدة كانت تشغله وهى حالة الامة العربية الممزقة والمعتدى على حقوقها .. واذا كانت مصر قد عرفت عددا من « الصالونات » السياسية والادبية ، مثل صالون الاميرة «نازلى فاضل» الذى كان يشهده رجال مثل الشيخ محمد عبده ولطفى السيد وسعدزغلول ، وصالون « مى » الادبى الذى كان يضم العقاد والرافعى واسماعيل صبرى وسواهم ، فربما يكون (( الصالون القومى )) لعلى مختار واحدا من أهم تلك الصالونات وأكثرها عمقا وثراء فيما كان يدورداخله من مناقشات .. واليك القصة التى تكاد تشبه الاساطير عن هذا الصالون وصاحبه ، وهى قصة من شأنها أن تكشف الكثير من عناصر العلاقة المعقدة التى قامت ما بين ثورة ٢٣ يوليو ـ من حيث كونها ثورة وسلطة فى آن معا ـ وبين (( كوادرها )) الفنية والفكرية التى عملت فى ظلها وتعاونت معها .


علي مختار


على مختار اثناء حضوره المؤتمر الاقليمي للسكان

أول ما عرفت الدكتور علي مختار ، كان في منتصف الستينيات ، طبيبا شابا يناهز الثلاثين ، ويعمل في المؤسسة العامة للأدوية ، ووقتها تساءلت كيف يرضى هذا الطبيب الشاب ، البادي الذكاء ، والمتدفق نشاطا وحيوية بوظيفة « بيروقراطية » من هذا النوع ، ويترك وراءه مستقبلا عريضا من الجاه والثروة كان يمكن أن يوفره له اشتغاله بمهنته الاصلية؟ ثم عرفت الاجابة بعد ذلك ، وهي أن السبب كان هو الاختيار السياسي ، فلقد كان يعمل مساعدا رئيسيا في تلك المؤسسة لطبيب سياسي اخر هو الدكتور مصطفى السماع الذي كان يشغل منصب مدير عام التخطيط في مؤسسة الدواء، وقد تم «تسييس» هذا الاخير بسبب قرابته لاحد كبار الضباط في حركة ٢٣ يوليو ، وانتزع من موقعه كنائب لجراحة السرطان بالقصر العيني ـ يلتظره بدوره مستقبل باهر في عالم الطب ليشغل وظيفة مدير الادارة الطبية بمديرية التحرير ، مع اغرائه بانه سوف يجد في هذا العمل ما يرضي « ميوله » الاشتراكية ، حيث يمكنه أن يساهم ـ مع اشرافه على علاج المزارعين الجدد بتلك المديرية ـ في اقناعهم بمزايا انشاء المزارع التعاونية !

ثم اختير الدكتور السماع ليقوم بمهمة خطيرة من نوع مما قام به المهندس محمود يونس ، حينما وكل اليه امر تنفيذ قرار تأميم قناة السويس • وكل الى الدكتور مصطفى السماع تنفيذ قرار تأميم صناعة وتجارة الدواء في مصر ، وكان عليه أن يقوم في ليلة واحدة ، بوضع يده كممثل للدولة على مختلف المخازن

# الصالون القومى
# لعلى مختار

وأدوات الانتاج المحلى » قبل أن يقوم أصحابها ، ومعظمهم من المستوردين من الخارج ، بالتعاون مع الجهات الاجنبية فى تهريب شىء منهما • ولم يكن تأميم الدواء مجرد واحدة من الاجراءات الاشتراكية التى شملت عددا من السلع ووسائل انتاجها والتجارة فيها للغرض الاقتصادى من تلك الاجراءات فحسب ، ولا حتى بمجرد الهدف الانسانى فى توفير الدواء لجماهير الشعب بأسعار معقولة ، وانما كان الدواء سلعة استراتيجية ، قررت الدولة أن تضع يدها عليها خدمة لاهدافها العليا ، فقد كانت الحرب متوقعة ــ مع الدولة الصهيونية بصفة خاصة ــ والدواء ضرورة حيوية تزداد فى حالات الحروب ، مع طلبات المستشفيات العسكرية لعلاج الجرحى والمصابين فى ميادين القتال • كانت السيطرة على الدواء فى ظل هذا الوضع مهمة استراتيجية ذات أهمية كبرى •

وكان دور على مختار فى مؤسسة الادوية هو الاشراف على حركة مخازن الدواء والتحقق من صحة أرصدتها وسلامة اجراءاتها خروجا ودخولا ، مستخدما فى ذلك أحدث الاساليب التكنولوجية فى الادارة المحاسبة وهو الكومبيوتر ، الذى ساعده ذكاؤه ونشاطه الجم على سرعة اكتساب الخبرة به وبوسائل استخدامه ، حتى اصبح ــ الى جانب كونه طبيبا ــ واحدا من أوائل خبراء مناهج استخدام الكمبيوتر فى مصر !

ثم علمت بعد ذلك ان الدكتور على مختار وقع الاختيار عليه للتفرغ للعمل السياسى بأمانة الشئون العربية بالاتحاد الاشتراكى العربى • وقد سألته وقتذاك عن نوع العمل الذى يقوم به ، **فقال لى ان مهمته هى أن يقضى اطول وقت ممكن فى « النادى العربى » الذى كان يقصده الطلبة العرب فى الجامعات المصرية بقصد توعيتهم سياسيا ، وكسبهم الى صف مبادىء ثورة ٢٣ يوليو والاتحاد الاشتراكى •**

ولم تكن تلك مهمة سهلة بحال من الاحوال • فأحد الاهداف الرئيسية فى ذلك الحين ، للاتحاد الاشتراكى عامة وأمانة للشئون العربية خاصة ، كان العمل على تشكيل ما يعرف باسم « الحركة العربية الواحدة » أو الحزب السياسى العربى لثورة ٢٣ يوليو ، وخاصة فى تلك السنوات التى أعقبت انفصام الوحدة المصرية السورية ، وتحول حزب البعث العربى الاشتراكى خاصة فى سوريا ، من اعتبار جمال عبد الناصر الزعيم الحقيقى للحزب أيام الوحدة ومقدماتها » الى الهجوم على « **النظام المصرى** » وسياسته ومن المعروف انه رغم كون حزب البعث **كان يرفع شعار الاشتراكية** فان الانفصال قد وقع بعد قليل من اعلانه القرارات الاشتراكية فى « الجمهورية العربية المتحدة » حزب البعث قد اسهم فى هذا الانفصال الذى كانت وراءه مصالح الرأسمالية التجارية فى سوريا •

**كان على أمانة الشئون العربية** ، وممثليها فى صفوف الشباب العربى

ان يدافعوا عن « النظرية القومية » للاتحاد الاشتراكى العربى ولثورة ٢٣ يوليو باعتبارها نظرية مستقلة عن نظرية البعث ، وخاصة أن هذا الحزب الاخير كان يصور قضية القومية ، كما لو كانت مسألة عربية منبتة الصلة بالظروف التى تشكلت فيها المجتمعات العربية ، المعاصرة ، ونشأت معها روابط تاريخية مع « قوميات » أخرى ، فقد كان البعث يأخذ على ثورة يوليو حرصها على الروابط الاسلامية والافريقية طبقا لنظرية « عبد الناصر » فى فلسفة الثورة عن « الدوائر الثلاث » التى يشملها الالتزام السياسى المصرى .

غير ان المسألة النظرية الاكثر تعقيدا ، كانت هى قضية الاشتراكية وعلاقتها بالقومية . ولو يسكره فى وسع على مختار ، أن يكتفى بترديد كلمات الزعيم عبد الناصر ، او الميثاق مثلا ، مهما تكن قيمتها الفكرية أو السياسية ، للرد على التساؤلات التى يواجهها فى « صالونه الرسمى » بالنادى العربى . بل كان عليه أن يخوض بحور الفكر المتلاطمة والتى يتصل بها الشباب العربى المثقف الذى يحاوره فى هذا النادى . وكانت الماركسية هى أوسع تلك البحور وأكثرها عمقا ، خاصة والفكر الماركسى هو الذى يسيطر على مختلف التجارب الاشتراكية التى سبقت فى العالم التجربة المصرية أو العربية . وبالرغم من أن « الثورة » فى مصر قد وصلت الى ما يشبه الاتفاق مع بعض الرموز البارزة للفكر الماركسى فى مصر ، الذين قرروا فى عام ١٩٦٤ حل المنظمات الشيوعية والانضواء تحت لواء الاتحاد الاشتراكى فى السعى لتطبيق الاشتراكية فى المجتمع المصرى ، ونقل الثورة على أساسها الى مختلف المجتمعات العربية ، فان صراعا مكتوما ظل يدور داخل الاتحاد الاشتراكى وتنظيمه الطليعى ومختلف وسائل الاعلام : حول خصوصية الطريق المصرى أو العربى للاشتراكية ، أو خضوعه للصيغة التقليدية للقوانين العامة للحركة الاشتراكية فى العالم ، وحول ما اذا كانت صيغة تحالف قوى الشعب العاملة التى ارتضتها القوى الماركسية .التى قبلت حل المنظمات الشيوعية ، كافية لتحقيق الاشتراكية أم ينبغى دفعها فى اتجاه اقرب ما يكون الى ديكتاتورية البروليتاريا ؟ فى مواجهة اتجاه اخر ماركسى أيضا ولكنه اقل نفوذا كان يرى ان يكون اتجاه هذا التحالف نحو الديمقراطية السياسية الكاملة التى ان الاوان ان تتجه اليها جميع التجارب الاشتراكية فى العالم بعد أن اصبحت الاشتراكية نظاما عالميا لا تقوى القوى الامبريالية المعادية له على قهره او اقتلاعه . بل اصبحت ــ اى الاشتراكية ــ مستوى حضاريا تسعى للحاق به كثير من البلدان ــ وخاصة الحديثة الاستقلال والتحرر ــ دونها ارتباط مذهبى مسبق مع التجارب الماركسية ، وان مصر واحدة من ابرز تلك البلدان ، وتجربتها فى اتخاذ الاشتراكية اداة للتنمية القومية ، هى المرآة التى تعكس هذه الحقيقة بوضوح ، وهى اسهامها الخاص والمهم فى اثراء الفكر الاشتراكى العالمى

● خصومات كثيرة

كان على مختار واحدا ممن يميلون له الى هذا الاتجاه ويسعون الى تأصيله نظريا ، بما ينطوى عليه من تأكيد خصوصية الثورة العربية واتجاهها

# الصالون القومى لعلى مختار

نحو الاشتراكية • وفى هذا المجال كان عليه ان يواجه خصومات كثيرة ،منها أصحاب الجمود المذهبى من الماركسيين الذى كانوا يرون فى هذا اللون من ـ التفكير المستقل ضربا فى الهرطقة والردة ، ، وفى الوقت الذى كان فيه بعضهم يعطى للسلطة الوجه الذى تريد يضمن الاستحقاق الكامل بكل ما يقال عن خصوصية التجربة المصرية أو العربية فى الاشتراكية ! ذلك فضلا عن خصوم الاشتراكية ذاتها داخل حزب السلطة وأجهزتها ممن كانوا بدورهم يداورونها ويسعون الى افقاد التجربة كل ما يؤكد جديتها وصدقها فى تحقيق الاشتراكية •

وقع على مختار بين الفريقين وربما تحالفهما ضده فى سعيه لاستكشاف نظرية حقيقية للثورة •والقى القبض عليه حقيقة لقد لحق عملمشابه ببعض العناصر الماركسية التى تعمل فى الاتحاد الاشتراكى ومختلف أماناته منها أمانة معهد الدراسات الاشتراكية به ، وكانت تهمة الجميع هى العمل على ترويج « مبادىء مستوردة » داخل الاتحاد الاشتراكى وأجهزته ، الا أنه لوصحت هذه التهمة على أحد كان سياسيا قبل الثورة ، أو منضما الى احدى التنظيمات اليسارية ، فقد كان من المدهش تماما توجيهها الى على مختار ، وهو من كان فتى فى السابعة عشرة من عمره حينما قامت الثورة فى عام ١٩٥٢ ، ولم يعرف من التنظيمات السياسية غير الاتحاد الاشتراكى وأجهزته ! فضلا عن ان الفكر الذى كان « يروجه » انما كان يصدر أساسا من المنطق القومى •

كانت هذه الحادثة ـ القبض على « على مختار » من اول الحوادث على خطورة فقدان الديمقراطية حتى داخل الحزب الحاكم ذاته من ناحية ، ومن ناحية اخرى على الخواء السياسى الذى مثله ان حزب الثورة قد تم تشكيله ، ومحاولة صياغة اهدافه ونظريته وهى قد تحولت ـ اى الثورة ـ الى سلطة •

## • فى عالم الكتب

كان من الطبيعى ان تنقطع صلة على مختار بالاتحاد الاشتراكى بعد القبض عليه ، بل اصبحت عودته متعذرة الى عمله الاصلى فى مؤسسة الادوية، وكان ان التقطته دار المعارف بصفته خبيرا فىالكومبيوتر ـ كما تقدم ـ والحقته بها لكى يشرف على تنظيم حركة مخازنها بهذا الاسلوب التكنولوجى المستحدث • وفى هذا العمل انفتح امام على مختار عالم الكتب بأوسع ابوابه المحلية والعالمية ، واصبح عليما بمختلف ما تصدره دور النشر فى العالم من مطبوعات فى مختلف ميادين الفكر والمعرفة •

ولم يتوقف على مختار على نشاطه الفكرى والسياسى ، باغلاق « صالونه الرسمى » التابع للاتحاد الاشتراكى، وانما نقل الصالون القومى الى بيته• وقد ساعده على ذلك زواجه من سيدة لبنانية الاصل ، هى المخرجة السينمائية المعروفة نبيهه لطفى • اصبحت « العروبة » حالة يعيشها على مختار فى بيته المفتوح

دائما فى سخاء ومودة نادرين لجميع القاصدين من ارجاء الوطن العربى والمهتمين بشئونه وقضاياه .

واتخذ علي مختار قرارا جريئا ، اذ استقال من وظيفته المرموقة فى دار المعارف ، واتفق مع المرحوم الدكتور عبد الوهاب الكيالى على افتتاح فرع فى القاهرة للمؤسسة العربية للدراسات والنشر ، يديره على مختار من مكتبه الخاص . وكان ان تحول هذا المكتب الى جزء متمم للصالون القومى يقصده مختلف المهتمين بقضايا الوطن العربى من مختلف الاتجاهات . ولم يعد الزاد الذى يمدهم به على مختار مقصورا على ما يدور فيما بينهم من مناقشات ، بل بسط امامهم موائد لا حصر لها من عالم الفكر ، بالكتب التى كان يستوردها ويدل كل واحد منهم فيما يخصه او يهمه على كل جديد نافع فيها ، مستخدما فى ذلك صلاته الواسعة بعالم الكتب قديما وحديثا !

لقد حقق على مختار داخل صالونه القومى فى بيته ومكتبه على السواء اكبر قدر من الحوار الديمقراطى الذى افتقده ، بل لحقه النكال بسببه فى الاتحاد الاشتراكى ، وكان ذلك ولايزال احوج ما تحتاجه الامة العربية من اجل الوحدة والنهوض والتحرر .

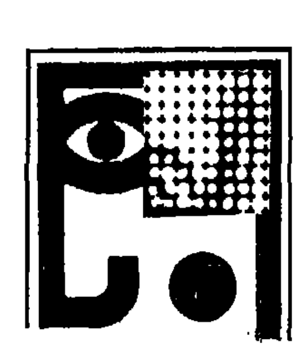
على ان على مختار لم يكن مجرد منظم للحوار القومى فى صالونه ، بل فى طليعة المساهمين فيه بأبحاثه المتعددة ، المنشورة بمختلف اللغات كما ذكرت الدكتورة سهير لطفى فى كلمتها عنه للاهالى ، وفى المحاضرات التى كان يلقيها فى مصر او الخارج، والمؤتمرات الدولية والعربية التى كان يحضرها ، ومنها المجلس الوطنى الفلسطينى الذى كان يدعى اليه دائما كان يرتاد فى ابحاثه كل ما يتصل بقضايا الامة والقومية ، وتعريفاتها المختلفة ، والايديولوجية والتنمية ، وانماط الانتاج وعلاقتها بالاوضاع القومية ، وهلم جرا . مما يدخل فى دائرة الهموم النظرية التى حملها معه منذ كان يعمل على انشاء حزب عربى للثورة المصرية !

ولقد وطأ الدكتور على مختار مكتبه للاتجاه القومى داخل حزب التجمع ، الذى كان عضوا بلجنته المركزية ، ذلك الاتجاه الذى يتزعمه الدكتور احمد خلف الله ، واسهم معه فى اصدار مجلة « اليقظة العربية » ، بل فرغ ابنته منى على مختار بعد تخرجها فى الجامعة للعمل فى الشئون الادارية لتلك المجلة !

ولم تمنعه مشاغله السياسية والفكرية والعملية من ان يبذل اقصى الجهد فى خدمة اصدقائه وجلهم من المفكرين العرب ، على نحو ما صوره الاستاذ رجاء النقاش فى مجلة المصور كانت حيويته الدافقة ومروءته النادرة تجعلانه يحمل هموم هذه الامة قدر ما يستطيع .. امة وافرادا ! كان بدوره « امة واحدة » على حد تعبير القدماء فى العمل من اجل مستقبل افضل للامة العربية .

فى الرابع عشر من مايو الماضى ، انطفأت الشعلة المتوهجة من الفكر والنشاط الجم التى تجسدت فى على مختار . قضى عن اثنين وخمسين عاما امضاها على هذه الدنيا . ولكن الجذوة التى اشعلها فى قلب كل من عرفه او اتصل به اكبر من ان تنطفيء!

قضايا ومواقف



# رحلة المدرسة المصرية نحو الهاوية..

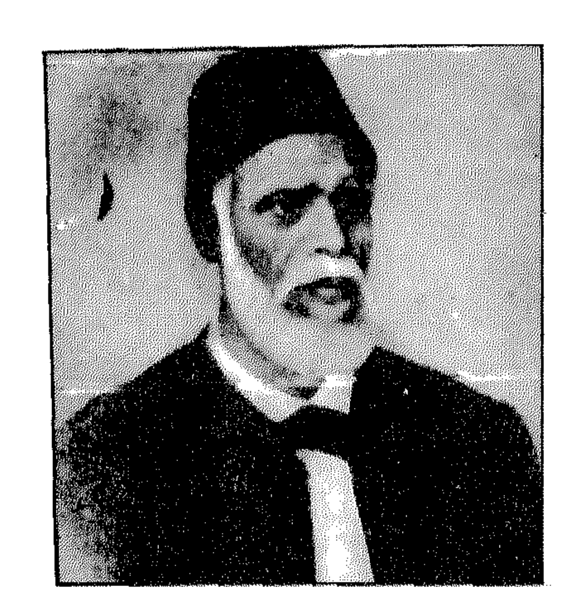
بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

**تأخرنا طويلا فى إدراك الخطر القادم ، عاتيا ومدمرا ، مع انهيار مؤسساتنا التربوية ، وهو أمر بدهى ، فالناس تشغلهم أولا لقمة العيش ، والسقف ، والملبس ، وبعدها ينتبهون إلى التعليم والثقافة وشئون الفكر.**

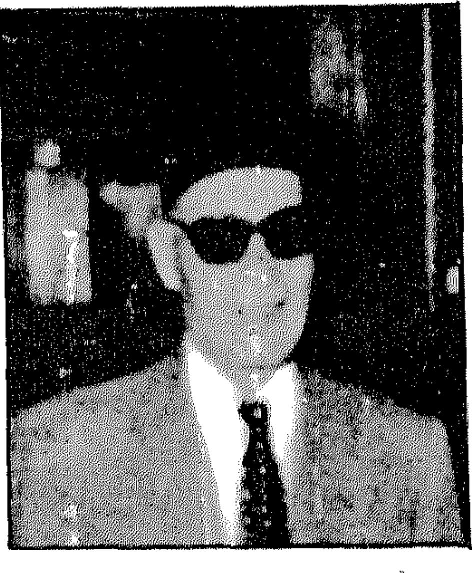
**وحين ينتبهون إلى هذه الأمور المعنوية ، بمثل هذا الإحساس القلق الذى نعيشه الآن ، فإن ذلك يعنى أن الأمر بلغ مرحلة من السوء السكوت عندها جريمة ، والهروب من مواجهتها خيانة ، ولابد من كلمة تقال عالية وصريحة وبلا نفاق أو مجاملة .**

إن الطبيب الواعى لايقف عند حاضر المريض ، وإنما يتجاوز حاضره إلى الماضى ، يحاول أن يقع على أسباب المرض البعيدة ، ويجتث الداء من أصله ، لأن مجرد التخفيف من الألم لايشفى المريض ، ولايهبه العافية مادام مصدر الداء قائما .

فى منتصف القرن الماضى أدركت مصر جيدا أن القوة العسكرية لاتكفى وحدها ، ولا أهمية لها مالم يدعمها العلم



علي مبارك



د . طه حسين

والفكر ، فبدأت تتجه نحو التعليم ، تنشىء المدارس وتعنى بها ، طلابا وبناء وكتابا ومعلمين ، وكانت القاعدة الذهبية التى وضعها أبو التعليم المصرى الحديث على مبارك : مدرسة واحدة لكل المصريين ، مسلمين وأقباطا ، أغنياء وفقراء ، وهى قاعدة كافحت مصر طويلا لتجعل منها واقعا ، واحتاجت إلى قرن كامل من الزمان ، ثم تراجعت عنها القهقرى مع عصر الانفتاح .

وإذا استثنينا مدارس الجاليات الأجنبية ، وكانت عديدة وقامت لأبنائها ، ولم يكن معترفا بشهاداتها ، ولايتجه إليها أحد من المصريين ، فإن مدارس الدولة كانت تمثل مستوى عاليا فى الأداء من شتى جوانبه ، ومطمحا للنابهين والنبغاء وأبناء الأغنياء .

## ● كتب لخيرة التربويين

كان مدرسوها فى غالبيتهم ينتسبون إلى معهدين جليلين : دار العلوم والمعلمين العليا ، ولا ثالث لهما فى غير المواد الفنية من رسم وموسيقى وتربية رياضية .

وكانت الكتب من تأليف خيرة التربويين فى المرحلة الأولى ، وفى المدارس الثانوية من تأليف مفكرين فى مستوى طه حسين وأحمد أمين ومحمد عوض وعلى الجارم وأحمد ضيف وعبدالعزيز البشرى ومحمد مهدى علام ، وآخرين ، وإلى جانبهم خيرة كتب التراث كالبخلاء للجاحظ ، والمكافأة لابن الداية ، ومختار الصحاح ، والمصباح المنير ، والمنتخب من أدب العرب ، وغيرها .

ويبدأ اليوم المدرسى مع مطلع النهار وينتهى مع أصيله .

وتتخلله أوقات مخصصة للمهارات العملية واليدوية ، من زراعة ونجارة وميكانيكا ، أو النشاط الفنى من رسم وموسيقى ، أو رياضة ، وكل مايخطر على البال .

وكانت الاجازة الصيفية شهرين

## رحلة المدرسة المصرية نحو الهاوية ..

لايزيدان يوما واحدا ، وموعد البدء ثابت لايتأخر ويوم النهاية مقرر لايتقدم .

وإلى جوار المدارس الحكومية ، وتكفى كل الراغبين ، تقوم المدارس الحرة ، تتلقى الذين تردهم مدارس الدولة أو تلفظهم ، لعدم توافر الشروط المقررة ، من كبر السن أو سوء الاخلاق أو تعدد الرسوب ، وتتقاضى منهم ماتشاء من رسوم ، وفيها تتجلى التجارة واضحة ، فهى تقتصد فيما تقدم من خدمات ، وتبالغ فيما تأخذ من رسوم ، فالأمكنة سيئة ومرتبات المدرسين منخفضة ، وحين قررت وزارة المعارف أن تعينها بالمساهمة فى دفع جانب من مرتبات هؤلاء المدرسين كانت تشاركهم فيها بدل أن تزيد عليها .

### ● تحرير المعلمين فى المدارس

وهكذا نشأت مشكلة مدرسى التعليم الحر ، وقامت روابطهم تدافع عنهم ، وحين تولى أحمد نجيب الهلالى الوزارة فى وزارة الوفد ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥ ، وهو أول وزير عظيم لها بعد على مبارك ، أصدر قراره بضم كل مدرسى التعليم الحر الى الوزارة ، واعتبارهم عاملين بها ، ويتقاضون منها نفس مرتبات زملائهم ، وعليهم تجرى نفس الترقيات ، على أن يعتبروا منتدبين فى المدارس الحرة التى يعملون بها .

كانت هذه الخطوة ثورة فى سبيل تحرير المعلمين فى المدارس الحرة ، وترقية التعليم بها .

وحين جاءت وزارة الوفد عام ١٩٥٠ بالدكتور طه حسين وزيرا للمعارف كان ذلك دليلا واضحا على أنها تولى قضية التعليم أهمية كبرى ، ولم يكن ذلك أمرا سهلا ، فقد عارض الملك طويلا فى اختيار طه حسين وزيرا ، رغم أنه قضى شبابه كاتب القصر ، وأن سياسته بعد الوزارة اتسمت بملاينة الملك وملاطفته ، فأطلق اسم جده ابراهيم الكبير على الجامعة التى أنشأها ، والتى تحمل الآن اسم جامعة عين شمس ، ولكن الملك لم يكن يخاف طه حسين شخصا ، وإنما يرهبه فكرا ، وكان ذلك صوابا الى حد بعيد .

اتسمت سياسة طه حسين بالثورية فى كل مجالات التعليم ، جعل التعليم الثانوى مجانا ، بعد أن جعلت وزارة الوفد السابقة التعليم الابتدائى كذلك ، وعمم التعليم الالزامى ، وذهب به إلى أصغر القرى وأبعدها ، ونهى أن يمنع طالب جامعى من دخول الامتحان لأنه لم يدفع المصروفات فأصبح مجانيا فى واقعه .

ووجدت سياسته دعما من حكومة الوفد بلا حدود ، فلم تبخل عليه بالمال والتأييد

### ● توسع على حساب المستوى

وأدرك طه حسين ، أستاذا عظيما ، أن المعلم هو الأساس ، فرفع من شأن المعلمين ماديا ، وسبق بهم غيرهم فى الترقيات ، وبدأ العاملون فى الوزارات الأخرى يتجهون إلى وزارة المعارف ، ونقل الدرجات الكبرى من ديوان الوزارة إلى المدارس نفسها ، فكان نظار المدارس الثانوية الكبرى فى درجة مدير عام ، وهى

الدرجة التى كان يعين عليها المديرون والمحافظون ، وأفرغ ديوان الوزارة منها ، وكان مدير مكتبه ، وهو من هو ؟ ! ، محمد سعيد العريان ، الأديب والكاتب والروائى فى الدرجة الرابعة ! .

لكن هذا التوسع غير المخطط له كان على حساب المستوى ، فاضطرب الأمر ، ومن المؤكد لو أن طه حسين ظل وزيرا لالتفت اليه ، وأصلح من أمره ، أما فى البدء فكان رده على منتقديه : « الجهل نار مشتعلة ، وعندما تواجه حريقا لاطفائه ، فإنك لاتفكر فى نوع المـاء الذى تستخدمه ، نقيا صافيـا ، أو راكدا آسنا » ، وكان ذلك سفسطة من أديبنا الكبير دون أدنى شك .

وعلى أية حال لم يطل المقام بحكومة الوفد ، ولا بالنظام كله ، فبعد قليل قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وفى الأشهر الأولى جاءت باسماعيل القبانى وزيرا للمعارف ، وهو رجل بيروقراطى شنيع ، ورغم انه تعلم فى كل مراحل تعليمه بالمجان لذكائه ، ولينحدر من أسرة متواضعة للغاية ، كان عدوا لدودا لمجانية التعليم وللفقراء على السواء .

ثم اصطدم مع الثورة حين حاول أن يفصل توفيق الحكيم من منصبه مديرا لدار الكتب المصرية ، وكان طه حسين قد عينه فيه ، مستخدما قانون « تطهير الوظائف » ، بحجة أنه من الموظفين الكسالى غير المنتجين ، واصطدم بسبب ذلك مع عبدالناصر شخصيا ، فى مجلس الوزراء ، ثم أقيل من منصبه .

كانت الثورة تعى أهمية التعليم ودوره فى النهضة التى تأملها ، فكانت وزارة المعارف من بين الوزارات التى تولاها ضابط من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكانت من نصيب الصاغ كمال الدين حسين .

لم يكن كمال الدين حسين موهوبا فى هذا المجال ، أو يعرف شيئا ذا أهمية عن التعليم والثقافة والتربية ومشكلاتها ، ولكنه يملك على التأكيد رغبة قوية فى الاصلاح ، وإرادة حاسمة فى التصميم على النجاح ، وشبابا فياضا وصحة وعافية تعينه على العمل ساعات طوال متصلات فى هذه الوزارة الواسعـة المضنية ، وجمع حوله نخبة من خيرة رجال التعليم الوطنيين فى ذلك الوقت ، ومعهم مضى يصلح ما أفسده الزمن ، وأوضح ما صنع فى هذا المجال انشاء « مؤسسة المبانى المـدرسية » فقـد اضطلعت ببناء مئات المدارس الراقية فى القرى فى زمن يسير .

وبعد ذهاب كمال الدين حسين سقطت وزارة التربية والتعليم ، وأصبح هذا اسمها ، فى قبضة البيروقراطية العاتية المتخلفة من جديد ، ومعها توقفت قليلا ، ثم بدأت رحلة الصعود الى الهاوية بأسرع ماتستطيع ! .

### الخوف من كل شىء ! !

ذلك أن الثورة أحست بالشيخوخة المبكرة بعد انفصال سوريا ، وانتابها وهن جعلها تخاف من كل شىء وأى شىء ، وفى مثل هذا المناخ ليس اسهل من أن تجعل وكيل الوزارة يديرها وأن تعطيه لقب وزير ، واللقب الجديد لايجعل منه وزيرا ، وسوف يظل وكيلا موظفا ، سلوكا وتصرفا واحساسا ، وهكذا كان كل وزراء التربية الذين جاءوا بعد كمال الدين حسين ، حتى

يومنا هذا ، باستثناء أثنين جاءا من خارجها ، الدكتور عبدالسلام عبدالغفار والدكتور أحمد فتحى سرور ، أما البقية فكانوا موظفين تنطبق عليهم قولة الجاحظ التى ألقى بها منذ أكثر من ألف عام من الزمان : « لباسهم الذلة ، وشعارهم الملق ، وقلوبهم ممن لهم خول مملوءة قد لبسها الرعب ، وألفها العزل ... فهم مع ذلك فى تكدير وتنغيص ، خوفا من سطوة الرئيس ، وتنكيل الصاحب ، وتغيير الدول » .

كان الخط الذى سار عليه هؤلاء الوزراء ، ويجب ألا تأخذنا بهم رحمة لأنهم المسئولون مباشرة عن الكوارث التعليمية وانهيار البناء التربوى الذى نعانيه الآن ، ألا يطالبوا بشىء ، وألا يعارضوا قرارا يأتيهم من خارج الوزارة من مركز قوى ، وألا يتبنوا أية قضية أو سياسة تربوية ، المهم أن يبقوا فى الوزارة أطول وقت ممكن ، وكان أحدهم ، رغم لقب الدكتور الذى يسبق اسمه ، يقرأ أخبار الترقيات والتعيينات الكبرى والوظائف المرموقة فى وزارته فى صحف الصباح وهو ذاهب إلى مكتبه ، حتى ماكان منها مردها اليه ومن اختصاصه ، ولم يثر لكرامته ولا مرة واحدة ، وكان طيعا بطريقة مغيظة ، ينقل من الوزارة الى مكان آخر ، أدنى أو أعلى ، فيقبل ، وتضم له الوزارتان فيبقى عليهما ، ثم تفصلان ويبقى على واحدة منهما ، ثم يقصى عنهما جميعا ، ثم يجاء به مرة ثانية ، وهو راض سعيد ، ومبتسم أيضا ! ، فى كل الحالات .

## ● الفصول الطائرة !

فى هذا المناخ المتردى بدأت عملية الكذب والخداع للشعب وللقيادة السياسية على السواء ، وبدلا من مواجهة زيادة التلاميذ بانشاء مدارس جديدة بدأت زيادة أعداد التلاميذ فى الفصول القائمة ، فإذا لم تتسع جلس على المقعد الواحد اثنان ، أو ظلوا واقفين ، أو استراحوا أرضا ، وحين ضاقت هذه بدأت زيادة الفصول نفسها فى الأفنية المخصصة للنشاط الرياضى ، أو الحدائق ، أو فى قاعات النشاط ، أو فى مكاتب المدرسين .

وحين اكتظت هذه تفتقت مواهبهم عما سمى بالفصول الطائرة !

وهى فصول موجودة على الورق ، ولا مكان لها فى الواقع ، يجيىء تلاميذها من البيوت ، ثم يبقون ينتظرون فى الممرات أو الأفنية ، إن كانت هذه موجودة ، أو أى مكان آخر ، فإذا شغر فصل بذهاب تلاميذه الى الألعاب الرياضية ، أو إلى المعمل ، أو حجرة الرسم ، شغلوه مكانهم ، فإذا لم يفرغ لهم فصل ظلوا طوال يومهم فى الفناء والممرات .

ومع المزيد من خداع الأرقام بدأت المدارس تعمل دورتين ، أى أنها اختصرت العملية التربوية الى النصف ، واستسلاما لهذا الانحدار بدأت تختصرها الى الثلث ، فتستقبل المدرسة الواحدة ثلاث دفعات فى اليوم المدرسى الواحد ! .

وفى هذا الزحام غير المعقول ضاع



اسماعيل القباني



كمال الدين حسين

الود بين المدرس والتلميذ ، ولم يعد هذا يجلس على الطرف الثانى من المقعد كما يقول المثل الأمريكى ، ولم يعد المدرس يحس ميلا الى تلاميذه ولايحسن تعليمهم ، ولم يعودوا هم ايضا يرتاحون اليه او يحترمونه ، وبذلك أصبحت المدرسة أشبه ماتكون بأغوار الجحيم للمعلمين والتلاميذ على السواء ، وزاد من المأساة هذا التفاوت الطبقى الرهيب ، يذهب بفريق منهم الى الزهو والبذخ والامتعاض ، ويثير فى أبناء الفقراء المحرومين روح الثورة والتمرد ، فهم يدمرون كل مايتصورونه احتقارا لهم أو امتهانا لآدميتهم .

وأخذ العام الدراسى يبدأ مع نهاية أكتوبر وينتهى فى آخر مارس ، أى خمسة شهور فقط ، تتخللها اجازة نصف العام ، واجازات أخرى عديدة ، وحين حاول الرجل العظيم الدكتور عبدالسلام عبدالغفار ان يعيد الجدية الى المدرسة فى الزمن فقط ، فقرر ان تبدأ الدراسة مع أوائل سبتمبر ، وأن تظل الى أواخر ابريل ، أطاحوا به ، رغم انه لم يكن قد مضى عليه وزيرا غير عدة شهور .

وماجرى مع المبانى والزمن حدث للكتاب نفسه ! .

فبعد أن كان يؤلفه طه حسين وأحمد أمين وعلى الجارم ومهدى علام وآخرون من رفاقهم ، عهدوا به ، الى أناس مجهولى الهوية ، وتحول الى زفة تتأفق الحاكم من جانب ، وتميل الى السهولة الفجة من جانب آخر ، أو تستعبد القائمين عليه نظريات تربوية أمريكية عفا عليها الزمن ، وليدة مجتمعات مغايرة ، ولغة مختلفة ، وأهلها أنفسهم نسوها ، واحتجنا الى أكثر من ربع قرن لكي نتحرر من أسار « القط شرشر » ، وهو بالمناسبة كتاب فى تعليم اللغة العربية ، ألفه أستاذ عظيم فى الرياضيات ! .

وهكذا أصبح الكتاب المدرسى المصرى سقيما ومتخلفا ، مادة ومحتوى وعرضا ، ولايرى فيه التلميذ شيئا مفيدا ، وإنما يضطر الى مذاكرته ليمتحن فيه ، ثم

ينساه بعد الامتحان ، ان لم يتخلص منه ، وليس على غلافه اسماء لها جاذبية يمكن ان تشده اليها أو تغريه ، وحين أوازن مثلا بين الكتاب الذى يقدم للتلميذ فى سلطنة عمان وبين مثيله فى مصر ، أبكى واقعنا المتخلف فى المادة والمنهج والاخراج ، وآسى على زمن كان فيه الكتاب المصرى يمثل القدوة والمحتذى .

## ● تدهور سريع

ومع الكتاب جاء تأخر المعلم ، وهو الجسر الذى يصل بين المدرسة والحياة ، وبدأت المأساة بهروبه من مدرسته حين خص ديوان الوزارة نفسه لكل الدرجات العليا ، وفى فترة من الفترات كان فى مكتب الوزير خمسة يحملون درجة وكيل وزارة ، على حين تقهقر واقع ناظر المدرسة الثانوية ، وإن حمل لقب مدير ، ليصبح فى الدرجة الأولى إذا كان محظوظا .

وزاد من تدهور مستوى المدرسين ان المدارس لم تكن فى عهودها الزاهرة ، تعرف لمدرسى المواد غير الفنية غير موردين ، دار العلوم والمعلمين العليا ، وكلاهما ذو تاريخ عريق ، شهدا أجيالا صارت فيما بعد من النوابغ فى حياتنا الثقافية والفكرية ، وهذه التقاليد تدفع فى شرايينها بحياة معنوية دافقة ، ويحركها روح قوى خاص بها ، تتضاءل الى جانبه الأبنية والأساتذة والطلاب ، وكلها معان جليلة لايدركها من تعلم فى معاهد لاتاريخ لها ، ولا تمتاز بميراثها القديم وذكرياتها الفعالة .

غير أن هذين المعهدين اللذين يمثلان تاريخا هائلا ، أزيح أحدهما ، وهو المعلمين العليا وأصبح تاريخا يروى ، وبقيت دار العلوم تكابد أهوالا محبطة ، من الجهل برسالتها ، وهبوط مستوى متخرجيها واساتذتها ، وتصارع المنافع الخاصة فى جنباتها ، فبهت دورها بعد أن كان شعاعا وهاجا ! .

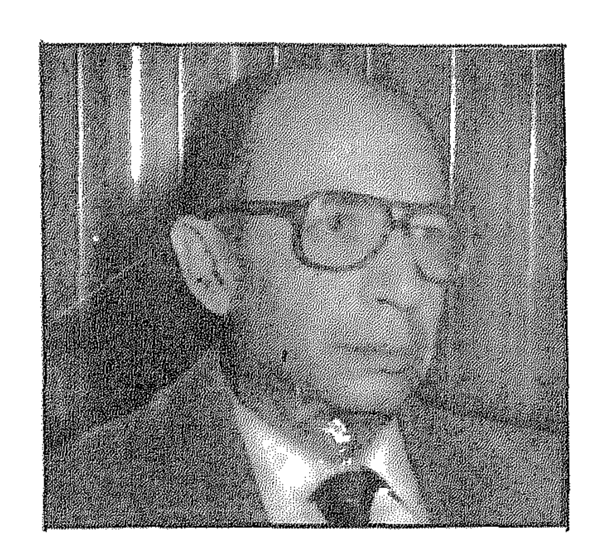
وفى مواجهة النقص الذى تعانيه المدارس أصبحت الوزارة تستعين بكل من هب ودب ، وتتلقى أفواجا من كل حدب وصوب ، وإذا كانت المهنة نفسها صعبة بطبيعتها ، وبمستواهـا المادى غيـر مغرية ، فإن جل الوافدين عليها هم ممن ضاقت بهم سبل العيش ، والوزارة نفسها ليس لها أى سلطان على المؤسسات التى يتخرجون فيها ، والتدريس فى بعضها شكلى للغاية ، وشهاداتها تمنح صدقة للفقراء والمعوزين الكسالى ، والحاصلون عليها شبه أميين .

وبدأت القوى العاملة تسهم بدورها فى عملية التخريب ، فهى ترسل كل من جاء عليه الدور ، ولاتعرف له مكانا توجهه اليه ، إلى وزارة التربية ليعمل فيها مدرسا ، دون تأهيل أو اعداد ، والمعلم غير المتمكن من مادته ، والذى لايعرف تلاميذه ، ويرى مالا يرى غيره ، ويفكر خيرا مما يفكر سواه ، ويدرك من أحوال مجتمعه مالا تدركه أواسط الناس ، لاخير فيه ولن يجدى فتيلا .

ذلك واقعنا .

فماذا عن مستقبلنا ؟

أود أن أقول للوزير ، وأعرف فيه الكفاءة والطهارة وصدق الرغبة فى التغيير ، انك تحاول ، ولكنك تستعين



د . عبد السلام عبد الغفار



د . احمد فتحى سرور

بالأدوات نفسها التى خلقت الفشل والتردى ، وأسهمت فى الاتيان على كل المعانى الجميلة التى كانت تعرفها حياتنا التربوية ، وهم اليوم معك ، وبالأمس كانوا مع غيرك ، وعلى استعداد لأن يكونوا غدا مع سواك ، وفى كل الحالات هم « عبد المأمور » ولن يقدموا شيئا مفيدا .

وزارتك ، أى مدارسنا ، فى حاجة ملحة الى خلق جديد ، وتمنيت ان أقول ثورة ، ولكنى كرهت اللفظ لكثرة ما امتهنوه ، بأدوات جديدة ، وأفكار غير ملوثة ، تدرس :

● الأبنية المدرسية ، وكيف السبيل الى مدرسة نظيفة جميلة وعصرية ، وهل من الخير ان نخرج بها من الأزقة الى الفضاء الرحيب فى الصحراء ، وأن نجمع بين الوانها المختلفة ، زراعية وصناعية وتجارية وعامة ، وأن نفيد من التجربة التونسية فى هذا المجال .

● المعلم ، وطريقنا الى اعداده ، وتوحيد مصادره ، والارتقاء بمستواه ، وانصافه ، وتقديره ، وجعل هذه المهمة الجليلة غاية يتسابق اليها النابهون .

● الكتاب المدرسى ، وكيف نرقى به مادة واخراجا ، وهناك تجربة رائدة ورائعة فى عمان أتمنى ان تكون تحت أنظار من يتناولون هذا الجانب .

● التوجيه الفنى ، تحت اسم مستشار أو موجه ، وكيف نختار العاملين فيه ، شبابا متوثبا ، وثقافة متنوعة ، دون أن نعتمد على الأقدمية المطلقة ، قاتلها الله ! ، فقد قتلت فى العاملين كل نوازع الطموح .

وبالمناسبة : ألا يرى معى الوزير الجامعى أن من الظلم البين أن تظل درجات المستشارين على ماتركها عليه طه حسين منذ أربعين عاما ، وأن تكون درجاتهم دون درجات مدير مكتبه ؟ .

وكل ذلك يحتاج الى مال ، نعم ، ولكن لن يكون عن طريق مصاريف يدفعها التلاميذ ، وانما فى شكل ضرائب يدفعها القادرون ، وأن نذكر أن المواطن يدفع حين يستخرج رخصة السيارة ، أو جواز سفر ، أو بطاقة تموين ، فهل كثير عليه إذا كلفناه أن يدفع مثلها ، أو ضعفها ، للارتقاء بمستوى التعليم ؟ .

# كتاب الموتى (٢)

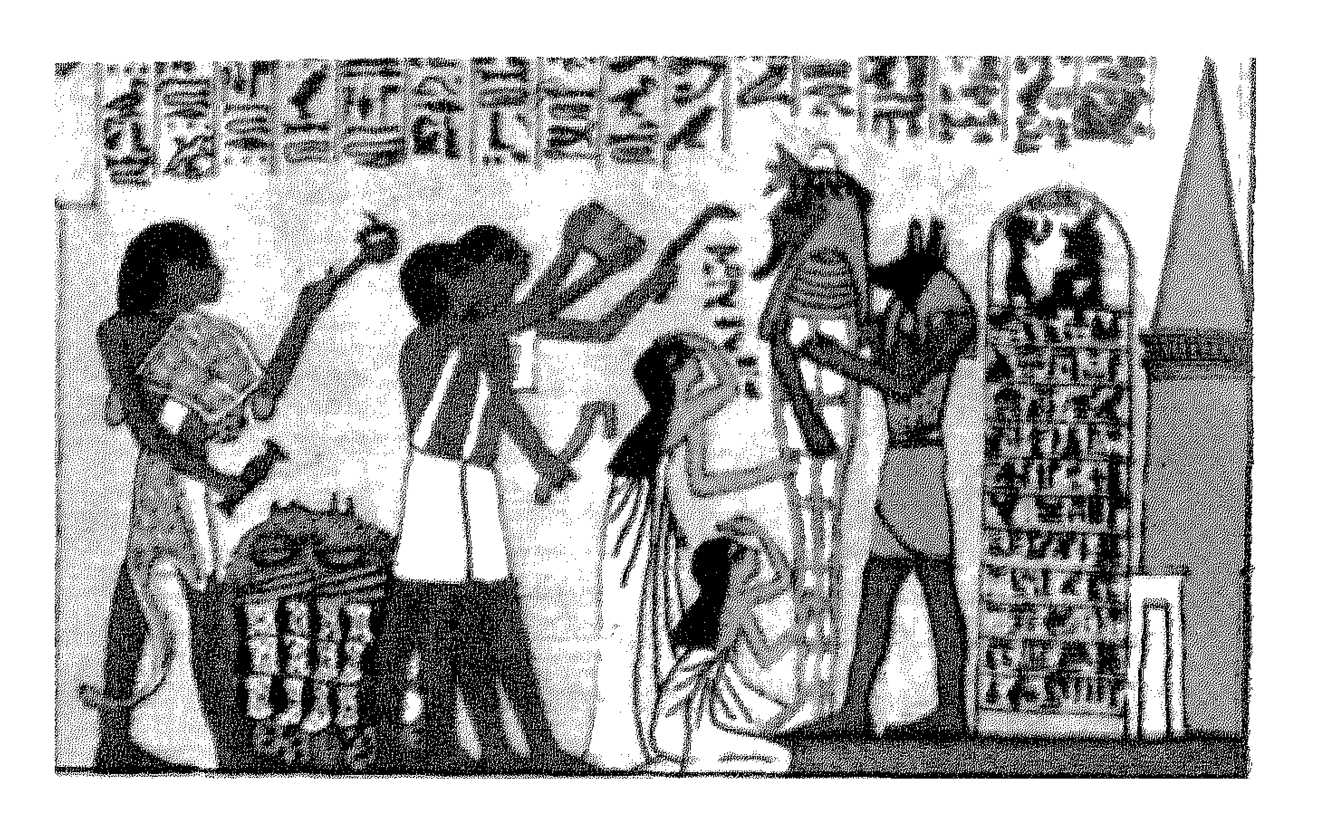
# التوحيد والبعث والخلود في مصر الفرعونية

بقلم: د. سيد كريم

**يواصل الدكتور سيد كريم تقديمه لأهم كتاب من العصر الفرعونى ، وتتصل الدعوة لتقديم « كتاب الموتى » البالغ الأهمية للقارىء العربى .**

● إذا تتبعنا « كتاب الموتى » ودوره فى شرح العقيدة ونشرها كرسالة سماوية الهدف منها تعريف الناس برب السماء خالق الكون واطلاعهم على أسرار الوجود والخلق والحياة ، وان الموت ليس هو نهاية الحياة بل بدايتها فى عالم الخلود وتسهيل مرور المتوفى إلى ذلك العالم المجهول الذى تشرح لهم الرسالة أسراره . لوجدنا انه يتكون من ثلاثة أجزاء او ثلاثة كتب اشتركت فى مضمونها فى مختلف كتب الموتى التى كتبت فى عصور متباعدة .

فالجزء الأول يتكلم عن ملكوت السماء وخزائن سر الوجود فيشرح نظرية الخلق والتكوين ابتداء من خلق الإله نفسه ـ كما تصوره الأساطير الفرعونية ـ إلى خلق الكون وعناصر تكوينه الى خلق كيان الوجود الانسانى وعلاقته بكل من الروح والنفس والجسد ويبدأ هذا الجزء من الكتاب بسؤال يفرض نفسه ليبدد الظلمات وهو « من هو الله ؟ خالق الكون وماهو الكون وماهى حدوده .. وماهى الحياة ما الهدف منها .. وماهو مصيرها ؟



## • انتقال الروح بين ضفتى الحياة ..

## • بروج السماوات السبع وأبوابها . !

● والجزء الثانى او الكتاب الثانى يطلق عليه اسم « رحلة المصير » أو طريق البعث والخلود ووصف فى بعضها برحلة الروح الى العالم الآخر واطلق عليها فى بعض المتون اسم « رحلة الرؤيا » التى يصفها حامل الرسالة ويسجلها فى كتابه على شكل تجربة واقعية مارسها بنفسه بأمر من خالقه حيث تنتقل روحه بعد موته الى العالم الآخر ليقوم برحلة للقدر والمصير ابتداء من مفارقتها للعالم الأرضى حتى وصولها إلى عالم الخلود تنقله سفينة الشمس او سفينة الروح او فلك الآلهة التى تسبق البرق والتى تشبه رحلات عروج الرسل والانبياء التى وردت انباؤها فى الكتب السماوية .

**إن وصف رحلة الروح او رحلة البعث والخلود التى سجلتها مختلف كتب الموتى فى مختلف العصور الفرعونية لاتختلف فى مضمونها عن رحلة اوزوريس فى أول رسالة للتوحيد نزلت على البشرية وفى أرض مصر .**

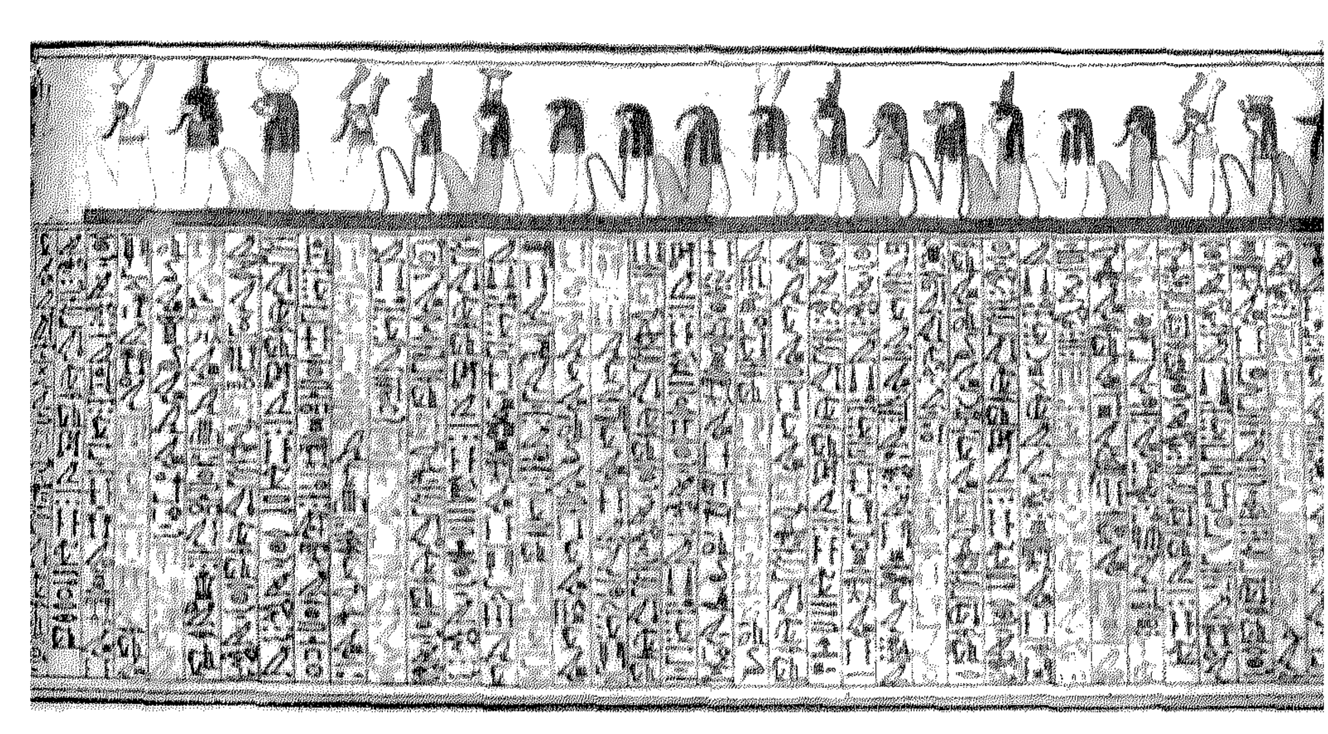
ومن البرديات أو الكتب الكاملة التى وصفت تلك الرحلة كتاب آنى الذى وجدت احدى نسخه الكاملة فى مقابر الأسرة الثامنة عشرة وهى عبارة عن بردية واحدة أو لفافة طولها ٢٥ مترا وعرضها ٠ : ـ ـ

يصف أنى فى برديته المصورة رحلة الروح خطوة بخطوة ابتداء من مفارقة الروح للجسد الأرضى بعد اجراءات تحنيط الجثة ودفنها وطقوس تلقينها ومراسم الاحتفالات الجنائزية ونقل الجثة بين ضفتى نهر الحياة ويرمز اليه بنهر النيل لتسير فى طريق الغروب أو طريق دورة الاله فى السماء لتدفن فى البر الغربى لتدخل القبر وتقفل عليها أبوابه بعد أربعين يوما ـ وقد اختلف المؤرخون فى تفسير تلك المدة فنسبها البعض إلى المدة اللازمة لتحنيط الجثة وعملية حفظها قبل دخول القبر بينما فسرها البعض الآخر بأنها المدة التى تمكثها الروح فى الأرض قبل خروجها من القبر وانتقالها الى العالم الآخر حيث يحتفل بوداعها .

تبدأ الرحلة فى مرحلتها الأولى بعد انتقال الروح فى سفينة الشمس عبر الفضاء الأزلى بدخول « أنى » يقوده أنوبيس الى قاعة التحضير او الاعتراف وفيها تواجه الروح المحلفين الاثنى عشر وهم أعضاء العائلة المقدسة أو حماة **البروج السماوية** وأبوابها وفيه يقدم المتوفى إلى حارس بوابة البرج السماوى الذى خرج منه إلى الحياة وعليه أن يتلو امام الحارس تلاوة مقدسة يحفظ نصها من الكتاب يعلن فيها نسبه إلى البرج الذى خرج منه إلى الحياة فى الأرض والذى زوده بصورة شخصيته وما ارتبط بها من تعاليم مقدسة تحافظ على كيانه ومكانته ، ليعلن براءته وطهارته وانه عمل فى حياته بتعاليم رب البروج التى زوده بها عند ميلاده فى عالم التجربة أو الحياة الأرضية .

وينتقل أنى من محكمة التحضير إلى محكمة أخرى مماثلة اطلق عليها محكمة التطهير أو الضمير التى يقابل فيها المحلفين السبعة الذين يمثلون ملائكة التكوين فيما عدا « ست » اله الشر . ليتعرف عليهم ويعلن ايمانه بالاله الواحد الذى بعث للقائه فى عالم الخلود وفى تلك المحكمة يزود بمختلف النصائح التى تمهد

صورة من بردية كتاب الموتى تبين رحلة الروح فى طريقها نحو العالم الآخر ومرورها خلال مختلف بوابات البروج ومحكمة التطهير



له الدفاع عن نفسه فى محكمة الآخرة ويحاول أن يكفر عن ذنوبه واخطائه خلال مروره عبر السماوات السبع التى عليه ان يجتازها ويعبرها حتى يصل إلى محكمة الآخرة .

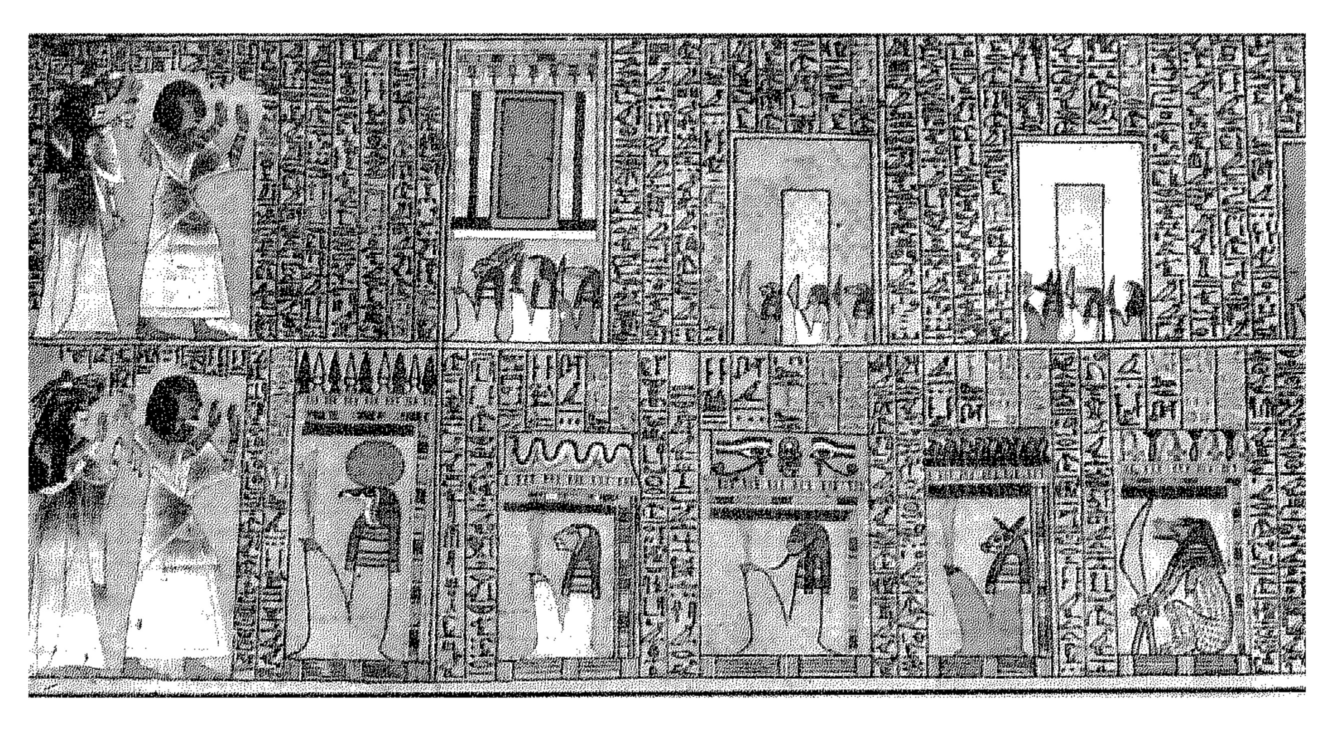
ويصف كتاب الموتى كل سماء من السموات السبع وصفا تفصيليا ـ يشرح طبيعة كل منها وما تحويه من مخلوقات وما يرتبط بها من أساطير وما يجب أن يتلى فيها من تعاويذ وتلاوات سحرية وادعية مقدسة فى مواجهة ما يقابله من أهوال وعذاب يطهر بها نفسه من ذنوبه الكبرى قبل دخوله الى محكمة الآخرة محكمة المصير أو محكمة السماء الاوزيرى .

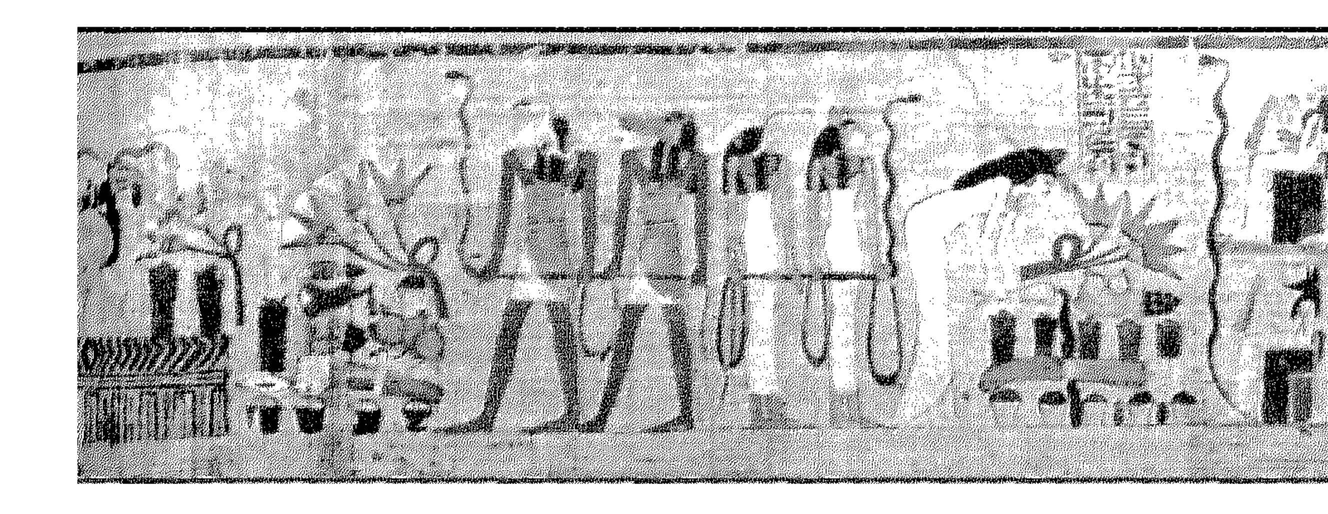
ويصف آنى أخر مرحلة من مراحل رحلة الروح ودخولها لملاقاة ربها فى محكمة العالم الاوزيرى أو محكمة السماء فتصف البردية او كتاب الموتى بالرسم والتصوير قاعة المحكمة والملائكة والميزان والقضاة ومايتم بها من اجراءات ثم الانتقال بسفينة الروح من قاعة المحكمة إلى البرزخ الذى ترسو به السفينة عند شواطىء الجنة وفيه يصف طبقات الجنة وماتحويه كل منها كما يصف ما سمح له بمشاهدته من طبقات الجحيم . وهو ما سيأتى شرحه مفصلا من البرديات الأصلية لكتاب الموتى عند شرح كل مرحلة من المراحل مع تفسيرها المقارن بمختلف الكتب السماوية التى اتفقت مع كتاب الموتى فى رسالة التوحيد والبعث والخلود .

وينهى آنى رحلته إلى العالم الآخر او رحلة البعث بان يطلب من الاله أن يسمح له بالعودة إلى الأرض ليحمل الى الناس رسالة ما شاهده وما ستشاهده الناس بعد موتهم وبعثهم ويزودهم بنصائح وتعاليم السماء التى تسهل لهم المرور إلى العالم الآخر

## ● اللغة المصرية القديمة وكتاب الموتى

وصفت متون عقيدة رسالة التوحيدا





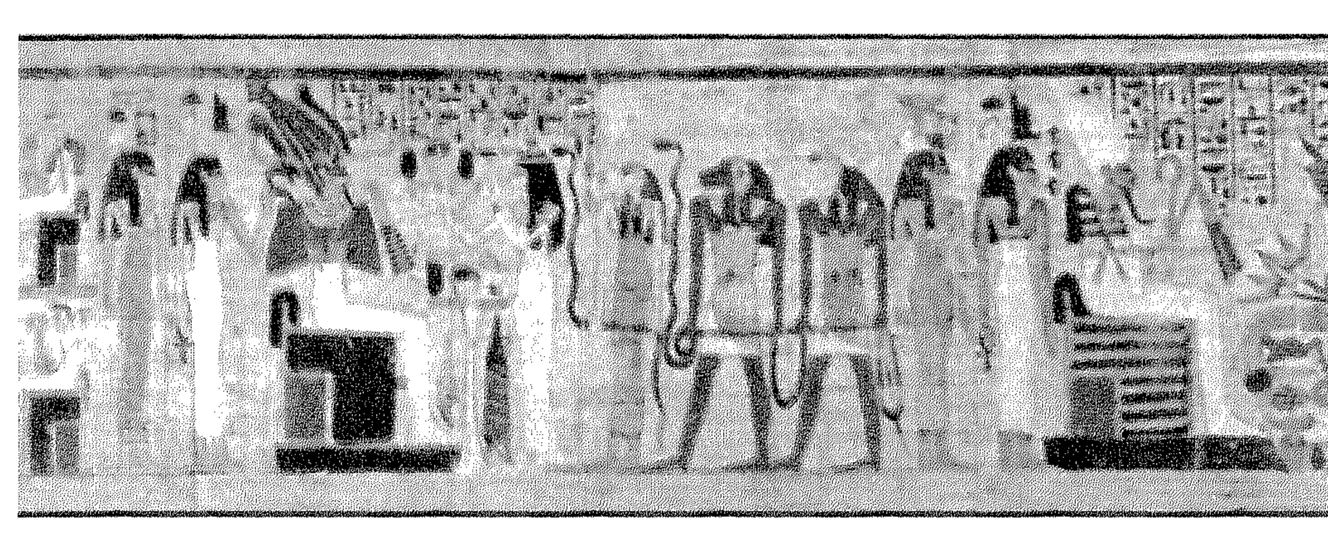
كتاب الموتى (٢)

الأولى انها نزلت باللغة المصرية العليا بالخط الهيروغليفي أى النقش المقدس ( نترخرو ) نزل بها اوزوريس الذى وصفته المتون بأنه أول من خط بالقلم وعلم الناس القراءة والكتابة ليتمكنوا من قراءة تعاليم الاله الخالق اله السماء .

فاللغة المصرية القديمة ونقشها المقدس الذى سجل به كتاب التوحيد الأول هى أول لغة عرفتها البشرية ظهرت متكاملة بنقش خطوطها وفنون تكوينها ورموز تشكيلها . تكاملت ابجديتها التى اشتملت على جميع الحروف المرسومة والمنطوقة بالاضافة إلى الحروف الحلقية والخفيفة ظهرت متفرقة فى مختلف لغات العالم القديم والحديث .

ويعتبر الخط الهيروغليفى أو النقش المقدس الذى نزل به كتاب الموتى قمة فنون التعبير الرمزى تشكلت الحروف وتكوينات جملها بالنقوش الهندسية وشوبها التشكيلية المعبرة وصور الطيور والحيوانات والكائنات والمعدات ، المرتبطة اشكالها بنطقها ولذا فقد تم شرح العقيدة وتشاريعها بالقصص والملاحم وصورت الكائنات السماوية باشكال تصويرية تقربها لخيال الناس وفهمهم . فرمز للملائكة بالكائنات الانسانية التى تزينها الأجنحة التى تتجول بها فى ملكوت السماء والكواكب بالكائنات الأسطورية تتفق مع الاسماء التى أطلقت عليها ، كما عبروا بقرص الشمس المجنحة للقوى الخفية وطاقاتها اللانهائية المحركة للكون . والصقر المتوج للتعبير عن السمو والعلو . والريشة رمزا للعدالة وغيرها من الرموز المتعددة الأشكال والمعانى التى تستعرض كتاب الموتى وعقيدة البعث والتوحيد فى صورة حية للوحة فنية تعبر عن رسالة السماء بالنقش والرسم والتصوير الملون .

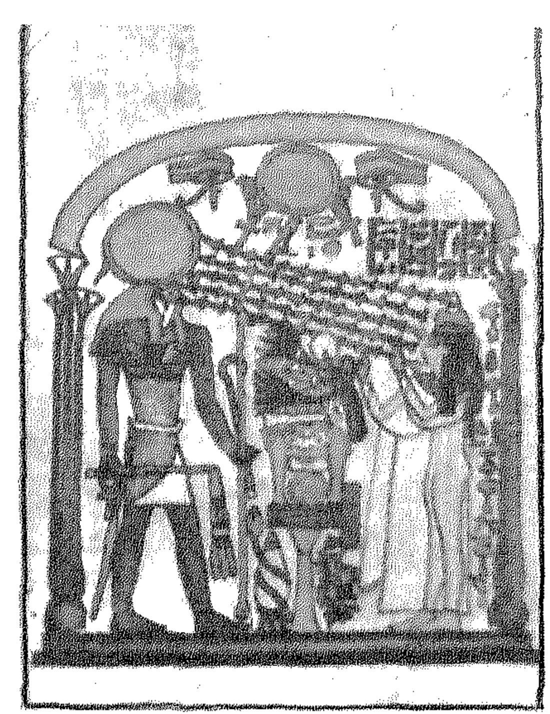
وقد وصفت برديات عقيدة التوحيد علاقة الكتابة بالرسالة في كتاب الموتى



اوزوريس في كتاب الموتى في شرح لرحلة الروح

اوزوريس حامله رساله التوحيد تحيط به الملائكه

**بقولها « في البداية كانت الكلمة والكلمة مصدرها الاله فالاله قالها عند خلق كل شيء فالكلمة نطق بها الاله اسم كل شيء وانزل الحرف ليصور الكلمة ونفخ بانفاسه فيها لننطق بها وحملها اوزوريس ليلقنها للبشر**



خلق الله الحب . وبالحب خلق الكون كما جاء فى برديات اون

ليتفاهموا بها مع بعضهم ويتعارفوا على ماحولهم ويعرفوا اسماء الكائنات التى خلقها الاله بنطق اسمائها . فالقراءة مفتاح أسرار المعرفة ووسيلة التخاطب مع السماء وتلقى رسائل الاله .. فالقراءة أول أركان الايمان .

● إن علاقة القراءة والكتابة بكتب الموتى التى نزلت بعد رسالة أوزوريس اجمعت على علاقة العلم بالايمان والقراءة بحفظ كتاب الموتى ( رسالة الاله ) فتقول برديات هرمويوليس .

خلق الاله الكون بالكلمة فارسل « تحوت » رسول المعرفة المقدسة ليعلم الانسان الحرف والكلمة والاسماء والنطق والموسيقى فانبت له عيدان غاب النهر ليصنع منه القلم ليكتب ويقرا ويصنع منه الناى ليشدوا بالنطق والنغم وانبت البردى ليصنع منه الورق الذى يسجل عليه رسالة الاله وامره بالعلم ليقرا رسائل الاله .

ويقول آنى : اقرأ فالقراءة أول خطوة فى طريق الايمان بالاله فتنعم بقراءة تعاليمه المقدسة التى تفتح لك ابواب الجنة وتكشف لك أسرار الوجود ونعم المعرفة المقدسة وتنير لك طريق السعادة فى الدنيا وطريق الخلود فى الآخرة .

ويقول خيتى : « الكلمة مصدرها الاله خالق الكون والوجود فمن يعرف سر الكلمة يعرف سر الوجود . والكلمة تفتح عينيه واذنيه ليرى صورة الخالق ويسمع صوت السماء »

ويقول اخناتون فى التشريع الأول من تشاريع العقيدة الاثنى عشر :

« العلم أول أركان الايمان والجهل كفر برب السماوات » وهى الدعوة التى اعقبتها الثورة التى قام بها لمحو الأمية باسم العقيدة والتى حدد لها سنة كاملة حول فيها المعابد الى مدارس لتعليم القراءة والكتابة والدين .

إن الرابطة الوثيقة بين العلم والايمان - أى بين القراءة والكتابة وكتب العقيدة او الرسالات السماوية هى التى عملت دائما على تبادل المحافظة على كل منهما وحمايتهما من الانحراف أو التحوير أو الاندثار . يرجع ذلك كما ذكر « ثونيرون » فى كتابه عن كتاب الموتى ومعتقدات الفراعنة « إلى أن رجال الكهنوت اخذوا على عاتقهم عدم تغيير لغة نزل بها كتاب السماء . لغة كان جرسها او نطق كلماتها من الكلمات التى اسخدمت فى خلق الكون وكتاباتها من تعاليم الالهة . فاى تغيير فى نقوشها يفقد الكلمات فاعليتها ويبعد الأسماء عن معانيها .

لهذا فالكتابة الهيروغليفية أو النقش المقدس - التى كانت اول كتابة عرفتها البشرية ، نزلت بمصاحبة كتاب الموتى أو رسالة التوحيد الاولى تعتبر فى نفس الوقت اول كتابة عاشت أطول فسحة من الزمن في تاريخ الحضارات والعقائد والاديان . عاشت اكثر من خمسة الاف سنة لم تخضع خلالها لأى تغيير رغم اللهجات العامية وخطوط كتاباتها الشعبية .

## ● كتاب الموتى ونظرية الخلق والتكوين

● لما كان كتاب الموتى يعتبر أول رسالة للتوحيد على الأرض مع فجر التاريخ أو كما وصفه كهنة الفراعنة بمولد الزمان ولم يسبق للناس سماع صوت السماء قبل نزول الرسل والانبياء بالكتب السماوية . كان من الطبيعي أن تكون الرسالة الأولى بمثابة نافذة يطل منها البشر على ملكوت السماء ليبصرهم الايمان بسر وجودهم وينير طريق خطاهم فى الحياة . لذا فقد فتح كتاب الموتى النافذة التى أعطت الفرصة للبشرية لترى نور الاله ويجيب الكتاب على السؤال الحائر .

من هو الاله الخالق ؟ كيف خلق الكون وحده ولم يكن بجواره أحد ؟

لقد أجاب كتاب الموتى على ذلك السؤال باسهاب وتفصيل بمنطق التفسير المقنع بعد ان قدم حامل الرسالة نفسه على أنه رسول من عند الاله الواحد .

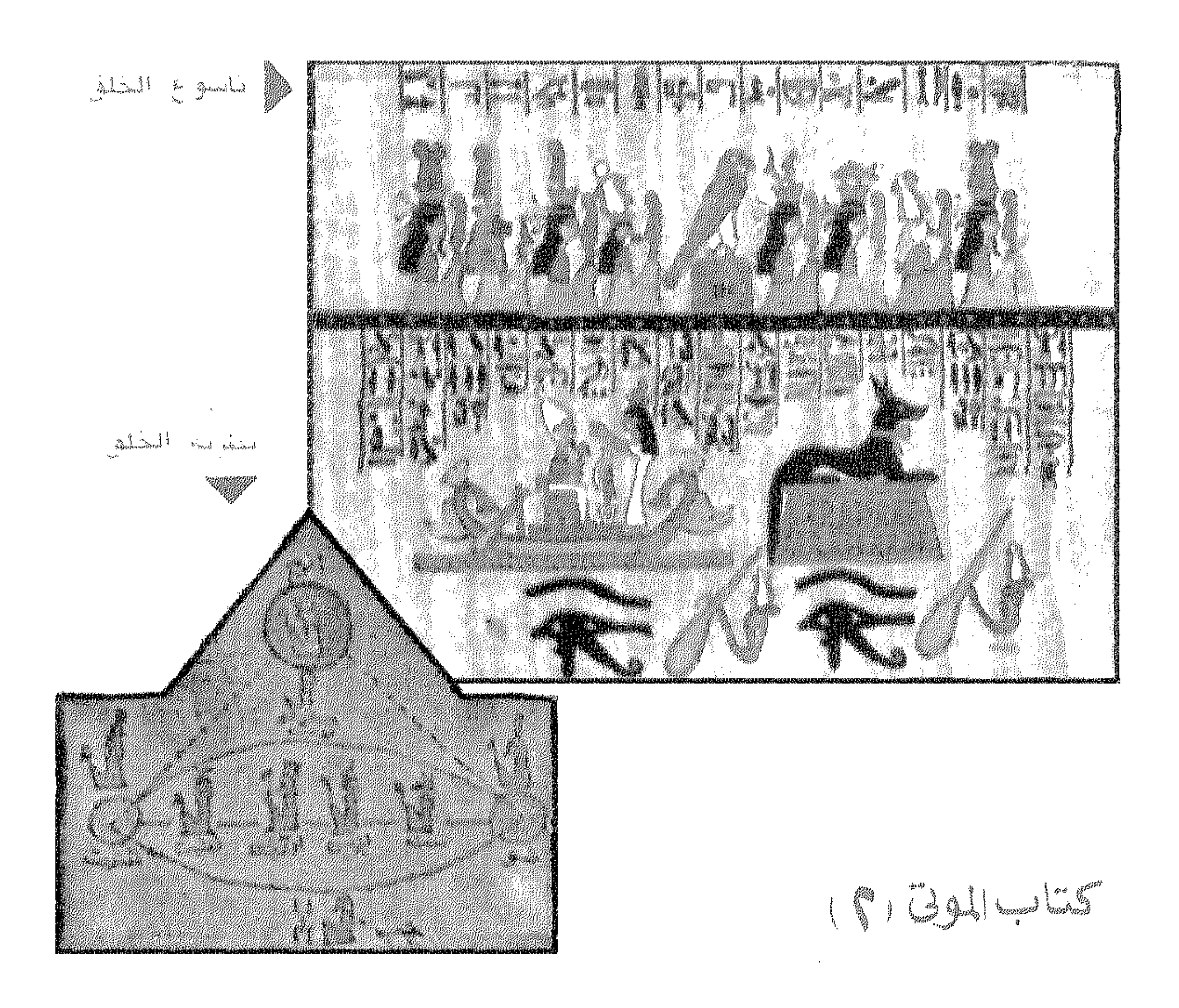
يبدأ الكتاب بشرح الخلق والخالق برد الكون الى عناصر تكوينه الأساسية والقوى العظمى المتحكمة فيه وما يحيط به من ظواهر طبيعية وغامضة فيصف نشأة الكون بقوله :

كان الكون فى البدء محيطا أزليا يغمره الماء ، أطلقوا عليه « فون » لا حياة فيه يغمره الظلام الابدى تظله سحب الدخان . فخرج من ذلك المحيط الأزلى اللانهائى اله خالق أوجد نفسه بنفسه خلق ولم يخلق وأطلق عليه اسم « اتوم » أى الكامل المتناهي وخلق من انفاسه ثمانية ملائكة وصفوا بانهم ملائكة التكوين وهم :

١ - شو روح الفضاء والهواء
٢ - تفنوت روح الرطوبة والندى
٣ - جب روح الأرض واليابسة
٤ - نوت روح السماء والضياء
٥ - اوزوريس روح الخصب والخير
٦ - ايزيس روح الامومة والحنان
٧ - نفتيس روح الاستقرار والمجتمع
٨ - ست روح الشر والفناء

وبأنفاسه خلق بهم الكون فى ستة أيام ثم استوى على العرش فى اليوم السابع وكافأ ملائكة التكوين الثمانية بأن يحملوا عرش الاله ابد الابدين . وعندما خلق الاله الأرض وعمرها ارسل أوزوريس احد ملائكة العرش الثمانية على شكل بشر حاملا رسالة التوحيد الأولى فى كتاب الموتى وعندما انتهى من مهمته صعد ليرأس محكمة الآخرة التى وصفها فى كتاب الموتى الذى نادى بالايمان بالبعث والتوحيد ومحكمة الحساب وعالم الخلود والجنة والنار .

● لقد اجمعت برديات كتب الموتى المختلفة التى فى مختلف المناطق وعلى




كتاب الموتى (٣)

مختلف العصور على تصور نظرية الخلق والتكوين وتوحيد الاله وملائكة العرش الثمانية كما نزلت فى رسالة ايزوريس ولم تختلف الا فى تسمية ملائكة التكوين الثمانية واسم الاله الخالق تبعا للصورة التى رمز له . ففى اسطورة الثامون التى ظهرت فى كتاب تحوت فى مدينة خمنو ( هرموبوليس ) أى مدينة الثمانية نسبة الى ملائكة العرش الثمانية فقد اطلق عليهم اسماء

نون ونونيت عنصرا الفضاء والمحيط الازلى

حوح وحوحيت عنصرا اللانهائية فى الزمان والمكان

كوك وكوكيت عنصرا الظلام والضياء

أمون وامونيت عنصرا القوة الخفية والحركة

وهى تمثل عناصر الكون الذى خلقه الاله فى ستة أيام وكلفهم على حمل عرشه ابد الابدين والطواف معه عبر ملكوت السماء فى سفينة الشمس التى تدور حول الكون مع دورة الشمس تحركها القوى الكونية .

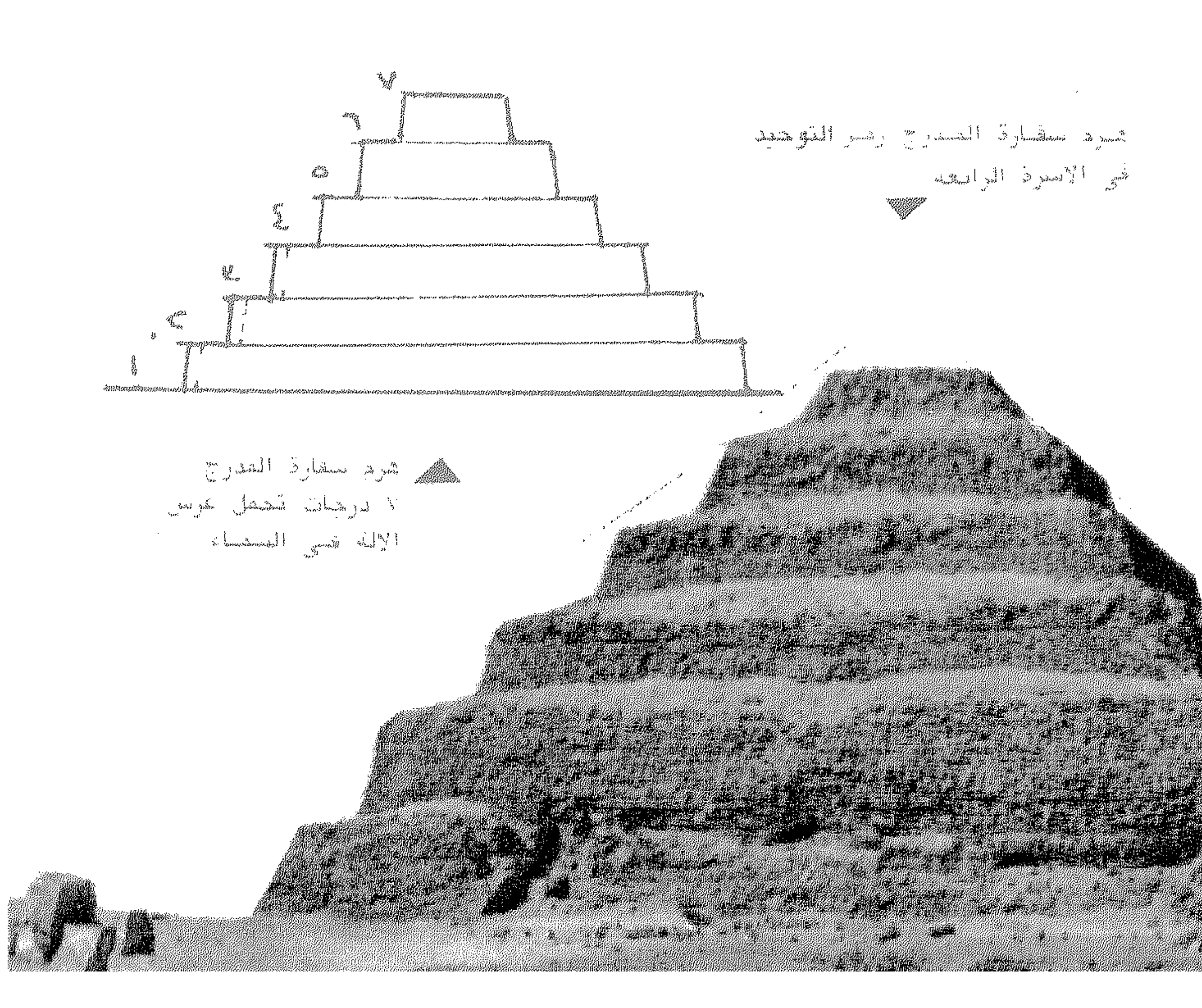
فى جميع متون كتاب الموتى رمز الى عرش الاله الخالق ، بسفينة العرش . التى تدور ومع دورتها يتحرك الكون ـ فقد خلق الاله الكون بالحركة ـ ويجلس فى سفينة

العرش الاله الخالق اتوم الذى رمز اليه بالشمس المجنحة التى تعبر عن القوى اللانهائية الخفية التى تنبعث من خلق الشمس لتحرك الكون وتمده بالحياة . وفى متون اون رمز اليه بقرص الشمس رع أولت أوله كما ورد فى بعض البرديات القديمة ، ورمز اليه باسم أتون فى عقيدة اخناتون . أو الصقر الذى يرمز الى السمو والعلو والعيون التى لاتغمض عن رعاية خلقه . ويحيط بالاله الملائكة الثمانية فى ( الفلك المشحون ) .

وقد اطلق على سفينة العرش اسم ( التاسوع المقدس ) أى عرش الاله والملائكة الثمانية التى تحمل العرش وتحرسه في دورانه فى ملكوت السماء .

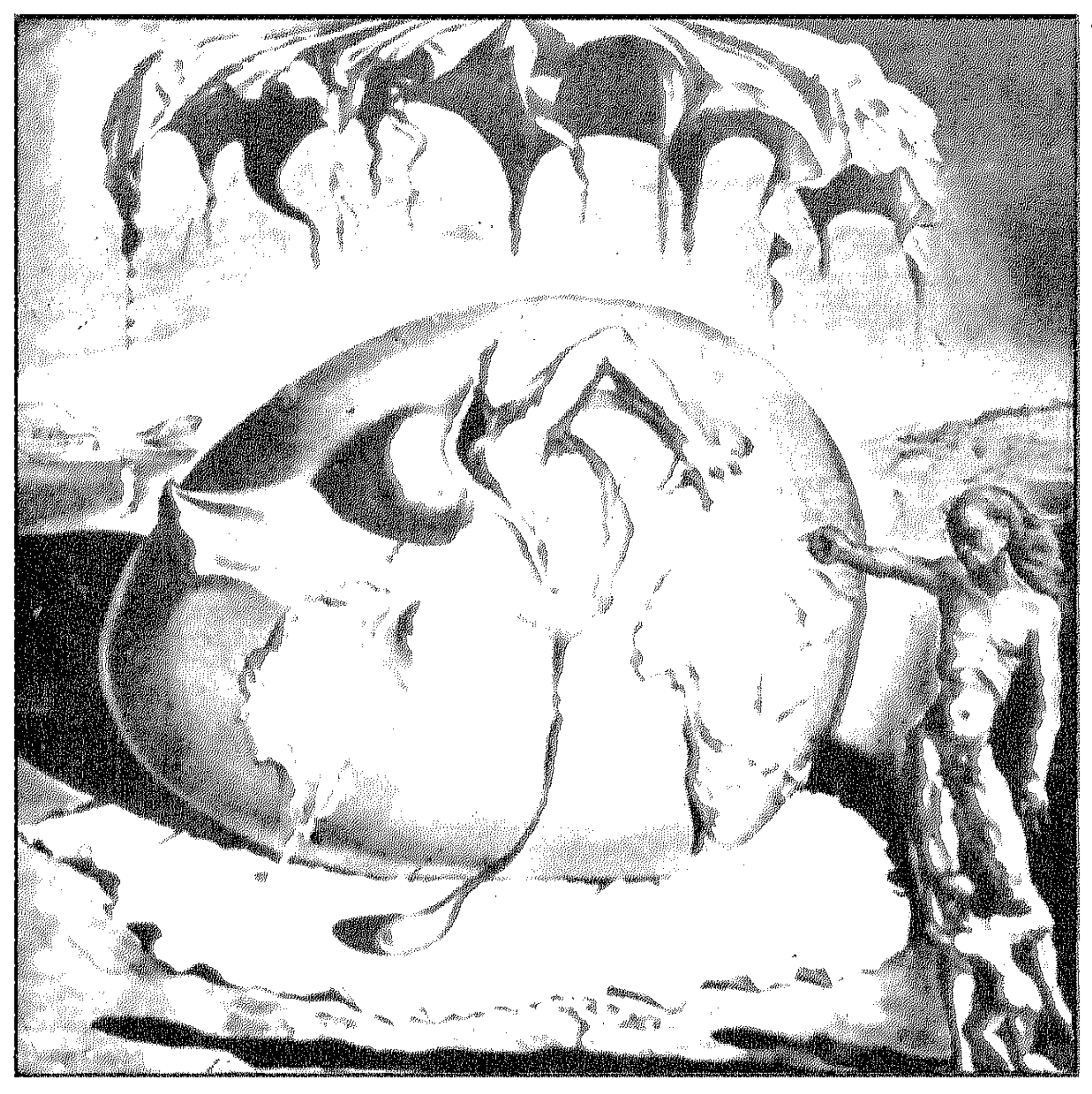
● **قدس الفراعنة الرقم ٩ الذى يعبر عن التاسوع الذى لعب دورا كبيرا فى متون العقيدة وطقوسها كثيرا من ظواهر الخلق . صنعوا منه مشعل قدس الاقداس فى المعابد ويتكون من شعلة متوسطة تحيط بها ثماني شعلات تمثل ملائكة العرش الثمانية . كما اقاموا مشعلا مماثلا مكونا من سبع شعلات تمثل الاله وايام الخلق الستة واطلقوا عليها اسم شجرة الحياة وهى التى نقلها اليهود عند خروجهم من مصر واعتبروها من مقدسات شعائر عقيدتهم .**

وصف كتاب الموتى الكيان الانسانى بأنه يخضع لتاسوع الخلق الممثل فى الروح رمز الاله والعناصر الثمانية وهى القلب والقرين والعقل والظل والطاقة والجسم الأثيرى والجسم المادى والاسم .




هرم سقارة المدرج رمز التوحيد في الأسرة الرابعة

هرم سقارة المدرج ٧ درجات تحمل عرش الإله في السماء



خلق الحياة للفنان السريالي سلفادور دالي

ثم تاسوع بنات الشمس أو الكواكب التى تدور حولها وعددها تسعة وهى المشترى وزحل وعطارد والزهرة وبلوتو ونبتون واورانوس والمريخ والأرض . وأطلقوا على كل منها الاسم الذى ناداها به اله الخلق عند خلقها ورقم وجودها .

كما نسبوا خلق الميلاد الى التاسوع وخلق السماوات حيث تنزل الروح فى الجسم فى الشهر السابع ويولد الطفل فى الشهر التاسع وتحوى برديات متون العقيدة وكتب الموتى العديد من الأمثلة التى تؤكد قدسية الرقم ٩ .

ولما كان لسر الأرقام علم خاص احتفظ به كهنة معبد أون ( معبد التوحيد ) وهو من العلوم السرية التى ارتبطت بالعقيدة والذى كان يعتبر من المفاتيح السرية لفك رموز أسرار الوجود . هناك العديد من البرديات التى يطلق عليها المؤرخون برديات السحر التى لايمكن فك رموزها او تفسيرها الا بمعرفة سر الأرقام وقد حاول

بعض علماء المصريات فى المتاحف الأوربية آخيرا فك رموزها بالكمبيوتر . لقد جعل علم الأرقام وأسرارها لكل اسم من أسماء الكائنات والمخلوقات والملائكة ونجوم القبه السماوية وبروجها بل والأوصاف والصفات الخاصة بالكائنات وضع لكل منها رمزا رقميا يرتبط سر وجودها وكيانها بمعادلات سرية . وقد نقل حكماء اليهود بعض أسرارها عند خروجهم من مصر واحتفظوا بها ضمن مقدساتهم .

فعلم الأرقام الذى انزله الاله الخالق مع الكتابة بمصاحبة « كتاب الموتى » عبر خلق الأرقام وعددها عن تاسوع الخلق نفسه فتحدد عددها بتسعة أرقام فقط اضيف اليها صفر فى التقسيم العشرى وهى الاعداد وتقسيماتها التى نقلها عنهم جميع اللغات الهندية والعربية واللاتينية والاوربية .

كما ورد فى احدى برديات العقيدة المرتبطة بسر الأرقام والخلق بان الارقام التسعة التى انزلها الاله إذا ضربت مجتمعة فى الرقم ٩ لظهرت صورة الاله الواحد وملائكة العرش الثمانية .

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ × ٩ = ١١١١١١١١٠١

ولقد قدم الفراعنة فى برديات الفلك والرياضة والعقيدة عددا لايحصى من الأمثلة التى تؤيد تمسكهم بقدسية الرقم ٩ الذى يرمز إلى تاسوع الخلق .

● يستمر كتاب الموتى بعد شرح نظرية الخلق وكيف خلق الاله الواحد رب الارباب نفسه بنفسه وخروجه من ماء المحيط الأزلى ولم يكن بجانبه احد فبددت انواره الظلمة الأبدية ومن انفاسه خلق ملائكة العرش الثمانية . ثم ينتقل الى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام . فى اليوم الأول خلق شو وتفنوت عنصرى **الهواء والفضاء** وفى اليوم الثانى خلق جب ونوت **عنصرى الأرض والسماء** وكانتا ملتصقتين ففصلهما وادخل الفراغ بينهما وفى الأيام الاربعة التالية خلق غرت واوزير ونفتيس وست عناصر **التكوين والحياة والخصب والاقوات** . وقد خلق كل عنصرين بتزاوج العنصرين اللذين خلقهما قبلهما . واستوى الاله الخالق على عرشه فى اليوم السابع .

وفى عصر الاهرامات الذى نادى فيه « ايمحوتب » باعادة المناداة بتوحيد « رع » وسجل رسالة كتاب الموتى على حوائط الاهرامات وعرف الدفن فاقام اول هرم يرمز به الى عرش الاله وهو هرم سقارة المدرج الذى ترمز درجاته الست إلى ايام الخلق الستة وكانوا يضعون نموذجا لعرش الاله فى المناسبات الدينية فوق الطبقة السابعة ولذا فقد اطلق على الهرم المدرج فى متون العقيدة اسم سلم الصعود الى عرش الاله فى سمائه السابعة .

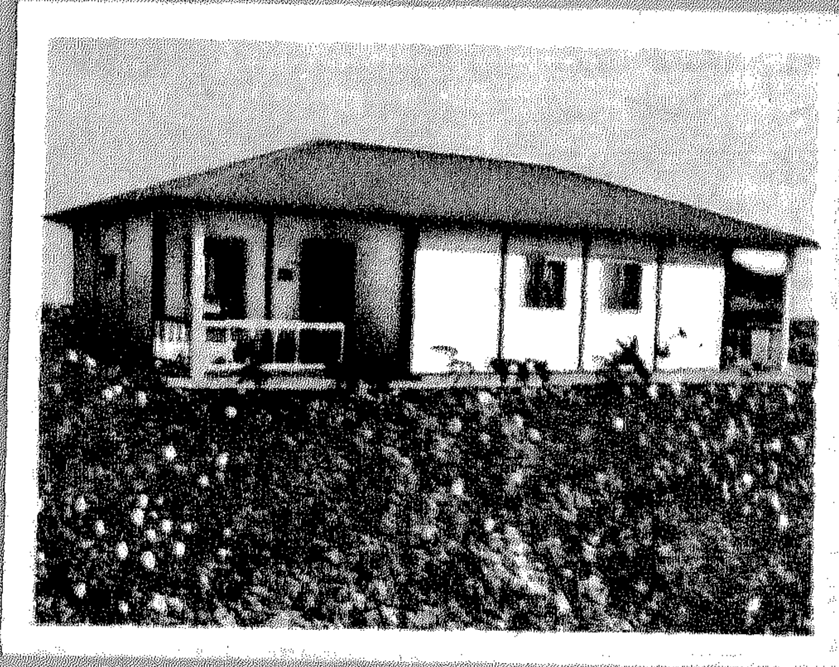
لقد قدس كتاب الموتى الرقم ٧ لأنه يرمز الى ايام الخلق السبعة كما ان خلق أركان الكون والوجود كان يخضع دائما لهذا الرقم المقدس فالسماوات والأرضون عدد كل منها سبعة وطبقات الجنة وأبواب الجحيم وبحار المعموره عدد كل منها سبعة والكواكب السيارة حارسة الشمس والوان الطيف ، كما وصفوا أن الروح تدخل فى الجسم فى الشهر السابع وسنوات القحط ( غضب الاله ) كان عددها دائما سبعا وطقوس العبادة من الطواف حول المعابد والمقدسات سبع مرات كذلك الدعاء والتراتيل تخضع جميعها للرقم سبعة .

# شركة النيل

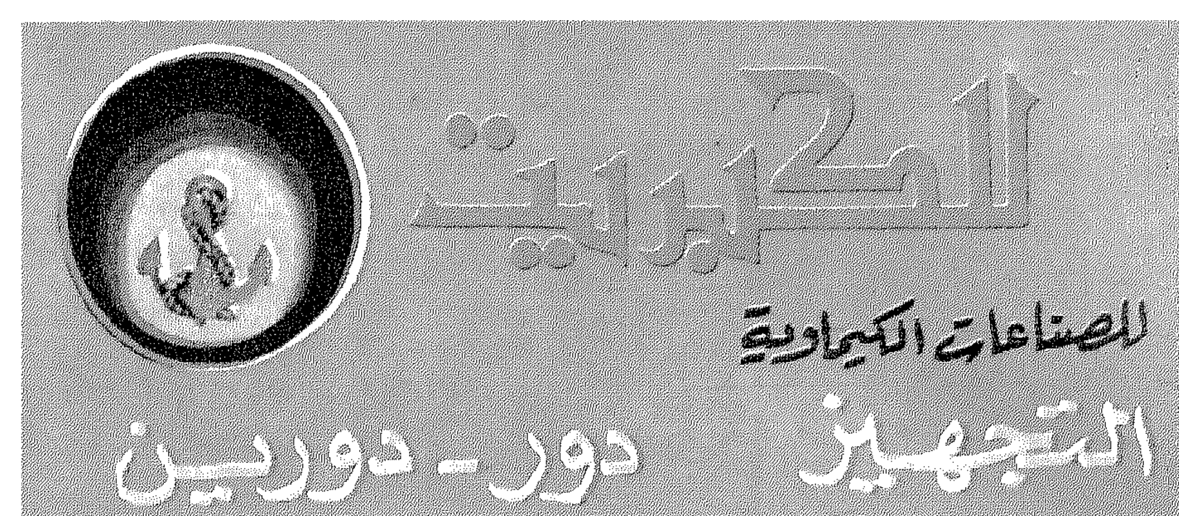
إحدى شركات هيئة القطاع العام

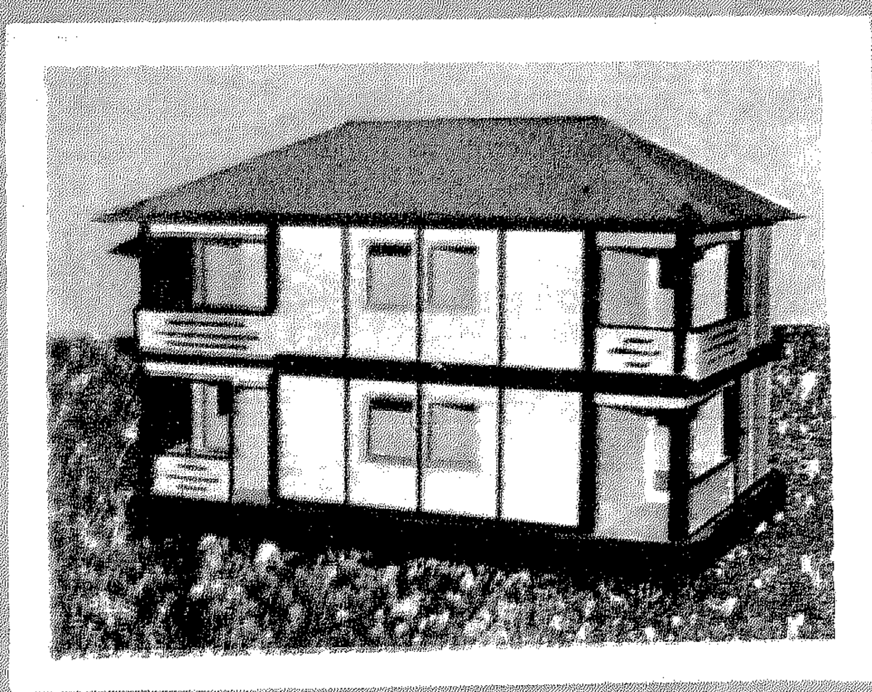
## مشروع المساكن الخشبية سابقة

تفخر الشركة بأن تقدم إنتاجها الجديد ذات التصميم المصري المطور بالخبرة الفنلندية من وحدات المنشآت الخشبية سابقة التجهيز ذات الدورين خلال هذا العام وذلك بجانب إنتاجها المطور من الوحدات الخشبية سابقة التجهيز ذات الدور الواحد.



**للاستعلام : الاسكندرية : ١٩ شارع الصحافة**


للصناعات الكيماوية
التجهيز
دور - دورين



# الولادة في مدن لم تولد



شعر : عبدالوهاب البياتي



أُولد في مدن لم تُولد
لكنني في ليل خريف المدن العربية
مكسور القلب ، أموت
أُدفن في "غرناطة" حبي
وأقول :
لا غالب إلا الحبُ
وأحرق شعري وأموت
وعلى أرصفة المنفى
أنهض من بعد الموت
أُولد في مدن لم تولد وأموت

# شركــة النيــل للكبريــت

## خطوة رائدة فى صناعة المساكن الخشبية

## سـابقـة التجـهـيز دور ـ دوريـن

●● شركة النيل للكبريت هى الشركة الرائدة فى مجال صناعة الثقاب والاخشاب فى مصر ، وقد أخذت الشركة على عاتقها منذ إنشائها وحتى الآن مهمة تطوير الصناعة حتى تواكب الصناعة العالمية فى هذا المجال .



السيد المهندس / أحمد شكرى حطب رئيس مجلس إدارة شركة النيل للكبريت مع السيد الرئيس محمد حسنى مبارك والسيد المهندس محمد عبد الوهاب وزير الصناعة داخل الفيللا الخشبية المميزة ذات الدورين والتى تصدرت إنتاج الشركة فى جناح مصر بسوق القاهرة الدولية لعام ١٩٨٧ .

## ⊙ ڤيلات خشبية سابقة التجهيز

ولم تأل الشركة جهداً فى سبيل تطوير منتجاتها على الدوام وذلك بفضل الجهود التى يبذلها أبناؤها من العاملين المدربين المهرة والتى وفرت لهم الإدارة الرشيدة للشركة كل أسباب التدريب واستيراد أحدث الاجهزة والمعدات ، وثمرة كل هذا ، ما قدمته الشركة من انتاجها الجديد ذات التصميم المصرى المطور بالخبرة الفنلندية من وحدات المنشآت الخشبية سابقة التجهيز ذات الدورين خلال هذا العام وذلك بجانب انتاجها المطور من الوحدات الخشبية سابقة التجهيز ذات الدور الواحد وتأخذ هذه المنشآت الأشكال الأتية :

● ڤيلات حديثة التصميم
● وحدات سكنية لمواقع الانشاءات .
● وحدات مكاتب ادارية للمشروعات
● عنابر اعاشة لحقول البترول واستصلاح الأراضى
● شاليهات للمصايف والاستراحات
● اكشاك ومخازن
● وحدات متعددة المنافع والأغراض

هذا وتقدم الشركة خبراتها المتخصصة فى تصميم النماذج حسب مساحة الموقع واحتياجات العميل ، وتنفذ الطلبات الخاصة طبقا للرسومات التى يقدمها العميل باى مساحة وبعدد الحجرات المطلوبة والتوزيع الداخلى للمنافع والشكل الخارجى .

## المواصفات العامة للمنشآت :

تصنع الحوائط المكونة للوحدات من بانوهات خشب سويدى مكسى بالواح الهاردبورد ويتكون السقف من طبقتين الأولى سقف أفقى من الداخل بارتفاع الحوائط والثانية سقف جمالون من الخارج يغطى بالصاج المضلع المجلفن .

وتصنع الابواب الخارجية من الخشب السويدى بخردوات مصرية وكذلك الأبواب الداخلية ويتم الطلاءِ بالبويات الخاصة المقاومة للرطوبة والحرارة والحريق ثلاثة أوجه ( معجون + بطانه + تلميع نهائى )

ويجهز الحمام بحوض لافومانو فاخر بقاعدة + مرحاض + كومبنيشن + دش بخلاط وسماعة تليفون + بانيو قدم .

ويجهز المطبخ بحوض استنلس استيل بالخلاط ودولاب تحت الحوض ٢ ضلفه ، وتجهز الوحدات بالتوصيلات الكهربائية الداخلية بالكامل بمفاتيح + لمبات + لوحة توزيع + برايز + جرس للباب .

## ● الثقاب الامان :

وتقوم الشركة بإنتاج جميع أنواع الثقاب سواءِ من العلب عبوة ٥٠ ، ٤٠ عوداً كما تنتج أيضا الامشاط ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ عوداً وكذلك الثقاب الخاص للتصدير عبوة ٤٠ ، ٥٠ من العلب و ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ عوداً من الامشاط والذى تقبل عليه شركات السياحة والفنادق وشركات الطيران لجودته الفائقة .

## صناعة الاخشاب :

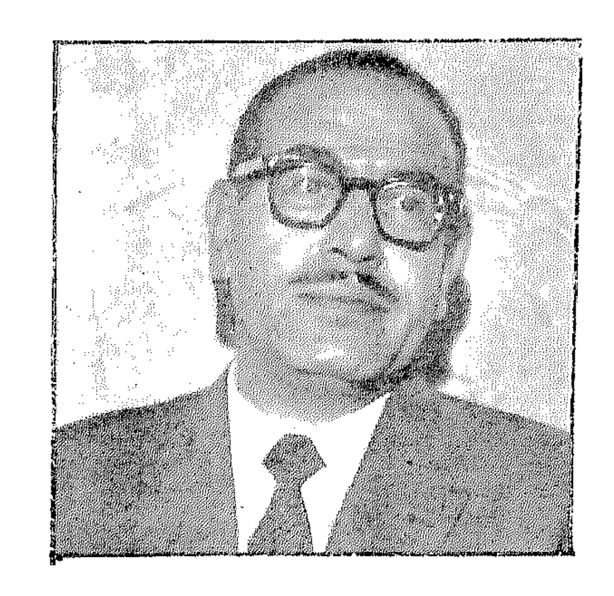
وتنتج الشركة أخشاب الفينير والأخشاب المضغوطة وهى ذات كثافة عالية تستخدم فى تصنيع قطع غيار آلات النسيج كانوال ومواكيك وغيرها بمواصفات مختلفة .

وكذلك تنتج الشركة خشب الأبلاكاج من جزوع الاشجار والحور والأسبن المستورد ، وبعد فهذه لمحة عن التطور الذى تعيشه شركة من الشركات الرائدة فى الصناعة المصرية بل هى رائدة صناعة الاخشاب فى مصر ، هذا التطور الذى يتم بجهد أبنائها العاملين قد جعلها شركة منافسة على المستوى العالمى ورمزاً لمصر الحديثة يحمل شعار صنع فى مصر .

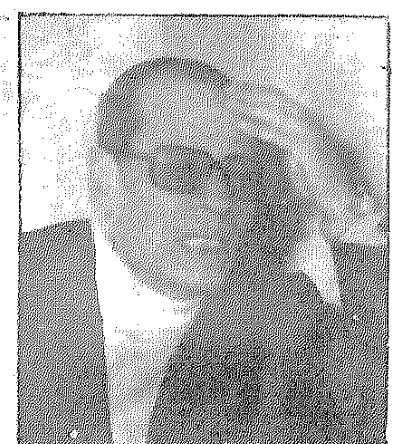
# عادل كامل

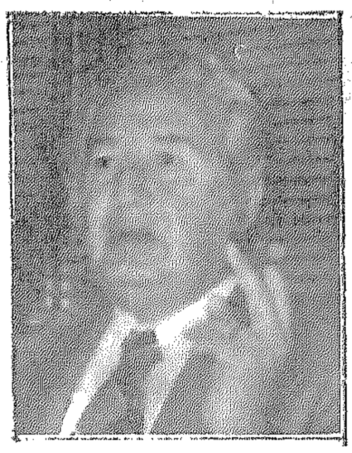
# فارس الدائرة المشئومة

بقلم : سليمان فيّاض



في سنوات الثلاثينيات ، كان التكوين الثقافي ، وكانت بواكير الانتاج القصصي لموجة جديدة من كتاب القصة المصرية القصيرة والطويلة ، موجة أكثر عروبة أو أكثر مصرية . وأصالة من الموجة السابقة في حقل القصة ، بعد أن عبدت لها بواكير الرواد الطريق في العقدين السابقين : المازني ، وهيكل ، وجورجي زيدان ، وعيسى عبيد ، وطاهر لاشين ، وجمعة ، وغيرهم . وكانت حركة أبوللو الشعرية في أوجها ، وجيل الرواد يزداد خصوبة إنتاجا وفكرا في الابداع والدراسة ، وكانت الحركة الفكرية تناقش اتجاهاتها بين الأصالة والمعاصرة : الاتجاه الاسلامي ، والاتجاه القومي العروبي ، والاتجاه الأقليمي المحلي ، والكل ، من يومها ، في حيص بيص ، حيال حضارة الغرب المادية الحديثة ، بنظاميها الرأسمالي ، والاشتراكي ، بين نافر ومؤيد ، وموفق للرؤوس في حلالات الفكر . وجازم بالتحريم في لقاء الشرق والغرب ، والمادة والروح .


نجيب محفوظ


احسان عبد القدوس


يوسف السباعى

وفى هذا الجو الفكرى العاصف ، والزاخر ، والكل يبحث عن فلسفة وهوية ، كان التكوين الثقافى لأعلام الموجة الجديدة من كتاب القصة المصرية القصيرة والطويلة ، وصار أبرزهم فى سنوات الثلاثينيات ، متوزعا بين الاتجاه فى القص الى موضوعات التراث التاريخية ، العربية ، والفرعونية والاسلامية : العريان ، أبو حديد مثلا استغرقتها موضوعات التراث الاسلامى والعربى . ومعهما كان « باكثير ، والسحار » وكان كلاهما عضوا بلجنة النشر للجامعيين ، مع « سيد قطب » و « نجيب محفوظ » وعادل كامل ، والاخيران شدتهما اليها فى البداية ، موضوعات التراث الفرعونى ، فكتب « نجيب » ثلاثيته الفرعونية ، وبينها : « رادوبيس » و « عبث الاقدار » وكتب « عادل كامل » روايته «ملك من شعاع » . وكان هذان الاثنان أكثر انفلاتا بين أعلام موجتهم من حقل التراث عامة ، فسار « عادل كامل » بروايته « مليم الأكبر » فى طريق جديد ، طريق المحلية المصرية العصرية ، ومثله فعل فيما بعد « نجيب محفوظ » حين كتب « خان الخليلى » ، بعيدا عن موضوعات التاريخ والتراث ، والمعالجة القصصية المباشرة لهما .

وكان « عادل كامل » ، أحد الوجوه القليلة التى وعتها ذاكرتى بين أعلام هذه الموجة الجديدة من القصاصين ، وعن معرفتى بعادل كامل ، وبفنة القصصى ، وانطباعا ، لاتأريخا ولانقدا سيكون هذا المقال القصير .

## ● ضباب ورماد

فى أواخر الاربعينيات ، كنا ثلاثة ، نرتاد المكتبة العامة ، بحى المختلط ، بمدينة المنصورة . كانت المكتبة فيما مضى ، استراحة لاحدى أميرات القصر الملكى على شاطى النيل ، وكانت لهذه الاستراحة درجات تصل الى النهر ، يرسو عليه قارب للأميرة ، وحلقات حديدية يشد اليها قارب الأمير . وصارت الاستراحة فى العهد الملكى مكتبة للمدينة ، تتبع دار الكتب المصرية فى باب الخلق بالقاهرة ، واحدة من سبعة وعشرين مكتبة تابعة لدار

الكتب ، فى مدن مصر الكبرى ، وعواصم مديرياتها .

كان قيّم المكتبة هو الشيخ أمين ، كان رجلا طيبا يعشق الثقافة ، ويحب روادها المدمنين للقراءة ، وبينهم كنا نحن الثلاثة : عبد الجليل حسن ، أبو المعاطى أبو النجا ، وأنا . وبلغت علاقتنا بالمكتبة ، وبقيّمها الشيخ أمين ، أننا كنا نتردد عليها فى أوقات عملها . عدا يوم الجمعة ، فى الصباح ، وفى المساء ، وصرنا بين مساعدىالشيخ أمين ، نتجول فى صالات الكتب الداخلية بها ، بين دواليب تحمل ثلاثين الف كتاب ، فلم يكن نظامها نظام المكتبات المفتوحة ، وننتقى لانفسنا مانقرؤه ، ونجلب للرواد مايريدونه من كتب ، حين يكون المساعد الوحيد للشيخ أمين غائبا ، وكثيرا ما يغيب مطمئنا الى وجودنا دائما .

وقعت عينى على صف لأعداد مجلة « المقتطف » رحت أتجول بين صفحاتها أياما . وقرأت فيها ، بين ماقرأته ، عملين أدبيين هامين للغاية : أحدهما كان محاورة أدبية ونقدية مترجمة ، حول الابداع والنقد ، اشترك فيها ثلاثة : كان أحدهم ناقدا أدبيا ، والثانى عالم طبيعة والثالث عالم رياضة هو « إينشتين » صاحب نظرية النسبية ، وكنت قد قرأت فيها كتاب نظرية النسبية العامة لمشرفة ، وفهمت ماكتبه مشرفة عنها ، لكن كتابه الآخر عن « النسبية الخاصة كان مليئا بالمعادلات الرياضية ، فعز علىّ التواصل معه . ودهشت لما قرأته فى المحاورة . فها هو إينشتين ، وصاحبه عالم الطبيعة ، يفهمان عن الابداع والنقد أكثر مما يفهمه ناقد الأدب .

**العمل الهام الآخر كان قصة لعادل كامل ، تحمل عنوان « ضباب ورماد » ولم آلف على صفحات أعداد المقتطف نشرها لقصة ، ولقصة مؤلفة ، ولكاتب مصرى ، كانت القصة قصيرة طويلة ، وتستغرق فيما اذكر اكثر من عشرين صفحة ، من صفحات عدد مجلة المقتطف الذى نشرت به ،** قرأت القصة مبهورا ، مسحورا ، لاهث الانفاس كانت القصة مغامرة روحية نفسية ، لفيض من المشاعر والاحاسيس ، لا حدث فيها يحكى ، عالما متتابعا من الصور والرؤى ، لاتخلو من دفق وجودى ، وتحديق الى الداخل ، كما ينطبع عليه العالم الخارجى . واللغة فيها لغة فريدة وجديدة فى القص القصير والطويل لاعهد لى بنصاعة نصاعتها ، والصور باهرة التكوين ، والزمن فيها يتداخل بانسياب فى ظل زمنى واحد ، والمشاعر حرة طليقة ، كما الطير فى السماوات .

وفيما بعد إذ وفدت إلى القاهرة فى الخمسينيات واتسعت دوائر قراءتى للمترجمات ، أدركت صلة هذا اللون من القص بعوالم جويس ، وفرجينيا وولف ، وبروست ، وفيما بعد ، فى الخمسينيات تذكرت أن تاريخ نشر هذه القصة بالمقتطف ، كان فى مطالع الثلاثينيات ، وحدثت نفسى أن عادل كامل بهذه القصة ، كان رائدا حقيقيا ، وأنه كان سابقا لزمانه وأوانه ، وحزنت لتوقفه عن القصّ . ولقد أستغرقت القصة المصرية

زمنا ، حتى بدت لاتجاهها الفنى إطلالات فى قصص قصاصى الستينيات ، مجرد إطلالات لاترقى الى مستوى « ضباب ورماد » لغة ، وبناء وصورا ، وعالما طليقا فى الزمن والمشاعر وأشك أن واحدا منهم قد قرأ هذه القصة القديمة العهد ، التى لم تنشر فى كتاب .

## ● مليم الأكبر

فى القاهرة ، فى سنوات الخمسينيات ، قرأت للمرة الأولى ، رواية « مليم الأكبر » لعادل كامل . كانت سياقا فنيا آخر ، غير سياق « ضباب ورماد » شحنة من الواقعية والعنفوان . حدثت نفسى أن هذا كاتب حقيقى له روح ، نيتشوى النزعة فى اختيار لموضوعه ، وفى روايته ، بل وفى شخوصه ولغته ، وحوارات ناسه فى عالم روايته . كاتب حقيقى له عالم واقعى خاص ، يفيض بروح الدراما ، بين فنانين ضائعين فى جيل ضائع ، فى « غرف مقبضة » فى حارة شعبية ساكنة ، ثابتة العادات ، رتيبة الحركة .

عدت أقرأ مقدمة عادل كامل بين يدى الرواية . القوة فى المقدمة هى نفسها التى وجدتها فى الرواية . اللغة الطليقة ، والارادة الحرة المتحدية ، التى تريد خلق العالم من جديد ، وإعادة صياغته ، هى هى التى لناسه فى الرواية . كان عادل كامل قد كتب هذه الرواية عام ١٩٣٦ ولم يتح له نشرها لأول مرة فى كتاب لأسباب لا أعلمها ( وقد كان عضوا بلجنة النشر للجامعيين ) إلا فى عام ١٩٤٣ ، ولم تنشر فصولها ، فى « الرواية » الملحق القصصى لمجلة الرسالة الزياتية ) التى كان ينشر بها نجيب محفوظ أقاصيصه الأولى . وكان « عادل كامل » قد تقدم بهذه الرواية لينال جائزة « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » ( مجمع اللغة العربية الآن ) وأبت اللجنة فى تقريرها أن تمنح هذه الرواية الجائزة . وقد منحها المجمع لرواية « لقيطة » لمحمد عبد الحليم عبد الله ( ربما لم يكن ذلك فى نفس السنة ) وعجبت لذوق أعضاء المجمع . فلقيطة كانت الباكورة الأولى لمؤلفها . وكانت مليئة بالسجع والمحسنات البديعة الأخرى ، وكان عالمها ميلودراميا يستدر العواطف فى استجداء ، وتبدو لغتها الفاظا وصورا وتراكيب كأنها خارجة لتوها من معطف « المنفلوطى » و « الرافعى » و « الزيات » غارقة فى قيود النثر الفنى غرق الشعر القديم فى قيوده ، وثار عادل كامل فى مقدمته ضد المجمع ثورة فنية عارمة شعرت بالحزن لعادل كامل : كيف لم يدرك آنذاك أن عليه أن يسبح فى مياه أخرى غير مياه المجمع ( آنذاك ) أو كيف تستدرجه جائزته ، أو يخدع بمعنى هذه الجائزة لكاتب مثله ، وايقنت انه اخطأ التقدير لنفسه ، ولروايته . وقدرت أنه ، ربما لهذا السبب وغيره من الأسباب التى لا أعلمها ، توقف عادل كامل عن كتابة القصة وكان المثقفون يتحدثون آنذاك عمن توقفوا : عن القص ، وعن الشعر وعن التاليف المسرحى ، وادركت أن عادل كامل ، بروايته « مليم الأكبر » وفى التاريخ الذى كتبت فيه عام ١٩٣٦ ، كان سابقا فى ارتياد الابداع القصصى فى تيار الواقعية النقدية ، لنجيب محفوظ صاحب « خان الخليلى » و « بداية ونهاية » ففى الوقت الذى كتب فيه عادل كامل قصة « ضباب

## فارس الدائرة المشئومة

ورماد » ورواية « مليم الأكبر » كان نجيب يكتب أقاصيصه الأولى على صفحات « الرواية » بين عامى ١٩٣٢ ، ١٩٤٣ ويجهد للاقتراب من لغة القص ، وبساطة اللغة ، والواقعية ، فى قصص أكثرها يعد من باب المفارقة ، والنكتة ، قصص بالعشرات ، لم يختر منها نجيب سوى عدد محدود ، نشره فى مجموعته الأولى « همس الجنون » ورفض نشرها سائرها فى مجموعات أخرى .

### ● ملك من شعاع

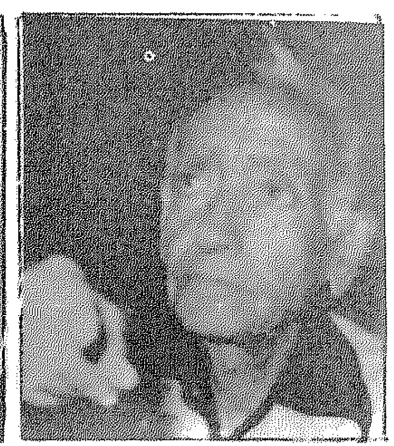
بين دعاة الاقليمية ، أو المحلية فى الأدب ، فى سنوات الثلاثينيات ، كان عادل كامل ، ونجيب محفوظ . وليس لأحدهما ، فيما أعرفه مقال فى هذا الصدد ، لكن نزوعهما الى هذا الاتجاه كان واضحا ، فيما أبدعاه من روايات . نجيب محفوظ كتب ثلاثة أعمال روائية فى التاريخ الفرعونى ، بينهما : « رادوبيس » و « عبث الأقدار » وعادل كامل كتب روايته التاريخية اليتيمة « ملك من شعاع » عن أخناتون الملك » موحد الآلهة فى إله واحد : هو « الشمس » .

ولأن الدعوة للإقليمية ، بمعناها الخاص ، بالتراث الفرعونى ، وبإمكان ربط الواقع العصرى لمصر بحضارة بادت ، وانقطعت ، فكرا ولغة ، باللغة القبطية ، ثم باللغة العربية ، وبالحضارة اليونانية ، ثم الرومانية ، ثم العربية الاسلامية ، فقد أخذت هذه الدعوة الاقليمية معنى جديدا ، عند نجيب محفوظ ، وعادل كامل ، معنى المحلية ، المصرية ، والعصرية . فكانت « مليم الأكبر » ، وكانت « خان الخليلى » وإذ توقف « عادل كامل » بعد « مليم الأكبر » عن القص استمر « نجيب محفوظ » فيه ، فقد أضاف نجيب الى نزعته المحلية المصرية العصرية ، وفى ثنايا رواياته ، معنى « الايمان » بصورته الاسلامية ، الصوفية ، التى تمثلت فى بعض شخصياته ، وراح يضفرها ، فى : ثلاثيته ، وحرافيشه ، وحاراته ، جنبا الى جنب مع : زيطة ، والموظفين ، والفتوات ، واليساريين ، والوفديين ، والأخوان ، وأحسب أن عادل كامل لو استمر فى القص ، لانتهى به الأمر الى نفس الطريق ، وإن تغيرت الرؤية ، وتغيرت التجارب وتغيرت طريقة المعالجة والتعبير .

عالم واحد ، هو عالم « ملك من شعاع » « ورادوبيس » « وعبث الأقدار » لكن رواية « ملك من شعاع » تبدو لى كرواية ، سامقة روائيا . قصا وفن قص ، على فرعونيات نجيب . ويزداد أسای لفقد القص المصرى لصنو ونظير لنجيب محفوظ ، وما قدرت عمق العلاقة بين الاثنين خاصة ، وهما أبناء حقبة واحدة ، ورفيقا عمر ، على كثرة لقاءاتى بنجيب فى مقهى الأوبرا ، حتى أتيحت لى الفرصة للقاء عادل كامل .

### ● الدائرة المشؤومة

عام ١٩٥٩ . عملت شهورا كصحفى بصحيفة الجمهورية كان سعد وهبة ،



محمود البدوى



محمد عبد الحليم عبدالله



عبد الحميد جودة السحار

كاتب المسرح ، يعمل بالصحيفة نائبا لرئيس التحرير . وكان يشرف على تحرير صفحة منوعة مثيرة بالصحيفة ، الصفحة الخامسة بالتحديد . عرضت عليه إدارة حديث صحافى مع « عادل كامل » صاحب « مليم الأكبر » وكان بها شهيرا بين كتاب القصة فى مصر ، ولم أكن قد كتبت سوى أربع قصص أو خمس ، نشرتها بمجلة الآداب ، وأذيعت من البرنامج الثانى بإذاعة القاهرة ، لكن معرفتى بعالم القصاصين فى مصر كان طيبا ، وافق سعد على الفكرة ، وكنت أعرف أن عادل كامل قد صار محاميا ، منذ منتصف الأربعينيات . وذهبت للقائه .

كان مدخل مكتبه مليئا بشوانين الملفات والبطاقات والموظفين والمحامين . وخرج من باب جانبى رجل ربعة جاوز الأربعين ببضع سنين ، مصرى الوجه ، أسمر راعنى انحناؤه وهو يصافحنى ، وراعنى هذا المنديل الابيض الذى يدسه فى كم يسراه ، مثل لورد انجليزى . وصحبنى الى مكتبه الخاص .

فاتحته فى سبب زيارتى له ، فابتسم . وقال لى :

ـ دعنا من الحديث ، فهذا أمر نسيناه .

عدت أعرض ماجئت أسأله عنه ، ولا أعرف تماما كيف تحول الموقف بيننا . صار المسؤول يسأل . قال لى :

ـ أهم من ذلك . أن نتعرف ببعضنا أنا وأنت . قد نصير صديقين . قدومك إلىّ . يجعلنى أشعر انك قرأت لى « مليم الأكبر » وانك تمارس كتابة القصة .

قلت :

ـ وقرأت رواية « ملك من شعاع » ، وقصة « ضباب ورماد » وكأنما مسّت فيه إشارتى لضباب ورماد ذكرى خاصة انفتح صدر « عادل كامل » لى . خلع جاكتته ، والقى بمنديل كمه جانبا . وشمر قميصه الى منتصف ساعديه . وقال :

الآن . نتكلم . أريد أن أقرأ لك .

حدثته عن نفسى . وحدثنى عن نفسه ، مؤكدا بين حين وأخر . أننا نتعارف . وان مايقوله ليس للحديث الصحفى . اراني صورة لبناته الثلاث . باح لى بأن « نجيب

محفوظ » لايدخل أحدا بيته ،فيما يعلم ، سواه باح لي بأن « نجيب » لايطلع أحدا قبله ، على قصة له ، إثر كتابتها بالآلة الكاتبة . وأراني رواية « أولاد حارتنا » الموضوعة على مكتبه « قبل أن تنشر مسلسلا بالأهرام » وقبل أن تصدر فى كتاب ببيروت ، إثر اعتراض الرقابة الدينية على موضوعها . وباح لى بأنه قدم لنجيب خدمة العمر ، منذ أن عمل هو ( عادل كامل ) محاميا . أتاح له أن يكتب سيناريوهات لافلام السينما ، فغطى بأجوره عنها نفقات أعوامه كموظف بالأوقاف ، وأتاح له فراغا يوميا ، يكتب فيه قصصه ، كان سينفقه فى القلق على موارد المعيشة الشهرية ، وفى العمل الاضافى بأى مكان . وضحك « عادل كامل » وقال :

ـ أنا سعيد حقا ، لاننى أتحت له هذه الفرصة . أحدنا على الاقل قد بقى فى ساحة القصة يكتب قصصا .

رحت أسأله عن رأيه فى القصاصين اللامعين الذين تشهدهم ساحة الابداع القصصية فى مصر . محمد عبد الحليم عبد الله ، وإحسان عبد القدوس ، ويوسف السباعى ومحمود البدوى ، وسواهم من المعروفين ، ظننت انه يجد وقتا أو رغبة لقراءة احد من هؤلاء القصاصين الجدد ، فى صحيفة « المساء » أو فى مجلة « روزاليوسف » ، ولم يخف رأيه فيمن سألته عنهم ، ولم يتحرج فى البوح به ثم قال لى :

ـ هؤلاء صنعوا أنفسهم بالاعلام . لاأستثنى منهم سوى محمود البدوى فى بداياته الأولى ، ويضيعون أنفسهم وأوقاتهم بكتابة القص كنا قد قضينا ساعتين من الثانية ظهرا ، حتى الرابعة عصرا ، ونسى كلانا حاجته الى الطعام ، لاشىء سوى الحديث وفناجين القهوة . سألت عادل كامل :

ـ لم توقفت عن كتابة القصة ؟

**ـ اثر موقف مجمع اللغة من روايتى ، أدركت أنه لاقبل لى بإضاعة الوقت فى مناطحة الصخر . وأدركت اننى لن أعيش من قلمى ككاتب ، وان قلمى لو صار فى يدى سيفا ، ولاينبغى له ان يكون فى يد الكاتب ، سوى سيف ، سيجعلنى أعانى أكثر مشقة مجرد العيش . قررت فى تلك اللحظة ، ان أكون محاميا . وهاانذا كما ترى ، ميسور الحال . الشوانين ملأى بالملفات والبطاقات . شركات كثيرة بقلب المدينة قضاياها بمكتبى هذا ، وأنا بعد محامى الفنانين المقيمين فى مصر ، والذين يفدون اليها من الفنانين أو يخرجون منها ، وبفضل معرفتى بهؤلاء ، الفنانين ، أتحت الفرصة لنجيب ، ليكتب سيناريوهات للسينما ويواصل كتابة قصصه . ثم اكد على . قال :**

**ـ ما قلته تعارف ، وليس للحديث . اسمع .**

**وطلب منى أن القاه غدا ، ومعى قصص أختارها له ليقرأها لى ، ولنزداد معرفة ببعضنا .**

**فى اليوم التالى . حملت له ثلاث قصص ، ولم يكن بمكتبه ، فرحت**

اتجول بين الكتب المجلدة في دواليبها الزجاجية التي تحيط بالجدران الاربعة لايقطعها سوى فراغي النافذة والباب . كانت كلها كتبا في الادب بلغات ثلاث . وليس بينها كتاب واحد في القانون . وجاء عادل وجلسنا .. وواصلنا ما انقطع من الحوار . وانصرفنا على موعد في الغد .

قال لى فى لقائنا الثالث :

ـ قرأت قصصك . ولاينبغى ان تتوقف عن كتابة القص يوما . مثلما فعلت انا . اسعدنى ما سمعته منه . وقلت له :

ـ أود أن أسالك سؤالا . اانت حقا سعيد بما انت فيه .. ولاتحن إلى الكتابة ؟

قال لى :

ـ ساقول لك الحق . لست الآن . ومنذ سنين سعيدا بما فعلت . وإني لشديد الحنين للكتابة . وحاولت العودة اليها وقد استقرت لى الاحوال . كتبت جانبا من رواية لى بعنوان « الدائرة المشؤومة » موضوعها عن هذه اللقاءات التي كانت تجمعنا . انا ونجيب والسحار وباكثير تحت قاعدة تمثال باخر كوبرى قصر النيل . لقاءات ضائعة . حائرة . لجيل ضائع . لكنني اكتشفت ان قلمي قد صدىء . وأن روحى لم تعد روح كاتب . فقدت الدربة احذر ان تفقدها يوما . الروح تتحفز وتتوهج بالممارسة . والقلم لايجف مداده بالكتابة .

وزفر عادل كامل بأسى ساخر . ومرارة ضاحكة وقال :

ـ سبقني نجيب . وتطور . وانا حيث توقفت . ولذلك لم أكمل روايتى . وازحتها جانبا .

ثم قال لى :

ـ انقذ نفسك من العمل بالصحافة . وبسرعة لاتعمل شيئا سوى كتابة القصة . ساتيح لك الفرصة التي اتحتها لنجيب . وتعيش منها . وتفرغ معظم وقتك .. لقصصك . والبحث عن تجارب لقصصك .

وضحك ، وقال :

ـ سوف أعرفك ايضا باجواء القاهرة التي لاتعرفها . ويعز عليك الدخول اليها .

قلت بذعر :

ـ لكنني لم ادرس الس[illegible]يو

قال لى مؤكدا . وهو [illegible]

سيناريو لفيلم :

ـ خذ . هذا سيناريو فيلد باب الحديد » اقراد . واصنع [illegible] تبحث عن [illegible] سينما الآن . [illegible] « يهوذا والجزار والضحية » . لغتها لغة صورة . وذلك ماتريده السينما ولاتحمل هم السيناريو المنتج والمخرج سيرحبان به . [illegible]هذه القصة

قلت :

ـ ساد[illegible] لكن ..

قال لى [illegible]كا :

ـ الرغبة في نشر حديث معى تسيطر عليك كما تشاء . اكتب الحديث .

قلت :

ساطلعك على ما ساكتبه .

فقال لى :

ـ لا ذاكرتك طيبة . وانا اثق بك . ولاتتحرج فى نشر ماقلته عن احد وكتبت الحديث . ونشرت . وثار

**المكتوب عنهم ، ورفضوا الدخول فى أى حوار تعليقا على حديث عادل كامل لى .**

**وتهربت من لقاء « عادل كامل » مرة أخرى لقاء خاصا خفت من ضغطه علىّ لأكتب السيناريو طوال عشر سنوات . خفت من تأثير كتابة السيناريو على كتابتى للقص فقد كنت ، ماأزال فى تقديرى لقصصى ، غض العود ، وخفت أن أدخل بقصصى فى دائرة مشؤومة أخرى .**

## دون عشرة جنيهات

أغرى « الشاعر « فاروق شوشة » بالحديث الذى نشرته مع « عادل كامل » وبحديثى عنه ، وكان فاروق يعمل مذيعا بإذاعة القاهرة ، ويقدم برنامج « مع النقاد » من البرنامج الثانى ، واتخذ فاروق قرارا بإذاعة قصة « ضباب ورماد » من إذاعة البرنامج الثانى ، وتقديم حلقة من البرنامج مع « عادل كامل » . وأذيعت القصة كاملة وزاد وقت إذاعتها على الساعة وربع ساعة ولم يكن وقت الارسال بالبرنامج يزيد أنذاك على ثلاث ساعات . وأذيعت الحلقة فى حوار مدهش من الطرفين . السائل والمسؤول . ولايزال نص الحوار الذى نقله فاروق ، من الشريط المسجل تحت يده . مع نصوص الحلقات أخرى مع صفوة المبدعين من الأدباء فى تلك السنوات ينتظر النشر فى كتاب .

وجاء موعد صرف المكافأة الاذاعية لعادل كامل عن قصة « ضباب ورماد » وعن حديثه الحوارى فى برنامج « مع النقاد » وسعى عادل كامل إلى الاذاعة ربما حرجا منى ومن فاروق ليتسلم مكافأته ، وصحبه الساعى إلى وحدة العقود بين الدورين الرابع والعاشر ، وفوجئنا نحن وفاروق ، بعادل كامل ، يوقع إذنى الصرف عن القصة ، والحديث الحوارى ، ويعطيه لمصطفى الساعى ، قائلا له :

– أصرف المكافاتين ، وخذ قيمتهما لك .

ولم يضطرب عرق واحد ، فى وجه عادل كامل كانت المكافأة عن قصة « ضباب ورماد » جنيهين وستة وعشرين قرشا من جنيهين ونصف ، بعد الاستقطاعات وكانت المكافأة عن الحديث الحوارى لمدة ساعة ، فيما أذكر خمسة جنيهات وكسورا من القروش والملاليم ، بعد الاستقطاعات فالحديث الحوارى أجره فى الاذاعة مهما كان وقته ثلاثة أرباع مكافأة الحديث غير الحوارى ، وكلاهما لايحسب له وقت فى تقدير المكافأة أكثر من عشر دقائق .

وغرقت فى العرق حياء من عادل كامل ، فأنا الذى جررته ، هو الذى استقرت به الأحوال ، وتوقف عن الكتابة هربا من مواجهة مثل هذا الموقف ، وما أحسب حال فاروق آنئذ كان بأفضل من حالى . ونظر الى عادل كامل ، وأنا أسير معه وفاروق إلى المصعد وقال لى :

– متى ستريح نفسك وتكتب سيناريو لفيلم ؟!

## فى الذكرى الخامسة والخمسين لحافظ ابراهيم

تمر فى ٢١ يوليو الحالى الذكرى الخامسة والخمسون لرحيل شاعر النيل حافظ ابراهيم .. وفى هذه المناسبة نحيى ذكراه بهذا المقال الذى نفرده له كواحد من ألمع الشعراء الضباط .






بقلم : كمال النجمى

الملازم الأول حافظ أفندى ابراهيم ، شاعر النيل ، هو أشهر الشعراء الضباط فى مصر ـ وليس أشعرهم ـ بعد اللواء محمود سامى البارودى باشا ، باعث نهضة الشعر العربى قبل مائة عام ..

خاض البارودى الحرب وكابد اهوالها ، فوصفها فى شعره البدوى الفخم وَصْفَ مَنْ رَأَى لَا مَنْ سَمِعَ .. وهو فى هذا الباب من الشعر نسيج وحده بين شعراء عصره جميعا ..

اما حافظ ابراهيم فلم يكن شعره عن الحرب الا صدى لما يطالعه فى الصحف ، ويقرؤه فى كتب التاريخ ، ويسمعه من قدماء المحاربين المصريين فى الحبشة والسودان والقرم وكريت ، لأن خدمته العسكرية المضطربة القصيرة المتقطعة ، انقضت فى ظل السلام الوارف ، فلم يخض معركة كبيرة ولاصغيرة ، ولم يجتمع له من البواعث النفسية الجياشة عن الحرب شىء كثير ولاقليل مما اجتمع لاستاذه البارودى ، حتى اوشك حافظ ابراهيم ذو النشأة العسكرية ، ان يكون اقل شعراء عصره احتفالا بهذا الباب من الشعر الذى تابعه شعراء عصره بيقظة وحماسة فى حروب الاتراك العثمانيين ـ أصحاب الخلافة الاسلامية ـ منذ أواخر القرن



التاسع عشر الى سنة ١٩٢٢ التى انتصر فيها الاتراك على اليونان فيما سمى « حرب الاستقلال بقيادة مصطفى كمال قبل الغاء السلطنة والخلافة ...

كان حافظ فى الصف الأخير من شعراء عصره فى هذا المضمار حتى انه لم يلتفت الى « حرب الاستقلال » التركية التى التفت اليها كبار شعراء عصره ، وعلى رأسهم أحمد شوقى أمير الشعراء ..

ومن يطالع ديوان شوقى يجد فيه تسجيلا رائعا للحروب العثمانية فى عصره بانتصاراتها وانكساراتها .. وحسبه ما سجل من انتصاراتها فى قصيدته المطولة التى مطلعها :

بِسيفكَ يعلو الحق والحقِ أغلبُ
وَيُنْصَرُ دينُ اللّهِ أَيَّانَ تَضْرِبُ

أما الهزائم العثمانية فإن لشوقى فيها قصيدته الرائعة المشهورة التى مطلعها :

ياأُخْتَ أندلسٍ عليك سلامُ
هَوَتْ الخلافةُ عنكِ والاسلامُ

● ضابط بالصدفة

لم يكن حافظ ابراهيم من رجال الحرب الا بحكم وظيفته التى أخرجه الانجليز منها سنة ١٩٠٠ وهو ضابط صغير ضمن قوة مصرية كانت ترابط فى السودان .. اذ نشب خلاف سنة ١٨٩٩ بين اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر وبين الخديو عباس حلمى ، كانت عاقبته عزل ثمانية عشر ضابطا من قوة مصر فى السودان ، أحدهم حافظ ابراهيم ..

وقد اعيد ثانية الى العمل العسكرى ثم أحيل الى « المعاش » او « التقاعد » بناء على رغبته سنة ١٩٠٣ وهو يحمل رتبة « ملازم أول » بعد خدمة اثنى عشر عاما فى الجيش متنقلا بين مصر والسودان ، وبين وزارتى الحربية والداخلية ، وبين الاحالات المتكررة على « الاستيداع » .. حتى أصابه اليأس ، وقنع بمعاش التقاعد وقدره أربعة جنيهات مصرية ! ..

لم يصبح حافظ ضابطا الا مصادفة ، وربما على الرغم منه ، فقد فشل فى جميع الاعمال التى زاولها فى صباه وشبابه الباكر ، فزين له بعض نصحائه ان يلتحق بالمدرسة الحربية ، فالتحق بها وتخرج ضابطا برتبة الملازم الثانى وهو فى العشرين من عمره ، تداعبه الأحلام فى مستقبل زاهر حافل ، بعد ذلك الفشل المتكرر فى اعماله السابقة ! ..

ولكن حافظا ـ كما تقدم ـ لم يكن من رجال الحرب ! .. يقول الأديب المؤرخ الكبير الاستاذ أحمد أمين ـ رحمه الله ـ فى مقدمته للطبعة الأولى من ديوان حافظ التى أصدرتها وزارة

المعارف المصرية سنة ١٩٣٧ ، ثم سرقتها وزورتها إحدى دور النشر اللبنانية واسمها « دار العودة » ووزعت منها الوف النسخ فى مصر : « يخيل لى أن حافظا لم يُخلق رَجُلَ قتال ! .. نعم كان منظره رجل حرب ، فهو مستحكم الخلقة ، وثيق التركيب ، مفتول الساعدين ، عريض المنكبين ، ولكن لا أظن أن قلبه يشاكل جسمه .. لقد ظل وهو فى السودان يشكو فى شعره حَرَّهُ ، ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة وترفها ونعيمها » ..

لهذا - فيما يبدو - لم يبال حافظ الا قليلا بما نشب فى عصره من حروب - وهى كثيرة - ولم يهتز، الا عندما انتصرت اليابان على روسيا القيصرية فى معركة « موكدن » الشهيرة سنة ١٩٠٥ مثلما اهتز « الشرقيون » جميعا فى آسيا وافريقيا لهذا الانتصار اليابانى ، لأنه كان اول انتصار كبير فى القرن العشرين تحرزه دولة « شرقية » على دولة أوربية ! .. وكانت كلمة « الشرق » فى عهد حافظ تتضمن معنى « الاسلام والعروبة » فيما تتضمن من معان كثيرة .

نشبت الحرب بين روسيا القيصرية واليابان فى فبراير سنة ١٩٠٤ .. وكانت بدايتها أشبه ببداية الحرب بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية فى ديسمبر سنة ١٩٤١ ، اذ فاجأ اليابانيون الأسطول القيصرى وهو يرسو غافلا فى ميناء « بورت آرثر » وفتحوا عليه نيران سفنهم فدمروه تدميرا ..

وثمة فرق بين معركة بورت أرثر هذه ومعركة بيرل هاربر المشهورة التى دمر اليابانيون فيها زهرة الأسطول الأمريكى خلال الحرب العالمية الثانية ، ذلك هو الفرق بين قنابل البوارج والمدمرات اليابانية التى انطلقت على بورت آرثر ، وبين قنابل الطائرات اليابانية التى تساقطت على بيرل هاربر .. أما النتيجة فى الحالتين فكانت واحدة ، فقد خسر الأمريكيون أسطولهم كما خسر القياصرة أسطولهم من قبل ! ..

كانت الحرب الروسية اليابانية ، صداما داميا شرسا بين دولة أوربية مسيحية ودولة أسيوية لم تدخل فى دين سماوى .. وفى ذلك يقول حافظ ابراهيم :

قد أقسم « البِيضُ » بصلبانهم
لايهجرون الموتَ أو يُنْصَروُا
وأقسم « الصُّفْرُ » بأوثانهم
لايُغمدون السيفَ أو يظفروا
فمادت الأرض بأوتادها
حين التقى الأبيض والأصفر
وأثملتها خمرةٌ من دمٍ
يلهو بها « الميكادُ » والقيصر
وأصبحتْ « مُكْدِنُ » ياقوتةً
يغار منها الدُّرُّ والجوهر

ويصف حافظ ابراهيم الموقف اليائس للجنرال كروبتكين قائد الجيش الروسى القيصرى ، والموقف الظافر للجنرال أوياما قائد الجيش اليابانى الأمبراطورى :

امسىٰ « كروبتكين » فى غمرةٍ
وبات « أوياما » له ينظرُ

فكم قتيل بات فوق الثرى
ينتابه الأُظْفُورُ وَالمِنْسرُ
وكم جريح باسطٍ كَفَّهُ
يدعو أخاه وهو لايبصر
فهل درى القيصر فى قصره
ماتعلن الحرب وما تضمر ؟!

لم يكتم حافظ اغتباطه وفخره بانتصار اليابانيين الشرقيين على الروس الأوربيين الا انه التفت فى آخر قصيدته الفتاة إنسانية شاملة ، تستنكر الحروب وإهراق الدماء وتدمير العمران .. قال :

تسوءنا الحربُ وإن أصبحتْ
تدعو رجال الشرقِ أنْ يفخروا

فالحروب تسوء العقلاء والرحماء ولو كانت عاقبتها نصرا مبينا كالذى أحرزه اليابانيون فى البر والبحر على جيوش القيصر الروسى وأساطيله ..

ولكن حافظ ابراهيم ، مع استنكاره للدمار الذى تجلبه الحروب ، ظل يتغنى باليابانيين الذين كانوا يحاولون تمهيد مكان لهم فى نادى الدول الاستعمارية ، فنظم قصيدته التى عنوانها « غادة اليابان » .. ومطلعها :

لاَتَلُمْ كَفِّى إذا السيفُ نَبَا
صَحَّ مِنِّى العزمُ والدهر أبى

فى قصيدته هذه حاول ان يروى قصةً او حكاية عن فتاة يابانية تخيل انه التقى بها وحدثته انها ماضية الى ميدان القتال ، فحاول ان يثنيها عن عزمها ، وأراد تخويفها من الحرب ، فقال لها فيما تخيله من كلامه إليها :

فَسَلِينى ! .. إننى مارستُهَا
وركبتُ الهولَ فيها مَرْكَبَا
وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فى غارةٍ
أَسْدَلَ النَّقْعُ عليها هَيْدَبا
جاك عزرائيل فى هيدبا
تحت ذاك النقع يمشى الهَيْذَبَى

وشاعرنا هذا الذى زعم فى أبياته هذه أنه ركب الهول فى الحرب ، وتقحَّم الموت فى الغارات ، وأسدل النقع او الغبار على عينيه هيدبا ، أو سحابا أسود لايرى من خلاله شيئا ... شاعرنا هذا المغوار ، لم ير حربا قط ، ولا كان له فى أية غارة أو معركة كر ولا فر ، الا انه وجد مجال القول واسعا مع فتاته اليابانية المزعومة فقال لها ولنا ماشاء ، وليس عليه من حرج ! ..

لم تصغ الفتاة الى « توسلات » حافظ ابراهيم ، ومضت الى الحرب قائلة له كما جاء على لسانها فى قصيدته تفخر ببلادها وبأمبراطورها « الميكادور » المقدس :

أنا يابانيةٌ لا أنثنى
عن مرادى أو أذوقَ العَطَبَا
أنا إنْ لَمْ أُحْسِن الرَّمْىَ ولم
تستطعْ كفاى تقليبَ الظُبَا
أخدم الجرحى وأقضى حقهم
وأواسى فى الوغى مَنْ نُكِبَا
هكذا « المِيكَادُ » قد عَلَّمَنَا
أَنْ نرىَ الأوطانَ أُمَّاً وَأَبَا
مَلِك يكفيك منه أنه
أنهضَ الشرقَ فَهَزَّ المغربا

عندئذ تركها حافظ تمضى لشأنها ، ووافقها على الفخر بانتصار الشرق على الغرب فى تلك الحرب ، ولتفعل الحرب ما شاءت بالناس ، أفرادا وجماعات !

لم يتطوع حافظ للقتال ضد الغزاة الطليان كما تطوع شاعر معاصر له هو الامير شكيب أرسلان صاحب أقوى وأجود قصيدة قيلت فى تلك الحرب ، ومطلعها :

سِراعاً بنى أُمِّي بِحَثٍّ ظُعُونِهاَ
فما حَرَّكَ الآلامَ غَيْرُ سُكونِها

ولم يتحرك حافظ لنظم شىء فى هذه الحرب إلا بعد نشر قصيدة شكيب أرسلان فى جريدة « المؤيد » والجرائد الأخرى .. وكان المستعمرون الطليان المتعصبون قد أعملوا القتل والفتك والهتك فى المدنيين المسالمين ، رجالا ونساءً وأطفالا ، ولم يستطع الخليفة العثمانى ولا حكومة « الاتحاد والترقى » العثمانية إلا الاستسلام للمقادير ! ..

فى هذه المأساة نظم حافظ قصيدته التى مطلعها :

طَمَعَ ألقى عن الغرب اللثاما
فاستفق ياشرق واحذر أن تناما

وأيقن حافظ بعد هزيمة دولة الخلافة الاسلامية العثمانية فى هذه الحرب ـ برغم ضعف الطليان وفسولة أدائهم العسكرى ـ أن الغرب هو الأقوى سواء كان اسمه فرنسا أو بريطانيا أو إيطاليا ، وأن « الشرق » لم يصبح قويا إلا فى ركن قصى هو اليابان ، أما الشرق الاسلامى فهو مستغرق فى نوم عميق أشبه بالغيبوبة وقد جثمت على صدره الخطوب الجسام .. قال حافظ يصف فظائع الاستعماريين الأيطاليين فى ليبيا :

عجز الطليان عن أبطالنا
فأعلوا من ذرارينا الحساما



كبلوهم ، قتلوهم ، مثلوا
بذوات الخدر ، طاحوا باليتامى
ذبحوا الأشياخ والزمنى ولم
يرحموا طفلا ولم يبقوا غلاما
أحرقوا الدور ، أستحلوا كل ما
حرمت «لاهاى» فى العهد احتراما
كشفوا عن نية الغرب لنا
وجلوا عن أفق الشرق الظلاما
فقرأناها سطورا من دم
أقسمت تلتهم الشرق التهاما

لقد رأى حافظ ـ مرة أخرى ـ أن الحرب هى صراع بين دول أوربا الاستعمارية ـ أى الغرب ـ وبين الأمم الشرقية التى انتصر لها اليابانيون الناهضون المتطلعون الى نصيبهم من المستعمرات ، ولم يستطع أن ينتصر لها العثمانيون الذين كانت شمسهم على وشك الأفول الأبدى ! ..

وكان من ذيول الحرب العثمانية الأيطالية فى ليبيا أن أغار الاسطول الأيطالى على بيروت سنة ١٩١٢ ، ولبنان والشام كله حينذاك تحت راية الخلافة العثمانية ، فسقط من أهل بيروت عدد كبير من القتلى والجرحى ، ولم يستطع الاسطول العثمانى أن يحمى هذا الثغر من ثغور دولته « العلية » ! ..

هزت هذه الحادثة العرب والمسلمين ، فنظم حافظ تمثيلية يدور فيها حوار منظوم بين أحد الجرحى وبين فتاة تدعى « ليلى » وطبيب يعالج المصابين ، وشخص من أهل بيروت :

فى هذه التمثيلية ـ إن صح أن تسمى كذلك ـ حاول حافظ تقسيم المعانى التى خطرت بباله بين المتحاورين الأربعة ، فأنطق كلًّا منهم بأبيات كاملة ، ولم يتيسر له تقسيم الأبيات إلى كلمات أو جمل قصيرة بين المتحاورين كما فعل أحمد شوقى بعد ذلك فى مسرحياته الشعرية .. على أنه يمكن أن يقال إن حافظا قد سبق شوقى فى نظم الحواريات الشعرية ولو بتلك الطريقة الساذجة ! ..

ثم نشبت الحرب العالمية الأولى فظل حافظ صامتا بضعة أشهر لأنه كان يخشى قول الشعر فى « السياسة » ويخاف على منصبه فى دار الكتب وعلى رتبة البكوية من الدرجة الثانية التى نالها سنة ١٩١٢ .. فلما تثبت من أنه لا ضرر ولا ضرار فى الكلام عن هذه الحرب مادام مؤيدا للجانب الذى فيه بريطانيا صاحبة « الحماية » على مصر ، نظم قصيدته التى مطلعها :

لاهُمَّ إن الغرب أصبح شعلة
من هولها أُمُّ الصواعق تفْرق

نعى فيها على الألمان استعمال الغازات السامة سلاحا فى الحرب .. قال :

ولقد حسبت العلم فينا نعمة
تأسوا الضعيف ورحمة تتدفق
فإذا بنعمته بلاء مرهق
وإذا برحمته قضاء مطبق
عجز الرماة عن الرماة فارسلوا
كِسَفاً يموج بها دخان يخنقُ

ولم يكن للحكومة المصرية حينذاك من عدو إلا الألمان لكونهم أعداء البريطانيين ، فامتشق حافظ قلمه وأهوى بسنانه على الأمبراطور الألمانى غليوم الثانى الذي زحفت جيوشه على فرنسا ـ حليفة بريطانيا ـ فدمرت المدن والقرى ، وقصفت مدافعها مدينة « ريمس » الفرنسية فهدمت كنيستها التاريخية المشهورة .. قال حافظ يخاطب الأمبراطور الألمانى ويوبخه :

إن كنت أنت هدمت رمس فإنه
أودى بمجدك ركنها الموهون
لم يغن عنها معبد خربتَه
ظلما ولم يمسك عُنانك دين
أكثرت من ذكر الاله تورعا
وزعمت أنك مرسل وأمين
وكذلك القَصَّابُ يذكر ربه
والنصل فى عنق الذبيح دفين

● هذه هى قصائد شاعر النيل الملازم الأول حافظ ابراهيم فى « الحرب » .. لم تزد على « تعليقات » شعرية ، أوحتها إليه أخبار الصحف ، وليس فيما نظمه عن الحروب ما يدل على أن وراءه تجربة شخصية فى القتال ولو ضد فلول الدراويش فى السودان ، أو ضد عصابة من قطاع الطرق

ولاتثريب عليه ، فإن مدة خدمته العسكرية كلها كانت فى زمن السلم ، فلم يخض حربا ، ولم ير معركة ، برغم تهويله على « غادة اليابان » بما زعمه من تمرسه بالحرب ، ومقارعته الأبطال تحت النقع المثار !!

لقد كان حافظ ابراهيم ـ رحمه الله ـ رجلا مسالما سمحا معتدلا لايحمل ذرة من الروح العدوانية ، يؤثر السلامة وينفق نصف وقته فى التفكه والتسرية عن نفسه وعن أصدقائه .. وهو فى كل الأحوال قانع بحياته ، يأكل العيش بالجبن ، كأنه الشاعر المصرى القديم الذى قال فى تلاعب لفظى طريف :

أقول وقد شنوا الى الحرب غارة
دعونى فإنى أكل العيش بالجبن

وفى كلمة « الجبن » هنا تورية واضحة الدلالة ـ كما لايخفى ـ ولها معنيان ، معنى أكل الخبز بالجبن ، ومعنى حماية النفس بالجبن وعدم الاندفاع إلي التهلكة فى الحرب بدعوى الشجاعة وكذلك كان حافظ ! ..

# ثورة.. وسينما لم تكتمل

**أكثر الهراء غرابة فى هذه الايام ، ما تكتبه بعض الاقلام من كلام حاصله ان السينما عندنا كانت احسن حالا قبل فجر الثالث والعشرين من يوليه لعام ١٩٥٢ منها بعده .**

بقلم : مصطفى درويش

● ووجه الغرابة فى هذا الكلام الاقرب الى اللغو ، انه لو استطعنا العودة عبر رحلة الذاكرة الى السينما الروائية عند الميلاد على أرض الوطن ، أى فى الربع الرابع من عقد العشرينيات ، ثم الصعود مع سيرتها مرة ثانية نحو المستقبل حتى بلوغها سن الخامسة والعشرين ربيعا فى الربع الأول من عقد الخمسينيات ، لو استطعنا ذلك لوجدنا أمامنا سينما وطنية تعيش عالة على السينما العالمية فى كل صغيرة وكبيرة .

فالمعدات مستوردة ، والأفكار مستعارة ، والاخطر من هذا كله ذلك الانبهار بسينما هوليوود الذى وصل الى حدّ التأليه والسجود لأفلامها ، والتقليد الأعمى لكل ما تنطوى عليه من زبد لا ينفع الناس .

ولبيان هذا المدى فى التأثير ، تكفى نظرة طائرة على كل من "قبلة فى الصحراء" للاخوين ابراهيم وبدر لاما ( ٥ مايو لعام ١٩٢٧ ) الذى يعتبر بحق أول فيلم عربى روائى تجارى طويل .

و"ليلى" للمخرج "استفان روستى" ( ١٦ نوفمبر لعام ١٩٢٧ ) ، والذى به ـ فى رأى نفر من مؤرخى السينما ـ بدأ انتاج الافلام الروائية الطويلة فى مصر ، وذلك باعتبار ان نجمته ومنتجته "عزيزة امير" تحمل الجنسية المصرية ، الامر غير المتواقر فى حق الاخوين "لاما" .

## ● الارض الخراب

وسواء اكان اى من هذين الفيلمين ، هو الأول أم الثانى ، فمن المتيقن أن الانتاج السينمائى بدأ على أرض مصر ، والوطن العربى ، ما عدا المملكة السعودية وامامة اليمن ، ترفرف على جميع ربوعه من المحيط إلى الخليج أعلام الاستعمار الانجليزى والفرنسى والايطالى والاسبانى والحكم فى مصر يتقاسمه الإنجليز والسراى واحزاب لا تمثل سوى الأقلية ، وشراذم من المغامرين والأفاقين الأجانب .

فى هذا الجو الذى يشيع فيه الذل والخوف ، بدت السينما فى مصر ، او



عزيزة أمير



أسيا داغر

بمعنى أصبح فى الوطن العربى كما لو كانت لا تعرف إلا لحنا واحدا لا يتغير .

## ● معبود هوليوود

**ومهما يكن من الامر ، فما هو هذا اللحن الواحد الذى يعزفه الفيلمان الرائدان ؟**

أولهما : وهو منقول جملة وتفصيلا عن فيلم امـريكى قام بتمثيلـه "رودلف ڤالنتينو" معبود النساء تحت اسم "ابن الشيخ" ، يقول ضمن ما يقول من تفاهات أن شابا "شفيق" من الاعراب المقيمين فى الصحراء ، رأته شابة امريكية "هلدا" فهامت به من اول نظرة .

وكان "شفيق" مولعا بسباق الخيل والمراهنة ، دائم الشجار مع عمه لهذا السبب .

وحدث ذات يوم أن عثر "شفيق" على عمه قتيلا ، وحامت حوله الشبهات الامر الذى اضطره الى الفرار والاختفاء فى الصحراء حيث انضم الى عصابة من قطاع الطرق .

وتشاء الصدف ان تهاجم العصابة قافلة تضم "هلدا" ويأمر "شفيق" رفاقه بإخلاء سبيل القافلة بمجرد تعرفه عليها .

وبفضل خنجر مشدود إلى وسطه تتعرف هى الأخرى عليه ، فتعود اليه لتعبر عن هيامها به ، ويتعانقان ، الا انه سرعان ما يتذكر انه طريد العدالة ، ولا يستطيع العودة معها الى المدينة .

وبعد ان تستأنف رحلتها مع القافلة ، يزف اليه نبأ الحكم ببراءته ، فيلاحق القافلة فى الصحراء حيث يكتشف ان ثلاثة لصوص قد اختطفوا "هلدا" فيطاردهم حتى ينتصر عليهم ويسترد محبوبته .

## ● طريق الضياع

ومن عجب أن الاخوين لاما ظلا مدمنين لهذا النوع من الهراء المستورد حتى آخر فيلم لهما "صلاح الدين الايوبى" ( ١٩٤١ ) فهو لا يعدو ان يكون

## ثورة.. وسينما لم تكتمل

مسخا اختلطت فيه الامور ، فالجيوش الصليبية تكر وتفر بأسلوب قطاع الطرق ، تخطف ، تنهب ، تحرق .

"وصلاح الدين" مع نفر من الاتباع الابرار يقف بالمرصاد للصليبيين الاشرار كما رعاة البقر فى أفلام الغرب الامريكى .

وللنهوض فنيابفيلمه اختصر "ابراهيم لاما" الطريق ، لجأ الى ما نعتته مجلة "الراديو" وقتذاك" بسرقة غريبة او تدجيل من نوع جديد كيف ؟

بأن قام بلصق اجزاء من المعارك الحربية فى فيلم للمخرج الامريكى الشهير "سيسيل . ب . دى ميل اسمه "الصليبيون" .

فكان أن بدت وجوه العرب "افرنجية الملامح" وعندما قرأ الاخوان "لاما" . هذا النقد اللاذع بادرا بحذف المشاهد المختلسة ، فكانت النتيجة انهما ـ وفق ماجاء فى مقال بنفس المجلة ـ "زادا الامر اضطرابا على اضطراب وعبثا على عبث" .

### علية القوم

وفى الفيلم الثانى "ليلى" نجد نفس الهراء متجسدا فى قصته التى تدور حول فتاة جميلة يتيمة يكفلها عمدة قرية صغيرة تقع على مشارف الصحراء .

يزور القرية الثرى رءوف بك ، فيرى البدوية الحسناء ويراودها عن نفسها . تعرض عنه لانها وهبت قلبها لجارها الشاب البدوى الشهم "احمد" الذى يعمل دليلا للسائحين .

وتشاء الصدف ان تزور القرية سائحة متحررة تهيم بأحمد وتغريه بالرحيل معها بعيدا الى البرازيل .

وطبعا تطرد ليلى من القرية بعد اكتشاف انها حامل من احمد الذى غدر بها .

وفى الطريق ، وبينما هى وحيدة منبوذة ، يتوقف لها "رءوف بك" بعربته ثم يصطحبها معززة مكرمة الى قصره حيث يعقد قرانه عليها .

وقد يكون من الصعوبة بمكان تصور قصة بمثل هذا القدر من التفاهة والبعد عن الواقع والحط من شأن الجماهير .

ومع ذلك فقد تعرضت "عزيزة امير" لحملة من الانتقادات ، واخذ عليها افراطها فى الاهتمام بالدهماء .

ولعل المقال الذى نشر فى عدد ٢٨ من نوفمبر لعام ١٩٢٧ فى مجلة "الصباح" خير مثال يساق للتدليل على مستوى هذه الانتقادات .

ففيه يأخذ كاتبه على "عزيزة امير" جنوحها الى احتقار الشرق والسخرية من تقاليده باسلوب امرأة متفرنجة ، ويعترض على اتخاذ القرية مكانا لاحداث الفيلم ، مستفسرا من المنتجة ـ وهو فى اشدّ حالات الاستياء ـ عن سبب اصرارها على اظهار مصر وكأنها لا تزال تعيش فى القرون الوسطى ، هذا فى الوقت الذى يوجد "الكثير مما نفخر به" .

وفى ختام مقاله صاح متسائلا كيف سمح السينمائيون صانعو الفيلم لانفسهم ـ وهم من علية القوم فى

القاهرة ـ ان يجرى تصويرهم داخل عشش .

وكرد فعل لهذا النقد اعلنت "عزيزة امير" عن توبتها واتجاه نيتها الى اختيار قصة لفيلمها القادم تجرى احداثها وسط الطبقات العليا فى مصر .

## ● متكلم وصامت

ولم تكن الفترة الصامتة من حياة السينما العربية على أرض مصر طويلة ، فبعد فيلمي "قبلة فى الصحراء" و "ليلى" بخمسة اعوام الا قليلا ، وبالتحديد يوم ١٤ من مارس لعام ١٩٣٢ اى فى عهد اسماعيل صدقى باشا ـ وهو من أشد العهود سوادا فى تاريخ مصر الحديث ـ عرض اول فيلم عربى ناطق "اولاد الذوات" الذى اخرجه "محمد كريم" ومثله "يوسف وهبى" .

وفى هذا اليوم التاريخى اكتشف جمهور الحفلة انه كان ضحية غش كبير ، فقد تبين له اثناء العرض ان "اولاد الذوات" نصفان الاول ناطق عربى اللسان ، والثانى صامت لا ينُطق حرفا واحدا .

وان هذا الاستهتار ليس له من سبب سوى رغبة منتجى الفيلم فى الحدّ من تكاليف جعله ناطقا بالكامل ، وهى تكاليف باهظة لا قبل لهم بتحمل اعبائها .

وهكذا ولدت السينما المتكلمة مريضة بداء الاستسهال والتسطيح والجرى اللاهث وراء الكسب السريع ، وهو داء يرجع الى الخطيئة الاولى ، الا وهى ميلاد السينما العربية اصلا فى مصر ، والوطن العربى يئن تحت كعاب جنود الاحتلال الاجنبى .

## ● الماضى المجهول

وبمناسبة قصر الفترة الصامتة من حياة السينما عندنا ، لا يفوتنى أن أشير هنا الى ملاحظة ذكية للناقد نور الدين غالى ضمّنها مقاله "السينما المصرية بانعكاساتها وسرابها" المنشور بالعدد ٨٣ من مجلة "چين سينما" الفرنسية .

فهو فيها يرجع فقر المرئيات فى "الافلام المصرية" الى أن "السينما المصرية" تكلمت وهى لا تزال فى المهد صبية ، فيكاد لا يكون ثمة وجود "لسينما صامتة مصرية" آية ذلك ان "اول فيلم طويل مصرى" قد انتج عام ١٩٢٧ اى العام الذى نطقت فيه السينما العالمية .

ومن ثم افتقد "المخرجون المصريون" خبرة الفيلم الصامت ، وذلك لعدم مرورهم بتجربة اكراه الصمت التى كان لابد ان تجبرهم على التعبير المرئى ، فضلا عن اجراء بحوث فى مجالى التشكيل والايقاع .

## ● المسرح المغلب

وعلاوة على هذا التاريخ الذى يفتقر الى ماض صامت ، فقد لعب المسرح هو الآخر دورا فى الاساءة الى السينما والاضرار بها .

ففى البدء مع تكلم السينما وعدم توافر مبدعين سينمائيين ، انيط مصير الفيلم بكتاب سيناريو اعتادوا التعبير بالحوار ، وليس بالصورة .

وهؤلاء الكتاب وفدوا فى معظمهم الى

# ثورة.. وسينما لم تكتمل

السينما من عالم الادب المسرحى او الروائي ، بل ان بعضهم اكتفى بان يسجل سينمائيا المسرحيات التى سبق له ان كتبها او اخرجها دون ان يكلف نفسه عناء حذف او اضافة همزة او وصلة .

ولعل يوسف وهبى المثل الصارخ على هذا الغلو .

فمن المعروف عنه انه استغل شهرته المسرحية باعتباره ممثلا ومؤلفا ومخرجا ومنتجا فى آن واحد ، فنقل الى السينما موضوعات مسرحياته ، وهى من نوع الدراما النفسية والاجتماعية الزائفة ذات الانماط الانسانية المبسطة .

وهكذا ، ومنذ البداية فرض المس... على السينما اسلوبه فى التمثيل وط... فى الاخراج ، وهو وضع ضار كتب له الاستقرار والاستمرار زمنا طويلا .

ومن هذا المنطلق وخلال فترة لا تتجاوز العامين ( ٣٤ ـ ١٩٣٥ ) تم تقنين النمطين الرئيسيين للسينما التجارية فى مصر ، الا وهما الفيلم المسرحى تحت رعاية "يوسف وهبى" "ونجيب الريحانى" وغيرهما من اهل المسرح والفيلم الغنائى الذى ارسى المخرج "محمد كريم" قواعده ، وكان محمد عبدالوهاب مطرب الملوك والامراء نجمه الاول بلا منازع .

## ● القاعدة والاستثناء

وعن الظاهرة الاخيرة كتب الناقد "جى هينيبيل" ـ وهو من المهتمين بالسينما العربية ـ فى مؤلفه "خمسة عشر عاما من السينما العالمية" ( ص ٢١٩ ) ، قائلا ففى مصر هم ـ يقصد المصريين ـ مولعون بالأغنية ، فالكلمة عند العرب تفوق الصورة فى الأهمية لان الصورة ليست أمرا مستحباً فى الاسلام !!

وليس محض صدفة ان الحضارة العربية ترجمت ـ وهى فى أوج مجدها ـ كل الفلسفة الاغريقية ، ولم تترجم المسرح .

وهكذا ظل العالم العربى حصينا من المسرح الذى لم يستطع التسلل اليه الا مع جحافل الغزو الاجنبى وبخاصة الجنرال بونابرت ، ثم انتشر بعد ذلك بفضل السوريين واللبنانيين من اهل الكتاب" .

وأستثناء من هذه الأفلام ذات الطابع المسرحى والتى يغلب عليها البكاء والغناء ، وخروجا على تقاليدها التى اصبحت من الثوابت ، فاجأ كمال سليم الناس بفيلمه الاول الذى اراد له اسم "فى الحارة" ، وشاءت الاقدار له اسما آخر "العزيمة" ( ١٩٤٠ ) .

وهذا الفيلم الاستثناء ذهب نقاد الغرب فى شأنه مذهبا واحدا ، هو الاشادة به وبالدور الايجابى الذى لعبه فى تاريخ السينما العربية .

وهذا الإجماع فى الحماس للعزيمة لم يحظ به فيلم عربى آخر على مدى ثلاثين عاما او يزيد .

**بعد ذلك كله ، فلا عجب اذا ما انصرفت السينما ، لا فى مصر وحدها ، بل في اقطار عربية اخرى كسوريا ولبنان ، عن تناول اى موضوع جاد يؤدى الى صحوة وطنية او نهضة**

فكرية ، بل الاعجب من هذا العجب ان يكون الامر على خلاف ذلك فى ظل احتلال اجنبي ليس له من هدف سوى حجب المعرفة عن الامة العربية بمزيد من التشدد فى الرقابة على حرية الفكر ، وبالذات حرية التعبير بلغة السينما .

ومن هنا فليس من باب الصدفة ان احدا لم يحاول فى جميع الافلام المنتجة فى مصر ، بل فى الوطن العربي باسره ، وحتى عام ١٩٥٢ حين بدأ "أحمد بدرخان" تصوير فيلمه عن حياة الزعيم مصطفى كامل ، لم يحاول احد ان يعرض لكفاح الامة العربية ضد المحتل الاجنبى ، وضد الظلم الاجتماعى .

وفى مواجهة تصاعد الحركة الوطنية المعادية للاستعمار عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية باندحار الفاشية - وقبل الحرب العربية - الاسرائيلية الاولى بقليل - لجأت الدوائر الحاكمة الى سلاح الحدّ من حرية التعبير ، لاسيما فى مجال السينما .

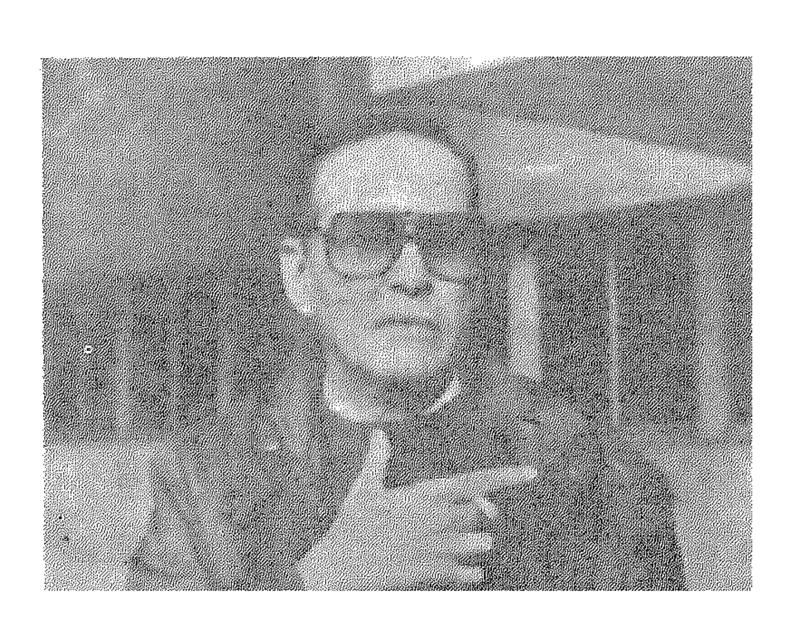
وإذا كانت مصر مرآة الوطن العربى كما يقول بحق "فؤاد عجمى" فى كتابه "المأزق العربى" ، فان التعليمات التى أصدرتها ادارة الدعاية والارشاد الاجتماعى فى فبراير ١٩٤٧ بغرض تقنين ماجرى عليه العمل رقابيا في مصر فيما يتعلق بالسينما ، هذه التعليمات المتشددة التى اشتملت على اربعة وستين محظورا ، كان لابد ان يكون لها انعكاساتها على السينما فى الاقطار الاخرى من الوطن العربى .

وفى ضوء هذه المحظورات كان امرا مقضيا أن تنصرف السينما على امتداد الوطن الفسيح عن معالجة اى موضوع اجتماعى او سياسى يمس من قريب او بعيد صراع المعذبين فى ارض الوطن ضد الاحتلال والخوف والجوع .

## ● فجر جديد

كل ذلك كان قبل فجر الثالث والعشرين من يوليه ، والتحول بمصر من ملكية إلى جمهورية مستقلة متحررة من رق الاستعمار .

ومع هذا الفجر ظهر جيل جديد من المخرجين الشبان كصلاح ابو سيف وتوفيق صالح ويوسف شاهين وهنرى





شادى عبد السلام

## ثورة .. وسينما لم تكتمل

بركات ، حاول فى بعض افلامه "كالفتوة" "ودرب المهابيل" "وباب الحديد" "والحرام" ان ينتقد الاوضاع الاجتماعية .

وتدعم التيار الجاد فى السينما بانشاء معهد عال لها ومراكز فنية للافلام التسجيلية والتجريبية ، ونواد للتعريف بالفن السابع باعتباره الدرجة الاسمى التى وصل اليها الفن فى تطوره الصاعد .

ومع ذلك ظل النقد الذى انطوت عليه افلام هذا الجيل الذى ظهر مع الفجر ، ظل محصورا فى وصف الامراض الاجتماعية لا يتجاوزها الى اقتراح الوسائل السياسية لعلاجها واحداث التغيير المنشود .

وفوق هذا بقى عدد هذه الافلام الجادة قليلا تائها فى خضم افلام غريبة عن ارض الوطن ، لا تكترث بتراثنا العاطفى والاجتماعى والانسانى ، بل قل تستهر به وتشهّر .

### ● فيلم وزلزال

وبداهة ما كان لهذا الوضع الذى تحول مرة اخرى بواقع السينما العربية الى مستنقع راكد ، ان يدوم فبعد مرور أربعة عشر عاما على الثالث والعشرين من يولية انقض على هذا الواقع المستنقع فيلم "معركة الجزائر" ( ١٩٦٦ ) .

ففى مهرجان فينيسيا خرج هذا الفيلم متوجا بالاسد الذهبى جائزته الكبرى ، وكذلك بجائزة النقد الدولى .

والوقع الصاعقى الذى احدثه فى الوطن العربى حيثما عرض او سمع عنه ، هذا الوقع ، انما يرجع الى انه قادم من أول أرض عربية تتحرر من الاستعمار بفضل ثورة شعبية مسلحة ، هذا الى أنه فيلم سياسى من الفه الى يائه ، فضلا عن انه يعرض للثورة فى الجزائر العاصمة باسلوب جمالى يدفع المتلقى الى فهم يؤدى الى العمل على تغيير الواقع .

وعلى كل حال ، فقد كان من اثر "معركة الجزائر" ان اهتزت السينما فى الوطن العربى على وجه ادى الى تدعيم الاتجاه نحو سينما واقعية جادة .. ولا اقول سياسية .

وقبيل زلزال الخامس من يونية لعام ١٩٦٧ ، وبعدها تلاحقت الأفلام السياسية داخل مصر وخارجها ، وظهر فى الساحة السينمائية العربية ، ولأول مرة ، مايسمى بالمخرج السياسى ، ولعل خير مثل على ذلك "برهان علوية" صاحب "كفر قاسم" .

وبحكم البداية ، لم تكن جميع الأفلام السياسية إيجابية فى مضمونها ، فبعضها كان ذا أثر سلبى إذ لعب دورا من خلال كشف اخطاء ونقائص الأجهزة الحاكمة ، وبخاصة الاتحاد الاشتراكى العربى فى التشكيك فى ثورية نظام عبدالناصر والنظم المماثلة له فى انحاء الوطن العربى ، مما مهد الطريق لنكسة جديدة فى مسار حركة التحرر الوطنى والاجتماعى ادت الى تفاقم امر التشتت العربى .

وعن الدور الذى لعبه احد هذه الافلام "ميرامار" فى هذا الخصوص ألقى

صاحبه "كمال الشيخ" بعض الضوء بقوله فى حديث له ان الفيلم لم يحصل على ترخيص الرقابة بالعرض الا بعد ان شاهده نائب رئيس الجمهورية وقتذاك واجازه مبديا اعجابه الشديد .

## ● متمردون ومخدوعون

فاذا ما انتقلنا الى الافلام السياسية التى لعبت دورا ايجابيا فى كشف الواقع ومواجهته بغرض التمرد عليه وتغييره الى ما هو افضل لوجدناها لا تزال نادرة .

واهمها عندى ، وذلك على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ، رائعتا توفيق صالح "المتمردون" و "المخدوعون" والاولى تم اخراجها فى مصر بفضل القطاع العام ، اما الثانية ـ وهى مستوحاة من قصة للاديب غسان كنفانى ـ فلم يستطع اخراجها الا فى سوريا ، وايضا بفضل القطاع العام ثم "كفر قاسم" لبرهان علوية من لبنان "وصور من مذكرات خصبة" لصاحبه ميشال خليفة من فلسطين المحتلة .. وعمر قتلته الرجولة .. لصاحبه "مرزاق علواش" من الجزائر و "ليلة حساب السنين" ( المومياء ١٩٦٩ ) رائعة شادى عبدالسلام ، وعندها اقف قليلا .

## ● السينما الغائبة

عندما كتب لنقاد الغرب ان يشاهدوها فى مطلع السبعينيات ، دفع الحماس نفرا منهم الى ان يشبه "شادى عبدالسلام" "بساتيا جيت راى" ويتنبأ له بأن يكون صاحب تأثير خلاق على "السينما المصرية" قريب من تأثير المخرج البنغالى الشهير على السينما الهندية .

غير ان "جون راسل تايلور" الناقد الانجليزى ذهب ، رغم فيض حماسه لشادى وفيلمه ، مذهبا على عكس ذلك تماما .

ففى الدراسة التى خص "ساتيا جيت راى" بها فى مؤلفه القيم "مخرجون واتجاهات" كتب فى وصف رائعة شادى قائلا "انها عمل فردى يتسم بالغرابة والخروج على المألوف ، واغلب الظن انه لا يعكس سوى مواهب مبدعه .

وفى ظنى ان "راسل تايلور" كان فى تقويمه لفيلم "ليلة حساب السنين" واثره اكثر جنوحا الى الصواب من اغلب النقاد .

فهو ، وبعد انقضاء زهاء عشرين عاما على اخراجه ، لم نر فيما انتج من افلام ، وهى تعد بالمئات ، شبيها له لا من قريب ولا من بعيد .

بل ان صاحبه امتنع عليه حتى اختفائه بالموت قبل شهور ، ان يخرج من بعده فيلما روائيا طويلا آخر .

واذن فليس غريبا اذا ما استخلص من ذلك ان رائعة شادى الشهيرة بالمومياء استثناء .

وفى عالم الاطياف الاستثناء لا مستقبل له ، وبخاصة اذا كان الامر متعلقا ببناء صرح مدرسة وطنية سينمائية .

وعن مأساة المخرج الراحل ومعها مأساة السينما فى الوطن العربى كتب الناقد الانجليزى كين ولاشين فى المجلد السادس من موسوعة الافلام قائلا "المومياء لشادى عبدالسلام هو اشهر فيلم فى فترة السبعينيات ولكن مخرجه لم يبدع افلاما بعد ذلك ، الامر الذى يعكس حالة الصناعة المصرية" .. وكفى .. !!


كتاب الهلال
يقدم
كلمات مصرية
بقلم : حلمى سلام
يصدر
٥ يوليو
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم
ابنتى سوزان
تأليف : هنرى جريفل
ترجمة : محمد حسنى عبد الله
تصدر فى
١٥ يوليو ١٩٨٧




## رأى فى الثقافة

### الخوف من « المديوكر »

ان اخفاء الواقع لن يفيد احدا ·· فنحن نعانى فى المقام الاول من مأساة ذات طابع خاص ، ترزح تحت نيرها حيـــاتنا الثقافية ، وربما ترزح تحت نيرها بلـــدان كثيرة فى العالم الثالث ، التى لم ترسخ لها تقاليد ثقافية بعد ، ولم تتوفر لها قيم فنية وفكرية وادبية ثابتة ، بحيث يمكن اللجوء اليها كحكم بين الحقيقى والزائف ، وبين الزبد وما ينفع الناس ·

هذه المشكلة النوعية هى سيادة نموذج الموهبة المتوسطة ، او معذرة لاستخدام المصطلح الاجنبى المعرب شخصية «المديوكر» فى مجالات الثقافة المختلفة ، وبين كل التيارات ، فهو سائد بين اليسار كما هو سائد بين الوسط واليمين ، وللاسف فانه لا يقف فى الهامش ، كما هو مكانه الطبيعى ، بل يتصدر الصفوف الاولى فى الساحة ، وهو وحده الذى تسلط عليه الاضواء وتقدم العطايا ، والمناصب ، وهو الذى يمثلنا فى المحافل ، وهو الذى « يكبس » على انفاس الفنانين الحقيقيين ، ومبدعى الصف الاول بالنظر للقيمة الحقيقية لاعمالهم نفسها ·

وهذه المأساة ، يساهم فى تفاقمها ، ضمير نقدى ، للاسف الشديد ، يركب السهل ، وينام على الحقيقة ، ويريد ان يهيل عليها التراب ، لانه لا يريد ان « يتعب دماغه » ، ولا يريد ان يركب الصعب ، لانه عندئذ يفرض على نفسه الجهد والعرق ، وهو يحب ان يكون نائما مع النيـــام ، وربما لانه هو ايضـــا « مديوكر » يعتلى نفس المركب ·

● عبده جبير

## تليفزيون

### سنبل والملل العظيم

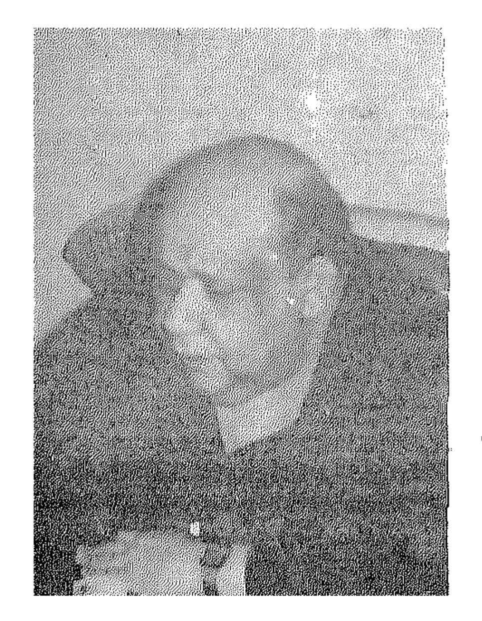
● ليس أسوأ من أن يبدأ فنان بداية طيبه ، ويحقق النجاح الفني والجماهيرى ، ثم ينكفىء على عقبيه ، ليصبح كارثة أخرى تضـاف الى الكـوارث المنتشرة على خشـبات المسرح التجارى ، وعلى الشاشتين الكبيرة والصغيرة التى تقاوم بضراوة للاستمرار على الرغم من الحمـلات المتوالية ضدها في كل مكان ، حتى على شاشة التليفزيون ·

وقد لا يأسف المرء لفنـان غير موهوب ، وغير قادر ، وبلا امكانيات منـذ بدايته ، لأنه من الممكن أن ينساه و « يكفى على الخبر ماجور » لكن أن ينقلب فنان موهوب ، كنا نظن أنه يتسلح بالدراسة ، والموهبة ليقدم بديلا جديدا للفنان الكوميدى المصرى الجديد ، ليصبح مسـخا مشوها غير مدرك لشيء مما يقول أو يفعل ، فهذه هى قمه المأسـاة فى هذا المجال ·

ويكفى ما قاله النقاد ضد مسلسل « سنبل بعد المليون » من تفاصيل ، أعتقد انها تحقق له هدفا خطيرا ، الا وهو الانتشـار ، لـكن لابد من الادانة هنا فى حق من أساء اليهم المسلسل دون وعى أو دراية ، وهم جزء عزيز وأساسى من ابناء الوطن ، أقصد « الصعايدة » الذين لم يقدمهم المسلسل بطريقة فكاهية قد نضحك عليها ، لكنهـا تؤكد على طيبتهم واصالتهم ، لكنه قدم هجاءه دون فهم لهم ، أو احساس بما يحسونه ، فقدم نموذجا « تليفزيونيا » رديئا وساذجا غير قائم ، لا على الكوميـديا ولا على خفة الدم ، بل على جهل عظيم بالشخصية ، وأفق ضيق فى تناولها ، حتى أصابنا بالملل العظيم ، وهـل نقول الان خسارة · كان محمـد صبحى موهوبا وبدد موهبته ، أم أنه سيعود ليحاسب نفسه بالشدة على ما اقترفت يداه ، ويفكر فى موهبتـه مرة آخرى ·

### شموع صلاح جاهين

قدمت سهام صبرى فى برنامجهـا « شموع » الذى كثيرا ما قدم حلقات ناجحة ، حلقة اخـرى ناجحة عن الشاعر والرسام والكاريكاتيرست ، والممثل المبدع صلاح جاهين فى ذكراه الاولى ، حلقة لابد من التنويهبضرورة حفظها ، والابقاء عليهـا ، حيـة ومتجددة ، تقـدم باستمرار ، حتى يعرف ابنـاؤنا الطالعون ، ويروا ويسمعوا بالصوت والصورة ، فناننا الكبير ، وبلسانه ولغتـه وحركته ، كيف جاءته اللحظـة الاولى التى اصغى فيها لشعلة الابداع ، وكيف كافح وناضل من اجل أن تستمر حية ومتجددة ، وكيف مر ايضا بعثرات كبار ، وكيف كان ينتقل من عمل الى عمل ، ومن فن الى اخر ، بقـدرة عجيبة ، دون أن يحس باى تضارب بين مختلف الفنون التى مارسها ، بل



صلاح جاهين




بانخس ، كان يحس بتكامل وتناغم مختلف الاشكال ، وهذهخاصية فريدة يتميز بها صلاح جاهين ، دونا عن فنـــانى الصف الاول جميعهـــم ، وبرشاقة الفراشة ، آخذ يتنقل من كتابة الاغانى ، الى السيناريو ، الى الكاريكاتير والى التمثيل ٠

لقد كان الاعداد الـــذى قامت به اقبـــال بركة لهذه الحلقة متميزا ، ودافعا الى دعوتها لنشاط اكبر فى تقديم مثل هذه البرامج التى تحتاج الى ما تتمتـــع به من حساسية ، واقتراب من منابع الثقافة الحية ، كما كان الاخراج الذى قامت به ثناء محروس ، جهدا مشكورا لهبصماته الخاصة ٠

## مسرح

### قضية المتجول

● اثار صدور قرار وزيرالثقافة باغلاق المسرح المتجول وضم فنانيه الى مسرح الطليعة ، ردود فعل قوية بين المسرحيين ، واختلفت الاراء بين مؤيد للقرار ومعـــارض وشاركت الصحافة فى تصعيد الخـــلاف بين المسئولين عن مسرح الدولة ، ووصل الامر الى تدخلات مختلفة من البعض الذين ارادوا ان يكون هذا القـــرار بداية للاجهـــاز على بقيـــة الفرق المسرحية التى تتبع الدولة ٠

ايا كان الامر فان اغلاق احـــد منافذ الابداع مهما كانت الاســـباب لن يؤدى الى اصـــلاح حال المسرح المصرى ، خاصة ان دور العـــرض ـ على قلتها ـ مغلقة طوال العـــام لاسباب اخرى !

اذا كنا حقا نريد للحركة المسرحية ان تنهض من غفوتها فانه يجب اعادة النظر فى خطة عمل كل مسرح على حدة ، وضرورة تنحية القيادات التى تثبت يوما بعد يوم فشلها فى انارة مسارحها ، فاذا كان المسرح المتجول لم يتجول فانه على الاقل كان ينيـــر مسرح الغرفة التابع له طوال العام ، واذا كانت القيادات الاخرى لا تردد غيـــر الحجج التقليـــدية عن عجـــز الميزانية وهروب الممثلين ، فانه يلزم ان تتنحى وتفسح الطـــريق لقيادات شابة اكثر حماسا ورغبة فى صـــنع مسرح حقيقى يفيد الجماهيرالمتعطشة التى لا ترى طوال العام غير عروض باهتة ومسرحيات لا تعبر من قريب او بعيد عن همومهم ومشاكلهم ، هذا اذا كنا فعلا نسعى لان تقوم لمسرحنا قـــائمة وان ينهض فنانوه ويتحملوا مسئوليتهم كاملة ٠

## ندوات

### عن قضايا النص المسرحى

● فى اطار سلسلة الندوات التى تقيمها الادارة العامة للمسرح والتى قدمت اولى ندواتها حول « مســـتقبل مسرح الثقافة الجماهيرية » بمحافظة الشرقية فى ينـــاير الماضى ، اقامت ندوتها الثـــانية حول قضايا النص المسرحى ، واستهلت الندوة عمليـــا بحفل تأبين بمناسبة ذكرى الاربعين للراحل نعمان عاشور يوم ١٨ مايو الماضى على مسرح ثقافة الزقازيق حيث حضرها حشد كبير من كتـــاب وفنانى المسرح ، واعقب ذلك عـــرض مسرحية الكاتب الراحل « النـــاس اللى تحت » ٠

واستكملت الندوة عملهـــا يومى ٧ ، ٨ يونيو ١٩٨٧ على مسرح‌السامر وناقشت عددا من الابحاث المقـــدمة

والتي تناولت الموضوعات الاتية :

● نعمـــان عاشور والتـــاريخ الدرامي للمسرح المصرى • للنـــاقد فاروق عبد القادر •

● المسرح التراثي والتـــاريخ والبحث عن الهوية القومية في الفن ، للناقد احمد عبد الحميد •

● التجريب في المسرح الحديث ، للدكتور مدحت الجيار •

● الديمقراطية والرقابة ، للكاتب مدحت ابو بكر •

● ملاحظات حول النص المسرحي للمخرج عادل العليمي •

● إكتشـــاف النص المسرحي ، للكاتب امير سلامة •

● الكتـــابة لمسرح الثقـــافة الجماهيرية ، للكاتب صلاح الوسيمي

● المسرح الشعرى واشـــكالية اللغة ، للشاعر محمود نسيم •

وقد انتهت الندوة الى التوصيات التالية :

اولا : ان قضية البحث عن صيغة فنية للمسرحين المصرى والعربى تعتبر قضية ضرورية وقائمة منذ البدايات الاولى للمسرح المصرى وهذا يدعونا الى ضرورة اعـــادة تقييم تـــاريخ مسرحنا الحديث على اسس واضحة تستند الى ما هو ايجابى واصـــيل الى جـــانب الاستفادة بالتـــراث المسرحى العالمى والتجارب الانسانية بفكر مفتوح مع ملاحظة المتغيـرات التى طـرأت على الواقعين المصرى والعربى وما تفرضـــه على الابداع المسرحي من معادلات جديدة من اجل صيغة فنية صحيحة •

ثانيا : ان الاهتمـــام بالتراث والموروث الشعبى والتاريخ فى بناء النص المسرحي هو امر له مبرراته الفنية والفكرية ، وهو احد السبل الهامة فى الوصول الى صيغةاصيلة للمسرح المصرى ، الا اننـــا نـرى ضرورة تخليص هـــذا الاتجاه من الخلط الكثير الذى احاط به واوقعه فيما يشبه الغوغائية الشكلية ، وهذا الامر مرهون بحـركة نقـدية نشطة وواعيـــة وقادرة على الفصل بين كبار ، وكيف كان ينتقل من عمل الى الاجتهـــادات الحقيقيـــة والادعاءات المزيفة •

ثالثا : ان قضية اللغة في المسرح تستحق ان نوليهاالاهمية خاصةباعتبار ان المسرح فن جماهيرى وان العبرة ليست في ان تكون اللغة فصحى او عامية ، شعرا او نثرا ، وانما العبرة فى ثراء العمل الفني وشاعريته وبما يحويه من قيم فنية وفكـــرية وبمدى اقترابه من وجـــدان الجمـــاهير ومشاعرهم •

رابعا : ان تهتم دور النشر وخاصة هيئة الكتاب بنشر النصوص المسرحية المصرية والعربية والعالمية ، وان تهتم بوجه خاص باعـــادة نشر نصوص التراث المسرحى المصرى منذ بداياته وحتى الان على ان يصاحب ذلكالنشر تغطية نقدية جادة وتوثيق علمي •

خامسا : ان حرية الابداع والفكر شرط ضرورى لازدهـــار الحـــركة المسرحية •

سادسا : حفاظا على حركةالتاليف المسرحى ونموها بشكل سليم يراعي الالتزام بالحدود الفنيـــة والفكرية والتقاليد المتعارف عليها عند تقـديم النص المسرحى على خشـــبة المسرح ورفض كافة . التجاوزات التيتتعارض وهذه المبـــادىء من قبـــل بعض المخرجين •

سابعـــا : ان مسرح الثقـــافة الجماهيرية هو مسرح الشعب ويعتبر النبض الحى للمسرح المصرى فيمـــا بعد الستينيات كما انه يمثل رصيدا هاما فى مستقبل هذا المسرح ممـــا يستوجب دراســـته دراسة علميـــة

باعتباره ظاهرة متميزة تستحق الدراسة والتحقيق فى مجالات النص والعرض والنقد والجمهور

ثامنا : العناية بالمؤلفين الجدد من خلال :

- اتاحة فرص الحوار الخلاقة بينهم وبين اعضاء لجان القراءة من خلال النصوص المقدمة دون وصاية او مصادرة والاستعانة فى هذا بكبار الكتاب والنقاد والمخرجين ·

- التعرف على الاعمال الجيدة من خلال شكل القراءة الدرامية ·

- اقامة دورات دراسية فى المسرح للمؤلفين الجدد واتاحة الفرصة للالتقاء بكبار المسرحيين ومتابعة العروض المسرحية ·

- رفع اجور التاليف المسرحى ·

وفى نهاية الندوة اتفق المجتمعون على أن تكون الندوة القادمة عن « ظاهرة مسرح الثقافة الجماهيرية بين النص والعرض والجمهور » ·

## عروض جديدة

● بدا المسرح الكوميدى تقديم اول عروضه الصيفية بمسرحية « ليلة مجنونة جدا » على المسرح العائم وهى ماخوذة عن مسرحية اجنبية ، أعدها محمود الطوخى واخرجها رزيق البهنساوى ومثلها سعيد عبد الغنى ، ماجدة الخطيب ، مشيرة اسماعيل ، فاروق يوسف ، رياض الخولى ، ويستعد المسرح الكوميدى لتقديم مسرحيته التالية « دكتور زعتر » عن نص ليسرى الجندى واخراج السيد راضى ، ثم مسرحية « حاسب من اخوك » تاليف لينين الرملى واخراج محمد ابو داود ·

● يستعد المسرح القومي لتقديم نص « اثنان في البلاعة » الذى كتبه محمد سلماوى ويخرجه فهمي الخولي بعد ن تاجل انتاج عرض « عفوا أيها الاجداد » الذى كتبه نبيل بدران ويخرجه عصام السيد ·

● محمد الشربينى

## اشارات ثقافية

### طفولة جبرا ابراهيم جبرا فى كتاب

● باكورة انتاج أول دار نشر عربية تبدا عملها من العاصمة البريطانية لندن ستكون كتابا للروائى والمترجم والشاعر الفلسطينى الاصل المقيم فى بغداد جبرا ابراهيم جبرا ·

يحمل الكتاب عنوان « البئر الاولى » وفيه يحكى جبرا ذكريات طفولته فى القدس القديمة ، بين أفراد أسرته واهله واقاربه ، حيث عاش فى بيت من تلك البيوت العربية القديمة التى تميزت بوجود بئر فى فنائها ، ارتبط بالكثير من الذكريات العائلية والاسرية الدافئة ، ارتباطه بالوطن ذو الطابع الخاص الذى لا يمكن أن تمحوه الايام من الذاكرة ، وان ابتعد المرء بجسده عنه ·

والكتاب هو الجزء الاول من مذكرات جبرا يتوقف فيه عند خروجه عام ١٩٤٨ من فلسطين مهاجرا ، وسيليه جزء ثان سيتناول فيه فترة

شــــبابه فى الاردن وسوريا ، ثم دراسته فى اكسفورد حتى ذهابه الى بغداد حيث يعيش حتى الان .

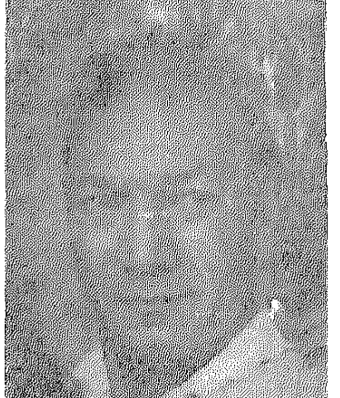
## كتابان جديدان لاحمد عبد المعطى حجازى

● « حديث الثلاثاء » والشـــــعر رفيقى » كتابان جديدان دفع بهمــا الشاعر احمد عبد المعطى حجازى الى المطبعة وسيصدران فى الأسابيع القليلة القادمة .

اشترك فى نشر الكتابين المكتبــة الاكاديمية بالقـــاهرة ، ودار المريخ السعودية ، فى طبعة موحــدة ، يتم انجازها فى القـــاهرة ، وتوزع فى نفس الوقت من مصر والسعودية .

« حديث الثلاثاء » يضم مجموعة مقالات مختلفة ، كان حجازى قــد نشرها فى السنوات الاخيرة فى عدة صحف عربية ، وهى تكشف التحول الثقافى الكبير الذى خاضه الشاعر، بجديته المعهودة عنه ، اثناء القائه بالثقافة الفرنسية بعد سفره واقامته فى باريس منذ عشر سنوات .. هذه الاهتمامات توزعت وتعــددت ، بين الموسيقى الرفيعــة ، والبــــاليه ، والاوبرا ، والفن التشكيلى الذى تموج به عاصمة النور ، بالاضافة الى دأبه على معرفة اخــر المذاهب الفكرية والفلسفية والنزعات الثقـــافية التى تغص بها العاصمة الفرنسية .

اما « الشـــعر رفيقى » فيســجل حجازى فيه تجربته مع الشعر بطريقة مبتكرة ، مدخله اليها تعرفه الاولى على الشعر ، وعشقه له ، وتساؤله حوله ، ثم التعامل معــــه بالحفظ والترديد ، ثم بالتاليف فيه والنقاش حوله ، خاصة مع رفيق تجربتــــه الروحية التوام صلاح عبد الصبور ، ثم كيف بدا يكتشف عوالم الشـــعر الفرنسى الفنية فى اقامته فى فرنسا ،


احمد عبد المعطى حجازى

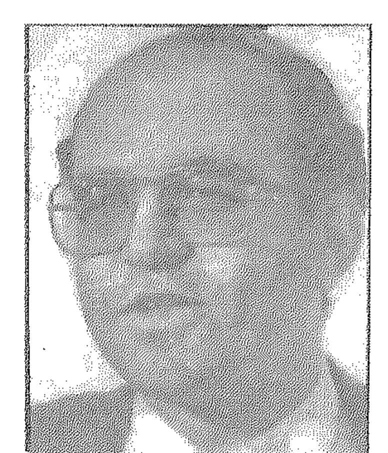
## رسائل جامعية

### ● الاقليات والاستقلال السياسى فى الوطن العربى

لابد من القول بداية ان هناك من يحاول بجدية ، هـــذه الايام ، من باحثينـــا الاكاديميين ، ان يدفـع البحوث التى تقدمها الجامعة ، فى طريق المشاركة الفعالة فى القضايا العـامة التى ترتبط ارتباطا وثيقا بما يجرى خارج الجامعة .. والمطلوب الان ان تتم الافادة من هذه البحوث ، الى اقصى درجـــة ممكنة حتى تعطى ثمارها المرجوة .

وهذه الرسالة المعنونة « الاقليات والاســـتقرار السياسى فى الوطـــن العربى » التى نالت بها نيفين عبد المنعم ، درجة الدكتوراه ، من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، واشرف عليها الدكتور على الدين هــــلال ، وعضوية الدكتور مصـــطفى الفقى ، والدكتور فاروق يوسف ، تاتى ضمن المحاولات البحثية الجادة التى تدرس قضايانا القومية الحيوية التى تتفاعل فى ارض الواقع ، ويحتـــــاج الى نتائجها كل من يرغب فى العمـــــل الفعال المجدى ، من اجل الوصــــول الى وعى علمى بقضايانا القوميــــة المؤثرة .

وتعد هذه الدراسة ، من زاوية





د . مصطفى الفقى الباحثة نفين عبد المنعم د . على الدين هلال

اخرى ، واحدة من عدد قليل من الدراسات العربية التى تناولت هذا الموضوع الخطير ، فلم تسبقها سوى ثلاث محاولات معلومة هى « المسالة الطائفية ومشكلة الاقليات » للدكتور برهان غليون ، ومشكلات الاقليات فى الوطن العربى » للدكتور جلال يحيى والدكتور نصر مهنا ، و « الاقليات والطوائف فى الوطن العربى ، همومها الذاتية وموقفها من العروبة » للدكتور سعد الدين ابراهيم ، ويلاحظ ان هذه الدراسات الاربع ، تناولت مشكلة الاقليات ، فى اطارها العربى ، اى على مستوى الوطن العربى كله ، مما يضفى عليها اهمية خاصة ، ان يكن فى فهمها للابعاد العامة للمشكلة ، او وعيها بالبعد القومى الاصيل للقضية ، ذلك لان المطروح ، على مستوى آخر ، ومنزاوية الصراع العربى الاسرائيلى .. هو دفع مشكلة الاقليات الىمرحلة تعبيرها عن ذاتها لتصبح مشكلة طائفية تؤدى من جهة الى اذكاء نار الفتنة ، بين الاقليات والاغلبية فى كل قطر على حدة ، ومن جهة اخرى ، الوصول الى مرحلة تفتيت الاقطار العربية الى دويلات طائفية ، وعرقية منفصلة من نفس طبيعة الكيان الصهيونى ، حتىتتلاءم هذه الدويلات وتتعايش معه على نفس الاسس .

من هنا فان دراسة مشكلة الاقليات ـ بقصد الوعى بها ـ ووضع الحلول الديمقراطية للتعايش فيما بينها فى اطار المجتمع العربى الواحد ، وهو ما تسعى اليه هذه الدراسة ، يجعل بالامكان افساد المخطط الداعى للتفتيت واذكاء نار الصراعات ، وهو ما حدث بالفعل ، وللاسف ، فى لبنان .

على اى حال فان هذه الدراسة تسعى الى اختبار فرضية رئيسية تكمن « فى طبيعة العلاقة بين عملية بناء الدولة الحديثة ، بما تطرحه من اشكاليات تتعلق ببناء المؤسسات والاستقرار السياسى ، والشرعية السياسية من ناحية ، وقضيةالاقليات ودورها فى التاثير على ذلك من ناحية ثانية » .

ولقد سعت الباحثة بجدية الى الاجابة عن تساؤلات محددة : الى اى مدى تمثل مشكلة الاقليات عاملا لتفجر عدم الاستقرار السياسى فى المنطقة العربية ؟ وكيف ترتبط هذه المشكلة بالعوامل الاخرى لظاهرةعدم الاستقرار السياسى فى تلك المنطقة ؟ وما هو موضع القيادات العربية والقوى الاجنبية من مثل هذا الارتباط ؟ وما هى مستلزماتالمواجهة الناجحة والفعالة للمشكلة ؟

وفي سبيل الاجابة عن هذه التساؤلات بذلت الباحثة جهدا مشكورا وضعته على هيئة عناوين ثلاثة رئيسية ، شكلت ابواب الرسالة الثلاثة ، فبدات بالتاصيل النظرى لعلاقة الاقليات بالاستقرار السياسى ، ثم فصلت مجموعات الاقليات في البلدان العربية المختلفة ، ودرست كل جماعة على حدة ، وبينت اصولها وخلفيتها الثقافية ، والعرقية ، وتطور علاقاتها مع المجموعات الاخرى ، والمشاكل التى اعترضت المسيرة المشتركة ، في باب اخير حمل عنوان محاور العلاقات بين الاقليات والجماعات المسيطرة فى الوطن العربى •

واذا كان من غير الممكن او المستحب تلخيص مجمل الرسالةالتى امتدت قراية الثلاثمائة صفحة في جمل قليلة ، فانه من المفيد ان نسجل هنا الاحصاء العام لنسب الاقليات الذى توصلت اليه الباحثة ، مع استبعاد « لبنان » باعتبارها حالة خاصة ومتفجرة •

ففي صفحة ١٨٣ تقول الباحثة :

« فاذا نحينا جانبا النموذج اللبناني فسوف نجد سائر الدول العربية تتراوح بين التجانس النسبي ، وبين التعددية ، وبهذا المعنى يمكن التمييز بين ثلاث مجموعات اساسية تنتظم فيها الدول العربية ، ويعبر كل منها عن دلالات معينة على الاستقرار السياسى للمنطقة :

المجموعة الاولى تتمتع بقدر كبير من التجانس وهى تضم كلا من السعودية وقطر واليمن الجنوبى والاردن ومصر وليبيا وتونس والصومال وجميعها دول لا تتجاوز نسبة الاقليات فيها ١٥٪ من اجمالى سكانها •

المجموعة الثانية تتمتع بقدر متوسط من التجانس وهى تضم كلا من الكويت ودبى وسلطنة عمان والجزائر وجميعها دول تتراوح نسبة الاقليات فيما بين ١٥ و ٢٥٪ من اجمالى عدد سكانها •

المجموعة الثالثة وهى اكثر تنوعا وتضم كلا من العراق والبحرين وسوريا والسودان والمغرب واليمن الشمالى وموريتانيا وجميعها دول تزيد نسبة الاقليات فيها على ٢٥٪ من اجمالى عدد سكانها •

واذا كان علينا ان نسجل اهم ما قيل من ملاحظات اثناء مناقشة هذه الرسالة الهامة فان مناقشة الدكتور مصطفى الفقى انصبت على نقطتين اساسيتين :

النقطة الاولى ركز فيها الدكتور مصطفى الفقى على ان الباحثة قد خلطت بين مفهومين : مفهوم الاقلية العرقية المنتمية الى جماعة محددة من الناحية الثقافية ، ومن ناحية الاصل الوراثى ، واحيانا من ناحية اللغة ، ومفهوم المذاهب او الفرق ، وما هذه المذاهب الا اجتهادات فقهية او تصورات مذهبية لعقائد بعض القيادات الدينية •

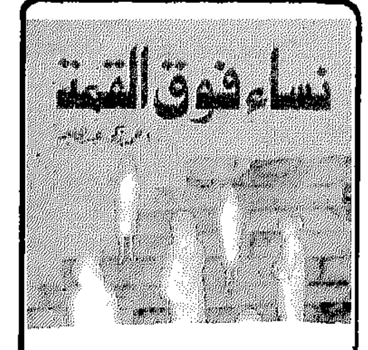
النقطة الثانية التى طرحها الدكتور الفقى انصبت على صحة مقولة ان الديمقراطية ، بمعناها المعاصر الذى يعنى ان يحكم الشعب نفسه بنفسه من خلال ممثليه الحقيقيين هى الحل الاكيد لمشكلة الاقليات ، بعد وضع الاسس الاصلية لقومات المجتمع باعتبار المصلحة العامةللمجموع • ومنيقول ان بلدانا

ترسمت طريق الديمقراطية ، ومعذلك ظهرت فيها اقليات ، فانه انما نظر للمسالة من ناحية الشكل ، ولم ينظر الى اى مدى طبقت الديمقراطيسة ، وعلى اية اسس •

اما النقطة الثسالثة التى طرحت فى المناقشة فهى التى انصبت على ما يقوله البعض ، وما رددته بعد ذلك احدى الصحف ، ومن ان النظسسام الملكى يساعد على الاستقرار ، لان الملكية ما هى الا مجرد رمز للدولة ، ثم تتوزع الحكم بعد ذلك الحكومة المنفذة ، التى لا تعرف كيف يمكن ان نضمن عدالتها ، او كيف يمكن ان نتجنب تحيزها لهذه الفئة او تلك »•

لقد كانت هناك عدة نقاط اخرى جرت مناقشتها من الباحثة ، لا يتسع المجال للاستطراد فيها ، وكان من المفيد للباحثة ان تستمع لملاحظات الدكتور فاروق يوسف الخاصة بالاخطاء اللغوية والتى وصلت الى حد خلط بعض المفاهيم ، مما ندعو الباحثة الى تداركه قبل تقديمالرسالة الى القراء ، خارج الجامعة ، فى كتاب نرجو ان نراه قريبا •

## مكتبة الهلال




الكتاب : نساء فوق القمة

تأليف : احمد زكى عبد الحليم

الناشر : دار الفيصل

١٤٨ ص / ١٥٠ ق ٠م

صور ادبية بقدر ما هي بانوراما لست عشرة من الرائدات اللواتي عملنفى حقول مختلفة، استطعن ان يكنعلامات بارزة فيما يسميه مؤلفنا معركة التحدى الحضارى ، واكدنعلى ان المراة العربية الحديثة استطاعت ان تثبتوجودها ، علىقدم المساواة مع الرجل ، بالعطاء الكبير لمجتمعها العربى ، فغيرت بذلك من صورة المراة ـ الحريم التى كان ولا يزال البعض من المغرضين فى الغرب يصورها عليها ، ها هى منيرة صبرى تستطيع ان تؤسسنظام مرشدات الجوالة فى مصر لتحمل لقب الماريشالة عام ١٩٣٠ الامر الذى قد لايتخيله العقل الان ، وتدخل كريمة السعيد سباق المركز الاول منالجامعة الى الوزارة ، وتناضل باحثة البادية من اجل تعليم المراة كاساس رئيسى للنهضة بالاسرة•

نماذج متنوعة ضمت نبوية موسى ، ومنيرة ثابت ، وسيزا نبراوى، ودرية شفيق ، ومى زيادة ، وابتهاج قدروه ، واسيا داغر ، وعائشة التيمورية ، وسعاد الصباح ، وام كلثوم ، وسميرة بنت الجزيرة ، وسميرة موسى ، كتبت باسلوب شائق دافع للشباب خاصة للقراءة •• واستخلاص العبرة •




الكتاب : لعبة النسيان
تأليف : محمد برادة
الناشر : دار الأمان - الرباط
١٤٩ ص / ٢٠ درهما

ها هو ناقدنا المغربي المعروف محمد برادة يعود مرة أخرى الى ارتكاب فعل الابداع ، فيصور ، مرة أخرى ، مجموعه من القصص القصيرة حملها هموم الفنان الذى لا يفتأ يصارع من أجل التعبير عن خلجاته ، متحديا كل محاولات العقل الصارم ، والمنهج «الواضح» ، والترتيب والتنظيم الذى يحكم الباحث فيه ، لينطلق فى تلقائية وشاعرية ممسكا بلحظات حيةمن الحياة ، متحسسا ملامح الشخوص الحميمين الذين عاشوا فيه ، أى معه ، وقد يندفع البعض وراء حيرة نابعة من درجة تراوح النصوص بين الشاعريه والرسم الحى للمخلوقات ، لكن الثمن الذى يقبض عليه وجدان القارىء ، لن يقل عن تعاطف كامل ، أجواء خطها يراع فنان حقيقى وصادق ، يتلمس الدفء من الشوارع الخلفيه ، ومن خفقات القلب الكسير من شدة الحنق

الكتاب : سيد قطب من القرية الى المشنقة
تأليف : عادل حمودة
الناشر : سينا للنشر
٢١٦ ص/٥ ج.م



كانت حياة سيد قطب دراما مثيرة فى سجل السير الشخصية

للأدباء والمفكرين ، فها هو يتحول ١٨٠ درجة ليناقض فى نهايةحياته ما قاله فى بدايتها ، وتتبع هذه الحياة بالطريقة الاستقصائية الوثائقية التى اختطها عادل حمودة ، عمل مفيد ، لانه يضفى على البحث حيادا وقدرة على قول كل شيء استنادا الى الوقائع .

واذا كان لابد لنا من الوقوف أمام بعض الاقوال المؤثرة والاساسية لسيد قطب، تلك التى نحس الان خطورتها على أجيال الشباب المتاثرين به فان هناك جملتين رئيسيتين فى الكتاب لابد من تسجيلهما .. الاولى ينتزعها عادل حمودة من كتاب معالم على الطريق ، وتلخص تصور سيد قطب عما أسماه جاهلية المجتمع المعاصر ويقول فيها : نحن اليوم فى جاهلية كالجاهلية التىعاصرها الاسلام أو أظلم ، كل ما حولنا جاهلية .. تصورات الناس وعقائدهم ، عاداتهم وتقاليدهم ، موارد ثقافتهم ، فنونهم وادابهم ... شرائعهم وقوانينهم حتى الكثير مما نحسبه ثقافة أسلامية ، ومراجع

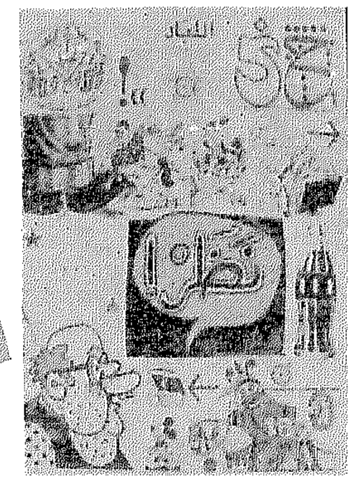
اســــــلامية ، وفلسفة اسلامية ، وتفكيــــرا اسلاميا .. هو كــذلك منصنع هذه الجاهلية.

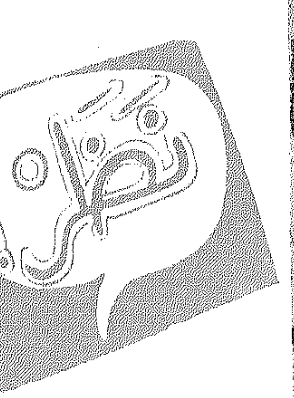
ان من يقرأ هـــذه العبارة فقـــط لابد أن تظلم الدنيا من حوله ، أما الجملة الثانية التي يتوقف أمامهــا المرء ، هذه الايام ، ليعتبر من دلالتهــا فهي التي ترد في صفحة ١٥٣ من هذا الكتاب جاء فيهـــا أن النظام الاسلامي — في رأى ســيد قطب — لا يفــرض « عن طـــريق الاستيلاء على الحـكم قبل أن تكون القـــاعدة المســلمه في المجتمعات هي التي تطلب النظام الاسلامي لانهــا عرفته على حقيقتـــه وتريد أن تحكم به » لكن ، هـذا لا يمنـــــع من ضرورة وجود « مجموعات مدربة تدريبـــــا فدائيــا » .. « تتدخل عند الاعتــداء على الحـــركة والدعوة والجماعة لرد الاعتداء وضرب القـوة المعتدية بالقدر الـذى يســـمح للحـركة أن تستمر في طريقها » .

كـل كلمـــة أو رسم ضمتهـــا دفتا هــــــذا الكتاب الجميل انمـــا تعبر بقوة عن رهـــافة حس ، ورفعــــة ذوق ، واحســــــاس عــــال بمسئولية من يتصــدى

●●●

# الكتاب : نظر
# تأليف ورسم : محيى الدين اللباد
# الناشر : العربى للنشر
# ١٥٢ ص ، ٢ ج م






للعمل في مجال مخاطبة الوجدان والبصر والفهم

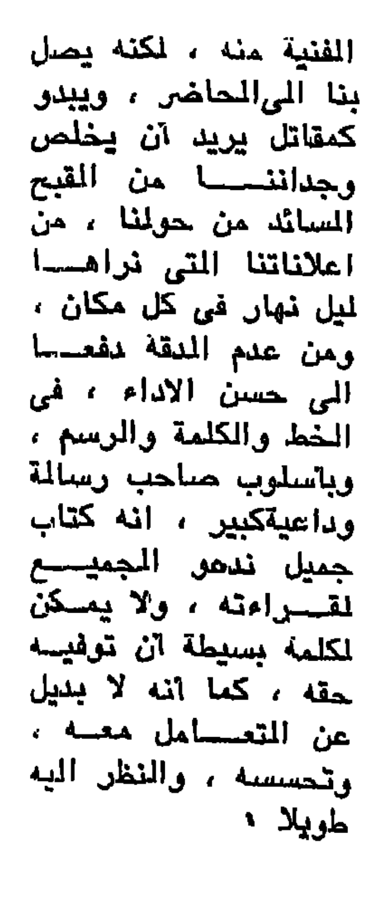
فها هو محيى الدين اللباد يتجلى في مكانة كاتب من طراز فريد ، بعد أن عرفنــــاه طويلا رساما من الطراز الاول رائـــدا ومجــــددا ، ومصمما يمــــكن لمن تعرف على خطوطه مرة واحدة ، أن يلمح عمله ويتعرف عليه دون توقيع ويتأكد من بصـــــماته الواضحة .

انه يدفع بك في هذا الكتاب الفريد أن تتفاعل معه من اللحظة الاولى من التعامل معه وتدخل الى حـــالة كاملة من الوجد ، أشبه بحـــالة الصوفى وهو في قمـــة نشوته ، أو حالة الفنان أثناء ممارسته للعملية الابداعية .

انه يستدعى التاريخ العربى الحى لانه ينعش ذاكــــرتك التى انهـــال عليها التراب ، فيذكرك بمقولة بسيطة خطيرة : « ان جمال العمل الفني في ماضينا العــربى لم يــكن منفصـــــــلا عن حياتنا » تجده في الاناء الــــذى تســـتعمله في البيت ، كمـــا تجده في الاثاث وغـــــلاف ورسم الكتاب .

لـكن اللبــــاد ، في مقـــــاطع كثيــرة من كتابه ، لا يستدعى فقط الماضى العــربى الــذى يريدنا أن نستمد جذورنا

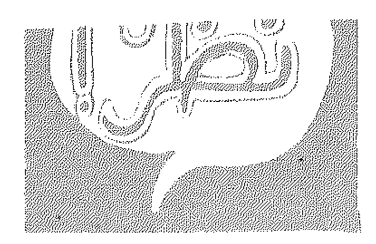
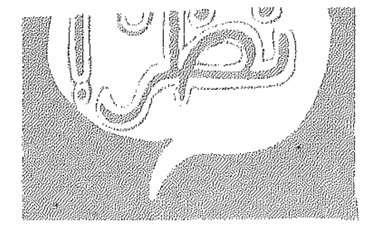


المفنية منه ، لكنه يصل بنا الى المحاضر ، ويبدو كمقاتل يريد أن يخلص وجداننـــا من القبح السائد من حولنا ، من اعلاناتنا التى نراهـا ليل نهار فى كل مكان ، ومن عدم الدقة دفعـا الى حسن الاداء ، فى الخط والكلمة والرسم ، وباسلوب صاحب رسالة وداعيةكبير ، انه كتاب جميل ندعو الجميـع لقـراءته ، ولا يمكن لكلمة بسيطة أن توفيه حقه ، كما أنه لا بديل عن التعـامل معـه ، وتحسسه ، والنظر اليه طويلا ؛

التحضير لاختيار خليفة للإمام الخميني

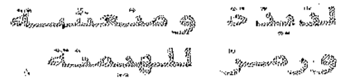
نبيل تاج برسم العم سام



كامل كيلانى وطارق نور
معنـــى مشتـــرك



لذيذة ومنعشة
ورمز للهيمنة

## صدر حديثا

● الكاتب والصياد ،رواية رمسيس لبيب ، نشر الثقافة الجديدة بالاسكندرية ، الثمن جنيهان ٠

● عكس الريح ، مجموعة قصص يوسف أبو رية ، نشر مختارات فصول هيئة الكتاب ، الثمن ٥٠ قرشا ٠

● تحولات السقوط ، شعر صلاح والى ، نشر كتاب المواهب ، الثمن ٥٠ قرشا ٠

● الهواء المقنع ، ذكريات خمسة عشر عاما فى الاعتقال الصهيونى لـ « أبو على شاهين » ، اعداد محمد المقيسى ، الناشر كتاب لوتس ، تونس ، الثمن جنيهان مصريان ٠

● الرواية اليهودية الحديثة فى الولايات المتحدة وفرنسا ، دراسة محمود قاسم ، نشر دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، الثمن دينار وربع عراقى ٠

● عرب بلا نفط ، دراسات لمجموعة من المؤلفين ، اعداد عبد المجيد فريد ، نشر مؤسسة الابحاث العربية ببيروت ، ٢٥ر٥ جنيه مصرى توزيع مكتبة البيادر بالقاهرة ٠

● كيراك أو شق فى جدار الصمت ، رواية فاروق عبد الله ، سلسلة الرواية العربية ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٦٠ قرشا٠

# قضايا فكرية

## الإطار وممكنات الحوار

بقلم: مصطفى الحسيني

**لأسباب تتعلق بقانون جائر، لا تسمى "قضايا فكرية" نفسها مجلة . ولأسباب تتعلق بالقانون هذا لم تستطع أن تحافظ على انتظام صدورها فصلية وهى الوتيرة التى يقترحها نوع المادة وحجم "سلسلة الكتاب" حسب ماتضطر الى تكييف وضعها القانونى لكن هذا المقال سيتعامل معها بوصفها الحقيقى الواقعى لا بالوصف الذى فرضه عليها عسف القانون .**

ومن النوافل التى درجت عليها الكتابة عن المجلات فى مطالع صدورها أن يقال إنها كانت ضرورة ، وأنها تسد فراغا كان فى الحياة الثقافية والفكرية لكنه من اللوازم بشأن هذه المجلة أن يقال هذا ولا يكون من نافل القول . ذلك لأن المجلة التى تقول إنها تصدر "من أجل تأصيل العقلانية والديمقراطية فى الابداع" انما تعبر ـ فى عمومها أو فى غالب ماتنشر من مادة ـ عن مدرسة فكرية أثرت وتؤثر فى الفكر العالمى ومنه العربى والمصرى أيما تأثير والمقصود هنا بالفكر العالمى عقل العالم الحديث والمعاصر بتوجهاته وهمومه كلها ، ومايصدر عنه من ابداع فى الاتجاهات والمدارس جميعا ، حتى تلك التى تتخذ منه مناحى النقد والنقض الى الخصومة والعداء . والمجلة ، وهو مايعنى هذا المقال هى أصفى تعبير فى مانعرف عن تاريخنا الفكرى المعاصر عن المدرسة

الماركسية المصرية حتى وإن لم تقل ذلك بهذه الكلمات . وهى مدرسة أثرت وتؤثر فى المدارس الفكرية المصرية كافة ، فاستعار كل منها شيئا مما قدمت ، حتى لو انكر هذا من يعنيهم أنكاره من المتأثرين وحتى وهم يوظفون تاثرهم فى الخصام معها . ولعل هذا هو الانجاز الأكبر للحركة الماركسية المصرية بوجهيها الفكرى والحركى . ذلك أنه على الرغم مما يقال ـ وهو تقييم لا يناقضه الماركسيون ـ عن ضعف حركة اليسار المصرية ، فإن أثرها الفكرى ملموس فى راديكالية بعض تيارات الاخـوان المسلميـن أو أجنحتهـم . **وملموس فى رد الطليعة الوفدية أيام كان الوفد هو حزب البورجوازية الوطنية الليبرالية** . وملموس فى فكر مصر الفتاة ثم الحزب الاشتراكى ثم حزب العمل الاشتراكى . وملموس فى تطور الحزب الوطنى وانشقـاقه "الـوطنى الجديد" فى مطلع الخمسينيات ، كما هو ملموس فى تطور سياسة حركة الضباط الأحرار وما اقامت من نظام . بل وملموس فى بعض مايصدر عن الحزب الوطنى الديمقراطى الحاكم . وملموس فى الحياة الثقافة والعلمية والاكاديمية ... وليس هذا مجالا للحصر .

و"قضايا فكرية" هى اصفى التعبيرات حتى الآن ـ وفيما نعرف ـ عن هذا الفكر ، لأن تعبيرات سابقة عنه فى الاربعينيات ومطلـع الخمسينيات لم تكن بهـذه الرصانة ، ولم تتصل أو تفلح فى الاتصال بالهموم المصرية ، على نحو ماتسعى هذه المجلة أن تفعل . وهى لذلك ضرورة لأنها تجتهد فى انصاف سمعة هذه المدرسة المؤثرة ، التى طال اتهامها بالتعميم حيث لا يكون الدبيب نحو اكتمال معنى إلا بالتخصيص ، وبالتنظير دون رؤية الى الواقع حيث لا يستمد النظر لحمته وسداه ومداه الا من الواقع ، وبالنقل حيث المطلوب هو اعمال العقل . وهى ـ للانصاف ـ اتهامات فيها من الجور كثير انما فيها أيضا قدر من عدالة التشخيص .

ثم ان "قضايا فكرية" كانت ( الفعل الماضى فى اللغة العربية هو مطلق التوقيت ) ضرورة خصوصا بعد أن احتجبت مجلة "الكاتب" مجلة "الطليعة" التى عادت الى الصدور تتعثر فى العوائق ذاتها التى تواجه "قضايا" فكرية . وخصوصا أن "الكاتب" و"الطليعة" هما آخر ماكان يصدر دوريا ومؤسسيا من مجلات تعبر ـ جزئيا ـ عن هذه المدرسة الفكرية وان كانت "قضايا فكرية" ـ مرة أخرى ـ أصفى فى التعبير عنها ، من هنا ليس من النوافل أن يقال أن صدور "قضايا فكرية" كان ضرورة لصحة الحياة الفكرية فى هذا البلد ، وأنها تسد فيها فراغا كان فاغرا أو تحاول ذلك ، خصوصا أن سابقاتها الساعيات الى التغيير عن هذه المدرسة لم تجتهد فى هذا التعبير مثل الاجتهاد الذى تتطلع اليه هذه المجلة .

● ● ●

ولقد أصدرت "قضايا فكرية" حتى الآن خمسة كتب أو خمسة أعداد فى أربعة مجلدات . قراءتها والنظر فيها على أساس توقع تكاملها هو موضوع هذا المقال . الذى هو ـ صراحة ـ خطاب ترحيب . وان كان الترحيب بالأعمال الفكرية والمساعى التثقيفية غير الترحيب

# الإطار وممكنات الحوار

بالضيوف ، هو أقرب تطابقا مع الترحيب بأهل البيت ، يقال لهم « أهلا ومرحبا ... ولكن » التى تقال بعد هدأة الشوق .
ولكن ...

من الزيغ أن يطمع مقال فى مجلة أن يعرض لمضمون محتويات أربعة مجلدات يربو عدد صفحاتها على ثلاثمائة وألف صفحة . انما قصارى غرض هذا المقال أن ينظر فى هذه المجلدات ليرى الى أى حد أوفت بما قصدت والى أى حد نأت عن القصد الذى هو قصدها كما قالته .

- ١ -

« انما الأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى »

ولقد تساهل بعض المفسرين أو تسامح ، ففسروه وكأن الانسان يحاسب على النية لا على الفعل ، فمن نوى الاحسان ثم لم يقدر ، فكأنه أحسن ، وهذا منهم فضل عظيم . غير أن بعض المفسرين نحوا منحى أخر ففسروه على أن الانسان يحاسب على ما انتوى بقدر ما أوفاه أو قصر عنه ، بقدر ما التزمه أو نأى عنه . فنية الانسان له وعليه ، كما ان له ما اجترح وعليه ، وتبقى فوق ذلك "حبة مسك" شرط أن تكون النية خالصة ، لذلك كان لكل مجتهد نصيب ، من اجتهد فأصاب له اجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله اجر واحد .

وسيأخذ هذا المقال "قضايا فكرية" بنواياها كما افصحت عنها ، وسيأخذ باجتهاد مفسرى النية الذين يقيسونها الى الفعل .

وفى العدد الأول من المجلة أبلغنا محمد يوسف الجندى خطبة الكتاب تحت عنوان "الفكر النظرى ضرورة عملية" ، وفيها يقول أن « النظرية التى نحتاجها ليست نظرية محايدة أو فوق الطبقات بل نظرية تنحاز الى الجماهير الكادحة ، الى العمال والفلاحين وباقى الشعب العامل الى الغالبية الساحقة من السكان » وفى ختام الخطبة يقول : .

« ولهذا كان اصدار "قضايا فكرية" محاولة للاسهام فى هذا العمل الذى نعتبره هاما وحيويا للمناضلين الوطنيين الذين يتصدون للعمل من أجل مصالح الشعب ومن أجل حريته وتقدمه »

هذا هو القصد من اصدار المجلة ، ولا جدال أنه قصد جدير بالسعى . وان كان يحتاج الى تحديد وتوضيح . فهل تقصر المجلة الفكر النظرى الذى نوت تقديمه وخدمته على النظرية التى « تنحاز الى العمال والفلاحين » اى الماركسية . أم انها نوت أن تمد جناحين يشملان الفكر النظرى « الذى تعتبره هاما وحيويا للمناضلين الوطنيين » ؟ هل أتى ذكر المناضلين الوطنيين « بعد العمال والفلاحين » من قبيل « التعميم بعد التخصيص » أم اتى من قبيل الاعتقاد بأن المناضلين الوطنيين "هم فقط الذى يتوحدون مع مصالح العمال والفلاحين ومطامحهم ؟ وليست المسالة ولنقترض من الاستاذ محمود العالم عبارة استخدمها فى سياق مشابه فى العدد الثالث من المجلة ، فنقول أن المسالة ليست « حذلقة لغوية » لانها تعنى بلغة السياسة ، هل الفكر النظرى الذى تراه المجلة ضرورة عملية هو فكر

**لحزب أم فكر لجبهة ، هل فكر لطبقة أم فكر لحلف طبقي ؟**

ثم إن هذا الاستفسار عن النيات يجد سنده فى صفحات المجلة ذاتها ما قدمت من دراسات ومقالات وماتداولت فيما عقدت من ندوات ، جاءت فى سياق حمل هموم مستقبل هذا البلد . هل المستقبل الذى نريد سهمة قوة اجتماعية واحدة ومسئوليتها ام هو المهمة والمسئولية التى يلقيها التاريخ على عاتق تحالف من القوى الاجتماعية كلها ـ مع تفاوت الدرجات ـ ذات مصلحة تتطلع اليها فى هذا المستقبل ؟ أو بعبارة أكثر افصاحا وإن شابتها فجاجة تستحق الاعتذار . هل إن الطبقات جميعا . عدا العمال والفلاحين قد خانت قضية مستقبل هذا البلد المعقود على الاستقلال الوطني والرخاء الاقتصادى والعدل الاجتماعى بمستلزماتها من الصراع الوطنى والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ؟

لعلنا نجد جواب التساؤل والاستفسار فى صفحات المجلة ذاتها . وفى هذه الصفحات نجد اتفاقا فى مواضع عدة من الأعداد كلها ، على أن "البورجوازية الصغيرة" طرف ضرورى وشرعى فى أى حلف طبقى قادر على انجاز هذا المستقبل المرموق . ونجد خلافا حول "البورجوازية الوطنية" وهو خلاف يتداولها وجودا أو عدما كما يتداولها فى رأى القائلين بوجودها طرا مؤهلا ام غير طرف فى هذا الحلف الطبق .

فإذا أخذنا خطبة الكتاب مضروبة فى هذه الاتفاقات والاختلافات التى عبرت عن نفسها على صفحات المجلة ، قلنا أن الاقتصار على العمال والفلاحين ، كان تخصيصا يسبق التعميم الذين هم "المناضلين الوطنيين" ويكون مانتوقعه من المجلة هو أن تقدم فكر ذلك الحلف الطبقى الذى جرى البحث فيه وعنه ، وأن تقدم الفكر النظرى الذى يلحم مابين هذه الأطراف فى نسق فكرى جبهوى . تكون هذه نيات المجلة التى عليها تقاس اعمالها .

**لكننا إذا طالعنا المجلدات الأربعة نجد أن ماتحتويه من ثمين البحث والمداولة لايخرج عن دائرة الفكر الماركسي . بما دخل على اجتهاداته من تعدد ، ومالون التعداد من أضواء من ظلال . لا نجد أثرا لمدرسة فكرية بورجوازية صغيرة مصرية ( ناصرية ـ قومية ! ) ولا أثرا لمدرسة بورجوازية وطنية على زعم من قالوا بوجودها .** فكأن المجلة ، وكأن التفسير الصحيح لخطبتها الافتتاحية أنها لا ترى فكراً وطنياً إلا فيما يعبر عن فكر العمال والفلاحين ومصالحهم . أى لا ترى فكراً وطنياً إلا فى معين الماركسية . ولاغبار على الاجتهاد ولا على هذا الاجتهاد ولانزاع فى حق اصحابه فيه .

وإن كان لاغبار أيضا على اجتهاد واجتهادات أخرى ولانزاع فى حقوق أصحابها لكن هذا يخرج على موضوع هذا المقال .

وإن كان أيضا يجوز التساؤل ـ وهو أيضا يخرج عن موضوع هذا المقال ـ عمّا إذا لم يكن أولى بمجلة فكرية لها هذا الوزن ، وتتصدى لهذا الهم الثقل ، هم مستقبل هذا البلد ، أن يتسع صدرها فتخلى بعض صفحاتها لمدارس فكرية أخرى تحمل الهم ذاته ، إنما لها اجتهادات أخرى ؟ ألم يكن هذا أحرى ببناء فكر الجبهة ؟

# الإطار وممكنات الحوار

الا يستثير شيئاً من الاهتمام ، أن يموج هذا البلد ، والمنطقة التى يقع فيها و إليها بتيارات الاسلام السياسى ، وبدعوات الاعتصام بالتراث ؟ ، لكننا لانرى فى مجلداتها الأربعة مايقترب من هذا كله سوى ثلاث مقالات لمحمود اسماعيل وأحمد صادق سعد ( العدد الأول ) وفؤاد مرسى ( العدد الثانى ) .

**أيضا يشهد هذا البلد عودة إلى الناصرية أو انتعاشا لها . وتشهد المنطقة بداية لما قد يصبح صعودا جديدا للفكر القومى العربى بعد أن حجبته ثروة النفط المتناقصة فالزائلة ، لكن معالجة هذا الجديد غابت عن هذه المجلة المهمة .**

مرة أخرى ، هذا كله يقع خارج موضوع هذا المقال .

**فهذه إذن مجلة مدرسة فكرية بعينها . هى المدرسة الماركسية بأوسع معانيها ، فإذا كانت هذه هى نيتها ، فهى على درب الوفاء بها وهو مسعى مطلوب .**

ـ ٢ ـ

طالما أنها مجلة مدرسية فكرية ـ أيا كانت المدرسة ـ فلنقرأها على هذا الأساس . وعلى هذا الأساس يعالج هذا القسم من المقال عددا من المجلة لم يصدر ، ولعل أوان صدوره قد فات ، ولعل من الممكن تداركه ، إذا تحلت هذه المعالجة بقدر من القدرة على الاقناع . فهو عدد كان جديراً بأن يكون عددها الأول ! .

ماذا يتوقع القارىء المعنىٌ من مجلة فكرية تعبر عن مدرسة بعينها ؟ خصوصا إذا كانت هذه المدرسة تتصدى لمهمة الاسهام فى بناء الفكر النظرى الذى تراه لازما لانقاذ بلدها من براثن وضع يستهدف تدميرها ، على حد ماطرح الدكتور فوزى منصور على صفحاتها ؟

**اجتهاد هذا المقال أن مايتوقعه القارىء المعنى هو أن تفتتح هذه المجلة جهدها بطرح تصورها للموضوعات التى يجدر بأصحاب الطاقة الفكرية فى البلد أن يعالجوا على طريق تحديد متطلبات هذه المهمة وسبل تحقيقها** . أى أن يكون العدد الأول هو جدول الأعمال الفكرى الذى ترى هذه المدرسة الفكرية أن تبنيه وتحقيقه ، هو مهمة المثقفين المقتنعين بمسئولية إنقاذ هذا البلد : أن يكون أجندة البحث النظرى الذى تتطلبه هذه المهمة . وغنى عن القول أن جدول أعمال البحث النظرى هذا ليس مجرد قائمة عناوين ، وإن كانت قائمة العناوين لابد وأن تكون هى الخلاصة الأخيرة فى البحث عن هذا الجدول . ولكىْ يتضح القصد من هذا إن لم يكن واضحاً ، تفيد الأمثلة وإن كان بعضها تمثلاً بمصادر غير مستحبة فعندما قررت حركة "الأغلبية الأخلاقية" فى الولايات المتحدة أن تخوض انتخابات الرئاسة الأمريكية قبل الأخيرة تحت مظلة الحزب الجمهورى وبشخص رونالد ريجان شكلت لجنة أسمتها « لجنة النظر فى الخطر الراهن » أصدرت بعد عمل كثيف تقريرا حول هذا الموضوع عرضت فيه ماتصورت أنه الأخطار التى تواجه الولايات المتحدة وحددت على هذا الأساس الموضوعات

التى تراها جديرة بالبحث حتى تستطيع تلك الدولة أن تواجه هذه الأخطار ورسمت الأهداف التى على الجهد البحثى أن يستهدفها وأصبح هذا التقرير هو البرنامج الانتخابى لرونالد ريجان وعلى أساسه أقامت مدرسة فكرية هى مدرسة المحافظين الجدد . وأقامت لتحقيق غرض برنامجها البحثى مؤسسة أسمتها مؤسسة التراث ، هى التى ترعى بالبحث والترويج والضغط والنشاط هذا البرنامج . ولم يكن هذا جديداً فى الحياة السياسية الأمريكية ، فمن قبل ريجان صاغت القوة التى ساندت ليندون جونسون ماعرف باسم « استراتيجية المجتمع العظيم » ومن قبله أسس الليبراليون المحافظون الأمريكيون مدرسة « الآفاق الجديدة » التى أسهمت فى الأتيان بجون إلى الرئاسة . ولعل مثال التحضير للمؤتمر الثامن والعشرين للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى يفيد أيضا . فقد تميز هذا التحضير بجهد بحثى واسع لاستشراف مستقبل الدولة الشيوعية الأولى والكبرى لعشرين سنة تالية .

لكننا نتحدث هنا عن مجلة تعبر عن مدرسة فكرية وليس عن قوة انتخابية أو حزب كبير وحاكم وذى تراث عريق . إنما كانت الأمثلة لزوم التوضيح . المهم فى هذا العدد من المجلة الذى لم يصدر أنه كان من شأنه ألا يبقى ما تتصوره المجلة وجهات ضرورية للجهد البحثى الوطنى فى هذا البلد مستتراً فى ضمير أصحاب هذه المدرسة أو القائمين على هذه المجلة ، يبين لمن سواهم عدداً بعد عدد .

**ومرة أخرى لعل أمثلة على مستوى آخر تفيد ! هل تتطلب مهمة انقاذ مصر مما هى فيه وبناء مستقبلها فى الاستقلال والرخاء والعدل الاجتماعى البحث فى حالة المرأة ووضعها فى المجتمع أم أن هذه مهمة مؤجلة ؟ هل تتطلب هذه المهمة البحث فى تعدد نظم التعليم وأنواع مناهجه ؟**

على أن المسألة بالطبع ليست مجرد تحديد الموضوعات فقد يقول قائل أن شئون الوطن والشعب وشجونهم بالطبع واردة جميعا إنما المسألة هى ايضا ومعا مسألة الأولويات ، ليس بمعنى ماذا نبحث أولاً وماذا نؤجل . وإنما بحث ماذا ضرورى لإمكان بحث ماذا . أى أن جدول الأعمال هو بالضرورة نسق فكرى لكل موضوع منه كما فى أي تكوين عضوى حى . اين الرأس وأين القدمان ؟ وهل يستطيع القلب أن ينبض إذا كان الدماغ مشلولاً ؟

ثم ان للبدء بطرح جدول الأعمال الفكرى فوق فوائده الفكرية فائدة حركية أو هى حركية فكرية . إليس من شأنه أن يثير مناقشات فى أوساط مدارس فكرية أخرى وفيما بينها . ألا يستدعى بناء جدول الأعمال هذا تنظيم مناقشات تؤدى إليه . أليس هذا سبيلاً من السبل لاكتشاف قوى الجبهة الفكرية المطلوبة وبناء الأواصر بينها ؟

- ٣ -

أمام القارىء أربعة مجلدات من قضايا فكرية ، يستطيع الآن أن ينظر إليها معا لكن هذا القارىء فى سياق زمن صدور هذه المجلدات قد يسأل نفسه لدى كل فيها ، لماذا هذا الموضوع الآن ، فلكل مجلد منها موضوع تخصص فيه و"الآن" هنا ليست دلالة زمن ، إنما هى دلالة موقع

# الإطار وممكنات الحوار

من نسق فى جدول أعمال فكرى مفترض .

وهذا عرض من أعراض غياب « الأجندة الفكرية »

عناوين المجلدات الأربعة هى على التوالى :

- **من الذى يحكم مصر .**
- **مصر بين التبعية والاختيار الاشتراكى .**
- **أزمة النظام الرأسمالى فى مصر - لماذا ... وإلى أين ؟ .**
- **الطبقة العاملة المصرية - التراث - الواقع - آفاق المستقبل .**

عندما ينظر القارىء المعنى فى تتابع موضوعات المجلدات ، فقد يسأل نفسه عن النسق الفكرى الذى ينتظمها فى هذا التتابع بالذات ، لأنه بما أن المجلة تعبر عن مدرسة فكرية ، فالنسق الفكرى متوقع .

ولم ينجح كاتب هذه السطور فى اكتشاف نسق فكرى لهذا التتابع بالذات ، وسأل نفسه هل نستطيع - علميا - أن نحدد من الذى يحكم مصر قبل أن نبحث فى التكوين الاجتماعى وعلاقاته وصراعاته وأقطابها . ومواقع القوى فيه من المجتمع ومن السلطة ؟ هل نستطيع أن نقول أن طريق مصر للخروج من التبعية هو الاختيار الاشتراكى ، قبل أن نبحث فى وضع الرأسمالية المصرية وطاقاتها إن كان لها منها شىء ؟ هل نستطيع أن نقول بالاختيار الاشتراكى قبل أن نستطلع وضع القوى صاحبة المصلحة فيه ؟

لو حاول قارىء معنى إعادة ترتيب تتابع المجلدات ووفقا للاطار الفكرى الذى تصدر عنه المجلة ، لوجد نسقاً فى أن يسبق المجلدات أن الثالث والرابع سابقيهما .

أو بصيغة أخرى .....

**لكى نصل إلى وفاق فكرى ، على أن الاختيار الاشتراكى هو طريق مصر إلى الخروج مما هى فيه - الا تستدعى هذه الخلاصة مقدماتها الضرورية ؟ من فحص الرأسمالية المصرية والرأسمالية فى مصر والوصول إلى أن الرأسمالية المصرية قد تخلت نهائياً عن مشروع التنمية المستقلة** . أو هى عاجزة عن تحقيقه ، وأن التنمية الرأسمالية المستقلة مستحيلة فى ظل التقسيم الدولى للعمل . وإلى أن الطبقة العاملة المصرية قادرة على قيادة البلاد إلى خارج قيود التبعية وإلى نعمة الرخاء والعدل ، أو انها قادرة على بناء التحالف القادر على تحقيق هذا ، وإلى أن « من يحكم مصر الآن » هو هذه الرأسمالية المختلة أو الخائنة أو العاجزة .

وليس هذا البحث عن نسق فكرى ينتظم تتابع موضوعات المجلدات من قبيل الحذلقة أو من المشورة الفنية ، إنما هو من قبيل بناء الثقة فى المدرسة الفكرية التى تعبر عنها المجلة ، أليس النسق الفكرى المتحرك من الحال إلى المآل هو نسق المادية التاريخية ؟ وألا يؤسس اتباعه علمياً للحتمية التاريخية التى هى هنا حتمية الاختيار الاشتراكى ؟ بدلاً من أن تبدو قدراً أتيا هكذا ، لأن هذا هو ماتقول به النظرية ، أو لأن هذا الاختيار الذى يفضله أصحاب المدرسة الفكرية التى تصدر عنها المجلة ؟

مع الغنى الشديد الذى تتميز به مادة المجلة فإن مجلداتها الأربعة - حتى بافتراض تعديل تتابعها على النحو الذى اقترحه الاجتهاد السابق ، وبدون تعديل هذا التتابع ، تبقى دون مايتوقعه القارىء المعنى من تكامل .

ويأتى مطلب التكامل هنا من اعتبار أن المجلدات الأربعة هى فى الحقيقة وإن يكن بصيغة المجلات التى تتمايز عن صيغة الكتب ، هى أجزاء أربعة لكتاب واحد فى موضوع بذاته هو وضع مصر ومستقبلها .

والمقصود بالتكامل أن يؤدى كل من الأجزاء إلى الجزء الذى يليه .

وللتوضيح : إذا كان المجلد الثالث والكتاب الثالث والرابع قد فحص أزمة النظام الرأسمالى فى مصر ، يكون مناط التكامل هنا أن نرى هذا الجزء الذى تلاه والذى فحص تراث الطبقة العاملة ومستقبلها بأعتبار النظام الرأسمالى والطبقة العاملة نقيضان متكاملان ومتصارعان .

هذه الرابطة التكاملية ليست مطلقة الغياب ، لكنها أيضا ليست بينة الحضور .

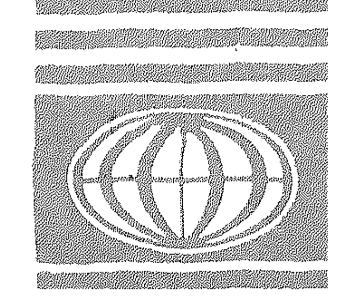
على سبيل المثال : إذا قلنا أن الرأسمالية المصرية رأسمالية تابعة هيكلياً أو بنيوياً ، أو أصبحت تابعة فى عصر الانفتاح ونتيجة لسياساته ، وهما إجتهادان عرضتهما المجلة ، فإن للقارىء المعنى أن يتوقع عند النظر فى شأن الطبقة العاملة تفتيشاً عن "الاستقلال المزدوج" الذى قد تتعرض له طبقة عاملة تعمل لدى رأسمالية تابعة .

على أننا فى مواضع أخرى نجد بينات أخرى للتكامل وإن تكن خافتة ، ومن أمثلتها ماتوافق عليه مجلد « أزمة الرأسمالية » من أن المال النفطى ، قد أكد تبعية الرأسمالية وعمقها ، ودراسة نادر الفرجانى عن أثر هجرة العمالة المصرية على الطبقة العاملة المصرية .

ومن بينات افتقاد التكامل أنه إذا كان من آثار تبعية الرأسمالية المصرية أو الاقتصاد المصرى استيراد التضخم من الخارج ، وتفشى أنماط استهلاك لايطيقها الاقتصاد ، فللقارىء المعنى أن يتوقع بحثا عن أثر هذا فى تطلعات الطبقة العاملة المصرية ، على نحو يؤثر على دعيها بذاتها كطبقة . ومن بيناته أيضاً أنه إذا كان من الاجتهادات المنشورة أن العهد الناصرى كان مسعى لتنمية مستقلة ، رأسمالية أو ذات توجه اشتراكى على اختلاف الاجتهاد ، فللقارىء المعنى أن يتوقع عند النظر فى واقع الطبقة العاملة فحصاً لعلاقة هذا المشروع الناصرى . بهذا الوصف بأمرين متفارقين ومتكاملين هما ما أحرزته الطبقة العاملة من مكاسب فى ذلك العهد ، وعلاقة هذه المكاسب باستتباع المنظمات النقابية لهذه الطبقة للتنظيم السياسى الواحد ثم للجهات الادارية .

**ولقد كان هذا نظراً فى "قضايا فكرية" حدد نفسه بإطارها من حيث صلته بأدائها لوظيفتها المهمة . ولم يتطرق هذا النظر إلى مضمون مانشرت وماتداولت . ليس فقط لأنه مقال فى مجلة مهما كان لاتتسع له ولاتتحمله ، وإنما لأنه أوسع وأكثر تنوعاً من أن يتناوله محاور واحد ، ومع ذلك فهذا الحوار المطلوب مع مانشرت قضايا فكرية ليس ملموساً بعد . ولعل هذه ظاهرة تستوقف النظر بالنسبة لحياتنا الفكرية والثقافية كلها وبأطرافها جميعاً .**

**إنما ربما ايضاً ترجع مسئولية التقصير فى هذا الحوار اللازم - ولو بقدر صغير - إلى ما سبق تناوله فى هذا المقال وإلى غيره متعلقاً بإطار المجلة . ولعل « قضايا فكرية » ذاتها تتدارك بعضه فى أعداد عديدة مقبلة ، بأن توسع مثلا من تنوع المدارس الفكرية فيما تنشر من مقالات ودراسات وفيما تدعو إلى المشاركة فيما تعقد من ندوات .**



# العالم في سطور

## باريس

**● اسرع كتب .. فى العالم**

هذا النوع من الكتب يأتى سريعا ويذهب ايضا سريعا . لكن الطريف فى أمره هو سرعة صدوره . فبعد وفاة المطربة العالمية داليدا بثلاثة ايام ظهر اسرع كتاب فى العالم ويحمل عنوان « عندما يذهب الحب » عن حياة داليدا ورحلتها مع الفن والملل والانتحار .

وعليك ان تتخيل مدى السرعة التى تم بها اعداد الكتاب سواء من حيث



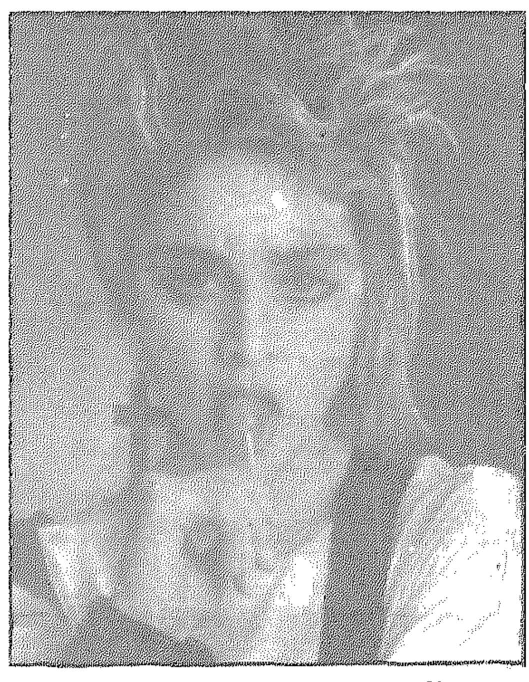

كتابة المادة التحريرية وتبويبها والبحث عن الصور النادرة وسرعة الانجاز . ومثل هذا النوع من الكتب لابد ان يرتبط بمناسبات معينة . ولان الناشر ميشيل لافون يعرف ان الناس لن يقرءوا عن داليدا بنفس الشهية سوى فى الايام السبعة الاولى من وفاتها فقد عمل على اصدار الكتاب فى منتصف هذه المدة .

والمشرفون على اعداد هذه الكتب هم عادة من الصحفيين الذين برعوا فى سرعة التحرير . ويمكنهم تسليم المادة المنسوخة فى اقصر وقت ممكن . وقد اصطلحت صفحات الكتب فى الصحف على تسمية هذا النوع من المطبوعات بـ « كتب الولائم » حيث انه لا يتم تناولها سوى عند قيام وليمة معينة .

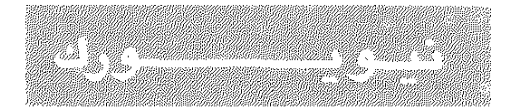
ويقول الناشر لافون انه « تلزمنا اربعة ايام مفتوحة كى نصدر كتابا » نعد فيها النص . ونقوم بالطبع . واعداد الغلاف . لذا فهناك نوعان من الكتب . كتاب يمكن أن نطبعه فى دارنا . واخر نرسله الى دار نشر اخرى تطبع لنا الفى وخمسمائة نسخة فى كل ساعة ..

من اهم كتب الولائم التى صدرت فى باريس خلال هذا العام « الحساب العسير » عن لاعب التنس بوريس بيكر . الذى تم اعداده فى ثمانية ايام و « وداعا » عن الممثل الكوميدى كلوش وتم اعداده ايضا فى ثمانية ايام .

وبمجرد ان اذيع خبر انتحـــار داليدا فى الثامنة والربع من مســاء الثانى من مايو المــاضى بدأت ادارة لافون فى انجاز الكتاب الذى صـــدر فى السابع من مايو • ويقول الناشر انه قد منح بعض الوقت للمحـــررين حتى لا يخرج الكتاب « مسلوقا » وان هذا النوع من الكتب لا ينســب الى كاتب بعينه رغم كل الجهد الذى يبذل فيـــه •



مادونا




● وجه المدينة ، في صوت مادونا

« يا ناس يا شر •• كفاية قر »

هل تتصور ان تصبح العبارات التى يكتبها البعض فوق سياراتهم ـ خاصة الاجرة ـ عناوين لمؤلفات ادبية جادة

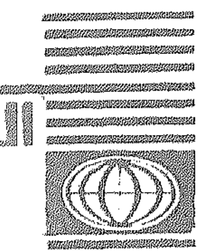
تحت عنوان « انا نيويورك » صدرت اخيرا رواية للكاتب اليهودى جيروم تشارين • والرواية نفســها غريبة • ففيها يقـــول الكاتب ان نيويورك اكبر المدن اليهودية فى العالم قد تأسست على يد بيتر ستايفسنت ـ وهو ايضا اسم دخان شـــهير ـ اليهودى القادم من هولاندا عـــام ١٦٥٣ •

وعبر تاريخ المدينة يمشى الكاتب عندما صيغت نيويورك بالطـــابع الانجليزى ثم امتزجت بالابراتـــدية والايطالية واليهودية والصينيـــــة والزنجية • ولان المدينة ولدت انجليزية فهى تفضل ان تكون لها ذاكرة ضعيفة

ويرى الكاتب ان المدينـــة عرفت الكثير من الناس • لكنه يختــــار نموذجا بعينه ليتكلم عن المدينـــة من خلاله • وهو المطربة والممثلة المعروفة مادونا التى لها صوت اشـــــبه بالفأر الصغير • وتمثـــــل الحس الجنسى خاصة عندما تعرى بطنهـــا اثناء الغناء • وذلك الهـذيان الذى تحدثه فى القاعة • وقد غيرت مادونا هويتها مثلما حدث لنيويورك • فقــد جاءت من ايطاليا • وقصت شعرها الاشقر بعد ان صبغته • وكان عليهـا ان ترقص بحرارة اكثـر من الدفء الذى يشع من جسدها الذى يتلوى • « يلف جسدها ويلف • واثاثها حـواء تمارس الحب مع الافعى ـ وعنـــدما تنظر الى جدران مانهاتن ترى مادونا وجهها الحقيقى » •

« هناك ايضا الكثير من الرسامين فى نيويورك اكثر من كل الرســامين الذين عرفتهم اوروبا منذ عصــــر النهضة وحتى الآن » •

جيروم تشارين ـ ٥٠ عاما ـ هـو




احد ابرز الروائيين اليهود الان فى الولايات المتحدة · وهو اقل تعصبا من الكثير من اقرانه · من ابرز رواياته « عيد ميلاد فى مانهاتن » و « عزيزتى بيك » و « سمك القط » ·

## تيرانا

### ● العزف على أوتار التاريخ

اسماعيل قدرى هو بالفعل اشهر كتاب البانيا على الاطلاق رغم عمره الادبى القصير الذى بدأ عام ١٩٧٠ · ورغم ان عدد رواياته القليل(١٢رواية) فان اعماله قد ترجمت الى العديد من لغات العالم منها اللغة العربية · ومن احدث ما صدر له اخيرا روايتان قصيرتان تحت عنوان السنة السوداء » و « اخترق موكب الزمان الجليد » ويؤكد النقاد ان الادب بالنسبة له خاصة حيوية كيماوية فى حاجة الى وعى خاص بالمجتمع ·ومن الصعب معرفة سبب ذلك او كيفيته · فهو احد الكتاب الذين عزفوا على نغمة التاريخ · فيبحث فى منابعه · لذا فانه شغوف بأصل الحكايات الشعبية الالبانية التى يقوم باعادة صياغتها فى رواياته ·

وقد احتفلت البانيا فى العام الماضى بمناسبة بلوغه سن الخمسين ورغم



اسماعيل قدرى

انه لم يشهد الاحتلال العثمانى الذى دام خمسة قرون حتى بداية القرن فانه تأثر بتاريخ بلاده وانشغل دوما بقضية الاحتلال والثقافة ·· «فى البلاد المستقلة تأخذ الثقافة الطابع الجامعى · والبرلمانى والاكاديمى · ويتعلم الاطفال وهم يستمعون الى الحوارات والى تاريخهم مثلما يحدث فى اليونان » ·

والسنة السوداء هى عام ١٩١٤ · التى اندلعت فيها الحرب العالمية الاولى بعد استقلال البانيا بعامين · قبل ذلك العام كانت الكلاب تنبح بلا سبب فى القرى الصغيرة · وكان على البانيا ان تجد لنفسها هوية وسط الجبروت الاوربى · فى هذه السنة تسلح الابناء تحت قيادة اسد باشا ضد هؤلاء الذين ارادوا تدمير تركيا بمآذنها ··

اما روايته « اخترق موكب الزفاف الجليد » فتتناول محاولة الاغلبية الالبانية الذين يعيشون فى اقليم كوسوف بيوغسلافيا الاستقلال عام ١٩٨١ · وذلك فى محاولة اولى لتحقيق حكم ذاتى بالاقليم · الا ان الحكومة اليوغسلافية ارسلت دباباتها وجنودها واحبطت المحاولة من خلال العنف ·

## فينيسيا

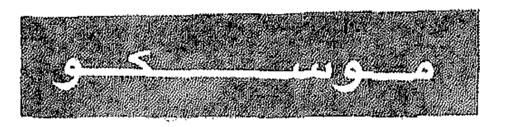
● اضعاف البعد الثالث

بينما انشغل العالم باجتماع زعماء الدول الصناعية الكبرى فى فينسيا خلال الاسبوع الثانى من يونيه الماضى كانت مدينة البندقية تكشف عن وجهها الحقيقى وهى تستقبل معرض الفنان الوحشى هنرى ماتيس من خلال مجموعة شبه كاملة من اهم لوحاته وبمناسبة اقامة هذا المعرض تم تخصيص مجموعة من اللوحات التى رسمها ماتيس عن ايطاليا لعرضها فى قاعة خاصة • فقد اعجب ماتيس دوما بايطاليا • وعاش بين جبال الالب فى الشمال وبالريمو فى صقلية بالجنوب • فعشق البشر • واحب النساء • ورغم انه سافر الى العديد من بلدان العالم فانه بدا مشدودها بصفة خاصة بنساء ايطاليا •

لا تنبع اهمية ماتيس فقط من عظمة لوحاته • التى صنعت منه مدرسة تشكيلية متميزة • وليس فى رحلاته المتعددة الى كافة اقطاب الدنيا • بل فى ارتباطه الحقيقى بمثقفى عصره فى شتى الميادين • مثل صداقته لاندريه جين الذى اكد ان اعمال ماتيس هى تجسيد حى لكل ما يحمله من فكر •

وان اكد الناقد التشكيلى بيتر شنايدر فى كتابه عن ماتيس انه اول من نبه الى نقاء الفن فى لوحات عديدة مثل «مائدة الاشياء» و«الحوار» و «اليد والسهم» •

اما المدرسة الوحشية التى ينتمى اليها ماتيس فان اصحابها قد سعوا لاكتشاف سحر الالوان التى تقتضيها متطلب لوحة كاملة مع الاعتداد فى كل الاحوال بان اللوحة فى آخر غير الواقع • وان اللوحة لابد ان تشتغل بالوان اريبة • اما من ناحية الشكل فقد سعى الوحشيون الى زعزعة شكل الاشياء مع محاولة عمل تسطيح للاشكال • كما عملوا على اضعاف البعد الثالث الذى يعد اهم العناصر فى الفن التشكيلى •




● روايات غير منشقة

لاشك ان الادب الروسى قد ارتبط فى السبعين عاما الماضية فى اذهان الكثيرين بانه منشورات ادبية لصالح النظام السياسى • وكان على الكاتب الذى يسعى لتحقيق شهرة عالمية كبيرة ـ دون ان يخرج من الاتحاد السوفييتى ـ حتى لو كان اقل اهمية ان يعلن انشقاقه على ايديولوجية بلاده • لدرجة اصبح الانشقاق فى السنوات الاخيرة تقليعة غريبة حتى فى ميدان الرقص الايقاعى ••

وللأسف فان اكثر ما نستقيه من معلومات عن الادب الروسى الحديث يعبر من خلال مرشحات تمثل ما ترجم من اللغة الروسية الى اللغات الاخرى الاكثر ذيوعا ولذا فان كاتبا مثل فلاديمير جوسيف قد استطاع عبور هذا المرشح من خلال رواية واحدة فقط من رواياته التسع •• ليس لانها رواية منشقة •• ولكن لانها مجرد رواية تاريخية عادية تدور احداثها فى امريكا اللاتينية فى اوائل القرن التاسع عشر وجوسيف ـ ٤٨ سنة ـ روائى وناقد ومؤرخ • ويعمل مدرسا فى معهد الادب بموسكو جاء من ضواحى الاتحاد السوفييتى الى العاصمة ليعمل فى الصحافة •

# طائرة الميدان الأحمر وأبعاد المهزلة الأرضية

بقلم : محمد فتحى

**ان واقعة اختراق المغامر الالمانى ماتياس راست خطوط الدفاع الجوى السوفييتية بطائرة رياضية لابد ان تدفع كل عاقل الى وقفة تأمل للمهزلة الاكبر والاعم ، المتمثلة فى خواء الاسس التى يقوم عليهـا أمن الجنس البشرى المدجج بمنظومات تسلح فتاكة ، دون أن يكون بمقـدور أحد أن يعرف على وجه الدقة ، وبقدر كاف من المصـداقية آليات تحريكها أو التصدى لها •**

على حين غـرة وفى يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٩ بدأت عجـلة الحرب العالمية الثـالثة فى الدوران • نعم توالت الاجـراءات بالفعل على المسرح الحقيقى للعمليات دون ان يكون للامر ادنى علاقة بأى من سيناريوهات نهاية العالم ، التى تنتمى الى عالم السينما او عالم الدراسات المستقبلية ••

كان الحارس النوباتجى ـ الحاسب الالكترونى ـ فى المؤسسة الدفاعيـة الامريكية يعمل كالعادة فى تأدية مهام وظيفته ، الخاصة بحماية اجـراء الولايات المتحدة وحلفائهـا • وكان السؤال التقليدى : « هـل هناك مبرر للقتال ؟ » يطرح نفسه على الحاسب كالعادة ملايين المرات كل ثانيـة • وكانت اجابات السؤال تتوالى ، على ضوء مسح سماوات العـالم • وعلى حين غرة تغير الرد النمطى المعهـود ليقرر الحاسب ببرود وثقة : عليكـم بالعمل فهناك هجوم بالصواريخ قـد بدأه السوفييت على القواعد الجـوية الامريكية •• »

واستجابة أوتوماتيكية لما قـرره الحاسب بدأت على الفور اجـراءات الحرب فأقلعتطائرة القيادة والسيطرة « ايه ـ ٤ » ، المخصصـة لرئيس

الولايات المتحدة ـ وهى تقف فى حالة تأهب دائم ـ حتى تتيح للرئيس توجيه عمليات الثأر . هذا كما انصاعت للاوامر دوريات قاذفات القنابل النووية بعيدة المدى ـ التابعة للقيادة الجوية الاستراتيجية ـ التى تحلق بانتظام فى الجو .. انصاعت للاوامر وأخذت طريقها متوجهة الى الاراضى السوفييتية .. وتوالت الاجراءات القتالية نحو خمس دقائق .

لكن الكارثة لم تقع لاسباب مضحكة، ان كان الضحك جائزا مع مأسى بهذا الحجم ..

لقد ظهر ان طائرة الرئيس اقلعت قبل ان يصل جيمى كارتر اليها ، وان الاقلاع كان صحيحا من وجهة النظر القانونية ، فليست مهمة الطاقم فى ظرف كهذا البحث عن الرئيس ، فعليه هو نفسه ان يتمكن من الوصول الى الطائرة خلال مهلة الثوانى المتاحة لها على الارض ..

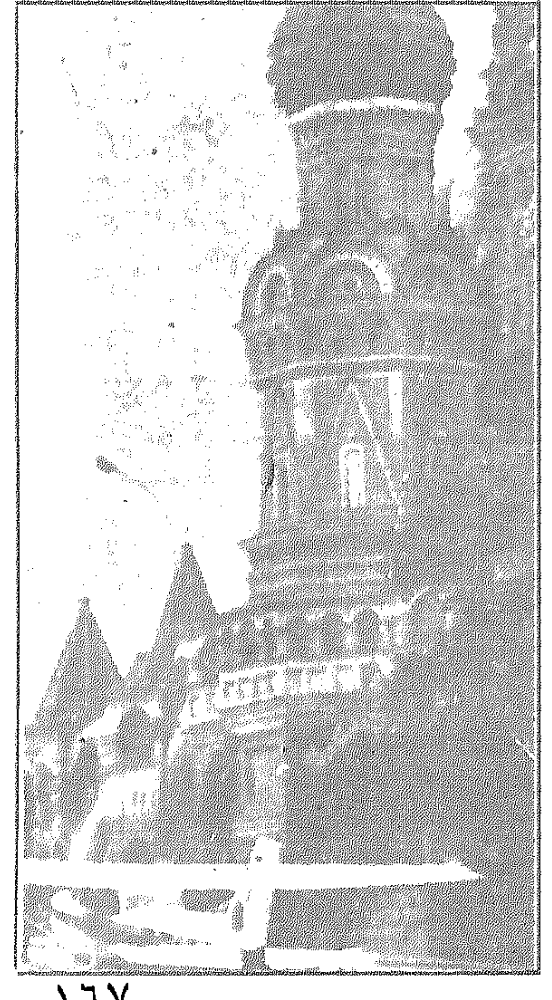
وظهر ان الصواريخ السوفييتية لم تصل الى مقاصدها رغم الفسحة الزمانية التى تمكن من ذلك ..

ثم تبين ان التحذير كان خطأ من الاساس وان احد الفنيين وضع شريطا خاصا بالتدريب على مواجهة هجوم سوفييتى فى الحاسب الالكترونى العامل ، بدلا من وضعه فى الحاسب المخطط لاجراء التدريب ..

## ● واقعة هزلية ●

ولعل القارىء لا يستغرب ان تكون مناسبة مدخلنا هذا الواقعة الهزلية التى جرت يوم الخميس ٢٨ مايو الماضى ، اذ فوجىء الموسكوفيون فى الميدان الاحمر بالشاب الالمانى ماتياس راست ( ١٩ سنة ) يهبط بطائرة صغيرة من ذوات المحرك الواحد ، لايزيد ثمنها على ٦٠ الف دولار ، بعد ان اخترق نقاط الحدود بين الاتحاد السوفييتى وفنلندا ، واجتاز نطاقات الدفاع الجوى السوفييتية واحدا وراء الاخر على امتداد ٤ ساعات وحوالى الفى كيلو متر ( الاف من شبكات الرادار

الطائرة بعد هبوطها قرب كاتدرائية سان بازيل



## طائرة الميدان الاحمر وأبعاد المهزلة الأرضية

العسكرية وبطاريات الصواريخ والمقاتلات النفاذة ، يؤكد الخبراء الغربيون انها افضل شبكة للدفاع الجوى في العالم كله ، وضمنها الشبكة الصاروخية المنيعة الذائعة الصيت عن مدينة موسكو ) •

ومن سخرية القدر ان المغامر الالمانى فعل ذلك كله بينما يتبادل حرس الحدود السوفييتى انخاب الاحتفال بعيدهم ( يوم الحدود ) ومنعتهم ضد الاختراق(!) وبينما يوقع زعماء وعسكريو الدول الاشتراكيةفى برلين الشرقية وثيقة حول « المعقيدة العسكرية » لدول حلف وارسو ، تتناول ضمن ما تتناول قضايا الامن المتبادل والمنعة والسيادة في العصر الفضائى النووى (!)

نقول لعل القارىء لا يستغرب ربطنا بين واقعتى طائرة الميدان الاحمر والحرب العالمية الثالثة ذلك انهما تؤكدان ، على الرغم من المفارقة الواضحة بينهما ، نفس المعنى •

فمع صحة ما يقال عن الضربة المهينة التى تعرضت لها المؤسسة العسكرية السوفييتية •• ومع صحة ما يقال عن ان رحلة راست لم تكن كلها عفو الخاطر وان جهاز مخابرات قوى لابد ان يكون قد وضع امكانياته فى خدمتها ( تحديد التوقيت ، خرائط الطيران ، تفادى شبكات الرادار •• ) ومع صحة ما يقال عن التناقض الفاضح بين مظهر الصرامة المتجهمة وبين التسيب الذى لا نظير له •••

مع صحة هذا كله وغيره مما يقال فان الواقعتين تؤكدان خواء الاسس التى يقوم عليها امن الجنس البشرى في هذه المرحلة الحرجة من تطوره الحضارى •

ويبين مغزاهما الحقيقى ما تكشفه السجلات من انهما ليستا شذوذا فى بابهما • واذا امكن صرف النظر عن دلالة احداث « صغيرة » مثل مفاجاة شاب مافون لصاحبة الجلالة ملكة بريطانيا العظمى فى حجرة نومها ، مخترقا كل احزمة الامان التى تحيط بها •• ان كان من الممكن صرف النظر عن مثل هذا الحدث فانه يستحيل الا يتوقف عاقل امام ما جاء فى تقرير للكونجرس الامريكى حول تسجيل الاجهزة التى تراقب تعرض امريكا لهجوم ذرى سوفييتى ، وتديرها حاسبات الكترونية متقدمة ، ١٤٧ انذارا كاذبا خلال عامى ١٩٧٨ ، ١٩٧٩ ( ضمنها الواقعة السابقة التى استمرت الحرب فيها ما يقرب من ست دقائق ) ••

ورغم ان اكتشاف كذب بعض العقول الالكترونية عن طريق مراجعة عقول الكترونية اخرى لادائها نعمة لا تقدر بثمن ، فقدر العبث فى الموضوع يتضح اذا عرفنا ان عقولا الكترونية عديدة من نفس النوع • كان يراجع الواحد منها غيره يوم الحادث المشئوم ، الذى راح ضحيته مكوك الفضاء « تشالنجر » بملاحيه السبعة ، وظلت جميعها تؤكد حتى النفس الاخير ان كل شىء على ما يرام ، الامر الذى يبين استحالة المام مصممى برامجها بكل خاف وطارىء ، حتى يتمكنوا من تخطيط هذه البرامج بحيث تتلافاه •



ماثياس راست الطيار الالمانى مع اسرته قبل ان يبدأ مغامرته الطائشة .

وحتى ندرك المخاطر الكامنة وراء وقائع « هزلية » من هذا النوع ، لا بأس من نظرة سريعة على الاطار العام الذى تجرى هذه الوقائع فى اطاره .

من المعقول او العبث الذى يلف حياة عالمنا فى مرحلة تطوره الراهنة ان ضمانات سلام هذا العالم ترتبط بامتلاك كل من طرفى الصراع المقومات التى تمكنه من توجيه ضربة مضادة مدمرة للطرف الاخر ، حتى بعد التعرض لضربة نووية اولى ماحقة وذلك عن طريق قاذفاته الاستراتيجية وصواريخه العابرة للقارات الموجودة على متن الغواصات الذرية وغيرها من المنصات المتحركة .. ووفقا لاستراتيجية « الدمار المتبادل » هذه ليس من الممكن ان يبدأ عاقل من اى جانب بتوجيه الضربة الاولى لان معنى ذلك هو اعدام الجنس البشرى وتحويل هذا الكوكب الى دغل غير صالح للحياة لفترة لا يعدم مداها الا الله ..

وعلى الرغم مما يبدو من نجاح هذه الاستراتيجية فى الابقاء على عالمنا فان التدقيق يكشف عن كونها استراتيجية هشة وغير منطقية . فالكلام عنها وان بدا متماسكا على الورق لا يصمد امام اى قدر من التمحيص ذلك ان من يملكون قرار الرد على هجوم نووى سيقعون تحت ضغوط هائلة ، حال نشوب اى طارىء ،يحثهم على اطلاق صواريخهم قبل ان يجرى تدميرها فى مواقعها ، اذ يفرض منطق هذه الاستراتيجية نفسه الاسراع بالرد على اى هجوم او شبهة هجوم نووى ربما قبل التأكد من مصدره وموقعه وابعاده ، اذ لا يحتمل الامر

تاجيلا او ترددا لثوان معدودات .
ومن مظاهر اللامعقول التى تبعث على الاسى انه فى هذا الاطار يكون بمقدور اى حادث عسكرى عارض اشعال حرب نووية شاملة لا تبقى ولا تذر ، بل والانكى من ذلك امكان قيام مثل هذه الحرب عن طريق سوء التقدير والخطأ او بفعل واحد من هواة الشهرة المغامرين او حتى الساعين الى الانتحار ، فى عالم تؤكد وقائع حياته واحصائياته على تزايد عدد من يفقدون توازنهم النفسى والعقلى مع كل يوم .

وقد يكون من المفيد عند هذا الحد التأكيد على ان مقولة اعدام الجنس البشرى هنا ليست من قبيل التعبير الادبى المجازى فقد اجمعت الدراسات العلمية عليها . فبعد تأكيد عدد من الدراسات الاوربية والامريكية لها لم تجد الحكومة الامريكية مناصا من تكليف المركز القومى لابحاث الطقس فى ولاية كولورادو بدراسة الامر . وخلصت دراسة المركز الى ان السحابة الناتجة عن استخدام واحد فى المائة ( فقط ) من المخزون العالمى للسلاح النووى ستؤدى - السحابة - الى حجب اشعة الشمس وبالتالى انخفاض درجة الحرارة فى نصف الكرة الشمالى فى غضون ثمانية ايام الى ١٥ درجة مئوية تحت الصفر ( فى فصل الصيف ) ..

ولن تمر اسابيع ثلاثة حتى تنخفض درجة حرارة النصف الجنوبى للكرة الارضية الى نفس الحد .

وسوف يستمر هذا الوضع الذى اصطلح على تسميته بـ « الشتاء النووى » ما يقرب من ثلاثة الى ستة شهور ، بحسب المنطقة الجغرافية المعنية .

ونتيجة للاختلاف الكبير فى درجة الحرارة بين اليابسة ومياه المحيطات ستهب عواصف واعاصير عاتية تغرق اليابسة بالامطار والثلوج .

وسيؤدى ذلك كله الى القضاء على انواع الحياة النباتية بشكل عام الامر الذى يترتب عليه بالضرورة القضاء على كل انواع الحيوان .

المهم انه جسريا وراء قدر من المصداقية فى اطار استراتيجية الدمار المتبادل السابق الاشارة اليها، وتحسب لارتباك خطوط الاتصال بين القيادات ووحداتها العاملة عند وقوع ضربة ذرية ، الامر الذى يحتم التمام الرد وسط حالة الفوضى الشاملة ، راحت القوى المتصارعة تعزز من ترساناتها النووية حتى قارب نصيب الفرد فى عالمنا الى مايزيد على عشرين طنا من المتفجرات ولم تقف هذه القوى عند ذلك الحد بل راحت تعزز سباق التسلح فى مجالات اخطر واعصى على التحكم مثل مجالات الفضاء والليزر ..

وليت الامر يتوقف عند اهدار البشرية - التى تعانى قطاعات واسعة منها الجوع والمرض والتشرد - للجانب الاعظم من مواردها على الانفاق العسكرى اذ ان المستحدثات الجديدة تجعل هذا الانفاق سيفا مسلطا على رقاب البشرية لا يستطيع احد ان يؤكد باى قدر من المصداقية انه يعرف على وجه الدقة اليات تحريكه او التصدى له .




## عقل الامة بمناسبة جوائز الدولة

البحث العلمى هو العقل الذى يرسم للامة خطى حركتها ويتيح افضل نتاج لما يتوفر لديها من امكانات ·

وقد حظى البحث العلمى هذا العام باهتمام متزايد فقد شهد أول زيارة يقوم بها رئيس جمهورية فى مصر للمؤسسات العلمية مع توجيه صريح من سيادته لمجلس الوزراء لبحث الاحتياجات التمويلية للبحث العلمى· هذا كما شهد العام مناقشات مسهبة فى اطار مجلس الشورى حول اهداف ومشكلات البحث العلمى ، وتعيين وزير دولة للبحث العلمى فى التعديل الوزارى الاخير ·· بل وشهد محاولة لتشكيل المجالس النوعية لاكاديمية البحث العلمى برئاسة الوزراء الذين ترتبط القطاعات التنفيذية التابعة لهم باستخدامات العلم والتكنولوجيا فى التنمية ، بهدف تدعيم قنوات الاتصال بين مراكز البحث العلمى ومراكز الانتاج والخدمات ودفع عجلة البحث العلمى وعجلة التنمية فى نفس الوقت ·

وجاءت جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية التى اعلنت اخيرا لتغطى دائرة واسعة من الاهتمامات التطبيقية تراوحت بين تحسين الاستفادة من الاسمدة العضوية ( د · حسن معوض عبد العال ) واستغلال مياه الصرف فى الرى بهدف ترشيد استخدام مياه الرى وزيادة المساحة المنزرعة والانتاج الزراعي د سامية محمود ) ووسائل تجميد السائل المنوى فى الاغنام للاستفادة بالتلقيح الصناعى فى زيادة انتاجية الاغنام ( د · محمد حلمى سالم ) ، وتخزين الهيدروجين ونقله واسترجاعه وتكاليف الوقود النووى فى المحطة المقترح اقامتها فى مصر ( د· ابراهيم على محمود العيسوى ) ··

وقد ركزت الابحاث ، التى فازت بجوائز الدولة ، وتراوحت بين المجالات التقليدية والمجالات الطليعية ركزت الاضواء من جديد على دور البحث العلمى والعقبات التى تكبح ، رغم الاهتمام والجهد البحثى ، مساهمته مساهمة محسوسة فى الاخذ بيد المجتمع ، على عمق الصعوبات التى يواجهها ·

وان كان من الصحيح أن ظروف البحث العلمى رهن ، كظروف غيره من الانشطة ، بالمناخ العام الذى يسيطر على المجتمع ، فان أصح الصحيح ان خروج البحث العلمى من ازمته الخاصة ( ناهيك عن مساهمته فى حل ازمات المجتمع ) هو من صميم مهام مؤسسات البحث العلمى · وربما كان المرجوع الى الاساسيات هو الاسلوب الاكثر فعالية فى هذا الصدد

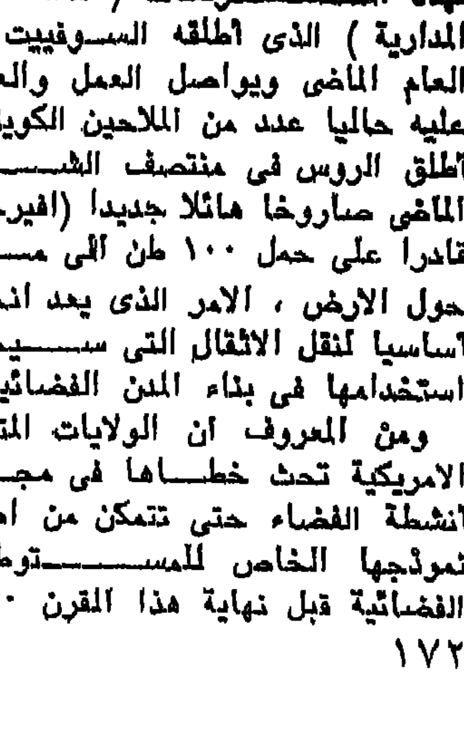
ان حل مشاكل البحث العلمى يتطلب ارادة فاعلة وهيكلا اداريا قادرا وخطة سليمة واضحة الاهداف ، مع تخصيص الموارد اللازمة لتنفيذها ·· وفى اطار الاهتمام الذى تجلى منذ بداية العام لعل أولى خطوات اقالة البحث العلمى



د . عاطف صدقى

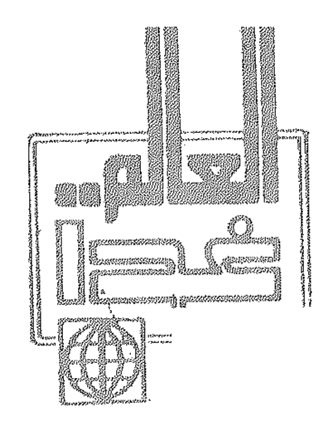
من عثرته تكمن فى تنسيق واضح العالم بين السلطات والمؤسسات البحثية المختلفة حتى لا تتشتت جهودها او تستنزف بعيدا عن الهدف ٠

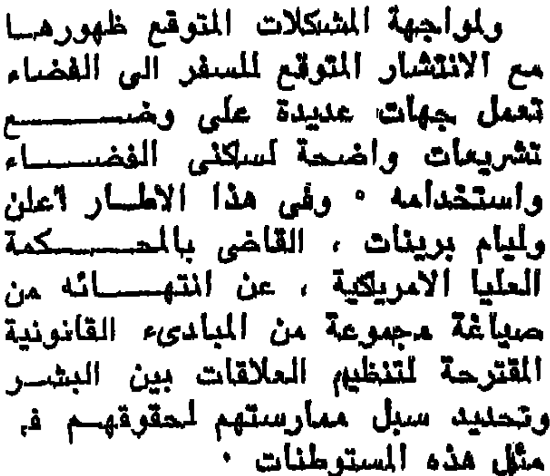
## ● حق تقرير المصير لمستوطنات الفضاء



لم يعد الحديث عن مستوطنات الفضاء حكرا على كتاب الخيال العلمى فناهيك عن النموذج المصغر لهذه المستوطنات ( محطة مير المدارية ) الذى أطلقه السوفييت فى العام الماضى ويواصل العمل والعيش عليه حاليا عدد من الملاحين الكويتيين أطلق الروس فى منتصف الشهر الماضى صاروخا هائلا جديدا (افيرجيا) قادرا على حمل ١٠٠ طن الى مدار حول الارض ، الامر الذى يعد انجازا أساسيا لنقل الاثقال التى سيجرى استخدامها فى بناء المدن الفضائية ٠

ومن المعروف ان الولايات المتحدة الامريكية تحث خطاها فى مجال أنشطة الفضاء حتى تتمكن من اطلاق نموذجها الخاص للمستوطنات الفضائية قبل نهاية هذا القرن ٠

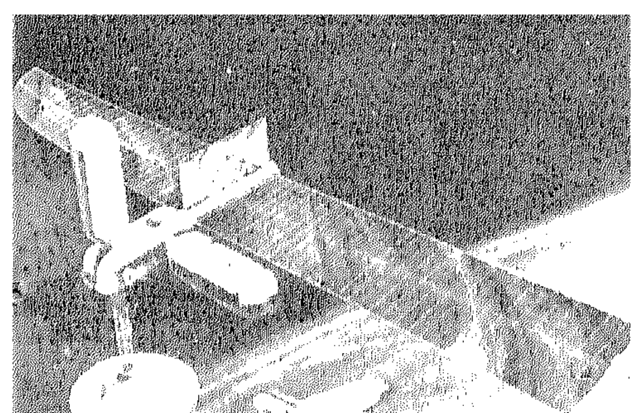




ولمواجهة المشكلات المتوقع ظهورها مع الانتشار المتوقع للسفر الى الفضاء تعمل جهات عديدة على وضع تشريعات واضحة لساكنى الفضاء واستخدامه ٠ وفى هذا الاطار أعلن وليام برينات ، القاضى بالمحكمة العليا الامريكية ، عن انتهائه من صياغة مجموعة من المبادىء القانونية المقترحة لتنظيم العلاقات بين البشر وتحديد سبل ممارستهم لحقوقهم فى مثل هذه المستوطنات ٠

وقال برينات ان المبادىء التى انتهى من وضعها تنص على ضرورة التزام الولايات المتحدة بالتاكيد على أن الاحتياجات الضرورية للحياة والحرية والعدالة والحرية الشخصية والمسئولية المترتبة على حق تقرير المصير هى مبادىء أساسية لغزو الفضاء ٠ ونوه برينات بأن مبادئه القانونية تنظم أيضا سبل تطبيق القانون وحق التصويت وحرية التعبير وحقوق الملكية وحماية البيئة والالتزام بمبادىء القانون الدولى ٠٠

نموذج مستوطنة الفضاء التى ستطلقها امريكا قبل نهاية القرن



## • دائرة معارف قرآنية بالكمبيوتر

أمام مجمع البحوث الاسلامية حاليا ما يمكن أن نطلق عليه تجاوزا «دائرة معارف قرآنيسة بالكمبيوتر » ، فى انتظار اجازة ائمة المجمع •

ومنذ سنوات وهناك محاولات عديدة للتعامل مع كتاب الله باستخدام الحاسبات الالكترونية • لكن « دائرة المعارف » الجديدة تتجاوز مرحلة الدراسات الاحصائية وتنطلق الى افاق جديدة لا تقتصر على امكانية عرض القرآن الكريم كله كتابة بل وتتطرق الى التفسير والى الاحكام الاعتقادية والاحكام التهذيبية والاحكام العملية ، كما انها لا تغفل الاشارة الى معانى الكلمات وأصولها وأسس وعلم اللغة وعالم القصص القرآنى •• وذلك كله مع ثبت بالمراجع التى اعتمدت عليها « دائرة المعارف » •

وقد اجمع عدد من الفقهاء على أن هذه « الدائرة » تيسر تيسيرا كبيرا تداول كتاب الله والانتفاع به ، كما تيسرمعرفة الايات القرآنية المنتشرة فى سور القرآن الكريم حول هذا أو ذاك من الموضوعات •

وقد قرر مفتى الجمهورية الشيخ سيد طنطاوى انه يجوز شرعا « طبع » المصحف على الشرائط والاسطوانات الالكترونية الخاصة بأجهزة الكمبيوتر من أجل منفعة المسلمين والتيسير على الباحثين ••

## • علاج السرطان والمقسم بالليزر

أثارت اشعة الليزر منذ ظهورها فى بداية الستينيات ضجة كبرى فى الاوساط العلمية وتراوحت محاولات استخدامها تطبيقيا بين صنع أسلحة القتل والتدمير وبين الاستفادة منها فى مختلف الاغراض السلمية وفى طليعتها علاج الانسان مما يلم به من أمراض •

وكان اطباء العيون بين أول من استخدموا الليزر فى علاج أمراض شبكية العين والجلوكوما وأمراض العدسة ولم يتخلف عنهم اطباء التجميل الذين استخدموا الاشعة فى علاج الامراض الجلدية وازالة التجاعيد والتشوهات •

ولفت ذلك نظر العلماء الى تجربة علاج السرطان بالليزر لكن النتائج الاولى جاءت مخيبة للامال فعلى الرغم من ابادة الاشعة للخلايا المريضة كانت بعض الخلايا السرطانية تفلت ، وتنتشر بسرعة غير معتادة ، نتيجة « لتبخر » الانسجة ، فى المناطق المجاورة •• وشكل ذلك معضلة كبرى عند علاج الاعضاء الداخلية مثل المعدة والمرىء والرئتين ، لصعوبة التخلص من « بخار » الانسجة المحترقة •

لكن العلماء نجحوا أخيرا فى استخدام طريقة جديدة تعتمد على قدرة بعض الصبغات الطبيعية على التجمع فى الخلايا السرطانية • وبموجب هذه الطريقة يتم حقن المريض باحدى مشتقات هذه الصبغة ، وخلال أيام تكون الخلايا الطبيعية قد تخلصت منها بينما تكون الخلايا السرطانية قد جمعتها وحفظتها ، وبتسليط شعاع الليزر على الورم تقوم الصبغة بامتصاص الضوء الذى يؤدى الى تحللها لمواد سامة تقوم بقتل الخلايا السرطانية المضيفة • وقد أثبتت هذه الطريقة نجاحها فى علاج بعض الاصابات السرطانية بنسبة ٨٠ ٪



قصة ديون مصر الخارجية
من عصر محمد علي إلى اليوم

# ديون عبد الناصر ونكسة الاقتصاد المصرى

بقلم: د. جلال أمين

**●● من أكبر الاخطاء التى يمكن ان ترتكب ، وترتكب بالفعل ، فى تقييم السياسة الاقتصادية المصرية منذ ثورة ١٩٥٢ ، النظر إلى فترة حكم عبد الناصر ، ابتداء من قيام الثورة وحتى وفاته فى ١٩٧٠ ، وكانها فترة متجانسة يمكن آن تتخذ كلها آساسا للحكم بنجاح أو فشل النظام الاشتراكى أو سيطرة القطاع العام والتدخل المركزى فى الاقتصاد . فضلا عن أن سياسة التدخل الصارم من جانب الدولة فى مختلف جوانب الاقتصاد القومى لم تبدأ فى الواقع إلا فى أعقاب حرب ٥٦ ، فإن الظروف التى تعرضت لها التجربة الناصرية منذ منتصف الستينيات تجعل من الظلم الصارخ إصدار حكم على الاشتراكية والقطاع العام بناء على أداء الاقتصاد المصرى فى الستينيات باكملها ●●**

لقد تضافرت على الاقتصاد المصرى منذ ١٩٦٥ مجموعة من العوامل الخارجية التى حتمت أداء اقتصاديا باهتا ، ويكاد يكون من غير المتصور ان يكون بمقدور اية سياسة اقتصادية مهما كانت براعتها وحكمتها ، أن تنقذ الاقتصاد المصرى من الانحدار ثم الركود طوال السنوات العشر التالية ( ٦٥ ـ ١٩٧٥ ) . كان استخدام

تعبير "النكسة" لوصف الهزيمة العسكرية فى ١٩٦٧ تعبيرا غير موفق بلا شك ، كان المقصود به تخفيف وقع الصدمة على المصريين فلم ينجح فى أداء هذه المهمة بل ربما زاد من الشعور بمرارتها . ولكن استخدام تعبير "النكسة" لوصف ما حدث للاقتصادى المصرى لم يكن فى الواقع بعيدا عن الحقيقة . فقد كان الانجاز الاقتصاد باهرا حتى منتصف الستينيات وكان يحمل بالفعل إمكانيات الدخول فيما سُمى وقتها بحق "بمرحلة الانطلاق" ثم اندثرت الآمال فجأة ودخل الاقتصاد المصرى بدلا من ذلك مرحلة الركود الطويل .

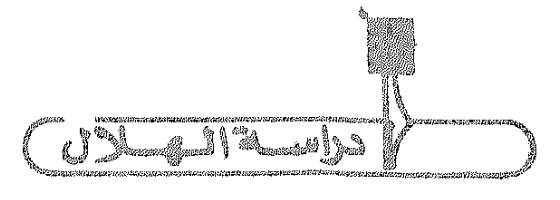
على أن من الخطأ أيضا الاعتقاد بأن انتكاسة الاقتصاد المصرى منذ منتصف الستينيات كانت فى الأساس بسبب توقف المعونات الأمريكية وتضاؤل المعونات الغربية بوجه عام . لم يكن هذا التوقف أو التضاؤل فى المعونات الخارجية أمرا يستهان به بالطبع ، ولكن هناك من الدلائل ما يشير على نحو شبه قاطع بأن التنمية الاقتصادية فى مصر كان من الممكن أن تستمر بمعدل مرض ، وإن لم يبلغ مثل معدلها فى السنوات العشر السابقة على ١٩٦٥ ، ودون تضحيات بالغة الشدة فى مستوى الاستهلاك ، لولا قيام حرب ١٩٦٧

## توقف المعونات الغربية وآثار الهزيمة العسكرية

كان إجمالى ما حصلت عليه مصر من مساعدات غذائية من الولايات المتحدة خلال الفترة ٥٨ ـ ١٩٦٥ نحو ٣٠٠ مليون جنيه مصرى . فلما أوشك حلول موعد تجديد اتفاقية المعونات الغذائية أبلغ السفير الأمريكى فى القاهرة الحكومة المصرية بأن حكومته "ليست على استعداد فى الوقت الحاضر للدخول فى اى نقاش حول تجديد الاتفاقية لأنها غير راضية عن سياسة الحكومة المصرية" . واكتفت الولايات المتحدة بمد الاتفاقية لفترات تتراوح بين ثلاثة وستة أشهر حتى توقفت المساعدات الأمريكية تماما فى فبراير ١٩٦٧ . اقترن ذلك بانخفاض مذهل فى المعونات التى كانت مصر تتلقاها من الدول الغربية والمؤسسات الدولية . إذ بينما بلغ المتوسط السنوى لهذه المعونات كلها ( بما فى ذلك المعونات الغذائية الأمريكية ) ٢٠٠ مليون دولار فى ٦١ ـ ١٩٦٦ ، انخفض هذا المتوسط إلى ١٦ مليونا فى ٦٧ ـ ١٩٦٩[١] . كان المتوسط السنوى للمعونات الغربية خلال سنوات الخطة الأولى يمثل إذن نحو خمس



جمال عبد الناصر




إجمالى الاستثمارات المتحققة خلالها ، ومن ثم فإنه فى حالة الاستغناء عن هذه المعونات برمتها فى السنوات الخمس التالية كان على مصر تخفيض معدل الاستثمار بهذا القدر ، بغرض عدم زيادة مصادر المعونة الخارجية الأخرى والاحتفاظ بمستوى الاستهلاك والادخار على ما كانا عليه . ولكن من الممكن أيضا أن نتصور أنه كان بإمكان النظام الناصرى أن يعوض هذا النقص فى الموارد الخارجية أو جزءا منه على الأقل بزيادة الادخار المحلى عن طريق ضغط الاستهلاك العام والخاص ، واتباع سياسات فى الأجور والانفاق العام أكثر تقشفا ، الأمر الذى كان من الممكن ان يستجيب له الناس فى مواجهة التعنت الخارجى لو لجأ عبد الناصر الى تحويل قضية وقف المعونات الخارجية إلى قضية وطنية كما فعل من قبل فيما يتعلق بتأميم قناة السويس . إن هناك من الدلائل ما يشير إلى آن عبد الناصر كان يزمع بالفعل اتخاذ هذا المسلك منذ خطبته الشهيرة فى بورسعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٤ ، عندما بدت أولى بوادر عزم الولايات المتحدة على وقف معوناتها ، وحينما تحدى عبد الناصر محاولة الولايات المتحدة فرض إرادتها على مصر . على أنه أيا كانت قدرة عبد الناصر الحقيقية على النجاح فى هذا المسلك ، فإن من المؤكد أن العامل الذى حسم الأمر فى اتجاه معاكس ، والغى نهائيا احتمال اتباع سياسة اقتصادية اكثر تقشفا وأشد إصرارا على تعبئة الموارد المحلية ، هو قيام حرب ١٩٦٧ . كان هذا الحل مستحيلا تصوره فى أعقاب الهزيمة لأكثر من سبب . فأيا كان استعداد الجماهير لقبول سياسة تقشفية كنوع من التحدى للقوى الخارجية ، فإنه كان من الصعب الارتكان على هذا فى ظل مناخ عام من الاحباط واليأس ولدته الهزيمة ، وفى ظل انخفاض شعبية نظام عبد الناصر بسبب ما آثارته الهزيمة من شعور بتقصير المؤسسة العسكرية والشك فى قدرة النظام على الصمود فى مواجهة التحديين الأمريكى والاسرائيلى . كان من شبه المستحيل إذن على نظام عبد الناصر أن يضيف إلى العبء النفسى المتولد عن الهزيمة العسكرية أعباء اقتصادية جديدة للاستمرار فى التنمية .

أضف إلى ذلك ما ترتب على هزيمة ١٩٦٧ من انخفاض شديد فى موارد مصر الذاتية من العملات الأجنبية ، الأمر الذى جعل الاستمرار فى تحقيق معدل مرتفع للتنمية مع تحمل أعباء الانفاق العسكرى للاستعداد لحرب جديدة أمرا فى حكم المستحيل ، حتى مع افتراض استعداد الناس لقبول تخفيض كبير فى مستوى الاستهلاك . فقد ترتب على الحرب فقد مصر لآبار البترول فى سيناء ، وتخريب معامل تكرير البترول فى السويس ، وإغلاق قناة السويس التى كانت تدر لمصر سنويا ١٦٤ مليون دولار فى المتوسط خلال السنوات السبع السابقة على إغلاقها فى ١٩٦٧ ، اى ما يزيد بنحو الثلث على المتوسط السنوى للمعونات الغذائية الأمريكية خلال نفس الفترة ، فضلا عن الانفاق الذى فرضه تهجير نحو مليون شخص من سكان مدن قناة

السويس ، والانخفاض الكبير في ايرادات السياحة التي كانت بدورها تدر نحو ١٠٠ مليون دولار سنويا في المتوسط خلال السنوات السبع السابقة على الحرب[٢] .

## ● بدائل ثلاثة ، أحلاها مر

كان أمام عبد الناصر إذن ، في مواجهة كل هذا ، اختيار واحد من البدائل الثلاثة الآتية : إما أن يضحي بالانفاق العسكري وأن يقبل الهزيمة والصلح وقبول أي عرض للتسوية يعرض عليه في سبيل الاستمرار في التنمية ، أو أن يضحي بكليهما : التنمية والحرب ، في سبيل رفع معدلات الاستهلاك ، أو أن يضحي بالاستمرار في التنمية وألا يسمح إلا بالحد الأدنى من الزيادة في الاستهلاك في سبيل الاستعداد لمعركة مقبلة . لم يكن هناك في الواقع بديل آخر ، إذ لم يكن هناك من الموارد الخارجية من القروض والمعونات ما يسمح بالاستعداد للحرب والاستمرار في التنمية في نفس الوقت . فالدول والمؤسسات الغربية ما كانت لتعود إلى سابق عهدها في مد مصر بالقروض والمعونات ما لم تقبل مصر صلحا غير مشرف مع إسرائيل والتخلي عن سياسة حماية الصناعة المصرية وتقييد الواردات . ولم يبد من الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشرقية الاستعداد لتقديم معونات كافية لتحقيق الغرضين معا وتعويض مصر عما فقدته من المعونات الغربية . فالمتوسط السنوي لمعونات الكتلة الشرقية التي حصلت عليها مصر بالفعل ( تمييزا لها عن إجمالي التعهدات ) بلغ خلال الفترة ٦٧ ـ ١٩٧٢ نحو ١٤٠ مليون دولار ، وهو ما لا يزيد كثيرا على المتوسط السنوي لهذه المعونات خلال السنوات العشر ٥٤ ـ ١٩٦٤ ( ١١٦ مليون دولار[٣] ، وهي زيادة لم تكن تكفي قطعا لتعويض النقص في المعونات الغربية ، حيث بلغ النقص في المتوسط السنوي لهذه المعونات ، كما رأينا ، نحو ١٨٤ مليون دولار .

## ● المعونات العربية

كان المصدر الأساسي للمعونات المقدمة إلى مصر في السنوات التالية لحرب ١٩٦٧ هو البلاد العربية ، إذ حصلت مصر بناء على اتفاقية الخرطوم الموقعة في ١٩٦٨ ، من المملكة العربية السعودية والكويت وليبيا على منح قدرها في المتوسط ٢٨٦ مليون دولار في السنة ، وهو مبلغ لا يمكن الاستهانة به إذ كان يساوي تقريبا المتوسط السنوي لمعونات الكتلتين الغربية والشرقية معا في سنوات ما قبل ١٩٦٧ . ولكن معنى ذلك في الواقع أننا إذا اعتبرنا أن المعونات العربية قد أتت لتعويض النقص في المعونات الخارجية فإنه كان لا يزال على مصر أن تواجه بعد ١٩٦٧ كل الآثار الاقتصادية المترتبة على إغلاق قناة السويس وفقدان بترول سيناء ونقص إيرادات السياحة ونفقات توطين المهجرين من منطقة القناة فضلا عن الإنفاق العسكري الجديد . اضف إلى ذلك ما كان على مصر دفعه لخدمة الديون التي حل موعد استحقاقها في السنوات التالية لحرب ٦٧ ، إذ بلغت قيمة أقساط الديون المستحقة الدفع خلال الفترة ( ٦٧ ـ ١٩٧٢ ) نحو ٢٤٠ مليون دولار في السنة في المتوسط[٤] ، وهو ما كان يلتهم وحده الجزء الأكبر من كل ما تلقته مصر من مساعدات وقروض وتسهيلات

خارجية خلال هذه الفترة . فكأن مصر فى السنوات اللاحقة على حرب ١٩٦٧ كان عليها ، ليس فقط مواجهة ظروف اقتصادية وسياسية جديدة غاية فى القسوة ، بل وكان عليها أيضا أن تتحمل جزءا كبيرا من أعباء التنمية السريعة السابقة على ١٩٦٧ .

إن هذا هو الأساس الذى نبنى عليه قولنا أنه لم يكن هناك أمام عبد الناصر إلا البدائل الثلاثة المتقدمة ، وقد اختار عبد الناصر البديل الثالث ، وهو الاختيار الوحيد الذى كان يسمح له بالاستعداد لحرب جديدة ، والدخول فيما سمى بحرب الاستنزاف ، ولو على حساب التضحية بالتنمية والارتفاع بمستوى الاستهلاك .

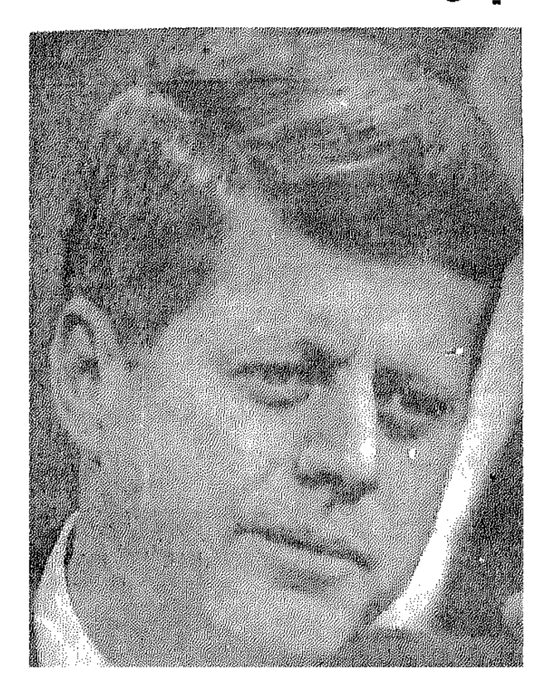
## عشر سنوات من الركود الاقتصادى

دخلت مصر إذن فى أعقاب ١٩٦٧ مرحلة من الركود الاقتصادى استمرت حتى منتصف السبعينيات ، وشهدت مصر خلالها فترة من أحلك فترات تاريخها الاقتصادى الحديث . فقد انخفض معدل الاستثمار من ١٧ر٢٪ من الناتج المحلى الاجمالى فى ١٩٦٥/٦٤ إلى ١١ر٨٪ فى ١٩٧٠/٦٩ ، اى ما لا يكاد يزيد على معدل الادخار المحلى ( ١١ر٣٪ ) . وبقى الاستهلاك الفردى ( أو العائلى ) ثابتا تقريبا كنسبة من الناتج المحلى ( ٦٥٪ ) ، وذلك للسماح بزيادة الاستهلاك العام ( أو الحكومى ) من ١٩ر٧٪ إلى ٢٤ر١٪[٥] ، وعلى الأخص لزيادة الانفاق الحربى الذى ارتفعت نسبته إلى اجمالى الدخل القومى من ٩٪ فى ١٩٦٥ إلى ١٤٪ فى النصف الثانى من الستينيات[٦] .

وقد ترتب على ذلك بالطبع انخفاض شديد فى معدل التنمية من نحو ٦٪ سنويا فى السنوات الخمس الأولى من الستينيات إلى نحو ٣٪ فى السنوات الثمانى التالية ( ٦٥ ـ ١٩٧٣ ) ، أى ما لا يكاد يزيد على معدل نمو السكان . فإذا أخذنا فى الاعتبار ما أصاب المرافق العامة والبنية الأساسية من تدهور بسبب ضغط الانفاق على التجديد والصيانة تبينا أن مستوى المعيشة قد تعرض بلا شك للانخفاض فى تلك الفترة .

من أسوأ سمات هذه الفترة أيضا توقف الاتجاه إلى تصحيح هيكل الاقتصاد المصرى توقفا تاما . فبعد النجاح الكبير الذى أحرزته سنوات الخطة الأولى فى إحداث تغير جذرى فى هيكل الجهاز

كيندى



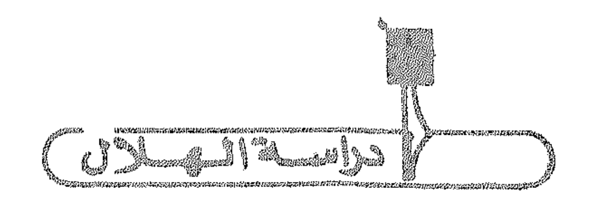
الانتاجى لصالح الصناعة والكهرباء ، بقى نصيب الصناعة والكهرباء فى الناتج القومى الاجمالى ثابتا طوال الفترة ٦٥ ـ ١٩٧٢ ، بسبب الانخفاض الشديد فى معدل الاستثمار . بل أصابت النكسة أيضا نمط توزيع الدخل ، فتوقفت الحركة نحو تصحيح توزيع الدخل لصالح فئات الدخل الدنيا توقفا شبه تام ، بسبب تراخى معدلات التصنيع والتشغيل من ناحية ، وبسبب القيود السياسية التى فرضتها الهزيمة على حركة عبد الناصر فى هذا الاتجاه . من المؤشرات الدالة على ذلك عودة نصيب الأجور الزراعية فى إجمالى الدخل الزراعى إلى الانخفاض من ٣٢٪ إلى ٢٥٪ فيما بين ١٩٦٥ و ١٩٧٢ ، وانخفاض نصيب الأجور الصناعية فى الدخل الصناعى من ٣٣٪ الى ٣١٪ خلال نفس الفترة ، بعد زيادة كل منهما زيادة ملموسة فى السنوات الخمس الأولى من الستينيات .

## تدهور ميزان المدفوعات

لم تمنع هذه التضحية بالتنمية من تدهور ميزان المدفوعات . فقد كان النقص فى إيرادات مصر من قناة السويس والسياحة ، والانخفاض الشديد فى معونات الدول والمؤسسات الغربية ، والزيادة الكبيرة فى الانفاق العسكرى وفى أقساط تسديد الديون ، أكبر من أن تستطيع تعويض الزيادة الطفيفة فى معونات الكتلة الشرقية ومنح الدول العربية وتخفيض الاستثمارات . فقد ارتفع المستوى السنوى لعجز ميزان العمليات الجارية بنسبة ٨٦٪ ( من ٢٠٢ مليون دولار فى ٥٩ ـ ١٩٦٦ الى ٣٧٥ مليونا فى ٦٧ ـ ١٩٧٢ ) ، وزاد المدفوع تسديدا لأقساط الديون طويلة ومتوسطة الأجل من ٥٦ مليون دولار إلى ٢٤٠ مليونا فى السنة ، ومن ثم كان على مصر أن تجد مصادر لتمويل عجز اجمالى فى العملات الأجنبية قدره ٦٢٥ مليون دولار فى السنة . كان أكبر مصدر لتغطية هذا العجز ، كما رأينا ، هو المنح المقدمة من بعض الدول العربية طبقا لاتفاقية الخرطوم ( ٢٨٦ مليون دولار ) ثم قروض الكتلة السوفييتية ( ١٤٠ مليونا ) وتمت تغطية الباقى بالسحب من احتياطى العملات الأجنبية ( ٣٠ مليونا ) وبتسهيلات الموردين من الدول الغربية ( ١٣٣ مليونا ) وبالاقتراض قصير الأجل من البنوك التجارية ( ٣٧ مليونا )[٧] .

## عبء الديون عند وفاة عبد الناصر

لابد أن نلاحظ إذن أنه على الرغم من الصعوبات التى واجهت الاقتصاد المصرى فى أعقاب ١٩٦٧ ، لم يكن من بين الحلول التى لجأ اليها عبد الناصر إغراق مصر بديون لا تستطيع الوفاء بها . فمع ضخامة الأعباء والتضاؤل الشديد فى الموارد الذاتية كان سد العجز يتم فى الأساس بالمنح التى لا تولد أية أعباء مالية أو بالقروض من الكتلة الشرقية ذات الشروط بالغة اليسر . ولم يلجأ عبد الناصر إلى الاقتراض باهظ التكلفة ( الاقتراض قصير الأجل وتسهيلات الموردين ) إلا فى فى حدود لا تتجوز ٢٧٪ من اجمالى العجز فى العملات الأجنبية . كان الثمن الذى دفعه الاقتصاد المصرى لذلك يتمثل فى الانخفاض




الشديد فى معدل التنمية ، ولكنه كان فى اعتقادنا يمثل اختيارا حكيما ، إذ كان من شأن التوسط فى الديون فى تلك الفترة أن يجبر مصر فى وقت لاحق على التخلى عن أية محاولة لمتابعة مسيرة التنمية المستقلة التى بدأها عبد الناصر فى نهاية الخمسينيات وكان من شأن هذا الاختيار أن كانت مصر وقت وفاة عبد الناصر لا تحمل إلا عبئا هينا نسبيا من الديون . فيقدر خالد اكرام إجمالى ديون مصر المدنية ( بما فى ذلك كل الديون طويلة ومتوسطة وقصيرة الأجل ) فى ٣١ ديسمبر ١٩٧١ ، اى بعد نحو سنة من وفاة عبد الناصر ، بما لا يزيد على ١٣٠٠ مليون دولار ، لا تزيد نسبتها إلى الناتج القومى الاجمالى على نحو الربع(٨) . وبلغت نسبة خدمة الديون كلها ، مدنية وعسكرية ، وبمختلف انواعها ، طوال السنوات ٦٧ ـ ١٩٧٢ نحو ٣٣٪ من إجمالى الصادرات من السلع والخدمات . ان من المفيد تذكر هذه الأرقام حينما نأتى لوصف حالة المديونية الخارجية لمصر فى الوقت الحاضر ، إذ ان ما كان يبدو عبئا باهظا فى ١٩٧٠ يبدو الأن عبئا يسيرا للغاية إذا ما قورن بحجم المديونية وعبء خدمة الديون فى يومنا هذا . كما ان من المفيد أن نتذكر الفارق البين بين هيكل المديونية فى نهاية حكم عبد الناصر وهيكله اليوم . ففى نهاية ١٩٧١ كان اجمالى الديون المدنية موزعا بالتساوى تقريبا بين الكتلتين الشرقية والغربية فبينما كانت الديون المستحقة للاتحاد السوفييتى ودول أوربا الشرقية والصين تشكل نحو ٤٣٪ من اجمالى ديون مصر المدنية ، كانت الديون المستحقة للدول والمؤسسات الغربية والبنك الدولى تشكل ٤٦٪ . والباقى كان دينا للكويت . وسوف نرى كيف زال هذا التوازن بالتدريج خلال السبعينيات حتى أصبحت الديون المستحقة للدول والمؤسسات الغربية ( مضافا اليها اليابان ) تشكل النسبة العظمى من اجمالى مديونية مصر الخارجية .

---

## هوامش الدراسة

(١) جلال امين : **المشرق العربى والغرب**، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٧٦ .

(2) Ikram, K. : Egypt : **Economic Monagement in a Period of Transiton,** Johns Hopkins University press, Baltimore, 1985, P. 342

(3) Amin, G. : **The Modernization of Poverty,** Brill, Leider, 1974, P. ٩

(5) Mabro, R. : **The Egyptian Economg : 1952 - 72,** Clarendon Press, Oxford, P. 177.

(٦) امين : **المرجع السابق** ، ص ٤٤

(٧) اكرام ، **المرجع السابق** . ص ٣٤٣ .

(٨)إكرام ، **نفس المرجع** ، ص ٣٤٤ .

# نظرة المرضى للأطباء !

بقلم: د. سيد عويس

لا جدال في ان مهنة الطب مهنة قديمة، بل هي من اقدم المهن الانسانية . ويفترض انها مهنة عالية تعمل في ميدان انساني في ضوء تقاليد انسانية . اي هي مهنة توجد في كل المجتمعات الانسانية، قديمها وحديثها، كبيرها وصغيرها، أكثرها تعقيدا واقلها تعقيدا على السواء . والمكانة الاجتماعية للاطباء في كل المجتمعات مكانة عالية .

ويتضمن عناصر هذا التقدير الحب والخوف او الخشية، اى الاحترام والاعجاب . ويلاحظ ان كل عضو من اعضاء المجتمع له مكانة اجتماعية معينة، ولكننا نجد على مستوى المجتمع او على مستوى الجماعات، من هم اعلى مكانة اجتماعية من غيرهم، كما نجد من تكون مكانتهم الاجتماعية في الحضيض .

● وقد تتحدد مكانة الشخص الاجتماعية بالوراثة الاجتماعية او الوراثة البيولوجية عن طريق ظروف اسرته الاجتماعية او فئته الاجتماعية اوطبقته الاجتماعية او عن طريق نوعه ولونه ووسامته وجماله . وقد تكتسب المكانة الاجتماعية في ضوء بعض المقومات: منها مستوى الشخص الاقتصادى، ومنها مستواه الثقافي . ومنها مستواه الصحي، ومنها مستوى السكن الذى يسكن فيه ومستوى المكان ( في المدينة او في القرية ) الذى يقع فيه المسكن، ومنها الدور الاجتماعي او الادوار الاجتماعية التي يؤديها . والملاحظ

# نظرة المرضى للأطباء!

انه كلما تعددت هـــذه الادوار الاجتماعية للشخص منـــا ارتفعت مكانته الاجتماعية ٠

وفى عصرنا الحالى نجد ان المكانات الاجتماعية التى تورث اجتماعيا او بيولوجيا تقل يوما بعد يوم ٠ وبمرور الزمان ، وفى ضوء انتصارات الانسان المعنوية والمادية المذهلة على الطبيعة وعلى المجتمع نرى ان الامـــل كبير فى اختفاء المكانات الاجتمـــاعية الموروثة فى المستقبل القريب ٠

مهنة الطب فى مجتمعنا مهنـــة عريقة ٠ وقد صدرت مصـــر الى العالم الخارجى من الخبـــرات الطبية ما اعترف به المؤرخـــون واكده العلماء فى فروع العـــلوم الطبية ٠ وهى مهنة عريقة يتـــوج اصحابها فى مجتمعنـــا مكانة اجتماعية رفيعة ٠ توحى بالرهبة احيانا،كما توحى بالحب والرحمة احيانا اخرى ٠ وقد توحى بمشاعر انسانية اخرى عديدة كذلك ٠ فهى تتعامل مع الانسان المصرى صاحب التاريخ القديم المستمر عبـــر القرون منذ اكثر من سبعين قرنا٠

ومهنة الطب فى مجتمعنـــا وفى غيره من المجتمعات تتعامل مـــع الانسان سواء كان طفلا اوطبيبا او شابا او رجلا او كهلا او شيخا ، او كان ذكـــرا او انثى ، تراه بالضرورة ، او يجب ان تـــراه بالضرورة ، لا يعيش فى فراغ ٠ بل يعيش فى علاقات اجتماعية على الدوام ، وله ادواره الاجتماعية، سواء اكانت ادوارا متعـــددة ام غير ذلك ، التى يؤديها فى المجتمع الذى يعيش فيه حتى يستطيع ان يعيش فيه ٠ أى ان مهنـــة الطب لكى تؤدى مهمتها وتحقق اهدافها، تهتم او يجب ان تهتم بالانســـان وهو يعيش واقعه الاجتماعى الحى أى تهتم بالضرورة بظروفه الثقافية الاجتماعية وبظروفه الاقتصـــادية وبظروفه السياسية على السواء٠

ومهنة الطب فى مجتمعنا وفى غيره من المجتمعات تهتـــم فى الغالب بعلاج امراض الاجسام ، كلها او بعضها٠وان كان اهتمامها بالوقاية من هـــذه الامـــراض وبالعناية بدور التنمية فى محيط المادة البشرية من الوجهة الصحية حتى يشب اعضاء المجتمع اصحاء الاجسام اقوياء يســتطيعون ان يؤدوا ادوارهم الاجتماعية المتعددة او غير المتعـــددة احسن اداء ـ لايبلغان الحد المطلوب فى ضـــوء قيم كل مجتمع ومبـــادئه ومثله العليا ٠

وفي ضوء واقعنا الاجتماعي الثقافي الحي نلاحظ ان مهنة الطب وهي تتعامل مع الانسان المصرى صاحب التاريخ القديم المستمر عبر القرون ، قد تركت في نفسه اثارا عميقة فالطبيب هو الملاذ الذي في يده ان يكيد العوازل حتى لو كان المرض مرض الموت :

عليل طلعوه قصر عالي بناه طالع
وجابو له طبيب من الشام كشف عليه وجه طالع
فقالت ام العليل يا طبيب ايه العليل حاله
قالها يا ست ابنك عمل فيه الدود مجارى وما طالع
قالت له امانة عليك يا طبيب ترش الدوا وتجى طالع
تلاقى العوازل على الصفين يسالوك ايه العليل حاله ؟
قول لهم طبيب بياتوا مكانى وابنى يصبح في الخشب طالع
امانة يا طبيب لو قابلوك العوازل تقول طيب
بياتوا كمادى واصبح انا على السرير ميت .

ونظرة الانسان المصرى نحو الطبيب انه الملاذ الامين الذي يشكو اليه حاله ويستنصحه في شأن خلانه واحبائه :

تسمع وتسلم انا شفت العليل على العضم
متاكل اللحم والجلد فضل على العضم
والدود سرح فيه ملقا من ليان في العضم
وقال الطبيب للعليل يا عليل فين رفقاتك
كانوا يجولك يمكن تلقى الرجا منهم
فقال العليل للطبيب بس ما تقولش رفقاتك
ما هي البلاوى يا طبيب واصل العيا منهم
طول ما معاك مال ما هم كنا رفقاتك
وان خس مالك لم تلق أحد منهم
انا خاني زماني المثيل والطمع والجاه
ووقعت مع ناس مالهمش اساس ولا جاه
حالا شرحت المثل زى العسل والجاه
عتبك على الاهم ياكلوك لحم ورموك عضم

و

يا طبيب معى الم قد العلم عيناه
على خل صادق كانت ايدى اليمين عيناه
شبه الجواهر واغلى من الذهب عيناه
سعدى ووعدى اتوفى اذان العصر
استكثروا نعمتى خدوا الحبيب منى
راحت ليالى الهنا جاتنا ليالى عسر
يا نار فؤادى اتكوى شلعوا الهوا منى
لا اسيب منادى ينادى كل يوم العصر

## نظرة المرضى للأطباء !

يا رب مش قدرتي وانت قـــــوى منـــى
يارب دانا ادمى مانيش حجـــــر يوسف
ويعقوب على سجن يوسف ضيت عينـــاه
والملاحظ ان الطبيب عند الانسان المصرى لا يشفي من الامـــراض الجسمية فحسب ، فهو انســـان حكيم يدعو الى الايمـــان والى الخلق القويم :

يقول يا طبيب ياللى مؤمن بالاله ونبيـــه
وقاضى فرض ربك وماشى بشرع نبيــــه
رب العباد اكرمك بقيت فصيح ونبيـــــه
المزور منعته وخدت الحـــــق من طبعك
ابليس عصيته ولا قبلتش ســـؤال منــه
واشتهرت على الجود وداء الكــرم طبعك
والبخل دست عليه ما فيش قيـــراط منه
يا ابو فعل محبوب يمكـــــن الادب طبعك
كمثل ورد فى شجر ريحته تبان منـــــه
وفى كل مكان شهدولك العـــــالم بالحق
وقالوا دا طبيب طـــاهر وصـاحب حق
حتى اللسان منصان مابيقولش خلاف الحق
وصاحب الحق تلقـاه مليح ونبيــــــه
ومهما كانت مهارة الطبيب فانه لا يستطيع بالتاكيد ان يشـــفى ولكن الله وحده هـو القـــادر الاعظم :

جس الطبيب فى شـــمالى قلت له مين ( على اليمين )
صابح مســـافر يا طبيب وفايتنى عليـــل على مين ؟
واهلى وناسى بقــــوا بالجــــروح عــــالمين
والله ان طيبتى لا نصب لك رايات على المين ( على المينا )
وان ما طيبتـــنى يا طبيـــب يطبنى الاله وحـــــده
لا فـــــوقه طبيبـــــة ولا عــــالمين
ولا هم للطبيب الا ان يسال عن اتعابه وعن ثمن الدواء مهمـــا كانت معاناة المريض من الالام الى حد الموت :

طبيب وقال للعليـــل اداويـك يا عليل واخد حق الدوا من مين ؟
قالت اخت العليل داويه ياطبيب وخد حلقى وخلخالى . ـــــــ
قالت ام العليل ، داويه ياطبيب وخد منى جميع مالى .
قال ابو العليل داويه يا طبيب ونعلق لك فى الجبال
علمات طق العليل مات من قولت اخد حـــق الدواء من مين ؟

و
جس الطبيب فى شمالى قلت له على مين ( على جنبى اليمين )
صابع مسافر يا طبيب وفايتنى عليل على مين ؟
قال ان دويتك يا عليل راح اخد الدواء من مين ؟
انا قلت يا طبيب ما تحسبنيش من الرجال خالى ·
دانا لى الفين غير عمى وغير خالى ·
قالت اخت العليل داويه يا طبيب وخد حلقى وخلخالى
قالت ام العليل داويه يا طبيب وخد جميع مالى ·
قال ابو العليل داويه يا طبيب ونعلق لك فى الجبال علامات
طق العليل مات من قولت حاخد الدواء من مين ؟
والانين من جشع الاطباء يزداد ويزداد حتى يقول القائل :
طبيب يا جبار مكاسبى من العيا راحت ·
وكان عندى ميراث عال من اثر الجدود راحت ·
ومكاسبى قلت وختى صحتى راحت ·
وتبلغ شكوى العليل حد اليأس فيلجأ الى الاولياء والقديسين يطلب الشفا منهم :

عليل ابتلى بالسرطان حير جميع الطبايا
زعق وقال يا سرطان ( يا سرطنطا ) انت كبير الطبايا

واذا كان الانسان المصرى يحزن للموت والفراق حزنا شديدا فالطبيب وهو مصرى اذا يئس من شفاء العليل يدعو اهله الى الحزن والبكاء :

الطبيب يقول لام العليل هاتى لك ناس وتعالى ابكى ·
على ابنك اللى تعب من الموت وتعالى ابكى ·
دخل الطبيب على العليل وهو مات ·
يا طول بكاك على الاثنين وتعالى ابكى ·

ومهما كان العليل مريضا فالامل فى ان يشفى قائم · فهو يرجو هذا الشفاء لكى ياكل كما كان ياكل :

عليل يقول للطبيب وقت ايه اطيب وامشى
واترك بلاد العسل واكل بعسل وامشى ( باالمش )

وتجد مشاعر العليل نحو الاهل الذين جافوه والاصحاب الذين تركوه تملأ عليه كيانه :

فى باطنى جرح بشنيه بفوارة
وفيها مراكب بتوسق جبس وحجارة
لما اتانى العيا وبركت فى الحاره
اهلى جافونى وجالو ماولدناش حد

و
وقت ايه يا ناس ابرا من العيا واطيب
واعاتب الصاحب اللى كنت عامله حبيب
يفزت على البيت كانه اجنبى وغريب
حتى السلام يا رفاقه لم يجوله لحد



## الاباضية

● قرات مقال الاستاذ مصطفى نبيل فى الهلال ــ عدد يناير الماضى ــ بعنوان « البحث عن الاباضية » ، فاعجبتنى الكتابة النزيهة فى هذا الموضوع عن هذه الفرقة الاسلامية ، مما جعلنى اسعى لتقديم شكرى وانوه باعجاب الاباضيين فى الجزائر بهذا المقال ، كما وددت لو اتيح لى ان اقدم للهلال بعض الكتابات الاباضية عن فكرهم ، لعلكم تتطرقون الى هذا الجانب بعدما استوفيتم جانب التعريف بهم جغرافيا وتاريخيا ، لان الهوة الحاصلة الان بين الاباضية وغيرهم من المسلمين لا ترجع لاختلال فكرى او تطرف عقائدى وانما ترجع الى الجهل بفكر هؤلاء اساسا ، فالاقلية التى تميز مذهب الاباضية جعلتهم غير قادرين على توصيل علمهم وتراثهم للاخرين ، او جعلتهم ينشغلون بالدفاع عن انفسهم ضد الهجمات اللاذعة من بعض الذين يجهلون حقيقتهم . ومن هنا فان كتابات المعاصرين وهم كثرة والحمد لله من غير الاباضية .. قد اعطت دفعا كبيرا لقضية هذه الجماعة فى سبيل توضيح حقيقتها .

ونحن لسنا فى عصر المذهبية ، والتبارز العقائدى ، ولكن أريد أن اقول ان العمل فى هذا الاطار يدخل فى سبيل نشر الحقيقة وتنبيه الناس وايقاظهم من غفلتهم فمتى عرف المسلمون حقيقة الاباضية وزالت الغمامة التى بينهم امكن توحيد الصف والكلمة .

القارىء الجزائرى :
يحيى صالح بوتردين
مصر الجديدة

## ● صدر القرار

لا ، لا تحاول ان تشد يدى
انا لن اعود اليك للابد
صدر القرار فلست مرتجعا
عنه ، ولا فيه بمجتهد

فلقد اطلت عليك مصطبرى
حتى فقدت فضيلة الجلد
ما عاد لى سفن فأحرقها
او عاد لى موج سوى الزبد
لا ترج عودة امس ثانية
او يرتجى عود المتحد ؟!...

جهاد جميل الجيوسى
عمان ـ الاردن

● وطنى

وكم بطن قد انتفخت ..
فاين مدينتى انت ؟!
وكم بطن قد اشتركت ..
فكيف بها تجزات ؟!
وابحث عنك يا وطنى
تعيدك عين فاطمتى
اذا ابتسمت .. ارى حزنى
تهلل : تلك قاهرتى
يصب النيل فى فرعين ..
ذكرت رسوم خارطتى
يصب النيل فى الشفتين ..
شفاهك روتا نبتى

د. احمد عامر
شبين القناطر

● تعليق :

ـ نهنئكم على غزارة انتاجكم الشعرى .. وقد اجتزانا من قصيدتكم هذه الابيات بسبب ما ترون من ضيق المقام . ولكننا نلفت انتباهكم الى ان كلمة « بطن » ليست مؤنثة كما هو الشائع وانما هى مذكرة ، وعكسها كلمة « كرش » التى يستعملها العامة مذكرة وهى مؤنثة ! ..




● علم النحو

● ارجو افادتى : هل كان العرب يتكلمون فى الجـاهلية وصدر الاسلام باللغة العربية الفصيحة بدون أن يعرفوا شيئا على الاطلاق من علم النحو ، واذا كان الامر كذلك فمن أين جاء علم النحو ولماذا ؟!

حسن علم الدين الاسعد
الاسكندرية ـ شارع سعد زغلول

● تعليق :

ـ نعم كان العرب لا يتعاطون علم النحو لانهم كانوا يتكلمون لغتهم بالفطرة وقد استقرت قواعد اللغة عندهم على هذا الشكل الرائع خلال مئات السنين التى عاشوها قبل الاسلام ، ولا يدرى احد كيف اتفق أن تتكون هكذا ، وبعض العلماء يقول ان هذه اللغة جاءت عن طريق « التوقيف » .. اى الالهام الالهى ، لفرط الدقة فى تكوينها .. اما النحو فان أول من تكلم فيه كان ابا الاسود الدؤلى فى عهد على بن ابى طالب ، ثم جاء الخليل بن أحمد فى عهد هارون الرشيد فأكمل هذا العلم ، واخذه عنه تلميذه سيبويه فاستبحر فيه ووضع فيه كتابا عظيما صار مرجعا لجميع النحـاة الذين تكاثروا بعد ذلك حتى ايامنا هذه التى اصبح اكثر المتعلمين ـ دعك من غيرهم ـ يجهلون النحو تماما ..!

● الديون

لا تسلني كيف نقضى ما علينا من ديون
كيف ننجى جيلنا المقبل من كف المنون ؟!
في يديك الامر ان اقلعت عن بعض الجنون
في يديك الامر ، فاهجر ما عليه المترفون
ما يغوص القوم فى أوحاله حتى الذقون
من سباق خلف زهو زائف زيف الفانون

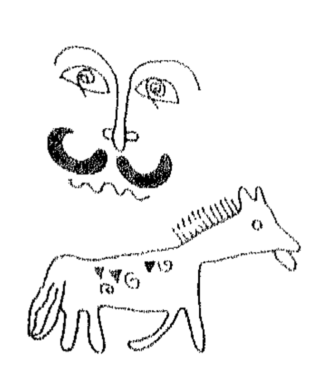
فى يديك الامر لا تغمض عن الحق الجفون
دربنا كالصبح صحو ، انما تعمى العيون

محيى الدين عطية
الصفاة ـ الكويت

● حكاية لقب

● تقولون فى تعليقاتكم على اشعارنا : هذا جيد ونعتذر من عدم نشره لضيق المقام ، وكلامكم هذا لا يكفى للاقناع ، فارجو التوسع قليلا فى التعليق ، واليكم هذه القصيدة :

يوم الرحيل تذكر ان اللقب
الذى كان يزهو به
صار عنه غريبا
وان الضياع التى كان يزعم
لم تكن ملكه
وان الخفر



ليسوا الخفر
فالحمار الذى كان يركب
الآن يمشى وحيدا
اين الخفير الذى كان يدعى « مطاوع »
اين باقى الخفر

على حوم
اذاعة شمال الصعيد بالمنيا

ـ زعم بعضهم ان النظم بالتفعيلة قد حرر الشعراء من ذل البحور والقوافى .. ولكننا نراك « مزلوقا » فى كل سطر ، لا تستطيع الا ان تقرأه منفردا وتقف على آخره ، ولو وصلته بما بعده لصار نظمك غير موزون ، ماعدا قولك : « فالحمار الذى كان يركب » .. فهذا يمكن وصله بالسطر الذى يليه ! .. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فأى شعر او شاعرية فى نظمك هذا يا عزيزى ؟! لقد خدعت نفسك حين استغرقت فى قراءة وحفظ انواع رديئة من الشعر التفعيلى حتى صرت تقول مثل هذا الكلام الذى لا محصول له ..
بقى أن نقول : ان « الخفر » معناه فى اللغة « الحياة » .
أما الخفير فان جمعه « خفراء » ..




● انشودة الوفاء

● اكتب اليكم قصيدتى هذه راجيا ان تنال اعجابكم :

فضحت هواى نظـرة عفـــوية
والحب عنـــد الصب لا يستتر

قلت دعينى كى اتم قصـــيدتى
استاف وجدى من عيون تسكر

انت التى اوقـدت نار غـــرامى
وشغلتنى دومـــا بصوت يسحر

حتـــام ابقى فى هجـــر دائـم
ويخاصم النوم الجفـــون فاسهر

ما جال غيرك فى سماء قصيدتى
ان الســـماء بطيفك تتفـــاخر

رفعت بروبى
سوهاج

● تعــليق :

ـ انت دائم الكتابة الينا ، فلك علينـــا حق الصـديق على الصديق ، ولذلك نصارحك برأينا فى قصيدتك هذه التى بلغت عشرة أبيات وقد اجتزأنا منها خمسة فقط تدل على بقيتها ، ومن الواضـح أنك اردت نظم قصيدة غزلية من بحر الكامل ، ولكن الاوزان لم تسلس قيادها لك ، فالبيت الاول لا يتزن الا اذا مددت ياء « هواى » فجعلتها « هوايا » ٠٠ وشطره الثانى مكسور ، ويمكن أن يصبح موزونا اذا قلت « لا يتستر » بدلا من قولك « لا يستتر » ٠٠ والشطر الاول من البيت الثانى مكسور ، ويصبح موزونا اذا قلت «اتركينى» بدلا من قولك « دعينى » ٠٠ والشطر الاول من البيت الثـــالث لا يصح أن تقول فيـــه « نار غرامى » وتســتطيع ان تقول « نار محبتى » مع ان هذا الشطر اذا قام بذاته ولم يكن ضمن البيت يكون موزونا بحسب تفعيلات « الكامل » ٠٠ والبيت الرابع مكسور فى شطره الاول ويصبح موزونا اذا قلت « فى خصام » بدلا من قولك « فى هجر » ٠٠ والبيت الرابع مكسور فى شطره الثانى ، ولو قلت: « ان السماء بحسن طيفك تفخر» لصار موزونا ٠٠ ونحن نتحـدث

هنا عن مجرد الاوزان المكسورة وغير المكسورة ، أما المعاني والقيمة الفنية فالقصيدة تفتقر اليها تماما مع الاسف ٠

● حلم المتيم

حلم هو الوجه الصبيح ٠٠
وهذه الشمس
استحمت في ابتسامتك الخفية ، راودت
في الجموح
فحق ويل العشق ، آه وحق
ويل النفي في
وضح النهار
الاخضر الرقراق شب متيما
باميرة ، مطر الكلام الحلو روى وهمه
القروى ، راح
الاخضر الولهان يرمى للعصافير الجميلة
قمحه ،
والاغنيات ،
وكان فرحانا ،
يمد القلب مرتعشا فتاتيه العصافير
الجميلة والاميرة لا تراه
مطر الكلام الحلو روى وهمه القروى ،
قال : أجيئك الان ، الشتات
الفج حاصرني
وقال : اضمك الان ، الغياب
المر أطفاني ،
وبات الاخضر الاسيان ينتظر الاميرة ،
قالت الريح : انتبه
قالت : ولا تحزن ، فاومات الاميرة للمتيم
واختفى وجه صبيح !

**على منصور ـ القاهرة**

● رسالة ازهرية

● نشكر لكم عملكم الدائب فى انشاء جيل ينمو على الكلمات العربية الصحيحة ٠ وأبدا بالدعاء أن يكون ما اكتبه شعرا ٠٠ لانني لست « ذو » عهد جديد فى الشعر بل اكتب من فترة كبيرة فتارة اكتب



بيتا موزونا والالاف لا ، فغير « موزونا » ودلني على طريق أمشى فيــه « مدرسا جليلا » فله جزيل الشكر وعرفان بالجميل فقال لي اكتب عـلى البحر الكامل وكتبت ولعـل ما اكتبـه « صحيحا » وليس خطأ واني والله أحب الشعر واكتب ما يحوم بداخلي وما « تان » منه نفسي وارجـو ان « تعطونني » الثقة بالنفس ان كان ما اكتبـه شعرا وعربيا فصيحا • ونحن في عصر لا يتكلم الا بالعــامية وان تكلم « لغظ فصيح » اخطأ فيه و « الحن » « فمعـزرة » ان كنت قد اخطأت املائيا أو لفظيـا فلازلت اتعـلم من الذين « يضاهوكم » ويحاكونكم • واني شاكر لكم •

جمال جابر على

كلية اللغـة العربية بجامعة الازهر
فرع اسيوط

● تعـليق :

ـــ لم تفزعنا هذه الرســالة المليئة بالاغـــلاط النحوية واللغوية والاملائية والتى يقل مستواها عن مستوى ما يكتبه تلاميذ السنة الثـانية في التعليم الاساسى •• وسبب عدم فزعنا أننا أعتدنا أن نتلقى رســائل مثلها ، ولكن الحزن استبد بنا ، فهذا طالب في كلية اللغـة العربيــة بالازهر ، سوف يكون مدرسا للغـة والادب عندما يتخرج ان شاء الله بعد عام أو عامين فقط ، وهو لا يحسن اقامة الفاعل والمفعول واسم «ان» وخبر « كان » •• انه يقول « لست ذو » بدلا من « لست ذا » •• وغير « غير موزونا » فيجعـل المضاف اليه منصوبا •• ويقول : « دلني مدرسا جليلا » فيجعل الفاعل وصفته منصوبين •• ويقول : « لعل ما اكتبـه صحيحا » فيجعل خبر « لعـل » منصوبا •• ويرسم كلمة « تئن » هكذا « تان » •• ويقول : أن تعطونني » بدلا من « أن تعطوني » •• ويقـول: « تكلم لغظ فصيح » فيضـــم ما هو مفتوح •• ويقول : « أخطأ فيــه والحن » بدلا من « لحن » •• ويرسم كلمة « معـذرة » بالزاى بـدلا من الذال••ثم يقول « يضاهوكم » فينصب فعلا غير منصوب••أما شعره الذى جاءنا مع نثره هذا ، فهو شيء لا يصدقه عقل •• فانا لله وانا اليه راجعـون ، وما أشد بؤسك أيتها اللغة العـربية برجالك في المستقبل وبخريجي كلية اللغـة العربية الازهرية ـ فرع أسيوط ـ وانها لمصيبـة لا عزاء لبها ، والامر لله من قبل ومن بعـد ! ••

● حسن المنشاوى ـ السويس :

ـ جهدكم فى كتابة القصة لا ينقصه الا المثابرة والصبر لاتقان هـذا الفن الذى يخلنه الناشئون فنا سهلاً ٠

● محمد عبد القوى الشباس ـ كلية الهندسة بالاسكندرية :

ـ قصيدتكم لا بأس بها ، وهى موزونة ، ونحن نفرح بكل من يستطيع اقامة الوزن بالتفعيلة أو بالبحر ٠٠ نشكركم ونرجو أن تستمر ٠٠

● محمد العايش القوتى ـ تونس :

ـ قصيدتكم التى عنوانها « فتنة » والتى أولها : « روى التـــاريخ أحلامى فداعبها البدر » ٠٠ لم نفهم أوزانها ٠٠ فهذا البيت مثلا لو قـلت فيه « الدهر » بدلا من « أحلامى » لصار من بحر الطويل ٠٠ واذا قلت : « روى التاريخ أحلامى » فهذا وزن آخر ٠٠ ولكنك تدخل عليه قـــولك « فداعبها البدر » ٠٠ وبقية أبياتك تختلط فيها التفعيلات ، وأحيـانا تكون خارج الوزن كقولك : « ورفت على أهدابى سكرة الهوى » ٠٠ وهـــذا « البيت » يمكن أن يصبح شطرا من بحر الطويل اذا قلت : « ورفـت على أهدابها سكرة الهوى » ٠٠ وبقية القصيدة تجرى هذا المجرى العجيب الذى يختلط فيه المنظوم بالمنثور فى غير طائل !٠٠

● خالد سعد الدين الصغير :

ـ نحن لا ننشر الزجل أو الشعر العامى وقد بينا أسباب ذلك مـرارا وتكرارا فى أعدادنا السابقة فارجع اليها اذا شئت ٠٠

● محمد أبو طاهر ـ اشوع ـ فلسطين :

ـ نشكركم ، أما كلماتكم فهى مع الأسف لا تصلح للنشر ، ومعـذرة من هذه الصراحة ، ومن المؤلم أن نقول لكم ذلك وأنتم تحت وطأة الاحتلال الصهيونى ٠

● عاصم فريد البرقوقى ـ الاسكندرية :

ـ تعليقكم على كلام الشيخ محمد عبده من أن أوربا يوجد بها اسلام وليس بها مسلمون ، تعليق صائب ٠٠ ومازال هذا الكلام ـ ويالالعجب ـ قائما بمعناه ومبناه ، ولا يوجد ما يدل على أن الامور ستتحول فى وقت قريب !٠٠

● رمضان الهجرسى ـ فندق الفضـــل الحديث ـ شارع الكفاح ـ بغـداد :

ـ أنت تسائلنا عن الهلال ولماذا لا تجده بسهولة فى بغداد ، ونحـن نقول لك ان المسئول عن ذلك هو التوزيع والشركة القومية للتوزيع ، ونحن على كل حال نشكو من ارتباك التوزيع فى جميع البلاد العربية ٠

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق. س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٢٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٥٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق. سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٦٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |

ايديال IDEAL

انتاج متميز

ولاغنى عنها للأسرة
بجودة عالية
وبأسعار للاقتصاد

الثلاجة ٢٣٥ لترا ٨,٧ قدم"

للتسليم الفوري



١٨٠ دولارا
أو بالعملة المصرية

* فريزر كبير .
* كفاءة تبريد عالية .
* كابينة متسعة لحفظ المأكولات .
* اقتصادية في استهلاك الكهرباء .
* يمكن تعديل اتجاه فتح الأبواب .
* ضمان ٣ سنوات .
* مراكز خدمة متخصصة .
* التسليم بسيارات الشركة .

وثلاجات كهربائية بباب واحد وببابين بأحجام متعددة

وإنتاجنا العصري
غسالة الأطباق الجديدة

* توفر الراحة والرفاهية .
* بديل للإنتاج المستورد دون مواجهة مشكلاته من نقص قطع الغيار والصيانة . ومشكلات الشحن والنقل والتخليص الجمركي .
* وفر في السعر مع كفاءة عالية في التشغيل .

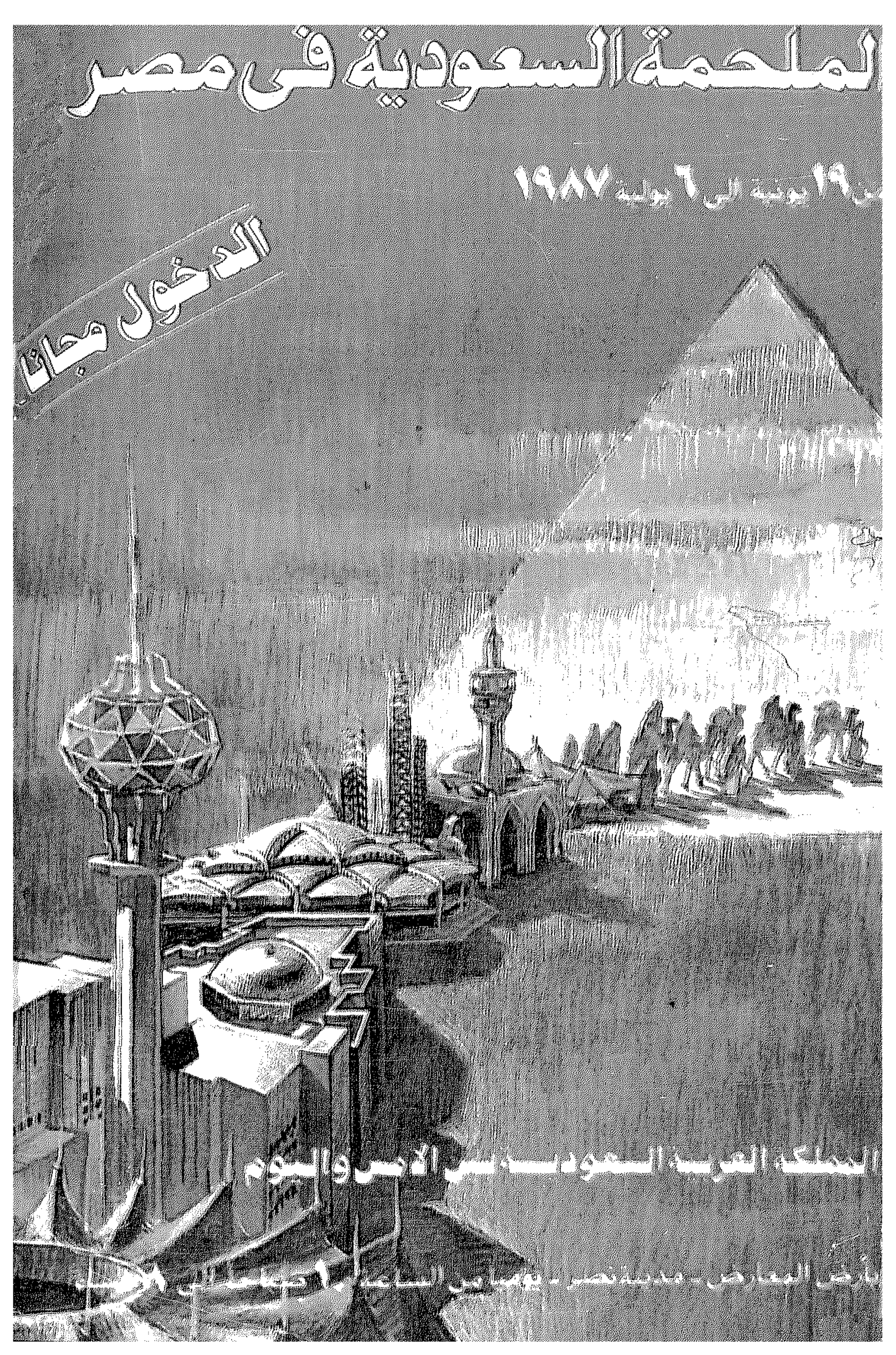
ومزايا أخرى عديدة

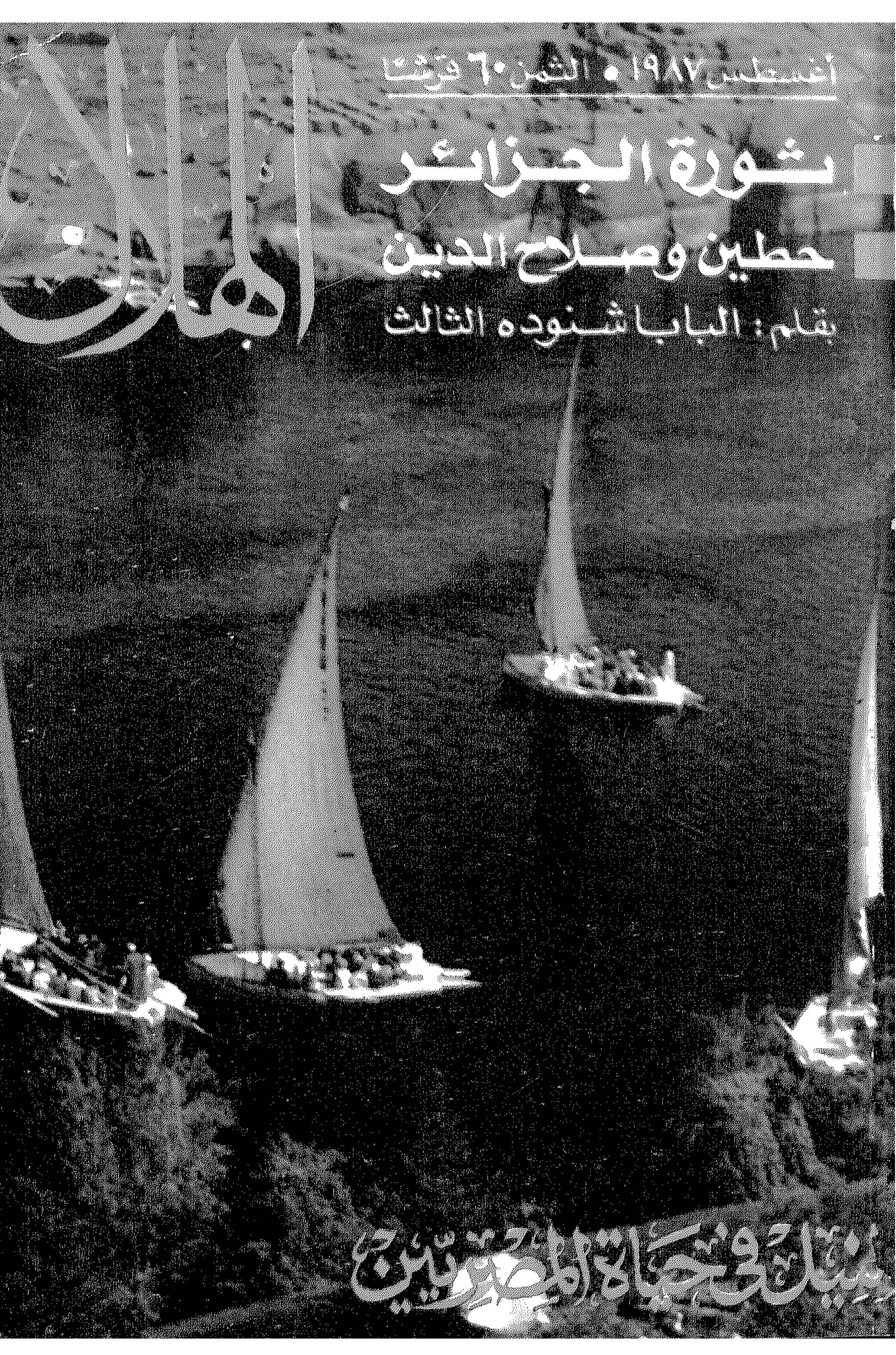
٦٤٨ دولارا
+
م . بنكية

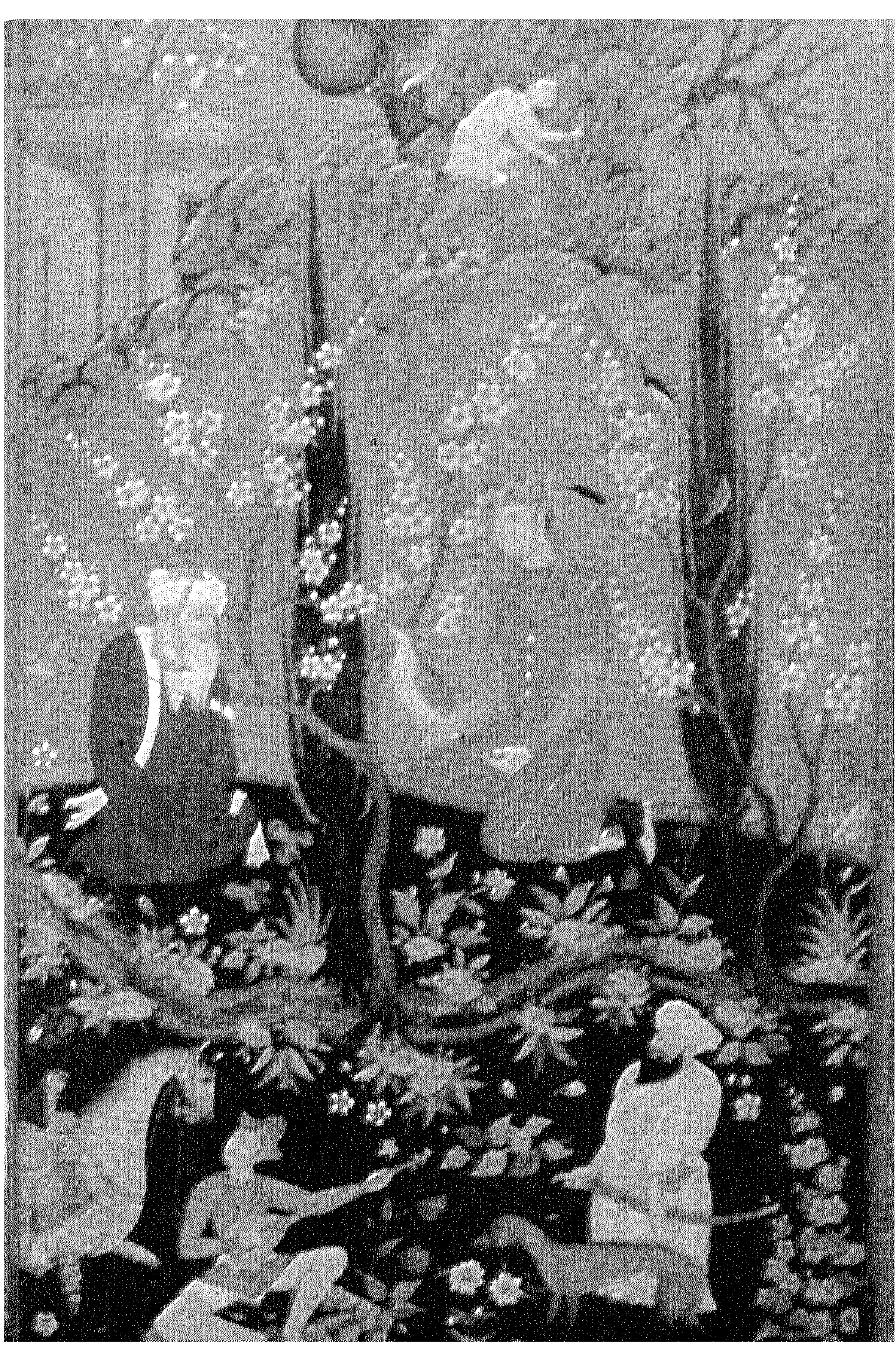
التسليم
بأسبقية التعاقد

وللاستعلام : فروع ومعارض الشركة
بنك القاهرة وفروعه وموزعونا المعتمدون
بنك ناصر الاجتماعي وفروعه .
بالعملة الأجنبية : بنك الإسكندرية وفروعه ومكاتبنا بالخارج .




الملحمة السعودية فى مصر
من ١٩ يونية الى ٦ يولية ١٩٨٧
الدخول مجانا
المملكة العربية السعودية بين الأمس واليوم
بأرض المعارض - مدينة نصر


الهلال
أغسطس ١٩٨٧ • الثمن ٦٠ قرشاً
ثورة الجزائر
حطين وصلاح الدين
بقلم: البابا شنوده الثالث
النيل في حياة المصريين



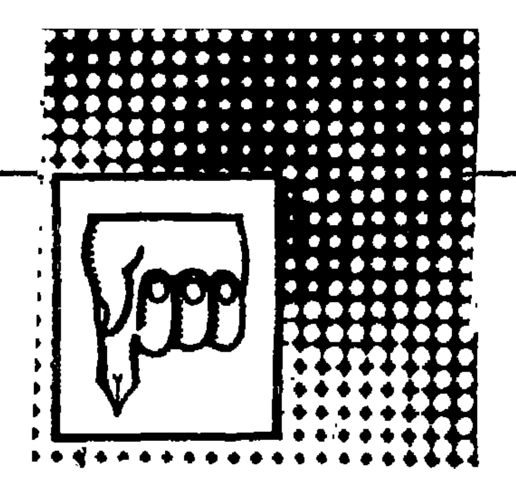
# من روائع الفن الإسلامى

لوحة من الفن الاسلامى مستمدة من احدى القصائد التى كتبها الشاعر الايرانى خواجو قرمانى وهى تصور بعض العذراوات يتنزهن فى حديقة غناءة . ويرجع تاريخ اللوحة الى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى . ومحفوظة حاليا فى متحف فنون الزخرفة بباريس .


# الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر من مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان عام ١٨٩٢ أول أغسطس ١٩٨٧ م - ٦ ذو الحجة ١٤٠٧ هـ



عزيز الفارى

# محنة الصّحافة الثقافية

الصحف والمجلات المصرية الآن ، هى أوسع المطبوعات الدورية العربية انتشارا فى البلاد العربية وفى العالم كله ، ولكنها تباع بأقل الأسعار .

وتنفرد المجلات الأدبية والثقافية المصرية بأنها تباع بثمن رمزى ولا تحصل على دعم من خارج الدور الصحفية التى تصدر عنها ، ولهذا لا تكسب المجلات الأدبية والثقافية المصرية إلا محبة قرائها وثقتهم ، اما المال فإنها لا تحصل منه على كثير ولا قليل ، ولا تستطيع أن توازن بين حصيلة توزيعها وبين نفقات ورقها وطباعتها وتحريرها ، لأن الثمن الذى تباع به هو أقل من ربع الثمن الحقيقى الذى يمكن به أن تتعادل كفتا الميزان ، بلا ربح ولا خسران ، وبلا خوف من جرائر التأرجح الدائم للكفتين بغير رجحان ! ..

وربما استطاعت الصحف اليومية وبعض المجلات الأسبوعية المصرية أن تتجنب غوائل ارتفاع أسعار الورق والطباعة وغيرها ، بما تتلقاه من عائد الاعلانات التى تكاثرت فى الزمن الأخير ، ولكن المجلات الثقافية والأدبية المصرية لاتحظى بنصيب من الاعلانات .

وفى الآونة الراهنة زاد الضغط المادى الذى ترزح تحته المجلات الأدبية والثقافية المصرية ، ومع ذلك أبقت مجلة الهلال على سعرها ، وتشبثت به ، وامتنعت عن « تحريكه » وخاضت فى سبيل الاحتفاظ به صعوبات شتى ، وأرجأت كل الخطط الخاصة برفع السعر مرة بعد مرة ، بالرغم من أن عدد الهلال

الذى يباع بخمسين قرشا يكلف قرابة مائتى قرش ، ويتسلمه الموزعون بأقل من خمسين قرشا لأنه لابد لهم من ربح بطبيعة الحال لقاء التوزيع ، ومعنى هذا أن الخسارة تتزايد من شهر إلى شهر ، بلا تعويل على دعم من أية جهة ، وبلا تبدل تلوح بشائره فى الأفق ، أو انفراج يدق الأبواب ! .. وتلك هى محنة المجلات الأدبية والثقافية المصرية ، وهى محنة خاصة بهذه المجلات ، لم تذق مرارتها المجلات الثقافية التى مازالت تصدر فى بعض البلاد العربية الشقيقة وتتمثل فيها دعاية طيبة للبلد الذى تصدر عنه ، ولهذا تتلقى دعما جزيلا يتيح لها أن تحتفظ بسعر رمزى لايساوى معشار سعرها الحقيقى .. وقد أغلقت جميع المجلات الأدبية والثقافية فى البلاد العربية أبوابها حين امتنع عليها الدعم الجزيل ، ولم يبق منها إلا عدد قليل يتفيأ ظلاله الوارفة ! ..

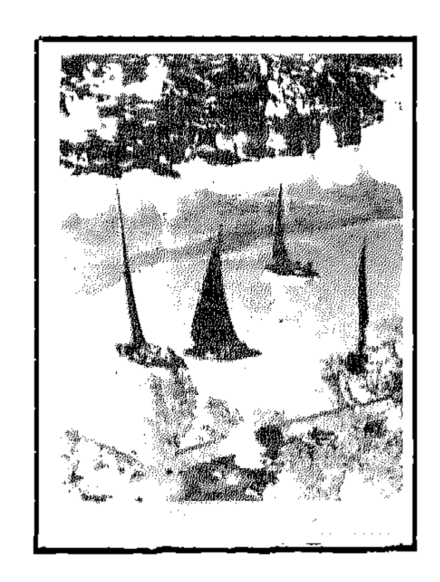
وكنا نتمنى لو كان وراء « الهلال » دعم من هذا القبيل ، إذن لتضاعفت خدمتنا للقارىء أضعافا كثيرة . ولكن لابد مما ليس منه بد ، وها نحن أولاء نجد أنفسنا مضطرين إلى هذه الزيادة الطفيفة فى سعر الهلال ، وهى لا تغنى فى الحقيقة شيئا ، فإن عشرة قروش لاتفى الآن بثمن أربع ورقات بيضاء ..

ونحن على ثقة من أن دعم المجلة الثقافية المصرية لايجىء إلا من قرائها ، ولكن القراء كانوا فى الزمن الماضى يستطيعون بإقبالهم على المجلة أن يدعموها ، إذ كان ثمن المجلة الأدبية - قديما يتضمن جميع نفقاتها ، مضافا إليها قليل من الربح ! ..

كانت مجلة « الرسالة » آخر مجلة أدبية تكسب من التوزيع ، أى من الثمن الذى تباع به ، فلما اختلت هذه « المعادلة » احتجبت الرسالة ، ولم يجرؤ أحد بعدها على إصدار مجلة أدبية أو ثقافية ..

إلا أنه لابد فى كل حال من بقاء صوت الصحافة الأدبية والثقافية مسموعا فى مصر ، ولهذا تمضى « الهلال » فى طريقها برغم كل التبدلات الجائحة فى سوق الصحافة ، مادام القراء ينتظرون صدورها فى الموعد الذى لم تخلفه معهم على مدار أربعة وتسعين عاما ، ولن تخلفه معهم إن شاء الله ! ..





الغلاف : تصميم الفنان حلمى التونى
تصوير : محمود عارف

## ● فكر وثقافة ●



## ● سينما :



## ● كان ياماكان :



هذا العدد

## ● قضايا ومواقف :



## ● فنون تشكيلية ●



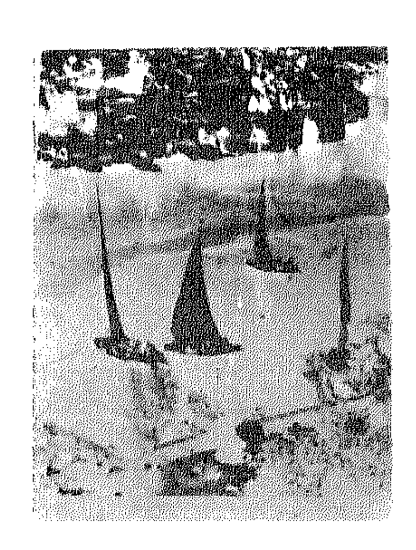
## ● شعر وقصة ●



## ● دراسة الهلال ●



## ● الابواب الثابتة ●



# خيول النيل

# أسطورة المصريين القديمة

بقلم : حلمى هلال

في هذا الشهر ، اغسطس ، كان المصريون دائما يحتفلون بعيد وفاء النيل ، هنا ، ومن بطون التاريخ ، من الأساطير والعادات الاحتفالية ، هذا العرض التراقى لأدبيات العشق الذى احتفى به المصريون : النيل ، سر حياتهم وجوهرها .

**يابحر النيل المبارك ، أيها المسيطر القابض على دورة الحياة ، ارفع عنا غضبتك ، ورد الينا غرقانا ، واطلق خيولك يابحر ترعى ارضنا ، تحرس معنا الزرع والقوت ، وخذ منا على حسب ماتعطينا ، إنك تمنحنا فنرضى ، وتمنع عنا فنرضى ! لأنه ليس فينا يابحر من يكرهك ، ولايفرح إلا بك !**

● عند الحد الذى يختلط فيه الخيال بالحقيقة ، والنقطة التى يمكن أن يلتقى عندها الحزن والفرح ، تقف هذه الحكاية ، أطول واعنف حكايات المصريين ، درامية ، كان مبتداها بدء الخلق وسوف يكون منتهاها نهايته ، ابواب ، وفصول ، وفقرات ، وجمل وكلمات ، تمتد من أول الزمان حتى حاضره نقشها المصريون بالألم والدم والعذاب فوق صفحة واحدة ، صفحة النهر سيد الأنهار كلها ، البحر ، الفيض ، اليم ، النيل : قاطع الطريق الأول فى مصر ، وحارس البلاد الوحيد ، الفرعون الذى سبق كل الفراعنة .

يقال إن الأسطورة مصدر من مصادر المعرفة التاريخية وإن كل اشكال الأساطير والحكايات القديمة تحظى بدرجات متفاوتة من الصدق والحقيقة وانها فى غالب الأحوال ترتبط ارتباطا قويا بالواقع ، وبحر النيل اسطورة المصريين ـ الحقيقة ، عرف كل من جاء الى حكم البلاد سره ، أدرك انه يمسك الأرزاق ويربط الأجزاء كلها كخيط العقد ، فرفع فوقه الفراعنة والسلاطين والغزاة رايات الحكم والسيطرة ، فابتلع الجميع ، كان يعطى عندما يشاء ، ويمنع متى شاء ، يحنو على الناس كحنو الأم على الوليد ، ويزدريهم فى قسوة لا حد لها ، يرقد فى اعماقه منذ الأزل ملوك وأمراء ، رجال ونساء واطفال خصيان وفحول ، بغايا ، صعاليك ، لصوص ، عشاق ومكافحون ألوف من البنات العذارى ، ولكل واحد من هؤلاء قصته !

● مصريم الجبار

« أنا مصريم الجبار ، كاشف الأسرار ، الغالب القهار ، وضعت الطلسمات الصادقة ، وأقمت الصور الناطقة ، ورفعت الأعلام الهائلة فوق المياه السائلة ، ليعلم كل من يأتى بعدى انه لايملك احد ملكى » !

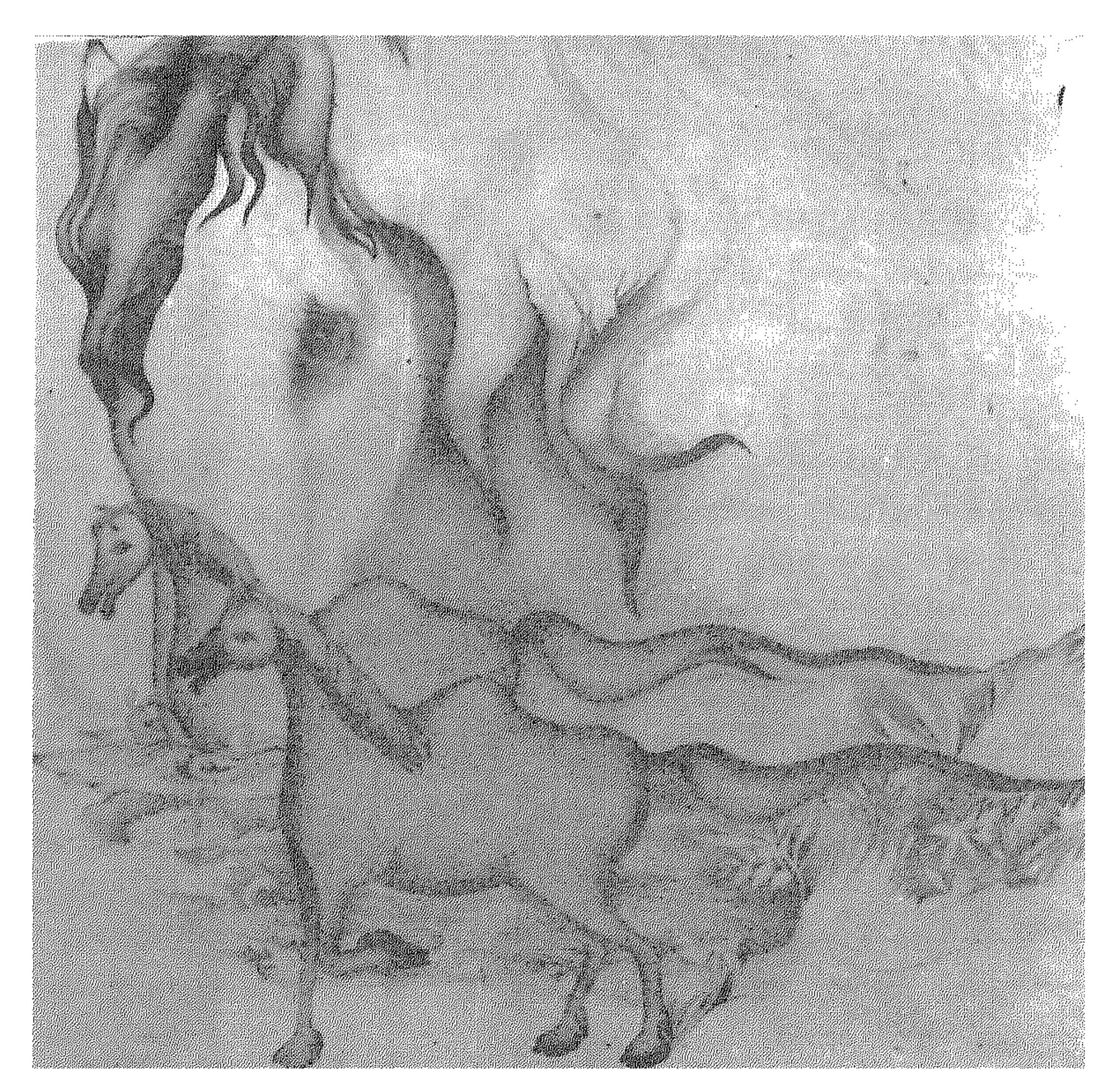
تقول الحكايات القديمة إن مصريم الجبار لما ركب على ظهر الأسد وكان أول من يركب ظهر الأسد فى الدنيا ، ذهب الى منبع النيل وبنى هناك خمسة وثمانين تمثالا من نحاس ، تخرج من حلوقها مياه

النيل بحساب وتدبير ، وسكن بنفسه فى القلعة البيضاء التى بناها ، ليشرف على جريان الماء بالحق ويما يكون فيه النفع دون الفساد ، وانه أوصى ابنه « خصليم » فبنى مقياسا لبحر النيل ، صنعه من رخام أخضر ، وجعل فى وسطه بركة صغيرة فيها ماء موزون بالحكمة ، يقف عليه عقابان من نحاس احمر ، أحدهما ذكر والآخر انثى ، فاذا كان الشهر الذى يفيض فيه النهر ، جاء الكهنة الى تلك البركة . وتكلموا بكلام وكلام ، فان صفر الذكر عرفوا ان الفيض سيأتى عاليا ، فى هذه السنة ، وان كانت الأنثى هى التى صفرت ، جاء الفيض ناقصا !

إن بنى آدم لما بغى بعضهم على بعض ، فتحاسدوا وتقاتلوا ، ذهب بقراويس ابن مصريم ـ كما يحكى المسعودى فى اخبار الزمان ـ ومعه نيف وسبعون راكبا جبابرة ، شداد ، يطلبون موضعا يبعدون فيه عن الناس ، فراحوا يمشون ويمشون ، حتى وصلوا الى بحر النيل ، فاطالوا المشى حوله ، والنظر اليه حتى اصابهم الانذهال ، لما رأوا سعة البلاد من حوله وعاينوا حسنه وجماله ، فارتاحت نفوسهم راحة عظيمة ، وقالوا هذا بلد زرع وعمارة وحكمة وجمال ، فاستوطنوه ، وبنوا فيه .

ويحكى المسعودى فى « مروج الذهب » ، أن بقراويس الجبار ، كانت له قوة زائدة وبطش شديد فأمر اتباعه ان يحفروا مجرى النيل معتدلا ـ وكان عند مجيئهم متعرجا منبطحا ، يتفرق ماؤه فى كل ناحية ، فانتظم خط البلاد ، وتوحدت وانه وضع عند منبع النيل شجرة لها فروع كالخطاطيف ، اذا اقترب منها الظالم تخطفه ، فلا تتركه حتى يقر بظلمه أو يموت ، كما صنع تماثيل من نحاس اصفر لها تجويف عند الفم ، وملأها بالكبريت ووكل اليهم « روحانية النار والحرق » فاذا اراد احد ان يطلسم للنهر أو يسعى الى البلاد بحقد أو سوء ارسلت تلك التماثيل من حلوقها نارا فاحرقته ، وقال بقراويس « توجد اوقات يكون فيها الماء عدالة للزرع وأوقات اخرى يكون فيها ظلما له ! »

ويحكى النويرى فى « نهاية الأرب » إن تدراس ولد خصليم لما وجد النيل فائضا فى كل عام فكر أن يجبى خراجا من اهل مصر ، فكان أول ملك فى جميع الدنيا يفعل ذلك ، فجمع أول مرة من اهل مصر الف الف وخمسين الف الف دينار ثم وكان يربط بين مقدار الخراج وحالة الفيض ، بالزيادة والنقص ، وفى كل عام بعد ان يكتمل له مأأراد جمعه من اموال يدعو جميع الشعب الى قصره فى اجتماع كبير ، ويأخذ فى اظهار اسحاره وغرائبه ، حتى يملأ قلوبهم بالرعب ، فيخروا على وجوههم ، ثم ياخذوا فى الدعاء له ، عندئذ يامر باحضار الطعام والشراب لهم فياكلون حتى يشبعوا ، ويعودون الى بيوتهم ، وانه « تدراس ولد خصليم » الذى وضع فى سنة من السنين ، شجرة عند شاطىء النيل ، لها فروع من حديد ، تأتى اليها الطير والوحش من كل صنف وصنف ، وتكون قريبة حتى ليصطادها الناس باليد ،



ريشة : فوزية رضا

وقد شبع الناس فى ايامه من أكل اللحم ، لكنه كان اذا غضب على اهل قرية يسلط عليهم السباع فتاكلهم فى بيوتهم ، انه « تدراس ولد خصليم » الرجل الذى اخترع النصب ، وسارت على طريقته كل الملوك والسلاطين فكانت مناسبة الفيض ايذانا ببدء جمع الخراج ، ومقدار الفيض مقياسا لنسبته .

## ● ياوجه البركة والخير

ربط النهر اقتصاديات البلاد به ، احياها ، كون لها نظاما وسمة معينة اثر فى شخصيتها ، علم المصريين الطاعة والنظام والوحدة والصبر ، امسك بفيضه الارزاق ، لذلك كانت حاجتهم للتنبؤ بمقدار الفيضان حاجة ملحة واساسية ، كان على النهر ان ياتى فى موعد لايتاخر عنه ، وان يفيض بقدر محسوب لايزيد عليه ولاينقص ، انها معادلة الحياة والموت ، الشبع والجوع ، الظمأ والارتواء .

فتخيل المصريون منذ اقدم العصور ، ان خيولا مثلها كمثل خيول البر تماما ، تظهر فى بحر النيل ، وتخرج كل عام فى موعد معين فتجرى على الأرض ، حتى ينتهى جريها الى مكان ، فيعرف الناس ان الفيض سيصل حتى هذا المكان ، وقد ظل هذا الاعتقاد سائدا الى زمن طويل ، حتى اننا ننجد فى كتاب المسبحى « أخبار

مصر فى سنتين » من حوادث سنة ٤١٤ هـ ، أنه فى يوم الاربعاء ٨ شعبان « ظهر فى بحر النيل بمصر من اعمال أسفل الأرض ، الدابة التى كانت قد ظهرت من قبل ايام الحاكم بأمر الله وتسمى فرس النهر ، وهو فى لون الفيل وله قوائم تشبه قوائم الثور ، وفى ظهره حدبة عالية تشبه سنام الجمل ، وقد رئى ذاهبا وعائدا فى النيل كالجند دفعات كثيرة » ! .

كان النهر مصدرا للخير ، وأهم اسباب الحياة والبناء معا ، تصور القدماء انه سوف يصير يوم القيامة نهر العسل فى الجنة ، لذلك فقد قالوا انه لولا « الليمون » فى ارض مصر ، مااحتمل الناس الشرب من ماء النيل لفرط حلاوته ، ويقول « أمية الاندلسى » : كان اقليم مصر متصلا بالعمارة على شطى النيل كأنها مدينة واحدة مشتبكة بالأشجار المثمرة ، والفواكه اليانعة ، والقرى العامرة حتى كان المسافر الغريب يسير من الاسكندرية الى مدينة اسوان ، بلا زاد ! فمن اراد ان ينظر الى شبه الجنة ، فلينظر الى مصر !

ويقول ابن اياس ان محمدا الحكيم الترمذى صاحب الجامع الصحيح ، قال انه قرأ فى كتاب نوادر الاصول عن ابن عباس : انه لما غرست الاشجار أول مرة فى مصر ، ورويت بماء النيل ، كانت ثمارها عظيمة جدا . بحيث ان الاترجه تشق نصفين فيحمل كل نصف على بعير ، وان « القثاء » كان طولها اربعة عشر شبرا ، وكان طول « القرع » ثلاثين شبرا ، وطول البلحة الواحدة شبرا ، وكانت سباطة الموز تحمل ثلثمائة موزة ، وكل موزة وزنها رطلا وكان عنقود العنب اذا قطف من كرمة يحمل على بعير من عظمه ، وكانت الكمثرى زنة كل واحدة سبعمائة « درهم » ، والرمانة اذا قشرت يقعد فى قشرها ثلاثة انفار ، وكان وزن البطيخة الواحدة ثمانين رطلا ، وحبة القمح فى وزن كلية البقرة ، والوردة الحمراء تحمل الف ورقة ، ثم قس على ذلك » .

ويقول ابن عباس ايضا ـ على لسان ابن اياس ـ ان الشيخ تقى الدين المقريزى حكى قائلا : اننى سافرت الى مصر وشاهدت شجرة جميز كبيرة فلما سألت « مستوفى الناحية » عما تطرحه هذه الشجرة كل عام ، احضر لى قوائم تتضمن ذلك ، فتصفحتها فاذا هى مكتوب فيها مايلى : « قطف من هذه الشجرة فى سنة واحدة ، أربعة عشر ألفا وسبعمائة « نارنجة » صفراء مستوية ، بخلاف مابقى على الشجرة من الأخضر الذى لم ينضج بعد وخلاف ما تناثر فى الهواء بفعل الريح ، فتعجبت من ذلك غاية العجب !! »

**هكذا كان حظ المصريين ، ارتبط خيرهم بالنهر ، ودفعت الحاجة الى معرفة مقدار الفيض ، وضرورة التنبؤ به كل الحكومات والسلطات التى تعاقبت على حكم البلاد الى انشاء المقياسات وحفر الخلجان والقناطر والسدود ،** كانت هذه ضرورة اساسية لاستمرار الحكم والسيطرة واستجباء الخراجات والمكوس إلا انها كانت ـ هذه الحاجة نفسها ـ أول دافع لسرقة هذا

● « رفعت الأعلام الهائلة ، فوق المياه السائلة ، ليعلم كل من يأتى بعدى أنه لايملك أحد ملكى »

## مصريم الجبار

● هل رأى أحدكم رمانة اذا قشرت يقعد فى قشرها ثلاثة انفار وحبة قمح فى وزن كلية البقرة .. أنا رأيت !

## الحكيم الترمذى « ابن إياس »

الشعب واستغلاله ولعل المثل البارز فى التاريخ على ذلك مافعله « هامان » وزير الفرعون عندما شق خليجا يخرج من بحر النيل ، « وأنه جمع مالا وفيرا وذهبا كثيرا من كل أهل القرى التى يمر عليها هذا الخليج » ، ويقول المسعودى ان الخليج الذى احتفره الوزير هامان هو بحر قليوب المعروف ببحر « السردوس » ، وأنه لما طغي وتجبر ، امره الفرعون ان يعيد للناس مااخذه من اموال وذهب ، لقد كان أول لص فى التاريخ ، يبيع للناس : الماء !

● نقـــابة السفــــاحين وسنون الظمأ المتوالية :

منذ أن رأى تحتمس رؤياه العجيبة : سبع بقرات سود عجاف ، يأكلن سبع بقرات صفر سمان وسبع سنبلات يابسات يأكلن سبع سنبلات خضر وان النيل تناقص حتي راح ونشف ، فلم تبق الا ارضه مشققة ، موحشة ـ منذ هذا وقبله ـ وصراع المصريين مع الجوع لاينتهى ـ فتاريخ المجاعات في مصر سجل حافل بالدم والعذاب ، اجتاحها الجوع في مختلف عصورها ودولها ، وكان النيل يلعب دورا عشماويا فى ذلك ، بل ويتيح اعظم الفرص لكل النصابين واللصـوص ، يستغلون وينهبـون ، يكدسون الثروات الهائلة على حساب الناس ، وعلى حساب النهر .

وللمقريزى مؤلف له علاقة وثيقة بنهر النيل هو كتاب « اغاثة الأمة » يتناول فيه المجاعات التى حلت بمصر حتى سنة ٨٠٨ هـ وهي السنة التى وضع فيها

كتابه ، فبين اثر هذه المجاعات فى حياة البلاد الاجتماعية والسياسية موضحا كيف ان انخفاض النيل قد لعب فى ذلك اكبر الأدوار واخطرها « فلا يقدر الناس على الزرع ، وتشتد عليهم وطأة الأسعار ، ويستغل البعض احتياج الناس للأقوات فتختفى الحبوب ، وتباع سرا » .

حتى أن الخلفاء فى عصر الدولة الفاطمية قد ادركوا العلاقة بين النداء على زيادة النيل وحالة الاسواق ، وكانت عادة قديمة متبعة ، فأمر المعز لدين الله فى شوال سنة ٣٦٢ بابطال النداء على زيادة النيل إلا فى حالة واحدة ، هى وصول المنسوب فى المقياس الى ستة عشر ذراعا ، وذلك لاستقرار الأسواق ومنع احتكار الأقوات أو تخزينها مما يزيد عذاب الناس .

وقد تخللت عصر المماليك مجاعات مخيفة ، اكتسحت البلاد مثل الوباء يذكر التاريخ ابشعها ، تلك التى وقعت فى عام ١٢٩٥ ، بسبب انخفاض النيل انخفاضا مميتا ، « ففسد الزرع وقل المحصول ونفقت الابقار والطيور وتعذرت الأقوات حتى قيل ان ندرتها حينئذ دفعت الناس الى أكل القطط والكلاب ، حتى تعذرت فاضطر الناس الى اكل الميتة وخرجوا الى الجوامع والشوارع صائحين : الجوع .. الجوع يامولانا !!

ويحكى الصيرفى فى « إنباء الهصر بأبناء العصر » قائلا :« إن البلد لها خمسة ايام فى أمر مريع وهلع زائد وتشويش مفرط ، وشغب فظيع بسبب انخفاض المياه وانقطاع الخبز من الحوانيت ، فارتاع الناس لذلك وكثر الزحام على الافران ، وصار من له عادة بشراء رغيف يشترى ثلاثة ، وقد صغر الرغيف جدا مع سواده وفحش صنعته ، والمحتسب يعلم ويقيم فى داره لايهمه ، ووكل الأمر للأعوان يأكلون الناس ويخربون البلد ، فلا قوة إلا بالله » .

ويضيف المسبحى : انه فى أيام الأحد والاثنين والثلاثاء جمادى الآخرة سنة ٤١٤ هـ انصرف ماء النيل انصرافا متداركا فاحشا ، ولم ترو منه الضياع ولازكت الأرض ، فكثر ضجيج الناس بمصر ، واستغاثتهم الى الله ، وخرج اهل البلاد من الرجال والاطفال يحملون المصاحف المنشورة الى الجبل ، وتعذرت الأخباز فى الأسواق ووقع الازدحام على الغلات ، وبيع القمح سرا بدينارين ، وكان الناس يزعقون الخبز ، الخبز ! حتى غلا الماء ايضا لتعذر مايعتلفه الدواب وعدم من يستقى عليها ، فبيعت راوية الجمل بثلاثة دراهم ! وراوية البغل بدرهمين ، وبلغ من أمر الناس ان جزارا كان يلقى عظمة لكلب ، فرآه رجل شاب متعفف فهجم على الكلب واخذ العظم ليأكله ، وكان أكل الضعفاء فى هذه الأيام العساليج الخشنة من القنبيط التى ينزعها البقالون عن رءوس الكرنب » .

وكان « الشريف العجمى الحسنى » متولى الصناعة سنة ٤١٤ هـ فى مصر ،

● كل من يغرق فى بحر النيل ، يدفع لحمله دينارين وقيراطين « حق الصناعة » !

« الشريف العجمى صاحب الصناعة »

● فليؤخذوا عند هبوط الظلام إلى شاطىء النيل ، ولتلق جثثهم المقطوعة الرءوس فى النهر .

« نابليون بونابرت »

كبير السفاحين ونموذجا للمستغل الفاسد الطباع ، يبيع ويشترى فى الناس ، يسير على نهج « تدراس بن خصليم »وهامان ، وكل من باع الماء للشعب ، أو تاجر فى أزمته - كلفه الخليفة - كما يحكى المسبحى « ببناء حظير دائر على مقياس النيل بالجزيرة ، واعطاه لأجل ذلك من المال جملة كبيرة ، وفى يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر سنة ٤١٤ كان القائد « معضاد » فى زيارة لمقياس النيل ينظر فى أمر البناء الذى تولاه « الشريف العجمى » صاحب الصناعة ، فقال له الرجل المسمى « ابن ابى الرداد » ، متولى مقياس النيل بالعصا : يامولانا ، ان هذا الرجل - يقصد الشريف - يسخر الضعفاء والمساكين فى البناء ولا يدفع لهم اجرة ، فلم يهتم الشريف بحضور الأمير ، وقال لابن ابى الرداد : اسكت اسكت يامسلمانى ياسفله ، ثم هجم عليه ولطمه ، وبعد أن انصرف الأمير هجم اعوان الشريف على الرجل فامسكوه ومدوه على رجليه ، ثم اعتقل !

ويحكى المسبحى ايضا عن الشريف هذا انه فرض رسما على كل من يغرق فى البحر فقد حدث فى مساء السبت ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٤١٤ هـ أن « غرق فى دار النيل حدث صغير يعرف « بابن الاسكاف » وطرحه النيل الى الشط ، وصار اهله اليه كى يحملوه ، فمنعهم

اصحاب الشريف من حمل جثته ، وطالبوهم بدفع دينارين وقيراطين واجب الصناعة ، وحق كل من يغرق فى النيل ، فدفع الناس لهم وحمل الولد الى داره !

## إنه الموت وخراب الديار كما يقول المصريون !

ولم يكن امام السلاطين ـ كما قال ـ المؤرخون ـ من حل لأزمات الفيض وتأثيرها على حالة الاسواق سوى حل غريب ، فكانوا يجمعون الفقراء والجائعين والذين يهجمون من الجوع على الافران فيوزعونهم على الأثرياء من الأمراء والتجار « كل واحد منهم على قدره » ، فيتكفل كل ثرى باطعام عدد معين من الجائعين ، « حتى تزول الشدة ويأتى الغوث » ( ابن دقماق الجوهر الثمين ص ١١٧ ) .

وكما كان المصريون ينتظرون الفيض بكل الأمل والرغبة فى الحياة ، فقد كانوا يتمزقون كذلك حين يأتى متعاظما فيضه ، كثيرا عن الحد ، مفرطا فى الكرم والجود ، فيدخل الماء الى بيوتهم ليغرقها ويشتت اهلها ، ويسقى الزروع الى حد الشرق والاختناق بالماء ، « فلا تقع للناس فى زيادته حظوظ ولانزاهة كعادتهم » ،

ويحكى ابن اياس فى حوادث شهر رجب سنة ٩١٥ « أن النيل لما زاد ثمانية اصابع عن الحد المفروض ، حصل ضرر شديد ونادى السلطان ( الغورى ) بالا يتجاهر الناس بالمعاصى ، ولايمشى احد بسلاح بعد المغرب ، وان يواظب الناس على الصلوات فى الجوامع ، ثم امر القضاة الأربعة ان يتوجهوا للمقياس ويدعوا الله ان ينهبط النيل . »

## ● موتوا فى بحركم !

أغرق النيل مصر فى بحور من الخير ، ومحيطات من الجوع والفقر والمذلة اغرق الكثيرين فى ذهب واموال سرقوها ، مستغلين طيبة قلبه أو مزاجه الغريب واغرق الكثيرين أو اغرقوا فيه عقوبة وانتقاما ، فقد استغله الحكام والغزاة أيضا وسيلة للاعدام وطريقة للقتل !

كان القاتل فى نظام العقوبات الفرعوني ، يحرق حيا على اشواك ، او يحرق المذنب فى بعض الجرائم ثم يلقى برفاته فى بحر النيل ، وربما كانت هذه بداية استخدام النيل فى التغريق ، وفى تاريخنا الحديث يحكى المؤرخون ان نابليون اصدر اوامره للجنرال برتييه « تفضل ايها القائد بأن تأمر قومندان القاهرة بقطع رءوس جميع المسجونين الذين امسكوا وبيدهم سلاح ، فليؤخذوا بعد هبوط الظلام الى النهر ، ولتلق جثثهم

بـرطلمين العسس يتجسسون في الطرقات ، يبحثون عن كل من حمل السلاح ، ويقبضون على الناس بحسب اغراضهم ، فيحكم عليهم برطلمين بمراده ، ويعمل برأيه واجتهـاده ، ويركب في موكبه ويسير وهم موثقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال ويسالونهم عن السلاح فيدل بعضهم على بعض ، فيذبحونهم ، وفي بحر النيل يقذفونهم وقد مات في يومين أمم كثيرة لايحصى عددها إلا الله » .

وربما يستعصي على كل المصادر والوثائق والتواريخ ، أن تأتي حصرا أو رواية على كل اولئك الذين اغرقوا في بحر النيل ، او اولئك الذين اغرقوا انفسهم عمدا زهقا في الحياة ، أو هربا منها !

## ● ياجميل الأمر يانيل

كان رأى الخليفة الفاطمي « المعز لدين الله » أن جوهر الصقلي بنى القاهرة في بقعة لاهي على قمة الجبل فتحتمي فيه ، ولاهي على شاطيء النهر فتنتفع به ، لذلك فقد فكر هو وخلفاؤه من بعده في جلب مياه النيل اليها من الجهة الغربية ، وقد قام الحاكم بأمر الله بعد ذلك بحفر الخليج المصرى الذى عرف فترة طويلة باسم الخليج الحاكمى والذى بات يروى عطش القاهرة ويروح عن اهلها زمنا حتى تراخت المحافظة عليه وعلى نظافته في العهد العثمانى ، وصار مستودعا للأقذار ، ورجع القاهريون الى الشرب من النيل رأسا على



المقطوعة الرءوس في النيل » كما يؤكد تاريخ قديم للحملة الفـرنسية ان الجنرال « ديجا » وكان حاكما للقاهرة سنة ١٧٩٩ م كتب لنابليون « إن البغايا وباء يتفشى في مساكن الفرنسيس ولابد لابعادهن من اغراق من يقبض عليهن في الثكنات » وكان تعقيب بونابرت في هامش الرسالة « يكلف اغا الانكشارية بهذه المهمة » ويؤكد نفس التاريخ ان ربعمائة امرأة قطعت رءوسهن وخيطن في غرائر والقين/في النيل .. وقد تنصل نابليون من هذا العمل الفظيع ، فيقـول في كتاب كرستوفر هيرولد « بونابرت في مصر » أنه قد اسيء فهم تعليماته بشأن هذا الموضوع !

أما برطلمين ضابط البوليس المنتفخ الأوداج فيحكى عنه الجبرتي في « عجائب الأثار » قـائلا « وانتـدب

ايدى السقائين ، الذين كانوا يطوفون بالجمال وهى تحمل القرب لامداد المنازل والاسواق بحاجتها من الماء والذين قدر عددهم فى ذلك الوقت كما ذكر « البلوى المغربى » مابين خمسة آلاف وستين الف سقاء كان مفروضا عليهم ان يسجلوا انفسهم لدى المحتسب وان يقوموا بدفع ضريبة معينة نظير مايأخذونه من ماء النيل

وكان النيل منذ الأزل مفرج الكروب عن اهل مصر ، والموضع المختار الذى يخرجون اليه للترويح واللعب والحب ، فكان الناس يهرعون الى شاطئه للتمتع بالحدائق والاشجار والأزهار أو لاستئجار القوارب المصحوبة بالمغانى والمعازف ، وذلك لقضاء أسعد الأوقات وامتعها ، ولأن هذه العلاقة الجميلة بين المصريين والنهر قد تحولت فاصبحت تراثا ، فلا بأس من أن نتذكر تلك الصفحات البديعة التى تصور احتفال المصريين بالنهر ، وحبهم الشديد له .

كان احتفال وفاء النيل من الايام المشهودة فى تاريخ المصريين ، كان عيدا قوميا كبيرا ، يخرج فيه الناس من كل مكان فيصفه « الجلال السيوطى فى بلبل الروضة » : « يوم وفاء النيل » يوم يحشر الناس إلى المقياس ، وتطيب من تحليقه وتخليقه الانفاس ، ويسبل فيه ستر الوفاء بالعفو ، وهو فى الحقيقة خلعة رضى ولباس فتكمد الحساد ، وتجتمع الاضداد ، ويحصل بين الناس الصفا والوفا ، اذا انكدر ، والجبر اذا انكسر ، ويبلغ الناس من النيل غاية ويسحب الماء على بساط الأرض الذيل ويركب اليه الملك والجنود وتعقد الألوية والبتود ويكون للناس من مائه ولونه المحمر ورود ، ذلك يوم مجموع له الناس مشهود » .

ويقول الاندلسى فى كتابه « الحقيقة والمجاز فى الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز » « بحر النيل الذى يبسط الآمال ويقبضها ، تبرز به ارض مصر فى احسن الملابس ، وتظهر به حلل الرياض على القيعان والبسابس ، فسبحان من جعله سببا-لانتشار الموات ، وتعالى من ضاعف به ضروب البركان » . ثم يحكى الأندلس حكاية لطيفة عن يوم الوفاء حيث التقى وجمع اصحابه لمشاهدة ذلك والاستمتاع به فيقول : « ثم اننا لم نزل فى اثناء ذلك السماع تمشيا على شاطىء بحر النيل ، يرفع كل منا فى بحر الاسترواح شراعه ، وسرحت نواظرنا فى تلك البساتين على شاطئيه والرياض على جانبين ، فتنعمت خواطرنا وتمسكت بذيل الطرب الفضفاض فجلسنا وقد سكرت بشراب المحبة الالهية . حواضر القلوب والاسماع حتى قام رجل معنا يقال له الشيخ شعبان فانشد :

**مابين معترك الاحداق والمهج**
**انا القتيل بلا اثم ولاحرج**

فضج الحاضرون بالوجد ، واختبط

بعضهم ببعض ، وهو يكرر ذلك عليهم بطلبهم حتى وصل الى قوله : تبارك النيل ماأحلى شمايله ! فالقى الرجل عمامته عن رأسه ونزع ثيابه وخرج هايما على رأسه بسراويله من شدة الوجد ! »

وقد اعتاد المصريون فى يوم وفاء النيل على دفع احد المكوس ، سمى « بمقرر وفاء النيل » وكان مخصصا لعمل « شوى وحلوى وفاكهة » يأكلها الناس عند خروجهم الى المقياس ، أما احتفالات السلاطين فقد حكى « ابن إياس » عنها صفحات طويلة . ننقل منها احتفال السلطان الغورى ، الذى يعطى صورة تعكس حالة البذخ والترف الشديد التى عاشها ، رغم فقر البلاد وحاجتها :

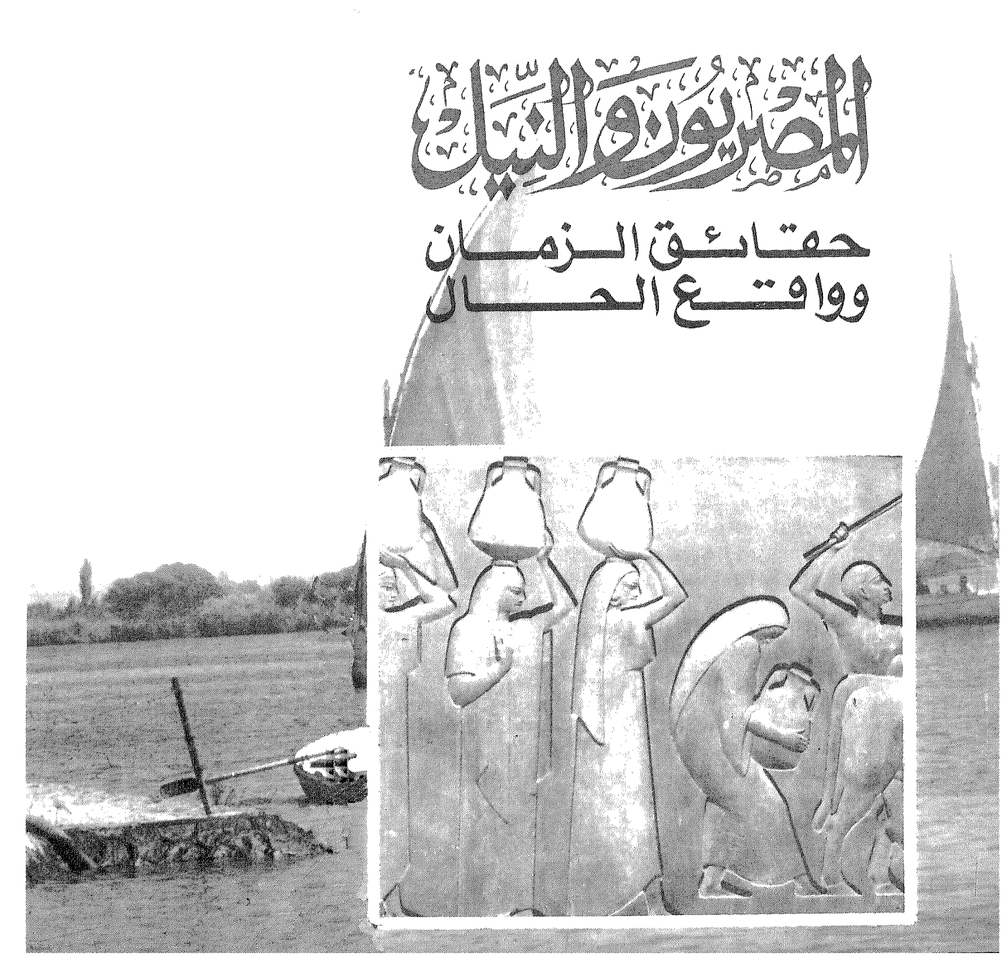
« ثم ان السلطان أوقد فى قاعة المقياس وقدة حافلة ، وعلق احمالا بقناديل وامر السكان فعلقوا فى بيوتهم القناديل فى الأحمال والامشاط ، بطول البرين ثم احضر السلطان المركب المسمى « الغليون » فعمره وصرف عليه نحو من عشرين الف دينار فركبه ورسا به عند المقياس ، وصنعوا له ثمانية مراس فى البحر وعلقوا فى صواريه القناديل فى الأمشاط فكان الذى اوقد فى المقياس تلك الليلة عشرة آلاف قنديل ، وخمسة قناطير من الزيت ، فشقوا الطريق بالنفط والسلطان مزفزف وقدامه الطبول والزمور ، وخمسون قلعة من النفط وستون مأذنة وعشرة ازيار واربعين جره ، وثلثمائه صاروخ ، واربعين شعلة فلما وصل الى شاطىء البحر انزلوه فى خمسين مركب ، وحضر الطبلخانات فى مراكب عند المقياس ففعلوا زمور وطبول مثل صوت الرعد القاصف وقد اطلق والى القاهرة النفط وامر باشعال فتائل الزيت الموضوعة فى قشور البيض ، ثم اطلقوا هذه القشور مشتعلة على صفحة النيل ، وقد حكى الجبرتى عن عادة اطلاق قشور البيض المشتعلة على صفحة المياه ووصفها بأنها « أسرجة موقدة على وجه النيل » .

وكان الناس كما يحكى الجبرتى « يجتمعون من كل صوب للفرجة والمتعة » .

**كان النيل على الدوام مصدر الهام للأدباء والشعراء ، فقد كان اهم ظاهرة طبيعية - ومازال - فى حياة المصريين ، فمجده الفنانون وشغل اذهانهم طويلا ، لكن حظه من الشعر كان أوفى وأرق من النثر وسائر الفنون وقد ذكرت كتب التاريخ ان اقدم الاشعار التى قيلت عن النيل تلك التى كتبها الاعشى « صناجة العرب » وأبو نواس الذى يقال انه قد زار مصر ومكث بها وقتا ، واسماعيل النحوى الذى فقد شبابه وعمره بسبب النيل ايضا ، فيحكى « ابن خلكان » فى كتابه وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦/٣٥ « إن سبب وفاة اسماعيل النحوى المصرى سنة ٣٣٨ هـ ان شخصا من عامة الناس رآه جالسا على سلم المقياس ، ينظم شعرا ، ويتمتم بكلمات غريبة ، فظن الرجل أنه يسحر للنيل أو يطلسم له حتى ينقطع فيضه ، فجاءه من الخلف ودفعه فى النيل فسقط على الفور غارقا !**

# المصريون والنيل

## حقائق الزمان وواقع الحال



حين تقول النيل فانك انما تقصد الحياة بما تعنيه من نقيض للموت والفناء ، ليس فقط بالنسبة لشعب مصر طوال آلاف السنين ، بل طوال الدهر لحيوانها وطيرها وزواحفها •

هكذا كان ، وهكذا ايضا اصطلى المصرى وحيوانه وزرعه وسمكه بروح النهر ، اذا اعطى ومنح « فان البلاد تضج بالفرح ويستبشر فيها كل حى فتنفرج الاسارير وتفتر الثغور » كما تنقل نعمات احمد فؤاد •

أما اذا غاب واستعصى فان المصرى يخرج الى مجرى النيل باكيا ، يلطم الخدود ويشق الجيوب ، ويتوجه للاله بالدعوات ، لكنه فى كل الحالات يقدسه•

وها هو اخناتون يصلى :

انت الذى يعطى الحياة ( أيضا ) لكل البلاد الاجنبية البعيدة ، لانك خلقت نيلا فى السماء ،

لينزل لاجلهم ويحدث أمواجا فوق الجبال ،

مثل ( أمواج ) البحر ،

لتروى حقولهم التى فى قراهم ،

ما اجمل أعمالك يارب الابدية !

فالنيل الذى فى السماء ( خلقته ) للاجانب •

ولكل حيوانات الصحراء التى تسعى على الاقدام •

أما النيل الحقيقى فانه ينبع من العالم الاخر لاجل مصر •

لكن لنهبط بقسوة من علياء رحاب صلاة اخناتون السالفة التلاوة الى الحقائق البارزة :

تقول حقائق الجغرافيا : أن النيل الذى يعبر مسافة ٨٥٠٠كيلو مترا«كواحد من أعظم أحواض العالم ، يجمع بين




تسع دول عربية وافريقية هي مصر والسودان واثيوبيا وكينيا وتانزانيا وأوغندا وروآندا وبورندى وزائير ، وهم يشكلون قرابة الـ ٢٠٠ مليون نسمة ·

## مصادر النيل :

ويتكون حوض النيل الجامع لايراده من ثلاث مناطق رئيسية يغذى كلا منها فرع او اكثر من فروعه ، هذه المناطق أو الاقسام هى :

– حوض هضبةالبحيرات الاستوائية·
– حوض بحر الغزال ·
– أحواض الانهر التى تنبع من جبال اثيوبيا ·

وتتكون الهضبة الاستوائية من ثلاث بحيرات كبرى هى :

فكتوريا ، وكيوجا ، وموبوتو ( ألبرت ) ·

ويقول أحمد نافع أن بحيرة فكتوريا التى تقع على حدود أوغندا وكينيا وتانزانيا تعد ثانى أكبر بحيرة عذبة فى العالم ، اذ تبلغ مساحتها ٧٠ الف كيلو متر ، ومتوسط الايراد السنوى الخارج منها حوالى ٢٨ مليار متر مكعب، والمخرج الوحيد لهذه البحيرة هو نيل فكتوريا ، الذى يمر بجملة شلالات قبل أن يتجه الى بحيرة كيوجا التى تبلغ مساحتها كما تحددها دراسة عالمية شاركت فيها دول حوض النيل ، ١٧٦٠ كيلو مترا مربعا ، وتضيف الدراسة أن نيل فكتوريا يحمل ايرادا يتراوح بين ٢٧ و ٢٩ مليار متر مكعب سنويا لتنحدر مياهه الى بحيرة موبوتو التى تبلغ مساحتها ٣٥٧٠ كيلو مترا مربعا حيث تنحدر المياه بعد ذلك الى نهر بحر الجبل عند حدود أوغندا والسودان ·

وبين مخرج بحيرة موبوتو ( ألبرت ) وبلدة منجلا على بحر الجبل يغذى النهر جملة روافد وسيول يبلغ ايرادها حوالى ٣٤ مليار متر مكعب سنويا ، لكن ، وهنا تؤكد الدراسة على المشكلة ، تضيع معظم هذه المياه فى منطقة السدود ، ويأتى بعد ذلك حوض بحر الغزال الذى تضيع كل مياهه تقريبا ، فى مستنقعات تصل مساحتها الى ٤٠ ألف كيلو متر مربع ، ولا يصل من مياهه المقدره بـ١٥ مليار متر مكعب الا نصف مليار متر مكعب فقط فى العام ·

اما المصدر الثالث للنيل فهو جبال اثيوبيا ، التى تنبع منها أنهار السوباط والنيل الازرق وعطبرة ، يضاف اليهما حوض مستنقعات مشار الذى يقع بين حوضى السوباط ، وتغذيه سيول لا يصل منها الى النيل الابيض سوى مقدار ضئيل جدا من المياه،لا تزيد على نصف مليار متر مكعب فى افضل الاحوال ·

وتقول البيانات الواردة فى هذه الدراسة أن المشكلة تتضح بقوة عندما تعرف أن فاقد مستنقعات البيبور وحده ( وهو أحد قرى السوباط ) يبلغ ٤ مليارات متر مكعب ، بالاضافة الى ما يضيع بالتبخر ، وهو عامل رهيب فى ضياع ماء النيل ، كما يبلغ الفاقد من بحر الغزال ٨٠ مليار متر مكعب ، بسبب المستنقعات ، هذه المشكلة التى ترى دول

حوض النيل أنها المشكلة الام التى لابد من حل جماعي لها ·

وعلى اية حال فان هذه الدراسة ترى الحل الامثل فى تخزين هذه المياه في اماكن بعيدة عن المستنقعات، ومن هنا فان السد العالى ، الذى أدى الى تكوين بحيرة ناصر ، هو واحد من المشاريع الاساسية التى تقوم بحل لهذه المشكلة ، على الاقل بالنسبة للفاقد الذى كان يذهب الى البحر المتوسط ·

ومن هنا أيضا تتضح اهمية العمل المشترك بين بلدان حوض النيل ، لتفادى هذا الفاقد الكبير بعمل جماعى ، وهو ما يلاقى الان ـ كما يقول الدكتور عبد الملك عودة ـ اجماعا كبيرا من مثقفى وعلماء هذه الدول ، وهو انه لابد ان ينتقل التفكير بين هذه الدول من فكرة الوحدة القديمة والتى طرحت فى زمن الاستعمار البريطانى الى فكرة التجمع او الجماعة ، لان المياه ليست موجودة لمدة محدودة فقط ، وانما هى مشروع طويل الامد يستلزم اقامة المشروعات على هذا الجزء ، والدليل على هذا أن مصر فى أواخر الاربعينيات فى وزارة عثمان محرم الغت لجنة كان اسمها لجنة « التخزين القرنى » من اجل التنسيق والتفكير للمشروعات على وادى النيل لمدة خمسين عاما قادمة » ·

### « السد العالى »

ولقد جاء السد العالى ـ كما يقول جمال حمدان فى هذا الصدد ـ ليدشن عصر التخزين القرنى وليصبح مفتاح الاستراتيجية العظمى للرى فى مصر

وقبل الانتقال للاثار التى ترتبت على بناء السد ، الايجابى والسلبى منها ، علينا أن نتعرف ولو بمثال واحد على ما كان عليه الوضع قبل بنائه ، ويصور جمال حمدان الوضع على أساس أنه كان تراجيديا فيضانية ، وهو ينقل عن سكوت مونكرييف فى تقريره عن فيضان عام ١٨٨٧ العالى ، والتى يعلق عليها بأنها مشهد لابد كان مألوفا فى مصر يتكرر فى تاريخها كروتين عادى « انتشر خبر كسر الجسر بسرعة فى القرية · اندفع القرويون الى الجسور بأولادهم وماشيتهم وكل شيء يملكونه · كان الاضطراب لا يوصف ، ثمة جسر ضيق جدا لكان يغطى تماما بالاطفال والجاموس والدجاج وأثاث البيوت ، تجمعت النساء حول أضرحة الاولياء المحليين وهن يلطمن صدورهن ويقبلن الضريح ويصرخن صرخات مدوية ·

من هنا تعددت الاسباب لبناء السد العالى كضرورة ، ولم يكن بناء السد ، على اية حال ، بعيدا عن استراتيجية مصرية ، بل ، كما يقول جمال حمدان « كجزء من الاستراتيجية السياسية المصرية العظمى التى كانت تسترشد فيها مصر بمبدأين اساسيين تستقطب فيها كقطبين نهائيين متكاملين وغير متعارضين توازن بهما بين مصالحها الذاتية ومصالح الاخرين : مبدأ حسن الجوار ومبدأ الموقع الوطنى·

اهتمامات مصر الحقيقية فى افريقيا هى نيلية فى المحل الاول واهتماماتها النيلية العميقة هى مائية من الصف الاول وفى كلتا الحالتين فان مبدأ حسن الجوار هو الذى يحكم ويسود علاقات مصر بدول الحوض الثمانى فى ظل أخوة الوحدة العربية فى حالة السودان العربى ، وفى ظل صداقة الوحدة الافريقية فى حالة سائر دولة غير العربية » ·

وتجاوزا لتكرار الكلام عما سمى بمعركة بناء السد ، ماذا الان عن نتائج السد المادية والاقتصادية وفى



الانتاج ، وما مزاياه وعيوبه ؟
يقول جمال حمدان :
« النتائج الايجابية لا تقل بالطبع عن انقلاب كامل ، ان لم تصل الى حد الذورة ، واذا كان الماء والكهرباء هما قطبا السد اساسا ، فانه متعدد الاغراض وفوائده تتوزع تفصيلا بين عدة بنود اهمها الحماية من الفيضان ثم الرى والصرف والزراعة والاستصلاح ثم اخيرا الطاقة والملاحة » .

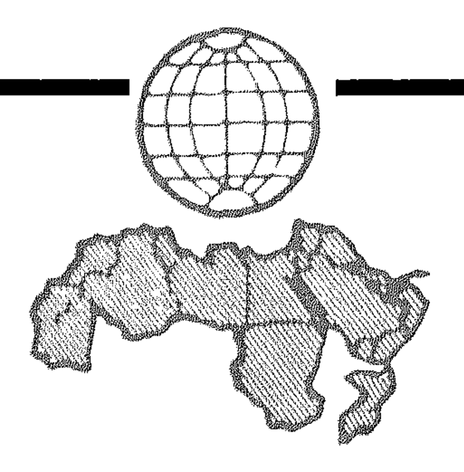
### الاثار الجانبية :

لكن جمال حمدان وبروح العالم الذى لا يرى سوى المصلحة العامة يعرض الى المثالب والسوالب على الجانب الاخر من هذه المزايا والفوائد الاساسية فيقول :
« يمكن القول ان لكل واحدة من المزايا مقابلها السلبى ، وهذه « الاثار الجانبية » كما تسمى ، كانت فى حساب المشروع منذ خطط ، بحسبانها ظاهرة حتمية فى اى مشروع هندسى مماثل على هذا المقياس ، وعلى هذا الاساس ، وضعت الخطط لمواجهتها وعلاجها او التقليل من اخطارها .
وبوجه عام يمكننا ان نلخص كل نتائج السد الجانبية وآثاره العكسية لتستقطب فى معادلة واحدة هى ان السد قد استبدل « بمجاعة الماء » « مجاعة الطمى » فاليوم تجد مصر نفسها ، على عكس الماضى ، فى الموقف الغريب الذى تملك فيه ماء اكثر مما تستخدم فعلا وطميا اقل مما تحتاج جدا ، بل لا طمى على الاطلاق . ومن زيادة الماء اتت مشكلة الصرف ، وملحها ومن غياب الطمى اتت مشكلة التمر ، فى حين ان غياب الطمى مسئول عن اخطار المخصوبة ، وتآكل السواحل ومشكلة طوب البناء وهجرة السردين .

ويضيف جمال حمدان انه : « من جهة اخرى ، حتى اذا كان السد قد وفر الحماية من خطر الفيضان الواطى أى القحط ، فهل حقا حقق الوفرة المائية الكاملة المتوقعة لمصر ؟ من اغرب النقائض التى اسفر عنها السد أن ٤٠٪ مما وفره من المياه يضيع كفاقد بسبب الحشائش التى انتشرت بصورة وبائية فى كل مجارى مصر المائية منذ انشائه » .

على أى حال تبقى المطالبة الان ، ونحن فى شهر كان المصريون يحتفلون فيه بوفاء النيل ، ان نكون اوفياء حقا لنهر النيل ، مصدر الحياة لكل عرق نابض ، بل لكل حيوان ونبات ، باللجوء الى الحلول العلمية لتجاوز كل ما ترتب على تغير الحياة التى تسبب فيها السد العالى ، وهى موجودة وقائمة ، فهناك فكرة ترد فى جمال حمدان هى فكرة قناة تحويل جانبية تستدير حول البحيرة ، بادئة امام السد فى النقطة التى يتكدس فيها الطمى اغزر ما يتكدس فى قاع بحيرة ناصر ، لتنتهى خلفه بعد ان تكون قد تحاشت مصيدة السد ، حاملة بذلك الطمى بكامله او معظمه الى مجرى النهر الطبيعى مرة اخرى ، اى قناة تحويل للطمى مثلما هناك قناة تحويل للماء نفسه .

هذا بالاضافة الى تطوير المشاريع العديدة المطروحة بين دول حوض النيل ، التى لابد من مواصلة بحثها مع شركاء المصير ، فى السودان وبقية البلدان الافريقية .



# أقــوال معـاصرة

● « لنذهب الي الديسكو ونسكر حتي ننسي من نحن »

**الاميرة ديانا**
**زوجة ولي عهد بريطانيا**



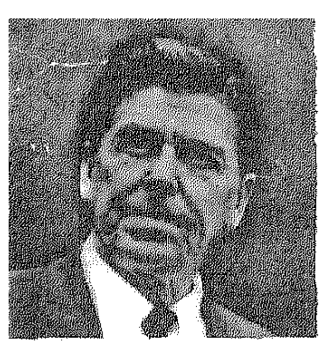
الاميرة ديانا

● « أحس بأننى مسافرة فى قطار ينطلق بسرعة الى هدف بعيد سينتهى بارتطام »

**رابيكوفتش**
**الشاعرة الاسرائيلية**

● « الذى تريده اسرائيل هو وضع اليد ، ومحو القومية والتاريخ ، وذبح النصارى ، وتفـــريق المسلمين » .

**شكرى نصر الله**
**الكاتب اللبنانى**



رونالد ريجان

● « ايران ذات أهمية استراتيجيةهائلة للولايات المتحدة ، والعلاقات العدائية معها ليست مقبولة ولابد من تصحيحها » !

**رونالد ريجان**

● « لا اليمين ولا اليسار ، ولا أى مجموعــة عرقية أو عسكرية قادرة على حكم الســـــودان بمفردها .. »

**الصادق المهدى**
**رئيس وزراء السودان**



الصادق المهدى

● « البندقية تخطف حياة الفريسة ، كماتخطف عدسة التصوير قطعة من روح الانسان ، وقد خطفت روحى مرات ومرات »

**بريجيت باردو**
**الممثلة الفرنسية**

# حطين وصلاح الدين

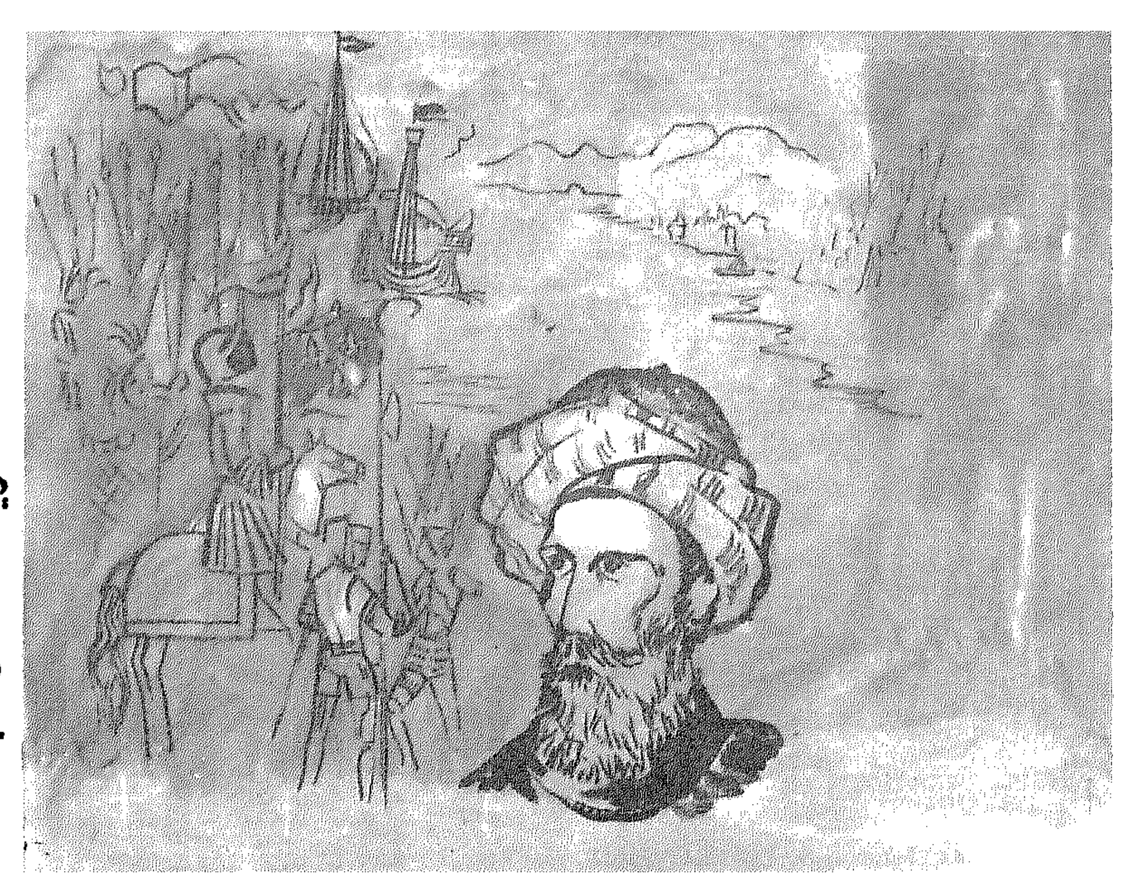
بقلم: البابا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

(ومن وعى التاريخ فى صدره
أضاف أعمارًا إلى عمره)

- التاريخ ليس مجرد أحداث ، وانما هو دروس وعبر وأحداث التاريخ معروفة لنا جميعا ، لذلك أود أن أقدم بعض تأملات بسيطة .

١ - النقطة الأولى أن تسمية الحروب الصليبية بهذا الاسم ، هى تسمية خاطئة ، وكثير من المؤرخين المسلمين يقولون إنها تسمية خاطئة ، فهى حرب استعمارية ، أو هى حرب أوربية ، أو هى حرب من الفرنجة ، أو هى حرب للاحتلال ... والمسيحية تدين الحرب عموما ، وتدين الاحتلال . نقطة الأستثناء الوحيدة التى تسمح بها المسيحية ، هى الحرب الدفاعية ، أما الهجوم والاعتداء ، فلا تقبله المسيحية على الإطلاق ، وهنا اقول .. إن المسيحية دين سلام ودين محبة ، وقد قال السيد المسيح : «أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم» ، فكيف باسم المسيح تقوم حرب ؟ ! .. كذلك الصليب فى المسيحية هو رمز حب وبذل وفداء ، ولم يكن فى يوم من الأيام رمز هجوم أو اعتداء ، اطلاقا .. وعندما يقول السيد المسيح « من أراد أن يتبعنى فلينكر ذاته ويحمل صليبه ويتبعنى » وإنما يقصد بهذا ، أن الإنسان يحتمل التعب والألم من أجل الله . فمعنى الصليب هو أن الشخص يفدى الأخرين بسفك دمه من أجلهم . وليس معناه أن يسفك دماء الآخرين .. لذلك فتسمية تلك الحروب بانها حروب صليبية ، هى تسمية خاطئة .

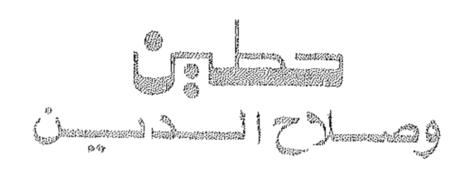
وأقول .. إن كثيرين من المسيحين الذين يحملون اسم المسيح .. لاينتمون الى مبادىء المسيح بأية صلة .



ريشة : عادل ثابت

٢ ـ هذه الحرب التى استمرت مدى قرون ، كانت حرب اعتداء . ساعد على ذلك انقسام المسلمين فى ذلك الوقت .. حينما بدأ العرب دولة قوية فى بداية القرن السابع استطاعت هذه الدولة الواحدة القوية أن تدخل فى الشام ومابين النهرين ، وفى فلسطين وفى مصر وفى بلاد الفرس بل استطاعت أيضا أن تذهب إلى أسبانيا وتكون دولة هناك ، وكانت على أبواب فرنسا أيضا . وأصبحت دولة العرب المتحدة ، هى أكبر دولة فى الشرق بلا منافس ، بل أصبحت لها قوة فى الغرب أيضا .. ولكن على مرور الوقت ، وفى وقت الحروب الصليبية ، كانت هناك خلافة أموية فى الأندلس وخلافة عباسية فى بغداد ، وخلافة فاطمية فى مصر والشام ، وكان بين هؤلاء وأولئك اختلاف ، وأحيانا عداء ، ثم قامت دولة : السلاجقة واستطاعت أن تضرب الدولة البيزنطية أو الدولة الرومانية الشرقية ضربة قوية فى موقعة «منزكرت» سنة ١٠٧١ م ، قبل الحروب الصليبية بحوالى ربع قرن ، وأصبحت قوة شديدة استطاعت أن تأخذ نيقيا وكيليكيا وفريجية ، وبمفيلية . واستطاعت أيضا أن تأخذ انطاكية واللاذقية وتستولى على كثير من بلاد الأمبراطورية الرومانية الشرقية ، بل أن أمبراطور الدولة الرومانية الشرقية «اليكسيوس» استنجد بالبابوات فى روما لكى ينصروه على السلاجقة .

ولكن ، للأسف الشديد ، حينما قامت الحرب الصليبية الأولى ، ونحن هنا نستعمل الاسم الشائع لها ، كانت دولة السلاجقة قد انقسمت أيضا الى ولايات ، فأصبحت هناك أقسام لها فى فارس ، فى خراسان ، فى حلب ، فى دمشق ، فى دولة




الروم فى آسيا الصغرى . ولم تكن هناك وحدة عربية تستطيع أن تقاوم هؤلاء الغزاة . فانتصروا فى الحرب الأولى . وكان لابد للعرب من وجود رجل قوى مثل صلاح الدين ، يستطيع أن يوحد ، لأن العرب لايستطيعون أن ينتصروا الا لو كانوا وحدة قوية ، تستطيع أن ترغم الناس على احترامها وتوقير قوتها .

لذلك فأنا أعتقدْ أن انتصار حطين بدأ قبل تلك الموقعة بخمس سنوات ، فموقعة حطين كانت في سنة ١١٨٧ ، وصلاح الدين استطاع أن يوحد الدولة العربية فى سنة ١١٨٢ وأصبحت قوات صلاح الدين تنتشر من الفرات الى النيل ، وصارت هناك قوة ترغم هؤلاء الغزاة الأجانب على احترامها ، وتستطيع أن تصد وترد وتردع .

٣ ـ وهنا أقول إن الأحداث معارك . واذا انتصر الانسان فى معركة ، فليس معنى هذا أن انتصاره قد ثبت .. ملاحظة هامة .. جدا يمكن أن نقولها فى هذا المجال ، وهى ، أن هؤلاء الصليبيين أخذوا القدس سنة ١٠٩٧ ، واستطاع صلاح الدين أن يرد القدس الى العرب بعد ذلك بتسعين سنة تماما ، سنة ١١٨٧ . السنوات ليست شيئا كثيرا فى حياة البلاد ، فلا ييأس أحد اطلاقا .. استرجعت القدس بعد تسعين سنة على يد صلاح الدين . وأن كان الصليبيون قد استطاعوا أن يأخذوها مرة أخرى ، فإنها استرجعت مرة ثانية بعد ٥٧ سنة فى سنة ١٢٤٤ على يد الملك الصالح أيوب .

فالاحتلال ليس وضعا مستقرا ، ومهما أخذت بلدة من البلاد ، فلا يجب أن نيأس لاسترجاعها .

## ● لم تكن ضد المسلمين فقط .

لقد كانت موقعة حطين بداية لعملية تمشيط واسعة النطاق قام بها صلاح الدين .. والمرء يقف أمام التاريخ ويتعجب ، ففى مدة أقل من ثلاثة شهور ، (موقعة حطين فى ٤ يوليو سنة ١١٨٧ ، ودخول القدس كان فى ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧) ، واستطاع صلاح الدين فى تلك الشهور الثلاثة أن يستولى على طبرية ، وطبعا انتصار حطين ، والرملة ، وعسقلان وأن يأخذ باقى البلاد أمثال قيصرية وحيفا ، واستطاع أيضا أن يأخذ بيروت وجبيل ، ثم يأخذ القدس ، كل هذه البلاد أخذها فى ثلاثة شهور ، فى وقت لم تكن فيه الحرب الميكانيكية والالات الحديثة موجودة ، ولكن كانت هناك القوة ، والعزيمة ، والوحدة ، والأصرار على تحرير البلاد .

٤ ـ نقطة رابعة لابد من ذكرها هى أن الحرب الصليبية ، أو الحروب التى سميت بالصليبية ، لم تكن ضد المسلمين فقط ، انما كانت ضد المسيحيين فى هذه البلاد أيضا ، وهنا أذكر على الأقل اتجاهين :

ماقام به الصليبيون فى المجر ، وكيف اعتدوا على أهل المجر ، بينما المجر كانت بلادا مسيحية . ويدل على ذلك حوادثهم فى سملن ، فى براغ ، وفى بلجراد ، فى نيش . لدرجة أن ملك المجر طردهم طردا

واعتبرهم أعداء ، وتخلص منهم ، وهذه واقعة .

أما الواقعة الثانية فهو قيام هؤلاء الغزاة ضد الدولة البيزنطية ذاتها ، وامبراطور الدولة الرومانية استنجد بأوربا لكى تحميه من السلاجقة ، فماذا كانت النتيجة ، كانت النتيجة أن هؤلاء الغزاة حلوا عليه بعنف ، كغزوة جراد على حقل بسيط ، حتى أن بعض المؤرخين قالوا فى تشبيه هذا الأمر ، إن امبراطور الدولة البيزنطية كان مثل راع يطلب قليلا من المطر لينبت العشب لغنمه ، فاذا به يصادف طوفانا يغرق كل شىء ، وكان هذا الطوفان هؤلاء الغزاة الأجانب .

ثم ماذا حدث ؟ أراد منهم أن يحموه من السلاجقة ، فكانت النتيجة انهم نافسوه فيما أخذوه من البلاد التى كانت تحت يد السلاجقة ، مثال ذلك ، أخذوا انطاكية ، ثم بعد ذلك قاوموه مقاومة شديدة فى أن يأخذوا أيضا اللاذقية ، واضطر أن يسلم ، وكثير من البلاد الأخرى التى أخذها السلاجقة وأرجعها هؤلاء الغزاة ، بدلا من أن يردوها الى الدولة البيزنطية ، استولوا عليها وكونوا فيها امارات ، فكونوا امارة فى الرها ، وامارة فى طرابلس ، وامارة فى انطاكية ، وازداد الأمر جدا حتى لم يعودوا يبحثون عن بيت المقدس ، أو عن سلامة الحج .

تغير الهدف ، بل انكشف الهدف الحقيقى ، وهو استتارهم وراء الدين ، ووراء عبارة الأماكن المقدسة ، ووراء عبارة حماية الحجاج ، ولكنهم كشفوا انفسهم حينما اتسعوا شرقا وغربا ، بل جاء وقت استولى فيه هؤلاء الغزاة على القسطنطينية نفسها عاصمة الدولة البيزنطية (استانبول حاليا) .

أذن لم تكن المسألة مسألة حجاج ، وليست مسألة صليب ، وليست مسألة القدس ، انما مسألة احتلال .

## ● ولفتح الأسواق أيضا

٥ ـ بل أراد هؤلاء الغزاة أيضا ، ليس فقط لأسباب سياسية أن يحتلوا ، وانما أرادوا أيضا لأسباب اقتصادية أن تكون لهم أسواق في بلاد العرب ، وهكذا وجدنا تجار جنوة وبيزا والبندقية يقومون بتمويل حملات ، ويستولون على بلاد لكى توجد هناك أسواق فى الشرق يتعاملون معها ويعملون فيها . أين مسألة الدين فى كل هذا .. لا علاقة للدين بهذه الأغراض الاقتصادية والتجارية والسياسية ، والاحتلال . والمنصفون فى التاريخ يقولون أن الحروب الصليبية كلها حروب احتلال وغزو اجنبى واستعمار ، ربما كاستثناء ، يستثنون حملة الأطفال .. وربما يستثنون أهداف لويس التاسع ، ولكن هؤلاء الأطفال كانوا مخدوعين . ومسألة الدين يمكن أن تستخدم مع الأطفال .. مع صغار السن .. لتغريرهم ، ومع ذلك حملة الأطفال لم تكن حملة .. قاموا من البندقية ورحلوا ، وأخذهم تجار الرقيق وباعوهم فى أسواق الرقيق ، ولانقول أن حملة الأطفال كانت حملة ، انما نقول سعى الأطفال للقيام بحملة كانت لها أهداف دينية .

## ● المسيح يرفض إنشاء مملكة

٦ ـ وهنا أحب أن أثبت نقطة هامة وهى أن الهدف الطيب لابد أن تكون له وسيلة طيبة

، ومع ذلك ، فحتى حملة الأطفال لم يكن هدفها سليما ، ولم تكن الوسائل الصليبية سليمة لأن المسيح لم يناد فى يوم من الأيام بدولة يملكها الناس ، انما قال «أعطوا مالقيصر لقيصر ، وما لله لله» . وعندما اراد اليهود أن ينصبوا المسيح ملكا ، عارضهم فى ذلك ورفض ، وهرب من هذا الملك ، وكان يقول «مملكتى ليست من هذا العالم» ، المملكة التى أرادها المسيح هى أن يملك الله على القلب ، وعلى الفكر ، وعلى المشاعر وعلى النيات ، وهذا هو ملكوت الله الذى تقول عنه المسيحية (ملكوت الله داخلكم) داخلكم .. أى داخل قلوبكم .. أما تكوين مملكة على الأرض. فلا يمكن أن تفكر فيها اية كنيسة تحترم مبادىء المسيح .. الممالك هى عالم السياسة .. وليست عمل الدين ، فالمسيحية لاتوافق على أن يخرج غزاة ليملكوا باسم المسيح ، والمسيحية لاتوافق على احتلال أرض الغير ، والمسيحية لاتوافق أن يظلم بعض المسيحيين شعوبا أخرى ، كل هذه أمور بعيدة عن المسيحية تماما .

٧ ـ نقطة سابعة أحب أن أذكرها .. وهى أن هؤلاء الغزاة الذين يسمون أنفسهم أو الذين أسماهم التاريخ بالصليبيين كشفوا أنفسهم فى معركة واضحة جدا فى حملتهم الخامسة ضد مصر سنة ١٢١٩ حينما احتلوا دمياط ، حاصروا دمياط .. احتلوها ، فكانت النتيجة هى أن الملك العادل لكى يكسب موقفا سياسيا ، قال لهم لامانع عندى من أن تأخذوا القدس ، ولا مانع عندى من أن تأخذوا غالبية بلاد فلسطين ـ استثنى بعض مناطق معينة ـ على أن تتركوا مصر ودمياط فأصروا على أن يأخذوا مصر ودمياط ، فكانت النتيجة أنهم ضربوا هناك وطردهم الملك الكامل خليفة العادل ، فلم يكسبوا القدس ، ولاكسبوا دمياط ، وهذه احدى نهايات الظالمين ، ومجرد محاولتهم لاحتلال مصر ، يدل على أنه لم يكن لهم هدف دينى .

٨ ـ الحروب الصليبية كانت عملية ظلم ، عملية احتلال ، عملية شهوات سياسية وشهوات اقتصادية ، بل أن البعض يقولون إن الأقطاعيين فى أوروبا وقد ضاقت البلاد بهم أرادوا أن يستولوا على بلاد أخرى تصلح اقطاعيات . والمعروف أن النظام الاقطاعى فى أوروبا كان يعطى للابن البكر الحق فى أن يستولى على الأراضى كلها دون اخوته الذين يريدون هم أيضا أراضى مثله . فلو تفككت الأرض كلها لاتقوم اقطاعية كبيرة . وهؤلاء المحتاجون الى أراض ، وجدوا فيما يسمونه بالحروب الصليبية مجالا لنشر الاقطاع فى الشرق . كما أن العبيد الموجودين فى أوروبا وجدوا فى هذه الحرب مجالا للتخلص من العبودية .

ونحن لانوافق اطلاقا على موقف الكنيسة فى الغرب من الحروب الصليبية . واننا فى الشرق لنا مبادؤنا الروحية التى لاتدعو فيها اطلاقا الى غزو الغير ، واحتلال الغير ، والاستيلاء على أراض يملكها الآخرون . وهناك مبدأ روحى نقوله

باستمرار وهو ( لاتبن راحتك على تعب الآخرين ) .

● انسانية صلاح الدين

٩ ـ أود أن أؤكد على مسألة أخرى هى انسانية صلاح الدين ، فصلاح الدين لم يكن قائدا مظفرا فقط ، وانما أيضا كان إنسانا على خلق ، ولذلك فهو من الشخصيات القليلة فى التاريخ التى امتدحها أعداؤها ، كان الصليبيون يحترمون شخصية صلاح الدين ، ولاأقول فقط يخافونه .. أنما يحترمونه ، لأن الاحترام هو شعور بالتقدير داخل القلب ، وكانوا أحيانا يصغرون أمام أنفسهم حينما ينقضون اتفاقا معه ويقفون أمامه موقف الذي هو فى عار .

صلاح الدين بعد موقعة حطين ، حينما استولى على كل هذه البلاد التى ذكرناها كان يعرض على أهل هذه البلاد التسليم والأمان ، ومن كان فيهم يقبل ، كان يسلم البلدة ويخرج آمنا من الاعتداء ، ولذلك فكثير من هذه البلاد التى استولى عليها صلاح الدين بعد موقعة حطين ، استولى عليها بدون سفك دم ، احتراما لقوته وقدرته وشدة حصاره ، واحتراما أيضا لوعوده ، ماعدا القدس ، التى رفض أهلها تسليمها ، فأصر صلاح الدين أن يأخذها بالقوة ، ومع ذلك حينما رجعوا اليه ، وجدوا فى قلبه حنوا عليهم ، ويقال فى التاريخ أن بعض النساء حينما اتين اليه يبكين من أجل رجالهن الصليبيين الأسرى ، دمعت عينا صلاح الدين وأشفق وأخرجهم من القدس بدية بسيطة .

**إننا نحيي شخصية صلاح الدين كرجل قوى ، وكرجل وحد كلمة العرب ، وكرجل استطاع أن ينتصر ، وكرجل انسانية ورجل لايميل الى سفك الدماء ..**

١٠ ـ وأن كان قد حدث بعد صلاح الدين أن تفرقت الدولة قليلا ، ولكن أمكن توحيدها بعد ذلك .. العجيب أن موقعة حطين كانت سنة ١١٨٧ ثم استطاع الصليبيون أن يستولوا على عكا سنة ١١٩١ ولكنهم فقدوا عكا واسترجعها العرب مرة أخرى سنة ١٢٩١ يعنى بعد مائة سنة بالضبط ، أمام هذه الأرقام ، نحن نأخذ دروسا من التاريخ أنه لاييأس اطلاقا ، القدس أخذت ١٠٩٧ واسترجعت سنة ١١٨٧ بعد تسعين سنة ، وعكا أخذت سنة ١١٩١ واسترجعت سنة ١٢٩١ بعد مائة سنة .

**وأرجو للعرب أن يتحدوا لكى ينتصروا فاذا اتحد العرب ـ صدقونى ـ حتى دون أن يحاربوا ، مجرد اتحادهم سيخيف أعداءهم ، أما التفكك فلا يفيد العرب ولا يفيد الشرق ، ولا يفيد الإسلام ، ولا يفيد إلا أعداء العرب ، فلتكن دعوتنا للتضامن العربى ، فى كل مكان ، ففي الاتحاد قوة ، وفى القوة مايخيف الأعداء ، وفى القوة احترام للذات ، أمام النفس وأمام الآخرين . وبالقوة ، قوة الوحدة نستطيع أن نسترجع حقوقنا .**

**فليكن الرب مع العرب ، ليساعد على وحدتهم ، ويعطيهم النصر على أعدائهم .**

# جدل وهزل في لغة الأرقام!

بقلم: د. شكري محمد عياد

**يعجبني من الفرنسيين ـ الى جانب مآثرهم المشهورة ـ انهم يحسبون معاملاتهم العادية بالفرنك القديم ، وهو يقابل مليمنا عندما كان المليم شيئا مذكورا ... لهذا فهم يتكلمون بالالوف والملايين بدون خوف ليسوا مثلي ومثلك حين ندخل في حسابات النقود ، نفقد وعينا اذا تجاوز المبلغ ثلاثة ارقام . انا اتكلم عن الناس العاديين بالطبع ، لا اتكلم عن موظفي البنوك او الحسابات ، ولو ان هؤلاء لايشكلون شذوذا عن القاعدة ، فالنقود عندهم تفقد معناها كنقود وتتحول الى ارقام حسابيه لاغير .. والحساب المجرد شيء وحساب النقود شيء اخر ..**

انا شخصيا لم استطع ان اعقل معنى ديون مصر الا حين قسمت مبلغ اربعين الف مليون على خمسين مليونا ( عددنا التقريبي بسم الله ماشاء الله ) فتبين لي ان كل فرد منا مدين بثمانمائة دولار :

$$\frac{٤٠ \times \text{الف} \times \text{مليون}}{٥٠ \times \text{مليون}} = \frac{٤٠ \times \text{الف}}{٥٠} = \frac{٤}{٥} \times \text{الف} = \frac{٨٠٠}{١}$$

هكذا حسبتها حتى أبعد الالوف والملايين كأنها الشياطين . وحتى عندما نزلت بالمبلغ الى مستوى الارقام الثلاثة ، وهو المستوى الذي يمكن أن يتحول عنده العدد الحسابي

الى مبلغ من المال بقى شىء غير مفهوم ، والغريب ، هذه المرة ، انه الواحد الذى فى المقام لقد تمكنت من ادخال ذلك المبلغ غير المعقول فى حيز ادراكى حين حولته الى ثمانمائة دولار فقط ، ولكن هذا النجاح كان له ثمن ،وهو أن المدين فى هذه الحالة أصبح فردا ، واحدا صحيحا ، ومن يدرى ، فقد يكون غير صحيح ، ولكنه على كل حال يجب ان يتشخص كما تشخص ذلك العدد الخرافى فى مبلغ معلوم من المال • وشعرت بشىء من القلق حين تبينت ان هذا الواحد يمكن أن يكون أنا ، بل هو بالتأكيد أنا ثم جزعت حين نظرت الى حفيدتى فوجدت أنها رغم صغرها تشكل واحدا صحيحا • ثم هززت كتفى استهانة بالامر كله وقلت : وماذا عسى أن يصنع الطفل محمود صبحى المكوجى ، فهذا أيضا واحد صحيح حتى الرضع الذين يبولون على أنفسهم وحتى كل واحد غير صحيح فى بلدنا ـ مهما يكن مرضه ـ هو فى هذه الحالة واحد صحيح • فاذا كان على الكبار الاصحاء منا أن يتحملوا ديون الاطفال والضعفاء والمرضى ، بالاضافة الى ديونهم ، فكم ذا يكون دينى أو دينك أيها القارىء ؟

واظن اننى لو كنت متعودا ان أتعامل بالارقام الكبيرة فى دنيا المال لما تصورت الامر مأساة الى هذا الحد • لذلك أتمنى ـ ونحن بصدد اعادة النظر فى مناهج التعليم ـ ان يخلو تدريس الرياضة الحديثة من العيب الانف الذكر ، حتى تخرج الاجيال الجديدة أمتن اعصابا منا •

على ان للمسألة وجهها المضحك أيضا • فهناك أناس يتعاملون بالالوف ، يكسبون الالوف ـ لا تسلنى كيف ـ ويصرفون الالوف ( والكلام عن اليوم الواحد وليس عن الشهر أو السنة ) ، وهؤلاء مثلنا لا يتصورون معنى ما جاوز الارقام الثلاثة ، لهذا حذفوا كلمة الف واستعاضوا عنها بكلمة باكو ، وتعاملوا مع الباكوات كما يتعاملون مع ورق اللعب • ولكنهم سعداء فى بلاهتهم ، وعندنا اناس يتعاملون بالملايين ، يكسبون الملايين ـ لاتسلنى كيف ـ ويهربون الملايين ، وهؤلاء أيضا تعوزهم الشجاعة العقلية للنظر الى ملايين الجنيهات أو الدولارات كملايين ، ولذلك يسقطون عليها جبنهم ويسمونها أرانب ، ولعلهم يتفاءلون بقدرتها على الهرب • ولكنهم سعداء حقا مع أرانبهم فى بلاد الله الواسعة ، حيث الطبيعة الجميلة والشوارع النظيفة والنساء الشقراوات •

## ● التحدى الاعظم

التحدى الاعظم الذى يواجهه المصرى العادى ـ او يجب ان يواجهه ـ فى هذه الايام هو الوعى الكامل بلغة الارقام حين نتجاوز الملايين الى عشرات الملايين ومئات الملايين ، وحين تكون ـ فى الوقت نفسه ـ مميزة بالجنيه أو الدولار • وأعنى بالوعى الكامل أن يفهمها كما يفهم حساب الخبز واللحم والخضار أول الشهر وحساب الكتب والكراسات والاحذية أول السنة ، وان يحاول مواجهتها بشجاعة كما يواجه البنود المذكورة بشجاعة اصبحت مضرب الامثال •

فالمصرى العادى الذى ذهب قبل مدة يسيرة الى صناديق الاقتراع لينتخب حكومته ـ أو كان يمكنه أن يذهب وقد الحت عليه الحكومة والمعارضة أن يفعل ذلك ـ لا يمكنه أن ينام على هذا العمل الواحدويترك الباقى للحكومة ومجلس الشعب بل هو مطالب بأن يراقب أحوال البيت الكبير ـ مصر ـ حتى يعرف ماذا يريد من حكومته وماذا تريد منه

حكومته ، وحتى يعرف حين يدعى بعد بضع سنوات – ان شاء الرحمن – الى انتخاب جديد أين يضع صوته وهو يعلم بدون شك أننا نمر بأحوال غير عادية وأن غير العادى فى هذه الاحوال يتركز فى قضية واحدة وهى قضية المال ، كما يعلم ان فى رقبة الحكومة ورقبته أيضا شيئا اسمه القطاع العام ، وأن هذا القطاع العام ينهض بالعبء الاكبر من عملية الانتاج التى بدونها لا يمكن لاى شعب أن يعيش، والتى تترجم فى العادة الى أموال . فطبيعى اذن ان يهتم بهذه الاموال كما يهتم بماله الخاص . ولا سيما أننا حين نريد ان نطمئن أنفسنا بخصوص ديوننا الكبيرة نقول اننا نملك – مجتمعين – هذا القطاع العام الذى تعادل قيمته قيمة الديون أو تزيد عنها ، ولذلك يجب الا نقلق انفسنا باعتبار هذا الدين هما خاصا لى أولك ، بالطريقة المضحكة التى تصورتها فى صدر هذا المقال ، ولكن هذا لا يعنى بالطبع أن نطرده من عقولنا لانه هم عام .

واذا كنا نقيم حاجزا بين الهم الخاص والهم العام ، وبين المال الخاص والمال العام ( فما للمال العام يصل الى اموالنا الخاصة وما لاموالنا الخاصة لا تصل الى المال العام ) فليس السبب راجعا الى انانيتنا الزائدة كما يزعم البعض بل أسلوبنا الطريف فى التعامل مع الارقام فلولا هذا الاسلوب لما تصور الوزير أو المدير أو المحافظة حين يعقد قرضا ما أن هذا القرض يفقد دلالته المالية بمجرد اضافته الى رصيد الدولة الهائل من القروض ، فلا يعود كذا مليونا من الدولارات أو الفرنكات بل يتحول بما يشبه السحر الى رقم حسابى على الورق .

مستقبل مصر – ولا أبالغ – رهن بأن نتصور هذه المبالغ المالية الكبيرة تصورا حقيقيا ، لا على انها أرقام مجردة، حتى ولو ترجمناها – كمرحلة أولى فى الفهم – الى أموال خاصة بالمزائد او بالناقص .

ولذلك فنحن ملتزمون يا صديقى ، حتى انا وأنت ، أن نعرف بالضبط الموقف المالى لكل شركة من شركات القطاع العام . ولعلنا لا نطلب من حكومتنا الديمقراطية سوى حقنا – وواجبنا أيضا – حين نطلب منها أن تصدر نشرة سنوية تشتمل على اعمال كل شركة ولا سيما ميزانيتها التى تلخص هذه الاعمال وتوضح موقف الشركة المالى ، اذ من الجائز الا نقتنع بالميزانيات التى تنشرها بعض هذه الشركات فى الصحف على صورة اعلانات . ونحن الان فى موسم هذه الاعلانات – ولكن بين يدى اعلانا لاحدى شركات القطاع العام تضمن ميزانيتى السنتين الماضيتين ونشر فى شهر ابريل الماضى . ودعك من هذه المفارقة التاريخية فهو على كل حال اعلان ، وتعال ننظر فيما هو مكتوب ( واستأذنك فى حذف كل ما يدل على اسم الشركة او اشخاص رجالها ، فنحن لا نتكلم عن شركة معينة او اشخاص معينين ، بل عن ظاهرة عامة وسلوك عام ) .

الاعلان يشغل الصفحة الاخيرة كلها فى احدى صحفنا القومية . الثلث الاسفل – بعرض الصفحة –

اعلان فى برواز مستقل داخل البرواز الرئيسى الممتد بطول الصفحة وعرضها الاعلان الداخلى لاحد متاجر القطاع الخاص التى يتصل عملها بالشركة المذكورة ، على الجانب الايسر من هذا الاعلان الاخير ما يلى :

تهنئة من القلب
للسيد ........
رئيس مجلس ادارة ....
بهذه الطفرة الطيبة للشركة وثقة السيد ...
... .. ..
برئاستكم لهيئة .. وصندوق ....
بجانب عملكم والله يوفقكم .

ومعذرة لانى بدأت بالفرع قبل الاصل ، ولكنك سترى معى أن الفرع يبين مناسبة الاصل التى لا يبينها الاصل نفسه . فلنتجاوز عن ثلاثة براويز ، صغيرة اخرى داخل البرواز الكبير . كلها تحمل تهنئات ، واثنان من الثلاثة يضمنان المتهنئة مطلبا خاصا بالعاملين فى الشركة ، وهمسا بلا توقيع . والثالث تهنئة خالصة تحتها ثلاثة توقيعات .

يبقى صلب الاعلان ، الذى يشغل نصف الصفحة الاعلى ولكن مع تداخل بينه وبين الاعلانات الثلاثة المذكورة وينقسم هذا الصلب اربعة أقسام .

١ ـ القسم العلوى : نحو أربعة سنتيمترات بعرض الصفحة يحمل اسم الشركة وبجانبه :

فى قفزة جديدة على طريق اصلاح المسار وتحقيق الارباح .

٢ مليون جنيه أرباح ساهمت فى سد عجز الميزانية خلاف الفائض .

تكاتف العاملين ومجلس الادارة مع رئيس الشركة فى صنع هذا النجاح تحت هذه اللافتة ، فى الوسط صورة الوزير وصورة رئيس مجلس الادارة فى بروازين دائريين .

٢ ـ القسم الثانى الى اليمين : صور اعضاء مجلس الادارة ( سبعة ) مع أسمائهم .

٣ ـ القسم الثالث : شبه مقالة أو خطبة قصيرة ، مصدرة بعبارة ( كتب .. ) وبعدها اسم على طريقة بعض المواد الصحفية . الاسم مجهول على كل حال فيمكن أن يكون صحفيا أو لا . ولكننى لن أبخل عليك بما دبجه يراع الكاتب :

« عندما تتضافر الجهود وتخلص النوايا ويحسن اختيار قيادة العمل وتجتمع فيها طهارة اليد وسلامة المقصد والمقدرة على حل المعادلة الصعبة من تحقيق مصلحة العمل ومصلحة العاملين فى الوقت ذاته . عندئذ يتوفر المناخ المناسب والصالح لحسن الاداء والاستثمار الطيب للطاقات المخلصة والراغبة حقا فى صنع التقدم لوطننا الذى هو فى حاجة الى كل الجهود . وهنا يمكن صنع المستحيل وتحدث المعجزة .

وليست المعجزة فى قيمتها المادية المحسوبة بالارقام فحسب . بل هى أيضا فى العمل الدائب وتخطى الصعاب والاصرار على النجاح والوصول الى الهدف وهذا هو ما حدث فى ... فاذا كانت شركة .. من الشركات التى تراكمت عليها الخسائر حتى وصلت الى اكثر من ١٢ مليون جنيه بعد ان قابلت من عثرات كثيرة ( كذا )وكان للدكتور ...... نظرته الثاقبة ورؤيته الحكيمة وأيضا المهندس .... عندما تم اختيار السيد المهندس .. رئيسا لمجلس ادارة شركة .. والذى أحسن صنعا عندما بدأ ( كذا ) فى حل مشاكل العاملين أولا .. .. . . وتلاقت ارادة الرجال من العاملين ومجلس الادارة مع الرئيس الجديد

للشركة بعد ان اختفت الخلافات داخل المجلس وتفرغ الجميع للعمل الجاد الذى فيه المصلحة العامة والرغبة فى زيادة الانتاج .. وبروح الفريق عمل الجميع حتى دانت الغاية ( كذا ) والهدف وحان وقت القطوف وفى الجمعية العمومية وأثناء مناقشة الميزانية انتزعت الشركة التصفيق اكثر من مرة بعد نفضت عنها خسائرها واستعدت لجنى الثمار . ونظرة على الميزانية المنشورة على هذه الصفحة نجد ان الارقام قد أجبرت على الهروب من خانة العجز والخسائر بينما وقفت تبتسم فى تواضع فى خسانة الفائض .

. القسم الرابع : الميزانية . وهى بيت القصيد . ولكن القصيد له مقدمات . القصيد له أيضا مقسة خاصة به . وهى كما يلى :

**بسم الله الرحمن الرحيم**
**« انا لا نضيع اجر من احسن عملا »**
**صدق الله العظيم**

وزارة ...
هيئة ...
شركة ...

أثاب السيد الاستاذ . . . . . .
السيد المهندس ... رئيس هيئة ..
فى رئاسة الجمعية العامة لشركة ...
المنعقدة يوم ١٢ ـ ٤ ـ ١٩٨٧ .

وقد قام السيد المهندس .. رئيس مجلس ادارة الشركة بعرض أوجه نشاط الشركة خلال العام المالى ٨٥ ١٩٨٦ فى مجالات .......

وقد اسفر نشاط الشركة هذا العام عن تحقيق فائض للمرة الاولى نتيجة للجهد الكبير الذى قام به العاملون فى الشركة . وبعد عرض تقرير السيد مراقب الحسابات .

## قرارات الجمعية

● اعتماد الميزانية والحسابات الختامية للشركة فى ٣٠ ـ ٦ ـ ١٩٨٦

● صرف العلاوة الدورية للعاملين بنسبة ١٠٠٪

انتهت المقسة . وقبل أن ننتقل الى الارقام دعنى اصارحك بأنى لسم اقرأ فى حياتى شيئا اكثر امتاعا ولا اشد اثارة للخيال من هذه السطور القليلة الموجزة التى نقلتها لك . فكم وراءها من قصص وشخصيات وصراعات وانقلابات . اين الروائى الملهم الذى يصوغ من هذا كله رائعة العصر . عملا شامخا يمكننى ان اصفه منذ الان بأنه ملحمة معكوسة تصور خراب مصر على يد أبنائها ، ونبقى على الزمن لتتأملها الاجيال المقبلة ان كانت هناك اجيال مقبلة .

أما الارقام فتنتظم فى لائحتين : ميزانية العام ٨٥ ـ ٨٦ مقارنة بسابقتها ، وحساب العمليات الجارية للعام نفسه مقارنا بسابقه أيضا . وارجوك ان تنظر معى فى هذه الارقام ، وتقارن بينها وبين الكلام :

ايضاح هامشى : ميزانية أى مؤسسة اقتصادية تحدد بتاريخ معين ـ هو دائما تاريخ نهاية السنة المالية ـ وتنحصر فى بيان الموقف المالى للمؤسسة : مالها وما عليها . أو الاصول والخصوم باصطلاح المحاسبات . والاصول تشمل المبانى والالات التى تعتمد عليها الشركة فى مباشرة عملها ، والخصوم تتمثل قبل كل شىء فى رأس المال الذى يمكن أن

يكون مملوكا لفرد أو افراد باعيانهم أو مقسما الى اسهم تتداول فى سوق الاوراق المالية ، ويمكن ان يسـكون مملوكا كله او اكثره للحـكومة ٠ وتلتزم شركات القطاع العام طبقـا لقانون متفائل جدا بتخصيص قسم من الارباح لسداد رأس المال الـذى قدمته الحكومة ٠

والان الى الميزانيتين :

ميزانية ٨٥ ـ ٨٦
فى ( ١٩٨٦/٦/٣٠ ) بالالف جنيه

| اصول | | خصوم | |
|---|---|---|---|
| ٣٨٤٤٥ | اصول ثابتة | ٥١٠٠٠ | رأس المـال |
| ١٥٠٨٨ | مشروعات تحت التنفيذ | ٣٢٧ | احتياطيات |
| ٤١٣٩ | المخـزون | ١٧٨٧٠ | مخصصات |
| ٥٠٢ | استثمارات | ٨٣٠٤ | قروض طويله الاجل |
| ٣٦٤٥٨ | مدينون وارصدة مدينة مختلفة | ٢٢٦٥٢ | دائنون وارصدة دائنة مختلفة |
| ٥٥٣١ | نقـدية | | |
| ٠٠٠٠٠٠ | عجـز | | |
| ١٠٠١٦٣ | | ١٠٠١٦٣ | |

ميزانية ٨٤ ـ ٨٥
( المفهوم انها تمثل وضع الشركة فى ١٩٨٥/٦/٣٠
ولو ان هذا التحديد لم يرد فى الاعلان )

| اصول | | خصوم | |
|---|---|---|---|
| ٣٩١٠٠ | اصول ثابته | ٥٢٨٣٥ | رأس المـال |
| ١٣٩٠٨ | مشروعات تحت التنفيذ | ٧٦٢٥ | احتياطيات |
| ٣٩٦٩ | المخـزون | ١٩٠٦٢ | مخصصات |
| ١٠٥٤ | استثمارات | ٨٢٩٨ | قروض طويلة الاجل |
| ٢٨٨٢٣ | مدينون وارصدة مدينة مختلفة | ١٤٢٥٧ | دائنون وارصدة دائنة مختلفة |
| ٢٣٩٠ | نقـدية | | |
| ١٢٨٣٣ | عجـز | | |
| ١٠٢٠٧٧ | | ١٠٢٠٧٧ | |



ملاحظة على الهامش ايضا : ارجوك الا تنظر الى هذا الرقم «الشيك» فى مجموع الاصول والخصوم على انه يدل على شىء اكثر من « حجم » الشركة فتساوى الرقمين لا يدل على استقرار المركز المالى للشركة او عدم استقراره ·

ولكنه من مستلزمات « شياكة » المحاسبية · اما اذا اردت ان تعرف حالة الشركة وهل هى « بخير » او « ليست بخير » فعليك ان تنظر فى بند « الفائض » وبند « العجز » ·

لعلك تتساءل ايضا ــ مثلما تساءلت انا ــ عن « المخصصات » · فهى أموال تجنبها الشركة مقابل الضرائب المتنازع عليها والديون المشكوك فى تحصيلها ونحو ذلك ·

اما اذا كانت لديك ملاحظات اخرى فارجو ان تستبقيها حتى نطلع معا على « حساب العمليات الجارية » خلال الفترتين المذكورتين · وهذا نوع من الحساب يلخص نشاط الشركة طوال الفترة ، فهو يختلف عن الميزانية ــ او الموازنة بتعبير ادق ــ التى هى حصر لما للشركة وما عليها فى الوقت الذى يجرى فيه هذا الحصر ·

## حساب العمليات الجارية

## عن سنة ١٩٨٥ ــ ١٩٨٦

| الاستخدامات | المخطط | الفعلي | الموارد | المخطط | الفعلي |
|---|---|---|---|---|---|
| الاجور | ٢٩٢٥ | ٢٧٠٩ | ايرادات نشاط | ٦٤٣٠ | ٦٩٥٤ |
| المصروفات العامة | ٢٩٨٣ | ٢٤٤٥ | | | |
| مشتريات بغرض البيع | ١٠٠ | ٢٤١ | | | |
| المصروفات التحويلية | ٩١٢ | ١٤٣٣ | | | |
| الفائض | | ١٢٦ | | | |
| | | ٦٩٥٤ | | | ٦٩٥٤ |

وعن سنة ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥

| | | | |
|---|---|---|---|
| الاجـور | ٢٧٤٣ | ايرادات نشاط | ٥١٥٩ |
| المصروفات العامة | ٢٥٠٣ | | |
| مشتريات بغرض البيع | ١٤٨ | | |
| المصروفات | ١٧٥٣ | العجـز | ١٩٨٨ |
| | ٧١٤٧ | | ٧١٤٧ |

اذا كنت قد تعودت شيئا من الجرأة فى التعامل مع الارقام الكبيـرة فلابد انك فهمت ان هذه الشركة التى تتجاوز ميزانيتها مائة مليون جنيه ( ويمكن بناء على ذلك ان تعد من الشركات المتوسطة التى يمتلكها القطاع العام ، فحجمها يبلغ خمس حجم شركة الحديد والصلب تقريبا ) قـد اصبحت مدينة باثنى عشر مليونا · ولا يعقل ان يتبدد هذا العجز ـ الذى تراكم خلال سنوات ـ فى سنة واحدة · ولكن كيف يقال ان « معجزة » قد حدثت ؟ تأمل جيدا فى أرقام الاحتياطيات ، وارقام المخصصات ـ وكلها تقريبا تخضـع لتقدير واضع الميزانيـــة · ثم تأمل الفرق بين حجمى الارصـــدة الدائنة والارصدة المدينة فى السنتين ، وهى تمثل معـــاملات الشركة فى الشراء والبيع ، ولاحظ انها زادت فى السنة الثانية عـن السـنة الاولى بمقـــدار ٦ر٢٦٪ تقريبا · والسبب الرئيسى فى هذا واضح وهو ارتفاع الاسعار ، وقد ترتبت عليه زيادة الارصدة النقدية لدى الشركة ·

فاذا جمعت هذا كله تبين لك انه لايزال هناك عجز حقيقى مقـــداره تسعة ملايين ومائتا الف جنيه تقريبا ، ومعنى ذلك ان الادارة الجديدة نجحت حقا فى تخفيض قيمة العجز بنسبة محسوسة · وسيتضح لك هذا بصورة افضل عندما تنظر فى حساب العمليات الجارية عن السنتين الاخيـــرتين · فلا « معجزة » هناك ، لكن بداية يمكن ان تكون جادة ومبشرة ·

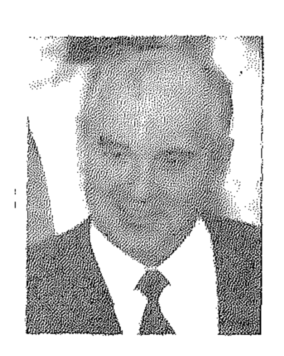
وقد تعودنا ان نرى مثل هذه البدايات فى حياتنا العامة والخاصة · وقد تصورنا ان ننظر اليها بأمل يخالطه قلق شديد ، بل شىء يشبه الخوف · وما ذلك الا لان البدايات الحسنة عندنا كثيرا ما تكون وسيلة لكسب الثقة ، ثم يتبعها سوء استعمال لهذه الثقة · ويزيد قلقنا وخوفنا اذا صحبت هذه البدايات بضجة اعلامية كبيرة ·

ان الامر جد ، وليس فى اداء الواجب فخر · ولايزال الطريق أمامنا طويلا حتى نستطيع ان نهنىء انفسنا باننا حققنا ما يشبه النجاح · أما المعجزات فليست فى مقدور البشر ·

# ثورة تاتشر وجورباتشوف إلى أين؟

بقلم: عبد الرحمن شاكر







مارجريت تاتشر    جورباتشوف

بين المسز تاتشر ،رئيسة وزراء بريطانيا للمرة الثالثة (!)، والرفيق جورباتشوف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفييتي ، علاقة وثيقة ! ولا اقصد هذا المعنى الخبيث ، الذى استنتجته احدى الصحف البريطانية الهازلة من صورة لهما معا ، تعكس فيهما نظراتهما المتبادلة الاعجاب الشخصى العميق الذى يكنه كل منها للاخر ، بالرغم مما هو معروف بينهما من خلافات سياسية ولكننى اقصد ان هناك علاقة ما ، ما بين الاعمال السياسية لكل منهما ، تلك الاعمال التى ادت الى تسليط الاضواء على الشخصيتين ، بحيث اصبح كل منهما ، او الاثنان معاً، علامة على عصره ، أو عصرهما ! عصر (( نقد الاشتراكية )) بعد أن طبقت بصور متعددة فى العالم ، وقد ظهرت هذه الاشتراكية اساسا باعتبارها نقدا تاريخيا للراسمالية .

على سبيل المثال ، لا شك في ان المسز تاتشر قد استفادت فائدة كبرى ، من النقد الهائل الذى يوجهه جورباتشوف للاوضاع الاقتصادية فى بلاده ، التى تاخذ بالنظام الاشتراكى ، فى حملتها الانتخابية الاخيرة ، والتى اعلنت فيها ان هدفها من العودة الى الحكم هو استئصال شأفة الاشتراكية فى بريطانيا ! كان لسان حالها كان يقول للناخبين البريطانيين : « لقد رأيتم مقدار خيبة الاشتراكيين فى روسيا بحيث يعيدون النظر فى جميع اوضاعها هناك ، فلماذا تحرصون عليها ، ونحن - اى البريطانيين - بلد الراسمالية العريقة ؟ ولكنها - بالطبع - لم يكن فى وسعها ان تدعو الى عودة الراسمالية المطلقة - على جثة الاشتراكية الممزقة - ولكنها تسميها « الراسمالية الشعبية » ، واداتها فى ذلك هو بيع شركات القطاع العام ، ليس للراسماليين الكبار وحدهم ، ولكن بيع اسهمها للعناصر الشعبية ايضا ، بمن فيهم العمال الذين يعملون فى تلك الشركات ذاتها .

لا بأس !... فبعض الافكار « الاشتراكية » التى ظهرت قبل كارل ماركس ، والتى أطلق عليها ماركس اسم « الاشتراكية الطوباوية » ، او الخيالية والمثالية ، مثل افكار روبرت اوين ، وسان سيمون وسواهم ، كانت تدعو الى تملك العمال للمصانع على صورة اتحادات للمنتجين ، وقد فشلت تجارب اولية فى هذا النوع اقامها اوين فى بريطانيا ، ثم فى امريكا ، الامر الذى دعا ماركس الى اعلان مذهبه فى « الاشتراكية العملية » ، وذهب فيه الى ان على الطبقة العاملة ان تستحوذ على السلطة السياسية اولا فى مجتمعها ، ثم تصادر المصانع او تؤممها ، بمعنى ان تتملك الطبقة العاملة أدوات الانتاج كلها دفعة واحدة ، من خلال الدولة التى تحكمها !

وقد حدث شيء مشابه بوصول حزب العمال البريطانى احيانا الى الحكم ، وقيامه بتأميم عدد كبير من الشركات الصناعية ، باسم الاشتراكية ، التى تريد المسز تاتشر ان تستأصلها الان ، على اساس ان هذا الطريق قد فشل اقتصاديا ، وادى الى تفشى الكسل فى اوساط العمال ، وتدهور الصناعة البريطانية ازاء المنافسة الاجنبية وبخاصة فى اليابان والمانيا ، وهى تحاول حاليا العودة عن هذا الطريق من خلال راسماليتها الشعبية .

اما فى روسيا ، فقد قامت الثورة الاشتراكية فيها ، خلال طريق اكثر مشقة وتعقيدا ، من وصول حزب العمال البريطانى الى الحكم عن طريق الانتخابات ، فى ذلك البلد الديمقراطى العريق المتطور صناعيا ، بل موجد الثورة الصناعية ، كانت روسيا فى اوائل القرن العشرين اكثر بلدان اوربا تخلفا من الناحية الصناعية والاقتصادية عامة ، كانت تسودها اوضاع شبه اقطاعية فى ظل استبداد القياصرة ، يعانى فيها الفلاحون ، الذين لم يكادوا يتحررون من رق الارض ، وعمال الصناعة الوليدة جميعا من الاستغلال البشع، على ايدى كبار الملاك وحلفائهم من الراسماليين ، وكثير منهم كانوا من اصحاب الاحتكارات الدولية الكبرى فى الغرب المتقدم صناعيا . وزاد من ضراوة الاوضاع الاقتصادية واشتداد وطأتها على العمال والفلاحين الروس ، الحروب المتوالية الخاسرة التى خاضتها القيصرية ، مثل هزيمتها امام

# ثورة تاتشر وجورباتشوف إلى أين؟

اليابان عام ١٩٠٤ ، وهزيمتها في الحرب العالمية الاولى أمام الالمان ، حيث كان الجنود يموتون جوعا في ميادين القتال قبل ان يقتلهم رصاص الاعداء ، واخوتهم الفلاحون لا يكادون يجدون ما يقتاتون به مما تنهبه « الدولة » منهم باسم الحرب، بحيث كان الشعار الذى وصل به البلاشفة الى حكم البلاد يتلخص فى كلمتين « السلام والارض » · السلام للجنود الذين يهلكون فى حرب لا صالح لهم فيها ، والارض للفلاحين الذين لا يتبقى لهم شىء مما يزرعون ويفلحون !

## وجها العملة

شتان ما بين الوضعين ، وظروف تطبيق الاشتراكية فى كل من البلدين بريطانياالعظمى ، وروسيا أو الاتحاد السوفييتى حاليا · ولكن الوضعين كانا يمثلان وجهين لعملة واحدة هى التطور الرأسمالى المصاحب للثورة الصناعية :

● الوجه الاول : هو التطور الرأسمالى الحر او المفتوح ، فى البلدان الصناعية فى الغرب ، وفى مقدمتها انجلترا وطن الثورة الصناعية كما تقدم · كان لهذا الوضع تناقضاته الخاصة منذ بدايته ، وقد لخصها كارل ماركس ـ الذى استند الى دراسة تاريخ الاقتصاد البريطانى فى تاليفه كتاب رأس المال الذى يعتبر انجيل الاشتراكية العلمية ، فى تناقضين رئيسيين :

أولهما : هو التناقض ما بين الرأسمالية مالكة وسائل الانتاج ، والطبقة العاملة او البروليتاريا التى لاتملك الا قوة عملها تبيعهاللرأسمالى فى سوق العمل ، ويحرص الرأسمالى على أن يشترى تلك القوة بأرخص الاسعار ، وبعبارة أخرى أبخس الاجور ، لكى يستثمرها فى انتاج « فائض القيمة » الذى تزداد به ثروته وينمو رأسماله ، ومن مصلحة الرأسمالية فى ظل هذا الوضع ان يكون هناك « جيش احتياطى » من العمال الصناعيين المتبطلين ، الذين يمكن اقناعهم بقبول الاجر الاقل لمجرد الحصول على عمل وعلى لقمة العيش ، وبالتالى فمشكلة البطالة هى اكبر ما يواجه الطبقة العاملة ويجعلها بحاجة الى تغيير النظام الاقتصادى والاجتماعى ككل لتحقيق فرص العمالة الكاملة ·

أما ثانى تلك التناقضات فهو التناقض ما بين الرأسماليين وبعضهم البعض حيث يتنافسون على الاسواق، والكبير القادر منهم يأكل الصغير العاجز فى ميدان المنافسة بحكم تخلف أساليب انتاجه ، بما فى ذلك الحرفيون وأصحاب المصانع الصغيرة ممن أطلق عليهم كارل ماركس اسم « البرجوازية الصغيرة » · وهذه الطبقة الاخيرة هى التى يهددها الاستقطاب الذى يجرى باستمرار فى المجتمع الرأسمالى ، بحيث ترتفع قلة الى مستوى « البرجوازية الكبيرة » بينما تتحول الاغلبية ، بعد أن تفقد رأسمالها فى السوق التى لا ترحم ، الى عمال او بروليتاريا لا تملك الا قوة عملها ·

كان كارل ماركس يتوقع أن تقدم الثورة الاشتراكية اولا فى البلدان المتقدمة صناعيا بحكم مفعول هذين التناقضين الاساسيين ، وكانت الطبقة المرشحة عنده للقيام بتلك الثورة هى

الطبقة العاملة أو البروليتاريا بعد تنظيمها فى شكل حزب سياسى اشتراكى ، كما كان يتوقع ان تنضم « البرجوازية الصغيرة » بما فيهما الفلاحون الى تلك الثورة باعتبارها بديلا للحلم المفقود فى التحول الى برجوازية كبيرة ·

● الوجه الثانى : هو التطور الذى حدث فى المجتمعات الزراعية المتخلفة ، والتى غزتها الراسمالية القادمة من البلدان الصناعيةالمتقدمة فى بحثها عن الاسواق الخارجية ، وحولتها الى مستعمرات او اشباه مستعمرات وكثيرا ما كانت تلجأ الى القوة فى السيطرة على تلك الاسواق، فاذا ما تم لهما ذلك اغرقت تلك البلدان بانتاجها الصناعى المتطور ، قاضية بذلك على ما قد يكون لديها من أساليب انتاج بدائية ، وفئات متعددة منصغار الصناع والحرفيين، بل انها كانت تفرض أنماطا جديدة من الاستهلاك لم تعرفها تلكالمجتمعات من قبل ، وشيئا فشيئا تصبح هذه الانماط أمرا لا غنى عنه لحياة تلك المجتمعات ، وتصبح حاجتها الاولى هو أن تصبح قادرة على صنع أمثالها ، بدلا من استيرادها بأثمان قد تكلفها ثرواتها كلها ثم لاتستطيع أن تستوفى احتياجاتها الا بالديون التى تعجز عن سدادها ، كما هو الحال الان بالنسبة لما يطلق عليه اسم العالم الثالث ·

بعد عصر كارل ماركس اصبح اللحاق بركب الثورة الصناعية هو المشكلة الرئيسيةالتى تواجهالمجتمعات المتخلفة اقتصاديا · وكانت سلسلة الثورات الديمقراطية او الدستورية التى شهدتها تلك المجتمعات فى القرن الماضى وأوائل القرن الحالى ( كالثورة العرابية فى مصر ) ، ثم الثورات الوطنية على الاستعمار ( ثورة ١٩ ) تستهدف تحقيق التطور الصناعى بالطريقة الراسمالية وعلى أيدى الطبقات الصناعية الوليدة · ولكن معظم هذه الثورات أخفق فى الوصول الى هذا الهدف فى مواجهة العصر الامبريالى الذى تطورت اليه الراسمالية الصناعية فى بلدان المغرب المتقدمة ، والتى اضافت الىتناقضات الراسمالية داخلهما ، تناقضين جديدين :

اولهما : التناقض ما بين الدول الامبريالية الصناعية المتقدمة وشعوب المستعمرات التى تناضل ضدها ·

والثانى : هو التناقض ما بين الدول الراسمالية الصناعية الكبرى ذاتها فى التنافس على المستعمرات ، الذى وصل الى حد الحروب العالمية الكبرى التى تستخدم فيها الاسلحة الفتاكة القائمة على الصناعة الحديثة ·

وكان لينين هو الذى اكتشف هذين التناقضين فى دراسة للامبريالية ، ورأى ان الثورة الاشتراكية سوف تقوم أولا فى البلد الذى تصبح فيه تناقضات الراسمالية الامبريالية مجتمعة أكثر من غيرها بغض النظر عن مدى تطورها الصناعى ، وقد حدث بالفعل ان قامت الثورة الاشتراكية فى روسيا بقيادته عام ١٩١٧ ·

ولكن الامر الذى لم يتبينه لينين بوضوح حينما قاد تلك الثورة ، وانما يتبينه جورباتشوف تماما فى الوقت الحالى ، هو أن الاشتراكية الروسية ، انما قامت لتحقيق ما عجزت الراسمالية عنه من تطور صناعى · بل ان بعض المعلقين قد وصف سياسة ستالين فى تصنيع الاتحاد السوفييتى ، بكل ما كان فيها من ضراوة هى موضع النقد الان ، بأنها أشبه بالعصر الحديدى

# ثورة تاتشر وجورباتشوف إلى أين؟

للثورة الصناعية في بريطانيا ·
بينما الاشتراكية في بريطانيا كانت شيئا آخر ، كانت محاولة لتدليل الطبقة العاملة البريطانية واشراكها في بعض غنائم الثروة التي كانت تجنيها تلك الامبراطورية من نهبها الواسع النطاق لمستعمراتها ! وقد أصبحت موارد الامبراطورية العجوز اضال من ان تحتمل كل الفتات الذى كان يلقى الى عمالها ·

اما اذا كان جورباتشوف يعيد النظر الان في كثير من الأوضاع الاقتصادية في بلاده ، بما في ذلك ادخال بعض الاساليب الراسمالية وتطبيق ما يسمى باقتصاديات السوق ، فذلك لان المهمة الاساسية للاشتراكية في بلاده كانت القيام بالدور الذى عجزت الراسمالية عن القيام به في انجاز التطور الصناعي ، وقد قطعت في ذلك شوطا لا مراء فيه ·

غير أن ما يجمع كلا من المسز تاتشر وجورباتشوف هو أن كلا منهما يسعى الى اللحاق بركب الثورة الصناعية الثانية او الثورة التكنولوجية التي تقودها الولايات المتحدة الامريكية ، وتنافسها فيها اليابان ثم المانيا الغربية ، ويعتبر جورباتشوف ان اعباء التسلح الباهظة تمثل معوقا رئيسيا أمام بلاده للحاق بتلك الثورة ، فهو لذلك يسعى الى التصالح العالمي على أوسع نطاق وخاصة مع الولايات المتحدة الامريكية ، اما المسز تاتشر فهي تعرف انهما لا تمثل احدى القوتين العظميين في العالم ، وليس لها مصلحة في أن يتوقف استنزاف مواردهما في التسلح النووى والصواريخ العابرة للقارات وحرب الكواكب وما الى ذلك ، بل ان مصلحتها او مصلحة بلادها كما تراها ، هي في ان يستمر سباق التسلح ما بين القوتين العظميين ، لعل بلادها تعود لتصبح واحدة من القوى العظمى بعد ذلك على حسابهما ولهذا تسعى جهدها الى افساد جهود التصالح على أساس استبعاد الاسلحة النووية والصواريخ ما بين هاتين القوتين العظميين ، بدعوى الدفاع عن امن اوربا الغربية !

ولكن يبدو أن زعماء المانيا الغربية لهم موقف اخر خلاف المسز تاتشر ، والتصالح بالنسبة لهم يبدو فرصة لكي يبيعوا للسوفييت الكثير من التكنولوجيا الالمانية المتطورة ، كما انه قد يكون فرصة للاقتراب من حلمهم القومى في اعادة توحيد المانيا ! وهو امر يتوقف تحقيقه في رأى المراقبين الاوربيين ، على زوال انقسام اوربا بأسرها الى معسكرين·

يبقى بعد ذلك أن مصير كل من ثورة مسز تاتشر باسم « الراسمالية الشعبية » ، وجورباتشوف نحو « الاشتراكية المعدلة » ان تخضعا ومعهما بقية العالم لما تتمخض عنه الثورة الرئيسية حاليا في التاريخ المعاصر ، وهى الثورة التكنولوجية الهائلة ، التى لا يستطيع انسان ان يزعم لنفسه القدرة على التنبؤ بكل احتمالات تأثيرها على الحياة الانسانية جميعها ، الا في ازدياد الوعى بضرورة تلافى خطرها على مجرد وجود هذه الحياة ذاتها !··
وهذا ما يجعل ثورة جورباتشوف واتجاهها نحو التصالح الدولى اكثر ايجابية من أحلام تاتشر الامبراطورية·



# الجنيه الطائر

شعر : أحمد قاسم أحمد

بين الجنيه وبيني     امر يسبب حزني .
ان رمت منه بقاء     الفيه يفلت مني
شرعت اغرى جنيها     لكي يقيم بامن
فقلت : عندي مكان     يكاد يرقى لحصن
تعيش فيه معافى     فقال : تقصد سجني ..؟
اني خلقت طليقا     لكل حر وفن
اقضي زماني سيرا     حتى اصادف حيني
فقلت : عندي ثياب     تكسوك دوما بحسن
فقال : غير مبال     ان التجرد شاني
على نقش جميل     عن الملابس يغني
فقلت : عندي طعام     اغذوك شهدا بسمن
فقال : اطعم فقيرا     ما كنت صاحب بطن
فقلت : تنوي فرارا ..؟     فقال : قد حان بيني
بالقرب بائع حلوى     لديه من كل فن
فخذ لاهلك شيئا     بي ، وسلم ودعني
فقلت : امر حبيب     من اجل بنتي وابني
عليك مني سلام     ان شئت يوما فزرني
سبحان ربي يغني     اذا اراد ويقني

احمد قاسم احمد



# عندما يتخاصم الفلاسفة

بقلم : د. أحمد أبو زيد

●● قصة الخصومة بين الفيلسوف الوجودى جان بول سارتر والفيلسوف المؤرخ السياسى ريمون آرون ●●

---

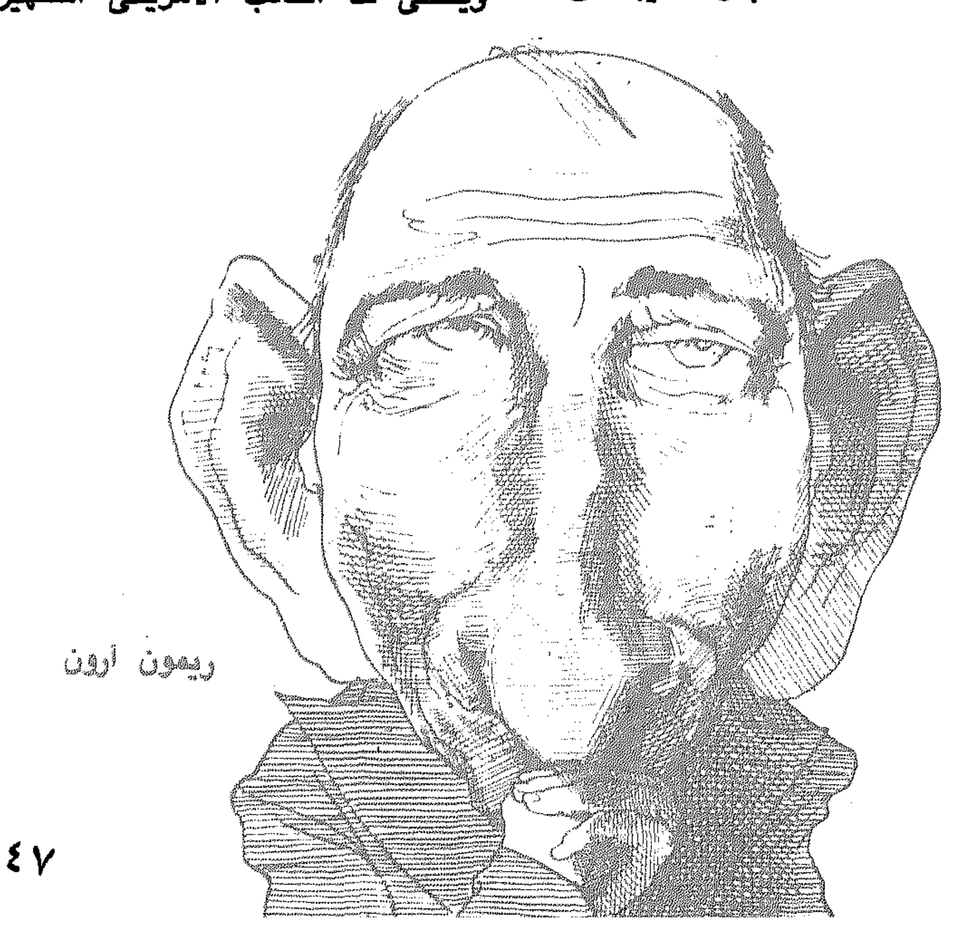
تاريخ الفكر العالمى زاخر بالجدل والخلافات والمساجلات الفكرية العنيفة بين المفكرين والأدباء والفلاسفة بل واحيانا بين العلماء وكثيرا ماتتحول هذه الخلافات والمساجلات الى خصومات وعداوات شخصية تخرج باصحابها من دائرة الحوار الهادىء المتزن الى تبادل الاتهامات ومحاولات النيل من المكانة الادبية او العلمية والتعرض بالنقد والتجريح المهين للسلوك الشخصى والعلاقات الخاصة ، ويصل ذلك الى حد الاسفاف الذى لايخلو من ابتذال فى بعض الاحيان حين ينشب الخلاف بين اشخاص كانت تقوم بينهم في وقت من الاوقات علاقات قوية من الصداقة التي ترتكز على التفاهم والاعجاب المتبادل والتقارب الفكرى وتشابه النظرة الى الحياة والى المستقبل والايمان بنفس القضايا والاهداف ثم لايلبث ان يتبدل الحال نتيجة لتغير الظروف فتختلف التطلعات وتتضارب الأهواء وتتعارض المصالح . وعلى الرغم مما قد تتصف به هذه الخصومات من مهاترات وقسوة وسخرية وتجريح وتعريض فانه تساعد بشكل أو باخر على إثراء الفكر وتعميقه وان كانت تكشف فى الوقت ذاته عن بعض جوانب الضعف البشرى الطبيعى الذى لايسلم منه حتى كبار المفكرين والفلاسفة والادباء والعلماء والمبدعين والذى يتخفى وراء قناع زائف من بريق الفكر الراقي والسلوك المهذب والرقة المصطنعة .

وفى تاريخ الفكر الغربى او بالذات الفكر الفرنسى المعاصر كان الفيلسوف الفرنسى الوجودى جان بول سارتر من اكثر المفكرين اختلافا وصراعا مع معاصريه بل واصدقائه من المفكرين والمثقفين ، وله فى ذلك خصومات شهيرة ربما كان من اهمها واطولها خصومته مع زميل الدراسة وصديق الشباب الفيلسوف السياسى الاجتماعى ريمون آرون فقد امتدت هذه الخصومة الى مايقرب من ثلاثين سنة حتى وفاة سارتر عام ١٩٨٠ وكان سارتر دائما هو المهاجم المعتدى الساخر اللاذع بينما كان آرون يبدى فى خصومته كثيرا من الترفع والتعفف الذى يحمل بين طياته قدرا لابأس به من الايذاء الخفى والاستهانة بسارتر وارائه وافكاره ومواقفه وحين اصدر ريمون آرون مذكراته عام ١٩٨٣ بعد وفاة سارتر باكثر من ثلاثة اعوام كانت تلك العلاقة بكل مافيها من حب ومودة وصداقة وجفاء وتعقيدات وصعوبات تؤلف خطا واضحا وتشغل جانبا لابأس منه فى الكتاب فالخصومة لاتعنى عدم وجود علاقة بالمرة وانما هى علاقة من نوع معين وفيها اعتراف بوجود الطرف الاخر وبالدور الذى يلعبه طرفا الخصومة فى حياة كل منهما وتفكيره وآرون يعترف بذلك بطريقته الخاصة المتواضعة الرقيقة المهذبة التى لايجيدها سارتر باسلوبه الثائر الصاخب اللاذع الملتهب .

ولقد كان من المحتم على اية حال أن يحدث ماحدث بين ( الصديقين ) القديمين اللذين يختلفان رغم صداقتهما القوية فى مقومات الشخصية ومكونات المزاج الخاص .

## ● أحلام تتحقق

ويحكى لنا الكاتب الامريكى الشهير



ريمون آرون

## عندما يتخاصم الفلاسفة

سكوت سوليفان ان ( الشابين ) سارتر وآرون اللذين يصفهما بانهما كانا من ابرع واذكى وفى الوقت ذاته من انجح ابناء جيلهما واكثرهم دمامة تعاهدا ذات يوم من عام ١٩٢٦ وهما يسيران معا فى حى الجامعة بباريس على ان يعملا فى صبر ومثابرة لكى يصلا الى اعلى مايمكن ان يصل اليه المثقف المفكر من شهرة وسمعة وصيت . وكان اطول الاثنين ( آرون ) يبدو واثقا من نفسه وانه يعرف طريقه تماما وهو يقول فى شىء من الزهو والخيلاء انه سوف يحاكى فى اعماله وكتاباته هيجل بعد سنوات قليلة . وقد كتم صديقه ( سارتر ) ضحكة ساخرة كادت تصدر منه لدى سماعه ذلك ، واخذ يتكلم بشكل عام عن بعض الفلاسفة الا مان الذين أتيح له ان يتعرفهم من كتاباتهم وبالذات عن اثنين من رواد الوجودية وهما هوسرل وهايدجر . وقد حققت الايام كثيرا من احلام هذين الشابين مثلما حققت احلام كثيرين غيرهم ممن ارتبطوا بهما بعلاقات الصداقة اثناء الدراسة واتيح لهم ان يحتلوا فيما بعد مكانة مرموقة فى مجالات الفكر والادب والفن فى فرنسا مثل سيمون دى بوفوار صديقة سارتر الشهيرة وسيمون فيل التى تركت بعد موتها المبكر نسبيا عددا لا بأس به من الكتابات التى تعبر عن نظرتها العميقة الى الدين ودوره فى الحياة وتعارض فيها مواقف سارتر الالحادية .

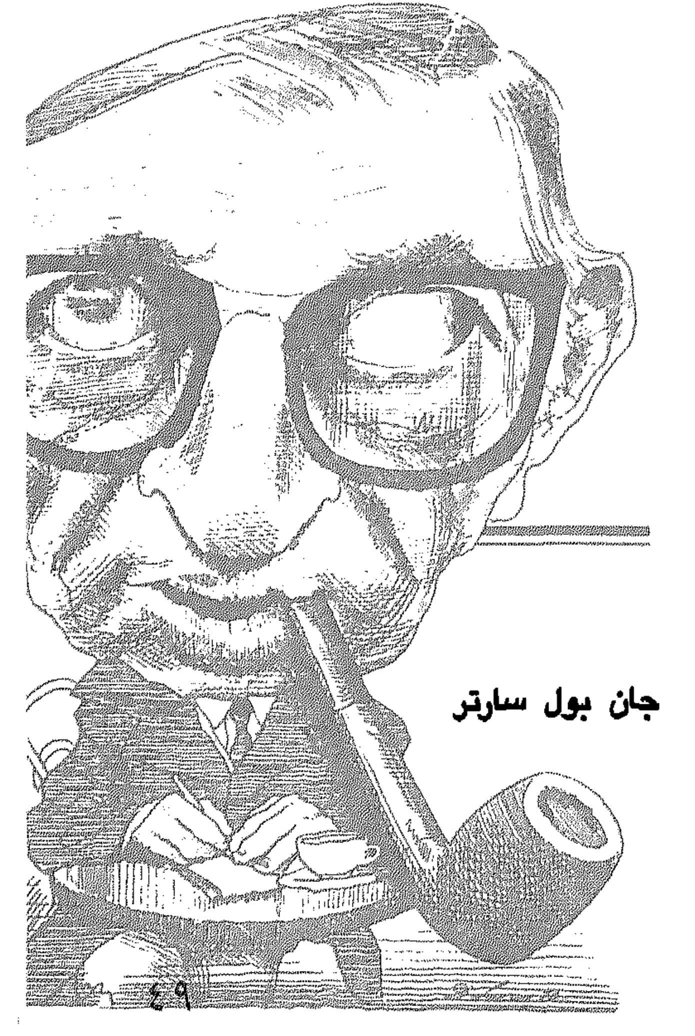
وقد عصفت احداث السياسة الدولية وقيام الحرب العالمية الثانية بكثير من روابط الصداقة وباعدت بين الزملاء والاصدقاء فقد اضطر ريمون آرون وسيمون فيل الى الهجرة الى انجلترا امام الغزو النازى لباريس . وفى لندن ماتت سيمون فيل بينما اسهم آرون فى الاشراف على صدور ( فرنسا الحرة ) وحين عاد الى فرنسا بعد تحريرها اختار ان يتجه الى العمل فى الصحافة فى باريس وفضل ذلك على الالتحاق بالتدريس فى الجامعات الاقليمية رغم انه كان يهيىء نفسه طيلة الوقت للحياة الاكاديمية التى هى اقرب الى طبيعته وميوله . وارتبط لفترة طويلة بجريدة الفيجارو ثم الاكسبرس حتى اتيح له عام ١٩٥٥ وهو فى سن الخمسين ان يشبع الجانب الاكاديمى فى شخصيته وتكوينه حين انتخب لشغل كرسى الاستاذية فى السوربون واستطاع بذلك ان يجمع بين الكتابة فى الصحافة السياسية وبين التدريس فى الجامعة وان يصدر عددا كبيرا من الكتابات السوسيولوجية والسياسية التى كان لبعضها وزن كبير ودوى هائل مثل كتابه الشهير « افيون المثقفين » كما اتيح لسارتر من الناحية الاخرى ان يسيطر على جانب كبير جدا من الحياة الثقافية والفكرية فى فرنسا لنصف قرن تقريبا وبدا كما لو كان ( الصديقان ) القديمان يتقاسمان فيما بينهما مواقع الريادة والاشراف والتوجيه فى المجالين الاساسيين فى الفكر الفرنسى المعاصر وهما مجال الابداع ( سارتر ) ومجال التحليل النقدى ( آرون ) .

ولكن هذه الصداقة لم يكن ليقدر لها ان تستمر . وهذا امر طبيعى الى حد كبير فى

جو باريس الثقافى المشحون بالصراع الفكرى والجدل والمشاحنات الايديولوجية التى تنعكس فى كثير من الاحيان على العلاقات الشخصية وتسىء اليها . وقد حدث الصدام بين سارتر وآرون اوائل الخمسينيات وهو صدام له مبرراته القوية التى تكمن فى اختــلاف التــوجـه الايديولوجى لكل منهما وتباين المواقف السياسية والعقائدية ثم ـ وهذا عنصر مهم للغاية ـ الغيرة التى كان يشعر بها كل منهما ازاء ماحققه الاخر من نجاح وشهرة رغم اختلاف مجال التخصص والاسلوب الذى اتخذه كل منهما للتعبير عن آرائه وأفكاره .

● شهرة فائقة

وليس من شك فى ان سارتر من حيث هو فيلسوف ومفكر وجودى وكاتب مسرحى يشارك مشاركة ايجابية وفعالة فى كل الاحداث السياسية والاجتماعية التى تموج بها الحياة اليومية فى باريس ويؤازر كل حركات التمرد والثورة على الاوضاع السائدة فى فرنسا اكتسب شهرة فائقة تجاوزت اوساط المثقفين فى فرنسا ووجدت لها صدى فى كثير من انحاء العالم حتى بين القطاعات والفئات التى لاتكاد تعرف عن الوجودية غير اسمها . وهذه شهرة لم يتح لارون ان يحظى بها رغم الدور الجوهرى الذى لعبته كتاباته فى الحياة الفكرية والسياسية فى فرنسا بل ان سيمون دى بوفوار التى تعتبر بوجه عام شخصية ثانوية اذا قيست بسارتر ومكانتها فى تاريخ الفكر كانت تتمتع بقدر هائل من الشهرة ومن البريق الاجتماعى ليس فقط بسبب ارتباطها بسارتر ولكن ايضا بفضل اعمالها الروائية الاكثر انتشارا بغير شك من الكتابات الاكاديمية الرصينة التى كانت تصدر عن قلم آرون وكذلك بفضل مساندتها لحركة تحرر المرأة وغيرها من حركات التمرد الاجتماعى فهذه مواقف تختلف كل الاختلاف عن مواقف ارون الاستاذ الجامعى الذى يتمسك بالقيم الاكاديمية ويحيا الحياة العلمية الرصينة وينأى بنفسه عن ان يشارك فى المسيرات حتى وان كان يؤازر القضايا التى تكمن وراءها . وقد التزم آرون بهذا الموقف المتزن فى كل مجالات انشطته المختلفة التى كان يمارسها كمعلق سياسى يكتب مقالا تحليليا كل اسبوع يتطلب منه الموضوعية ووضوح الرؤية والامـانة



جان بول سارتر

# عندما يتخاصم الفلاسفة

والدقة فى العرض . ولذا فان الشهرة الواسعة العريضة التى حققها سواء فى المجال الاكاديمى المتخصص أو فى مجال الكتابة السياسية فى الصحف لايمكن ان تقاس ـ رغم اهميتها واتساعها ـ بما حققه سارتر من شهرة ومجد نتيجة للكتابة الفلسفية والمسرحية والادبية ومشاركته الفعالة فى احداث المجتمع ومكونات شخصيته التى تختلف كل الاختلاف عن شخصية آرون الوقور الهادىء الذى لايجرى وراء الشهرة ولا يحاول ان يجذب اليه الانظار او الاضواء بمواقف مسرحية درامية او باسلوب ملتهب يثير حماس الفرنسيين وخيالهم . ولذا فانه بدلا من ان يترجم آراءه وافكاره فى اعمال مسرحية او روائية مشوقة تحقق له الشهرة وذيوع الصيت بين جماهير عريضة وعلى نطاق واسع كان يفضل التحليل المنطقى الهادىء العميق للاحداث السياسية والاجتماعية الكبرى ويقف منها موقف المفكر الموضوعي وليس موقف الكاتب المبدع الذاتى المتطرف . وقد ظل ملتزما بهذه القاعدة حتى اخر لحظة من حياته الا فى بعض حالات قليلة جدا كان يستخدم فيها بعض العبارات الساخرة التى يهزأ فيها من سارتر ومن مواقفه التى كان يستجدى بها الشهرة واعجاب جماهير الشباب الثائر المتمرد كما حدث فى حركة الطلاب الشهيرة عام ١٩٦٨ . وقد كان آرون يرفض ان تكون الحركة تعبيرا عن ايديولوجية عالمية ويراها مجرد خليط من كل انواع ومظاهر الاحتجاج ومختلف التطلعات التى يموج بها المجتمع الفرنسى بمختلف فئاته ، وانها على هذا الاساس مجرد نموذج من نماذج التعبير عن خيبة الامل فى الحضارة الحديثة . ومع ذلك فالذى لاشك فيه هو ان آرون كان يشعر بغير قليل من الغيرة الممزوجة بالمرارة من كل ماحققه سارتر من نجاح وشهرة على مختلف المستويات وفى مختلف الاوساط الثقافية وشبه الثقافية ولكن الذى لاشك فيه ايضا هو ان سارتر كان يشعر هو الاخر بغير قليل من الغيرة الممزوجة بالمرارة من نجاح آرون فيما اخفق هو فيه ، وهو ان يكون له مكان فى الحياة الاكاديمية فى السوربون خاصة ان فلسفته الوجودية رغم كل ماحققته من انتشار لم تكد تحظى باهتمام اساتذة السوربون الذين لم يكونوا حريصين على تدريسها أو تعريف طلابهم بها .

والواقع ان سارتر كان يتميز على آرون ببعض القدرات والمواهب الابداعية التى ساعدته على ان يحتل تلك المكانة المتميزة فى الحياة الثقافية بينما دفعت آرون من الناحية الاخرى الى ان يتخذ من ( صديقه ) موقف الاستعلاء الذى يخفى وراءه جانب الضعف والقصور فى تلك القدرات ، فعلى الرغم من ان آرون كان من ابرع رجال الفكر السياسى واكثرهم ذكاء وقدرة على الفهم والتحليل فانه كان يفتقر الى تلك الموهبة الادبية والقدرة على التعبير باسلوب شائق يتميز بسحر الكلمات وجزالة اللفظ . صحيح ان كتابات آرون لم تكن تخلو تماما من المرونة والقدرة على التعبير والاداء الدقيق

الواضح الا ان اسلوبه كان يخلو من الشخصية المتميزة بل انه كثيرا ماكان يدفع القارىء الى الملل والضجر ، ولاتكاد كتاباته تشتمل على صيغ او عبارات تلصق بذهن القارىء وتحفر لها مكانا فى ذاكرته . وقد يكون ريمون أرون اكثر حيوية وتدفقا وتلقائية فى الحديث والمحاضرة عنه فى الكتابة . وهذا هو الذى جعل كتابه ( المتفرج الملتزم ) اكثر اعماله حيوية وتشويقا لانه كان فى الاصل احاديث ومقابلات وأسئلة واجوبة اذيعت فى التليفزيون فى السبعينيات ، وتناولت حياته وفكره واعماله . وهو من هذه الناحية يختلف كل الاختلاف عن كتابه الطويل ( مذكرات ) الذى يعرض فيه لهذه المسائل ذاتها ولكن بطريقة ثقيلة على النفس . وربما كان ادراك أرون لافتقاره لهذه الموهبة وراء احجامه عن اتباع الطريق الذى سلكه سارتر والذى جلب له الشهرة وهو طريق الكتابة المسرحية لعرض افكاره وارائه .

● طرفا نقيض

ثم كانت هناك الى جانب ذلك بعض الاختلافات الاساسية فى الموقف الفلسفى لكل منهما . وقد اخذت هذه الاختلافات تزداد وضوحا بمرور الزمن حتى ظهر انهما يقفان على طرفى نقيض تماما فى كل شىء بما فى ذلك السلوك الشخصى والقيم التى يتمسك بها كل منهما فى حياته اليومية الخاصة وعلاقاته مع الناس ... كان سارتر المفكر الفيلسوف الوجودى يعتقد أنه ينبغى على كل فرد ان يحدد لنفسه قانونه الاخلاقى الذى يتبعه فى حياته وينادى بمبدأ ( الالتزام ) الراديكالى بالحركة الثورية الماركسية وكانت اتجاهاته وميوله اليسارية واضحة كل الوضوح فى كتاباته وتصرفاته ومشاركته فى حركات التمرد الاجتماعى ومناداته صراحة بامكان الالتجاء الى العنف الثورى لتحقيق الاهداف الثورية كما كان مغرما الى حد كبير بالخروج على الاوضاع التقليدية المتعارف عليها فى الحياة العامة والحياة الفكرية على السواء بحيث انه كان يرفض الزواج من صديقة عمره التى ارتبط بها طيلة حياته كما كان كل عمل من اعماله يأتى بمثابة صدمة فكرية جديدة لهذه الاوضاع والتقاليد الراسخة المتأصلة فى الفرد والمجتمع . ولقد بدأ أرون حياته هو ايضا بالاهتمام بالماركسية ولكنه لم يلبث ان تحول الى الوسط السياسى واخذ يعارض بعنف وشراسة ماكان يسميه بالشمولية السوفييتية . وكان أرون يكتب تعليقاته على الاحداث السياسية فى جريدة الفيجارو مما جعل اسمه يرتبط بالتيارات اليمينية ومع انه لم يكن يتبع اى اتجاه حزبى معين بالذات فانه كان بوجه عام يقف موقفا معاديا للشيوعية فى وقت كان معظم المثقفين الفرنسيين يتجاوبون مع الماركسية ويتعاطفون مع الاتحاد السوفييتى . ويظهر ذلك بوضوح فى كتابه « افيون المثقفين » الذى ظهر عام ١٩٥٥ والذى هاجم فيه بشدة النظرة التى كانت تسود فى كثير من الاوساط الثقافية فى فرنسا عن ان النظام السوفييتى هو امل العالم وطريقه الوحيد الى الخلاص .. وكان موقف ارون اقرب الى الليبرالية التعددية ويتخذها منهاجا لسياسته وتفكيره ، وان كان اعداؤه يعتبرونها شكلا

## عندما يتخاصم الفلاسفة

اخر من اشكال الرجعية التى كانوا يرفضونها بحكم اتجاهاتهم اليسارية ، كما ان عداءه الشديد المستمر للاتحاد السوفييتى كان مثارا للشك والارتياب والتساؤل من جانب هؤلاء المفكرين اليساريين الذين كانوا يسيطرون بغير شك سيطرة تكاد تكون تامة على مسار الحياة الثقافية والفكرية فى فرنسا . وهكذا وجد هذا المفكر الهادىء الرصين الوقور الملتزم بقواعد الحياة الاكاديمية الجادة والمتمسك بروابط الحياة العائلية المحترمة وقواعد ومبادىء الموضوعية وجد نفسه محاطا من كل الانحاء بالتيارات الفكرية الثائرة والمتمردة واليسارية التى لم يكن يقبلها واصبح فى اخر الامر ( مغتربا ) فى المجتمع الفرنسى المثقف وسجين عالمه الخاص . ومع ذلك فقد ظل يأبى ان ينزل عن نظرته الموضوعية للاشياء وعن استقلاله الفكرى لدرجة انه حين عمل مستشارا ومساعدا لاندريه مالرو فى وزارة ديجول الاولى لم يتردد فى ان يخرج على ( الجنرال ) رغم اعجابه الشديد به وان يبتعد عن العمل السياسى الرسمى لكى يحتفظ لنفسه بمكانته ومنزلتــه واستقلاله فى الرأى وفضل على ذلك كله ان يلعب دور ( المتفرج الملتزم ) حسب التعبير الذى اطلقه وارتضاه لنفسه .

### ● عدو المثقفين الفرنسيين

وهذا موقف فيه ( شىء غير فرنسى ) على مايقول الاستاذ جون ويتمان يتمثل فى النظرة المحايدة ( الباردة ) غير الانفعالية للقضايا الحساسة الهامة التى تهز المجتمع الفرنسى وتلهب مشاعر وخيال المثقفين الفرنسيين الذين يميلون بشكل عام الى الاعجاب بالكتاب ذوى الاقلام الثائرة الملتهبة حتى وان كانت كتاباتهم تفتقر الى الدقة والوضوح والموضوعية ويفضلونها على الكتابات والاراء المتحفظة او ( اليمينية ) . ولذا كان أرون يعتبر العدو رقم واحد للمثقفين الفرنسيين حتى فترة قصيرة قبل موته . فمع انه كان يتعرض للماركسية فى مقالاته وكتاباته ومحاضراته فإن تحليله لها كان موضوعيا ومتزنا باعتبارها نظرية لها مكانتها واهميتها فى عالم الفكر وانه يجب على هذا الاساس عرض ارائها بدون تحيز او تحامل مع تبيين مابها من نقص وزيف ، كما كان يعتبر الثورة نوعا من الهروب الذى يلجأ اليه المثقفون هربا من مشقة وعناء التفكير الواقعى الجاد حول المشكلات السياسية والاجتماعية لايجاد حلول عملية لها على امل منهم أن الاشتراكية كفيلة بتحقيق الحياة السعيدة الطيبة . ومن هنا كان احجام آرون عن التعاطف مع حركة الطلاب مثلما فعل سارتر ، ومن هنا جاء وصفه لهذه الحركة وماصاحبها من افعال وتصرفات هستيرية بانها ( الثـورة المراوغة ) .

والمهم فى هذا كله هو ان الاختلاف الاساسى الذى ادى الى الخصومة ثم القطيعة بين الصديقين القديمين كان فى الاصل اختلافا فى الشخصية وفى المزاج لم يلبث ان يتبلور بمرور الزمن واصبح اختلافا فى المنهج والموقف والنظرة

والالتزام الايديولوجى . وتعكس هذه الخصومة جانبا من واقع وحقيقة التاريخ الثقافى فى فرنسا فى القرن العشرين او على الاقل فى فترة طويلة وهامة وحاسمة من هذا القرن ، وكيف كان الغموض والقلق يعتبران ( موضة ) ويجدان قبولا فى اوساط المثقفين يفوق احيانا ماكان يلقاه التفكير الهادىء العقلانى الرصين ، وكيف ان سيطرة الفكر الماركسى كانت من القوة والجبروت والاحكام بحيث ان اية محاولة للخروج عليها كانت كفيلة بان تؤدى بصاحبها الى مايسميه سكوت سوليفان ( النفى الداخلى ) وقد بدأ هذا الوضع يتغير على اية حال بشكل واضح فى السنوات القليلة الماضية ولكن المؤكد هو انه على الرغم من تلك القطيعة الطويلة بين سارتر وأرون فان جانبا كبيرا من اعمال أرون بالذات ونشاطه لن يمكن فهمه الا فى ضوء علاقته بصديقه وغريمه .

وأيا مايكون الامر فلقد مات زملاء الدراسة واصدقاء عهد الشباب الاربعة . وكان اخر من توفى منهم هى سيمونْ دى بوفوار . وقد ضاع بموتهم - او حتى فى اثناء حياتهم - كثير مما كانوا يدعون اليه ويتحمسون له . فلقد اصبحت منادادة سارتر بالالتزام وكل مايحمله من معنى مجرد دعوة قديمة دخلت الان فى ذمة التاريخ بعد ان كان هو الموضة السائدة فى تلك الايام الخالية . ولقد فقدت الحركة النسائية والدعوة الى تحرر المرأة كثيرا من البريق الذى كانت تتمتع به فى الستينيات ايام كانت سيمون دى بوفوار تؤازرها وتتحمس لها وتشارك فى كل المؤتمرات والاجتماعات التى تدعو الى هذه الحركة . كذلك لم تحقق رسالة سيمون فيل كل ماكانت تصبو اليه من نهضة واحياء . وبدأ النسيان او على الاصح الاهمال والاغفال ينسج خيوطه على اعمال الثلاثة جميعا ببطء ولكن بثبات واطراد وان كانت هناك بعض المحاولات الجادة لايقاظ الاهتمام بكتابات سيمون فيل . ولكن الظاهر ان اسم أرون وموقفه العقلانى الجاد هما وحدهما اللذان نجيا من هذا النسيان وان سمعته آخذة فى الارتفاع بالتدريج ولكن بثبات واطراد ايضا لدرجة ان فرنسا اقامت معهدا باسمه وهو مالم يحدث بالنسبة للكثيرين من زملائه ، كما ظهرت منذ وفاته عدة مؤلفات عن حياته واعماله وفلسفته باعتباره احد معالم الفكر السياسى والاجتماعى المعاصر وبذلك اخذ اسمه يستعيد كثيرا من ذلك البريق الذى كان يحيط به حين كان الزملاء الاربعة اصدقاء تجمعهم معا وحدة الامل والتطلع الى المستقبل .

**والطريف بعد هذا كله هو ان ريمون أرون بعد كل هذه الخصومة والقطيعة الطويلة التى استمرت مايقرب من ثلاثين عاما كان يعترف ويعلن - ربما فى شىء من السخرية والمرارة - ان الزمن سوف يعتبر سارتر رغم كل عيوبه وقصوره احد العباقرة الافذاذ فى الفكر الفرنسى والعالمى بينما سوف يحكم عليه هو - اى على أرون نفسه - بانه مجرد شخصية ثانوية رغم جهوده واخلاصه واستقامته ووضوح فكره وتمسكه بالقيم ، او ربما بسبب هذا كله ، وان ذلك الحكم سيكون خاتمة فصل من فصول تاريخ الفكر فى فرنسا الملىء بالغرائب والتناقضات .**

# طلائع المثقفين المصريين

# وصدمتهم بالديمقراطية والاستعمار

بقلم : كمال النجمى

**فى عام ١٨٣٠ أغارت قوات الاستعمار الفرنسى على ساحل الجزائر وبدأت احتلالها الطويل الشديد القسوة لهذا البلد العربى الذى وجد نفسه أعزل وحيدا فى براثن الوحش الاستعمارى ، وقد ولت فرارا قوات « الخلافة العثمانية » التى كانت تتولى حراسة هذا البلد المسلم من أعداء الإسلام ! ...**

فى ذلك العام كان الشيخ رفاعة بدوى رافع الطهطاوى الانصارى الحسينى ، يوشك أن يتم طلب العلم فى باريس ضمن أول بعثة تعليمية أوفدها إلى فرنسا محمد على باشا الكبير والى مصر .. وكان الشيخ رفاعة الطهطاوى إماما لصلاة هذه البعثة وطالبا من طلابها ، وقد

عاش مجاورا فى الأزهر طالبا ومدرسا قبل أن ينتزعوه من « رواق الصعايدة » ويقذفوا به الى باريس حيث قضى خمس سنوات درس فيها اللغة الفرنسية دراسة عميقة ، كما درس التاريخ والطبيعة والكيمياء والرياضة والفلسفة والأدب والجغرافيا والطب والعلوم الهندسية والحربية ، بينما كان كل طالب فى البعثة يتخصص فى علم واحد .!

كان هذا المجاور الأزهرى أعجوبة عصره فى استيعاب كل علم وفن وفكر .. وبينما هو يتأهب للعودة إلى مصر ، وقد نال مجموعة من الشهادات الدراسية ، ثارت باريس على الملك شارل العاشر ملك فرنسا ، فصدمت الثورة الشيخ الطهطاوى أول الأمر وأدهشته ، لأن الذين أشعلوها كانوا من العامة والفقراء والعيّارين والشطار و «الزُّعر » من سكان باريس ، أما الملك الذى ثاروا عليه - وياللعجب - فكان يومئذ ظافرا منتصرا فى حربه ضد السلطان العثمانى فى الجزائر !.. والسلطان العثمانى أيامئذ هو ملك الملوك عند الطهطاوى وعند جميع الرعية العثمانية .

فكر الشيخ رفاعة فى هذه المشكلة : كيف استطاع شارل العاشر « سلطان



رفاعة الطهطاوى

الفرنسيس » أن ينتصر على السلطان العثمانى ، ولم يستطع الانتصار على رعاع باريس وليس فى أيديهم من الأسلحة ولو قليل مما فى أيدى عسكر سلطان آل عثمان ، خاقان البرين والبحرين ، أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ؟! ..

واستطاع الشيخ الألمعى أن يفهم المشكلة ، برغم رعويته العثمانية ..

فإن القضية التى كان الشعب الفرنسى يناضل فى سبيلها لم تكن قضية فتح المستعمرات ، وإنما كانت قضية الحريات الديمقراطية وحقوق الانسان التى رفعت الثورة الفرنسية راياتها منذ سنة ١٧٨٩ على أنقاض سجن الباستيل ! ..

قال الشيخ يحاور نفسه :

ـ إن الحروب الظافرة خارج فرنسا وضم المستعمرات لاتبرر عند هؤلاء الفرنسيس إهدار حقوق الانسان الفرنسى داخل بلاده .. هذه قاعدة تقررت فى الثورة ، ثم اهدرها نابليون بونابرت خلال بضعة عشر عاما توجت فيها الانتصارات الحربية الطنانة اسمه الامبراطورى ! .. فلما انقضى عهده ، عادت القاعدة المقررة للحرية ، ثم انتكست ، ثم عادت ولم يستسلم « رعاع باريس » قط لعبودية « سلاطين » قصر التويلرى أو قصر الايليزيه ! ..

هكذا فهم الشيخ ثورة الباريسيين للحرية والديمقراطية والاخاء والمساواة فوق كل شبر من بلادهم « مع أن البلاد التى جاء منها هذا الشيخ المفكر ، كانت فى قبضة حكم مطلق كغيرها من « إيالات » الخلافة العثمانية فى ذلك

الزمان ، وكان أبعد شيء عن ذهن « المواطن العثماني » أن يفهم ثورة الرعاع على السلطان ، فقد يصح فى الذهن أن يثور المماليك أو الانكشارية على السلطان ، ولكن لايمكن أن يصح فى ذهن مواطن عثمانى أن يثور الرعاع وينتصروا وليس فى صفوفهم مماليك من الجركس ولا الانكشارية ولا أحد من الباشوات ، ولا أحد من البكوات كعلى بك الكبير - مثلا - يقوم فى هذا الشأن وينصب نفسه واليا أو شيخا للبلد !..

## ● إيالة عثمانية

كانت « إيالة مصر » العثمانية التى ينتمى اليها الشيخ رفاعة محكومة حكما مطلقا كغيرها من إيالات الخلافة العثمانية ، غير أن الحكم المطلق فى مصر على يد محمد على باشا كان فى ذلك الزمان « مستنيرا » .. بل « متقدما » بالقياس الى ما جثم على مصر قبل ذلك من حكم المماليك : مراد بك وابراهيم بك والبرديسى بك والألفى بك ، وبقية البكوات المماليك « المصرلية » الذين لم يكن بينهم وبين الشعب المصرى الا السيف والسوط والخازوق ، ولا ملاذ للشعب منهم الا بعض شيوخ الازهر احيانا ، وأضرحة الأولياء الصالحين فى اكثر الاحيان ، فاذا اعيتهم الحيل ، وخذلتهم الأدعية على أبواب الاضرحة ، فروا بجلودهم فى جنح الظلام الى الشام او السودان او ليبيا ، حيث يجدون انهم قد استجاروا من الرمضاء بالنار ، فان سيوف امير المؤمنين مسلولة فوق اعناقهم هنا وهناك ، فى اليقظة والأحلام !..

مع ذلك استطاع ذلك المجاور الأزهرى الشاب الذى لم يكن يومئذ يتجاوز التاسعة والعشرين من عمره ، أن يدرك بزكانته وفطرته السليمة المتفتحة وعلمه الذى أكسبته إياه باريس ، معنى ثورة الفرنسيس على سلطانهم المنتصر على سلطان العثمانيين ، وكتب الشيخ الشاب صفحات فائقة الجمال فى كتابه الفريد « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » .. عرف منها المثقفون فى مصر والبلاد العربية والشرقية - لأول مرة خلال القرن التاسع عشر - نصوص الدستور الذى كان معمولا به فى فرنسا ، فى زمن لم تكن فيه مصر تعرف كلمة « الدستور » ولا أية كلمة بديلة لها تؤدى معناها ، وكان المعنى الدارج لكلمة « الدستور » منذ قدماء السلاطين المصريين ، أن يمنحوا لجنودهم ومماليكهم إذنا بالراحة والاستجمام والانصراف إلى أملاكهم وبيوتهم !..

**وفى عهد محمد على باشا كانت تقاليد الحكم تعتمد على مجموع الفرمانات القديمة والجديدة التى يبعث بها الباب العالى الى الوالى على أيدى خدم السلطنة والسعاة الممتازين الذين لم ينقطع سعيهم بين استامبول والقاهرة من أيام السلطان سليم فاتح مصر الى السلطان محمود الثانى ..**

**وكان اكثر هؤلاء السعاة العظام من خصيان القصور السلطانية الذين اكسبتهم خدماتهم المخلصة للسلطان مقاما رفيعا فى الدولة العلية !**

وكان رفاعة الطهطاوى يعرف أن هذه الفرمانات غير ذات شان كبير لدى محمد علي باشا الذى صار في القاهرة اشد ثباتا فوق كرسيه من خليفة آل عثمان في استامبول بين المئات من جواريه وغلمانه وخصيانه ! ..

وكان الطهطاوى قد راى من قريب أو بعيد بعض مندوبى الباب العالى ذوى المكانة الرفيعة لدى المقر السلطاني فى عاصمة الخلافة .. ولايقلل من شان هؤلاء المندوبين كونهم خصيانا ، فإنما هم نتاج تلك العادة السلطانية العنيفة القديمة ، وبخاصة في قصور آل عثمان الذين تضخمت فى عهدهم الطويل مساوىء الحكم الفردي الذى بدأ من أيام معاوية بن أبى سفيان ولم ينقطع قط طوال الف سنة على اختلاف الدول التى رفعت على عمائم حكامها لافتة تفسر الدين على مقتضى مصالحها ! ..

كان السلاطين العثمانيون تأكلهم الغيرة على « الحريم » .. أى على تلك المقاصير والدور الغاصة بالجوارى الحسان ، فكانت غيرتهم على نسائهم تدفعهم الى حمايتهن من الغلمان الذين تغص بهم أيضا قصور السلطنة ، فلا يجد السلاطين مناصا من جب ذكورة هؤلاء الغلمان المختلطين بالجوارى ، ثم يعوضون بعضهم بترفيعهم فى رتب القصور السلطانية حتى يصيروا فوق الوزراء والعلماء احيانا ! ..

أما الجوارى ، ونساء « الحريم » فكن أعلى منزلة من الخصيان ، يلعبن باقدار الأمراء والوزراء والقواد والولاة والصدور العظام ، فإذا خان الحظ إحداهن أمر السلطان بإلقائها فى ماء البسفور طعاما للأسماك ، وكانت هذه النهاية المؤسية هى ايضا نهاية كل خصى سيىء الحظ ، يسقط من قمة السلطة الى قعر البسفور ! ..

ولابد أن رفاعة الطهطاوى كان يتذكر - دليلا على مكانة الحريم - ماروأه الناس من أنه خلال مذبحة القلعة الشهيرة التى قادها محمد علي باشا سنة ١٨١١ وقتل فيها أكثر من سبعمائة من رؤساء المماليك وبعض أولاد البلد .. لجأ أحد المماليك وقد أثخنته الجراح ، إلى باب حريم محمد على باشا فى القلعة ، وصاح مستنجدا بزوجات الباشا وجواريه :

- أنا فى عرض الحريم !..

ولولا أن باب الحريم كان موصدا فى تلك الساعة الحرجة لأنجدته نساء الباشا طبقا للتقاليد التى توجب نجدة من يستجير بالحريم ! ..

كانت هذه بعض صور الحياة فى البلاد التى جاء منها الطهطاوى إلى باريس بلد الثورة وكان الطهطاوى وهو فى أضواء باريس لاينسى هذه الصورة الحالكة !..

كانت أسواق الرقيق الأبيض والأسود مفتوحة فى جميع بلاد الخلافة العثمانية ، بدعوى أنها تجارة أحلها الله فلا يصح تحريمها .. وكانت أوربا حينذاك قد خرجت من النظام الاقطاعى شبه العبودى الى النظام البورجوازى الليبرالى فصار مستحيلا على الأوربيين - عمليا - أن يبيحوا تجارة الرقيق ، لأنه يناقض ويهدم علاقات

الإنتاج والقوى المنتجة والنظام الجديد كله ! ..

● القرون الوسطى

أما الدولة العثمانية ، فكانت متوقفة عند القرون الوسطى بنظامها الاقطاعى شبه العبودى الذى يبدو فيه « الرق » نظاما لاغبار عليه ، ولايمكن الغاؤه فى تلك الدولة العبودية الاقطاعية المتعددة القوميات ، والتي تخفى تناقض قومياتها بادعاء أنه لاقومية فى الاسلام ، فكان هذا الادعاء سوط عذاب على جميع قوميات الدولة ..

وكان من المضحك أن يتحدث أحد فى الدولة العثمانية حينذاك عن إعلان دستور يقر حقوق البشر فى الدولة ، على غرار الدستور الفرنسى ، والدولة مازالت تعيش عصر الرقيق الأبيض والأسود ، متخلفة فكريا واجتماعيا وسياسيا عن القرن التاسع عشر بأربعة قرون على الأقل ! .. غارقة فى قمع القوميات تحت دعاوى منسوبة الى الدين ! ..

وبرغم ذلك الظلام كله ، لمعت فى رأس رفاعة رافع الطهطاوى فكرة الدستور ، وتكلم عن الحرية بإعجاب ولهفة ، وبدون يأس من حصول « الرعية العثمانية » ذات يوم على الدستور ! ..

لم يستعمل الطهطاوى بطبيعة الحال كلمة « الدستور » ترجمة للكلمة الافرنجية الدالة عليه ، بل قال عنه باختصار أنه القانون الذى يجعل الملك غير مطلق التصرف ، وهذا القانون يسمى « الشرطة » ـ بفتح الشين وتشديدها ـ ومعناها فى اللاتينية « ورقة » ثم أطلقت على السجل المكتوب فيه الأحكام المقيدة .. أى أطلقت على الدستور المكتوب فى ذلك السجل ..

ولكن الطهطاوى عرف جوهر الدستور ، وأدرك أهميته فى درء شرور الطغيان ، وكيف أن التخلف والاستبداد فى أقطار الدولة العثمانية مبعثهما أن أمير المؤمنين العثمانى لم يكن فى ذهنه أدنى فكرة عن شيء يمكن أن يكون أسمه الدستور ؟ ..

واحتفى الطهطاوى بترجمة نصوص الدستور الفرنسى ، دستور لويس الثامن عشر الملك البوربونى الذى جلس على عرش فرنسا تحت حماية بريطانيا وبروسيا والنمسا وروسيا القيصرية ، وهى الدول التى تحالفت على نابليون وهزمته وأرسلته الى المنفى الأبدى ! ..

فى هذا الدستور الذى استجاب لكثير من مطالب وحقوق الطبقة الوسطى الفرنسية .. « أمور لاينكر ذوو العقول أنها من باب العدل » . كما قال الطهطاوى .. فلنذكره لك ـ أى الدستور ـ لتعرف كيف حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقاد الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم ، وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم ، وارتاحت قلوبهم فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما » !.. هكذا استطرد الطهطاوى فى كلامه عن الدستور الفرنسى ..

ولما ذهبت أسرة البوربون وجاءت أسرة أورليان ، وجلس شارل العاشر على عرش فرنسا ، كانت القوانين الدستورية

للقول والطبع والنشر هى شرارة صدام هذا الملك مع شعب باريس ، طليعة الشعب الفرنسى فى جميع الانتفاضات والثورات ! ..

ولخص الشيخ رفاعة وقائع هذه الحادثة التاريخية قائلا : « .. قد سبق لنا الكلام على حقوق الفرنساوية أنه لايمنع إنسان فى فرنسا أن يظهر رأيه ، ويكتبه ويطبعه .. وإذا بالملك قد أظهر عدة أوامر منها : النهى عن أن يظهر الانسان رأيه وأن يكتبه أو يطبعه فى الكازيطات - الصحف - التى لابد قبل طبعها من أن يطلع عليها أحد من طرف الدولة ، فلا يظهر منها إلا مايريد إظهاره .. مع أن هذا ليس من حق الملك وحده ، فكان لايمكنه عمله إلا بقانون ، والقانون لايصنع الا باجتماع آراء ثلاثة : رأى الملك ورأى أهل المشورة ، وديوان رسل العمالات » يقصد ما نسميه الآن مجلس البرلمان » .

ثم يصف الطهطاوى كيف عصف شارل العاشر بالنواب بعد أن عصف بحرية القول والنشر ، ثم توجس خيفة مما ارتكبه من هذه الجرائم فى حق الشعب ، وأحس فى نفسه بحصول مخالفة منه للدستور والقوانين ، فتوقع انفجارا شعبيا جائحا .. يقول الطهطاوى : « .. ثم إن الملك أعطى المناصب العسكرية لعدة رؤساء مشهورين بأنهم أعداء للحرية التى هى مقصد الرعية الفرنساوية ، وبمجرد حصول هذه الأوامر قال العارفون بالسياسة إنه ستحصل فى المدينة محنة عظيمة يترتب عليها مايترتب » ! ..

## الخطوة الخطيرة

لقد عرف الشيخ القادم من بلاد التخلف والاستبداد عاقبة هذه الخطوة الخطيرة التى أقدم عليها شارل العاشر ، بفرضه الرقابة على الصحف وعصفه بالبرلمان وإقامته حكما عسكريا يديره مارشالات وجنرالات الجيش الفرنسى .. وبعد أن ذهبت السكرة وجاءت الفكرة ، أدرك الملك أن خطواته هذه لاتوطد عرشه بل تزعزعه وتثله ، فانطلق مع رئيس وزرائه يحاولان تهدئة الغضب الشعبى !..

أخذ شارل العاشر يحاول مع حكومته الجديدة تهدئة باريس وتنويم الرأى العام الفرنسى كله ، بالتهويل فى انتصارات القوات الفرنسية فى الجزائر على قوات العثمانيين ، وضم هذه الأرض الاسلامية الى الممتلكات الفرنسية ، ورفع راية الكثلكة فى سمائها ، تحويل المسجد الجامع فى الجزائر - العاصمة - الى كاتدرائية تتلقى بركات البابا الأعظم فى روما ..

ولكن جهود شارل ورئيس وزرائه أخفقت فى استمالة الشعب بشعار « النصر فى الحرب الاستعمارية » .. فالشعب قد عقد العزم على الخلاص من شارل العاشر وبطانته السيئة السمعة ، ولم يكن يعنيه فى كثير ولاقليل توسيع رقعة الأرض التى يحكمها شارل العاشر وراء البحار ولاتسعده حرب صليبية جديدة يتم فيها تحويل المساجد الى كنائس تحت راية فرنسا مهد الحرية والعلمانية والاخاء والمساواة .

يقول الشيخ رفاعة فى ذكائه ورشاقته وخفة ظله : « جاء الى الفرنساوية خبر وقوع بلاد الجزائر فى أيديهم قبل حصول هذه الفتنة - ثورة باريس - بزمن يسير ، فتلقوا هذا الخبر بغير حماسة .. وبمجرد وصول هذا الخبر الى رئيس الوزراء أمر

## طلائع المثقفين المصريين
### وصدمتهم بالديمقراطية والاستعمار

بتسييب مدافع الفرح والسرور ـ إطلاق نيرانها ـ وصار يتماشى فى المدينة كأنه يظهر العُجب ـ بضم العين ـ بنفسه ، حيث إن مراده قد نفذ وانتصرت الفرنساوية فى زمن وزارته على بلاد الجزائر ، فما كانت إلا أيام وانتصرت الفرنساوية عليه !!. أى أن الثورة عصفت به وطردته من الحكم برغم انتصاره فى حرب الجزائر ! ..

إن فطنة الشيخ رفاعة تتجلى فى تفرقته بين انتصار الحكومة الفرنسية الاستعمارية فى الجزائر ، وبين موقف الشعب الفرنسى المطالب بالحرية ، الذى لم يبال هذه الانتصارات وأصحابها ، بل ثار عليهم برغم انتصارهم الذى دقوا له الطبول و « سيبوا » مدافع الفرح والسرور ، فتخلص الشعب من شارل وبطانته وسط الأفراح والزينات التى أقاموها لانتصارهم الاستعمارى العظيم !..

● الملك والباشا

ذهب شارل العاشر ومن يلوذ به ! .. ثم بدأت حرب الجزائر تظهر فى صحف باريس على شكل رسوم كاريكاتيرية ، يتحدث عنها الطهطاوى قائلا : « .. إن الفرنساوية لما رأوا أن شارل العاشر قد أخرج باشا الجزائر ـ الوالى العثمانى ـ من مملكته ، صاروا يهزأون بشارل ويصورونه هو وباشا الجزائر فى الطرق ، ويكتبون فى وقائع النوادر تلميحات عجيبة ونكات ظريفة .. فمن جملة ذلك أنهم صوروه هو والباشا المذكور وكتبوا تحت صورة الباشا : « وأنت أيضا جاءت نوبتك » .. كأنما الباشا العثمانى يقول لغريمه الملك الفرنسى : « وأنت ايضا عزلك الفرنسيس كما عزلتنى » ! ..

ويمضى الشيخ وراء رسوم الكاريكاتير فى صحف باريس عقب عزل شارل العاشر : « وصوروه أيضا ـ أى الملك شارل ـ فى صورة أعمى يتكفف الناس ويقول لهم : « أعطوا شيئا للفقير الأعمى » !.. يشيرون بذلك الى أنه لم يتبصر عواقب الأمور » . « وكتبوا فى وقائع النوادر : إن الباشا يقول لشارل : قم بنا تلعب لعبة كذا على قدر معلوم ـ من المال ـ وإذا لم يكن معك نقود جمعنا لك شيئا على سبيل الصدقة من الناس » .. يشيرون بذلك الى أن الباشا العثمانى خرج من الجزائر غنيا يحمل كنوز الولاية ، أما شارل فخرج فقيرا يستحق الصدقة ، لأن أموال الحكومة الفرنسية كانت فى حماية الشعب الفرنسى ، أما أموال ولاية الجزائر العثمانية كانت فى جيب الوالى ! ..

ثم يقول الشيخ بين الاعجاب والدهشة : « والعجيب أنهم كانوا يصيحون بهذه الأوراق ـ يعنى الصحف التى تنشر الرسوم الكاريكاتيرية ـ ليبيعوها فى ساحة بيت الملك الجديد ـ لويس فيليب ـ الذى هو من أقارب الملك السابق ، ولا أحد ينكر عليهم ، لأن حرية الرأى قولا وكتابة تقضى بذلك » ! ..

● العودة إلى مصر

عاد الشيخ رفاعة الى مصر فى أواخر سنة ١٨٣١ وأصداء ثورة باريس تملأ

وجدانه وتفكيره ، فوجد أن الوالى محمد على باشا قد وصلته شذرات من أخبار هذه "الفتنة" التى سقط فيها "سلطان الفرنسيس" فلم تحرك هذه الأخبار شعرة فى لحية الباشا الرابض فى قلعة صلاح الدين مطلا بمدافعه على القاهرة متأهبا ضرب "بومبة" على كل تاجر يقترب من القلعة مطالبا الباشا برد القروض التى استولى منه عليها الى حين ميسرة !..

إلا أن الشيخ رفاعة لاحظ أن الباشا قد فارق طريق مراد بك وابراهيم بك والبرديسى بك ، طريق القرون الوسطى والتخلف العثمانى الماحق للشعب .. طريق الانقراض الذى نزل بتعداد سكان مصر من ستة ملايين فى عهد الأيوبيين والمماليك البحرية الى مليونين ونصف المليون فى آخر عهد البكوات المماليك الجراكسة الذين كانوا يحكمون نيابة عن الخلافة العثمانية ..

وأدرك الشيخ رفاعة ببصيرته الثاقبة أن خطوات محمد على فى طريق حضارة القرن التاسع عشر - على خلو خطواته هذه من كل مدلول ديمقراطى - انما هى ارهاص بانتقال عدوى الديمقراطية من باريس الى القاهرة .. ولو بعد حين !.. فإن تغيير البناء الاقتصادى والاجتماعى مهما كان بطيئا ومبعثرا سوف يجىء فى النهاية بالديمقراطية ويفتح الباب للتقدم .

والآن .. وقد مضى على تلك المشاهد التاريخية المثيرة أكثر من مائة وخمسين عاما ، وتحررت الجزائر وسارت فى طريق التطور المستقل ، وتغيرت الدنيا ، وتحررت المستعمرات الفرنسية وغير الفرنسية من احتلال العسكر الأجنبى ، وسافر الى فرنسا بعد الطهطاوى وطلائع مثقفينا الأوائل النجباء ، مئات الألوف من طلاب العلم والثقافة والاطلاع ، نجد - ياللعجب - أن أوربا وديمقراطيتها واستعمارها ، قضية لم تنته بعد ، لأن بقاياها مازالت معروضة فى سجل السنوات القلائل المتبقية من القرن العشرين ، وان كانت أوربا تحاول - وهى تلهث فى أذيال أمريكا - أن تستنبت من ديمقراطيتها أزهارا جديدة ، فقد تحطمت حديقتها الاستعمارية القديمة ، وزعزعت رياح التغيير ديمقراطيتها حتى لتوشك أن تقتلعها !..

فهل تشهد "باريز" جولة تاريخية جديدة كالتى شهدتها فى ايام مؤلف تخليص الإبريز ؟!

لقد اصطدم الطهطاوى وطلائع المثقفين المصريين فى أوربا القرن التاسع عشر بأمرين متناقضين : ديمقراطية الأوربيين وحريتهم فى بلادهم .. واستعمار حكوماتهم واستعبادها لبلادنا !..

ولم يعرف الطهطاوى ولا طلائع المثقفين من بعده طوال القرن التاسع عشر ، أن ديمقراطية أوربا التى بهرتهم كانت دائما فى خطر ولكن الأوربيين كانوا دائما مستعدين لحمايتها من حكوماتهم الاستعمارية الاستبدادية ، لأن هذه الحكومات التى تغتال حرية الشعوب وراء البحار ، لم تكن تستطيع أن تعيش فى وفاق حقيقى مع حرية شعوبها داخل حدودها الوطنية !..

**وهذه المعادلة البسيطة تنطبق على أوربا القرن العشرين وامتدادها فى الدنيا الجديدة - امريكا - كما كانت تنطبق على أوربا القرن التاسع عشر تمام الانطباق !..**



# نابليون بونابرت والتاريخ العباسى

بقلم : د . محمد رجب البيومى

لم تكن عبقرية نابليون بونابرت وقفا على معاركه الحربية ، وانتصاراته السياسية وحدها ، ولكنها تمتد الى إبداعه الادبى الذى اتجه اليه فى مطلع حياته كاتبا ، ثم شغلته مطامحه السياسية عن الكتابة دون القراءة ، إذ كان لايترك الكتاب فى فترات راحته ، بل ربما كان الكتاب الأدبى واحته الخضراء فى صحراء الحياة ، وقد يستبعد القارىء أن تكون الحياة صحراء بالنسبة لنابليون ، ولكن واقعه النفسى يؤكد أنه كان مع ضجيجه الصاخب يعيش فى وحدة نفسية لاتملؤها أبهة المجد ، وعظمة السلطان وفى ذلك عزاء أى عزاء للذين يقاسون فى أعوامهم المديدة لفح الهجير ظانين أن ذوى الجلالة يتفيئون وارف الظلال ، وما دروا أن الانسان الطامح من آماله الشاسعة المتجددة فى ظمأ لايرتوى وسغب لايشبع ! لقد قربت الشقة كثيرا كثيرا بين المحظوظين والمحرومين .

لقد ترك نابليون فيما ترك من آثار ادبية ثلاث قصص كتبها في مطلع حياته ، وظل حريصا على بقائها في حوزته ، دون أن يسمح بإذاعتها حين ضجت الدنيا بأمجاده ، وحين آذنت شمسه بالمغيب أسلمها الى الكردينال فيش في طبعتها الأولى المحدودة ، ثم ظهرت قصة رابعة عثر عليها اديب بولوني ، فاكتمل إنتاجه الفنى بقصته « كليون وأوجينى » وقد فكرت متسائلا كيف أهمل نابليون هذه القصة عن عمد ، فلم يضمها الى ماحرص على ايداعه لدى فيش ، ثم أدركت من مطالعتها أنها تكشف أسرار إخفاقه العاطفى إذ صورت غراما عاصفا كان البطل فيه صاحب الكلمة ، وهو إيحاء عكسى لما أخفق فيه قلب القائد حين أحب لأول مـرة « أوجينى » فـى « مارسيليا » . وتوسل إليها بما يملك من أرق المشاعر ، ولكنها تأبت عليه ، فكتب هذه القصة لا ليذكر إخفاقه ، بل ليمحوه فى دنيا الخيال حين عز عليه أن ينتصر عاطفيا فى أرض الواقع ، ومن كان ذا نفس متعالية كنابليون لايسهل عليه أن يعترف بإخفاق ، ولكنه نسى أن رسائله العاطفية قد كشفت حيلته ، إذ سجلت مثل قوله لأوجينى :

« إن الحياة حلم رقيق لايلبث ان يذوب كالضباب ، وأنى أشعر بهياج عاطفى ، ماشعرت بمثله قبل هذا اليوم ولئن طال الهجر لاقتلن نفسى ، ولارمين بهذا الجسم تحت عجلات العربات » .

ومقال اليوم يقتصر على قصة واحدة من القصص الثلاث التى حرص نابليون على بقائها ، تلك هى القصة التاريخية التى تتحدث عن ثائر خطير ظهر فى عهد الخليفة « المهدى العباسى » فادعى الألوهية ، وجمع الحشود الهائلة فى بلاد فارس ليزلزل الخلافة العباسية ، وقد نازلته جيوش متوالية فانتصر عليها ثم عبأت الدولة كل جهودها الجبارة حتى انتصرت عليه ، تلك هى قصة المقنّع الخراسانى التى كتبها نابليون فى مطلع شبابه ، وإذا تركنا الحكم على أثرها الفنى فإننا لانغفل دلالتها الخطيرة على اتجاه نابليون الطامح ، إذ اختار شخصية جبارة تخطف حـدود العقل حين ادعت الألــوهيــة متـرفعــة عن حقيقتهــا الانسانية ، ثم جمعت حولها آلاف الآلاف من الناس مؤمنة طائعة ، أيكون تسجيل هذه الظاهرة بقلم ضابط عسكرى ناشىء مؤشرا يحدد اتجاها نفسيا تنمو بذوره الأولى فى لفائف الغيب ، وإذا كان المقنع قد أخفق فليس الاخفاق فرضا محتوما فى منطق شاب مندفع ، إذ يستطيع أن يتجنب الخطأ فى طموحه المشرئب ، وليس معنى ذلك أن كل قصاص يتحدث عن بطل تاريخى يكون معبرا عن نفسه ، ولكن الناقد الذى يربط البدايات بالنهايات يستطيع أن يسجل من الملاحظات مايجد محله من التقدير والالتفات .

## ● الحدث التاريخى

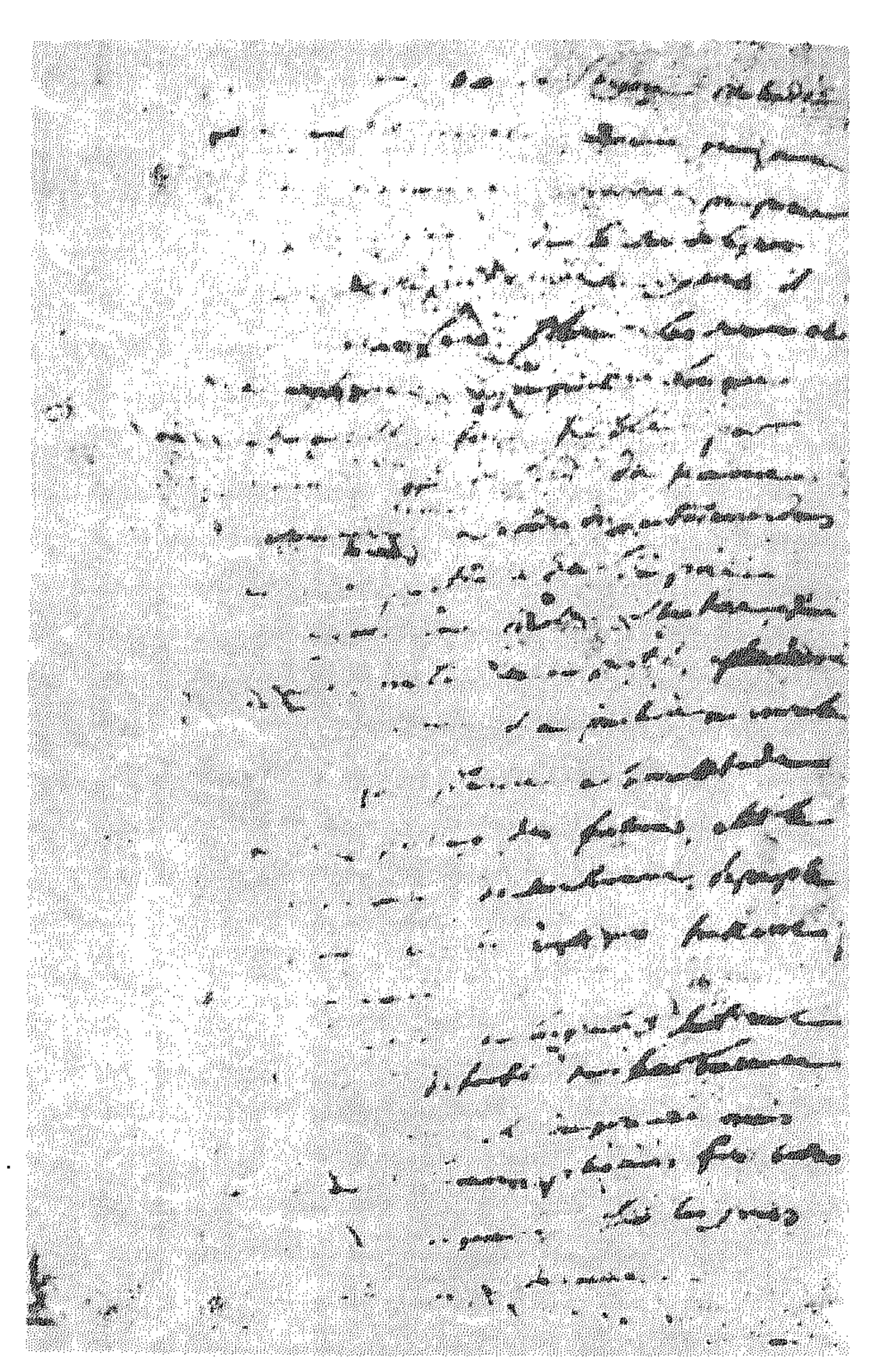
أما الحدث التاريخى فى واقعه المروى بكتب التاريخ الاسلامى خاصا بالمقنّع

الخراساني ، فموجزه أن هذا الآفك الوصولي قد انتهز مقتل أبى مسلم الخراساني ليؤلب الجموع بالمشرق كي يأخذوا بثأر البطل الصريع لاحبا لأبى مسلم ولكن محاولة استغلال مغرض لشعور غاضب تضطرم بجذوته النفوس ، إذ لم تعرف « لهاشم بن حكيم » وهو الملقب بالمقنع صلة شخصية بأبى مسلم من قبل ، ومن هو أبو مسلم فى منطق المقنع ؟ إنه إنسان حلت فيه روح الآله التى حلت من قبل فى آدم ومنْ تلاه من الأنبياء حتى انتقلت لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن بعده لعلى بن أبى طالب ثم للحسين فعلى زين العابدين فزيد بن على ، فمحمد بن على العباسى فأبى مسلم الخراسانى ، فالمقنع الخراسانى !! واذن فالثائر الوصولي فى بدء أمره يحمل روح الآله ، وقد صدقت العامة من أتباعه ماحكاه عن تسلسل هذه الروح منذ آدم ، ثم رأى بعد أن تزايد خطره أن يقفز قفزة أخرى فلا يقتصر على حلول هذه الروح المزعومة فى كيانه ، بل يقول إنه الآله نفسه ! وقد كان أبرص أعور دميما ، فاتخذ لوجهه قناعا من الفضة لايفارقه فى اجتماعاته . وكان إذا جن الليل صعد الى الجبل الأعلى وتوجه الى السماء بقناعه الفضى فترتسم صورته البيضاء فى صفحة الأفق ، ويقول للناس إن هذا المرتسم بدر المقنع ، وهو نظير بدر السماء ، وكأنه اهتدى بذلك الى معجزة خارقة شلت وجوه التفكير لدى قوم سُذَّج فاعتقدوها مؤمنين ، وقد عناها أبو العلاء المعرى حين قال .

أفق إنما البدر المقنع رأسه
ضلال وغى مثل بدر المقنع

ثم التفت حوله الجموع من الصغد وبخارى وسمرقند وقزوين ، وأمرهم بالسجود له فخروا طائعين وطبيعى أن يفزع الخليفة المهدى لما بلغه من شأنه فيسير له الجيوش بقيادة أبرع قواده . ولكن المعارك تدور فتنهزم جيوش الخلافة مرة تلو مرة وكل انهزام يؤكد لاتباع المقنع صدق اُلوهيته ، فيتزايد الخطر ، وتنتشر الأراء الضالة التى تبيح سلب الأموال وهتك الأعراض فيتفاقم اللهب اشتعالا ، حيث يضطر الخليفة إلى إرسال جيش يضم سبعين الف مقاتل بقيادة معاذ أبى مسلم فيضرب الحصار على قلعة « كش » التى يعتصم بها المقنع ويوالى الفتك المستبسل بجنود المقنع حتى يعجزوا عن المقاومة فضجر أكثرهم وطلبوا الأمان وفروا سالمين ليتركوا الطاغية بقلعته مع نفر من ذويه .

قالت كتب التاريخ : ولما شعر المقنع بالهزيمة أشعل النار فى القلعة وأحرق كل مافيها من الدواب والمتاع والثياب كيلا تكون عونا للمهاجمين إذا احتلوا الحصن واستولوا على نفائسه ، ثم أمر بحفر خندق يسير وأشعل به النار وأذاب مالديه من معادن الذهب والفضة والنحاس ثم جمع أصحابه ونساءه وأهله وسقاهم السم لتصعد أرواحهم الى السماء التى يمتلكها فماتوا جميعا ، وألقى بهم فى النار المشتعلة كيلا يمثل أحد بجثثهم وكان آخر من شرب السم بعد تابعيه ! وهكذا انتهت حياة هذا الآفك دون أن ينتهى صدى



المخطوطة الاصلية
بخط نابليون بونابرت

دعوته إذ انتشر من أتباعه من زعم أنه فى السماء ، وأنه قد أباح لهم ماحرم الاسلام من مال ونساء وتكونت فرق تالية بعد فترات مختلفة لترهق ، الدولة بمحاربتها . متخذة اسماء جديدة وكلها ذات زندقة والحاد .

## ● قصة نابليون

اشتهرت قصة المقنع الخراسانى فى أوربا فيما ذاع من أحداث الشرق العجيب بطرائفه ونوادره ، وقد كانت مجالا لوحى الشاعر الانجليزى الشهير ( توماس مور ) حيث عبر عنها فى بعض ماروى من شعره ، وإذا كان نابليون قارئا واعيا فقد عرف هذه القصة قبل أن يعرفها توماس . إذ كتبها سنة ١٧٨٧م وتوماس طفل فى الثامنة من عمره ولعله اهتدى اليها بوحى نابليون لأن طبعها قد تم سنة ١٨٢١ م فى

عام وفاة نابليون ولابد أن تذيع شرقا ومغربا بذيوع الحديث عن القائد الكبير تاليفا وتحليلا واستيعابا ، وسأورد ترجمة القصة ببعض التصرف نقلا عن مجلة الرسالة ١٩٤٢/٣/١٦ حيث عربها الأستاذ ابراهيم عبد الحميد زكى تعريبا يجيز لنا أن نعتمد على جوهره الخالص خشية الاطالة ليتضح مدى تأثر نابليون بتاريخ الشرق العربى كما تأثر بتاريخ الغرب الأوربى دون أن ينحصر فى حيز خاص .

قال نابليون ( ..... وكان الرجل طويل القامة فصيح اللسان فادعى أنه صوت الله على الأرض ، وقال إن الواجب أن يكون الناس جميعا من حيث المراتب والثروة سواء ، واستهوى هذا القانون افئدة الدهماء فهرع اليه الوف من الناس ولما رأى الخليفة خطر هذه الثورة عقد على خنقها فى المهد ولكن جيوشه كانت تلقى الهزيمة فازداد بذلك انصار ( حكيم ) يوما بعد يوم وبينما كان هذا النبى فى أوج مجده إذا به يصاب بمرض شديد نتيجة الجهد الذى بذله فى المعارك التى خاضها ، فلما خفت وطأة المرض ونال الشفاء ايقن أن حسنه قد ذهب ولم يعد خير الرجال وأوسمهم إذ كان قد عمى وخبا الى الأبد ضوء عينيه الرائع ولما أحس بأن هذا التشويه الطارىء قد يفقده السيطرة على أتباعه والتأثير فيهم ، رأى أن يحجبه عن أعينهم بقناع من فضة وضعه على وجهه ، وجعل يخطب مؤثرا بفصاحته فظل الناس مأخوذين بعذوبة بيانه وكان يعلل لهم إخفاء وجهه عنهم بأنه يخشى عليهم أن يبهر أعينهم ذلك الضوء الفياض الخارق للطبيعة ، ولكن هذه الحال لم تدم طويلا إذ أصيب اتباعه فجاة بهزيمة منكرة على أيدى جيوش الخليفة ، فكانت الهزيمة صدمة عنيفة له ، حين هجره كثير من أنصاره ، وتراجع ومن بقى معه الى مدينة محصنة ذات أسوار عالية ولكنه لم يلبث قليلا حتى أحدق به الجيش البغدادى فكان تجاه موقفين إما أن يموت وإما أن يحدث له ماهو أسوأ من الموت وهو الأسر فجمع أتباعه وخطب فيهم قائلا :

أيها المؤمنون لقد اختارنا الله ورسوله لاعادة بناء هذه الأمة ، واسترجاع مجد الانسان ، فلماذا إذن يثبط من عزنا ويلقى اليأس فى قلوبنا فى الليلة البارحة والناس نيام سجدت لله طويلا ودعوته فى حرارة ، قلت : أبتاه لقد رعيتنى وحميتنى هذه السنين الطوال فهل أثمت أو أثم أحد من أتباعى حتى تتخلى عنى ، فسمعت صوتا يقول : ياحكيم ، إن اتباعك الذين حافظوا على عهودهم ، وظلوا معك يناصرونك فى ساعة الحرج أولئك الذين سأنجيهم وأنصرهم وأولئك هم الذين سيقاسمونك غنائم أعدائهم انتظر حتى يبزغ القمر الجديد ، فإذا بزغ فأمرهم أن يحفروا خنادق فى الأرض ليسقط فيها أعداؤهم ويهلكوا ، ففعلوا وحفرت الخنادق ، وملئت بالمعادن المصهورة والزيوت والنيران ، وعندئذ أقام حكيم حفلا كبيرا دعا اليه أنصاره . فأكلوا وشربوا الخمر ، ثم وقعوا صرعى بتأثير ماشربوا من السم الذعاف فرميت جثثهم فى الخنادق لتلتهمها النيران وحين تصاعدت أعمدة اللهب قفز حكيم فوق أتباعه فاحترق معهم ، وتقدمت جيوش

الخليفة فلم تلق من أثر غير حظية واحدة من نساء حكيم بقيت على قيد الحياة .

### ● موازنة بين الواقع و [illegible]

لاندرى اقصد نابليون أن يكتب قصة المقنع الخرسانى بلسان المؤرخ أم يكتبها بلسان الأديب ، لأنه لم يلتزم بالنص التاريخى المتداول حتى يعد مؤرخا ، كما لم يفسح مجال التحليل والتخيل والتصوير حتى يعد أديبا ، على أننا لانعرف أى نص ذاع فى أوربا حين كتب نابليون قصته حتى نعرف إذا كان التصرف فى النقل من عنده أم سبق به سواه ممن راقهم ان يحدثوا بعض التبديل فى الآحداث . لقد جعل نابليون عنوان قصته النبى المقنّع . وهو فى الأصل العربى لم يقف عند حد النبوة بل تجاوزها الى الألوهية . أتكون دعوى الألوهية غير معقولة فى منطق نابليون ؟ حتى يتجرأ عليها المقنع ؟ كيف وقد ذكر الكتاب المقدس فريقا من البشر ساقهم التجبر الطاغي الى هذه الدعوى كالنمرود صاحب ابراهيم وفرعون صاحب موسى ، فهى إذن غير مستحيلة استنادا لمنطق التاريخ ولكن الكاتب الأديب قد ادعى أن المقنع صوت الله فى الأرض فحسب ، ثم إن الرواية التاريخية أثبتت أنه كان أعور أبرص دميما منذ نشأته وكل ذى عاهة جبار فما ظنك بذى عاهات معدودات ! ولكن نابليون جعل صاحبه يصاب بالمرض بعد أمد ما نتيجة للجهد المضنى الذى بذله فى المعارك التى خاض غمارها ، وهذا المرض افقده حسنه ومظهره بل أذهب نور عينيه فصار أعمى مما دعاه الى أن يلبس قناعا من فضة يضعه على وجهه معللا ذلك بأنه يخشى أن يبهر جماله الابصار فتغشى العين انبهارا بما تشهد من الضوء الخارق للطبيعة ! مع أن الثابت تاريخيا أن القناع كان شعوذة وتدجيلا حيث تصعد به ليلا للجبل لينعكس ضوءه على صفحة الافق فيرى الناس ألهم يشرق فى صفحة السماء كما يشرق البدر ومن هنا ضرب المثل فى التمويه ببدر المقنع كما ألمع لذلك أبو العلاء المعرى . لعل نابليون قد استبعد أن تنطبع صورة القناع من فوق الجبل على صفحة الأفق فتحاشاها لتكون الحادثة اقرب الى التصديق . كما أن الكاتب قد أجرى على لسان المقنع خطبة لم ترد فى كتاب ، إذ ذكر أن الله ورسوله قد اختاراه لاعادة بناء الامة واسترجاع مجد الانسان ، فأى رسول ذلك الذى اختار المقنع ، وهو عندنا نابليون بشهادة العنوان نبى مرسل فهل يختار الرسول رسولا ؟ أو أن الآله وحده من يصطفى ويختار ! ثم قول المقنع فى خطبة نابليون مخاطبا ربه : أبتاه مما لايمكن أن يأتى على لسان المقنع . إنما هو تصور مسيحى لم يجد الكاتب مانعا فى إطلاقه ، وإذا كان المقنع قد قال ـ كما أراد نابليون ـ مخاطبا ربه : لقد رعيتنى وحميتنى هذه السنين الطوال فهل آثمت أو اثم أحد من اتباعى حتى تخليت عنا . فإن الثابت التاريخى أن المقنع لم يستمر فى دعوته سنين طوالا لأن مدته الزمنية فى دعوى الألوهية أو مادونها لم تصل الى تمام الثلاث من السنوات . فأين هى السنون الطوال ؟

**لقد ختم نابليون قصة بقوله ( قصته لايكاد يصدقها العقل لغرابتها . وهى تبين المدى البعيد الذى يذهب اليه**

الناس أحيانا طمعا في الشهرة وبعد الصيت ) وهو ختام يدل على أن الكاتب كان مؤرخا لحادث وعاد فرأى فيه ما يستغرب ويهول ولعل التحوير الذى وقع في رواية نابليون لم يكن من تصرفه الشخصى ، بل أوجده تضارب الروايات الأوربية قائلا عن قائل حتى ابتعد عن الحقيقة فى بعض النقاط . وذلك لايعنى أنه كان ملتزما بما انتهى اليه كل الألتزام . وذلك مجرد احتمال .

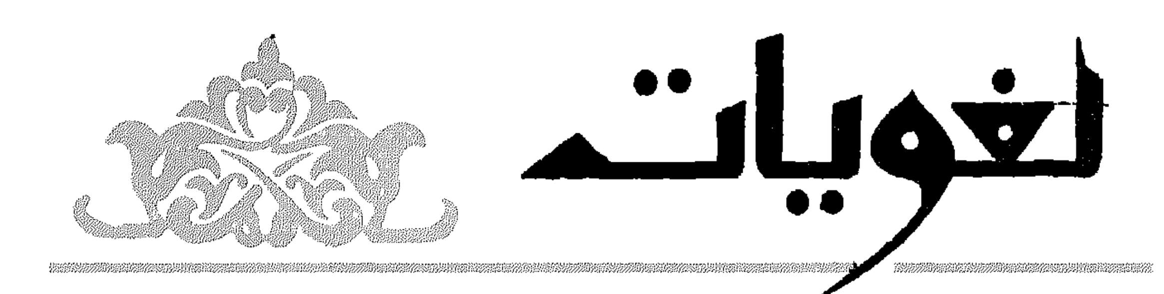
## أديب كبير

قرأت أن الناقد الفرنسى الكبير ( سانت بوف ) يعد نابليون اكبر خطيب عرفه عصره ، محتجا بروائع خطبه التى دفعت جنوده الى الهجوم على أضعاف أضعافها عدة وعددا ، وبأنه خاطب الهرم فى مصر خطاب الشاعر الأديب لا القائد المغامر ، كما قرأت أن الكاتب الفرنسى ( جاك نفيل ) سطر صفحات تشيد بأدب نابليون ، وقد امتد إعجابه الى أل بونابرت جميعا إذ كانوا فى رأيه أرباب بلاغة وفرسان بيان ، وحياة نابليون الحربية كانت عائقا كبيرا لانتاجه الفنى ، وإن لم تعق قراءاته الأدبية لروائع الآثار العالمية شعرا ونثرا ، ولولا هيامه الذاتى بالأدب لما كانت هذه الروائع رفيق خلوته ، وزاد وحدته ، وتلك عجيبة حقا . لأن وحدة هذا المغامر المتوثب من ميدان الى ميدان لا تتسع للأدب بحال ، إذ يجب أن تكون



الامبراطورة اوجينى

مجال تخطيط حربى ، وتدبير سياسى إلا إذا كان الشعور الأدبى من القوة بحيث يقهر الضرورات الحافزة لتفسح المجال لترويح نفسى يكون نسيما منعشا فى أشد لفحات الهجير ، هذا الى أن الأمبراطور الكبير قد فقد الصديق المخلص الذى يستحق ثقته الغالية حين تفيض همومه فى جنبات صدره . وتتطلب أذنا تعى . ولسانا أمينا يشير . فليكن الكتاب صديق الوحدة ، ونديم العزلة فى أويقات تمر سريعا كبرق يلمع بين متكاتف الغمام . وقد ظل نابليون محتفظا بنتاجه الأدبى طيلة حياته لأنه فى رأيه قطعة حية من نفسه ، وفورة ساخنة من دمه ، فهو إذن جدير بالصون والاعتزاز .



# لغويات

● أردنا فى لغويات الشهر الماضى أن نبين أن كلمة «طبيعى»مستعملة من قديم فى الادب العربى ، وأنها افضل من كلمة « طبعى » بفتح الطاء والباء ، التى هجرها الادباء فى عصرنا ولكن بعض « الصحفيين » ما زال يتمسك بها ، وأن القدماء كانوا يقولون « مدينى » بفتح الميم وكسر الدال ، بعدها ياء ، ثم نون مكسورة : اذا نسبوا أحد الناس الى المدينة المنورة ، ولا يقولون « مدنى » بفتح الميم والدال · لكيلا تختلط النسبة الخاصة بالمدينة النبوية مع النسبة العامة لاية مدينة أخرى · وقد شاء الغلط المطبعى أن يخلط الالفاظ بعضها ببعض فضاع هذا المعنى الذى أردنا بيانه ، فلزم التنبيه اليه هنا ! ··

**● وفى عدد يونيو الماضى وقعت غلطة مطبعية عجيبة ، ففى مقال : « العقاد وقصة ابنته المنتحرة » ·· جاءت فى آخر سطر كلمة « معصوم » مرسومة هكذا : « عصوم » ولا تحتاج كلمة معصوم الى شرح ، أما «عصوم» فمن معانيها « أكول » ·· يقال : هذا شخص عصوم ، أى كثير الاكل · وهكذا قلب الغلط المطبعى المعنى رأسا على عقب ! ··**

● كان طه حسين يكثر فى كتاباته من قوله ـ مثلا ـ « كنت أذهب الى ذلك المكان من حين الى حين » ·· يعنى : من وقت الى وقت !·· فانتقده مصطفى صادق الرافعى قائلا : « الحين هو الزمن » ·· يعنى أنه لا يصح أن يسمى الوقت القصير حينا ! ·· وهذا غلو من الرافعى لما كان يعتبره من « سقطات » طه حسين اللغوية ، فان « الحين » ـ كما قال اللغويون ـ على وجوه كثيرة ·· الوجه الاول بمعنى « سنة » وفى القرآن « تؤتى أكلها كل‌حين »·· أى كل سنة·· والثانى بمعنى يوم القيامة ، « ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين » ·· أى الى يوم القيامة ·· والثالث : ساعات‌الليل والنهار : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » ·· الخ ·· واللغة تتسع لاصحابها ··

**● من عجائب ما سمعت أخيرا قول بعضهم ان ادباء عصرنا يخطئون فى قولهم : « رأيته أو قابلته البارحة » ·· وأن الصواب أن يقولوا : « رأيته ليلة أمس » ·· وهذا معناه أن الشاعر الجاهلى الفحل طرفة بن العبد ـ أحد أصحاب المعلقات المشهورة ـ لم يكن يعرف اللغة العربية حين قال :**

**كلهم أروغ من ثعلب**
**ما أشبه الليلة بالبارحة**

على أن طرفة بن العبد كان ـ فيما نظن ـ أبصر باللغة العربية من بعض المتشدقين بها الآن ! ··

# المماليك .. والعثمانيون .. والحضارة ؟

## بقلم : د . محمد عمارة

**لقد حققت دول العسكر المماليك لأمتنا نصرا مؤزرا ، ضد التتار .. وضد أطول وأبشع غزوات العصور الوسطى : الغزوة الصليبية ( ٤٨٩ ـ ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١ م ) .. لكنها ، على الجبهة الحضارية ، أصابتنا بالتراجع والهزيمة والجمود .. ولقد حدث أن تزامنت هذه المفارقة مع نهضة الغرب الأوربى ، الذى اكتشف من خلال صراعه المسلح معنا ، تراثه اليونانى ، فأضاف إليه إبداع حضارتنا فى المنهج التجريبى وإضافاتها فى العلوم الطبيعية ، فبنى عليهما نهضته الحديثة العملاقة .. فكان أن انتصر المهزوم عسكريا فى الميدان الحضارى ، وانهزم المنتصر عسكريا فى هذا الميدان ؟!.. وشهد التاريخ كيف تبادلنا المواقع الحضارية ـ من حيث النهضة والتراجع ـ مع الغرب الأوربى ..**

فلقد كنا سادة العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ، وكانوا يعيشون الجهل المظلم .. وعندما أهدى هارون الرشيد ( ١٤٩ ـ ١٩٣ هـ ٧٦٦ ـ ٨٠٩ م ) "ساعة" تضبط الوقت إلى ملكهم شرلمان ( ٧٤٢ ـ ٨١٤ م ) فأحضر شرلمان قساوسة الإمبراطورية ـ مفكرى الغرب يومئذ ـ لرؤيتها ، أصابهم الرعب من حركتها ، وقالوا : لابد أن يكون قد تقمصها شيطان ؟![1].. حدث ذلك على عهد الرشيد وشرلمان .. فلما حدث أن تبادلنا معهم المواقع ، رأينا شيوخ الأزهر ـ وهم سلالة الذين صنعوا المجد العلمى لحضارتنا ـ يذهبون لزيارة مقر البعثة العلمية التى صحبت الحملة الفرنسية على مصر ( ١٢١٣ ـ ١٢١٦ هـ ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م ) فإذا رأوا تجربة كيميائية بسيطة فى زجاجة اختبار ، أصابهم ما أصاب قساوسة الغرب عندما رأوا ساعة الرشيد فى بلاط شرلمان ؟.. وبلسانهم تحدث الجبرتى عن علم الفرنسيين هذا فقال : "ولهم فيه أمور

**وأحوال وتراكيب غريبة ، تنتج منها نتائج لا تسعها عقول أمثالنا"....**[2]

والأزهر - الذى كان يدرس طلابه علم الفلك ، ويشتغل علماؤه بصناعته ، عندما كانت الكنيسة الأوربية تحاكم جاليليو ( ١٥٦٤ - ١٦٤٢ م ) - تبادل مع الغرب المواقع ، فنهضت جامعات الغرب ومعاهده فحققت الانتصارات الفلكية الباهرة .. وتخلفنا نحن ، حتى ليحكى الجبرتى ( ١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ ١٧٥٤ - ١٨٢٢ م ) ذلك الحوار الذى دار بين الوالى التركى على مصر سنة ١١٦٢ هـ ١٧٤٩ م - أحمد باشا - وبين شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشبراوى ( ١٠٩٢ - ١١٧٠ هـ ١٦٨١ - ١٧٥٧ م ) حول مكان علم الفلك - وكان الوالى من المهتمين بمباحثه - فى مناهج الأزهر التعليمية .. وهو حوار شاهد على تبادلنا المواقع مع الغرب فى الاهتمام بهذه العلوم التى تؤسس عليها النهضات الحضارية ..

**الوالى** : المسموع عندنا بالديار الرومية - ( التركية ) - أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت فى غاية الشوق إلى المجىء إليها ، فلما جئتها وجدتها - كما قيل - : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ؟!

**شيخ الأزهر** : هى - يامولانا - كما سمعتم ، معدن العلوم والمعارف .

**الوالى** : وأين هى ؟! وأنتم أعظم علمائها ، وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئا ، وغاية تحصيلكم : الفقه ، والمعقول ، والوسائل . ونبذتم المقاصد ؟!..

**شيخ الأزهر** : نحن لسنا أعظم علمائها ، وإنما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام . **وغالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشىء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة إلى علم الفرائض والمواريث** !..

**الوالى** : وعلم الوقت كذلك من اللوم الشرعية ، بل هو من شروط صحة العبادة ، كالعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، وأوقات الصوم والأهلة ، وغير ذلك ..

**شيخ الأزهر** : نعم .. معرفة ذلك من فروض الكفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، **وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية ، كرقة الطبيعة ، وحسن الوضع ، والخط ، والرسم والتشكيل ، والأمور العطاردية ، وأهل الأزهر بخلاف ذلك ، غالبهم فقراء ، وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق ، فتندر فيهم القابلية لذلك** ..؟!"[1]

تلك كانت حال الأزهر - أعظم منارات العلم فى أمتنا يومئذ - وذلك هو حظه من العلوم التى نهض بها الغرب وتسلح ، ثم خرج للاستكشاف والاستعمار والهيمنة والاحتواء !..

وبلغت الهزيمة قمة المأساة .. فضاعت الأندلس ، بعد سقوط غرناطة ( سنة ٨٩٧ هـ سنة ١٤٩٢ م ) .. واكتشف الغرب طريق رأس الرجاء الصالح ( سنة ٩٠٣ هـ سنة ١٤٩٧ م ) فالتف من حول الأرض العربية ، ليحتل بلاد الاسلام فى شبه القارة الهندية والشرق الأقصى تمهيدا للانقضاض على القلب العربى من مواقع عدة : مصر - بحملة بونابرت ( ١٧٦٩ - ١٨٢١ م ) فى سنة ١٢١٣ هـ سنة

١٧٩٨ م ) .. والجزائر فى ( سنة ١٢٤٦ هـ سنة ١٨٣٠ م ) .. وعدن فى ( ١٢٥٤ هـ سنة ١٨٣٨ م ) .. ثم الاحتلال الانجليزى لمصر ( سنة ١٢٩٩ هـ سنة ١٨٨٢ م ) والفرنسى لتونس ( سنة ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م ) والايطالى لليبيا ( سنة ١٣٢٩ هـ سنة ١٩١١ م ) والفرنسى للمغرب ( سنة ١٣٣٠ هـ سنة ١٩١٢ م ) .. ثم عمت البلوى عندما تمخضت الحرب العالمية الأولى ( ١٣٣٢ - ١٣٣٧ هـ ١٩١٤ - ١٩١٨ م ) عن اكتمال الهيمنة الغربية على كل وطن العروبة وعالم الاسلام ؟!.. فوصل المسلمون وعالمهم إلى قمة المنحدر الذى صنعت بداياته ونسجت خيوطه الهزيمة الحضارية التى صنعتها عسكرة الدولة والمجتمع فى ظل دول العجمة التى بدأت بالترك المماليك .. لقد نجحوا عسكريا ، بقيادة الملك الأشرف ( ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م ) فى إزالة آخر الحصون الصليبية من عكا ( سنة ٦٩٠ هـ سنة ١٢٩١ م ) فحققوا بهذا النصر أحلام الناصر صلاح الدين الأيوبى ( ٥٣٢ - ٥٨٩ هـ ١١٣٧ - ١١٩٣ م ) .. ولكنهم بالهزيمة الحضارية التى صنعوها قد أصابوا الأمة بالضعف والهزال ، بل والشلل الذى أعجزها عن صد الغزوة الاستعمارية الحديثة ، فكان أن دخل الجنرال الفرنسى جورو ( ١٨٦٧ - ١٩٤٦ م ) على رأس الجيش الغازى إلى دمشق ( سنة ١٣٣٨ هـ سنة ١٩٢٠ م ) ، فذهب إلى قبر صلاح الدين ليقول له : "ها نحن قد عدنا ياصلاح الدين" ؟!.. فالهزيمة الحضارية التى صنعوها قد أثمرت فى النهاية ضياع الكثير ، بما فيه النصر العسكرى الذى أحرزوه !!.

على أننا نظلم الحقيقة ، كما نظلم أمتنا وتاريخها وحضارتها إذا لم ننبه الى حقيقتين من حقائق هذا الموضوع :

**أولاهما** : أن التراجع الحضارى لم يكن كاملا ، والتخلف لم يكن شاملا ، والجمود لم يكن عاما فى كل ميادين الفكر والعلم والابداع .. فعلاوة على الجهود العملاقة التى نهض بها أعلام أفذاذ فى كتابة التاريخ ، الذى حفظ للأمة ذاكرتها .. وفى تدوين الموسوعات التى جمعت علوم الحضارة وفنونها ، فحفظتها من الضياع ، وخففت كارثة تدمير التتار لمكتبات بغداد ... وغير ماصنعه الأزهر الشريف ، والزيتونة ، والقرويون ، والجامع الأموى ، ومدارس بخارى ، وسمرقند الخ من احتضان العربية وعلومها ، والقرآن والحديث وعلومهما .. كانت هناك المدارس التى قامت ، منارات للعلم الديني واللغوى ، منذ عصر الناصر صلاح الدين الأيوبى .. ففى مصر وحدها - على سبيل المثال - انتظم التعليم فى ثلاثين جامعا ومسجدا ورباطا وزاوية وخانقاه - وذلك غير الأزهر الشريف .. كما انتظم التعليم فى مائة وخمس وعشرين مدرسة ، فى المدة من [ ٥٦٦ هـ ١١٧٠ م ] سنة انشاء "المدرسة الناصرية" الى [ ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م] عندما أنشئت "مدرسة محمد بك أبو الذهب" بجوار الأزهر الشريف ..[٤]

وغير مدارس العلم .. وجهود الجمع والتصنيف للموسوعات .. والجهود العملاقة فى فن التاريخ .. كانت هناك

ومضات للابداع فى عدد من العلوم ، واضافات ذات شأن فى بعض الفنون ..

لكن ذلك كله كان أدنى من المستوى الطبيعى لهذه الأمة ولحضارتها .. فإذا ماقورن بالذى كان يحدث فى بلاد الحضارة الغربية ، مركز التحديات التاريخية لبلادنا وأمتنا وحضارتنا ، وضحت المفارقات الصارخة ، وظهر جليا للعيان أن هذه "الذبالة" التى ظلت مضيئة فى الليل الطويل لدول العسكر المماليك ، لم تكن ، اذا ماقيست بمنارة حضارتنا فى عصر ازدهارها ، أو قورنت بالنهضة الغربية الحديثة ، لتسمن أو تغنى عندما يجد الجد ، وتبدأ دورة جديدة من دورات الصراع التاريخى بين أمتنا والحضارة الغربية الطامعة فى احتواء عالم الاسلام ..

وهذا بالفعل ، هو الذى كان .. فعندما هبت على بلادنا عاصفة الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة ، وضح للعيان أن تخلفنا الحضارى قد نزع أسلحة الأمة الفاعلة ، بينما يواجهها خصمها بعلوم قد نسيتها ، وتطبيقات لهذه العلوم قد جهلتها ، فكانت الهزيمة التى حولت بلادنا الى فريسة للغرب ، يفرض عليها الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية ويجاهد لاحتواء عقلها بفكرية التغريب ...

**وثانيتهما** : أن الدولة العثمانية [ ٦٩٩ ـ ١٣٤٢ هـ ١٢٩٩ ـ ١٩٢٤ م ] قد مثلت محاولة هامة وجادة لتجديد شباب الدولة المملوكية عندما أصابها الضعف ، والتف الغرب حول وطنها بعد اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح [ ٩٠٣ هـ ١٤٩٧ م] ... ولقد نجح العثمانيون فى نقل المعركة الى قلب أوربا ، فمدوا حدود عالم الاسلام ، واتخذوا مواقع الهجوم عندما عجزت الدولة المملوكية عن النهوض بمهام الدفاع ؟!... كذلك نجح العثمانيون فى توحيد أغلب بقاع العالم الاسلامى فى اطار الامبراطورية العثمانية ، فمدوا فى عمر الوحدة الاسلامية ، واستثمروا قوتها فى تأخير الاجتياح الأوربى لعالم الاسلام لعدة قرون ...

## القوة العسكرية .. اولا

**لكن هذا الانجاز العثمانى ، على أهميته الكبرى ، لم يكن على مستوى الخطر القادم من الغرب ، الزاحف بأسلحة النهضة الأوربية وعلومها .. فبداوة العثمانيين التى صبغت دولتهم بالصبغة العسكرية ، قد جعلت منهم قوة عسكرية ضاربة لا تستند الى ابداع حضارى ينمى العمران ويمدن الحياة فى البلاد التى تفتحها الجيوش ، وهم لذلك كانوا تجديدا "للقوة" التى ضعفت فى دول العسكر المملوكية ، ولم يكونوا تجديدا "للحضارة" العربية الاسلامية ..**

ولقد حرم العثمانيين من "الزاد الحضارى" اللازم لعمران البلاد المفتوحة والضرورى لتمدن الامبراطورية العظمى التى أقامتها قوتهم العسكرية ، حرمهم من هذا "الزاد الحضارى" نفورهم من العروبة واحتقارهم للعرب .. فلم يتعربوا حتى يصبحوا جزءا من

الحضارة العربية الاسلامية ، وانما احتفظوا بمغايرتهم للعرب، فوقفوا - كالترك المماليك - في كثير من الأحيان عند شكل التدين بالاسلام ، دون أن يفجروا طاقات الابداع الحضارى الاسلامية ، والتى هى عربية الهوية والمزاج !..

ولعل هذه "الثغرة القاتلة" هى التى تصاعدت بالنفور التركى من العرب ، فجعلت الادارة التركية للولايات العربية العثمانية على نحو من الفوضى ودرجة من الظلم زادا من ضعف الأمة وتخلفها الحضارى .. فلم يشهد الخط البيانى لحضارتنا العربية الاسلامية ، خلال الحقبة العثمانية ، أى درجة من درجات الصعود ...

فلما ضعفت الدولة العثمانية ، "كقوة عسكرية ضاربة" ، وزاد من هذا الضعف خلل الادارة ، وفوضى الجند ، وزيادة المظالم والتعديات .. لم يكن هناك الابداع الحضارى القادر على ترميم الثغرات التى انفتحت فى "الجدار العسكرى العثمانى" فزادت أمراضها استفحالا ، وبلغت أدواؤها حد الاستعصاء على الاصلاح !..

وحتى عندما فكرت فى الاصلاح ، فإن نفورها من العروبة قد صرفها عن التوجه للتعرب وتجديد الحضارة العربية الاسلامية ، وتأسيس اصلاحها على نمطها الحضارى ، وانما ذهبت منذ عهد السلطان سليم الثالث [ ١٢٠٣ - ١٢٢٢ هـ - ١٧٨٩ - ١٨٠٧ م ] الى الغرب ، تطلب "التحديث" على النمط الغربى ، حتى جاء الوقت الذى استلهمت فيه من الغرب مفهومه العنصرى للقومية ، فكانت محاولاتها الخرقاء لتتريك العرب فى القرن التاسع عشر الميلادى ، تلك التى زادت حدتها بصعود وتصاعد تيار الحركة الطورانية المعادية للعرب والعروبة ، الأمر الذى أتاح الفرصة لبروز فكر قومى عربى معاكس ، شحنته قوى موالية للغرب بالعداء للرابطة العثمانية ، والفصل بين العروبة والاسلام ..

تلك هى "الثغرة القاتلة" التى أعجزت الدولة العثمانية عن تجديد الحضارة العربية الاسلامية ، والتى وقفت بها عند حدود "تجديد القوة الضاربة لدولة العسكر المماليك" التى سبقتها .. ولذلك عجز العثمانيون عن تجديد شباب قوتهم عندما دب فيها الضعف .. فتبدل صمودها أمام الغرب خضوعا وتسليما .. فتسللت أوربا - أولا - بالامتيازات ، الى ولايات الدولة العثمانية(٥) ... ثم أخذت تقتطع الأجزاء تلو الأجزاء من هذه الدولة .. وظلت تحرس ضعف "الرجل المريض" ، ترتيبا لأوراق تنافسها الاستعمارى على تركته وتحينا للظرف المناسب للاجهاز عليه ، حتى كانت الحرب العالمية الأولى ، فأجهزت على "رمز" الخلافة الاسلامية ، و"وعاء" وحدة عالم الاسلام ، وقسمت أشلاءه بين دولها الاستعمارية .. وذلك حتى لا يظل "الرمز" و"الوعاء" يغريان رواد اليقظة الاسلامية بتحويل "الرمز" الى "حقيقة فاعلة" ، وملء "الوعاء" بما

يصلح شأن المسلمين ويجدد شباب حضارة الاسلام ..

فلا الومضات التى ظلت تبعث الضوء فى أماكن متفرقة وميادين متناثرة من عالم الاسلام .. ولا القوة الضاربة للدولة العثمانية .. قد استطاعت الحيلولة بين التراجع الحضارى وبين النهاية المأساوية التى انتهت اليها الأمور ... وصدق جمال الدين الأفغانى عندما أشار الى أن "المقدمات" قد بلغت من القوة حدا جعل السقوط حتما وقدرا مقدورا .. فلقد قال :

**« إنّ مبدأ تدهور ممالك المسلمين فى الشرق كان من شاهق عظيم ، ولا يمكن للحكيم الوقوف فى سبيل سقوطه وهو فى وسط الانحدار ، أو بقربه من نقطة المركز .**

**ذلك الشاهق العظيم ، شاهق حكمة الدين ؟!. واذا كان انحطاط الأمم مرضا ، وله سير معلوم ، فيتعذر على الطبيب الحاذق توقيف السير ، بل غاية مايمكنه : الاتيان بالملطفات والمسكنات ، حتى ينتهى السير ، ويبل العليل ، ويدخل فى دور النقاهة .. نعم .. لو استقلت قدرة البشر بالتأثير ، ماانحط رفيع ، ولا ضعف قوى ، ولا انهدم مجد ، ولا تقوض سلطان .. ؟!..[٦]**

## هوامش

(١) [ رسالة المؤتمر الخامس ] ص ٤٦ . طبعة القاهرة ١٩٧٧ م .
(٢) [ عجائب الآثار ] جـ٣ ص ٣٧ .

(٣) [ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ] المجلد الأول . ص ٢٧٦ ومابعدها . طبعة دار فارس . بيروت .

(٤) انظر فى مدارس مصر وجوامعها التى كانت مدارس للعلم : الملحق الخامس من كتاب [ التعليم فى مصر ] لأمين سامى باشا . ص ٢ ـ ٣٢ . طبعة القاهرة ١٩١٧ م .

(٥) انظر كتابنا [ فجر اليقظة القومية ] ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩ طبعة بيروت ١٩٨١ م .
(٦) [ الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ] ص ٢٤١ ، ٢٤٢ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة القاهرة ١٩٦٨ م .

# جذور التطرف الديني (٣)

# عبد الناصر والتيار الديني

بقلم : د . محمود اسماعيل

**انتهينا فى المقال السابق إلى إفلاس الأحزاب الليبرالية والمحافظة سواء بسواء نتيجة معطيات سياسية .. فلاهى أنجزت « الجلاء » لاتباعها أسلوب ، « المفاوضة » العقيم .. أما « الدستور » فلطالما انتهك بتدخلات « القصر » و « الانجليز » .. كما كان لاغفالها البعد الأجتماعى فى النضال الوطنى من وراء هذا الأفلاس الجماهيرى .. ولم يجد إلغاء الوفد معاهدة ١٩٣٦ فى محو آثار حادث ٤ فبراير المشئوم .**

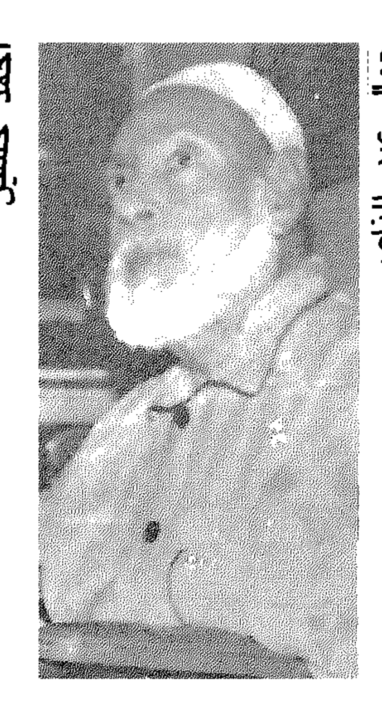
**وظلت أحزاب الأقلية ألعوبة فى يد القصر والأنجليز ، فأخذت تترى على تداول الحكم حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ دون أن تقدم جديدا للحركة الوطنية .. وكان حريق القاهرة رد فعل للفساد السياسى .. والاجتماعى وتعبيرا عن حالة من اليأس وفقدان الثقة فى الأحزاب التقليدية .. ذلك الحادث الذى لاتزال أسبابه ملغزة لحد الساعة ..**

وإن كنا نقترح ـ حتى على صعيد البحث ـ إعادة طرحه من منظور يضع فى الاعتبار .. مواقف الأخوان المسلمين وحزب « مصر الفتاة » الاشتراكى وربما التنظيمات الشيوعية كقوى ضالعة فى نسج هذا الحادث ..

لقد كانت هذه القوى تتحسس السبيل للافادة من إفلاس الأحزاب التقليدية فى الوصول إلى الحكم بطريقة أو بأخرى .. لكن قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وضع حدا لطموحاتها .. وهذا يفسر مواقفها من



جمال عبد الناصر



احمد حسين



حسن الهضيبى

الثورة رغم اعلان الأخيرة عن طابعها الراديكالى ممثلا فى المبادىء الخمسة التى تبنتها .. ولم تعدم هذه القوى وجود ممثلين لها ـ تراهن عليهم ـ فى مجلس قيادة الثورة .. ثم كان إلغاء الثورة للأحزاب ـ بعد عجزها عن تطهير نفسها ـ مدعاة لاستمرارية المراهنة .. أما الحزب الأشتراكى « مصر الفتاة » فكان أقل طموحا ـ نظرا لضآلة جماهيريته من ناحية ولتبنى الثورة بل وتحقيقها لبرنامجه الراديكالى وهذا يفسر رضوخ قياداته « للأمر الواقع » وتعاطف الثورة مع رجالاته وتكريم زعيمهم « أحمد حسين » حتى وفاته ..

أما الشيوعيون فقد اجتمعوا على تعدد فصائلهم وعلى إدانه الثورة .. وذهبت تحليلاتهم « النظرية » إلى أنها لا تعدو « انقلابا عسكريا » بصمته أيدى المخابرات الأمريكية وقد عبرت عن موقفها هذا فى أحداث انتفاضة عمال كفر الدوار ـ حركة خميس والبقرى ـ التى قمعت بعنف .. ولم يعد للشيوعيين فعالية تذكر فى الساحة السياسية بعد اعتقالهم ..

أما الأخوان المسلمون فقد شكلوا القوة الحقيقية التى كان الصدام بينها وبين الثورة قدرا محتوما .. لقد اتسمت العلاقة بين الطرفين خلال عامين من ميلاد الثورة بالحذر والمناورة والتربص .. ولم لا ؟ وكانوا على صلة قبل الثورة ببعض رجالاتها وخاصة زعيمها جمال عبد الناصر .. وكان عبد المنعم عبد الرءوف ـ أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ـ همزة الوصل بين الطرفين .. لذلك شكل دوره فى المجلس وسلوكه « مختبرا » يقيس الصراع المرتقب .. وقد أسفر الأخوان عن موقفهم المعادى للثورة حين انحازوا إلى جانب « محمد نجيب » ضد معظم أعضاء المجلس .. وتصوروا أيلولة الأمر إليهم بعد اعادته لرئاسة

الجمهورية .. لقد راهنوا على ضعفه من ناحية وعلى رصيدهم فى الجيش فضلا عن « نظامهم الخاص » القوى من ناحية أخرى فى احتواء الثورة وبالتالى وصولهم إلى السلطة ..

لكن خاب ظنهم حين أدركوا أن عبد الناصر ـ من خلال تداعي الأحداث ـ هو الرجل القوى خاصة أنه كان على علم ودراية بمكامن ضعفهم وقوتهم في آن .. لذلك عمدوا إلى أسلوب المناورة مرة أخرى فاعتذر « الهضيبى » مرشد الجماعة عما حدث متعللا بأن ما جرى تم رغما عنه لأنه لايملك السيطرة على قيادات الجهاز السرى... وبالمثل عمد عبد الناصر إلى ذات الأسلوب مفيدا من الانشقاقات داخل الجماعة .. ومن المؤكد أن الشيخ الباقورى لعب دورا هاما فى هذا الصدد فى صفوف الاخوان لصالح الثورة .. لقد كان الترقب الحذر وتجميد الموقف إلى حين قاسما مشتركا بين الخصمين العنيدين فى سياستهما إزاء بعضهما البعض .. وكان ما كان من إنجاز « اتفاقية الجلاء » التى رأى فيها الأخوان عملا يزيد من قوة الخصم وازدياد جماهيريته لذلك لم يتقاعسوا عن اشهار تشكيكهم للاتفاقية وبالتالى بدء الحلقة الثانية من الصراع .. وذلك بالتآمر على حياة عبد الناصر نفسه .. فكان ما كان من أمر حادث المنشية الذى يري البعض أنه كان « حادثا مدبرا » قصد منه عبد الناصر خلق الفرصة لضرب الجماعة .. ونحن نشك فى ذلك فى ضوء معرفة سياسة « الاغتيال السياسى » التى عمدت الجماعة إلى اتباعها للتخلص من الخصوم .. كذا فى ضوء حالة اليأس التى حلت بالجماعة لصعود نجم عبد الناصر يوما بعد الآخر ..

وعلى أية حال كان هذا الحادث بمثابة « الضربة القاضية » التى وجهت لجماعة الأخوان .. فكان ما كان من إعدام بعض قياداتهم والزج بأتباعهم فى السجون سنة ١٩٥٤ ..

وما يعنينا بصدد دراساتنا هو أن بعض الدارسين رأوا فى البطش بالاخوان بداية لميلاد ظاهرة التطرف الدينى .. وما نؤكده هو خطأ هذا الرأى لعدة اعتبارات ..

١ ـ أن الصراع بين عبد الناصر والأخوان كان صراعا سياسيا وليس عقيديا .. فلا أحد يشاحح فى « تدين » عبد الناصر ومعظم قيادات مجلس قيادة الثورة ..

٢ ـ أن عبد الناصر حين ألغى الأحزاب أبقى على جماعة الأخوان كجماعة للاصلاح الدينى . بل استعان ببعض رجالات الجماعة فى حكومته الأولى ..

٣ ـ أن الدين حظى باهتمام عبد الناصر طوال حكمه ففى عهده أنشىء الكثير من المساجد وتم تطوير الأزهر وتأسيس المؤتمر الاسلامى والمجلس الأعلى للشئون الأسلامية .. إلى غير ذلك من الاصلاحات التى تنم عن إجلاله الدين وتوقير رجاله ..

٤ - أن الصدام وقع بين عبد الناصر والأخوان حين تخلوا عن مبادىء جماعتهم المعلنة وتطلعوا إلى السياسة متوسلين بالقوة .. لذلك نوافق على تحليلات الدكتور فؤاد زكريا فى كتابه « الحقيقة والوهم » فى نفى كون التطرف الدينى نتيجة لبطش عبد الناصر بالأخوان ..

لكننا نخالفه من ناحية أخرى حين ناقض نفسه فرأى أن « حكم الفرد » و« اللاديمقراطية الناصرية » مهدت « للتطرف الدينى » .

إن الحديث عن الديمقراطية فى السنوات الأولى لثورة وطنية اجتماعية أمر يتم عن خطأ فى إدراك طبيعة الظروف الموضوعية للثورات بما تقتضيه من « أجراءات استثنائية » إن هذه الاجراءات الأستثنائية « سلوك طبيعى » و « حتمى » إزاء طبيعة الثورة ، باعتبارها هدما للقديم وارساء للجديد » ، ومن هنا تكتسب هذه الأجراءات « مشروعيتها .. إن « القوى المضادة » .. فى صراعها مع الثورة باسلوب العنف تقتضى من الثوار « الرد بالمثل » بل بمزيد من العنف والثورات عموما فى مراحل الهدم والبناء لصالح الجماهير - لا يمكنها أن تبدأ مرحلة « التشريع » و « التقنين » إلا بعد إنجازها لمهامها التاريخية ومثال الثورة الفرنسية فى هذا الصدد أصدق من دليل

بحيث لم تبدأ مرحلة التشريع إلا فى عهد « نابليون » بعدما يزيد على ثلاثين عاما من بداية الثورة ..

و « الديمقراطية » كما ابتدعتها « أثينا » فى بلاد اليونان - لم تكن مطلقة مجردة بل فى أثينا نفسها ولدت « الديكتاتورية » وذلك إبان الظروف الاستثنائية كتعرض البلاد للخطر الأجنبى .. ولم يكن مصطلح ، « ديكتاتور » أنذاك يحمل المفهوم البغيض الذى نعرفه اليوم .. بل كان يعنى « الزعيم الحكيم الذى يستطيع أن يجتاز مواقف الخطر » فى ظروف لا تسمح بانعقاد المجالس الشعبية والدستورية ..

وبنفس الرؤية أيضا لانوافق الرأى القائل بأن ميلاد التطرف الدينى كان لأسباب « سيكولوچية » تخلفت على إثر انتكاسة يونية ١٩٦٧ ..

وإذا كنا نأخذ برأى صديقنا الدكتور فؤاد زكريا فى تخطىء هذا الزعم انطلاقا من أن ذيوع وانتشار هذه الظاهرة حدث بعد انتصار ١٩٧٣ .. فإننا لا نشاركه القول فى اعتماد ذات الرؤية « السيكولوجية » حيث قال « إن الانتشار الهائل لهذه الحركات هو تعبير صريح عن اكتمال الهزيمة وعن تغلغلها فى نفوس الناس وعقولهم »

إن هذا التناقض فى آراء صديقنا راجع إلى اعتماده منهجا عقلانيا تجريديا بحيث يقوده « المنطق الشكلانى » إلى إرجاع ظاهرة هامة كالتطرف الدينى إلى أسباب « نفسية وعقلية » .. فلو صح هذا التعليل السيكولوجى « العصابى » لكان من المنطقى أن يظهر « المرض » على إثر الهزيمة مباشرة دون أن يحتاج إلى ستة أعوام لتظهر اخطاره .. !! وإن كان

« المرض نفسيا عقليا » حقا «ونتيجة هزيمة ١٩٦٧ فإن انتصار ١٩٧٣ كان كفيلا بالشفاء منه .. !! لكنه خطأ المنهج والرؤية التى تعول على « العقلانية الشكلانية » و « المنطقية التجريدية » .. ! ولعل هذا الخطأ نفسه هو الذى جعل مفكرنا الكبير يرى فى السبعينيات امتدادا للستينيات ، والخمسينيات بحيث تجتمع الحقب الثلاث وفق منظوره تحت لواء « ثورة يوليو » التى جعلها الدكتور زكريا سببا لميلاد ظاهرة التطرف الدينى ..

إن تصحيح هذه الأخطاء لايمكن أن يتم بمعزل عن المنهج « التاريخانى الاجتماعى » والرؤية « السوسيو - سياسية » .. وبفضلهما يمكن تعقب وتعليل الظاهرة تعليلا صحيحا .. فنحن نرى أن ظاهرة التطرف الدينى لم تظهر قط فى الستينيات .. ويرجع ذلك إلى الانجازات « الراديكالية » لثورة يوليو منذ الخمسينيات وطوال الستينيات .. تلك الأنجازات التى تنحاز للجماهير فى النهاية والتى جرت وفق « ايديولوچية ثورية واختيارات اشتراكية عكست أبنيتها «الأخلاقية » والفكرية والتشريعية .

وإذا كنا نوافق مفكرنا وصديقنا على أن السبعينيات هى التى شهدت تفاقم ظاهرة التطرف الدينى كما وكيفا فلا يرجع ذلك لاسباب سيكولوجية تولدت عن هزيمة ١٩٦٧ بقدر ما شهدته السبعينيات من انتكاسة ثورة يوليو ١٩٥٢ وظهور « الردة » عليها نتيجة الاختيارات الجديدة التى تمثلت فيما اصطلح على تسميته خطأ - « بالأنفتاح الاقتصادى » وهو ما سنوضحه فى المقال التالى ..

نعود إلى مواصلة رصد موقف عبد الناصر من الأخوان المسلمين .. كان من الطبيعى أن تظل « تأرات » هذه الجماعة كافية فى الصدور وذلك بتأثير معطيات سوسيو - سياسية داخلية وخارجية .. فعلى الصعيد الداخلى كانت ثورة يوليو بعد نجاحاتها المظفرة فى ضرب القوى المضادة فى الداخل وإزاء المؤامرات الخارجية التى فشلت بفشل عدوان ١٩٥٦ .. نقول أسفرت الثورة عن اختياراتها الاشتراكية فكرا وعملا فسياسة التأميم والتصنيع والتنمية المخططة وما نجم عنها من تعاون مع القوى الاشتراكية العلمية ومساندة من اليسار الماركسى فى الداخل .. وما ترتب على ذلك كله من تعاظم « التجربة الناصرية » والتفاف الجماهير حولها .. كل ذلك وغيره كان من اسباب تواطؤ القوى الرجعية مع الأمبريالية الامريكية للتامر على التجربة الناصرية .. ولم يكن هناك قوى داخلية أقدر على تنفيذ هذه المخططات من « الاخوان المسلمين » .. خاصة أن الكثيرين منهم قد نزحوا بعد الاعتقال الأول إلى دول الخليج حيث أثروا وتواطئوا مع الرجعية « الكهنوتية » .. ولكن المساندة الجماهيرية لعبد الناصر وإدت هذا المخطط ولم يجد عبد الناصر صعوبة فى توجيه الضربة

الثانية القاضية للأخوان .. وذلك حين زج بهم فى المعتقلات مرة أخرى عام ١٩٦٥ .. ولم يكن جزافا إعدام « سيد قطب » .. باعتباره المنظر الجديد « للحاكمية » أو « الحكومة البترقراطية » ..

وكان ما كان من مضى الثورة فى طريقها الاشتراكي قدما ، وانجاز الخطة الخمسية الأولى بمعدلات طيبة أفزعت الدوائر الأمبريالية وعروش الرجعية العربية الكهنوتية خاصة بعد نجاح الناصرية عاليا نتيجة مساندتها لحركات التحرر الوطنى فى العالم الثالث عموما والعربى بوجه خاص .. أما وقد فشل التآمر مع قوى الثورة المضادة فى الداخل بالقضاء على فلول « حركة الأخوان » فلم يكن هناك من سبيل سوى تدبير حرب ١٩٦٧ .. وبرغم اختلافنا مع الكثير من الأراء التى تذهب فى تفسير الهزيمة إلى اسباب كامنة فى طبيعة « النظام الناصرى » الموسوم خطأ - باللاديمقراطية ، وترجيحنا للمقولة المقابلة التى تركز على التآمر الخارجي » فإننا نأخذ على « التجربة الناصرية » أخطاء ايديولوجية واستراتيجية لعل من أهمها المبالغة فى سياسة « التجريب » والحرص على النمط المصرى أو العربى الاشتراكى الخاص .. وغيرها من الأخطاء التى أفضت إلى « الردة » فيما بعد ..

وعلى أية حال - كانت الهزيمة « بردا وسلاما » سرى فى صدور أصحاب التيارات الدينية .. كانت « تشفيا » و « أنتعاشا » و « أنتقاما إلهيا » فى نظر أصحاب هذا الأتجاه .. ولم يكن كما ذهب الدكتور فؤاد زكريا سببا « لازمات نفسية وعقلية » مهدت للتطرف الدينى » ...

إن هذا الموقف من الهزيمة والتعبير عنه بهذه الصورة ذو دلالة بالغة على صدق ما نقول من عجز وضالة وعدم فاعلية أصحاب التيار الدينى فى القيام بعمل إيجابى ضد الناصرية .. بل إن قطاعا عريضا من الأخوان تاب إلى رشده وآزر الناصرية حتى أن بعضهم تقلد الوزارة ..

وليس أدل على ضآلة تأثير الهزيمة واقعيا من مطالبة الجماهير بشكل « سحرى » مذهل بعودة عبد الناصر زعيما وقائدا للمسيرة الوطنية .. ولعلها كانت من أسباب نضج القيادة » ومراجعتها للاخطاء « المنهجية » التى اشرنا إليها وجنوحها نحو مزيد من الثورية والاشتراكية بعد تخلصها من القيادات المعوقة داخل النظام ..

إن استقرار الأحوال الاقتصادية والاجتماعية بعد الهزيمة دليل لايرقى إليه الشك على استمرارية الثورية .. وان نجاحها فى إعادة بناء القوات المسلحة وإدارة « حرب الاستنزاف » والمضى فى طريق المزيد من الاشتراكية والديمقراطية دليل أخر على عدم مواتاة المناخ العام للتيارات الدينية كى تنمو وتفرخ ..

لم تنم هذه التيارات إلا بعد موت عبد الناصر ووصول السادات إلى السلطة وبداية التحول عن مسيرة ثورة يوليو ..

# جويا

# الفنان الذى سبق عصره

بقلم : د. صبرى منصور

يحتفل تاريخ الفن الاوربى منذ عصر النهضة الايطالى وحتى اليوم بأسماء العديد من المصورين والرسامين والمثالين ، الذين أقاموا صرح الفنون الشامخ فى الحضارة الاوربية لكن المصور الاسبانى فرانثيسكو جويا يحتل موقعاً فريداً بين كل هؤلاء ، فهو يمثل ظاهرة فنية فذة ، وعبقرية فى الخلق والابداع يندر تكرارها ، وابداعه الفنى الغزير خلال حياة حافلة كانت سماته الاساسية الصدق والحرارة والانسانية . ولقد تقلب انتاجه ما بين احترام والتزام بالواقع الى جنوح فى الخيال واغراق فى التهاويم الغامضة . وقادت خطواته الفنية غير المسبوقة الى تجديدات شملت سبل وطرائق التعبير الفنى واثرت فى مجرى تاريخ الفن وفى اجيال الفنانين الذين جاءوا من بعده .

لقد قدر لهذا الفنان الذى علم نفسه بنفسه ، والذى ولد فى بلد على حافة أوربا ـ معزولة منذ ايام فيليب الثانى عن الاصلاحات الاجتماعية والحياة الثقافية فى القارة ـ ان يحمل على عاتقه مهمة شق طريق جديد لفن التصوير . طريق يؤدى الى بنيان ثقافى واجتماعى قائم على الحرية ، وعدم الانصياع للتقاليد البالية .

وحين ولد جويا كان القرن الثامن عشر يشهد نموا وتصاعدا فى الفن والسياسة والعلم ، بغية تجديد النظام الاجتماعى القديم ، واحلال مجتمع اكثر عقلانية . كما كان هناك ايضا نمو فى الاتجاه العلمانى الذى كان قد بدأ منذ عصر النهضة ، وفى نفس الوقت بدأ فن الباروك يضمحل ويفقد بريقه ومثالياته التى ضاعت فى تفاهة فن الروكوكو ، وكان مبدأ الشك فى الفلسفة يقوض الجذور العميقة للمعتقدات والمسلمات التى كانت تشكل اسس الثقافة الغربية منذ القرون الوسطى . ولقد كان الفن ـ من خلال اتصاله المباشر بالواقع ـ هو



لوحة «الجليد» رسمت عام ١٧٩٧

الوسيلة التى يمكن من خلالها التعبير عن هذه الافكار ، وتجسيد الحساسية الجديدة •

لقد جاء فن جويا معاكسا للتيارات الفنية والثقافية السائدة فى عصره ، فمدرسة العودة الى الكلاسيكيات القديمة « نيوكلاسيزم » سواء فى السياسة او الادب والفن فى النصف الثانى من ذلك القرن حاولت ان تطبع بصماتها الحادة على فن التصوير ، لهذا كان الفن الذى يعتمد فى الهامه على الواقع والحياة اليومية حينذاك هو فن مرفوض ، بل ينظر اليه على انه فن سوقى خال من اية قيمة •

# جويا
## الفنان الذى سبق عصره

وكان جويا معاصرا للمصور الفرنسى دافيد ، الذى كانت لوحاته عن الجمهورية الرومانية تحمل فى ثناياها رسالة اخلاقية ، كما كان هناك المصور منجز مصور الملك فى اسبانيا والذى تعرف عليه جويا فى مدريد فيما بعد، وكان ينتمى ايضا الى ذلك الفن المثقف الذى اتفق على تسميته بالنيوكلاسيزم • لكن جويا كان يمضى فى اتجاه مغاير ومعارض لاتجاهاتهم الفنية والجمالية ، واليوم نستطيع ان نفهم فنه العبقرى المتقدم واذا كان عمل العبقرى هو التعبير عن عصره ، فيبدو انه غالبا ما يكون فى تعارض مع تيارات ذلك العصر •

كان الملك فيليب الخامس هوالعاهل البوربونى الحاكم على اسبانيا • وابن عمه لويس الخامس عشر ملكا على فرنسا ، حين ولد فرانثيسكو جويا فى الثلاثين من مارس عام ١٧٤٦ فى قرية فويندودوس الفقيرة باقليم اراجون ، وكان والده يعمل فى حرفة طلاء الذهب بمدينة ثارا جونا عاصمة الاقليم - هناك امضى جويا طفولته وصباه وتعلم القليل من حرفة التصوير والرسم فى مرسم الفنان خوسى لوذان الذى كان ذا اتجاه باروكى • وحين بدأت تتضح شخصيته الفنية ذهب الى مدريد حيث انشأت عائلة البوربون الاكاديمية الملكية للفنون الجميلة لتعطى للفنانين المبتدئين منحا للدراسة • وهناك شا ك جويا فى مسابقتين خلال اعوام ١٧٦٣ و ١٧٦٦ واخفق فى الاثنتين اذ كانت التعاليم الاكاديمية قاسية ومسيطرة • ولما كان الهدف المثالى فى عصر جويا ان يحصل الفنانون على منحة تساعدهم على استكمال دراستهم فى روما ، وحيث انه قد فشل فى الحصول على هذه المنحة ، لهذا فقد صمم على الذهاب الى ايطاليا على نفقته الخاصة • واعتمد هناك على ملاحظته الدقيقة لاعمال مشاهير المصورين • والغريب ان تطور فن جويا لم يعتمد على المؤثرات الخارجية بقدر ما اعتمد على التفجرات الهائلة التى تندلع من أعماق عبقريته، وعلى ذلك الجيشان العاطفى الذى ارتبط الى حد كبير ببعض الحوادث فى حياته وحين عاد جويا الى مدريد اشتغل فى بداية حياته الفنية فى مصنع للنسجيات تابع للبلاط الملكى ، حيث كان يقوم بعمل التصميم الذى يتم تنفيذه فيما بعد على السجاد الذى يستعمل فى تزيين القصور الملكية • وكان هذا العمل فرصة طيبة للمران على استعمال الالوان ، ونمت لدى جويا حدة ملاحظة الحياة اليومية ، كما علمته التجربة اضفاء الحياة والحركة على اشكاله وشخوصه وهى سمات نادرا ما تظهر فى الصور الاكاديمية ، كما كانت الحياة الشعبية هى موضوع ومحور اللوحات مما يعكس نزعة حب الانسان والبشر التى أعلى من شأنها فن القرن الثامن عشر •

وفيما بين اعوام ١٧٧٤ و ١٧٩٢ انتج جويا اعمالا خصبة ، وجعلت رسوم السجاد يديه اكثر مرونة ومنحته حرية اكبر • لقد أبدع اكثر من خمسين تصميما استعملت كنماذج لتصنيع السجاد ، ثم كدست فى المصنع حتى ثورة ١٨٦٨ حين انتقلت لتعرض

فى متحف البرادو لكى تعطينا اليـوم المدخل السعيد لعـالم جـويا الفنى
وعنى جويا المرض عـام ١٧٧٨ ، وفى اثناء فترة نقاهته بدأ فى انتـاج أعمال فى فن الحفر ، ومنحته هـذه الاعمال الفرصة لدراسة اللوحـات العظيمة لسلفه المصور الاسـبانى الشهير فلاسكيند ، ولقد تعلم منـه الدروس الاساسية التى سيسـتفيد منها فى اعماله المسـتقبلية فى فن الصورة الشخصية ٠

وفى عام ١٧٨٠ كان قد حصل على بعض الشهرة فى مدريد ، وتم اختياره كعضو فى الاكاديمية الملكية للفنـون الجميلة ٠

فى تلك الفترة الزمنية اتضح لجويا عمق الهوة التى تفصل بينـه وبين جماليات فن التصوير السـائدة فى عصره،وبعد عدة محاولاتفى التصوير الدينى فى الكنائس ، وفى محـاولة للتخلص من الطريق المحدود لتصـميم النسجيات ، اكتشف جويا ان طريقـه هو فن الصورة الشخصية (البورتريه) ولم يكن فن الصورة الشخصية عنـده مجرد مشكلة فنية وتقنية ، وانمـا ـ مثلما كان عند فلاسكيند ورمبرانت ـ طريقا للبحث عن الغموض والسـحر عند الانسان الفرد ٠ وكان يهمـه الغوص داخل الشخصية والتعبيـر بسرعة شخصية الموديل ، ويقول ابنه فيما بعد أن الصـور الشخصية التى كانت تعطيه الرضا والسعادة هى تلك الصور التى انجزها لاصدقائه المقربين والتى لم تتطلب لانهائها سوى جلسة واحدة ٠

فالتلقائية ، والسرعة ، والصراحـة هى السمات التى ميزت صـورة الشخصية وفى حوالى ١٧٨٥ بدأ جويا يتحركداخل اطار المجتمع الارستقراطى حيث أنجز العديد من لوحات الوجـوه لعلية القوم ، والتى اودعها اسـلوبه الجديد الذى تميز بالطلاقة والوضوح وفى عام ١٧٨٦ وكان فى سن الاربعين عين جويا مصورا للملك ٠ لقـد كانت بدايات طريقه صعبة وشاقة ، ولـكنه منذ الان وحتى عام ١٨٠٨ فـان النجاح بدأ يواكب مسيرته ٠

وبعد وفاة الملكشارل الثـالث كان فى انتظار جويا نجـاح اكبـر حين عينه الملك شارل الرابع رئيسـا لمصورى البلاط ، وكان أسلوبه قـد اتجه الى النعومة والشفافية ، وامتلأ بالبهجة والاناقة ٠ فى تلك الفتـرة من حياة جويا الاجتماعية ذات الشهرة والبريق ، قابل العديد من مشـاهير الادباء والمفكرين الاسبان ، فى عصر كانت أوربا تغلى بالرغبة فى التغييـر والثورة ٠ ولقد تعاطف جويا مع مبدأ الحرية ، وعارض فكرة قهر واستغلال الانسان ٠

وفى خريف عام ١٧٩٢ سقط جويا صريعا للمرض وهو فى قمـة نجـاحه وشهرته ، وتوقف عن العمل والابداع، ثم انتهى ـ مثل بيتهوفن ولكن الاسباب اخرى ـ الى فقدان السمع ٠ ولفتـرة ما كان يبدو ان استمراره فى الانتاج معرض للخطر ، لكن حيويته الفائقة ، وطاقاته الفنية الهائلة التى مـازال يحتفظ بها وهو فى سن متأخرة قـد دفعته الى الامام ، وان كانت حـادثة المرض القاسية ، والصمم الـكامل قد اثر على نفسيته ، وتحول فنه الى اتجاه اخر ٠ ومنذ ذلك الحين ولـد جويا الجديد ٠ فذلك الانسان الصريح المرح ، الذى يحب الحياة والمجتمـع ، وارتياد المسرح وحلبة مصـارعة الثيران ، ويهوى المناقشـات مـ

# جويا

## الفنان الذي سبق عصره



المايا ارتدت ملابسها عام ١٧٩٧



الدونا ماريا انتونينا كونتاخا (عام ١٧٩٥)

# جويا

## الفنان الذى سبق عصره

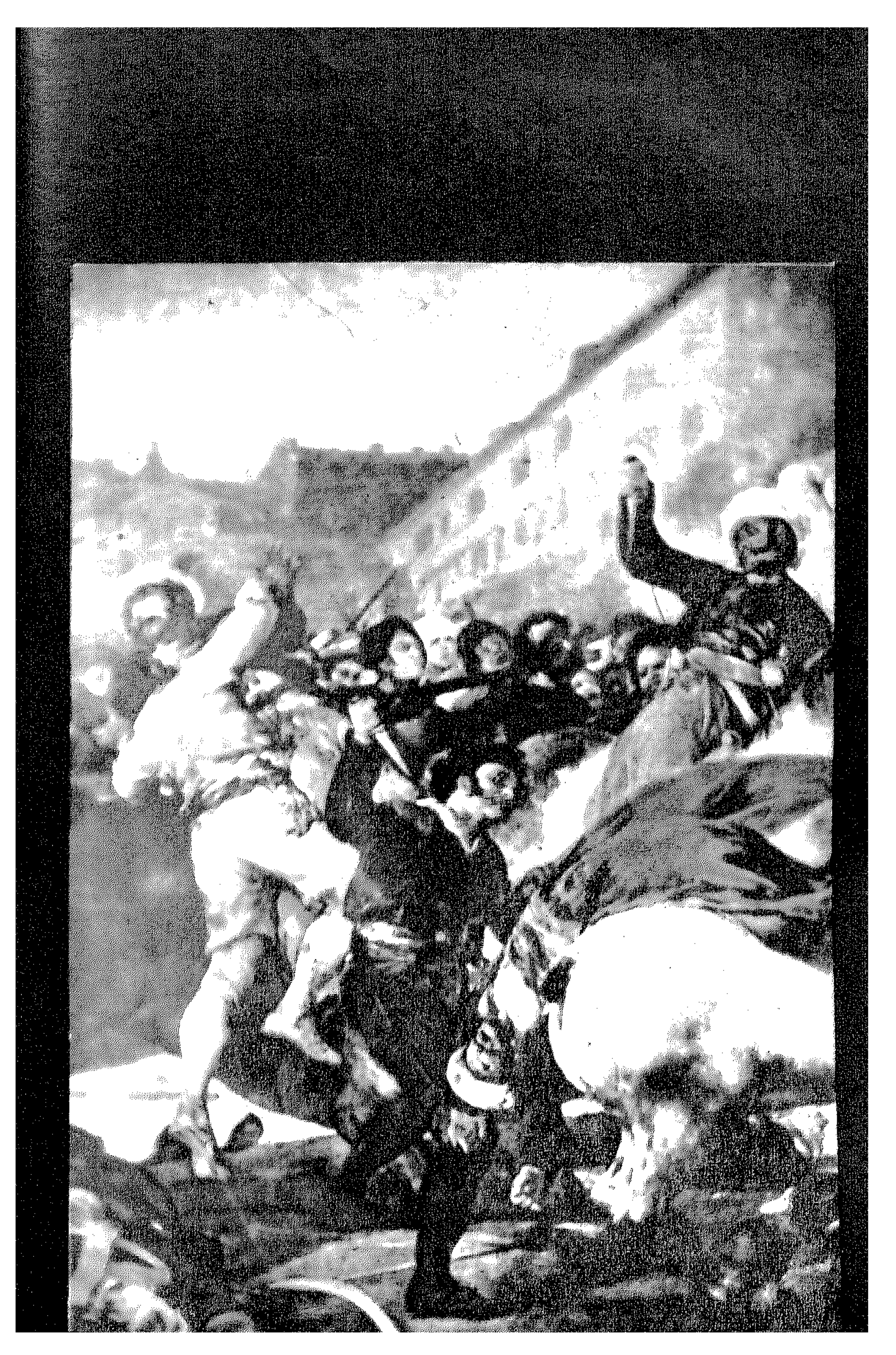
الاصدقاء ، قد حرم الان من كل ذلك بسبب صممه • وحوله ذلك الى انسان انطوائى متشائم ، ولكنه لم يؤثر على تصويره ، فقد كانت هناك منذ فترة مرضــــه ملامح للتغيير ما لبثت ان امتدت لتشمل رسومه وحفره الــذى مهد الى ان يصبح جويا واحــدا من أعظم الحفارين فى كل العصور •

ولم تعكس لوحاته فى الحفر فقــط تأثير المحن التى مر بها ، ولـــكن نموذجا جديدا أيضا فى تصويره قــد بدأ يتضح ، تجسد فى صور خيالية، اودع فيها تعبيره عن عالمه الداخلى وجسد فيها افكاره من خلال الاشكال• واصبح اسلوبه اكثر حرية وجسارة ، وغدت الوانه اكثر قوة وعنفا • لقــد اصبح جويا الجديد هو نفسه ، حين حقق ذاته من خلال اعماله الحــرة ، وحين استطاع ان يكون حرا فى التعبير عن ارائه وافكاره ، مما كان يستحيل عليه عمله فى اللوحات التى يــكلف بها • ومنذ ذلك الحين فانه كان يرسم ويصور كيفما تحركه روحه وخياله ، لقد ثار على كل القواعد الاكاديميــة الصارمة التى تكبل منه وتحول بينــه وبين الانطلاق نحو افاق مجهولة ،وفى نفس الوقت كان جويا متاثرا بافــكار عصره ، متلاحما مع المجموعـــــات الاسبانية المثقفة التى كانت تســـعى نحو اصلاح اسبانيا التقليدية ، فلقد هاجم فى اعماله العنف والقهر ، وكان داعية الى عالم اكثر معقولية •

فى تلك الفترة ابدع جويا مجموعة لوحات امتلات بمجموعات غريبة من البشر ، نبلاء واطباء ، وعاهــرات ومتهمين ، وساحرات ، ولقد نشرهــا عام ١٧٩٩ لكنه سرعان ما ســحبها من التداول خشية أن يساء تأويلها ، كذلك انجز لوحاته الحائطية الصرحية الغريبة لكنيسة سان انطـــــونيودى لافلوريدا بمدريد ، والتى اتضــــحت فيها جراته الشديدة ، واسلوبه الحــر المليء بالسخرية والنقد اللاذع ، لقــد حشد الانسانية كلها وجســــدها فى الشخصيات المرسومة ما بين شحاذين ومحبين ، وامراة ساحرة الى جــانب وحش مخيف ، ومخادعين واطفال ، كل ذلك فى اسلوب تعبيرى حــــــر وضربات فرشاة جزيئة مقتدرة •

كما اتجهت صور جويا الشــخصية ايضا فى تلك الفترة الى أن تكون اكثر قوة ، حتى وهو يرسم العائلة المالكة، مثلما يتضح فى لوحته المعروفة لعائلة شارل الرابع التى تعد لوحة لا مثيــل لها فى مجال تصوير الوجوه ، ومثلما فعل فلاسنيد فى لوحتـــــــه « لاس منيناس » فان جويا قد ضمن شخصه فى خلفية اللوحة كشبح ظلى خــافت كما ابدع فى تلك الفترة لوحتيـــــه الشهيرتين الجميلة العاتية والجميـلة المرتدية ، احداهما تمثل امراة عادية والاخرى لنفس المراة وقد ارتدتثوبها وفى لوحة الجميلة العارية تظهـــــر لنا دقة ضربات الفرشاة ، والرهــافة البالغة فى درجات الالوان الباردة ، بينما فى اللوحة الاخرى نرى القـــوة





## جويا
### الفنان الذى سبق عصره

الوشاة التي تقترب من أسلوب الناتيريين . ولم تكد تمر سنوات قليلة حتى كانت اسبانيا تمر بمحنة قاسية ، عندما قرر نابليون أن يضم أوربا تحت جناحيه ، وأن يطيح عائلة البوربون عن عرش اسبانيا ليمنحه لأحد أفراد عائلته . وبدأت في عام ١٨٠٨ الحرب بين الشعب

جزء من لوحة «الثاني من مايو» رسمها عام ١٨١٤.

احدى لوحات الفنان التي تصور الساحرات اللاتي كن موضوعا مفضلا لديه



# جويا

## الفنان الذى سبق عصره

الاسبانى وبين القوات الفرنســـية فيما يشبه حرب العصابات • ومنـذ ذلك العام وحتى عام ١٨١٤ عـــانت اسبانيا حين تحولت الى بلد دائم يدافع عن حريته • وحين أجبرت عـــائلة البوربون على التنازل عن العرش أصبح جوزيف بونابرت ملـــكا على اسبانيا •

رؤية خيالية (١٨١٩ - ١٨٢٣)



ولقد اثرت هذه الاحداث على حياة جويا وعلى اعماله ، فقد كان - مثل بيتهوفن ايضا معجبـــا فى المبـــداية بنابليون ، ولكنه الان وبعد غـــزو اسبانيا بدا وكأن العالم قد بدأ ينهار من حوله • وانقسم اصحابه - وهـم من الصفوة - بين مجموعة تؤيـــد الفرنسيين وتبدى الاستعداد للتعاون معهم ، ومجموعة اخرى كانت تـؤمن بأن الشرف الوطنى لا يحتمل وجـود القوات الفرنســية على ارض الوطن واستقر جويا فى مدريد لبعض الوقت ثم انتقل الى ثارا جوثـــا حين كانت تدافع عن نفسها ضد القوات الفرنسية وهناك انتج اعمالا عديدة النـــاظر من الحرب ، وفى اثناء ذلك استسلمت مدريد ، واعيد تعيين جويا فى منصبه الرسمى - بواسطة الملك الجـــديد جوزيف • كرئيس لمصورى البـلاط •

تلك كانت سنوات سوداء ، وحالـــكة الظلمة بالنسبة لجويا ، كشاهد على المآسى تلو المآسى • ولم يتم تكليفـــه الا بأعمال رسمية قليلة ، لـــــكن حيويته لم تمت ، ورغبته فى الخلـق الفنى لم تزل متوهجة ، فانجز العديد من مشاهد الحرب فى لوحات صغيرة الحجم احتفظ بها فى منزله ، كمـــا ابدع صورا خيالية تميزت بقدر كبيـر من الحرية والجرأة •

لقد اصبح الان اكثر تشـــاؤما ، فأحلامه عن الحرية والاخـــاء ذهبت ادراج الرياح وانتج فى هذه الفتـــرة مجموعته الرائعة عن مآسى الحرب ، وهى مجموعة مكونة من اثنتين وثمانين لوحة حفر ضمنها رؤيته الشخصية عن الحرب ، ولم تكن هذه اللوحـــات

أبطال ولا شهداء ــ وانما هي اتهسام لقوى البغى والقهر . وفيها جسد ووصف الجوع والمعاناة والرعب والقسوة البربرية وليس هنساك في تاريخ الفن كله اعمال اكثر رعبا وادانة للحرب من اعمال جسويا في هذه المجموعة . وفى النهاية مع ذلك كان عليه الا يظهر هذه اللوحات أو ينشرها علنا ، ولم يكن الجزء الاخير منها سوى تجسيد لمشاهد ما بعد الحرب التى اعطت لجسويا محصولا وفيرا جديدا من الاسى والامل المفقود .

وأخيرا انتهى نابليون على حدود أوربا ، روسيا من ناحية ، واسبانيا من الناحية المقابلة . وعاد فرديناند السابع الى عرش اسبانيا ، لكنه بدلا من ان يضمد جراحها فانه اضطهد الوطنيين الاحرار وقام بسجنهم ، واولئك الذين تحالفوا مع الفرنسيين حاولوا النجاة بالفرار ونتيجة لذلك وجد جويا نفسه وحيدا بلا اصدقاء ، فازدادت عزلته ونمسا تشاؤمه ، لكنه لم يعتزل فنه ، فمازال عنده الكثير ليقوله ، وكان قد انجز لوحتيه الرائعتين « الثانى من مايو ۱۸۰۸ » و « الثالث من مايو ۱۸۰۸ » بعد الحرب وقبل دخول فرديناند مدريد . ومع ذلك فقد ظل جويا مصورا للبلاط وان لم يكن على وفاق مع الملك الجديد . كما استمر فى انتاج الصور الشخصية للطبقة الارستقراطية بأسلوب فنى مهد للتأثيريين بواسطة ضربات الفرشاة الحاذقة والسريعة . كما انجز فى عام ۱۸۱٦ مجموعة حفر جديدة تناول فيها تأريخ فن مصارعة الثيران ، وامتلأت اعمال هذه المجموعة بالضوء والحركة .

وفى عام ۱۸۱۹ اشترى منزلا فى ضواحى مدريد على ضفاف نهر مانذانارس ، ليعزل نفسه في الريف ، وانتج هناك احسن صوره الدينية بنفس الالوان القاتمة التى ميزت انتاج هذه الفترة من حياته .

ويهدد المرض حياته مرة اخرى ، ويظهر لنا عام ۱۸۲۰ بعد نقاهته اكثر تشاؤما ، بادئا مرحلة سوداء جديدة ، في طراز هو امتداد لما بدأه فى مجموعة النزوات ، ففيها تجسد فن تعبيرى عنيف ، واحلام ومناظر خيالية نفذت بالوان قاتمة ، غطت جدران منزله الريفى ، وتميزت بقدر هائل من الجرأة على الخيال والتصور

لقد كان اللحن المبتور لجويا مشابها لتاريخ بلاده الذى عصفت به الريح فى سنواته الاخيرة ، فقد هبت تيارات وطنية ضد فرديناند الرابع ، مما دعاه الى تحريك قواته لقمع المتمردين فقد كان خائفا من الثورة ، وكان جويا يراقب هذه الحركات التحررية متعاطفا معها ، وفى نفس الوقت توقع السوء فاختبأ

# جويا

## الفنان الذي سبق عصره

عند احد الاصدقاء ، وكان ابن زوجته الثانية ذو النزعة الوطنية قد قـــرر الهجرة الى فرنسا ، وارادت امـــه الذهاب معه ، فيلحق بهم جويا وكان فى السابعة والســبعين ويذهب الى باريس ، ثم يعود ليستقر اخيرا فى بلدة بوردو حيث انتج فيها اعمـــالا معظمها صور شخصية للاصـــدقاء ، ومات فى ليلة الخامس عشر من ابريل عام ١٨٢٨ تاركا اثرا خـالدا فى فن التصوير .

لقد حمل جويا دائما ثورته الخاصة وامتلا قلبه بحب الانســـان وتقديس الحرية . ومر زمن طويل قبل ان يفهم العالم رسالته النبيلة .



صورة ذاتية للفنان بريشته



الثالث من مايو ١٨١٤

● لوحة المارو التى رسمها جويا عام ١٨٠٨ ويطلق عليها احيانا اسم «الخوف»

رسالة بازل
بقلم: جميل عطيه ابراهيم

# سوق بازل للفنون التشكيلية

## الأعمال الفنية العربية
### تتسلل إلى السوق على استحياء.. لماذا؟

## قاعة عرض سويسرية تخصص جناحها للفنان العراقي توفيق النواب

السوق الفنية للفنون التشكيلية التى تعقد في مدينة بازل السويسرية كل عام فى شهر يونيو لمدة ستة أيام ومنذ ١٨ عاما لها سمعة طيبة وشهرة واسعة فى اوساط النقاد والمهتمين بمتابعة الاتجاهات الحديثة فى الفنون التشكيلية فى انحاء العالم وهى ايضا فرصة للشراء والبيع وتكوين الثروات .

وترجع شهرة هذه السوق الفنية التى اصبحت واحدة من أهم الاسواق الفنية فى العالم الى القواعد الصارمة التى وضعتها ادارة المعرض لهذه السوق الفنية .

وفى هذه الرسالة نعرض لهذه القواعد والاتجاهات الفنية هذا العام والسر فى غيبة التواجد العربى عن هذه السوق وأن كانت قد بدأت تهل بشائره فى السنوات الخمس الأخيرة .



أحد اعمال الفنان العراقى توفيق النواب

تحتفل الأوساط الثقافية والاعلامية فى سويسرا كل عام باقامة هذه السوق الفنية فتفرد لها الصفحات ، وتخصص لها البرامج الاذاعية والتليفزيونية ، وتعلق الملصقات فى جميع انحاء سويسرا ، وتنشر التوقعات والدراسات الفنية للاتجاهات الحديثة فى العالم والمفاجآت التى سوف تسفر عنها السوق .

والاعلام عن السوق ليس مقصورا على سويسرا فقط ولكن فى العواصم العالمية سوف تجد من يذكرك بموعد اقامة هذه السوق من ١٧ ـ ٢٢ يونيو .

فهذا حدث ثقافى واقتصادى ايضا تعتمد عليه الحركة السياحية فى هذه المدينة الصغيرة التى نجحت هيئة المعارض أن تحولها الى مركز صناعى وثقافى ومحط انظار العالم بواسطة مجموعة متتالية من المعارض الناجحة طوال العام .

فى كل عام تتضافر جهود النقاد واصحاب قاعات العرض والاعلام والسياحة والمؤسسات الحكومية الأخرى من بريد وهاتف وتلغراف ونقل وبنوك وجمارك لانجاح هذا المعرض .

المعرض من الناحية الرسمية تشرف عليه هيئة المعارض وهى هيئة مستقلة تكاد تشبه فى تكوينها « هيئة المعارض الدولية » فى مصر ـ ولكن من الناحية الفنية تشرف على اعداد المعرض هيئة استشارية من اصحاب قاعات العرض وكبار النقاد فى سويسرا واحدى عشرة دولة اوربية .

وقد وضعت هذه الهيئة قواعد صارمة يتعين اتباعها ، فلا يسمح بالعرض الا لقاعات العرض ذات السمعة الطيبة فى عالم الفنون التشكيلية ، كما أنه لايسمح بعرض المستنسخات أو الأعمال المسروقة ، وتوجد لجنة من الخ..

# سوق بازل للفنون التشكيلية

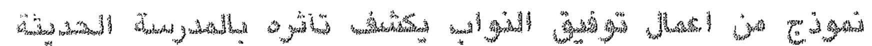


لفحص الأعمال الفنية ، وإذا ثبت فيما بعد أن قطعة مسروقة أو مزورة قد بيعت تتحمل اللجنة التبعات ، ومن حق المشترى مقاضاة هيئة المعارض - ولهذا يقبل المشترون على الشراء من هذه السوق الفنية فى اطمئنان .

وهذه كلها أسباب توحى بالثقة والجدية فى السوق.

أما التسهيلات التى تقدمها الجهات الأخرى ، فحدث ولاحرج ، هيئة النقل تعد

الفنان السويسرى جوزيف مولر صورة جديدة من جياكوميتى



نموذج من اعمال توفيق النواب يكشف تاثره بالمدرسة الحديثة

الاتوبيسات من والى المعرض وتوزع النشرات بكافة اللغات لتسهيل مهمة القادمين ، والبنوك لها فروع داخل السوق ، وهيئة البريد والهاتف والتلكس والتلغراف تعمل من داخل السوق ، والجمارك لها فروع فى السوق للتخليص وتحصيل الرسوم على المبيعات لتسهيل مهمة قاعات العرض.

ومن يشترى لوحة يحصل على شهادة معتمدة بها المواصفات الفنية للوحة وقيمتها حتى لاتصادفه متاعب اذا كان مغادرا سويسرا ، وتؤكد أن اللوحة اصلية وغير مزورة .

هذه نظرة على السوق من الناحية المادية ، ولننتقل الى نقطة اخرى لنستعرض الأعمال الفنية هذه السنة .

● معرض أم سوق لفنون

عرضت الأعمال الفنية هذه السنة على مساحة تزيد قليلا على ١٤ الف متر مربع ، وبلغ عدد قاعات العرض ٣١١ قاعة عرض من ٢٦ بلدا .

ومن الملاحظات الجديرة بالنظر أن قاعات العرض القادمة من المانيا الاتحادية قد تصدرت القائمة وبلغ عدد قاعات العرض الالمانية ٨٧ قاعة ، وجاءت قاعات العرض السويسرية فى المرتبة الثانية ٦٥ قاعة ، أما قاعات العرض الأمريكية فعددها يتزايد عاما بعد وأصبحت منافسا للقاعات الأوربية فى السوق ، وبلغ عددها هذا العام ١٧ قاعة بعد النجاح الذى صادفته فى السنوات الماضية ، والقاعات الأمريكية لاتقتصر على عرض الفنون الأمريكية الحديثة الجديدة التى اصبحت تلاقى نجاحا فى اوربا ولكن تعرض كنوزها من الأعمال الفنية للفنانين الأوربيين الذين لهم شهرة واسعة والتى جمعتها قاعات العرض قبل الحرب العالمية الثانية .

وإذا كانت السوق فرصة للبيع والشراء واجراء الصفقات بين قاعات العرض المختلفة فهى أيضا فرصة لاتعوض لرجال المتاحف للتعرف على الجديد واستكمال بعض المجموعات .

أما بالنسبة للنقاد والمهتمين فهى فرصة لمتابعة التيارات الحديثة فى عالم الفنون التشكيلية فى البلدان الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وامريكا الجنوبية .

● العشق الفنى والاستثمار المالى

يمثل اهتمام قاعات العرض بأعمال فنان معين كل سنة مؤشرا على قدر الرواج الذى تتمتع به أعماله وفقا لقوانين العرض والطلب ، وفى بعض السنوات تلعب ظروف خارجية دورا فى هذا الشأن ، فمثلا بعد رحيل بيكاسو عرضت معظم قاعات العرض اعماله املا فى تحقيق ارباح عالية نظرا لشدة الاقبال عليها بعد رحيل بيكاسو ، وحدث هذا ايضا بالنسبة الى ميرو وشاجال وغيرهم .

وفى هذه السنة على سبيل المثال عرضت ١٧ قاعة أعمال بيكاسو و١٥ قاعة اعمال ماكس ارنست و ١٦ قاعة اعمال خوان ميرو و ١١ قاعة اعمال ليجيه و ٧ قاعات اعمال ماتيس .

فالاقبال على اعمال الفنانين المعروفين من الراحلين يعتبر نوعا من الاستثمار ، فقيمة الأعمال الفنية تتزايد نتيجة للتضخم المالى ، وثارت هذه السنة مناقشات ممتعة حول شراء الاعمال الفنية وهل هو نوع من الاستثمار المالى المضمون أم دافعه عشق فنى ، ورأى بعض اصحاب القاعات

## سوق بازل للفنون التشكيلية

ان شراء لوحة قيمتها تزيد على عشرة آلاف فرنك سويسرى يعتبر استثمارا لايقدر عليه سوى الاثرياء .

وقد اهتمت قاعات العرض هذه السنة باعمال الفنانين الذين بزغت اسماؤهم فى العقدين الماضيين ، فعرضت ١٤ قاعة عرض اعمال الفنان الألمانى « بنك » الذى احرز شهرة واسعة فى العقدين الأخيرين حتى أن قاعات العرض اصبحت تتسابق للحصول على لوحاته لبيعها للمتاحف ، وفى كل سنة تتضاعف قيمة اعماله عدة مرات ، كما أن قاعات العرض هذه السنة تابعت عرضها لأعمال مجموعة من شبان لمعت اسماؤهم وارتبطت بالمدرسة التعبيرية الألمانية الحديثة والواقعية الايطالية الحديثة مثل « انزوكوكى » و « بلادينو » و « وكليمنتى » وغيرهم ، وهاتان المدرستان ظهرتا فى السنوات القليلة الماضية فى السوق ولفتتا انظار النقاد واصبحت تلك الأعمال موزعة على قاعات العرض العالمية والمتاحف مثل متحف برلين وتيت جاليرى بلندن ومركز بومبيدو للفنون بباريس ، ويرجع الفضل الى هذه السوق فى القاء الاضواء عليها وابراز نجومها .

### ● خليط للمدارس الفنية

والسمة الرئيسية هذا العام فى المعروضات كما وصفها النقاد هى تنويعات على الحان سابقة ـ فلم تقدم قاعات العرض اعمالا جديدة يمكن القول انها تشكل مدرسة بعينها بدأت فى البزوغ ، واكتفت قاعات العرض بتقديم الأعمال الفنية للمعروفين والصاعدين من المدارس الجديدة كما ذكرنا .

ويبرر بعضهم هذا الوضع هذا العام بأنه ليس من المتيسر تواجد مدرسة فنية كل عام ، أو عامين ، لهذا كانت المعروضات هذه السنة بمثابة خليط هائل بين مدارس فنية متباينة ، ويبحث كل فرد عن بغيته .

كما أن هذه السنة لوحظ تضاؤل اعمال الشباب الجدد ، ويبدو أن قاعات العرض قد بدأت تتراجع عن تقديم اولئك الجدد تماما ، واكتفت لاسباب تجارية بحتة بتقديم من تضمن بيع اعمالهم .

ومن الظواهر اللافتة هذا العام تراجع الأعمال الفنية التى تعتمد على الموديل الأنثوى فى اوضاع جنسية ، بعد أن تراجعت مفاهيم كثيرة حول هذا الموضوع بسبب انتشار مرض « الايدز » اللعين وذلك بالمقارنة مثلا الى خمس سنوات مضت .

### ● الاعمال الفنية العربية تتسلل الى المعرض فى استحياء

يشاهد جمهور هذه السوق الفنية اعمالا من بلدان مختلفة من بينها اسرائيل وتحرص احدى قاعات العرض الاسرائيلية على تقديم عدة فنانين اسرائيليين فى كل عام كما أن احدى قاعات الأسرائيلية "قاعة جولدمان" ممثلة فى اللجنة الاستشارية للعرض ، أما الأعمال العربية الفنية فقد بدأت تتسلل الى هذه السوق فى استحياء .

فمنذ خمس سنوات تقريبا قدمت قاعة عرض فرنسية مجموعة من الفنانين

التونسيين واللبنانيين من المقيمين فى اوربا . وفنان مغربى يقيم فى بلجيكا يعرض منذ عدة سنوات لوحات زخرفية صغيرة الحجم ، كما أن فنانا سويسرى الجنسية من اصل مصرى هو شريف الدفراوى يعرض اعماله الفنية منذ عامين فى المعرض .

أما مفاجأة هذا العام فهى عرض اعمال الفنان العراقى توفيق النواب ، فقد تحملت قاعة عرض سويسرية - هى قاعة عرض "الفن المعاصر" فى جنيف - قصر جناحها فى المعرض على اعمال الفنان ، واعدت الكتالوجات والدعاية له ، وهى مجازفة لأن تكاليف حجز موضع فى هذه السوق باهظة .

● فنان التصوف

الفنان العراقى توفيق النواب من مواليد سنة ١٩٤٣ فى بغداد ودرس الفنون فى بغداد وعمل بعدها فى الرياض فترة ثم سافر الى اوربا ، ومنذ سنة ١٩٧٥ تعرض اعماله فى العواصم الأوربية ، ويقيم الفنان توفيق النواب متنقلا بين اليابان وسويسرا والمغرب العربى ويهوى دراسة المدن العربية القديمة ويقضى عدة شهور كل سنة فى بلد عربى ليس ليعمل ولكن للعيش فى الأحياء القديمة فيها.

ويستلهم الفنان التراث العربى والاسلامى بعيدا عن الزخرفة ويضعه فى تكوينات مجردة ، فهو لاينقل التراث ولكن يقدمه معطرا ويعتمد فى لوحاته على خامات البيئة مثل الأبواب القديمة وقطع الخيش الرثة والألوان الخافتة التى توحى بالخرائب . واذا كانت اعمال الفنان توفيق النواب تفتقد الى الحركة فهى تتميز بحالة من السكون وكأنها تمثل التصوف والصفاء الذهنى ، والفنان يبتعد تماما عن فكرة الصراع فى اعماله عن وعى ومعرفة . وبعض اللوحات تبدو للعين كأنها صفحة قديمة من كتاب للتراث .

وقد صادفت اعمال الفنان العراقى توفيق النواب نجاحا فى المعرض وبيع معظمها فى اليوم الأول ، فالتراث هنا يمثل منبعا فياضا للفنان ، وليس مصدرا للنقل منه أو التقليد ، كما أنه على معرفة بالفنون الحديثة ويبتعد عن النقل عنها أو تقليدها .

● السر فى تراجع عرض الأعمال العربية :

اذا كانت الأعمال العربية قد بدأت فى التسلل على حياء الى هذه السوق كما ذكرنا ، فإن غيبتها ترجع الى عدم وجود قاعات عرض عربية ذات شهرة وسمعة تمكنها من اقتحام هذه السوق .

فالسوق لاتتعامل مع الفنانين مباشرة ، ولكنها تتعامل مع قاعات العرض التى يتعين عليها الحجز وإجراء الاتصالات مع إدارة السوق وتقديم الضمانات المادية والأدبية - وحيث إن معظم قاعات العرض فى البلدان العربية مملوكة للدولة فليس من المحتمل فى المستقبل القريب أن تتمكن من شق طريق امام الفنانين العرب ، ويبقى على الفنانين العرب البقاء تحت رحمة قاعات العرض العالمية لتقديم اعمالهم فى السوق .



# أحياء وأموات وموالد وأعياد سينما

بقلم : مصطفى درويش

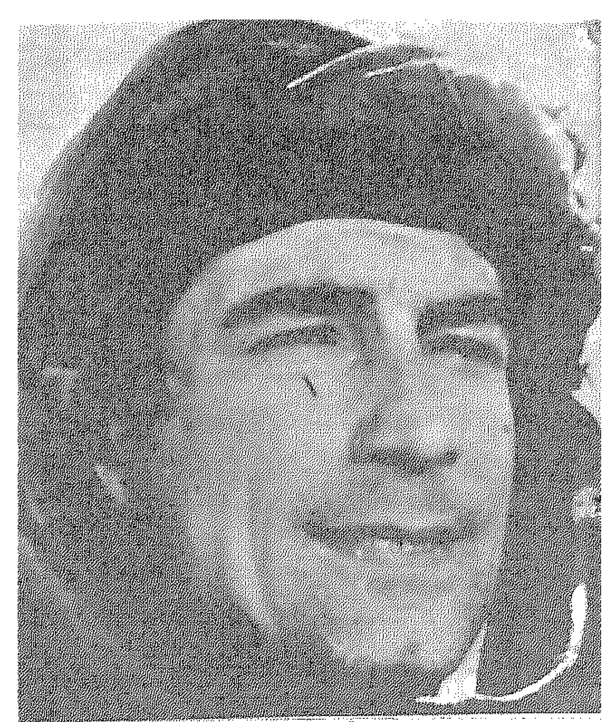
لسبب ما أجدنى تائها ، لست ادرى الى اى من الاحداث السينمائية المتلاحقة اعرض ، وعلى أى منها اركز .
هل اعرض لظهور « ليليان جيش » على شاشات مهرجان كان الأربعين باعتباره اكثر احداث الشهور القليلة التى مضت اثارة ومدعاة للتفاؤل .. لماذا ؟
لان هذه الممثلة قد بلغت فى الرابع عشر من اكتوبر لعام ١٩٨٦ التسعين من عمرها .

● ومن المعروف أنها بدات التمثيل فى هوليوود مع شقيقتها الأصغر « دوروتى » فى فيلم « عدوخفى » ( ١٩١٢ ) لصاحبه المخرج « دافيد جريفيث »
ومنذ هذا التاريخ الذى اصبح خبرا فى ظلمات الزمن ، لم تنقطع « ليليان » عن التمثيل سواء امام الكاميرا او على خشبة المسرح .

وقد كان الظن ، وبعض الظن إثم ، انها تحت وطاة الشيخوخة واعبائها الجسام ، قد اعتزلت التمثيل منذ فيلم « زفاف » ( ١٩٧٨ ) الذى لعبت فيه دور عجوز ثرية تفارق الحياة ليلة زفاف احد الاحفاد .

● شباب الروح

ولكن هاهى لا تزال على الشاشة



جيمس بوند

تتطلع إليها الأنظار ، تشارك « بيت ديفيز » بطولة رائعة المخرج « ليندساى اندرسون » الاخيرة « حيتان اغسطس » ( ١٩٨٧ ) .

وهاهى بالألوان تزين صفحات مجلة « بريميير » ( يونية ١٩٨٧ ) ، تسرق الكاميرا من الأميرة اللعوب « ديانا » ، توقع بإمضائها لجمهور المعجبين المشدوهين ، تجيب على وابل الأسئلة فى المؤتمر الصحفى المنعقد عقب عرض فيلمها الاخير بيقظة ولباقة منقطعتى النظير ، تتذكر وتذكر بأجمل وامجد ايام الريادة فى عاصمة السينما التى بمرور مائة عام على ميلادها احتفلوا قبل ايام .

والكلام عن النجمة اللامعة على امتداد خمسة وسبعين عاما من عمر الزمن ، لابد ان يسحبنا الى الحديث عن مكتشفها العبقرى « جريفيث » .

وعنه كتب الاستاذ « الكسندر دوتى » فى العدد السادس ( ربيع ١٩٨٦ ) من مجلة البلاغة المقارنة « الف » التى تصدر عن قسم الأدب الانجليزى والمقارن بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، كتب بحثا تحت عنوان « جماليات المكان والريف المثالى فى افلام « د . و . جريفيث »

● السطحية .. لماذا ؟

ولعله اول بحث عن جماليات السينما ينشر على صفحات مجلة متخصصة تصدر عن إحدى الجامعات على أرض مصر .

ومن بين ما جاء فى هذا البحث القيم ان « جريفيث » لم ينجح فى مجال الإبداع السينمائى للمكان فى تصوير حياة الاغنياء فكثيرا ما يبدو هذا التصوير سطحيا ، جامدا ، اقرب الى « الكليشيه » ، وذلك لأنه لم يبذل جهدا ابتغاء استكناه دلالة للمكان من خلال عناصر الإخراج والتصوير ، حتى يغدو الإحساس به تطويرا بصريا للشخصية وفكرة الفيلم السائدة ، وامتدادا لهما .

وإذا كان تصوير جريفيث لأوساط الطبقات العليا ، قد ظل سطحيا وتقليديا ، فإن خبرته بحياة الطبقة الوسطى الريفية ، وبمظاهر الفقر فى المدن قد ساعدت على اضفاء دقة ومصداقية على تصويره السينمائى لهما ، وذلك حتى فى الحالات التى كانت فيها قصص الافلام التى تعرض لهما مشوبة بطابع عاطفى ميلودرامى .

● ألوان وأشجان

ومن عجائب الأشياء ان تظل

## أحياء وأموات وموالد وأعياد سينما

« ليليان » حية فى سن التسعين على الشاشة وخارجها ، وحيدة نوعها ، لاشريك لها من نجوم جيلها ، فى حين ان من يصغرنها سنا ـ وبعضهم بكثير ـ قد عاجله موت لايرحم .

« فاندريه وارهل » الرسام المخرج ورائد سينما تحت الأرض فى نيويورك يختفى من مسرح الحياة بعد رصاصات انطلقت من غدارة « فاليريا سولانسى » لتستقر فى جسمه منذ عشرين عاما إلا قليلا ( ١٩٦٨ ) ، ليعقبها مرض عضال عطل كثيرا مما كان كامنا فيه من آيات الابداع .

و «داليدا» بنت شبرا تنتحر بعد ان رأيناها تحاول التمثيل لاول وآخر مرة فى « اليوم السادس » حيث أسند إليها دور غسالة ريفية من باب الشعرية ، تحاول انقاذ حفيدها الوحيد من وباء الكوليرا ، ومع ذلك تنهزم امام الموت .

« ودوجلاس سيرك » المخرج الأمريكى المنحدر من اصل نمساوى ، يجيئه الموت ـ وهو فى السابعة والثمانين ، فتفقد به السينما العالمية واحدا ممن ساهموا فى العلو بفن الميلودراما ، والسمو بها فى عالم الأطياف .

فأفلامه التى أخرجها فى الخمسينيات ، كانت تعبيرا صادقا عن يأس الشرائح العليا من الطبقة المتوسطة ، والقضاء الذى يسيطر على حياتها ، ويصرفها كما يشاء .

● نجمة وأميرة

وما كاد العام يقترب من منتصفه ، حتى كانت وكالات الانباء قد طيرت خبر وفاة « ريتا هيوارث » ، تلك الراقصة المنحدرة من أصل اسبانى ، والتى صنعت منها شركة كولومبيا لصاحبها « هارى كوهين » نجمة اغراء ، فنجمة اميرة اقرب الى الاسطورة .

« ريتا » هذه التى ظلت طوال أعوام الحرب العالمية الثانية نجمة معبودة يتقاسم جمالها جنود العم سام فى الاحلام حتى الموت .

فاذا ما انتهت الحرب اصبحت « جيلدا » و « سالومى » « وكارمن » وزوجة عبقرى السينما « اورسون ويلز » ، وفوق كل هذا اول اميرة شرقية فى تاريخ هوليوود بزواجها من « على خان » .

« ريتا » هذه تصاب فجأة بمرض يفقدها الذاكرة نهائيا ، فتعيش لاتعرف حتى اسمها ، عالة على ابنتها « ياسمين » حفيدة زعيم الطائفة الاسماعيلية « أغان خان » حتى ينقذها الموت فى السادس عشر من مايو الماضى ، وهى فى الثامنة والستين من عمرها الحافل بالعجائب والغرائب .

وبعد اختفائها بأيام ، وافت المنية « فريد استير » وهو فى الثامنة والثمانين ، ولقد راقصها فى فيلمى « لن تصبح غنيا ابدا » و « ما اجملك » وهى فى قمة المجد والصعود .

و« استير » لاينافسه فى نشر المتعة

لفنية ، صافية ، نقية بين اكبر عدد من الناس سوى « شارلى شابلن » .

فكما « شابلن » استطاع « استير » ان يزيل الحواجز بين ما يعتبر « فنا شعبيا » وبين مايسمى « فنا رفيعا » .

## ● العبقرية عمل

وفى الحق ، يعتبر « استير » احد العمالقة القلائل فى فن الرقص .

وعنه قال « جورج بالانشاين » مصمم البالية الشهير ، انه اعظم راقص على مر العصور ، بل ذهب فى التعظيم من شانه الى حد مقارنته بالموسيقار « باخ » فى مجال عبقرية القدرة على التركيز .

وغنى عن البيان ان « استير » لم يصل الى ما وصل اليه من مستوى فى الرقص يوهم المشاهد برشاقة تلقائية دون عناء ، الا بفضل عمل متواصل ليل ، نهار لايام واسابيع وشهور .

وفى هذا الخصوص يقال ان « جنجر روجرز » التى راقصها فى عشرة افلام على امتداد ستة عشر عاما ـ وهى تعتبر الانجاز المحورى للفيلم الموسيقى الامريكى ـ يقال انه ادمى قدميها من

عناء مراقصتها فى مشهد « لن ارقص ابدا » من فيلم « زمن السوينج » .. لماذا ؟

لانه استلزم اعادة تصوير هذا المشهد اربعين مرة طلبا للكمال !!

شارلتون هستون وبول براينر ف الوصايا العشر



# أحياء وأموات وموالد وأعياد سينما

وقبل اختفاء « استير » بايام ، بل قل ساعات معدودات فاجأنا الموت باختطاف حياة واحدة من اعظم ممثلات المسرح والسينما فى الولايات المتحدة « جيرالدين بيج » ، اختطافها ، وهى فى الثانية والستين .

ولعل اهم ما يميز سيرتها السينمائية ، هو ان ظهورها على الشاشة كان متقطعا ، لانها لم تكن فى عرف هوليوود نجمة اغراء ، فضلا عن انها كانت مدققة فى اختيار الادوار .

وقد يبدو أمرا مثيرا للدهشة ، انها ورغم تتويجها بجائزة اوسكار أحسن ممثلة رئيسية عن دورها فى فيلم « رحلة إلى الرخاء » ( ١٩٨٦ ) ، فلم يسمع بها وبأفلامها إلا نفر قليل من نقاد وعشاق الفن السابع فى ربوع الوطن العربى الفسيح .

ولكن الدهشة سرعان ماتزول اذا ما تذكرنا ان العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة ، لاسيما فى مجال السينما .

والآن ، بعد هذا الحديث الطويل عن الاحياء والاموات ، وبعد ان احترت فى تيه الاحداث كثيرا ، اخترت اخيرا ان اقف قليلا عند مناسبتين هامتين هما يوبيل « بارامونت » الماسى ويوبيل « جيمس بوند » الفضى .

## ● « إمبراطورية زوكور »

فى يوم السابع من يناير عام ١٩٧٣ اجتمعت هوليوود بكل ما تبقى لها من نجوم فى صالونات فندق « بيفرلى هيلز» حيث احتفلوا بذكرى غريبة لم يالفها احد من قبل فى كعبة السينما المطلة على الهادى .

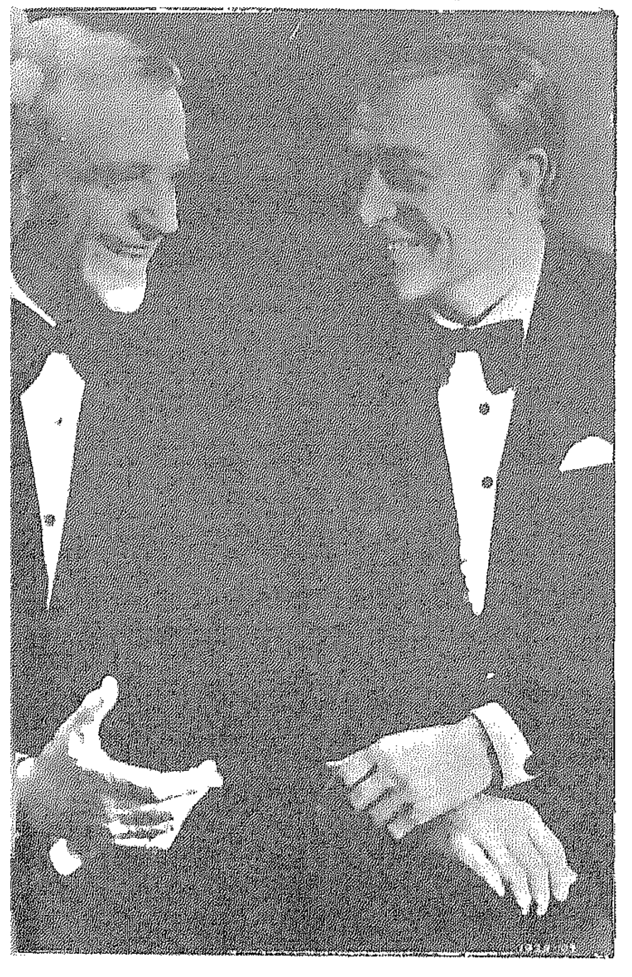
فما هى هذه الذكرى الفريدة التى احتشدت احتفالا بها النجوم .. كل النجوم ؟

إنها ذكرى بلوغ احد رواد صناعة السينما الأوائل وآخر الاحياء منهم ، بلوغه المائة .

فمن هو ذلك الاب الروحى ذو القرن من عمر الزمن ؟

انه « ادولف زوكور » الذى ولد قبل

فريد استير ، اعظم راقص على مر العصور



تاريخ الاحتفال به في بيفرلي هيلتون بمائة عام من اسرة يهودية بريشي من اعمال المجر .

فلما بلغ السادسة عشرة ، هاجر الى العالم الجديد حيث بدأ جهاده سمسارا ناجحا في تجارة الفراء بشيكاغو ، ومنها انتقل الى تجارة اكثر انتشارا وتأثيرا .. السينما فاذا بالحظ يبتسم ، فيجعل منه مؤسسا لشركة « بارامونت » ، وواحدا من بناة امبراطورية صناعة الاحلام المخططين لانتاجها ، الراسمين لمسارها على مدى اربعة وستين عاما .

● حكماء هوليوود

ومما يثير الدهشة ان ما حدث « لبارامونت » هو بعينه ما حدث لجل ان لم يكن كل شركات هوليوود الأخرى ، بحيث تكاد تتفق سيرتها جميعا في امر واحد .. هو ان يهوديا هاجر وحده او مع اسرته من وسط أوروبا أو شرقها الى الدنيا الجديدة حيث اقتحم حقل السينما ، ليكتب له نجاح يتوج بانشاء شركة سينمائية ، سرعان ما تتحول الى واحدة من امهات الاحتكارات .

فشاموئيل جولدوين الذى ساهم في تأسيس كل من شركتي « متروجلدوين ماير » و « الفنانين المتحدين » هاجر الى الولايات المتحدة من وارسو عاصمة بولندا .

« ولويس ماير » الذى ساهم في انشاء الشركة الاولى ، وظل مديرا عاما لها ، متحكما في مصيرها زهاء ثلاثين عاما ، لم يولد في العالم الجديد ، وانما بعيدا في اقصى الشرق من اوروبا ، وبالتحديد في مدينة منسك من اعمال روسيا البيضاء .

« وويليم فوكس » صاحب شركة « فوكس فيلم » التى جرى تحويلها فيما بعد الى « فوكس للقرن العشرين » ، هو الآخر قد ولد بعيدا بمدينة « تولكفا » من اعمال المجر .

و « كارل لامل » الذى انشأ شركة « يونيفرسال » صاحبة أوسع استديوهات على وجه البسيطة ، كان مسقط رأسه مدينة « لوفيم » بالمانيا ، ومنها هاجر - وفي جيبه خمسون دولارا - إلى الولايات المتحدة حيث عمل عند ترزى في شيكاغو ، قبل ان يسعى به قدره الى السينما .

والاخوة « وارنر » ولد اكبرهم « هارى وارنر » في مكان ما ببولندا . ومع والديه وصل الى ميناء « بليتمور » بالولايات المتحدة ، ولما يبلغ من العمر الستة اعوام .

وبالاشتراك مع اشقائه - سام ، البرت ، جاك - والثلاثة ولدوا بعد الهجرة ، قام بشراء بعض دور العرض . ثم ما لبثوا أن انشاوا شركة اخوان وارنر التى كان لها فضل الانتقال بالسينما من الصمت الى الكلام المباح ( ٦ اكتوبر عام ١٩٢٧ ) .

ومما يؤكد هذه الظاهرة مقال الناقد « شارلز فورد » بمناسبة عيد "زوكور" المئوى الذى اعتبر عيدا للسينما ، جاء في ختامه « وهكذا .. وبفضل فئة قليلة من ( صغار تجار الفراء والترزية من اليهود ) - يقصد اصحاب الاسماء المتقدم ذكرها - اتوا من اوروبا الوسطى تم بناء صرح صناعة من اقوى صناعات الولايات المتحدة » .

والاكيد - بعد كل ذلك - ان ظاهرة

## أحياء وأموات وموالد وأعياد سينما

« بارامونت » ورجلها المعمر الذى وهن العظم منه ليست استثناء من قاعدة .. بل هى القاعدة .

### ● الفك المفترس

ومن المعروف عن « زوكور » عجوز « بارامونت » انه صاحب عبارة « الجمهور لايخطىء ابدا » - وهى المرادف لعبارة « الجمهور عاوز كده » عندنا - تلك العبارة التى اتخذت منها هوليوود شعارا لافلامها التى غزت بها الجيوب والقلوب .

وانه مبتكر نظام النجوم ترصع بها سماء عاصمة الاطياف ، فاذا بها تتحول الى سديم بدايته « مارى بيكفورد » فتاة بريئة ، معبودة الجماهير ، ونهايته « مارلون براندو » أب روحى ، عدو للناس اجمعين .

وهم اذ يحتفلون الآن بالعيد الماسى لشركته العملاقة ، فانهم يذكرون محاسنها .. كيف صمدت لاعاصير التغيير ، وكما « حُوت يونس » او « الفك المفترس » كيف اتسع جوفها فابتلع الشقيقات الثلاثة « يونيفرسال » و « متروجلدوين ماير » و « الفنانين المتحدين » .

وكيف فتحت السوق الصينية مرة اخرى بفيلمها « قصة حب » ( ١٩٨٧/٣/١٧ ) الذى يعتبر اول فيلم امريكى يعرض فى الصين الشعبية منذ عام ١٩٤٩ .

وعلى كل ، فمن بين محاسنها التى لاشك فيها البحث الدءوب عن كل وجه جديد موهوب ، وعند العثور عليه الاسراع بالتصعيد له الى اعلى عليين .

ومن بين مساوئها التى لاريب فيها اختيارها لقصة خروج بنى اسرائيل من مصر هربا من ظلم الفراعين ، كى تنتجها مرتين تحت اسم « الوصايا العشر » .

المرة الاولى صامتة بلا الوان عام ١٩٢٣ ، اى عقب وعد بلفور ، وفى فترة قل فيها الاقبال على الهجرة الى ارض الميعاد .

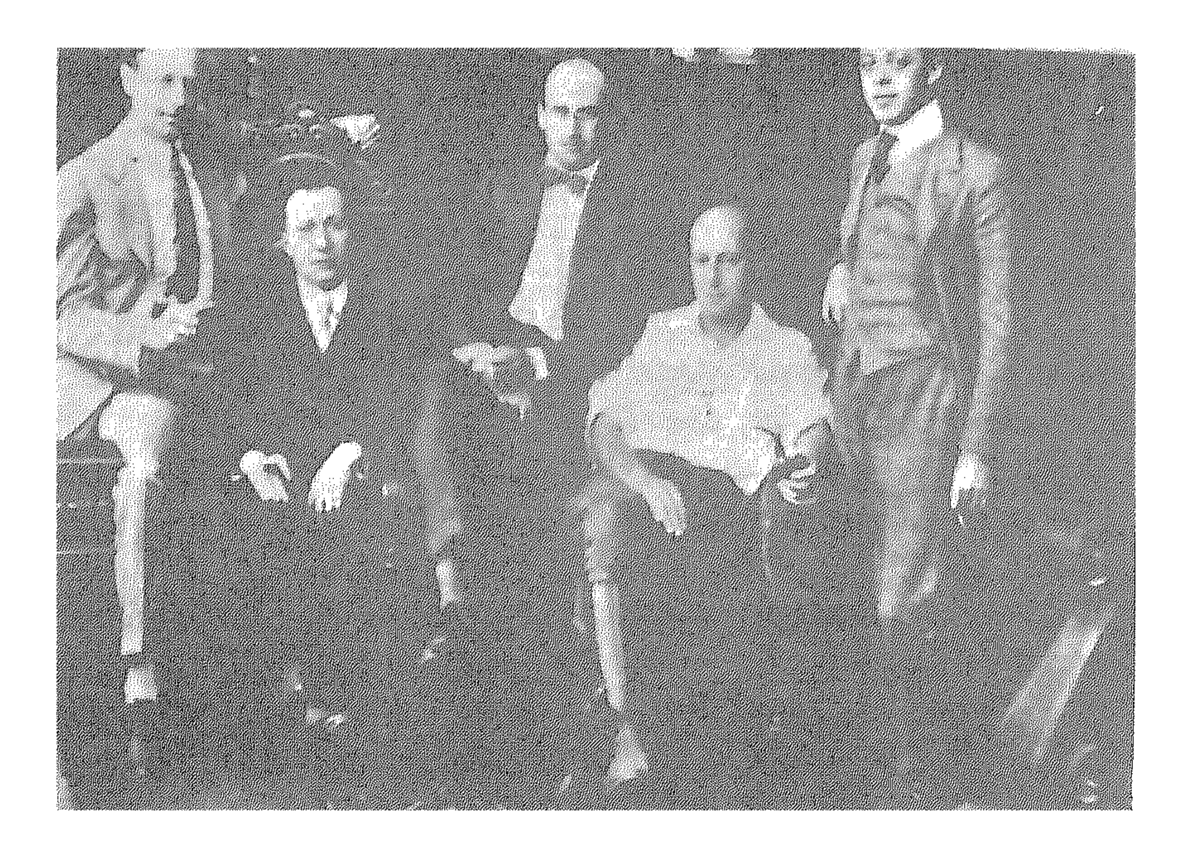
والمرة الثانية متكلمة على شاشة عريضة ملونة عام ١٩٥٦ وفى ايام استشرت فيها موجة هجرة ابناء الشعب المختار الى فلسطين !

وكلا الفيلمين كان صاحبهما « سيسيل ب دى ميل » شيخ المخرجين .

وفى كلا المرتين لم يكن له من هم سوى ان يتناول قصة موسى وبنى اسرائيل اثناء وجودهم على ارض مصر ثم اثناء الخروج منها على وجه مشوه يراد به باطل هو تصوير بنى اسرائيل وكانهم ابناء شعب اختاره الله ، وتصوير اهل مصر وكانهم ابناء شعب نبذه الله ، فكتب عليه ذل العيش فى اغلال العبودية لفرعون وقومه الظالمين .

### ● الشوق والحنين

فإذا ما انتقلنا الى « جيمس بوند » ويوبيله ، فسنجد أنفسنا امام شخصية لها من العمر على الشاشات الفضية



ادولف زوكر «الثانى على اليسار» مع مؤسسى شركة بارامونت

خمسة وعشرون عاما . هو عمر فى عرف الزمن السينمائى طويل .

و« ايان فلمنج » الروائى الانجليزى ، هو صاحب فكرة « جيمس بوند »

وأول قصصه التى تحكى بطولات العميل الشهير ، هى « الكازينو الملكى » ( ١٩٥٣ ) ، اما آخرها فقصة « الرجل ذو المسدس الذهبى » ( ١٩٦٥ )

وهذان التاريخان لهما مغزى كبير ، ففى عام القصة الأولى جرت احتفالات تتويج الملكة « اليزابيث » ، على وجه قصد به ان يعاد التأكيد على امجاد الامبراطورية التى كان يتغنى بان الشمس لاتغرب عنها ابدا .

وفى عام القصة الاخيرة حمل جثمان «ونستون تشرشل » رئيس وزراء بريطانيا العظمى فى عصر مدو بطبول الانتصارات : حمل الى مثواه الأبدى فى جناز مهيب اعتبر بمثابة لحن الوداع لعصر مفعم بالغنى والمتاع ، وبكل ما يثير الزهو .

وطبعا كان لجيمس بوند دور فى هذا العصر المشوب بالشوق والحنين ، المفعم بالاسى وجلال الذكريات .

فهو باعتباره ضابطا مرموقا فى المخابرات البريطانية ، وبالتحديد فرعها المختص بشئون الحرب والدمار .

وهو بفضل مغامراته الشائقة ، وانتصاراته المبهرة التى تشعل الخيال .

وهو بما عرف عنه من أنه لايتحرك إلا محتضنا أمراة حسناء ، وأمامه قارورة مليئة بشراب الشمبانيا الشهى ، وفى متناول يده بندقية مشحونة تحمل للأعداء صنوفا من الشقاء والبلاء ، ومن حوله تحميه ترسانة اسلحة ابدعها عقل مدبر شيطان .

هو بحكم ذلك كله كان تعويضا

## أحياء وأموات وموالد وأعياد سينما

خياليا للفجيعة الكبرى التي غصت حلوق ، وحرقت اكباد الانجليز لخذلان التاريخ لهم على وجه كان من آثاره فقدان الفتوحات التي ارست قواعد امبراطورية سادت اليابس والماء مئات الاعوام .

ومن هنا نجاح هذا المسخ المعبود « جيمس بوند » حتى ان المباع من رواياته في بريطانيا وحدها قد ارتفع من نصف مليون نسخة عام ١٩٥٧ الى ٢٢٫٧٩٠٫... فيما بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٧ .

● سر البقاء

والاكيد .. الاكيد ان السينما قد لعبت دورا حاسما في تحقق هذا النجاح المنقطع النظير .

فما أن ظهر « بوند » على الشاشة بدءا بفيلم « الدكتور نو » ( ١٩٦٢ ) حتى تعلق به الجمهور ، وأصبحت له منزلة مذهلة في قلوب الجميع صغارا كانوا ام كبارا .

وتفسيرا لذلك يقول الناقد الانجليزى « جون راسيل تايلور » في دراسة له منشورة في المجلد الخامس من موسوعة السينما ( ص ١٠٣ ـ دار أوربيس ـ لندن ) أن « الدكتور نو » وما جاء بعده من افلام مثلها « شين كونرى » وهي « من روسيا مع حبي » ، « جولد فنجر » ( ١٩٦٤ ) ، « الرعد الصاعق » ( ١٩٦٥ ) ، « انت لاتعيش سوى مرتين » ( ١٩٦٧ ) و « الماس الى الأبد » ( ١٩٧١ ) ـ هذه الافلام قد اتسمت جميعا بامتزاج روح الدعابة الساخرة بالاعيب المخترعات غير المألوفة ، بتزاوج الجنس المسرف بالعنف غير المعهود .

والشيء المحقق أن حسن اختيار شاب مغمور منحدر من اصل اسكتلندى اسمه « شين كونرى » لتقمص شخصية « بوند » قد لعب دورا كبيرا في نجاح الموجة الاولى من الافلام المستوحاة من روايات « فلمنج » ، فلولا سحر حضوره ، ولولا اعجاز توحده في تلك الشخصية لما تحول العميل « بوند » الذى لايهزم ابدا الى بطل اسطورى ، ولما ظفر بهذا الكثير من التوفيق .

وفوق هذا فان الشخصيات الرئيسية في هذه الافلام الاولى قد رسمت على وجه روعى ان يتحقق معه الارضاء للرجال والنساء على حد سواء .

ففتيات « جميس بوند » مستقلات ، متحررات ، يخرجن من البحر كما الحوريات ، ليس لاجسادهن من ساتر سوى رداء في حجم ورقة التوت ان لم يكن اصغر قليلا .

يلاحظ هنا ان احدا لايتذكر من « الدكتور نو » سوى مشهد « اورسولا اندرسن » في لباس بيكيني ابيض ، خارجة من البحر منتصبة كما عروس البحر « فينوس » .

ومع ذلك فالامر ينتهي بهن في

معركتهن مع « بوند » الى الخضوع والاستسلام التام .

## ● قوة العمر

ومهما يكن من شيء فمع مرور الأيام والأعوام ، ومع اعتزال « كونرى » تمثيل الدور ليحل محله « روچرمور » الذى استقر فى دور « بوند » حتى مشهد « حادثة قتل » ( ١٩٨٥ ) - بدأ الشوق والحنين « لكونرى » باعتباره « جميس بوند » الاصيل .

ومن هنا اغراؤه بحوالى خمسة ملايين دولار مقابل الموافقة على العودة عميلا فى خدمة صاحبة الجلالة فى « أبدا لاتقل ابدا مرة اخرى » .

ومن عجب انه قد غاب عن صانعيه من هيئة المنتفعين « ببوند » ان « كونرى » عام ١٩٨٤ يقترب من الستين ، وبالتالى لم يعد صالحا كما فى سالف الزمان ، لتقمص شخصية الفارس المغوار الذى لايشق له غبار .

ورغم نجاح الفيلم فى الشباك ، كما العادة مع كل ماهو منتسب لاسم « بوند » ، فقد فجع الجمهور فى المعبود ، اذ وجده عجوزا متصابيا .

ومع هذا الاحباط ، لم يكن ثمة مفر من استدعاء « مور » مرة سابعة ليمثل فيلم « بوند » الرابع عشر .

ومرة أخرى يكتشف الجمهور ان « بوند » الثانى « مور » قد اقترب بدوره من سن الاحالة الى المعاش ، ولا يرجى منه خير ، فهو مقطوع النفس ، مثقل بحمل الشيخوخة ، لايصلح للاستمرار فى تقمص شخصية بطل الابطال .

واسقط فى يد المنتفعين من الماركة المسجلة « بوند » وثار السؤال .. ما العمل ؟

## ● البحث والتجلى

وكانت الاجابة بانه لابد من العثور على شاب له حضور ، ذو وجه وجيه وسيم ، وشخصية جذابة يندمج فيها الرجال وتذوب فى فحولتها النساء .

وشاءت لهم الاقدار ان يعثروا على ضالتهم المنشودة فى شاب انجليزى يتفجر حيوية ، شاب صاعد فى سماء المسرح والسينما اسمه « تيمونى دالتون » .

وسرعان ما كلفوه باداء دور « بوند » فى رواية « فلمنج » المسماه « اضواء النهار الحية » .

واحداث فيلم « بوند » الاخير أو بمعنى اصح مطارداته اللاهثة ، انما تجرى بداية من تشيكوسلوفاكيا والمغرب وجبل طارق ، ثم تنتقل بابطاله الى هضاب وسجون افغانستان حيث يتضامن « بوند » مع المجاهدين ضد امبراطورية الشر !!

وبغض النظر عن العبث الذى يقوله فيلم « بوند » الخامس عشر : فهل سيكون فى استطاعة بوند الجديد « دالتون » أن يكمل مشوار « كونرى » و « مور » حتى نهاية القرن العشرين ، ام انه سيسقط فى اول اختبار ، لن يكون عميلا أعظم الا مرة واحدة ؟

عن هذا السؤال يجيب كتاب الدعاية « جيمس بوند الرسمى » ( ١٩٨٧ ) بنعم متفائلا ولكن منذ متى يؤخذ تفاؤل المتربحين مأخذ الجد ؟



# قصة الجزائر كاملة

## صور وأحداث من أيام "الداى" وحتى بعد مضىّ ربع قرن على الاستقلال

## ١٨٣٠ - ١٩٨٧

إعداد : مصطفى نبيل

إذا وضعت الوقائع التاريخية التى شهدتها الجزائر منذ عام ١٨٣٠ وحتى اليوم ، جنبا الى جنب ، فسترى بانوراما هائلة ، وملحمة تاريخية تزخر بالصور والعبر ، ولن تجد هذه الصور التاريخية مجرد احداث وقعت وانتهت ، بل هى حية تتجدد ، وان كانت الحوادث المعاصرة التى لم يُكشف كل ابعادها بعد ، تملك وسائل العصر فى التخفى ،



وتتقن صناعة الأقنعة واخفاء الحقائق ، واخراج الوقائع على غير ماتمثله .

واذا كنا نرى فى الوثائق التاريخية التى شهدتها الجزائر اليوم ، استعمارا استيطانيا شرسا ، لايقبل بأقل من الالتهام الكامل للأرض والشعب ، ولايرضى بأقل من تغيير فكر وعقل الشعب ، فلم يظهر ذلك فى حينه ، بل عاشت الجزائر قرنا من الزمان حتى تبينت كل أبعاد الغزو ، والذى يقدم نموذجا فاضحا لأهداف الهيمنة فى العصر الحديث ، بعد أن أصبحت هذه الظاهرة اليوم أكثر حنكة ، وأعلى دربة ، وأقدر على اخفاء نواياها ! ..

**ولايتجاوز دورنا هنا ، تسجيل الأحداث ، ووضعها جنبا الى جنب ، فى حدود المساحة المتاحة ، ولاتزعم « الهلال » انها جمعت كل شاردة وواردة ، وتعترف انها تخطت العديد من التفاصيل ، وحرصت على التسجيل اكثر من التحليل . .**

وقبل ان نترك القارئ يقلب هذه الصفحات ، نذكره بملاحظتين :

● كل من عاش معركة الجزائر بانتصاراتها وصراعاتها ، لايملك ان يكون محايدا ، وليس أشق على الكاتب من ان يختلط لديه العقل بالعاطفة ، ولكننا حاولنا ان نتجرد قدر الامكان من عواطفنا .

**● إن مهمة تسجيل احداث الجزائر ، وخاصة مايتناول تيارات جبهة التحرير وصراعاتها ، مهمة شاقة ، تتباين فيها الأراء ، وتقل المصادر ، ومازال الكثيرون ممن عاشوا احداثها لم يسجلوا شهادتهم التاريخية بعد .**

**ومانقدمه هو بداية الطريق لتسجيل أهم انتصارات العرب فى النصف الثانى من القرن العشرين .**

# حسين باشا يستبدل الحرب بالصداقة مع أمريكا!



● ● لقطة تاريخية لحاكم الجزائر ( الداى ) حسين باشا ، عمرها حوالى ثلاثة قرون ، عندما كانت جزائر القرن الثامن عشر جزءا من الدولة العثمانية ولكنها تتمتع بقدر كبير من الاستقلال ، يحكمها حاكم أطلق عليه « الداى » ، وتتبادل القناصل ، ولها اسطول بحرى قوى يحمى سواحلها ..

وفى هذه المرحلة أقامت الجزائر أول معاهدة سلام وصداقة مع الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٩٢ ، وعندما أساءت أمريكا استغلال الاتفاقية اعلنت الجزائر الحرب ضدها ، وبعث الرئيس الأمريكى جيمس ماريسون الى الداى رسالة جاء فيها :

« لقد أعلنتم الحرب على الولايات المتحدة ، وقد قرر الكونجرس فى اجتماعه الأخير اعلان حالة الحرب على حكومتكم ، وكلف اسطولا من بوارجنا بالتوجه الى البحر الأبيض المتوسط لتنفيذ ذلك .. »

ورد الداى قائلا : « أبلغكم رغبة حكومتى استئناف علاقات الصداقة التى ربطت بين بلدينا منذ مايزيد على عشرين عاما ، ولاسيما ان امريكا كانت أول بلد عقدت حكومتى معه معاهدة سلام » ..

وانتهت الأزمة ، ووافقت امريكا على مطالب الداى ، وتم الصلح بين البلدين .

وكانت فرنسا تعترف بالجزائر كدولة مستقلة .

وبعد فشل الحملة الفرنسية على مصر ، سعت فرنسا الى احتلال الجزائر الشاطىء المقابل للسواحل الفرنسية .

وحقا .. بدأ الاستعمار الفرنسى فى الجزائر وقضى عليه فى الجزائر .

# يهوديان .. وراء غزو الجزائر

رسام فرنسى حاول بهذه الصورة أن يؤكد واقعة مشكوك فيها ، فاذا كان الشائع ان سبب غزو فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ بسبب صفع الداى للقنصل الفرنسى بيير ديفال ، فإن ما أظهرته الوثائق يخالف ذلك تماما ، فالحملة كانت تدبر قبل هذه الواقعة .

تحكى الواقعة التى حدثت يوم ٢٩ ابريل سنة ١٨٢٧ انه عند لقاء الداى بالقنصل الفرنسى ، تساءل الداى عن عدم تسديد الحكومة الفرنسية لديونها للخزانة الجزائرية ، وعن الرسالة التى أرسلها لملك فرنسا ..

فأجابه القنصل بصلف : « إن ملك فرنسا لايتنازل لمراسلة داى الجزائر » ...

فألقى الداى المروحة فى وجه القنصل وطرده من بلاطه ، وقامت فرنسا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الجزائر ، وأرسلت أسطولها الحربى لحصار ميناء الجزائر ، واستمر هذا الحصار مدة ثلاثة أعوام .

وفى يونيو عام ١٨٣٠ ، هجمت القوات الفرنسية على الجزائر العاصمة ، وأبعدوا الداى عن السلطة ، وبدأ الاختلال الذى استمر قرنا وربعا ، حتى تم الاستقلال عام ١٩٦٢ .

وهذه الحملة كانت استمرارا للروح الصليبية ، فبينما كانت الجزائر تتزعم الجناح الاسلامى فى شمال افريقيا ، كانت فرنسا تتزعم الجناح الكاثوليكى خلال حكم البوربون ذوى النزعة الدينية .

وهاهو قسيس الجيش الفرنسى يقول لقائد الحملة بورسون : « لقد فتحت بابا للمسيحية فى افريقيا » ، وسارع الفرنسيون إلى تحويل المسجد الكبير إلى كاتدرائية ، ووصف ادوارد دريو أحد المؤرخين الفرنسيين احتلال الجزائر بانه « أول اسفين دق فى ظهر الاسلام » .

واللافت للنظر ، ان وراء حادث المروحة ، يقف كل من بوخريص وبوشناق وهما يهوديان ، حصلا على عدة اقساط من الدين ولم يسلماها الى الخزانة الجزائرية ، وقد تجنس بوخريص بالجنسية الفرنسية وغير اسمه الى باكرى وسافر الى فرنسا ، اما بوشناق فقد فر الى ليفورن بايطاليا .

وقد اتهمت الصحافة الفرنسية القنصل ديفال بالحصول على مليونى فرنك من المبالغ التى دفعت لبوشناق وبوخريص .

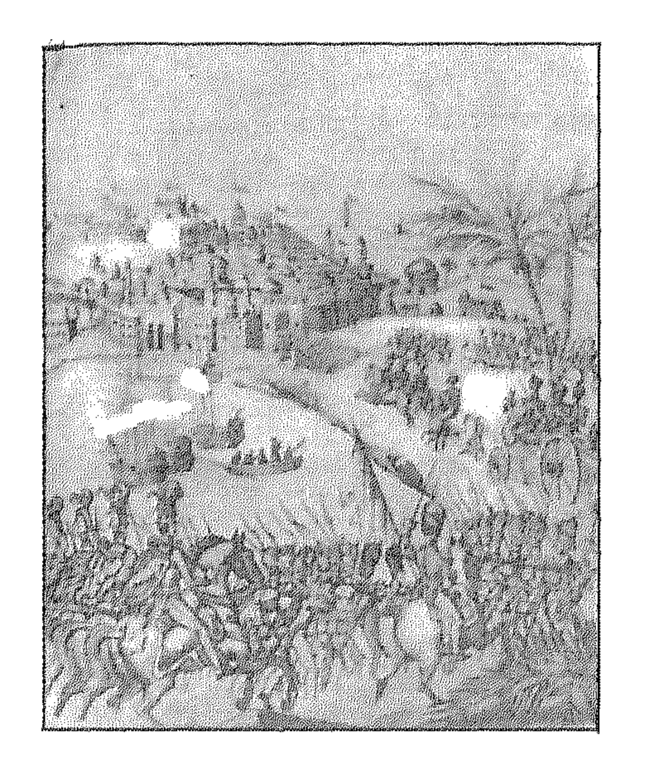
واصدرت حكومة بوليفياك فى عهد الملك شارل العاشر أوامرها بنزول جيش فرنسى مكون من ٢٧ ألف مقاتل يوم ١٤ يونيه ١٨٣٠ على شاطىء خليج سيدى فرج ، الواقع على بعد ٢٣ كيلومترا غرب الجزائر .

●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○

## جنود الاحتلال فى حى القصبة

جنود الاحتلال الفرنسى امام حى القصبة ، القلعة الحصينة للدفاع عن العاصمة ، فما أن بدأ الاحتلال ، حتى أسفرت فرنسا عن حقيقة نواياها ، وجاء فى التقرير الذى كتبه دى كليرهون توفير وزير الحربية الفرنسية الى الملك شارل العاشر مايلى :

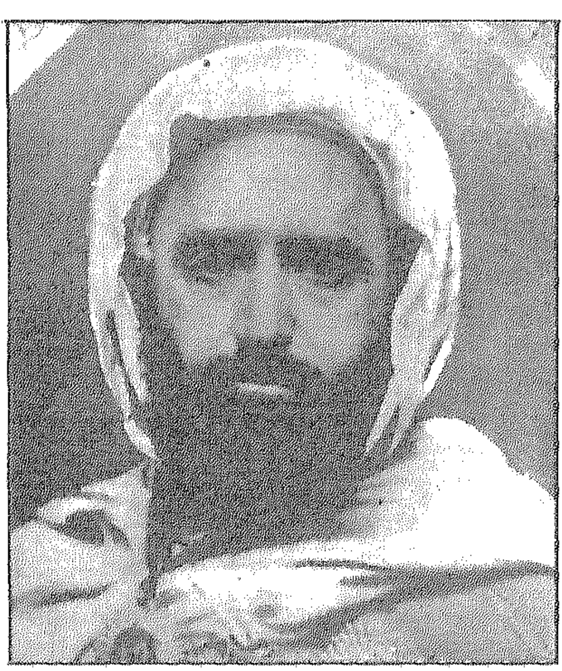
## قصة الجزائر كاملة



« إنها العناية الالهية التى قضت بأن تنادى سليل القديس لويس ليأخذ بالثأر ويقتص للدين والانسانية ، ولا سبيل الى استقرار الأمن في الجزائر الا بابادة أهلها عن بكرة أبيهم » ! ! .

وتصور الفرنسيون ، انه يمكنهم الاكتفاء باحتلال الموانىء الساحلية ، لكى تخضع الجزائر بأسرها ، ولكن ما أن تحرك الجيش الفرنسى لاحتلال بليدة حتى هاجمته القبائل وأجبرته على الانسحاب والعودة إلى العاصمة .

## فارس المقاومة الشعبية



الأمير عبدالقادر الجزائرى الذى التفت حوله القبائل ليقودها محققا صفحة مجيدة من التاريخ ، وكان هذا الرجل ينتمى الى قبيلة هاشم القاطنة فى وهران ، واحد المنضمين إلى الطريقة الصوفية القادرية ، وبايعت القبائل الأمير ، وبدأ جهاده ضد الفرنسيين ، وحقق الكثير من الانتصارات والهزائم ايضا ، وكانت اكبر انتصاراته فى موقعة وهران ، واضطرت فرنسا الى عقد معاهدة صلح عام ١٨٣٤ ، اعترفت خلالها بسلطة الأمير على المناطق الداخلية ، وتقدم لبسط نفوذه على الأقاليم الواقعة وراء وهران .

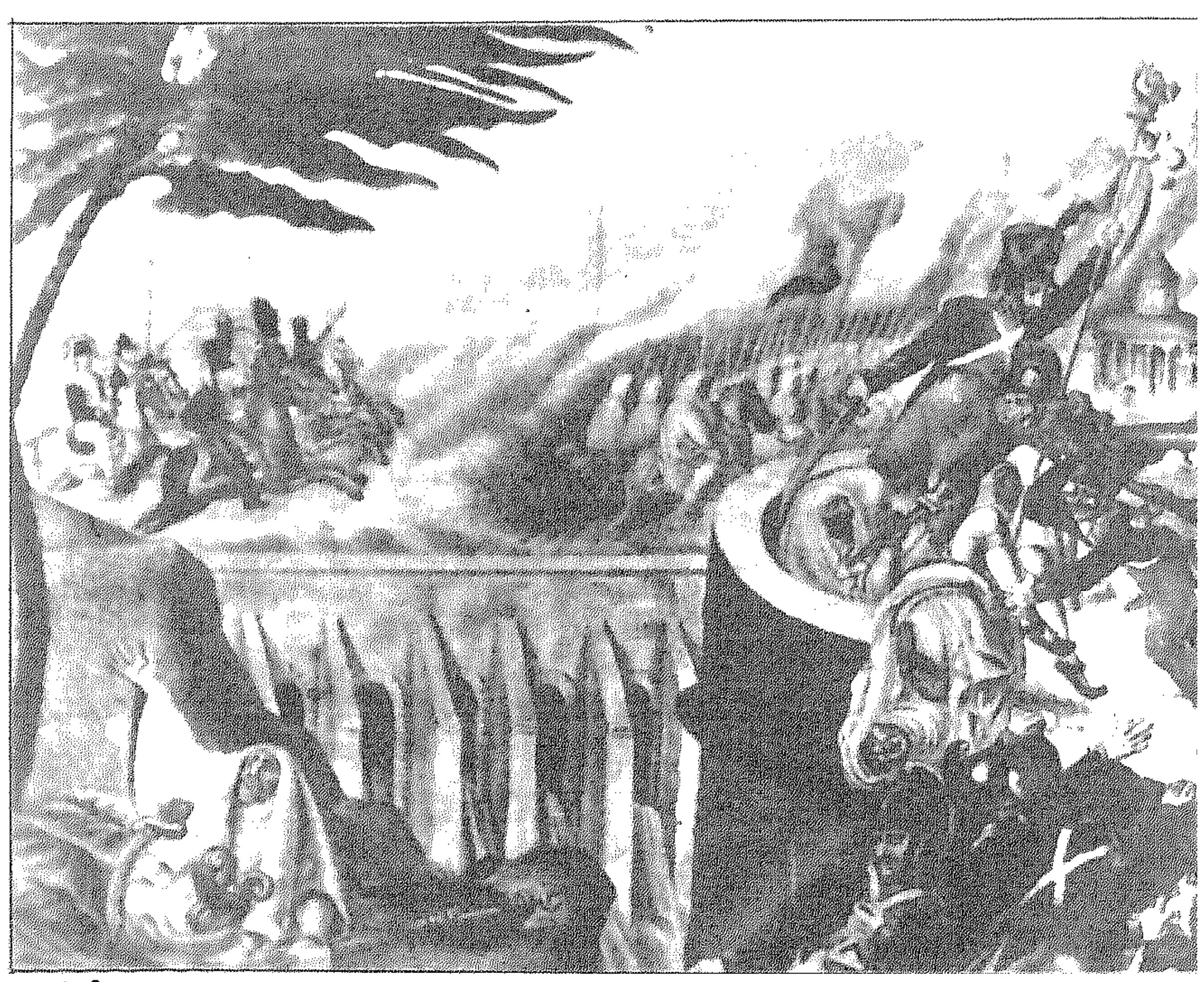
ولم يلبث ان خاض المعارك ضد الفرنسيين من جديد ، وعقدت معاهدة اخرى هى معاهدة التافنا عام ١٨٣٧ .

واستمر الأمير يقاوم قوات الاحتلال بقوات بلغت عشرة آلاف مقاتل معلنا الجهاد طوال خمسة عشر عاما ، وانتهت هذه الصفحة المجيدة ، بنفى الأمير عبدالقادر عام ١٨٤٧ الى فرنسا ثم انتقل الى دمشق وتوفى بها عام ١٨٨٣ .

واذا كان لم يحقق النصر ، فقد قدم نموذجا احتذاه الثوار فى الفاتح من نوفمبر عام ١٩٥٤ .

## مقاومة رغم الإبادة

عندما هجم الفرنسيون على مدينة قسنطينة ، كانت المقاومة فى انتظارهم ، فتاريخ الجزائر يؤكد ان مقاومة المحتل لم تكن مقصورة ، على قوات الأمير عبدالقادر ، بل قام بها ايضا باى قسنطينة ، الذى قرر التحصن



بها ، واستغل الفرنسيون فترة الصلح مع الأمير عبدالقادر لكي يتخلصوا من احمد باشا ، ونجحوا فى القضاء عليه .

ويفخر الضباط الفرنسيون .. بأن الجند قد دمروا القرى وأحرقوا القبائل » .

واستمرت المقاومة فى منطقتين :

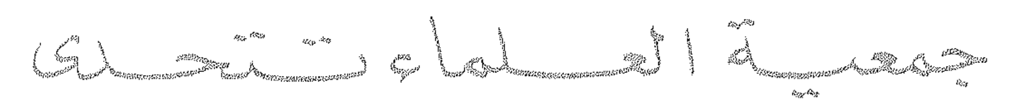
● واحات الصحراء ، التى اعتصم بها زعماء الطرق الصوفية ، مثل واحة الزعاطشة وواحات ورغله والأغواط التى تم اخضاعها عام ١٨٥٣ .

● وبلاد القبائل التى تشمل الأوراس ، وجبال جرجرة ، ولم تتمكن فرنسا من اخضاعها الا بعد قتال عنيف عام ١٨٥٧ .

وأعلن لويس فيليب الذى خلف شارل العاشر ضم الجزائر الى فرنسا عام ١٨٣٤ .

ولقد تعرضت المقاومة الى حرب ابادة ، وهاجر الكثيرون ، وتناقص عدد السكان فى المدن الجزائرية الرئيسية .

وتقدر التقارير الفرنسية ان سكان الجزائر تناقصوا خلال هذه الفترة من ٤ ملايين الى ٣ ملايين .



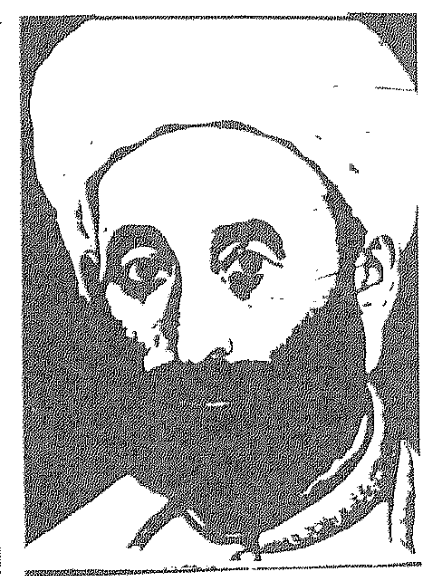

رغم الاحتلال ومحاولة القضاء على الثقافة الوطنية ، فقد تصدت جمعية العلماء للحفاظ على الهوية الجزائرية ، وكان على رأس هذه الجمعية علماء أفاضل ، أمثال عبدالحميد بن باديس وبشير الأبراهيمى .

وعاشت الجزائر تكافح ليل الاستعمار الطويل بمقاومة الفرنسة والاستلاب الثقافى .

ويحكى لنا تاريخ الجزائر ثورة « المقران » عام ١٨٧١ التى قادها الصوفيون معلنين التمرد والعصيان .

وفى تلك الفترة اتصلت المقاومة التى تتمثل فى الزوايا والجوامع ، والتى قادها الشيوخ ورجال الطرق الصوفية .

وتبلورت اخيرا هذه المقاومة فى جمعية العلماء بعد مائة عام من الاحتلال واستجابت الجزائر للتحدى الثقافى ، بعد أن حافظت الزوايا على الثقافة الوطنية ، وبدأت المقاومة العنيدة لكى لا تصبح الجزائر ولاية فرنسية ..





عبد الحميد بن باديس — توفيق المدنى — البشير الابراهيمى

واستمر كفاح الجزائريين ضد الاستيعاب والهيمنة جيلا بعد جيل ومع احتفال فرنسا عام ١٩٣٠ بمرور مائة عام على احتلال الجزائر جاء الرد الحاسم من عبدالحميد بن باديس الذى أعلن :

« ان الأمة الجزائرية ليست هى فرنسا ، ولايمكن ان تكون فرنسا ، ولاتريد ان تصير فرنسا ، ولاتستطيع ان تصير فرنسا ولو أرادت ، بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها ، وفى أخلاقها وعنصرها وفى دينها ، ولاتريد ان تندمج ولها وطن محدد معين هو الوطن الجزائرى .

ان هذه الأمة كانت قائمة قبل الاستعمار ، وذات مقومات من دينها ولسانها وذات مقومات من ماضيها وحاضرها ، كانت أرقى عقلا وأسمى روحا ، وأوفر علما ، وأعلى فكرا من أمم البلقان ، ولو سارت سيرها الطبيعى ولم يعترضها الاستعمار بعوائقه وموانعه لأنجبت المعلم الذى يملى الحكمة ، لا المعلم الذى يمالىء الحكومة ... »

ويقول توفيق المدنى فى كتابه تاريخ الجزائر ... « الاسلام دينى ، والعربية لغتى ، والجزائر وطنى » ...

وأدركت جمعية العلماء أنها لكى تهزم المحتلين ، يجب هزيمتهم فى عقول الشعب ، وعندها مايسر هزيمتهم فى أرض الواقع .. وكانت تؤرقهم دائما كلمات الأب شارلس زكولر : « مالم ننجح فى تحويل هؤلاء الناس الى فرنسيين فسيطردونا خارج البلاد ، والطريق الوحيد لجعلهم فرنسيين هو اعتناقهم المسيحية » .

## مرحلة جديدة من العمل

بعد هزيمة فرنسا أمام القوات الألمانية قامت سلطات الاحتلال بالغاء جميع التنظيمات السياسية ، فحلت جمعية العلماء ، وقبضت على زعمائها ، وأصبحت حكومة فيشي برئاسة الماريشال بيتان ، من أشد حكومات فرنسا قربا من الكولون ( المستوطنين الفرنسيين ) ، يؤيدون فكرة التفوق الأوربى على السكان المحليين ، ورفض بيتان عريضة تقدم بها فرحات عباس يطالب فيها بالاصلاح الزراعى ، والغى انتخابه عام ١٩٤١ ، وأصدر حكما ضد مصالى الحاج الذى أودع السجن .

وسرعان ماوصل الحلفاء الى شمال افريقيا ، فى نوفمبر عام ١٩٤٢ ، وقامت اتصالات بين الحركة الوطنية وممثل الولايات المتحدة موزقى ، ووجه فى هذه المرحلة فرحات عباس نداء الى السلطات الأمريكية ، طالب فيه بتطبيق مبادىء ميثاق الأطلسى .

ولكن السلطات الأمريكية سلمت الادارة المدنية لحكومة فرنسا الحرة ، التى جاءت خلف جيوش الانجلو أمريكية .

واقتنع عباس فرحات بضرورة التخلى عن سياسة الادماج مع فرنسا التى كان يدعو اليها ، وبدأت مرحلة جديدة من تطوره السياسى .

وأعلن فرحات مبادئه الجديدة فى بيان أصدره يوم ١٢ فبراير عام ١٩٤٣ . وهذه المبادىء هى :

- المساواة والحرية لجميع الجزائريين دون تمييز .
- القضاء على الاقطاع وتطبيق الاصلاح الزراعى .
- اعادة اللغة العربية كلغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية .
- تعميم التعليم الابتدائى وجعله الزاميا فى كل انحاء الجزائر .
- فصل شئون الدين الاسلامى عن الادارة الفرنسية .
- ضرورة اشراك المسلمين فى ادارة البلاد .

وطالب فى خطاب سياسى وجهه الى السلطات الأمريكية يوم ١١ ديسمبر ١٩٤٢ باقامة جمهورية جزائرية تتحدد فدراليا مع فرنسا .

ومن جانب آخر افرج عن مصالى الحاج عام ١٩٤٤ ، وسعى فرحات عباس لعقد مؤتمر عام يضم جميع الزعماء ، وأصر مصالى الحاج على ضرورة إعلان



القادة القدامى . عباس فرحات فى القاهرة ، وحوله الثوار الجدد ومصالى الحاج يخطب فى الجزائر .

الاستقلال كشرط مسبق ، ورأى فرحات عباس ان المهم قيام جمعية تأسيسية تمثل السكان تمثيلا ديمقراطيا ، وعليها أن تقرر مستقبل الجزائر .

وبمجرد انتهاء الحرب ، عادت السلطات الفرنسية لممارسة أبشع وسائل القمع ، عندما قامت مظاهرات فى الجزائر تحمل شعارات وطنية فى ٨ مايو ١٩٤٥ ، وتطالب بجامعة عربية ، دبر المحتلون مذبحة سطيف ، وهى من أفظع جرائم الاحتلال الفرنسى ، وبلغ عدد الضحايا حسب احصائيات الجزائر نحو ٤٥ ألف شهيد ، وقدرتها السلطات الفرنسية بألف وستمائة شهيد ، واعترف بعض الضباط الفرنسيين بأن عدد الضحايا يصل مابين ٨ آلاف و١٠ آلاف شهيد .

واستوعبت الحركة الوطنية الدرس جيدا .

●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○

## ميلاد الثورة بعد مخاض صعب

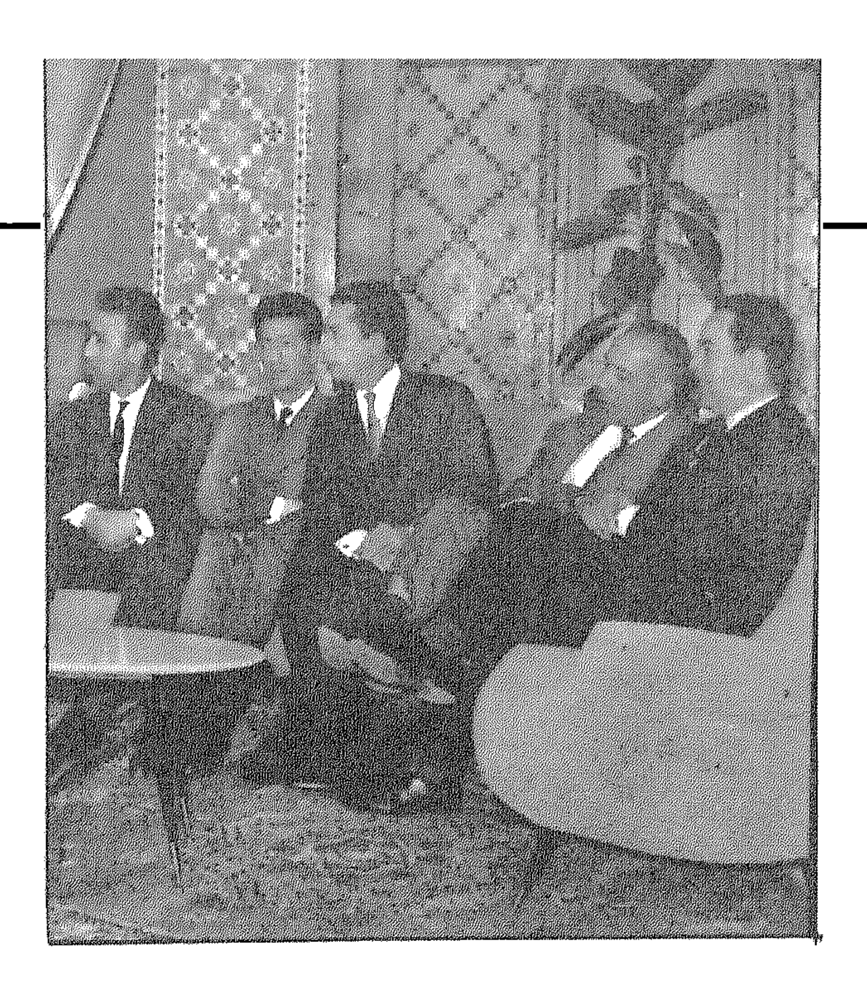
خمسة من القادة التاريخيين التسعة الذين اختاروا طريق الكفاح المسلح .. فقد أدرك المناضلون الجزائريون انه لاجدوى من العمل السياسى فى ظل الزعامات والأحزاب القائمة ، وبدأت التنظيمات السرية لمقاومة الاحتلال ، وكان معظم هؤلاء من الشباب الذين نشأوا فى حزب الشعب بقيادة مصالى الحاج .

وبدأوا عام ١٩٥٣ يجمعون الأموال والأسلحة ، ويتصلون بالقوى العربية وعلى رأسها مكتب المغرب العربى في القاهرة ، والذى كان يرأسه علال الفاس ويضم صالح بن يوسف ومحمد خيضر .

عندما كانت الثورة المسلحة فى المغرب قد بدأت تتسع بسبب خلع الملك محمد الخامس ، ولم تكن القضية التونسية قد حلت بعد .

وبعد مخاض صعب ، قام تسعة من الثوار فى مارس سنة ١٩٥٤ يشكلون نواة اللجنة الثورية للوحدة والعمل ، المنظمة الخاصة فى حزب الشعب ، وهؤلاء التسعة هم :

مصطفى بلعيد ، والعربى بن مهيدى ، وكريم بلقاسم ، ورابح بيطاط ، ومراد



ديدوش ، وحسين آية أحمد ، وأحمد بن بيللا ، ومحمد بوضياف ، ومحمد خيضر .

وإعلان قيام جبهة التحرير الوطني الجزائري .

ووقع على تأسس جبهة التحرير اثنان وعشرون مناضلا التسعة مضافا اليهم : يوسف زرهوط وتحضر بن طوبال ، وعبدالحفيظ بوصوف ، ورمضان بن عودة بن عبدالملك ، ورشيد ملاح ، وسعيد بوعلى ، وعبدالسلام حبشي ، ومحمد نشأت ، ومختار سويدانى بوجمعة باجى ، وعثمان بوعجاج زبير بلوزدار ، ومحمد مرزوقى ، بلحاج بوشايد .

وأعلن فرحات عباس عام ١٩٥٥ انضمامه الى جبهة التحرير ، كما انضم ايضا أعضاء من حركة انتصار الحريات الديمقراطية ( حزب مصالى الحاج ) وأعضاء من جمعية العلماء .

ويروى رابح بيطاط أحد التسعة ورئيس مجلس الشعب الحالى قائلا : كان تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل قد تم فى النصف الثانى من شهر يونيه عام ١٩٥٤ ، ووضعنا أهدافا منها استقلال الجزائر فى اطار المغرب العربى ، وكان يتم الاتصال عن طريق مصطفى بلعيد بممثل التونسيين عز الدين ، ويتم الاتصال بالمغرب عن طريق أحمد بن بيللا ، وجاءتنا فى هذا الوقت برقية من مكتب المغرب العربى فى القاهرة تقترح أن يكون انطلاق الثورة يوم ٢٠ أغسطس ، فى الذكرى الأولى لنفى الملك محمد الخامس ، وكان ردنا أننا لم



## قصة الجزائر كاملة

نكمل بعد استعدادنا لتفجير الثورة ، واخترنا بدورنا أول نوفمبر عيد القديسين لسببين :

١ ـ أنه جرت العادة على تسجيل حوادث أول الشهر .

٢ ـ يأخذ الجنود فى عيد القديسين عطلة تستمر ٢٤ ساعة مما يمكننا من الهجوم على بعض الثكنات العسكرية الفرنسية .

● وسرعان ما استقال الأعضاء الجزائريون فى المجلس الذى أنشأته فرنسا فى عام ١٩٥٥ ، واضطر إدجار فور إلى استثناء الجزائر من الانتخابات . وكان هذا من أكبر الانتصارات السياسية .

● وتطور عمل السلطات الفرنسية وسعت الى عزل الجزائر عن جاراتها بانشاء خط موريس ، لكى تمنع وصول السلاح والمؤن والذخائر الى الثوار ، ورد الثوار بتطبيق مبدأ تحرك منفردا وقاتل متحدا .

وكتبت الثورة بدماء الشهداء أكبر ملحمة فى تاريخ العرب الحديث .

●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○

## العرب وثورة الجزائر

جاء الى القاهرة خلال عام ١٩٥٤ ، مجموعة من الشبان الجزائريين ، كان من بينهم أحمد بن بيللا ، وكان قد وصل المرة الأولى فى أغسطس ١٩٥٣ بعد هربه من الحكم عليه بعد حادث بريد وهران .. وجاء فى البداية مندوبا لمصالى الحاج ، والتقى خلال هذه الزيارة ببعض العاملين فى القضايا العربية ، ومنهم عزت سليمان وفتحى الديب ، الذى رتب لقاءه مع زعيم ثورة ٢٣ يوليو .

وتم الاتفاق بين عبدالناصر وبن بيللا على مساندة الحركة الثورية فى الجزائر بلا حدود أو شروط .

بعد أن وقر فى وجدان ثوار الجزائر ان الكفاح المسلح هو الحل الوحيد وظهرت ارهاصات العمل المسلح بظهور وحدات المقاومة فى الجبل عام ١٩٤٧ ، تحت قيادة كريم بلقاسم ، وبدأ العمل الفعلى ضد الوجود الفرنسى .

وأعلنت اذاعة صوت العرب ساعة الصفر فى أول نوفمبر عام ١٩٥٤ ، وأذاعت بيان جبهة التحرير الجزائرية والذى صاحبه عمليات عسكرية شملت ٢٤



انفجارا فى أماكن مختلفة من الجزائر ، ووجهت معظم الهجمات الى مراكز الشرطة وثكنات الجيش المعزولة وتم الاستيلاء على اسلحتها وذخيرتها .

وانشئت فيما بعد ، وبالتحديد فى نوفمبر عام ١٩٥٥ اذاعة سرية خاصة للجزائر ، ظلت تذيع طوال سنوات الثورة وحتى انتصارها ، ومن الذين كانوا يذيعون فيها المرحوم عبدالقادر قاسى ، الذى أصبح فيما بعد مديرا للشئون العربية فى وزارة الخارجية الجزائرية .

ويقول بن بيللا فى مذكراته : « على طول الشمال الأفريقى كانت الجماهير قد حملت السلاح ، فالثورة فى وهران قد نظمت بالتنسيق مع الثوار المغاربة الذين يشنون العمليات فى الريف ، واسرع الفرنسيون لاعادة محمد الخامس الى عرشه ، ومنحت المغرب الاستقلال .

وأدى استقلال المغرب وتونس ، الى تأثير عميق ، وبات من المستحيل حرمان الجزائر مما حصلت عليه جارتاها

لقد انتشلنا من النار فستق الاستقلال ، واخواننا على الحدود يتأهبون لأكله » ..

## قصة الجزائر كاملة

لقد اعطانا محمد الخامس تأكيدا بأن تكون الحدود المغربية فى كل لحظة حدودا صديقة ، وممكنة العبور للأسلحة والرجال » .

وعندما وقع العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ تأكد ارتباط مصير مصر بالجزائر ، عندما ربطت الحكومة الفرنسية بين ماتلاقيه فوق أرض الجزائر وبين الدعم الحاسم لمصر .

وكانت السلطات الفرنسية قد القت القبض على السفينة المصرية « آتوس » التى كانت تحمل شحنة من السلاح المصرى ، وصادرت السفينة وحاكمت طاقمها .

واعلن جى موليه وزير الحربية مبررا للتواطؤ الفرنسى مع اسرائيل وبريطانيا بقوله .. « اننا نريد ان نخضع الجزائر عن طريق اخضاع القاهرة .... » ! !

وهبطت فرقة المظلات الفرنسية فى بورفؤاد ، وهى ذات الفرقة التى يقودها الجنرال ماسو قائد معسكرات الاعتقال وقائد المظليين فى الجزائر .

وعندما اندحر العدوان وبدأت عودة العلاقات مع بريطانيا ، استمرت العلاقات المصرية الفرنسية مرتبطة بموقف فرنسا فى الجزائر .

## صناديق السلاح فى يخت الملكة

يروى بن بيللا هذه الواقعة فى مذكراته :

« اذا كانت مصر قد امدتنا منذ البداية بمساعدات عظيمة ، فان كل الأقطار العربية الأخرى قد ساعدتنا بدرجات أقل ، ان الملكة دينا الجذابة ، اعارتنا يختها لنقل السلاح الى الساحل المغربى ، وفى البداية كانت هذه الاعارة بغير اختيارها ولكن عندما اوقف الاسبان طاقم اليخت واحتجزوه اضطررنا للاعتراف للملكة باننا قد استعملنا يختها الجميل ، وفورا شرعت فى العمل عن طيب خاطر ، وطلبت من الأسبان تحرير اليخت ، مؤكدة لهم إنه بأمر منها وعلى هداها ، كان يختها يتجول بدونها .

كان اليخت يسمى بنفس اسم الملكة وكانت سفينة عجيبة ، وقد اصطدم وسط الليل فى خليج صغير ، وتعرى رجالنا من مغنية وتلمسان طوال الليل وظلو ينقلون صناديق السلاح الثقيلة من اليخت الى اليابسة ، غارقين الى الصدور فى الأمواج الثلجية ، لقد اصيب بعض المناضلين بجروح ، وفقد آخرون سلامة بعض اعضاء من جسمهم ، ولكن ما أن طلع الفجر حتى كان اليخت قد أفرغت شحناته ، والأسلحة قد دفنت ، وأمر فى الصباح الفلاحون قطعان الغنم لمحو الآثار .

وكان التدخل الحازم للملكة ، وان كان لم يقنع رجال الحرس الأسبانى كل



الاقتناع ، فقد أمدهم على الأقل بذريعة يبحثون عنها لحفظ القضية .

ويمضى بن بيللا قائلا : « وبعد عملية اليخت دينا تمت عمليتان اكثر اهمية بكثير ، كانت أخراهما قد نفذتها سفينة حربية مصرية ، وأصبح الأمر يتعلق برشاشات ومدافع هاون وبازوكا وقذائف ، وأسلحة أخرى جديدة وعصرية .

وبفضل هذا السلاح تقدمت للعمل فى ٢ أكتوبر ١٩٥٥ جبهة وهران ، الوحيدة التى بقيت حتى هذا التاريخ هادئة » .

وكان السلاح يدخل الى جيش التحرير ، عن طريق ليبيا وتونس والمغرب ، وفى المرة التى استخدم فيها يخت الملكة دينا كان يقوده ميلان باتشش اليوغسلافى الجنسية ، الذى تزوج كريمته الأخضر الابراهيمى فيما بعد .

والذى نقل السلاح من غرب الاسكندرية حتى الناضور فى المغرب الخاضعة للأسبان ، ومنه يهرب الى داخل الجزائر .

أبحر اليخت من ميناء بورسعيد يوم ٢٤ مارس ١٩٥٥ ، وفى صحبته سبعة من المناضلين الجزائريين الذين اتموا تدريبهم فى القاهرة فى طريقهم الى وهران ، ومنهم محمد أبوخروبة ( الرئيس هوارى بومدين فيما بعد )

وأبحر من برج العرب بعد شحنه بالسلاح يوم ٢٧ مارس ١٩٥٥ .

ـ ويروى فتحى الديب فى كتابه انه وصلت برقية يوم ٤ ابريل تقول : « كللت المهمة بالنجاح ، وأصيب اليخت بخسائر كثيرة » .

وعلمت ومازال الحديث لفتحى الديب ... « أن اليخت وصل فى موعده إلى المنطقة المحددة ، وتأخر وصول الجزائريين لنقل الشحنة الى الشاطىء ، فاضطر القبطان للاقتراب من الشاطىء مسافة ٢٠ مترا ، ليتم تفريغ الشحنة » ، وعند أول ضوء مد حبل من اليخت إلى الشاطىء وتم نقل عبوات الأسلحة على الأيدى . وبعد تفريغ شحنة اليخت ، فقد القبطان سيطرته وتوازنه ، واصطدم بالصخور وعجز عن الحركة .

# بداية الخلاف داخل جبهة التحرير

لقطتان تعبران عن مؤتمر الصومام الذى عقد داخل الجزائر فى ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ .

الأولى ... كريم بلقاسم وأمامه الميكروفونات خلال مؤتمر صحفى ، وكان وراء عقد مؤتمر الصومام ، ثم دافع عن قراراته .

والثانية .. للجنة التنسيق التى أقامها المؤتمر ويرأسها عبان رمضان ، خلال زيارتها الى القاهرة ، ويظهر عباس فرحات ويوسف بن خدة وكريم بلقاسم وعبدالله بن طوبال وفتحى الديب .

وشهدت الثورة فى عامها الثالث ، عقد مؤتمر « الصومام » ، والذى كان يهدف لتقييم مسار الثورة المسلحة ، ماقامت به وماعليها ان تفعله ووضعت وثيقة تاريخية عكست كل المواقف التى واجهت الثورة .

وتأسس خلال هذا المؤتمر المجلس الوطنى للثورة الجزائرية ، وتكونت لجنة للتنسيق والتنفيذ .

ويذكر فتحى الديب فى كتابه ... عبدالناصر وثورة الجزائر ، ان عبان رمضان قد استغل عدم وصول السلاح إلى بعض الولايات الداخلية لايغار صدورهم على القائمين بتمثيل الكفاح المسلح فى الخارج ، واتهامهم بالتقصير وضرورة توجيه اللوم اليهم .

وطرح فى المؤتمر افكارا حول مستقبل الجزائر تجاهل فيه المؤتمر عروبة الجزائر وارتباطها بالدين الاسلامى ! .

كما شكل المؤتمر لجنة ثلاثية للتنفيذ والتنسيق ووضع عبان رمضان نفسه على رأسها وتتكون منه ومن كريم بلقاسم ويوسف بن خدة .

كما أصدر المؤتمر قرارا يخول له الحق فى تعيين ممثلين جدد للثورة فى الخارج لكى يحلوا محل بن بيللا ـ مازال الحديث لفتحى الديب ـ وبالفعل اختار الدكتور محمد الأمين دباغين ليمثل الثورة فى القاهرة » ..

● ويقول بن بيللا فى مذكراته ... « لا جدال فى أن المؤتمر حقق للثورة أبنية وهياكل تنظيمية ، كانت غائبة ، ولكنه حمل اليها ايضا جهازا بيروقراطيا أخذ ينفصل بالتدريج عن واقع النضال ، وخطأ المؤتمر انه أدخل شخصيات سياسية ، كانت تعارض الانتقال الى الكفاح المسلح ، والتى شجبت علانية عملنا صبيحة الفاتح من نوفمبر .






## قصة الجزائر كاملة

ولعل المأخذ الأشد خطورة على المؤتمر تركه للولايات فى المناطق العسكرية الداخلية بدون سلاح ، مع التسليم بأن شبكات الخطوط المكهربة التى اقامتها السلطات الفرنسية ، جعلت الوفاء بهذه المهمة بطريق البر شديدة الصعوبة ، ولكن بقى طريق البحر لم يستخدم » ..

● أما الدكتور سمير أمين فيرى ان مؤتمر وادى الصومام ، قد اتخذ مواقف راديكالية ، فلم تعد المطالبة بالاستقلال كافية ، وطالب بارساء المجتمع الاشتراكى الذى يطبق الاصلاح الزراعى .

وعلى أية حال .. فقد بدأت فى هذا المؤتمر بوادر الانقسام فى صفوف جبهة التحرير ، وظهرت لأول مرة التفرقة بين جيش تحرير الداخل فى الولايات الست وجيش تحرير الخارج ، وانقسام بين قيادات جبهة التحرير فى الداخل وفى الخارج ، وحكم هذا الانقسام مسار الثورة حتى بعد تحقيق الاستقلال .

●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○




لقطة للقادة الذين تعرضوا للقرصنة الفرنسية بن بيللا وبوضياف وحسين اية ، فبعد مغادرة بن بيللا ومحمد خيضر للقاهرة يوم ١٦ اكتوبر ١٩٥٦ للقاء بوضياف وحسين آية بمدريد .

ويحكى وقائع هذه القرصنة بن بيللا فى مذكراته ، « ضلت الطائرة المغربية التى تقلنا من الرباط الى تونس ، وقد ضلت امتثالا لأوامر ابلغت اليها بالراديو من قيادة أركان الجيش الفرنسى بالجزائر ، وهبطت الطائرة بالعاصمة الجزائرية ، وكان فى انتظارها سرب المصفحات وأفواج من الدرك .

كنا نجرى مفاوضات مع فرنسا ، وفى سبتمبر انتهينا الى اتفاق ، وقررنا ان يعود كل منا الى بلده لتوقيعه بصورة نهائية وبعدها نلتقى فى روما لاتمام المفاوضات بصورة فعلية وعلنية .

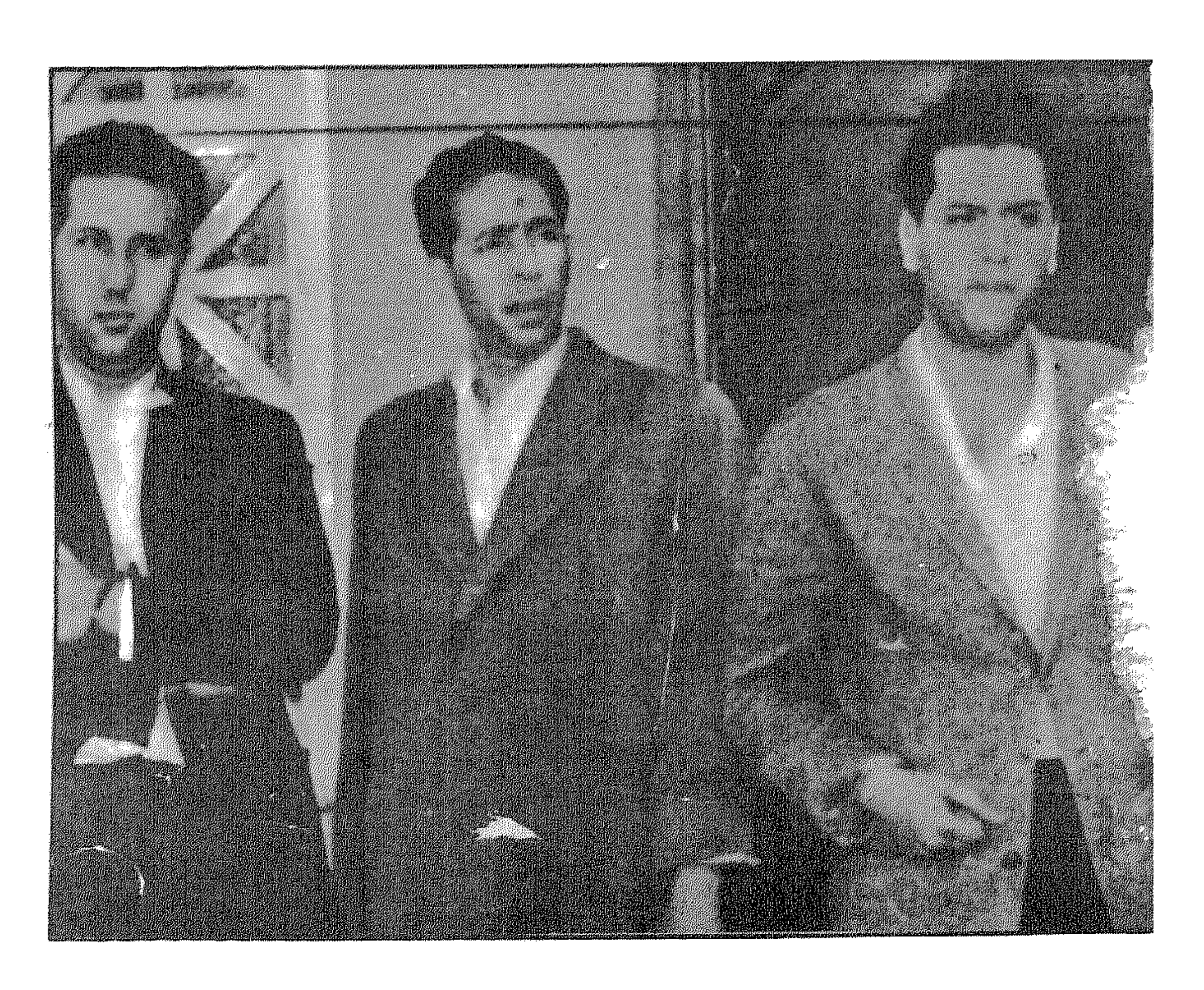
كنا نفكر اننا على أبواب السلام ، عندما دبر لاكوست هذا العمل الذى أطلقوا عليه « ضربة الطائرة » .

وكنا نرى انه من اللياقة ابلاغ كل من المغرب وتونس بشروط السلام التى عرضت علينا .

وفى مدريد جاءنا رسول من مولاى الحسن . [ الملك الحسن فيما بعد ] وأبلغنا ان السلطان يريد أن يرانا فى الرباط ، وفى الرباط اتفقنا ان نذهب الى تونس برفقة محمد الخامس ، وكان حضور ملك المغرب فى الطائرة ذاتها بدا لنا ضمانة كافية ، ولسوء الحظ ، أشعرنا القصر بعدم توافر مقاعد ، وبأن طائرة ثانية ستقلنا ، استأت من ذلك ، ولم يكن هناك بديل ، فاجتماع تونس كان محدداً له يوم ٢٣ اكتوبر ، فقبلنا اقتراح القصر ، بعد أن كنا نتصور السلام على الأبواب ...

أحسست بتخوف وهمست بذلك الى خيضر فقال ضاحكا : « أوه ، هكذا أنت تحذر دائما » ...

وعشنا بعد ذلك فى السجون الفرنسية خمسة أعوام .








# اتفاقيات ايفيان

المفاوضون الجزائريون امام فيللا بوادفو مقر اقامة الوفد الجزائرى فى مباحثات ايفيان ، ويظهر اعضاء الوفد الرسمى فى جولة المفاوضات الثانية ، على منجل وثابت بلحروف ، وكريم بلقاسم ، والدكتور أحمد فرنسيس وأحمد قايد سليمان وأحمد بومنجل وسعد دحلب ومحمد بن يحيى .

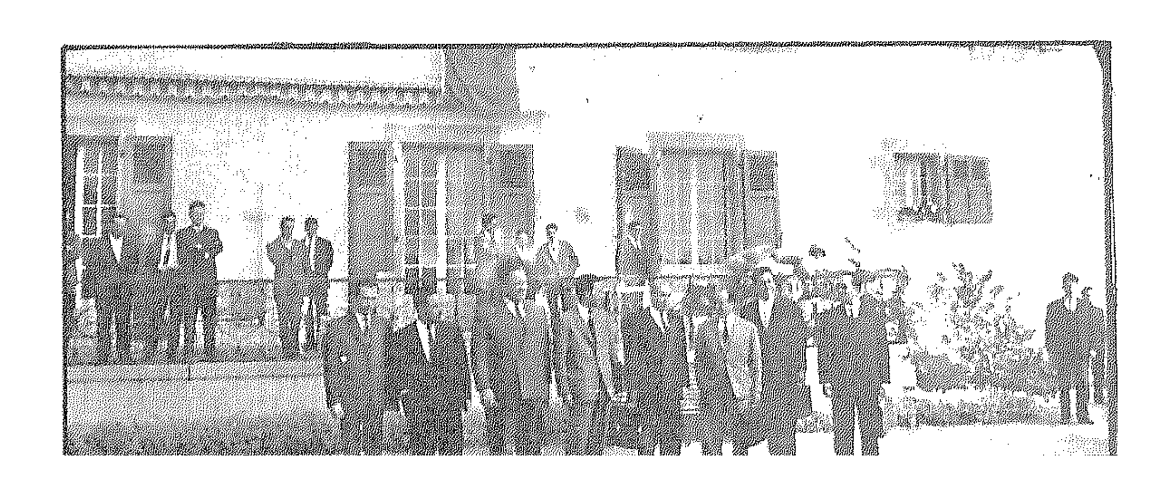
بعد أن أجبرت طلقات المجاهدين على أرض الجزائر فرنسا على التفاوض ، وكانت مفاوضات طويلة ، وعلى كل فريق أن يواجه متطرفيه ، « الاقدام السوداء » بالنسبة الى فرنسا ، ومناضلى الداخل بالنسبة للحكومة المؤقتة .

فقد تغلب الجنرال ديجول على معارضيه ، وفشلت المحاولة التى قام بها الجنرالات فى منظمة الجيش السرى الفرنسى .

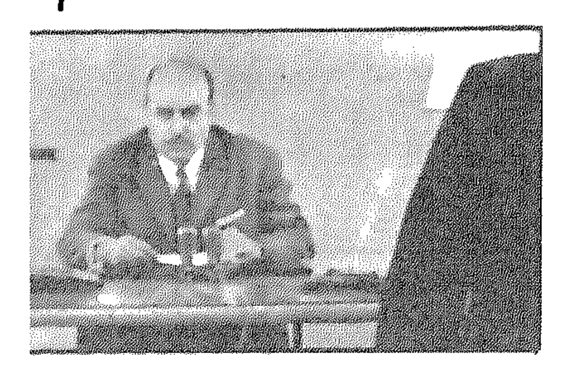
وأدت المفاوضات التى افتتحت فى ايفيان الى اطلاق سراح بن بيللا ورفاقه ، والى وقف اطلاق النار فى ١٨ مارس ١٩٦٢ فى يوم توقيع الاتفاقية التى تقضى اجراء استفتاء تقرير المصير ..

وتنص هذه الاتفاقية على ان تستأجر فرنسا قاعدة المرسى الكبير البحرية فى وهران لمدة خمسة عشر عاما .

وفى صباح ، الثلاثاء ٣ يوليو سنة ١٩٦٢ ، نكست الاعلام الفرنسية ورفعت الأعلام الجزائرية ، وأصبحت الحكومة المؤقتة صاحبة السلطة العليا فى الجزائر .



# الحكومة المؤقتة



لقطة لأحد السياسيين الذين تخطتهم الأحداث وعى « فارس » والذى اختارته السلطات الفرنسية رئيسا للسلطة التنفيذية الجديدة ، وهو الأكثر اعتدالا بين رجال السياسة فى الجزائر ، لتطبيق اتفاقيات ايفيان ، تسانده قوة محلية قامت بتجنيدها ، وهى آخر المناورات السياسية الفرنسية .

وتهدف هذه المناورة الى اضعاف الحكومة المؤقتة التى أجرت المفاوضات ، وهى الحكومة التى تشكلت برئاسة يوسف بن خده يوم ٢٧ أغسطس عام ١٩٦١ .

وهى امتداد للحكومة التى تألفت فى القاهرة يوم ١٩ سبتمبر عام ١٩٥٨ ، برئاسة عباس فرحات وكان نائبا الرئيس كريم بلقاسم وأحمد بن بيللا ، وضمت ١٩ وزيرا من بينهم حسين أية أحمد ورابح بيطاط ومحمد بوضياف ومحمد خيضر الذى تم اغتياله فيما بعد فى أوربا والذى كانت أموال جبهة التحرير مودعة باسمه ! .

واللقطة الثانية لعباس فرحات ويوسف بن خده ومحمد يزيد يعلنون فى القاهرة تشكيل الحكومة المؤقتة .






أول مجلس وزراء جزائرى بعد الاستقلال ..

أثمرت ثورة الجزائر وتضحيات الشعب ، وطنا حرا تغنى به الشعراء . ورحل الفرنسيون فى يوليو بعد استفتاء تقرير المصير ، وخرج حوالى ٨٥٠ ألف مستوطن فرنسى يمثلون ٩٠ فى المائة من الخبرة الادارية والفنية العاملة فى الجزائر ، وتوقفت معظم البنوك والمصانع والمزارع التى كانت تعتمد عليهم ...

وواجهت الحكومة الجديدة هذا الموقف عندما تسلمت بلدا حطم الاستعمار قدرات ابنائه الفنية والادارية خلال ١٣٤ عاما من القهر .

وبالاضافة الى هذا كله ، كان الخلاف قد وصل بين الحكومة المؤقتة والزعماء الخمسة الذى تم الافراج عنهم الى ذروته ، وأصدر يوسف بن خدة رئيس الحكومة قرارا بعزل رئاسة اركان حرب الجيش يوم ٣٠ يونيه ١٩٦٢ ، العقيد هوارى بومدين ، ورفض بن بيللا هذا الاجراء ، كما رفض تكوين المكتب السياسى الذى تشكل تحت رئاسة بن خدة .

وكان جيش التحرير قد تكون من المتطوعين ، وعدد قليل من الجنود الذين سبق لهم الخدمة فى الجيش الفرنسى ، وكان موزعا بالشكل التالى :

٩٠ ألف مقاتل جيش الداخل فى الولايات الست .

٢٥ ألفا فى تونس .

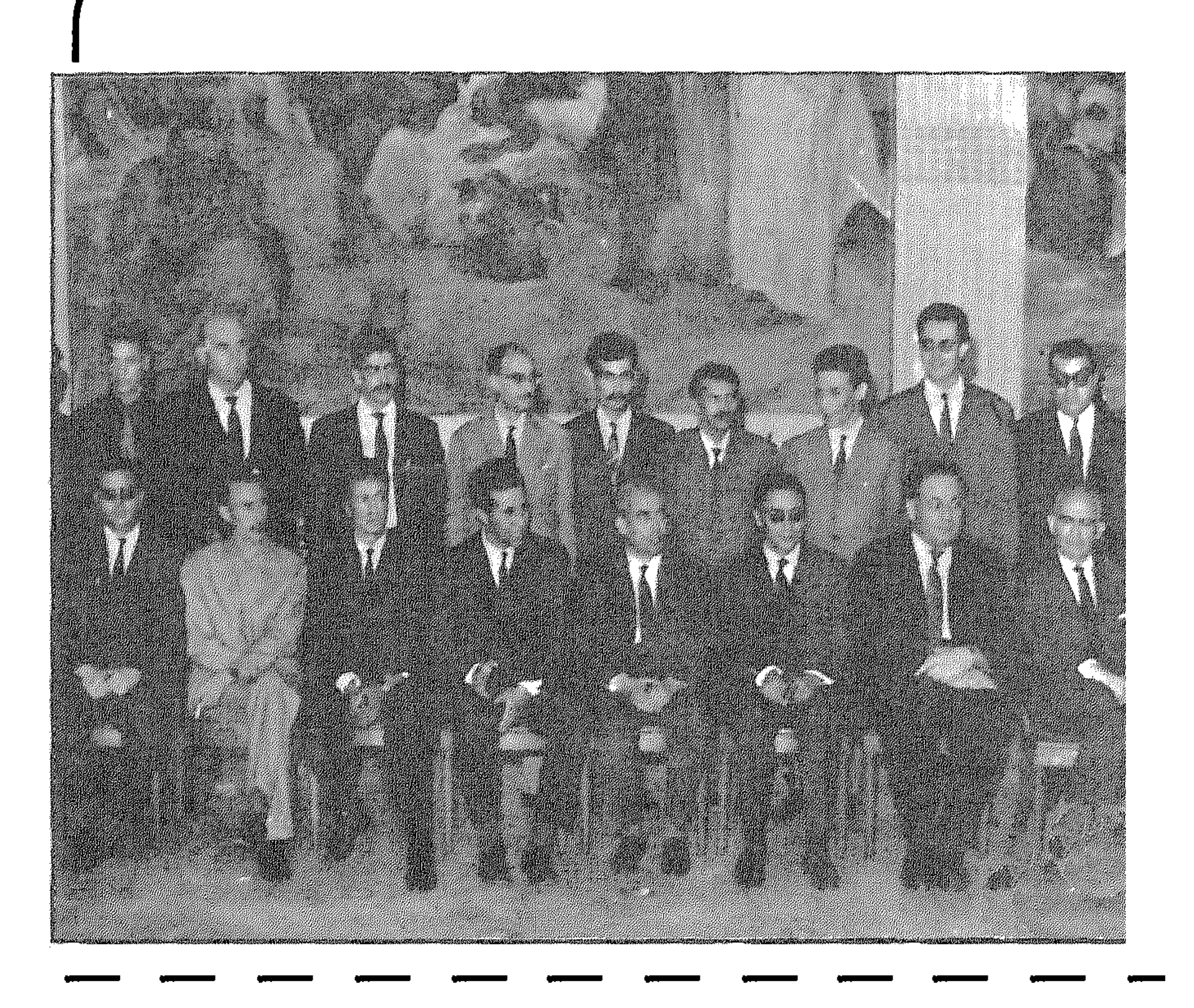
١٥ ألفا فى وجده على الحدود المغربية .

وأصبح هذا الصدام نقطة تحول فى الموقف السياسى ، فاما ان تنتصر الحكومة المؤقتة التى اعتمدت على القوات الداخلية وخاصة الولاية الرابعة ( الجزائر ) والولاية الثالثة ( القبائل ) وجزء من الولاية الثانية ( قسنطينة ) الذين أعلنوا ولاءهم لها .

وتمكن بن بيللا من دخول الجزائر دخول البطل العائد ، واستقر فى تلمسان ، وتمكن بومدين من كسب تأييد بقية الولايات التى تحرك فيها جيش الخارج .

وبدى الأمر يهدد بقيام حرب اهلية ، وخرج الشعب الجزائرى يهتف « سبع سنوات بركات » أى سبع سنوات من القتال يكفى .

وأخيرا قبلت الحكومة المؤقتة الخروج من العاصمة يوم ٣ أغسطس لتصبح السلطة فى يد المكتب السياسى وجيش التحرير .



# صراع الصديقين

الصديقان احمد بن بيللا ، وهوارى بومدين عندما التقيا فى تلمسان بعد اتفاقية ايفيان ... الا ان تلك الصداقة سرعان ماتحطمت امام عواصف الحياة السياسية فى جزائر ما بعد الاستقلال ..

اقتحمت مجموعة مكونة من العقيد طاهر الزبيرى والكولونيل سليمان هوفمان ، وأحمد درايا ، فى الساعة الثانية والنصف من صباح السبت ١٩ يونيه ١٩٦٥ ، منزل رئيس الدولة أحمد بن بيللا فى فيللا جولى .

تحركت هذه القوات لخلع بن بيللا ، كانت المقاومة محدودة تماما ، بضع




## قصة الجزائر كاملة

احمد بين بيللا وحسين اية احمد وهوارى بومدين ومحمد خيضر ورابح بيطاط يتفقدون جيش التحرير الجزائرى

**طلقات هزت هدوء الليل ، أعقبها البيان رقم ١ ، وبذلك تم اعلان هوارى بومدين رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، بعد أن كان نائبا للرئيس ، وأعلن عن تشكيل جديد لمجلس قيادة الثورة ومجلس جديد للوزراء .**

**أعتقل بن بيللا مع مجموعة من أقرب أصدقائه ، ولم تظهر فى الجزائر اى معارضة للتغيير الجديد ، والحزب لم يتحرك للدفاع عن امينه العام ، كل ماجرى مظاهرات طلابية سرعان ماتفرقت !**

**فهل غياب المعارضة سببه عدم تأييد بن بيللا ، ام العجز عن مواجهة نائب الرئيس ووزير الدفاع ؟ ! .**

وكانت هذه هى النهاية المتوقعة فى الصراع الدائر بين بن بيللا وجيش التحرير . وبعد أن وصلت التناقضات بينهما الى ذروتها ، واخفقت محاولات ادخال الجيش طرفا فى لعبة التوازن ، وأخفق بن بيللا فى اقامة الجيش الشعبى .

وكان قد ظهر موقف بن بيللا واضحا فى مواجهة مجموعة ضباط وجده ، التى كان يرابط بها قيادة جيش التحرير الجزائرى ، واستغل فرصة غياب بومدين فى موسكو وعين طاهر الزبيرى قائد احدى الولايات وزيرا للدفاع واستطاع بومدين بشخصيته ونفوذه ان يكسب ويستوعب الجميع .

سبق أن كان بن بيللا يسعى الى عزل انصار بومدين ، فأقال احمد مدغرى من وزارة الداخلية فى يوليو ١٩٦٤ ، وأقال قايد أحمد من وزارة السياحة ، وسعى الى اخراج عبدالعزيز بوتفليقه من وزارة الخارجية فى ابريل ١٩٦٥ ، واعترض بومدين ورضخ بن بيللا .

ولم يعد أمام بومدين ورفاقه سوى الاطاحة بأحمد بن بيللا . قبل ان يتمكن من تغيير التوازنات القائمة ، ودفع ثمن الصراعات التى بدأت مع مؤتمر الصومام .

# الشاذلى .. وبداية المفاهيم الجديدة

الشاذلى بن جديد
وبداية لمفاهيم جديدة

الشاذلى بن جديد رئيس الجزائر الحالى .. وقد جاء الى الحكم بعد وفاة الرئيس بومدين ... ووقائع الأحداث تقول انه اذا كان الوقت لم يمكن أحمد بن بيللا من خلق توازن جديد بين جيش التحرير والوضع السياسى بعد الاستقلال ، الذى تمثل فى محاولة اقامة التنظيمات الشبابية ونواة لجيش شعبى ، إلا أن هذا التوازن الشكلى سقط عندما اقتحم بيته اقطاب هذا الجيش ، ويمكن القول ان الرئيس هوارى بومدين سعى بدوره فى ذات الطريق ، عندما اقام أكاديمية شرشال العسكرية ، وقطع خطوات هامة فى تكوين جيش نظامى حديث يقوده ضباط محترفون .

ولم تصل هذه المحاولة الى هدفها ، عندما وافته المنية قبل اتمام مسعاه ،

وكاد العقيد محمد يحياوى قائد الاكاديمية يكون الوريث ، ولكن ظهر أن قبضة جيش التحرير مازالت قائمة ، وجاء الشاذلى بن جديد الذى كان قائدا عسكريا لولاية وهران ، وشاركه احمد عبدالغنى القائد

## قصة الجزائر كاملة

العسكرى لولاية قسنطينه كرئيس للوزراء .

وبعد فترة من حكم الرئيس الشاذلى بن جديد ، أخذت تختفى من المسرح السياسى آثار حرب التحرير ، وعاد إلى حزب جبهة التحرير دوره ، وبرز على سطح الحياة السياسية الى جانب الشاذلى بن جديد اثنان من المناضلين هما شريف مساعديه والدكتور احمد طالب الابراهيمى ، واستمر من الشخصيات التاريخية الخمس رابح بيطاط رئيسا لمجلس الشعب الجزائرى .

ولعل مايجرى فى الجزائر هو بداية العودة للحياة الطبيعية بعد ربع قرن من استقلال الجزائر ، وانهاء الحالة الاستثنائية التى فرضتها ظروف حرب الاستقلال .

# ابتسامات

## الواقع والحلم

كتب وليم كاكستون أول من استخدم الطباعة في انجلترا ، المقدمة الاتية لكتاب « حكم الفلاسفة واقوالهم » المنشور عام ١٤٧٧ :

« ان نساء هذا البلد صالحات ، دمثات الخلق ، متواضعات ، عاقلات ، وقورات ، عفيفات ، مطيعات لازواجهن ، صادقات ، متكتمات، صارمات ومنهمكات في عملهن ، لا يعرفن الخمول • يقتصرن في حديثهن، وفاضلات في كل ما يعملن •• او هكذا يجب ان يكون على الاقل » !

## حديث بلا موضوع

يستطيع الرجال قضاء ساعات طوال في الحديث عن موضوع واحد ، أما النساء فلا يحتجن الى موضوع للقيام بذلك !

## تفاؤل

الرجل المتفائل هو ذاك الذى ينتظر في سيارته من غير ان يطفىء محركها ، عودة زوجته من المحل المجاور حيث تبتاع حاجياتها • !

## الحق على العمر

التقت نجمتان سينمائيتان وقد تقدم بهما العمر وأخذتا يتبادلان اطراف الحديث حول حياتهما الملكية • فقالت الاولى : « اتذكر الفيلم الذى مثلته عام ١٩٢٨ ولكننى لم اشاهد فيلمك السابق فقد كنت انذاك في روضة الاطفال » •

فردت الممثلة الثانية : « أصحيح ما تقولين ؟ لم آكن ادرى انك كنت معلمة في رياض الاطفال ! »

## خجل

قال الطبيب النفسي مؤنبا مريضه : « الا تزال تشعر بالذنب بعد كل سنوات العلاج هذه ؟ يجدر بك ان تخجل من نفسك » !

## حيلة

اجرى الزوج مكالمة هاتفية مع زوجته واعلمها بانه دعا رئيسه الى تناول طعام العشاء في المنزل •

وفي تمام الساعة الثامنة وصل الزوج منفردا • فسالته زوجته التى ارتدت الملابس اللائقة لاستقبال الضيف الكريم :

ــ اين رئيسك ؟

ــ انني اسف لقد كانت مزحة ، ولكنى ساجد ولا شك عشاء طيبا للمرة الاولى في حياتى •

## خجل في محله

قالت امراة لزوجها : « انى خجولة جدا من جراء طريقة حياتنا • فامى تدفع ايجار منزلنا ، وعمتى ثمن ثيابنا واختى تكاليف طعامنا • ويخجلنى انه لا يمكنك التصرف على نحو افضل » •

## قصة قصيرة

# "قيلولة يوم الثلاثاء"

بقلم : جبرييل جارسيا ماركيز

ترجمة : محمود على مراد

خرج القطار من النفق المهتز الذى يتخلل الصخور الحمراء واخترق مزارع الموز السيمترية التى لاتنتهى وتشبع الجو بالرطوبة وغادرته رائحة نسيم البحر . وتسرب من نافذة العربة دخان خانق . فى الطريق الضيق المحاذى لخط السكة الحديدية عربات تجرها ثيران ، محملة بعراجين الموز الخضراء وعلى الجانب الاخر من الطريق ، فى مساحات متطفلة لم تبذر فيها البذور ، مكاتب بداخلها مراوح كهربائية ، فى معسكرات من الطوب الاحمر ، ومساكن وضعت فى شرفاتها كراس ومناضد بيضاء بين اشجار النخيل والورد التى علاها التراب . الساعة الحادية عشرة صباحا وقيظ النهار لم يبدأ بعد .

قالت المراة :

- ارفعى الزجاج والا غمر تراب الفحم شعرك .

وحاولت الصبية ان ترفع زجاج النافذة ولكنها لم تستطع بسبب الصدأ الذى عاق حركته

لم يكن فى عربة الدرجة الثالثة العارية غير المراة والصبية . واستمر دخان القاطرة فى الدخول من النافذة فتركت الصبية مكانها ووضعت فيه كل ماكانت تحمله من متاع اى كيسا من البلاستيك فيه ماكولات وباقة من الزهور ملفوفة فى ورق جرائد . وجلست فى المقعد المقابل بعيدا عن النافذة ، امام امها . كانت كل منهما ترتدى ثوب حداد كاملا رخيصا

الصبية فى الثانية عشرة من عمرها وهذه المرة الاولى التى تسافر فيها . وسن المراة وعروق جفنيها الزرقاء وجسمها الضئيل الذى فقد نضارته واصبح كتلة لا شكل لها ، وثوبها الذى يشبه جبة الراهبات ، ترجح لدى الناظر انها ام الصبية . وطوال الرحلة كانت المراة تستند بقوة بعمودها الفقرى على ظهر المقعد وفى حجرها حقيبة من الجلد المتهرىء كانت تمسكها بكلتا يديها ، وعلى وجهها تلك الرصانة العميقة التى تتسم بها وجوه الفقراء .

وبدأ الحر فى الثانية عشرة ظهرا . ووقف القطار عشر دقائق فى محطة فى العراء يتزود بالمياه . وفى الخارج كان للظل فى صمت المزارع الملىء بالاسرار مظهر نظيف . اما فى داخل العربة فقد كان للجو الراكد رائحة اشبه برائحة الجلد غير

المدبوغ · ولم يستأنف القطار سرعته ، وتوقف فى قريتين لا تتميز احداهما عن الاخرى بشىء ، بيوتهما مصنوعة من خشب مطلى بالوان زاهية · وحنت المرأة رأسها واخذتها سنة من النوم وخلعت الصبية حذاءها ثم ذهبت الى دورة المياه لتغمس فى الماء باقة الزهور الميتة·

وحين عادت الطفلة الى مقعدها كانت امها فى انتظارها لتتناول الطعام · واعطتها الام قطعة من الجبن ونصف كعكة ذرة وفطيرة بالسكر واخذت لنفسها مثل ذلك من كيس البلاستيك ·وبينما كانتا تأكلان عبر القطار على مهل قنطرة حديدية ومر بعرض قرية تشبه القريتين السابقتين الان حشدا من الناس قد اجتمعوا فى ميدانها امام فرقة موسيقية تعزف تحت شمس الظهيرة مقطوعة خفيفة · وفى طرف القرية الاخر انتهت المزارع الى سهل تشققت ارضه من شدة الجفاف ·

وامسكت المرأة عن الاكل وقالت لابنتها

- البسى الحذاء ·

ونظرت الصبية الى الخارج ، فلم تر سوى السهل المقفر الذى أخذ القطار يجرى فيه من جديد · ومع ذلك وضعت



# "قيلولة يوم الثلاثاء"

الصبية قطعة الفطيرة الاخيرة في الكيس وارتدت حذاءهـا علي عجل . واعطتها المراة مشطا وقالت لها :

– سرحي شعرك .

وانطلق صفير القطار والطفلة تسرح شعرها . وجففت المراة عرق رقبتها ومحت باصابعها بقايا الدسم الذي علق بوجهها . وحين انتهت الصبية من تسريح شعرها كان القطار يمر امام البيوت الاولى من قرية اكبر حجما وان كان الحزن يغلبها اكثر ، من القرى السابقة .

وقالت المراة :

– اذا اردت ان تفعلي شيئا فافعليه الان فانك بعد ان ننزل ، لن تجدى ماء في اى مكان حتى لو مت من العطش . واياك والبكاء .

ووافقت الصبية بهزة من راسها . وهب هواء ساخن جاف عبر النافذة اختلط به صفير القطار وجلجلة عرباته القديمة . وطوت المراة الكيس بما تبقى من الماكولات ووضعته فى الحقيبة . وفى لحظة خاطفة بدت فى النافذة صورة القرية باكملها ، وكان ذلك فى يوم مضىء من ايام الثلاثاء من شهر اغسطس . ولفت الصبية الزهور فى ورق الجريدة المبتل وابتعد قليلا عن النافذة وسددت نظرها الى امها فوجدت وجهها يشع بالهدوء وكف القطار عن الصفير وهدا سرعته ، وما هى الا لحظة حتى توقف .

لم يكن فى المحطة احد . وفى الجانب الاخر من الشارع ، على الرصيف الذى تظلله اشجار اللوز ، كان المحل الوحيد المفتوح هو صالون « البلياردو» وكانت القرية تبدو وكانها تطفو فوق مسهد الشمس . ونزلت المراة والصبية من القطار وتركتا المحطة المهجورة التى بدا البلاط المستخدم فى رصفها يتخلع بفعل الاعشاب ، وعبرتا الشارع الى الرصيف الظليل .

كانت الساعة قد قاربت الثانية من بعد الظهر . وكانت القرية تغط هذه الساعة ، فى نومة القيلولة . وكانت المحال والمصالح الحكومية ومدرسة القرية فيها تقفل ابوابها عادة منذ الحادية عشرة ولا تعيد فتحها الا قبيل الرابعة حين يمر بها قطار العودة . ولا يظل مفتوحا الا الفندق المواجه للمحطة والمطعم وصالون « البليارد‌و » الملحقان به ومكتب التلغراف الذى يقع فى احد جوانب الميدان . اما البيوت ،وقد بنى معظمها على طراز بيوت شركة الموز ، فان ابوابها وشبابيكها توصد من الداخل . وتبلغ حرارة الجو فى بعض هذه البيوت درجة تحمل ساكنيها على تناول وجبةالغداء فى «الحوش» ومن الناس من يضع كرسيا فى ظل شجرة من اشجار اللوز وينام ساعة القيلولة وهو جالس على قارعة الطريق .

ودخلت المراة والصبية القرية ، وهما تحتميان قدر الامكان باشجار اللوز من وهج الشمس، دون ان يزعجا قيلولتها واتجهتا مباشرة الى بيت ريفى المظهر . وحكت المراة باظافرها شبكة الباب المعدنية ثم انتظرت قليلا وبعد فترة صاحت منادية . فى الداخل طنين مروحة كهربائية . ولم يسمع وقع اقدام . كل ماسمع هو صرير باب ثم صوت

قريب جدا من الشبكة المعدنية يسال بحذر :
ـ من ؟
وحاولت المراة ان تنظر من خلال الشبكة المعدنية واجابت :
ـ اريد « الاب » .
ـ انه نائم
قالت المراة :
ـ المسالة مستعجلة
وكان في صوتها رنة اصرار هادىء
وفتح الباب في سكون نصف فتحة . وظهرت امراة ناضجة بدينة شاحبة البشرة لون شعرها كلون الحديد . وكانت عيناها تبدوان صغيرتين خلف عدستي نظارة سميكة .
قالتها وفتحت الباب.
ودخلتا الى صالة تشيع فيها رائحة زهور قديمة . وقادتهما ربة البيت الى « كنبة » خشبية واشارت اليهما بالجلوس . وجلست الصبية ولكن امها ظلت واقفة وهي تحتضن الحقيبة بيديها وقد بدا عليها الانشغال ، هذا والهدوء الشامل لا يقطعه سوى طنين المروحة الكهربائية .
وظهرت ربة البيت عند باب المؤخرة ، وقالت في صوت خفيض جدا :
ـ انه يطالب ان تعودا بعد الساعة الثالثة فهو لم يرقد الا من خمس دقائق .
قالت المراة :
ـ لكن القطار يغادر المحطة في الثالثة والنصف .
رد حازم ومقتضب ، ولكن الصوت ظل هادئا متعدد النغم . وابتسمت ربة البيت للمرة الاولى
ـ حسنا .
وحين اغلق باب المؤخرة ثانية جلست المراة الى جوار ابنتها. صالة الانتظار الضيقة متواضعة . وهي حسنة الترتيب نظيفة . وثمة فاصل خشبي يقسم الغرفة ، في جانبه الاخر مكتب بسيط يعلوه غطاء من المشمع .وعلي المكتب الة كاتبة قديمة بجوارها اناء فيه زهور وخلف المكتب « ارشيف» الكنيسة . واضح ان الذى يقدم على ترتيب المكتب ونظافته امراة غير متزوجة .
وفتح باب المؤخرة وظهر القسيس هذه المرة وهو ينظف نظارته بمنديل . ووضع القسيس النظارة على عينه فادركت المراة للتو انه شقيق السيدة التي فتحت الباب .
وسال القسيس :
ـ اي خدمة ؟
فاجابت المراة :
ـ مفاتيح المقبرة .
كانت الصبية جالسة والزهور في حجرها وقدماها متقاطعين اسفل « الكنبة » . ونظر اليها القسيس ثم نظر الى المراة ثم مد بصره عبر شبكة النافذة المعدنية الى السماء المشمسة الخالية من السحاب وسال :
ـ في هذا الحر ؟ كان بامكانكما الانتظار الى ان تخف حرارة الشمس
وهزت المراة راسها في صمت . وسار القسيس الى الجانب الاخر من الفاصل واخرج من الصوان دفترا مبطنا بمشمع ، وريشة كتابة ومحبرة ، وجلس الى المكتب . والشعر الذى خلت منه راسه كان غزيرا على ظهر يديه . وسال القسيس المراة :
ـ اى قبر تريدان زيارته ؟
فاجابت المراة :
ـ قبر « كارلوس كونتينو » .
ـ من ؟
ورددت المراة :
ـ « كارلوس كونتينو » .
وظلت علامات عدم الفهم بادية على القسيس وقالت المراة دون ان

تغير نبرة صوتها :
ـ اللص الذى قتلوه هنا فى الاسبوع الماضى حدق القس فيهما وصوبت هى اليه عينيها رابطة الجاش ، فاحمر وجهه وحنى رأسه ليكتب • وكان ، وهو يملأ الصفحة ، يطلب من المراة بيانات هويتها وكانت هى تجيب دون تردد بتفاصيل دقيقة كما لو كانت تقرأ •وبدا القسيس يعرق • وحلت الصبية حزام حذائها الايسر وخلعت شريط العقب واسندته الى مؤخرة الحذاء ثم فعلت مثل ذلك بالحذاء الايمن

كان كل شىء قد بدأ يوم الاثنين من الاسبوع السابق فى الساعة الثالثة من الفجر على مسافة قليلة من هذا المكان • السيدة « ربيكا » ، وهى أرملة تعيش بمفردها فى بيت ملىء « بكراكيب » قديمة لا قيمة لها ، أحست ، من خلال الصوت الذى احدثه سقوط مطر خفيف ان هناك من يحاول ان يفتح باب الشارع بالقوة من الخارج ، فقامت تتحسس طريقها واخرجت من دولاب الملابس غدارة قديمة لم يستخدمها احد من ايام « الكولونيل اوريليانو بونديا » ، وذهبت الى الصالة دون أن تضىء النور • ولم يكن ما قاد خطاها هو صوت قفل الباب بقدر ما كان الرعب الذى ولدته فى نفسها ٢٨سنة من الوحدة • وأسعفها خيالها فلم تحدد موقع الباب بل حددت ايضا ارتفاع القفل • وقبضت السلاح بكلتا يديها واغمضت عينيها وضغطت على الزناد • كانت هذه المرة الاولى فى حياتها التى تطلق فيها الرصاص من غدارة أطلقت الرصاصة ولم تسمع شيئا اكثر من صوت سقوط المطر على السقف المصنوع من الزنك • ثم سمعت وقوع جسم معدنى فى الممر الاسمنتى وصوتا بالغ الانخفاض هادئا يهتف « آه ، يا أمى » فى أعياء لا حد له • وكان الرجل الذى اصبح الصبح عليه وهو ميت امام الدار ، وقد تهشم انفه، يرتدى « فانلة » ذات خطوط ملونة،«وبنطلونا» عاديا يشده الى جسمه رباط بدل الحزام ،وكان حافى القدمين • ولم يكن فى القرية من يعرفه

وتمتم القسيس حين فرغ من الكتابة :
ـ اذن كان اسمه « كارلوس سينتينو »
وقالت المراة :
ـ « سينتينو ايالا »
ولم يكن لى سواه ولد ذكر •

واتجه القسيس الى الدولاب • وكان فى داخل الباب مسمار علق عليه مفتاحان كبيران علاهما الصدأ كأنهما مفتاحا القديس بطرس كما كانت تتخيلهما الصبية وكما كانت تتخيلهما امها فى صغرها وكما لابد ان القسيس نفسه كان يتخيلهما احيانا • ونزع القسيس المفتاحين من مكانهما ووضعهما فى الدفتر المفتوح على الفاصل الخشبى واشار لسبابته الى موضع فى الصفحة المكتوبة ونظر الى المراة قائلا :
ـ وقعى هنا •

ووقعت المراة اسمها فى « شخبطة » والحقيبة تحت ابطها • وامسكت الصبية الزهور واتجهت الى الفاصل الخشبى وهى تجر فردتى حذائها ولاحظت امها باهتمام •
وتنهد القسيس :
ـ الم تحاولى ابدا هدايته الى الطريق المستقيم ؟
وردت المراة بعد ان

انتهت من التوقيع :
- كان رجلا فى غاية الطيبة .
واحال القسيس بصره بين المراة والصبية ، وتاكد بشيء من دهشة الاتقياء انهما لا تهمان بالبكاء . واستطردت المراة بنفس اللهجة :
- كنت اقول له لا تسرق ابدا شيئا يحتاج اليه انسان لياكل ، وقد سمع كلامى لقد كان فى الماضى يكسب عيشه من الملاكمة وكان من اثر الضربات يلزم الفراش احيانا لمدة ثلاثة أيام .
وتدخلت الطفلة قائلة:
- لقد اضطر الى خلع جميع اسنانه .
وامنت المراة على كلامها :
- فعلا :
ثم اضافت :
- كل لقمة كنت اكلها فى تلك الايام كان لها طعم اللكمات الشديدة التى كان ابنى يتلقاها فى مباريات ليلة السبت
وقال القسيس :
- حكمة ربنا لايعلمها احد .
قال ذلك عن غير اقتناع كبير . اولا لان التجربة قد زرعت فى نفسه شيئا من الشك ، وثانيا بسبب الحر . واوصى القسيس المراة وابنتها بتغطية راسيهما بشيء لتفادى ضربة الشمس ، ووصف لهما، وهويتثاءب ويكاديستسلم تماما للنوم ، وكيفية الوصول الى قبر « كارلوس سنتينو » ، واضاف انه لا حاجة بهما الى طرق الباب عند العودة وانه يكفى ان يدفع بالمفتاح من اسفل الباب وان تضعا الصدقة فى نفس المكان ان ارادتا التصدق للكنيسة . واستمعت المراة الى الشرحباهتمام وشكرت دون أن تبتسم
وكان القسيس قد تنبه حتى قبل ان يفتح باب الشارع الى ان شخصا ماينظر الى داخل البيت وقد الصق انفه بالشبكة المعدنية كانوا جماعة من الاطفال .
وحين فتح الباب بالكامل تفرق الاطفال . والمعتاد، فى مثل هذه الساعة ان يكون الشارع مقفرا . أما الان فهناك اطفال ، وهناك ايضا جماعات من الناستحتشجرللوز وتطلع القسيس الى الشارع الذى اعوج والتوى ما فيه من سعير الشمس ، ففهم .وبرقة قفل الباب من جديد وقال دون أن ينظر الى المراة :
- انتظرا دقيقة .
وظهرت اخته فى باب المؤخرة وعلى قميص نومها « جاكته » سوداء وقد انحل شعرها على كتفيها . ونظرت الى القسيس فى صمت .
وسالها القسيس :
- ما الحكاية ؟
وتمتمت الاخت :
- ذاع الخبر .
وقال القسيس :
- الافضل ان تخرجا من باب الحوش .
وقالت اخته :
- لن يغير هذا شيئا . الناس كلهم يراقبون من نوافذهم .
ولم يبد على المراة حتى ذلك الوقت انها فهمت . وحاولت ان تنظر الى الشارع من خلال الشبكة المعدنية .
وعلى الفور تركت للطفلة باقة الزهور وبدات تتحرك صوب الباب والطفلة فى اثرها .
وقال القسيس :
- انتظرا حتى تميل الشمس .
وقالت اخته من اخر الصالة دون ان تتحرك:
- ستذوبان كما يذوب المذاج من حرارة الشمس . انتظرا وساعيركما مظلة .
واجابت المراة :
- شكرا . نحن هكذا بخير .
واخذت الصبية من يدها وخرجت الى الشارع .




## رأى فى الثقافة

# الكم والكيف وهيئة الكتاب

الخطوة الاولى التى نهضت بها الهيئة المصرية العامة للكتاب فى الفترة الاخيرة خطوة ايجابية ، تتعلق بالانجاز الصناعى المنشط الذى قامت وتقوم به ، من اصدار المجلات فى مواعيدها المضبوطة ، وتحريك عملية اصدار الكتب بخطوات متسارعة تليق بالامكانيات الضخمة التى توفرها لها الدولة مما يدعونا للترحيب به ..

لكن المشكلة الحقيقية الان التى يجب أن تخضع فى هذه المرحلة للتقييم من داخل الهيئة وخارجها ، خاصة من قبل النقاد ، هى قيمة هذه الاصدارات من ناحية ما تقدمه وضرورته وأهميته ، والانطلاق نحو البحث عن النصوص الجيدة ، والتخطيط للاعمال والمشاريع الكبيرة ، لا الاكتفاء بما يسعى المؤلفون لتقديمه ، والصراع والالحاح من أجل نشره ، سواء كان هؤلاء كتابا راسخين ، او ادباء فى خطواتهم الاولى.

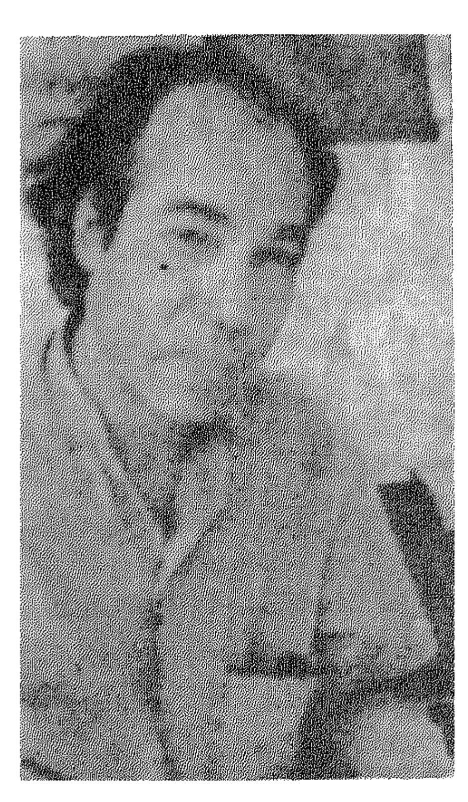
نقول ذلك لان الكم الكبير الذى تخرجه مطابع الهيئة من كتب هذه الايام ، كثير منه من باب « التزيد » واضاعة الجهد ، ولو انه لم يصدر ، فان شيئا لن يحدث .. وقد يقول البعض ان هذا انعكاس لمستوى الموجود ، لكن الحقيقة غير ذلك ، لان ما هو موجود وجيد فى ادراج المبدعين الجادين كثير ، والمطلوب الان ان تخطو الهيئة خطوة ثانية فى اتجاه الكيف ، وان تتجاوز مرحلة الكم .

وهذا لا يتم بمجرد انتظار النصوص ، بل بالبحث ، والتخطيط ، ومناقشة المؤلفين ودعوتهم للمشاركة ، والانفتاح على كل الاتجاهات الفكرية الجادة ، ليس فقط فى طول مصر وعرضها ، بل والتوجه الى العمق العربى حتى تسترد مصر دورها .

**عبده جبير**

# نبيل السلمى .. وداعا

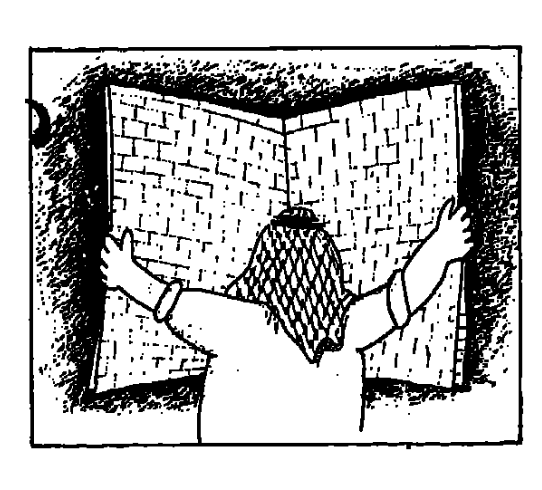
● فارس اخر من فرسان الفن يغيب عنا ، فعلى الرغم من غربته الطويلة خارج الوطن ، فان نبيل السلمى كان دائما معنا ، بما قدمه من عطاء خصب متميز طوال السنوات الماضية ان يكن فى مجلة العربى ، أو جريدة الوطن ، أو فى العربى الصغير الذى بذل فيها الكثير من الجهد ، لينير شمعة فى طريق الاجيال الجديدة ، باحساس عال من المسئولية ، وقدرة كبيرة على العطاء .



نبيل السلمى

نبيل السلمى الذى بدأ حياته الفنية على صفحات جريدة الجمهورية ، ولد عام ١٩٤١ فى أسوان ، ودرس الفن والجرافيك بين القاهرة وبرلين الشرقية .

شارك السلمى بأعماله فى عدة معارض دولية وفاز بعدد كبير من جوائز الكاريكاتير الهامة ، حتى تأهل ليكون محكما فى عدد هام من معارض الرسم الدولية ، مونتريال بكندا ، وبرلين بألمانيا الشرقية ، وسكوبيا بيوغسلافيا ، ودمشق ، وكتوكا ببلجيكا ، وجايرونو ببلغاريا ، وبولونيا بايطاليا ، وهكذا كان وجها من وجوه مصر المشرقة فى كل مكان حل فيه .

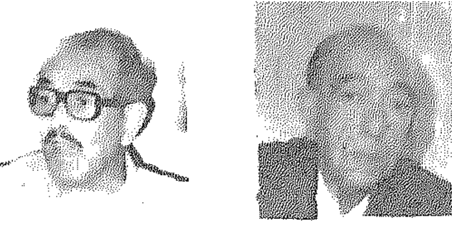


من اعمال السلمى المعبرة : الصحيفة جدار يحول بين المواطن وبين الرؤية

لنبيل السلمى ثلاثة كتب صدرت حتى الان فى فن الكاريكاتير ، « تحت ظلال الاهرام » و « عود الثقاب » و « جمليوتر » وكلها صدرت خارج مصر ، وتبقى الامنية أن ترى هذه الاعمال النور فى وطنه الذى يضم رفاته بكل الحب والاعزاز .

## جوائز

# تساؤلات حول جوائز الدولة




سيد عويس — د . احمد هيكل

● ليس من الضرورى أن نتفق جميعا على كل شيء ، وقد تكون بعض اللجان التى منحت بعض الجوائز على خطأ ، وقد تكون على صواب ، ولا شك أن كثيرين من الذين فازوا هذا العام بالجائزتين التقديرية والتشجيعية ، جديرون بالفوز ، الا أن ما تثيره هذه الاحكام من تحفظات جدير هو ايضا بأن نضعه فى اعتبارنا

وهناك عدة ملاحظات تفرض نفسها :

الملاحظة الاولى : هى هذا الجو العام غير المبالى الذى أصبحت الجائزة تقابل به وهو ما يدعونا الى التساؤل: ما سبب هذه اللامبالاة ، هل يكمن السبب فى الدورة السنوية التى بنيت على أساسها الجائزتان ، مما يجعلها أشبه بالشيء المعاد المكرور . أم ان سنوات مضت فاز فيها بعض ممن لا يستحقون أضفت على الجائزتين هذه الظلال الغريبة ؟

الملاحظة الثانية تتعلق بمنح الذين رحلوا عن دنيا الاحياء بعض الجوائز ، وفى هذا الصدد لابد من أن نسأل ايضا : على اى اساس هنا تمنح الجائزة ؟ ولماذا لم تمنح لكثيرين ممن رحلوا عنا وهم بها جديرون ؟ .

ونحن لا نشكك بالطبع فى قيمة الفائز الراحل محمود البدوى ، فالرجل كان يستحقها منذ زمن ، وفى حياته ، لكن التساؤل يظل قائما . وبالنسبة للجائزة التشجيعية ، والمبدأ المفضفاض الذى يفقدها الكثير من المصداقية ، مبدأ ان يكون من حق اى من اللجان ان ترشح من لم يرشح نفسه لها فى حالة ما اذا وجدت أن ما هو أمامها غير جدير بها ، وقد أصاب هذا البند رأس الشاعر فاروق شوشه الذى يقترب من الشيب ، هذا العام ، وهو الذى كان أولى بها فى عمر سابق ، على اى حال نحن نسوق هذه الملاحظات حرصا على قيمة مصر ، التى تمنح الجوائز باسمها ، ودعوة للنظر لما يتوارد فى أذهان الذين يعيشون فى الشارع الثقافى الذين يؤرقهم ان تكون الامور قد وصلت الى حد اهدار قيمة عزيزة علينا ، قيمة المبدعين أنفسهم .. كما اننا نسوق هذه الملاحظات اثر لقاء عدد من الذين فازوا ببعض الجوائز ، والاحساس الذى ترسب لدينا بأنهم ، على الرغم من فوزهم ، كأن شيئا لم يتحرك داخلهم ، بل قابلها بعضهم بعدم مبالاة غريبة .

على أى حال اننا لا نجد ضرورة لتكرار الأسماء ، أو الاعلان عن الفائزين ، فقد نشرت الصحف والمجلات ما فيه الكفاية ، وما هى الا مشاركة يقتضيها الاحساس بأهمية السؤال : كيف نعيد لجوائز الدولة هيبتها ، وكيف السبيل الى اعادة الفرحة بها ؟

شهريات

## رسائل جامعية

### احمد حسين فى الصحافة المصريه

● شهدت قاعة الامام محمد عبده بجامعة الأزهر وعلى مدى أربع ساعات متواصلة مناقشة رسالة الماجستير التى اجيزت بتقدير جيد جدا والمقدمة من الطالب رشدى انور البدرى المعيد بقسم الصحافة والاعلام بكلية اللغة العربية جامعة الازهر والتى تدور حول « أحمد حسين فى الصحافة المصرية » اشرف عليها الدكتور احمد حسين الصاوى أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة والجامعة الامريكية كما اشترك فى المناقشة الدكتور جودة عبد الله مصطفى أستاذ اللغة العربية مشرفا مساعدا وعضوية كل من د٠السيد محمد حسن الدقن أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة الأزهر ود٠ محيى الدين عبد الحليم رئيس قسم الصحافة والاعلام بالأزهر

بدأت المناقشة بالاستاذ / الدكتور السيد محمد الدقن أستاذ التاريخ المعاصر بكلية اللغة العربية جامعة الازهر الذى أشاد بالمجهود المبذول فى الرسالة وقال بأنها من حيث الموضوع كانت موفقة وبارعة لأن احمد حسين من الشخصيات النادرة التى لا يجود الزمان بمثلها كثيرا باعتباره واحدا من الذين ساهموا فى تاريخ الحركة السياسية المصرية وأضاف بأن الباحث لم ينفعل ولم يتحيز واستعان بمصادر أصلية تمثلت فى حشد كاف من الصحف والمجلات والمؤلفات والمذكرات التى كتبها عن كفاحه وما نادى به فضلا عن مقابلة العديد من الشخصيات الوطنية من أمثال ابراهيم شكرى وفتحى رضوان ود ٠ محمد حلمى مراد ثم كان الاشراف الممتاز من جانب الاستاذ / الدكتور احمد حسين الصاوى الذى ترك بصمات واضحة على الرسالة وتناولها بشكل موضوعى كما ترك بصمات على جوانب الرسالة من الناحية اللغوية والصياغة ، ساعده فى ذلك الاستاذ الدكتور جودة عبد الله مصطفى ٠

● وأشار د٠الدقن الى الغموض الذى اعترى تسلسل المواقف السياسية لأحمد حسين والذى أظهره تارة يؤيد السعيديين وتارة يعارضهم تارة يؤيد الوفديين وتارة يعارضهم دون ذكر الأسباب والمسببات لتلك المواقف مما قد يوحى لغير قارىء التاريخ بأن هناك تناقضا فى مواقف هذا الرجل ، فيبدو أن التخصص غلب على الباحث وجعله يهتم بالجانب الصحفى اهتماما مطلقا على حساب الجانب التاريخى ٠

وقد عاب الدكتور الدقن على الباحث عدم تناوله فى المقدمة لأهمية الموضوع ٠٠ لماذا اختاره ، ولماذا عالجه ، والمصاعب التى واجهته اثناء بحثه والنتائج التى خرج بها ـ فتدخل د ٠ الصاوى وحسم المناقشة بتغيير اسم المقدمة الى تمهيد أو تصدير !

● وشكك د ٠الدقن فى معلومة أوردها الباحث تقول بأن احمد حسين اسس جمعية نصر الدين وكان يصدر نشرة وطنية يقرأها أساتذته وعمره ٨ سنوات ـ فقال بأنها مبالغ فيها ٠

كما اخذ عليه نقله حرفيا عن

كتاب محمد حسنين هيكل « خريف الغضب » عندما تحدث عن فترة الاربعينيات وعلاقة مصر بالحرب العالمية الثانية فى حين آرخ هيكل بطريقة مقلوبة لتلك الفترة والنقل عنه يذكيه ! •

وناقشه فى الفصل الذى تحدث فيه عن الحضارة العربية وذكر الحضارة الاسلامية اذ قال آن الحضارة العربية لم يعرفها العالم الا بعد ظهور الاسلام ومن خلال الحضارة الاسلامية ـ كما آخذ عليه عبارة « مصر فوق الجميع » عندما تحدث عن الولاية العربية المتساوية والمتعادلة فقال بان هذا وصف مخالف طالما آن مصر احدى الولايات العربية وطالما آن الباحث وصفها بالمساواة •

واختتم د• الدقن مناقشته بتوجيه الدعوة لأحد الباحثين فى قسم التاريخ لتناول الجانب التاريخى لحياة آحمد حسين •

وظهر د• محيى الدين عبد الحليم أستاذ ورئيس قسم صحافة الأزهر متحفزا ومهاجما •• فبعد جمل مديح وثناء مقتضبة حول الاختيار الموفق لموضوع الرسالة واهميته لقسم الصحافة والاشادة بالجهد المبذول والواضح فيها انتقل الى الهجوم على الباحث من خلال الرسالة التى وصفها بانها ينقصها كثير من الملاحظات الصحفية فبدآها بقوله :
« رشدى ظلم آحمد حسين فى رسالته خاصة عن مسائل تهمنا كازهريين ق مدرسة الاعلام التى تنطلق من منطلقات اسلامية ، وهذا المنطلق كان بعيدا عن تناول الباحث رغم آن آحمد حسين آثراه ! كما اننى لم آر الباحث قد تعرض لسلبية واحدة من سلبيات آحمد حسين فحول رسالته الى مديح وثناء ودفاع عن شخصيته وهذا ما تعارض مع الموضوعية والحيدة التى لابد آن يلتزمها الباحث والتى افتقدها فى بحثه •

وانتقد الدكتور محيى الدين آسلوب النقل والاقتباس الذى غلب على الباحث اكثر من اسلوب التحليل والتفسير والاستخلاص ومن ثم ظهرت آجزاء كبيرة من الرسالة وكآنها جانب من السرد فغرقت فى بحر الاقتباس من الصحف والكتب والمراجع واختفت وجهة نظر الباحث وعلق د• محيى الدين على ما ذكره الباحث فى الصفحة رقم ٢٧ من آن دعوة جمال الدين الافغانى حجبت القومية المصرية ! فرد د • السيد الدقن بآن دعوة الافغانى كانت آسلامية انطلقت من فكرة تكوين الجامعة الاسلامية ومن ثم تغآضى عن الجانب القومى وطالب كل من ينضم الى الجامعة آن ينسى قوميته ولكنه اكتشف فى رحلة تالية آهمية القومية بصفة عامة وانه من الخطآ ان تمحو القوميات صفتها قبل دخول الجامعة الاسلامية فالهدف من تآسيس الجامعة توحيد الخطط والسياسات ضد الغزو الاجنبى وليس محو القوميات •

واعترض د• محيى الدين على المقولة التى آوردها الباحث والتى تقول « لم يخف آحمد حسين وحسن البنا اعجابهما بالنظام الفاشى » قائلا : بان الباحث الازهرى يدافع عن زعيم معجب بالفاشية !

واختتم المناقشة د· أحمد حسين الصاوى المشرف على الرسالة قائلا بانه سيذكر نقاطا ذاتية ارتبطت به وشجعته على قبول الاشراف على الرسالة لأنه أحد أبناء مصر وتربطه علاقة وثيقة بأحمد حسين لبس قميصها الأخضر منذ كان تلميذا وشارك فى الجوالة ودق الطبول عند استعراضات شباب مصر الفتاة تحت سفح الهرم ـ فشوب مصر الفتاة أثر تأثيرا بالغا فيه بل ان أثره كان اعمق مما كتب اى باحث حتى الآن واضاف الصاوى بأن الرسالة تلبى حاجة قومية لان دراسة الشخصيات السياسية البارزة تقدم لنا التوجيه الذى نحتاجه عند تلمس خطانا فلا شك أن الرسالة قد بذل فيها جهد كبير ·

وقال د · الصاوى ان المؤرخين أغفلوا دور الصحافة فى تاريخ مصر الفتاةودلل علىاهميتها ودورها الرائد متمثلا بصحافة عبد الله النديم من خلال صحيفة الاستاذ التى علمت مصطفى كامل الزعيم الوطنى والمتحدث البليغ ـ واضاف بأن دور الصحافة بارز فى الحياة الحزبية اذ غالبا ما كانت تنشأ الصحف قبل الاحزاب وكثيرا ما اسست الاحزاب على اكتاف الصحف ·

وقال د · الصاوى بأن الرسالة تناولت احمد حسين فى قطاع واحد هو الصحافة من خلال جهده فى انشاء الصحف وما كتبه وحددنا مواقفه والقينا الضوء على ارائه ويكفى لاحمد حسين انه قدم نموذجا رائعا لصحف المعارضة فى الصلابة والصبر والنضال الذى لا يتزعزع ، لقد قدمنا نموذج احمد حسين منذ عام ١٩٣٠ حتى عام ٥٣ واضاف بانه مع د · محيى الدين عبد الحليم فى ان الباحث لم يعرض لوجهات النظر الاخرى حول احمد حسين ولكنه يختلف معه فى نوعيتها فالدكتور الصاوى يقصد وجهات النظر الغربية

## مسرح

### مسرح الدولة والطريق الخطا

● مع بداية العام عاد المخرج السيد راضى الى موقعه الذى تركه على رأس ادارة المسرح الكوميدى ومن يومها وهو يدلى بتصريحات صحفية تفيد بانه سيدير هذا المسرح التابع للدولة ، باسلوب ادارة مسارح القطاع الخاص ، لان هذا ـ من رأيه ـ الأسلوب الانجح والاوفق فى ظل تفاقم أوضاع المسرح المصرى ، وحتى كتابة هذه السطور لم يفكر أحد فى الرد على هذا الكلام الذى ينسف نسفا فلسفة وأهمية ومعنى مسارح الدولة ·

وحتى لا يدع لنا فرصة لكى نتشكك فى صحة مزاعمه ، وهو يقدم اعمال المسرح الكوميدى باسم ( ليلة مجنونة جدا ) وهى هزلية كاريكاتورية أعدها محمود الطوخى عن نص أجنبى لمؤلف مجهول ، وهى لا تحمل أى قيمة فنية أو فكرية ، فالموضوع الرئيسى مفتعل والشخصيات هشة والاحداث مفبركة بلا رابط ، وكأن ذلك كل جمع على المواصفات التى يريدها مدير المسرح وذلك من أجل تحقيق رسالة المسرح الاولى وهى الضحك ، أليس اسمه المسرح الكوميدى ! وقد أخرج المسرحية رزيق البهنساوى متبعا نفس المفهوم فى استدرار الضحك الاجوف ، فلم يحاول أن يعالج قصور النص ولم يثبت طوال المسرحية أن وراءها مخرج صاحب رؤية

فنية ، وهو يجلب النجوم من غير العاملين فى مسرح الدولة ، وذلك ترسيخا لمنطق النجومية ، ويتم رفع قيمة تذكرةالدخول بما يقترب منأسعار مسرح القطاع الخاص ، ثم يتحدثون بعد ذلك عن الادارة الحكيمة ( !! ) التى حققت النجاح ، والنجاح هو لفظ المتفرج صاحب الحق فى هذا المسرح من أجل افساح الطريق وتقديم المغريات لمتفرج اخر له ذوق ومواصفاتمختلفة، تعود على الانحدار والاسفاف الذى ملأ المسرح الذى الفه واستأمنه على « فلوسه » التى يدفعها مثلما يدفع فى ملهى أو كباريه ، من أجل متعة غليظة ومن اجل لعب بالغرائز ومن اجل غياب للعقل •

## لجان القراءة الرشيدة

مشكلة رئيسية من مشاكل مسرح الثقافة الجماهيرية هى لجان القراءة ، فأى واحد يستطيع ببساطة ان يكتب خزعبلاتهويأخذ بنفس البساطة موافقات ثلاثة من أعضاء هذه اللجان الكثيرة ، والمشكلة انه ليست هناك قواعد فى اختيار السادة الاعضاء ، وان فكر احدهم فى وضعقواعد فان بيروقراطية الجهاز كفيلة به وبأمثاله ، والحلالذى نراه هو تقليص عدد هذه اللجان ، وضرورة التدقيق فى اختيار أعضائها من ذوى السمعة الطيبة ومن الذين ليس فىقلوبهم مرض ، وبعدها يمكننا التحكم فى كل المنافذ من هنا يمكن أن تبدأ القراءة الرشيدة !

**محمد الشربينى**

# كونسير

## الحفل الختامى لاوركسترا القاهرة السيمفونى

● كان الحفل الختامى لموسم الصيف الذى قدمه اوركسترا القاهرة السيمفونى يوم الاحد ١٢ يوليو الماضى على خشبة مسرح الجمهورية حفلا مشهودا اكتظت فيه مقاعد المسرح . بل كواليسه وممرات بعشاق الموسيقى الرفيعة ، الى حد يجعلنا نتساءل :اذا كان هناك اقبال حاشد من الجمهور على هذا الفن الرفيع ، لماذا لا تقدم حفلات فرقة اوركسترا القاهرة فى مسارح تتسع له ، بدلا من ان تضطر ادارة المسرح الى الاستعانة بمقاعد جلبتها من الخارج ، خضوعا لرغبة الجمهور الحاشد الذى ظل واقفا ساعات طويلات امام المسرح رافضا الانصراف على الرغم من محاولة اقناعه بامتلاء المقاعد •• ونفاد التذاكر ، وكان ان قبل الكثيرون ان يدفعوا خمسة جنيهات مقابل ان يتاح لهم الوقوف ( طوال اكثر من اربع ساعات ) فى الصالة على الجانبين ، وأخرون قبلوا الجلوس على مقاعد غير مريحة فى الممرات ؟

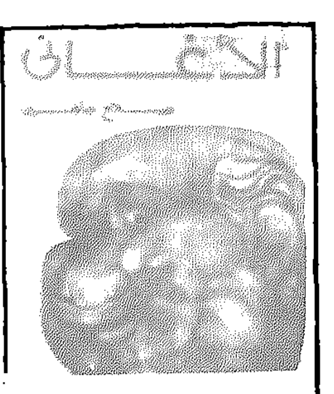
على اية حال هى فرحة يشعر بها المرء وهو يرى اقبال المصريين على

الفن الرفيع ، مما يدل على ان المستمع الجاد موجود ، وان الفن الراقى له جمهوره ، على الرغم من كل شيء ·

خصص الحفل لبرنامج من اعمال بتهوفن ، وفي البداية جاءت السيمفونية رقم ٥ من مقام دو صغير ( عمل رقم ٦٧ )التى تعتبر كما يقول الناقد الموسيقى احمد المصرى مناشهر الاعمال التى كتبها بتهوفن ، بل يمكن القول بأنها اشهر الاعمال السيمفونية بشكل عام ·· وهى كعمل فنى تعتبر من اتم واكمل الاعمال السيمفونية من وجهة الصياغة الموسيقية ·

أما الفقرة الثانية فقد قدمت الفرقة افتتاحية ليونورا رقم ٣ ( عمل رقم ١٧٢ ) ويقول احمد المصرى : ان المعروف ان بتهوفن لم يكتب للمسرح الغنائى طوال حياته سوى اوبرا واحدة ( هى اوبرا فيديليو ) ولكن لم يكتب لهذه الاوبرا فى اول الامر النجاح المنشود · واضطر بتهوفن الى ادخال بعض التعديلات عليها ، لتصبح لهما اربع افتتاحيات ، وتعد هذه اهمها ، وقد كتبها بتهوفن لتقدم عند اعادة عرض اوبرا منديليو بمدينة براج ·

ثم كان ختام الحفل الحاشد بفنتازيا من مقام دو صغير للبيانو والكورال والاوركسترا ( عمل رقم ٨٠) التى اشترك فى ادائها مع اوركسترا القاهرة السيمفونى كورال اوبرا القاهرة بقيادة الدومانياتو ، وسوليت ( بيانو ) تاتيانا فراتوفا ·



**الكتاب : اعمال صلاح جاهين**
**الناشر : مركز الاهرام للترجمة والنشر**

## مكتبة الهلال

اصدر الاهرام اخيرا مجموعة اعمال الشاعر صلاح جاهين فى اربعة كتب منفصلة ، كل منها خصص لجانب من جوانب عطاء فناننا الكبير ، وفى طبعات كاملة ، اضيفت اليها الاعمال التى لم يسبق نشر بعضها فى أى من دواوين صلاح جاهين السابقة أو ضمن المجلد الذى سبق واصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب تحت عنوان « ديوان صلاح جاهين » وبذلك يمكن القول بأن النتاج الغنائى والزجلى والشعرى اصبح الان متوفرا لعشاق فنه ، والدارسين والنقاد ،وان كانت هناك ملاحظة ، فاننا نرجو ان تتمكن ادارة نشر الاهرام فى الطبعة الثانية لهذه الاعمال من تشكيلها ، وعمل الهوامش الضرورية ، لبعض المفردات ، أو تلك التى تفيد الباحثين بربط بعض الاعمال التى كتبها جاهين بالمناسبة التى سجلتها، لان كثيرا من اعماله ، الغنائية ، دواوين صلاح جاهين والزجلية بالذات ، ارتبطت بمناسبات قد تحتار امامها الاجيال الجديدة التى لم تتحلها فرصة التعرف على الاحداث التى سجلتها ·

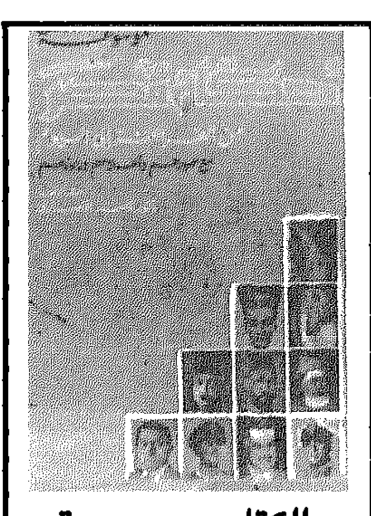
لكن هذا لا يقلل من قيمة هذه الطبعة ، والامل أن يتوج هذا الجهد بدراسات ننتظرها من النقاد



الكتاب : ديوان الاراجوز
شعر : فؤاد حداد
الناشر : سينا للنشر
٢٥٠ ص ـ ٣ ج م

ضمن فيض العطاء الذى لا ينفد يصدر هذا الديوان ، لشاعرنا ( هل نقول مرة أخرى: الراحل ) فؤاد حداد ، الذى تكتمل بعد اعماله بين ايدينا ، ويبدو انها لن تكتمل قبل مرور بعض الوقت ، فكل يوم تكتشف المزيد والمزيد من عطاء هذا الشاعر الرائد الذى تتلمذت على يديه كوكبة شعراء العامية ، الذين اعترفوا بقدرته ، وريادته ، ومن هنا ، فان كتابة عجالة عنه ، يعد من قبيل التهوين بالخطير الجليل ، فكيف يمكن ان تستوعب صوته وهو يقول :

الله يقدرني على حـــالى
يهديني خيط من دم مــوالى
بفصل يوالى صوتى فى المعركة
أنا كنـــت اهــل الكهف
وكنـــت أهـل الدنيـــا
وكنت خيط فى الكف
وكنت خيط فى الدميه
وكنت صوت آراجوز فى عين شمس
فاجر شديد اللمس



الكتاب : موسوعة حكام مصر من الفراعنة الى اليوم
تاليف : د . ناصر الانصارى
الناشر : دار الشروق
٢٣٢ص ـ ٥ ج . م

تاتى هذه الموسوعة ، ضمن نشاط ملحوظ فى مصر والعالم العربى ، فى مجال نشر الموسوعات، والقواميس، التى وان تعددت ، ونشرت الدور فى اصدرها ، لاننا مازلنا نحتاج الى الكثير منها .

وفى سبيل التاكيد على جدية هذا العمل فلابد من التنويه بخبرة مؤلفه ، الذى حصل على دكتوراه الدولة فى القانون مع التخصص فى تاريخ النظم القانونية والسياسية والاجتماعية من كلية القانون بجامعة مارسليا الفرنسية ، وعن موضوع قريب من هذا العمل ، بل يعد سندا له هو « المراسم فى القانون العام المصرى » دراسة تحليلية لنظم المراسم فى العصور المصرية على مدى التاريخ من الفراعنة الى يومنا هذا .

كما اتاح له موقعه كأمين لرئاسة الجمهورية فى ديوان كبير الامناء لمدة اثنى عشر عاما ان تتاح له الوثائق اللازمة لمثل هذا العمل الهام ، مما دفع الدكتور احمد تدرى الى القول عن العمل : « انه يقدم اسهامة مؤثرة للغاية على طريق الوعى

التاريخي لشبابنا وطلبتنا وللمواطن العام فضلا عن تلبية اغراض المدارس المتخصص في عين الوقت .

ومن الجدير بالتسجيل هنا انه علاوة على التعريف الموضوعي لكل حكام مصر اضاف المؤلف جزءا خاصا شمل صور حكام مصر الذين توفرت لهم رسوم قديمة ، او صور حديثة ، بالاضافة الى فصل خصصه للخرطوش الفرعوني والطغراء المملوكي والعثماني ، بالاضافة الى شعارات الدولة واعلام مصر ، والنوتة الموسيقية للسلام الوطني الملكي حتى عام ١٩٦٠ ، ثم الجمهوري الاول حتى عام ١٩٧٩ ثم السلام الاخير .



الكتاب : الفجوة
تأليف : اشرف راضي
تقديم : د . محجوب عمر
الناشر : دار البيادر
١٤٨ص - ٤ ج م

كثيرة هي الكتابات السريعة ، غير العلمية، التي تناولت هذا التنازع المميت للتجمع الاسرائيلي ، وهو التنازع الحضاري العرقي الفارق بين اليهود الغربيين ( الاشكيناز ) واليهود الشرقيين ( السفارديم ) .. لكن هذا الكتاب واحد من كتب قليلة تختط الطريق الصحيح في الدراسة . طريق البحث الموضوعي الذي يتسلح بالمعلومات الضرورية التي لا يقوم بسردها بشكل مجرد ، بل يعمل على كشف دلالاتها ،واغوار ماترمي بناء على معطيات واقع القضية، لا الوهم، او التمني . فنجده وقد اوضح الاساس المادي للفجوة الاجتماعية بين الطائفتين ، مستعينا بالمؤشرات الديمقراطية أي مجموعة البيانات الاحصائية الاساسية الخاصة بالسكان ، ثم الفجوات في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، والفجوة في العمالة ونوعية الوظائف كما يؤدي الى فروق اساسية في الدخل والانفاق ـ ومستوى المعيشة ، بالاضافة الى الفروق التي تنعكس على المستوى الثقافي والتعليمي ، واختلاف انماط القيم والسلوك ، ثم التحيز ضد اليهود الشرقيين في التمثيل السياسي الذي ينعكس بدوره على هيئة سيطرة كاملة لليهود الغربيين ضد اليهود الشرقيين

## صدر حديثا

● سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، تأليف جوزيف داهموس وترجمة محمد فتحي ، نشر الهيئة العامة للكتاب ، الثمن ٢١٠ ق .

● المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الاسرائيلية ، تأليف دمنى ناظم ، نشر الاتحاد للصحافة والنشر، توزيع القاهرة دار الهلال ١٥٠٠ ق .

● مسافر في الطوفان شعر محمد محمد الشهاوي، نشر المستقبل للطباعة والنشر ببورسعيد ، ٢ ج م .

● الضفة الثالثة ، رواية اسعد محمد علي، نشر مكتبة السيد يس ببغداد ، ١٫٢٥٠ دينار عراقي .

● رؤية ديستويفسكي للعالم تأليف نيقولا برد يائف ، ترجمة فؤاد كامل ، نشر دار الشئون الثقافية ، بغداد دينار ونصفه عراقي .

## قضايا ومواقف

# الغياب العربى عن تطوير التعليم العربى

بقلم : د . سعيد إسماعيل على

**فى مساء احد أيام شهر يونية الماضى ، كان الاجتماع فى قاعة احمد لطفى السيد بجامعة القاهرة يضم وزراء سابقين ورؤساء جامعات حاليين وسابقين وبعضا من وكلاء وزارة التعليم ، وكاتب هذه السطور ، وكان الاجتماع برئاسة الدكتور احمد فتحى سرور وزير التعليم وكانت اللجنة التى كُلفت برئاستها فى تشكيلات المؤتمر القومى لتطوير التعليم الذى انعقد هذا الاجتماع بشأنه ، هى لجنة « ديمقراطية التعليم » .**

● وكان الرأى الذى أكد عليه د . سرور ، ان الهدف من هذا المؤتمر ليس هو حل مشكلات التعليم ، وانما الاستماع الى أراء الجميع واثارة الاهتمام فى كل بيت وجميع قطاعات الشعب .

واذا كان من غير المنتظر ان توجد الحلول ، فان الذى لاشك فيه ، انه من الضرورى ان تبرز اتجاهات توجه مسار العمل التعليمى ..

هو مؤتمر يدور حول كليات التطوير لا حول جزئياته ..

فى البداية : كانت الفكرة الرئيسية ،

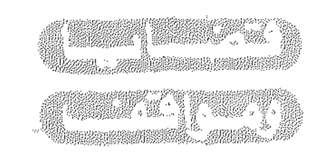
ان يكون المؤتمر خاصا بتطوير التعليم الجامعي ، ثم رؤى في وقت متأخر ان يمتد ليشمل كل التعليم ، ولعل هذا يفسر اختلاف ( المنهج ) بالنسبة لكل من القطاعين الرئيسيين : ففي قطاع التعليم الجامعي ، نجد اللجان تناقش بحوثا كلف بها عدد من اساتذة الجامعات وخبراء التعليم سيقدمونها بصفتهم الشخصية لتعبر عن أرائهم الخاصة . اما بالنسبة للتعليم قبل الجامعي ، فليست هناك بحوث مطروحة ، وانما ( تقارير ) رسمية انتهت اليها لجان كان وزير التعليم قد شكلها منذ شهور واستغرق عملها وقتا طويلا . ومن هنا فالافكار التي تحملها لاتنمي الى فرد بذاته وانما هي افكار لها الطابع الرسمي الجماعي .

ولاشك ان هذا الاختلاف ، وان كان مفهوما من حيث الظروف التي ادت اليه ، فإنه بطبيعة الحال لايستقيم مع المنطق ، هذا فضلا عما يمكن ان نلاحظه من ان التعليم الجامعي قد حظي بخمس لجان رئيسية ، اما التعليم ماقبل الجامعي فلم يحظ الا بأربع . ويتنافى هذا ايضا مع المنطق العلمي والتربوي والقومي : فالقطاع الاول هو قطاع الصفوة على نحو ما ، أما الثاني فقطاع الجمهرة الكبرى .. الاول يضم نصف مليون طالب على الاكثر ، والثاني يضم ما لايقل عن عشرة ملايين . **ألا يدل هذا على ان الذين يخططون ويرسمون السياسات تسيطر على اذهانهم ايضا فكرة ان الجامعة هي صاحبة الخطوة الاجتماعية والمكانة المرموقة ، أما ماعداها فثانوي وقليل القيمة ؟** هل نلوم بعد ذلك اولياء الامور والطلاب عندما يتزاحمون على ابواب الجامعات طالبين الالتحاق بها فنصرخ في وجوههم بأن الجامعة ليست كل شيء وان هناك مسارات اخرى ( محترمة ) انها بالفعل « قسمة ضيزى » حسب التعبير القرآني الكريم !

عند عودتي الى المنزل ، وجدت دعوة وصلتني من ( اتحاد التربويين العرب ) في بغداد لحضور مؤتمر يعقد هناك تحت شعار ( التربية في الوطن العربي في عالم متغير ) من ٢٨ ـ ٣٠ يونية .. ولبيت الدعوة .

**وترجع فكرة هذا الاتحاد الى توصية جاءت ضمن توصيات اول مؤتمر للتربويين العرب دعت اليه الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية في يونية من عام ١٩٧٥ . وتشكل الاتحاد بالفعل اثناء انعقاد المؤتمر الثاني الذي عقد ايضا في بغداد عام ١٩٧٨ .**

**وفي إحدى قاعات فندق بغداد بشارع السعدون الشهير ، كانت الاجتماعات التي حضرها ممثلون من بعض البلدان العربية وشخصيات مسئولة سابقة وحالية ذات اسماء رنانة في عالم التعليم العربي : د . عبد العزيز البسام ، د . طه الحاج الياس ، د . مسارع الراوى ، من العراق ، ود . عبد الله كريم الدين مدير ادارة البحوث التربوية بالمنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس ، ود . سعد الهاشل عميد كلية التربية بجامعة الكويت ، ومن مصر كان كاتب هذه السطور ود . حامد زهران استاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس ود . نبيل نوفل ود . عزيز حنا والاخيران : اولهما يعمل حاليا بالبحرين والثاني ببغداد وهما مصريان**



.. وغير هذا وذاك ، آخرون من بلدان عربية عدة .

لقد كان الاتحاد قد وجه الدعوة الى اثنى عشر عالما واستاذا من اساتذة التربية وعلم النفس فى مصر ، لكن عشرة منهم مع ألاسف الشديد اعتذروا عن الذهاب بحجج مختلفة ضعيفة السند ، وكان السبب الحقيقي عند البعض ، هو الخوف من « جو الحرب » الايرانية العراقية ، هذا الجو الذى لم نشعر به في بغداد ، حيث كانت الحياة تسير في مجراها الطبيعي ، على الاقل امام اعيننا !

لم تكن المسألة غياب اشخاص ، وانما هى قضية التواصل والتلاحم مع العقول القادمة من مختلف انحاء العالم العربى ، فضلا عما يمكن ان يؤدى اليه حضور المعتذرين من تكثيف للافكار والاراء المصرية ، مما لابد ان يؤدى الى مزيد من التلاحم ، والتفاعل يذيب ما قد تسببه الحماقات السياسية من ثلوج تتراكم على الطريق تعيق الاتصال وتمنع التقارب ...

اغلب الظن ان القارىء سيتساءل على الفور بينه وبين نفسه : ما العلاقة بين هذا وبداية المقال ؟

هذه هى القضية التى تشغلنا حقا ..

فنحن نعلم جميعا تلك الاثار الجانبية التى ترتبت على عقد معاهدة كامب ديفيد من حيث الغياب المصرى عن كثير من المؤتمرات العربية الكبرى وخاصة تلك التى تتعلق بشئون تعليمية او ثقافية او اقتصادية او اجتماعية ...

ونعلم جميعا الخسارة الفادحة لكلا الطرفين : الطرف المصرى ، وبقية الدول العربية الاخرى وان الرابح الوحيد هو العدو المشترك ..

## ● الغياب المصرى

وعلى الرغم من عدم منطقية هذا الغياب ـ ايا كانت المسئولية فيه ، ومن يتحملها ـ فى السنوات القليلة التى تلت توقيع المعاهدة ، فإن ذلك على اية حال ، كان امرا مفهوما .

واذا كانت هناك دول عربية تحرص على الغياب المصرى عن المؤتمرات العربية ، فهذا ايضا رغم سخفه ، فإن دوافعه واهدافه مفهومة .

لكن الذى يصعب على المرء فهمه حقا ، هو ، لا اقول ( الغياب العربى ) وانما ( الشحوب العربى ) فى المؤتمرات المصرية . واذا كان البعض يرد بان هذه صورة من صور المعاملة بالمثل ، فاننا نقول ان القضية هى : هل هذا صواب ام لا ؟ هل هذا على المدى القصير والطويل فى اتجاه المصلحة القومية والوطنية أم لا ؟ واذا كانت تصرفات الاخرين تنم عن صغار وقلة عقل ، فهل تكون المعاملة بالمثل ان نثبت نحن ايضا اننا نتصرف كصغار ومحدودى عقل ؟

لاأقصد بكلماتى هذه المؤتمر القومى لتطوير التعليم بصفة خاصة ، وانما اتناول هنا قضية عامة نلمسها فى كثير من المواضع والمواقع . واذا كان هذا الحديث

يوحى بالبحث عن العيب فى الساحة المصرية ، فسوف نبين فى موضع آخر ان اخوة عربا يشاركون كذلك فى استحقاق اللوم وفى استحقاق العتاب .

وبالنظر الى القضايا المحورية للمؤتمر القومى المصرى للتعليم وما يندرج تحتها من عناصر وفروع ، نجدها تدور كلها على وجه التقريب على الاقليم المصرى مستبعدة البعد العربى . وعندما نقول هذا ، فنحن لا نقصد ان تجىء ( العروبة ) كشعار وجمل سريعة عارضة وانما كـ ( فلسفة ) و ( توجه ) و ( منهج ) . وعندما كنت اسمع فى الاجتماع المشار اليه فى بداية المقال اسماء الشخصيات والهيئات التى اقترح توجيه الدعوة اليها ، لم تطرق اذنى اسماء شخصيات وهيئات عربية .

وربما يقول قائل ان المؤتمر خاص بتطوير التعليم المصرى ، وهنا نؤكد ان ذلك أدخل فى باب "عذر اقبح من ذنب" . ان كاتب هذه السطور لا يخالجه ادنى شك فى ان اى اصلاح او تطوير للتعليم يسقط الورقة العربية من حسابه ، فانما يسىء الى مصر ، قبل ان يسىء الى البلدان العربية الاخرى .

ادرنا بصرنا الى العالم الغربى الذى تتحدث شعوبه لغات متباينة : انجليزية ، فرنسية ، المانية ، اسبانية ، ايطالية .. الخ ، ومع ذلك تتجمع فى برلمان مشترك وسوق اوربية مشتركة وحلف .. الخ ، فلابد ان يتملكنا الاسى والحسرة : مابالنا ونحن الذين نتكلم لغة واحدة على هذا النحو المزرى من التفكك والتعارك ؟

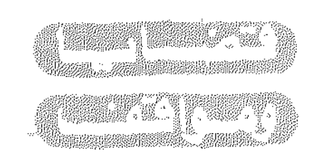
ولو تأمل احدنا فى المأساة اللبنانية ، لاستطاع ان يرى سببا اصيلا - ضمن اسباب اخرى - جعل الصيغة اللبنانية صيغة هشة يسهل تفكيكها وضربها ، فالجمهرة الكبرى من مؤسسات التعليم ، كانت طائفية ، كل منها يتبع طائفة معينة لها منهاجها ولها اساليبها وفلسفتها واهدافها التى تتباين مع الأخرى ويخضع الطفل اللبنانى منذ نعومة اظفاره لهذا التباين والاختلاف .. انه يحرم من تلك الصيغة القومية الموحدة العامة فى تعليم المرحلة الاولى التى يتربى وفقا لها اطفال كل دولة من دول العالم : شرقه وغربه ، اشتراكييه ورأسمالييه . ومن ثم كانت هذه المؤسسات التعليمية تفرز للساحة اللبنانية ( طوائف ) متنافرة مختلفة ، فهل ندهش بعد ذلك ، ان نجد هذه ( الطائفة التعليمية ) وقد تحولت فيما بعد الى مليشيات مسلحة ؟

## ● لوم متبادل

ان التعليم هو تلك العملية التى تصاغ بها العقول والثقافات والقيم والاتجاهات فاذا ما سارت فى المجرى الاقليمى الضيق ، فان ذلك يكرس التجزئة ويوهى عرى ماهو قائم من روابط ، فى وقت تشهد فيه بقية دول العالم الاخرى مساعى الى التجمع والترابط فى كيانات متعددة ، ولو

فى غيبة العقلانية ، وفى مستنقع التخلف ، وفى هاوية الطائفية ، كلما اشتد تباين العقول ، واختلفت الاراء اختلافا حادا ، يصبح من المألوف ان يتم التحاور بالرصاص ، لا بالافكار ..

واذا كان عناد البعض قد ادى باخراج المصريين من عدد من المنظمات العربية



المشتركة ، فلا ينبغي على مصر ان تخرج العرب من تفكيرها .

واذا كان عالم السياسة له اتجاهاته واوراق لعبه ، المعروف منها والمجهول ، وله حساباته ، فلماذا نمد سيئات هذا العالم الى العوالم الاخرى الاقتصادية والثقافية والتعليمية والاجتماعية ؟ صحيح ان ( السياسة ) هى التى تحكم وتوجه ، لكن هناك مجالات وفرص نملكها بأيدينا ونبددها ايضا بأيدينا : فهذا المؤتمر العربى ببغداد : لماذا نتقاعس عن المشاركة فيه ؟وهذا المؤتمر القومى للتعليم فى مصر : لماذا يغيب الوجه العربى منه حيث لانتوقع ابدا ان هناك توجيها سياسيا بذلك ؟

**واذ نوجه اللوم الى انفسنا فى مصر ، فاننا نوجهه أيضا الى الاخوة العرب فى مناسبة اخرى سابقة ، على نفس الطريق : طريق تطوير التعليم .**

ففى الحادى عشر من ابريل الماضى ، عقدت رابطة التربية الحديثة فى مصر مؤتمرا كبيرا تحت شعار ( نحو مشروع حضارى تربوى لمصر ) فى كلية التربية بجامعة عين شمس .

وواضح من العنوان انه يتسم بالاقليمية ، ومع ذلك فقد حرصت باعتبارى المقرر العام للمؤتمر ، ان اوجه الدعوة الى بعض الهيئات والمؤسسات العربية ذات الطابع القومي المشترك ، مثل مركز دراسات الوحدة العربية ومنتدى الفكر العربى ، ومكتب التربية العربى لدول الخليج والمنظمة العربية للتربية والثقافة ، مؤكدا ان الشعار وان كان يوحى بالاقليمية ، فإننا نعي تماما ان التفكير فى مصر لابد ان يحتل فيه الركن العربى مكانا رئيسيا ، ومن هنا يهمنا ان نسمع رأى الاخوة العرب .

المحزن حقا ، ان احدا لم يرد ، باستثناء مكتب دول الخليج الذى اعتذر لعدم مناسبة الوقت لظروفهم . وغلبنا حسن النية وقلنا لانفسنا : ربما لم تصل اليهم الدعوة ! ، وصلنا الى هذا الرأى بعد حيرة كبيرة فى تفسير هذا الموقف ، وكان الاحتمال الغالب فى اول الامر هو ان الرابطة ، لقصر يدها ، وفقرها المالى الشديد ، لم تتعهد بتحمل نفقات السفر والاقامة !

**واذا كان المدعوون من اقطار اخرى يمكن أن يكون لهم العذر ، فماذا يمكن ان يكون عذر من يقيمون فى مصر نفسها ؟** لقد ارسلنا دعوات الى مختلف الاحزاب السياسية ، والى كثير من الهيئات الاخرى ، مثل نقابة المعلمين والمركز القومى للبحوث الاجتماعية ومعهد التخطيط القومى والجامعة العمالية ، فضلا عن عدد من المفكرين ، ايمانا منا بأن تطوير التعليم ليس قضية فنية ينفرد بها اساتذة وعلماء التربية وعلم النفس ، وانما هو قضية قومية لابد فيها من مشاركة كافة القوى والهيئات والمجالات الاخرى .

ومع ذلك فإن كثيرين من هؤلاء لم يلب الدعوة او حتى يعتذر عنها . بطبيعة الحال ، فهناك مايمكن ان يفسر ذلك ، وهو ايضا

يرجع الى ان الرابطة لاتملك ثقلا اعلاميا يتيح لها فرصة اسماع صوتها ونداءاتها .

وقد ادى غياب القوى والمؤسسات العربية ، وغياب القوى والاحزاب السياسية المصرية والهيئات الاخرى البحثية ، الى مأزق كبير واجهه المؤتمر ، وهو : تفريغ المشروع المأمول من ابعاده الحضارية العامة .. لماذا ؟ لأن معظم الذين لبوا الدعوة ، كانوا من اعضاء هيئات التدريس بكليات التربية الذين تنحصر نظرات الجمهرة الكبرى منهم فى القضايا الفنية المهنية مثل : اثر طريقة تدريس معينة او منهج معين على التحصيل المدرسى وما شابه ذلك .

**لكننا والحمد لله استطعنا ان نستقطب عددا من المفكرين الذين لبوا الدعوة مشكورين مثل د . لويس عوض ود . حلمى مراد ، ود . مصطفى كمال حلمى ود . سيد عثمان ود . محمد ابراهيم كاظم مدير مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية فى البلدان العربية ، مما غذى افكار المؤتمرين ببعض الملامح والمؤشرات الحضارية العامة**

**وكان كم الابحاث ضخما الى الدرجة التى جعلتنا نخرجها فى اربعة مجلدات .**

● آفة التطوير

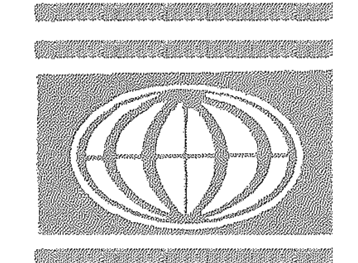
لقد كان من حقنا ان نتساءل : اذا كان الجهاز الرسمى المسئول عن التعليم فى مصر يريد رسم استراتيجية مستقبلية لتطويره ، أليس هذا هو نفس هدف مؤتمر : نحو مشروع حضارى تربوى لمصر ، وان اختلفت صياغة العناوين ؟ لماذا لم يلق بثقله اذن فى المؤتمر الاول ، وآثر ان ينفرد هو الاخر بمؤتمر قومى عام ؟ ولا يخفف من تساؤلنا هذا أن مؤتمر الرابطة كان برعاية وزير التعليم نفسه وهو الذى افتتحه شخصيا !

لعلنا بهذا نضع ايدينا على آفة التطوير فى مجال التعليم ، ذلك انه فى اغلب الاحوال يفتقد ركنين اساسيين :

الركن الاول هو « التراكمية » بمعنى ان يكون حلقة من سلسلة متصلة من جهود سابقة على طريق التطوير يستفيد منها ولايكررها ، ويسير بها خطوات الى الأمام نحو النمو والتقدم والحادث هو العكس : أن تجيء الخطوة الحالية متجاهلة سابقتها ، بادئة ، لامن حيث انتهى السابقون ، وانما من حيث بدءوا ونكون بهذا قد سرنا - ومازلنا - على طريق دائرى ، لاطريق مستقيم ، فنظل نلوك ماقرأناه ، وما سجلناه ونجتره عشرات المرات دون خطوات الى امام ، فتتحول جهودنا الى نقوش على سطح ماء ، لا خدوش على سطح حجر ، او حتى على سطح من الرمال !

الركن الثانى ، هو الركن القومى ، بمعنى التواصل بين الجهود العربية الاخرى فى تطوير التعليم ، لابمجرد الاستفادة بها وانما بادخال المصالح والمتغيرات العربية فى عناصر التفكير . واذا كان الاقتصاديون يتحدثون كثيرا عن حلم ( التكامل الاقتصادى العربى ) ، وان الجهود الاقتصادية العربية اذا اتصلت وتعاونت وتكاملت ، استطاع العرب ان يقهروا شياطين وسرطان التخلف والمديونية ، فاننا هنا نشير ايضا الى حلم ( الوحدة الثقافية ) التى لاقوام لها الا بوحدة تعليمية

# العالم في سطور



## استانبول

● عندما تكون الاميرة .. مؤلفة

ماذا يمكن ان يحدث لو انشغلت الاميرات بالفنون المختلفة . مثلما فعلت الاميرة ثريا زوجة شاه ايران الاسبق . ثم ايرادي فرستنبورج - التي تزوجت أمير موناكو اخير -

كنيزة مراد



عندما عملتا في السينما . واخيرا الاميرة التركية كنيزة مراد التي قدمت رواية ضخمة تقع في ٦٠٠ صفحة تحمل عنوان « حكاية الاميرة الميتة ».

وكنيزة هي سليلة السلطان العثماني مراد والسلطان الهندى «جتيحه» وفي روايتها الاخيرة تتحدث من خلال تاريخ العثمانيين والقرون الستة التي ارتفعت فيها دولتهم عن سلمى . الحسناء . ذات الشعر الشرقي الاسود المجعد والبشرة اللبنية و لعينين الخضراوين كأنهما الزمرد . والتي تروى مذكراتها في المنفى بعيدا عن حريم السلاطين .

تقول الكاتبة انها قد اتجهت الى الرواية بعد أن انتهى عصر الاميرات خاصة في تركيا وجربت الاقامة في الفنادق الرخيصة باوروبا وان سلمى بالنسبة لها تمثل حنين الماضي حول امرأة محاطة بالخدم الذين يمثلون القصر . ومثلما كان المجاه من لزوم السلطنة . فان المنفى ايضا شيء حتمي لاميرة حملت ميراث اباثها على كتفيها فعندما طارد كمال أتاتورك امراء العثمانيين . هربت سلمى وامها الى لبنان . واقامت في بيروت بضع سنوات . وتزوجت اميرا هنديا لم تره من قبل . ورغم انه تعلم في انجلترا ويبدو معاصرا الا انه كان محكوما دوما بتقاليده التي تعلمها . بل قال لها يوما انه لم يتزوجها لانها اعجبته . ولكن ببساطة لانها سليلة سلاطين مثله ..

لم تكن الاميرة كنيزة في الواقع

سوى نتاج هذه الزيجة التى ربطت بين امها القادمة من تركيا وابيهـا الهندى • لذا فانها تشعر ان الدماء تختلط فى عروقها خاصة انها تعلمت منذ طفولتها فى اوربا •

وتقول الكاتبة انها قبل ان تكتب رواياتها ذهبت الى مراكز المعلومات تفتش عن تاريخ اسرتيها الهنـدية والتركية فرحلت الى لبنـان والهند وتركيا والعديد من المدن الاوربية •• لذا فان الرواية هى اقرب الى البحث التاريخى منها الى رواية ابداعية •



## باريـس

● نجمك المفضل فى مجلة فرنسية

فى الاستطلاع الذى اجرته مجلة لوموان فى يونية المـاضى عن احب الشـعوب او ابغضـها او احب الشخصيات واكثرها كراهيـة لدى الشعب الفرنسى ، فازت مصر بمكانة لا بأس بها فى قلب الشخصية الفرنسية فقد ابدى ٤٦٪ من الاشخاص الذين اجرى عليهم الاستطلاع تعاطفا مـع مصر • بينما كانت نسبة الذين وقفوا ضدها ٩٪ فقط • واعلن ٣٨٪ منهـم أنهم غير متعاطفين او معـارضين بينما اعلن ٧٪ انهم بلا رأى حول هذا الموضوع •

تضمنت استمارة الاستطلاع العديد من الدول • وكانت بلجيكا هى الدولة الاكثر قربا من الشعب الفرنسى تلتها كندا ولوكسمبورج وهولندا وايطاليا• أما الولايات المتحدة فقد حصلت على نسبة ٥٨٪ تليها المملكة المتحـدة واستراليا والهند ثم بولندا واليـابان ومصر •• •

حصلت اسرائيل فى هذا الاستطلاع على نفس النسبة التى حصلت عليها مصر •• بينما حققت الجزائر نسـبة ٣٢٪ • وجاء فى مؤخرة القائمة كل من كوبا والعراق وسوريا وليبيـا وايران ••

ومن خلال الخريطة المنشورة مـع التحقيق الخاص بهذا الموضوع يمكن تقسيم العالم الى عدة مناطق • فوسط اوربا قريب بشعبه وثقافتـه الى الشـعب الفرنسى يليه الامريـكتان والاتحاد السوفيتى وشرق آسـيا واستراليا • اما منطقة المشـرق الاوسط وجنوب افريقيا فقد حققت اقل نسبة من القبول اما عن الشخصيات المحببة فقد حظى البابا بول الثـانى بأعلى نسبة • لم ينافسه احد •وجاءت بعده بمسافة كبيرة كورى مكينـو وهيلموت كـول • وراجيف غاندى ورونالد ريجان • اما الشخصيات التى جاءت فى آخر القائمة فهم الجنـرال ياروزلسكى والجنرال بينوشـيه والامام الخومينى والعقيد معمـر القذافى •



# العالم في سطور

## موسكو

● رسائل الدكتور بوريس .. الى ابنة عمته



بوريس باسترتال

يحاول الباحثون ـ والناشرون بصفة خاصة ـ البحث عن نصوص ادبية لم تنشر للراحلين من مشاهير الكتاب · وعندما يستنفدون تماما كل السبل ولا يجدون مسودات أدبية فانهم يروحون يبحثون عن المراسلات التي ارسلها هؤلاء الكتاب الى الاقربين اليهم ·· وعادة ما تعتبر هذه الرسائل امتدادا لادب كاتب ما خاصة اذا ارسلها لحبيبته أو لزوجته أو لاحد اصدقائه المقربين الى عقله ووجدانه

· وبعد رسائل هيمنجواى ومونترلان ها هي الرسائل الكاملة التي ارسلها الكاتب الروسى بوريس باسترناك الى حبيبته أولجا فرندبرج · وفي الاشهر الاخيرة سلطت الاضواء على باسترناك بعد السماح لروايته دكتور زيفاجو بالنشر في موسكو عقب منعها لمدة ثلاثين عاما ·

كانت اولجا احدى اقرب الشخصيات الى بوريس · وهي ابنة عمته · وكثيرا ما كتب اليها يتحدث عن مشاعره ومشاريعه واخباره · ولدت معه في عام ١٨٩٠ · وتربيا معا في نفس البيت الواقع على الاوديسا · ثم انفصلت عنه عندما ذهب الاب باسترناك الى موسكو للاقامة فيها · ثم عاودا اللقاء وهما في سن العشرين وعندما كانت المدن تفرقهما كانت المراسلات هي الوسيلة الوحيدة بينهما · وبينما درس بوريس الطب كانت أولجا تهتم بعالم الاحياء فكان كل منهما يذهب حيث يؤدى واجبه ، لذا ابتعدت المسافات أكثر واكثر وكانت السطور القادمة عبر الرسائل مليئة بالدفء الذى يذيب جليد الطريق وقد كانت اولجا هي دائما القارئة الاولى لكل اشعار الكاتب ورواياته ·

من اطرف ما كتبه باسترناك لابنة عمته في عام ١٩٤٦ : « لقد أصبحت رجلا كهلا ، وسأموت عما قريب · لذا فقد بدأت في كتابة رواية نثرية ضخمة في الواقع انها أولى اعمالى الحقيقية » ·

وكانت الرواية هي الدكتور زيفاجو التي استغرق في كتابتها ثماني سنوات كان يرسل فصولها اولا باول الى اولجا ·

# روما

## ● واذا دخل المفكرون .. البيوت

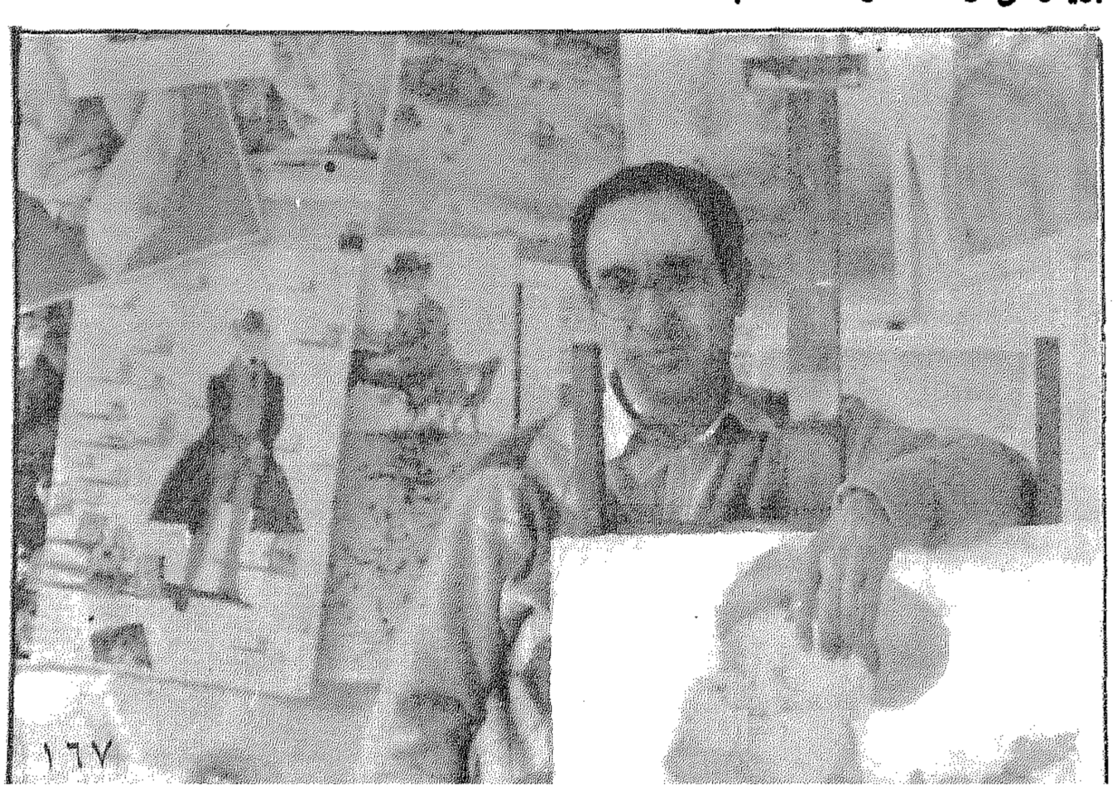
رغم ان وسائل الاعلام تحاول ان تبرز الفنان الايطالي توليو بريكولي - ٥٠ عاما - فان مجلة الهلال قد سبقته بعشرات السنين .

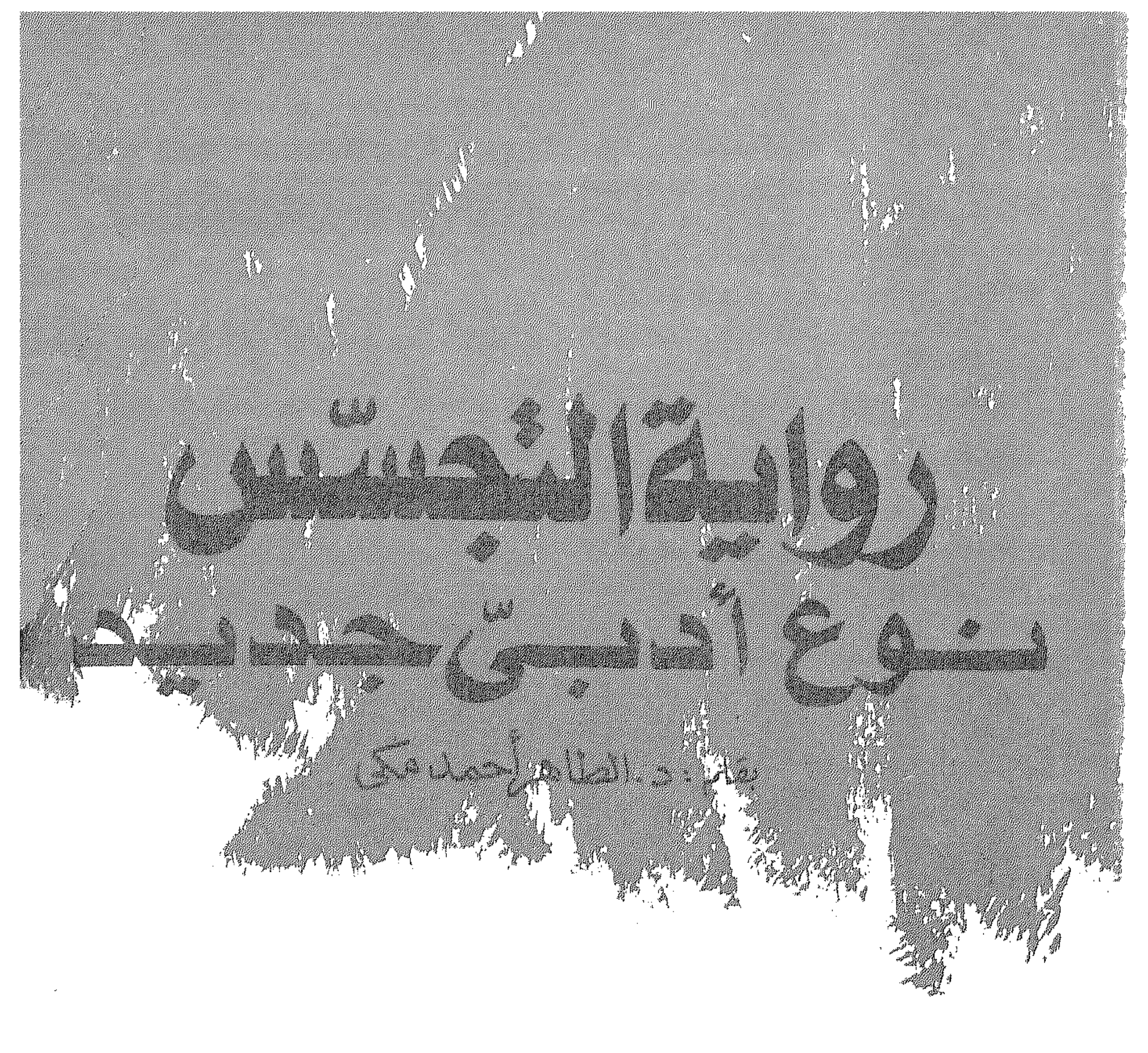
يحاول بريكولي ان يؤكد على نجومية رجال الادب والمعرفة بنفس الدرجة التي تفعلها هوليود مع كبار نجومها . فهو يقوم برسم صورة « بوستر » .. كبيرة لمشاهير الادباء والمفكرين ويقوم بتوزيعها على دور النشر لطبعها وبيعها في المكتبات التي تبيع صور ملكات الاثارة وكبار نجوم السينما .

الجديد في صور بريكولي انه لا يرسم «بورتريه» تقليديا جيد التنفيذ لهؤلاء الادباء . بل انه يضعهم في اطار كاريكاتوري رقيق . وفي اغلب لوحاته قد لا تشكل المساحة المرسومة للكاتب سوى جزء صغير قياسا الى الفكرة التي تدور حولها اللوحة . لقد رسم فرويد مثلا يجلس فوق مقعد خيزراني صغير ومن اسفله ارض واسعة تناثرت عليها اعترافات المرضى النفسيين اما جيمس جويس فقد استند بظهره على مكتبته الضخمة وراح يقلب في احد كتبها وقد ارتدى ببيونا كبيرا وبدا كأنه ينام وهو يقرأ .. وراح بيرانديللو من وراء ستار صغير يتطلع بعينيه . الى الجمهور وكأنه يقوم بتلقينه اصول المسرح . وتحولت كاميرا فيللني الى عين حية يشاهد بها الواقع الذي حوله . بينما أصبحت رابطة عنقه شريطا سينمائيا سماوي اللون .

اتسمت اغلب خطوط لوحات بريكولي بالبساطة . كما استعان بالالوان الصناعية واكسب هذه اللوحات شفافية واحساسا عاما بتفاؤل الفنان .

بريكوللي وخلفه لوحات الادباء






منذ أن كانت منافسة بين الأفراد والمجتمعات والأمم كانت الجاسوسية ، وكان من يتحدث عنها مؤرخا أو مصورا ..

فالأنسان البدائى ، يعيش فى الكهوف ويقتات الحشائش ، عليه ليأمن فى نومه ويقظته ، وعمله وحركته ، أن يتبين طبيعة الحيوان الذى يجاوره ، أو يرتاد مهبطه ، ليعرف كيف يتقى شره إن كان جارحا كاسرا ، أو يفيد من عونه إن كان هادئا مستأنسا .. وهو يصنع ذلك مدفوعا بغريزة حب البقاء ، وليست محاولته معرفة واقع المنطقة التى يعيش فيها إلا نوعا من الجاسوسية فى صورتها المبسطة للغاية ، تناسب حياته وفهمه ومستوى تقدمه ..

ومع تطور الانسان حضاريا واجتماعياً انتقلت مهمة التجسس من الفرد إلى القبيلة ، ومن القبيلة إلى الدولة ، ومع الحاجة الملحة لحماية المصالح الهامة للجماعة أو الدولة ارتفع التجسس إلى المستوى نفسه من الأهمية ، ومن يتصفح سجلات التاريخ يجد صدى أقدم صور المخابرات وأشدها بدائية ..

● التجسس فى مصر الفرعونية

كان لقدماء المصريين إدارة مخابرات منظمة ، ولهم أعمال مجيدة فى مجال الجاسوسية ، وخلال حكم الاسرة الثانية عشرة ، ٣٦٠٠ ـ ٣٤٠٠ ق م ، نجح رجل أسمه توت فى تدبير خدعه تتمثل فى إعداد مئتى رجل داخل أكياس الدقيق ،

وضعهم على ظهر سفينة كانت متجهة إلى مدينة ساحلية تحاصرها الجيوش المصرية ، وبذلك تمكن هؤلاء الرجال من دخول المدينة ، وأحدثوا فيها هرجا أضعف حاميتها ، وأثاروا الفوضى فى صفوفها ، وبفضلهم تمكنت القوات المصرية قديما من اقتحام المدينة .

ويستنتج السير بازيل طومسون رئيس قسم مكافحة الجاسوسية فى بريطانيا فى العشرينيات أن المخابرات المصرية لابد أن تكون قد تدهورت فى عهد الفرعون منفتاح ، لأنها لو كانت فى نفس مستواها القديم من الكفاءة والقدرة والمهارة ، لما استطاع اليهود الخروج من مصر .

## ● التوراة والتجسس

ونجد صدى التجسس فى التوراة أيضا . وذلك فى سفر العدد ، فى الاصحاح الثالث ، وبلغة التوراة نفسها : « ثم كلم الرب موسى قائلا : ارسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبنى إسرائيل » . وابعث من كل قبيلة رجلا يكون حاكما فى موقعه ، فبعث موسى باثنى عشر رجلا يتجسسون أرض كنعان ، ورسم لهم الخطة . « وقال لهم : اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا الى الجبل ، وانظروا الأرض ماهى ، والشعب الساكن فيها أقوى أم ضعيف ، قليل أم كثير ، وكيف هى الأرض التى هو ساكن فيها أجيدة أم رديئة . وما هى المدن التى هو ساكن فيها أمخيمات أم حصون ، وكيف هى الأرض أسمينة أم هزيلة ، أفيها شجر أم لا » ، « فصعدوا وتجسسوا » ، وقد قضت طليعة الجواسيس هذه أربعين يوما ، ثم أتوا موسى « وقالوا : قد ذهبنا الى الأرض التى أرسلتنا اليها ، وحقا إنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها ، غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز ، والمدن حصينة عظيمة جدا » .

## ● أول امرأة جاسوسة

وفى التوراة نفسها ، فى سفر يشوع ، فى الاصحاح الثانى ، نلتقى بأول جاسوسة ، امرأة ساقطة ، تعاون جاسوسين فى مهمتهما ، والقصة ترويها التوراة بلغتها :

« فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرا ، قائلا : انظرا الأرض وأريحا ، فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك ، فقيل لملك أريحا هو ذا قد دخل إلى هنا الليلة رجلان من بنى اسرائيل لكى يتجسسا الأرض .. فأرسل ملك أريحا إلى راحاب يقول :

## رواية الجسس
### بنوع أدبي جديد

أخرجي الرجلين اللذين أتيا اليك ودخلا بيتك لأنهما قد أتيا لكى يتجسسا الأرض كلها ..

« فأخذت المرأة الرجلين وخبأتهما وقالت : نعم جاء إلىّ الرجلان ولم أعلم من أين هما .. وكان نحو انغلاق الباب فى الظلام أنه خرج الرجلان .. لست أعلم أين ذهب الرجلان ، اسعوا سريعا وراءهما حتى تدركوهما ..

« وأما هى فأطلعتهما على السطح ، ووارتهما بين عيدان كتان لها منضدة على السطح ..

« فسعى القوم وراءهما فى طريق الأردن إلى المخاوض ، وحالما خرج الذين سعوا وراءهما أغلقوا الباب » ..

ثم صعدت إليهما المرأة على السطح ، واستحلفتهما أن يعملا معها معروفا كما صنعت فيهما ، أن يبقوا على أبيها وأمها وأخوتها حين يفتحون البلاد ويستولون عليها .. ثم أنزلتهما بحبل من على السطح ، وما إن استقرا على الأرض حتى تحللًا من اليمين التى حلفاها ، وقالا لها : اجمعى أهلك كلهم فى بيتك ، وعلميه بالحبل الذى أنزلتنا به ، فمن بقى منهم داخله فهو فى حمايتنا ، ومن يبق خارجه يظل دمه هدرا ، وعلى ألا تفشى سرنا ، وعادا إلى يشوع بما يحملان من معلومات ..

### • فى الأدب اليونانى القديم

فإذا تركنا العالم الشرقى إلى الغرب نجد التجسس يلعب دورا هاما فى ملحمة الإلياذة لهومير ، فقد استمر القتال أمام أبواب طروادة قرابة عشر سنوات ، وكان قتالا ضاريا وسجالا بين اليونانيين والطرواديين ، وسقط فيه أبطال صناديد .. وقد قاوم الطرواديون ببسالة ، محتمين بأسوار مدينتهم العالية التى عجز اليونانيون عن تسلقها ..

وإزاء هذا العجز ذهب كالخاس عراف الحملة إلى آلهته يستوحيها ، ثم هرع إلى سادته قادة الجيش فذكر لهم أنه مادام تمثال مينرفا المقدس موجودا في طروادة فلن يفتحها على أهلها فاتح ، ولو عاونته الأرباب جميعا ..

تنكر أوليسيوس ومعه ديوميديس ، وانطلقا إلى الحصن ، واحتالا على حارس البوابة الكبرى ففتحها لهما ، وذهبا قدما إلى الهيكل ، وسرقا البالاديوم المقدس ، وعادا به ، وكل همهما أن تبطل نبوءة كالخاس ، ومع ذلك توالت الأيام ولم تفتح طروادة ..

حينئذ بدا لأوليسيوس أن يصطنع الحيلة ، فصنع حصانا خشبيا جسيما ، واسعا وعريضا ، يتسع له ولرفيقه ولاثنى عشر من خيرة رجاله بكامل أسلحتهم ، وأما الباقون فيستقلون ظهور السفن ويبحرون كأنهم ، يعودون إلى الوطن ، حتى إذا مضى شطر من الليل أقبل الطرواديون على الحصان فأدخلوه مدينتهم تذكارا لهذه الحرب ..

وفى الهزيع الأخير من الليل قبيل الفجر ، وحين هجعت كل طروادة ، فتح سينون الباب الخلفى للحصان ، فتسلل أوليسيوس ورجاله ، وأعطوا الإشارة للأسطول لكى يهاجم ، فاحتل المدينة العاتية ، وذبحوا جنودها النائمين ، وأشعلوا النار فى دورها ، وحين طلع

الصباح كانت طروادة اكواما من الأطلال ، كأن لم تكن بالأمس مدينة كبيرة أهلة بالحياة والسكان ..

والقصة كما نرى كبيرة الشبه من قصة اكياس الدقيق المصرية ، وإن كانت هذه أكثر بساطة وواقعية ..

## ● في العصر الحديث

فإذا تركنا العصور القديمة إلى العصور الوسطى وجدنا التجسس يلعب دورا كبيرا فى النصر إذا أحسن استخدامه ، وفى الهزيمة أيضا حين لا يعطى ما يستحق من أهمية ، وفى حياة الاسلام الأولى أمثلة كثيرة ، وربما كانت غزوة الخندق أوضحها ، فقد كان المسلمون يعرفون كل شىء عن أعدائهم فى مكة ، على حين لم يحاول هؤلاء أن يعرفوا شيئا ، ولذلك عندما جاءوا المدينة يهاجمون المسلمين ووجدوا خندقا يحيط بها دهشوا ، ورأوه شيئا عجبا ، ووقع الرعب فى قلوبهم وعادوا من حيث جاءوا دون أن يقاتلوا ..

ولم تكن أوربا فى هذه العصور تعرف شيئا عن الشرق ، وهو الأقوى ، وكانت معلوماتهم عن المسلمين ، وهم الأكثر تحضرا ، ضئيلة للغاية ، ولذلك كانت أخطاء الأوربيين فادحة ، وهزائمهم كثيرة ، والقليل من انتصاراتهم ظل موقوتا وتلاشى ..

فلما عرفوا واقع المسلمين فى الأندلس ، وأدركوا من حالهم ما كانوا يجهلون ، ووقفوا على دخائل أمورهم واقتصادهم وقوتهم ، وعاونهم اليهود فى التجسس والتخريب وإشاعة الفرقة وروح الهزيمة ، استطاعوا أن ينتقلوا من نصر إلى نصر أعظم ، وتدهور حال المسلمين من هزيمة إلى هزيمة أقسى ، حتى طردوا من الفردوس المفقود نهائيا ..

## ● فى العصور الوسطى

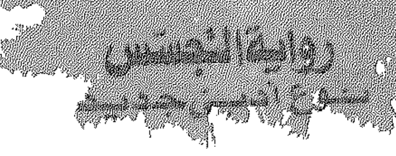
وفى العصـر الحـديث عظم دور المخابرات ، وازدادت اهمية التجسس ، وتعددت وسائله ، واتسع مجاله فلم يعد عسكريا فحسب ، وإنما شمل الاقتصاد والعلم والصناعة ، وكل مامن شأنه أن يضعف العدو إذا هوجم فيه .. وأصبح الحصول على كثير من المعلومات بأسلوب واضح مكشوف ممكنا ، بقراءة النشرات العلمية والفنية والصحافة ، وهو مايمكن أن يتم عن طريق السفارات دون حاجة إلى جواسيس ، والاستماع إلى محطات الأذاعة ، أو عن طريق تسكع أشخاص معينين فى الطرقات والمقاهى والأماكن التى يراد الحصول على معلومات بملاحظة ما يدور فيها ..

وتستخدم المخابرات الحديثة عادة بعض الأفراد من سكان البلد الذى ترغب فى الحصول على المعلومات التى تحتاجها منه ، عامة أو خاصة ، بتكوين شبكات سرية من رعايا الدولة المستهدفة ، وهؤلاء يعملون عادة نظير مكافآت مالية .. ويحملونها إلى ممثل الدولة التى جندتهم ، وهو جاسوس محترف فى الأصل ، ويقيم فى هذا البلد باستمرار ، أو لفترة محددة ..

ومثل هذه المعلومات العلنية إذا أحسن تحليلها ، وتقييمها ، وتركيبها ، واستخراج النتائج منها ، تمثل ٩٠٪ من المعلومات التى يبغى العدو معرفتها ، أما الباقى فيقوم به الجواسيس المحترفون ..

## ● الجاسوس

ثمة دوافع مختلفة تجعل من المرأة أو




الرجل جاسوسا : يتطوع حبا فى المغامرة ، أو يرى فيها مغامرة مثيرة ، أو طمعا فى كسب شخصى ، أو مرغما تحت ظروف مختلفة ، أو مخلصا يرغب فى خدمة وطنه ، وقد يكون واقعا تحت أكثر من تأثير ، وبداهة فإن من يعمل بدافع وطنى هو أفضل الجواسيس وأشدهم إخلاصا ..

وتبدأ مهمة الجاسوس لحظة اختياره وتدريبه .. وتنتهى بإنجاز مهمته ، ناجحا يعود بطلا إلى قاعدته ، أو فاشلا قبض عليه وينتهى به الأمر إلى القبر أو السجن ، وأغلب عمليات التجسس الحديثة كانت نهايتها تعسة وبائسة وغير سعيدة ، والأولى نادرا مايسمع بها أحد ، ولا تنشر وقائعها إلا بعد زمن طويل ، أما الثانية فتملأ الدنيا ضجيجا لحظة اكتشافها ..

وتقوم الجاسوسية بطبيعتها على الحيلة والخداع والخيانة ، وترتكب فى الخفاء أمورا تصبح موضع استنكار إذا عرفت ، وليس الجاسوس الناجح من يجيد التنكر ، وإنما الذى لايحتاج إليه ، وأن يكون رجل حرفة أكثر منه ذكيا ، وأكثر تحملا للمشاق منه جريئا ، ولهذا كثيرا ما تصيب المرأة حيث يفشل الرجل ، فهى أكثر قدرة منه على امتصاص الألم والمعاناة ..

## ● فى عالم الأدب

فى ربع القرن الأخير حققت رواية الجاسوسية نجاحا مدهشا ، وانتشرت عبر العالم كله إبداعا وترجمة ، حتى أن دار جاليمار الشهيرة فى باريس أفسحت لها فى سلسلتها السوداء ، التى تنشرها على نطاق واسع ، مكانا رحيبا ، وفى مجال الدراسة التى تمت .. لمعرفة دائرة انتشارها تبين أنها أكثر ما تكون رواجا فى المدن ، بين العمال والشبان ، وأقل ما تكون إقبالا عليها فى الريف بين الفلاحين ، ربما لأن قضايا الصراع الدولى والسياسى لا تعنيهم ، ولا تأخذ من اهتمامهم مساحة واسعة ، وأن الأحداث التى تجرى فيها قلما تقع عليها أبصارهم ..

وترى قلة من النقاد أن هذا النوع ولد فى فرنسا ، ومنها انتقل إلى بقية بلاد العالم ، ولو أننا نجد بعض سماته فى كتاب ألف ليلة وليلة ، فى صورة الرسل المتنكرين إلى الملوك ، والذين يختلطون بالأعداء ليلتقطوا الأخبار ، وفى مغامرات حاجى بابا ، على أنها فى صورتها الأدبية الدقيقة التى نعرفها عليها الآن ولدت مع الرواية البوليسية ، ولو أنها أبطأ تطورا منها .. ويمكن القول أن رواية « الرسالة المسروقة » لإدجار ألن بو تصور هذا النوع بدقة ، ولكن من الحق أيضا أنها خلال الحرب العالمية الأولى ، ١٩١٤ - ١٩١٨ ، وبعدها مباشرة ، بدأت تنضج وتنضج شكلا .. وتأخذ أبعادا جديدة ، ومن ذلك التاريخ كان على الجاسوس أن يقطع عبر الروايات رحلة طويلة ..

## ● المحتوى

خلال الحروب تدور موضوعات رواية الجاسوسية حول جمع الأخبار والمعلومات ، وتدمير العدو حسيا أو معنويا ، وبعدها ، فى أيام السلم ،

أسهمت بنصيب وافر فى الحرب الباردة ، كسرقة العلماء أو اغتيالهم ، والحصول على الأسرار الذرية والصناعات

المتقدمة ، وحتى المخترعات الكيمائية ، وتخريب القواعد السرية ، ويرى النقاد الآن أن هذه الموضوعات أصبحت مع تطور الأحداث قديمة ومعادة ، وحتى متخلفة ، وأن على المؤلفين أن يبحثوا عن جديد مثير ..

والمثير فى الأمر أن هذا النوع الروائى أخذ طريقه إلى الجامعات الأوربية لابوصفه أدبا وإنما بوصفه سلاحا ، فدرس طالب فى كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية فى جامعة باريس موضوع « رواية الجاسوسية والعلم السياسى » ليحصل بها على درجة الدكتوراه ، وفيها حلّل الظاهرة الاجتماعية التى أدت إلى نجاح هذا النوع الأدبى ، فى عمق ودقة ، وحدد غايتها السياسية ، ورأى أن ثمة رابطة بين رواية الجاسوسية وعصرها ..

ودلل على ذلك بأن الفترة التى سبقت الحرب العالمية الثانية ، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، كان العدو فيها إما الشيوعيين ، أو الفاشيين ، أو ممثلى الاقتصاد الدولى ، أو الألمان ، أو الخطر الأصفر القادم من شرقى آسيا ، وبعد هذه الحرب تغير الموقف تماما ، فقد بدأت رواية

الجاسوسية تبتعد عن المغامرة ، وتندمج بقوة فى الحاضر السياسى الدولى ، فهى تعرض لتجار السلاح ، والحرب الباردة ، وأسرار المخترعات والتقدم الصناعى . وسريعا أخذت طابع الأعلام ، وغايتها التأثير والتفسير ، والتفسير هنا دعامته الدعاية ، وهى أحدى الأسلحة الفعالة فى الحرب الباردة ..

فى هذا اللون الجديد من رواية الجاسوسية ارتدى الأبطال أزياء كبار المخبرين السريين فى روايات ماقبل الحرب ، وإذا كانت غاية هؤلاء أن يؤمنوا حياة المواطنين فى المدن الكبرى فإن هدف الأبطال الجدد الكفاح من أجل الوطن ، إن لم يكن العالم بأسره ، وثمة ملاحظة تلفت النظر ، وهى أن توهج رواية الجاسوسية جاء مع سقوط الرواية السوداء ، القائمة على الرعب ، ومع محاولات تجديد الرواية البوليسية والخروج بها عن مفهومها القديم ..

● كبار الروائيين

أشهر من كتب رواية الجاسوسية روبير شارل من فرنسا ، وراجت رواياته التى حملت اسم « رجل المكتب الثانى » فى أوربا الغربية خلال الحرب العالمية الثانية ، وبعدها أخذت طريقها إلى شمال أفريقيا والبلقان ، وبعده جاء بيير نور بروايته الشهيرة « جريمة مزدوجة فوق خط ماجينو » وكانت خطوة متقدمة على طريق هذا النوع الأدبى ، وجمعت بين البوليسية والجاسوسية ، وفيها يصطدم الجاسوس بمن يقاومونه ، ويلتحمان فى معركة شرسة ، على نحو ما نجد فى البوليسية بين المجرم والمخبر السرى ..

ورغم أن بيير نور يوجه إصدار سلسلة من الروايات البوليسية يكتب رواية الجاسوسية ، وتقنيته فيها ممتازة ، تسترعى انتباه الناقد وتشد اهتمام القارىء ، ولكن محتواها يفيض استعلاء قوميا ، وتعصبا ضد الآخرين ، ويبدو ذلك فى روايتيه : « فاطمة .. أتمنى لك حظا سعيدا » .. و « رفّة نسر فوق الكونغو » ، ورغم أنهما تعكسان الواقع فى دقة ، لكنه

## رواية التجسس
### نوع أدبي جديد

واقع متغير ، لم يستطع أن يقع فيه على الثوابت ، وأن يلتقط منها مادته ، ولهذا فقدتا ، رغم روعة الشكل ، أهميتهما بعد زمن يسير ..

ويحتل جان بومار مبتدع شخصية « الرجل الصينى » مكانا متميزا فى مجال رواية الجاسوسية ، لأنه يقص أحداثا عاشها فعلا ، فالرجل الصينى الذى يصوره موجود فى الحياة بلحمه ودمه ، والأحداث الأشد بعدا عن التصديق واضطرب خلالها وقائع تاريخية حقا ، ومنذ أول عمل له ، ونال به جائزة رواية المغامرات عام ١٩٣٤ إلى روايته « القطار المصفح رقم ٤ » تميز بأسلوب خاص به ، جذاب وممتع ، وبعد الحرب العالمية الثانية عاد الرجل الصينى إلى الظهور فى مغامرات جديدة ، مثل : « الرجل الصينى فى سيناء » ، و « الرجل الصينى يسرق القمر الصناعى » ، وكلها تبدو فيها خصائص رواية الجاسوسية واضحة تماما .. غير أنه مع الزمن بدأ يفقد قدرته على التحكم فى تركيب الأحداث ، فعانت روايته كثيرا من التغيير والتبديل فى الأسلوب والبناء ..

يفضل كل مؤلف من كتاب رواية الجاسوسية أن يبتدع بطلا لنفسه ، يدفع به فى كل عمل يكتبه ، هذا البطل يحمل اسم هوبرت بونيسير عند جان بريس ، وكوبلان عند بول كينى ، والغوريلا عند دومنيك بونشاردييه ، ومغامرات الغوريلا تحمل خصائص الجاسوس المتطور ، الذى يناسب عالمنا المعاصر ، ففى البدء نلتقى به فظا قاسيا ، حيوانا يتكلم ، لايختلف فى شىء عن قاطع الطريق فى روايات « السلسلة السوداء » ، ولكن دومنيك قدمت ، بعد أن جست نبض الجمهور القارىء ، فى اللحظة المناسبة ، تجربة جديدة ، فأعطت أبطالها بعدا أكثر إنسانية ، وما أسرع ما نكتشف فيهم أن وراء ظاهرهم الحيوانى ، إنسانا ذكيا يفكر ، ويتجاوز طاعة الدولة العمياء ، وغايتها المحددة ، إلى هدف أكثر نبلا يهم الانسانية جمعاء ، ويتلخص فى حمايتها من العابثين ..

ويرى النقاد أن مؤلفات جان بريس وبول كينى أدنى من مؤلفات دومنيك ، فى الأسلوب على الأقل ، فهما يقصان دائما المغامرة نفسها ، تقع فى أماكن مختلفة ، ويتخذ المؤلف من هذه إطارا خارجيا للأحداث ، ولكنها أحداث مفتعلة ، وتبدو فى الأهمال الظاهر فى بعض أجزائها كأنها كتبت على عجل ، ومع ذلك فإن القارىء يجد أحيانا فى الأهمال مجالا للتسلية ، يوقظ فيه الرغبة فى المتابعة ، ويدفع عنه الملل .

كثيرون كتبوا رواية الجاسوسية ، وبينهم من كبار الروائيين الذين يرشحهم النقد العالمى لجائزة نوبل ، وأشهر هؤلاء جراهام جرين فى روايته « رجلنا فى هافانا » ، وهم يختلفون حظوظا وتوفيقا ، وروواياتهم مثيرة دائما ، حافلة بخطوب الدهر ، وتقلبات الحظ ، ومفاجآت القدر ، وموضاعاتها تدور حول الواقع الماثل ، من أزمة سياسية ، أو اكتشاف علمى حربى مثير .. وسلاسل روايات الجاسوسية تتزايد مع الأعوام فى أوربا ، وبدأ بعضها يلتقط مادته من الأحداث الفعلية حقا ،



صالح مرسى

ويريد منها مبدعوها الآن أن تصبح واقعية حقا ، وان تصبح أدبا وثيقة ، ويطلبون من العملاء السريين فى أقلام المخابرات المختلفة أن يعودوا إلى أوراقهم ومحفوظاتهم ، فقد يجدوا فيها كثيرا صالحا ، وأن يبدأوا الكتابة فعلا ، أو يقدموها لغيرهم ممن يستطيعون أن يخلقوا منها عملا فنيا ..

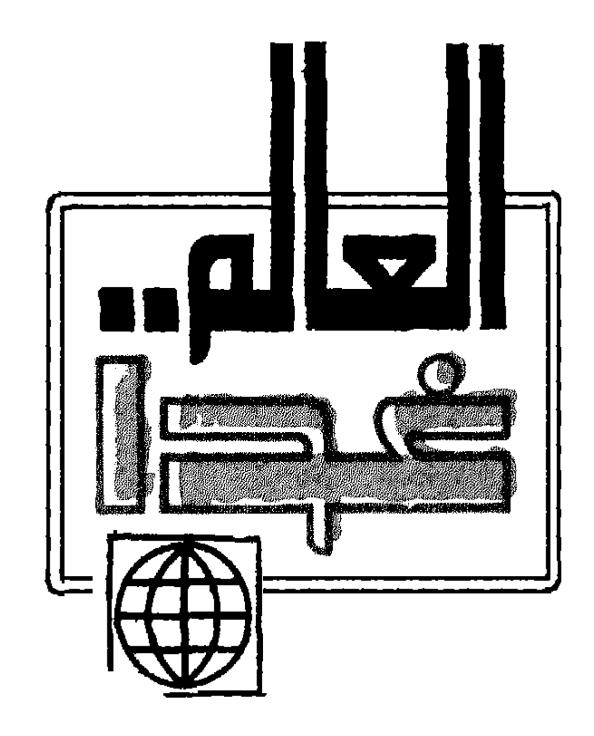
● فى الأدب العربى

رغم أن مصر ، والعالم العربى معها ، فى حاجة لأن تعرف الكثير من أساليب التجسس وطرائقه ، لتتسلح بها فى مواجهة أعدائها ، فإن الأدب العربى كافة لم يعرف هذا النوع من الأدب إبداعاً ، وحتى روايات الجاسوسية نفسها لما يترجم منها غير القليل ، رغم أن الروايات البوليسية المترجمة كانت زادا أدبيا شائعا فى مصر بين الحربين العالميتين وربما كان مرد هذا الأمر احتكار المعلومات السياسية فى فترة ما ، ومحاصرة العقل العربى فى الفترة نفسها ، وخوف الكتاب من أن يحسب عليهم خيالهم واقعا ، واحتقار الروائيين لمثل هذا النوع من الأدب ، وكل هذا وربما غيره أدى إلى انصراف الأدباء عنه تماما ..

ومادامت مصر لم تكتب فإن غيرها لم يفعل ..

وتعليلى هذا أجد له شاهدا فيما حدث مع نسمة الديمقراطية التى تهب على بلادنا الآن ، فمعها كتب الاستاذ صالح مرسى روايتيه الرائعتين : « الحفار » و « رأفت الهجان » ، وهما جيدتان بكل مقاييس رواية التجسس ، ومع أن بعض الأحداث تطول أحيانا ، وتبلغ تفاصيلها حد الملل والجفاف ، وبعض أحداثها تفتقد التوتر ، لكنهما فى مجملهما ، وهما خطوة رائدة وعظيمة فى هذا الطريق ، يمثلان إبداعاً روائيا عاليا ، وبخاصة أن أحدا لم يسبقه فيما أعلم ، ويعتمدان شأن أحدث روايات التجسس على مادة مستقاة من أعمال بطولية قامت بها مخابراتنا فعلا ، فهو فيهما ليس مقلدا ، ولا مستفيدا مباشرة من أعمال أجنبية ..

ومع ذلك فنحن فى حاجة إلى ان نترجم الكثير من روايات التجسس ، حتى تلك التى تتخذ من مصر مسرحا لها ، ليقرأها المواطنون فيعرفون أن كثيرا من الأشياء التى نصنعها عفويا فى حياتنا اليومية ، وفى بساطة متناهية ، وبعبط أحيانا ، حين نتحدث أو نقرأ أو نرحل أو نتسكع أو نقلق ، قد تكون عظيمة الفائدة لجاسوس مندس بيننا ، وصورت هذا الواقع فعلا رواية كتبها شخص من بورتوريكو جاء مصر جاسوسا لحساب إسرائيل فيما عرف باسم فضيحة لافون ، وسجل نشاطه وانطباعاته وما رأى وسمع ، فى رواية أسماها « صيف مصر العريض » ، وأرجو أن أعود إليها يوما ..




## ● المانيا تنتج جهازا طبيا اخترعه مصرى

اخترع د· منير عبد السميع الاستاذ المساعد للكيمياء بصيدلة الازهر جهازا الكترونيا يمكنه الكشف عن المواد الفعالة في العقارات والادوية والسوائل الحيوية المختلفة · وقد سجل العالم المصرى الجهاز في جمهورية المانيا الاتحادية ، وقامت احدى الشركات الالمانية بانتاجه فعلا ···

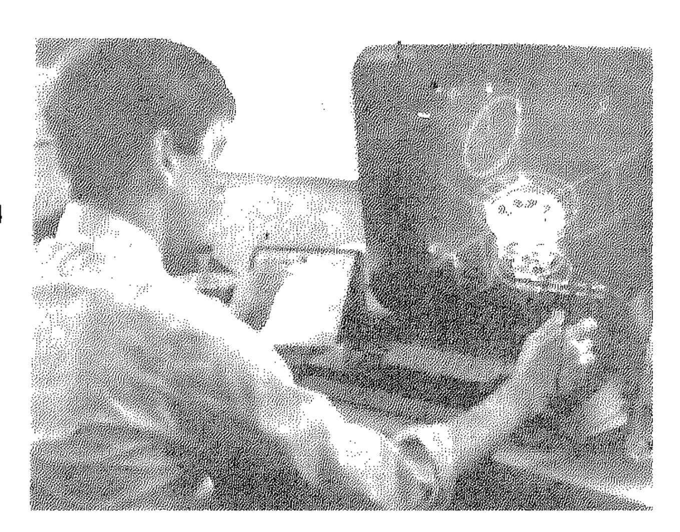
ويقول د· منير عبد السميع ان التجارب اثبتت امكان الكشف عن المواد الفعالة الموجودة في الدواء او اية مركبات حيوية أخرى ، وامكان فصل هذه المواد مهما صغرت كميتها ، وذلك من خلال عملية ميكانيكية حرارية يتم التحكم فيها الكترونيا عن طريق كمبيوتر صغير ·

ويمكن استخدام هذا الجهاز في مجالات عدة بالاضافةالى مجال الصيدلة ·· وعلى سبيل المثال يمكن الاستعانة به في الكشف عن وجود وكميات المواد الحيوية في بول ودم المرضى ، وفي فحص النباتات للاطمئنان على خلوها من المبيدات التى تضر بمن يتناول هذه النباتات ، هذا كما يمكنه الكشف عما اذا كانت الطيور والحيوانات قد تناولت الهورمونات والمضادات الحيوية أم لا··

## ● المؤتمرات الكمبيوترية

على الرغم من عدم اكتمال تقنيات المؤتمرات الكمبيوترية الا اخيرا فقد أخذت تطبيقاتها العملية في الانتشار سريعا على اتساع رقعة عالمنا ويتواصل المشاركون في هذه المؤتمرات وهم في بلدانهم من خلال كمبيوتر مركزى ، عبر شبكة الهاتف او الاقمار الصناعية ، وبامكانهم الحديث مع بعضهم مباشرة، او من خلال شاشة الكمبيوتر ، عن طريق دق الحديث على لوحة مفاتيح تشبهالآلة الكاتبة ·

ويقدر عدد من شاركوا في مثل هذه المؤتمرات حتى الان بعشرات الالاف · وتدور المؤتمرات حول موضوعاتمتباينة وبين موضوعات الشبكة الاوربية للمؤتمرات ـ مثلا ـ تجرى حلقة بحثية « حول اللغة الانجليزية : اصطلاحاتها وعاميتها » · وقد شارك في هذا المؤتمر ما يزيد على ٢٠٠ مشترك تبادلوا ٥٠٠ رسالة بحثية · وهناك برامج ومؤتمرات في فروع معرفية مختلفة ، يحظى بعضها بعدد أكبر من المشاركين ومن المساهمات البحثية في نفس الوقت ··



وتكنولوجيا المؤتمرات الكمبيوترية لا يمكن أن تعوض الاتصالات الشخصية بما تتميز به من نقاشات غير رسمية وتبادل مكثف للاراء وبالتالى فلا يمكن أن تحل بالكامل محل المؤتمرات العادية. الا انه من المستحيل على أى فرد المشاركة فى كل اللقاءات العلمية المتصلة بتخصصه ، التى تعقد فى مشارق الارض ومغاربها ، وذلك بالاضافة الى تداخل توقيت عدد منها ، والتكاليف الباهظة للسفر . ومن هنا اهمية المؤتمرات الكمبيوترية التى تتيح للباحث الاتصال بكل جديد فى مجاله والمشاركة فى المناقشات وحلقات الدرس باقل الاعباء وفى الوقت المناسب له ..

فكل مشارك يستطيع الاتصال بالكمبيوتر المركزى فى الوقت المناسب له اذ أن الكمبيوتر يتكفل بحل «مضايقات» فروق التوقيت ، ويحفظ الرسائل التى يتسلمها ، فى أى وقت حتى يطلبها من يريد . ويستطيع المتخلف أن يتصفح بسرعة كل أعمال المؤتمر ، والحصول من طابعة الكمبيوتر على المواد التى تروقه وبأى عدد من النسخ. بل ويستطيع بعد ذلك أن يدلى بدلوه ويشارك فى النقاش اذ أن هناك طورا لامتزانا ،بعد الطور الفعال المحدد بوقت المؤتمر ، تمتد فيه أعمال المؤتمر الى الوقت الذى يشاء المشاركون فى المناقشات ، طمعا فى فائدة أكبر .

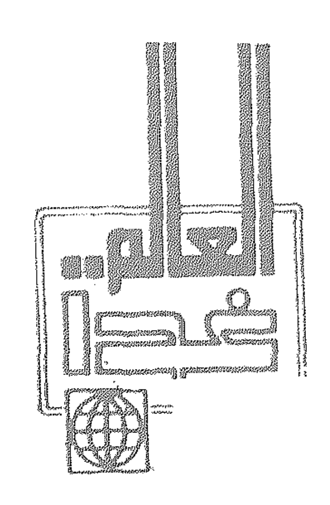
وفى عصر الانفجار الاعلامى الذى يصعب فيه متابعة سيل الكتب والمجلات والمقالات يمكن للمؤتمرات الكمبيوترية ، غير المحددة بوقت ، أن تساعد أى انسان على أن يجد طريقة بصورة مباشرة وسريعة الى أهم عناصر موضوع اهتمامه ..

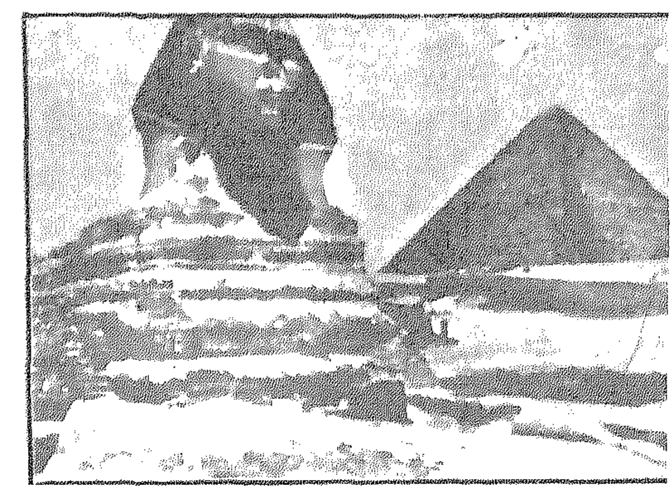
وقد قادت كل هذه المميزات ما يزيد على ٢٠ منظمة دولية بينها الامم المتحدة الى عقد مؤتمرات كمبيوترية عالمية لمعالجة مختلف القضايا ..

## ● الاهرامات مقامة فوق صخور طبيعية

منذ آلاف السنين والاهرامات المصرية تثير كثيرا من التساؤلات .. هل هى مجرد مدافن مهيبة حقا ؟ أم هى كتب حجرية لحقائق عليا فى الرياضيات والفلسفة والفلك ؟ أم هى مرصد قديم او منار لسفن الحضارات الكونية الاخرى ؟ ...

ومن أجل التوصل على اجابات للاسئلة الكثيرة المثارة يكد المؤرخون فى مراجعة المخطوطات القديمة ، والفيزيائيون فى صنع أجهزة خاصة خارقة الحساسية ، لكن الطريف أن هناك اناسا عاديين ، فى انحاء مختلفة من عالمنا ، كرسوا حياتهم لمعرفة أسرار هذه الاهرامات لاعتبارات مختلفة ..



هل اكتشف العلماء لغز الاهرام

ولعل اغرب هؤلاء هو السوفييتي اناتولي فاسيلييف الذى لم يزر مصر ابدا ، ولم ير الاهرامات وجها لوجه ، لكنه يستطيع رغم ذلك ان يسير مغمض العينين فى أى من سراديب منطقة الاهرام كلها ...

وقد ادلى فاسيلييف بحديث صحفى فى موسكو أخيرا ، زعم فيه أن افلح فى فض سر تشييد الاهرامات· وتتلخص فرضيته فى وجود صخرة طبيعية داخل كل هرم ·· وفاسيلييف يزعم أن من يؤكدون وجود مليونى ونصف مليون كتلة حجرية فى هرم خوفو ليسوا الا اناسا ساروا معصوبى العينين وراء ما قاله هيرودوت ، لان أبسط الحسابات الهندسية لا تجيز امكان تكديس هذا الكم من الاحجار دون استخدام مونة لاصقة·

ويزعم فاسيلييين ان الزاوية اللغز ( ٢٦ درجة و ٣٤ دقيقة ) في الادبيات التي تتحدث عن الاهرامات ، ليست سوى الزاوية التي اشتهرت منذ القدم بصفتها زاوية انسب وأسهل الميول لرفع الاثقال عند البناء ··

ويمضي فاسيلييف في سلسلة طويلة من الايضاحات الموثقة ليؤكد أن مدافن الفرعون ( خوفو ) واقربائه ، وصالات الحلي موجودة ولم تمس ، والاهم من ذلك انه يعرف على وجه التحديد الحجر الذى يغلق المدخل الحقيقي المؤدى اليها ··

ورغم الاعتراضات الوجيهة التي يمكن أن تنال من افتراضات فاسيلييف مثل بقاء مشكلة كيفية رفع المصريين القدماء للاحجار لغزا محيرا حتى اذا سلمنا بوجود صخرة داخل كل هرم ، ومثل لا معقولية أن يتجشم المصريون عناء الالتزام الدقيق المعجز بزاوية معينة لمجرد كونها تيسر النقل قدرا يسيرا ·· رغم مثل هذه الاعتراضات تبقى القضية الاساسية : هل تبوح الاهرامات بسرها أمام موجة الجهود الدراسية المكثفة ، التي تستخدم أحدث المنجزات العلمية ، أم انها ستظل رغم كل الجهود تثير من الاسئلة دوما ما هو اكثر مما نتوصل اليه من اجابات ، لتظل تؤرق بال الناس على اختلاف مشاربهم في مشارق الارض ومغاربها ·

## ● لاتخف من الحركة الى الخلف

ان تفادى الاصطدام خلال الحركة الى الخلف مشكلة تؤرق بال كثير ممن يقودون السيارات · وخدمة لهؤلاء انتجت شركة المانيا غربية أخيرا جهازا

يحوى عناصر حس تعمل بالموجات فوق الصوتية بتوجيه من كمبيوتر صغير ، ويقيس هذا الجهاز تلقائيا المسافة بين مؤخرة السيارة وأى جسم قد يعترض السيارة عند حركتها الى الخلف . وعندما تقل هذه المسافة عن نصف متر ينبه الجهاز السائق صوتيا وضوئيا ..

## ● تكاثر البرتقال فى المعامل

فى معامل الفاكهة والخضر التابعة لوزارة الزراعة الامريكية في باسيدنا ، وبينما كان د. تيسيرات يجرى تجاريه على تاثير اضافة المغذيات والهورمونات وغيرها من المواد الكيميائية على طعم عصير البرتقال وصفاته الاخرى ، اكتشف أن حويصلات العصير التى تتكون منها فصوص ثمرة البرتقال يمكن أن تنمو فى المعمل بعيدا عن الاشجار .

وقد توصل د. تيسيرات الى طريقة للابقاء على الانسجة التى جرت تنميتها في المعامل حية ، وفي حالتها الطبيعية، وكانت مستعمرات الانماء المعملى للحمضيات تغني فى الماضى خلالأسابيع لما ينتاب المزارع من تلوث ناتج عن فضلات الخلايا . اما المستعمرات الجديدة فيمكن أن تعيش لمدة سنة دون الحاجة الى تغير مكونات البيئة المحيطة بها .

وتجرى تنمية حويصلات البرتقال فى خزائن خاصة ، حيث يقوم الكمبيوتر بتنظيم الحرارة والرطوبة والضوء حسب الحاجة . والميزات الاساسية لانتاج المحاصيل عن طريق الانماء المعملى هى أن المحصول لا يتعرض للافات الزراعية، ولا يعتمد على مواسم بعينها ، كما أن بالامكان زيادة القيمة الغذائية للمنتج من خلال الاضافات المختلفة خلال عملية التنمية .

## ● اخر الثورات التقنية

من المعروف أن الكهرباء عبارة عن سيل من الالكترونات المتدافعة عبر الطريق الذى يوصلها من مكان الى آخر ( الاسلاك ) ، وتتفاوت مقاومة المواد المختلفة لسيل الالكترونات حين يمر فيها مما يؤدى الى فقدان فى كم الكهرباء المنقولة .

وقد داعبت العلماء منذ وقت بعيد أحلام التوصل الى موصلات لا تقاوم الكهرباء . ونجحوا فى ذلك بالفعل منذ أوائل القرن ، لكن فى اطار ظروف تبريد خاصة باهظة التكاليف ، وحكم ذلك على نجاحاتهم بالا تتجاوز جدران المعامل الا فى الحالات القليلة التى تبرر التكاليف الباهظة .

لكن العلماء توصلوا بالمثابرة الى فتوح فيزيائية بينت امكانية صنع مثل هذه الموصلات التى لا مقاومة لها فى درجات الحرارة العادية . وتفتح الانجازات الاخيرة الباب أمام انقلابات هائلة تمتد عبر مجالات تطبيقية واسعة. فعلاوة على امكانية مضاعفة قدرات وحدات توليد ونقل الكهرباء فهي تقلل من تكاليف انتاج الكهرباء الى حد يسمح باشاعة استخدام القطارات التى «تطير» على وسائل مغناطيسية بدون عجلات كما تمكن أجهزة التصوير التى تعمل بالرنين المغناطيسى ، والتى تتفوق على أجهزة أشعة رنتجن فى التمييز بين الانسجة الرخوة .. وذلك بالاضافة الى فتوح تطفر بامكانيات الحاسبات الالكترونية طفرة هائلة ...

دراسة الهلال



قصة ديون مصر الخارجية
من عصر محمد على إلى اليوم

# ديون السادات

بقلم: د. جلال أمين

**كلنا يعرف أنه خلال الأعوام الأحد عشر التى تولى فيها انور السادات حكم مصر ( ١٩٧٠ - ١٩٨١ ) زادت ديون مصر الخارجية زيادة مذهلة وانما يثور الخلاف حول الأسباب التى أدت اليها وحول قوة الأعذار التى يمكن أن تقدم لتبريرها . إن من الصعب الوصول الى مقارنة دقيقة بين حجم الديون فى بداية حكم السادات وبينها فى نهايتها ، بالنظر الى تناثر المعلومات فى مصادر مختلفة وتنوع أنواع الديون التى يشير كل من هذه المصادر الى بعضها دون البعض الآخر ، فضلا عن عدم توفر أرقام دقيقة عن بعض أنواع الديون ، خاصة الديون العسكرية . وسوف نحاول هنا أن نقدم للقارىء الأرقام على نحو يسمح بالمقارنة الصحيحة ، دون إرهاقه بتفاصيل قد تمنعه من ادراك الابعاد الأساسية لتطور المديونية ، ثم نحاول البحث عن الأسباب الحقيقية لزيادتها .**



أنور السادات



جمال عبد الناصر

ولنبدأ بأهم أنواع الديون ، وهو الدين الخارجى المدنى العام ، طويل ومتوسط الأجل ، ويشمل المبالغ التى اقترضتها الحكومة أو المؤسسات العامة ، أو المضمونة من جانب الحكومة ، لغير الأغراض العسكرية . والأرقام التى سنذكرها هنا تشمل المبالغ التى تسلمتها الحكومة ( والمؤسسات العامة ) بالفعل ، تمييزا لها عن المبالغ المتعاقد عليها دون أن يكون قد تم سحبها فى الفترة محل البحث . هذا النوع من الديون زاد من ١٫٧ بليون دولار فى سنة وفاة عبد الناصر ( ١٩٧٠ ) الى ١٤٫٣ بليون فى سنة مقتل السادات ( ١٩٨١ ) ، أى أنه تضاعف خلال حكم السادات أكثر من ثمانى مرات .

ولكن هذا النوع من الديون ، وإن كان أهمها ، لا يشمل كافة ديون مصر الخارجية ، فهناك الديون الحكومية المدنية قصيرة الأجل ، والديون العسكرية ، ثم ديون القطاع الخاص ، وكلها تفرض أعباء على حصيلة البلاد من العملات الأجنبية . ولا تتوافر لدينا الا أرقام تقريبية عن هذه الأنواع الثلاثة ، ولكن بمقدورنا تقديرها بما لا يزيد على ثلاثة بلايين فى ١٩٧٠ وبنحو ١٥ بليونا فى ١٩٨١ . معنى ذلك أن اجمالى مديونية مصر الخارجية ، بمختلف أنواعها ، المدنى والعسكرى ، العام والخاص ، وذات الأجل الطويل والمتوسط والقصير ، زاد من نحو ٥ بلايين دولار فى ١٩٧٠ الى نحو ٣٠ بليونا فى ١٩٨١ أى أنها تضاعفت خلال حكم السادات نحو ست مرات . فكيف يمكننا تفسير ذلك ؟

## الأعذار المقدمة للسادات :

إن التفسيرات المطروحة تتراوح بين ردّ هذا النمو المذهل فى المديونية الى

أخطاء السياسة الاقتصادية خلال السبعينيات ، وعلى الأخص تلك المقترنة بسياسة الانفتاح الاقتصادى وردها الى ظروف الاقتصاد الدولى التى لم يكن لمصر حيلة معها ، أو القاء المسئولية على تركة الستينيات وما ورثه أنور السادات من أخطاء السياسة الناصرية . ولكى نستطيع أن نحدد أقرب هذه التفسيرات الى الصواب ، ونصيب كل منها من الصحة ، يتعين أن نسير خطوة خطوة متبعين تطور المديونية خلال السبعينيات ، حيث أن الظروف التى واجهتها مصر خلال هذه الحقبة لم تكن ظروفا متجانسة ، وتقلبت خلالها موارد مصر من العملات الأجنبية ، والظروف الاقليمية والدولية تقلبا شديدا ، بحيث أن مايصح فى تفسير نمو المديونية خلال النصف الأول من السبعينيات قد لا يصلح فى تفسير ماحدث بعدها .

لماذا تزيد الديون الخارجية :

على أننا قبل أن نبدأ هذه المهمة نريد أن نلاحظ بصفة عامة أن زيادة المديونية الخارجية لأية دولة لابد أن يكون مصدرها المباشر أحد أمرين : إما زيادة العجز فى ميزان المعاملات الجارية ، الذى يعود بدوره الى تراخى نمو الصادرات بالنسبة لنمو الواردات ، أو الى انخفاض تدفق رءوس الأموال الى الدولة المعنية فى صورة استثمارات أجنبية خاصة أو فى صورة منح وهبات لا ترد ، أو بالطبع الى مزيج من الأمرين معا : أى زيادة العجز فى ميزان المعاملات الجارية مع انخفاض فى تدفق الاستثمارات الخاصة والمنح ، بحيث لا يبقى أمام الدولة من سبيل الى سد العجز الا الاقتراض من الخارج .

فإذا ركزنا النظر على السنوات الخمس الأولى من حكم السادات ( ١٩٧٠ - ١٩٧٥ ) نجد أن البذور الأولى للزيادة السريعة فى المديونية قد بذرت بالفعل خلال هذه الفترة ، اذ زادت الديون الخارجية المدنية العامة ( بما فى ذلك الديون قصيرة الأجل ) من ١,٨ بليون دولار الى ٦,٣ بليون ، أى بنحو ٣٥٠٪ **وبينما كان معدل النمو السنوى فى الديون الخارجية المدنية طويلة ومتوسطة الأجل ٩٪ طوال الستينيات ، قفز هذا المعدل الى ٢٣٪ فى السنوات الخمس الأولى من السبعينيات . أما الديون الخارجية قصيرة الأجل ، فبينما كانت تنمو بمعدل سنوى قدره ٢٥٪ فى الستينيات قفز هذا المعدل الى ٥٥٪ فيما بين ٧٠ ونهاية ١٩٧٥**

لا يمكننا تفسير التزايد فى المديونية خلال هذه الفترة بالنقص فى تدفق الاستثمارات الأجنبية الخاصة أو فى المنح والهبات الخارجية . فالفترة السابقة

على حكم السادات لم تشهد استثمارات أجنبية ذات شأن ، والمنح التى كانت تحصل عليها مصر قبل حكم السادات كانت تتكون أساسا من المعونات العربية ، وهذه لم تستمر فقط خلال سنوات السادات الأولى ، بل زادت بشدة عما كانت عليه فى عهد عبد الناصر . فبينما بلغ المتوسط السنوى للهبات التى تلقتها مصر خلال الفترة ٦٧ ـ ١٩٧٢ ( وجلّها من دول النفط العربية ) ٢٦١ مليون دولار ، قفز هذا الرقم الى ٧٣١ مليونا فى ١٩٧٣ و ١,٣ بليون فى ١٩٧٤ و ١,١ بليون فى ١٩٧٥ .[٤] لم تلجأ مصر اذن الى الاقتراض الخارجى فى هذه الفترة لتعويض النقص فى المعونات العربية ، فهذه المعونات زادت ولم تنقص ، بل ان الهبات والتحويلات العربية غطت في هذه الفترة مايقرب من نصف اجمالى العجز في موارد مصر من العملات الأجنبية .

يتعين اذن البحث عن تفسير لزيادة المديونية فيما طرأ على ميزان المعاملات الجارية ، أى في أداء الصادرات والواردات . وهنا بالفعل نجد بداية الاجابة . لقد زادت الصادرات حقا ( من السلع والخدمات ) خلال السنوات الخمس الأولى من حكم السادات بنحو ٢٤٠٪ ، ولكن الواردات من السلع والخدمات زادت بدورها بنسبة أكبر بكثير ( ٣٥٠٪ ) . قارن ذلك باداء الصادرات والواردات فى السنوات الخمس السابقة ( ٦٥/٦٤ ـ ١٩٧٠/٦٩ ) حيث انخفضت قيمة الصادرات من السلع والخدمات بنسبة ٧ ٪ ، للاسباب التى سبق لنا ذكرها ، ويرتبط معظمها بآثار حرب ١٩٦٧ ، ولكن انخفضت الواردات بنسبة اكبر ( ١٥ ٪ ) نتيجة لسياسة الانكماش وضغط الاستثمارات التى اتبعها عبد الناصر .

من الممكن اذن أن نقدم الاجابة الأولية التالية : **إن زيادة تورط مصر فى الديون خلال السنوات الخمس الأولى من حكم السادات ترجع الى الفشل في ضبط الواردات ولكن هذا بدوره يثير التساؤل عما اذا كانت هذه الزيادة السريعة في الواردات تعود الى خطأ فى الادارة الاقتصادية أم الى ظروف خارجية لا سلطان لمصر عليها . والواقع أن المسئولية تقع على العاملين معاً ، ولكن الأرقام المتوفرة لا تدع مجالا للشك فى أن جزءا كبيرا من المسئولية يقع على أخطاء الادارة الاقتصادية .**

مسئولية العوامل الخارجية :

فمن ناحية ، عانت مصر خلال هذه الفترة من تدهور حاد فى معدل التبادل الدولى بين أهم صادراتها ( القطن ) وبين أهم وارداتها ( القمح ) أى الانخفاض الشديد فى اسعار صادراتها بالنسبة لأسعار ماتستورده . فبينما تضاعف سعر الطن من القمح خلال السنوات الخمس بنحو أربع مرات ونصف ( من ٢٥ جنيها للطن الى ١١٢ جنيها ) ، لم يزد سعر الطن من القطن الا بنحو الضعفين ( من ٥٣٠ جنيها الى ١٠٦٨ جنيها ) ، وترتب على ذلك أن الطن الواحد من القطن

الذى كانت تصدره مصر جلب لها فى ١٩٧٥ أقل من نصف ماكان يجلبه لها من القمح فى ١٩٧٠ . ولكن من المهم أن نلاحظ أنه حتى فيما يتعلق بهذا العبء الناتج عن ارتفاع أسعار الواردات ، لا يمكن أن تلقى المسئولية بأكملها على الظروف الخارجية . فالاضطرار الى الاستيراد بأسعار مرتفعة لا يثير فقط مسئولية العوامل الخارجية التى أدت الى ارتفاع الأسعار الدولية ، وانما يثير أيضا المسئولية الذاتية عن العجز عن زيادة الانتاج الوطنى بمعدل كان من شأنه أن يغنى بدرجة أو بأخرى عن الاستيراد . وهنا تصادف بالفعل أول مظهر من مظاهر مسئولية السياسة الداخلية عن التورط فى الديون . فقد عجز الانتاج المصرى من الحبوب خلال السنوات الخمس الأولى من السبعينيات عجزا مذهلا عن مواكبة الزيادة فى استهلاكها . اذ بينما ارتفع استهلاك الفرد من الحبوب الغذائية من ٢٥٨ كيلو جراما فى السنة فى ١٩٧١/٧٠ الى ٢٨٦ كيلو جراما فى ١٩٧٥/٧٤ ( أى بنسبة ٩٪ ) انخفض الانتاج للفرد الواحد من ١٩٦ الى ١٨٧ كيلو جراما خلال نفس الفترة ( أى بنسبة ٥٪ ) ، ومن ثم ارتفعت نسبة العجز الذى يتعين تغطيته بالاستيراد من ٢٤٪ من اجمالى استهلاك الحبوب الغذائية فى ٧٠ / ١٩٧١ الى ٣٥٪ فى ١٩٧٥/٧٤(٨)

ليس من الانصاف مع ذلك ، أن نرد هذا الفشل فى زيادة انتاج الحبوب خلال النصف الأول من السبعينيات الى أخطاء ارتكبتها السبعينيات نفسها . فزيادة الانتاج الزراعى فى فترة ما تحتاج الى القيام باستثمارات وادخال بعض الاصلاحات على السياسة الزراعية فى فترة سابقة . والأقرب الى الصحة أن هذا الفشل فى تحقيق زيادة كافية فى انتاج الحبوب والانتاج الزراعى بوجه عام فى تلك الفترة بالذات ( ٧٠ ـ ١٩٧٥ ) انما يعود فى الأساس الى اضطرار مصر لضغط استثماراتها فى النصف الثانى من الستينيات وعلى الأخص فى أعقاب حرب ١٩٦٧ .

## الجريرتان الأساسيتان للسبعينيات :

انما تكمن مسئولية السبعينيات الأساسية عن التوسط فى الديون خلال الفترة ( ٧٠ ـ ١٩٧٥ ) فى أمرين :

**الأول** : اطلاق حرية الاستيراد فى كثير من السلع الضرورية وغير الضرورية ، وعلى الأخص فى أعقاب حرب ١٩٧٣ ، على نحو لم تكن تسمح به ضآلة موارد مصر من العملات الأجنبية والمعدل المنخفض نسبيا للزيادة فى

الصادرات .

**والثانى** : هو الالتجاء المفرط الى تمويل جزء كبير من العجز فى ميزان المعاملات الجارية بالاقتراض قصير الأجل وباهظ التكلفة .

### الاستيراد بلا ضابط :

أما عن اطلاق حرية الاستيراد فيجرى الدفاع عنه عادة بالقول بأن القطاع الانتاجى فى مصر كان يعانى منذ فترة طويلة ، ترجع الى منتصف الستينيات ، من ندرة السلع الرأسمالية والوسيطة ، ومن التضاؤل الشديد فى حجم المخزون من السلع الوسيطة وبعض السلع الاستراتيجية والغذائية ، الأمر الذى كان لابد من تلافيه باطلاق حرية الاستيراد اذا أريد لعجلة الانتاج أن تعود الى الدوران . كما يجرى الدفاع عنه أحيانا بالقول بأن حالة المرافق العامة كانت قد بلغت درجة من التدهور خلال الستينيات لم يكن هناك مفر من التصدى لها بزيادة الانفاق على تجديدها الأمر الذى كان لابد أن ينعكس بدوره فى زيادة الواردات وزيادة العبء على ميزان المدفوعات . ونحن من جانبنا نرى أن كلا القولين يمسان جزءا فقط من الحقيقة ولا يمكن أن يفسرا وحدهما ماحدث من تدهور فى ميزان المدفوعات ، ومن ثم لا يصلحان لاعفاء الادارة الاقتصادية فى تلك الفترة من المسئولية عن الزيادة فى حجم المديونية الخارجية .

ففيما يتعلق بالحاجة الى اطلاق حرية استيراد السلع الوسيطة والرأسمالية نلاحظ أن الواردات من هذه السلع قد زادت بالفعل بسرعة كبيرة فى أعقاب حرب ١٩٧٣ ، اذ تضاعفت الواردات من السلع الرأسمالية أكثر من ثلاث مرات ( من ٨٩ مليون جنيه فى ١٩٧٣ الى ٢٦٠ مليونا فى ١٩٧٥ ) . وتضاعفت الواردات من السلع الوسيطة نحو خمس مرات ( من ١٣٢ مليون جنيه فى ١٩٧٣ الى ٦١٩ مليونا فى ١٩٧٥ ) . ولكننا نريد هنا أن نورد ثلاثة تحفظات أساسية :

**أولها** : أن ماحدث خلال هذه الفترة من تلبية لحاجة المنتجين المشروعة الى مزيد من الواردات الرأسمالية والوسيطة يجب ألا يتخذ وسيلة لصرف النظر عما حدث خلال هذه الفترة أيضا من اطلاق حرية الاستيراد لاشباع حاجات استهلاكية بحتة لم تكن ظروف الاقتصاد المصرى وقتها تسمح بها فخلال السنتين التاليتين لحرب ١٩٧٣ زادت مثلا قيمة الواردات من السيارات بأكثر من أربعة أضعاف ، وزادت الواردات من السلع الاستهلاكية غير المعمرة بأكثر من خمسة أضعاف ( من ٤٠ مليون جنيه فى ١٩٧٣ الى ٢٢٠ مليونا فى ١٩٧٥ ) ومن ثم أصبحت قيمتها فى ١٩٧٥ لا تقل كثيرا عن قيمة مجموع الواردات من السلع الرأسمالية .

**والتحفظ الثانى** : هو أن عبارة "السلع الرأسمالية والوسيطة" تخفى فى طياتها كثيرا من السلع التى لا تساهم مساهمة تذكر فى زيادة القدرة الانتاجية للدولة ، وأنها قد تضم من السلع ماهو أقرب الى الاستهلاك منه الى الاستثمار . فمن أمثلة ذلك مواد البناء واللوريات وقطع غيار السيارات التى تخدم أنشطة

استهلاكية لا انتاجية . يؤيد هذا التحفظ مانلاحظه من تدهور بعض أهم الصناعات فى مصر خلال النصف الأول من السبعينيات . فبينما لم يزد معدل النمو السنوى فى انتاج المنسوجات على ٢٪ وفى غزل القطن على ٠٫٧٪ انخفض الانتاج فى صناعات الأسمنت والورق والسكر والسجائر وحديد التسليح واطارات السيارات والأتوبيسات .. الخ

والتحفظ الثالث : هو أن من المشكوك فيه جدا أنه كان من الحكمة اطلاق حرية الاستيراد فى تلك الفترة ، حتى فيما يتعلق بالواردات من السلع الانتاجية ، اذا كان تمويل العجز يعتمد أساسا على المزيد من المديونية . فلزيادة المديونية ثمن لابد من دفعه إن آجلا أو عاجلا ، والاعتماد على الديون لرفع معدل التنمية لابد أن يؤدى فى وقت لاحق الى التضحية بالتنمية من أجل خدمة الديون ، مالم تكن أسعار الفوائد على القروض أقل من معدل العائد على الاستثمارات التى توجه هذه القروض اليها ، وهو مالم يتحقق .

المرافق العامة كحجة للاستدانة :

أما الدفاع عن التورط فى الديون بحجة اصلاح المرافق العامة ، فهو دفاع مرفوض لأكثر من سبب . أولها ماذكرناه حالا من حماقة الاعتماد على القروض غير الميسرة لتمويل مشروعات لا تساهم مساهمة مباشرة فى زيادة الانتاج ، أو تساهم فيها بمعدل يقل عن فوائد القروض . يضاف الى ذلك مانلاحظه من أن نصيب المرافق العامة فى اجمالى الاستثمارات فى الفترة ٧١ ـ ١٩٧٥ لم يزد على ٤٪ ، الأمر الذى يؤيده أن حالة المرافق العامة فى منتصف السبعينيات لم تكن فى الواقع أفضل بكثير عما كانت فى بدايتها ، وأن الجزء الأكبر مما أنفق على المرافق العامة فى أعقاب حرب ١٩٧٣ انما وجه الى اعادة تعمير مدن القناة التى فرضتها فى الأساس اعتبارات سياسية أو مصالح اقتصادية ضيقة أكثر مما استوجبتها اعتبارات اعادة بناء الجهاز الانتاجى ، وهى على كل حال أقرب الى الانفاق الاستهلاكى منها الى الاستثمار .

ليس من الغريب اذن أن نجد أن زيادة الديون فى تلك الفترة ( ٧٠ ـ ١٩٧٥ ) لم يصحبها ارتفاع ملحوظ فى معدل النمو أو تحسن فى هيكل الانتاج . فمعدل النمو السنوى فى الناتج المحلى الاجمالى لم يزد على ٥ر٤٪ ، ولم يزد معدل النمو فى الزراعة على ٤ر٢٪ وفى الصناعة على ٣ر٤٪ وفى الاسكان على ٢٪ ، وإنما كانت معدلات النمو ( فيما عدا الكهرباء ٩ر١٤٪ ) من نصيب النقل

والمواصلات والتخزين ( ٣ر١٣٪ ) وقطاع التجارة والمال ( ٥ر٩٪ ) . ترتب على هذا أن بدأ اتجاه معاكس للاتجاه الذى ساد فى الستينيات نحو تصحيح الهيكل الانتاجى لصالح القطاعات السلعية . فمع بداية السبعينيات بدأ نصيب القطاعات

السلعية فى التضاؤل ونصيب الخدمات فى التزايد حتى أصبحت صورة الاقتصاد المصرى فى منتصف السبعينيات أسوأ مما كانت عليه فى نهاية الخمسينيات من حيث التوزيع النسبى للناتج الإجمالى من القطاعات السلعية وقطاعات الخدمات .

الاقتراض قصير الأجل

أما الجريرة الثانية للسياسة الاقتصادية فى النصف الأول من السبعينيات فتتمثل فى زيادة الالتجاء الى القروض قصيرة الأجل من البنوك التجارية ذات أسعار الفائدة التى تجاوزت فى بعض الأحيان ١٥٪ .. وقد زاد هذا الاعتماد على القروض قصيرة الأجل فى أعقاب حرب ١٩٧٣ حتى بلغت نسبة هذا النوع من القروض بما فى ذلك تسهيلات الموردين فى ١٩٧٥ نحو ٣٥٪ من إجمالى ديون مصر المدنية . وقد حمل هذا النوع من القروض ميزان المدفوعات أعباء ثقيلة لا تتمثل فقط فى الفوائد الباهظة المستحقة عليها ، ولكن أيضا فى المبالغ المستحقة للتأخر فى سدادها ، وقد كان من الممكن تجنب هذا وذاك لو لجأت الحكومة الى كبح جماح الاستيراد ، بما فى ذلك حتى بعض السلع الوسيطة والرأسمالية ، فى مواجهة الارتفاع المفاجىء فى أسعار الواردات الاستهلاكية الضرورية ، كالقمح والدقيق .

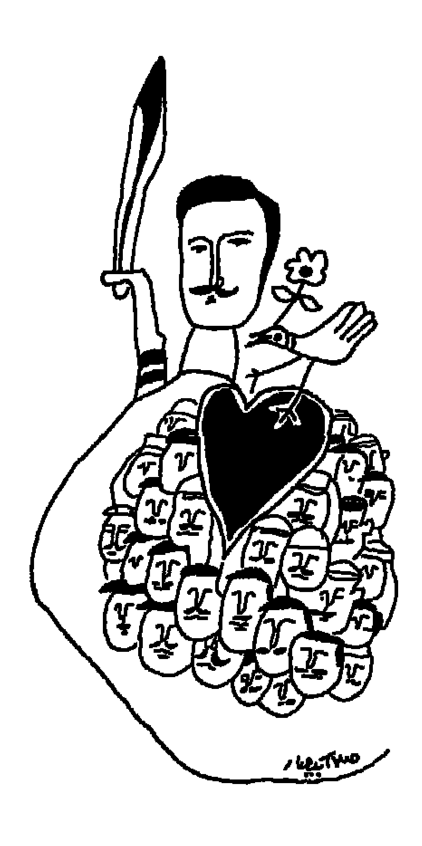
**خلاصة تقديرنا إذن للسنوات الخمس الأولى من السبعينيات هى أن الاقتصاد المصرى لم يجن كثيرا خلالها فى مقابل زيادة التورط فى المديونية ، سواء من حيث رفع معدل النمو ، أو تغيير هيكل الاقتصاد ، وتكاد تنحصر الثمار الاقتصادية لهذه الفترة فى بداية إعادة تعمير مدن قناة السويس وإعادة فتح القناة وتطهيرها ، واستكمال النقص فى المخزون السلعى من بعض المواد الأولية والوسيطة .**

**أما حرب ١٩٧٣ فقد اعتمد فى تمويلها فى الأساس على الهبات والمنح العربية ومن ثم لا يجوز التعلل بها لتبرير زيادة المديونية .**

**على أنه أيا كانت تحفظاتنا على السياسة الاقتصادية خلال السنوات الخمس الأولى من حكم السادات ، فإن الأخطار التى ارتكبت خلال النصف الثانى من حكمه كانت أخطر شأنا بكثير وأبهظ ثمنا ، وهى التى تمثل فى رأينا تركة السادات الحقيقية التى ورثها للاقتصاد المصرى من بعده ، وسوف نتناولها فى المقال القادم .**




## ● ماذا يفيد الانتظار ؟ ●



تتوهجين الآن فى صـــدرى
بجمر الانتظـــار
يا قبلة الارواح فى وطنى
المعــذب بالحصـــار
ها انت تشـــتعلين اغنية
على شـــفتى
على شفة الصـــغار
ماذا يفيد الانتظار ؟
ماذا يفيـــد الانتظار ؟
ان لم نخض نحــن المعارك
من سوانا يستعيد لنـــا الديـــار
تتطهرين الآن فى عينى
بدمع الاشتياق
يا دولة العرب التى قد هدها
طول الشـــقاق
ها انت ترتحلين حـــائرة
بلا وطن بلا ارض تزار
فالى متى هذا الدوار
والى متى سنظل نشعر بالاسى
بالانحســـار

محمد ابراهيم المجريسى
ابو تيج

## ● اقتراحات قارىء ●

● اقترح ان يقوم الهلال بمشروع ثقافى وفكرى ضخم يتناسب مع رصيده التاريخى فى مائة عام ·· ويفترض فى هذا المشروع ما يلى :

● اعادة طبع الاعـــداد الممتازة من الهلال التى صـــدرت فى المناسبات القومية والوطنية والتاريخية وعلى سبيل المثال لا الحصر اعداد : العرب والاسلام ـ ثقافتنا فى مائة عام ـ الفاروق ـ ابو العلاء المعرى ـ العرب والديمقراطية والاعداد التى صدرت بمناسبة مرور أربعين او خمسين عاما على صدور الهلال ·

● اعادة طبع الاعداد الممتازة من الهلال والتى صدرت عن : احمد شوقى وطه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ٠
● اعادة طبع الاعداد الاولى من سلسلة كتاب الهلال ومنها : مذكرات اعلام السياسة والفكر والادب والفن الاستاذ الامام وعبد العزيز فهمى ونجيب الريحانى ، والكتب التى كان الهلال يصدرها سنويا كهدايا ٠
● اعداد كتاب عن الهلال المجلة والمؤسسة الصحفية فى مائة عام متضمنا مقالات عن الهلال فى تطوره ونشاته ٠

عمرو عبد المنعم حموده

## ● اواه ياحب ●

اواه يا حب اضنيت الفؤاد معك
اودعته سرك السامى فما خدعك
حتى اصبت له من كل اغنية
ذكرى واحكمت فيه السحر ما وسعك
تركته حائرا يلهو الغرام به
ويستحل الاسى مسعاه اين سلك
يعوم بحر الامانى ظامئا سهدا
ويجعل الحزن خلا ٠٠ والهناءة لك
فالطف به واهده حبا ومكرمة
ان المحب فقير ما سعى وملك

عبد الرحيم المامسخ
سوهاج

## ● الحماقة ! ٠٠ ●

● اكتب القصص القصيرة واشترك بها فى المسابقات فتحوز قبولا ، وكتبت أيضا الشعر ، لكنه لا يتعدى الابيات القليلة ٠ وهذه ابيات تعليقا على قول الشاعر العربى :

لكل داء دواء يستطب به
الا الحماقة اعيت من يداويها

فانا بعون الله اقول :

ما خلت شيئا كالحماقة داء
خليفها وصديقها الغباء
لكل داء بلسم يشفى به
الا الحماقة ليس لها دواء
اعيت قديما فلاسفة الزمان
كذا اتعبت الانبياء




فلا تصحبن « ما حيت » الدهر أحمقا
صحبة الحمقى بلاه
هذه ابيات ارجو ان تحوز القبول « انشاء الله » ٠
« الراسل »
جمال محمد جمال طلى
كلية الشريعة والقانون ـ طنطا

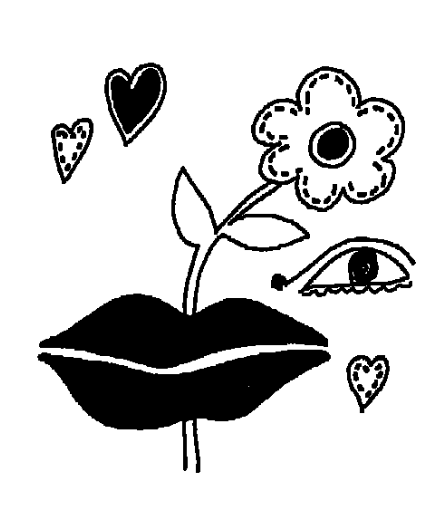
● تعليق :

ـ لم نطلع على قصصكم ٠ اما شعركم هذا فليس فيه شيء موزون الا قولك « ما خلت شيئا كالحماقة داء » وقولك : « صحبة الحمقى بلاء » ٠٠ ولكن هذه الشطرة من وزن والاخرى من وزن آخر ، وكذلك قولك « لكل داء بلسم يشفى به » ٠٠ فهذا « رجز » ويصبح من « الكامل » لو اضفت حرف الواو الى قولك « لكل » ٠٠ أى تقول : « ولكل داء بلسم يشفى به » وما عدا ذلك فلا وزن ولا شيء من الشعر فيه ، دعك من الاغلاط اللغوية والاملائية كقولك « ما حيت » وصحتها « ما حييت » وقولك « انشاء الله » وصحتها « ان شاء الله » وقولك « الراسل » وصحتها « المرسل » ! الخ ٠٠

## ● عصير قلب ●

عصرت قلبى فى طبق من حروف ، فلماذا لا ترشون على صفحات مجلتكم عصيرى ؟! يا ترى هل اذهب لمجلس الامن حتى اطالب كالفلسطينيين بحق تقرير مصيرى ؟! ٠٠

امنحيني عشقا طويل الاجل
ان قلبي مسافر فى الازل
قدري خيط من شموس الهوى
فاغزليني في الحب مثل الغزل
متعب في بحر الهوى زورقي
وانا لا أريده أن يصل
آه من عينيك التي ابحرت
في المدى والنجوم عندى تمل
ان كتبنا رسائلا في الهوى
تتعاطى بين السطور القبل
قد تحكمت فى الذى قلته
فهواك الختام والمستهل



عبد الله السمطى ـ آداب عين شمس

● تعليق :

- يا بنى لا تنفخ فى مشكلتك الخاصة حتى تبدو لعينيك كأنهـــا

مشكلة فلسطين التى هى مشكلة شعب عربى مطرود من أرضه ، أما أنت فحين تبلغ درجة من النضج فى الشـــعر ، فسترى شـعرك منشـورا فى صحف كثيرة ·· حاول أن تكون هادىء الاعصاب ، مقبول الكلمات عند من تخاطبهم ، وقد سبق أن نصحناك بذلك ، وقـد نشرنا بعض قصيدتك هنا ولا نعلق على شىء من أوزانها ولا كلماتها ، ونحن نرى أنك - رغم كل شىء - ذو شاعريةسوف ينضجها الزمن ، لكنا نلفت نظركم الى أنكم قلتم : « آه من عينيك التى أبحرت » ومادامت العينان اثنتين فلابد لك من أن تقول « اللتين » !

● الى متى ●

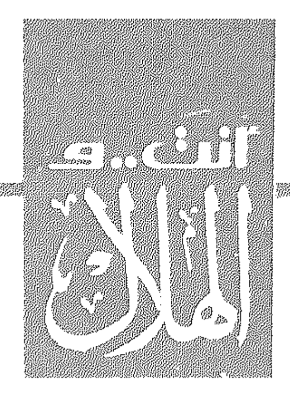
اليوم قلت لاخـوتى :
والى متى
سيظل فينا الحلم يعصف بالحقائق
ونعيش فى أوهامنا ·· نبنى قصورا
فى الخنـــادق
وعدونا ·· مازال فوق رؤوسنا
يزداد نورا بالحرائق
النار تسعد بالحريق ··
والبحر يحتضـن الغـريق ··
والموت يحيـا بالمشـانق ··
لكنـــه ··
مازال يخجل أن يفوز بعمرنا
الموت يخجل من حقيقة أمرنا
نحيا هنا ·· تحت الخنادق
ها هنـــــا
الكل نافق
والى متى ؟؟···



خالد سعد الدين محمد الصغير

● عيد ثورة يوليو

الشـــمس فى عينى بريق ســـــاحر
والزهـــر من حـــولى سعيد ناضر
والشـــعر فى نفسى خجـــول عـــاجز
والشـــوق فى قلـــبى عـميق ثـــائر
وأهل يوليو شامخا ··· من حقـــه
بين الشهور - جميعهـا - يتفـــاخر



في ثـورة الاحـــرار في أوطـــانهم
مـا العيش لو يطغى الهوان القـــاهر
عزم الشــــعوب ينيلهـــا أمجـــادها
ان الحيـــاة لمـن يفي ، ويثـــابر ..

أيمن دسوقي
القاهرة ـ مصر القديمة

## ● تجربة فى الشعر ●

● أود أن أعرف سعادتكم انني على صلة وثيقة بالهــلال الحبيبة وخاصة باب « انت والهلال » وكانت اول رسالة تنشر لى فى العدد رقم أو شهر سبتمبر سنة ١٩٨٥ وهذه الرسالة هى الثانية لى ، ابعث بها اليكم أملا أن تلقي بعض الاهتمام من قبلكم كما عودتمونا دائما « بالاهتمام » بكل الرســائل الادبية .

سيدى الأستاذ ... اسمحوا لي ان ألقي على أنظاركم تلك القصيدة متسائلا هل هذا « شعرا » وهل يمكن أن أصبح شــاعرا في المستقبل ...؟ ارجـو ان تهدونى بالاجابة التى أعتبرها حكما عادلا ولكن منى جـزيل الشـــكر والعرفان ..



وهـذه هي القصـيدة :

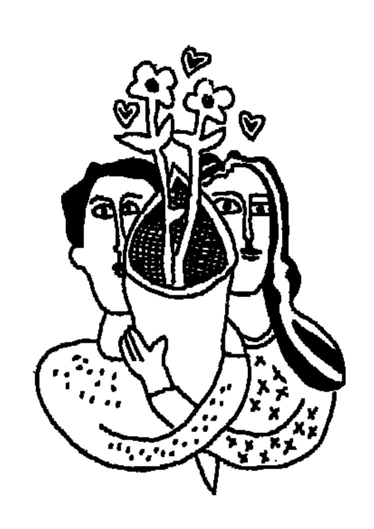
لن « تولــدين »
يا من بي لا تدرى
ما حبك من تـكونين ؟...
لقد صــار قلبى رحم
هيـا ارتعى فيـه
ولو « تمزقيـــه »
لكنك لن « تولــدين »
ان مت لن « تموتين »
سيرعاك الهوى فى فؤادى ..

خالد حسن على
ليسانس الصحافة بسوهاج

### ● تعليق :

ـ نشكركم على حسن ظنكم ، اما شعركم فينقصه الوزن ، وهذا الذى ننشره لك هنا انما هو نثر ، والاخطاء النحوية واللغــوية فى نثرك وشعرك ليست قليلة وقد وضعنا بعضها بين أقواس ، حاول ان ترفع مستوى أسلوبك فى النثر فهذا أجدى ، ودعك من الشعر !..

## ● ذكرى ●



ســـتبقين فى القلـــب ذكـــرى
تفيضين حبـــا وســـحرا
ويســعى خيـــالى اليـــك
فانسى مـن الهجـــر غـــدرا
ويبقى بســـمعى صـــداك
لاتتلـــوه الدهـــر شـــعرا
فقـــد كـــان قـــربك منى
يصـــور لى الليـــل فجـــرا
عطـــاؤك لى لن يـــزول
سيبقى مدى العمـــر عمـــرا

حسن على محمد جابر
الاسكندرية

## ● مع الاصدقاء ●

● قداش صالح ـ عزابة ـ جمهورية الجزائر :
ـ نشكركم أجزل الشكر على كلماتكم الطيبه وعلى « الكارت » الملون الذى ارسلتم به الينـا ٠

● اشرف يوسف عمر ـ قنـا :
ـ قصيدتك التي تقول فيها : « يا أيها الزمان ٠٠ لماذا لا تعطينا الامان٠٠ تريد أن تقتلنا ٠٠ بالآه والاحزان ٠٠ » ٠٠ خالية تقريبا من الوزن ، فضلا عن خلوها من المعنى الجيد ، ولعلك مازلت صغير السن ، فلا تيأس ، وان كان الافضل ان تهتم بتثقيف نفسك ، وليس من المهم أن تقول الشعر ، فالشعر صعب وطويل سلمه ،كما يقول الراجز ٠٠

● تامر محمد حسن المطيعي ـ اسيوط :
ـ قصيدتك التى عنوانها « الهوى الابدى » ينقصها الوزن فى جميـع ابياتها مع الاسف ، ومازلت ناشئا فى الشعر ، فلعلك تتقدم مستقبلا ٠

● اشرف محمد ابو العز ـ المعصرة :
ـ انت مكثر فى قول الشعر ، ولك اشعار موزونة ، واخرى تفتقر الى الوزن ٠٠ وواضح انك تحب الشعر وانك لا تريد ان تنصرف عنه ، فلعـل المثابرة تصنع لك خيرا ان شاء الله ٠

● عاصم فريد البرقوقي ـ جليم ـ الاسكندرية :
ـ نشكر لكم حسن ظنكم ، ومثابرتكم على الكتابة الينا بانتظام منـذ عدة سنوات ، فانت صديق دائم حقا ٠٠

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

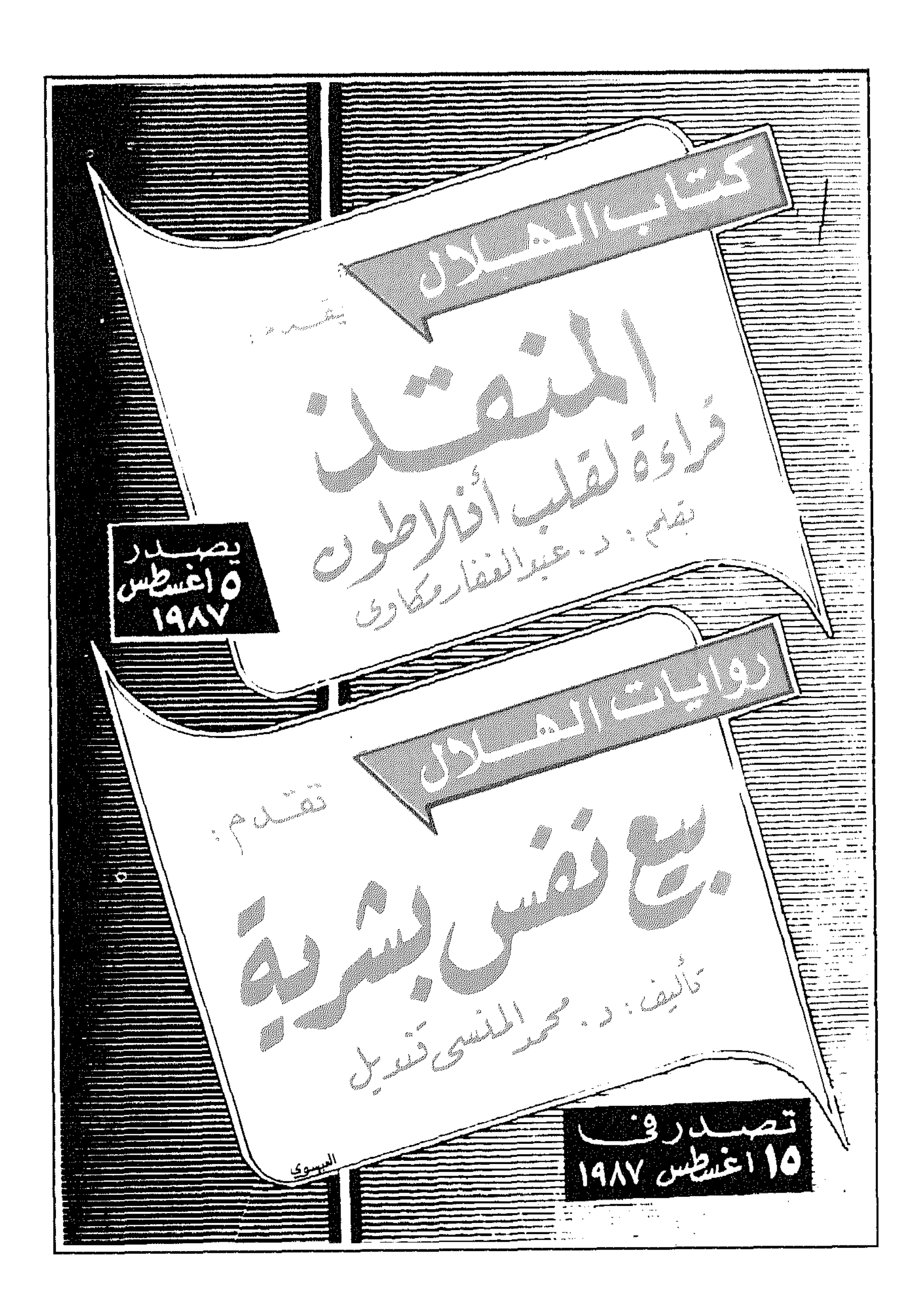
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقداً أو بحوالة بريدية ـ غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

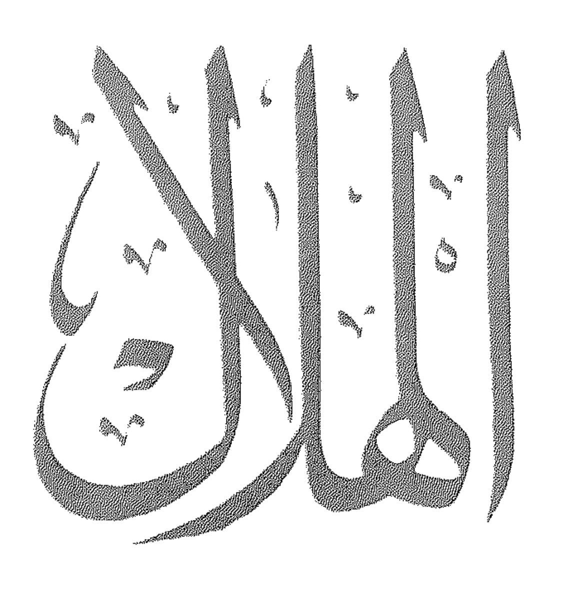
وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

أسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

| البلد | السعر | العملة | البلد | السعر | العملة |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٨٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٥٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبـى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |


كتاب الهلال
يقدم :
المنقذ
قراءة لقلب أفلاطون
بقلم : د. عبد الغفار مكاوى
يصدر
٥ اغسطس
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم :
بيع نفس بشرية
تأليف : د. محمد المنسى قنديل
تصدر فى
١٥ اغسطس ١٩٨٧




سبتمبر ١٩٨٧ • الثمن ٦٠ قرشا

## توفيق الحكيم: ورسالة من العالم الآخر

## المرأة.. والحريم



# الهلال

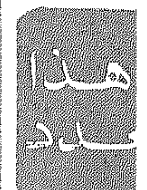
السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جرجى زيدان عام ١٨٩١ - أول سبتمبر ١٩٨٧ م - ٨ محرم ١٤٠٨ هـ



# من روائع الفن الإسلامى

لوحة من الفن الإسلامى تحمل اسم « لقاء الأساتذة » مرسومة فوق ورق مصقول للفنان الهندى رضا عباسى . فى مطلع القرن السابع عشر الميلادى ويبلغ طول اللوحة ٤٢,٩ سم . اللوحة محفوظة فى متحف فنون الزخرفة بطهران وتكشف مدى أسبقية الفنان لكل المدارس الفنية الحديثة التى حطمت المناظير الثابتة والتقليدية .




الغلاف :

تفصيل من لوحة

للفنان : حلمى التونى

## ● فكر وثقافة ●

ص



## ● جزء خاص عن المرأة ●



## ● رسالة لندن :

## ● قضايا ومواقف ●



## ● فن تشكيلى ●



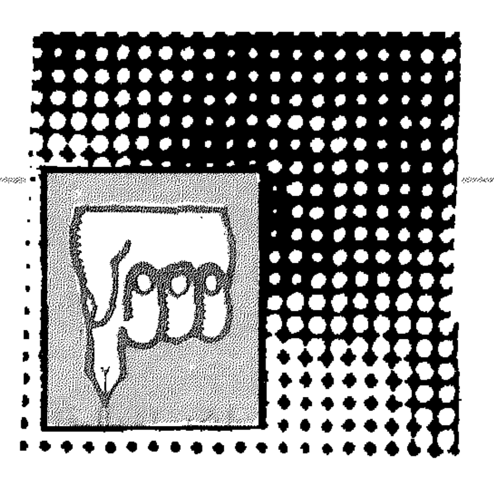
## ● قصة وشعر ●



## ● دراسة الهلال ●

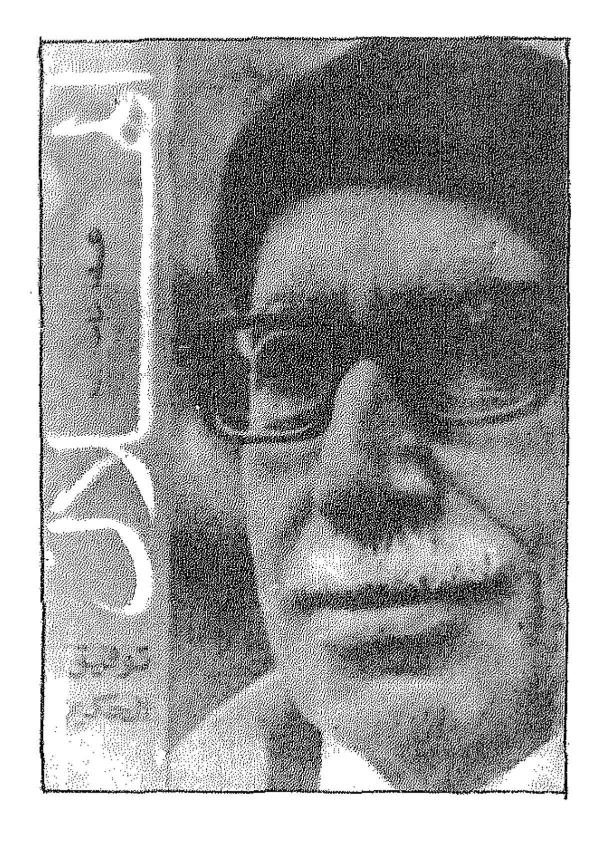


## ● الأبواب الثابتة ●



عزيزي القارئ

# توفيق الحكيم على صفحات الهلال



في هذا الشهر يبلغ الهلال عامه الخامس والتسعين ، وهو عمر مديد سعيد إذا أتيح بلا انقطاع لأية صحيفة مصرية أو عربية ، شهرية أو اسبوعية أو يومية .. فلا توجد الآن في مصر والعالم العربي مجلة شهرية ولا اسبوعية صدرت بانتظام طوال خمسة وتسعين عاما ، أو ما يقارب هذه المدة ، إلا صحيفة يومية واحدة تجاوزت ذلك بسنوات قلائل .

وبعض كرام القراء يسألوننا منذ اليوم عما أعددناه للاحتفال بالعيد المئوي للهلال . ولا نحسبهم متعجلين ، فما أسرع انقضاء الشهور والسنين !..

ولكنا نَقْصِرُ نجوانا إلى القارىء فى هذه المناسبة على أمر واحد ذى أهمية جوهرية فى استمرار الهلال على أداء رسالته طوال هذه السنين الخمس والتسعين .. وإلى ما يتلوها من السنين إن شاء الله .

ذلك الأمر الواحد هو علاقة الهلال بكبار أدباء مصر والبلاد العربية ، فقد توثقت هذه العلاقة وامتدت فى كل الأحوال حتى صارت مجلدات الهلال معرضا للفكر العربى كله على امتداد حوالى قرن من الزمان حتى الآن .

وقد حدثناك فى الأعداد الماضية عن طه حسين وعلاقته بالهلال ، وكيف نشر فصول أشهر كتبه "الأيام" على صفحات الهلال قبل أن يطبعها فى كتاب .

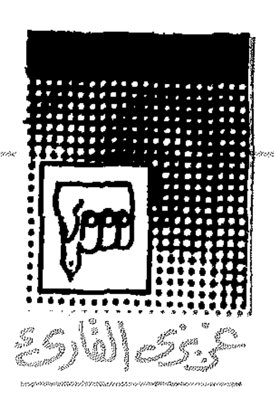
وكنا على نية أن نحدثك فى هذا العدد عن توفيق الحكيم ، مرتقبين شفاءه ، ولكن الموت كان على موعد مع هذا الكاتب العظيم الذى ملأ الدنيا وشغل الناس بكتاباته المتنوعة الثرية أكثر من خمسين عاما ..

بدأت صلة توفيق الحكيم بالهلال منذ الثلاثينيات ، وتحفل مجلدات الهلال بمقالاته التى تمتاز بالإيجاز والسخرية وارتياد الآفاق الفكرية الجديدة ..

وكانت الهلال تنشر فصولا من كتب الحكيم التى يصدرها "كتاب الهلال" فى طبعات جديدة ، ومنها كتاب "يوميات نائب فى الأرياف" وكتاب "عصفور من الشرق" وكتاب "مدرسة المغفلين" وكتاب "أشعب" وطائفة من كتبه الشهيرة الأخرى .



ومن أظرف ما نشرته "الهلال" مساجلة بين توفيق الحكيم وفكرى أباظة ـ رحمهما الله ـ حول "فتاة الأحلام" التى يحلم بها كل منهما ويتمنى الزواج منها .. وكان توفيق الحكيم وفكرى أباظة عندما نشر "الهلال" مساجلتهما فى ديسمبر سنة ١٩٣٨ أشهر "العزاب" فى الأدب والصحافة .. وفيما يلى المساجلة بنصها الحرفى :




## ● من توفيق الحكيم إلى فكرى اباظة ●

عزيزى الأستاذ فكرى اباظة

في هذه الايام الجميلة التى تحتفل فيها البلاد بالمولود الملكى السعيد ، لاشك فى أنه قد خطر ببالك ان يكون لك انت ايضاً ولى عهدك على عرش الفكاهة . غير انه ـ كما تعلم ـ لابد دون ذلك من أن تتزوج . هذا شرط أساسى فيما اظن . فما العمل ؟ وما هو المانع عندك ؟

قد تقول إنك لم تصادف بعد "فتاة أحلامك" ؟ هذا جائز . ولكن قل لى : ماهى "شروط ومواصفات" هذه الفتاة ؟ لعلى من جهتى أعثر لك عليها فاكون قد أسديت الى الانسانية ، والى الفكاهة المصرية ، بعض الفضل فى ايجاد "فكرى أباظة الصغير" الذى يشرح صدور الاجيال المقبلة .

أخشى أن تهرب من الاجابة بتوجيه مثل هذا السؤال إلىّ انا ، فتوفيراً للوقت أسرع وأقول لك : إنه ليس لى من الشروط التى ينبغى أن تتوافر فى زوجة أحلامى غير اثنين :

أولا ـ أن :

أحبها وتحبنى ويحب ناقتها بعيرى

ولا تعلق اهمية كبرى على مسألة الناقة والبعير . فالشطر الأول من البيت يكفينى .

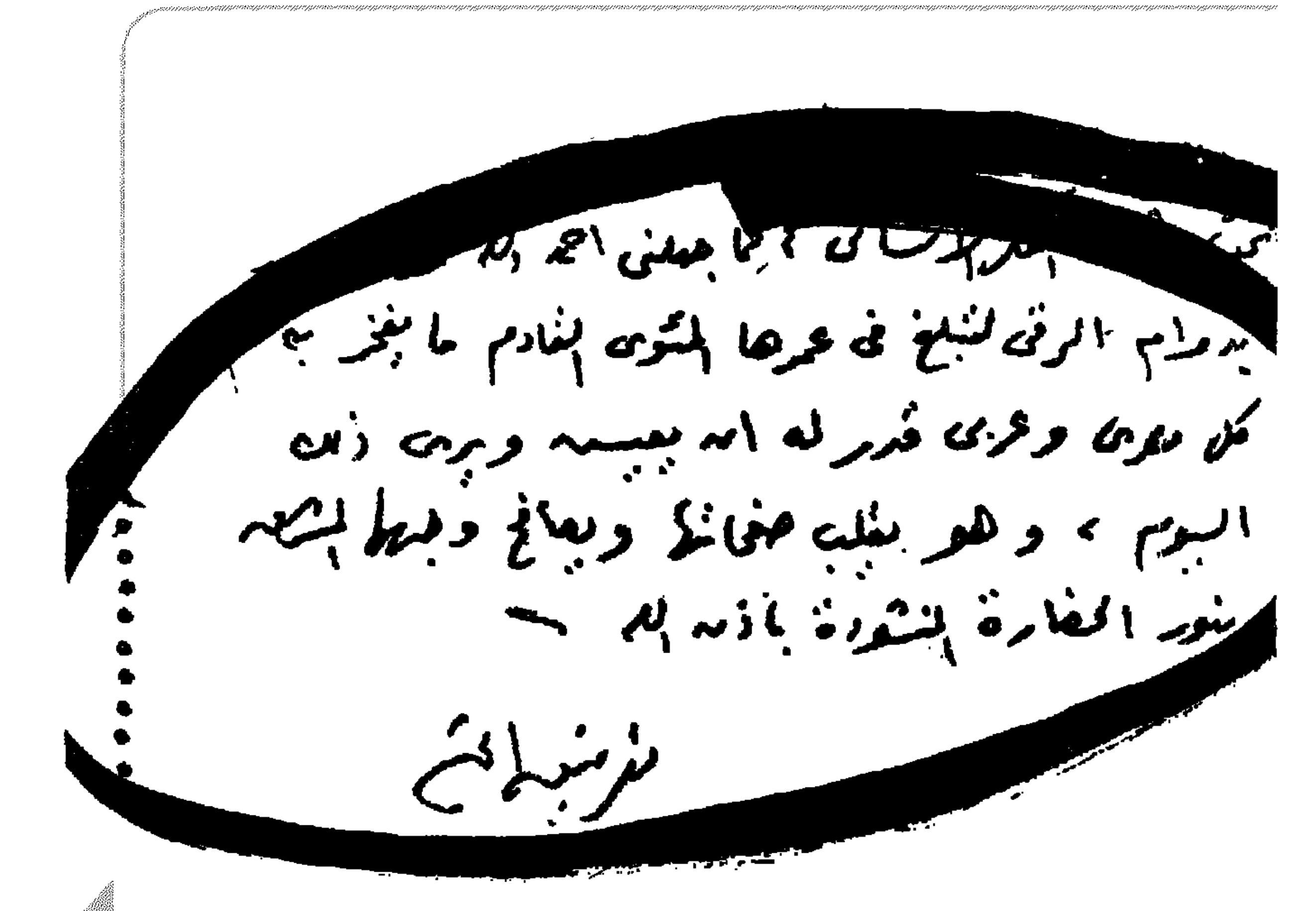
ثانياً ـ أن تكون جاهلة انى كاتب يؤلف كتباً وينشر فى الصحف ، وان تظل تجهل "عيبى" هذا حتى آخر حياتها او حياتى .

اذا ظفرت لى بمن يتوافر فيها ذلك . فهذا توكيل رسمى منى اليك أن تعقد لى عليها بدون إذنى ورايى ، والسلام .

## ● الى توفيق الحكيم ●

عزيزى الأستاذ توفيق الحكيم

... دعك منى أنا قليلا ولنتكلم عنك أنت قليلا .. سبحانك ربى ، آمنت بأنك على كل شيء قدير !

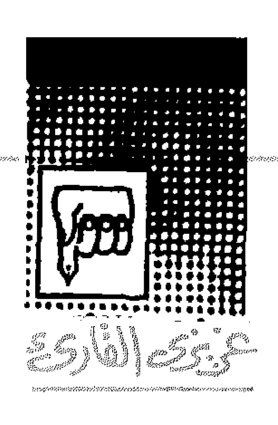


بدوام الرقى لنبلغ فى عمرها المستوى القادم ما يخرج به
كل مصرى وعربى قدر له انه يعيشه ويرى ذلك
اليوم ، وهو يتقلب صفحاتك ويصافح وجهها المشرقة
بنور الحضارة المشرقة باذن الله —

ها قد بدأ "عدو المرأة" يلين للمراة . هاهو ذا يحركنى لأعلن عنه انه قد تاب وأناب ، واستغفر واستسلم ، ورفع راية الخضوع بعد راية العصيان ..

هنيئاً لدولة الجنس الناعم هذا الظفر وهذا النصر . "توفيق الحكيم" يبحث اليوم عن "زوجة أحلامه" ! وعن حبها وحبه ! وعن بعيره وناقتها ! ولكنه يتقهقر بانتظام فيشترط شروطاً بل شرطين اثنين فقط لا غير :

"اولهما" أن يحبها وتحبه . واقسم ان شرطه قد تحقق سلفاً ، وانه فى لمح البصر يحب ، وفى لمح البصر يحب .. اى صديقى : عندك السمر والبيض ، والخمريات والسمهريات ، والرقيقات والمدملجات ، اختر منهن من شئت .. عندك ذوات الشعر الأسود والأشقر والكستنائى والفضى والذهبى ، اختر منهن من شئت .. عندك ذوات العيون العسلية والعربية والفسدقية والبنفسجية والجنزارية ، وعندك عيون المها وعيون القطط وعيون اليابان ، اختر منهن من شئت .




عندك ذوات "الشيان لو" ومقطعات "بتهوفن" وراقصات الكونتننتال والرومبا والفالس ، أختر منهن من شئت .. عندك المتحفظات المصليات العالمات المثقفات ، اختر منهن من شئت . ملايين الأصناف والعينات ياسيدى ، فلو شئت مصرية فعندك مصر كلها ! وإن شئت فرنسية او امريكية أو المانية او هنجارية او روسية ، فعندك الدنيا القديمة والحديثة معاً ! الا يقع حبك على واحدة من هؤلاء ؟..

اما ان يحببنك فانا كفيل بانك جدير بحبهن جميعاً ، وإن ادعيت انني اكثر منك تجربة قلت لك : إنه لا توجد فتاة لا تحب اليوم مثلى ومثلك ، ومن هم دونى ودونك ، فكل بنت تحب . لأن كل بنت تريد أن تتزوج !

* * *

اما شرطك الثانى وهو ان تجهل انك كاتب ومؤلف وتنشر فى الصحف ، فلعلك تقصد "التجاهل" لا "الجهل" وهذا شرط هين ، ورجولتك كفيلة بان تحملها على حبك مع ملحقات كتاباتك ، ومؤلفاتك ومنشوراتك ...

بما لى من صفة "الوكالة" عنك ـ كما ذكرت فى خطابك ـ اعلنك بأننى سأزوجك قريباً إن شاء الله ...

بقيت انا ...

ومالك ومالى ياسيدى ...

لا تصدق اننى لم أجد فتاة احلامى . وجدت بالفعل مئات من فتيات الأحلام . ولكنى ما قاطعت الزواج ، رهبة من الزواج . وانما إشفاقاً على "فتيات الأحلام" ان يتعسهن الزواج من رجل مخاطر ، مغامر ، بوهيمى ، لا يقر له قرار . لأن الزمن جعله ممن لا يقر لهم قرار ..

امثالنا من الذين يخوضون معارك السياسة ، ويصعدون فى "بورصتها" ويهبطون ، لا تامن معهم زوجة على حاضرها ولا على مستقبلها . اخشى يا صديقى ان مثلى حين يتزوج يفضل حتما امنه الخاص على امن البلد ـ وطمانينته الخاصة على طمانينة البلد ـ وسعادته الخاصة على سعادة البلد ـ وحياته الخاصة على حياة البلد .

الم يقل سيد الناس : "الاولاد مبخلة ومجبنة" ! لقد سلخت من عمرى اربعين عاماً كريماً شجاعاً ، ولا اريد بعد الاربعين ان اختم حياتى بخيلا او جباناً ..

ولى الوقت ياسيدى وضاع !...

واحسرتاه ...

فان ضمنت لى ان البلد قد استقرت امورها ، واستتب امنها ، وتدعمت رجولتها ، وذاعت نزاهتها ، وتطهرت حزبيتها ، وترفعت زعامتها ، فلم تجنح بعد الى مذبذبين ، ونفعيين ، ومنافقين ، ووصوليين .. مَنَحتُك من الآن "توكيلا رسمياً" بان تعقد لى على اية مخلوقة بغير شروط ولا مواصفات ...

فان لم يكن هذا كله قد حصل ، فدعنى حتى يزوجنى القدر !...

فكرى اباظة

## ● ماذا يريد من الحياة ؟! ●

وجمعت "الهلال" بين الأستاذ العقاد وبين توفيق الحكيم فى حوار بينهما حول هذا السؤال : ماذا أريد من الحياة ؟! ودارت حول هذا السؤال خمسة أسئلة ، هى :

١ ـ هل ظفرت بما كنت تريده من الحياة ، وهل كان لك هدف خاص حاولت أن تبلغه فبلغته ؟!

٢ ـ هل تحب نفسك الآن أكثر مما كنت تحبها فى أيام الشباب ؟

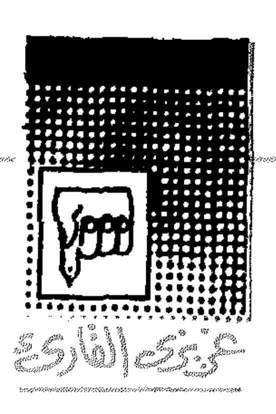
٣ ـ هل تشعر بأن هناك صفات معينة تفتقر إليها وتود لو تتصف بها ؟

٤ ـ هل تجد فى نفسك أشياء تكرهها ويكرهها الناس ولكنك لا تستطيع التخلص منها ؟!

٥ ـ هل تحب أن تعيش حياتك الماضية مرة أخرى ؟

إن اجوبة هذه الأسئلة لفى غاية الأهمية الآن بعد رحيل توفيق الحكيم لأنها تشمل كل أهداف حياته تقريبا ، ويمكن أن نرى الآن بوضوح الصورة التى رسمها توفيق الحكيم لنفسه من خلال إجابته عن هذه الأسئلة . وهاهى ذى على حسب ترتيب الأسئلة :

١ ـ اننا نحدد مطالبنا من الحياة عادة عندما نكون فى مطلع الحياة ، اى



فى مرحلة الشباب . فمن يضمن لنا اننا فى هذه المرحلة كانت لنا الحكمة الكافية والتجربة الضرورية للارادة الصحيحة ، ولوضع خطة الحياة المستقبلة على انسب الاسس ؟ ولو سارت الأمور بالعكس وبدأ الانسان حياته شيخا ناضجا ماذا يكون الحال ؟

من الذى يضع الخطط وتصميم العمارات : المهندس الناضج ، او الطالب الناشىء ؟

اما هدفى الذى اسعى اليه فهو السير بالادب والفن فى بلادنا ولو خطوة ، وجعل الادب والفن فى سبيل نهوضنا انسانيا وقوميا واجتماعيا ، لان مذهبى الأدبى والفنى هو "الفن لنهضة الانسان .. والادب فى سبيل النهوض" .

٢ - اظن انى احب نفسى الآن اكثر مما كنت احبها أيام الشباب ، لان القلب يصغر كلما كبرنا ، الى ان ياتى الوقت الذى لا يتسع فيه لغير انانيتنا والعياذ بالله !..

٣ - لا ياسيدى ! لو عرفت الغيب لرضيت بالواقع ، وحياة فى يدنا خير من حياة وهمية ، مع رجائى ان تتغير حياتى الذهنية والفنية والانتاجية الى افضل ، وهذا ما أريد أن أتصف به .

٤ - أشياء كثيرة أكرهها فى نفسى ! بل أن الاصل عندى هو ما أكرهه ، أما الذى احبه فى نفسى فهو الاستثناء ، لانه اقل من القليل !

٥ - لا أحب الا ما كان صالحا ونافعا ، وارجو الا اكون قد عشت حياتى الماضية عبثا !

هكذا تكلم توفيق الحكيم عن نفسه فى "الهلال" قبل أربعين عاما ، وقد ظلت كلماته هذه حتى وفاته تنطبق على حياته كلها ، وتبرهن على نفاذ بصيرة هذا المفكر الفنان ومعرفته بنفسه وبالحياة وبرسالته فيها ..

وكانت "الهلال" لا تكتفى بكتابة توفيق الحكيم على صفحاتها ، فكان محرروها يكتبون عنه ، ومن ذلك ما كتبه المرحوم طاهر الطناحى مدير تحرير الهلال الأسبق فى باب "حديقة الأدباء" فى عدد فبراير ١٩٥١ مصورا توفيق



الحكيم بعصفور يطير من غصن إلى غصن ولكنه يبتعد عن الناس وإن كان يكتب عنهم ، فهو يكتب فى المشكلات الاجتماعية ولكن من بعيد ، وتحت مصباحه الأخضر ، ولا يختلط بمن يكتب عنهم إلا مضطرا ، ولا ينظر إليهم إلا من برجه العاجى ..

وتوجت "الهلال" تكريمها لتوفيق الحكيم باصدارها عددا ذهبيا خاصا عنه فى فبراير سنة ١٩٦٨ عندما كان الاستاذ كامل زهيرى رئيسا لتحريرها ، ويعتبر الآن مرجعا للأدباء عن توفيق الحكيم وأدبه وفنه ..

لبثت صلة الأديب العظيم بمجلة الهلال قوية حتى النهاية .. وقد نشرت "الهلال" رسالتين خطيتين منه إليها ، إحداهما سنة ١٩٨٣ والأخرى سنة ١٩٨٤ يقول فيها : "منذ أنشئت مجلة "الهلال" فى سنة ١٨٩٢ وهى تنشر النور فى طريق العقل العربى ، وبعد سنوات قليلة سوف يبلغ عمرها القرن . قرن قضته كالسفينة الثابتة تمخر فى بحار الأعوام حاملة من كنوز الفكر والأدب ما أسهم فى تقدم الأمة العربية" ..

هذه كلمات كتبها توفيق الحكيم وكأنها تحية منه إلى "الهلال" وهو فى عالم الأبدية ، وكأنه يتطلع من هناك إلى "الهلال" وهى تشق طريقها إلى عيدها المئوى ..

ولا تجد "الهلال" كلمات تهديها إلى روح توفيق الحكيم الذى كانت إسهاماته على صفحات الهلال من ابرز الأعمال الأدبية ، ومن أنفس كنوز الفكر والأدب التى اسهمت فى تقدم الأمة العربية !..



# توفيق الحكيم يكتب من العالم الآخر

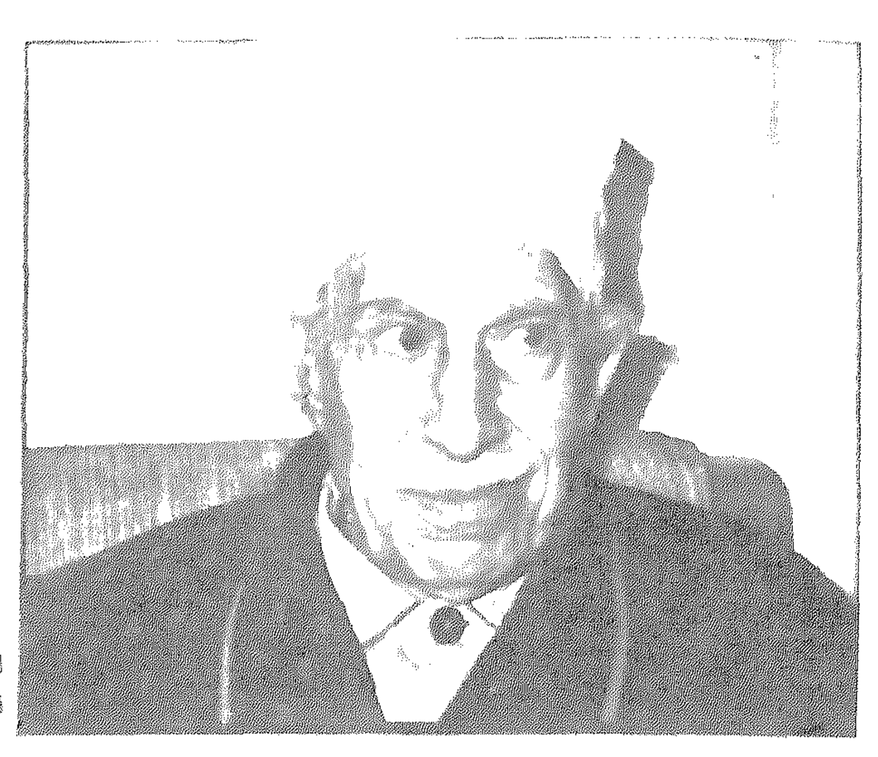
**نشر « الهلال » سنة ١٩٥٩ مقــالة نادرة للكاتب الكبير توفيق الحكيم عنوانها .. « بعد الموت .. ماذا اريد ان اقول للناس ؟ ! »**

وكأنه حين كتب هذه الرسالة التى تعتبر من عيون الادب الحديث ، كان يرى بظهر الغيب مدى اهتمام الناس بوداعه ، وتكريمهم له فى رحلـــته الاخيرة من هذه الدنيا ، وضــجتهم المدوية بعد رحيله حول اثاره الادبية العظيمة التى سوف تصدر منهــــا طبعات بعد طبعات على امتـــــداد السنين القادمة ..

لقد رأى الحكيم من وراء السنين هذه الصورة له بعد وفاته . فــكتب هذه الرسالة البليغة الساخرة لــكى يقرأها على الذين يشيعونه الى مثواه الاخير ، ثم يطلب اليهم الانتفــاض من حول قبره ليستسلم للمصــــير المحتوم !.

وهذا نص الرسالة الرائعـــة التى امتازت بعمق الفكر فى الموت والحياة معا :

لطالما خطر لى انا ايضا هـــذا السؤال كلما شاهدت جنازة مـــارة فى الطريق . ترى لو سمع الميت مــا يقال خلف النعش من كـــلام ، مــاذا كان يصــنع ، لو علم أن هـــؤلاء المشـــيعين لا يتكلمون عنه طوال الوقت ، وأن فيهم من يستنزل عليـــه اللعنة اذا طال المشى ولم يبد بعد اثر المسجد الذى سيصلى عليه فيه ، وان منهم من يسـلى نفسه وجاره فى اثناء السير بحكايات ونوادر قد تدعــــو الى الضحك والابتســام ، وان منهـم من يتكلم فى عمله وتجارته وبيتــه وغيطه . لو علم الميت أن كل ماخصه هو من كل هذا الكلام الذى يـــدور خلف خشبته لا يعدو دقائق معدودات وان كل ما انفق من وقت المشيعين فى الخشوع لجلال الموت لا يتجــاوز لحظات . وان الصــمت الرهيب الذى كان يحسب انه يحيط بنعشـــــه لم يدم اكثر من دقيقة ، ثم بدأ الهمس يعلو ، والهمهمة ترتفع ، والـــكلام والثرثرة يدويان بين الصــفوف فى طنين كطنين الذبــــاب . ذلك ان الناس غير قادرين على نســــيان انفسهم والسمو عن هــذه الارض


اخر صورة
للحكيم
قبل الرحيل

والارتفاع عن شئون حياتهم العادية الصغيرة اكثر من خمس دقائق

ومع ذلك ، لماذا نريد من الناس الوقوف امام الموت موقفا أجل من هذا · ان الموت لا يجل ولا يعظم حقا الا فى نظر من يموت · فى تلك اللحظة التى يشعر فيها المحتضر انه مفارق هذه الدار التى عرفها وعرف أهلها الى مكان مجهول ، فراقا لا رجعة بعده · فى تلك اللحظة يرى المحتضر الدنيا تبتعد عنه كما تبتعد المحطة عن انظار المسافر فى القطار ·· ويرى دموع المودعين من الاهل والخلان تتساقط على باقات الازهار التى يقدمونها اليه فيخيل اليه ان ذهابه سيغير وجه الارض ولا يعلم أن هؤلاء المودعين سينصرفون من باب المحطة الى شئونهم ضاحكين كأن لم يحدث شيء · ترى لو رأى الميت كل ذلك فى صندوقه واعطى القدرة على الخروج منه والنهوض · أما كان يصيح فى الناس :

ـ أتسمون انفسكم مشيعين ؟ انصرفوا ايها اللكعاء !

انى شخصيا لا اعتقد ان الميت يفعل ذلك أو يقوله لو قدر عليه · ان الميت اذ يجتاز عتبة العالم الاخر ويدخل منطقة « الصفاء » ينظر الى الناس واحوالهم من عل كما ينظر الانسان الى سرب من النمل يحمل جناح صرصار الى ثقب فى اسفل الجدار · انه يستنكر على الناس مجرد التحرك فى تابوته لينظر الى ما يفعلون · انه يستكثر على المادحين له والقادحين حتى مجرد ابتسامة سخرية تعلو شفتيه الجافتين الباهتتين

وعلى كل حال لو تمنيت شيئا بعد الموت لرغبت فى ان اقول أنا رأيى فى الناس وقد تركتهم ، قبل ان يقولوا هم عنى شيئا ·

وهذا مستطاع · وقد فعل ذلك فيما اعلم احد الامريكان او الانجليز غريبى الاطوار · اذ سجل خطبة له فى اسطوانة « فونوغراف » ، واوصى المشيعين أن يطلقوها على قبره تنطق بصوته وانفاسه وضحكاته




وكلماته . فماذا يمنعنى من ان اصنع مثله ، وان اقوم فى الناس خطيبا بعد موتى .. اقول فيهم :

« سيداتى وسادتى

أولا فلتجفف السيدات أعينهن حتى لا يضيع كلامى بين الشهقات وحين لا تضيع الدموع طلاء وجوههن وصبغة شفاههن ، وهذا هو المهم ، فانى مازلت حريصا على ان تكون المرأة جميلة ، فالجمال هو العذر الوحيد الذى به نغتفر للمرأة كل تفاهتها وحماقتها . عفوا . لقد نسيت انى ميت . وانه ما كان يليق بى ان أوجه اليكن ايتها السيدات هذه الالفاظ فى مثل هذه اللحظة الرهيبة . أنتن ولا ريب تصغين الى الساعة والغيظ باد عليكن ، ولولا جلال الموت، لالقيتن على قبرى بأحذيتكن ذات الكعب العالى . ان كل ما ستفعلنه الان امتهانا لى هو ان تخفين فى الحال مناديل العبرات العاطرة وتخرجن اصابع الاحمر الناضرة ، وتنظرن فى مرآة الحقيبة الصغيرة وتهززن اكتافكن قائلة احداكن للاخرى: « والنبى الدموع فيه خساره ! » وهذا ما اريد ان اصل اليه ، وهذه نصيحتى الثمينة لكن معشر الاحياء من النساء : حذار ان تتلفن هدبا واحدا من اهدابكن الجميلة من اجل شىء على هذه الارض ، فان الارض كلها لا تساوى هدبا واحدا من اهدابكن !

أما انتم ايها الرجال والاصدقاء والمعجبون المرتدون السواد على فقيد الادب ، المحزونون لفداحة المصاب الجلل ، الباكون لما رزئت به العربية ، والناطقون بالضاد .. الى اخر هذا الهراء سيملأ به خطباؤكم وشعراؤكم تلك المراثى البليغة والقصائد العصماء .. وانى لالمح الساعة جيوب بعضكم منتفخة بشعر ونثر قد كتب خاصة للتأبين ولعل اكثره قد وضع قبل الاحتضار حتى يكون معدا للالقاء فى الوقت المناسب ، ولعل احدى تلك القصائد قد نشرت اليوم فى صحف الصباح بينما نشر الى جانبها خبر الوفاة ، كأنما القصيدة العصماء قد خرجت من صدر صاحبها ساعة خروج روحى ... لم كل هذا الاسراع ؟! الا يتركنى الادب وشأنى وقد صرت ترابا ، أيظل يلاحقنى ويصيح فى اثرى وانا افر منه الى عالم ارجو الا ارى وجهه فيه . اما يكفيه انه اضاع على حياة نابضة ، انا الذى صنعه خالقه من لحم ودم . ووضعه فى دنيا جميلة زاهرة ، وقال له « انطلق وعش حياتك فى هذه الحياة » فلم افعل ذلك ، ولكنى احلت لحمى ودمى الى ورق .

.. آه .. انكم لو انصفتم معشر المشيعين لوضعتم جثتى مع كتبى واشعلتم النار فى كل هذا ..عجبا .. انى ابصر احدكم وهو شاب فيما ارى لا يريد ان يصدق ما اقول ، وان فمه ليرجف كأنما هو يريد أن يصرخ متحمسا : « فى ذمة الخلود .. فى ذمة الخلود » .

ايها الصديق الصغير ليس من اللطف ان اضحك الساعة منك ومن « خلودك » وأن أبدد تلك الاحلام

التى تخيم على عشرين ربيعــــا من حياتك النضرة كما تخيم خمـــائل الازهار على خلوة المحــبين ، ولكنى اقول لك ان نكلمتك هذه ان صـــلحت لسنك وكان لها عندك اعمق المعـــانى فانها عندى الان لا معنى لها · ولست ادرى ماذا تقصد بها ؟ تقصــد انى قد اكون تركت لكم بعض آثار ربمــا بقيت ·· فليكن ·· مــاذا يهمــنى انا من ذلك ؟

وبعد ، لا احب ان اســـتبقيكم وقوفا امام قبرى اكثر من ذلك ، فان من بينكم من قد ارتبط بمواعيـــد سابقة ، وهو يختلس النظـــر فى ساعته من أن لآن ، وليس عنــدى بعد ما اقول لكم ، غيـــر انى ارى فى اول صفوفكم اصدقاء لى لايمـكن ان استخف بعواطفى نحوهم · ولعـل صداقتهم هى خير ما خـرجت به من تلك الدار ··

والان ، اسمحوا لى ان اســكت سكوتى الابدى ، وانا ارجو منكـــم ان تنصرفوا الى شئونكم فى صـمت كأن لم يحدث شىء · فلســت فى حاجة الى كـــلامكم ، واذا اردتم ان تعقبوا على قولى هذا بشىء فى دنياكم تلك ، فضعوا مكان اسطوانتى هــذه اسطوانة موسيقية لاحد الموسـيقيين الذين كنت احبهم · تلك اللغـــة الوحيدة التى استطيع ان افهمهـــا عنكم فى كل وقت ··· والوداع ·

## من أقوال الحكيم

● انا مهمتى ككاتب ليست أبدا أن أجعـل من يقرأ لى يتبـع رأيى ولكن ان أرقظ فيه رأيه، فاذا قاله وكان مختلفا عن رأيى فاننى أعتبر ذلك نجاحا كبيرا ·· واذا وافق على رأيى بعـد ذلك سيكون ذلك بمحض تفكيره واختياره ·

● المرأة مخلوق فى يمناه السعادة وفى يسراه الشقاء ·

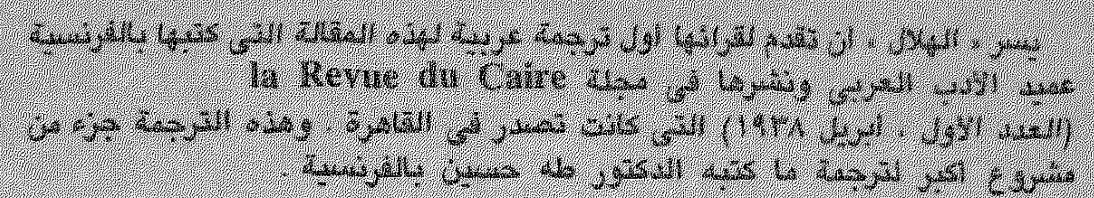
● قوة الشعب مثل قوة الشمس لا أثر لها اذا تفرقت ولكنها تعمل عملها اذا تجمعت وتكتلت ونظمت ·· لقـد انكشفت لعينى وقلبى معجزة مصر عام ١٩١٩ ورأيت الثـورة فى كل مراحلها تسفر عن روح خفية باقية أبد الدهر نابضة تسعف مصر بين حين وحين ·

● هو مقرىء مطرب ، فى كتابته ، له عذوبة الترتيل وحلاوة التلاوة وتكرارها ·· هو مفكر يقول العقاد عنه انه قليل العمق ولعل الاصح أن يقال عنه انه يحب التفـكير العام الواضـح والحديث السلس النفاذ ولا يحب التركيبات العميقة فى الفكـر والفن ·· وعبقرية طه حسين فى حياته أكثر فى كتاباته وكثيرون يســتطيعون أن يكتبوا ما كتب طه حســين ولا يكونون مع ذلك طه حسين لانه فى الحقيقة هو شخصية واشعاع اكثـر منه ابداع ·

• مقال لم ينشر لطه حسين

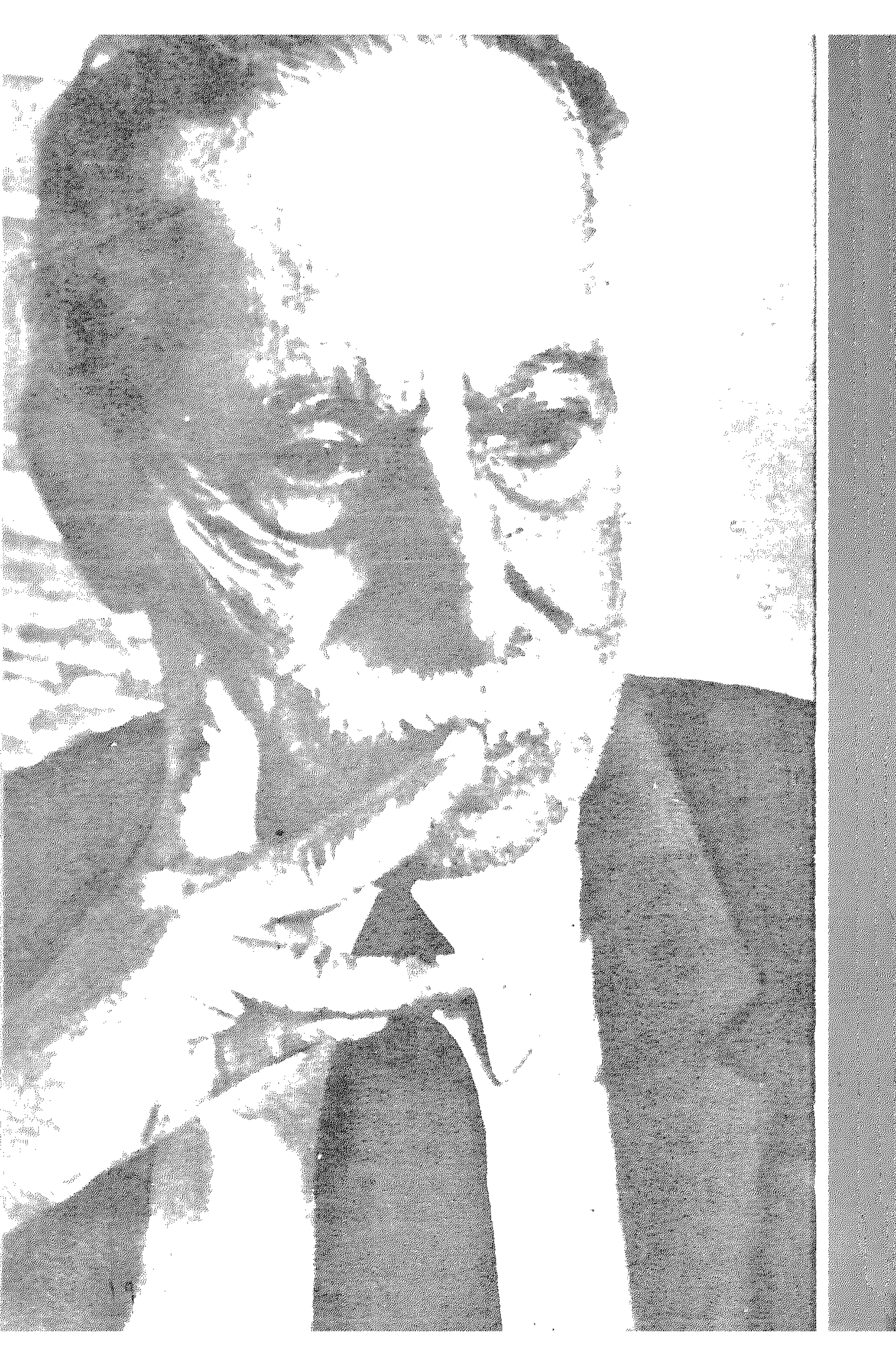
# توفيق الحكيم وبدايات الأدب المسرحى فى مصر


ترجمة وتقديم : عبد الرشيد الصادق


يسر « الهلال » ان تقدم لقرائها اول ترجمة عربية لهذه المقالة التى كتبها بالفرنسية عميد الادب العربى ونشرها فى مجلة **la Revue du Caire** (العدد الاول ، ابريل ١٩٣٨) التى كانت تصدر فى القاهرة . وهذه الترجمة جزء من مشروع اكبر لترجمة ما كتبه الدكتور طه حسين بالفرنسية .

لابد ان الالهة القديمة لبلاد العرب لم يكن لها اى حظ من الخيال وان حياتها كانت كئيبة بالفعل . فهى لم تلهم المؤمنين بها ايا من المظاهر الفنية التى اغدق بها على غيرهم من الشعوب ، وانا لنبحث عبثا عن اى عمل ملحمى او مسرحى فى هذا الادب العربى ، على ما فيه من فصاحة وغنائية . ولم يأت العصر الاسلامى فى هذا الشأن باى تغيير . ولم يحدث الا فى نهاية القرن الماضى ان عرف المصريون المسرح بفضل تزايد اتصالاتهم بالغرب . فكان ان ترجمت بعض المسرحيات واقتبس بعضها الاخر بنجاح كبير ، واخذ الطلاب يتعلمون قراءة شكسبير واعلام المسرح الفرنسى . وتعجب البعض من ان العرب القدامى لم يعرفوا هذا الفن الرائع ، ودفعهم ذلك الى ازدراء اللغة الوطنية شيئا ما ، وكان طبيعيا ان يخشى الناس ان تصبح الفرنسية والانجليزية مع مرور الزمن وسيلة الشباب الى التعبير . ولكن الانقلاب الناجم عن الحرب الكبرى قد اقترن برد فعل مضاد ، فقد اراد البعض « تمصير » المسرح ، واخذ عدد من الكتاب يؤلفون مسرحيات بعضها جاد باء بالفشل وبعضها هزلى كان له حظ اكبر من النجاح لانه كتب باللغة العامية ولانه استقى موضوعاته من الحياة اليومية ولانه جاء حافلا بالاشارات السياسية (١) . وفى ابان ذلك اتت فى اعقاب حركات الكفاح الوطنى نهضة ادبية حقيقية ، فكانت الصحف – وقد اخذت تتنافس على اجتذاب الجمهور وتسعى الى اثارة اهتمامه بكل الطرق – تتناول مختلف القضايا الادبية . وفى الوقت

(١) ينبغى ان تنحى جانبا المسرحيات الشعرية التى كتبها شاعرنا العظيم شوقى والتى سيسعدنى ان اتحدث عنها فى مناسبة اخرى .



● مقال لم ينشر لطه حسين

نفسه ، زادت معرفة الناس بالاداب المغربية ٠

وظل الامر على هذه الحالة حتى ظهر بيننا منذ سنوات لكاتب مسرحي ذلك ان الاستاذ توفيق الحكيم كان قد بعث الى باريس ليحضر فيها رسالة دكتوراة فى القانون ٠ غير انه عندما رجع الى مصر،لم يكن يحمل الدكتوراه وانما عاد بثلاث أو اربع مخطوطات ولقد تلقى دروسا ٠٠ فى السوربون وتردد على المسارح والحفلات الموسيقية ومونمارتر ومونبارناس ، واهم من كل ذلك انه قرأ الكثير ٠ اما مخطوطاته فقد ظل يخفيها بغيرة الا عن دائرة محدودة من الرفاق ، وكانوا من ذوى الجد الذين أتموا دراساتهم القانونية بنجاح باهر ٠ والح عليه هؤلاء الاصدقاء لكى ينشر شيئا من انتاجه٠ فقرر بعد كثير من التردد أن ينشر مسرحية أولى هى « اهل الكهف » ٠ فلقيت الاعجاب ، فتشجع الكاتب فنشر على التوالى مؤلفين هما رواية « عودة الروح » ومسرحية أخرى هى « شهر زاد » ٠

ولم تمثل من هاتين المسرحيتين الا الاولى ، ولم تكن هذه بالتجربة الموفقة فلم يكن الممثلون قد أعدوا اعدادا حسنا لاداء مثل هذه المسرحيات المعقدة التى كتبت للقراءة اكثر مما كتبت للعرض ٠ وذلك أن الاستاذ توفيق الحكيم لم يرد أو لم يستطع أن يبدأ من البداية وأن يقدم لنا مسرحيات بسيطة مباشرة ٠ فهو فيلسوف شاب رغم أن حديثه ومظهره لا يوحيان بذلك ٠ فكأنه يجمع بين رجلين رجل نراه وهو ساذج برىء ، ورجل اخر يخفى عن العيون ، وهو محنك شديد التعقيد ٠ أولهما رجل مسالم يبعث على الطمانينة ولا يستطيع أن يخوض مناقشة طويلة، اما الاخر فهو جسور مقاتل يتصدى لاغوص المسائل ويتلاعب بالافكار بسهولة فائقة ٠

وترمى « شهر زاد » الى أن تقدم لادبنا الحديث صورة تعبر عن النفس البشرية وقد أمضها الشك ٠ فبعد الف ليلة وليلة يحاول شهريار الملك ، وقد أرضى نهمه ، أن يعرف حقيقة شهر زاد، تلك الفتاة البسيطة التى لم تبرح قط قريتها وان كانت تعرف كيف تروى تاريخ العالم ٠ من هى ؟ يسالها ، فلا يفوز بجواب ٠ وملامحها تشى بأن ثمة سرا تخفيه ، وما نظراتها وابتسامتها الا أحاجى محيرة ٠ وانى لاعتقد أن الشك الذى يتعذب به شهريار يعذب المؤلف بدوره ٠ وينتهى الملك الى ادمان السحر والسفر ٠ ولئن كانت شهر زاد قد نجحت فى أن ترتفع به عن الارض، فانها لم تستطع أن تصل به الى السماء ،وهو اذن معلق بينهما حتى يصاب بالاعياء ٠ وهو لم يعد يكترث بشىء ، فلا يشعر بأى أسى عندما يباغت شهر زاد وهى تخونه ــ تماما كما فعلت زوجته الاولى ــ مع عبد اسود ٠

اما موضوع « اهل الكهف » ، فهو مستمد من القران والاثار المسيحية الشرقية ٠ اذ يروى أن ملكا يونانيا كان يضطهد النصارى ، فلاذ ثلاثة فتيان بكهف خوفا على حياتهم ، وهناك ناموا لثلاثمائة سنة ٠ تلك هى خلاصة القصة

كما وردت فى التراث · ولكن توفيق الحكيم يتخذ منها وسيلة للتساؤل : ما هو الزمن ، وما هي فكرة البعث؟ فقبل أن ينام الفتية فى الكهف ، كان أحدهم يعشق بنت الملك ، وكان لثانيهم زوجةوولد يحبهما حبا جما ، أمـــا ثالثهما ، وكان راعيا فلم يكن له الا قطيعه وكلبه · فاذا استيقظوا شرع كل منهـــم فى البحث عمـــا كان عـــزيزا عليـــه · ويعتقـــد الناس انهم من القديسين : فقد عـــرف خبرهم وذاع · ولكن الفتية لا يصدقون شيئا من ذلك · فالعاشق يرىمحبوبته فى بنت الملك الحالى : وكان عليه أن يدرك أن هذه ليست تلك· وهو معْ ذلك يحبها ، وهى تبادله الحب ، ولكنثلاثة قرون تفصل بينهما · ويبحث الـــزوج عن زوجه وولده ، فلا يجد الا قبـــرا واحدا كتب على شاهدهاسم ابنهبوصفه قائدا كبيرا توفى فى سن الســـتين ! والراعى لا يهتدى الى قطيعه : وهـــو ينكر المدينة ولا يفهم مما يرى شـــيئا أو أحدا ، وهو ينهزم أمام الزمن على الفور ، فيعود الى الكهف لينتظرالموت· أما الزوج فيحاول أن يقاوم ، ولكنـــه يعود الى الكهف بدورهعندما ييأس من العثور على ذويه · والعاشق لا يلقى بسلاحه ، فهو يريد أن ينكر الـــزمن · لكي يكون للمرأة التى تشبه حبيبته · ولكنه يعود الى المغارة وفى نفسه مـــع ذلك بقية من الامل ، وينتظر وقـــوع معجزة · وهو يشهد موت صاحبيه · يموت الراعى متقبلا مصيره مســـلما أمره الى الله ، بينما يموت الاخـــر ساخطا · ويستمر انتظاره ، ولكـــن النصر للزمن ، اذ يأتى الموتوبصحبته المعجزة · ذلك ان الفتاة تأتيه وترجو أن تنقذه · وقد غلبا الزمن اذن ولكن

بعد فوات الاوان · وهو يسلم اخـــر أنفاسه بين ذراعيها ، ويعدها بـــأن يلقاها فى مكان اخر فى عالم بلازمن، وتدفن نفسها حية معه ·

نحن اذن بازاء كاتب يشقى بالافكار التى اشقت الفلاسفة والمتصوفة فى كل العصور · ولكن ما يجدر ذكره ومـــا يعنينا هنا هو المتعة التى تأتى منهذين العملين نتيجـــة لتالف حقيقى عجيب يقوم بين ثلاثة عناصر جد متباينـــة : أولا طابع مصرى أصيل ـ وأنا أعـــنى هنا مصر القديمة التى صارعت الزمن لكي تحقق الخلود والتى شيدت الاثـار وحاولت أن تنتزع الانسان من قبضـة العدم ـ ثم الطابع العربى الذى يرجع الى اللغة والدين والى هـــذه الروح الادبية التى تسبغ على النص العـــربى جماله ، وأخيرا طابع فرنسى لانالمؤلف لم يقض فى فرنسا عدة أعوام بغيـــر طائل ، ولم يكن من قبيل العبث أنـــه تعرف على الشبيبة الفرنسية فى فتـــرة ما بعد الحرب وعرف أدب الطليعـــة الفرنسية ومسرحها · ونحن اذ نقرؤه لا نملك الا أن نفكر فى الاستانجيرودو: وشخصياته الشرقية تتسم أحيانا بتلك السمة المحبيـــة التى نلقاها فى بعض الثرثارين الظرفاء من ابطال اناتول فرانس ·

ان اعمالا بهذه الجودة تثير الدهشة فى العالم العربى وتسمح لنا بان نعقد اكبر الامال على مســـــــتقبل الادب المسرحى · فتوفيق الحكيم فى بدايـــة الطريق ، لكنه سيتحسن وسيطوع اللغة العربية بما يكفى لتتحملكل مادفرضه المسرح من اعباء فادحة شديدة الـــدقة على السواء · وانى لارجو مخلصا أن يأتى مثاله بالخصب فيغدو نجـــاحه حافزا للاخرين ·

دروب العبقرية

# كيف ولدت موهبة الحكيم؟

بقلم:
محمد فتحي



على الرغم من استحالة الاجابة عن سؤال : (( كيف تولد او تصنع الموهبة ؟ )) اجابة دقيقة ، جامعة مانعة ، فان علو المقصد ونبله مما يبرر بعض الابهام وعدم الاكتمال .

ويعزز المحاولة كون محورها موهبة فنان فى قامة الحكيم ، بالذات وقد دار الرجل كثيرا حول هذا الموضوع ، وبدرجة معقولة من نفاذ البصيرة والصراحة فى نفس الوقت، مما يجعله حالة نموذجية لتقصى الدروب الخصيبة لحقل (( الموهبة )) الفسيح .

لعل من المناسب ان نبدأ حديثنا عن موهبة توفيق الحكيم بتحديد سريع للصفة الجوهرية التي ميزته .. ولا اعتقد ان هناك خلافا كبيرا على ان القيمة الحقيقية البارزة للحكيم ، حتى بين اقرانه من الرواد الكبار ، تكمن في عكوفه على علاج روح الامة ووجدانها ، ممتطيا جواد الفن ..

وقد عبر الحكيم نفسه عن علاقته بالفن ، بصورة مركزة وحاسمة ، عبر سطور قليلة في « عصفور من الشرق »:

« .. جلست العجوز تعزف على البيانو ، واهتز محسن - الحكيم - في كرسيه وانشد على الفور مطلع اغنية « سان سايلس » : قلبي يتفتح لصوتك ، كما تتفتح الازهار لقبلات الصباح ! ..

فنظرت اليه المرأة في عجب :

- ما اشد حبك للموسيقى !

- انها في دمى !

قالها محسن - الحكيم - في بساطة تنم عن حقيقة عميقة ، وفي لهجة تشير - عن غير قصد - الى ماضيه باكمله .. »

## ● طبلة الاراجوز

وهنا لا اجد غضاضة في استئذان القارىء في مشهد رواه الحكيم عن طفولته فقد كتب انه سمع يوما طبلة الاراجوز ، فهرع اليه وفي ذيله جارهم الطفل « عطية » ، الذى كان يرى الاراجوز للمرة الاولى ..

وحين دبت الحياة في المسرح الصغير ، ظهرت دمية تمثل شخصية امراة شرقاوية ، بملسها الاسود وبرقعها الكثيف ، فما شعر الحكيم الا وعطية - وقد كانت له خالة شرقاوية تدعى ام خميس - يجرى مخترقا الصفوف ويرفع رأسه محدثا الدمية : « خالتي . خالتي ام خميس »

.. وظن مخرج الاراجوز أن الطفل يعابثه فجاراه بلسان الدمية

- نعم يا ابنى

- أمي بتسلم عليكى

- أمك مين ؟

- أمي ام عطية

- سلم لى عليها !

وانصرفت الدمية الى الدورالمرسوم اذ دخل خفير يحمل هراوة ضخمة ، واقترب من الشرقاوية ، وقال لها « امشى من هنا ياوليه ! » واشبعها سبا وشتما ، وانهال عليها بنبوته ضربا ..

ولم يكد الطفل عطية يرى ذلك حتى بكى بدمع سخين ، وجرى الى بيته مستنجدا :

- آمى آمى الخفير نازل ضرب في خالتي ام خميس ...

ويعلق توفيق الحكيم على مشهد الطفولة هذا قائلا : « ان الطفل لا يرى الاشياء بعينيه بل يراها بخياله ، الذى يمكنه من تجاوز الشكل الخارجي ، والحياة في « المعنى » . اما نحن الكبار فقد ضاعت منا القدرة على الحياة في المعنى ولم نعد نستطيع العيش الا في « المادة » .. ولم يعد بمقدورنا ان ننفخ الروح في شيء من دون فنان .. اى انسان احتفظ ببعض قوى الطفولة ..»

وتعليق الحكيم يقول لنا باكثر الصور جلاء ومباشرة :

- ان الاطفال يتمتعون بموهبة رؤية معنى الاشياء بخيالهم ..

- ان هذه القدرة تضيع من غالبية الناس مع الزمن ..

- ان الفنان هو المرء الذى يحتفظ ببعض قوى الطفولة ..

ومن هنا لعل السؤال المنطقي -

بعد ان حددنا هوية الحكيم فنانا ـ هو كيف نجا الحكيم يا ترى مما يسرى على الناس العاديين من فقدان ؟ .. كيف ابقى الحكيم على ما فقده عطية ، وكل عطية اخر ..

## ● المولد وجوقة الممثلين

ولا بأس من محاولة البحث عن اجابة السؤال من خلال شريط من المشاهد المنتقاة من سيرة الحكيم ..

يذكر توفيق الحكيم ان اول انفعال له بالجمال الفني كان يوم احضروا له شيخا يحفظه القرآن . وكان الاعجاب بصوت هذا الشيخ فى كل الناحية حافزا للحكيم على محاكاته ، كما كان سماع الحكيم للاطراء يزيده اقبالا على التلاوة وتجويدا لها ..

كما يذكر الحكيم انه بعد فقدان ذلك المنبع الاول من منابع احساسه الفني داهمه منبع اخر تمثل في مولد سيدى ابراهيم الدسوقى ، والموكب بركوب الخليفة على حصانه شاهرا سيفه ، تحف به الرايات الملونة والطبول والمزامير . ثم صف العربات التى تجرها كل انواع الحيوانات ، وكل منها يحمل اهل حرفة من الحرف بكل ادواتها .. الحدادون والنجارون والبناءون والفخرانية والسمكرية والفكهانية يمثل كل منهم دوره فى الحياة .. يقول الحكيم : « نوع من كرنفال ساذج ، ولكن تاثيره على نفسى فى تلك السن كان عجيبا » .

لكن اهتمام الحكيم الحقيقي بالفن فى صورته المباشرة بدأ يوم هبطت مدينة دسوق جوقة الشيخ سلامه حجازى . وجعل افراد الجوقة يطوفون شوارع البلدة في ملابس التمثيل المزركشة ، وبمكياجهم واكسسواراتهم الغريبة ، والصبية والغلمان يجرون خلفهم ، بينما يترك اهل الحرف اعمالهم وحوانيتهم ليتفرجوا عليهم مع الجموع ومع النساء المطلات من خلف النوافذ .

وكان مامور البندر واعوانه والمحكمة والنيابة في طليعة من يحضرون ليالى الفرقة .. ولعل الشيء الاهم هنا ان الطفل توفيق ذهب مع والده ، وشاهد « شهداء الغرام » ( روميو وجوليت شكسبير مطعمة بالقصائد والالحان ) ..

ويقول الحكيم : « لم افهم يومئذ بالطبع شيئا كثيرا من تفصيلات المسرحية .. كل الذى همني وخلب لبى هو المبارزات بالسيوف ، فكان ان كسرت يد المكنسة وجعلتها سيفا وطلبت الى المبارزة خادما كان عندنا وكان هذا الخادم يذهب فى الليل الى مقهى بلدى يروى فيه شاعر بربابة قصة ابى زيد الهلالى ودياب ابن غانم والسفيرة عزيزة .. فكان يحلو لخادمنا هو الاخر أن يمسك بقطعة طويلة من الخشب ويصيح بى قائلا : انا ابو زيد وانت الزناتى خليفة ! ثم يرد على ما سمعه من الشاعر ليلا ، فكانت هذه القصص تقع من نفسى موقعا حسنا ، وكنا نمضى اوقات العصر كلها نمثلها ونتبارز ..

غير ان الذى جعل الحكيم يعيش القصص بكل وجدانه ، وعلى نحو اعمق ، ظروف مرض والدته وطول رقادها ، مما دفعها الى الولع بقراءة كثير من القصص ذات الاجزاء الكثيرة مثل ألف ليلة وليلة ..

ويقول الحكيم أن أمه ما كانت

تنتهي من جزء من هذه المؤلفات حتى تقصه علينا ( الحكيم وجدته وفي بعض الاحوال والده ) ، وكانت تجيد السرد ولا تترك تفصيلا الا حاولت تصويره ، وكانت تصاحب السرد بتعليقات تقرب الشخصيات من افهامنا فهذه الشخصية الطيبة تشبه فلانا الطيب من اقاربنا ومعارفنا ، وهذه .. « فاذا ما انتهي السرد بابطال القصة في موقف لم يزدنا الا اشتياقا الى البقية ، قالت والدتي : « انتظروا حتى اقرأ الجزء التالى » ، وتتركنا على احر من الجمر نعيش بارواحنا انتظارا للعودة الى هؤلاء الابطال ، وكنت بذلك اعير في مخيلتي لابطال القصص سحنا ووجوها مما لعرفهم في الحياة » .

المهم انه حين جد ما جعل ام الحكيم تشغل عن القصص بامور معاشها والاطيان التى اشترتها ، بدأ الحكيم في الاعتماد على نفسه ، وصار يقرأ القصص التى كان يرى امه تقرأها ..

## ● الاسطى حميدة العوادة

وحين التحق الحكيم بالمدرسة لم تستمر هواية الرسم ، التي اسرته ، طويلا ، اذ خطف بصره لون آخر من الفن . فعند زواج عمه كادت عروسه تقضي على الفرح ، حين وصلت في صالون الافراح بالقطار ، ولم تجد الموسيقى الميرى في انتظارها . وكانت قد اصرت ايضا على ان لايزفها الا « عوالم » من القاهرة يليقون بمقامها .. وقد عاش الحكيم القصة كلها بوجدانه ، اذ اصطحب عمه الى القاهرة للاتفاق مع العوالم ، كما كان يصطحب العروس في صالون الافراح ، بينما وقفت الازمة عند الوصول ..

وخلال الفرح توطدت اواصر المعرفة بين والدة الحكيم وجدته وبين الاسطى حميدة العوادة المطربة رئيسة العوالم ، التى كانت تنزل عليهم مع بعض المقربات من تختها كلما جئن الى الاسكندرية . وعند انتقال اسرة الحكيم للاقامة في القاهرة اصيبت جدته بالفالج ونصح لها الطبيب بصفاء البال والسرور فتعهدت بها الاسطى حميدة ، وماكان يمضى اسبوع دون ان تبيت في منزل الحكيم ليلة او ليلتين .

وعلى الرغم من الدلالة البالغة لان يكون هذا الشريط الفنى الاثارى هو ابرز ما يتذكره الحكيم من طفولته فانه لا يمكن ان يفي وحده بالكشف عن سر موهبة الحكيم فقد اتيح مثله للكثيرين ، دون ان يخرج من احدهم فنان كالحكيم . وهنا ياتي دور شريط اخر يلخص لنا الصفات الارادية والمعرفية التي اكتسبها الحكيم ، وميزته عن اقرانه ، فمكنت لجراثيم الفن وتداعاته من التمكن في وجدان طفلنا الصغير ..

ولا شك في ان ما كان بالامكان ان يكتسبه طفل من جيل الحكيم ، وما هو اكثر حسما في تشكيل حياته ، لابد وان يكون من الابوين بالذات وقد تاخر انتظام الحكيم في المدرسة الى سن العاشرة .

والبحث يكشف انه ناهيك عن الطموح وقوة الارادة التي تمثلت باجلى الصور في امه ، التي تعلمت القراءة في كهولتها لتقرأ الروايات(!) والتي يكتب الحكيم ان شيئا لم يكن يمكن ان يقف امام نيلها شيئا ارادته .. وناهيك عن التعقل والحرص وتقدير العلم والصبر والجلد والمثابرة وقوة الاحتمال ، التي تمثلت باجلى الصور في ابيه .. ناهيك عن تشربه مثل هذه الصفات فان الشيء الحاسم

تمثل في الافق الذى ارتسم لتفعل هذه الصفات فعلها في الوصول اليه ..

لقد كان ابوه اسماعيل الحكيم يحرر مجلة « الشرائع » في شبابه مع اسماعيل صدقي ولطفي السيد ، وكان يود في دخيلة نفسه ان تتاح له الفرصة للانطلاق على سجيته واتخاذ الشعر والادب ميدانا لاهتمامه ، لكن المجتمع والظروف العائلية والمادية كبتاهما في نفسه .. ويتجاوز الحكيم مرحلة التساؤل حول وراثته لاهتمامات ابيه ويقرر : « لقد القى والدى اذن على كاهلي ما لم تهيئه له ظروفه .. فاولاد رجال مثل شوقي ولطفي السيد لم ينزعوا الى الادب ». « لقد سمى والدى اخى الاصغر « زهير » تيمنا باسم الشاعر الجاهلي زهير بن ابى سلمى ، ولا شك في ان والدى لو كان حاضرا ولادتي لاسماني باسم من هذا القبيل » ..

بل ويذهب الحكيم الى ما هو ابعد بكثير حين يقول : « ولعل الطبيعة المسرحية .. اى خلق الانسان من الحوار لا من الوصف ، خلقه من واقع كلامه هو لا من واقع وصف غيره ، هو ما يلائم طبعي .. اهي وراثة ؟ اهي روح الجدل والمنطق والتركيز ووضع الكلمة في موضعها ، وحوار النفس وقلق القاضي وميزانه عند والدى » ! ..

وحين ولع الحكيم بالغناء والعزف، ودخلت والدته الحجرة لتجده يعزف على العود اطلقت صرخة راعدة : « لو عرف ابوك يدبحك » ، وارغمت الحكيم على القسم بالا يلمس العود بيده طوال حياته . ذلك رغم صداقة الام للاسطى حميدة ، ومباهاتها ـ ولا شك ـ بان عبده الحامولي وضع وغنى اغنية « اتمخطرى يا حلوة يا زينة » في فرحها ـ ام الحكيم ـ وبانه كان صديقا لاسرتها ..

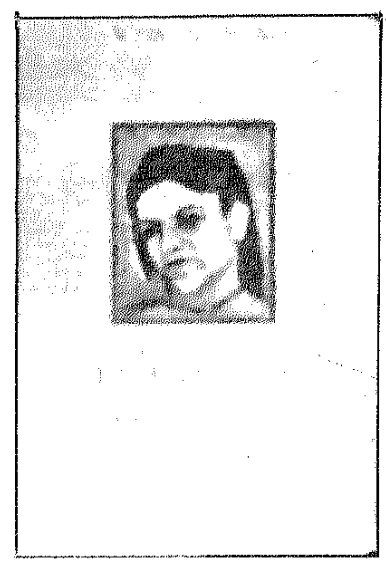
هذا كما عارضت الاسرة انهماك الحكيم في القراءة فكتب : « كنت اختفي بمطالعاتي القصصية عن عيون اهلي ، كما لو كنت ارتكب وزرا .. كنت اتسلل حاملا الكتب لاقراها تحت سريرى في الظلام او على ضوء شمعة .. »

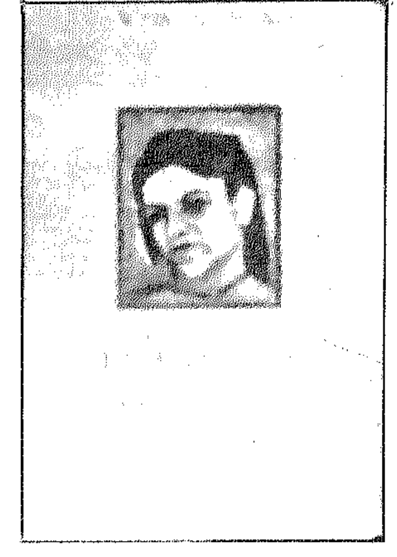
## ● القمع لايصل الى حد قتل الموهبة

غير ان شيئا في ظروف اسرة الحكيم جعل حواجز المنع تقف دوما عند الحد اللازم لشحذ الارادةوتاكيد الرغبة ، ولا تصل الى حد قتل « الموهبة » فعلى سبيل المثال حين تسبب الاهتمام بالسينما في الاضرار بدراسة الحكيم طلبت منه الاسرة ان يحلف بالايمان المغلظة على ان لايضع قدمه في سينما تغراف الا بعد حصوله على شهادة البكالوريا ( ليس للابد ) كما انه لم يكن للاسرة ان تبعده عن دراسة الاداب ، فالمستقبل الذى توده له ( القضاء ) مرتبط بها كما ان برامج المدرسة تحوى ما يتطلب الاهتمامات الادبية وبحثها ..

هذا كما لعب انشغال اسرة الحكيم بمراعاة اعمالها واملاكها دورا في تخفيف الدور القامع له ، ولم تكن تتدخل في شئون الابن الا عند اهتزاز التوازن الغريزى والحرص الذى ورثه منذ الصغر عن ابيه ،الذى كان يتكفل بحمايته حماية ذاتية من الجموح .







يوميات نائب فى الأرياف بالالمانية والسويدية والعبرية



عودة الروح بالروسية

ياطالع الشجرة بالانجليزية

وحتى المخارج التى كانت تقترح عند كل منعطف مصيرى جاءت ، بنوع من التوفيق ، مما يتيح للابن فرصة النمو والتطور الفنى ناهيك عن تاكيد حريته ومسئوليته • فحين شق على الحكيم الدراسة فى الاسكندرية، وتخلف فى مادة الحساب ، اقترح ابن عمه مدرس الحساب ان ينتقل الى مدرسة بالقاهرة ليقيم معه هو واولاد عمه الاخرون•وراقت الفكرة لاهل توفيق وهكذا قذفوا به الى الحرية الواسعة والجو الفنى الرحب• ولقسمه بالا يضع قدمه فى السينما اتجه الى المسرح وانهمك فيه • ويقول الحكيم عن ذلك : « ولم تكن عودتى المتاخرة بعد انتهاء التمثيل تستلفت النظر فى بيت اعمامى لما من احد يملك سلطة حقيقية ، وكل واحد فى ذلك البيت كان حرا فى أمر نفسه » •

وتكرر الامر حين خاف والده من انهماكه وانشغاله بالفن بعد نيل ليسانس الحقوق ، فاصطحبه الى صديقه القديم لطفى السيد الذى اقترح حين عرف بهواية الابن للادب، ورغبة ابيه فى الحاقه بسلك المحاماة والقضاء ، اقترح ارساله الى اوربا

لتحضير الدكتوراه : « فاذا عاد بها عين استاذا في الجامعة او القضاء المختلط حيث الاقامة في مدن كبرى كالقاهرة اوالاسكندرية ، مما يتيح له اشباع هوايته للادب » ٠

● الكد والمحاكاة والتاليف المزيف

على هذا النحو لم تقتل معارضة الاسرة او قيودها ، في اية مرحلة ، نزوع الحكيم الى الفن لكن ذلك كله لم يكن ليصنع موهبة الحكيم ما لم يواكبه ويجادله على طول المرحلة جهد هائل مكثف ساعدت عليه الصفات الارادية التي اكتسبها الحكيم وفصلنا الحديث عنها من قبل ، كما ساهم ولع الحكيم وحبه للمجالات التى يخوضها على بذله ، دون احساس بثقل العبء ورهقه ٠

وقد كان هذا الكد علما على طريق متسق التطور يبدأ بالاستيعاب ، ثم يجرى الى المحاكاة ، ويتصاعد الى مرحلة التاليف « المزيف » فمحاولة التاليف الحقيقي ، سواء كان المجال حفظ وتجويد القرآن ، او قراءة القصص التى كانت الام تحكيها للاسرة ، او مبارزة الخادم والدخول الى عالم الاساطير الشعبية ، او الاهتمام بدنيا العزف والغناء مع الاسطى حميدة ٠٠

ولابأس من تفصيل ذلك في مجال له وزنه النوعى في تكوين الحكيم هو علاقته بالمسرح بعد المجىء الى القاهرة ويكفى هنا شريط من اعترافات الحكيم :

« فما أن اعثر على خمسة قروش في جيبى اصعد بها الى اعلى التياترو حتى اسابق الريح الى هناك ، واعود في منتصف الليل ماشيا على قدمي من الاوبرا الى شارع سلامة بالبغالة » ٠٠

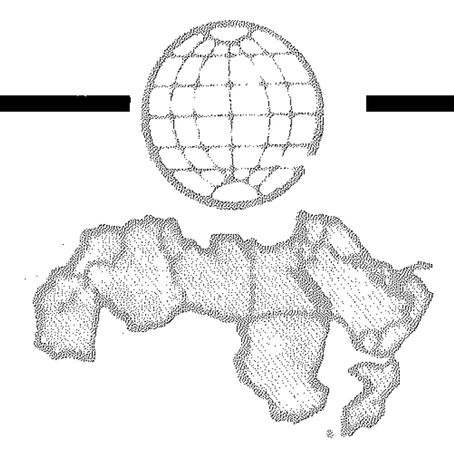
« ٠٠ كما ان نصوص المحفوظات هيأت لنا الفرصة لاشباع هوايتنا فقلبناها الى القاء تمثيلي ، وادى بنا ذلك الى الاقبال على الشعر العربى اقبالا شديدا ، فجعلنا نتبارى في حفظ المئات من الابيات ونتناقش في المطارحات الشعرية ٠٠ »

« ٠٠ وصرنا بعدئذ الى نوع عجيب من اللعب التمثيلى مع اثنين من الزملاء فجعلنا نجتمع في اوقات فراغنا ، لنلقى تمثيلية ارتجالية ٠٠ »

« ٠٠ وسرعان ما انتقلنا من الارتجال الى مرحلة التاليف ،وتطوعت انا بتاليف الرواية ، وكنت افضل دور البطل على مقاسى ٠٠ »

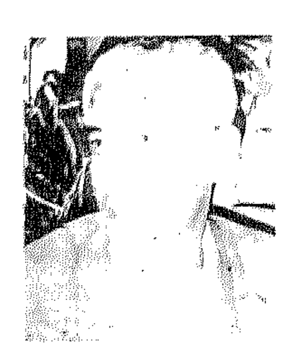
وقد كان المسرح المصرى انئذ ـ في بداياته ـ مازال في مرحلة الاقتباس الذى مرن الكتاب على اصعب ما في الخلق المسرحى ، وهو تلوين الشخصيات ،واعادة خلقها خلقا حيا جديدا ، ذلك انه لا ضير من اقتباس الموضوعات فقد كان شكسبير وموليير وجوته يقتبسون موضوعاتهم ٠ وهكذا جاء تتويج الحكيم لكده واهتمامه في المرحلة القاهرية باقتباس مسرحية العريس عن « البان غلابريج » الذى ظل في نظره من اعلام المسرحية الفكاهية الى ان سافر الى فرنسا فاكتشف انه لم يكن سوى كاتب نكرة ٠٠

ومن كتابات الحكيم في هذه الفترة كنت اوالى حضور البروفات يوميا « كنت اوالى حضور البرقيات يوميا خشبة المسرح ، واود ان التصق بها التصاقا طوال نهارى ٠٠ فقد كانت البروفات وصحبة اهل الفن بهجة لا تعدلها عندى بهجة ٠٠ »٠




# أقوال معاصرة

ناجي العلى



● « كل فلسطيني متهم حتى تثبت ادانته »

الفنان ناجي العلي

● « الايدز مرض غريب وقوى ، ولكن نحن اقوى ! »

مادونا المغنية البريطانية

اميل حبيبي



● « الاقتصاد له قوانينه التى يعاقب مخالفها عقابا صارما ، مثل عواقب مخالفة قوانين السلامة بالنسبة للمفاعل النووى في تشيرنوبل»

الاقتصادى السوفيتى
نيكولاى شميليف

● « يخيل الى أن الفازيين لم يكتفوا بابادة ستة ملايين يهودى ، وانما حاولوا ان يبيدوا الضمير اليهودى »

اميل حبيبي

جورباتشوف



● « نحن نهدف الى تقوية الاشتراكية لا الى استبدال نظام اخر بها »

جورباتشوف

● نظرية ريجان ، هى نظرية العمل فى الخفاء » أو على الاقل كانت كذلك فى التنفيذ »

ديف ما كاردى
عضو الكونجرس الديمقراطى



# هل تعود المرأة إلى عصر الحريم؟

بقلم: أمينة السعيد

لم تعد المرأة فى مصر تمثل نصف المجتمع ، بل تراجعت إلى الوراء كثيرا .. خسرت كل ماكسبته طوال السنوات الستين الماضية التى ناضلت خلالها ، من أجل حصولها على بعض حقوقها ، ولاشك فى أن هناك عوامل كثيرة تسببت فى ذلك ، أولها ، تلك الانتكاسات التى حلت بالشعب المصرى ، من جراء صراعه مع اسرائيل ، وما استتبع ذلك من انهيار للاقتصاد ، وظهور عوامل أثرت كثيرا فى وضع المرأة المصرية ، ودورها الذى لعبته باقتدار فى ثورة ١٩١٩ ومابعدها .

كانت بداية التراجع للمرأة فى حركتها بعد حرب ١٩٦٧ ، فقد تملك المواطن كل اليأس لأن خسارتنا للحرب ، كان يقابلها انتصارات لليهود على طول الخط .. ومع موجة اليأس هيىء للناس اننا لانسير على تعاليم الإسلام ، وبالتالى فإن الله سبحانه وتعالى غير راض عنا . وبدلا من نجاح كل المحاولات لاصلاح الأزهر ، ورفع شأنه ، واعادته لسلطته وسلطانه القديم ، الذى كان يجعل مصر قمة العالم الاسلامى كله ، ظهرت فكرة انشاء الجمعيات الدينية المتطرفة ، والتى يتزعمها أفراد غير مؤهلين للإرشاد الدينى أو التوجيه .

من هنا ابتدأت المرأة تشعر بأن كل الضربات الموجهة من الرجعيين الذين هم فى الأصل ضد الحركة النسائية ، فضلا عن أنهم وجدوها فرصة سانحة لكى يدمروا مكانة المرأة فى المجتمع ، لأن كل حضارة من حضارات الدنيا ، تقوم أساسا على اشتراك المرأة مع الرجل بنصيب النصف تماما ، لخدمة بلادها بكل التفانى والاخلاص .

## ● بداية حرب المرأة

ونحن نعلم أن القرآن الكريم قد حث كلا من المرأة والرجل على العمل ، خاصة أن العمل نوع من العبادة ، ولكن ماذا حدث الآن ؟ ..

لقد تجرأ رؤساء بعض المؤسسات العاملة فى الدولة فى تحديد نوع العمالة بحيث ألغوا تماما دور المرأة ، ويتم ذلك يوميا من خلال ماينشر فى الصحف ، بحيث لم يعد للمرأة مجال للعمل ولم يجدوا من يزجرهم ، بل إن البعض بدأ يصور أن ماتقوم به المرأة من خدمات فى مجال العمل ، يعتبر فى حد ذاته خروجا على الدين ، ووجدت هذه الدعوة استجابة سريعة بين نسائنا ، خاصة أن معظمهن غير واعيات ، وكرد فعل مباشر لذلك ، بدأت المرأة تتقوقع وتتحجب .

وفى ظل الأزمة الاقتصادية التى نحياها ، فقدت فتاة الجامعة السيطرة على نفسها فى خضم مهرجان الأزياء الذى تشهده جامعاتنا ، خاصة أن الكثيرات من الطالبات لايستطعن اقتصاديا مسايرة هذه الظاهرة الخطيرة ، واضطرت غالبيتهن للوقوع فى شباك زى المحجبات لكى تحمى نفسها من الأزمة الاقتصادية ، التى فرضت عليهن الابتعاد عن الأناقة .

والمحجبات فى مجتمعنا أنواع ، فالبعض يفرض عليهن أهليهن لبس الحجاب ، ولا اجبار ولا اكراه فى الدين ، فحينما تجبر ابنتك بضرورة الحجاب ، فهى بالقطع تكرهه ، ولابد أن يكون حجاب المرأة عن اقتناع كامل ، وبرغبتها وحدها .

وفى رأيى أن الرجعيين ، قد انتهزوا هذه الفرصة ، وبدأوا يهدمون الخطوات التى ظللنا لمدة ستين عاما نكافح فى سبيلها ومن بينها تحرير المرأة ، وضمان حقوقها من خلال قانون الأحوال الشخصية ، والعمل على ضرورة تعليمها .

فالبعض بدأ ينادى بأن يقتصر تعليم الفتاة على التدبير المنزلى فقط ، وأرد على هؤلاء بأنه خطأ جسيم ، فكلنا فى الصغر لم نكن نعلم الكثير عن أعمال المنزل ، وبمرور الوقت ، أصبحنا « ربات بيوت » على مستوى طيب .

كما انطلقت دعوة الى ترك العمل ، وأجد فى ذلك ردة الى الوراء ، فبعض الفتيات الجامعيات يعملن بمرتبات جيدة ،

ويقلن انهن حريصات على الاستقالة ، فور الزواج ، وعلى الزوج أن يتحمل المسئولية وحده .. وذلك فى حد ذاته ينذر بالخطر ، فلماذا تصبح المرأة « جارية » لايكون لها عمل تتكسب منه ، وتساعد زوجها على بناء عش سعيد للزوجية ، وحجة الفتاة فى ترك عملها فور زواجها ، أن الدين يأمر المرأة بالجلوس فى بيتها ولايمكن أن يطالب الدين المرأة بعدم مساعدة زوجها ، وتنشئة أطفالها فى ظل حياة ميسرة ، خاصة أنه لاينبغى أن يتحمل الرجل عبئا أكثر من طاقته .

أن الجيل الجديد من النساء فى مصر ، قد أصابه الكثير من اللامبالاة التى لامثيل لها ، بل أقول البلادة ، فى التفكير والتصرف وفى الاعداد ، لدرجة أن طموحهن أصبح رخيصا وتافها ولاقيمة له ، كما انعكس ذلك كله على الانتاج ، وانهار التعليم ، وسادت الفوضى فى شوارعنا ، بل تحولت إلى « مزبلة » نتيجة عدم الاكتراث .

وكل الهبوط الذى حدث ، جاء نتيجة للاحباط الذى حل بنا ، بعد أن يئسنا من تحقيق النجاح ، واحساسنا بالحرية فى بلادنا .

## ● المرأة وقانون الأحوال الشخصية ●

اننى هنا أتساءل .. أين قانون الأحوال الشخصية ، الذى ناضلنا طويلا من أجله .. ولم نعد نسمع عنه شيئا ، وذلك يدعونى لكى أبين القهر الذى تحياه المرأة فى مصر ..

لقد كان قانون الأسرة موجودا فى مصر منذ أيام الحكم التركى ، ولم يتغير ، وكان الرجل يطلق زوجته بسبب وبدون سبب ، وكانت الأم تحرم من أولادها ومن حضانتهم بدون ذنب ، ومازلت أقول إن المرأة المصرية ، بالرغم من كل هذه القوانين مقهورة بشكل يدعو للعجب ..

فكثير من الأزواج يحرص على أخذ مرتب زوجته أولا بأول ، ويتصرف فيه بشكل ردىء ، ويحرص على اشباع نزواته وغرائزه من أموال الزوجة !

واذا حصلت الزوجة على ميراثها ، فإن الزوج يكون أول من يستولى عليه ، واذا كانت فتاة ، فإن أخاها ـ مثلا ـ يكون أيضا هو أول من يستولى على ميراثها .

فالمرأة فى المجتمع المصرى ، تستغل ، وتساء معاملتها ، حتى الزوج المثقف الذى تعمل زوجته لايرحمها ، ويحاسبها حسابا عسيرا إذا لم تصنع له قدحا من القهوة ، بالرغم من أنها تعمل مثله ، وتساعد بجزء كبير من راتبها فى أعباء البيت .

**ونتيجة لالغاء قانون الأحوال الشخصية ، واستبدال قانون آخر به ، الغيت ضمانات كانت تحمى المرأة إلى حد ما ، وترتب على ذلك أن قامت المؤسسات الكبرى بفصل الموظفات من النساء ، على مرأى ومسمع من الجميع ، ودون أن يحرك أحد ساكنا ، بل انهم يتباهون بذلك ، ويعلنونه فى كل مكان .**

كما أن مدرس الدين فى مدارس البنات

بدأ يشير إلى أن الفتاة التى تستخدم العطور فى زينتها « عاهرة » ! !

وترتب على ذلك ، ضياع المكانة التى كانت المرأة قد حصلت عليها فى الماضى ، وحدث تدهور فى عقلية المرأة ، وبالتالى فهى تعيش حالة من اللامبالاة ، وهذا فى حد ذاته يخرب بلدا بأكمله !

وقانون الأحوال الشخصية أعطى للمرأة حقوقا من بينها الا تطلق بلا سبب ، وتعطى البيت لها ولأولادها ، وزيادة سن الحضانة ١٥ عاما للولد ، و١٧ عاما للفتاة حتى تتزوج ، وفى ظل تعطيل هذا القانون ، ضاعت كل المكاسب التى كانت المرأة قد حصلت عليها ، وكانت تحميها .

كما حيل بين المرأة المصرية وبين تقلدها للمناصب المهمة فى الدولة ، وإننى أسأل كم وكيلة وزارة لدينا ، وكم رئيسة قسم ، أو عميدة كلية سمعنا عنها ، وعلى سبيل المثال أذكر بأن شقيقتى كريمة السعيد كانت أول وكيلة وزارة ، ولكن بعد أن تعرضت لضغوط نفسية كثيرة ، وإذا حدث وسمح لأية امرأة أن تتقلد هذا المنصب ، فإن ذلك يتم بعد أن تضيع عليها عشر فرص جيدة على الأقل !

## ● سيف الارهاب ينتظرنا !

إن المرأة حينما تحصل على حقوقها ، فإن المجتمع الذى تحيا فيه يقوى ويتنامى ، ويحقق الازدهار المطلوب ، ونحن فى مجتمعنا للأسف الشديد ، لانطبق ذلك بالمرة ، لأننا مجتمع متخلف ، يخاف من قول الحقيقة ، وهناك كبار المسئولين يخافون من ذلك ، وحتى حينما نسأل بعض رجال الدين ، لماذا لايقولون الحقيقة ، فإن ردهم بأن ذلك مستحيل فى هذا الزمن الذى قتل فيه الشيخ الذهبى ، حينما قال كلمة الحق ، وأصدر حكما فى قضية حق .

وأنا شخصيا أتعرض لهذا الإرهاب يوميا ، ويهددوننى بالقتل ، ويهددون أبنائى بالقتل ، ولا أخاف من كل تلك التهديدات ، فضلا عن أننى لا أؤيد الرجل أو المرأة الذى يقف أمام هذا التهديد مكتوف الأيدى ..

والإرهاب ، كما نرى ، سيف مسلط على رقابنا ، ولكن للأسف الشديد فإن أكبر الشخصيات ليس لديها الشجاعة الكاملة لإعلان الحقيقة .

## ● لماذا الاستسلام ؟ !

إن مناقشة قضية المرأة ، وماحققته طوال سنوات الكفاح ، وفى المقابل ماتخسره الآن ، وبشكل ملموس ويدعو إلى الدهشة يجعلنا نتوقف قليلا



لنستعرض ماوصلت إليه الآن ! .... فكفاح المرأة طوال خمسين عاما انقضت ، حقق لها تقدما ملموسا ، وعندما بدأت الردة ، وبدأ الهجوم على المرأة ، انحسرت موجة التقدم ، وبدأت تخسر هذا كله ، وتعود إلى الوراء .

وإذا استسلمت المرأة ، فإن تأخرها وخسارتها سوف يتفاقمان ويتزايدان ، ونحن نعلم من أين يأتى الخطر ، ومن هم المتسببون فيه ، ولابد للقيادات الرشيدة من أن تقف إلى جانب المرأة ، والوقوف بشدة وصرامة أمام التحديات التى تواجه المرأة ، وكونى أطلب من المسئولين ذلك صراحة ، لانه مهما قلنا وتحدثنا وحدنا ، فماذا نستطيع أن نفعل ، أمام هذا الطوفان العاتى ! .

ومن بين مانلاحظه الآن أن الجمعيات التى كانت تنادى بحقوق المرأة ، قد تحولت الى جمعيات تقوم بجهود اجتماعية متنوعة ، ولم تعد هناك جمعيات نسائية تؤدى دورا سياسيا تستطيع القيام بدورها فى هذا المجال ، طالما أن هناك أحزابا تضم جهود المرأة ، ضمن انشطتها ، وذلك يدعونى إلى التساؤل .. هل سمع أحد منا بأن مكسبا ما قد تحقق منذ بدأت المـرأة تعمل فى ظـل وجود هـذه الأحزاب ؟ ! ..

لقد خسرت المرأة مقاعد كثيرة فى مجلس الشعب ، وفى المجلس المحلى ، وفقدت قوانين الأسرة ، وما يستتبع ذلك من خسائر أصابت المرأة بشكل واضح .

**إن حالة من الفوضى تسود المجتمع فمن يوقف هذا التيار الجارف من التعصب الأعمى ضد المرأة ، وكيف تتم هذه الحرب ضد المرأة ، وفى ظل اى ظروف .**

وكيف يسمح شخص لنفسه بأن يطلق على فلان لفظ كافر أو ملحد والله سبحانه وتعالى هو وحده القيم على عباده ، فليس لإنسان الحق فى أن يقول لأخيه الإنسان أنا أكثر منك إيمانا ، أو أفضل منك إسلاما ، ولماذا ينصب البعض من هؤلاء المتعصبين أنفسهم قضاة ، وهم من أجهل الناس ، فضلا عن أنهم يقومون بغسل عقول البشر بماء آسن .

وأذكر مثالا لبعض الممارسات التى يقوم بها البعض منهم ، فلقد أتت إلى طالبة من كلية الطب تسألنى : هل صحيح يقف الاسلام موقفا معاديا ضد العلم والعلماء ؟ .

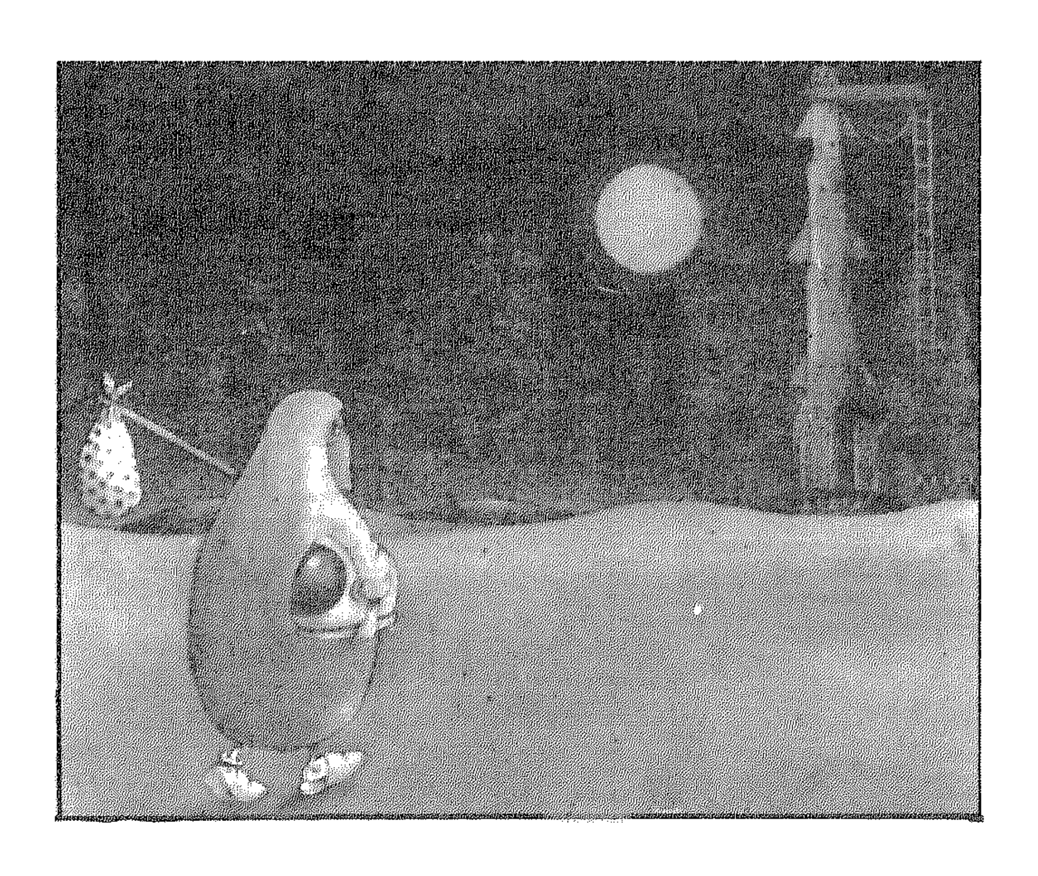
سألتها : من قال ذلك ؟

أجابت : إنه رأى الجماعات الاسلامية المنتشرة داخل الكلية ، وبالطبع فإنهم يحرفون القرآن ، ويحاولون جاهدين ، التأثير على عقول فتياتنا والسيطرة عليهن بشتى الوسائل المختلفة .

## ● تشاؤم !

إننى متشائمة جدا لما يحدث للمرأة فى مصر ، كما أننى متشائمة أيضا مما يحدث للحركة النسائية ، التى أثبتت قدرة هائلة فى السنوات الماضية ، وأبرزت جهود المرأة المصرية ، وقدرتها على العطاء المستمر للوطن ، وتربية الأجيال ، تربية صالحة ، لتخدم فى كل مجالات الحياة .

ومن بين أسباب التشاؤم أن المرأة المصرية الشابة ، والتى فى مقدورها أن



تتحدث ، هبطت إلى أدنى المستويات ، وأرى أيضا أن الرجال الشباب الذين يشجعونها على أفكار وصلت بها إلى حد التدهور ، أصبحوا هم الآخرون جيلا لانفع فيه وأن اليأس دعاني في نهاية الأمر ، إلى الصمت ، فأنا أنادى في واد لايسمعني فيه أحد ، ولا أجد من يقف الى جوارى .

ومن خلال هذا المنبر « الهلال » أوجه كلمة إلى الرئيس حسنى مبارك فيما يختص بمطالب المرأة ، التي توقفت عند نقطة معينة ، بل تراجعت إلى الوراء .

أقول له : لاينبغى أن ترضى فى عهدك بأن تتدهور الحركة النسائية ، وتخسر القليل الذى كسبته ، مما يؤثر عليها لسنوات طويلة قادمة » .

فالنساء توقفن عن العطاء ، البعض منهن حاول العطاء ، ولكن كيف يتم ذلك فى وقت شهدنا فيه بعض الجماعات تلقى ماء النار على وجوه طالبات الجامعة أثناء عودتهن إلى منازلهن . فالمقاومة العنيفة ، وسيف الإرهاب المسلط على رقابهن ، يجعلهن يترددن كثيرا فى العمل التطوعى الخاص بالمرأة .

ولاينبغى ابدا أن نغفل دور المرأة المصرية ، وعطاءها المستمر ، وماقدمته طوال هذا القرن ، ومطالب المرأة معلومة لدى الجميع ، فقط من الضرورى أن نحقق لها الاستقرار النفسى والذهنى ، وتحصل على حقوقها ، ونوقف الإرهاب الذى يحوطها من كل جانب ، لتنطلق قوة مؤثرة فى الانتاج ، وتحمل تبعاتها ، واسهامها فى بناء صرح الوطن .



# في عصر الفراعنة

بقلم : مصطفى درويش

قبل الميلاد بخمسمائة عام أو يزيد ، وبعد رحلة إلى مصر دوّن "هيرودوتس" دهشته لما رأى على أرضها العتيقة الساحرة قائلاً "لا يوجد بلد مفعم بمثل هذا القدر من العجائب" .

وحتى في ذلك الزمان الموغل في القدم ، كانت الأهرام التي انبهر بإعجازها المؤرخ اليوناني الشهير ، قد بلغت من العمر عشرين قرناً ، وهو عمر يعادل في البعد الزمني بالنسبة له بعد معبد الاكروبولس الذى أبدعته لنا شقيقتنا في جلال الذكريات .. هيلاس المجيدة ، بالنسبة لنا حاليا ، ونحن نخطو مسرعين إلى مشارف القرن الواحد والعشرين .

وعلى كل فهذه العجائب لا تزال قائمة شامخة بكل مايثير الزهو .

ومصر القديمة ، بفضل هذه العجائب ، حتى وهي أطلال ، لا يزال لها الجلال والقدرة على الإبهار من خلال فخامة تماثيلها وضخامة معابدها ، وروعة قبورها .

وفوق كل هذا ، ذلك الامتداد الزمنى الرهيب الذى ظلت تعيشه حضارتها ، عظيمة ، عامرة بكل أنواع المتاع والاقتحام .



الملك والملكة فى تمثال "ممنون" دليل على المساواة

# المرأة المصرية في عصر الفراعنة

ولا غرابة فى هذا ، فمصر كانت غنية بالفنون فى كل ما تتألف منه ، وبغيرها من إنجازات ومظاهره حضارة باهرة ، عندما كانت أوروبا لا تزال تحبو فى ظلمات عصرها الحجرى .

ومصر كانت على وشك أن تبدأ آخر ازدهار عظيم لها ، بعد طرد الهكسوس ، عندما كان أجداد أبطال "هوميروس" انصاف برابرة ، ضائعين فى وادى "أرجيف" تحجب عنهم جبال سامقة ، نور المعرفة .

ومصر كانت الدرّة التى ازدان بها جبين الأسكندر الأكبر ، عندما ارتفعت أعلام اليونان على الجزء الأكبر من العالم الذى عرفه إنسان ذلك الزمان .

## ● خطر المعرفة

وقد يكون من المفيد الاستشهاد هنا بكلمات قالها اللورد بلفور فى خطاب له بمجلس العموم البريطانى ( ١٣/٦/١٩١٠ ) القاه تبريراً لاستمرار احتلال مصر .

فماذا قال اللورد صاحب الوعد ؟! .

ماذا قال رجل السياسة الداهية الذى وسعت ثقافته أشياء كثيرة ، وامتدت اهتماماته وكتاباته من الفيلسوف "برجسون" إلى الموسيقار "هاندل" مروراً بالجولف لعبة الأكابر .

لاينكر اللورد حضارة مصر القديمة ، بل هو شديد الإشادة بها ، والتغنى بأمجادها .

"نحن نعرف حضارة مصر ، افضل مما نعرف حضارة اى بلد آخر ، نحن نعرفها من خلال ماضيها الأكثر قدما ، نحن نعرفها معرفة حميمة .

نعرف عنها الكثير ، فهى بحضارتها تتجاوز بمراحل فترة التاريخ الضئيلة لعنصرنا الذى كان عنصراً مفقوداً فى عصور ماقبل التاريخ ، اى فى ذلك الزمان الذى كانت الحضارة المصرية فيه قد بلغت ذروة الازدهار" .

إذن انجلترا تعرف مصر ، وفى رأى اللورد أن مصر بحضارتها ، هى ماتعرفه انجلترا عنها .

ومن هنا ذلك المسح الدءوب علمياً لحضارتها بدءاً من جذورها مروراً بفترات ازدهارها ونضجها ، ثم انتهاء بمراحل تدهورها فانهيارها .

## ● اختفاء المرأة

ورغم ذلك ، وإلى أن أخرجت المطابع الفرنسية كتاب "المرأة فى أزمنة الفراعنة" لصاحبته "كريستيان دى روش نوبلكور" ( دار ستوك - لورانس بيرنو/١٩٨٧ ) فقد كان دور المرأة فى بناء تلك الحضارة المذهلة ، يكاد يكون أمراً مجهولاً .

أما بعد ظهور هذا الكتاب الذى هو آية من آيات البحث العلمى الرفيع الذى يعتمد اولاً على ملاحظة ومشاهدة آخر إنجازات التنقيب عن الآثار ، وثانياً على قراءة البرديات والكتابات التى على جدران المعابد والمقابر فى لغتها الأصلية لأن

"نوبلكور" تجيد الهيروغليفية ، فضلاً عن الاستناد إلى آخر أعمال العلماء المتخصصين فى الحضارة المصرية القديمة .

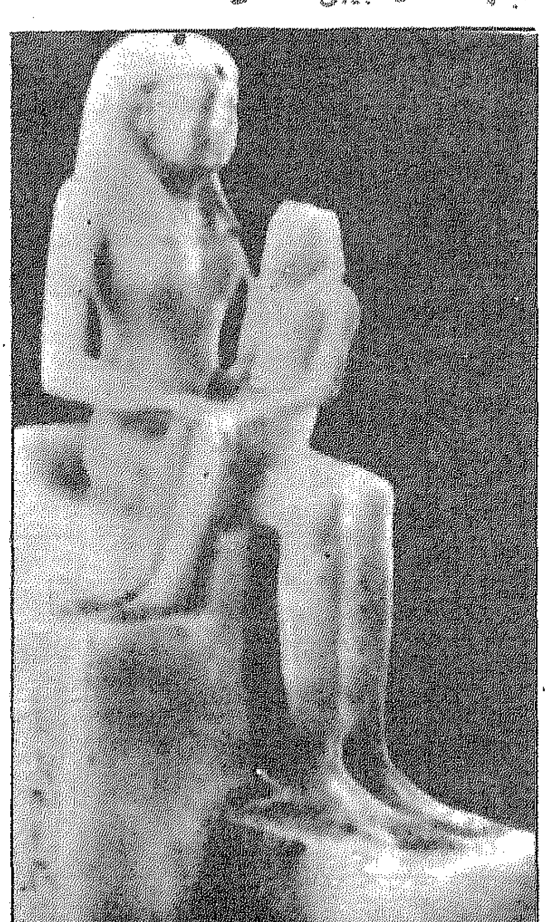
اما بعد ذلك فقد تبين ان مصر ماكان بنيانها الحضارى ليكتمل ويستمر مشعاً زهاء خمسين قرناً ، لولا أن المراة كانت مكافحة مع الرجل فى كل ميدان ، من البيت إلى الغيط، ولولا ان المجتمع فى تلك الأزمنة السحيقة لم يكن يعانى من الإزدواجية المعاصرة التى تضع حجاباً حاجزاً بين الرجل والمراة ، بحيث تجعل من الاول مستودعاً اوحداً للعقل والروح ، وتجعل من الثانية كائناً لايتحكم فيه سوى هوى العاطفة والجسد .

وفى سبيل التدليل على ما كان للمرأة من مكانة رفيعة فى أزمنة الفراعين ، بدأت "نوبلكور" كتابها بعرض سريع لحال المرأة فى دنيا آلهة قدماء المصريين التى لاتعدو أن تكون انعكاساً لدنيا هؤلاء القدماء هنا على الأرض .

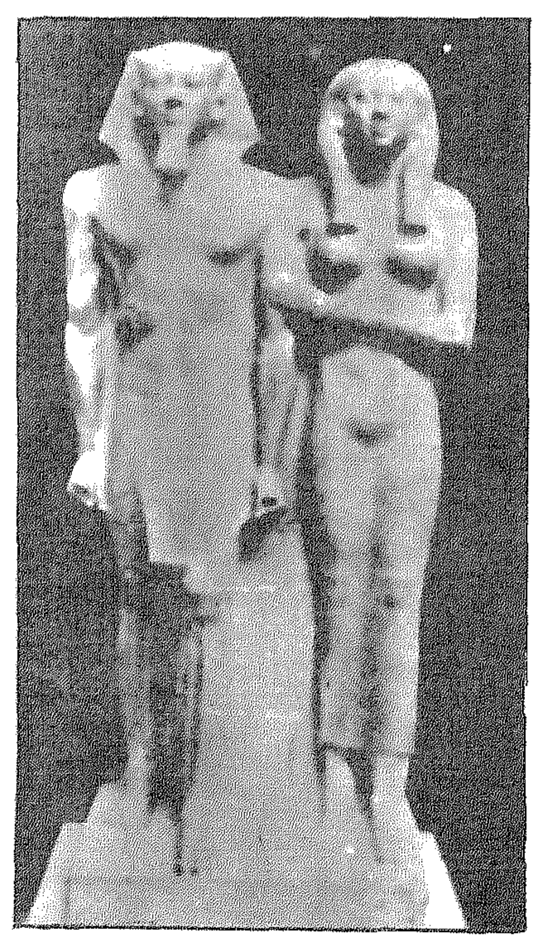
## ● سفر التكوين

وقد استهلته بتناول أساطير مصر

الملكة انكش مرير - تحمل ابنها الطفل بيبى الثانى



المراة الى جانب الرجل .. تسانده



# المرأة المصرية في عصر الفراعنة

القديمة ، التى سرعان ما أصبحت جزءاً لايتجزأ من أديانها .

تلك الأساطير التى تروى خلق هذا العالم بأرضه وسمائه ونجومه ومائه وأناسيه ونباته وحيوانه .

كما تروى نشأة الآلهة أجداداً وأباءً وأحفاداً ، ففى البدء كان العالم قبل أن يأخذ شكله الحالى "هيولى" أى شيئاً كبيراً مضطرباً .

وكان الكون كله يخبط فى ظلام قاتم دامس .

واعتبر المصريون القدماء هذا الهيولى ربهم الأول "نون" .

وهذا الرب الأول هو الأب والأم ، لأنه حسب تفكرهم البدائى فى أسرار الكون لم يتصوروا أن يكون الرب واحداً لا شريك له .

وفى تفسير ظواهر الطبيعة من نور وظلمة ، وليل ونهار ، وشمس وقمر ، وأرض وسماء ، وبر وبحر ، وحياة وموت ، اعتقدوا أن الخالق "اتوم" قد ابدعها فى صورة أرباب من ذكر وأنثى .

## ● شجرة العائلة

فمثلاً "شو" ربة الهواء و"تفنوت" رب الرطوبة .

وكلاهما ينجب "جلب" رب الارض ، و"نوت" ربة السماء ، اللذين بدورهما ينجبان "أوزوريس" و"إيزيس" و"ست" و"نفتوس" الأرباب الأربعة المشاهير والـذيـن تتكـون منهـم الأسطـورة الأوزوريسية .

واستخلصت صاحبة الكتاب من هذا الذكر العارض لدنيا الآلهة انها دنيا قائمة على التكامل بين الجنسين .

وبعد عرض سـريع لعين "رع" ( الشمس ) وأسطورة العود الأبدى ، ثم دور الربة "هاتور" فى هذا العود الذى له علاقة بالفيضان السنوى ، وهو دور يرتهن به رخاء البلاد وما يوفره من هناء وإسعاد .

وبعد عرض آخر لهذه الربة بأوجهها وتحولاتها العديدة ، والتى من بينها أنها ربة الحب كما "افروديت" ربة الحب الهيفاء وأم كيوبيد عند اليونان .

## ● إيزيس إلى الأبد

انتقلت صاحبة الكتاب الى "إيزيس" لتقف عندها طويلاً وتفيض .. لماذا ؟

لأنها من بين آلهة قدماء المصريين ، الوحيدة الباقية ملء الأسماع .

فهم جميعاً ذهبوا مع الريح ، أصبحوا فى ذمة التاريخ .

أما هى فقد غدت بطلة أسطورية عند المصريين قدماء ومعاصرين .

وفوق هذا ، فما أن غزا الرومان مصر ، حتى اتخذوا منها ربة لهم فى روما .

ورغم انقضاء ثلاثين قرناً على أول ظهور لاسمها فى ربوع مصر ، فقد شيدت المعابد باسمها على ضفاف الراين والدانوب .

وعند صاحبة الكتاب أن سر شعبية "إيزيس" واستمرار أسطورتها منذ فجر

التاريخ حتى يومنا هذا ، إنما يكمن فى أنها ترمز إلى المرأة المصرية المحاربة ، الساهرة على حماية بيتها باعتبارها زوجة وأماً .

## قصة حب

فأوزوريس رب الأحياء يغير منه اخوه "ست" فيقتله غيلة ويلقي بجثته فى النيل .

وتهيم إيزيس على وجهها فى أقصى الأرض ، بحثاً عن جثة زوجها حتى تعثر عليها ، وتعود بها إلى مصر ، ولكن محاولاتها تذهب سدى ، إذ سرعان مايخطف "ست" الجثة ، ويمزقها إرباً ، إرباً .

ومرة أخرى تهيم "إيزيس" على وجهها بحثاً عن أجزاء جسم "أوزوريس" وتمضى فى ذلك حتى تعثر عليها فيما عدا عضو الخصوبة .

ثم لاتلبث بسحرها أن تعيد إلى "أوزوريس" الحياة مؤقتا ، لتحمل منه ثم تنجب "حورس" الذى تسهر على تربيته حتى يغدو فتى يافعاً له من القوة مايستطيع بها أن ينازل عمه "ست" انتقاماً لأبيه ، حتى يهزمه ويسترد العرش ، فيصبح "حورس" ملك الأحياء ، ويصبح ابوه "اوزوريس" ملك الأموات فى الدار الآخرة .

ومن هنا صيرورة كل فرعون تعبيراً عن هذين الملكين حورس فى الحياة ، وأوزوريس مع الموت .

ومهما يكن من الأمر فأسطورة "إيزيس" هذه بوقائعها التى تقطع بوفاء المرأة وعزمها وصمودها لحوادث الدهر ، انتصاراً للزواج والأمومة ، هى التى حدت بقدماء المصريين إلى التعظيم من شأنها ، والإنشاد فى تمجيدها "**أنت سيدة البر .. أنت يا من حققت للنساء المساواة مع الرجال**" .

وفى الواقع نجد هذه المساواة متحققة ، إذا ما نزلنا مع "نوبلكور" صاحبة الكتاب من دنيا الآلهة إلى دنيا الفراعنة هنا على الأرض .

## نساء فرعون

فالملكات لهن دور بارز مرموق فى عظائم الأمور ، فهن اللاتى يحملن الدم الملكى ، ويحفظن بنقله فيما ينجبن من ابناء النقاء والبقاء لشجرة الملوك ، الآلهة .

وهن اللاتى يساندن فرعون فى حكم البلاد ، ومن منطلق سيطرة العقل على أحكامهن يقدمن إليه النصح والإرشاد .

وهن اللاتى يهبن أبناءهن يلهبن حماسهم من أجل تحرير مصر من رق الهكسوس "الملكة تيتى شيرى" .

وهن إذا ما ترمّلن كان لهن الحق فى الوصاية على الأبن الوارث للعرش فيما لو مات ابوه "فرعون" وهو لا يزال صبياً ، آية ذلك الملكة "ميريرى انخينيس" ارملة "بيبى الأول" التى نصبت نفسها وصية على ابنها الطفل الفرعون "بيبى الثانى" الذى حكم مصر لمدة أربعة وتسعين عاماً ، وهى أطول مدة حكم فى تاريخ

# المرأة المصرية في عصر الفراعنة

الفراعين ، بل قل في كل ما هو معروف من التاريخ .

## ● الباب المفتوح

ومن علامات المساواة بين المرأة والرجل على قمة السلطة في ازمنة الفراعنة ، انه كان في إمكان المرأة أن تعتلي العرش ، فتصبح "حورس الحي" أي فرعوناً .

والنساء الفراعنة اللاتي انفردن بحكم مصر لايزيد عددهن على خمسة هن "نيتوكريس" و"نيفير سوبيك" و"حتشبسوت" و"نفرتيتي ؟" وأخيراً "تاوسيرت" ( علامة الاستفهام أمام نفرتيتي لصاحبة الكتاب لأنه مشكوك في انفراد تلك الملكة بالحكم بعد موت زوجها "اخناتون" الفرعون الكافر ) .

وطبعا لم تقف "نوبلكور" طويلاً في كتابها إلا عند "حتشبسوت" ( ١٥٠٤/١٤٨٣ قبل الميلاد ) تلك الملكة التي اعتلت عرش مصر في عصر مدوٍّ بطبول الانتصارات على الهكسوس ، واسترداد المسلوب من الأمجاد .

فلقد خصصت لسيرتها حوالي اثنتين واربعين صفحة ، وذلك بحكم أنها من كوكبة الاحد عشر فرعونا الذين كان لهم دور حاسم ومؤثر على مصر في كثير من المجالات ، من بينها الديانة والفن والزراعة والنصر في القتال .

**وفي الحق فإنجازات "حتشبسوت" في السياسة والفن والزراعة تملأ النفس ثقة بالمرأة واعتزازاً .**

فهي قد ابتعدت بالسياسة الخارجية عن طريق الحرب بأن أقامتها على أساس سلام دفاعي جوهره التركيز على تنمية العلاقات التجارية مع الجيران ، والانفتاح على أقطار نائية ذات موارد طبيعية يفيد استيرادها البلاد .



◀ تيتي شيري . الملكة التي حررت مصر من الهكسوس

ومن هنا تلك البعثة الاستكشافية التجارية العلمية الفذة التى أرسلتها إلى بلاد "البونط" ( جنوب السودان واعالى النيل وشرقى الاستواء فى رأى بعض المؤرخين ) .

وهى بعلمائها فى النبات والحيوان والهندسة والرى ، إنما تذكرنا بحملة بونابرت والعلماء المصاحبين لها التى أرسلتها فرنسا إلى مصر قريباً من نهاية القرن الثامن عشر ، أى بعد بعثة "حتشبسوت" بأربعة وثلاثين قرناً .

والآن ، ماذا عن المرأة العادية خارج دنيا القمة حيث لا أحد فى جناتها سوى الآلهة والفراعنة ! .

هل عرضت صاحبة الكتاب لأحوالها بتفصيل يشفى الغليل ؟

مايقرب من خمس الكتاب مكرس لها ، وهو بالنسبة لأهمية الدور الذى لعبته فى المجتمع أقل من القليل .

ومع ذلك ، فقد نجحت صاحبة الكتاب فى رسم صورة تقريبية لحياة المرأة العادية ، يمكن أن يستخلص منها أن وضعها لم يكن متدنياً أو هامشياً كما هو حالها الآن .

## ● التوازن الدقيق

**فمصر فى الأزمنة القديمة كانت البلد الوحيد الذى تمتعت المرأة الحرة فيه بوضع مساو للرجل .**

فمن الناحية الشرعية لم يكن ثمة فرق بينها وبين الرجل ، كانت نداً له فى كل شىء ، كانت تستطيع أن تتعلم ، أن تقتحم ميادين الحياة ، وتخوض معاركها كما الرجال .

وعلى عكس الرومان ، لم تعرف المرأة المصرية الوصاية التى كانت من أسباب معاناة المرأة الرومانية فسلطان الوالدين ، وبخاصة الأب ، كان لمجرد الحماية لها من الغير .

وفى الميراث كان حظها مثل حظ الذكر ، لاينقص عنه ولايزيد .

وفى الزواج كان لها الحق ، بعد موافقة الوالدين ، فى اختيار من تشاء رفيقاً للعمر .

فإذا ما عقد قرانها بطقوس لا يزال لها تأثير كبير على افراح المصريين حتى الربع الرابع من القرن العشرين ، احتفظت باسمها مضافاً إليه لقب "ست البيت" وبذمتها المالية المستقلة كاملة غير منقوصة ، وبحقها فى أن تقبل شهادتها أمام القاضى باعتبارها مساوية لشهادة الرجل ، وفى أن توصى بما لها لمن تشاء بغير حساب .

## ● اختلاف الحدود

وفوق كل هذا كان من حقها أن تطلب الطلاق ، وأن تسترد كل ماقد يكون لها من مال فى بيت الزوجية ، وذلك طالما ان انفصام العلاقة لم يكن بسبب اثم ارتكبته كالزنا الذى كان قدماء المصريين يسمونه بالجريمة الكبرى ، ويغلظون له العقاب .

ومساواة المرأة بالرجل لاتعنى أن المصريين القدامى لم يضعوا فى الاعتبار

# المرأة المصرية في عصر الفراعنة

مابين الجنسين من اختلاف فى بنية الجسم والنفس .

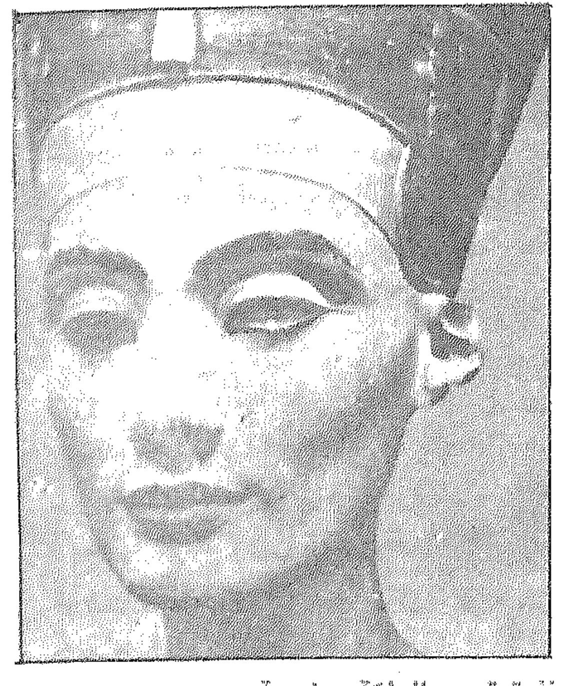
فهذا أمر لايغيب عن حضارة قوامها الوجود المتوازن ، حضارة اختارت لفظاً واحداً "نيفر" تعبر به عن الخير والجمال .

فمثلاً الزانى المتزوج كان يعاقب بالخصى ، اما الزانية المتزوجة فكان عقابها قطع الأنف ، الأمر الذى كان يشوهها ، ويحرمها من سحر الإغراء .

## ● حتمية المساواة

ومن عجب ان نعمة المساواة هذه التى لم يكن لها مثيل فى بلاد مابين النهرين ، ولا فى أثينا ، ولا فى روما ، بل ولا حتى فى أوروبا إلى ماقبل الحرب العالمية الأولى ، هذه النعمة لم تكن إلا وليدة كفاح بنت النيل من أجل الارتقاء إلى المساواة .

فالمساواة بين الجنسين كانت من طبائع الأشياء فى مجتمع يبنى حضارة متوازنة ، مثلها الأعلى أن تكون المرأة زوجة وأماً وست بيت لشخص عزيز يعرف كيف يواجه معها متطلبات حياتهما المشتركة .



نفرتيتى . الملكة وزوجة فرعون الكافر اخناتون

ومن مستلزمات ذلك ، وحتى تستطيع مواجهة مسئوليات تلك الحياة بحلوها ومرها ، كان لابد من أن يصعد بها المجتمع ، أن يوفر لها الحرية ، ويهيىء لها وسائل الحصول على العلم والمعرفة .

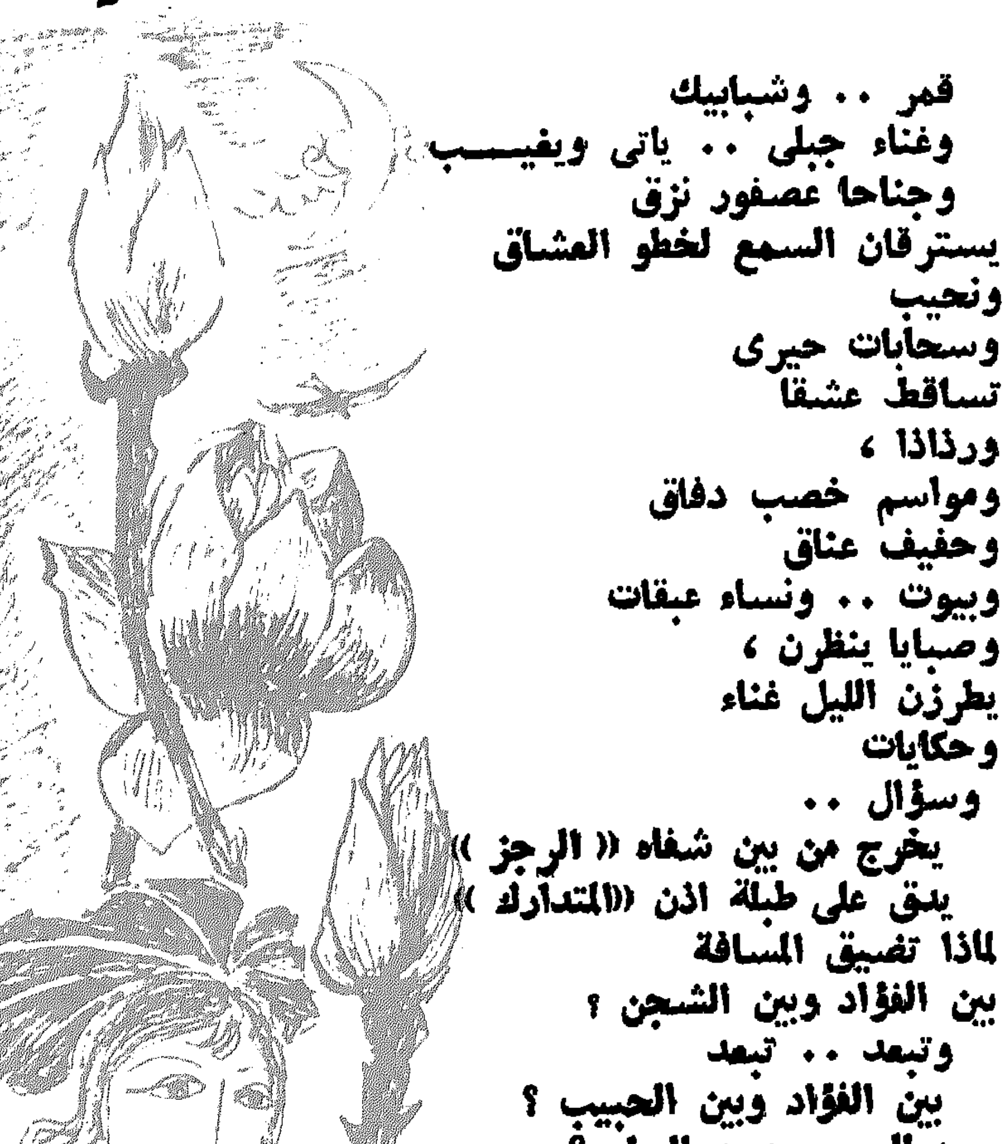
ويبدو أن الحضارة المصرية القديمة لم تضع أمام هذا الصعود أى سدود .

**والغريب أن الذين يدرسون تاريخ قدماء المصريين ، لا يكادون يفطنون إلى هذا الجانب الهام من أسباب نهضتهم ، والذى لولاه لما عاشت حضارتهم الآف السنين ، ولما ظلت آثارها ـ حتى بعد غروب شمسها ـ تشع عطراً وسحراً .**

● ● ●

# قمر... وشبابيك

شعر: عزت الطيرى



قمر .. وشبابيك
وغناء جبلى .. ياتى ويغيـــب
وجناحا عصفور نزق
يسترقان السمع لخطو العشاق
ونحيب
وسحابات حيرى
تساقط عشقا
ورذاذا ،
ومواسم خصب دفاق
وحفيف عناق
وبيوت .. ونساء عبقات
وصبايا ينظرن ،
يطرزن الليل غناء
وحكايات
وسؤال ..
يخرج من بين شفاه «الرجز»
يدق على طبلة اذن «المتدارك»
لماذا تضيق المسافة
بين الفؤاد وبين الشجن ؟
وتبعد .. تبعد
بين الفؤاد وبين الحبيب ؟
وبين الحبيب وبين الوطن ؟
قمر .. وشبابيك
وانا .. فى هذا الليل شريد
يبدأ ترتيب الكون !!

# المرأة

# كما تراها باحثة البادية

بقلم : د. إبراهيم عوضين

مع مطلع القرن العشرين واجهت مصر بخاصة والعالم الاسلامى بعامة لونا جديدا من الحروب الاستعمارية ، حيث توسل المستعمرون بإثارة المشكلات الفكرية والاجتماعية عن طريق أعوانهم من المستشرقين والمبشرين مقدرين أحد انتصارين لهم ، فاما استسلام لعادات الغرب ، واما اشتغال بهذه القضايا واشعال لنار الفرقة والخلاف بين ابناء الوطن . حتى لا يكون لديهم فرصة للوقوف فى وجه المستعمر .

ولا ريب فى ان الوصول الى نتيجة من هاتين النتيجتين يمكن للمستعمر من احكام قبضته من أعناق الأمة جمعاء ، ويقدره على أن يتجه بها كيف شاء .

وكان من أبرز المشكلات المثارة مع مطالع هذا القرن قضايا المرأة فى المجتمع ، فقد استغلوا مغالاة بعض مجتمعاتنا فى الزام المرأة بالقيم الاسلامية مغالاة قد تجافى روح الاسلام وتوجيهاته .... استغلوا هذه المغالاة ، واستثاروا المرأة فى الاسلام وقيمه ، وأوقفوها على التطرف والمغالاة فى الخروج من هذه الربقة التى أساءت اليها وقضت عليها بالتخلف عن مثيلاتها من نساء أوربا .

وعلى الرغم من أن الكثيرين من الغيورين على الاسلام والوطن كانوا يدركون ماوراء ذلك ، .. ولم يجدوا بدا من مواجهة هذه الاستثارات ، والعمل على تفنيد حجج المستعمرين وأعوانهم ، واظهار ماتقدم من دعاوى باطلة لا أساس لها من واقع الاسلام ومبادئه وقيمه .

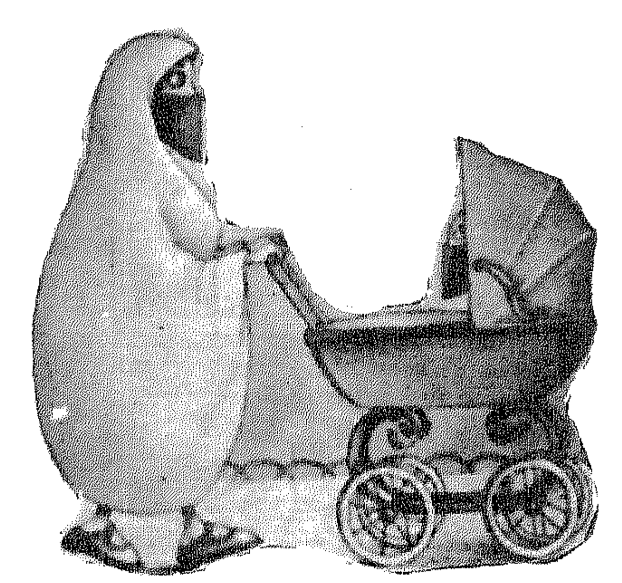
ولم يكن ذلك كافيا وحده فى الدفاع عن الوطن والاسلام ، فاعجبت طائفة أخرى من أبناء أمتنا بالدعوة الى تقويم المعوج من مفاهيم ، والعود الى قيم الاسلام

الصريحة الخالية من التطرف والمغالاة فنادوا بمراجعة التقاليد والعادات ـ خصوصا تلك التى تتصل بالمرأة ـ والعمل على تنقيتها من الشوائب التى تباعد بينها وبين الاسلام ، حتى تقطع على هؤلاء دعواهم ، وتسقط حجتهم .

وكان فى مقدمة هؤلاء الأديبة الشاعرة ملك حفنى ناصف المعروفة بباحثة البادية ، فقد واجهت تلك القضايا بنظرات موضوعية متزنة ، توضح للمرأة وللرجل معا مكان المرأة من مجتمعها ، ومايجب عليها ومايجب لها لتحقق وجودها ، مستغلة فى ذلك لسانها المبين ، وقلمها السيال ، وعقلها الواعى الحكيم ، فجالت وصالت فى مختلف مشكلات المرأة وقضاياها . وقد جمع شقيقها هذه الآثار فى كتاب نشرته المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر تحت عنوان ( آثار باحثة البادية ) .

## ● أمام السفور والحجاب

وموضوع السفور والحجاب كان من



أهم ماتناولته باحثة البادية ، فأبرزت مضار المغالاة فى السفور والمغالاة فى الحجاب ، فواجهت أولئك الذين خدعهم البهرج الأوربى ، وانساقوا فى تيار العرى الفاحش ، والقوا بالحجاب كله عن أجسامهم ، فكشفوا منها المباح والمحرم ، ظنا منهم أن هذا هو سبيل التحضر والرفعة . كما واجهت هؤلاء الذين رأوا فى كل وافد خروجا على الدين ، من غير نظر فيه ، أو تأمل فى عواقبه ، وبسطت القول على مدى خمس مقالات ، ردت فيها على من نادى بإلقاء الحجاب عن المرأة حتى تكون مثل الافرنجية ، فناقشت دعواه من الوجهة الدينية والاقتصادية ، ثم من الوجهة الاجتماعية وأوضحت من واقع المرأة المصرية التى لم تتحصن بالعلم ماتجلبه هذه الدعوة عليها من أضرار ، وما تجره عليها من مآس ، فليس الأمر أمر حجاب وخلع حجاب ، وانما هو أمر من تخلع الحجاب ، ومن تسير سافرة بينهم من الرجال ، فخروج المرأة بغير حجاب لايضر فى نفسه اذا كانت أخلاق النساء وأخلاق الرجال على غاية الكمال .

ثم لفتت النظر الى ماجناه الأفرنج من السفور حين أباحوه ظنا منهم أن العلم والتعلم يقى من شروره فقالت ان الافرنج وهم المتعلمون نساء ورجالا يشكون من فساد مجتمعهم وقلة وفاء أزواجهم .

وهكذا رأت باحثة البادية أن القضية ليست هى هذا الشكل الخادع ، وأن الوقاية لايمكن ان تتحقق بالعلم وحده ، وانما فى الأول وفى الآخر ... المجتمع فى حاجة الى الأخلاق .

فباحثة البادية ترى أن المشكلة ليست فى خلع الحجاب او ابقائه ، كما

## المرأة
### كما تراها باحثة البادية

ترى أن الوقاية من الانحراف لا تتحقق بالعلم والتعلم ... وانما الأهم من هذا وذاك أن يتخلق المجتمع ـ رجالا ونساء ـ بالخلق القويم . فعلموا المرأة تعليما حقا ، وربوها تربية صحيحة ، وهذبوا النشء ، واصلحوا أخلاقكم بحيث يصير مجموع الأمة مهذبا ، ثم اتركوا لها شأنها تختار مايوافق مصلحتها ومصلحة الأمة . فالعبرة باللابسة لا بما تلبسه ، فلتلبس المرأة ماشاءت من اللباس اللائق ، ولتحتشم فى مشيتها ، فلن يمسها سوء .

ولما ربط جماعة من المتفرنجين ـ على حد تعبير الباحثة ـ بين تخلفنا وبين حجاب المرأة ، ودعوا الى مسايرة الأوربيين فى كل شيء حتى ننهض بامتنا ، ردت عليه بمقال ضاف جاء فيه :

من يقرا مقالات هؤلاء المسبحين بحمد الأوربيين يرى انهم يعذرونهم في كل شر أتوه ، حتى انهم ليعذرون بانسلاتهم على اراقة ماء الوجوه ، ولكنهم بالضد من ذلك ينظرون الي كل شيء في وطنهم بعين المقت ، ويعزون تأخر مصر المادى والأدبى الى النقاب . أترى لو كنا سافرات يوم ضرب الاسكندرية بالقنابل اكان يرتد على اعقابهم المحتلون ؟ وهل كان ينفع اشراق وجوهنا في تبرئة مظلومي دنشواى ؟

قد يكون حجابنا مؤخرا لنا بعض الشيء ، ولكن لا يصح نسبة كل تاخر له ، والا فان الأمم الغربية كلها نساؤها سافرات ، فلماذا تجد احداهن راقية جدا والاخرى منحطة الى الدرك الأسفل ؟!

ان تربية المراة وحدها عليها مقدار فلاحها ، وهى من اهم الأسباب لاعلاء شان امتها ..

ولما طالبتها نبوية موسى بتحديد موقفها ، فاما السفور واما الحجاب . اجابتها باحثة البادية بقولها : اريد أن نطبق عاداتنا على الشرع والسنة الشريفين بغير جمود ولا تعصب ، فلا نحرج أنفسنا بالاختباء اذا لزم السفور ، ولا نرخي لأهوائنا العنان بالسفور لمجرد تقليد الغربيين ، وانما نختار انفعهما لنا وادفعهما للضرر .

وهكذا وقفت هذه الشابة تناضل هؤلاء واولئك براى واضح ، وحجة قوية ، ولسان مبين ، فلم تلن لها قناة ولم تضعف امام الخصوم من هنا وهناك ؟ لأنها تناضل عن يقين .

### ● الطلاق وتعدد الزوجات

ومن هذا المنظور العاقل المتأنى رأت الباحثة مشكلة الطلاق وتعدد الزوجات ، فليس اباحة الطلاق وتعدد الزوجات هو الدافع إليهما ، وإنما الذى يدفع إليهما هو سوء أسلوبنا فى الزواج ، فطريقة الزواج فى مصر ـ على حد تعبيرها ـ طريقة معوجة عقيمة ، نتيجتها فى الغالب عدم





صورة للمرأة العربية كما تخيلها الفنان الجزائري قاسي

الوفاق بين الزوجين وذلك لأننا نقيم الزواج على الخاطبة دون أن يرى الشاب الفتاة مغفلين ماسنه لنا الشرع وأمرنا به الاسلام ، فطريقة العرب على عهد النبى ﷺ ومابعده فى أمور الخطبة والزواج طريقة شريفة معقولة ، اذ لم يكن الحجاب حينذاك كما هو الآن . **وانى اجاهر بان حجابنا مقلوب ، ونظامنا الاجتماعى فاسد اشد الفساد ، لا يصلح ولن يصلح لأن تتبعه أمة متدينة .**

وترى الباحثة الحصيفة أن سوء أسلوبنا فى الزواج ناشىء من نقص فى التربية الاجتماعية عندنا ، حيث لم نعود شبابنا احترام النساء .

وتختم الباحثة مقالها ، فتجمل أسباب شقاء الزوجين ، وعدم الوفاق بينهما فى خمسة أسباب هى : **جهل أحد الزوجين بالآخر ، وزواج مختلفى الطباع والبيئة ، والطمع فى الغنى بغير نظر الى الأخلاق والزواج العشرى ، وتاويل الدين الحنيف على غير ما اريد منه فى أحكام الزواج والطلاق .**

وهكذا نظرت الباحثة الى المشكلة من جذورها ، وربطت بينها وبين التربية .

## ● التقليد الأعمى

ولم تقف الباحثة الشابة عند حد معالجة المشكلات المثارة ، بل نظرت الى المرأة تلك النظرة الهادئة المتفحصة فكشفت عن طرف من أسرار تخلفها وجمودها ، وكانت حريصة كل الحرص على أن تضع يدها على هذه الأسرار كى تعالج نفسها من أوضارها ، وتتقى الناشئات شر الوقوع فيها .

وأبرز مانعته على المرأة المصرية ـ خصوصا ساكنة المدينة ـ استسلامها لتقليد الأوربية دون وعى بما يناسب وما لايناسب ... انها من منطلق شعورها بتفوق

# المرأة
## كما تراها باحثة البادية

الأوربية تقلدها فى كل ماتفعل ، سواء كانت المصرية تحتاج ذلك أو لا تحتاجه .

ومن أمثلة ذلك عشق طائفة من النساء طلاء الوجوه فيصبحن شقراوات مثل الأوربيات ظنا منها أن الشقرة هى اللون المرغوب مادام هو لون الأوربية ، وهنا تتساءل الباحثة : ولماذا تعد الشقرة خيرا من السمرة ؟ ألا تتساوى فى ذاتها الألوان ؟ ان مسألة اللون مسألة اعتيادية صرفة لا أثر لها من الصحة ، فأنا أحب اللون الأخضر ، وجارتى تحب اللون الأحمر ، فهل تفضل احدانا الأخرى من هذه الوجهة ؟

ان أولئك السيدات يقلدن ولكن ينقصهن ملكة الذوق فى كثير مما يعملن ، فان الوجوه الشديدة البياض والحمرة يكون فيها دائما عينان زرقاوان ، وحاجبان أخطبان ، ويكسو رأسها شعر أشقر فتلائم بعضها بعضا ، أما نساؤنا فبينما يصبغن حواجبهن بالسواد الفاحم الى نصف الأنف ، وأعينهن يكاد كحلها يخلق لها حاجبين آخرين ، تراهن بعد ذلك يصبغن وجوهن بالشقرة . فأين الذوق الحسن من هذا الترقيع الشائن ؟

ومن ذلك كذلك تقليد الأوربيات فى التدخين وشرب الخمر ، غافلات عما يحدثه التدخين والخمر فى جسم المرأة ، وما يتركه من آثار فى روحها ونفسها .

فان التدخين يذهب بوداعة المرأة ويخل بصفائها ، فيفقدها أهم مظاهر جمالها المعنوية ، كما يسلبها الجمال الحسى ، فيرمى الأسنان بالصفرة ، ويغير اللثة والشفتين وطعم الفم .

واذا كان الرجل أبشع مايكون حين يسكر ، فان المرأة أبشع ماتكون حين تشرب الخمر . وقد سرى هذا الداء العياء بين الطبقات العالية من النساء بدعوى أنه من كماليات التفرنج ، ويقلدهن فيه الباقيات تشبها ، ويتبجح بعض النساء الآن فى الأعراس بطلب الكئوس والأقداح وزجاجات الخمر ، اذ يشربن بلا احتشام .

وتواصل الباحثة مناقشة هذا السلوك ، فتبين دور الرجل فى ذلك ، إذ هو الذى شجع المرأة عليه ، ففساد كثير من النساء راجع الى بعولتهن ، فكثيرات تعلمن منهم السكر ، وكثيرات يسكرن معهم فى البيت حرصا عليهم أن يسكروا فى الخارج فيرنوا الى غيرهن أو تسلب نقودهم ، ويجعلن لانفسهن عذرا أن بعض الشر أهون بعض .

ولاتقف الباحثة عند ذلك ، بل تواصل الحديث فتبين الضرر الصحى من التبغ والخمر ، اذ ضررهما الصحى لايقل عن ضررهما الاجتماعى والمعنوى ، فقد أوضح الأطباء مفعوله ، وبينوا مقدار ( النيكوتين ) السام فى كل لفافة من التبغ ، وكيف أنه يضر الصدر والعيون ويفسد الشهية للطعام ، كما أوضحوا أن الخمر تصيب الكبد وتفسد العقل .

هكذا أوضحت الباحثة أن التقليد فى مثل هذه السلوكيات لا يأتى بخير ، فهو

تقليد أعمى ، دفع إليه شعور المرأة بالنقص أمام مثيلتها الأوربية .

## ● العــلاج

وباحثة البادية لاتقف عند حد وصف الداء وتشخيصه ، ولا تقصر عينها الفاحصة الدءوب على ابراز العيوب والأخطاء ، والمرور فى خفة على تحديد الأسباب التى تؤدى اليها . ولكنها تقدر أن المصلح طبيب عليه أن يصف لمريضه الدواء ، مادام قد عرف الداء وسره .

والدواء الذى ترى فيه الباحثة علاج كل مشكلات المرأة هو التربية الصحيحة الواعية .

حقيقة النشء كله - رجالا ونساء - يحتاج الى التربية الصحيحة ، ولكن المرأة تحتاج من ذلك الى مايناسبها ، اذا التربية وسيلة لغرض ، وليست هى فى نفسها غرضا .

من ثم تحدد الباحثة الغرض من تربية البنت ، فتقرر أنه تقريبها من السعادة بقدر الامكان ، واعدادها لأن تكون عضوا حيا نافعا فى جسم الأمة ، وتهيئتها للقيام بأعباء الزوجية والامومة .

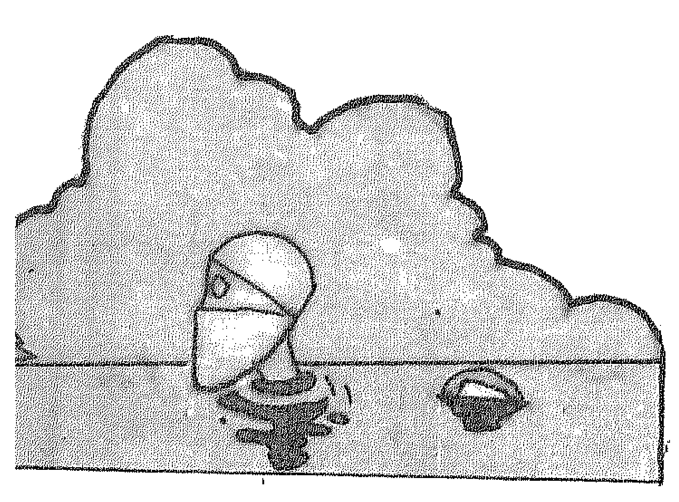
وهذا يعنى أن تربية البنات يجب أن تختلف عن تربية الصبيان ، لاختلاف الغرض منها هنا وهناك ، واختلاف طباع البنات والذكور ، ومظاهر عيشتهم ووظيفتهم فى المستقبل .

ولكن التربية في المدارس المصرية لا تفرق بين تربية البنات وتربية الصبيان ، فالجميع يسير على طريق واحد ، لأن واضعى برامج التعليم والتربية فى وزارة المعارف جعلوا نصب أعينهم تخريج فتيات ينلن شهادات الحكومة الرسمية فقط بغير تدقيق فيما اذا كانت هؤلاء الفتيات يصلحن لغير خدمتها أو يمكنهن القيام بغير ماعودتهن اياه ، مما يشبه أعمال صغار الكتبة فى الدواوين .

**إن للتربية - عند باحثة البادية - اهمية كبرى في توجيه المراة وتخليصها من كثير من العادات والسلوكيات التى ترثها أو تقلد فيها الغير عن جهل وعدم تبصر ، وامدادها بما ينقصها من لطف المراة وسياسة الزوجة الحكيمة ، وتدبير الام .**

وبعد فمن ذا الذى يقدر أن صاحبة هذه الآراء الحكيمة ، والنظرات العاقلة ، امرأة عاجلها الموت وهى بنت اثنين وثلاثين عاما ؟!

إن دل هذا على شىء فانما يدل على ماكانت تتمتع به من ثقافة واسعة وعلم غزير ، وعقل ناضج ، وشخصية قوية ، وشجاعة نادرة ... تمكنت بها من أن ترى الحق ولا تخشى شيئا فى المواجهة بما ترى ، غير ملقية بالا بما يجره ذلك عليها من صراع وخصام وهجوم فى وقت كانت فيه قبضة المستعمر الانجليزى محكمة على أعناق الأمة احكاما يكاد يخنقها .





# أبو العلاء المعري

## وموقفه من المرأة

بقلم : أحمد كامل

**هذا جناه أبى علىّ وما جنيت على أحد**
**أهو تعبير عن الضيق بالحياة ، أم هو إنكار للتناسل ؟**
**ليس من الحكمة فى شىء انكار التناسل ، لأنه حكم على الحياة بالعقم ، وحكم على الذكور بقتل غريزة الأبوة ، وعلى الإناث بقتل غريزة الأمومة ، وعلى الجنسين بقتل غريزة التواصل ، وعلى المجتمع بعدم القدرة على الاستمرار .**

إذا تناولنا أبا العلاء كشخصية عامة ، لا يمثل نفسه فقط ، بل يعبر عن نبض الجماهير ، ويستوحى هموم الانسانية ومباهجها ، ويرسم الطريق ـ فإن إنكار التناسل يكون حمقا وغباء ، وعدم ادراك لطبيعة الحياة ، ولمفهوم ( الخلافة ) الانسانية فى هذا الكون البعيد الآماد والأعماق .. بل حقّ لنا أن نحكم عليه بالمروق من الدين ، ومخالفة الشرائع السماوية والانسانية جميعا .

واذا تناولنا أبا العلاء شاعرا أديبا ، يعبر عن مشاعره الخاصة ، وتجاربه الذاتية ، وأمكن عزله عن مجتمعه ـ صح تفسير انكار التناسل ، على أساس حالة مرضية ، عضوية أو نفسية ، وهو فى هذا لا يصدر عن فكر ، بل عن انفعال .

ولنا أن نفتش فى حياة هذا الرجل لنجد سرّ هذا ( الانفعال )

بداية ، نجد علاقته بوالديه لا تؤدى الى كراهية النسل ، فقد كان الوالدان متكافئين ، الأب من أسرة توارثت العلم والقضاء ، والأم من أسرة ذات شرف وجاه ، وقد كانا بارين به ، أحاطاه بالرعاية الكاملة علما وأدبا ، ووفرا له فى حياتهما مالم يحوجه الى غيرهما ، وما ساعده على أن ينمى ملكاته ومواهبه ، بقدر مايتسع النمو ، بل انه كسب عن طريقهما وعن طريق أعمامه وأخواله قدرا من العز والجاه .

لم يكن اذن فى علاقته بأبويه ماينفر من تكوين أسرة ، وقد ظل على حب ووفاء لهما ، حتى بعد موتهما ، فرثى كليهما ، وظل يلتقى بهما فى يقظة وفى منام .

اذا نمـت لاقيـت الاحبـة بعدمـا
طوتهـم شهـور فـى التـراب واحـوال

وفى ( الفصول والغايات ) التى كتبها بعد موت والده بزمن طويل يخاطب الله ـ سبحانه ـ قائلا : ( وارزقنى فى خوفك برّ والدى ، وقد فاد بره اهداء الدعوة له بالغدو والآصال ، فأهد اللهم له تحية أبقى من عُروة الجدب ، وأذكى من ورد الربيع ، وأحسن من بوارق الغمام ، تسفر لها ظلمة الجدث ، ويخضرّ اغبر السُّفاه ، ويأرج ثرى الأرض ، تحية رجل للقيا ليس براج ) ص ٣١٩

وفى ايامه الأخيرة ذكر أمه فى قصيدة قالها فى أخيه القاضى ابن عبد الله محمد :

أعبـد اللـه ، مـا اسـدى جميـلا
نظيـر جميـل فعلـك مثلُ امـى
سقتنـى درهـا ودعـت وباتـت
تـعوّذنـى وتقـرا ، او تُسمـى

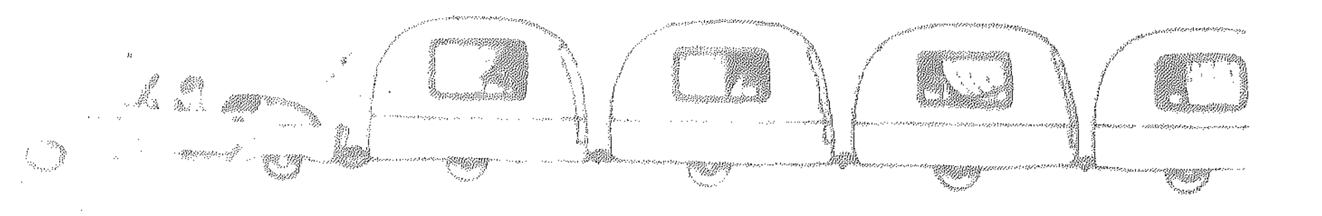
وعلاقته القوية بأعمامه وابناء اعمامه وبأخواله انما هى امتداد لعلاقته القوية بأبويه ، وانما هى تعبير صادق عن الرابطة الاجتماعية التى تزيد قوة التواصل والتنامى .

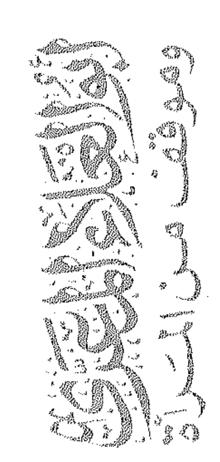
وفى اطار هذه الرابطة الاجتماعية خفق قلبه بالحب ، أو بالحنين الى أن تكون له شريكة حياة تقاسمهُ الأفراح والآلام ، وتكون له عونا على المشاق والصعاب .

وديوان ( سقط الزند ) الذى يجمع بواكير شعره ، أو خلجات صبوته ـ يضم مجموعة من الغزليات لا يمكن وصفها بالصناعة ، واعلان القدرة على القول فى كل فنون الشعر ، لأن أبا العلاء ( لا يزيف وجدانه ، أو يقول ما لا يجد )[1] بل لأن الغزل ـ فى مرحلة المراهقة وقبل أن يدخل المرء فى غمار التجربة ـ انما هو شوق وحنين ورغبة ( فطرية ) ، وليس عملا اراديا فحسب ، واذا كان ثمة ( معوقات ) فانها مرحلة لاحقة ، حين يدخل المرء فى دائرة ( التنفيذ )

ودليل آخر على صدق غزله أنه يحمل مشاعر المراهقة المترددة المستحية .

ولو أنه مقلد لصاغ معانى جرت فى اقلام السابقين أوسع من حدود المراهقة





الضيقة ، بل لو أنه شعر بعدم القدرة الجنسية ـ وكان مقلدا ـ لاختار المعانى التى تمثل الفحولة وتخطى الحواجز ، حتى يستر عجزه ، وليس من يملك تكذيب.

نجده يخاطب جارته ـ والجارة فى غالب الأحيان أقرب الى من لايزال على أول الطريق ـ فلا يطلب اكثر من ( زكاة الجمال ) ، فى اسلوب المرح الرقيق الذى عرف به فى حالة اعتدال المزاج :

أيا جارة البيت الممنّع جاره
غدوت ومن لى عندكم بمقيل
لغيرى زكاة من جمال ، فان تكن
زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

إن المحب حريص على أن يدارى فقره المادى ، بل كثيرا مايدعى ما لا يملك ، اما فقره الروحى وحاجته الى الزاد الجميل فهذا هو غنوته المفضلة ، على مسمع من المحبوبة ، أو بينه وبين نفسه :

كم قبلة لك فى الضمائر لم اخف
فيها الحساب ، لانها لم تكتب
ومتى خلوت بها من اجلك لم ارع
فيها بطلعة عاذل من مرقب
ورسول احلام اليك بعثته
فاتى على ياس بنُجح المطلب

قالت الدكتورة عائشة عبد الرحمن : إن أبا العلاء ( كشف عن وطأة احساسه باللهفة الى ما لا يدرك ، ولا ينال الا بالخيال ، ورفع نجواه الى حبيبة لا حظ له منها الا الوهم ، والا التشبث بطيف يلّم بالمدنف المشوق ، ثم يسرى بعيدا الى حيث لا مطمع ولا رجاء.

إن كان طيفك برا فى الذى زعما
فإن قومك مابرّوا لهم قسما
الى اميرك لا يسرى الخيال لنا
اذا هجعنا ، فقد اسرى وما علما
وكم تمنت رجال فيك مغضبة
أن يبصروه ، فلم يظهر لهم سقما
نشوف من آل هند بارقا ارجا
كانما فضّ عن مسك وما ختما
اذا أطل على أبيات بادية
قام الولائد يستقبسنه ضرما

أكثر مايكون تجريد المحبوبة من السمات الخاصة بسبب التقاليد العربية

المتوارثة ، فلا ينبغى أن نعجل باتهام الشاعر فى فنه وفى مشاعره ، وحسبنا أن نأخذ بمقولة أن المرأة أقدر على فهم مشاعر الرجل ، وتقويم نبضات قلبه .

## ● حب للمرأة

●● على أى الأحوال فإن هذه البداية تفيد أن شاعرنا بدأ حياته محبا للمرأة ، راغبا فى أن تكون له ، وأن يكون لها . ولقد ظل أبو العلاء حياته لا ينكر التناسل ، بل يحبذه تحبيذا مطلقا تارة ، ومشروطا تارة :

والنسل افضل مافعلت بها ( الدنيا )
واذا سعيت لـه فعن عقـل

- خير النساء اللواتي لا يلدن لكم
فـإن ولـدن فخير النسل مانفعا

- وهـل يثـق الفتـى بنماء وفـر
اذا لـم تقْـلُ اينقـة فِصـال ؟

ولم يكتف أبو العلاء باصدار هذه ( الأحكام ) العامة ، بل دعا الى الحزم فى تربية الأولاد ، لأن الشدة تقوم السلوك ، وتبصر بالسداد :

فاضرب وليدك ، واذلله على رشد
ولا تقـل هـو طفـل غيـر محتلـم

ورب شـق بـراس جـرّ منفعـة
وقس على نفع شق الراس فى القلم

بل إنه يعبر عن آلامه ، لأنه حُرم الولد ، وانقطع حبله ، وليس من سبيل :

تواصل حبل النسـل ما بين آدم
وبينـى ، ولـم يوصل بلامى بـاء

تثـاعب عمرو اذ تثـاعب خالـد
بعـدوى ، فمـا أعدتنـى الثؤباء

وزهّدنى فى الخلـق معرفتـى بهم
وعلمـى بـان العالميـن هبـاء

وكيـف تـلافىّ الـذى فـات بعدمـا
تلفـع نيـران الحـريـق أبـاء

اية مرارة واية حسرة ، واى ضياع ، فى قوله : ( لم يوصل بلامى باء - ما أعدتنى الثؤباء - كيف تلافىّ الذى فات )!!

لقد نفى عن نفسه ( اللب ) والحكمة فى استمراء التهجم على التناسل ، بحجة جناية الآباء على الأبناء ، ولو صار الأبناء ( ولاة على أمصارهم خطباء ) ، ولو ( أنهم نجباء ) ، إن النجابة - مع فساد الدنيا - تزيد من حقد الأبناء على الآباء .. ياللهراء !!

الآن ، وبعد فوات الأوان ، ادرك أبو العلاء أنه قد جنى على نفسه ، من حيث

نجح الآخرون .. من له يحمل اسمه بعد وفاته ، وينشر فى الناس ذكره ، ويقوم على تراثه ؟ .

اذا لم يكن خلفى كبير يضيعه
حمامى ، ولا طفل ، ففيم حياتى ؟

●● أخيرا أدرك أبو العلاء أهمية استمرار الحياة فى الولد ، فما الذى دفعه الى جفوة المرأة والحرمان من الولد ؟

أقرب الأسباب هو ماظل أبو العلاء يردده عن فساد الزمان ، وحسب المرء أن يقاسى ظلم الولاة واستبدادهم ، وجشع رجال الدين وخبث وسائلهم ، وكثرة اللصوص والعيّارين والصعاليك والمحتالين ، تجارا وصناعا وشرطة وجنودا وولاة ، كلهم نهابون ظلمة مرتشون طغاة ، فكيف يضحى بابنه على مذبح هذا الزمان الذى لا يلبث أن يفتك به ، أو يسود عيشه ؟ ماقيمة أن تنجب لتقدم ابنك لشقاء العيش ، ثم لرماد الموت ؟

الا تفكرت قبل النسل فى زمن
به حللت ، فتدرى أين تلقيه ؟
ترجو له من نعيم الدهر ممتنعا
وما علمت بأن العيش يشقيه
شكا الأذى فسهرت الليل وابتكرت
به الفتاة الى شمطاء ترقيه
وانت ارشد منها حين تحمله
الى الطبيب يداويه ويسقيه
ولو رقى الطفل عيسى او اعيد له
بقراط ماكان من موت يوقّيه

واخطر الأسباب هو عدم ثقته بالمرأة :

فما امنت نسوان قوم أعزة
على عزها أن تستباح فروجها
وماتمنع الخود الحصان حصونها
ولو أن ابراج السماء بروجها

إن عدم الثقة هذا يكاد يكون محصورا فى انتهاك العرض ، ولهذا حرص على أن تكون قعيدة بيتها ، لا ترى ولا تُرى ( كمضمر نِعْم دام على الضمير ):

اذا طلّع الأوانس لم تطلّع
الى عرس تمر ولا أمير

ولهذا حمد الأوائل الذين امسكوا بزمام نسائهم ، ولم يتركوا لهن بابا الى مجالس النساء ، يجتمعن الى غناء ، أو الى غيره ، فما أخطر المرأة على المرأة ، وما أيسر أن تلهب المغنيات والندابات والقاصات مشاعر المرأة ، فتختلط عليها المشاعر ، وتتنابها الأوهام ، فترق وتلين ، وتضطرب حواسها ، فتعثر فى ذيلها ، أو فى ذيول سواها ، ( وتهتك السترْ ) ، لهذا يثنى على الذين :

تضاهــى العناكــب نسوانهــم
فتنســج للنفــع أو تغــزل
ومــا عرفــت مزهــرا فــى الحيــا
ة ولا الــدنّ يفتــح او يبــزل
جهلــن الغنــاء وصوتــا يقــا
ل غنّــاه دحمــان أو زلــزل

قال ابو العلاء في موضع آخر :
اذا بلــغ الوليــد لديــك عشـرا
فــلا يـدخــل علــى الحُـرم الوليـد
فــإن خالفتنــى واضعــت نصحــى
فانــت ـ وإن رزقــت حجــى ـ بليـد
الا إن النســـاء حبــال غــىّ
بهـــن يُضيِّــع الشــرف التليــد

ومادام النساء حبال غى ، ومادامت ( الخود فى مساربها كربة السم فى تسربها ) ، ومادامت ( الغوانى فى ملاعبها خيالات وقت أشبهت لعبا ) ـ فقد استوى لديه ( مَنْ أمه حرة حصان ، ومَنْ أمه زانية ) ، لا لأنه يؤيد ( الاشتراكية فى النساء ) ـ كما يقول الدكتور طه ـ بل لأنه لا يطمئن الى مشروعية الحمل ، لهذا نجده عنيفا ـ وهو المعروف بالرقة والرفق بجميع الحيوانات ـ مع المرأة الحامل ، فيقول : ( ليت كشحك عن ذاك الجنين بُقر ) •

انه لا يطمئن الى المرأة ، حتى وان ( أبدت المودة والرضا ، فكم من حُقوُد غيبت فى السرائر ) .

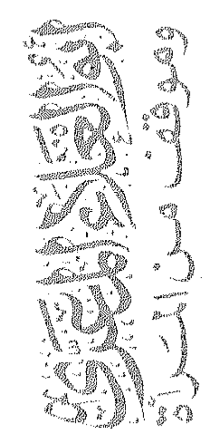
لهذا يرى أن سعادة آدم تحققت قبل خلق حواء ، فما جاء ( شر الظُّلم الا من أولات الظُّلم ، فوارس الفتنة ، أعلام الغىّ ، المعصرات العاصفات ) .

إن ( الخود الحصان ) لا تمنعها حصونها ، ( ولو أن أبراج السماء بروجها ) ، لهذا كان ( دفن الغانيات لهن أوفى من الخدور ) .

أعــوذ بــالله مــن ورهــاء قائلــة
للــزوج : انــى الــى الحمام احتــاج
وهمهــا فــى امــور لــو يتابعهــا
كسرى عليهـا لشـين الملـك والتـاج

ومادامت لاتجد التى ( تغاضب كل ريبة ) ، والتى ( لاتقر على اللمس ) ، ومادامت كل امرأة ( تعرى بالكأس من كل ملبس جميل ) ، ولا ( تحمى نفسها من العار قبل الخيل تحمى ذمارها ) ـ إذن فاعلم بأن ( خصاءك خير من زواجك حرة ) .

وإن كتــاب المهــر فيمــا لمستــه
نظيــر كتــاب الشاعــر المتلمــس



●● هذا الفهم الكئيب المظلم لعالم المراة قد يكون مرده الى أحداث مريرة اطلع عليها أبو العلاء او الى اخبار بولغ فيها وصلت الى سمعه ، وقد يكون مرده الى حبه أمه ، وضيقه بشغف ابيه ( الشيخ ) بجارية له كانت ( تشغل من قلبه مكانة خاصة ، وتشده اليها عاطفة قوية معلنة ، فلما ماتت حزن لفراقها حزنا شديدا ، بحيث ودّ لو أنه كان الميت ، وكانت هى التى تتقبل العزاء فيه :

مـــولاك يامـــولاة مـــولاهـــا علـــى
حـــال تســـر عـــدوه وتضـــره
وبـــوده لـــو كنـــت انـــت مكـــانـــه
فـــى الـزائريـــن ، وان قبـــرك قبـــره

اذا كنا بحيث نكبر شأن العالم الدينى الوقور ، القائم بأمر القضاء والعدل ، فإن تصور ابن ( مستعين بغيره ) معتمد على ابيه اعتمادا كبيرا ، متخذ منه السند والملاذ ، يتمتع بمشاعر شديدة الارهاف والحدة ، محب لأمه أقوى وانبل حب - لابد من أن يتخذ من خضوع الأب لهذه الجارية امتهانا لمثله الأعلى ، وانتهاكا لحرمة بيت اقرب الى أن يكون معبدا ، ومن ثم تكون الادانة المسرفة لهذه الجارية ، ولكل الجوارى ، بل لكل امرأة .

واذا كان الشيخ المتحنث الرزين السمات القريب الخطوات قدوقع فى حبائل ( جارية ) شابة ، تربت فى بيته كاحدى بناته ، فأى رجل يملك النجاة من اية امرأة ؟!

وينبغى ان يوضع فى الاعتبار ما سبق أن كشف عنه الأستاذ أمين الخولى وهو أن هذا الصغير الهزيل الساقين الذى اضناه الحرمان من البصر ، وانطوى على نفسه - حين بلغ الحلم صار لايجد من نفسه مايسمع من اترابه ، أو مايقرأ فى كتابه ، من تطلع الى الحب والى الزواج والى الولد :

والمـــرء ليـــس بزاهـــد فـــى غـــادة
لكنـــــه يتـــرقـــــب الإمكـــانـــا

ولم يكن ( الامكان ) فى مال ومسكن ، فقد كان يملك مايكفيه هو وزوجه ، وما كان أحوجه الى امرأة يبصر بها ، ويسكن اليها ، تمسك يده ، وتقرأ له ، وتقضى حاجته ، ولقد كان له غلام يكلفه أكثر مما تكلف الزوجة ، وانه لعلى يقين من أنه !

قـــد يحـــج الفتـــى ويغنـــى بعـــرس
وهـــو مـــن صُـــرَّة اللجيـــن صرورة

فما باله وله دخل ثابت ، وحاجة الى رفيقة حياة أشد من سواه - لايملك ( لكعاب ولاللركن تقبيلا ولمسا ) ؟!

إذن فالامكان رهن بـ ( سر ) ظل اسيره مدى الحياة ، ولأنه كثير التفكير فيه ، ضيق الحيلة معه ، فانه لايزال يعثر به كلما كشف عن خواطره واشجانه :

ولـــديّ ســـر ليـــس يمكـن ذكـره
يخفـى علـى البصـراء وهـو نهـار

انه يتحدث كثيرا عن الحرمان الذى سببه هذا ( السر ) العاجز ، فجعله ( يسبح فى البحار الموج ) دون قدرة على أن ( يحج أو يتزوج )

وإذا كان الحرمان من الحج بسبب مشاق الطريق ، ومايعانيه الحجاج من اضطراب الأمن وكثرة اللصوص والنهابين ، فما سبب الحرمان من الزواج ( واستقامة العالم لاتكون ولذة الدنيا منقطعة ) ؟!

إنه يناجي الله ـ سبحانه ـ في تضرع يائس ذليل ، فيقول : ( لااكتمك ما انت به عليم ، إن اسفى على الدنيا لطويل ) ، ويعزى نفسه عما فاته بما يمكن ان يتحقق في الدار الأخرة ( ومن مزج رضابه بذكر الله لم ييئس من رضاب الحور )

إذن ، فالسر رهن بآلة الحياة التي بدونها كان الزهد فى الحياة ، وكان التفكير فى الانتحار :

( فويحى كل الويح ، أحب الدنيا وآلتها ليست فى ، وقد يئست من بلوغها ، واليأس مريح ، فإلام التشوف الى الضلال ، ولو كنت مؤديا لها لثقل على أمرها ، من أعجبه وقود العرفج يابسا فليبصر على دخانه وهو رطيب .

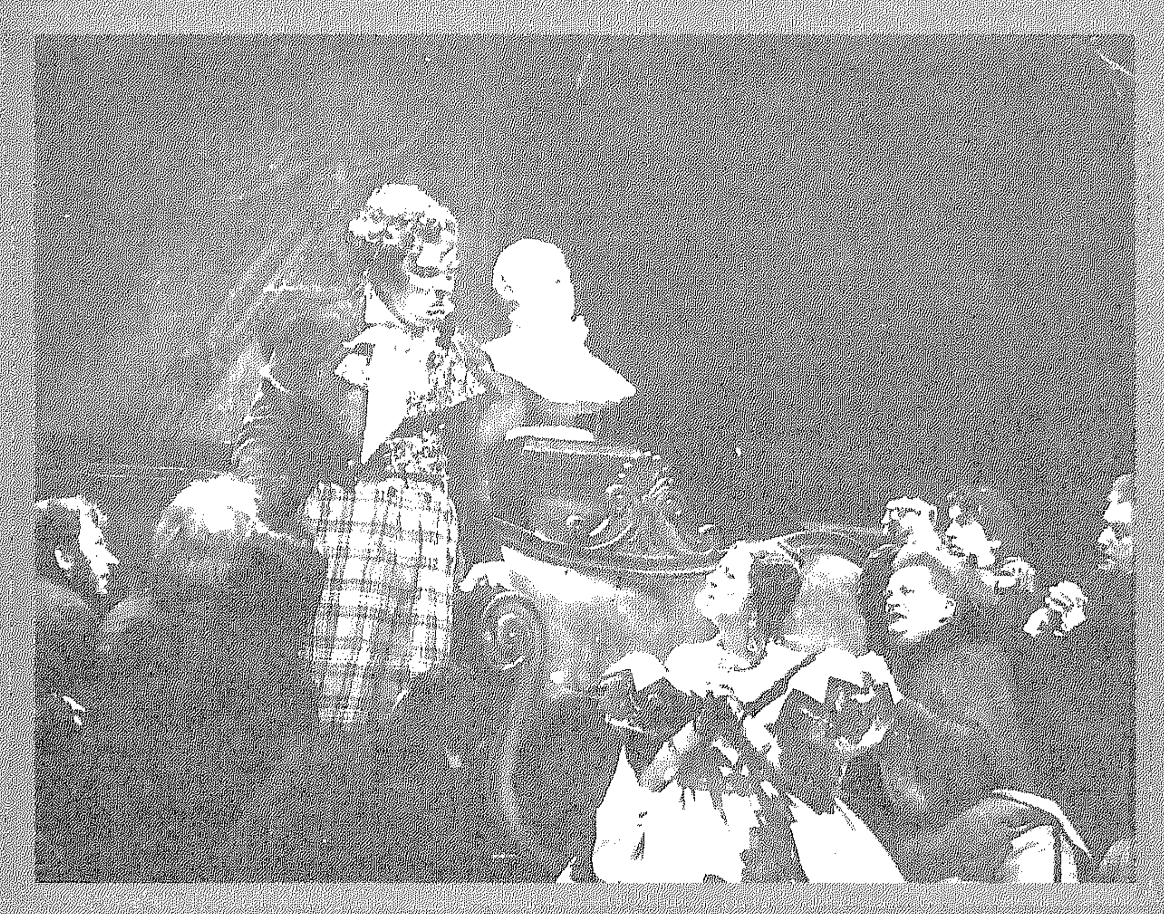
انه يعزى نفسه بأنه لو كان ( مؤديا لها لثقل عليه امرها ) ، لأن للمرأة تبعات لايستطيع ان ينهض بها ، وحسبه انه لا يجد القدرة على ( الاشباع ) ، وهو بهذا الجسم الضعيف الذاوى .

لهذا ، يفضل الصبر على ( الدخان ) بدلا من أن يكتوى ( باللهب ) .

لكن الدخان يحرق العيون ، ويكتم الأنفاس .

وما أدق تفسيره لآلام ( الصدى ) ، وسعيه فى طلب ( الرى ) ، حتى اذا كان على مدّ اليد انقطعت ( الأداة ) !!

( إنما أنا كرجل بلى بالصدى ـ العطش ـ لايجد وردا ولاموردا ، فهو ظمآن ابدا ، إن ورد غَرُوفا ـ بئر يؤخذ منها باليد ـ وجده مضفوفا ـ كثر وارده ـ وأن صادف نزوعا ـ بئر ينتزع منها الماء ـ أعوزته الالة والمعين ، فبينما هو كذلك ، هجم على رجل ينزع بغرب ، فشكا اليه فرط الكرب ، فقال : ربُك ـ إن شاء الله ـ قريب ، فاعنى على انتزاع المروية ، فلما كان الغرب بحيث يريان ، غدرت الوذَم ـ عرى الدلو أو السيور ـ وخان العناج ـ الحبل يشد على خشب الدلو ، أو شد من تحته ليقويه ) .



المسرح القومى البريطانى : المفتش العام لجوجول أخرجها ريتشارد ايار

رسالة لندن

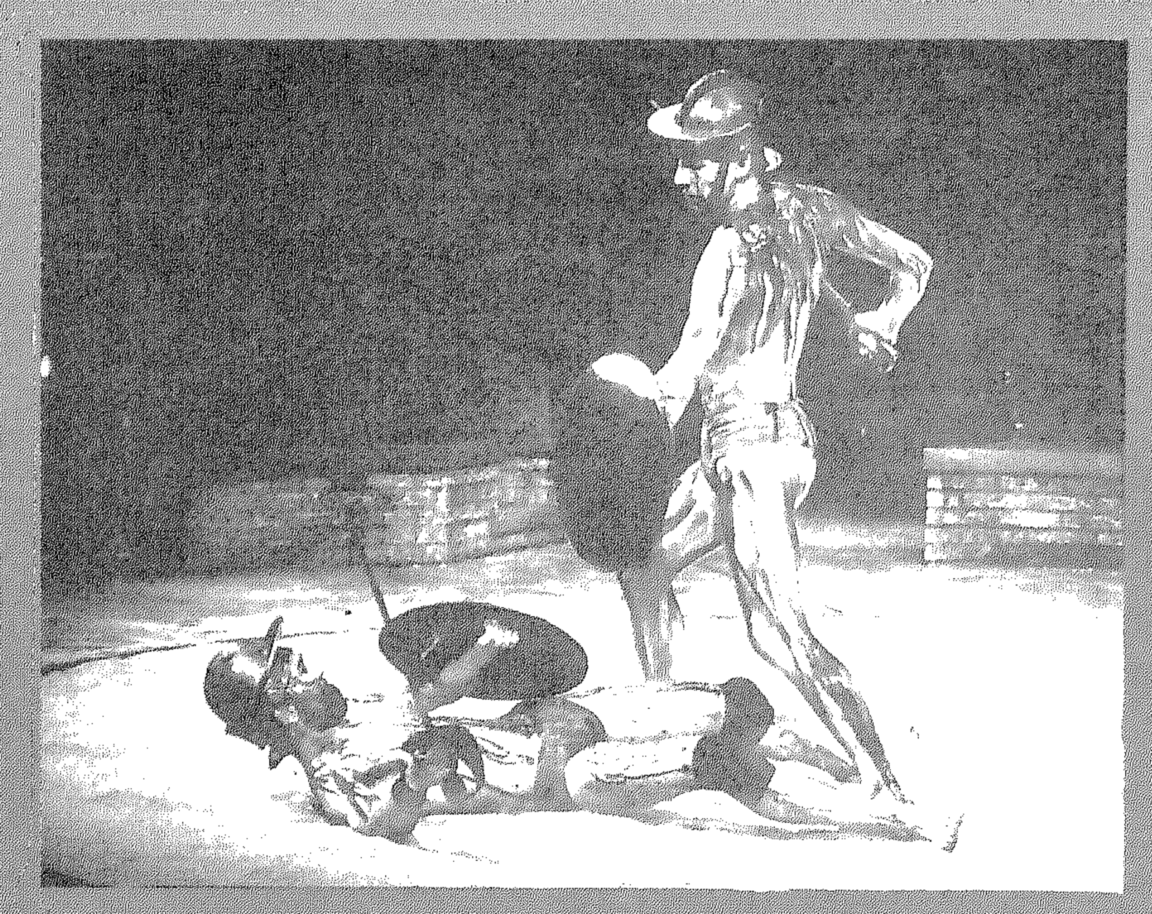
# المسرح

# من مواليد الصيف

بقلم : الفريد فرج

إذا كان فن المسرح قد نشأ في اليونان كما تجمع الآراء ، فقد ولد المسرح في الصيف ..

ولد في نصف حلقة من المدرجات مخصصة للجمهور .. تواجهها منصة منخفضة تحدها من الخلف أعمدة مخروطة جميلة تمثل الكواليس ، في مسرح مكشوف لاتهدده أمطار الشتاء أو رياحه الطائشة .



كوريولانوس ـ مسرحية شكسبير اخرجها بيترهول

وقد ولد المسرح الاغريقى خلال مهرجانات الحصاد الصيفى .

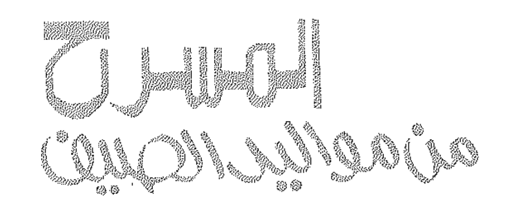
ومع أن المسرح فى أوربا فن مزدهر على مدار العام ، فإنه يكتسى زهوة خاصة فى الصيف ، حيث تقام له المهرجانات .

وأقدم هذه المهرجانات يقام فى المدينة الإغريقية القديمة إبيداڤروس ، كما يقام فى فرنسا مهرجان نانسى لمسرح الشباب واڤينيون للمسرح الراسخ ، ويقام اكبر مهرجان مسرحى عالمى فى مدينة ادنبرة باسكتلندا فى اغسطس من كل عام .

ويستضيف مهرجان ادنبرة أشهر الفرق المسرحية من كل أنحاء العالم ، ولكنه على مستوى آخر يفتح ذراعيه لاستقبال أكبر عدد من الفرق المسرحية التجريبية الشابة من بريطانيا خاصة ومن أنحاء العالم كله بوجه عام .

وتحدث هذه الفرق فى المدينة حدثا كبيرا اذ يصل عددها عادة إلى خمسمائة أو ستمائة فرقة تضم بضعة آلاف من الفنانين يتبادلون العمل على حوالى مائة منصة مسرحية متفرقة فى انحاء المدينة طوال اسابيع المهرجان الثلاثة .

وتحرص ادارة المهرجان مع سلطات المدينة على اعداد هذا العدد الكبير من المنصات والصالات المسرحية فى القاعات والمسارح المدرسية وفى النوادى والمقاهى الكبيرة باقامة منصات متقاربة




فى الشارع الرئيسى للمدينة واغلاقه أمام مرور السيارات .

## ثراء فنى كبير

وتتبادل الفرق هذه المنصات المسرحية من العاشرة صباحا وحتى منتصف الليل .

وهذا الجانب من مهرجان ادنبرة وان كان لايرقى الى سمت الأمسيات المسرحية الرائعة لأشهر الفرق العالمية ، فانه يجتذب مئات الصحفيين والنقاد والدارسين فضلا عن الفنانين بسبب ثرائه الخارق فى المغامرات الفنية والاتساع والتنوع غير المألوفين لميادين التجربة فيه . واذا أتاحت لك الظروف مرة واحدة زيارة هذا المهرجان ومحاولة مشاهدة نوعيات عروضه الطليعية بقدر مايسمح به الوقت ـ إذ يستحيل على المرء مشاهدة كل الفرق ـ فانك ستصدق معى مايقال من أن فن المسرح متنوع بطبيعته الى مالانهاية . وأن هذه العلبة السحرية ( المنصة ) الصغيرة قد تسع الدنيا كلها ، وأن آفاق التجريب المسرحى لاحدود لها . وان الاحتمالات المسرحية لا آخر لها .

وسمة شباب الفنانين فى الغرب أنهم لايحبون تقليد الكبار مهما كان إعجابهم واحترامهم لهم ، وهو اعجاب واحترام يحسدون عليه .

فالفنان الشاب يريد أن يشق طريقه الى الجمهور بالمخالفة وبالابتكار وقد لايعبأ به المتفرج أو الناقد لو أنه اختار طريقا أو أسلوبا تقليديا أو سبقه اليه الكبار .

## فن الشباب التجريدى

تأمل ذلك الخلق والطبع جيدا فوراءه كل حيوية المسرح . الفن التقليدى والراسخ لا يرفد فن الشباب أو يطبعه بطابعه ، إن فن الشباب التجريبى هو الذى يرفد المسرح التقليدى الراسخ ويقتحمه دائما بالجديد .

والفرق بين مرور التيار من الراسخ الى الشباب وبين مرور التيار من التجريبى والطليعى الى المسرح الراسخ فرق كبير .

فلو أن الشباب يقلدون الكبار فأى شىء سيكسبه المسرح غير الركود والجمود واجترار الماضى ونسخ الفن التقليدى جيلا بعد جيل حتى يقتله التكرار ويقتله الاملال .

الطبيعى أن يتعلم الكبار من الصغار فهذه سنة الحياة المتجددة وهذه حكمة الطبيعة البليغة .

تذكرت فى سياحتى المسرحية مع شباب ادنبرة ان طلبة مدارسنا الثانوية وكليات الجامعة وسائر الهواة قد درجوا على تقليد الريحانى زمنا أو تكرار أسلوب فؤاد المهندس أو استعارة جمالية المسرح القومى ، وتذكرت أن الثقافة الجماهيرية عندنا ـ ولها فضل فى بعض المبادرات التجريبية ـ لا يزال يدور معظم نشاطها فى فلك المسرح القاهرى الراسخ ، تنسخه مسرحية بعد أخرى

وتبارى به نجوم القاهرة فى اساليبهم ومنهاجهم .

تذكرت ذلك ولاحظت اننا نحن أبناء الجيل السابق نفرض سيطرة طاغية غير مشروعة على اتباع الأجيال التالية وذلك باستغلال اعجابهم واحترامهم لنا فى تقييد حركتهم وتلقينهم مالايناسب اختلاف جيلهم عن جيلنا .

هم مذنبون لأنهم يطيعون ، ونحن مذنبون لأننا لاندخر وسيلة لاغوائهم بتكرار إبداعنا والتأثير عليهم به .

نعود إلى ادنبرة مع خواطر الصيف لنشاهد جانبا من التجريب الغربى فى المسرح .

## الفولكلور المسرحى

احدى هذه التجارب بدأت بالبحث عن الفولكلور المسرحي قبل عصر النهضة .. أى قبل شكسبير وعصره وراسين وموليير وعصرهما .

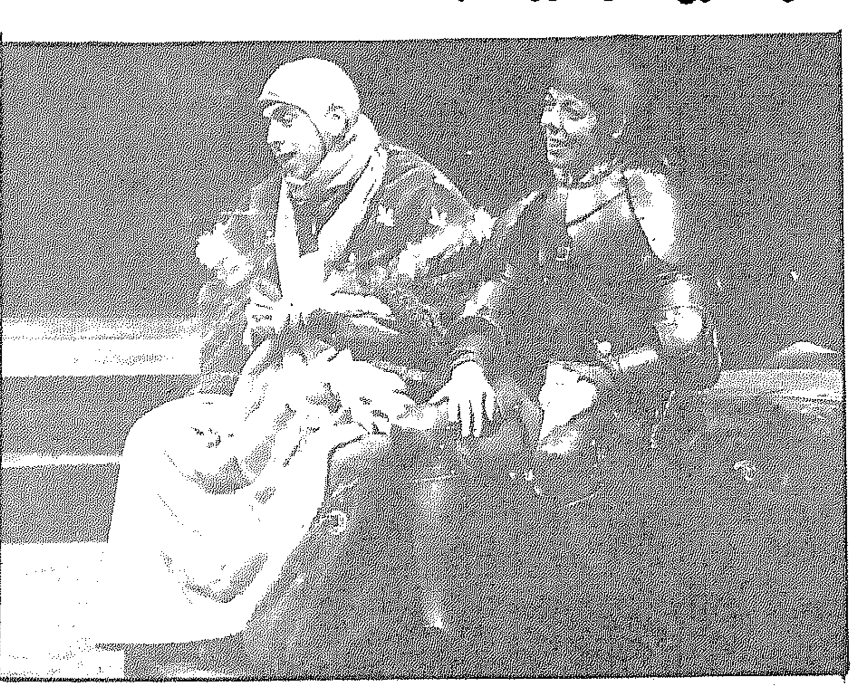
**والمسرح الفولكلورى قبل النهضة يتمثل فى مسرح السوق والمسرح الواعظ . وقد قدمت هذه الفرقة نخبة من المسرحيات المغمورة المجهولة المؤلف بأسلوب عصرها القديم فى التمثيـل وفي الديكـور والمـلابس والموسيقى .**

وسرعان ماحركت هذه التجربة الركود الذى احاط بالمسرح الشعبى القديم ، فانتقلت تلك النصوص وهذا المنهج والاسلوب الى المسرح القومى وفرقة شكسبير الملكية والى حلقات الدرس بالجامعات والى اكثر من فرقة للشباب واعتبر النقاد أن هذه الفرقة المسرحية الناشئة قد كان لها فضل اكتشاف كنز مسرحي قومى كان خافيا ، وفضل احياء تراث مسرحي كبير للمنصة وللمطبعة .

تجربة ثانية قام بها عدد من الشباب متفرقين وان التقت مبادراتهم ، وهى رواية السيرة لشاعر قومى .

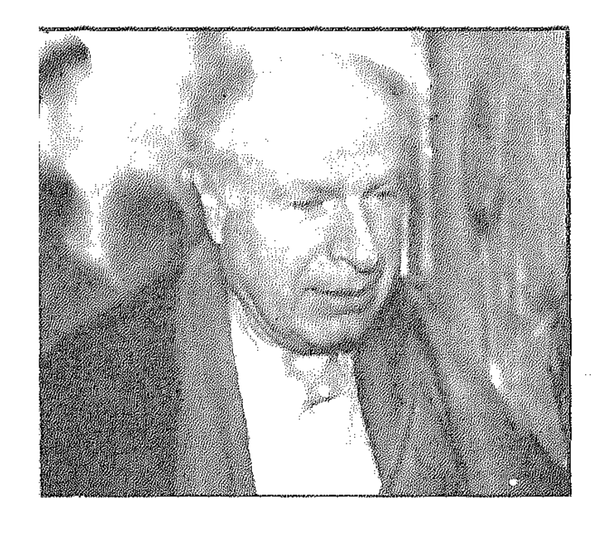
وغالبا ما تكون هذه التجربة قائمة على ممثل واحد يقوم بدور الشاعر ويقدم للجمهور اعترافاته بصراحة .





القديسة جون مسرحية برنارد شو الشهيرة اخرجها رونالد آيار

# المسرح من مواليد الصيف



بيتر بروك

وهى تجربة صعبة لأنها عبارة عن مونولوج طويل ، وتحتاج الى ممثل شديد الحيوية ، كبير القدرة ، ولكن روعتها تتمثل أيضا فى أنها أمسية الممثل الواحد ، الشاعر المعترف بأخص وجدانياته . وقد شاهدت فى هذا الاطار مسرحيتى « بايرون فى جهنم » و« آلان بو يعترف » .

المسرح السياسى أيضا له آفاقه التجريبية الواسعة التى تتداخل فى فن المسرح الشامل أى المسرح الدرامى الغنائى الاستعراضى الذى يتزين بالاكروبات والحيل المسرحية السحرية ، وتستخدم كل هذه التأثيرات الفنية بأسلوب تعبيرى حر فى طرح القضية السياسية .

وآفاق التجريب لاتقتصر على النصوص وانما تمتد بطبيعتها إلى التمثيل ، وقد قدم فنان شاب قصة الفيلسوف الشرقى بيدبا مع الملك دبشليم من طرف واحد ولممثل مفرد يقوم بدور بيدبا أمام الملك ويظهر الخضوع والحيلة على الصراحة والنقد المغلف بالنفاق بأسلوب فى التمثيل ونبرة فى الصوت تلخص كل ادوات التعبير الجسدى ، وباجتهاد خاص ينتمى إلى نظرية عبقرى المسرح البولندى جروتفسكى التى تقوم على اساس التمثيل بكل اعضاء الجسم البشرى .

## التجريب فى التمثيل

والتجريب فى الاخراج واسع الأفاق أيضا فقد شاهدت للمسرح التجريبى القومى بستراسبورج مسرحية « بعل » من تأليف برتولد برخت ينقل المخرج مشاهدها من موقع الى موقع ، والجمهور يتبع الممثلين من مكان الى مكان .. فالأحداث تدور فى شارع وفى اسطبل للخيل وفى حديقة وفى محطة للسكة الحديد ، وقد اقيم الديكور فى عدة مواقع ، كما يقام فى بلاتوهات السينما ، والجمهور يتبع الممثل الشريد « بعل » فى رحلته الضالة من مكان الى مكان .. بما فى ذلك من تأثير نفسى وجمالى على المتفرج وبما فيه من إغراب وإدهاش .

ولكن التجريب فى التمثيل والاخراج وفى صياغة النًص اجتمع كله فى مسرحية الفنان الكبير « بثير بروك » «ماهاباراتا» المأخوذة عن الملحمة الهندية الكبيرة



برخت .. مع زوجته الممثلة المسرحية هيلينا فيجل .

والتى يستغرق تمثيلها عشر ساعات وتقدم عادة فى ثلاث ليال والمتفرج يشاهدها فى ثلاثة اجزاء .

وقد صاغ فنانو بثير بروك هذه الملحمة الكبرى باسلوب يجتمع بين الفانتازى الشرقى والاغراب والعنف الدرامى . فى التمثيل والاخراج والملابس والاكسسوار وهى قصة هندية قديمة اقرب الى الملحمة الشعبية العربية « الزير سالم » فهى قصة انتقام وصراع على السلطة عبر ثلاثة أجيال .

**المسرح الغربى عموما لايركن الى النجاح ولايهوى تكرار المالوف ، وانما يهوى الحركة المستمرة والتطور الدائم .**

ويتبادل الخبرات عادة فى لقاءات الصيف ومهرجاناته ، وفيها يتأمل الكبار ابداع الصغار ، ولايتحرجون عن تقليدهم واستيحاء افكارهم الشابة ..

**وقد كان الشباب هم اول من ابدع المسرح السياسى والمسرح الشامل ، وكان برخت وبسكاتور شابين حين أبدعا المسرح الملحمى واسلوب الاغراب المسرحي ، كما كان الشباب هم أول مالفت النظر الى المسرح الفولكلورى الاوربى القديم والى القصص الشرقية والاطار المسرحي الشرقى .**

والمسرح إذا لم يتجدد باستمرار يصيبه الركود وأفة التكرار ..

وتتفجر عادة هذه التجارب الكبيرة والاقتراحات الثرية من خلال المهرجانات الصيفية الكثيرة التى تنظم فى الصيف للكبار وللشباب فيلتقون ليتأملوا فنهم وابداعهم ومهنتهم ويتبادلوا الخبرات .

**فاذا كان المسرح فن من مواليد الصيف فإنه فى الصيف دائما يجدد شبابه ويكتسب حيويته .**

# النور والظل في حياة
# رمبرانت

بقلم : د. صبرى منصور

آه ، أيها المصور المتوغل فى عالم الأشباح
وآه ، أيها الفرجون الذى يعتصر ألماً ومعاناة
وكم انت معذبة أيتها اليد الغريبة ،
التي حطمت جدران الظلال ،
سوف تظلى دائماً متوجة
بشعاع من النور الأبدى .

بورتريه رمبرانت



تلك أبيات من قصيدة طويلة لشاعر الإسبانية المعاصر رافاييل البرتي ، عبر فيها عن الأحاسيس التي أثارها في وجدانه عالم المصور الهولندي الشهير رمبرانت . ذلك العالم الذي تكتنفه قوى روحية هائلة ، وتغمره مشاعر إنسانية صادقة ، سرعان ماتنتقل إلى الرائي مكتسحة ـ بعمقها وأبديتها ـ كل فواصل الزمن .

: ساسكيا ، زوجة الفنان « عام ١٦٣٤ » ..





وقبل أن نعرض لسيرة حياة رمبرانت الذى يعد أعظم مصور هولندى ، وواحدا من أعظم المصورين فى تاريخ الفن كله ، يحسن بنا أن نشير الى بعض ملامح العصر التى مهدت لعبقريته وأتاحت لها أن تنمو وتكتمل .

فقد كان تقسيم أوربا بين مذهبى الكاثوليك والبروتستانت - فى أوائل القرن السابع عشر - مؤثراً حتى على البلاد الصغيرة ، مثل بلاد الأراضى المنخفضة ( هولندا وبلچيكا ) ، ولقد ظلت الأجزاء الجنوبية - بلچيكا - كاثوليكية المذهب ، ولقد جسد المصور روبنز ذلك بشكل مكثف فى أعماله الدينية العديدة . بينما أخذ الجزء الشمالى - هولندا - الذى كان قريباً من المانيا فى التحول الى البروتستانية ، وكان معظم أهل هذا الجزء ينتمون إلى طائفة التجار . وبعد حرب دامت سنين عديدة أعلنت إسبانيا الحاكمة استقلال هولندا عام ١٦٤٨ . ولم تضعف هذه الحرب من روح الهولنديين ، بل يبدو أنها دفعتهم نحو استغلال كل طاقاتهم فى البناء ، واستثمار قدراتهم التجارية وامكانياتهم البحرية فى تشييد مجتمع جديد ، حر العقيدة ، غنى الاقتصاد . ولقد كان القرن السابع عشر هو العصر الذهبى لهولندا ، فى تلك الفترة أضافت إلى الحضارة الغربية انجازات عظيمة . ليس فقط فى مجال الفنون ، وانما امتد عطاؤها ليشمل كل المجالات الثقافية والعلمية .

وفى مجتمع البروتستانت البورجوازى الجديد ، كان على المصورين أن يبحثوا عن روافد جديدة لفنهم ، لاتجد معارضة من الدوائر الدينية . وكان من أهم هذه الروافد الصورة الشخصية ( البورتريه ) . مثلما فعل هولبين فى عصره - وكان من الجيل السابق على رمبرانت - فلقد كان هناك عديد من التجار الناجحين الذين ارادوا الاحتفاظ بأشكالهم لمن يجيء من بعدهم ، وكذلك كانت هناك الجماعات والرابطات التى استحدثت عادة تصوير مجموعة وجوههم لتعليقها فى أماكن ومقار تجمعاتهم .

وكان المصور فرانزهالز ( ١٥٨٠ - ١٦٦٦ ) الذى ينتمى لجيل روبنز هو أول فنانى هولندا الحرة . واتصفت أعماله بالحيوية التى يبثها فى لوحاته ، والصدق للطبيعة ، وصوره الشخصية تعطينا الإحساس بأن الفنان قد اقتنص نموذجه فى لحظة تبدت شخصيته فيها على طبيعتها فثبتها هو بريشته على قماش الرسم . فى تلك الفترة ازدهر فى هولندا مجتمع فنى كبير ، اسفر عن مواهب فنية ذات مستوى رفيع ، ومن بين مئات الفنانين الذين عاشوا فى تلك الأيام تبرز أسماء لامعة أضافت إلى تاريخ الفن طرق أداء متميزة ، فهناك أسماء روبنز وفرانز هالز وڤان دايك ورمبرانت وڤيرمير . لقد كان عصر انتاج فنى غزير حين اشتدت المنافسة بين الفنانين ، فكل الناس يريدون صوراً شخصية ، سواء للشخص نفسه أو لزوجته أو لأولاده ، أو لمناظر الحياة اليومية سواء داخل المنزل أو خارجه ، وفى تلك الفترة بدأ الهولنديون يميلون إلى الواقعية ، ولهذا فإن الفن

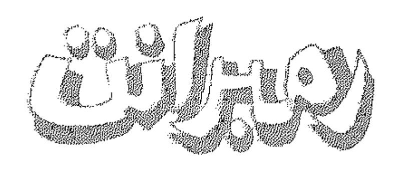
الذى سيجسده لهم الفنانون هو فن واقعي . أثناء ذلك وفدت من إيطاليا موضة جديدة ـ عن طريق الفنانين الذين رحلوا للدراسة ثم عادوا ـ وتمثلت فى أعمال كارافاچيو ذات المنحى الواقعى .

## ● حب فطرى للفن

فى ذلك الوسط المتخم بالفن جاء إلى العالم رمبرانت ڤان ريخن فى ١٥ يوليو عام ١٦٠٦ ، إبناً لطحان من ضواحى بلدة ليدن ، وكان الخامس بين ستة أبناء . أراد أبواه أن يعلماه اللاتينية حتى ينشأ مثقفاً متعلماً ، ومن عام ١٦١٣ حتى عام ١٦٢٠ درس العلوم الانسانية والآداب . وبعد أن التحق بالجامعة سرعان ماتركها عندما إكتشف ميوله الحقيقية نحو دراسة الفن ، فالتحق بمرسم الفنان چاكوب سوا نتبرج عام ١٦٢٠ واستمر لديه ثلاث سنوات . كما أمضى عدة شهور بمرسم المصور بيتر لاستمان الذى كان له تأثير واضح على تكوين شخصيته الفنية ، فلقد عاش لاستمان عدة سنوات فى إيطاليا ، استوعب فيها الايطالى وعاد إلى هولندا متشبعا بتأثيراته ، وعن طريق لاستمان انتقلت إلى رمبرانت ـ الذى لم يسافر أبداً ـ تأثيرات الاتجاه الواقعى الجديد فى إيطاليا .

وفى عام ١٦٢٤ يعود رمبرانت إلى بلده الأصلى وقد أصبح التصوير بالنسبة إليه هو الهدف والمرمى النهائى ، ويؤسس مرسماً خاصة بمنزل أبويه ، وحين يكتسب عمله التقدير فإنه يصور فى حماس ، وسرعان ما التف حوله المريدون والتلاميذ . فى هذه المرحلة ظل الإنسان هو المحور الرئيسى لأعمال رمبرانت سواء كان وحده أو ضمن مجموعة ، وعلى الرغم من حبه لتجسيد مشاهد دينية من الكتاب المقدس ، فإنه أنتج العديد من الصور الشخصية التى يعرى فيها شخصية النموذج ، فتظهر الوجوه وكأنها دراسات تعبيرية وسيكولوجية .. وبدون شك فإن أعمال هذه المرحلة مازالت تحمل تأثيرات المصور لاستمان ، إلى جانب وضوح التأثيرات الإيطالية ، وخاصة فيما يتصل بالعلاقة بين الأضواء والظلال فى أعمال المصور الإيطالى كارافا چيو .

ويرجع رمبرانت إلى امستردام عام ١٦٣١ ، ويكلف بتنفيذ لوحة عن درس التشريح ، وحين يتم انجازها تنفتح له ابواب النجاح على مصراعيها ، واستطاع بفضلها ان ينتصر على مصورى امستردام ، فتلك اللوحة الضخمة ـ ٢١٦ × ١٦٩ سم ـ تعد نموذجاً للصورة الشخصية الجماعية ، ولم يحدد رمبرانت نفسه بتقديم وجوه مرسومة بشكل ممتاز فقط ، وانما استطاع بفضل الأوضاع المبتكرة للأشخاص أن يخلق مشهداً حياً ينبض بالحركة والديناميكية . وبمقارنة هذه اللوحة باللوحات السابقة عليها فإنها تظهر لنا تغييراً جذرياً فى اسلوب الفنان من ناحية التقنية المستخدمة ، وتدرج الأضواء والظلال ، بالإضافة إلى الجو العام الذى يدعو المشاهد نفسه للانضمام إلى حلقة الدرس . وبعد هذا النجاح ينخرط رمبرانت فى الطبقات العليا من المجتمع ، فلقد استقر فنه ، ولم تكن هنك عائلة قادرة مادياً فى امستردام لم تكن راغبة فى الحصول على صورة شخصية بريشة الفنان الجديد ذى الشهرة والسمعة الفنية الطيبة .




ويتزوج رمبرانت من ساسكيا الفتاة الغنية ، ويمارس هوايته فى اقتناء الأعمال الفنية والتحف الثمينة ، فبالإضافة إلى اقتنائه العديد من الأسلحة من كل الأزمنة والعصور ، فإنه اشترى أيضاً لوحات لتيتيان ، ورافاييل ، وجيور جيوفى ، وفان آيك ، ولوحات حفر لدورد وهولبين ، ولقد أشعلت كل هذه الأعمال الخيال الفنى لديه ، وحفزته للإنتاج دون توقف ، ومنحته دفقات جديدة للخلق والإبداع الفنى .

لكن زوجته ساسكيا تموت فى سن الشباب عام ١٦٤٢ ، نفس العام الذى أكمل فيه لوحته الشهيرة ( داورية الليل ) وهى لوحة ضخمة مساحتها ٣٥٩ ×

درس فى التشريح للدكتور تولب عام ١٦٣٢ ..

٤٣٨ سم ، ومن أهم لوحات رمبرانت وواحدة من أعظم لوحات الفن العالمي ، نفذها رمبرانت على ثلاث قطع متساوية ، وتبدو اللوحة بأشخاصها العديدة وألوانها الغنية ـ حية متحركة ، ذات ايقاع سحرى بفضل الجو العام الذى حققه الفنان ، وحيث يبرهن للحوار الممتع بين الأضواء والظلال على مقدرة فنية عالية ، وعبقرية فذة ، ومع ذلك فإن اللوحة بكل عظمتها وجلالها لم تأت على هوى من كلفوه بتنفيذها لواقعيتها وكلفوا فناناً آخر بلوحة جديدة . وكانت ضربة قاصمة لرمبرانت الذى لم يكد يفيق من حادث موت زوجته ، ويبدأ فى الهروب من منزله ، ويقترب من الشارع أكثر من ذى قبل ، إنه يريد أن يعكس العالم المحيط ، فهو حين يبتعد عن المجتمع فإنه يزداد قرباً من الطبيعة ، إن

ارسطو .. يتأمل تمثالاً نصفياً لهوميروس - عام ١٦٦٣






هذه الفترة تنهى مرحلة من حياته ، فلقد اختفى الرجل السعيد ، وفكرته عن العالم أضحت مغلفة بالمرارة والألم . فرمبرانت المجروح فى قلبه بوفاة رفيقة حياته ، والمجروح فى كبريائه الفنى لعدم تقدير البورجوازية المحيطة لقيمة لوحته داورية الليل يهجر منزله ، ويبدأ فى التعرف على التعاسة والظلم التى تسكن حوارى وشوارع المدينة ، ويتعاطف مع المحرومين والبسطاء ، وينعكس كل ذلك على أعماله الفنية الجديدة .

لقد تحكمت فى حياة رمبرانت ثلاثة عوامل هى الحب والمال والموت . وهو لم يكن حسن التصرف فى الأموال . والآن بعد موت زوجته المقتدرة ، وبسبب قلة الأعمال الفنية التى يكلف بها فإنه يبدأ فى الاستدانة . وفيما بين عامى ١٦٥٧ و ١٦٥٨ يضطر لبيع منزله وكذلك مجموعاته الفنية . لقد هجره الحظ السعيد والوضع الاجتماعى المتميز ، ولكن إنتاجه لا يتوقف ، وفى ٢٠ يوليو ١٦٥٦ تقرر المحكمة العليا بيع وتصفية ممتلكاته لصالح دائنيه ، إنه الخراب والفضيحة الكبرى ، ومع ذلك فمازال لدى الفنان ـ سىء الحظ ـ حتى الآن الوقت والحضور والحماسة لكى ينتج بعض الأعمال الهامة مثل لوحة "چاكوب بيارك أولاد خوسى" ولوحة "درس التشريح للدكتور ديمان" .

وبعد بيع منزله وكل حاجياته عاش رمبرانت فى رعاية ابنه من زوجته ساسكيا ، والسيدة هندريكخه التى أحبته وشملته بعطفها منذ موت زوجته ، وظلت قدرة رمبرانت الفنية عالية ، وظل التصوير هو المهرب الوحيد والملاذ الأمين لروحه المعذبه . ولاحقته ضربات أخرى جديدة حين رحلت هندريكخه عام ١٦٦٢ ، ثم لحقها ابنه تيتو عام ١٦٦٨ فى شهر زواجه . ويمضى رمبرانت ايامه الأخيرة مع ابنته كورنيليا إلى أن توافيه المنية فى ٤ اكتوبر ١٦٦٩ .

ولم يترك لنا رمبرانت أية ملاحظات أو مذكرات مكتوبة مثلما فعل ليوناردو دافنشى أو دورر ، ولم يتبادل الخطابات المحملة بالأفكار مع مثقفى عصره كما فعل روبنز ، كما لم يكن معجباً بعبقريته مثل مايكل انجلو الذى تناقلت الأجيال اللاحقة مأثوراته وأقواله ، ومع ذلك فنحن نشعر أننا نعرفه حق المعرفة ، وربما أكثر من هؤلاء الأساتذة الكبار ، وذلك بفضل تلك المجموعة الرائعة لصوره الشخصية التى رسمها لوجهه ( ستين لوحة زيتية وعشرين لوحة حفر وعشرة رسوم خطية ) منذ كان صبيا يافعاً ، ومروراً بالمرحلة التى لازمه النجاح والشهرة والسعادة فيها ، وانتهاء بالمرحلة الأخيرة من حياته التى انعكست على ملامح وجهه فيها تراچيديا الحياة ، كما تظهره كصاحب ارادة صلبة لاتنكسر ، لقد تحولت هذه الوجوه فى الواقع إلى "بيوجرافيا" كاملة .

## تمرد وعصيان

والغريب حقاً الا يعترف معاصرو رمبرانت بقيمة فنه ، ولا يستطيع الانسان أن يتخيل أن هذا الفنان العظيم كان متمرداً وحيداً دفع ثمن عصيانه وعدم

انصياعه للذوق السائد . كما أنه من الغريب أن تتأثر شعبيته كمصور فى الوقت الذى أصبح فيه أكثر عمقاً ، وصحيح أن رمبرانت لم يأت من فراغ ، فأصول فنه قد وجدت فى وطنه هولندا ، وتمثلت فى تراث فنى غنى امتد منذ عصر النهضة فقد كان هناك بوش وبروجل وهولبين ، كما أن أصول فنه تتصل بتأثيرات الفن الإيطالى حين استوعب رسالة كارافاچيو ( ١٥١٩ ـ ١٦٠٩ ) وانتصر مثله للصدق والبساطة ، واضفاء اللمسة الانسانية والواقعية على عناصره الدينية . لكن رمبرانت مع ذلك كان فناناً متقدماً بالنسبة لعصره ، فنحن لا نجد بينه وبين معاصريه إلاّ قليلاً من التشابه ، ومعظم أعماله تحمل علامات تشير إلى حداثته ، وكانت الخطوة التى خطاها فى القرن السابع عشر متصلة بعمق بالفن الذى نعيشه اليوم . ولقد مر وقت طويل قبل أن تأخذ أعمال رمبرانت حجمها الصحيح ، فلم يكن المعاصرون له قادرين على الولوج إلى عالمه الساحر ، كما لم يستطيعوا إدراك استثنائيته فى "التكنيك"

ولقد كافح رمبرانت للفكاك من أسر القيود الجمالية التقليدية التى كانت تعوق شخصيته ، وتحول بينه وبين تحقيق مفاهيمة الجمالية ، وفى مرحلته الأخيرة فإنه قد قطع كل الخيوط التى تصله بالشكل التقليدى السائد الذى اتسم بالابتذال والركاكة ، وصور بكل العنف والحرية والتوحش ، مستعملاً الفرشاة أو سكين "الباليت" بل وبأظافره وأصابعه .

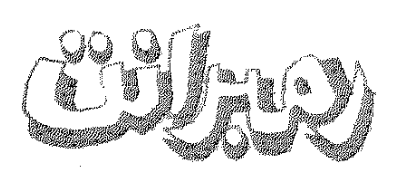
ونحن ندرك الآن أن أهم ماحققه رمبرانت فى عصره هو ذلك الصدق للواقع المحيط فى مناخ كان يؤثر النماذج المحفوظة ، وأيضا تلك القدرة "التكنيكية" الفذة ، واللمسات السريعة الحاذقة ، وإعلانه عن حق الفنان فى عدم إنهاء عمله حين يتحقق فيه الغرض الرئيسى .

إن الاحساس بالحياة ينبعث من لوحاته ، ولقد شاهدنا العديد من لوحات الصورة الشخصية لكبار أساتذة الفن ، وهى أعمال تدين بخلودها للطريقة التى لخص بها الفنان شخصية نموذجه ، ولكن حتى أعظم هذه اللوحات تذكرنا بالشخصيات المصنوعة فى الأدب ، أو المتحركة على خشبة المسرح ، إنها أعمال تبدو مقنعة وأحياناً مؤثرة ، لكننا فى نفس الوقت نشعر أنها تقدم لنا جانباً واحداً من الحقيقة الانسانية المركبة . أما عند رمبرانت فإن الأمر يختلف ، فنحن أمام لوحاته الشخصية نحس أننا نواجه أناساً حقيقيين ، نشعر بدفئهم ، وحاجتهم إلى التعاطف ، وأحيانا نحس وحدتهم وعذابهم ، إن تلك العيون الملحة لرمبرانت التى نعرفها جيداً من خلال صوره الشخصية يبدو أنها كانت تتجه مباشرة نحو قلب الانسان .

إن الطبيعة فى أعمال رمبرانت تبدو أكثر طبيعية من العناصر نفسها ، التى تبدو من خلال اللوحات أكثر حياة ودفئاً ، فلم يعكس الفنان مجرد حياة غريزية باردة ، وانما عكس همسه الشعرى الذى اقتنصه بقدرته الفريدة على التأمل والامتزاج بالموضوع . فهو حين يجسد العناصر الطبيعية فانه يضيف إليها من أعماق روحه عوامل تحيلها إلى كائنات جديدة غير واقعية ،



الضـــوء عنصر تشكيلي
احســـاسي عند رمبرانت




وهنا تكمن احدى قدرات رمبرانت ، ذلك التجميع العجيب بين الشيء العادي والروحي ، أو بين المحدد والمجرد ، والنفاذ إلى الطبقات العميقة من الواقع المحيط للتعبير عن أدق المعاني وأكثرها شاعرية وإنسانية .

ومثلما فعل الفنان الألماني دورر من قبل ، فإن رمبرانت لم يكن عظيما فقط في أعماله التصويرية ، وانما مارس أيضا فن الحفـر على الخشب والنحاس ، مستغلا درجة اللون الواحد في اجراء حوار بليغ بين درجات الأبيض والأسود ، وإظهار طاقة الضوء كعنصر تشكيلي أساسي ، وكعنصر نفسي يضيف إلى العمل الفني أبعادا تعبيرية وسيكولوچية مؤثرة .

ولقد ترك رمبرانت للانسانية انتاجاً هائلا ( ستمائة لوحة زيتية وثلاثمائة قطعة حفر والفي رسم خطي ) يمثل كنزاً غالياً سيظل دائما عنواناً على الفن الأصيل .. الانساني الطابع ، ودليلاً على المقدرة الفنية حين تبلغ أقصى ذراها .



عـــودة الابن المعجـزة
لوحـــة عام ١٦٦٨ م

قصة قصيرة

فريدة مرعى

كنت فى ذلك الصباح خارجة لتوى من احدى هزائمى ، ظللت الليل كله اتقلب فى الفراش، اليس لهذا العذاب من نهاية ؟ الا من حل ؟ ، وحين لاحت خيوط الفجر الاولى كنت قد قلبت الامر على جميع وجوهه وايقنت انه لا مفر •

كلمة لا مفر تثير الاستياء ، تثير الحنق والغيظ ، تثير الغضب والسخط ، فى داخلى بركان يغلى ، شلال يهدر ، اعصار يزمجر، سالقى بقية عمرى مع المسكنات ، لقد اختارنى الله انا بالذات دون ملايين البشر لكى اعيش هذه الحياة المرة •

حين ذهبت الى الطبيب لاول مرة قال : اكشفى على جيوبك الانفية ، وحين ذهبت الى الطبيب الثانى قال: اعملى كشف نظارة ، اما الثالث والرابع والخامس فقد هزوا جميعا رءوسهم وقالوا : مرض العصر، لا علاج الا المسكنات •

تعبت ، مللت، تمردت، وفى كل مرة كنت احاول ان اعلن الحرب على الروتين اليومى للمسكنات كانت تطاردنى نوبة الصداع المدمر ولا تتركنى الا بعد أن اتحول الى بقايا انسان مهزوم فارفع الراية البيضاء صاغرة وادخل ذليلة الى سجن المسكنات المحتوم •

فى تبرم وغضب ارتديت ملابسى وحملت كتبى وخرجت وصفقت الباب ورائى بشدة •لم اهتم بصرخات امى ورائى وهى تحمل صينية الافطار •

فى الطريق لفح الهواء البارد وجهى ، احكمت اغلاق ازرار الجاكت حول عنقى • يكفينى ما انا فيه من عذاب ولا ينقصنى الا هذا البرد ايضا • القيت فكرة السير على الاقدام، وقررت ان اركب اول اتوبيس • الزحام اهون الف مرة من برد الصباح القارص• سار الاتوبيس ينهب الارض ، لم يكلف السائق نفسه مشقة التوقف فى اى محطة فى اقل من عشر دقائق كنا قد وصلنا الى اخر الخط فى ميدان التحرير تأهبت للنزول ولكن حين فتح السائق الباب كان كانه قد فتح ابواب الجحيم • تدافعت كتل بشرية تريد الصعود فى نفس الوقت الذى يريد فيه الركاب الهبوط • دفعنى من فى الاتوبيس الى الخارج ودفعنى من فى الخارج الى الداخل واصبحت كالكرة التى يتقاذفها فريقان • لابد ان منظرى هذا قد اثار شفقة البعض حتى ان احدهم قد مد كلتا يديه وجذبنى جذبة قوية الى الخارج •

وقفت على الرصيف لا اصدق انى نجوت • انفاس لاهثة ، شعرى منكوش ، ملابسى ممزقة، كتبى واشيائى مبعثرة ، والصداع يطحن رأسى •



كل شيء في هذه الدنيا ضدي · في تذمر انحنيت على الارض الملم حاجياتي · رفعت راسي صدفة فاذا به قابع يرقبني · كان يتابع معركتي باشفاق وحين التقت اعيننا كان يبتسم ازداد غيظي ، اشحت بوجهي بعيدا ، ولكن شيئا ما جعلني اعود ببصري اليه ·

شيء ما في لمعان عينيه ، في انفراجة شفتيه ، في ذقنه المدبب وخديه الغائرين · شيء ما في قسمات وجهه يوحي بالرضا،بالسخرية بالقناعة ، بالتحدي او او هو مزيج من كل هذا ·

كان نصف انسان او مشروع انسان · يداه مقطوعتان حتى الكوع ، وساقاه مقطوعتان حتى الركبة · كان يجلس على قطعة صغيرة من الخشب لا يفصلها عن الارض سوى اربع عجلات صغيرة · في حجره كانت تتناثر بعض علب الكبريت التي يسترزق ببيعها للمارة ·

وقفت في مكاني لا اقوى على الحركة · من اين اتى بكل هذا الرضا وبكل هذا التحدي كيف تواتيه كل هذه القوة هو الذى ليس الا كومة من الجلد والعظم ·

في اقل من لمح البصر كان يمرق امامي كالسهم تعجبت كيف تستطيع قطعته الخشبية الصغيرة التحرك بهذه السرعة واليسر · كان ينادى على الكبريت وكانه ينادى على اغلى واحسن انواع البضاعة · وكان المارة يتجاوبون مع نداءاته وصيحاته فينحنون لالتقاط امشاط الكبريت ويرمون بالنقود في حجره ·

كان يتحرك في سهولة وثقة يداعب المارة ويناوش الصبية ويلقي بالنكات هنا وهناك وحين لا يجد من يداعبه او يناوشه يرفع عقيرته بالغناء · كان يمرق بين سيقان المارة كانه صاحب دار يرحب بضيوفه او كانه ملك يسير بين الرعية ·

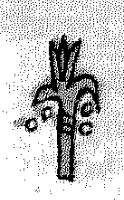
كنت لا ازال واقفة بلا حراك حين عاد الي ضبطني متلبسة بمتابعته بعيني اقترب بابتسامته الكبيرة:كبريت يامزمازيل لم اسمع ، رفع صوته قليلا : كبريت يا مزمازيل ؟ لم اسمع، رفع عقيرته فجاة وقال مداعبا : كبريت يا ست الـكل تنبهت ، التفتت وعوس المارة نحوى ، تمتمت بخجل : اه ·· لا ··شكرا انحنيت بسرعة الملم حاجياتي،ثم تواريت في الزحام ·

# الظاهر بيبرس في التراث الشعبي

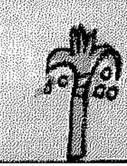
بقلم : مصطفى نبيل

الظاهر بيبرس ، أحد السلاطين الذين تمتعوا بمكانة بارزة في وجدان الشعب ، ويكاد يكون الحاكم الوحيد الذى حظى بهذه المكانة ، فمازالت تروى قصته فى الملاحم الشعبية . وحكايته غنية بالرموز والدلالات ، يقوم فيها باعمال البطولة والفروسية والشجاعة والنبل

فما سر حكايته التى تروى على الربابة بين منشدى القرية وسط الفلاحين والعامة حتى اليوم ؟









## الظاهر بيبرس في التراث الشعبي

ويا ترى ما سر هذه المكانة ..؟ وهل لهذه المكانة علاقة بأنه تم في عصره انتقال قيادة البلدان العربية الى القاهرة عندما استطاعت مصر في ظروف صعبة ان تلعب الدور الرئيسي في حماية العروبة والاسلام ، وفي ايامه زادت اهمية مصر العربية ، وانتقلت الخلافة اليها ، واكتمل دورها وشخصيتها العربية في اللغة والثقافة ، وقادت اعظم المعارك يوم القيت عليها مسئولية الدفاع عن ارض العرب ، فحفظت على المنطقة عروبتها واسلامها وكيانها ضد غزاة العصور الوسطى .

وجاء الظاهر بيبرس الى الحكم بعد انتصار صلاح الدين في معركة حطين ، وبعد ان انزل قطز الهزيمة الساحقة بالتتار - بعد اجتياحهم بغداد - في موقعة عين جالوت سنة ١٢٦٠م ، وبعد ان قضى التتار على الخلافة العباسية في بغداد سنة ١٢٥٨م ، وكان عليه ملاحقة بقايا الصليبيين ومواجهة التتار الزاحفين الذين لم ينسوا هزيمة عين جالوت ، فكانت الحروب بينهم وبين بيبرس سجالا فقضى على قوتهم بالشام ، ولم ينقطع عن مطاردتهم في المناطق التي يغيرون عليها ..

وكما واجهت الدولة الاسلامية في صدر الاسلام الفرس والروم ، واجهت مصر دفاعا عن العروبة والاسلام التتار والصليبيين ، عندما انتقل الوسط الجغرافي الى القاهرة ، بعد انسلاخ الامارات الاسلامية في اسيا ، وانهيار بغداد ، وذهاب قرطبة ، وقد منح موقع مصر الظاهر بيبرس المزيد من التفرد ، واصبحت مصر القلب من الجسم بعد ان تكونت للعروبة منطقة واضحة وابعاد محددة ، وامتدت دولته من اليمن جنوبا حتى نهر الفرات وجبال طوروس شمالا ، وعلى شاطىء البحر الابيض من خليج الاسكندرية حتى بلاد برقة ، وعلى ضفاف النيل حتى اعالي النوبة ، فكانت تضم مصر والشام واليمن والحجاز وبرقة .

واصبح التحرك الى المركز الجديد طبيعيا ، وقد شهدنا من قبل انتقال العاصمة من المدينة المنورة ، في عصر الخلفاء الراشدين ، الى دمشق في عصر الامويين عندما اتسعت الدولة شمالا وانتقلت مرة اخرى مع انتقال الوسط الجغرافي الى بغداد في العصر العباسي ، واستقرت في القاهرة في عصر المماليك عندما فاقت غيرها من مدن الاسلام في العظمة والعمران ..

وتدفق على مصر العلماء والصناع حين بدأ سقوط الاندلس وقلاقل المغرب ، وحين وصل اعصار التتار الى العراق ..

وغدت مصر قلب العالم العربي والقاهرة مركزه واقوى عواصمه بعد انتصارها ، وازدهرت اقتصاديا عندما اصبحت عاصمة تجارية بين بلاد الشرق البعيد وثغور البحر الابيض ..

واللافت للنظر هنا ان سيرة الظاهر بيبرس بدأت روايتها عندما انهارت هذه الدولة ، ودخل سليم الاول الى القاهرة وسقطت مصر تحت الحكم العثماني ، وانتقلت العاصمة من جديد الى

القسطنطينية ، الا يعنى ذلك ان الظاهر بيبرس يمثل الدولة « الحلم » الضائع فى الوجدان الشعبى .

## ● القضاء على الإرهاب

لقد قدمت الملاحم الشعبية والصور التاريخية الظاهر بيبرس فارع الطول اسمر اللون جهورى الصوت ، حاد النظرات شجاعا ، نبيلا عادلا ، لا يكف عن النشاط والحركة تتغنى الملحمة الشعبية ببطولاته خلال الحملات الصليبية وفى المعارك ضد الزحف التتارى وهى المعارك التى مهدت للانتصارات التى حققها بعده السلطانان قلاوون والاشرف ، وبعد ان قضى على سطوة الحشاشين ذلك التنظيم الارهابى المحكم الذى روع العالم الاسلامى بالاعمال العدوانية والتخريبية والارهابية واغتيال عدد من قياداته ..

ولم تقتصر سيرة الظاهر بيبرس على قيادة الجيوش واعداد الاساطيل وتدريب الفرسان وتحصين القلاع والثغور ، بل امتدت الى البناء والعمران ، وماحققه ـ من تقدم فى نظم الحكم والادارة وتنمية موارد الثروة ، فأمد الموانىء وربط القاهرة ودمشق باتصال بريدى عن طريق الخيل والفرسان الذين يحملون البريد خلال اربعة ايام ، وكانت الخيل تقف على اهبة الاستعداد لنقل البريد من محطة الى اخرى ، ولم تفته اقامة المؤسسات الخيرية والدينية والثقافية ..

ومازال فى القاهرة احد الاحياء التى تحمل اسمه وهو حى « الظاهر » وقد اتخذ قلعة الجبل مقرا لحكمه ، ومازالت بين القصرين تضم منشآته : المدرسة والجامع الذى يحمل اسمه ، واعاد بيبرس الجامع الازهر لما كان عليه فى عهد الفاطميين

ومازال قبره مزارا فى دمشق بعد ان لقى ربه خلال زيارة لها .

ووقف المؤرخون طويلا أمام نجاح مصر فى صد الزحف التتارى الذى لم يكن انجازا لمصر وحدها ، بل للبشرية كلها ، فهذا السيل كان يتجه من المشرق الى المغرب واذا قدر للتتار اجتياح مصر ، فسيجتاحون المغرب والاندلس وربما اوربا ، وحافظت مصر على صروح الحضارة البشرية ، ويرى المؤرخون ان موقعة « عين جالوت » لاتقل خطرا عن موقعة « شالون » التى هزم فيها الهون قبلها بثمانية قرون على يد القوط والرومان بعد ان اجتاحوا اوربا جميعها ..

## ● السلطان الحائر !

ومن ابرز علامات عصر بيبرس احياء الخلافة ونقلها الى القاهرة عندما ظل الظاهر بيبرس السلطان الحائر بين الحق والقوة ، الباحث عن الشرعية ، فاذا كان قد حقق شرعية بالسيف والقوة ، فهذا وحده لايكفى ، فالشرعية القائمة على القبول العام ضرورية لدولته الواسعة الارجاء وفى مواجهة الجدل القائم حول اصل المماليك وشرعية انتقالهم من رقيق الى حكام ، وهم الذين يمثلون العسكرية وحدها ، وعقب فتوى الشيخ عز الدين بن عبد السلام الذى افتى بضرورة بيع المماليك فى الاسواق ، وبعد اعتاقهم يمكن ان يصبح لهم الحق فى تولى




الحكم ، كما كانت للشرعية اهمية بالغة فى جو المعارك الداخلية بين امراء المماليك الطامعين وفى مواجهة الحشاشين والعلويين والاسماعيلية بعد انهيار الحكم الفاطمى ..

وواتته فرصة احياء الخلافة العباسية وهى من الحوادث التاريخية النادرة التى يختار فيها الحاكم سلطة .. اعلى منه ، وذلك عندما قدم الى دولته الامام احمد عم المعتصم آخر الخلفاء ، وابن الخليفة الظاهر بعد نجاته من مذبحة بغداد ، جاء الى مصر وفى صحبته جماعة من أمراء العرب بعد أن غابت الخلافة من البلاد الاسلامية ، وخرج بيبرس للقائه ومعه القادة والعلماء والاعيان واستقبله فى المطرية وصحبه الى قلعة الجبل ، وعقد مجلسا فى بهو الاعمدة ، حضره القضاة والعلماء والامراء ، كما حضره شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام ، وامام مجلس العلماء اثبت الامام احمد نسبه ، وبايع بيبرس الخليفة وكان يوما مشهودا وشهدت القاهرة احتفالات لم تشهد لها مثيلا ..

## ● خطاب الخليفة

ويمكن ان نتبين عمق القيم التى سادت المجتمع عند قراءة وصايا الخليفة للسلطان الذى يوصيه فيها بالعدل ، ويأمره بتحصين الثغور والقلاع ، ونلاحظ انه مجتمع قام على الجهاد دفاعا عن ارض وتراث المنطقة كلها .

وينقل المقريزى فى كتابه السلوك لمعرفة الملوك خطاب الخليفة ، وهو من انشائه والذى شهد على مكانته والذى القاه أمام بيبرس وجمع غفير من العلماء ..

ومما جاء فى هذا الخطاب قول الخليفة .. « ان مايجب تقديم ذكره هو

امر الجهاد الذى اضحى على الامة فرضا ، وهو العمل الذى يرجع به مسود الصحائف مبيضا ، وقد وعد الله المجاهدين بالاجر العظيم واعد لهم عنده المقام الكريم وخصهم بالجنة » ويضيف ..« لاتخل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له الثغور ، واحتفال يبدل مادجى من ظلماتها النور ، واجعل امرها على الامور مقدما وشيد منها كل ماغادره العدو مهدما ، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع ، وهى على العدو داعية افتراق لا اجتماع ، واولاها بالاهتمام ماكان البحر له مجاورا ، والعدو له ملتفتا ناظرا ولاسيما ثغور الديار المصرية فان العدو وصل اليها رابحا وراح خاسرا ، واستأصلهم الله فيها حتى ما أقال لهم عاثرا ، وكذلك امر الاسطول الذى ترجي خيله كالأهلة وركائبه سابقة بغير سابق ستقله ... فان ذاك غدت الرياح له حاملة ، وهذا تكفلت بحمله المياه السائلة ، وان لحظها جارية فى البحر كانت كالاعلام ، واذا شبهها قال هذه ليال تقلع الايام ».

فماذا ياترى يقول اليوم فى عصر الصواريخ والطيران ؟!

واضاف مخاطبا السلطان .. « لقد اقمت الدولة العباسية ، بعد ان اقعدتها زمانة الزمان ، واذهبت ماكان من محاسن واحسان واعقب دهرها المسيء لها فاعتب ، وارضى عنها زمنها ، وقد كان صال عليها صولة مغضب .. وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية ، ومايتجدد من الفتوحات غورا ونجدا ، وفوض امر جندها ورعاياها اليك حين اصبحت بالمكارم فردا .. »

.... وهذه الاقاليم المنوطة بك تحتاج الى نواب وحكام واصحاب رأى من اصحاب السيوف والاقلام فاذا استعنت بأحد منهم فى أمورك فنقب عنه تنقيبا ، واجعل عليه فى تصرفاته رقيبا ، وسل عن أحواله ، ففي يوم القيامة تكون عنه مسئولا ، وبما اجرم مطلوبا ، ولاتول منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لاذنوبا ، وامرهم بالاناة فى الامور والرفق ، ومخالفة الهوى اذا ظهرت ادلة الحق ، وان يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم ، الوجه الطلق ، وألا يعاملوا احدا على الاحسان والاساءة الا بما يستحق ، وان يكونوا لمن تحت ايديهم من الرعايا اخوانا ، وان يوسعوهم برا واحسانا والا يستحلوا حرماتهم ، واذا استحل الزمان لهم حرمانا ، فالمسلم اخو المسلم ولو كان اميرا عليه وسلطانا »

ومنذ هذا الوقت اخذت وثائق تقليد حكام الولايات تخرج من القاهرة ومنهم بعض حكام الهند بل وحتى وثيقة تقليد السلطان العثمانى بايزيد الاول سنة ١٣٩٤م ، واستمرت الخلافة زهاء ثلاثة قرون وحتى انتزع السلطان سليم حكم مصر عام ١٥١٧م ، ونقل الى القسطنطينية ضمن مانقل من مصر العمال المهرة والحرفيين والخليفة المتوكل اخر خلفاء بنى العباس .

## ● مغزى حكم بيبرس !

**ويدهش المرء من قلة العناية بهذه الصفحات من تاريخ مصر ، وهى التى تحتاج الى اوسع الدراسات للوصول الى مغزاها وعبرها، ولعل غياب الاهتمام بهذه المرحلة يعود الى التركيز**




**عني أصول حكام هذا الزمان الذين انتقلوا من الرق الى السلطان ، او لعله النفور من أعمال المماليك في نهاية العصر المملوكي واثناء العصر العثماني وما اقترفه الكثيرون منهم من عسف وجور !**

ومع ذلك وجد من يحمل هذه المهمة وهو الاكثر صدقا وتعبيرا عن وجدان الشعب ، الا وهو التراث الشعبى الذى احتفى ببيبرس وبطولته وجاءت ملحمته لتؤكد انه لم يكن مجرد حاكم معزول عن شعبه ، بل عبر بصدق عن عصره وقيم شعبه واحلام وطنه .

فمثلا .. يظهر حرص الظاهر بيبرس على اقامة العدل وايمانه بالمساواة عندما تولى بنفسه مجلسا يسمى دار العدل يبحث مظالم الرعايا .

ولايدرك المؤرخون ان تجاهل هذه المرحلة انما هو تجاهل للدور التاريخي لشعب مصر وموقعه الحاكم في المنطقة العربية ، فليس صحيحا ان قطز وبيبرس وقلاوون ، قد اتخذوا مصر منطلقا وحكموا منها انما الحقيقة التاريخية تقول انهم حكموا بها قبل ان يحكموها ، وواجهوا الغزاة باسم مصر وبطاقات مصر ، يساعدهم موقع مصر ، وثروتها البشرية ..

ولعل فى الحكاية التى رواها ابن اياس مايؤكد ذلك ويرد على دعاة ان تاريخنا كله يحكمه ما إطلقوا عليه « **الطغيان الشرقي** » وجاءت الحكاية فى كتاب بدائع الزهور «.. جاءت الاخبار سنة خمس وسبعين وستمائة بأن التتار قد زحفوا على البلاد ، ووصل اوائلهم الى حلب وكانت الخزانة خاوية نفد مافيها من مال ، وطلب السلطان فتوى بجمع المال من الاهالى ، وعندما طلب هذه الفتوى من الشيخ محيى الدين النواوى رأس علماء الشافعية ، فامتنع فقال له السلطان :

ماسبب امتناعك ..؟

قال : انا اعلم انك كنت فى الرق للامير البدقدارى ، وليس لك مال ، ثم ان الله تعالى منَّ عليك وجعلك ملكا ، وبلغنى ان عندك سبعة الاف مملوك ، ولكل مملوك حياض ذهبا ، وعندك مائتا جارية لكل جارية حلى فاخرة مابين ذهب ولؤلؤ وفصوص مثمنة فاذا بعت ذلك جميعه ، وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلا من الحوايض والذهب وباعت جواريك الحلى التى عندها ، افتيتك بأخذ اموال الرعية »

ولما غضب الظاهر قال له العلماء .. « ان هذا من كبار علمائنا وصلحائنا ممن يقتدى به ..»

وتكشف هذه الحكاية مكانة العلماء والفقهاء ، فرغم ماحققه الظاهر من انتصارات عسكرية ومع تهديد جديد ، رفض احد الفقهاء الموافقة على جمع الاموال من الرعية ، فمن يتصور ان يحدث مثل هذا فى عالم اليوم ، ومن يقدر على مواجهة مطالب حاكم منتصر يخرج من جديد لملاقاة الاعداء الا فى مجتمع تعمقت فيه حقوق الحاكم وحقوق المحكومين .

ان سيرة الظاهرة بيبرس التى ترددت فى كل ارجاء مصر ، والتى تعكس حلم ابناء مصر ، وتوقهم للدفاع عن العرب ضد الغزاة يمكن ان تضيف للباحث المنصف رؤية جديدة للجدل القائم حول المستقبل .



# القفز على الأشواك المستثمرون

بقلم: د. شكري محمد عياد

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

لم يزل هذا البيت يرن فى أذنى هذه الأيام ، ويشغلنى عن السؤال « من القائل وما المناسبة » أننا نحن تلك العيس .. ولا أظننى أسيء إلى أحد حين أدعى أننا شعب من الجمال ، أو أتخذ الجمل رمزاً لشعبنا الصبور الحمول . ولكن منظر الجمال التى تقطع الصحارى الشاسعة وهى تلهث من العطش وتتشمم رائحة الندى فى حين أن الروايا - قرب الماء - مربوطة ومرصوصة فوق ظهورها ، منظر لايليق بالجمال الآدمية مهما بالغنا فى فضيلة الصبر . هذه الصورة مازالت تلح علىّ منذ قرأت البيانات للتى نشرتها الصحف اليومية ، منسوبة إلى عدد من كبار المصرفيين عندنا ، عن قيمة ودائع المصريين داخل مصر :

سبعة آلاف مليون جنيه مصرى
عشرة آلاف مليون دولار أمريكى

هذان الرقمان التقريبيان يمثلان مجموع مدخرات المصريين المودعة فى المصارف المصرية أو فروع المصارف الأجنبية داخل مصر . ولاتدخل فيهما المبالغ المتداولة فى السوق غير الرسمية ، ولا المبالغ المودعة لدى شركات استثمار الأموال ، ومعظمها تأخذ شكل أوراق مالية وأرصدة متنوعة ، أى رأسمال مالى .

وهذان القسمان الأخيران لا يعرف مقدارهما بالدقة ، ولكن المرجح - نظراً لما يقدمانه من المغريات - أنهما يزيدان كثيراً على المبلغين السابقين .





كل هذا ونحن نشكو من الكساد ، والبطالة ، وضعف الناتج القومي ! .

وقد بحثت لدى علماء الاقتصاد عن تفسير لهذه الحالة ، فلم أجد ، ثم قذفت الذاكرة ببيت الشعر الآنف الذكر ، فوضحت لي كثير من الأمور .

فعلماء الاقتصاد - لسذاجتهم - يجعلون نمو الثروة القومية مرتبطا بالادخار ، حتى إنهم ليساوون بين قيمة المدخرات وقيمة الاستثمارات . ومن الواضح في حالتنا هذه ، أن العلاقة مفقودة بين الاثنين . وبما أن علماء الاقتصاد لا يمكن أن يكونوا مخطئين فيما زعموه - فقد استمدوا هذا القانون من واقع النمو الاقتصادي في بلادهم - فالأحرى بنا أن نترك لهم قوانينهم وأن نتمثل بأشعارنا . وهكذا وجدتني أنكفيء من قوانين الادخار والاستثمار إلى بيت من الشعر « بكسر الشين » وأرجو الا تسوء بي الحال أكثر ، فأرجع إلى بيت من الشعر « بفتح الشين »

فالشيء الخطر في استعمال الشعر هو أنه يقال للتعجيب ، ولا يقال للتفسير ، فضلاً عن أن يشير ولو من بعيد ، إلى علاج لحالة مستعصية كحالتنا ، نعم ، ليس بالشعر وحده يحيا الانسان ، فلابد له من الخبز أيضاً . وفي سبيل الجمع بين الخبز والشعر حاولت أن أنتقل من حالة التعجب التي ألقاني فيها البيت المذكور إلى حالة التفسير ، عسى أن أتوصل إلى معرفة أسباب الوضع الاقتصادي الشاذ الذي نحن فيه إلى اقتراح بعض الخطوات لتصحيحه .

ولم لا ؟ فأنا لم أسمع بعد عن شيء اسمه علم الاقتصاد المرضي ( على وزن علم النفس المرضي ) فلماذا لا أقوم بمحاولة متواضعة نحو ارساء أسس هذا العلم الجديد ؟ فمع أن هذا العلم لم يوضع بعد ، فالظاهر من سيماه أنه يحتاج إلى رافد أدبي ، ولا عجب . فالشعر أخو الأخلاق ، والأخلاق أخت الاقتصاد ، وقد لبثت سنوات عدة أتحدث في الاقتصاد ، دون أن أشعر ، حين كنت أحدث قرائي عن أخلاق الاستهلاك . فلماذا لا أتقدم اليوم خطوة أخرى ، فأتحدث عن أخلاق الاستثمار ؟

وحين نتناول مشكلاتنا الاقتصادية - سواء في جانب الاستهلاك أم جانب الاستثمار - باعتبارها نابعة من سلوك الأفراد ، نصرف النظر مؤقتاً عن السياسات والإجراءات الحكومية . ولا يعني هذا أننا ندعو إلى الاقتصاد الحر أو نتجاهل دور القطاع العام ، فوجود هذا القطاع العام والوظيفة الرئيسية التي يقوم بها في اقتصادنا القومي مسلمتان لا محل للنقاش فيهما ، وإن كان من الممكن تصور تعديلات مهمة في تكوينه وطريقة عمله . أما المسألة التي تعنينا الآن وهي السلوك الاقتصادي للأفراد فليست مقصورة على الاقتصاد الحر دون الاقتصاد الاشتراكي ، وهذا واضح على الخصوص في جانب الاستهلاك . فالميل إلى الحصول على السلع المستوردة غير

مقصور على مواطنى الدول « النامية » ذات الاقتصاد الحر ، بل إنه ظاهرة ملحوظة أيضاً لدى مواطنى الدول الاشتراكية فى هذه المجموعة وكثيراً ما يأخذ طابع التهريب . والعكس صحيح أيضاً ، إذ لايقتصر تفضيل المنتجات الوطنية على مواطنى الدول التى تأخذ بالنظام الاشتراكى دون تلك التى تأخذ بالنظام الحر ، المسألة إذن مسألة سلوك فردى .

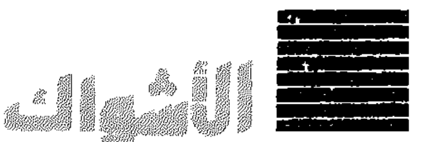
## سلوكيات الاستثمار

وسلوكيات الاستثمار تلقى نصيباً غير قليل من العناية فى النظم الاشتراكية ـ عن طريق السندات الحكومية وشهادات الاستثمار ونظم التأمينات وغيرها ـ وإن كان من المسلم به أنها أساسية فى نظم الاقتصاد الحر ( الصورة تبدو مشوهة بعض الشىء فى عالمنا المعاصر ، حيث تعتمد حركة الاقتصاد على تشجيع العادات الاستهلاكية لدى كل من العامل فى البلدان الرأسمالية المتقدمة والرأسمالى الناشىء فى البلدان النامية . ولكن التمييز لايزال صحيحاً بوجه عام ) .

ومادامت السلوكيات أو الأخلاقيات واحدة ـ على الأقل ـ من القوى المؤثرة فى حركة الاقتصاد ( وقد تكون هى القوة المرجحة أو الحاسمة فى بعض الأحيان ) فمن الواجب أن نبحث عن عللها فى الدوافع النفسية . وهذه الدوافع مع كونها فردية فالملاحظ دائما أنها تكون مشتركة بين مجموعات من الأفراد كبيرة أو صغيرة . وإذا كانت دوافع الاستهلاك كثيرة ومتنوعة فإن دافع الاستثمار ينحصر فى تحقيق أكبر عائد ممكن بأقل مخاطرة ممكنة . وقرار المستثمر يبنى دائماً على الموازنة بين وجوه الاستثمار المتاحة ، من حيث مقدار العائد وحجم المخاطرة . وطبيعى أن يتشكل هذا القرار فى ضوء خبراته السابقة .

فلننظر الآن فى التركيبة النفسية والخبرات السابقة لدى أصحاب المدخرات المصريين ـ وهم المستثمرون المحتملون . ويمكننا أن نستغنى عن "الاستبيانات" التى يستخدمها الباحثون النفسيون والاجتماعيون حين تعرض قضية من هذا النوع بالاعتماد على المعلومات المعروفة عن مصادر هذه المدخرات ، ومن هذه المصادر يمكن أن نعرف ـ على وجه التقريب ـ نوعيات الأشخاص الذين حصلوا عليها :

تميز عقد السبعينيات بعودة العلاقات الطبيعية بين مصر والمملكة العربية السعودية ومن ورائها دول الخليج . وكانت هذه الدول تشهد ازدهاراً لم يسبق له مثيل وخصوصاً بعد الارتفاع السريع والمستمر فى أسعار البترول . وهكذا أصبحت العمالة المصرية فى هذه المنطقة ـ وتضاف إليها ليبيا ـ ظاهرة اقتصادية واجتماعية كبيرة الحجم ، اقترنت بظاهرة أخرى داخلية وهى السماح ـ على أوسع نطاق ـ بما سمى ( الاستيراد بدون تحويل عملة ) . وفى غياب الإحصاءات المعتمدة عن أعداد العاملين فى الخارج ومستويات دخولهم ونسبة مدخراتهم إلى دخولهم يستطيع كل إنسان أن يطرح التقدير الذى يراه معقولاً . وتتراوح هذه التقديرات بين سبعين مليار دولار ومائة وعشرين مليارا . قسم صغير من هذه المدخرات حول إلى

العملة المصرية بالطرق الرسمية ، وقد تراوح هذا القسم بين ألف مليون وألفى مليون دولار فى معظم السنوات ، وقسم آخر حوله أصحابه إلى حساباتهم الخاصة بالعملة الصعبة داخل مصر ، والقسم الأكبر حول إلى مصارف فى الخارج ، أو دخل فى المعاملات التجارية الدولية عن طريق ماسمى تجارة العملة ـ هرباً من تسميتها بالسوق السوداء أو حتى الرمادية ، وليس من العدل أن تسمى كذلك ، مادامت قد نمت وترعرعت فى كنف ذلك النظام « القانونى » العجيب ، نظام الاستيراد بدون تحويل عملة ، الذى لا معنى له فى الواقع إلا التصريح بقيام سوق حرة للنقد .

لم تكن "تحويلات المصريين العاملين فى الخارج" المعروف منها والمجهول ، هى المصدر الوحيد لتكوين رءوس الأموال الخاصة ، إذ يجب ألا ننسى الإنفاق الحكومى الضخم ، وإن كان أغلبه معتمداً على القروض ، وهذا يعنى عقوداً ، واتفاقات ، ومقاولات . وهذه بدورها تعنى ـ بالنسبة لكثير من الأفراد ـ عمولات و« العمولات » مثل تجارة « العملة » تنتمى إلى ذلك العالم الرمادى الذى تاهت فيه الحدود بين ما هو مشروع وما هو غير مشروع . منذ تحدث عنها رئيس سابق علناً فى مجلس الشعب وهى ترد على أقلام الكتاب فى السياسة والاقتصاد على أنها "أمر واقع" وإن بقى الحكم الأخلاقى أو الوطنى أو القانونى فى أمرها معلقاً .

هذه هى مصادر رءوس الأموال الخاصة التى تجمعت لدى فريق من المصريين ، وعلى هديها يمكن أن نفسر سلوكيات ذلك الفريق ، التى أدت إلى الموقف المتناقض الذى نحن فيه : أغنياء فقراء ، كالجمال التى تحمل الماء فى الصحراء .

## اكتساب العادات الاستهلاكية

قسم كبير ممن رحلوا للعمل فى البلاد العربية لم يكونوا مدخرات تذكر ، هؤلاء هم العمال غير الحرفيين ، الذين اشتغلوا فى أعمال التشييد وما يشابهها ، معظمهم هرب إليها من العمل فى الحقول ، وما فاض عن حاجاتهم المعيشية فى الخارج ، وحاجات أهلهم فى مصر ، أنفقوه كما ينفق الطفل الفقير مصروفه يوم العيد : اشتروا ما كانوا يحلمون به من مسجلات وتليفزيونات ومراوح وثلاجات ، تراها الآن فى بيوتهم القروية التى لم يتغير فيها شىء جوهرى ، حتى ولا أرضها الترابية ، هؤلاء لم يكتسبوا من رحيلهم إلا بعض العادات الاستهلاكية السيئة ، ولكنهم فقدوا عاداتهم ومهاراتهم البسيطة كمنتجين ؛ إنهم ـ بكل بساطة ـ يحتاجون إلى إعادة تأهيل . ولكن هذه قضية اخرى .

القسم الأكبر من المدخرين هم طوائف الكتبة والمهنيين من صغار وكبار ، يضاف

إليهم عدد غير قليل من الحرفيين . هذه الطوائف تميل إلى الادخار ، ولكن معظمهم - كأفراد - يفتقدون موهبة الابتكار ، وروح المخاطرة ، ولذلك فهم يتهيبون « المشروعات » ويفضلون أن يحولوا مدخراتهم إلى « ودائع » تدر عليهم عائداً مضموناً . وجدير بالذكر أن هذا القسم هو الذى تتناوله جميع التقديرات السابقة ، لأن القسم الثالث ، والذى ستتحدث عنه بعد لحظة ، لايمكن تقدير مدخراته ولو بالتقريب ! .

هذا القسم الثالث هم "القروش" الكبار ، الفك المفترس ، أباطرة الانفتاح ، وملوك العملة ، ودهاقنة العمولات . هؤلاء لا كلام لنا معهم ، أو عنهم . حسابهم على الله ، وعلى الحكومة . قليل منهم كونوا ثرواتهم بطريقة شبه شريفة ، وبعضهم اقاموا مشروعات . ولكن الطابع المميز لأكثرهم هو أنهم انتهازيون ، مراوغون ، لا "يعطون أمانا" للشعب ولا للحكومة ، ولذلك فمعظم ثرواتهم في الخارج ، ولا يحتمل أن تعود . أما مشروعاتهم وممتلكاتهم في الداخل فقد أثبتت التجارب أنها مغطاة ، وزيادة ، بقروض من المصارف المحلية .

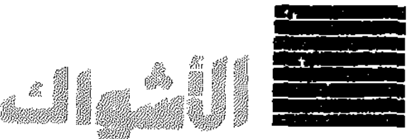
إذن فالمدخرات التى يمكن "اجتذابها" ، كما يقول ممثلو الحكومة ، هى مدخرات القسم الثانى . ولكن الأمر الغريب هو أننا نقرأ فى الوقت نفسه تصريحات لمصرفيين كبار أن المدخرات الموجودة بالفعل لدى المصارف المصرية فى صورة ودائع ، راكدة ! وموضع العجب أن وظيفة المصرف هى - بالتحديد - استخدام حصيلة هذه الودائع فى صورة قروض للمستثمرين !

فلبُّ المسألة ، قبل البحث فى أحسن السبل لاجتذاب هذه المدخرات ، هو أن نعرف إلى أى شيء سوف توجه ! يمكن أن يوجه قسم منها - عن طريق المصارف - إلى دعم القطاع العام . ولا شك أن هذا حادث بالفعل . ولكن القسم الباقي ليس بالشيء القليل ، وهو مطالب أيضا بدعم الاقتصاد الوطنى عن طريق آخر ، طريق مشروعات القطاع الخاص التى قدر لها فى الخطة الخمسية البادئة مايزيد على ثمانية عشر ملياراً .

إذن فالمسألة ببساطة تامة هى إغراء هؤلاء المدخرين بأن يتحولوا إلى مستثمرين ، فهذا أولى من دعوة المستثمرين الأجانب .

ولكن المشكلة بالضبط فى هذا "التحول" فالمستثمر الأجنبى "جاهز" بعقلية المستثمر وخبرة المستثمر . ولهذا فهو يقارن بين فرص الاستثمار فى بلادنا وفى أى بلاد أخرى ، وإذا دلته تقديراته على أن فرصة الربح عندنا اكبر فإنه يقدم على التجربة . وعلى ضوء التجربة العملية يمكن أن يكمل معلوماته أو يصححها ، ومن ثم يقرر التوسع أو الاستمرار أو التصفية . ونظراً لتعدد مشروعاته وانتشارها فإن احتمال الخسارة فى واحد منها لا يزعجه كثيرا .

أما المدخر المصرى الذى وصفنا حاله ، والذى نرشحه ليكون مستثمرا ، فهو مختلف تماما : رأسماله - مهما يكن "ضخما" بالنسبة إلى وضعه السابق -

صغير بل ضئيل بالنسبة إلى أى مشروع استثمارى مهم . وخبرته بادارة الأعمال معدومة فى الأغلبية العظمى من الحالات . ولكنه يملك بعض الخبرات المؤلمة بطريقة "تسيير الأمور" فى الإدارات الحكومية . وهو يعلم ما أصبح معلوماً للجميع ، ومنشوراً فى الصحف عن المشروعات الاستثمارية التى اقيمت فى السنوات الأخيرة : أن نسبة كبيرة منها ـ قد تبلغ الثلث أو تزيد ـ تعانى من مصاعب اقتصادية .

لهذا يفضل أن يبقى رأسماله وديعة لدى مؤسسة مالية يثق بها ، وتغطيه ربحا معقولا . وبما أنه يستبقى ودائعه عادة بالعملة الصعبة فإن المؤسسات المالية لا تجد صعوبة فى "تحريك" هذه الودائع ، بنقلها إلى أحد المصارف العالمية ، وبذلك تربح الفرق بين نسبة الفائدة التى تعطيها للمودع والنسبة التى تأخذها من المصرف العالمى . ولكن المؤسسة المالية لا ترحب كثيراً إذا كانت الوديعة بالعملة المصرية ، لأنها لدغت مرات من المستثمرين الذين تفرضهم عليها "جماعات الضغط" ( حسب تعبير مسئول كبير فى أحد المصارف ) ، ولذلك تفضل إقراض القطاع الحكومى لانه ، على الأقل ، لن يهرب من البلاد . والنتيجة ـ على الحالين ـ أن مدخرات الأفراد لم تقم بالدور الأساسى المطلوب منها ، وهو إنشاء مشروعات جديدة تساعد فى تحقيق "التنمية" .

وكلنا نعرف القرار الذى اتخذته نسبة كبيرة من المدخرين المصريين حين ارادوا أن يتحولوا الى مستثمرين . لقد

اتجهوا إلى "شركات توظيف الأموال" . وكان القرار ـ من وجهة نظرهم ـ سليما . فهذه الشركات تعطيهم عائدا يكاد يبلغ ضعف الفائدة التى يحصلون عليها من إيداع مدخراتهم فى مصرف عادى . ثم هى تقول لهم إنها تستثمر أموالهم وفقا لقواعد الشريعة الاسلامية . وقد حذرهم الكثيرون من أن إيداع أموالهم لدى هذه الشركات ينطوى على مخاطرة ، لأنها لا تخرج عن كونها "شركات أشخاص" ، وهذا النوع من الشركات لا يخضع لأى إشراف قانونى . ولكنهم قبلوا المخاطرة ! وهذه ـ فى تقديرى ـ خطوة مهمة فى عملية التحول المطلوبة !

**وليس بخاف على أحد ـ كذلك ـ ان النشاط الرئيسى الذى تقوم به هذه الشركات هو المضاربة ـ فى الأوراق المالية ، والعملات ، والمعادن الثمينة ـ هذا إلى جانب نسبة صغيرة من الاموال التى تحت يدها توجه نحو مشروعات إنتاج او خدمات . والنسب تختلف ولا شك بين شركة وشركة . ولكن المهم هو أن هذه الأنواع من النشاط ، جميعها ، ليست بدعاً من أعمال المؤسسات المالية !**

ومع أن الموقف الرسمى من هذه الشركات بقى غامضا إلى أن أعلن رئيس

الوزراء عند عرض الخطة الخمسية الحالية على مجلس الشعب أن الحكومة ليس لها اعتراض عليها "إذا التزمت حدود القانون" ، فقد كان هناك ، من أول الأمر ،

رأى يضع هذه الشركات وضعها الصحيح باعتبارها مؤسسات "لتجميع" الأموال ، لا لتوظيفها . وهذا هو الاسم الذى ورد فى دائرة المعارف البريطانية علماً على نوع من المؤسسات المالية مهمتها تجميع المدخرات وتحريكها فى سوق المال شراء وبيعا لتحقيق أكبر قدر من الربح ، اعتماداً على التنويع والخبرة ، وهو مالا يتاح عادة للمستثمر الفرد . وقد سمعنا فى الاذاعات العالمية عن الحركة الواسعة التى تقوم بها مثل هذه المؤسسات فى طول العالم وعرضه ، حتى اضطرت بورصة لندن إلى تعديل نظامها فيما سمى "الدوىّ الكبير" The Big Bang لتواجه هذا النوع من

النشاط ، وحتى سمعنا عن أزمة بين الحكومتين البريطانية واليابانية لأن الأخيرة تضع العراقيل أمام الشركات البريطانية التى تريد أن تعمل فى بورصة طوكيو .

المطلوب إذن هو أن يسن قانون ينظم عمل هذه الشركات ، ويضمن إشراف الحكومة عليها . ولا باس على كاتب هذه السطور ، وهو اضعف خلق الله فى هذه الأمور ، أن يقول ولو على سبيل التمنى ، لا على سبيل الاقتراح ولا التظنى ، ان قانون هذا النوع من الشركات ربما احتوى على مادة تحدد حجم الودائع التى تعمل فيها الشركة الواحدة ، حتى لا تتحكم فى السوق من جهة ، وحتى لا تؤثر خسارتها - إن وقعت - فى الوضع العام لسوق المال من جهة اخرى ، ومادة ثانية تحدد نسبة من الأموال التى تحت يد الشركة توجه نحو الاستثمار الإنتاجى داخل مصر ، ومادة ثالثة تحدد نسبة اخرى من هذه الأموال تودع فى المصرف المركزى بدون فوائد ، أسوة بالمصارف التجارية . والله المسئول ان يحقق هذه الأمانى !

ولكيلا يتوهم أحد أن هذه المقالة كتبت بغرض الدفاع عن هذه الشركات ( ولا اتقاضى من إحداها وظيفة ، وليس لى فى إحداها جنيه واحد ولا دولار واحد والحمد لله ) أقول إننى أترقب ظهور نوع أخر من المستثمرين من بين الجماعات التى تحدثت عنها . فلاشك أن بينهم عدداً غير قليل يودون أن يقتحموا ميدان الأعمال بأنفسهم . هؤلاء هم أعمدة النهضة الزراعية والصناعية القادمة ، مهما يكن شكل الملكية الذى تتخذه هذه النهضة : اشتراكيا أم تعاونيا أم راسماليا أم مزيجاً من الثلاثة . أترقب ظهور عدد كبير من رجال الأعمال الصغار - الذين يبدءون صغارا . أتوقع أن يقتحموا كل الميادين الممكنة ، وأن يستعينوا بالأبحاث الكثيرة المطوية فى الأدراج ، وأن يكملوا نواقصها باجتهادهم . أتوقع أيضا عدداً من مكاتب الخبرة - ودعنا من هذا الاسم المخيف "الشركات الاستشارية" التى تصلهم باعمال المركز القومى للبحوث ، وأكاديمية البحث العلمى .

أترقب حياة ، لأننى لا أستطيع أن أفكر فى الموت !

# التطرف الديني إلى أين؟

بقلم: د. محمود إسماعيل

**شهدت السبعينيات ميلاد وتعاظم ظاهرة التطرف الديني .. فارتبطت تلك النشأة وهذا التعاظم بأوضاع اجتماعية سياسية**
**وبديهي أن يعرض هذا المقال لتطور ذات الظاهرة وتفاقمها خلال الثمانينيات في اطار رؤيتنا ذاتها ، ثم لابد من ابراز مظاهر التطرف الفكري والسياسي كتوطئة لاستشراف مستقبل تلك الجماعات بعد استقصاء جذورها ورصد معالم تطورها ..**

أما عن معطيات الثمانينيات وتأثيراتها على هذه الظاهرة فنلخصها في عدة ملاحظات على النحو التالي :

أولاً : بدأت ظاهرة التطرف الديني انعطافة خطيرة في تطورها منذ مطلع الثمانينيات بعد أن شحنت بزخم جماهيري نتيجة انجازها « لحادثة المنصة » .. وبعد ان اتضح « استمراريه » النظام باختياراته وسياساته ، وحتى أجهزته ورجاله .

ويخيل الي أن قيادات الاتجاهات الدينية وعت الدرس جيدا وأدركت عدم جدوى اسلوب الاغتيال في الاجهاز على « النظام الحاكم » : فخططت لغزو النظام ومؤسساته من الداخل متبعة اسلوبا علميا ناجحا قوامه التغلغل الاقتصادي . وقد تمثل ذلك في انتشار ظاهرة البنوك الاسلامية وظاهرة الشركات الاستثمارية لتوظيف الأموال متذرعة في ذلك بالاسهام في حركة التنمية ..!!

وليس أدل على نجاحها في هذا السبيل من غزو بنوك الدولة نفسها، اذ تنافست على فتح فروع لها تحمل اسم « المعاملات الاسلامية » .. ! ! ومن مظاهر هذا النجاح أيضا استقطاب شركات توظيف الأموال لمعظم رءوس الاموال الخاصة بالعاملين المصريين في الخارج فضلا عن قدر لا بأس به من الأموال بالعملة المصرية نتيجة ارتفاع نسبة فوائدها

عن الأموال المودعة بها ( ما بين ٢٠، ٣٠٪ ) ‥ !!

ولقد حققت هذه السياسة أغراضها من حيث اضعاف « النظام الاقتصادى فضلا عن التغلغل داخل مؤسساته المالية عن طريق اقراضه ٠

كما كسبت أعدادا غفيرة من المستثمرين الذين ارتبطت مصالحهم بهذه الشركات ٠ هذا فضلا عن قطاعات عريضة من العمال والموظفين الذين تركوا وظائفهم الحكومية والتحقوا بهذه الشركات التى استشرت فى طول البلاد وعرضها ٠ فاذا أضيف الى ذلك كسب الكثير من « القيادات الدينية » الازهرية التى لم تتقاعس ـ أمام بريق المال ـ عن الافتاء بمشروعيتها ‥ هذا فى الوقت الذى عمدت فيه الى ضرب وتخريب الاقتصاد الوطنى لاستثمار رءوس أموالها ( التى تفوق احتياطى بنوك الدولة ) فى مشروعات ترفيهية استهلاكية ( مراكز صيانة المرسيدس ـ مطاعم علاء الدين السياحية ـ انتاج عشرات الانواع من البسكويت واللبان ‥٠ الخ ) !! كما عولت على الترويج « لايديولوجيتها » عن طريق العشرات من دور النشر ‥ بل غزت وسائل الاعلام ( صحافة ـ اذاعة ـ تليفزيون ) نظير ما تقدمه من أموال تنفق على الدعاية حتى غدت أسماء شركات توظيف الاموال معروفة لدى الخاص والعام ٠

ومن الغرابة بمكان ان نقف عاجزين أمام هذا التيار الجارف من المساوىء والمفاسد التى خربت الاقتصاد والاخلاق والمجتمع بل الاسلام نفسه !! ألم يفت فقهاء الدينار والدولار بمشروعية أعمال هذه الشركات فى « المضاربات » فى ذات الوقت الذى يفتون فيه بعدم مشروعية تعاملات البنوك الرسمية ؟؟

ان المغامرة بعرق العاملين المصريين فى الخارج فى مضاربات الذهب والفضة والبورصة ، والاتجار المعلن فى العملة وغيرها !! أمور تستوجب موقفا صارما من «الدولة» ولكن هيهات !!٠ ان المحصلة النهائى لهذا التغلغل الاقتصادى للقيادات الدينية يؤهلها لدور سياسى وشيك بعد أن نجحت فى احتواء العديد من القيادات داخل النظام نفسه ٠

ثانيا : شكلت ظاهرة « المال الاسلامى » !! طبقة مهيمنة لا نبالغ اذا قلنا انها تمثل « دولة داخل الدولة » ٠وبديهى أن تتخلق « جماعات مصلحة » من صغار التيار الدينى تتطفل حول هذه المؤسسات الكبرى وتشكل احتياطيا لها جماهيريا وأيديولوجيا ‥ ولا غرابة البتة فى ذلك اذا ما لاحظنا « اغداقات » هذه المؤسسات على « الاعمال الخيرية الدينية !! كانشاء المساجد ومساعدة طلاب الجماعات الدينية ‥ ورعاية أسر الموتى من أعضائها ‥ ولا نشك اطلاقا فى تكريس قدر من أرباحها الطائلة للدعاية الايديولوجية ان لم يكن الجهود التنظيمية السرية !!

أما القطاعات العريضة من أصحاب الاتجاهات الدينية المتطرفة فهى مخدرة بدعاوى « انتظار المهدى » والالتفاف حول « مدعى النبوة » من المشعوذين ٠ كذا حول « أمرائهم »

# التطرف الدينى إلى أين؟

المقدسين !! وما ظواهر المشعوذة والاتجار بالدين وادعاء النبوة ..الخ الأمثلة دالة على الدور المخرب الذى تلعبه هذه الاتجاهات للاسلام فضلا عن الاخلاق والعلاقات الاجتماعية الاسرية .

ثالثا : أما عن التعبير السياسى لنشاطات هذه التيارات الدينية المتطرفة . فالامر – فى تقديرى – أخطر من تفاقم ظاهرة « العنف اليومى » الذى سرى فى الجامعات أو انطلق من المساجد او تكفير المخالفين .. ان نشاطا سريا دؤوبا يجرى على قدم وساق تمهد له الصحافة المعبرة عن هذه التيارات وما اكثرها وتموله المؤسسات الاقتصادية المشار اليها فضلا عن ايد أجنبية .

رابعا : رغم خطورة الدور الذى تلعبه الاتجاهات الدينية على كافة الاصعدة تتبارى أحزاب المعارضة وتتنافس فى مغازلتها واسترضائها . ونظرا لعدم وجود حزب معلن يؤطر العمل السياسى لهذه الجماعات فقد توزعت قطاعات منها وخاصة القيادات القديمة بين هذه الاحزاب .. ووصل تغلغلها الى حد احتواء بعض هذه الاحزاب وخاصة حزبى الاحرار والامة كما لم تعدم قاعدة لها وزنها فى حزب الوفد .. وحتى حزبى اليسار لم يسلما من مغازلة هذه الجماعات والتيارات الدينية . فحزب التجمع الاكثر يسارية يتبارى فى استرضائها ليعلن أن الاتجاهات الدينية المستنيرة تدخل ضمن صيغة التجمع ولا يفتأ يدافع عن المعتقلين من أعضاء الجماعات الدينية بصورة مبالغ فيها .. ونظرا لاحتوائه قطاعات من الماركسيين . ونظرا لما يشاع عن الماركسيين جماهيريا من الحاد فان نغمة التمسح بالدين اصبحت معاملا سياسيا فى خطاب التجمع السياسى . أما حزب العمل – اليسارى المعتدل – فقد غدت صحيفة « الشعب » من أهم منابر* هذه الجماعات رغم ما يثيره ذلك من خلافات بين قيادات الحزب وكوادره . وفضلا عن ذلك فان « الغزو الدينى » جرف الكثيرين من المثقفين المستقلين ومن بينهم بعض الماركسيين !! وبالمثل فان الحزب الوطنى كرس صحيفة أسبوعية « اللواء الاسلامى » تعبيرا عن تمسحه بالاسلام ..

**ان تعاظم ظاهرة « الاسلام السياسى » فى الثمانينيات لا يمكن ان تفسر الا فى اطار تفاقم الازمة الاقتصادية – الاجتماعية من ناحية وهيمنة بعض القيادات الاسلامية على قطاعات لا بأس بها من النشاط الاقتصادى وخاصة المالى عن طريق البنوك الاسلامية وشركات توظيف الاموال ..**

وقبل عرض مستقبل هذه التيارات على خريطة العمل السياسى فى مصر من المفيد أن نعدد بعض الخصائص العامة التى تميز الاطار الفكرى لهذه الجماعات الدينية .

أولا : العجز عن تقديم برنامج سياسى متكامل يتصدى لحل المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة . ويرجع ذلك الى طبيعة هذا الفكر الماضوية الاحيائية التى تحاول

تجاوز القوانين الموضوعية لحركة التاريخ ·· وبالتالي فان طرح صيغة الشريعة الاسلامية طرحا هولاميا دون فهم أولى لهذه الشريعة أمر يحول دون تطبيقها ·· ولا أدل على ذلك من الخلافات الجوهرية في التصورات السياسية لهذه الجماعات واختلافاتها في هذا الصدد بصورة تصل الى حد التناقض ·

ثانيا : وتأسيسا على ذلك فان شاغلها الشاغل الاهتمام بأمورثانوية كقضية الحجاب واللباس والبرامج التليفزيونية والملاهي وما شابه ، وغض البصر عن حقائق المشكلات الواقعية الكبرى التي ارتبطت وترتبت على سياسة « الانفتاح الاقتصادي »

ثالثا : الموقف العدائي التخريبي السلبي من « المجتمع » عموما ·· وذلك بالنظر الى اعتباره « مجتمعا جاهليا » ·· ومن هنا استخدم سلاح التشهير الى الاتهام بالتكفير لمؤسسات الدولة ورجالاتها بل وحتى رجال الدين الاسلامي خارج هذه الجماعات ·· وتقسيم المجتمع لا الى طبقات ـ كما هو معلوم علميا ومنطقيا ـ بل الى « ثيوقراطيين » و « علمانيين » ورمي هؤلاء الاخيرين باللادينية !!

ثالثا : رفض العلوم والشرائع الوضعية واقتراح أسلمة ، العلوم باعتبار ان ما ليس اسلاميا فهو « علم لا ينفع » ·· ودحض القوانين والدساتير الآنية باعتبارها من تراث الغرب المتربص بالاسلام والمسلمين · وأمام العجز الفكري الواضح فان طرح « ما كان » كبديل ـ في تعصب مهووس ـ دليل عجز وافلاس فكري وبالتالي سياسي ·

في ضوء هذه المعطيات يمكن استشراف مستقبل هذا الفكر الديني المتطرف في مصر ·

وأول ما يلاحظ في هذا الصدد ان ظاهرة التطرف الديني ظاهرة عابرة في تاريخ مصر الطويل اذ اتسم اسلام « المصريين » ـ كما أوضحنا في المقال الاول ـ بالاعتدال والتسامح ·· وبالتالي فان قائمة التطرف تشكل استثناء للقاعدة ولسوف تختفي حتما باختفاء الظروف الاقتصادية ـ الاجتماعية التي افرزتها · الملاحظة الثانية : ملاحظة منطقية تتعلق باستحالة احياء الماضي للبس الحاضر والمستقبل · فقوانين التاريخ البشري كفيلة باحتواء « الماضوية » حتى لو كانت ـ ولم تكن ـ « عصرا ذهبيا »· فللحاضر معطياته الموضوعية التي تشكل وتصيغ بنيته والمستقبل « ابن » الحاضر المرشح ليكون « حاضرا » في زمنه ·· وهكذا وفقا لقوانين الجدل يجب النظر الى هذه « الاشكالية » التي احتار الدارسون في رصدها وبالتالي تفسيرها ·

الملاحظة الثالثة : أن عدم الفهم الحقيقي لرسالة الدين وعدم وجود برامج واضحة ومحددة لهذه التيارات ناهيك عن انفصال تصوراتها انفصالا كاملا عن مشكلات الواقع ومتطلباته ثم الاسلوب والمنهج المتشنج في التعامل مع هذه المشكلات ·· كل ذلك قمين بالحكم على استحالة استمرارية هذه الجماعات كاستمرارية ايجابية قادرة على صياغة واقع عياني تطوري ·

هذا على المدى الطويل ··

أما المرتقب في الحاضر والمستقبل القريب ، فان دورا خطرا ومدمرا

# التطرف الديني إلى أين؟

لهذه الجماعات أمر محتمل الوقوع • فطالما بقيت السياسات الامنية للنظام الحالي ، دون حلول للمشكلات المترتبة عن سياسة الانفتاح الاقتصادي •• وطالما استمر الوجود الفاعل للبنوك الاسلامية وشركات توظيف الاموال ، فالحال سيزداد سوءا •

ويقدم العلامة ابن خلدون قاعدة هامة مؤداها « ان ما يقوم به رجال الدين من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي الى انضمام الغوغاء الى حركتهم •• وتكون النهاية فشل هؤلاء وأولئك » •• او ان شئت — عجز رجال الدين عن تدبير امور السياسة •• واحداث الثورة الايرانية الجارية خير دليل على صدق ما نقول وما يقوله ابن خلدون ••

والسؤال الاخير : كيف يمكن تحاشي الكارثة ؟ او بصورة اخرى ما هو الحل نحو تحجيم القوة المتعاظمة لهذه التيارات الدينية المتطرفة ؟

الحل — في نظري — كامن في حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي أفرزت هذه الجماعات •• لو حدث ذلك لفقدت هذه الجماعات الاساس الاقتصادي الذي يدعمها سواء من دول « البترو — دولار » أو من البنوك الاسلامية وشركات توظيف رءوس الاموال الاسلامية • ان تقنين هذه المؤسسات — فيما أرى — ضرورة ملحة نحو اصلاح المسار الاقتصادي كما أن تضييق « الهوة الاجتماعية » كفيل بالقضاء على الفساد الخلقي وكافة الظواهر المرضية التي كانت من وراء ظهور وتعاظم هذه الجماعات •• وأخيرا فان استقلال الارادة الوطنية — في ظل الاشتراكية أيضا — سيحول بين هذه الجماعات ومصادر قوتها في الخارج •

وحتى يتحقق ذلك — وهو أمر ليس بالهين — فعلى « النظام القائم » ان يرشد سياساته وعلينا ان نعترف بحزب يضم هذه الجماعات لتمارس نشاطها في العلن لا في السراديب والدهاليز •• وأن يطور « الازهر » بما يجعله قوة دعائية للفكر الاسلامي المستنير ليحاور هذه الجماعات « بالموعظة الحسنة » خاصة أن معظم المنتمين اليها — وخاصة من الشباب — لديهم من الاستعداد والفهم ما يؤهله للفصل بين الحق والباطل •

أما المعارضة ، فلتعلم ان خطر هذه التيارات المتطرفة تهددها جميعا ، وأن تغلغل هذه التيارات داخل أحزابها مقدمة لاحتوائها والاجهاز عليها وعلى « الديمقراطية » في النهاية •• فلتكف عن سياسة المغازلة والخوف ولتفتح حوارات واسعة مع هذه الجماعات وقبل ذلك عليها أن تطور ايديولوجيتها وبرامجها وأساليب نضالها بما يوجد حلا للقضية الوطنية عموما •

ان خطر تفاقم ظاهرة التطرف الديني يحيط برقاب اليمين واليسار معا •• وبالوطن أخيرا •• فهل من جهد جماعي وطني لمواجهة الخطر قبل السقوط ؟؟

أرجو الا يتحقق قول من قال :

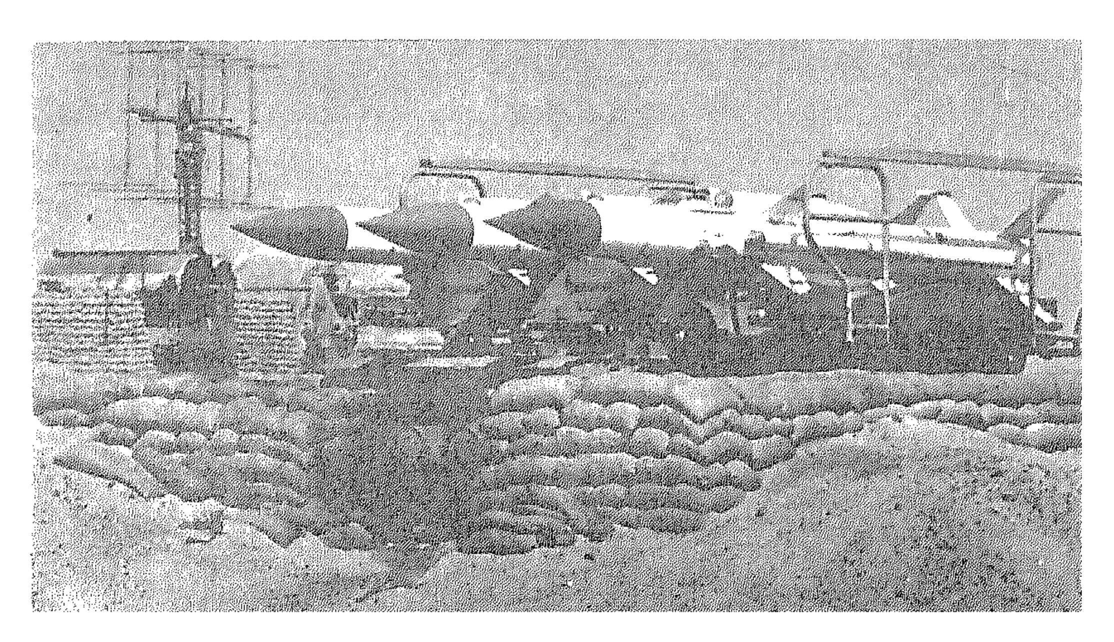
**امرتهموا امري بمنعرج اللوى**
**فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد**

في غمرة انشغال العالمين العربي والإسلامي بحرب الخليج واحتمالات تفاقمها ، واتساع نطاقها ليشمل دولا عربية أخرى مثل الكويت أو السعودية ، وخاصة بعد الأحداث الدامية التي ترتبت على تظاهرات الإيرانين في مكة في موسم الحج ، وتدفق الأساطيل الدولية على الخليج بدعوى حماية مصالحها أو مصالح « أصدقائها » من دول المنطقة .. في هذه الغمرة أنجزت الدولة الصهيونية خطوة استراتيجية رئيسية بنجاحها في تطوير صاروخها المسمى « أريحا ٢ » القادر على حمل الرءوس النووية ، وتحويله من صاروخ قصير المدى ( ٤٠٠ كم ) الى صاروخ متوسط المدى ( ٨٥٠ كم ) ، وتسعى حاليا لتحويله الى صاروخ طويل المدى ( ١٤٥٠ كم )

# الأطراف الأربعة

# في لعبة الصواريخ الإسرائيلية

بقلم : عبد الرحمن شاكر



وكانت الجهة الوحيدة التى أبدت اهتمامها بتصاعد القوة النووية للدولة الصهيونية على هذا النحو ، هى الاتحاد السوفييتى ، الذى أدان تلك الخطوة ، ووجه تحذيرا الى الدولة الصهيونية من خلال اذاعته باللغة العبرية ، وأن هذه الأخيرة بتطويرها للأسلحة النووية من هذا النوع انما تزج بنفسها فى الصراع النووى بين القوتين العظميين ، فى الوقت الذى تدور فيه مفاوضات بين هاتين القوتين لنزع الصواريخ النووية فى أوربا وآسيا وسائر انحاء العالم ، حيث ان تطوير الصاروخ الاسرائيلى على هذا النحو يجعله يطول اجزاء من الاتحاد السوفييتى ذاته وحلفائه فى شرق اوربا .

وكان رد الدوائر الصهيونية على الاحتجاج السوفييتى غاية فى المكر مع الاتحاد السوفييتى ، والقحة معنا نحن العرب ، حيث قالت تلك الدوائر ان صواريخها لاتمثل تهديدا للاتحاد السوفييتى لأنه ليست لديهم عداوة معه ، وإنما المقصود به هو الدول العربية ، التى تهدد أمن اسرائيل ( ! ) ، بما فى ذلك سعيها لتطوير قوى نووية خاصة بها .

ولم يكن من قبيل المصادفة ، فى غمار تلك الاحداث ، أن يعلن مسئول رسمى فى الحكومة الصهيونية ، وهو ميخائيل ديكيل ، نائب وزير الدفاع ، مطالبته بطرد الفلسطينيين الذين يعيشون فى الضفة الغربية وغزة ونقلهم الى الدول العربية المجاورة ، باعتبار أن ذلك هو الحل الوحيد الممكن للمسالة الفلسطينية ! ويدعو الولايات المتحدة الأمريكية والدول العربية الغنية الى تمويل تلك العملية بتعويض الفلسطينيين عن خسارتهم فى عملية النقل هذه . وقد لاحظ المراقبون ان هذه أول مرة يعلن فيها مسئول رسمى اسرائيلى على هذا المستوى ، وعضو كتلة ليكود التى يتزعمها اسحق شامير رئيس الوزراء الاسرائيلى تأييده لمثل هذا المطلب الصهيونى المتطرف ، الذى كان التعبير عنه مقصورا على الجماعات المعروفة بغلوائها من أمثال حزب تحيا برئاسة النائبة جيئولا كوهين ، وحركة كاخ التى يتزعمها مائير كاهانا .

وتاتى تصريحات نائب وزير الدفاع الإسرائيلى تلك مواكبة أيضا للحوار الدائر بين مختلف الأطراف حول عقد المؤتمر الدولى للسلام فى الشرق الأوسط ، لتعكر تماما جو التفاؤل الذى ساد فى الأسابيع الأخيرة حول احتمالات عقده !

## الأطراف الأربعة :

هل هناك علاقة بين تطوير السلاح

النووي الاسرائيلى ومطالبة المسئول العسكرى الاسرائيلى بتصفية الوجود الفلسطينى على أرض فلسطين ؟ وهل هناك علاقة بين مباحثات نزع السلاح النووى بين القوتين العظميين وما يقال عن عقد مؤتمر دولى للسلام فى الشرق الأوسط ؟!

نحن أمام معادلة رباعية لها أطراف أربعة هى : الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفييتى ، والدول العربية ، والدولة الصهيونية . واحتمالات المواقف التى يتخذها كل طرف من هذه الاطراف لانهاية لها ، حسب مصالحها ، ويتوقف ما تصل اليه على حجم قوتها الذاتية وقدرتها على اللعب بما تحت ايديها من أوراق .

● **الموقف الأمريكي** : هو أشد المواقف خطورة وأكثرها تأثيرا على مجريات الأمور . واذا كانت الولايات المتحدة الامريكية قد قبلت الاشتراك فى محادثات نزع السلاح النووى استجابة لمبادرات الزعيم السوفييتى جورباتشوف حول هذا الموضوع ، فقد كانت تضع فى اعتبارها الرأى العام فى أوربا وحماسته لتلك المبادرات ، وإن كانت تحاول الآن عرقلة التوصل الى نتيجة ملموسة فى تلك المفاوضات من خلال الجدل حول صواريخ برشنج المزروعة فى المانيا الغربية ، حيث يجرى تبادل الكرة بين الحليفتين لايقاع الحيرة بالمفاوض السوفييتى ، فالولايات المتحدة تقول أن التصرف فى تلك الصواريخ هو من شأن الحكومة الالمانية « المستقلة » وهو أمر يتعلق بأمنها (!) بينما يقول المسئولون الألمان إن الرءوس النووية التى تحملها تلك الصواريخ تخص الولايات المتحدة الأمريكية صانعتها ، وهى صاحبة التصرف فيها ! وكل تسويف فى حل هذه المشكلة يعطى الفرصة للأمريكان لمواصلة برنامجهم فى حرب الكواكب التى يطالب الاتحاد السوفيتى بوقفه ايضا ، لكى يصبح التوصل الى نزع السلاح النووى امرا جديا !

وتأتى مسألة الصواريخ الاسرائيلية ـ على هوى الولايات المتحدة ـ ورقة مضافة الى اوراق لعبها فى مواجهة الاتحاد السوفييتى . وقوة نووية صاروخية لامفر للاتحاد السوفييتى من المطالبة بازالتها شأنها شأن الصواريخ الغربية الاخرى ، وبدءا من الرد الاسرائيلى الذى يقول ان الاتحاد السوفييتى ليس هو المقصود بتلك الصواريخ بل العرب (!) الى التسليم بان تلك الصواريخ النووية هى خطر فعلى يهدد الاتحاد السوفييتى بغض النظر عن النوايا خاصة والتحالف الاستراتيجى قائم بالفعل مابين الولايات المتحدة واسرائيل ولم يكن فى وسع هذه الاخيرة ان تصنع امثال تلك الاسلحة الا بموافقة الحليف الامريكى ومساعدته المباشرة وغير المباشرة .. حينما يصل الجدل الى هذا الحد يجد الاتحاد السوفييتى نفسه مطالبا بان يدفع الثمن لكى تزال الصواريخ الاسرائيلية ، التى يمكن ان توجه ضده ، فما هو هذا الثمن ؟!

الثمن فى الاغلب الاعم ، هو ماتضمنه تصريح المسئول العسكرى الاسرائيلى بالمطالبة بطرد الفلسطينيين من الضفة الغربية وغزة ! بمعنى ان يغض الاتحاد

السوفييتى النظر عن حكاية المؤتمر الدولى للسلام فى الشرق الاوسط ، الذى يتحمس لعقده والمشاركة فيه ، ويحرج الولايات المتحدة الامريكية امام اصدقائها من العرب (!!) بحماسته تلك ! لكى يتخلص الاتحاد السوفييتى من التهديد النووى الاسرائيلى ( اسوة بكل تهديد نووى مماثل ) عليه ان يوافق على اطلاق اليد الصهيونية فى العالم العربى خاصة الارض المحتلة ، ولا بأس ايضا من مطالبته بأن يتوج سعيه للتفاهم حول هذا الموضوع بالاستجابة للمطالب الاسرائيلية بان يعيد العلاقات الدبلوماسية مع اسرئيل ، متنازلا عن شرطه التقليدى فى الجلاء عن الارض العربية المحتلة اولا ، ويسمح بالهجرة اليهودية من بلاده الى اسرائيل طبقا لأهواء الصهيونية فى استيطان تلك الاراضى بغض النظر عما يتضمنه ذلك من اخطار تتمثل فى هجرة فنيين من بين اليهود السوفييت يحملون فى جعبتهم الكثير من اسراره العسكرية والسياسية والاقتصادية !

لاشك أن هذا "السيناريو" أو قريبا منه سوف يواجه الاتحاد السوفييتى لو أثار مسألة الصواريخ الاسرائيلية فى محادثات نزع السلاح النووى . أما إذا منعه كبرياؤه القومى من إثارتها فسوف يجد نفسه ، حتى ولو نجح فى إزالة الصواريخ الأمريكية فى أوربا ، واقعا تحت التهديد المستمر من جانب صواريخ الحليف الاستراتيجى لأمريكا فى الشرق الأوسط ، والذى كان يتمنى بعض الساسة الأمريكان أن يكون لهم حليف مثله فى كل مكان من العالم ، من أيام كانت اسرائيل تعْتبر حاملة طائرات أمريكية لا تغرق ، وقد "تطورت" الآن لكى تصبح حاملة صواريخ نووية أيضا !

**وتقف وراء هذا السيناريو المصالح الصهيونية بالدرجة الأولى فى تحالفها مع اشد القوى الامبريالية فى الولايات المتحدة ضراوة ، وهى التى لا تستطيع أن تتصور العيش إلا فى عالم يعيش على حافة الهاوية من الدمار النووى ، لكى تواصل جنى مكاسبها الوفيرة من انتاج الأسلحة النووية والصواريخ الحاملة لها ، واستنزاف الموارد الأمريكية الضخمة فى برامج عسكرية باذخة من نوع حرب الكواكب !**

**الموقف العربى :** إذا كان من العسير تصور رد الفعل السوفييتى إزاء مواجهة من هذا النوع مع التحالف الاستراتيجى بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وقد بدأت نيرانه تلسعه ، فماذا عن الطرف الرابع فى تلك المعادلة الرباعية ، وهو الدول العربية !! وهو الجانب الذى يخصنا من الموضوع !

بادىء ذى بدء : هل فى وسع العالم العربى باوضاعه الحالية أن يصل إلى مجرد تنسيق خطواته فى تلك المواجهة مع الاتحاد السوفييتى ، دعنا من توهم أن يصل- بهذا التنسيق إلى درجة التحالف الاستراتيجى على غرار تحالف اسرائيل مع الولايات المتحدة ، حيث يجمع العرب والاتحاد السوفييتى - فى هذه القضية على الأقل موقف واحد ، نخشى أن نقول إنه موقف الطرف المغلوب ؟

هل فى وسع العالم العربى أولا ، أن يلم شعث قواه المبعثرة ، المشتتة ، المتناحرة فى أحيان كثيرة وفى مواضيع لا حصر لها ، لكى يكون له - أى لهذا العالم - فيما بينه موقف موحد ، قبل التفكير فى تنسيق هذا الموقف مع قوة عظمى - لها بالتأكيد مصالحها الخاصة التى تختلف عن مصالحنا ، مثل الاتحاد السوفييتى ، قبل أن يجد هذا الأخير نفسه مضطرا من أجل مصالحه هو ، إلى التسليم فى كثير مما لا يخصه ، وهو المصالح العربية ؟!

هل فى وسع العالم العربى أن يحد من "علاقاته الخاصة" مع الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تقف بكل ثقلها وراء الأطماع الصهيونية ؟ كيف ؟ ونحن نرى بعض الدول العربية تستغيث بالولايات المتحدة الأمريكية وأساطيلها لحمايتها من التهديد الايرانى ؟ كيف نستطيع الضغط على المصالح الامريكية لاجبارها ، أو إقناعها بالتخلى عن التأييد المطلق للمطامع الصهيونية وعربدتها فى المنطقة العربية من أجلها ، بما فى ذلك تهديد السلام العالمى ، والإعتذار عنه بأنه مجرد إهدار للأمن العربى !!

إن نقطة واحدة فقط هى المضيئة فى هذا الظلام العربى الدامس : دعك من التفاؤل حول احتمالات عقد المؤتمر الدولى لاقرار سلام دائم وعادل (كما يقال) فى المنطقة . بل إن السلام الحالى غير العادل قد لا يكون دائما ، ولعلنا نتذكر فى هذا الصدد ما نشرته إحدى صحفنا المعارضة نقلا عن الدوائر السوفييتية أيضا - قبل ضجة الصواريخ هذه - من توقع قيام الدولة الصهيونية بهجوم ما على واحدة من الدول العربية أو أكثر ، استنادا إلى "المصادر الخاصة" لمعلومات الدولة السوفييتية ، بما فى ذلك تحليلها لكثرة الثرثرة الاسرائيلية عن السلام ، بأنها - على عادتها دائما - تعتبر مقدمة لعدوان جديد !

**لم أذكر تلك النقطة المضيئة الوحيدة بعد : إنها فيما أتصور الصمود الفلسطينى فى الأراضى العربية المحتلة ، التى يريد العدو الصهيونى إجلاءهم عنها ويطالبنا نحن "العرب الآخرين" بمعاونته فى ذلك "بأموالنا" التى ذهب معظمها فى حرب الخليج ! ذلك الصمود يأخذ شكل العنف المتبادل فى احيان كثيرة ، ولكن مسئوليتنا وقدرنا - مادمنا عربا - أن نكون بكل قوانا مع الطرف الذى هو منا ونحن منه ، شئنا ام أبينا !!**

# حوار الزجاج

شعر : سليم الرافعي - بيروت

حوارٌ جرى في زمان غبر
فقالوا : تراث وقالوا : أثَرْ

نفوس تعبّر عن شجوها
تُساء بما اجترحت أو تُسرْ

هي الأرض ماذا على ظهرها
سوى حجر نائم أو شجرْ ؟

تشاد الحصون بها والدُمى
وتجري أساطيرها في نهرْ

ممالك من زئبق تبتني
هنا .. وهنالك .. شتى الصورْ

لمن أنت يا أرض معمورة
على جثث ألقيت في حفرْ ؟

يقولون : إن جيوشا سَطتْ
وسالت عليك دماء البشرْ

لتعلو لهم راية في الذرا
فيا عاصف الريح هل من خبرْ ؟

حفظنا لهم قصة .. واختفت
جماجم .. والجبروت اندحرْ

شكولُ من الضوء أم مَصْنَعُ
إذا ما أعد الزجاج انكسرْ ؟

وركب يُساق الى غاية
مع الموج في جدل قد هدرْ

نسائل أعشاش طير هوت
الم يبق من ريشة تدَّخرْ ؟

عمالقة الأرض ! لاتيأسوا
ولا تنكصوا .. يارعاة البقرْ
سيذكركم ذاكر بعد أن
يصير القطيع الى منحدرْ ..
تُغنى العظائم أو تحتسى
مع الخمر والشعر عند السمرْ
يقولون : سيدهم فاتك
يفجرها ذرة لم تذرْ
عليم يعبر عن علمه
بقاصفة الرعد حين اسْتَعَرْ
زجاج يحطم .. ماذا جرى
ايبكى الزجاج اذا ما انتثرْ ؟
حوار الزجاج على ظهرها
يخلدها فى شجى الوترْ
فلا يأس .. لايأسَ من عالم
إذا ما تغنى تحدى الضجرْ ..





# عندما تغتال البراءة

بقلم: فوزيه مهران

● محاولة لاكتشاف فيلم يثير اكثر من راى .. ويعد شاهدا على العصر .. ومبشرا بالتقدم والاصلاح . ويحصل على الجوائز فى كل مهرجان يعرض له●

منذ اللحظة الاولى من بداية الفيلم ـ حتى وقبل العنوان والاسماء ـ تتجول الكاميرا بين حنايا قرية صغيرة منفية فى اقصى الارض .

تستعرض بيتا من الطين ..متداعى الاركان .. واكوام الروث..وحفريات الفقر . يولد الصبح .. يطل يوم جديد على القرية ( حزن مخيم على المرئيات يتسلل الى النفس ) تصحو الام ـ قلب الحياة النابض بالحب .. فى تلك البيئة المتخلفة وسط ركام القهر . يأتينا صوتها ولا نكاد نراها .. توقظ الحركة فى الدار والابناء يندفع الفتى الاكبر ـ كأنما ليلقى بنفسه في يوم الشقاء ـ يدور فى

حركة الية معتادة ··تنتهى بأن يسحب البقـرة الى الخـارج ·· حيث قيراط الطين ·· فيه يعملون ويستنزف عافيتهم وصبرهم ·

الفتى يتحدث الى البقرة ـ هى فى عالمه مخلوق آدمى مثله تشاركه عيشه وانفاسه ويعنى وجودها حياة « يدعو لها بالخلفه ودر اللبن ·· وان يبعد الله الدودة الشريرة عن الزرع ·· وينفخ فى صورة الحمار » ·

تبدو الام ·· تطلب من ابنها الاخر المتخلف ـ الا يدع الشباب يقف على وجهه أو طعامه ·· تنصرف لعملها الشاق ·· ( يريدون لانفسهم حياة افضل واحسن بلاشك ) ·

جاء الصباح بنبأ صاعق ··يريدون الفتى للتجنيد ··

تسرع الام ·· تهرول الى بيت العمدة « الفتى وحيد ·· ويعول البيت ·· يسترهم من البوار » يسخر منها القوم ـ « لا تدرى بغبائهـا ان الاضابير الرسمية لا تعترف بعاهة ولدها الاخر ـ وهو لديهم فرد ·· رقم صحيح على الورق » ·

فى نهاية الصف الذاهـل الحزين تظل الام خافضة رأسها ·· مثقلة القلب ·· تعـاود المسير ·· تقول وكأنما تعين نفسها على الموقف «وهو يعنى المطلوب للتجنيد افضل من اخيه ·· عقله على آده المسكين ·· لايعرف غير الزرع والقلع » ·

( برىء حقا الى درجـة العته ·· ساذج الى حد البلاهة ) ·

تتابع صور القرية بسرعة ( تنبىء عن تلاحق الاحداث القادمة ··وتفاقم ايقاعها ) يثبت اسـم الفيلم على الشاشة : البرىء : قصة وسيناريـو وحوار وحيد حامد ·· اخراج عاطف الطيب ·

الحـكمة فى الفيلم أنه يدور على « ارض الواقع » ·

يصل بين الخاص والعام · الهموم فيه ذاتية ·· وجامعة ·

نماذج من الناس عادية وشائعة·· تعرفهم فرادى وجمعا ـ تأثير البيئة عليهم اقوى من قوانين الوراثة ··

كل شخصية تجسد موضوعا بذاته· وتتفاعل مع الشخصيات الاخـرى والظروف المحيطه بها ·

تكشـف عن مكنونها الداخلى ·· حركتها النفسية ·· تأثيرها وفعلها مع بعضها ( والنقد الاجتماعى يسكن فى ملامحها ·· ملابسها ·· طريقة تصرفها ·· وادائها ) ·

الصورة محملة بالقسوة ـ بالقبح احيانا ـ ولكنها تنبض بشـاعرية مؤثرة ·

( مزجت بين متناقضين ·· مبنية على ارض الواقـع ـ ولها فاعلية شاعرية )

( وكأنما تيار يجرى بين المشاهد يضيف وعيا واحساسا ·· ويربط بين مصير الاحداث وابطالها ) ·

حتى مفردات الصورة كانت تعمق الفهم وتثرى الحس ·· وتسـهم فى التدرج الدرامى ·· وتمتد الى ذروة الحدث ·

غاية الفيلم البحث عن الحقيقـة وراء مانراه عاديا ويحـدث يوميا بيننا ، والرغبة فى الوقوف بجانب هؤلاء الابرياء وهمومهم ·

اهميـة الفيلم انه ملائم لروح العصر ·· وبجانب فنية وبراعة سرده والقص فيه يعد وثيقة وشـاهدا ·· ودافعا للتغيير والتطور فى اسلوب حياتنا ··

لم يكن دافعه ادانة عصر بل الدفاع

## عندما تغتال البراءة

عن حريتنا وأمننا ومؤشر للتطور والتقدم فى اسلوبنا . كان عملا مجاهدا .. لذلك حصل على جوائز عدة فى المهرجانات الدولية .. والمحلية عن الاخراج والتمثيل .. والقصة .

المشاهد المتقابلة .. بين خضرة الريف وسقم البشر .. نضرة الزرع وتهدم الدور وعتمة بطونها .. هوان الصغار وسخرية القادرين كانت تمثل الخلفية الواقعية التى جاء منها البطل .

لكنهم كثير .. من ادنى فئات المجتمع .. من تحت خط الفقر ـ ودون المستوى الادمى .. وكانما « القدر».. ( البيئة والظروف ) اختار الفتى بعناية للمهمة التى يعد من اجلها .

صفحة عقله ملساء .. بيضاء من غير سوء .. يعيش حياة غير مصقلة ـ عبيط القرية .. وكل قرية ربما ـ لا يصلح الا للزرع والحرث ينتزع من أرضه الان ـ والتى يمكن ان يحيلها جنة رابية ـ لولا السودة والاوبئة المستوطنة والاوغاد ـ ( يعد « ليشتل » فى أرض غريبه .. وواقع مختلف ) وقد تمر به لحظة يحس أنه جزء من الطبيعة المحيطة به .. يشعر بتوافق معه وشوق غامض ينزغ داخله ( فيلقى بنفسه الى حضن الماء ويسبح بمرح وصخب أو يلتقط بوصة « الناى » ليعزف بها .. ويعلو أنين جوفه واشواقه الفاترة ) ..

كان ذاهلا والعربة تندفع بهم الى العاصمة وموقع التجنيد .

ـ يفتح فمه وعينه ـ ولا يكاد يتابع الصور المتلاحقة ـ رغم وجله وقلقه كان يبدو ثابتا ـ فقد سأل صديقه ورفيق عمره والذى دخل الجامعة .. سأله عن الجندية قال خيرا .. تعد الانسان من اجل الدفاع عن الوطن « الدفاع ضد اعداء الوطن» صارت كالفكرة الثابتة لديه .. العقيدة الراسخة

ثورة فلكية مرت به .. وكشف عن الصحة والعضلات والقوى العقلية . أخيرا يرتدى الزى الرسمى .. وتنطلق بهم عربة اخرى الى موقع العمل .. « المعتقل » . فى المواجهة الاولى داخل المعتقل يسال الضابط مساعده ـ ان كان احد منهم يعرف القراءة والكتابة .. او عاش يوما بالمدن ! ..

وتجىء الاجابة غريبة : لم يكن ( دليل على أن لغة خاصة للتعامل فى قلب المعتقل .. ومفردات جسافة جامدة ) المعتقلون يقفون فى صفوف متراصة ـ تحت وهج الظهيرة ـ وقفة عقاب وعذاب ـ احد منهم لم يعترف عن المحرض لفكرة الاضراب عن الطعام ـ

عندما ينصرف الطابور .. يفلت منه السؤال رغما عنه ـ من هؤلاء ـ ـ اعداء الوطن

هكذا قيل له ـ صاحبه فى القرية .. صديقه المتعلم « المتنور » قالها من قبل .. « مهمته القتال ضد أعداء الوطن » .

( رغم ان صفحة عقله كانت ملساء لم ينقش عليها شىء بعد .. فكر لنفسه ربما للمرة الاولى فى حياته يعمل عقله .. ولماذا يريدون اطعامهم .. يستحقون الحرق ) هنا فى هذا المكان المغلق يتعرف البطل « احمد زكى » على المدينة .. تعاد تربيته .. وغرس مفاهيم جديدة لديه .

الموهبة السينمائية التى يتمتع بها المخرج « عاطف الطيب » تجعله يتمالك

ناصية موضوعه ويضع أشخاص الرواية كلا في موضعه وينتقل بين الصور المتقابلة ببراعة وكأن الكاميرا بيده لا تكتفى برصد وابراز السلوك الخارجي للشخصية ·· بل تقسم تحليلا للحركة الداخلية وايقاعها · فبينما يقدم لنا رهبة الواقع بالمعتقل ·· تنتقل بنا الصورة الى زحام شوارع العاصمة وتحيط بشخص باسم الوجه ·· ناعم الحركة ·· رقيق المحيا والكلمات ·· فى عربته مع صغيرته ·· يداعبها ·· يقبلها ·· يختار من اجلها لعبة رقيقة - جيتارا مثلا - هدية لعيد ميلاد صديقتها ·· يصعد معها الى بيت أصحابه وحفلهم ·· يجدهم فى قلق من عدم حضور « الحاوى » ·· واستياء الاطفال لذلك ·

يقوم - عن طيب خاطر - بدور الحاوى ·· يتقمص الدور جيدا ·· الرقة والعذوبة تتحول الى « شخصية مهرج » ·· خفة الحركة والابهار ·· والحيلة وخداع النظر والابصار ·

- الشخصية مرسومة بعناية ·· والمؤلف يقدم أوجها كثيرة لها ·· ويجعلنا ندرك أبعاد الشخصية ( ندرك أننا امام شخص انسان غير عادى تحوى طبيعته ادوارا عدة ) قطع حاد ·· ونرى ذات الشخصية بعيدة عن الثياب الانيقة والاضواء والمناديل الملونة والطراطير ··

فى عربة متجهمة ·· مغلقة تطوى الارض لتصل الى المعتقل ·

- وستظل شخصية «توفيق شركس» ( أو قائد الليمان كما صورها باقتدار انهام سيف النصر عن معتقل أبى زعبل ) أو محمود عبد العزيز واحدة من أهم الشخصيات واكثرها ضراوة فى الكتابة ·· والواقع ·· والفيلم ·· وحسن الاداء ·

( اعتقد أن وحيد حامد ·· استفاد كثيرا من هذا المرجع الهام - لالهام سيف النصر عن جو المعتقل ·· والتحليل النفسى والبناء الفنى الحقيقى لشخصية مامور الليمان - وهو الذى يجد أبعاده كرجل فى القسوة والتعذيب واهدار انسانية الانسان )

أضاف المؤلف لمسات مست أبعاد الشخصية وحدة التناقض داخلها - فى المدينة انسان عذب واب حنون ·· يتعامل بذوق وأدب ·· رقيق حتى مع جندى المرور ··

وعندما يصل الى المعتقل يصبح شخصا اخر - جامد الملامح والعواطف ·· قاس التصرف والعبارة ·· سادى النزعة ·· متعطشا للتعذيب والايذاء

« محمود عبد العزيز » ترك نفسه على طبيعتها فى البداية بهيئته الساطعة وصفاء نظراته ·· ودخل دور المهرج بسهولة ويسر وقدرة على التهريج والاضحاك وسحر اعين الاطفال · وعلى حدود المدينة ·· غادر الزى النعومة والمرح والهرج ·· ولبسته « حالة » - جلسته ·· هيئته ·· انحناءة كتفيه - تصلب ملامحه ·· اصابه مس الشيطان ·· وانطلقت به العربة المتجهمة ·

توصل محمود عبد العزيز الى التمكن من اصل الشخصية حتى بأدق خلجات وجهة ·· واصغر عضلة بجسمه ·

جسد الدور ببراعة فائقة ·· نوع من المعذب العصرى ·· الرقة واللزوجة ·· الغلظة والتصنع ·· نبرة الصوت حين القاء الاوامر ·· والاستخذاء حين تلقيها ·· خنوعه وتخاذله وطفلته تشكو من تغيب أمها عن البيت كثيرا ·

يقف امام صفوف المعذبين - راكبا حصانه - ولانه يعانى من الانفصام

## عندما تغتال البراءة

يسأل الكاتب ببذاءة .. وهل يكتب الكتب الجنسية ..

« صلاح قابيل » الوجه المصرى المعبر عن الاصالة والكبرياء يجيب على الفور وبصوت مثقل بالاسى والشجن :

ـ لن تجد هنا من يكتب أو يقرأ الكتب الجنسية .

يعاود الهجوم والسخرية من أستاذ الجامعة .. لقطات مبكرة لوجه جميل راتب يجسد محنة المثقفين والعلماء ..

ـ لا يلتفت الى الشخص الذى اقتيد ظلما الى المعتقل « يهوى مغازلة النساء » ووقع فى الاسر مصادفة .

ـ مفارقة درامية ساخرة ـ

كل ممثل فى موضعه ـ ولو كان دوره لقطة واحدة ـ

( المخرج استخدم فريق المعتقلين .. وكأنهم خلفية للاحداث ـ فى حين أنهم بؤرة الحدث ذاته ـ )

وكان غريبا أن يتهور الكاتب ويهرب فى محاولة ساذجة .. ( مات من التعذيب ـ هكذا جاء فى الوثائق والمذكرات وامهات الكتب )

وجاءت صيغة مبالغة فى جر الدكتور بالحبل بعد ربطه بالحصان المنطلق .. ومع ذلك استفاد المخرج بابراز تعالى القائد وجنون شهوة التعذيب والحصان يتقافز به . وقد لعب الحوار دورا هاما .. مركزا .. بسيطا يضيف الى بلاغة الصورة وعمقها

كذلك الموسيقى التصويرية ـ عمار الشريعى ـ ناى يتحشرج طوال العرض .

يجرى على نحو بطىء هائم بالقرية الغافلة .. ويشتد ويتوتر داخل المدينة العسيرة ويتقطع العزف داخل المعتقل .. ويصاحب الغناء الحزين بالمليل .

ـ هذا التعارض فى النغم ودرجات الانين .. يعمق المفارقة الدرامية ويقوى التضاد المقصود بين هداة الطبيعة وسلاحها .. وشفيف احزانها .. وبين وطأة الوجود فى مجتمع لا يفهمه ويدور بين رحاه الى لحظة الاكتشاف وذروة الوعى .

فى لحظة والفتى يقف ببرج المراقبة يعاوده الحنين للنادى (وهو الشىء الوحيد الذى يشعره بانسانيته) تمتد يده بحركة تلقائية يلمسه .. يقربه من فمه .. ينفخ داخله ..

تأتيه صرخة امره .. يلقيه بلا تفكير تحت شجرة مبعدة .

( وكأنى أؤجل الحديث عن البطل احمد زكي الى النهاية متعمدة ) .

كان يتمثل البلاهة حقا . وخطو فلاح عبيط .. حركته .. دورانه حول نفسه .. تشنج قفاه ..

( ينبع مصيره .. كما يلقى بنفسه وسط مجرى المياه بالترعة .. عندما يكون التيار بطيئا لزجا يتبعه .. عندما يشتد التيار .. تسرع حركته معه .. كشاهد غير واع وسط احداث تحيط به وتدفعه )

كنا نتبعه فى رحلته .. وتقاذفه ونحن فى وجل .

الفيلم كله قائم على هذه الشخصية والتطور الذى يحدث لها .

فى دورة التدريب والخطوة السريعة والانصياع للاوامر .. كان حركة دائبة .. ويقظة بدون وعى .. واستقبال دون توقف او محاولة للفهم .

الشىء الوحيد الذى يعيه ويحفره داخله أنه يعمل ضد الاعداء . فى كل

لحظة كان احمد زكي يعمق تجسيد الشخصية .. ويتمثل مراحلها النفسية بصدق وطبيعية .

« القمة » فى بناء الفيلم لحظة « التشريفة » وهى مقولة من مفردات « المعتقل » تمثل الاستقبال الاول للوافدين الجدد .

فرج من الطلاب المشاغبين .. أرسلوهم بقصد تأديبهم .

وسط الضرب ورقصته المحمومة الدائرة يواجه بصديق عمره « مبدوح عبد العليم » يحميه بجسده ـ لايمكن أن يكون من أعداء الوطن .

اخذ عقله يعمل بشدة ـ هو الذى فطنه وعلمه مهمته ـ تنزل عليه الضربات لحظة التحام حقيقية ـ يحمي كل منهما الاخر ـ ها قد جاءت لحظة « الاكتشاف » وذروة المأساة والمواجهة .

يصلان الى الزنزانة معا .. يكتشف الحقيقة المزلزلة .. غرروا به قالوا انهم اعداء الوطن ..

( هناك دائما الحقيقة .. والحقيقة المزيفة .. التاكتيكية التى تقلب الحقيقة وتبثها ) صاحبه يحكي له .. من المعتقلين .. من يحلم ( تصوروا يحلم فقط ) بتغيير وجه الحياة .. الا تكابد أمه الهوان والبوار وحيدة مقهورة .. وتصرعها الارض فى مثل هذه السن يلطم خديه .. يضرب رأسه .. يا للعار لقد قتل أحدهم بيديه .. فهم الان لماذا قال الكاتب له يوما ..

ـ أنت لا تفهم شيئا ..

يموت صديقه .. الفتى النضر .. الواعد .. المتعلم ـ يموت بين يديه .. لا يعرضونه للمحاكمة لاخفاء حوادث الموت والفقد .. حبس لايسام وفقد ترقيته .

يعود الى دورية الصباح ..

تغير كل شيء فيه .. وقلقته .. نظرة عينيه .

يصعد الى برج المراقبة .. يرى الناى الحزين ملقى تحت الشجرة .. ينادى زميلا له فى الحراسة أن يلقذف به .

( يتحسسه .. عادت اليه انسانيته .. مشاعره .. ومضة الدفء والمشاركة ) يكاد ينلخ داخله ..

عويل العربة التى تحمل فوجا اخر للمعتقل ..

« التشريفة » فى الانتظار ..

الكلاب المتوحشة .. الراكب على المصان ..

تعول العربة متقدمة . صرخة من البرج مدوية

تتجمد الصورة

ـ تزحف كلمة .. النهاية .. صاعدة .

نهاية مفتوحة .. مروعة .. فاغرة فاها وموحية .

وبعد جدل .. ومشقة .. واعين فاحصة واعية .. عصرية متقدمة يجيء قرار حكيم شجاع .. وتجيء النهاية المبدعة ..

( تخدم الفكرة .. والايقاع .. واللحظة الفائقة )

تحية محبة وتقدير لفريق العمل والاداء ..

فيلم ليس به رقصة .. ولا بطلة .. لا حانات لهو ولعب ..

موضوع مضن .. مقبض ..

لكنه يشد ابصارنا .. ويوقظ وعينا ..

والكاميرا انسان يتخذ موقفا من الحياة .. وتحدد وجهة نظر ..

رؤية فنية تحلل الاحداث والوقائع .. ببساطة فى العرض تصبح لها فاعلية وشاعرية تدفع الى الوعي والمواجهة .

# قضايا ومواقف

**تطوير التعليم الذى لا يعكس هوية حضارية للمجتمع تتخلل كل جوانبه كمنهج وفلسفة حياة ، هو مسافر بلا بطاقة !!**



## من هنا... يبدأ تطوير التعليم

بقلم : د. سعيد إسماعيل على

**●● طوال تاريخها المديد ، وعبر الحقب والعصور ، كانت الثقافة فى مصر فى جملتها تتجانس فى مكوناتها إلى حد كبير وتتشابه فى أهدافها وتتآلف فى شخصيتها . قد يكون هنا مؤثر أجنبى أو هناك ، وقد يكون هنا نتوء حضارى او هناك ، وقد تكون هنا جزيرة ثقافية منعزلة او هناك ، لكن هذا وذاك لم يكن لينقض التوجه العام والمسيرة الرئيسية الموحدة . ولهذا لم يكن غريبا ان تتشابه مؤسسات التعليم وتتجانس ، فهى : المعابد والاسرة والجيش فى مصر الفرعونية ، وهى الكنائس والأديرة فى مصر القبطية ●●**

وما ان استظلت مصر بالاسلام ، حتى اختلفت القبلة الثقافية لمعظم المصريين واختلفت عناصر ثقافتهم في أهدافها ، وفلسفتها ، ودوافعها ، وموضوعاتها ، لكنها ظلت ، من القرن السابع حتى القرن الثامن عشر ، ذات هوية عربية اسلامية : عربية باللسان والحضارة ، اسلامية العقيدة والفلسفة في الغالب والأعم ، حتى هؤلاء المصريين الذين آثروا البقاء على عقيدتهم المسيحية ، تعرب لسانهم وتعربت عقولهم ، وتاثروا تاثرا بالغا بالاسلام كحضارة وكثقافة ، وكان من الطبيعي ان تستجد معاهد تقدم الزاد الثقافي المناسب ، فكان المسجد وكان الكتاب ، وكانت المدرسة ، فضلا عن الدور الدائم للاسرة ووسائط التعليم اللانظامي .

ثم اذا بطرقات الحضارة الغربية الحديثة تدق باب مصر بقوة النيران ودوى المدافع في آخر القرن الثامن عشر ، واذا بالنظام الحاكم الذى تمخضت عنه احداث السنوات الاولى من القرن التاسع عشر يقيم الجسور مع الحضارة الغربية في مختلف مجالات النظم الاجتماعية وفي مقدمتها : نظام التعليم .

ولم يحاول القائم على رأس هذا النظام ، وهو محمد علي ، ان يتناول ما هو قائم من نظام تعليمي بالتحديث والتغيير ، لانه كان يبني دولة ولم يكن يبني مجتمعا ، بمعنى انه كان متعجلا يريد أن يرى ثمرة التغيير في حياته ويستمتع بها ، اما الذى يبني مجتمعا ، فلا يهمه ان تمضي حياته وهو في مرحلة وضع الاسس ووضع البذور ، فسوف توالي الاجيال التالية مرحلة الرعاية والعناية لتستوى النهضة على عودها ويبدأ الحصاد : تنمية وقوة ، عزة وشموخا ، حضارة وثقافة .

ومنذ ان انشأ محمد علي نظاما تعليميا على النمط الغربي الحديث ، أصبح هذا النظام يفرز الى المجتمع عددا من المواطنين ترنو ابصارهم الى ما وراء البحر المتوسط ، ترى فيه نبع الخير وفيض التقدم ، وتدير ظهرها الى تراث هذه الامة متوهمة فيه التخلف والتاخر ، وظل نظام التعليم القديم المتمثل في الأزهر ومعاهده يفرز الى المجتمع عددا من المواطنين يستعيذون بالله مما وراء البحر ، وَهْماً منهم انه لا يجيء الا بكل ماهو مدمر مهلك ، وتظل رقابهم ملتوية الى خلف ، ينظرون الى تراث هذه الامة بقضه وقضيضه نظرة إجلال تصل الى درجة التقديس ، زَعْماً منهم انه وحده نبع الخير ومصدر الفلاح .

وادرك نفر من مفكرى هذه الأمة ، ان كلا الموقفين على خطا اذا تصور أصحاب كل وجهة نظر ، تفردهم بالحق الخالص كله ، فليس كل ما ياتى مما وراء البحر خيرا خالصا او شرا محضا ، وليس كل ما يحويه التراث قابلا للامتداد الزماني والمكاني مما يعين على التطور والتقدم ، وان الوجهة المطلوبة هى عملية ( انتقاء ) واع نقدى يقوم على الاختيار العقلاني الحر ، معيار هذه العملية : خصائص هذه الامة ومشكلاتها ، مقوماتها وروحها ، تطلعاتها ومستقبلها ، تقدمها وخير ابنائها .

بيد أن هذا النفر لم يكن كثيرا ، ولم يكن هو وحده فى الساحة ، اذ زاحمته طوائف أخرى قامت على اسس اخرى قد تتشابه للنظرة العجلى ، لكنها تتباين للنظرة الفاحصة ، من هذه الطوائف : التوفيقية ، والوسطية ، والحيادية .

لكن هذه المسيرة لم تترك لشأنها ، فقوى الامبريالية العالمية قد احاطت بالبلاد من كل جانب تتربص بها ، وهى على ما كان بينها من اختلاف وتفاوت ، اشتركت فى الهدف ، الا وهو التسيد على عقل هذا المجتمع واعادة تشكيله وصياغته بالشكل الذى يضمن لها استمرار الهيمنة وطول الاستغلال وديمومة التخلف . ومع تعدد المتنافسين ، برزت الثقافتان الانجليزية والفرنسية فى مقدمة الصفوف حتى الحرب العالمية الثانية ، ثم انضمت اليهما ، بل وتقدمت عليهما : الثقافة الامريكية .

ازاء هذا التعدد والتصارع ، كان من المستحيل على هذا البلد ان تتحدد له هوية واحدة ، واذا نظرنا الى اجهزة التعليم ومؤسساته ، فسوف نجد أنها كانت صورة أمينة لهذا التشتت ، فمعاهد ازهرية ومدارس حديثة تابعة للدولة ، وداخل هذه ، كانت هناك مدارس اولية للفقراء وابتدائية للأغنياء ، وهناك مدارس امريكية واخرى انجليزية وثالثة فرنسية ورابعة المانية وخامسة ايطالية .. وهكذا .

وأيا كان الرأى فى مسيرة ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فان الذى يستحيل انكاره انها بذلت جهدا جبارا فى ( لم الشمل ) ، فقويت قبضة الارادة الوطنية ، وخطونا خطوات ملحوظة على طريق التنمية الذاتية ، وتاكدت وحدة مرحلة التعليم الاولى ، وطور الازهر ، ومصرت مختلف المدارس الاجنبية .

كان المعول الاول لهذه المسيرة ، ان النظام القائم قد بشر بمشروع حضارى قومى واحد ، مهما اختلفنا حوله : كان النظام يعرف ما يريد ، ويوجه ما هو قائم الى هذا الذى يريد .

ولأن التجربة قامت على التنمية المستقلة والارادة الوطنية ، كان لابد للقوى الامبريالية ان تجند كافة طاقاتها من اجل افشالها باغراقها فى مستنقع المنازعات وجرها الى وحل الحروب ، فحدث ما حدث !

لم نتدارس الموقف بعد هذا بحثا عن مكمن الخطأ الذاتى : فالاعداء الخارجيون معروفون ، وجهودهم الشيطانية ملموسة ، ولكن النظام الذى قام على أنقاض النظام السابق فى السبعينيات ، استقطب المسألة كلها فى استرضاء احدى القوتين العظميين بكل ما استتبعه ذلك من تفريق الاهل وتبديد المال ومصادقة الثعبان وسلسلة الارادة الوطنية وسد السبل امام التنمية الذاتية والغرق فى مستنقع الديون .

وينعكس كل هذا على مسيرة الثقافة وأجهزة التعليم ، ففتحت الابواب لا على مصاريعها كما تصور كثيرون ، لأنها لو كانت كذلك لاقتحمت ديارنا عناصر قوة مثلما اقتحمتها عناصر ضعف ، لكن الحقيقة تقول ، ان ما اقتحم الديار هو أسوا ما لدى الآخرين دون خيره ، واذا كانت مصر في عهدها الفرعوني قد عرفت ما يسمى بـ ( قصر التيه ) في الفيوم ، فان مصر السبعينيات قد بدأت تعرف ما يمكن تسميته بـ ( ثقافة التيه ) في كل انحائها وارجائها .

من أجل هذا اشتدت الحاجة الى البحث عن ( هوية ) حضارية يتحرك هذا المجتمع في إطارها . والهوية لا تباع في اسواق ، وانما تصنع معجونة بعقول ابناء الامة وسواعدهم ، ويكون دور التعليم هو الاستهداء بهذه الهوية الحضارية في تنشئة الاجيال الجديدة ، بحيث يمد المجتمع بالزاد البشرى القادر على مواصلة المسيرة الحضارية وتسديد خطاها وتعبيد الطريق الذى تسير عليه .

واذ تجيء الثمانينيات ، تنشط الجهود ـ مع تزايد المد الديمقراطي في صورة تزايد مساحة حرية التعبير ـ من اجل الخلاص من ( التيه الحضارى ) ، وفي مقدمة هذه الجهود ، وتلك الانشطة ، هذا المؤتمر القومي لتطوير التعليم الذى عقد بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة في الفترة من ١٤ ـ ١٦ يوليو من هذا العام ١٩٨٧ .

واذا تركنا الملاحظات التي تتعلق بنظام المؤتمر وتشكيله ، والى اى حد ساعد ، او لم يساعد على فتح الحوار القومي حول تطوير التعليم ، فان ابرز ما نلفت النظر اليه ، هو تلك الاعمال المكتوبة التي تمحورت حولها المناقشات داخل المؤتمر وخارجه . وقد انقسمت هذه الاعمال الى ثلاثة اقسام :

اولا ـ خمسة مجالات تتناول التعليم الجامعي ، كل مجال منها ضم عددا من الابحاث التي كتبها بعض اساتذة الجامعات .

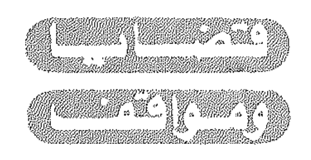
ثانيا ـ اربعة تقارير وضعتها لجان شكلت داخل وزارة التربية قبل انعقاد المؤتمر بعدة شهور ، نتيجة جهد عدد من اساتذة التربية وخبراء التعليم .

ثالثا ـ تقرير استراتيجية تطوير التعليم في مصر الذى قدمه وزير التعليم بنفسه .

والذى يجب ان نؤكده هو ان دراسة مشكلات التعليم في مصر ، ليست عملية جديدة لم تبرز الا بانعقاد هذا المؤتمر ، فهي عملية مستمرة ، ولو شاء القارىء لأشرنا له الى عشرات ، ان لم يكن مئات التقارير والمذكرات والرسائل العلمية والبحوث ، التي نستطيع ان نقول بغير مبالغة ، انها لم تترك جانبا من جوانب التعليم الا واشبعته بحثا وتنقيبا .

لكن القارىء لابد ان يتساءل : اذن ، لماذا لم نر لهذه الجهود اثرا من حيث تحريك واقع التعليم نحو ماهو مأمول فيه ومرغوب ؟

واذا كانت الاجابة على هذا السؤال لابد ان تمتد الى سائر المجالات ، حيث نرى وفرة في البحث والتشخيص دون ان نلمس اثرا في التحريك على مستوى




الفعل ، فإن ما نود التركيز عليه هنا هو تلك القضية التى حرصنا على ابرازها طوال بدايات المقال ، الا وهى "الهوية الحضارية" لهذا المجتمع .

ان العمل التعليمي هو بطبيعته تنفيذى ، اشبه بما يقوم به مهندسو التنفيذ فى الاعمال الانشائية المدنية ، ولابد ان يقوم على ( رسم تصميمى ) Designe يمثل "نموذج الفكرة" التى نامل ان نراها شاخصة فى ارض الواقع . ومثل هذا الرسم التصميمى ، اشبه بالمايسترو الذى يضبط حركة العازفين ويوجهها داخل اطار اللحن المراد عزفه . فالآلات تختلف وتتعدد ، والعازفون متعددو المهارات والقدرات والالوان ، ولكن الجميع يعزفون لحنا واحدا يتميز ( بالهارمونى ) .

ولو جئنا بأعظم العازفين وأرقى الآلات ، وتركنا لكل منهم ان يعزف ، فى وقت واحد ، ما شاء وما يريد من الالحان ، لأصبح الامر فوضى لا مثيل لها .

من هنا كان اهتمامنا بهذا التقرير الخاص باستراتيجية تطوير التعليم فى مصر بحثا عما اذا كان قد استطاع بالفعل ان يضع لنا ملامح الرؤية الحضارية العامة التى يجب ان يسعى التعليم المصرى الى تحقيقها .

بطبيعة الحال ، نحن نحمل التقرير فوق ما يجب اذا طالبناه برسم هذه الرؤية .. انها مهمة المجتمع بأسره وخاصة قيادته السياسية . واذا كان كثيرون ـ ونحن منهم ـ يؤكدون ان مجتمعنا يفتقد الاتفاق على هوية معينة ، فإن المسئولين ينفون ذلك بطريق مباشر او غير مباشر ، وأبرز ما يشير الى ذلك ، ماورد فى الكلمات الافتتاحية للمؤتمر ، من أن المجتمع المصرى هويته : عربية اسلامية .

لكن المسألة ليست مجرد شعار ولافتة ، اذ من السهل رفع الشعارات ووضع اللافتات ، ففضلا عن أهمية "الممارسات" و"السياسات" التى تسير العمل التنفيذى فى مختلف المواقع ، فمن الضرورى لهذه الهوية أن تتضح قسماتها وملامحها : ماذا تعنى سياسيا ؟ واقتصاديا ؟ وتعليميا ؟ ودينيا ؟ وثقافيا ؟ .. الخ .

ولنمض الى هذه ( الاستراتيجية ) بحثا عن مدى وعيها بهذه الهوية العربية الاسلامية :

ـ ففى الجزء الأول الخاص بتراثنا التعليمي ( ص ١١ ـ ١٩ ) ينصب كله على التاريخ التعليمى المصرى . واذا كان هذا أمرا طبيعيا ، فإن هذا التراث من حيث الواقع التاريخى ، كان بالفعل عربيا .. فى المساجد والكتاتيب ، وما حدث منذ عهد محمد على ، وخاصة فى عهد الاحتلال ، كان سلخا واضحا لمصر عن هذه الهوية ، وهكذا يهمل هذا الجزء من التقارير هذا البعد العربى الإسلامى .

ـ واذ ننتقل مع التقرير الى أهم

مشكلات التعليم في مصر ، نجد الاغراق في الاقليمية واضحا ، واذا كنا نؤكد أنه من الضروري تشخيص مشكلات ( الوطن ) ، فاننا نؤكد ان قضايا التعليم العربي ترتبط الى حد كبير بقضايا التعليم المصري ، فعشرات الالوف من معلمي المدارس ، واساتذة الجامعات المصريين الذين انبثوا في كل ارجاء العالم العربي يعلمون وينشئون المدارس والجامعات ، واقع مصري عربي يرتبط به من غير شك عدد غير قليل من المشكلات .

وهذا العدد من الاتفاقات ومعاهدات الوحدة الثقافية التي ابرمت وسارت على طريق التنفيذ بعض الوقت ، ثم توقف العمل بها ، الا يحتاج هذا الى ان يحلل ويبرز لبيان : لماذا اوقف ؟ ولماذا ظهر قبل هذا ؟

ومما يلفت النظر ان التقرير في ص ٢٣ ، وهو يعدد مشكلات التعليم في مصر ، يشير الى ( غياب الطابع القومي ) ، لكنك اذ تقرأ ما تحته ، تدرك على الفور ان ( القومية ) لها هنا معنى يختلف عما هو متعارف عليه ، فهي هنا في التقرير تعني ( الوطنية ) ، او بمعنى ادق : تضافر كل الجهود الوطنية .

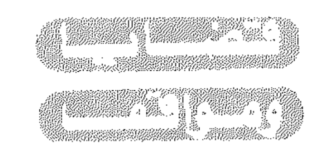
- ولعل اكثر الاجزاء مدعاة للالم حقا هو ذلك الجزء الخاص باستقراء المتغيرات المختلفة سواء العالمي منها او المحلي ، المحيطة بحركة التعليم المصري :

فالجزء الخاص بالمتغيرات العالمية ، مقصود به ما وقع خارج مصر ، ونحن نسأل : هل تجارب واشكال وتنظيمات التوحيد العربي ، وما واجهته من نجاح او فشل على مختلف الاصعدة السياسية والاقتصادية كان لها دور خطير في مسيرة المجتمع المصري ، مما يجوز اهماله كلية ؟ ان التمزق العربي القائم وعزلة مصر السياسية عن محيطها الطبيعي وهو العالم العربي ، متغير يفرض نفسه ، وواقع حتمي حاضر ، ما كان ينبغي إن يغض النظر عنه كيف تواتينا الجراة بعد هذا ان نزعم اننا نقر بهويتنا العربية الاسلامية .

والاعجب من هذا ، ان ليس في هذه المتغيرات اية اشارة الى قوى الامبريالية الجديدة واساليبها .. ترى لماذا ؟

وعندما تجيء المتغيرات المحلية ، تصور قضية الصراع العربي الفلسطيني في صورة تحول من الحرب الى السلام دون أية اشارة الى ان اجزاء اخرى من الوطن العربي كبيرة ما زالت محتلة من قبل الاستعمار الصهيوني ، ومن ثم ، فمن حيث المنظور العربي ، لم تحسم بعد قضية الصراع العربي الاسرائيلي .

- ثم هاهو التقرير في ص ٩٠ يسفر عن وجهه ، فالاهداف الكبرى التي تسعى الاستراتيجية الى تحقيقها ، يأتي في مقدمتها : ( بناء الشخصية المصرية ) ، واذا كان التقرير ، وهو يشرح جوانب هذه الشخصية يؤكد في ص ٩٤ على ( الذاتية الثقافية العربية



الاسلامية ) ، فاننا من غير شك لابد ان نصفق له ونحييه ، لكننا من ناحية اخرى نعيد الاشارة الى النقاط والافكار السابقة التى نوهنا بها . ان هذه العبارة اشبه بالاعتراف بدولة من الدول من الناحية القانونية ، لكنك تنظر حولك بعد ذلك ، فلا تجد سفارات ولا اتفاقات اقتصادية وسياسية وغير ذلك ذلك مما يشير الى التمثل والهضم لابعاد هذه الهوية .

ـ وعندما يجىء التقرير الى منطلقات التطوير ، تجد فى مقدمتها ( قومية التطوير ) ، وهنا أعيدك الى ما قلناه فى قضية سابقة ، وهو ان القومية المرادة هنا هى ( الجهد المصرى الجماعى ) لا العربى .

ـ وعندما يأتى التقرير الى ( محتوى التعليم ) ، وهو الجزء الهام فى اية عملية تطوير ، نجد الاشارة الى الهوية العربية الاسلامية تأتى فى موضعين :

الاول : ص ١٦٢ حيث يقول بضرورة "تعميق القيم التى تتطلبها الحضارة المصرية ، واهمها القيم الثقافية والدينية" .. فالاطار هنا هو ( الحضارة المصرية ) ، وما هذه القيم الدينية الا جزء منها ، وهذا امر يختلف تماما عما يذهب إليه فريق كبير فى المجتمع المصرى وهو الذى يضم القائلين بالهوية الاسلامية ، اذ يؤكدون ان ( المصرية ) انما هى جزء من الهوية الاسلامية . كما يختلف التقرير هنا عما يذهب اليه ( التيار القومى العربى ) الذى يؤكد ان ( الوطنية ) انما هى جزء من الهوية القومية . وهو يختلف ايضا مع التيار ( الاقليمى المصرى ) من حيث مناداته بالهوية العربية الاسلامية ، لكن الخلاف شكلى ، حيث يؤدى التحليل العلمى الى ان الهوية السارية فى التقرير هى هذه الهوية الاقليمية المصرية .

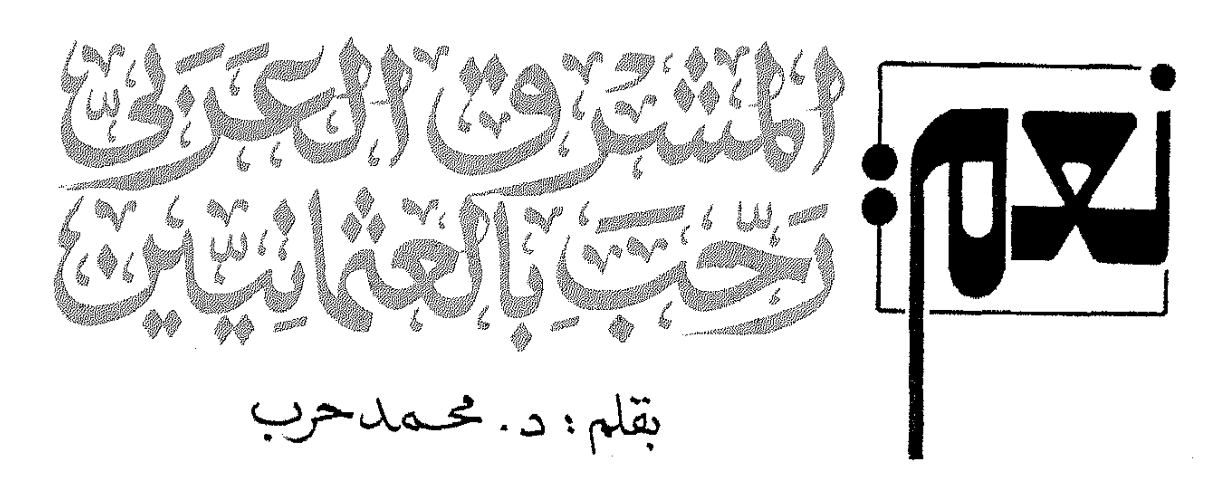
الثانى : ص ١٦٥ ، عندما يتحدث التقرير عن ضرورة ادراك موقع مصر فى المجتمع العربى الافريقى حيث تقتصر المسالة هنا على مجرد ( فهم ) تاريخ مصر و ( مكانتها ) العربية و ( الاهتمام ) باللغة العربية .

ترى : هل نجح التقرير اذن فى ابراز الهوية العربية الاسلامية ؟ فى رأينا انه نجح فى رفع شعارها ، لكنه فشل فشلا ذريعا من الناحية العملية ، ذلك انه عجز عن ان ينظر الى الهوية العربية الاسلامية كمنهج وفلسفة حياة ، تسرى كالدم فى عروق التعليم فتصطبغ نظرته الى كل القضايا بالمنظور العربى الاسلامى : عندما يتناول تراثنا التعليمى ، وعندما يتناول مشكلات واقعنا ، وعندما يحدد أسس الاستراتيجية ووسائلها وأهدافها .

ومن هنا ، فاننا نخشى على هذا الحلم الكبير من ان يتبدد ، بحكم افتقاده للهوية الحضارية . انه مواطن خرج من بيته ناسيا بطاقته الشخصية ، او مسافر الى الخارج بلا جواز !!

## قضايا ومواقف

### الوثائق العثمانية تقول :




**● ● هل رحّب العرب بالحكم العثمانى ؟ هل قاوموه ؟ كيف نظروا اليه ؟ هل ابغضوه ؟ هل أحبوه ؟ كيف كانت رؤية العرب للعثمانيين ؟ غزاة ؟ ! فاتحين ؟ ! منقذين ؟ ! مستعمرين ؟ هل كانت الرؤية العربية لهم مثل رؤيتهم للفرنسيين ؟ ! عندما دخلوا مصـر ، ام للفاطميين عندما حكموا البلاد المصـرية ؟ ! ام للصليبيين وقت ان اسسوا كيانا فى بلاد الشام ، قام وانتهى ؟ ام هى مختلفة عن هذا وذاك ؟**



كل هذا وغيره يثار فى مؤتمرات علمية دولية ، وفى ندوات علمية محلية ، وفى المجلات بمختلف جمهورها ، بل وفى الصحف كذلك .

واذكر ، هنا ، ان ندوة من ندوات التاريخ باحدى الجامعات المصـرية ، كانت تناقش ـ

فيما تناقشه ـ مدى الشعور الشعبى العربى ، فى استقبال الحكم العثمانى ، وقال احد الاساتذة اننا نعلم ان المغرب العربى هو الذى رحب بمقدم العثمانيين ، وهم اهل المغرب العربى ، هم الذين ارسلوا الى السلطان سليمان القانونى ، سلطان الدولة العثمانية ، وثانى الخلفاء العثمانيين ، عريضة ـ نشرها الدكتور محمد التميمى فى المجلة التاريخية المغربية ـ يحثونه فيها على قبول الدولة العثمانية ان ينضم المغرب العربى اليها ، وقال القائل وقتها ، لكن المشرق العربى لم يرحب بالعثمانيين ، وسأل سؤالا استنكاريا فقال : هل رحب المشرق العربى بالعثمانيين ؟ !

واقول : نعم ! المشرق العربى ايضا ، رحب بالعثمانيين ، مثلما رحب بهم المغرب العربى ، وازيد ـ هنا ـ فاقول : ان ترحيب المشرق العربى بالعثمانيين لم يكن قبيل قدوم الحملة العثمانية الى الشام ومصـر ، بل قبلها بكثير . عندما اراد الشعب المصـرى ، الانضمام الى ما اعتبره الوحدة الاسلامية فى ظلال دولة قوية تتمسك بالاسلام .

ابدأ مقالى ، بعد هذه المقدمة ، بأنه كما كان المغرب العربى ينتظر المنقذ له من الظلم الاوربى وخطر الاعتداء الصليبى على الكيان المغربى من ارض وارواح وممتلكات وعرض ودين ، وتبلورت صورة هذا المنقذ ، فى الدولة العثمانية ، فالمشرق العربى ايضا كان ينتظر ـ قبل المغرب العربى ـ المنقذ له من جبروت الدولة المملوكية وظلمها وتعطيلها الاحكام الشرعية ، وكان هذا المنقذ متمثلا فى الدولة العثمانية ، التى كانت تسعى منذ قيامها ، الى قيام وحدة اسلامية .

قال عبدالله بن رضوان فى كتابه : تاريخ مصـر ( مخطوط رقم ٤٩٧١ بمكتبة بايزيد فى استانبول ) ان علماء مصـر ـ وهم نبض الشعب المصرى وممثلوه ـ يلتقون سرًّا بكل سفير عثمانى يأتى الى مصـر ، ويقصون عليه ( شكواهم من جور الغورى ) ويقولون له بان الغورى ( يخالف الشرع الشريف ) و ( يستنهضون عدالة السلطان العثمانى ) لكى ( يأتى ويأخذ مصـر ) .

وقال يانسكى فى كتابه عن السلطان سليم الاول ، ان علماء مصـر كانوا يراسلون السلطان سليم الاول منذ بداية توليه عرش بلاده ،لكى يقدم الى مصـر على رأس جيشه ، ليستولى عليها ، ويطرد منها الجراكسة ( المماليك ) .

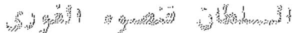
اما عن الجانب الشامى من المشرق العربى ، فاننا نرى ترحيب الشعب السورى هناك بمقدم العثمانيين ، قبل قدومهم الفعلى . وعلى سبيل المثال ، كان الغورى قد تحرك من مصـر ـ بجيوشه ـ الى الشام لملاقاة العثمانيين . وعند دخوله الى حلب ، فوجىء الغورى وجيوشه بأن الاهالى هناك لقنوا اطفالهم صيحة : ( ينصرك الله العظيم ياسلطان سليم ) .

وفى حلب ايضا ، اجتمع العلماء والقضاة والاعيان والاشراف واهل الرأى مع الشعب ، وتباحثوا فى حالهم ، ثم قرروا ان يتولى قضاة المذاهب الاربعة والاشراف كتابة عريضة ، نيابة عن الجميع ، يخاطبون فيها السلطان العثمانى سليم الاول ويقولون ان الشعب السورى ضاق ( بالظلم المملوكى ) وان حكام المماليك ( يخالفون الشرع



السلطان سليم الاول





السلطان قنصوه الغورى

الشريف ) ، وان السلطان اذا قرر الزحف على السلطنة المملوكية ، فان الشعب سيرحب به ، وتعبيرا عن فرحته ، سيخرج بجميع فئاته وطوائفه الى عينتاب ـ البعيدة عن حلب ـ ولن يكتفوا بالترحيب به فى بلادهم فقط ، ويطلبون من سليم الاول ان يرسل لهم رسولا من عنده ، وزيرا ثقة ، يقابلهم سرا ، ويعطيهم عهد الامان ، حتى تطمئن قلوب الناس .

هذه العريضة ، موجودة ، محفوظة ، فى الارشيف العثمانى فى متحف طوب كابى فى استانبول ، تحت رقم ١١٦٣٤ ( ٢٦ ) . ونظرا لأن الذين كتبوها لم يكونوا ـ فيما يبدو ـ على دراية كافية باللغة العثمانية ، التى ارادوا ان يخاطبوا بها السلطان العثمانى ، جاء اسلوبها ضعيفا فيه ركالة ، واننا اذا استثنينا السطور الاولى من هذه العريضة الوثيقة ، لان بها اسماء العلماء والقضاة والاشراف ، واذا بدأنا قراءة هذه الوثيقة العريضة ، بعد ذلك ، نجد ان ترجمتها من العثمانية الى العربية كما يلى :

**« بسم الله الرحمن الرحيم ـ الى مولانا السلطان عز نصره ......**

**يقدم جميع اهل حلب : علماء ووجهاء واعيان واشراف واهالى ، بدون استثناء ، طاعتهم وولاءهم ـ طواعية ـ لمولانا السلطان عز نصره ـ وبإذنهم جميعا ، كتبنا هذه الورقة لترسل الى الحضرة السلطانية العالية . ان جميع اهل حلب ، وهم الموالون لكم ، يطلبون من حضرة السلطان ، عهد الامان . واذا تفضلتم بالتصريح لنا بالاطمئنان فى طلب الامان لارواحنا واموالنا وعيالنا ، فاننا نقبض على الشراكسة ، ونسلمهم لكم ، او نطردهم . وجميع اهل حلب مستعدون لمقابلتكم واستقبالكم ، بمجرد ان تضع أقدامكم فى ارض عينتاب . خلصنا ايها السلطان من يد الحكم الشركسى ، احمنا ايضا من يد الكفار ، قبل حضور التركمان . وليعلم مولانا السلطان ، ان الشريعة الاسلامية ، لاتأخذ مجراها ، هنا ، وهى معطلة . إن المماليك اذا اعجبهم اى شىء ، ليس لهم ، يستولون عليه . سواء كان هذا الشىء مالا او نساء او عيالا . فالرحمة لاتأخذهم باحد . وكل منهم ظالم . وطلبوا منا رجلا من ثلاثة بيوت ، فلم نستجب لطلبهم ، فاظهروا لنا العداء ، وتحكموا فينا . ( ونريد ) قبل ان يذهب التركمان ان يقدم علينا وزير من عندكم ايها السلطان صاحب الدولة ، مفوض بمنح الامان لنا ولاهلينا ولعيالنا ، ارسلوا لنا رجلا حائزا على ثقتكم يأتى سرا ويلتقى بنا ، يعطينا عهد الامان ، حتى تطمئن قلوب هؤلاء الفقراء ، « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله اجمعين » .**

# قضايا ومواقف

# مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي وسيد قطب

بقلم: د. على القريشي - العراق

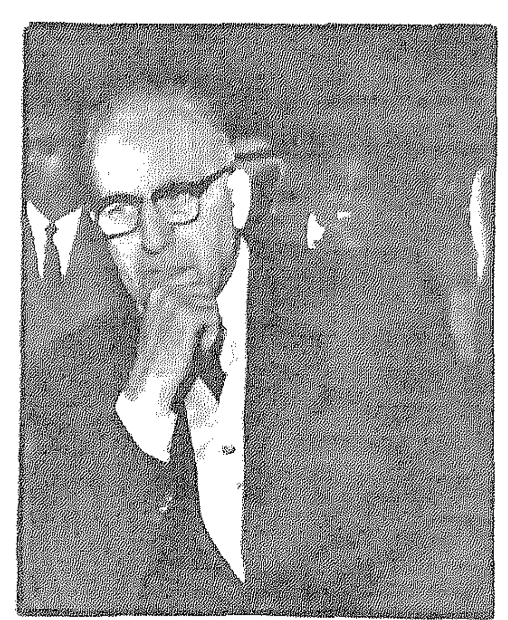
**التراجع الحضاري الذي شهده العالم الاسلامي منذ قرون خلت ، والذي تفاقم عقب الصعود المدني والحضاري للغرب كان حريا ان ينبه الكثير من المفكرين المسلمين الى حقيقة هامة هي : ان المشكلة الاساسيه التي يعاني منها العالم الاسلامي اليوم هي : التخلف وغياب مقومات الحضارة .**

**غير ان النظر الى هذه المشكلة قد اختلف من مفكر لآخر ، وذلك تبعا لاختلاف تحديد كل مفكر لمفهوم الحضارة ذاته .**

**وهذه المقالة ستقتصر على استجلاء موقف كل من المفكرين: الجزائرى (( مالك بن نبي )) (( ١٩٠٥ - ١٩٧٣م )) والمصرى سيد قطب ((١٩٠٦ - ١٩٦٥م)) وذلك من خلال تصور كل منهما لمفهوم (( الحضارة )) بما ينطوى عليه كل تصور من وعى معين بالمشكلة ونمط فى ادراك ابعادها .**

فسيد قطب حين أعلن ذات مرة أنه سينشر كتابا له تحت عنوان : « نحو مجتمع اسلامى متحضر » .. ثم عاد لينشر الكتاب المذكور باسقاط كلمة متحضر من عنوانه وليجعله « نحو مجتمع اسلامى » فقط،

أثار ذلك انتباه المفكر الجزائرى « مالك ابن نبى » الذى سارع للتعليق قائلا: ان هذا الموقف يكشف عن عقدة بعض المفكرين المسلمين ازاء «الغير» المتفوق وهذه العقدة تدفعهم الى انكار نقائص « الذات » واللجوء الى منحها مديحا



مالك بن نبي

سيد قطب

عقيما . ويتجلى ذلك في اندفاع المفكر الى تمويه طبيعة المشكلات ، وادخال بعض التعريف اللاشعوري في معالجاته للقضايا المطروحة . « قسيد » – كما يرى « ابن نبي » – قد استبعد مشكلة العالم الاسلامي الحاسمة من بحثه حين أعتقد، وحملنا على الاعتقاد بأن المجتمع الاسلامي هو على وجه التحديد مجتمع « متمدين » ، فانجر بذلك تحت تأثير « حالة اخلاص » الى موقف فيه من المدح اللامجدي للذات ، أكثر مما فيه من المواجهة الموضوعية للمشكلة الراهنة (١)

ان المتتبع لكتابات ابن نبي سيصل الى أن نقده المذكور هو في حقيقته راجع الى التصور الخاص الذي يخلعه على مفهوم « الحضارة » ، والذي يصوغه على أساس أنها « فعل تركيبي » قوامه ( الانسان + التراب + الزمن ) : الانسان باعتباره كائنا اجتماعيا ، والتراب بخضوعه لضرورات فنية معينة، والزمن باندماجه ضمن العمليات الاقتصادية والصناعية والاجتماعية. من هذه العناصر الثلاثة تتحقق الحضارة (٢) . وعلى هذا الاساس اعتبر الحضارة « مجموع الشروط الاخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده ، وفي كل طور من أطوار وجوده ، منذ الطفولة وحتى الشيخوخة المساعدة الضرورية وفي كل مناحي الحياة » (٣) .

## ● معنى الحضارة

فتحديد معنى الحضارة على هذا النحو هو في حقيقته وضعها في اطار يغلب عليه الجانب المادي والفني والنفعي الذي تختص به « المدنية » ، التي يرادف معناها مصطلح . Civilization في بعض المراجع والموسوعات الاوربية بحسبانها معنى يشير الى المستوى

## قضايا ومواقف

الوسيلي والحياتي والتكنولوجي الميسر لقومات حياة ذات مستوى مرتفع(٤) .
وما تركيز « ابن نبي » على البنـــاء الزراعي والصناعي والفني في «تركيبه الحضاري » ، وما تتطلبه شروط ذلـك التركيب من أخلاقيات وتنظيمـات ، الا تركيز على الاهداف المعاشية والغـايات التنموية حسب .

ومذهب « ابن نبي » هذا يتأكد لدينا أكثر حين نجده يقف بتفـــاؤل ازاء المشاريع الزراعية والصـــناعية التي وضعتها أو نفذتها ثورة يوليو في مصر، واعتباره اياها بداية حقيقية لعملية « تركيب حضاري » في المنطقة ، دون أن يتساءل كثيرا عن القيم والمنطلقـــات الايديولوجية للسياسة والاقتصـــاد والتربية والتعليم والقوانين التي يقـوم عليها ذلك التركيب ، وكأن هذه الامور ليست مما يشمله مفهوم الحضـارة أو تركيبها !

لقد كان هم ابن نبي هو أن يتجـاوز مجتمعه وضعه التخلفي العام ويتوق الى أن يرى هذا المجتمع وقد استطاع أن يحوز مقومات تشكيل الاطر الوســيلية والمدنية ، بما يضمن له التطور والنمـو المعاشيين ، وذلك على غرارما كان يراه في المجتمع الغربي الذي عاش مدنيته، متحمسا بأنموذج التناسب بينها وبين ما عليه الواقع في مجتمعه الجـزائري ...
[illegible]

لهذا كانت « مشكلات التمدن » في العالم الاســـلامي ، أو ما أطلق عليـــه بـ « مشكلات الحضارة » هي قضـــية المركزية التي شغلت كل فكره ، فصـار بذلك لا يتحدث عن « الحضارة » الا وهو يعني « المدنية » في الغالب .

### ● اختلاف في المفهوم

ولعله من هنا جاء الاختلاف بين « ابن نبي » و « سيد قطب » حين انتقد الاول الثاني على تراجعه عن كلمة «متحضر» في عنوان كتابه المالف الذكر ، معتبرا ذلك التراجع تحريفا للمشـكلة ..
والحقيقة هي ليست كذلك لسببين :
الاول : أن « سيد قطب » ببساطة لم يكن يقصد من كلمة « متحضر » ذلـك المعنى الذي يقصد به « ابن نبي » «تمدن» .
فمفهوم الحضارة عند « قطب » هـــو مجموعة القيم والعلاقات والنظم ، وهي لا ترادف « المدنية » التي هي مجموعـة المنتجات المادية والوسيلية المتطورة . كما انه لايرى ان هذه المدنية تصلح مقياسا مركزيا للاستدلال على تحضر المجتمـع أو عدم تحضره ، ولا مؤشرا كذلك على رقي المجتمع أو تخلفه . فالمجتمـــع المتحضر يستدل عليه في المقـام الاول بمنطلقاته العقيدية والقيمية وسلوكياته وعلاقاته والنظم الاجتماعية التي يتبعها، لا بتطوره المادي ونمط وسائله وأدواته المعيشية ، خاصة وأن التمدن قد يكون ـ كما أشار « قطب » وتكون معـــه « الجاهلية » (٥) « أتبنون بكل ريـــع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكـــم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعـــــون . واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون »

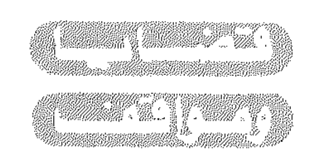
اذن فالحضارة بمفهوم « سيدقطب » هي ليست المدنية ، بل هي نسق العقائد والقيم والنظم والعلاقات التي تحـــدد منهج الانسان وحركته في الحياة .

والحضارة «النموذجية» هي بنظره « حضارة التوحيد » التي يجســـدها النظام الاسلامي الذي يوفر للانســـان انسانيته ويحترم خصائصه الاساسية وتتحقق في ظله معاني وتجســـــدات العبودية لله وحده ، والتوازن الشامل في الحياة الفردية والاجتماعية .

الثاني : ان « ابن نبي » كان يتصور أن « سيد قطب » يبحث في « المجتمـــع المسلم ـ الراهن » الذي هو فعلاً يعاني من أزمة غياب التحضر والتمدن معا ـ في حين أن « قطـــب » كان يبحث في «المجتمع الاسلامي = الانموذج» أو «المثال» ومادام الانموذج الاجتماعي الاسلامي ـ في منطلقاته وأهدافه ونظمه وعلاقاته وحركته ـ يقوم على العقيـدة التوحيدية والقيم الربانية ونظرية النظم المستمدة من المنهج والشريعةالاسلاميين، فان اسقاط كلمة متحضر هو اســــقاط لصفة لا يحتاجها الموصـــــوف ، لان المجتمع الاسلامي ـ المثال وليس الماثل ـ هو مجتمع متحضر بالضرورة .

وبناء على ذلك لا يمكن اعتبــــار اسقاط « قطب » لكلمة متحضر في كتابه المنوه عنه هو محاولة أخلاص دفاعيـة تعكس حالة من المدح الذي لا يواجه شروط المجتمع المادية والمدنية ـ كما ذهـب الى ذلك « مـــالك بن نبي » لان الشـــــروط المادية غيــر واردة أساســـا في معنى الكلمـــة التي نحاها « سيد قطب » في كتابه ، فضـلا عن انه حتى في حالة افتراض انالتمدن يعني التحضر ، وأن التمدن يصـــلح مقياسا حاسما على التقدم الاجتماعي، فهو كما قدمنا لم يكن يتحدث عن واقع « التمدن » في « المجتمع الاســـلامي الراهن » بل كان يتحدث عـن التحضر « في المجتمع الاسلامي الانموذجي » .

ان فهم « ابن نبي » للحضارةبالحدود المذكورة قد ترتب عليه تحـديد جانبي لاشكالية التغيير الاجتماعي التيعالجها في معظم كتاباته وأعماله ، فتركيـزه البحث في أهداف التغيير بحـــدود مجسدات التمدن ، قد أبعده عن المشكلة الحقيقيةلازمة التخلف ، ذلكان الشروط المادية والمدنية والمعاشية التيقد تهيىء للانســـان العمل والوسائل والانتفـاع لا تعني بالضرورة حلا لمشكلة الانسان الحقيقية ، لان قضية الانسان هي في المقام الاول قضية حريته وكـــرامته وتوازنهالروحي والاخلاقي وتوفير الامن والعدالة والمساواة في حياته . وهـذه أمور تحددها طبيعة النظام الاجتماعي واتساقه اللذان يديران العلاقاتالعامة والخاصة . فالنظام الاجتمـــاعي والفلسفة اللذان ينبثق عنهما هما حجر الزاوية في تكوين « الحضارة » . امـا المدنية على الرغم من أهميتها البالغة في حياة وتقدم المجتمع ، فانهـــا لا توفر بالضرورة الحرية والكرامـة والامن والعدالة والمساواة والتوازن ! فامريكا في غاية التمدن والنمو ، فهل تم فيها القضاء على مشكلات الجريمة والتفاوت الطبقي والعنصرية والتدهور الروحي والاتجاه نحـــو الهيمنـة والاستكبار ؟ والاتحاد السوفيتي في غاية التمدن والنمو ، فهل توفرت في ظل نظامه الاجتماعي الحرية والحياة



الكريمة الحقة ، وهل بلغ الانسان فيه أمنه الروحي وسلامه الاخلاقي ؟

ان معادلة « الانسان والتراب والزمن » ليست هي المعادلة المثلى ابتداء لحل المشكلة الاجتماعية للانسان العربي والمسلم ، لان مجرد توفير الوسائل والامكانات المدنية المادية المتطورة لا يؤدي بالضرورة الى العدالة أو المساواة أو السعادة الاجتماعية أو تحقيق انسانية الانسان، ولهذا اذا كان « ابن نبي» يعلق على بلوغ تلك الوسائل والامكانات آمال النمو المادي ، فانه يبدو من غير المفهوم حين يعلق عليها أيضا آمال التقدم الاخلاقي والاجتماعي ! (٦) ٠

ان التخلف في مجتمع « طنجة — جاكرتا » أساسه أزمة غياب النظام الاجتماعي الصالح ، والحل المدني ليس هو الحل ٠ وهذا مثلما ينطبق على المجتمع المذكور ينطبق ايضا على المجتمع الغربي وغيره من المجتمعات فاذا افترضنا أن الحل المدني قد اشاع الضمانات الوسيلية والمعاشية للانسان في كلا المجتمعين الراسمالي والاشتراكي ، فالسؤال المثار :

— لماذا لم يوفر الحلان اسلوبا واحدا ودرجات واحدة في توفير تلكم الضمانات ؟ اليس الاختلاف بينهما نابعا من ان النظم السياسية والاجتماعية هي التي تتحكم في ذلك وتحدد انماطه ودرجاته واتجاهاته ؟٠

كما أن سؤالا اخر يظلمطروحا هو:

— ما الذي وفره الحلان في حياة كلا المجتمعين على الصعيد الروحي والاخلاقي والمعنوي والانساني ؟

ان واقع المجتمعات المتمدنة رأسمالية كانت أو اشتراكية لا أظنه ينطق بالايجاب أكثر من نطقه بالسلب، اذ لم تعد بحاجة الى التقصي والاستفاضة في اثبات ما تعانيه هذه المجتمعات من ازمات ومشاكل خطيرة على الاصعدة المشار اليها ٠

نخلص مما تقدم بأن « الحضارة » هي نسق من العقائد والقيم والافكار، تعكس نظرة معينة ازاء الكون والانسان والحياة ، يجسدها — عمليا — نظام اجتماعي معين وهي بهذا المعنى لا تعني « المدنية » ولا يتوقف تركيبها أو ظهورها على شرط التطور المادي والوسيلي ، أو المعطيات النفعية « المجردة » ٠ فقد توجد الحضارة في لندن وباريس والقاهرة كما توجد عند قبائل « الباجند والاراندي والتفاهو » (٧) ٠ فأية نظرة للكون والانسان والحياة تنعكس في قيم جماعة ما وسلوكهاوتقاليدها ونظمها وعلاقاتها تشكل موقفا حضاريا وتعكس نمطا معينا من انماط الحضور الانساني ، خاصة اذا تبلورت تلك النظرة وتجسدت في اطار نظام اجتماعي عامل ٠

## ● المدنية والحضارة

فاذا نظرنا للحضارة بهذا المعنى ، فهي تختلف عن المدنية التي تعني الالات والتقنيات وما يستعمله الانسان ويستخدم من اساليب وطرق فيتنظيم شئون حياته ، والتي يشكل (التراب) مادتها الاساسية وعجينة بناها الزراعية والصناعية والعمرانية ٠

والمدنية بمعناها المذكور لا تعبر عن هوية حضارية الا بقدر نوعية التعامل مع الاشياء والادوات وكيفية استثمارها والتحكم فيها وتوجيهها ، لان الذى يمكنه أن يحدد ذلك كله هى القيم والافكار والصيغ النظمية ذات الدلالات المذهبية .

وبعبارة أخرى ان سياسة الاستخدام والتعامل مع المدنية وقيم توجيهها والتحكم فيها ، تحددها نظريا فلسفة الحضارة ، ويجسدها عمليا النظام الاجتماعى العامل والمنطلق من تلك الفلسفة ، والذى فى اطاره يتم التحكم بالمدنية خيرا للانسان أو شرا ، نفعا أو ضرا .

وعلى هذا الاساس يمكننا القول بأن المجتمع حين يتحرر من القيم والاخلاقيات والنظم الرفيعة هو مجتمع متخلف حتى وان كان متقدما (مدنيا) كما ان المجتمع ـ أى مجتمع بامكانه ان يكون متقدما « حضاريا » من غير ان يشرط تقدمه هذا بتقدم على الصعيد « المدنى » .

من هنا يمكننا القول بأن توفير الشروط الانسانية والاخلاقية والمعنوية لحياة الانسان لا يتأتى عن طريق التفكير ـ ابتداء ـ بالتنمية والمدنية وهياكلهما المادية ، على الرغم من الاهمية البالغة لهذه الجوانب ، كان لابد ان يبدأ التفكير بحل مشكلة النظام الاجتماعى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتربويا .. فالنظام الاجتماعى هو جوهر تنظيم الحياة وعلاقاتها المختلفة ، بالاضافة الى انه هو الذى يقود ويحكم المدنية وهياكلها وهذا هو المحور الذى يجدر ان تتشكل حوله مساعى حركة « التغيير الاجتماعى » .

ان حركة التغيير الاجتماعى ،خاصة فى مجتمعاتنا ، لا ينبغى لها ان توجه مساراتها وهمومها ابتداء نحو هدف التقدم بالمعنى النفعى فقط ، او مايسمى بالتنمية الاقتصادية ـ وهذا ما أدركه « مالك بن نبى » نفسه فيما بعد ـ بل لابد ان تنطلق هذه الحركة ابتداء نحو تحقيق التقدم بالمعنى القيمى والانسانى ضمن عمليات بناء الفرد والمجتمع ، وبناء النظام الاجتماعى الاصلح . لان ذلك هو جوهر الحضارة وهو الهدف المركزى الذى ينبغى أن تكون له الاولوية فى سلم الاهداف التغييرية ، لان بلوغ هذا الهدف حتى فى حالة بقاء التأخر المدنى ، معناه بلوغ الحل الجوهرى والحقيقى لمشكلة الانسان وحل الاشكالية الرئيسية فى المجتمع . علما بأن التأخر المدنى لابد ان يتلاشى بالنتيجة فى نظام حضارى « متقدم » ، لانه ما من مجتمع حضارى متقدم الا والمدنية جزء من معطياته وابداعاته .

هوامش

(١) مالك بن نبى : فكرة الافريقية الاسيوية فى ضوء مؤتمر باندونج ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .

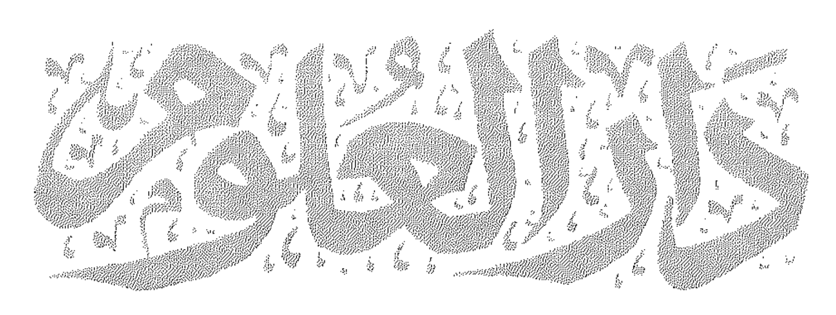
(٢و٣) مالك بن نبى : آفاق جزائرية مكتبة عمار ، ط ١،٢ القاهرة ص ٥٩ ـ ٦٠وص ٣٨

(٤) انظر مثلا : The lexicon webster Dictionany, Vol. 1

(٥) سيد قطب : معالم فى الطريق دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨١ ،ص ١٣٦ .

(٦) مالك بن نبى : آفاق جزائرية ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٧) عبد الحميد لطفى:الانثربولوجيا الاجتماعية ، دار المعارف ، ط ٣ ، بدون تاريخ ، ص ٧٦ ـ ٧٧ .



# الماضى والحاضر والمستقبل

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

كان التعليم الذى أنشأه محمد على عسكريا صرفا ، غايته الجيش الحديث القوى المدرب ، الذى يملك سلاحه ومهندسيه وأطباءه ومصانعه وله بعثاته ومدارسه ، والكل فيها يسير على نظام عسكرى صارم ، حياة وملبسا ومأكلا ورتبا ، معلمين وتلاميذ ، واستقر ذلك كله فى القاهرة والاسكندرية وحدهما .

أما بقية القطر فلم يكن له حظ في هذا التعليم وقصارى مايعرف منه كتاتيب منبثة فى القرى والكفور وأحياء المدن ، تحفّظ القرآن الكريم ، وأسماء الله الحسنى ، وتعلم - ربما - شيئا من الخط والحساب ، وتنتهى بصاحبها إذا كان قادرا أو راغبا إلى الأزهر يبقى فيه أعواما يتثاءب كسلان خاملا ، إذا كان بليدا ، ويهرب منه إلى الحياة عجلا ، إذا كان ذكيا ، لأن الدراسة فيه مماحكات لفظية جامدة ، لاروح فيها ولاحياة ، وغاية النابغ منهم أن يحسن فهم عبارة الكتاب لاموضوعه ، وأكثرهم - كما وصفهم عبدالله باشا فكرى - لايحسن قراءة صفحة دون أن يخطىء ، ولا أن يكتب موضوعا ، ولا أن يقيم وزن بيت من الشعر .

وسط هذا المناخ الجامد والمميت
كان هناك شاب مصرى يحمل هموم أمته بلا صخب ولاضجيج ، وراءه رغم حداثة سنه رصيد هائل من المحن والتجارب عانى طفلا فى كتاب القرية ، وصبيا فى مدرسة قصر العينى ، وأقام فى باريس عامين يدرس الهندسة المدنية ، وفى مدينة ميتز الفرنسية عامين آخرين يدرس الهندسة الحربية ، وامضى عامين أيضا مع الحملة المصرية التى ذهبت تحارب روسيا معاونة للخليفة العثمانى وتقلبت عليه الأحوال موظفا ومفصولا ، وتاجرا وبلا عمل ، وغنيا وفقيرا ، وسعيدا وبائسا .

كان ذلك الشاب هو على مبارك أبو التعليم فى مصر الحديثة .

وفى لحظة مواتية ذهب إلى باريس فى مهمة مالية عام ١٨٦٧ ، وكان وكيلا لديوان المدارس ، وليس مطالبا بدرس ولاوراءه امتحان ، ولا معتقلا فى بيت الطلاب ، فجهد أن يرى الحضارة الأوربية فى أزهى ألوانها : زار المتاحف والآثار والمدارس العليا والمكتبات وعاد إلى مصر يحمل أحلاما كبيرة وأمالا عريضة .

وأول مافكر فيه إثر عودته عملان عظيمان ولدا توأمين :

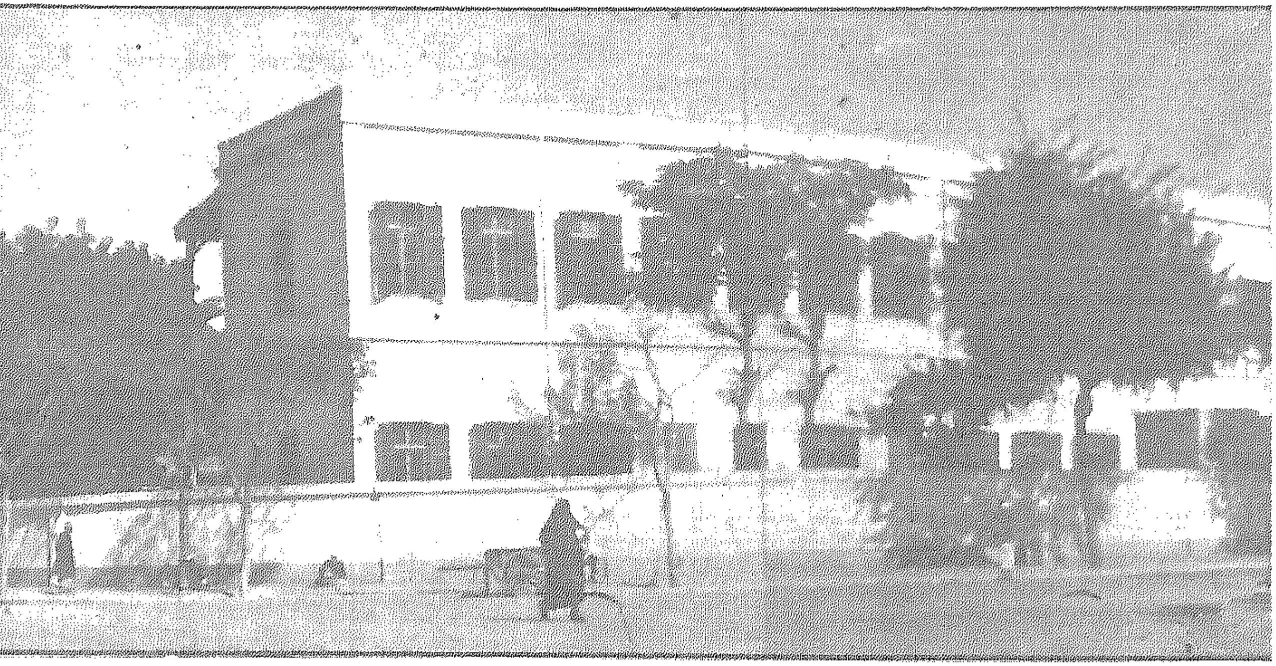
دار الكتب ودار العلوم .

وبهما أراد أن يدفع الثقافة خطوة واسعة إلى الأمام ، فقد أدرك واعيا أن نشر المدارس الأولية وإصلاح الكتاتيب لايكفى وحده ليجعل من أمته وطنا عظيما ، وكان ولاؤه لها عميقا وبلا حدود .

## ● تحديث الثقافة العربية

لم يرد على مبارك حين أنشأ دار العلوم عام ١٨٧١ أن تكون مدرسة لتخريج نبهاء المعلمين ، كما هو شائع الآن ، وإنما أرادها كلية جامعة على غرار مارأى فى

منظر عام لمبنى دار العلوم بالقاهـــرة .. أقـــدم مدرســـة للمعلمين .





باريس وأن تكون أداة تحديث الثقافتين العربية والاسلامية فى شتى نواحيها ، وهكذا لم يكد يفرغ من إنشاء دار الكتب واختار لها قصرا فى درب الجماميز شمال مسجد الأمير بشتاك ، والذى يعرف الآن باسم مسجد مصطفى فاضل ، حتى ألقى فى روع الخديو إسماعيل أن هذه المكتبة هى صنو « دار الحكمة » أو « دار العلم » التى أنشأها خليفة مصر الفاطمى الحاكم بأمره فى قصر الملك بالقاهرة ، ولكن ينقصها مارتبه الحاكم والخلفاء من بعده من علماء يلقون الدروس على الطلاب ويملون عليهم مسائل العلم ، ويحلون لهم معضلاته ، وهو لذلك يريد أن يكمّل هذا النقص بإيجاد الأساتذة الذين يلقون الدروس فى مختلف العلوم فى المدرج الذى أقيم بجوار المكتبة ، فرحب الخديو بالفكرة ونفذها على مبارك ، وكان البدء فى إلقاء هذه الدروس فى ١٥ صفر ١٢٨٨ = ٦ مايو ١٨٧١ ، بهذا المدرج الذى أسماه :

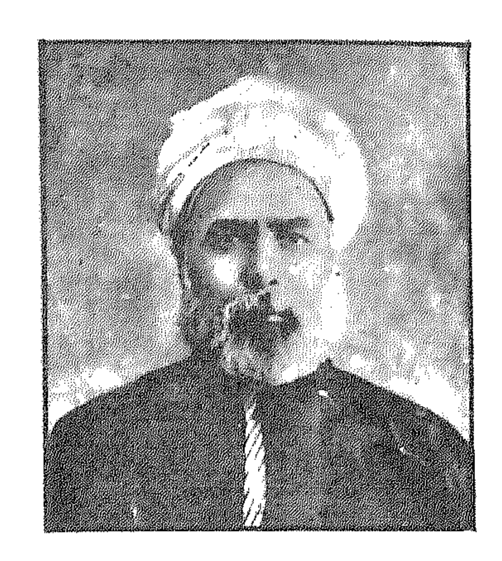
## ● دار العلوم الجامعة

واختيار الاسم نفسه ، جاء فى مواجهة « دار الفنون » وهو الاسم الذى كان يطلق على الجامعة فى عاصمة الخلافة ، يوحى بالغرض منها وأنه يستهدف الثقافة العالية ، ولهذا توارد على منصة الدرس فيها خيرة علماء هذه الفترة من مصريين وأجانب ، وفى مختلف الدراسات الانسانية والعلمية ، ويحضرها اكابر العلماء والقائمين بأمر التعليم وكبار موظفى الدولة ، وفى مقدمتهم على مبارك باشا نفسه ، والنبهاء من طلبة الأزهر ، والفرق العالية من مدارس المهندسخانة والادارة ( = الحقوق ) والمساحة ، ينصتون إلى الدروس التى كانت تلقى على هيئة محاضرات فى أغلب الأحيان .

وكانت الموضوعات التى تلقى متنوعة فبينا الشيخ حسين المرصفى ، وكان مكفوفا ، يحاضر فى الأدب يلقى الشيخ أحمد شرف دروسه فى التفسير والحديث ، ويتكلم الشيخ عبدالرحمن البحراوى فى فقه أبى حنيفة ، ويدرس إسماعيل باشا الفلكى علم الفلك ، وأحمد ندا علم النبات وهى محاضرات كانت تلقى باللغة العربية .

وإلى جانبها كان يحاضر بالفرنسية هنرى بروكش فى التاريخ العام ، وفيدال باشا فى فن السكك الحديدية ، وفرانس باشا فى فن العمارة ، وجيجيون بك فى فن الآلات ، ومسيو بكتيت فى علوم الطبيعيات مع شرح الآلات التى استحضرها من أوربا . وكانت محاضرات هؤلاء تترجم بعدهم الى اللغة العربية لمن لايفهم الفرنسية ومدة المحاضرة ساعة ونصف وبعض الموضوعات يلقى مرة كل أسبوع .

وقد أبيح للناس كافة على اختلاف الوانهم وألسنتهم وأجناسهم وأعمارهم ودرجاتهم أن يختلفوا إلى هذه المحاضرات العامة ، فكانت دار العلوم أشبه بمجمع علمى أو كلية جامعة . ولكن على باشا مبارك سرعان ماأدرك أن كل جهده فى انشاء المدارس وتأثيثها وتنظيم



الشيخ محمد عبده



على باشا مبارك ..
ابو التعليم فى مصر ..

الكتاتيب وترتيبها ، لاقيمة له مادام يفتقد المعلم الصالح ـ وما أكثر ما عانى فى طفولته وصباه من قسوة معلمى تلك الأيام ! ـ والكتاب المناسب مادة وطريقة وعرضا ، ووجد أن الذين يتولون تربية النشء وتهذيبه وتعليمه فى زمنه فريقان :

الفريق الأول من الأزهر ، يعلمون لغة البلاد ومالابد منه من أمور الدين وهؤلاء يرون أن كل علم ليس فى الكتب التى تلقوها فى الأزهر ضلال وكفر ، وأن الاشتغال به اشتغال بمالا يجدى ، وأن شركاءهم فى التدريس الذين يدرسون الجغرافيا والكيمياء والطبيعة والفلك وغيرها من العلوم الكونية ملاحدة وكفار ، لأنهم يخالفون نص ماجاء فى كتاب بدائع الزهور [ لمؤلف مجهول غير كتاب ابن إياس ] وما أورده صاحب تفسير الخازن من الاسرائيليات ، ولايعوزهم أن يجدوا فى ظواهر بعض النصوص وفى حرفية أقوال بعض العلماء ، مايجعلونه مستندا لآرائهم بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير ، وفوق ذلك هم يتبعون فى تدريسهم طرقا عقيمة غير مجدية .

والفريق الآخر هم الذين درسوا العلوم الكونية ، وعرفوا صحة نظرياتها بالبرهان القاطع والقياس المنطقى ، فيرون فى معلمى العربية والدين جهلا فاضحا ، وضلالا واضحا وربما بلغ بهم ذلك الاعتقاد إلى الشك فى الدين الذى يعتمدون عليه ويدعون الدفاع عنه .

أدرك على مبارك هذه الهوة العميقة بين الفريقين ، ورأى أن دار العلوم بالطريقة التى هى عليها لون من الثقافة العالية المترفة وأن الخطوة العاجلة الملحة أن يجمع بين الفريقين فى



مدرسة واحدة هى دار العلوم ، وأن يتخذ منها معهدا لاعداد المعلمين .

## ● دار العلوم المدرسة

وهكذا لم يمض شهران على إلقاء هذه المحاضرات العامة حتى طلب على مبارك من الشيخ العباسى شيخ الجامع الأزهر تعيين بعض « الجهابذة الأعلام والأساتذة الفخام » لتدريس التفسير على أن تكون ماهية كل واحد منهم أربع مائة قرش شهريا ، وعليه حصتان فى كل أسبوع كل حصة ساعة ونصف واختيار عشرة من نجباء الطلاب بالأزهر يحضرون بعض دروس « دار العلوم » العربية والشرعية ولهم الحق فى حضور الدروس الأخرى كالفلك والطبيعة ، وينتخب منهم المدرسون عند الحاجة ، وتدفع إعانة قدرها خمسة وعشرون قرشا شهريا ، وهذه المحاضرات لاتعطلهم عن دروسهم بالأزهر ولاعن معايشهم .

وقد رد عليه شيخ الأزهر برسالة جديرة بأن تسجل لأنها تصور ماكان عليه حال اللغة العربية فى الأزهر تصويرا دقيقا :

ديوان مدارس مديرى سعادتلو افندم حضر تلرى .

صار معلوم ماذكرتموه سعادتكم بالافادة باطنه رقم ١٨ ر سنة ١٢٨٨ نمرة ٤٥٢ والحال ، اما عن درس التفسير فقد تعين له حضرة العلامة الفاضل الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى بماهية شهرية أربعمائة قرش ، وحضرته اختار فى إعطاء الدروس المذكورة يوم السبت والخميس من كل أسبوع ، وسيتوجه لطرف سعادتكم لاجراء اللازم ، وأما الطلبة الثمانية فقد تيسر وجودهم وهم المذكور اسماؤهم أدناه ، وسينبه عليهم بالتوجه لذاك الطرف ، ولهذا اقتضى شرحه لسعادتكم أفندم .

الفقير محمد العباسى المهدى الحنفى

( الختم )

وفيما بعد تطورت المرتبات فانخفضت بداياتها للبعض فأصبحت ثلاثة جنيهات ، حتى ارتفع مرتب حسين المرصفى فى أربع سنوات فأصبح خمسة عشر جنيها .

## تخريج القضاة والمفتين

وحين رأى على مبارك أن دار العلوم أثمرت فى ترقية التعليم أراد أن يتخذ منها منطلقا لاصلاح القضاء والافتاء فتألفت لجنة لتعديل مناهجها ، وجعلها ملائمة لرسالتها الجديدة ، وكان هذا التعديل يقوم على محورين : شروط قبول الطلبة فيها ، والعلوم التى يجب أن تدرس لهم . وعلى من يرغب فى أن يرشح لوظائف القضاء والافتاء أن يكون قد حصل قدرا مناسبا من علوم الأدب والنحو والصرف والأصول والتوحيد والتفسير والمنطق على أن يزاد لهؤلاء عام خامس وهو مشروع ألغى بعد قليل ، إذ رأى فيه الأزهر إجحافا بالمتخرجين فيه ، وسدا لسبل الارتزاق فى وجوههم مع اتساعها أمام متخرجى دار العلوم .

وقد ندمت الدولة فيما بعد على هذا الالغاء ، وأنشأت مدرسة القضاء الشرعى

العظيمة ، ولم يقدر لهذه أن تستمر طويلا ، فقد اغتالها الأزهر وهى فى عنفوان مجدها ، فى تاريخ ليس هنا مكان بسطه .

ومع ذلك قدمت دار العلوم عددا محدودا من رجال القضاء العظام أمثال : محمد صالح باشا ، وعبدالرحمن سيد بك ، وحفنى ناصف بك ، وآخرين .

## الانتقاء والجدية

قامت سياسة دار العلوم فى اختيار طلابها بعد أن ثبتت معهدا عاليا ومتميزا يطمح الكثيرون فى التقدم إليه ، من بين الأعداد الكثيرة التى تتقدم إليها ، بامتحان قبول صعب يتمثل فى حفظ القرآن الكريم كاملا ، وقدرا هائلا من الشعر ، ويذكر الامام حسن البنا فى مذكراته « الدعوة والداعية » أنه لكى يهيىء نفسه لهذا الامتحان حفظ اثنى عشر ألف بيت من الشعر ، إلى جانب بقية علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة والاسلامية من تفسير وحديث .

وبلغت بها الجدية والتطور مداهما حين أصبحت الدراسة فيها داخلية ، وتصرف لطلابها أمهات كتب التراث والمصادر ، وفى مقابل ذلك لم تكن تعرف نظام التخلف أو الرسوب ، وكان من يرسب فى الفرقة الأولى ، ولو فى مادة واحدة ، يفصل نهائيا .

جاءت حصيلة ماسبق تمكنا قويا وعميقا من التراث واستيعابا كاملا لمواده وقضاياه ، فى جوانبه المختلفة ، أدبا ولغة ودراسات إسلامية وانفتحت أمام النابهين منهم نوافذ على الثقافات الأجنبية من طريقين : حين أراد الاستعمار البريطانى لأوائل المتخرجين أن يذهبوا إلى انجلترا ليدرسوا اللغة الانجليزية ويزدادوا فى علوم التربية فقها وتمكنا ، وقبل ذلك وفوقه ليروا الحياة الانجليزية ويتشبعوا بها .

وجاء الطريق الثانى حين زاد اهتمام البلاد الأوروبية باللغة العربية مع اشتداد موجة الاستعمار واتساعها فاستقدمت مدرسين من دار العلوم يضطلعون بها ، ولم يقنع أولئك أو هؤلاء بما أوفدوا له فأخذوا يدرسون لأنفسهم فى مجالات أخرى ، وتمكنوا منها ، وعاد بعضهم يحمل درجة الدكتوراه ، وقنع آخرون بالحد الأدنى من الشهادات وإن بلغ تحصيلهم العلمى غاية مداه عمقا وتنوعا ، وهكذا أصبحت دار العلوم همزة الوصل بين الثقافتين العربية والأوروبية ، فى مجال الدراسات الانسانية قبل أن تنشىء الجامعة وتخصص لها البعثات .

## ● محمد عبده ودار العلوم

عرف الأمام دار العلوم شابا فى مطلع حياته العملية بعد عامين من تخرجه قضاهما فى الأزهر إذ دعى للتدريس فيها عام ١٨٧٩ ولكنه فصل منها بعد أشهر معدودات لغير سبب مذكور فى قرار فصله ولكنه مفهوم بين من يعرفون سياسة الخديو قبيل الثورة العرابية ، فقد شاع عن محمد عبده أنه يدعو فى دروسه إلى المبادىء الخطرة التى نفى بسببها جمال الدين الأفغانى ، وأكثر من ذلك هو تلميذه وخطره أعظم من خطر أستاذه وهم يكلون إليه تعليم المعلمين .

فى تلك الأيام كان الأمام يحاول أن يصلح الأزهر فاصطدم بأكثر من عقبة ،



ففكر فى أن يجعل من دار العلوم بديلا ، ولقد عثر تلميذه ، وكاتب سيرته ، السيد رشيد رضا صاحب المنار على مسودة له ، فيها خطة كاملة للنهوض بدار العلوم ، ذلك أن الاستعمار خشي خطرها بعد فشل الثورة العرابية واحتلاله مصر ، فأحكم قبضته عليها وتدخل فى شئونها وبرامجها ، ولم تستطع أن تتخفف من قبضته الخانقة إلا بعد ثورة ١٩١٩ .

وفى سنة ١٩٠٤ رأس الامام محمد عبده الامتحان النهائى بالمدرسة وكتب تقريره عنها إلى وزير المعارف ، وتضمن :

« ... وإننى انتهز هذه الفرصة للتصريح بمكانة هذه المدرسة فى نفسى ، وما أعتقد من منزلتها فى البلاد المصرية ومن اللغة العربية .

## الأزهر ودار العلوم

أدى نجاح دار العلوم إلى اهمال متخرجى الأزهر تماما عند اختيار المعلمين ورغم أن كثيرا من الاصلاح أدخل على نظمه وبرامجه فقد ظل المتخرجون فيه وقتئذ شيئا متخلفا فى مجال الفهم والتطبيق والتجديد وبخاصة بعد انشاء مدرسة القضاء الشرعى ووقف وظائف القضاء الشرعى المتخرجين فيها ، فقاموا عام ١٩٢٣ بثورة عاتية ، يطالبون فيها بإلغاء المدرستين ، فنجحوا فى إلغاء مدرسة القضاء وفشلوا فى التغلب على دار العلوم ، وكان الحل الوسط الذى انتهت إليه أن ينشأ قسم ثانوى فى الأزهر ، تكون الدراسة فيه على غرار تجهيزية دار العلوم ، فإذا أتموا دراستهم الثانوية به التحقوا بدار العلوم ، على أن تلغى التجهيزية تدريجا .

لكن محاولات الأزهر لالغاء دار العلوم لم تتوقف ، وكان يعتمد فى مطالبه على دعم القصر الملكى له ، إذ كان الأزهر فى الحقيقة مؤسسة ملكية طوال العصر الحديث تدين بالولاء المطلق للملك ، وتتبعه إداريا مباشرة ، والملك وحده هو الذى يعين رجاله ، ابتداء من شيخ الأزهر حتى أصغر شيخ فى معهد صغير من مدينة نائية .

وكان صخب الأزهر ومطالبه تعلو خلال حكومات الأقلية ، ويجيء بها القصر عادة فى انتخابات مزيفة ، وهكذا شهد عام ١٩٣٩ تظاهرات صاخبة فى كل معاهد الأزهر ، على امتداد مصر كلها ، تهتف بسقوط هيكل وزير المعارف ، لأنه يقف فى وجه إلغاء دار العلوم ، وكان د . هيكل قد قال عنها فى محاضرة له ، فى العام نفسه :



الشيخ مصطفى المراغى

« استطاعت دار العلوم بجهد رجالها ان تعيد هذا الضياء الخابي إلى اللغة العربية في قواعدها وأدبها وبلاغتها ، وان تحيي مجدها القديم ، الذي كان يفاخر به الأمويون والعباسيون ، بل استطاعت أن تبعث فيها القوة والنشاط ، وإذا كنا نحن كتاب اليوم مدينين لأحد ، فديننا لأبناء دار العلوم » .

## دار العلوم كلية جامعية

بدأ التفكير في ضم دار العلوم إلى الجامعة خلال عام ١٩٣٨ ، وكان الضغط الأزهرى لالغائها قد بلغ أوج عنفه ، إذ كان الامام محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر شخصية مهابة ومحترمة ، وصديقا ودودا لمحمد محمود باشا رئيس الوزراء ، وكلاهما عدو لدود للوفد وكان صاحب الفكرة المرحوم إبراهيم مصطفى صاحب كتاب « إحياء النحو » وهو درعمى أصلا ، ويعمل أستاذا في كلية الآداب ، وصديقا حميما للدكتور طه حسين ، فأخذ يبث فكرته بين مجموعة من طلاب دار العلوم ، غير أن جمهرة الأساتذة توجست خيفة على مستقبلها فلم ترحب بالفكرة وإن ظلت هذه أملا يراود بعض النفوس .

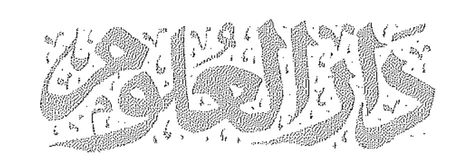
حتى إذا كانت وزارة الوفد ، ١٩٤٢ ـ ١٩٤٤ جاءت بطه حسين مستشارا لوزارة المعارف ، فأخذت الفكرة حيزا أكبر وانتقلت من مجال الهمس الى التفكير والدرس والاقتراح ، ومع أن طه حسين ذهب بسقوط وزارة الوفد ، لكن الوزيرين اللذين توليا الوزارة وهما الدكتور محمد حسين هيكل ثم الدكتور عبدالرازق السنهورى كانا يعرفان لدار العلوم حقها . وهكذا أقر المجلس الأعلى لمعاهد إعداد المعلمين والمعلمات في ٢٦ يوليه ١٩٤٥ فكرة جعل دار العلوم كلية جامعية للتخصص في الدراسات العربية والاسلامية ، « على أن تحتفظ بكيانها وطابعها الاسلامى الخالص واسمها التاريخي المجيد ويلتحق بها الطلبة الراغبون في دراساتها سواء كان مآلهم إلى الاشتغال بالتدريس أم يقصدون طلب العلم لذاته ، بغير قيد ولا شرط .

وفي ١٣ سبتمبر من العام نفسه اعتمد الدكتور عبدالرازق السنهورى وزير المعارف هذا القرار وفي ٢٤ أبريل ١٩٤٦ صدر القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٤٦ بضم دار العلوم إلى جامعة فؤاد الأول ( القاهرة الآن .

وفي الجامعة بدأت دار العلوم تضطلع برسالة شاقة معقدة ذات شعب ثلاث : عربية وإسلامية وعالمية إذ عليها أن تعنى بأدب اللغة العربية واللغات الشرقية سامية وإسلامية والشريعة الاسلامية والتاريخ الاسلامى والفلسفة الاسلامية وأن تتجاوز بهذه المباحث دائرة المحلية إلى آفاق عالمية أرحب وكل ذلك جعلها ذات شخصية متميزة فريدة وجعل مهمتها في الوقت نفسه جد عسيرة على الأستاذ والطالب معا .

## ● الثانوية العامة بدل الأزهرية

في العام الجامعي ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ قبلت دار العلوم أول مجموعة من الطلاب الحاصلين على شهادة الثانوية العامة ، وبعدها بعام قبلت الطالبات الحاصلات



على الشهادة نفسها ، وأثار هذا هلعا بين عدد من الأساتذة المحافظين ، وقدم الشيخ محمد الزفزاف أستاذ الشريعة الاسلامية استقالته احتجاجا ولم يتراجع عنها رغم أن الطالبات كن يحضرن منفصلات فى مبنى المعهد الفرنسى وبعد عام واحد بدأت الطالبات يتلقين محاضراتهن فى مبنى الكلية نفسه جنبا إلى جنب مع الطلاب .

ومع الايام أثر الأزهريون أن يبقوا فى جامعتهم وتزايدت أعداد طلاب الثانوية العامة ، إلى أن انتهى العنصر الأزهرى أوكاد ، وكسبت الكلية الانسجام الفكرى بين طلابها ومع أن هناك فترة كانت الكلية تتلقى فيها أقل المجموعات لما شاع عن صعوبة مناهجها وعزوف الشباب عن مهنة التعليم ، ولكن انفتاح مجالات العمل الأخرى أمامهم وبخاصة فى وسائل الاعلام ، وإقبال البلاد العربية عليهم ، وعلى الفتيات بخاصة حتى أن التعاقد يتم مع الراغبين من طلاب الليسانس قبل أن تظهر نتائجهم كل ذلك جعل الطامحين فى البلاد العربية يقبلون عليها ، وهكذا ارتفعت درجات المتقدمين لها ، حتى أنها فى العام الماضى أخذت كل طلابها ويتجاوزون ثلاثة الآلاف من طلاب المرحلتين الأولى والثانية فقط .

## مخاطر الحاضر

لكن الافراط فى الرضا عن النفس وخيم العاقبة لأن يشغلنا عن النقائض والعيوب والمخاطر ودار العلوم ليست بريئة منها على التأكيد .

أولى هذه المخاطر أنها لم تعد معهد العمالقة ، كما كانت قبلا المتخرج فيها خير من يقف على التراث ، يحققه ويفهمه ويجلوه ويصله بالتيارات العالمية ، ويخلف الجيل الذى رحل أو يتأهب للرحيل .

ومرد ذلك فيما أرى عوامل يرتبط أكثرها بالأستاذ .

فإقبال البلاد العربية على أساتذة دار العلوم أفرغها من كثيرين خيرين ، وفى فترة ماكان ٧٠ ٪ منهم معارون للعمل فى الخارج دون أن تعين الكلية مكانهم ، أو على درجاتهم وقانون الجامعة يعطيها هذا الحق ، وذلك رغم أن لوائح الجامعة تجعل الحد الأقصى ٢٠ ٪ وكان ذلك على حساب المستوى دون شك .

وأدت كثرة الطلاب والحرص على توزيع المذكرات إلى تمسك الأساتذة بمقررات أكثر وساعات أقل ووجدنا من يقسم الفرقة الواحدة ويتجاوز عددها أربعة الآلاف إلى أربع مجموعات بحجة أنه لايريد أن يكرر نفسه ، وتدريس أية مادة لألف طالب فى مكان لايتسع لنصفهم ماديا ، تحايل على الضمير وخيانة للأمانة .

وكارثة المذكرات أكبر ودار العلوم لاتختص بها وحدها وهى فى جامعات الأقاليم اكثر شيوعا وهى لون من العلم السرى لايخضع لأية رقابة عملية لامن الجامعة ، ولا النقاد ولا القراء ، وذات مستوى هابط ، أفكارها مهلهلة ، ومسروقة غالبا وفى الماضى كنا نصرخ لأن الجامعة لايصح أن تعرف الكتاب الواحد أو تقرره ،

وإنما توفر المصادر والمراجع التى يعود إليها الطلاب ولكننا الآن نترحم على تلك الأيام ، ومن عجب لا أحد يصرخ فى وجه المذكرات مع أنها مجموعة من الجرائم وليست جريمة واحدة .

وكذلك فإن المساواة بين النابه والخامل والمنتج والكسلان فى الأساتذة أمات روح الابداع إلا من عصم ربك وحتى البعثات وكانت يوما املا يزهو به الجامعى لم يعد لها هذا البريق ، وبعضهم قعد عنها بعد أن حصل عليها وآخرون عادوا بعد شهور فى أوربا لأنهم وجدوا الدراسة هنا ايسر معاناة وأقصر زمنا ، ونادر بين الذين تعلموا فى الخارج من عاد إليه ثانية يحاول أن يلاحق الجديد ويمسك به ولاخير أبدا يرتجى من أستاذ جامعى أحادى الثقافة مهما أربد وازبد وعلا صوته ، ووقف فوق كل منبر خطيبا .

إن حصيلة عدد لاباس به من الأساتذة ( ومرة ثانية الأمر ليس وقفا على دار العلوم ) كتاب رقى به إلى أستاذ مساعد ، وكتاب آخر أو اثنان إلى أستاذ ، وبعد هذا لاشىء ، استوى الماء والخشبة ، ومابعد الأستاذية يحتاج إلى مواهب ليس من بينها الابداع أو العلم أو الثقافة .

وانتهى الأمر بطلبة دار العلوم أنهم يدرسون موادا يمكن أن يختصر ثلثها ومذكرات أولى بها أن ترمى فى الصرف الصحى وجهد الطلاب موزع بين ذلك كله ، لايدع لهم إلى المكتبة طريقا ، ولا إلى الثقافة الحقة سبيلا ، وإصلاح الأمر من داخل الكلية عسير ، ونحاوله منذ عشر سنوات ونحن عاجزون فقد ارتبطت به مصالح مادية عاتية لاسبيل إلى التغلب عليها ، إلا إذا الاصلاح من خارج الكلية والزمناها به .

## وماذا عن المستقبل

مايقلقنى الآن ليس مستوى مدرسى اللغة العربية ، فهذه قضية فرعية وجزء من كل وعلاجها سهل وميسور ، ويمكن أن تقوم به أية مؤسسة تربوية إذا توفرت لها الوسائل المادية .

مايهمنى فى المقام الأول كيف نرد مصر إلى امجادها الثقافية الضائعة ، وقد تناثرت مزعة وراء أخرى ، وماجف منها لايزهر مايعوضه ، فيصبح كتابها مطلوبا ، وشاعرها محلقا ، وترجمتها دقيقة امينة وناقدها يفيض عن علم بتراثها وإدراك بالجديد عند غيرها ، ولا يصبح كما يقول المثل العربى القديم « جعجعة ولا أرى طحنا » .

تلك هى القضية التى تشغلنى ، ولا أرى لها حلا إلا العودة بدار العلوم كيوم أن أرادها على مبارك مكانا متخصصا للغة العربية وآدابها والدراسات الاسلامية أن تكون كلية للدراسات العليا ، ولكن الدارس فيها يبدأ منذ المرحلة الجامعية فهى تتلقى عددا محدودا من الطلاب ، قادرين على الدرس وراغبين فيه ويعيشون فى نظام داخلى ، وتصرف لهم أمهات كتب التراث ومعهم مجموعة من الأساتذة المؤهلين ثقافتهم متعددة ، وآفاقهم رحيبة وأمكانياتهم ممتازة وتتلقى هؤلاء الطلاب منذ العام الأول إلى أن يحصلوا على الدكتوراه ، تنمى فيهم روح البحث والتأصيل وتأخذهم بالجدية والصرامة ، ومنها يتخرج الأساتذة الذين سوف يضطلعون بإعداد مدرس اللغة العربية فى مختلف الكليات .

قصة قصيرة

# حكاية
# الرجل الغليظ.. السخيف وما فعله معي!

بقلم: حسين عبد العليم

كنت اقف في الطابور امام شباك تذاكر السينما ، وكنت ادخن سيجارة في تلذذ واهيىء نفسي للتمتع بالفيلم .

واذا به بجوارى ، حادثني بغلظة ولزوجة، وطلب مني ان اقطع له تذكرة معي واعطاني النقود ٠

ترددت ، دارت في عقلي افكار عن : اهمية احترام الصف ، وانه ينبغي عليه الوقوف مثلما وقفت انا ، وان هذا السلوك قد يغضب الواقفين خلفي ٠

كدت بالفعل أن اقول له : متاسف ٠٠ قف في دورك ٠ لكنني عندما نظرت اليه لاقولها - وعندما شاهدت نظراته الوقحة الشرسة قلت : طيب ٠

تحولت افكارى الى : انه استثناء بسيط وتحورت الى : ان البلد كلها فاسدة والاصلاح لا يرتبط بمثل هذا الموقف ٠

غير ان نفسي الداخلية هزأت مني وواجهتني، بصراحة : انني جبان٠٠ لقد خشيته وهو اقوى مني نفسيا ٠ عادت افكارى تقنعني : انني كنت بالفعل جبانا الاعتراف هو اول الطريق للصواب ٠ لن اجبن مرة اخرى ٠ قطعت التذاكر واعطيته تذكرته ، عندما دخلنا وجدته يحتل المقعد الذى بجوارى فقلت في نفسي : انه يوم لن يمر

واذا به يضع كلتا يديه على مساند مقعده وبالتالي فانا محروم من وضع يدى اليمنى على مسند مقعدى ٠ شننت ضده حربا صامتة ادفع يده بمنكبي الضعيف احاول زحزحتها - لكنني فشلت ٠ قضيت فترة العرض اجمع شجاعتي كي أطلب اليه ان يرفع يده اليسرى من فوق المسند - لكنني لم اطلب ٠ انتهى العرض وعدت الى منزلى وانا

فى حسرة شديدة من جبنى .

فى اليوم الثانى كنت اقف انا وزوجتى فى ميدان الكيت كات ننتظر السيارة ( السرفيس ) لنذهب الى ميدان الجيزة ، وكان مثلنا كثيرون ينتظرون . وعندما حضرت السيارة اسرعنا للحاق بالاماكن دفعت زوجتى من ظهرها للركوب اولا - واذا به قد انزرع امامى وظهره العريض فى مواجهتى ، وركب السيارة قبلى وجلس بجوار زوجتى .

ورغم غيظى الشديد فقد سكت .

فوجدت بنفسى الداخلية تقول : ياجبان .. انظر كيف يحشر



# حكاية

## الرجل الغليظ .. السخيف وما فعله معي !

زوجتك .. انظر كيف ان افخاذه الخنزيرية تحتل نصف المقعد له بمفرده .. انظر الى نفسك وانت تجلس بنصف مؤخرتك ؟ !

ثارت ثائرتى ، ولكن افكارى ذهبت الى : كيف تتشاجر ومعك امرأة ؟

تولى هو جمع الاجرة ، اعطيته جنيها وقلت له : اثنين . كانت عيناه تسخران منى بشدة ، رد لى الباقى نقودا ممزقة تماما لا تصلح ، ارتبكت ولكننى لم اجرؤ على طلب تغييرها . وفى هذه الليلة لم انم من الغيظ والحنق على نفسى .

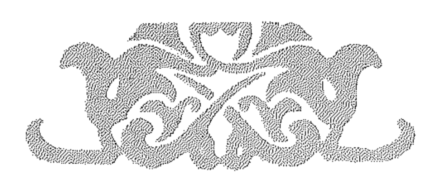
فى اليوم الثالث كنت اسير بجوار الجمعية التعاونية ، وعلمت انه يوجد بها زيت وسكر . حسبت ما معى من نقود ووقفت فورا فى الصف . طال بى الوقوف ، وعندما اقترب دورى للشراء فوجئت به يقتحم الطابور ويقف امامى ، غلى الدم فى عروقى ، تشجعت وطلبت منه ان يخرج من الطابور ، كان صوتى خشنا ، متحشرجا وغريبا على .

التفت هو الى الخلف ، بدون مقدمات صفعنى فطار الشرر من عينى ، ثم حملنى كما يحمل طفلا والقى بى الى الارض ومرغ وجهى وانفى فى روث حمار كان موجودا بالصدفة فى الشارع .

قمت فى حالة يرثى لها واكتشفت ضياع النقود وضياع حقيبتى التى تحوى اوراقا خاصة بالعمل . عدت الى البيت ، سخنت لى زوجتى مياه لكى استحم رغم الاستحمام فقد ظلت الرائحة النتنة فى انفى ، جلست اناقش زوجتى فى المسالة فقالت : هو مفيش الا انت قدامه ؟

عندما نمت فى هذه الليلة كان نومى قلقا متقطعا رأيته ينتظرنى اسفل منزلى وهو يدخن سيجارة وينظر نحو نافذتى فى وقاحة ، ثم رأيته ينتزع مفاتيح منزلى من ميداليتى ويضعها فى جيبه ، ورأيته يتجول فى شقتى بكامل حريته عاريا تماما وعورته الضخمة تهتز امامه ، ثم رأيته يتشمم فى ملابس زوجتى الداخلية المعلقة على مسمار خلف باب الحمام ، ورأيته يصفع زوجتى بشدة وزوجتى قد علا صوتها بالصراخ قمت من النوم كالملسوع تبينت ان السيدة جارتنا ـ كعادتها كل صباح ـ تقوم بتشغيل المسجل باعلى صوت ، وتتلذذ باغنية للمدعو حسن الاسمر .

ارتديت ملابسى بسرعة وتهيأت للخروج، تخيرت جرنالا قديما ، طويته كى احمله فى يدى كما هى عادة الموظفين ، داخل طياته خبأت سكينا كبيرة ، خرجت الى الشارع .





● ليس صحيحا أن كلمة « مصالح » ـ جمع مصلحة غير صحيحة وان الكلمة الصحيحة هي « صوالح » ‥ فان جميع بلغاء الشعر والنثر استعملوا كلمة « مصالح » ‥ ورحم الله أبا العلاء المعرى حيث قال :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
وعدوا « مصالحها » وهم أجراؤها

● القلة التى نشرب منها ، سميت كذلك لان اليد تقلها ، أى تحملها الى فم الشارب ‥ ويقال : فلان أقل الشيء ، واستقل به ، أى حمله بيديه بلا مساعدة من أحد ، ومن هنا جاء اصطلاح « الاستقلال » ‥ أى حمل امور البلاد بايدى أهلها وحدهم دون تدخل من الاجانب ‥

● يخطيء من يقول : فلان خلد الى الراحة ‥ والصواب : أخلد الى الراحة ‥ ومعنى « أخلد » اطمأن ولزم الراحة وتقاعس عن الحركة .

● كتبت علينا المقادير ان ننبه فى كل شهر عن خطأ مطبعى ، ففى لغويات الشهر الماضى استشهدنا بقول طرفة بن العبد الشاعر الجاهلى :

كلهم أروغ من ثعلب
ما أشبه الليلة بالبارحه

وقد جاءت كلمة « أروغ » بلا نقطة فوق الغين فصارت « أروع » ‥ وانما المقصود فى البيت روغان الثعلب اى حيلته ومكره وخبثه !‥ وجاءت كلمة البارحة بنقطتين فوق هاء السكت الاخيرة ، وليست هناك نقطتان !

● بعض الادباء يفضلون أن يقولوا « مطرت السماء » بدلا من « امطرت ‥‥ » ‥ استنادا الى الاسلوب القرآنى الذى يقول لكل مطر عن العذاب : أمطر ‥ ويقول الرحمة : مطرت ‥

● كل مرتفع عن الارض يمكن تسميته عرفا ، وسمى عرف الديك عرفا لارتفاعه فوق رأسه ‥ والاعراف سورة فى القرآن الكريم يقول المفسرون أن الاعراف سور مرتفع يفصل بين الجنة والنار ، وهو جمع فى معنى المفرد اى أن صيغة الكلمة « جمع » ولكنها تستعمل اسما للسور ، وهو مفرد .




## • البحث عن ناشر جديد •

اذا قلت انه ليس هناك في عالمنا العربي دار نشر كبيرة واحدة لها فعالية دار نشر مثل « البنجوين » التي تجد كتبها في كل بيت في اركان الارض ، فانني اقرر حقيقة موضوعية لا تمس احدا من الناشرين العرب بقدر ما تدعوهم جميعا للتفكير في الامر بجدية من أجل تطوير اساليب عملهم وصولا للهدف المنشود : أن ترتفع رايات الثقافة العربية عاليا، وان تتواصل روافد الثقافة في كل البلدان العربية بعضها والبعض الاخر.

فلا تزال دور النشر العربية تعمل بنفس الطرق التقليدية التي بدأت بها حركة النشر العربية في بداية هذا القرن وأواخر القرن الماضي ، ولا اعتقد ان أحدا منها أعاد دراسة واقع الساحة الثقافية العربية ، وخطط للتواصل فيما بين جذورها المتناثرة ، وحاول أن يقيم خطة لان يكون النشر مخططا ومبرمجا وقائما على دراسات تسويقية علمية ، او حتى دراسة لصناعة الكتاب نفسها ، وان تكون خطط النشر قائمة على اساس علمي ، يقوم على وضعها متخصصون يعرفون ، لا ان يتم النشر بشكل عشوائي وحسبما هو متوفر .

اننا ندعو الناشرين العرب ان يدرسوا تاريخ دار البنجوين الانجليزية ، هذه الدار التي عملت منذ لحظة قيامها الاولى على وضع هدف محدد وواضح امامها : أن تصل الثقافة الانجليزية الى كل قارىء في أى مكان من العالم يعرف الانجليزية سواء كان غنيا أو فقيرا فاستبدلت بالثوب القشيب آخر بسيطا لكنه جميل وجيد يطمئن القارىء أن وراءه من اختار بدقة ودون اعتبار لشىء الا للمستوى والجودة ، وأن يجد في نتاجها تنوعا في المعارف بين آخر تطورات العلم واقدم الاعمال الادبية ، وأن يطمئن بانها تضع عينيها في النهاية على المستقبل.

عبده جبير

## مهرجانات

### اضاءة ٧٧ بعد عشر سنوات

اقامت جماعة « اضاءة٧٧ »الشعرية الشابة مهرجانا شعريا نقديا بمناسبة مرور عشر سنوات علىنشاتها وصدور مجلتها الشعرية بنفس الاسم اضاءة٧٧ وقد اقيم المهرجان باتيليه القاهرة ،فى الليالى الثلاث الاخيرةمنيوليو الماضى٠

وعند تكوينها عام ٧٧ ضمت هـذه الجماعة الشعراء الشباب حلمى سالم، حسن طلب ، جمال القصاص ، رفعت سلام ( الذى خرج منها فيما بعـد ) وماجد يوسف وامجد ريان ومحمـد خلاف ومحمود نسيم ووليد منيـر • واصدروا العدد الاول من مجلتهم التى استمرت منذ ذلك الوقت فى الصـدور المتقطع مرة تصدر كل عدة اشهر ومرة تمر عليها الفصول •

فى بدايةاليومالاول لهذا الاحتفال الشعرى الذى اقيم بقصد تقييم الجماعة ونتاجها الشعرى والذى اداره حـلمى سالم قدمت « اضاءة ٧٧ » نصا اطلقت عليه وصف البيان الشعرى الجديدالقاه الشاعر حسن طلب بعنوان « بيـان الشعر : عشر سنوات من النـزف الجميل » اعادت فيه الجماعة التاكيد على مواقفها الجمالية ومنطلقاتهـا النقدية طوال السنوات الماضية ، فيمـا يتصل خصوصا بقضايا اساسية مثل: الشكل والمضمون ، والغـموض والشكلانية ، وعلاقة الشعر بالجماهير والمجتمع • كما اشارت فى بيانها الى بعض أوجه القصور ، النقدىوالابداعى، التى عانت منها ، فىمرحلتها السابقة٠

وقد جاء فى ختام البيان ما نصه : « نحن معكم اليوم لنقول بملء العقل والقلب، اننا سنستمر : ناقدين لانفسنا، مبدعين،حاملين راية القصيدة القصيرة فى ميدان لم يكد يبقى فيه من الشعراء غير الذين استسلموا لتجارب الـرواد وراحوا يكررون النسخة نفسها عـن القصيدة الاصل » •

وقد كان عنوان الامسية الاول هـو « الفكر النقدى والجماعى لجمـاعة اضاءة ٧٧ » وتحدث فى الموضوع كـل من الدكتور عبد المنعم تليمة ( استاذ الادب بجامعة القاهرة ) والنـاقد ابراهيم فتحى •

ركز الدكتور تليمة على المغـزى الثقافى الاجتماعى التاريخى الـذى يشير اليه انشاء هذه الجماعة الشعرية المستقلة ، فى سياق تاريخنا الثقـافى الحديث منذ نشوء جمـاعة « ابوللو » حتى « كتاب الغد » ثم « اضاءة ٧٧»٠

وقال ان رؤيةهؤلاء « الاضائيين» للعالم وللشعر تختلف عـن رؤيـة « النهضويين » و « الرومانسـيين » و « الرواد » المحدثين •

واضاف قائلا : ان عمل هـؤلاء الشعراء الطليعيين مازال يعانى مـن


حلمى سالم


جمال القصاص

عثرات لابد من تجاوزها : فما زالت التقاليد الشعرية ماثلة في بعض نتاجهم وما زالت نظرتهم للتراث هي نظرة الرواد النهضويين ، ومازالت هناك مشكلة التواصل بين شعرهم وبين جمهرة المتلقين الواسعة .

اما الناقد ابراهيم فتحي فقد اختلف بشدة ووضوح مع بيان الشعر ومع رؤية الدكتور تليمة معا ، فذكر انه بيان هجومي وتلفيقي ولا علاقة له بالنقد ، وان رؤية الدكتور تليمة فيها مبالغة وغير موضوعية،وظالمة للشعراء الرواد الذين ذكر تليمة انهم كانوا يصدرون من داخل « مؤسسة السلف » الشعرية والثقافية والايديولوجية ، السائدة والحاكمة .

واشار ابراهيم فتحي الى ان اضاءة ٧٧ قد ادعت انها هجرت ثنائية«الشكل المضمون » ، لكنها احلت ، من ناحية ثانية ، محلها ثنائية اخرى اعجب منها هى ثنائية « الموقف وتشكيله » . ونصحهم بالتركيزعلىالشعر والانصراف اليه وترك النقد والتنظير للنقاد والمنظرين .

كان ضيف شرف هذه الامسية الاولى الشاعر محمد عفيفي مطر الذى القى قصيدة بعنوان « فرح بالماء » ثم القى اربعة منشباب الشعراء قصائدهم وهم : امجد ريان ورفعت سلام،وجمال القصاص ، وعبد المنعم رمضان .

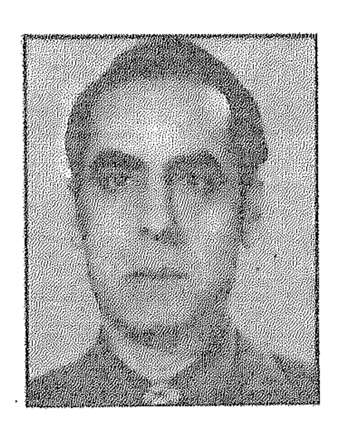
وكان عنوان الامسية الثانية التى ادارها الشاعر رفعت سلام هو « ملامح الاضافةالفنية عندشعراءالسبعينيات ».

وكان المحاضرالرئيسى فيها هو ادوار الخراط الذى تحدث بحماس عن اللحظة الفنية والفكرية والتاريخية التى يبدع فيها هؤلاء الشعراء شعرهم ، مؤكدا ، انهم خرجوا عراة في مواجهة الايديولوجيات الجاهزة ، وبخاصة ايديولوجيات اليسار الذى كف عن مساءلة الواقع وعن مساءلة نفسه وعن مساءلة النظرية نفسها، فتجمد وتكلس، والقى الخراط الضوء على المفاهيم الجمالية التى يصدر عنها شعراء السبعينيات بعامة وتحدد اتجاهات نتاجهم الابداعى ، مركزا على تصورهم الجديد لقضية « الشكل» فى العملالفنى، موضحا ان هؤلاء الشباب يعتقدونبقوة ان الشكل ليس عنصرا خارجيا يدخل على « مضمون » القصيدة ، بل ان هذا الشكل نفسه دلالة ، فالشكل عندهم يقول ان الشكل بطريقة قوله للمقول يقول » .

واختتم ادوار الخراط حديثهبالتاكيد على التمايز الذى يفرق بين هؤلاء الشعراء بعضهم بعضا ، على عكس التهمة الشائعة القائلة بانهم متشابهون مكررون متماثلون .. ان كل شاعر من هؤلاء الشباب نسيج وحده .

وكان ضيف شرف هذه الامسيةالثانية الشاعر سيد حجاب الذى القى قصائد قصيرة ثم قصيدة طويلة الى صلاح جاهين ثم القى اربعة من شبابالشعراء قصائدهم وهم : محمد سليمان وماجد يوسف ومحمود نسيم وحسن طلب .

اما عنوان الامسية الثالثة والاخيرة التى ادارها الشاعر جمال القصاص فكان عنوانها شعر السبعينياتوالواقع الاجتماعى والسياسى وتحدث فيها


د . عبدالمنعم تليمه

الناقدان صبرى حافظ ومحمد بدوى ·

أشار صبرى حافظ الى العوامل الاجتماعية والحضارية والثقافية التى تساهم فى تغيير الحساسية الادبية والابداعية من مرحلة الى اخرى ، موضحا ان عناصر الحساسية الابداعية الجديدة الراهنة بدأت بواكيرها الاولى منذ الاربعينيات بعد ان بدأت عناصر الحساسية القديمة ( التى ظهرت مع بدايات القرن ) تتضاءل وتضمحل وتخلى مكانها للرؤى الجديدة ·

وذكر حافظ بعض السمات الفارقة التى تميز هذه الحساسية الجديدة عن سابقتها ، واهمها الانتقال من واحدية الدلالة وتطابقيتها مع الواقع الى تعددية الدلالة وغناها بالتاويلات والتفسيرات ·

ثم أشار الى دلالة ظهور هذه التجربة الشعرية الجديدة فى السبعينيات بالذات بما حملته هذه السبعينيات من هبوط اجتماعى وثقافى وتغير فى القيم الثقافية والاخلاقية والجمالية ·

واختتم كلامه بأن هذا التناقض مع واقع السبعينيات المتردى ؟ هو الذى جعل الشعراء الجدد يبرزون جمال النص فى مواجهة قبح الواقع ·

أما الناقد أحمد بدوى فقد رصد تحولات الرؤية الشعرية منذ الاحيائيين حتى السبعينيين ، وركز على ما يواجه تجربة الشعراء الشباب من مزالق ، أهمها : افتقاد الدلالة فى كثير من الاحيان ، والوقوع فى أسر الغرام الشكلى اللغوى ، وانقطاع التواصل مع جمهرة القراء والمتلقين ·

وكان ضيف شرف هذه الامسية الاخيرة الشاعر محمد ابراهيم ابوسنة الذى القى بعضا من قصائده ، ثم القى اربعة من شباب الشعراء قصائدهم : احمد طه ، وليد منير ، عبد المقصود عبد الكريم ، حلمى سالم ·




## ● قصص مصرية الى الصينية

عاد الدكتور محمود كامل الريس رئيس جامعة المنيا ، والدكتور عبد الحميد ابراهيم عميد كلية الدراسات العربية من الصين الشعبية بعد ان قضيا اسبوعين تلبية لدعوة من جامعة الدراسات الدولية بشنغهاى لعقد اتفاقية ثقافية بين كلية الدراسات العربية بالمنيا ومعهد الدراسات العربية بالجامعة الصينية ·

والنتيجة العلمية الجديرة بالذكر التى تمخضت عن هذه الزيارة العلمية تمثلت فى عقد اتفاق تعاون تقوم على أساسه كلية الدراسات بالمنيا بالاشراف على مناهج الدراسات العربية بمعهد الدراسات العربية بشنغهاى وتدريب الطلاب واقتراح رسائل الماجستير والدكتوراه والمشاركة فى الاشراف عليها والمساعدة فى توفير المادة العلمية للدارسين ·

وقد رحب الدكتور على جبارة عميد المعهد الصينى ، وهو فى نفس الوقت كبير المترجمين من اللغة العربية بالصين ،



د . عبدالحميد ابراهيم

بالملاحظات التى ابداها الدكتوران الريس وابراهيم خاصة فيما اطلعا عليه من اختيارات الترجمة من الادب العربي الى الصينية ،وكانت الملاحظة الاساسية أن هذه الترجمة تتم بطريقة عشوائية ،

وعلى هذا الاساس تم الاتفاق على ان تقوم جامعة المنيا بترشيح الاعمال الادبية للترجمة الصينية ، بالاضافة الى تبادل الرأى والاستشارة حول الاختيارات التى يقترحها بعض الدارسين فى الصين.

وكانت النتيجة العملية الهامة التى انتهت اليها النقاشات هى أن يقوم الدكتور عبد الحميد ابراهيم باختيار مجموعة من القصص القصيرة التى تمثل الحركة الادبية فى مصر ، وتعطى فكرة عن الاجيال المختلفة ، وتبرز اتجاهات القصة القصيرة المصرية واشكالها المتنوعة مع مقدمة دراسية نقدية لهذه القصص ومؤلفيها .

وكانت الروح الطيبة التى لمسها العالمان المصريان وراء حماسهما لدفع عجلة التعاون فى مجال التبادل الثقافى بين البلدين اذ لمسا فى كل من التقيا به من دارسى الادب العربي من الصينيين رغبة شديدة فى الفهم وتعاطفا عميقا مع العرب ، مما يجعل حركة الاستعراب فى الصين حركة هامة جدير بكل الجهات المعنية أن تتوجه اليها بنفس التقدير والتعاطف .

## مسرح

● ٢ تحت الارض

بدأ الشهر الماضى عرض مسرحية ( ٢ تحت الارض ) على خشبة المسرح القومى ، وهى من تأليف محمد سلماوى واخراج فهمى الخولى .. وقد استقى المؤلف موضوعها من سلسلة حوادث نشرتها الصحف عن انفجارات مواسير الصرف الصحى ، وسقوط البعض فى بالوعات المجارى ، وتدور المسرحية حول شاب وفتاة يسقطان بالصدفة فى بالوعة ، ومن خلال لقائهما يعرى المؤلف ازمة جيل كامل يرى كل شىء ينهار امامه ، ويكشف عجزه عن نهضة مجتمعه بعد أن تدهور كل شىء .

الشاب والفتاة يسقطان فى الوقت الذى كانت تجرى فيه مراسم افتتاح خط جديد للصرف الصحى ، وامام مظاهر التردى والتصريحات الكاذبة ، تقودهما رغبتهما فى الاصلاح الى اتهامهما بتكدير الامن العام والقيام باعمال تخريبية تهدد استقرار البلاد ، وهكذا تتم محاكمتهما وسجنهما فى البالوعة !

والسؤال الذى ساله وكان من ورائه اتهامهما ، سؤال بسيط عن المواطن المصرى ( ليه هوه عندكم مواطن من الدرجة الثانية ، كل احتياجاته الاساسية غير متوفرة .. ) والمسرحية تمتلىء بعد ذلك بكم وافر من الاسئلة عن اوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويستخدم المؤلف لذلك كل ما يعن له حتى اخبار الصحف وحوادثها لكى يعطى دلالات على الواقع ، ويحذر من الطوفان القادم الذى قد يقتلع معه الاخضر واليابس ، فنحن نقرأ مع بطليه ( الاستيلاء على ملايين الجنيهات من البنوك دون ضمان ـ ضبط محاولة تهريب مخدرات بخمسين مليون جنيه عبر حدود مصر الشرقية ! ـ زوجة رئيس جمهورية مصرى سابق تجمع تبرعات فى أمريكا لاسرائيل ـ حوادث عن الابناء الذين يذبحون اباءهم والعكس) .. وتدور أسئلة البطلين حول ( الحمى القلاعية ـ اللحوم الفاسدة ـ المياه




المـوثة ـ اللبن المشـبع ـ القمامة ـ المجارى ـ المواصـلات ـ التليفونات ـ رغيف العيش ـ الضرائب ـ المرافـق ـ الخدمات ) » البلد بقت مهجورة واللا ايه فين المختصين ، زى ما يكون النـاس كلهم سدوا ودانهم ، ما حـدش عاد بيسمع شكاوى الناس ··· الواحـد عايش حياته لا فى الشغل المنـاسب ولا السكن ولا قادر يتجوز ولا يفتـح بيت ولا قادر يلبى احتياجاته اليومية·· يبدو اننا جيل اتحرم من الحياة الكريمة ومن الموتة الكريمة كمان ) وهما يحلمان بعزة بلدهما ( مصر العروبة والاسـلام التى هزمت الصليبيين ·· مصر الثورة اللى رجعت البلد تانى لاصحابها وحققت الكفاية والعـدل وتكافؤ الفرص واممت القنال وبنت السد واقامت اول وحـدة فى تاريخ العرب الحديث ) ·

وكل هذه المعانى الكبيرة التى تتردد فى جنبات المسرح لابـد انها ستشعرك بالحبور والغبطة ولكنها تظل اسـيرة الاراء التى يلقيها الخطباء ويكتبهـا الملقون وينفعل لها المستمعون والقراء، لأن الدراما شيىء اخر مختلف ، يمـكن بالطبع ان تحمل الدراما كل هذا ولكن بعد توظيف ذلك داخلها ، فما اسهل ان تصبح الشخصيات ابواقا للمؤلف يقول من خلالها افكاره ورؤاه واحلامه وما اسهل ان يعتلى الخطباء واصحاب الراى خشبات المسارح ويدلى كل بدلوه !

ويبدو ان محدودية الحدث الـدرامى ولا منطقيته ، هى التى اوقعت المسرحيـة وساقتها فى طريق المباشرة والخطـابية·

وقد نلاحظ ان هذه سمة ظاهرة فى اعمال المؤلف ، وهو خير من يقدر عـلى الوقوع على افكار جميلة ، ولكنها تظل دوما حبيسة الاندهاشة الاولى ، فانـت دون شك سـتتحمس لما يقوله ابطـاله ويرددونه ، وقد تنفعل فتصفق لمقولات هنا وهناك، ولكنك ابدا لا تتاثر وجدانيا، رغم مشوار ، وجذوة اشتعاله خافتة، والتعاطف مع مع شخصياته ضرب مـن المحال ! فلا يمكن ان يختلف عاقل حول آمال واحلام بطله « لازم نرجع الحلم تانى رغم كل الحملات الموجهةوالمدعمة والممولة اللى حوالينا واللىهدفهاانهم يقتلعوا من ذاكرة الشعب ده انه استطاع فى يوم من الايام ، انه يحلم بتحقيـق المجـد والتقـدم ، بتحقيق العـزة والكرامة ·· » وان يوافق على تاكيـده بان « الحملة الشرسة المستمرة معناها ان الشـعب اللى عايزين يحطمـوه ما بيتحطمش ، معنـاها ان اخضـاع الارادة الوطنية للبلد دى مابيتحققش معناها باختصار ان الشعب لسه برضه رافض يتنـازل عن الحـلم ، مصر الحضارة والتاريخ اللى نشرت المدنية فى العالم وقت ما كانت الدنيا كلها لسـه ظلام مش ممكن ده يبقى حالها » وكـل هذه كلمات عظيمـة وجميلة ، ولـكن المشكلة هى فى كيفية ان تقال علىخشبة مسرح يقدم عملا دراميا فى الاساس ، والذى نقصده لا يعنى التزاما بالارسطية او التقليدية ، ولكن المهم هـو البنـاء الدرامى الذى يعتمد اعتمادا رئيسيا على شخصيات حية من لحم ودم والتى تواجه مواقف حقيقية وليست مفتعلة وتجابه مشكلاتها بالفعل لا بالقول ·

ومن هذا الحوار ، ندلل على قيمة كل هذه الاراء التى يطرحها المؤلف عـلى لسان شخصياته والتى يمكن ان تـلقى المزيد من التقدير فى مكان اخر غـير خشبة المسرح ·

وقد نلاحظ ان المؤلف قد ادخل بعض

المواقف قسرا على عالمه الدرامي الساكن وحدثه المستكين تحت وقع الاراء المباشرة ، فنحن نعرف في الفصل الثاني ان الشاب قد تزوج الفتاة ، فنجد مشهدا طويلا يعود بنا الى الوراء لنعرف منه فقط كيف دخل المأذون البالوعة بواسطة عمال الصرف الصحي ولنستمع منه هو الاخر خطابا طويلا عن الزواج في الاسلام - ولم لا مادام الكل يلقي بالخطب - ونعرف ايضا ان الفتاة معيدة في احدى الجامعات ، فنجد المؤلف يستحضر مشهدا من الماضي كانت فيه الفتاة تعرض الزواج على الاستاذ المشرف على رسالتها وكيف نظر اليهما المجتمع وقتها ، وهو موقف كثيرا ما تكرر في الدراما المصرية ، ومسرحية الحكيم ( اريد هذا الرجل ) غير مجهولة ، وحين يقرأ الشاب في الصحيفة نجد المؤلف يستحضر افرادا من تحقيق صحفي داخل الصحيفة ( !! ) ليدلوا برأيهم مثل امين الحزب وزوبة الفوالة في حوادث المجارى التي تتابعها الجريدة !

وقد حاول المخرج فهمي الخولي توظيف ادواته كلها في اخراج الموقف الاستاتيكي من جموده بحركة الممثلين الوثابة السريعة وبالاداء العنيف احيانا وبالحيل المسرحية المفاجئة ، وبقلمه الذى لا يفتأ ان يعالج معظم اعماله التى يخرجها ، ومن ابرز ما ادخله على النص المكتوب تيمة دخول قوات الامن من صالة المسرح - وقد فعل هذا في مسرحيته ( الرهائن ) - وان كانت هنا تؤدى بشكل هزلي تماما بعد استعانته بممثلين مختلفي الاحجام في محاولة للسخرية تستمر طوال تواجدهم في العرض ، والمخرج من ابرع من خلق تشكيلات وتكوينات من لا شيء ، وقد كان دائم التجريب في اعمال لم تعرض على الجماهير بشكل كبير مثل ( كرابيج - الانسان والحرية ) وكان يوظف فيها اخبار الصحف والشعر في صياغة درامية يبدعها هو ومن معه بمهارة كبيرة ، واذكر انه بمجموعة احبال مدلاة من سقف المسرح كان يصنع الاعاجيب وببساطة اسرة ، ولكن يبدو ان روح المحترفين من ابناء مسرح الدولة في هذه المسرحية قد حالت من انطلاق موهبته الكبيرة التى تتجلى اكثر مع طاقم فني وممثلين يحبون المسرح ويعشقونه ، ومن اجمل المواقف التي جسدها الخولي وربط بينها وبين بزوغ الشمس في عمق المسرح حين كان البطل يقص حكاية سيدنا ادم الذى مات وذبلت الزهور حول قبره ، بما يوحي بدور عبد الناصر الوطني ، وتنويعاته الموسيقية المصاحبة على لحن ( الوداع ياجمال ) وهي نفسها بقعة الضوء التي كانت تظهر كشمس تحمل من ورائها الامل في المستقبل ، ورؤية الفتاة لها وهي تطل مساء كل يوم بين العمارات قبل ان تحتجب وتغرب •

وقد اضاف اشرف نعيم بتصميمه البديع لديكور المسرحية لمسات جمالية خالصة في تجسيده للبالوعة على خشبة المسرح ، واستخدامه ادوات وخامات لم يستخدمها احد قبله في المسرح المصرى ، هكذا كان في اعماله الاخيرة المتميزة ( باى عرب - عجبى ) ويفرش ارضيته بطبقة داكنة لامعة تعطى الاحساس بما في البالوعات من عفن ورطوبة ومياه ••

وظهرت براعة وفهم موسيقي عسر خسيرت في مزاوجته بين المؤثرات الطبيعية واللحن المعبر ••

وقد ادى محمود مسعود دور الشاب

بوعي شديد وعلى العكس كان أداء فاطمة التابعي سطحا بعد ان تعاملت مع دور الفتاة بخفة لا تليق ، وهكذا كانت نهيرامين في دور مذيعة التليفزيون والتي اضافت بمبالغتها فجاجة لاحد لها ، ويبرز من باقي الممثلين في حدود الانماط المرسومة أحمد فؤاد سليم ، زين نصار ، حسن العدل ، سعيد الصالح ••

والخلاصة أن هذا العرض يحمل هموما وافكارا جادة كثيرة ، تتذكرها كما تتذكر مقالا قرأته ، وتنساها مع هؤلاء الذين أرادوا الحياة تحت الارض !

محمد الشربيني

## معاجم

### ● معجم علم النفس

لقد ادت الدعوات المتكررة التي سادت في العشرين سنة الماضية يبذل الجهد في مجال الموسوعات والمعاجم العامة والخاصة الى نتائج باهرة بحيث يمكن القول بان السنوات الخمس الاخيرة شهدت عشرات القواميس والمعاجم والموسوعات الجديدة سواء في مصر أو المغرب او العراق او غيرها من البلدان حتى ليمكن القول اننا نعيش نهضة لاباس بها في هذا المجال ،

وضمن هذه النهضة المعجمية يأتي « معجم علم النفس والتحليل النفسي » الذى صدر منذ ايام قلائل عن دار النهضة العربية اللبنانية وقام بالاشراف عليه وراجعه وساهم فيه الاستاذ الدكتور فرج عبد القادر طه رئيس قسم علم النفس بجامعة عين شمس بمشاركة الدكاترة محمود السيد ابو النيل وشاكر عطية وحسين عبد القادر والعميد مصطفى كامل عبد الفتاح •

ويقول الدكتور فرج : نحن لا نكاد نحضر نقاشا او نقرأ في صحيفة أو نستمع الى اذاعة او نشاهد تليفزيونا الا ونجد تداولا متكررا لمصطلحات ومفاهيم استعيرت من علم النفس والتحليل النفسي ، وسواء أكان استخدامها في تلك المجالاتاستخداما صحيحا او محرفا ، ومن هنا وجبت الحاجة الى معجم يشرح لنا المقصود الدقيق من هذه المصطلحات وتلك المفاهيم حتى تكون هناك لغة مشتركة بين صاحب الحديث ومتلقيه، فيستقيم الفهم ، وتكبر الفائدة •

وعلىهذا الاساس فان هذا المعجم موجة للمثقف العام حتى يجد فيه بغيته من المعرفة العلمية التي تعينه - كما يضيف الدكتور فرج - على تحقيق قدر أكبر وادق من الفهم لما يستخدم من مصطلحات في علم النفس أو التحليل النفسي أو يقابله منها مستمعا او قارئا ، كما يجد فيه أيضا ما يشبع فضوله نحو معرفة المزيد من المعلومات النفسية والمعارف العلمية الدقيقة من ذوى الاختصاص•

وجدير بالذكر ان ترتيب مصطلحات هذا المعجم تمت على أساس الابجدية العربية ، كما تم تذييله بثبت اصطلحاته الانجليزية ، كما استن المؤلفون سنة طيبة هي ان وقع كل منهم في نهاية المصطلح الذى قام بعرض معناه ، والحقيقة أن الشرح الوافي لمصطلحات هذا المعجم يجعله اقرب الى الموسوعة وأن كان يمكن ان يصل الى هذا الهدف بقليل من التطوير وارفاق الصور والرسوم التوضيحية المطلوبة بالاضافة الى تعريفه بالاعلام والمذاهب بشكل اكثر اتساعا •

## مكتبة الهلال

الكتاب : رسائل العدل والتوحيد
تحقيق : د . محمد عمارة
الناشر : دار الشروق ٣٣٨٢ ص ٦ ج م .

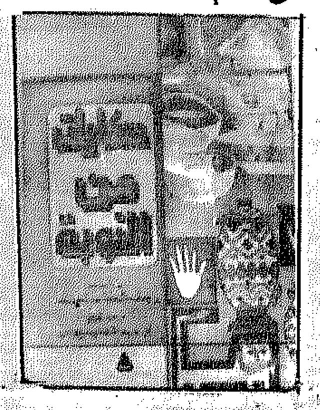
بين دفتي هذا الكتاب ثمانية نصوص من جواهر تراثنا العربي الإسلامي لاربعة من كبار الائمة هم : الحسن البصري ( ٦٤٢ ـ ٧٢٨م ) امام اهل السنة والقاسم الرسي ( ٧٨٥ ـ ٨٨٦م ) امام الزيدية ، والقاضي عبد الجبار ( ت ١٠٢٤م ) امام المعتزلة ، والشريف الرضي ( ٩٦٦ـ ١٠٤٤م) امام الاثنى عشرية .

وتتوزع النصوص فيقدم الدكتور عمارة « رسالة في القدر » للحسن البصري ،وخمس رسائل للقاسم الرسي هي كتاب اصول العدل والتوحيد ، والباب العدل والتوحيد ونفس التسبيه عن الله الواحد الحميد والاصول الخمسة ، والرد على المجبرة ،وفي التوحيد ، اما رسالة القاضي عبد الجبار فهي « المختصر في اصول الدين ، وياتي بعدها انقاذ البشر عن الجبر والقدر » للشريف الرضي .

وكعادته في تحقيقاته السابقة فان الدكتور عمارة ليقدم لهذه النصوص بدراسة وافية بها مقدمات بالمؤلفين ، وتقويم لهذه النصوص .

وفي هذه الدراسة المستفيضة يتعرض المحقق للقضايا الرئيسية التي تشكل جوهر مشكلة التراث بالنسبة لنا في عصرنا الراهن فهو يرى انه تراث متنوع .. جاء ونتج وتكون كثمرة عقلية ووجدانية لحياة امم توزعها شعوب مختلفة ذات بيئات متعددة ، وخلفيات حضارية متنوعة ، ومرت بها عصور وقرون واجيال متطورة » وهو يرى أن من الضروري نشر كل هذا التراث سواء في ذلك جانبه المتقدم او المتخلف لاننا، لن نستطيع الاستفادة المرجوة من جوانب التراث المتقدمة الا اذا بعثنا الى جانبها جوانب التراث المتخلفة وهو يدعو الى بعث نهضة جديدة لنشر التراث في مخطوطاته الاساسية التي لم تنشر بعد ، وعلى الاقل ، تلك الاعمال الفكرية الاساسية المعبرة تعبيرا كافيا عن القسمات الاساسية للتيارات الفكرية والمدارس التي حفل بها تراثنا .

كما يثير الدكتور عمارة عددا كبيرا من القضايا الهامة التي لا يغني قارئها مجرد اشارات سريعة لها بل يقضيه الان الرجوع الى النص الاساسي نفسه حتى تتم الفائدة .



الكتاب : حكايات من النوبة
تاليف : جمال محمد أحمد
الناشر : هيئة الكتاب ٢٥٠ ص ١٥٠ ق

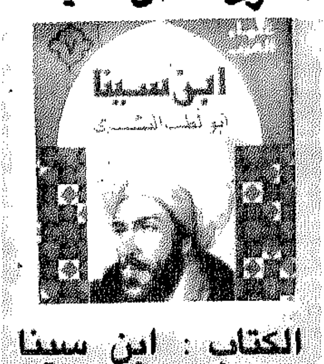
لعل البعض تاخذه الحيرة وهو يطالع نصا

من هذا النوع ، كتبه مؤلف عربي باللغة الانجليزية اخذ اصوله من العربية ثم يأتي مترجم عربي لينقله الى اصله العربي لكن ، هذه المرة في لغة الترجمة عن اللغة الاخرى •

ومثار الحيرة هنا هو ما يحسه القارىء من تفضيل المترجم لنقل النص الانجليزى ابتغاء الاستسهال دون الرجوع الى الاصل العربي وهو ما يفقد النص - في تقديرنا - خصوصيته وحرارته التى لا يمكن تعويضها عن الاصل •

على اية حال يقول لنا الدكتور عبد الحميد يونس ان هذه الترجمة قد جاءت نتيجة اقتراح من الدكتور مجدى وهبة ، كما يبين ان من « أهم مزايا هذه الحكايات ان الاستاذ جمال محمد احمد لم يكن يقصد اقتراحا مجرد نقلها الى الانجليز والاوربيين للتعرف بها ولكنه اختارها بحوافز الاديب الذى ينزع الى تحقيق ذاته ، وهو ما نجده فى حوافزه على الاختيار ، وفى بذل الجهد فى الوصول الى البنية الاصلية لكل حكاية من هذه المجموعة » •

هى اذن نصوص مسجلة بلغة المؤلف تدخل فى صياغتها بلغته الخاصة لذلك وجب القول انها نسخة جمال محمد احمد عن هذه الحكايات الشعبية صاغها بلغته حتى يعرف القارىء الى اى نص يتقدم ومع من يتعامل وليس قصدنا من ذكر هذه الحقيقة التقليل من شأن هذا العمل ، بل شرح ما هو ما مراد للقارىء على حقيقته •




الكتاب : ابن سينا
تاليف : سليم فياض
رسوم : اسماعيل دياب
الناشر مركز الاهرام للنشر ٥٦ ص ، ١٥٠ ق م

هذا هو الكتاب السابع من سلسلة الكتب النيرة التى توفر على تاليفها القاص المعروف سليمان فياض وقدم فيها ابرز العلماء العرب فى مجالات الطب والكيمياء والهندسة الطبيعية والانسانيات سيقدم فيها هذه المرة قصة حياة ابن سينا ابو الطب البشرى واحد عباقرة المسلمين الكبار الذى عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى ، وحفلت حياته بالصراع مع مناوئى افكاره ، فنراه وقد وصل الى قمة ثم نراه وهو يتذوق ويلات السجن •

قصة حياة نثرية كتبت باسلوب راق وسهل فى نفس الوقت يقدمها المؤلف لناشئتنا وان كان الكبار ايضا يجدون فيها الكثير من المتعة لانه سرد فيها الاحداث باسلوب درامى شائق اقرب الى العمل الفنى منه الى الدراسة او سرد سيرة الحياة •

## صدر حديثا

● عن الحرية اتحدث مجموعة مقالات للدكتور زكى نجيب محمود نشر دار الشروق
● برمثيوس طليقا تاليف شيلى وترجمة ودراسة د لويس عوض نشر هيئة الكتاب •
● الإسلام دين العلم والمدنية نص الامام الشيخ محمد عبده دراسة الدكتور عاطف العراقى ، نشر دار سينا للنشر •

●● حــــدث هذا فى حوارى الغورية . فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر: جمع الجوار فى الســــكن والصــحبة فى المقهى بين أصدقاء ثلاثة : يزيد المصرى الذى جاء القاهرة بعد أن هلك اهله اثناء اجتيــاح الحملة الفرنســــــية للاسكندرية، وعطا المراكيبى الذى يعمل فى دكان يملكه رجل مغربي ، زوجه ابنته واورثه الدكان ، والشــيخ القليوبى ، المدرس بالازهر .. « وشهد الرجال نابليون بونابرت على جواده وهـــو يسير على راس جنوده أمام المشهد الحسينى، وعاصروا تقلبات حملته ، وخاصــة ثورتى القاهرة .. وعاصروا بعد ذلك ولاية محمد علي ومذبحة المماليك ، والثورة التى احدثها الوالي فى البلد واهله .. » ●●

# حديث الحياة الحافلة بالألوان والظلال

بقلم : فاروق عبد القادر

هكذا تبدأ ثلاث « شجرات عائلة » ـ بالمعنى المحدد للكلمة حتى ليمكنــك ان ترسمها باللون الازرق ، ويـــروح نجيب محفوظ ـ بدابه المالوف ـ يتابع الفروع والاغصان ، الابناء والاحفاد ( ومن الاحفاد من لا يزالون يعيشون بيننا فى مصر ، أو خارجها ) .وهكذا أيضا ترتسم أمامنا جدارية هائلة من الشخصيات « الاحداث » في عدد قليل من الصفحات ،لا يكاد يتجاوز المائتين كل شخصية تضيف لسة هنا أو اخرى هناك . والروائي ممعن في حيـــادة الظاهر ، يرتب الشخصيات حســـب حروف الهجاء ، ولا ينسى ـ هو الموظف العتيق ـ أن يكتب الاسماء ثلاثيـة ـ وأحيانا رباعية ! ـ حتى تكتســـب شهاداتها الصدق والصحة ، ويقف بها عند رقم سيتكرر كثيرا ، وستكون لــه آثاره على الجيلين الثالث والرابــع : سبعة وستين . وعليك ـ بعد أن خلط لك الاوراق ـ أن تعيد ترتيبها فيسياق

تتابعها الزمني ، ثم أن تسأل السؤال الاساسي : وأين يختبيء الروائي الماكر؟

● ويحدث التمايز المحتوم منذ بداية البداية : أثناء جولات الغلامين الشقيقين داود وعزيز ـ ابني يزيد المصري ـ في حواري الغورية ، ينقض عليهما جنود الوالي محمد علي ، ادركوا الاول وفر الثاني ، وارسل داود الى المدارس ، ثم الى باريس حيث درس الطب ، ورجع من بعثته طبيبا سرعان ما حصل على الباشوية وأصبح من رجال العصر ، على حين بقي شقيقه ـ الذي نجا من هذا المصير ـ ناظرا لسبيل بين القصرين وتأسس في العائلة الواحدة فرعان ، أحدهما يتميز بالثراء والنفوذ والعلم ، ويسكن السرايات في الاحياء الراقية • والثاني يضطرب فيما يضطرب فيه أوساط الناس • بقيت بين الفرعين روابط المودة والقربى ، لكن الوجدان الطبقي راسخ تحت السطح الساكن ، ما أسرع ما يفصح عن وجهه الجهم المتعالي كالجذار •

ولئن كان هذا الفرع قد صعد بالعلم والثراء ، فثمة من صعد بالثراء وحده : بعد موت امرأته الاولى ، تزوج عطا المراكيبي من أرملة ثرية ، وبسرعة مذهلة صعد من طبقة لطبقة •• بنى السرايا الضخمة في ميدان خيرت ، وابتاع عزبة في بني سويف •• « والحق أن الثروة كشفت عن مواهبه الكامنة وقوة شخصيته ، كما هتكت حرصه وشحه وجشعه اللانهائي الى الثراء وبخلاف الفلنون فرض سيطرته الكاملة على امرأته والمتعاملين معه ، حتى شبهه الشيخ القليوبي بالوالي الذي جاء مصر جنديا بسيطا ، ثم تعملق فوق هامة امبراطورية مترامية ، بل كانت نهاية امبراطورية بني سويف خيرا من نهاية الوالي الف مرة •• » ، وفي ذريته كذلك اجتمع الفقر والثراء ، فابنته من زوجته الاولى وأبناؤها انطفأ املهم في أن يرثوا شيئا من ثروته المترامية ، وآلت كلها الى ابنيه من الزوجة الثرية •

وتمتد خطوط الفروع وتتشابك ، ما بين الغورية وبيت القاضي وبين السرايات وميدان خيرت ، جمعت بين الابناء علاقات القربى والتزاور ، وقامت بين فتيان وفتيات منهم علاقات حب اتسمت بما اتسم به الحب في ذلك الزمان ، اقل القليل منها انتهى الى التحقق ، وأكثرها حالت الطبقية دون تحققها ، ومن خلال هذه العلاقات ترتسم أمامنا صورة متكاملة للاوضاع الاجتماعية والطبقية في القرنين التاسع عشر والعشرين فعدد ليس قليلا من شخصيات هذا العمل لا يزالون يعيشون في قلب الحاضر ،

نجيب محفوظ



منهم بعض سادته ، الذين افادوا من «انفتاح السادات» حتى بلغوا قمة القمة ، ولعل ابرز ما كشفت عنه تلك العلاقات أن الفروع الارستقراطية قد لا تمانع في أن تهب بعض فتياتهـا للابناء النابهين من الفروع الاخرى ، لكنها - ابدا - لا تزوج ابناءها من فتياتهم ، حدث هذا في جيلين متتابعين!

● على أن اهم الملامح في هـذه الجدارية الرائعة يمثلها خطان يسيران معا ، جنبا لجنب : الموقف من أحداث التاريخ المصرى في اهم لحظات تحوله من ناحية ، ثم انتقال التراث الشفاهي الغيبي من جيل لجيل ، من الناحيـة الاخرى :

ان اهم لحظات التاريخ المصرى تحدد سلوك الشخصيات ، من حيث هي كذلك ، ومن حيث هي دلالات لمواقف طبقية محددة ازاء الاحداث . يسرى على الثـورة العرابية مثلا : ان عطـا المراكيبي - الصاعد بقوة وسرعة نحو القمة - قد حدد موقفه منها بوضوح قاطع : « لم تغز الثورة العرابية وجدانه من مدخل وطنى ، ولكن من زاوية املاكه وامواله ، فلما صعدت موجتها حتى ظن لها النصر المبين اعلن تأييده لها ، وتبرع بشيء من المال طاويا الامه في صدره ولما تكالبت عليها القوى المعادلة ولاح فشـلها في الافق اعلن ولاءه للخديو .. » ، ولما شعر الرجل بأن يمضى نحو النهاية التى لا مهرب منها ، قدم لابنه خلاصة تجربته ، ودستور طبقته التى قامت اسسـها ورسخت دعائمها : « اعتبر العزبة وطنك .. وحذار من الخطب والشعر »:

لا عجب اذن أن أعلن ابنه دوريشـه القوى - عقب ثورة ١٩١٩ - انحيـازه للملك ، لا لسعد ولا لعدلي ، وقـال بافصح بيان : « لقد انتهت اللعبـة ، فلا تتصور أن الانجليز سيغادرون مصر ، ولا تتصور أن مصر تستطيع أن تعيش بغير الانجليز .. » لا عجب .. مـرة ثانية ، فنحن ازاء كاتب يؤمن بالوراثة ودورها ايمانا كبيرا ، ويتابع - بصبر غريب - انتقال ملامح الجدات والامهات للحفيدات والبنات - أن كان من ابنائـه ضابط شرطة اشتهر في عقود الانقلابات السياسية بالعنف الشديد في مواجهـة المتظاهرين ، وكان هذا العنف خيـر تزكية له عند القصر والانجليـز ، ولا عجب - مرة اخيرة - أن يرتحل ابنـاء هذا الضابط الثلاثة بعد موت عبـد الناصر : اثنان الى أمريكا والثالث الى السعودية !.

على الجانب الاخر ، تحمس الشيخ معاوية القليوبى للثورة العرابية» ومال الى تيارها وأيدها بالقلب واللسان ، ولما فشلت الثورة واحتل الانجليـز مصر ، قبض عليه فيمن قبض عليهم ، وقـدم للمحاكمة ، فقضت عليه بالسجن خمسة اعوام .. » ، صحيح أن الشيخ خـرج من سجنه ليجد نفسه غريبا في دنيا غريبة ، ولم يجد عينا تنظر اليه بعطف ، لكن الصحيح كذلك انه ذاب ، في قلب التاريخ وتحلل نسيجه ، واصبح في الضـمير الشعبي بطلا ، يضاف في هذا الوجدان الى عنترة والهلالي وال البيت .

انما من احفاد الشيخ معاوية سيتالق شباب وطنيون في ثورة ١٩١٩ ، ونجوم من ضباط يوليو ١٩٥٢ ، وشـهداء في المعارك التى تلت قيامها حتى اكتـوبر ١٩٧٣ .



ثورة ١٩١٩ الهمت نجيب محفوظ العديد من الروايات

عن هذا الخط يمكنك القول ان نجيب محفوظ قدم لونا من التاريخ الفني لاهم نقاط التحول في تاريخ مصر المعاصر ، من مجيء الحملة الفرنسية حتى مصرع السادات، تاريخ لا ترويه وقائع جافة، بل نسيجه شخصيات من لحم ودم ووراثة واكتساب وتعليم ومصالح ، عاشت متاثرة بهذه النقاط الفاصلة ، تصوغ حياتها في ضوء نتائجها ، وهي تدرى أو لا تدرى . في هذا التاريخ لا يبدو الروائي المتظاهر بالحياد محايدا، لكنه يهب افضل المصائر لهؤلاء الذين انحازوا للثورة الوطنية في تجلياتها المتتالية، وأسوأ المصائر - خارج ارض مصر غالبا للاجيال الجديدة التي طحنتها ٥ يونيو وتهاوى الاحلام - ان اختاروا الوقوف على الجانب الآخر من الخندق، آية كشف الروائي عن وجهه الحقيقي يتمثل في تاريخه لثورة ١٩١٩ وزعيمها، هذا الكشف يحدث من وراء اقنعة متعددة للشخصيات التي عاصرتها ، ولعل اصدق الكلمات واقربها اليه ..: « بلغ قمة انفعاله في ثورة ١٩١٩ ، وعشق زعيمها ، واشترك في اضراب الموظفين، وحافظ على ولائه للزعيم رغم انشقاق اهم العظام عليه ، وتابع خليفة الزعيم - مصطفى النحاس - بكل وجدانه ، ووزع الشربات يوم عقد المعاهدة ، وأيد الزعيم بقلبه ضد الملك الجديد .. الخ » ..

يبقى الوجه الحقيقي لهذا الروائي، دائما ، يحوم حول تمثال سعد زغلول!

● الخط الثاني يبدأ من ذات البداية: ولدت جليلة في الربع الاول من القرن التاسع عشر وتزوجت الشيخ معاوية الذي كان قد بدأ حياته مدرسا في الازهر الشريف ، وقد عرفت بانها موسوعة في الغيبيات والكرامات والطب الشعبي ، وكأنما أخذت من كل ملة

بطرف ، بدءا من العصر الفرعوني ، ومرورا بالعصور الوسطى ، وحاول الشيخ معاوية ما استطاع أن يلقنها أصول دينها ، ولكنه من خلال المعاشرة الطويلة أخذ منها اكثر مما أعطاها ٠٠»

وقد عمرت جليلة حتى جاوزت المئة بعشرة أعوام ، عاصرت فيها فترة من حكم محمد علي،وعهود ابراهيم وسعيد واسماعيل وتوفيق والثورة العرابية وثورة ١٩١٩ ، ولم يرسب في أعماقها زمن كالثورة العرابية التي أعتبرت زوجها من أهم رجالها ٠ وما أكثر ما روت من بطولاته وسجنه لاحفادها، وذهببها الخيال في ذلك كل مذهب٠٠»

من بين ابنائها وبناتها ورثتها راضية ، هي التي تمثلت تراثهاورعته وأضافت اليه ، هي الام والجدة المؤسسة ،وتكادانتكوناكثر الشخصيات حظا من عناية الكاتب : « ان ما تلقته عن أبيها الشيخ لا يقاس بما تلقته عن أمها من الغيبيات والخوارق وسير الاولياء وكرامتهم وأسرار السحر والعفاريت،والارواح الساكنة في القطط والطيور والزواحف، والاحلام وتاويلها، وقراءة الطالع، والطب الشعبي،وبركات الاديرة والقديسين والقديسات ٠٠ » ، هي الوجدان الشعبي الحافل بكل الموروث ، وهي التي انطبعت على صفحتها أهم الاحداث : الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ ٠ « وسجلت فيقاموسها الخالد وليا جديدا اسمه سعد زغلول»، ومثل أمها عمرت راضية حتى جاوزت المائة ، وفي أثناء ذلك تحول الابناء الى

اسر ، وشب احفاد جدد ٠٠ » وسمعت بولي آخر اسمه مصطفى النحاس ، واخيرا آخر الاولياء الذين عاصرتهم جمال عبد الناصر الذى رفع احفادا لها حتى السماء ، وخفض اعزة منهم الى الحضيض أو السجن ، فراوحت بين الدعاء له والدعاء عليه ! »

من أبناء راضية وبناتها كان قاسم آخر العنقود ، وكان أخلص المستمعين لامه ، وأصدق التابعين لها فيأحلامها وجولاتها الروحية بين الجوامع والاضرحه ، « وكلما جمح به الخيال جود عندها الاذن الصاغية والقلب المصدق ٠٠ » ، منذ صباه تطلع نحو بنات الاسرة الجميلات بشهوة مستفزة قبل أوانها ، مع تدين مبكر وصلاة وصيام ، فتعذب دائما بين الحب والعبادة ، وسقط ذات يوم مغشياعليه، قال الطبيب ان صرع خفيف ، لكنهتطور ليصبح « اتصالا بأهل الغيب ٠٠ » ، وهجر قاسم المدرسة باستهانة ، وراح يتجول في الحوارى ، أو يطوف ببيوت أخوته وأخواته واقاربه ، وفي كلموقع يتناول المشروباتوينثر كلماته الغامضة تنبأ عن المستقبل كما يتراءى له ٠٠ وتجيء الحوادث مصدقة لنبوءاته حتى عرف بينهم بالشيخ٠ ومن شيخ اليولى « كأنه خلق للولاية » ٠٠ بدل بملابسه الافرنجية الجلباب والعباءة والعمامة واطلق لحيته ، وقسم وقته بيناستقبال زواره ـ الذينيحملون اليه الرزقالوفير ـ والعبادة ، حتى أمه ـ الاستاذة العريقة ـ أصبحت من تلامذته ومريديه، وتزوج واحدة من بنات أعمامه وهو في الثلاثين وأنجب أبنا واحدا ٠

هذا خط ينسحب ويتلاشى مع خطو الضياء والعلم ، ليس عبثا اذن انيكون هذا الابن الوحيد ـ وقد أسماه أبوه النقشبندى ! ـ كامل الصحة والزكاء،



سعد زغلول

تخرج مهندسا فى عام النكسة ،وأرسل فى بعثة الى المانيا الغربية قبيــــل السبعينيات ، وكانت حال البلد قــــد أرهقت صحته النفسية فقرر الهجـرة ، فالتحق بعمل فى مصنع للصلب بعــد حصوله على الدكتوراه ، وتزوج مــن المانية ، واستقر هناك بصفة نهائية ، « حزنت أمه لذلك ، اما قاسم فلم يكـن يحزن لشىء ! •• » •

● وقارىء نجيب محفوظ يعرف انه لا يخلو من قسوة ـ وهل خلت منهــا الحياة ؟ •• ، وقد يتذكر مصائر بعض شخصياته النسائية بوجه خاص ، على رأسهن عندى عائشة زهــــرة « بين القصرين » الجميلة المتفتحة للحب :وما آلت اليه من ثكل وترمل،ونفيسة ،التى جدلت خيوط مشنقتهامن الدمامةوالشبق واليأس والتطلع فى « بداية ونهاية »، أضيف اليهما هنا شخصيات عديدة : صديقة ، الجميلة المنتحرة فى « عــز الشباب واليأس والالم » ، وبدرية التى سقطت ضحية للصرع ابان تفتحهــا كالوردة ، وجميلة التى فقدت اسرتهـا كلها « بقضاء لا راد له » ، وحبيبــة التى ترملت وهى دون العشرين ، ثم فهيمة ، الجميلة المثرية خريجة الميردى ديبه » التى يحاكي مصيرها مصــير عائشة ، ان لم تفقها تعاســة ، والتى فقدت ذريتها بعد أن اكتمل لها الشباب والامل ••

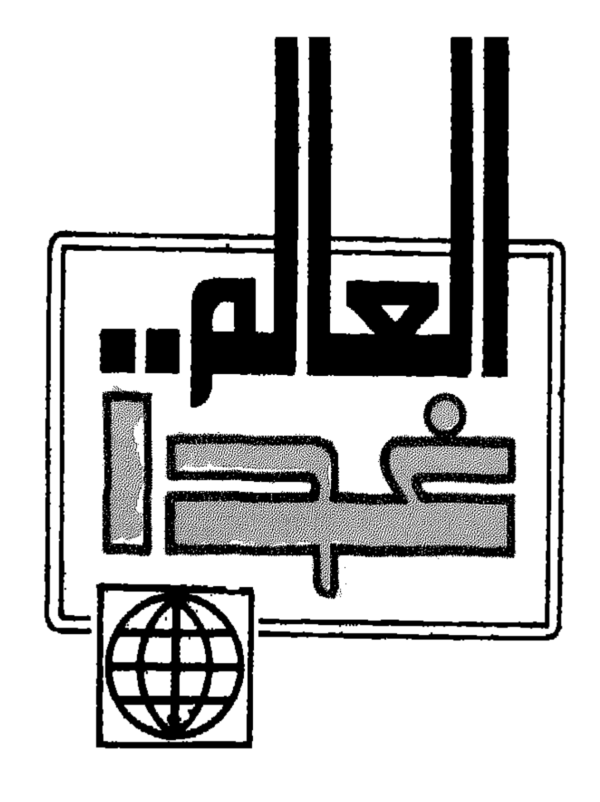
وقد لا تملك ـ مثلي ـ أن تحبس هذا السؤال : لماذا يحتفظ نجيب بهــــذه المصائر التعسة لبطلاته الجميــــلات المتفتحات للحب والحياة ؟ لماذا يجعل في انتظارهن دائما الثكل والترمل ، الموت والجنون ، وفى أخف الحالات العقــم والعنوسه ؟

● لا فن بغير شغل وصنعة ، وهنا شغل وصنعة : « حديث الصـــباح والمساء » اضافة ثمينة لقلب عالم نجيب محفوظ ، هى تمت بصلة واضــحة الى الى « الثلاثية » و « الباقي من الــزمن ساعة » و « ملحمة الحرافيش » ، من حيث هى رواية اجيال ، وتمت ـ مــن الناحية الاخرى ـ بصلة واضــحة الى « ميرامار » و « المرايا » ، من حيـث هى رواية شخصيات اثمن ما فيهـــا تفاصيل تلك الجدارية الهائلة •• والتى تجد فيها ـ كلما أمعنت النظر ـ اللون الواحد ، فى درجاته كلها ، يشغل مكانه مع بقية الالوان ، لا يتجاوز حيــــزه المحدد له فى احكام هندسى دقيق •

● اى صباح واى مساء ؟ •

صباح التاريخ المصرى الحـــديث ومساؤه ؟ •• صباح الميلاد ومســــاء الموت ؟ ليست هناك كلمة واحدة اخفيت بحذق بين المربعات البيض والسود ••

حديث الصباح والمساء ، هو حديث الحياة المتلئة بتناقضاتها التى لاتنى تتفاعل ، ملقية بحركة التاريخ الى امام، كلما أسفر مساء عن صــباح ، واقصى صباح الى مساء •




● رائد فضاء عربي ●

طار طاقم من الملاحين الكونيين مكون من السوفييتيين الكسندر فيكتورينكو (قائدا) والكسندر الكسندروف (مهندسا)، والمقدم السوري محمد فارس (باحثا) طار على متن واحدة من مركبات « سيوز » الى محطة الفضاء المدارية المأهولة « ميز »، في رحلة مخططة استمرت ثمانية أيام، انجز الطاقم خلالها، بالتعاون مع طاقم المحطة، برنامجا متعدد الاغراض.

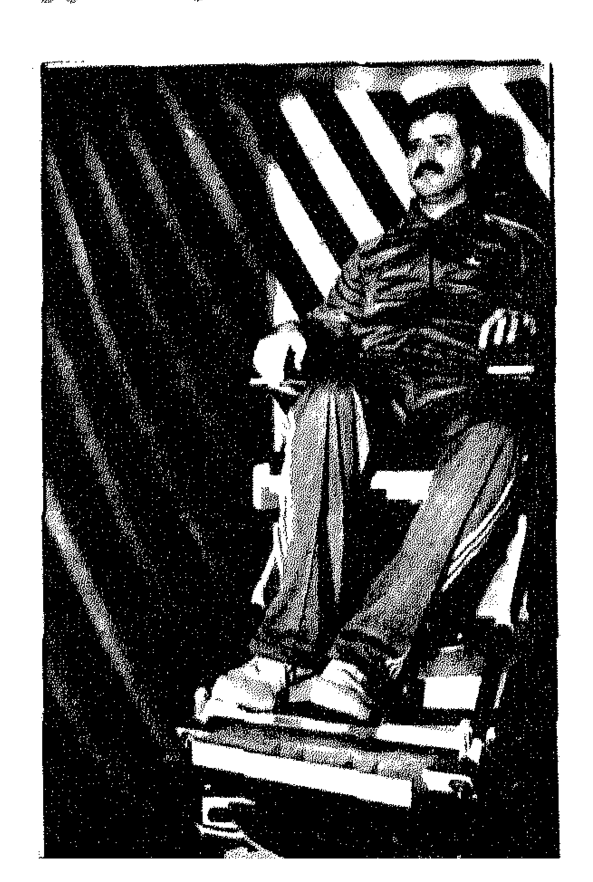
وبين الانشطة التي تضمنها البرنامج تجربة « فرات » للاستشعار من بعد، التي استهدفت دراسة حوض نهر الفرات والانكسار الافريقي، وغير ذلك من التضاريس الطبيعية، وذلك ضمن مسح شامل للاراضي السورية، بين أهدافه دراسة الموارد المائية والنفطية.

كما تضمن البرنامج تجربة « بالميرا » الخاصة بالبحث عن بدائل تركيبية تكون في متانة الفولاذ وأقل تكلفة منه، مثل سبائك النيكل والالومنيوم، وتجربة « أمافيسا » لتركيب بلورات الجوامد عن طريق الصهر، وذلك كله بالاستفادة من ظروف انعدام الوزن..

هذا كما استخدم جهاز « بصري » لدراسة طبقة الايونوسفير المتذبذبين ارتفاعي ٢٥ و ٢٥٠ ميلا في الغلاف الجوي، وذلك لتأثير هذه الطبقة على كثير من الظواهر والعمليات الارضية، تمتد من الاتصالات اللاسلكية الى حركة الاقمار الصناعية. وتعد هذه التجربة اسهاما في الجهود المبذولة لوضع نموذج دقيق للايونوسفير يتيح معرفة مواصفاته بدقة.

وقد دأب الاتحاد السوفييتي على

رائد الفضاء العربي محمد فارس



اشراك أجانب في رحلاته الفضائية منذ عام ١٩٧٨ كوسيلة لتحقيق صلات ثقافية وعلمية أوثق ، ولتشجيع علاقات التعاون بين الدول • ولم يقتصر التعاون في هذا المجال على البلدان الاشتراكية ، بل امتد الى فرنسا والهند ، وتشير بعض المصادر الى وجود خطط لرحلة يقوم بها باحث أرجنتيني عام ١٩٨٨، وثمة تلميحات عن دعوة لباحث بريطاني ••

المهم أن المقدم محمد فارس كان أول السوريين في ارتياد الفضاء الكوني ، وبذلك يكون ثاني رواد الفضاء العرب بعد الامير السعودي سلطان بن سلمان ، الذى سبق ان صاحب اطلاق القمر الصناعي العربي من على متن مكوك الفضاء الامريكي•

---

## ● تجميد المرضى في انتظار التوصل الى علاج ●

---

كانت شركة أمريكية قد أعلنت في الستينيات عن امكان قيامها بتجميد جثث من هم على وشك الموت من المرضى ، أملا في أن يتمكن العلماء يوما من اعادتهم الى عالم الاحياء وشفائهم ، بعد اكتشاف علاج لامراضهم • لكن الشركة لم تعرض يومئذ اى تصور عن وقاية أنسجة الجسم من الاثار الضارة للتجمد الناشىء عن التبريد •

وقد قام د• بول سيجال من جامعة كاليفورنيا ببعث الحياة من جديد في الفكرة القديمة « لتعليق » المرضى بين الموت والحياة ، حتى يحين وقت علاج وشفاء ما يعتقد حاليا انه من الامراض المستعصية •

ويقول د• بول سيجال انه تم التوصل الى سبل لوقاية الانسجة ، ترتكز فكرتها على الطريقة التى تحافظ بها حشرات القطب المتجمد الشمالي، والضفادع في شمال كندا ، على حياتها خلال الشتاء ، على الرغم من أن أنسجة اجسامها تبدو في صلابة الصخر بسبب تجمدها • وقد ظهر ان هذه الحشرات والضفادع تحافظ على حياتها بافراز بعض المركبات المضادة للتجمد ، والتى تحفظ الاعضاء والخلايا الحيوية من العطب رغم تجمد كل المياه الموجودة فيها • كما ظهر ان الضفادع لا تتنفس في تلك الحالة كما تتوقف قلوبها عن الخفقان ودمها عن الدوران ، لكنها تعاود حياتها الطبيعية مع ارتفاع درجة الحرارة •

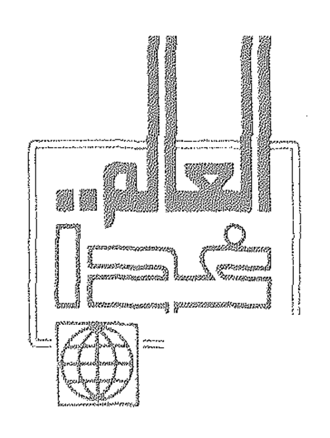
ويحاول د• سيجال منذ ٣ سنوات حماية حيوانات أخرى من اضرار التجمد باستعمال نفس المركبات الكيميائية • وقد تمكن أخيرا من تجميد كلب لمدة تزيد على ساعة ثم أعاده الى الحياة الطبيعية • ويعد د• سيجال حاليا لتطبيق التجربة على القرود توطئة للانتقال الى الانسان • وترى بعض الاوساط العلمية ذلك أمرا عاديا ، بالذات مع اللجوء الى تبريد أجسام بعض المرضى بالفعل لاجراء جراحات القلب المفتوح •

---

## ● لبناني يدافع عن حقوق الامريكيين ●

---

منذ ابتكار الوسادة الهوائية التى تنتفخ تلقائيا لوقاية صدر ووجه السائق عند الاصطدام •• منذ ابتكار هذه الوسادة ، قبل ما يزيد على ١٥ سنة، اوصت الحكومة الامريكية بتركيبها في كل السيارات




الخاصة ، كما أن الحديث عنها لا يخفت الا ليعاود الارتفاع من جديد ٠ والسبب هو اعتقاد الخبراء بأنها كفيلة بتقليص الوفيات فى حوادث الطريق بنسبة ٤٠٪ ٠

وبينما الصراع على أشده بين مندوبى الحكومة وشركات التأمين وشركات صناعة السيارات ، حول استخدام هذه الوسادة الغالية ( حوالى ٨٠٠ دولار ) ، تبنى رالف نادر ، وهو محام امريكي مشهور من أصل لبناني حملة للدفاع عن حقوق المستهلكين الامريكيين ، تطالب بتركيب الوسادة فى كل السيارات ، وعدم اعتبارها ميزة اختيارية ، والاكتفاء من هذا المنطلق بتركيبها فى ربع مليون سيارة سنويا ٠

والجدير بالذكر أن رالف نادر هو صاحب فكرة تعميم استخدام حزام الامان ، وقد حقق نجاحا ملحوظا فى هذا الصدد ، وصار استخدام الحزام اجباريا فى كثير من البلدان ٠

والطريف أن المحامى اللبناني الاصل يعرض عن كثير من المغريات المالية، ويقيم فى شقة صغيرة بواشنطن ، ويتبرع بأغلب دخله للانفاق على أنشطة الدفاع عن المستهلكين الامريكيين ، فضلا عن الهيئات الخيرية الامريكية ٠

الوسادة الهوائية تحمى السائق

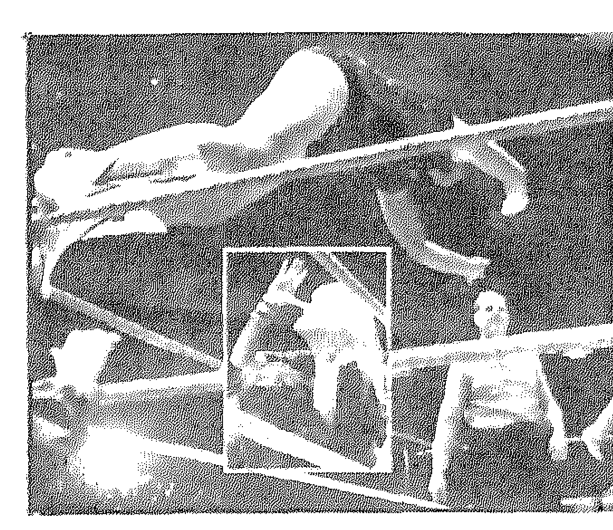


## ● النساء وألعاب الرجال ●

الارقام القياسية التى ضربتها بطلات ألعاب القوى هايكى ديخلير ( الالمانية ) وجيكى جويز (الامريكية) ومارينا ستيبانوفا ( الروسية ) وراكبة الدراجات جانى لونجو ( الفرنسية ) ٠٠ تثير الدهشة حقيقة حول الوتائر التى تتقدم بها الرياضيات وما يتمتعن به ليس فقط من اصرار وقوة تحمل ، كما كان شائعا من قبل ، بل وقوة عضلات أيضا ٠

وتؤكد هذه الانجازات التفوق الذى حققته السباحات العالميات اللاتى ضربن منذ زمن بعيد الارقام الاولمبية لجونى فويملر ، الذى مثل افلام طرزان بعد اعتزاله السباحة ٠

لكن ما يبعث على التأمل حقا هجمة ممثلات الجنس اللطيف المتزايدة على مواقع الرجال فهن لم يكتفين بكرة القدم أو الجودو بل التحمن المبارزة التى ظلت لوقت



نساء اقوى من طرزان

طويل ميدانامقصورا على الرجال ،ثم ها هن اخيرا يقتحمن ميدان رفع الاثقال وبطولاته !!

والطريف ان الجنس اللطيف دخل مجال تحكيم العاب رجالية بحتة مثل الملاكمة والمصارعة ، فالالتفية انيتا زارس تمارس تحكيم مباريات الملاكمة منذ زمن ، بينما تحكم الامريكية شيلا ويجر مباريات المصارعة !! ويلاحظ من يتابعون المباريات التي تحكمها النساء ، تحول اللاعبين الى موقف اكثر طاعة ، كثيرا ما يقدم اللاعب بعد المباراة ، حتى اذا كان مهزوما ، على تقبيل يد « المحكم » تعبيرا عن امتنانه ، واعترافا بمهارتها وعدم تحيزها •

## ● المشى يقوى الذاكرة ●

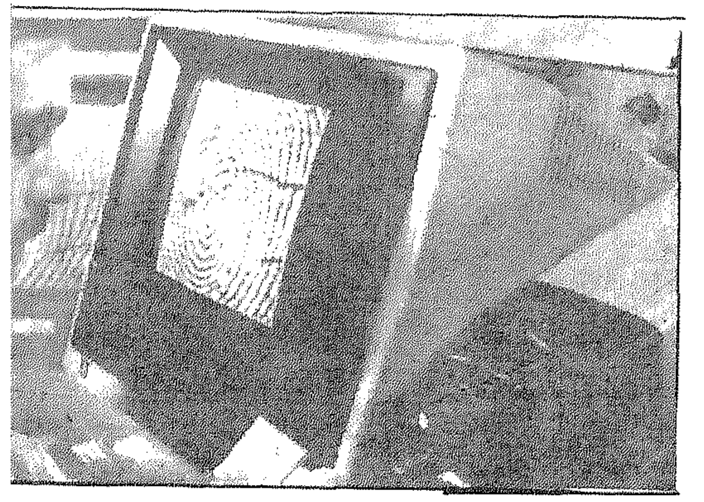
انتجت احدى الشركات الامريكية جهاز كمبيوتر يعمل بثلاث واربعين لغة اجنبية فى نفس الوقت ، بهدف استخدامه فى محطات الاذاعة ، لمتابعة الاحداث العالمية •

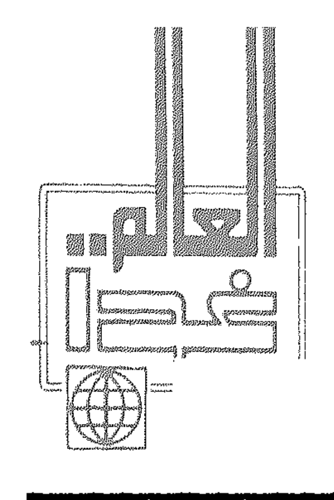
● توصل خبراء جامعة ادنبرة باسكتلندا الى وسيلة حديثة لتحليل بصمات الاصابع الكترونيا ، وتخزين المعلومات بها فى الحاسب الالكترونى مما يسهل الرجوع عنها والكشف عن صاحبها •

● اكدت دراسة اجراها الاطباء السوفييت ان المشي يساعد على تجنب الامراض وان عدم الحركة يصيب العضلات بالضمور مما يؤدى الى اختلال عمل القلب ، وبالتالى الى نقص تغذية المخ وضعف الذاكرة والمناعة ، وفقدان العظام لبعض مكوناتها • واشارت الدراسة الى ان هناك فوائد كبيرة للمشى لم يتسن اكتشافها بعد •

● تدرس بريطانيا تطبيق نظام المراقبة الالكترونية على المساجين الذين ارتكبوا جرائم بسيطة ولا يميلون الى العنف • وطبقا لهذا النظام يرتدى المعاقب جهازا الكترونيا صغيرا يبث اشارات الكترونية تمكن من مراقبته فى اطار منطقة معينة وفى حالة محاولته الهروب تقوم اجهزة الاستقبال باخطار البوليس لاعتقاله • وجدير بالذكر ان بعض الولايات الامريكية تستخدم هذا النظام العقابى بنجاح •

مراجعة البصمات بالكومبيوتر






## الفضاء من اجل الصحة

اقترح د· برنارد لون عالم الفيزياء الامريكى ، الرئيس المؤسس لمنظمة الفيزيائيين الدولية لمنع الحرب النووية ، اقترح انشاء خدمة خاصة ببث المعلومات الطبية عن طريق الاقمار الصناعية ·

ويقول د· لون ان هناك حاجة ملحة فى الاقطار النامية الى تلقى أحدث ما توصل اليه العلم من انجازات ، فى مجالات مثل منع الحمل والرعاية الصحية للطفل والامراض المعدية ، من قبيل مرض الايدز ·· هذا كما ان كليات الطب فى عدد من هذه البلدان فى أمس الحاجة الى الحصول على المعلومات ، لنقص القدرة المالية ، وعدم التمكن من الحصول على المجلات الطبية الدورية عند صدورها ·

ولهذا بادر د· لون بتأسيس منظمة « الفضاء من أجل الصحة » التى تستهدف الى استخدام تكنولوجيا الاتصالات عن طريق الاقمار الصناعية لتبادل المعلومات الطبية ، ويحبذ د· لون اطلاق قمر صناعى خاص الى مدار قطبى منخفض ، يمكن من توفير الاتصالات ، وبثها الى أى مكان على سطح الارض ،

وفى اطار هذا النظام تقوم المحطات الارضية التى تتكلف الواحدة منها نحو الف دولار بتتبع القمر الصناعى أوتوماتيكيا ، وتكون كل منها قادرة على الاتصال به ٤ فترات يوميا ، تدوم كل منها ١٥ دقيقة ، يمكن خلالها نقل ما يقرب من ٦٠٠ صفحة من أى نص ·

وقد تشاورت المنظمة الجديدة مع منظمة الصحة العالمية ، لتحديد الاحتياجات التى يفى بها هذا النظام· وتحمست الاخيرة للاستفادة من امكانيات الاقمار الصناعية فى حالات الكوارث الطبيعية ، وفى مجال نقل المعلومات بين العاملين الصحيين المعزولين فى القرى البعيدة مثلا ·

وعلى الرغم من صعوبة تمويل البرنامج ، وغير ذلك من العقبات ، يأمل د· لون فى أن يصبح القمر الصناعى الخاص بالنظام حقيقة واقعة ، خلال السنة المقبلة ، التى تحتفل فيها منظمة الصحة العالمية بالذكرى الاربعين لتأسيسها ·

ردعلى مقال

# من الرواية البوليسية إلى رواية التجسس

بقلم : محمود قاسم

**فى شهر ديسمبر** الماضى نشر الاستاذ الدكتور الطاهر **احمد مكى مقالا** فى الهلال حول (( الرواية البوليسية)) **تناول فيه نشأة** هذا النوع الادبى من الرواية واهم كتابها وسماتها ، ثم توقف عن الحديث حول هذا النوع من الرواية مع حلول سنوات الحرب العالمية الثانية وكأن هذا النوع لم يشهد جديدا قط . ويومها راودتنى الرغبة فى الكتابة ردا على ما جاء بالمقال الذى يتضمن اشارة حول الاتجاهات الحديثة فى ادب النوع .. والسمات التى تتسم بها الرواية من خلال كتابها الحاليين . مع ذكر بعض الاسماء البالغة الاهمية التى لم يذكرها فى الحقبة التى تناولها . فلا يمكن الحديث عن الرواية البوليسية دون ان نذكر آرثر كونان دويل . وايضا اوجين سووبوانسوان دى تراى صاحب ((روكاميول )) .. ثم اغفال الكاتب ذكر اعمدة هذا الادب فى النصف الاول من القرن العشرين مثل اجاثا كريستى، وجورج سيمنون ، وداشيل هاميت وابنون سسنكلير وجيمس كان وآخرين ..

ومن النظر الى المقال يمكن للمرء ان يتكهن بأن المصادر المعلمية التى رجع اليها **الكاتب** فى هذه الدراسة قد وقفت عند هذه الحقيقة وعند الاسماء التى ذكرها . فلم يأل على نفسه جهد البحث عن الاتجاهات المعاصرة فى ادب النوع والتى تشكل بالفعل الهيكل

ردعلى مقال

الحقيقى المتطور للرواية البوليسية خاصة ان هذا الادب قد امتزج بالاتجاهات الادبية الجادة وليس فقط بما يسمي بالرواية الشعبية • واتضح هذا بشكل واضح عند الكاتبة الامريكية المعاصرة باترشيا هايسميث التى صنعت ما يسمى بالرواية البوليسية النفسية •

حدث نفس الشيء ايضا فى المقال الثانى الذى نشره الباحث فى عدد اغسطس حول رواية « التجسس » • ففى هذا المقال تحدث الكاتب عن تاريخ حركة الجاسوسية من الفراعنة مرورا بالتوراة واليونان القديمة وحتى العصور الحديثة ثم توقف الباحث ايضا عند سنوات الاربعينيات أو بالضبط عند رواية « عميلنا فى هافانا » للاديب الانجليزى جراهام جرين وكان أدب الجاسوسية لم يضف جديدا • رغم ان هذا النوع حتى تلك السنوات كان فى طوره التمهيدى ولم يكن قد قدم ابرز مبدعيه بعد • فقد دخلت الى هذا الادب اسماء هامة استطاعت ان تضع له اصوله وتقلل من هامشيته • وتعمق من اهميته • وتبعده عن النوع البوليسى الذى اقترن به حتى سنوات الاربعينيات • وسوف نذكر فى مكان آخر من المقال اهم هذه الاسماء •

## روايات من طراز اكس

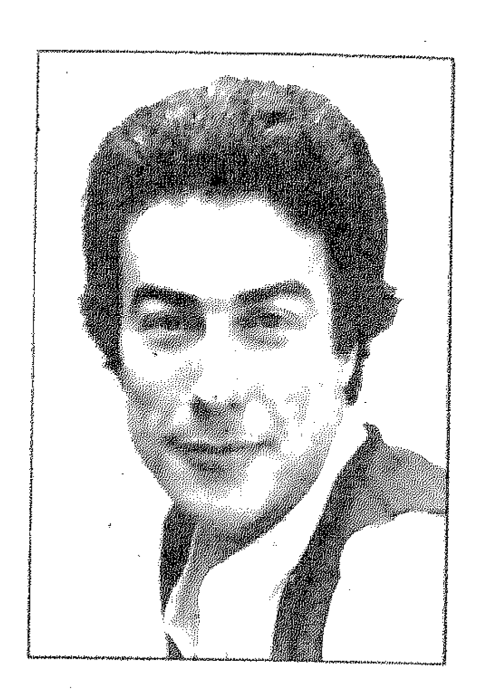
ورغم ان الكاتب حاول ايهام قارئه انه قد وصل الى احدث الانتاج الادبى فى هذا النوع عندما يقول : « بدراسة



جيمس بوند

الانتاج الروائى البوليسى فى الاعوام الاخيرة » • فاننا لم نعرف شيئا بالمرة عما حدث فى هذه السنوات سوى تقسيمات وهمية لم تعد موجودة، ذلك ان زمن التقسيمات قد انتهى الا فى حدود ضيقة للغاية •• مما يوضح ان المعلومات التى جاءت فى المقالين ناقصة الى اكبر حد ممكن •

من المعروف أن الاسبقية فى ادب النوع البوليسى او « الجاسوسى » قد جاء على ايدى الادباء الانجليز رغم الكم الهائل المنشور فى فرنسا مثلا • فلا يمكن ان نؤرخ للرواية البوليسية مثلا من خلال ما تنشره سلسلة كتب الروايات السوداء SERIE MOIRE رغم انها احتفلت منذ عامين بصدور العدد رقم (٢٠٠٠) وذلك ببساطة لان هذا النوع من الروايات اقل اهمية من الروايات البوليسية الحقيقية المنشورة خارج هذه السلسلة والتى يكتبها ادباء ذكرنا اسماءهم مسبقا • لذا اصطلح على تسمية هذا النوع من الرواية باسم رواية البولار



كن فوليت

POLARS تمييزا لهـــا عن الروايات البوليسية الجادة • فلم يحدث لكاتب جاد من ابناء النوع البوليسى او رواية الجاسوسية ان نشر رواية واحـــدة فى هذه السلسلة او غيـــرها من السلاسل الشبيهة وما اكثرها • وفى فرنسا مثلا فان الكتاب الجادين لهذا النوع ينشرون فى دور النشر المعروفة ثم فى سلسلة «كتاب الجيب» دون ان يقتربوا قط من سلاسل روايات البولار•

فالروايات المنشورة فى هـــذه السلاسل تنتمى اغلبها الى الدرجـــة العاشرة • وهى روايات اقـــرب فى طعمها وفائدتها الى حبات الفيشار • قد يكون لها طعم محبب لكنه سرعان ما يذوب فى الفم • لا يسمن ولا يغنى من جوع•• وخال تماما من اية قيمـــة غذائية • هى اقرب ايضا الى الافلام طراز « اكس» التى لا تروى لمتفرجيهـا اى ظمأ جنسى •

ومثلما فعل كتاب الرواية البوليسية الجادون • فعل ايضا كتـــاب رواية التجسس المهمون • فلم يقتربوا قط من النشر فى مثل هذه السلاسل • وذلك امعانا فى ابعاد عنصر الهامشية وايضا شبهة الالتصاق بهذا النوع ـ عن رواياتهم •• وتعال نعد معا بعض الاسماء الهامة فى روايـــة التجسس وجميعهم لم ينشر فى مثل هذه السلاسل فهناك انطونى هايد ، ولين دايتون من انجلترا • واريك امبلر وبيل جرانجية من الولايات المتحـــدة ، وفلاديمير كوستوف من الاتحاد الســـوفييتى ، وفلاديمير فولكوف من فرنســـا • كل هؤلاء ـ وغيرهم ـ يعرفون ان الكتب التى تنشرها « السلسلة الســوداء » مشبوهة السمعة • لذا حاول البعض اكساب هذا الادب شـــرعية حين تم انشاء اكاديمية الرواية البوليســية التى تمنح جائزة سنوية لافضل رواية تصدر خلال العام وذلك من اجـــل ابعاد كل الشبهات عن تفاهة هـــذا النوع لكثرة ما التصق به من تهم •

اما الادباء المعـــاصرون الثلاثة الذين اعطـــوا لرواية التجسس شرعية واهمية فمنهم جـون لوكاريه وايان فلمنج وكن فوليت وجميعهم من الانجليز • وهم مخلصون لادب النوع بمعنى انهم لم يكتبوا روايات اخـرى تنتمى الى اى نوع ادبى اخر • وقد سبق للاثنين الاولين ان عملا لفتـرة طويلة بجهاز الاستخبارات البريطانى وعندما تم تسريحهما مارسا كتـــابة الرواية التى تفضح خبايا هذا العالم• وتكشف ادق اسراره • فقد ابتدع كل منهما شخصية خيالية لجاسوس يقوم بمغامرات متتالية يوكل بها من قبـــل ادارته • وابتداع الشخصية الواحدة تتكرر فى عدد من الروايات ســـمة متوارثة عن النوع البوليسى كمـــا تعرف • فقد ابتدع لوكاريه شخصية الجاسوس العجوز « جورج سمايلى »

اما جيمس بوند الذى ابتـــدعه ايـان فلمنج فهو ولاشك احد مشـــاهير الرجال فى عصرنا ٠٠ وهو اكثـــر جاذبية وعالمية من مئات الجواسيس الحقيقيين ٠

## ر ، على الطريقة الموسادية

هذان الكاتبان معروفان للقـارىء العربى ٠ خاصة لوكاريه الذى دافع عن النضال المشروع لمنظمة التحـرير الفلسطينية فى روايته « الطبـــالة الصغيرة » - نشـرها عام ١٩٨٣ - فى مواجهة الاساليب الوحشية التى تمارسها الموساد ضد الفدائيين ٠ ولا اعرف لماذا لم تترجم هذه الرواية حتى الان الى لغتنا العربية ٠

تنبع اهميـــــة الكاتب الثالث - كن فوليت - فى انه يمثل بالنسبة لنا الوجه المضاد الكئيب من وجه مشرق هو صالح مرسى ٠ فرغـــم فوليت انجليزى فانه يبدو وكانه دعمـــل لصالح الموساد فى المقام الاول حيث خصص روايتين من رواياته الثـلاث لتمجيد الاستخبارات الاسرائيلية ٠

وهناك سمات مشتركة بين روايات لوكاريه وفوليت ففيها تمتزج الحادثة الحقيقية ببعض من خيال الكتـــاب ٠ مما يصنع مزيجا جـديدا وهى نفس السمة التى نلاحظها فى روايات صالح مرسى عن الجاســـوسية ٠ ويختلف فوليت فى أنه لم يعمل بجهـــــاز الاستخبارات البريطانى ٠ وسـوف نمر عابرا على بعض رواياته لنتعرف الوجه المضاد لصالح مرسى ٠٠ فهـذه الروايات الثلاث سياســـية فى المقام الاول خاصة أنه استقى احداثهمـــا جميعا من ملفات الاستخبارات الانجليزية والاسرائيلية ٠ رغم ان زمن الاحداث فى روايتين منها تدور فى الاربعينيات وهى سنوات لم يعشها الذى ولـــد عام ١٩٥٠ ٠

ففى رواية « ثقب الابرة » المنشورة عام ١٩٧٧ تحدث الكاتب عن جاسوس المانى يعيش فى انجلترا ٠ وعندمـــا يتمكن من معرفة اسم المكان الـــذى سيشن منه الحلفاء هجومهم الاخيـــر لتحرير فرنسا يسعى للعـــودة الى المانيا ٠ الا ان مطاردة الشـــرطة له تدفعه الى اللجوء لجزيرة صـــغيرة يتعرف فيها على اسرة ســـعيدة ٠ فيقتل عائلها الكسيح الذى يرتـاب فى امره ويقع فى غرام الزوجـــة التى لا تتورع عن اطلاق النار عليه عندما تكتشف مدى الخطر الذى يمثـــــله لاسرتها ٠٠ ولوطنها ٠٠

وهذه الرواية مستمدة من وقائـــع حقيقية حول جاسوس عرف باســـمه الحركى « ثقب الابرة » عاش سنوات فى لندن ٠ وكان قريبا من الفوهرر ٠ وهو احد اخطر جواسيس عصـــره ٠ استطاع معرفة خطة هجوم الحلفـــاء لتحرير فرنسا من ساحل كاليـــه ٠ وعندما تم اكتشافه قام الحلفاء بتغيير خطة الغزو الى شاطىء نورماندى ٠

وقد بيع من هذه الرواية اربعـــة ملايين نسخة ٠ كما حققت نجـــاحا كبيرا فى السينما حين اخرجهـــا ريتشارد ماركواند وقام ببطولتهـــا دونالدسوزرلاند ٠ و عرض الفيلم فى مصر منذ اربعة أعوام تحت عنـــوان « اخطر الجواسيس » ٠

اما روايته الثانية « ذو الوجـوه الثلاثة » فتدور ايضا حول حـــادثة حقيقية دارت عــــام ١٩٦٨ ، حيث ارسلت اسرائيل احد جواسيــــها للعمل على سرقة سفينة تحمل شحنة

من اليورانيوم تقدر بعشرين طنا فى سرية شديدة · ويدعى الكاتب ان اسرائيل قد لجأت الى هذا عندما احست أن مصر تتفوق عليها فى القوة النووية · فارادت ان تلاحقها · هذا الجاسوس الاسرائيلى اقام لفترة فى جنوب ايطاليا · لذا استعان فى مهمته ببعض رجال المافيا · وفى الرواية يستطيع العميل الموسادى ان يتغلب على رجل الاستخبارات المصرى ورجل الاستخبارات السوفييتى · كما ان هناك امرأة لبنانية بالغة الجمال تسقط صريعة هوى ناثان ديكشتين فتساعده فى انجاز مهمته · ويشير العنوان « ذو الوجوه الثلاثة » الى الجاسوس الفلسطينى واصف حسن الذى يعمل فى نفس الوقت لحساب الاستخبارات المصرية والروسية والفلسطينية ·

وقد احيطت بهذا الحادث سرية تامة حتى كشف النقاب عن خباياها فى عام ١٩٧٧ حين اذيع ان اسرائيل تمكنت من صناعة ثلاثين قنبلة ذرية تحتفظ بها فى صحراء النقب ··

اما رواية كن فوليت الثالثة التى استقى احداثها من واقعة حقيقية فاسمها « الاسم الكودى : ربيكا » ونشرها عام ١٩٨١ ·· وتدور احداثها فى القاهرة عام ١٩٤١ · فى ذلك الوقت الذى اقتربت فيه قوات روميل من طبرق · واصبحت القاهرة قاب قوسين من القوات الالمانية · لدرجة انه قيل ان سماء المدينة قد تلبد بالسحب السوداء لكثرة الوثائق التى أحرقها الانجليز خوفا من وقوعها بين ايدى الالمان · ومن اجل الحصول على بعض هذه الوثائق ارسل الالمان جاسوسهم اليكس فولف بهدف التسلل الى مقر الجيش البريطانى والعثور على الخطة التى سيقاتل بموجبها الجيش الثامن فى معركة العلمين الفاصلة · وكان فولف مجهزا على أحسن ما يرام لمهمته هذه · فلقد كان يجيد الانجليزية والعربية اجادة تامة · ويعرف حق المعرفة اين يمكنه الحصول على المعلومات التى يسعى اليها·جاء الى المدينة يحمل فى حقيبته الصغيرة جهاز ارسال محشورا فى نسخة من رواية « ربيكا » التى كتبتها دافنى دى مورييه · وفى القاهرة يقيم فى بيت راقصة مصرية تنقل له يوميا المعلومات الى روميل من خلال الجهاز الصغير ·

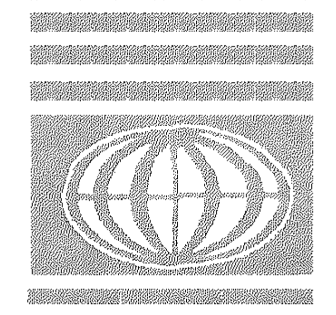
وفى القاهرة ايضا يختفى قائد كبير من الاستخبارات الانجليزية · مما يدفع حبيبته ايلين ــ وهى يهودية مصرية ــ ان تبحث عنه مستخدمة كل ما منحها الله من انوثة ودهاء · وفى رحلتها للعثور على حبيبها الانجليزى تتعرف على فولف فتفسد له مهمته ·

جدير بالذكر ان نشير ان الاسم الحقيقى لهذا الجاسوس الالمانى هو جون آبلر ··

وقد لوحظ ان المرأة فى روايات فوليت تلعب دورا مؤثرا · فهى التى تقتل « ثقب الابرة » قبل ان يقل مركبا يهرب به عن انجلترا · كما انها تساعد فى القبض على الجاسوس الالمانى فى القاهرة · وهى ايضا (!!) العربية التى تقع فى غرام عميل اسرائيلى فتسلم له انوثتها واسرارها

حاولنا أن نؤكد فى ردنا على الاستاذ الدكتور الطاهر مكى ان الاتجاهات الحديثة فى الرواية البوليسية · وايضا رواية التجسس قد اتخذت شكلا مغايرا لما تنشره السلسلة السوداء وشبيهتها · مما يعنى ان التعرف على هذه الانواع الادبية يستلزم الحديث عن أصحاب الشرعية فيها · وليس سكان الهوامش وحدهم ·

# العالم في سطور





## « له « مايا » والمعاصرة .. تكعيبية

تحتفل المكسيك هذه الايام بمرور ثلاثين عاما على رحيـــل فنانهـا التشكيلي الكبير ديجو ماريا ريفيرا ( ١٨٨٦ ـ ١٩٥٧ ) الذي يعد أبرز الطليعيين التشكيليين في أمريكــا الوسطى والذي مزج الفن التشكيلي الحديث بحضارتي أمريكا الجنوبيـة وهما « المايا » و « الازتيك » فخرج فنه جديدا في الشكل والمضمون .. يجمع بين الاصالة والمعاصرة .

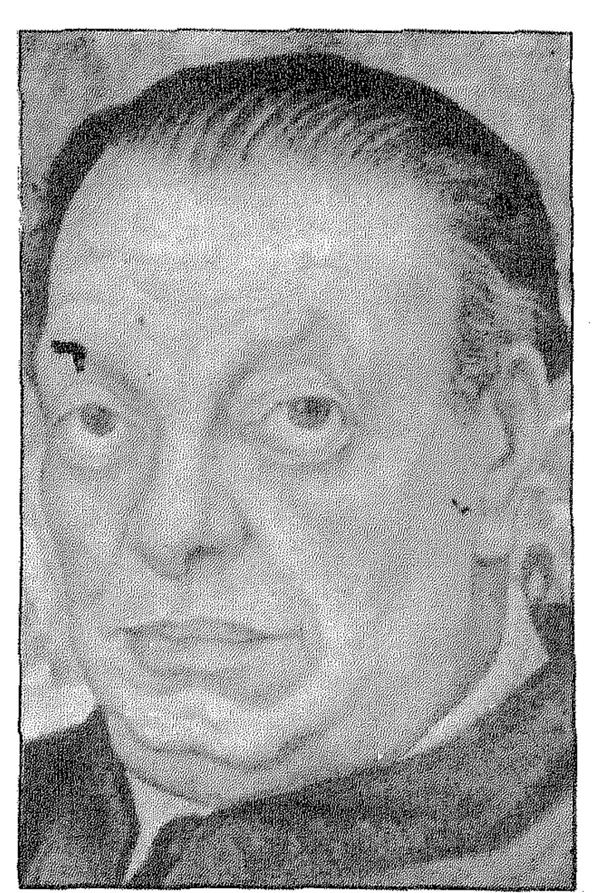
تلقى ريفيـــرا تعليمه الفني الاول في اكاديمية سان كارلوس المكسيكية قبل ان يرحل الى مدريد عام ١٩٠٧ ، ولكنه لم يستقر طويلا في العاصمة الفرنسية . حيث قام بجولة أوربيـة طاف خلالهــا فرنسا وبريطانيـا وبلجيكا وهولندا . وفي عام ١٩١١ استقر به المقام ق باريس حيث اتصل بفنانيها الكبار مثل : بيكاسو وبراك وديران وأبـدى اعجــابه بالمدرسة التكعيبية التي كانت في فجرها في ذلك الوقت .

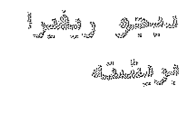
بورتريه تكعيبي رسمه الفنان عام ١٩١٥



في عام ١٩٢١ عاد الفنـــان الى وطنــه . وبدا يطـــالع فنون بلاده القديمة . ورويدا رويدا بدأ فنه يأخذ طابعا خاصا يتحـــد فيـــه التاريخ بالحـداثة بما تعلمه من الفنون في أوروبا .. فكان ريفيرا بذلك الجسر الذي عبرت عليه الفنـون المكسيكية الى اوروبا والولايات المتحدة . كما كان معبرا للتيارات الفنية الحديثة الى بلاده .

وقد زار ريفيرا الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٢٧ . وعمل بعـــدها في الولايات المتحدة حيث أنجز مجموعة





ديجو ريفيرا
بريشته



لوب مارين زوجة
الفنان . بريشته

من الاعمال الفنية لمؤسسة روكفلر في نيويورك · وشهدت هذه السنوات خصوبة وتنوعا كبيرا للفنان · حيث رسم لوحات الحائط ، وقام بتزيين جدران مبنى الحكومة · ف مكسيكو سيتى فى الفترة بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٤٠ · كما رسم اغلفة الكتب ، والبورتريهات ورسم المشاهد التاريخية · كما جرب ريشته فىرسم بعض الصور الخليعة ·

وخاض ديجو ريفيرا غمار العمل السياسى الى ابعد حد · ويضم تراثه الكثير من الكتابات السياسية حيث سافر عام ١٩٢٧ الى موسكو للمشاركة فى الاحتفال بمرور عشر سنوات على الثورة البلشفية ·

**لا تنبع اهمية الفنان فى تاريخ فنونالقرن العشرين فقط من انهحاول عقد مصاهرة بين الاتجاهات التشكيلية الاوربية التى ظهرت فى العقود الاولى من القرن وبينالفنون القومية لبلاده · ولكنها تتعدى هذا الى نجاحه فى خلق سمة مميزة لفنه · يصعب منها تصنيفه ضمن تيار معروف ، ولكنه يوصف عادة بأنه « واقعية جديدة » لا تعبر الا عن عالم ريفيرا الخاص وحده ·**




## لوس انجلوس

### ● الموت .. لا يقتل المشاهير

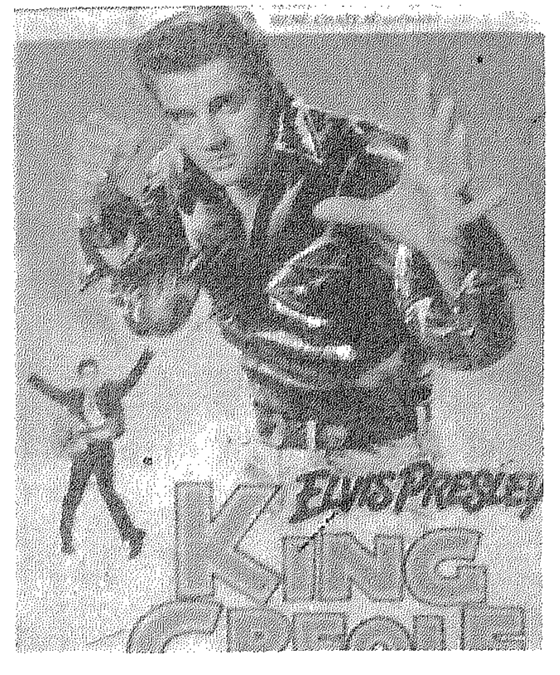
الغناء في الغرب .. موجة .. وهوجة .. سرعان ما تأتي عليها رياح النسيان فتضع صاحبها مهما كانت شهرته في ركن مظلم مجهول . فتحس كأنه لم يكن يوما ذلك النجم الصداح الذي الهب أحاسيس ومشاعر هذه الجماهير المجنونة التي اشترت اسطواناته ورقصت على نغماته ، وقلدت حركاته .

حدث هذا لاغلب مطربي الفرق الغنائية العالمية الا .. الفيس بريسلي .

فبعد عشر سنوات من وفاته هاهو الفيس يتصدر أغلفة المجلات العالمية ـ وخاصة السياسية منها مثل نيوزويك ـ مؤكدا أنه كما عاش « ملكا » فانه لايزال يضع فوق رأسه تاج مملكة الروك آندرول ، بل والغناء في العالم . الفيس الذي حاولت فرق غنائية شهيرة أن تحطم هذا العرش .. فتحطمت وذابت مع الريح وبقي هو يغني .. وبعد أن مات سيطرت غنائيات بعينها على مسامع العالم .. لكن أصحاب هذه الغنائيات رحلوا وهم على قيد الحياة بينما بقي الفيس رغم انه مات .

الفيس .. لماذا ؟

لم يكن المطرب مجرد شخص



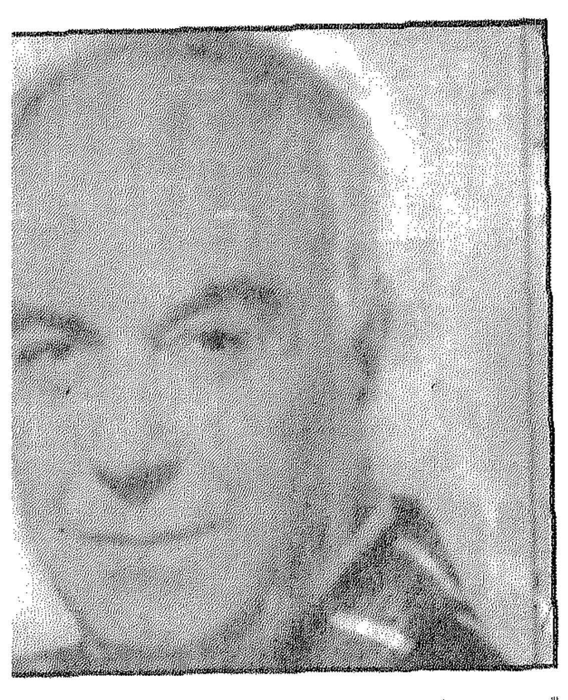

الفيس بريسلي . ملكا

يغني . بل كان رمزا لاشياء عديدة يمثل البساطة ، والرومانسية ، والوسامة والحياة العائلية المستقرة التي كان ينشدها كل أمريكي . كما انه نموذج لجيل خرج أسلافه من حروب طويلة دامية . فوجد نفسه يعيش في حرب باردة وسباق تسلح شديد بين المعسكرين . فآثر أن يرقص فوق قنبلة ارضية غير موقوتة التفجير .. فانحشر في الملاهي الليلية يغني ويرقص مع ملك الروك الذي أصبح ظاهرة عصره .

الفيس بريسلي الذي عاش اثنين واربعين عاما ترك وراءه حصادا لا ينضب منه ثلاثون فيلما سينمائيا وثلاثون مليون اسطوانة . وعشرة ملايين دولار . ومليارات المعجبين

•• وأموال طائلة تحصدها شركات الاسطوانات من مبيعات اغانيه •• وعشرات المحاولات الفاشلة لتقليده • وبالطبع حنين دائم الى سنوات الستينيات التى ملأها شدوا ••

**تنبع ايضا اهمية الفيس بريسلى بالنسبة للولايات المتحدة فى انه احد السلع الثقافية التي قامت بتصديرها الى العالم وصبغ ثقافة العالم بالروك اند رول على الطريقة البريسلية خاصة بعد أن تعسر ايجاد نجم آخر بديل له ••**



توجو مزراحي

## باريس

### توجو •• مصريا

فى هدوء اعلامى شديد رحل فى شهر يونية الماضى احد اكبر مخرجى السينما المصرية فى الاربعينيات دون ان يكتب عنه أحد ـ فى مصر ـ سطرا واحدا •• توجو مزراحى الذى اخرج للسينما المصرية اربعين فيلما لا تزال تعرض بين الوقت والآخر فى التلفاز ••

توجو مزراحى الذى رحل الى باريس منذ اربعين عاما لم يفكر أن يخرج خارج الاستوديوهات العربية فى مصر •• قدم للسينما افلاما قامت ببطولتها ام كلثوم « سلامة » ـ وليلى مراد فى افلام عديدة منها « ليلة ممطرة » و « ليلى بنت الريف » ، و « ليلى بنت مدارس » و « ليلى » • وفريد الاطرش فى «انتصار الشباب» كما اخرج العديد من الافلام التاريخية الراقية منها « الف ليلة وليلة » الذى عرضه التلفاز المصرى فى الشهر الماضى ••

كان توجو مزراحى ـ المولود فى الاسكندرية فى عام ١٩٠١ ـ اول من نبه سينمائيا الى خطورة الكوكايين فى فيلم صامت يحمل نفس الاسم عرض عام ١٩٢٨ • وكان اول من انشأ «ستوديو» سينمائيا فى الثغر وهى المدينة التى شهدت مولد صناعة السينما بمصر • وقد لعب دورا كبيرا فى اكتشاف العديد من المواهب الجديدة التى كان يميل فى التعامل معها •

جاء توجو مزراحى الى القاهرة فى عام ١٩٣٨ م. وأصبح انشط ابناء جيله من المخرجين • اذ قدم فى خلال سبع سنوات اكثر من ثلاثين فيلما اتسمت اغلبها بالجودة • كتب عنه صديقه حلمى رفلة انه عرف بحسن الخلق وحبه للمنافسة الشريفة • وأن المشوار الذى قطعه فى السينما المصرية جعله نموذجا رائعا لشباب السينما الجديد ، وتجربة عصامية لواحد من جيل الرواد الاوائل الذين نفخر بهم دوما •

# العالم في سطور

## لنـــــــــدن

### ● رسائل ادبية سرية

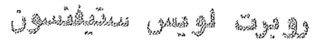
ما زالنا نؤكد ان أدب الرسائل هو تقليعة السنوات الاخيرة فقد راح الناشرون يبحثون فى ادراج الادباء المشهورين عن الرســـائل الخاصة التى قاموا بكتابتها او جاءتهم من اشخاص آخرين ·· واعتبروا ان هذه الرسائل مفتاح جيـــد للدخـــول الى عقل الكاتب ووجدانه ·· وقلبه ··

هذا الشهر صدرت مجموعة من الكتب تضم مجموعة كبيرة من الرسائل المتبادلة بين الادباء لعل اهم كتابين صدرا هما « صـــداقة أدبية » الذى ضم رســـائل تبادلها الكاتبـــــان الانجليزيان روبرت لويس ستيفنسون صاحب « جزيرة الكنز » و « دكتور جيكل ومستر هايد » وبين « هنرى جيمس » صاحب رواية « ما تعـــرفه مايسى » وقد أحتوت اغلب الرسائل المتبادلة بين الرجلين على اراء كل منهما فى أدب الآخر · فبينما وجد جيمس ان صديقه يكتب عن اماكن واسعة وارض لم يطأها بقدميه فان ستيفنسون قد شغف بميدان واشنطن – أحد عناوين كتب جيمس – والحياة الامريكية كما صـــورها ابن وطنه المهاجر الانجليزى الذى آثر الاقامة فى الولايات المتحدة ··

رسائل الصـــداقة الأدبية الثانية بودلت هذه المرة بين الكاتبة الفرنسية انابيس نين والامريكى هنرى ميللـــر



هنرى جيمس



روبرت لويس ستيفنسون



فى كتاب يحمل عنوان « كراسات سرية » . وتنبع أهمية هذه الرسائل فى كشفها مدى الارتباط الشديد بين الكاتبين اللذين أطلقا العنان لقلميهما فيما يسمى بالأدب المكشوف . وقد ضمت الرسائل حكايات خاصة لميللر عن علاقاته الحسية بزوجاته الصغيرات فى السن . أما انانييس فقد تحدثت عن اسرارها التى باحت بها لمحللها النفسى وقالت انها امرأة اقرب الى الليدى تشاترلى التى لم تحتمل زوجها . وانها قد كابرت أحاسيس هنرى بالقياس الى ما عرفته من احاسيس اقل تدفقا .

من بين الكلمات التى كتبها ميللر لصديقته انابيس :

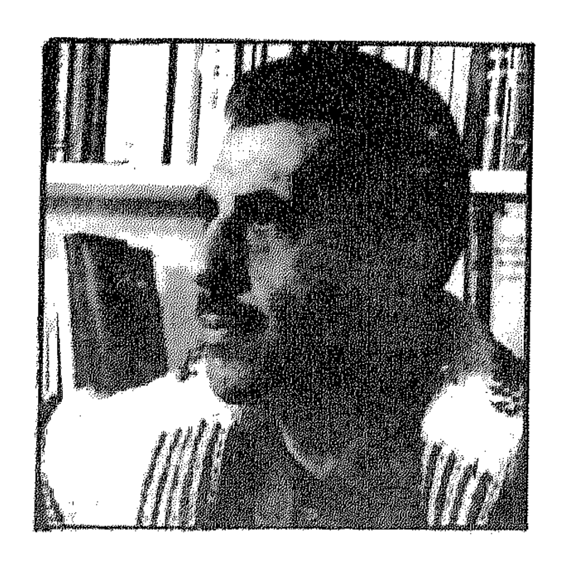
« انت بالغة التواضع . انت لا تقدرين مدى ما منحتينى اياه . وما منحته لى زوجتى جان . فانا يمكن ان انساها مع نساء اخريات . اما انت . فاننى يمكن ان اعرف الاف النساء ، ولكن لا يمكن ان انساك »



كابـــول

● الموهبة .. والحمية الوطنية

اثارت رواية « كاركوش » للكاتب الافغانى ادريس شاه السؤال عن العلاقة بين حمية لحظة الانفعال وموهبة الكاتب وعطائه .. فقد اكد بعض النقاد ان حماس الكاتب للهجوم على الاحتلال السوفييتى لبلاده كان اقوى من موهبته وهو يقدم الرواية التى بدت دعائية فى



ادريس شاه

اجزاء كثيرة منها .. فهناك علاقة بين الابداع والحمية التى تستبد بالكاتب ..

يتحدث ادريس شاه فى روايته عن مهندس افغانى شاب اقل مبالاة بما يحدث من حوله . الا انه يتحول الى ثائر متمرد فينتزع مجموعة من المجاهدين والثوار ويقوم بمهاجمة قوات الاحتلال السوفييتية . لذا فان الجزء الاعم من الرواية يتحدث عن العمليات الفدائية التى تقوم بها جماعته الصغيرة عبر جبال وعرة .. وطرق شاقة .. وباسلحة بدائية وعزيمة قوية وايمان راسخ . ووسط ظروف مناخية صعبة ينجح المهندس الشاب فى شن هجماته المتتالية دون أن يخسر الكثير من جنوده ..

تقع الرواية فيما يزيد على ٤٥٠ صفحة . وقيل انها اقرب الى روايات الوثائق التى تستحث مشاعر القارىء واثارة تعاطفه قدر الامكان .

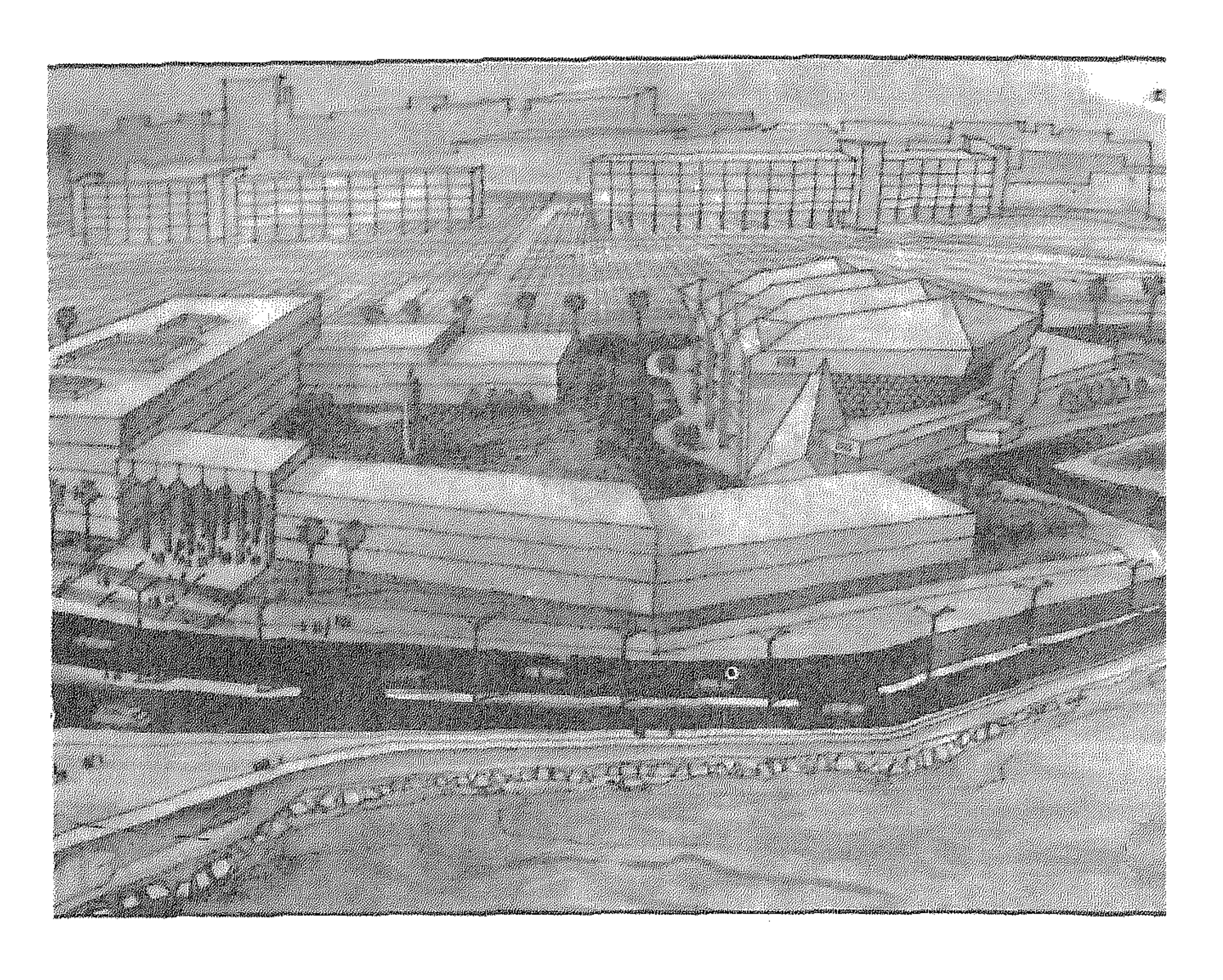
# هل ستعود للإسكندرية مكتبتها من جديد؟

تحقيق: هبة عادل عيد

ظلت المكتبات الكبرى عبر التاريخ رمزا للتطلعات الروحية للانسان ودليلا على حضارته . وقد كان بالاسكندرية القديمة مكتبة حفظت تراث العالم كله لبضعة قرون ، وكانت مكانا مميزا باختلافه عن البيئة المحيطة بها يسودها دفء وطابع من الود اضفاه العلماء الذين كانوا يقيمون فيها باستعدادهم الدائم لتقديم العون لكل من يدخل هذا المكان .

اكتسبت مكتبة الاسكندرية شهرة كبيرة لم تحظ بها مكتبة من قبل واعتبرها القدماء اكبر مكتبة فى العالم القديم وتوافدوا عليها من كل انحاء الدنيا حتى بعد اندثارها باكثر من الف وخمسمائة عام وظلت مكتبة الاسكندرية هى المكتبة الوحيدة التى مازال العلماء يبحثون تاريخها ، ويؤلفون عنها الكتب ، ومازال الخلاف حول مسئولية حرقها وتدميرها دائرا . والسبب فى كل ذلك أنها لم تكن مكتبة فقط ولكنها كانت منبرا حضاريا ومعهدا للبحث والاساس الذى قامت عليه جامعة الاسكندرية فيما بعد ، وظلت طيلة سبعة قرون تحمل لواء الثقافة بما لم تفعله اية مكتبة اخرى فى العالم .

وقد ثارت منذ شهور بعض الاصوات والاراء تدعو الى اعادة انشاء مكتبة الاسكندرية القديمة وتبنى الدعوة بشكل رئيسى الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين .. وقال انها خطوة لاعادة الوجه الحضارى المميز لمدينة الاسكندرية .. واقترح اكتتابا عاما داخل مصر لجمع تبرعات



شكل تفصيلى للمشروع الخاص بمكتبة الاسكندرية الجديدة

المواطنين للمساهمة فى تنفيذ المشروع • وتحمس كثيرون للفكرة • وكتبت عدة مقالات تتبنى فكرة ضرورة اعادة انشاء المكتبة ، وعقدت عدة ندوات حول تاريخ المكتبة ونشاتها ، وما حوته من مخطوطات وأهمية احيائها من جديد • شارك فى هذه الندوات العديد من اساتذة الجامعات فى مصر •• ولكن كان الحضور الاكثر من الاساتذة فى جامعة الاسكندرية ، على اعتبار انهم الاقرب الى الفكرة والمكان •

وبعد فترة ليست طويلة •• بدا كان الدعوة الى اعادة انشاء مكتبة الاسكندرية قد خفتت بعض الشىء ثم تلاشت ••

وفى محاولة لمعرفة ما أسفرت عنه تلك الدعوة كان لابد من مقابلة د • لطفى دويدار الرئيس الاسبق لجامعة الاسكندرية اكثر المتحمسين للفكرة و « دينامو » المشروع ـ كما يطلقون عليه ـ و د• فريد مصطفى رئيس جامعة الاسكندرية ، وبعض الاساتذة الذين شاركوا فى الندوات حول الموضوع •

ويقول د• لطفى دويدار رئيس

# هل ستعود للاسكندرية مكتبتها من جديد؟

اللجنة التحضيرية القومية للمشروع:
مازلنا رغم كل ما كتب وما قيل عن هذا الموضوع فى مرحلة الدراسات الاولية سواء بالنسبة للتمويل او المكان ، لذلك افضل الانتظار لمدة عام على الاقل حيث تكون امور كثيرة قد اتضحت » ..

● مشكلة التمويل

وفى محاولة اخرى لتوضيح الامور يقول د. فريد مصطفى رئيس جامعة الاسكندرية عن المكان المقترح لتنفيذ المشروع وتمويله والمراحل التى سيمر بها ..

« فى تصورى انه مشروع ضخم جدا .. ولابد من اتخاذ الوقت الكافى للاعداد له جيدا . واتصور ان المشكلة الاولى التى واجهتنا هى مشكلة تحديد موقع انشاء المكتبة والمكان المقترح - حتى الان - هو الارض الواقعة بمنطقة السلسلة والتى تطل على كورنيش الميناء الشرقى للبحر المتوسط . وتبلغ مساحة الارض ٤٠٫٠٠٠ متر مسطح وتقدر قيمتها بحوالى ٦٠ مليون دولار . ولتقريب مكانها بالنسبة للقارىء نقول انها مجاورة لقاعة المؤتمرات التى تم انشاؤها اخيرا ، واعتقد ان هذا الموقع مثالى لانه يكاد يكون نفس موقع مكتبة الاسكندرية القديمة » .

اما عن مشكلة التمويل الضخمة التى يتطلبها انشاء مثل هذا المشروع فيقول عنها د. فريد مصطفى تكلفة المشروع الاجمالية تقدر بـ ١٦٠ مليون دولار ، منها ٦٠ مليون دولار قيمة الارض و ٦٠ مليون دولار قيمة المبانى و ٤٠ مليون دولار قيمة الكتب والمعدات اللازمة . ومصادر التمويل متعددة فجامعة الاسكندرية هى التى ستقدم الارض وستقدم الخبرة للعاملين فى المكتبة ، ثم سيجرى اكتتاب عام داخل مصر يواكبه او يليه اكتتاب عالمى ، ذلك بالاضافة الى المنح الخاصة التى ستقدم من الجهات العلمية والمؤسسات المتخصصة والجامعات الكبرى » .

وبالنسبة لمراحل المشروع يقول د. فريد مصطفى :

« اتفقنا بشكل مبدئى على أن يتم تنفيذ المشروع على اربع مراحل :

المرحلة الاولى : مرحلة الدراسة التى ستقوم بها اللجنة التحضيرية القومية برئاسة الدكتور محمد لطفى دويدار رئيس جامعة الاسكندرية الاسبق ، ثم تاتى مرحلة الدراسة التى ستقوم بها اللجنة التحضيرية الدولية ، والمرحلة الثانية هى دراسة التصميمات المقدمة وجمع التمويل ويقوم بهما المجلس الدولى لادارة المشروع . والمرحلة الثالثة هى مرحلة التنفيذ التى سيقوم بها المجلس التنفيذى للمشروع .

ثم نصل الى المرحلة الاخيرة فى المشروع - والتى نتمنى أن نصل اليها سريعا وهى مرحلة ادارة المكتبة وستقوم بها بشكل رئيسى جامعة الاسكندرية » .

وقد تردد أن اليونسكو سيكون لها دور كبير فى تنفيذ المشروع واكد د. فريد مصطفى على فعالية دور اليونسكو لدفع المشروع الى الامام ، وقال : « ان اليونسكو قد اقرت المشروع ووافقت عليه مبدئيا ويعنى ذلك ادراجه ضمن المشروعات الدولية التى تبناها ، كما انها ستشارك فى

عمل الدعاية اللازمة ، وستساعد فى الحملة الدولية لجمـــع التبرعات ، وستوالى ارســال الخبراء اللازمين فى مراحل التنفيذ المختلفة » ٠

وعن موعد بدء التنفيذ قال د٠ فريد مصطفى انه لم يتحدد بعد موعد نهائى لبدء العمل بالمشروع ٠٠ وأرجو أن يتم ذلك قريبا ٠

● جامعة أم مكتبة ؟!

وفى لقاء مع بعض الاساتذة الذين تحمسوا للفكرة وشاركوا فى عـــدة ندوات حول مكتبـــة الاسكندرية ٠٠ ومنهـم د٠ فوزى الفخرانى الاستاذ بقسم الحضارة ـ كلية الاثار ـ الذى اكد على ضرورة تحديد مفهوم المكتبة ويرى انها لم تكن مكتبة فقط ولكنها كانت جامعة ، ولم تكن جامعة بالمعنى الشائع حاليا ، ولكنها كمـا يقول : « ٠٠٠ كـــانت جامعـــة على غرار الجامعة التى اقامها الثرى الامريكى « دومبارتون أوكس » فى واشـــنطن اى انها مبنى كبير يقيم فيه العلماء الذين جاءوا من كل انحاء العالم ، يطالعون ويتدارسون أحدث الكتب فى المكتبة الملحقة بهـــا ، وفى المســـاء يقيمون ما يشـــبه « السيمنار » أو حلقة بحث ونقاش لابحاثهم والكتب التى قرأوها ، وأتصور ان جامعـــة الاسكندرية كانت شبيهة بذلك ، وانها انشئت فى الاساس من أجـــل جذب العلماء من الممالك الاخرى ليستقروا فى الاسكندرية ولا يضـطروا للسفر بحثا عن العلم فى بلدان اخرى » ٠

ويضيف د٠ فوزى الفخـــرانى : « لذلك فمن الضرورى أن نحدد مطلبنا بوضوح من الجهات التى نريد منها المشاركة فى تمويل المشروع ، ولقـــد سمعت البعض يطالب بالتمويل من أجل اعادة احياء جامعة الاسكندرية محدثين بذلك نوعا من الخـــلط ، لا اتوقع أن تكون نتائجه ايجابية ، فلن تساهم جهة حكومية أو غير حكومية فى المشروع لانه سيجيئنا الرد ببساطة بانه لدينا جامعـــة ٠ لـــذلك ارى انـــه يجب ان نتمسك بكلمة ومفهوم المكتبة التى يراد بها خـــدمة الجامعات ، على مســـتوى راق ومتقدم لا تتيحه مكتباتنا اليوم » ٠

وعن مشـــكلة التمويل يقول د ٠ فوزى الفخـــرانى : « فى رأيى أن الحماس لاى مشروع هو الـــذى يـــأتى له بالتمويل ، وفكرة الاكتتاب والتبرع فكرة جيدة وطموح لانهـــا تستثمر هذا الحماس ، ولكنها ـ واقعيا ـ ليست كافيـــة ، فبالاضـــافة الى مساهمات الافراد يجب أن نقوم بجهد كبير لاقناع العالم كله بجدوى اقامة مثل هذا المشروع ، وموافقة اليونسكو عليه هامة جدا ، لانها ستكون أول خطوة جادة على طريق التنفيـــذ الفعلى ، فضلا عن ان الدعاية هـامة جدا لتدعيم المشروع معنويا وماديا ٠

وحول الورقة التى قدمها فى الندوة التى عقدت عن المكتبة قال : « بحـــكم تخصصى تحدثت عـــن الاهمية الحضارية والاثرية لمكتبة الاسكندرية القـــديمة ، وقلت أن هذه المكتبة تصـــبح المنارة العلمية الاولى من فراغ ذلك ان البطالمة لجأوا الى كل الطرق لضم المخطـــوطات لمكتبتهم وبلغ حرصهم الشديد على ذلك الى انهم اقاموا ما يشبه « حجـــرا » على السفن المحملة بالكتب ٠ فكانت كل سفينة تأتى الى الميناء يتم تفتيشـــها ومصادرة اى كتاب بها ليتم الاحتفـــاظ به فى المكتبة وذلك بعـــد كتابة نســـخة منه تقدم الى صاحب الكتاب مع بعض التعويض المالى ، وذلك ادراكا منهم لمدى الخطأ او التحريف الذى يمكن حـــدوثه للنسخ على من الاجيال ، ومما يـــدل

## هل ستعود للإسكندرية مكتبتها من جديد؟

ايضا على ان هذه المكتبة النادرة قد ضمت النسخ الاصلية لكل كتب هذا العصر » ·

### ● اسس علم المصريات

ويقول د· محمد على أبو ريان أستاذ الفلسفة بجامعة الاسكندرية : « اكتتاب المواطنين شيء ضروري وهام بالاضافة الى تمويل اليونسكو والعالم كله ، وفى رأيى ان الاستفادة بخبرات الدول العريقة فى مجال الثقافة هام للغاية ولنبدأ بالاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وفرنسا » · وحول البحث الذى ألقاه فى الندوة قال :

« لقد ركزت على ما كانت تحتويه مخطوطات مكتبة الاسكندرية من نفائس لا تقدر بثمن ، وقلت ان مكتبة ارسطو التى كانت اثينا تفخر بها ·· كانت جزءا من مكتبة الاسكندرية القديمة ـ وان كان بالطبع ـ الجزء المهم والذى تأثرت به المكتبة لفترة طويلة من الزمن حتى أن البعض كان يطلق عليها مكتبة أرسطو ، لتأثرها الواضح بمنهجه · والذى قام بشراء مكتبة ارسطو هو ديميتريوس الفاليرى ـ تلميذ ارسطو ـ وصاحب اقتراح انشائها ، واشتراها من اثينا لرغبته فى المحافظة عليها من الضياع ، فقد كانت أكبر مكتبة شهدها ذلك العصر ، لذلك اعتبرت أعظم مقتنيات مكتبة الاسكندرية ، وكانت السبب الرئيسى فى شهرتها ـ فى نشأتها الاولى على الاقل » ·

ويضيف د· محمد أبو ريان « وبالاضافة الى ذلك ضمت المكتبة مخطوطات نادرة أشهرها على الاطلاق جهود الاسكندريين فى مجال ترجمة الكتب غير اليونانية الى اليونانية ، وهى ترجمة التوراه المعروفة باسم « الترجمة السبعينية » والتى لا تزال موجودة حتى اليوم ، وتعتبر أوثق نص للتوراه ، وقد سميت بهذا الاسم لانه قام بترجمتها اثنان وسبعون من رجال الديانة اليهودية بعد ان تم الفصل بينهم وجلس كل منهم فى غرفة مستقلة حتى انتهوا من عملهم وقورنت الترجمات الاثنتان والسبعون بعضها ببعض فتطابقت جميعها كلمة كلمة » ·

تلك كانت محاولة لالقاء الضوء على الدعوة التى علت ثم تلاشت لاحياء مكتبه الاسكندرية القديمة التى أنشأها الملك بطليموس الاول فى مطلع القرن الثالث ق· م· والتى ضمت اكثر من نصف مليون مخطوطة أصلية ·· من اندر مخطوطات العصر القديم · أيضا ضمت مجموعة كبيرة من لفائف برديات الادب المصرى القديم ، حيث اهتم البطالمة بنقل تراث المصريين الى اللغة اليونانية ليقرأه علماء المكتبة من الاغريق ويتعرفوا على تراث وحضارة البلاد التى يقيمون به ولعل أهم ما قاموا به فى هذا المجال هو تكليف الكاهن المصرى « مانيتون » بتأليف كتاب باللغة اليونانية عن مصر الفرعونية ، وقام « مانيتون » فى كتابه بتقسيم التاريخ المصرى الى ثلاثين أسرة مازال معمولا به حتى اليوم ·

فهل يمكن ان تكون هذه دعوة لمناشدة الاصوات التى دعت وتحمست للفكرة·· ان تواصل دعواها ·· ومتابعتها المستمرة ·· حتى لا نتهم باننا شعب المشاريع الكبيرة المتوقفة دائما !!··

قصة ديون مصر الخارجية
من عصر محمد على إلى اليوم - ٨

# ديون السادات في سنوات الرخاء

بقلم : د. جلال أمين

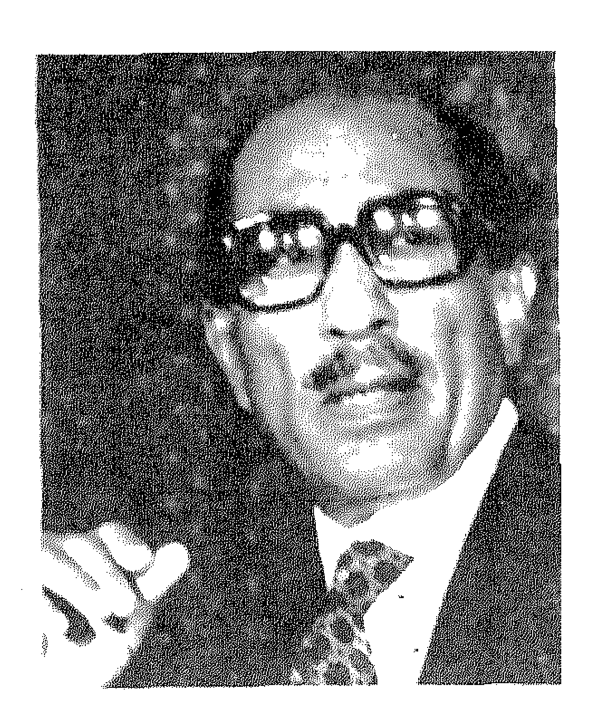
في ١٩٧٥ فوجيء السادات ، أو هكذا قال ، بالوضع الاقتصادى الخطير الذى تمثل في عجزه عن الوفاء بمبالغ طائلة من القروض قصيرة الأجل . واستخدم السادات حينئذ في وصف حالة الاقتصاد المصرى انه « بلغ درجة الصفر » ، وتعلل باعذار غريبة منها ان احدا لم يخبره من قبل بخطورة الأمر . ومنها ان الأرقام التى عرضت عليه كان يظن انها بالدولارات ثم تبين له فيما بعد أنها بالجنيهات الإسترلينية [١] .

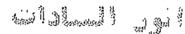
كنا قد راينا من قبل ، ان الخديو اسماعيل كان قد اكتشف بدوره قبل ذلك بمائة عام ( ١٨٧٦ ) ان الخزانة المصرية خاوية وانه عاجز عن الوفاء بديونه التى ورطه فيها الدائنون الأوربيون خلال الثلاثة عشر عاما السابقة . وكنا قد ذكرنا ان تورط الخديو اسماعيل فى الديون لم يكن مصدره بالضبط ميله الى البذخ والانفاق وانما توفر اموال سائلة فى

المصارف الأوربية كانت تبحث عن فرص للاستثمار المجزى فى الخارج ، وان بذخ اسماعيل وتوسعه فى الانفاق لم يكونا السبب بمقدار ماكانا نتيجة لما تعرض له من ضغوط واغراءات من جانب السماسرة والمرابين زينت له مشروعات باهظة التكاليف وقليلة العائد . ولكننا نعرف ايضا انه فى أعقاب ١٩٧٣ توفرت للمصارف الأوربية والامريكية كميات طائلة من الأموال السائلة نتيجة لما سمى باعادة تدوير عوائد النفط فى اعقاب ارتفاع سعره ، وكانت هذه المصارف تبحث بدورها عن مجال لتوظيف هذه الأموال خارج بلادها . نحن نعرف ايضا ان مجموع ديون مصر قصيرة الأجل فى ١٩٧٠ لم يكن قد تجاوز ١٤٨ مليون دولار فى ١٩٧٨[٢] . فاذا تذكرنا ايضا انه بمجرد انتهاء حرب اكتوبر ١٩٧٣ زينت للسادات مشروعات اعادة تعمير مدن القناة ، وهى مالم تسمح بالتوسع فيه أموال مصر الاقتصادية فى ذلك الوقت . بضآلة مواردها من الصادرات ، وان اعتراضات بعض المسئولين الاقتصاديين على هذا التوسع فى الانفاق على مشروعات التعمير ، خاصة اذا كان يضطر مصر الى التورط بشدة فى القروض التجارية قصيرة الأجل ، هذه الاعتراضات قوبلت وقتها بالقول بأن الامر يتعلق « بسياسات عليا » لايسمح بمناقشتها ، اذا تذكرنا كل ذلك اصبح من الصعب الا يثور بقوة احتمال ان يكون التورط فى هذا النوع من الديون فى عهد السادات قد جاء استجابة لنفس النوع من الضغوط والاغراءات التى تعرض لها الخديو اسماعيل من قبل .

كانت النتيجة على اية حال هى انه فى ١٩٧٥ كان نحو ثلث اجمالى الديون الخارجية المصرية واجب السداد خلال عامين ، واصبحت مصر مطالبة بدفع ٢٠٨٤ مليون دولار فى ١٩٧٥ وحدها سدادا لأصل وفوائد هذه الديون القصيرة الاجل ، أو مايعادل ٧٨٪ من حصيلة الصادرات المصرية كلها فى ذلك العام[٣] .

شهدت تلك السنة ( ١٩٧٥ ) والسنة التى تلتها ، جولات متعاقبة للرئيس السادات ولرئيس الوزراء ووزراء المالية والاقتصاد المصريين ، فى دول الخليج يرجون فيها زيادة حجم المعونات العربية المقدمة لمصر ، مستخدمين كل مايمكن استخدامه من حجج ، من بطولة الجيش المصرى فى حرب اكتوبر الى ماقدمته مصر من تضحيات للقضية الفلسطينية الى ماتؤديه العمالة المصرية من خدمات لتنمية دول الخليج ، ولكن دون طائل . فقد كان رد حكومات النفط على الدوام ان هذا الذى نقدمه هو اقصى مانستطيعه ، وانه حتى لو كان باستطاعتنا تقديم اكثر من ذلك فإنه ليس لدينا مايضمن ان مصر سوف تحسن استخدام مانقدمه لها من معونات !




انور السادات


والخديو اسماعيل

كانت هناك ايضا تلميحات الى مايسود تصرفات الادارة المصرية من فساد وتبديد ، وهي أمور كانت حكومات النفط العربية أخر من يحق له أن يشير اليها . كانت هناك ايضا ردود تعلمتها حكومات النفط من رجال البنك الدولي والمؤسسات الدولية . مثل القول بأن تقديم المساعدات لدعم ميزان المدفوعات يساعد على التبديد ، وان الافضل هو تقديم مساعدات لتمويل مشروعات بعينها يتفق عليها ، ولكن مصر للأسف لاتتوافر لديها كمية كافية من دراسات الجدوى ، ومن المشروعات الكاملة الاعداد تبرر زيادة حجم المساعدات .

هكذا نجد انه فى ظل اشتداد الضائقة الاقتصادية بمصر فى ١٩٧٦ ، انخفضت المعونات التى قدمتها دول النفط العربية لمصر . انخفاضا ملحوظا . فانخفض اجمالى المدفوعات الثنائية الميسرة التى دفعتها هذه الدول لمصر من ١٨٧٣ مليون دولار فى ١٩٧٥ الى ١٠٢٨ مليونا فى ١٩٧٦ ، أى بنسبة ٤٥٪ ، وانخفضت المدفوعات غير الميسرة لمصر من نفس الدول من ٦٦٨ مليون دولار الى ٢٣٥ مليونا أى بنحو الثلثين بين هذين العامين[٤] .

## ● لماذا انخفضت المعونات العربية ؟

ليس هناك ، فى رأيى ، إلا تفسير واحد مقبول لهذا الموقف الذى اتخذته حكومات النفط العربية فى هاتين السنتين ( ٧٥ ، ١٩٧٦ ) . لقد كان لدى هذه الحكومات

بغير شك ما يكفى من الاموال لانتشال مصر من ازمتها ، ففى الوقت الذى كانت تقترض فيه مصر من البنوك التجارية بأسعار فائدة تزيد على ١٥٪ ، كانت دول النفط تستثمر فوائضها فى البنوك الأمريكية والأوربية والبنك الدولى بأسعار فائدة تقل عن نصف هذا القدر . وفى الوقت الذى كانت حكومات النفط وشركات الاستثمار فيها تتكلم فيه عن ارتفاع المخاطر السياسية للاستثمار فى مصر ، كانت استثمارات هذه الحكومات والشركات فى الدول الغربية تتعرض لمخاطر حقيقية تتمثل فى التدهور المستمر فى قيمة الدولار وارتفاع معدلات التضخم . لم يكن الأمر اذن فى الحقيقة إلا أن حكومات دول النفط لم تكن قد تلقت بعد إيماءة الموافقة من الولايات المتحدة وهيئات المعونات الدولية بزيادة حجم معوناتها لمصر ، ولم يكن هذا ليتم الا اذا اظهرت مصر استعدادها نهائيا لقبول توصيات صندوق النقد الدولى ، ولاتخاذ خطوة حاسمة فى اتجاه عقد اتفاقية سلام مع اسرائيل .

## عام التنازلات

كانت مصر بنهاية ١٩٧٦ ، قد ذهبت بالفعل شوطا بعيدا نحو قبول كلا المطلبين ، ولكن يبدو ان ماتم حتى ذلك الوقت لم يكن كافيا ، كانت مصر قد اصدرت بالفعل قوانين تشجيع رأس المال الأجنبى على الاستثمار فى مصر ، وخفضت بشدة من القيود على الاستيراد ، وسمحت للبنوك الاجنبية بفتح فروع لها فى مصر ، واقامت مناطق اقتصادية حرة . وضيقت الفجوة بين قيمة الجنيه المصرى الرسمية وقيمته السوقية .. الخ .. ومع ذلك كانت لاتزال هناك سياسة الحماية المفروضة لشركات القطاع العام ، وماتقدمه الحكومة من دعم لهذه الشركات ولتخفيض اسعار بعض السلع الاستهلاكية ، وهو ماكانت الحكومة المصرية تبدى إحجاما واضحا عن التخلى عنه .

كذلك فيما يتعلق بقضية اسرائيل . كانت مصر بنهاية ١٩٧٦ قد قطعت ايضا شوطا بعيدا فى الاستجابة للمطالب الاسرائيلية ، ولكن لم يكن ذلك بدوره كافيا . فمنذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ . بل وفى اثنائها ، وقبل عبور القوات الاسرائيلية الى غربى القناة . كانت الحكومة المصرية قد بدأت تعبر عن استعدادها للسلام ، ثم عقدت اتفاقيتين لفك الاشتباك ، ودخلت فى مفاوضات مباشرة وغير مباشرة مع الاسرائيليين . ولكن كانت الحكومة المصرية لاتزال تصر على رفض عقد صلح مع اسرائيل لاتشترك فيه سوريا والأردن ، ويستبعد الفلسطينيين .

كان هذا الوضع اذن فى نهاية ١٩٧٦ ، لكن بعد اقل من سنة كانت الصورة قد اختلفت تماما . ففى صباح احد ايام نوفمبر ١٩٧٧ . كان المصريون فيه يحتفلون بعيد الأضحى ، استيقظ الناس على خبر زيارة رئيس الجمهورية المصرية للقدس ، ورأوا فى نفس اليوم على شاشة التليفزيون ، رئيس جمهوريتهم وهو يستعرض حرس الشرف الاسرائيلى ويضع اكليل الزهر على قبر الجندى الاسرائيلى المجهول .

كانت الحكومة السعودية فى مطلع نفس العام قد اعلنت بعد احجام عن قبولها ان تساهم بنسبة ٤٠٪ فى رأس مال « هيئة الخليج لتنمية مصر » البالغ قدره بليونى دولار ، وذلك فى اعقاب اعلان مصر قبولها

لمشروع صندوق النقد الدولي « لترشيد » السياسة الاقتصادية وفي يونيه من نفس العام كان قد عقد في باريس اول اجتماع للمجموعة الاستشارية التي تضم جميع الدول والهيئات المهتمة بتقديم المعونة لمصر . واستمع الحاضرون لتقرير وزير التخطيط المصرى عن السياسة الاقتصادية المزمع تطبيقها ، وهو تقرير كان قد تم اعداده في القاهرة بمساعدة خبراء صندوق النقد الدولي ، ومن ثم فقد تلقى التقرير على الفور مباركة دائنى مصر المجتمعين في باريس .

## ● فترة عصيبة !

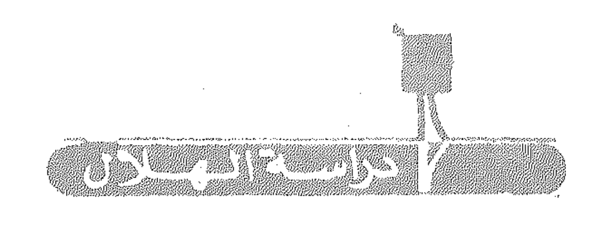
لايعرف احد على وجه الدقة ماذا حدث بين نهاية ١٩٧٦ ونوفمبر ١٩٧٧ ، ولكن من الصعب ان نتصور ان هذه الفترة لم تكن فترة عصيبة للحكومة المصرية . كانت هناك بالطبع ، احداث يناير ١٩٧٧ التي قام بها الناس يحتجون على زيادة اسعار بعض السلع الضرورية ، والتي قد تكون قد ساهمت الى حد ما في التخفيف من قسوة خبراء صندوق النقد الدولي أو على الأقل اقنعته بضرورة تاجيل بعض التنازلات . ولكن من الصعب تصور انه لم تتخذ خلال تلك الفترة بعض اساليب الضغط التي لم تعرف ابعادها بعد والتي كانت الظروف الاقتصادية والديون الخارجية المستحقة الدفع من اهم الوسائل المستخدمة فيها . وربما كان قبول رئيس الجمهورية لزيارة القدس واحدا من الشروط المفروضة عليه من اجل التدخل لانقاذه .

على اية حال فانه قد يذكر ذلك العام ( ١٩٧٧ ) انه العام الذى أجبرت فيه مصر على تقديم اكبر تنازل في المجال السياسى منذ زمن طويل .

وسوف يذكر القارىء ماحدث في مصر قبل ذلك بمائة عام . ففيما بين ١٨٧٦ و ١٨٧٩ توالت الضغوط على الخديو اسماعيل ليقبل التدخل المباشر في ادارة الاقتصاد المصرى من جانب الدول الاوربية التي ينتمي اليها الدائنون .

وكانت نقطة الضعف لدى الخديو ، كما كانت لدى السادات ، هي عجزه عن الوفاء بمستحقات الديون التي تورط فيها دون موجب في السنوات القليلة السابقة .

وقد أبدى الخديو اسماعيل منذ ١٨٧٦ استعداده لقبول اى اجراء للاصلاح قد تنصح به الحكومتان البريطانية والفرنسية ، فقبل تكوين « صندوق الدين العام » ، وتكوين « لجنة التحقيق » للاشراف على مالية الدولة وحصر مواردها وأوجه انفاقها . كما قبل السادات توصيات « المجموعة الاستشارية » المجتمعة في باريس . ولكن السادات فيما يبدو كان على استعداد للذهاب الى ابعد مما ذهب اليه الخديو اسماعيل . اذ بينما حاول الخديو مقاومة اشتراك ممثل لبريطانيا . وآخر لفرنسا كوزير في مجلس الوزراء المصرى فكلفه ذلك عرشه في ١٨٧٩ ، قبل السادات القيام بزيارة القدس في ١٩٧٧ فاستحق بذلك




رضا الأمريكيين والدول الغربية وهيئات المعونة الغربية والدولية .

## ● مرة أخرى : الاستدانة فى عصر الرخاء : ٧٧ ـ ١٩٨١

بقدوم ١٩٧٧ بدا كأن عقدا كاملا من المتاعب الاقتصادية المتراكمة قد أوشك على الانتهاء ، واذا بالاقتصاد المصرى يبدأ فترة جديدة من الانتعاش الواضح استمرت حتى نهاية عصر السادات . ففى خلال السنوات الاربع الأخيرة من عهد السادات ( ٧٧ ـ ١٩٨١ ) بلغ معدل النمو فى الناتج المحلى الإجمالى ، بالاسعار الثابتة مابين ٨٪ ، ٩٪ سنويا ، وهو معدل لم يستطع تحقيقه فى نفس الفترة ، الا عدد محدود للغاية من البلاد ، ولم تحققه مصر منذ الحرب العالمية الأولى على الاقل . فى هذه السنوات الأربع ايضا شهدت مصر زيادة لم تعرف لها مثيلا من قبل فى موارد العملات الاجنبية ، فضلا عن اتجاه معدل التبادل التجارى الدولى لصالحها ، فقد زادت ايرادات مصر من صادرات البترول ، التى لم تتجاوز ١٦٢ مليون جنيه فى ١٩٧٧ ، الى مايقرب من عشرة امثالها ، فبلغت ١,٥ بليون جنيه فى ١٩٨١ ، بفضل الزيادة السريعة فى كل من انتاج واسعار البترول ، بينما زادت ايرادات مصر من الصادرات غير المنظورة من ٩٩٨ مليون جنيه الى ٤ بلايين جنيه ، فى نفس الفترة .. وهى زيادة ترجع فى الأساس الى الزيادة السريعة فى تحويلات المصريين العاملين بالخارج . كذلك شهد معدل التبادل الدولى تحولا لصالح مصر بنسبة ٨١٪ فيما بين ٧٧ و١٩٨١ ، حيث فاق الارتفاع فى اسعار النفط ، بدرجة ملحوظة ، الارتفاع فى اسعار الواردات من السلع الاستهلاكية والراسمالية . وهكذا تضاعفت ايرادات مصر الجارية من العملات الاجنبية نحو اربع مرات خلال اربع سنوات(٥) .

كانت هذه الظروف المواتية هى بلا شك انسب الظروف ، ليس فقط لوضع حد لتزايد المديونية الخارجية ، بل ولإحداث تخفيض كبير فيها ، ففى الفترة ٧٧ ـ ١٩٨١ كانت قيمة الزيادة فى اجمالى صادرات مصر من السلع والخدمات نحو خمسة بلايين من الجنيهات او نحو سبعة بلايين من الدولارات ، وهو مبلغ يساوى نحو ٨٧٪ من اجمالى قيمة ديون الخارجية المدنية ، طويلة ومتوسطة الأجل ، فى ١٩٧٧ ولكن الذى حدث هو العكس بالضبط ، واذا بمصر تلجا فى فترة رخاء لم تشهد مثلها طوال هذا القرن ، إلى مزيد من الاستدانة ، واذا بنا نجد الديون المدنية طويلة ومتوسطة الأجل التى كانت قد بلغت ٤,٨ بليون دولار فى ١٩٧٥ ، وزادت إلى ٨,١ بليون دولار فى ١٩٧٧ ، تزيد بنسبة ٧٦٪ فى الأربع سنوات التالية فتصل الى ١٤,٣ بليون دولار فى ١٩٨١ . كيف يمكن تفسير ذلك . وأى عذر يمكن ان يقدم لتبريره ؟

## ● أين ذهبت الأموال ؟

لقد رأينا حالا انه لايمكن تفسير ذلك

بضالة أو تراخي حصيلة الصادرات ،

فقد شهدت صادراتنا المنظورة وغير المنظورة في تلك الفترة رواجا لم يسبق له مثيل ، انما يكمن السبب فيما اصاب الواردات من السلع والخدمات من زيادة غير معهودة ايضا . فخلال السنوات الأربع ٧٧ - ١٩٨١ زادت واردات مصر السلعية من ١,٨ بليون جنيه مصرى الى ٦,١ بليون اى باكثر من ثلاثة امثال ، والواردات من الخدمات من نصف بليون جنيه الى بليوني جنيه ، أى بنحو اربعة امثال[٦] . ترتب على ذلك انه ، على الرغم من الزيارة الكبيرة في حصيلة الصادرات ، زاد العجز في ميزان المعاملات الجارية من ٨٩٢ مليون جنيه الى ١,٩ بليون ، اى باكثر من النصف .

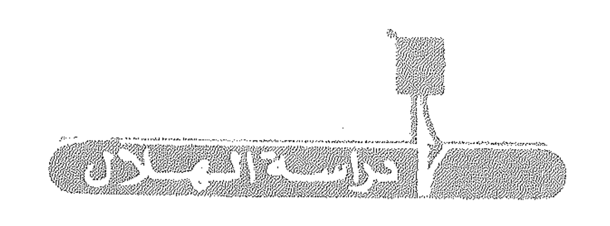
الواردات من الخدمات . اما زيادة الواردات السلعية ، وقدرها ٤,٣ بليون جنيه ، فيرجع ١٨٪ منها الى الزيادة فى واردات القمح والذرة والدقيق ، و٢٣٪ للزيادة فى السلع الاستهلاكية المعمرة وغير المعمرة عدا القمح والذرة والدقيق . ويرجع الباقي ، وقدره ٥٩٪ الى الزيادة فى واردات السلع الوسيطة والراسمالية[٧] .

واما الزيادة في واردات الخدمات فيرجع نحو ثلثها الى فوائد الديون ، ويوصف الجزء الأكبر من الباقى ، فى احصاءات ميزان المدفوعات التي ينشرها البنك الأهلى بأنه « نفقات اخرى » فلا يعلم اين ذهب هذا الجزء الا الله .

## ● نمط التنمية فى عصر السادات :

على أن هذه الاجابة لاتكفى بالطبع ، اذ يهمنا ان نعرف ، معدلات الزيادة فى مختلف انواع الواردات . وقد شاع القول بأن هذه الزيادة فى عجز ميزان المعاملات الجارية فى تلك الفترة ، ومن ثم زيادة الالتجاء الى الاقتراض ، إنما يرجع فى الأساس الى اطلاق حرية استيراد السلع الكمالية . وهذا القول وان كان يشير الى جزء من الحقيقة ، فانه لايشير الى السبب الاساسى لزيادة العجز والمديونية . ذلك اننا اذا نظرنا الى توزيع الواردات بين مختلف البنود وجدنا ان ثلاثة ارباع الزيادة فيها ، خلال هذه السنوات الأربع ، يرجع الى زيادة الواردات السلعية ، وربعها الى الزيادة فى

نستخلص من ذلك ان زيادة العجز والمديونية خلال السنوات الأربع الأخيرة من عهد السادات ، وإن كان من الممكن القاء جزء من المسئولية عنها على زيادة الاستهلاك ، فإن الجزء الأكبر يرجع الى زيادة استيراد السلع الوسيطة والراسمالية ، وهو مايعكس ارتفاع معدل الاستثمار الى نحو ٣٠٪ من الناتج المحلى الاجمالى . ولقد كان من الممكن ان يتخذ هذا عذرا للادارة الاقتصادية فى ذلك الوقت لو كانت اوجه الاستثمار التى وجهت اليها الأموال المقترضة من النوع الذى يولد عائدا يزيد على تكلفة الاقتراض . ولكن العكس تماما كان هو الصحيح ، فقد




وجه الجزء الأكبر من الاستثمارات في تلك الفترة الى فروع قليلة الانتاجية وضعيفة العائد ، كالمرافق العامة والخدمات التجارية والمالية . مما جعل مصر تواجه في السنوات التالية بعبء ثقيل من المديونية دون أن يكون في قدرتها توليد الدخل الكافي للقيام بهذا العبء . ففي خلال السنوات ٧٧ ـ ٨١/ ١٩٨٢ ، كانت القطاعات التي احرزت اعلى معدلات النمو ( فيما عدا قطاع البترول وقناة السويس ) هي قطاعات التجارة والمال ( ١٢,٥٪ سنويا ) والبناء والتشييد ( ١١,٣٪ ) والخدمات الحكومية ( ١٠,٦٪ ) والنقل والمواصلات والتخزين ( ٨,٣٪ ) بينما لم تنم الصناعة والتعدين ( بعد استبعاد البترول ) باكثر من ٦٪ ، وتراخي معدل نمو الزراعة ( ٢,٣٪ ) عن معدل النمو في السكان[٨] .

لم تقترن اذن تلك الزيادة المذهلة في المديونية ، خلال عهد السادات ، بأي تصحيح لهيكل الاقتصاد المصرى ، بل صاحبتها زيادة كبيرة في درجة الاختلال ، سواء في هيكل الانتاج أو في هيكل العمالة ، فانخفض نصيب الزراعة في الناتج المحلى الاجمالى من ٢٥٪ في بداية عهده الى ١٧٪ في نهايته ، ونصيب الصناعة التمويلية من ٢٣٪ الى ١٧٪ ، بينما ارتفع نصيب الخدمات من ٤٥٪ الى ٤٨٪ ونصيب البترول الخام من اقل من ١٪ الى ١٨٪ . كذلك زاد الاختلال في هيكل العمالة لصالح قطاع الخدمات الذى يضم اكبر نسبة من البطالة المقنعة . اذ بينما ظل نصيب قطاع الصناعة التمويلية في اجمالى القوة العاملة ثابتا تقريبا عند ١٢٪ طوال عهد السادات ، كان الانخفاض في نصيب الزراعة في القوة العاملة ، مساويا تقريبا للزيادة في نصيب الخدمات ، حيث زاد هذا الأخير بنحو ٥٠٪ ( من ٣٠٪ من اجمالى القوة العاملة الى ٤٥٪ ) .

ولم يقترن توقيع اتفاقية السلام في ١٩٧٩ بتخفيض الانفاق العسكرى ، بل زاد هذا الانفاق بشدة في اعقابها ، وزاد الالتجاء في تمويله بالقروض الخارجية ايضا ، التي ساهمت فيها الولايات المتحدة باكبر نصيب ، وباسعار الفائدة التجارية التي كانت بالغة الارتفاع في ذلك الوقت . ويذكر تقرير لصندوق النقد الدولى صادر في ١٩٨٤ ان الانفاق العسكرى زاد بنسبة تتجاوز ٢٠٪ سنويا في اعقاب ١٩٧٩ ، وبلغت نسبة الزيادة فيه في عام مقتل السادات ٣٢٪[٩] .

## ● بين السادات والخديو اسماعيل

لايسع المرء من جديد الا ان يلاحظ شبها آخر بين تجربة الاقتصاد المصرى في عهد السادات وبينها في عهد الخديو اسماعيل .

ففى الحالين اقترنت الزيادة الكبيرة فى المديونية بمعدل نمو بالغ الارتفاع فى الدخل القومى . وبازدهار واضح فى مصادر النقد الاجنبى ، فلم يمنع الرخاء من التورط فى مزيد من الديون فى الوقت الذى كان يجب فيه ان تستخدم الموارد الذاتية الجديدة فى تسديد الديون السابقة .

وفى الحالين ، وعلى الأخص فى عصر السادات استخدم جزء كبير من هذه القروض فى تمويل مشروعات لاتضيف اضافة ملحوظة الى الانتاج ، بما فى ذلك شراء السلاح ، الأمر الذى لابد ان يثير التساؤل مرة اخرى عن نوع النصائح ( او الضغوط ) التى كان يتعرض لها الحاكم فى الحالين ، وعن المصالح الخارجية والداخلية التى كانت تجد مصلحتها فى تشجيع الاتجاه نحو الاستدانة ، اما تسهيلا لفرض الارادة فى المستقبل . او تصريفا لمنتجات لاتجد من يشتريها .

هوامش الدراسة :

( ١ ) انظر عادل حسين : الاقتصاد المصرى من الاستقلال الى التبعية : ( ٧٤ ـ ١٩٧٩ ) دار الوحدة ، بيروت ، ١٩٨١ ، الجزء الثانى ، ص ١٤٢ ـ ٣ .

(2) Ikram, K. Egypt Economic, Management in a Period of Transition, John Hopkins University Press, Baltimore,1980,P.362.

( ٣ ) رمزى زكى : « قضية الديون الخارجية » . فى : جودة عبد الخالق ( محرر ) : الانفتاح : الجذور والحصاد والمستقبل ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٢ . ص ١٩٣ ـ ٤ .

( 4 ) OECD : Flows of Resources From OPEC Members to Developing Countries, Paris, 1977, ( mimeo ), Statistical Tables .

( ٥ ) البنك الأهلى المصرى : النشرة الاقتصادية ، ١٩٨٥ ، العدد الأول ، ص ١٠٥

( ٦ ) نفس المرجع :

( ٧ ) حسبت هذه الارقام والنسب من المرجع السابق .

(8) IMF: Arab Republic of Egypt : Recent Economic Developments, june 19, 1984, (mimeo), P.4.

(٩) المرجع السابق ، ص ٣٨ .




● قضايا فكرية

● تركزت ملاحظات الاستاذ مصطفى الحسيني على المجلدات الاربعة التي صدرت حتى الان من « قضايا فكرية » في ثلاث ملاحظات ·· اثنتان منها في اسلوب العمل ، والثالثة في جوهر موقف « قضايا فكرية » من المدارس الفكرية المختلفة بمصر ·

ولعله يخفف من تصورنا أن « قضايا فكرية » ظهرت في اطار مشروع أكبر ، وضعت له اجندة عامة تضمنت الأهداف ونشرت في الكتاب الاول ·
وقد بدأنا باكثر الموضوعات جدية ، وهو موضوع « الدولة » ثم موضوع « التبعية » ثم حاولنا في الموضوع الثالث تحديد ملامح تطور الرأسمالية في بلادنا ، وجاء بعد ذلك المجلد الخاص بالطبقة العاملة ·· والكتاب القادم مخصص للقضية الوطنية ، ثم يليه كتاب عن الريف المصري ·

ثم نأتي لهذه الملاحظة : عن أى المدارس الفكرية تعبر « قضايا فكرية » ؟!·· عن المدرسة الماركسية وحدها ، ام عن جبهة فكرية وطنية عريضة ؟!·· ونحن نعتقد أن العمل السياسى هو مجال النشاط الجبهوى فى جميع المراحل ، لكن الايديولوجية ليست مجالا جبهويا ، ومن ثم فلا معنى لكلمات « التحالف الفكرى » او « الجبهة الفكرية » ، وهناك جانب للعمل المشترك بين الفكريات الطبقية المتباينة ، هو التزام جانب العلم برغم أن كل تناول علمى يتضمن مضمونا أيديولوجيا طبقيا ·· وقد حفلت « قضايا فكرية » بدراسات لباحثين غير ماركسيين لكنهم يتبعون المنهج العلمى فى عملهم ، فيقدمون مساهمات بالغة الاهمية ·

وبرغم تمسكنا بأن نكون واضحين ، وربما بسبب هذا الوضوح ، نصنع أوسع تحالف سياسى بين مثقفى مصر الجادين من مختلف المدارس الفكرية ، يقوم على الوضوح الفكرى والالتقاء الديمقراطى العميق ، والتمايز والاستقلالية التى لا تنكر ولا تطمس ، بهدف تأصيل العقلانية والديمقراطية والابداع ·

جمال الشرقاوى
مدير تحرير « قضايا فكرية »

● الرمز

قالوا : تقول صريحا ... لم لا تحاول رمزا ؟..
فقلت انى صريح ... ارى التوارى رجزا
الرمز عجز وانى ... خلقت ارفض عجزا

احمد قاسم احمد
قنا

● الشاعر اليمانى الشهيد

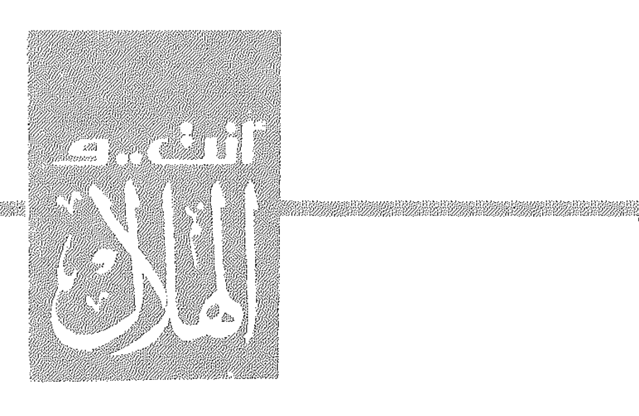
● الشاعر محمد محمود الزبيرى شاعر يمنى ، ولد سنة ١٩١٦ وتلقى تعليمه الابتدائى فى اليمن عندما كان يحكمه الامام يحيى حميد الدين ، ثم رحل الى مصر وعاد الى اليمن سنة ١٩٤١ فاصطدم بواقع مرير ، أطلق فيه كلماته مدوية يدعو فيها قومه الى الكفاح ، فزج به الامام فى السجن وعندما أفرج عنه رحل الى عدن وأسس فيها حركة الاحرار اليمنيين سنة ١٩٤٤ وظل يطلق قصائده فى وجه نظام الائمة مناديا بقيام الثورة . وبعد ثورة الشعب اليمنى على الامام أحمد بن يحيى سنة ١٩٤٨ أصدر الامام حكما بالاعدام على الشاعر الزبيرى وكان الشاعر فى ذلك الوقت فى القاهرة على رأس وفد لمقابلة الامين العام للجامعة العربية ، فنجا من الموت ، ولكنه ظل يتنقل بين الاقطار وهو يعانى شظف العيش وآلام الغربة حتى قامت ثورة سبتمبر ١٩٦٢ فعاد الى وطنه ، لكنه سقط شهيدا برصاص قوى الظلام فى ٥ أبريل ١٩٦٥ .. وللزبيرى آثار شعرية ونثرية قيمة .

احمد محمد باذيب
كريتر ـ عدن ـ اليمن الديمقراطية

● الهوى الابدى

● قرأت رد محرركم على قصيدة لى عنوانها « الهوى الابدى » فى شهر اغسطس الماضى ، من أنها مكسورة الابيات واننى ناشىء فى كتابة الشعر ، مع أننى اكتب الشعر قبل ان يستقيم القلم فى يد هذا المحرر ، وقد ولدت كبيرا ، ومادح نفسه شيطان ، ولكن هذا هو رأى كبار النقاد فى شعرى .. والقصيدة من بحر المتدارك ، ومستعد للمناقشة فى أوزانها :

مزجوه وانت الساقى ... بالصاب وبالترياق
فتخلل قلبى وجدا ... يتفنن فى أشواقى
تصفو الاحباب وتجفو ... وهواك بقلبى باق



| | |
|---|---|
| مهـــــواك هوى ابـــدى | يتشـــعب فى اعمـــــاقى |
| من فيك رضعت النجــوى | ورحيق الحب ســـــقانى |
| كاســـا عـــذبا عـــذريا | ادمنتـــك فى وجـــــدانى |
| ولانـــــك أول حـــــب | يتـــدفق فى شريــــانى |
| ادركت مواطن ضـــــعفى | فعرفت تهــز كيـــــانى |

تامر محمد حسن المطيعى
اسيوط

● تعليق :

● لا تغضب يا مولانا ، فان اسمك وضع خطأ على رد نقصد به شاعرا ناشئا لم تستقم الاوزان فى يده بعد .. وها نحن أولاء ننشر ابياتك هذه ، وهى من مجزوء المتدارك ، ومنها رائحة الشعر ، مما يدل على انك لست ناشئا .. ونهنئك برأى كبار النقاد فيك . ونقول لك : ينبغى أن تكون سنك فوق الستين عاما لتكون أكبر من محرر هذا الباب ، وبهذه المناسبة نرجو أصدقاءنا الا يتعجلوا فى الغضب من الاخطاء غير المقصودة ، فان مع التأنى السلامة !..

● اين المقر .. ؟

| | |
|---|---|
| يا انت وكـــانت عينـــــاك | مأوى ومـــلاذا وخـــلاص |
| كذبت عينــــــاك على قلبى | كـــذبت آيات الاخـــلاص |
| فـلاين ساوى والدنيــــــا | حقـر بعيون الاشـــخاص |
| برد .. وظـــــلام يترامى | ليصون زمان القنـــــاص |

د. احمـــد عامر
شبين القنـــاطر

● ملاحظات قارىء

● أبدى اعجابى وتقديرى لمجلة الهلال وما ينشر بها من مقالات ومناقشات حرة ومستفيضة واننى لاشكر للسادة القائمين على أمر الهلال حشدهم لهذه الكوكبة العظيمة الثرية من الكتاب الافاضل الذين تزخر الهلال بعصارات فكرهم ، وان قراء الهلال ليقدرون هذا الجهد وان كانوا يتطلعون الى المزيد من المجد . الثقافية والفكرية والصحفية .

وأزجي تحيتي واعجابي وتقديري بالاستاذ الذى يشرف على باب « أنت والهلال » وهو من احب ابواب المجلة الي قلبي وانا للاسف لا اعرف من يشرف على هذا الباب ولا أدرى لماذا تحجبون اسمه ٠٠ وانا قلت عنه انه استاذ لان ردوده وتعليقاته على رسائل القراء تقول ذلك فهو بحق موسوعة وانا أعرف ان المجلات الكبيرة كالهلال لا تستهين بباب القراء ويكون المشرف عليه من اكبر واقدر كتاب المجلة ، مرة أخرى تحيتي وتقديرى للاستاذ الكبير الذى لاأعرفه ودعواتي له بالصحة والعافية ٠

تبقى ملاحظة بسيطة وهي تتعلق ايضا بباب « أنت والهلال » وهي انني ألاحظ ان هذا الباب ادبي فقط اى ان كل ما ينشر به لا يتعلق الا بالادب : شعر ، نثر ٠٠٠ الخ ولا ادرى لماذا لا يكون هناك مكان للآراء والافكار السياسية لان المفروض ان باب القراء يعبر عن جميع الاهتمامات ، ومجلة الهلال ليست ادبية فقط ولكنها سياسية أيضا بل ان كم السياسة ربما يفوق كم الادب في الكثير من الاعداد ولكن لانكاد نرى أثرا للآراء السياسية في هذا الباب فهل معقول ان اهتمامات جميع قراء الهلال تنحصر في الادب فقط ، لا أعتقد ذلك ، فأرجو ان يعبر « أنت والهلال » صادقا عن جميع اهتمامات المجلة والقراء كذلك ٠

محمد ابراهيم النجدى
ميت طريف ـ دكرنس

● تعليق :

● هذا الباب ينشر جميع الرسائل التي تصل اليه ٠٠ واكثرها شعر ، وبعضها تعليقات أدبية وقصص ، وننشر التعليقات السياسية التي تصل الينا كما ترى في بداية هذا الباب الذى بين يديك ٠ اما محرر الباب فهو الذى لا يريد أن يضع اسمه عليه حتى لا يصبح مشهورا اكثر من اللازم ٠

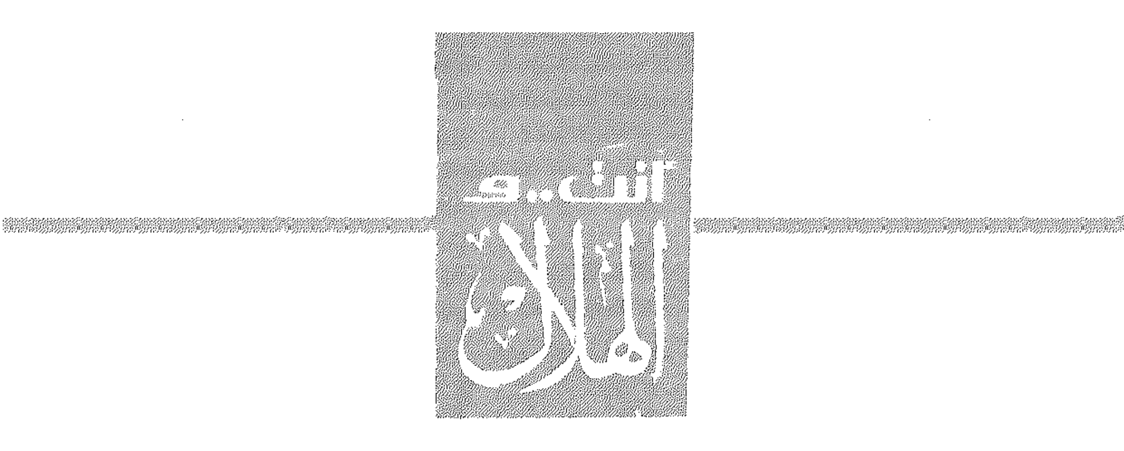
● لا تحزن

| | |
|---|---|
| أيها المكبوت دع عنك الاسى | وترنم بعد ما عز البكاء |
| لن يعيد الحزن أمرا قد مضى | او يعود الدهر يوما للوراء |
| انما الدنيا نعيم زائل | تزدهي حينا وتخبو كالضياء |
| تارة تاتى وطورا تنجلي | هكذا الاحوال بدء وانتهاء |

عبده محمد سلطان
صقيل ـ اوسيم ـ جيزة

● توفيق الحكيم

● كانت عبقرية الراحل العظيم ، أديبا ومفكرا ، عبقرية مصر الثرية من نيلها وأهراماتها ، حتى الحمار والعصا كانت ادوات ووسائل للحوار

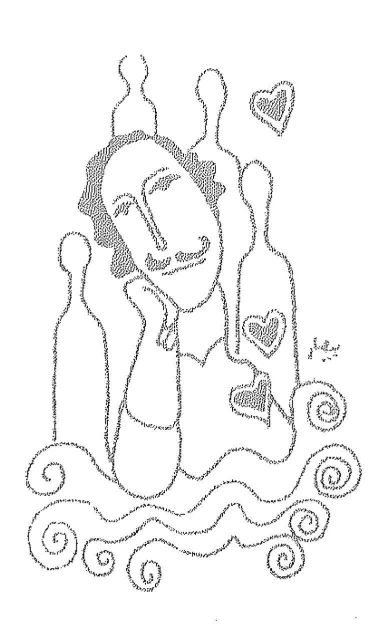


الخلاق يصنع بها حكيم مصر المعجزات ·· وكتب توفيق الحكيم فيمـــا كتب عن الماضي والحاضر ولم ينس المستقبل بل انطلق في كتاباته ليبشر بما ينبغي ان يكون عليه المستقبل وصورته ، ويرى ان العالم السعيد ·· عالم الغد سيظهر فيه الكثير من المخترعات التي تهدف الى رفاهية بني البشر ، وربما قامت الدولة بتوزيع الغذاء المادى والعقـــلي على الناس في صنابير ، كما صور ذلك في مسرحيته « رحلة الي الغد » ، وسـوف يكون كل شيء في متناول اليد وتستمر الآلة في خدمة الانسان ويتيسر السفر بين الارض والكواكب ·· وستزول محـــاولات الســـيطرة على البشر واستغلالهم ·

وفضلا عن ذلك توفيق الحـــكيم سيبقى رمزا من رموز الثقـــافة والادب العربي في مصر والعالم العربي ، بل ان عطاءه وآثاره وتراثه سوف تستمر في العطاء بدوام الدراسة والبحث لتراث الراحل العملاق·

عمرو عبد المنعم حمودة

● شاطىء الذكريات



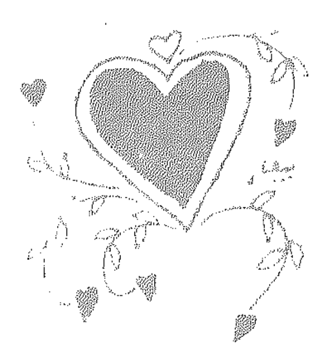
ايها البحر ·· هل نسيت مراحي
فوق شطيك ·· وانثنا ·· بانشراح
يوم كنا ، يا بحر ، في ميعة العمر
وكان الشـباب طلق الجنـــــاح
كل شيء كســـاه منـــك رواء
كرواء الضـــياء في الاصباح
وافترقنا ·· كل الى طلب العيش
لقـــاصي المدى ونائي النواحي
ثم منا من راح من غيـــر عود
في رحيــل لعـــالم الارواح
قد خلفنا ، يا بحر ، جيلا قديما
وحثثنا الخطى ·· لنفس الساح
مسرح يلعب الجميـــع عليـــه
كالخيـالات ، في دنا الاشــــباح
وخططنا على الرمال سـطورا
فمحتهـــا يد الزمان المـــــاحي

د· عزت شندى موسى

● محاولة شعرية

● الحمد لله حمدا لا يحصى ولا يعد ، وصلاة وسلاما على من وهب امته جنة الخلد ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم . اما بعد ، الى مجلتنا الهلال نرسل بالتحية والشكر الى جميع العاملين على اخراج المجلة الى يد القارىء فى صورتها الجميلة ، واشكركم على اتاحتكم الفرصة للاقلام الشابة على نشر الاعمال ، وذلك ما شجعنى على ارسال هذه المحاولة « عساه » « تنول » رضاكم واستحسانكم :

قلبى طوع امرك
عمرى « نجما »يتلالا
فوق صدرى
حبك ذرات ضوء
تضىء طريقى اذا ما « احل »
الظلام بدربى



احمد منير احمد
مغاغة

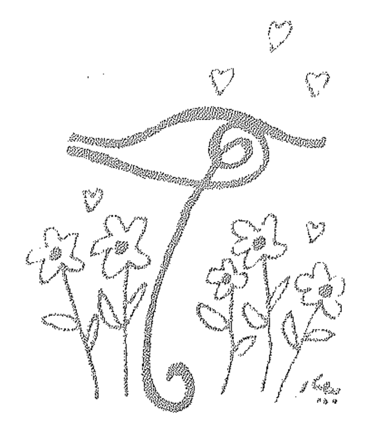
● تعليق :

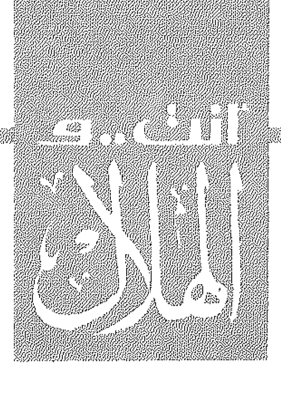
● نرجو لك ببركة ايمانك الذى يبدو فى رسالتك أن تصل يوما الى ما تريد من اجادة الشعر .. أما قصيدتك التى اجتزأنا منها هذه الاسطر فغالبيتها غير موزونة .. وفى رسالتك هذه وما يتلوها من أسطر شعرك أغلاط نحوية ولغوية وضعناها لك بين اقواس لتتجنب الوقوع فيها مرة أخرى .. ومنها مثلا كلمة « تنول » وصحتها « تنال » . وبما أن كلمة « المحاولة » مؤنثة ، فيجب أن تقول « عساها » بدلا من « عساه » . وقولك « عمرى نجما » خطأ ، صوابه : « نجم » وقولك « أحل الظلام » خطأ صوابه : « حل الظلام » ... الخ .

● من اجل عيون مصر

( ١ )

قالت : نسكن اين ؟
اجبت : يسامحك الله .. بيوت الشعر كثيرة
قالت : نأكل .. نشرب .. نلبس .. نسهر
من اين لنا المال الكافى ؟!
ـ يا اجمل اهدافى .. كيف تخافين ؟
كونى كبنات الافكار النورانيات
كى لا ترتجف الابيات !






( ٢ )

ـ اجمل منك هذه وهذه وتلك والتى فى آخر القاعة
( معذرة اعنى « اغنى منك » ولا اعنى « اجمل » )
وان بسمة من ثغرك الذى احبه ••• خمر
وهذه وهذه وتلك ••• فقاعة !!
ـ كم الساعة ؟ ( قالت بلا اكتراث )

( ٣ )

معى قروش
كل المحلات التى فى الشارع الثرى لا تبيع الا بالجنيهات
فقل : هات •• وخذ •• وادفع •• وغادر
( الجـوع غـادر )
جلست فى الميدان قرب نافورة
يداعب الرذاذ جبهتى
قرات ( فوق صندوق ) : تبرعوا من اجل هـ •• صـــ ••
ذهلت !!
اياكل الزمان ، والسطحية الطوفان ، والعقوق حرفك الاخير !؟
انحتاجين ما معى وانت كنزى الوفير ؟!
وضعت ما فى حوزتى من القروش فى هدوء
وقد اكون نمت
لاننى حلمت اننى شبعت !!

محمد محمد السنباطى

● مع الاصدقاء

● احمد حمدى ـ القاهرة :
ـ قصيدتك التى عنوانها : « قصيدة بعنوان ••• » هى من الشعر الموزون الطيب •• نهنئك ، ونعتذر اليك نظرا لطول القصيدة •

● محمود احمد المصلى ـ شربين :
ـ قصيدتاك تدلان على شاعريتك ومعرفتك بالاوزان ، وانت مازلت كما تقول طالبا بالمدارس •• نهنئك •

● رفعت محمد بروبي ـ سوهاج :

ـ نشكرك على كلمتك الطيبة عن تعليقنا ونقدنا لقصيدتك ، وبعض الأبناء الشبان يغضبون من النقد رلو كان طفيفا لطيفا .

● جمال جابر علي ـ سوهاج :

ـ قصيدتك الرثائية في صديقك تدعو للحزن ، ولكنها مع الاسف تفتقر الى الأوزان ـ وينقصها صحة النحو واللغة .

● طارق صلاح الدين بنداري ـ مساكن الاميرية القديمة ـ القاهرة :

ـ أبياتكم بعنوان « رحيل » جيدة حقا . نرجو أن تستمر في الكتابة الينا .

● السيد محمد علي عصر ـ الوايلي ـ القاهرة :

ـ نرجو ان تكلل جهودكم في ميدان الشعر بالنجاح والشهرة في نهاية المطاف ان شاء الله .

● ممتاز السيد سلطان :

ـ لم تكتب عنوانك .. ورباعياتك الشعرية لا بأس بها وان لم يكن فيها جديد ، ولم نستطع اقتطاع شيء منها لنشره ، وهي طويلة كما تعلم .

● احمد حمدي ـ القاهرة :

ـ قصيدتك تبدأ بقولك :

وليلة لم يات فيها القمر
كأنه عن أرضنا في سفر
احتلت الظلمة ليل المنى
وغادر الحب قلوب البشر

وهذا شعر جميل ، ولكن الابيات التي تتلوه مليئة بالاغلاط العروضية واللغوية والنحوية ، وهذا أمر عجيب حقا !!

● رمضان الهجرسي ـ بغداد :

ـ نحييك أيها الشاعر المصري المقيم في بغداد ، وأما نقدك للشعر الذي نشرناه في ندوة الشعر بالهلال ، فلا حجة لك فيه وأنت تعترف بأنك لم تقرأه ، وأما شعرك الذي ارسلته الينا فنعتذر من عدم نشره لاضطراب كثير من اوزانه ، فلعلك تعيد النظر فيه ، وتحاول أن تتعلم من غيرك بدلا من النقد بغير دليل والتمسح بالكلمات الطنانة !

● محمد معوض عامر ـ طوخ :

ـ ارسلتم الينا زجلا عاميا ، ولعلك لا تعلم اننا مجلة للأمة العربية كلها ، ومقالاتنا واشعارنا كلها باللغة القومية لهذه الامة ، أي باللغة الفصيحة .

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

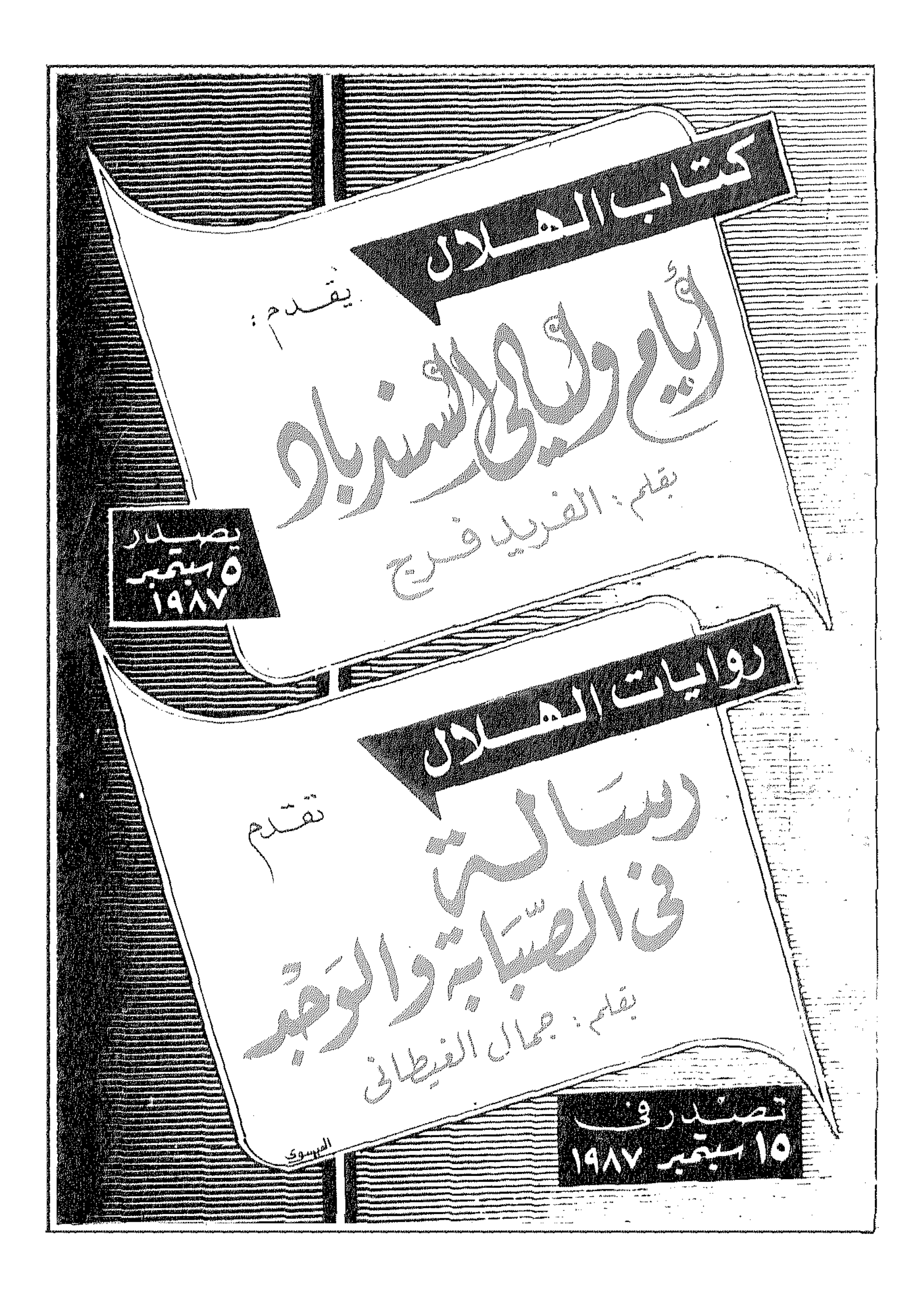
وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

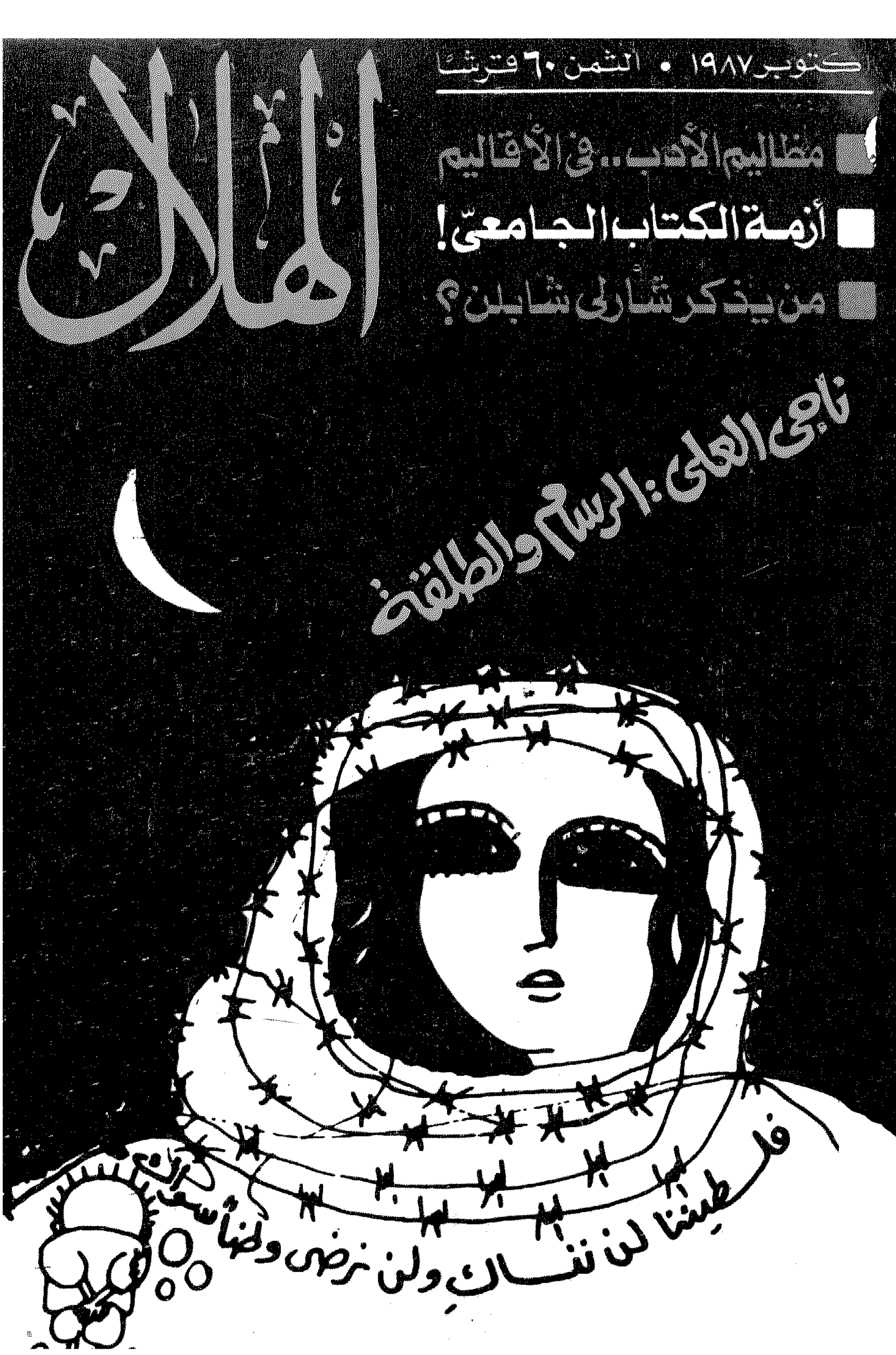
رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

أسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٨٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |



كتاب الهلال
يقدم :
أيام وليالي السندباد
بقلم : ألفريد فرج
يصدر
٥ سبتمبر
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم
رسالة في الصبابة والوجد
بقلم : جمال الغيطاني
تصدر في
١٥ سبتمبر ١٩٨٧



الهلال
أكتوبر ١٩٨٧ • الثمن ٦٠ قرشا
مظاليم الأدب.. فى الأقاليم
أزمة الكتاب الجامعىّ!
من يذكر شارلى شابلن؟
ناجى العلى: الرسم والطلقة
فلسطيننا لن ننساك ولن نرضى وطنا سواك



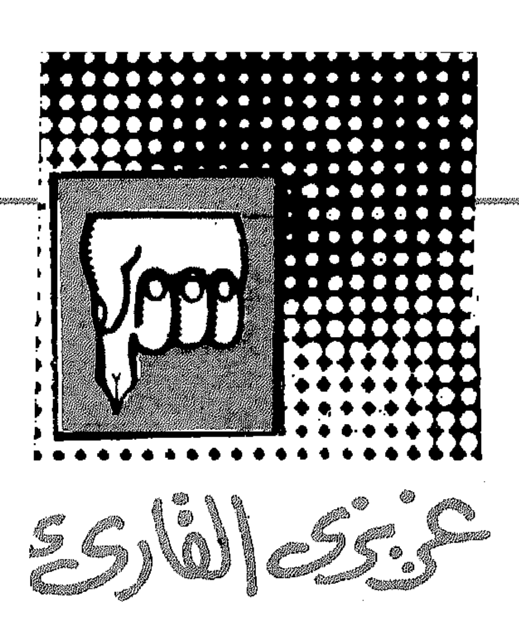
# من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن العربى رسمها الفنان رضا عباسى . على ورق مقوى . وقد استوحاها من مظاهر الحياة فى مدينة اصفهان ابان القرن السابع عشر الميلادى . وتصور احدى الجاريات تصب القهوة لحبيبها قبل المنادمة .. اللوحة محفوظة فى متحف الزخرفة بايران ..


# الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جرجى زيدان عام ١٨٩١ - اول اكتوبر ١٩٨٧ م - ٨ صفر ١٤٠٨ هـ



عزيزى القارئ

# حسنى مبارك: من أجل تعميق الديمقراطية والحرية

فى الخامس من أكتوبر الحالى يدلى الشعب المصرى بكلمته فى إعادة انتخاب الرئيس حسنى مبارك لمنصب الرياسة ست سنوات أخرى ، تمتد إلى حوالى منتصف العقد الأخير من القرن العشرين ، فيرتبط تجديد انتخاب الرئيس بتجديد خطوات شعبنا إلى مشارف القرن الواحد والعشرين ، لكيلا نتخلف عن الشعوب التى تسابق الأيام والليالى لتدلف إلى المستقبل الذى يبشر به القرن القادم كل شعب أخذ الأهبة ، واستعد كما ينبغى أن يستعد لبناء كيانه فى عالم الغد المأمول !..

إن يوم انتخاب الرئيس ـ ٥ أكتوبر ـ يسبق بأربع وعشرين ساعة يوم الذكرى الوطنية الباقية على الزمان ، ذكرى عبور قواتنا المسلحة قناة السويس فى ملحمة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .. التى كان سلاح الطيران المصرى من أبرز علامات أدائها الظافر ، ومن أوثق عوامل نجاحها فى طرد عدونا بعيدا عن مياه القناة .

وقد ارتبط أداء سلاح الجوالمصرى فى تلك الملحمة بقيادة الرئيس حسنى مبارك قائد السلاح الجوى فى تلك المأثرة التاريخية .

ان أمتنا التى عدت عليها العوادى قد فتحت عينيها فى يوم العبور وكأنها وثبت فجأة الى مستقبلها وعبرت اليه بقفزة واحدة !

ولكن المستقبل ليس وثوبا بالخيال ، ولاقفزا بالأحلام .. فالعمل الدائب المرهق في عصرنا هذا طريق الحياة ، وقد رأى شعبنا ألوانا من الصعوبات والشدائد في حياته ، وصدمته أزمات واختناقات في السنوات الماضية ، إلا أن منجزات تلك السنوات لم تكن لتخفى على أحد ممن يحكمون على الأمور حكما موضوعيا يوازن بين السلبيات والإيجابيات ، ويرجو الخير ولا ييأس من روح الله .

ولقد كانت حرية الكلمة في الصحافة والثقافة والأدب والفن .. فضلا عن السياسة ، من أهم تلك المنجزات .. واستطاع شعبنا أن يحمل تبعات « الحرية والديمقراطية » ويحافظ عليهما بطريقة غير معهودة في الشرق الأوسط وافريقيا والعالم الثالث بوجه عام .

ان حرية الكلمة بالنسبة للمثقف في البلاد العربية مازالت هي المطلب المعلق في الفضاء ، لايستطيع أن يمسكه بيديه ، وقد لايستطيع أن يراه بعينيه !

ولكن هذا المطلب ذا الأهمية الفائقة ، وجد حلا مناسبا في مصر خلال المدة الأولى لرياسة حسني مبارك ، حتى غدت مصر الدولة العربية الوحيدة التي تصدر فيها صحف معارضة بالمعنى الحقيقي للمعارضة الصحفية ، وصارت القاهرة من العواصم القلائل في العالم الثالث التي يستطيع فيها المثقف أن يكتب كلمته ويمشي .. إلى بيته لا إلى السجن !

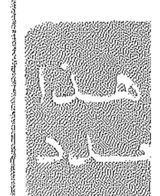
ونحن نشهد ـ للحقيقة والتاريخ ـ أن المجلات الثقافية المصرية لبثت طوال السنوات الست الماضية تكتب بحرية وبلا قيد سوى الضمير الوطني .

ومن أجل حرية ممتدة ، متسعة بلا انقطاع ، للصحافة والفكر والأدب والفن ، يرتقب المثقفون المصريون المدة الثانية للرئيس مبارك ، كما يرتقبها الشعب المصري ، من أجل تعميق الديمقراطية والحرية ، والبناء السليم في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. ومن أجل مستقبل الإنسان المصري وهو يدق أبواب القرن الحادي والعشرين ..!






**الغلاف : لوحة من أعمال**
**الفنـــان نـاجـى العلـــى**




## ● فكر وثقافة

ص



## ●● قضايا ومواقف



## ●● كان ياما كان

● رسائل صحفية ●

●● رسالة أثينا :



●● رسالة الجزائر :



● فن تشكيلى ●



● قصة وشعر ●



● الأبواب الثابتة ●

# تطوير التعليم الجامعى والقفز فوق المشكلات

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

**دواع عديدة جعلت الراى العام يأخذ انعقاد المؤتمر القومى لتطوير التعليم مأخذا سهلا ، ويوليه دون ما يستحق من الرعاية والاهتمام ، وينساه بعد ايام قليلة من انتهائه، رغم خطورة ما تعرض له، وخطر النتائج المترتبة على مااتخذ من قرارات .**

**أولى هذه الدواعى أن ثلاثة أيام غير كافية لان يتناول المؤتمرون بالجدية الكافية القضايا التى تعرضوا لها ، وبعمق يحيط بالمشكلات من شتى وجوهها ، وتفسح المجال لحوار يتسع لوجهات النظر المختلفة .**

**واخطرها أن هناك اسماء ظهرت على رأس اللجان مغررة ، ربما تملك المعرفة الواسعة، والخبرة الكافية، لكن رصيدها من ثقة المواطنين والجامعيين لاشىء فاشاع وجودها الغم والسلبية ، واشاع بين الجامعيين النغمة اليائسة: (( مفيش فايدة )) أما خارج الجامعة ففهم الناس الامر على انه مجرد تظاهرة اولا، وليس مهما ان تؤدى الى اية نتائج مرجوة وراء هذه الغاية .**

هل يتصور وزير التعليم ، وهو يعرف ما نعرف وزيادة ، أن وجود جامعى ، مهما كانت المناصب السياسية التى تولاها، دافع يوما عن فصل قرابة سبعين أستاذا جامعيا ، واعتقال اكثر من الف ونصف من المواطنين ، وتعطيل الصحف ، واعتبر ذلك ثورة ثالثة بعد ٢٣ يولية و ١٥ مايو ( ان كانت ثورة ) يمكن ان تستريح النفس لوجوده فى المؤتمر فضلا عن رئاسة احدى لجانه .

وليس هناك جامعي يقدر نفســه ودوره ، وفيــه بقية من احســاس بالكرامة يمكن ان يطمئن الى مقــرر لجنة كان يوما ، وهو أستاذ ، انشط رفاقه في اعطاء الدروس الخصوصية ويختار زبائنه من الطلاب الوافدين ، ولا يقبض الا بالعملة الصعبة ، ولا يذكر اسمه بين الطلاب والزملاء الا مضافا فيناديه « ٠٠٠ استرليني » او « ٠٠٠ دولار » ، فلما اصبح رئيسا للجامعة نسى كل القابه العلمية ، وتاريخه الجامعي ، وتحول الى شيء آخر نعرفه جميعا ٠

ومن هنا رأى جمــع لا بأس به ، وكاتب هذه السطور من بينهم ، ان المشاركة فى المؤتمر مضيعة للوقت ، واسهام فى زفة ، ومن الافضل ان نقول ما عندنا علنا لنشهد الناس عليه ٠

## ● مشكلات تناســاها المؤتمر

من يتابع الدراسة التى نشرها وزير التعليم عن اســـتراتيجية التعليم ، وما أمكن الحصول عليه من تقارير اللجــان ، يجد ان هناك مشــكلات اساسية وجوهرية لم يعرض لها احد وبدونها يصبح اى كلام عن التطــوير والارتقاء كلام فى الهواء ٠

لم يعرض احـــد أبدا لازدواجية التعــليم الجامعى وخطــرها ، كأن جامعاتنا واحدة ، وتخضع لاشراف واحد ، وتسير منســـقة نحو غايات متقاربة ، مع ان الواقع جد مختلف ٠ فلدينا الوان ثلاثة من الجامعات :

● جامعات مصرية ، تتبع وزارة التعــليم العــالى ، وينسق بينهـــا المجلس الاعلى للجامعات ، وهى التى يتحدثون عن تطويرها ٠

● جــامعات مصرية لا تعــرف وزارة التعليم العالى عنها شيئا ، ولا تملك بازائها أى شيء ، لأنها تتبع رئيس الوزراء ، وهى الجامعــات الأزهرية ، أقول الجامعات لأن الأزهر لم يعد جامعة واحدة مقرها القاهرة ، وانما أصبح يضم خمســـا وثلاثين كلية ، ان لم يكن اكثر ، موزعة على كل محافظات القطــر ، وفى الطريق المزيد منها ، وبعض كليــاته جامعة كاملة ، مثل كلية البنات الاسلامية ، وهذا الفيض من الكليات لم يعرض له أحد بكلمة ، وكأنها ليســت علــى ارض مصر ، ولا تنفق عليها الدولة ، والذين يتلقون العلم فيها ليســـوا مصريين ٠

● جــامعة أجنبية ، ليس للدولة عليها ، فضلا عن وزارة التعــليم ، اية رقابة فعالة ، او اشراف مثمر ، واعنى بها الجامعة الأمريكية ، وهى مؤسسة مستقلة ، وشرورها لا تقف عند حد ، وأرجو الا نخدع بالواجهة البراقة ممثلة فى عدد محدود جدا من خيرة الأساتذة المصريين تضعهم فى الواجهة ، فوراءهم بلاء عظيم ، واتمنى على وزير التعليم ان يطلب قائمة باســماء العاملين فيهــا من المصريين والاجانب ، وأن يراجــع طبيعة الاسماء والمؤهلات ، ومجرد قراءة الاسماء وحــدها سوف يضع يده على بعض ما تريده هذه الجامعة وتخطط له ، وتفسده على أرض هذا الوطن ٠

## ● الازدواجية فى الكليــات

والى جانب الازدواجية فى الجامعات هنــــاك الازدواجية فى الكلــيات والاقسام ، كأن الجــامعات مدارس ثانوية ، واختفت من حياتنا الجامعات المتميزة ، وتشابهت الاقسام وتعددت، وهو ما يكلف الدولة نفقات باهظة بلا مبرر ، ولم يعد انشاء الكلية أو المعهد او القسم يتطلب اية دراســة جادة ٠ طبعا هناك دراسات شكلية

وتبريرية فى اغلب الاحـيان ، رغم كثرة استخدامنا لمصطلح « دراسة الجـدوى » فى هذه الأيـام ، وبدا المجلس الأعلى للجامعات وكأن مهمته التبرير ، ولكى لا أكون متجنيا ، فى ذاكرتى مثل واحد يغنى عن كثير ٠

منذ ثمانى سنوات تقريبا وافق المجلس الأعلى للجامعات على رغبة محولة اليه من رئاسة الجمهورية عـن طريق وزارة التعليم العالى ، بانشاء قسم للتاريخ الاسلامى والحضـارة الاسلامية فى كلية الآداب فى جامعة المنيا ، وأرسل القرار الى الكلية ، وبداهة عارضت ، لأن بها قسـما للتاريخ من بين مواده هذه المقترحة ، ومن غير المتصور انشاء قسم مستقل لها ، لأن دراسـة تاريخ أيـة امة لا يمكن ان يدرس بمعزل عن تاريخ العالم المحيط بها ٠

ومع ذلك ، وترضية للجهة المطالبة انشىء بالكلية قسـم للدراسـات الاسلامية ٠ ولكنه لم يغن ، فانشئت كلية الدراسات العربية الاسلامية ، واعترض الأزهر على كلمة «الاسلامية» لأنها تدخل فى دائرة اختصـاصه فحذفت ، وبقيت « العربية » وحدها ٠

وأصبح فى مدينة المنيا وحدها : قسم للغة العربية ، واخر لدراسات الاسلامية فى كليـة الاداب ، وقسم اخر للغة العربية فى كلية التربية ، وكلية الدراسات العربيـة مستقلة ، وهى تدرس الامـرين ، وكليـة الدراسات الاسلامية ، وتتبع الازهـر ، وطلاب هذه الاقسام كلها لا يبلغـون نصف ألف ، ويمكن بسهولة واضحة جمعهم فى مكان واحـد ، وتوفيـر مسـتوى لائق لهم من الاسـاتذة والابنية ٠

والاكثار من أقسام اللغات الاجنبية اصبح « موضة » ، وبدا كأن الأمر لا ضابط له ، رغم النفقات الباهظة التى تكلفها ، والعائد القليل الذى تثمره ، مثلا : هنـاك قسم للغـة الالمانية فى اداب القاهرة ، واخر فى اداب عين شـمس ، وثالث فى كلية الالسن ( فى الجـامعة نفسها ) ، ورابع فى كلية اللغات فى الازهر ، وخامس فى كلية البنات الاسلامية ، وربما سادس فى مكان لا اعرفه ، وفى كل قسم اسـاتذة ومدرسـون ومعيدون ، ومجمـوع الدارسين فى هذه الاقسام ، فى كل السنوات ، لا يبلغون نصف الف ، ويمـكن ان يضمهم قسم واحد فى كلية واحدة ٠

والشيء نفسه يمكن أن يقال عن اللغة الاسبانية او الايطالية ، وحتى عن اليابانية ٠

وتتكرر هذه الاقسام فى جامعـة الاسكندرية ، وفى عدد من جامعات الاقاليم الاخرى ، وهى لا تعنى شيئا ذا اهمية ، وما انتجته فى الترجمـة مثلا ، على امتداد تاريخها ، وفى كل هذه الامكنة ، لا يبلغ شيئا ممـا قامت به مدرسة الالسن فى عهـد رفاعة الطهطاوى منذ مائة عـام او تزيد ٠

وفى القاهرة ، ودون ادنى مبرر ، فضلا عن النفقات الضائعة والاذى المترتب على تعدد الجهات التى تعد المدرس ، كلية للتربيـة تتبع عين شمس ، واخرى تتبع جامعة حلوان ، وثالثة تتبع الازهر ، وكلية واحدة تكفى ٠

## ● اللامعقول فى جامعة حلوان

ولم يقف الامر عند حد التكرار ،

فذات يوم قررت الوزارة ان تجعل من المعاهد التطبيقية والفنية جامعة مستقلة ، وهو أمر لم يكن مفهوما في حد ذاته ، لانه يخـــرج بهـذه المؤسسات عن دورها الطبيعي ، وهو اهم ، اولا يقــل اهميـــة ، عن الدراسات النظرية في الجـامعات ، وجعلها الوضع الجديد مسخا غيـر مفهوم ، وادى بها الحال الى اشياء غير معقولة ومضحكة ، ولابد ان يكون الانسان مختل العقل ليفهم أن كلية الفنون الجميلة فى الاسكندرية تتبـع جامعة حلوان في القــاهرة ، وفي الاسكندرية جامعة ، وان مدرب كرة القدم فى كلية التربية لابد ان يكون دكتورا حتى يرقى استاذا ، ومثله الضارب على الرق فى كلية الموسيقى وغيرها كثير ٠

وقد اخذت الجامعة اسم حلوان لتبنى فى هـــذه الضاحية جنـوب القاهرة ، ولتكون جامعة تقنية فى المقام الاول ، ولتتخذ من الصـحراء الواسعة هناك مجالا ، تبنى وتنشىء وتزرع ، وتخفف الضغط عن كـاهل القاهرة المدينة ، وحتى تتنسم مناخا جامعيا كاملا تفتقده ، وتذوب فيـه خصائصها المعهدية غير الصالحة ، لابد ان تجتمع كلياتها فى مكان واحد، مما يسهل الخـــدمات المركـــزية ، ويحول دون تعددها ، والارض متاحة بلا ثمن ، وفى مبانيها المتناثرة فى افخر احياء القاهرة ، فى جــاردن سيتى والزمالك والدقى ، ما يوفـر قدرا كبيرا من المـــال اذا بيعت ، وكان هذا هو المخطط له ، ثم جاء من يهمس : جامعةبجوارالمصانع ، وطلاب بجوار العمـــال ، فى هـــذا خطر شديد ، فماتت الفكرة ٠

**وبقيت الجامعة بوضعها الشـاذ هـــذا ، فى كل حى بيت ، وفى كل مدينة كلية ٠ وهو امر لا مثيل له فى اية دولة اخرى ، نامية او متقدمة !**

ومثل اخر :

## ● معهد الدراسات الاسـلامية

وهو اعجب معهد فى الدنيـــا ، ويحتل أفخم مبنى فى ارقى حى فى القاهرة ، وكان يتبع رئاسةالجمهورية فى البدء ، ثم الحق بوزارة التعليم العالى ، وهو ليس مدرسة ثانوية ، ولا كلية جامعية ، فهو لا يمنح درجات الليســـانس او البكالوريوس ، ولا كلية للدراسات العليا ، فهو لا يمنح الدكتوراه ، وانما يقتصر فقط على منح الماجســتير ، وهو ماجســتير عجيب ، لانه مســـبوق بســـنتين دراسيتين لا يحضرهما الطلاب عـادة وانما يقتصر الحال على حضور من يستطيع ، وكلهم طبعا يشـــترون الكتب ، وهذا هو المهم ٠

وهو اعظم المعاهد ديمقراطية فى العالم ، فهو يقبل الطـلاب من كل جنس ولون ، ومهما كان تخصصهم ، وبأى تقدير حصلوا على شـهاداتهم الجامعية ، بتقدير مقبول او تعثروا فقطعوا المرحلة الجامعية فى ضعف سنواتها ، ليس هذا مهما ، ومنهنا لا توجد جامعـــة فى مصر تعترف بشهادته الوحيدة التى يمنحها ، وهى الماجستير ، وليس فيه هيئة تدريس ثابتة ، وانما يعيش على الانتدابات ، ويحرص المنتفعون به على ان يبقى ، **فأعداد الطلاب كثيرة ، كل الحاصلين على درجـــة مقبول ، ولا يقبلـــون للدراسة العالية فى اى مكان غيره ، والحكومة تعاون ، والطلاب يدفعون ، والاساتذة يقبضون ، وتوزيع الكتب « على ودنه » ، ومكافاته مرتفعة ، ضعف ما تدفع الجامعات !**

من هم الذين يدرسون هناك ؟ وكم قبضوا فى السنوات الخـــالية ؟ لو تابعت الامر هيئـــة تحقيق لاكتشفت

منجما من المصائب والكوارث !

سيادة الوزير :

« بلاش فضايح » ، أغلق هذا المعهد فورا ، بذلك تحمى الطلاب من وهم كبير ، ولدينا كلية مستقلة للدراسات الاسلامية فى الازهر ، بها دراسات عليا ، ومعترف بشهادتها ، واقل سوءا بكثير .

## ● الحل الامثل .. كليات نوعية !

هذا البذخ فى كثرة الكليات وتعدد الاقسام ، دون قدرة على النهوض بها ، لا يتفق مع واقعنا الاقتصادى ، وما دامت الكليات فقيرة فى مكتباتها ومبانيها ووسائلها ، ومرتبات الاساتذة متدنية فى مستواها ، وأبواب الاعارة مفتوحة على مصراعيها ، فكل محاولة للاصلاح تصبح مجرد كلام منمق جميل ، تذهب به قسوة الواقع ، وتذروه رياح الاهمال والنسيان .

وطريقنا الى النهضة ، بنفقات أقل ، هو التجميع فى كليات نوعية ، نحشد لها كل قدراتنا ، ونجمع فيها خير ما عندنا من كفاءات ، فنقيمكلية واحدة للغة العربية والادب العربى ، وثانية للفلسفة والاجتماع ، وثالثة للتاريخ والجغرافيا ، ورابعة للغات الاجنبية ، وهكذا نصنع فى بقية التخصصات . ولا تتعدد الكلية الواحدة فى المدينة الواحدة .

ومنذ خمسة وثلاثين عاما تقريبا لم يفهم الدكتور محمد كامل مرسى ، وكان مديرا لجامعة القاهرة ، ان يكون فيها كلية دار العلوم وقسم للغة العربية فى كلية الاداب . وكلاهما فى جامعة واحدة ، فأصدر قراره بجمعهما فى كلية واحدة تحمل اسم كلية الدراسات العربية ، ولكن الخائفين والمنتفعين بما هو قائم بذلوا كل جهدهم ، واستخدموا كل أدواتهم ، فى معارضة قراره ، وكان ان اصدر اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ، بعد ضغوط شديدة عليه من اقاربه ، اوامره بالغاء هذا القرار ، فالغى بعد ان كان قد صدر فعلا !

ولدينا الان الشجاعة ، فيما اظن ، لكى نواجه مثل هذا الامر ، وعلى نطاق واسع .

## ● كليات التربية مشكلة

ليست مهمة كلية التربية ان تقدم المعرفة النظرية للطالب ، وانما دورها ان تعلم الراغب فى ان يصبح معلما كيف يوصل معلوماته الى التلميذ ، فيدرس نظريا نفسية التلميذ طفلا وصبيا ومراهقا ، ويتدرب عمليا على طرق التدريس المختلفة ، وما يرتبط بالحياة المدرسية من نشاط اجتماعى او ثقافى او رياضى .

وحتى اواخر الخمسينيات كان فى مصر كلها معهد واحد فى القاهرة ، يتميز بسمعة علمية عالية ، ومدة الدراسة فيه عامان ، ومع حاجة الوزارة الى مزيد من المعلمين أنشأت معهدا اخر فى الاسكندرية ، وفيهما كان يلتقى كل الذين سوف يعملون فى حقل التدريس مستقبلا ، مهما كانت الكلية التى تخرجوا فيها ، فيسمهم بطابعه ، وتقوى فيهم روح الالفة والزمالة ، ومع انه كان للازهر معهد خاص به ، يحمل اسم التخصص ، فان طلابه تظاهروا ، وطالبوا بان يكملوا دراساتهم

التربوية فى معهد التربية ، شأن بقية المدرســـين ، بـدلا من التخصص الازهـــرى ، واجيبوا الى طلبهم ، قبلوا فى معهد الاسكندرية فى البدء ، ثم فى المعهدين فيما بعد .

وعندما جمع طه حسين المعـاهد العليا ليجعل جامعة ابراهيم باشـا الكبير ، او جامعة عين شمس فيمـا بعد ، ضم اليها معهد التربية ، وان لم يتغير واقعه التعليمى او مهمتـه التربوية .

لا أعرف من هو الشيطان الـذى وسوس فى اذن وزير التعليم العالى الاسبق ليجعل كلية التربية اربعـة أعوام ، وتقدم المادة العلمية نفسها مع وسائل توصيلها ، ولان الحاجة الى المعلمين ملحة أنشأوا كليـــــة للتربية فى عاصمة كل محـــافظة ، وثانيـة للاداب ، وثالثـــة للعلوم ، بالاستيلاء على مبنى المدرسة الثانوية وتحويله مقـرا للكليات الثـــلاث ، وأصبحت كلية التربيــــة تضم نفس الاقســام الموجودة فى كليتى الاداب والعلوم ، ودون ان يكون بهـا هيئة تدريس مستقلة ، ماعدا التربويين ، واصبح طالب التربية من دون زملائه الاخرين ضائعا بين المادة العلميـة والمواد التربوية ، ودونهم فى مستوى التحصيل والمعرفة على التاكيد .

واذن لا مفـــر من العـــودة الى النظام القديم ، كليات تعد الطـالب علميا ، ومعاهد للتربية تؤهله عمليا ، والخلط بينهما عبء مادى ، وكارثة علمية ، ومؤذ من كل الوجوه .

## ● التوازن الجهوى

وكذلك لم يعـــرض المؤتمر ، او الدراسات ، لمـا يمكن ان نســميه التوازن الجهوى ، فنخطط لتعــــليم جامعى يمتد الى كل جهات القطـــر بمستوى متقارب ، ان لم يكن واحدا ، فليس عـــدلا ان تنتص القــــاهرة بافضله ، وان تذهب بعض المحافظات باغلبه ، كثـرة كليــــات ، وتنوع تخصصات ، على حين تحرم منـــه محافظات اخرى تمــــاما . فاعلى الصعيد مثلا محروم من الكليــــات العلمية تمـــاما ، الطب والهندسة والزراعة والصيدلة ، على حين تتجمع هذه الكليات فى القاهرة ، وفيمـــا تنــاثر من جامعات بين القـــاهرة والاسكندرية . ومقتضى هذا الحرمان بقاء هذه المحافظات متخلفة فى الكثير من العادات والتقـــاليد ، ومعـاناة الذين يمرضون حين يطلبون العلاج ، والذين يزرعون او يصـــنعون حين يطلبون المشورة والعون .

ويتصل بهـــذا الاعداد المقـــررة للكليات القائمة فى محافظات اعلى الصعيد فعلا ، فآداب قنـا مثـلا ليس بها غيـــر ثلاثة اقسام ، ولا يخصص لهـــا من الطلاب الا مائة ، يؤخذون من طلاب المرحلة الاولى ، اما بقية المراحل فعلى اصحابها ان يتجهوا الى القاهرة ، او اية جامعة اخرى ، ومن العادى جدا ان تجـد طالبا فى آداب الزقازيق او تجارتها او حقوقها من قنا ، ورمى به مكتب التنسيق الى وسط الدلتـــا ، لان التخصص الذى يريده غير موجود فى محافظته ، او لان العدد الذى حـدد لكلياتهـــا قليل ، بدون مبرر علمى واجتماعى .

لسنا فى حـــاجة الى مؤتمر او دراسات ، وانما نحن حقا فى حاجة الى وزير نظيف شـــجاع ، يقتحم المشكلات ، ويزلزل الواقع الجامعى ، وينقل حياتنا الجامعية الى قريب من نهاية القرن العشرين .

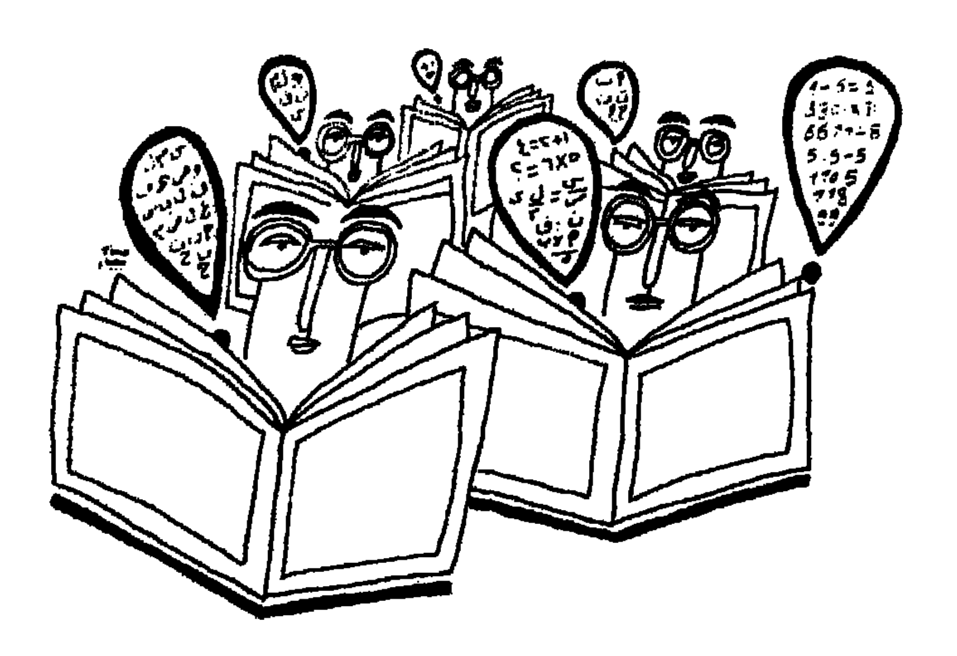
# القفز على الأشواك

# انقذوا الكتاب الجامعى!

بقلم: د. شكرى محمد عياد

إذا شب الحريق فى الدار ، فليس من الحكمة أن يذهب رب الدار إلى البازار ليبحث عن تحف يعلقها على الجدران ، أو يضعها فى الأركان - أيها القارىء الكريم - بعيداً عن جو الجامعات فى هذه الأيام ، فلاشك أنك ستظن كلامى هذا مبالغة مسرفة .

ولكنك تعلم أن هناك حقائق أغرب من الخيال ، وهذه بعض الحقيقة عن جامعاتنا ، فإذا شئت أن تستوثق من صحتها .. فما عليك إلا أن تحضر الكتب الجامعية التى يدرسها ابنك أو أخوك أو قريبك لترى طريقة فى التأليف ونوعاً من الطباعة لانظير لهما فيما عرفت من أشكال المطبوعات .. وعند ذلك تعرف أن أى حديث عن « فلسفة » التعليم الجامعى أو أهدافه أو مستواه لاتخرج عن كونه ضرباً من التعمية ، أو صرفا عن المشكلات الراهنة الملحة أو هروبا من أرض الواقع إلى دنيا الأحلام ..



لم يعد خافيا أن واقع التعليم الجامعى ، كواقع التعليم عموما ، كواقع الأخلاق والمجتمع ، هو انهيار واسع النطاق .. لذلك ينادى كثير من المفكرين بأن الظروف الحالية لاتسمح برسم الخطط الطموحة لأن علينا واجباً أسبق من ذلك .. وهو وقف التردى .

وقد يبدو هذا القول مفرطاً فى التشاؤم .. ولكن يجب الا يكون كذلك .. فليس فى مقدور أحد أن يزعم أن « وقف التردى » يعنى وقف التطور .. إن الظروف تستلزم حلولا جديدة ، ومشكلاتنا الحاضرة فى التعليم أو الاقتصاد او العلاقات الاجتماعية لايمكن أن تحل بالرجوع الى أوضاع قديمة .. واذن فلابد من الابتكار ، لابد من إعمال الارادة والفكر ... وطبيعى أن تتجه الارادة والفكر أولا الى وقف التردى .. أى العودة الى المستويات السابقة فى الكفاءة والانجاز .. ولكن حركة الارادة والفكر لاتتوقف عند هذا الحد .. فاذا انكسر المنحنى الهابط وعاد الى الارتفاع بدا الهبوط ، فانه لا يلبث ان يتجاوز المستوى السابق وربما تجاوزه كثيرا .. هذا ـ على الأقل ـ هو أحد احتمالات الحالة التى نحن فيها ، ولا ندعى أنه قانون طبيعى أو تطور محتوم ، فما دام الأمر معلقا بـ « الارادة » فلاحتمية فيه ، وإنما هناك « واقع » يجب أن يحسب حسابه ، و« عزم » ثابت على تغيير هذا الواقع ، و« فكر » يستكشف المسالك ويبتدع الوسائل لاحداث هذا التغيير .

● بين الطموحات والقدرات

وبداية الطريق للتغير هى أن نوفق بين طموحاتنا وقدراتنا فالارادة لاتتحرك اذ كان الهدف الموضوع فوق امكانها ، ومن ثم تبقى الأمور على ماهى عليه ، ويبقى الحديث عن الأهداف مجرد حديث ، لا تتبعه محاولة للتحقيق . وشر من ذلك أن يختلط الممكن بغير الممكن ، نتيجة لغموض الرواية ، فتنبعث الارادة نحو هدف مستحيل التحقيق ، وتكون الخيبة ، وتكون المرارة وتصاب الارادة بما يشبه

# الأشواك

الشلل ، فهى تجفل من كل تغيير ، وتخاف عاقبة كل تحرك .

**لهذا نرى أن كل تقدم حقيقى ينطلق من علاج ، واقع قائم ، وأن العلاج الناجح لمشكلة واحدة أجدى من برنامج طويل عريض من « التوصيات » التى تعبر عن آمال ، أكثر مما تحمل من حلول ، ومشكلة الكتاب الجامعى التى نحن بصددها الآن هى على رأس المشكلات التى جدت على التعليم الجامعى ، وعملت على الهبوط السريع والمستمر فى مستواه .**

الأصل فى التعليم الجامعى ـ وقد كان مرعيا فى جامعاتنا الى وقت غير بعيد ـ هو أن يلتزم الطالب والأستاذ بدراسة " حقل " معين ، أى مجموعة من المعارف المنسقة حول موضوع معين .. ويراعى فى مجموع « الحقول » التى يغطيها الطالب قبل حصوله على الشهادة الجامعية الأولى أن تضعه على أول سلم التخصص ، وذلك بأن يكتسب مع « كم » المعرفة الذى يحصله فهما لطبيعة المشكلات التى تعالج فى هذا التخصص ، وطريقة علاجها ، وبذلك يتكون لديه استعداد ذهنى معين ـ سمه « ملكة » أو ذوقاً فى العلم إن شئت ـ يمكنه من توسيع معلوماته وتنمية خبراته ، بل يتطلب إشباعاً مستمرا فى هذا السبيل ، بحيث يصبح العمل فى تخصصه ، بحثا وتجريبا وتطبيقيا ، متعة أعظم من جميع المتع عنده ، وربما استهواه العكوف على البحث لجلاء بعض غوامض العلم فواصل دراسته العليا فى موضوعات أكثر تخصصا .. ولكن طالب الدراسات العليا يفشل حتما إن لم يعد فى مرحلته الجامعية الأولى ذلك الاعداد الذى يخلق فيه ملكة البحث .

هذا التصور لطبيعة التعليم الجامعى والغاية منه لايسمح بوجود « كتاب مقرر » لكل « مادة » يلتزم الطالب بحفظ مافيه ، أو أجزاء ممافيه .. فمثل هذه الطريقة تقتل فيه روح التساؤل التى تدفعه إلى البحث عن المعلومات وربط بعضها ببعض ، وتحوله الى « كومبيوتر » بشرى محدود الطاقة فى الاستيعاب ، ضعيف القدرة على الحفظ والاسترجاع .. لذلك لم يكن الكتاب المعتمد أو المقرر معترفا به فى جامعاتنا ، شأن كل جامعة جديرة بهذا الاسم ، وانما كانت هناك المراجع الأساسية فى كل فرع من فروع التخصص ، ثم كانت هناك ـ فى مجال الدراسات الانسانية بالذات ـ الآثار التى تمثل علامات بارزة فى تاريخ الفكر أو الفن ، وكان الطالب مضطرا إلى الاعتماد على هذه الآثار والمراجع اعتمادا كبيرا أو قليلا بحسب قدراته ونوع تخصصه وميول أستاذه ، ولكنه على كل حال لايصل إلى نهاية المرحلة الجامعية الأولى دون أن يكون قد ألم بالكثير منها .

فقد كان من المنتظر من الأستاذ أن « يحاضر » أى أن يتكلم ويشرح ويناقش ، لا أن يملى .. ولكن المملين وجدوا فى ذلك العهد أيضا .. بل وجد منهم عدد غير قليل .. ثم اجتمعت الظروف

لتجعل « الأمالى » هى القاعدة .. ثم لتتحول الأمالى الى كتب مقررة .

اجتمع فى سنوات قليلة : تضخم اعداد الطلاب ، وضعف امكانيات المكتبات الجامعية ، وشحة الوارد من المراجع الأجنبية ، وغلاء اثمان الكتب عامة ، وضعف المستوى العلمى للطلاب ، وارهاق الأساتذة بالأعباء الاضافية واضطرارهم الى السعى لزيادة دخولهم بمختلف الوسائل - وربما اضفنا الى ذلك ايضا نوعا من التساهل فى القيم أو تناوم الضمائر لم تنج منه بيئة من البيئات .

بدأ كل استاذ يطبع مذكراته بمختلف أنواع الطباعة : فمنها الكتب العادية ، ولكن مع الاقتصاد الشديد فى ثمن الورق وتكاليف الطبع ، ومنها الأوراق المصفوفة بالآلة الكاتبة والمطبوعة بالرونيو ، وأستاذ الجامعة - مهما تكن درجته العلمية - سلطان فى مادته لامعقب لحكمه .. فهو يفرض على طلابه مايشاء من كتب ، ويضع لهم مايراه مناسبا من اختبارات ، ويقدر لهم مايقدر من درجات .. فهم لايحصلون من العلم الا مافى هذه الكتب أو هذه الأوراق ، ولعل الأستاذ لملمها من هنا أو هناك - بل هذا هو الغالب - ثم دفعها الى المطبعة مستعجلا فخرجت فوق غثاثتها مشحونة بالأخطاء .

ولكل قاعدة شواذ كما يقال .. أعلم أن فى جامعاتنا - إلى الآن - أساتذة ينتهرون الطالب الذى يسأل : « ماهو الكتاب المقرر يا أستاذ ؟ » ولكن الشاذ لاحكم له كما يقال أيضا .

● ممارسات غير شرعية ●

وهكذا سارت الجامعة على هوى الطالب البليد ، والأستاذ المهمل «والضعيف أمير الركب » وهكذا أصبح «كتاب الأستاذ» هو المرجع الأول والأخير . وفى معظم الكليات شمر المعيدون عن سواعدهم وقاموا يلخصون هذه الملخصات ويمدون بها الطلاب الذين يلجأون اليهم للدروس الخصوصية .. وكل ذلك مشهور ومعروف .. ولكنه ليس بأخطر مافى الأمر .

فقد ظلت هذه « الممارسات » خارج نطاق الشرعية ، كسوق سوداء فى العلم ، مهما تحكمت فان لها صفة الوقتية والضرورة .. أما الأصل فى المراجع الجامعية فلايزال هو الأصل وأن أصبح مجفوا مهجورا .

الكارثة الحقيقية هى أن « الشرعية » انتقلت الى « الكتاب المقرر » ! وقد تم التجول بصورة « ناعمة » جدا .. ثم بالتدريج ودون أن يشعر به أحد ، فقد بدأ علاجا لحالة عمت الشكوى منها ، ولعل الذين وضعوا العلاج وشرعوا فى إعطائه كانوا حسنى النية ، راغبين حقا فى الاصلاح ، ولكن لكل إصلاح عندنا معبرا خبيثا الى مزيد من الفساد ، وسر هذه الظاهرة الغريبة - والله أعلم - أن اصلاحاتنالاتتعمق الى الجذور ، ولكنها تركب نظاما جديدا فوق نظام قديم ، وبذلك تخلق فئة جديدة من « المنتفعين » تضاف الى الفئة القديمة !

تغالى بعض الاساتذة فى أثمان الكتب ، فتدخلت الادارة الجامعية لتخفيف العبء عن الطلاب وأولياء أمورهم ، وعرضت على الأساتذة - دون أن تلزمهم - تقديم مالديهم من الكتب والمذكرات إليها ، على أن تأجرهم عليها الأجر

القفز على

# الأشواك

المجزى ، وتبيعها للطلاب بالثمن الذى لا يرهقهم ، أى أن سياسة « الدعم » شملت الكتاب الجامعى ، وهذا شىء حسن بدون شك ، اذا وضعت الضوابط التى تضمن جودة الكتاب ، أما أن يكون الكتاب المدعوم كالرغيف سيئا شكلا ومضمونا .. بل غير صالح للاستعمال الآدمى فى كثير من الأحيان ، فهذا تبذير فى أموال الدعم ، التى هى فى النهاية أموال الشعب كله ، لصالح قلة من المنتفعين .

أمامى كتاب من أوائل الكتب الجامعية التى أنفقت عليها الدولة ، صادر ـ كما طبع على غلافه ـ عن « الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية » وتاريخ طبعه سنة ١٩٧٧ .. الكتاب أشبه بمرجع واسع ، يمكن أن يستخدم فى تدريس عدد من « المقررات » لا أقول إنه كتاب نموذجى فى نوعه .. ولكن كان ـ دون شك ـ بداية حسنة لو استمر الجهاز المذكور على اصدار هذا النوع من الكتب .. ولكن الذى حدث كان شيئا مختلفا كل الاختلاف .

وقد استقيت معلوماتى عن هذا الذى حدث ويحدث ، من زملاء قدامى ، متفاوتى الدرجات فى سلم هيئة التدريس ، ومنهم من يعمل فى أقدم جامعاتنا ومنهم من يعمل فى أحدثها ، ومنهم المتخصص فى الانسانيات ، والمتخصص فى العلوم الدقيقة ، ولاشك أن ما أكتبه الآن معلوم للكثرة ، ولكنى أكتب للقلة التى لا تعلم كما أكتب للكثرة التى تعلم ولايهمها ماتعلم ـ وأكتب ـ من بين هؤلاء وهؤلاء خاصة ـ للذين يملكون أن يغيروه ولايغيرونه .

**أصبح فى الجامعات اليوم تسعيرة للكتب كتسعيرة اللحم والخضار ،** المقرر ذو الساعتين فى الأسبوع له كتاب حجمه كذا ، وذو الثلاث له كتاب أكبر ، والملزمة لها سعر محدد ، ولم يعد فى وسع الجامعات أن تتولى عملية الطبع فالأستاذ يتولاها بنفسه ، ويذهب فى أول السنة أو اول الفصل الدراسى حاملا عددا من النسخ بقدر عدد الطلاب المسجلين فى مادته ، ويتقاضى الثمن بالعدل والقسطاس .

وهذا بالطبع ، وكما سبق القول ، لايمنع الاستاذ ان لم تعجبه شروط القطاع العام ، أن يتعامل مع القطاع الخاص ، وبعض الأساتذة ـ وهذا داء قديم ـ يتولى طبع كتابه بنفسه ويحدد سعره كما يريد ويسلم النسخ الى عامل فى قسمه ليتولى مهمة التوزيع لقاء «نسبة» صغيرة .

وتظل هذه الكتب ـ سواء ما مر منها بالقطاع العام أو القطاع الخاص ـ سرا بين الاستاذ وتلاميذه ، الا أن يتجسس عليها زميل موتور لينتقم من زميله ، وعندئذ تثور فضائح يمكن أن تتحدث عنها الصحف ، ولكن معظم الأساتذة ( ولنتجاوز الآن عن الالقاب الجامعية .. فكل من يدخل على مجموعة من التلاميذ ليعلمهم ويقيم تحصيلهم هو بحكم الوظيفة والواقع أستاذ مهما تكن درجته العلمية ) أقول ولكن معظم الأساتذة يؤمنون بالمثل القائل : اذا كان بيتك من زجاج فلا تقذف الناس بالحجارة ..

ويظل الصراع محصورا ـ فى أغلب

الاحيان ـ داخل مجالس الأقسام وبالذات عند توزيع الدروس فى نهاية عام أو بداية عام .. **فالأساتذة يحفظون عدد ساعات كل مادة عن ظهر قلب .. كما يحفظون أعداد التلاميذ فى كل فرقة ، وكل يحاول الا يخرج بصفقة المغبون** ، ورئيس القسم يحاول أن يرضى الجميع ، فكلهم قابله قبل الجلسة ووصاه وتملقه ، وكل قال فى حق زميله ماقال ، وكل أبدى حججه حتى وصل إلى رزق العيال .

ومسكين هذا الرئيس ! فقد يكون لدور الحكم بهجته وعظمته ، ولكنه مضطر أن ينزل الى حلبة الصراع حين يحضر مجلس الكلية ويطرح موضوع توزيع الطلاب على الأقسام ، والعدد الذى يخصص لكل قسم ، فسيحاول ـ هو ايضا ـ الا يخرج قسمه بصفقة المغبون .

● **أين سمعة مصر ؟!**

بربكم أيها المدلهون فى حب مصـر .. أيها الغيورون على سمعة جامعـات مصـر .. أيها الحريصون على مستقبل شباب مصـر ـ ماذا يمكن ان تكون مصر وسمعة مصر وحال جامعاتها هذا الحال ؟

لاتقفوا مكتوفى الأيدى ، كأنكم بارعون فقط فى خلق المشكلات لاتسمعونا كلاما حلوا .. تعلمون أنتم قبل غيركم انه مستحيل التحقيق .

ولا تجيئونا بنظام جديد تضعونه فوق النظام القديم الفاسد ، فلابد أن يسرى الفساد من القديم الى الجديد .. احفروا حتى الجذور ، تعمقوا حتى الأساس .. ثم واجهوا اوضاعنا المادية بشجاعة ، دون تهوين أو تهويل .. مشكلة الكتاب الجامعى عندنا ـ كسائر مشكلاتنا ـ ممكنة الحل ...

وحل مشكلة الكتاب الجامعى ليس بيد وزير التعليم أو رئيس الدولة ، بل ولا « القيادات » الادارية فى الجامعات ..

**الحل ـ فى تقديرى ـ بيد الأساتذة العاملين دون سواهم** ، ولعل الزملاء الذين يؤلفون «اللجان الدائمة لفحص الانتاج العلمى» ـ وهى لجان تضم كبار الاساتذة فى التخصصات المختلفة وتمثل كل الجامعات ـ هل هؤلاء الزملاء الكرام قد شعروا الآن انهم المعنيون بهذا الكلام ، **وأن فى أيديهم امانة يسألون عنها أمام الأمة ، وأمام التاريخ وأمام الله ..**

أن يرقى فلان أو لايرقى مسألة مهمة قطعا .. ولكن المسألة الأهم هى أن توفروا للطالب غذاءه اليومى الذى يصلح عليه عقله .. وليس لهذه المهمة غيركم حتى ولو لم ينص عليها صراحة فى اختصاصاتكم .. كل لجنة من لجانكم هى قيادة عليا لهيئات التدريس فى تخصصها ، فلتقم كل لجنة بمسح شامل للحقول والمواد الأساسية فى كل حقل ولتؤلف لجانا لوضع كتاب أو اكثر فى كل مادة .. ولايحرمنّ أحد صغيرا أو كبيرا من الاشتراك بجهده فى هذا العمل الكبير .. حتى المعيد يمكنه أن يشارك فى جمع المادة أو تصحيح تجارب الطبع .. فليست المسألة فتح باب جديد للانتفاع ، يتزاحم حوله الطالبون ، ولكنه حق وواجب فى الوقت نفسه ، للوطن وللعلم ، وللذات أيضا .. وإذا قل الربح المادى أو زاد .. فان الربح فى جانب احترام الانسان لنفسه لايقدر بمال .

ثم يكون النظر فى تدريب الطلاب على البحث ، واعداد جيل من العلماء .. ولهذا حديث يطول !

# عن آفات الشهرة وحلاوة النجاح

بقلم : حسين أحمد أمين

**نجاح الأديب وشهرته ، هل يفسران أدبه وشخصيته ؟ تضاربت الآراء ..**

**فمن قائل كـ ( هيمنجواى ) إن النجاح ألد أعداء الأديب : "فالكتاب الجيد يأتي له بالمال . وما يأتى المال حتى يرفع الكاتب به من مستوى معيشته . وما يرتفع مستوى معيشته حتى يبدأ هو وزوجته وأولاده فى اعتياده ، فيحرص كل الحرص على ألا ينخفض . ويؤدى حرصه ذلك إلى السرعة والإفراط فى الكتابة . والإفراط والسرعة فى الكتابة يؤديان إلى الإسفاف وهبوط المستوى . وإذ يهبط مستوى كتاباته يخمد حماس النقاد والقراء . وبخمود هذا الحماس تهتز ثقة الأديب بنفسه" .**

توماس مان



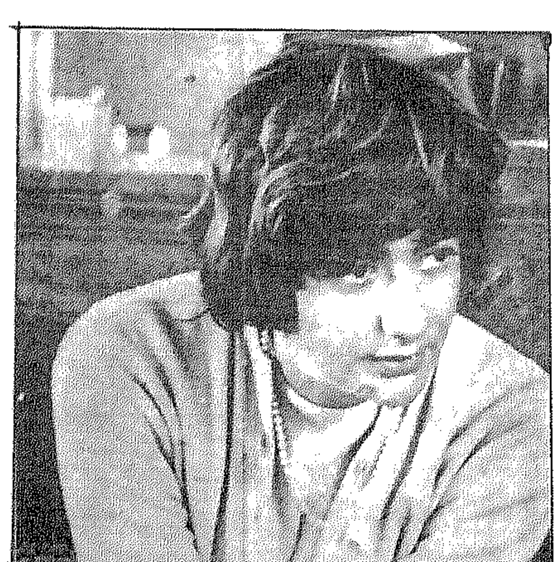
**ومن قائل كـ "سمرست موم" إن النجاح لا يفسد الأديب وإنما يصلحه . "وهو لا يؤدى به إلى الغرور وتعاظم الإحساس بذاته ورضائه عنها . بل هو يعزز من السمات الطيبة فى خلقه . ويضفى عليه تواضعا وتسامحا واعتدال مزاج ، فى حين يميل به الفشل إلى أن يضحى قاسيا شديد الإحساس بالمرارة ، عظيم الحسد لغيره من الكتاب الناجحين ، دائم السخط على ما حوله ومن حوله" .**

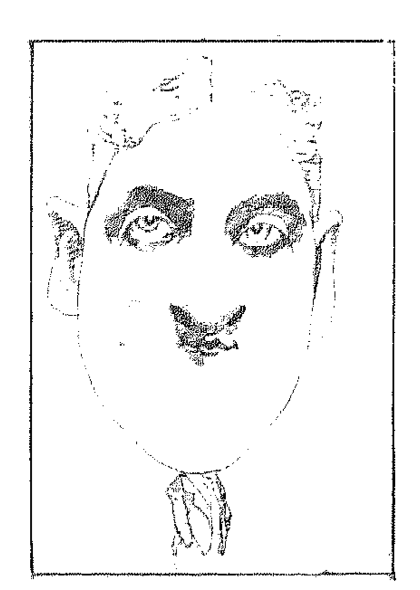
وتضارب الآراء هذا راجع فى حقيقته إلى اختلاف طبائع الناس اختلافا يجعل من الأمر الواحد ضارا بهذا ومفيدا لذاك . فمن المؤكد أن النجاح المبكر والشهرة لم يضرا بأدب تولستوى ، أو دوستويفسكى ، أو جوته ، أو تشارلز ديكنز ، أو كبلينج ، أو توماس مان ، أو آرثر ميلر . كما أنه من المؤكد أنه أفسد فرانسواز ساجان ، وشولو خوف ، وسكوت فيتزجيرالد ، وتينيسى ويليامز ، وجون أوزبورن ، وكولين ويلسون .. كذلك فقد يؤدى فشل أديب معين فى إحراز النجاح والشهرة إلى إحساسه بالقهر ، وفقدانه الثقة بنفسه ، ثم إلى إحجامه كلية عن مواصلة الكتابة ، وقد لا يؤثر هذا الفشل فى إيمان أديب آخر بقدراته وقيمة ما يكتبه ، فيكتب لنفسه أو لأجيال تالية هو على ثقة من أنها ستكون أقدر على تقييم أدبه تقييما عادلا .

فالقاعدة فى هذا الشأن إذن أنه لا قاعدة ، وأن الأمر يتوقف على شخصية الأديب وطبيعة تكوينه . فإن كان قد قيل إن الفراق يقتل المودة السطحية ويزيد المودة الصادقة توهجا ، فكذلك النجاح والشهرة قد يقتلان المواهب الصغيرة والزائفة ، ويصقلان الموهبة الحقيقية الضخمة .

## ● المواهب الزائفة

فأما عن صاحب الموهبة الضعيفة أو الزائفة : فهو قد يخرج على الناس بكتاب يلقى بينهم رواجا عظيما ولا يكون لهذا الرواج والنجاح أدنى صلة بعبقرية أو نبوغ . فقد يكون حاويا لأسرار سياسية لا يعلمها غيره ، أو وصف رحلة إلى أقطار بعيدة لم تطأها أقدام غالبية قرائه . وقد يكون كتابه جنسيا فاحشا ، أو فكاهيا رائقا ، أو بوليسيا شائقا ، أو عاطفيا رومانسيا يستهوى قلوب المراهقات والمراهقين ، أو شديد التعاطف مع تيار سياسى أو دينى له شعبية كبيرة مؤقتة .. حينئذ يلمع اسم الكاتب ، وتزيد دور النشر من نسبة مكافأته ، وتستجلبه الإذاعة للحديث فيها ، والتليفزيون لكتابة


فرانسواز ساجان


سكوت فيتزجيرالد

التمثيليات المسلسلة لـه ، وتستكتبه الجرائد والمجلات ، ويدعى للاشتراك فى ندوات ، وإلى إلقاء المحاضرات ، وتجرى معه المقابلات الصحفية ، وتسند إليه كتابة عمود يومى أو مقال أسبوعى ، ويؤخذ رأيه عند وقوع حدث ، ويمطر بالأسئلة عن نمط حياته وأسلوب معيشته ، وعن ألوان الطعام التى يهواها ، والأغانى التى يفضلها ، وعلة غرامه بالقطط ، وسبب كراهته لارتداء رباط العنق .

**وهو إذ يقبل على كل هذا فى نشاط وهمة ، إنما يحفر قبره بنفسـه .. فالساعات التى كان يقضيها فى الإطلاع والقراءة تتناقص فتتضاءل فتندثر .. والمال الذى بات يغدق عليه قد نقله من الريف أو مدن الأقاليم إلى العاصمة ، أو من وسط شعبى يفيض حياة وكان مصدر إلهام كتاباتـه الأولى إلى صالونات الأغنياء والأدباء من أمثاله . وقد تعرف بسبب نجاحه بعدد كبير من النقاد والكتاب ، وأنشأ معهم علاقات شخصية ، فباتوا مضطرين اضطرارا إلى امتداح كل كتاب جديد له ، أو الإحجام ، على الأقل ، عن بيان نقائصه وعيوبه ، فيزيده مديحهم الذى يحسبه مخلصا غرورا واطمئنانا إلى استمرار موهبته .**

**وعد الناس ضرطته غناء**

**وقالوا إن فسا : قد فاح طيب !**

وإذ أن المجلات والصحف ودور النشر وسائر سبل الإعلام يهمها شهرة الكاتب قبل جودة ما يكتبه ، فإنها تظل على إلحافها فى طلب المقالات والتمثيليات المسلسلة والكتب إلحافا يوهمه بأنه لا سبب وراءه غير عبقريته . وعموده اليومى فى الصحيفة يملأ ، ومقاله الأسبوعى فى المجلة يكتب ، وإن لم يكن قد بقى فى عقله أفكار جديدة ، والبئر لابد من استخراج الماء منها ولو كانت فارغة . وأصحاب الصالونات من الأغنياء يتهافتون على دعوته لإضفاء البريق على سهراتهم ، فيتبدد وقته وتتشتت طاقته الذهنية والروحية بالتردد عليها لسماع الثناء على آخر ما كتب ، وأحدث ما نشر . وثمة نساء وفتيات قاصرات العقل يـراسلنه أو يستنشرنه أو يتزاحمن عليه ، ويرين فخرا أن ينشئن معه علاقة جنسية . كل هذا وغيره أمور من شأنها أن تقتل الموهبة الصادقة بله الموهبة الزائفة ، فإذا كل كتاب هو أضعف مما سبقه ، وكل مقال أتفه من سلفه . حتى إذا ما صار كقشرة الليمونة قد اعتصر منها ما فى جوفها ، تعجب وتأفف ، وتألم وتذمر ، إذ يرى الجمهور وقد تحول عنه فجأة إلى كاتب صاعد ونجم جديد ، وإذا مكانه فى صفيحة القمامة وهو الذى كان قد أوشك أن يصبح على ثقة من أنه فى زمرة الخالدين .

## ● متاع الغرور

لاشك فى أن كل هذا كان وراء قولة أنتونى ترولوب الشهيرة "إن النجاح هو بمثابة السم الذى ليس من المصلحة تناوله إلا فى أواخر العمر ، وحتى فى أواخر العمر فإنه لا ينبغى تناوله إلا فى جرعات صغيرة" . فالكهل والشيخ أبصر من الشباب بالأمـور على حقيقتها ، وأصعب انبهارا بالمتقلب الفانى ، وأقل تعرضا للإصابة بالزهو أو بالإفراط فى تقييم متاع الغرور . فإن أخذنا فى الاعتبار ذلك الميل المرضى لدى النقاد إلى أن

يلعبوا دور يوحنا المعمدان الذى بشر بقدوم المسيح ، والتهليل الأحمق لكاتب جديد شاب باعتباره "أمل المستقبل" ، و"أعجوبة الزمان" ، و"خليفة طه حسين وعباس العقاد" ، أدركنا مدى خطورة خمر الثناء المفرط على عقول الشباب الغر . والكثيرون منا قد عاصروا الضجة المفتعلة التى صاحبت صدور رواية "مرحبا أيها الحزن" لفرانسواز ساجان وهى فى الثامنة عشرة ، وتمثيل مسرحية "أنظر إلى الماضى فى غضب" لجون أوزبورن وهو فى السابعة والعشرين ، وظهور كتاب "الغريب" لكولين ويلسون وهو فى الخامسة والعشرين ، ثم لمسوا ذلك التدهور الغريب الذى طرأ على ثلاثتهم ، وإفلاسهم الذهنى ، الرهيب بعد أن صاروا من مشاهير العصر ونجوم الأدب . كذلك يمكننا تبين هذه الحقيقة من قراءة الروايات الست لجى دى موباسان ، ومراقبة انحداره التدريجى من رواية رائعة ( حياة ) ، إلى رواية جيدة ( بيل آمى ) ، إلى ثالثة لا بأس بها ( بييروچان ) ، إلى رابعة متوسطة ( مونت أوريول ) ، إلى خامسة سيئة ( قوى كالموت ) ، إلى سادسة مشينة قبيحة بالغة السوء ( قلوبنا ) ، وهو انحدار كان يزداد حدة بنمو شهرته ، وتعاظم ثروته ، وازدياد تزاحم النساء عليه .

● مزايا تأخر الشهرة

وأما عن أصحاب المواهب الحقيقية ، فما من أدنى شك فى أن الشهرة ستكون من نصيبهم ، وأنها ستلازمهم بالضرورة ملازمة الظل للإنسان . غير أنها كالظل ، تسبق الإنسان أحيانا وأحيانا تتبعه . وقديما قيل إن معبدها يحوى أمواتا لم يدخلوه حتى ماتوا ، وأحياء سيطردون منه فور وفاتهم .. فالكاتب المتميز الفحل ، كالمتنبى وشوبنهاور ، لا مفر من أن يستثير عند الكتاب من أصحاب المواهب الزائفة مشاعر الحسد والغيرة والخوف والكراهية . فهو كالشمس إذا طلعت "لم يبد منهن كوكب" على حد تعبير النابغة الذبيانى . وإذ تصفر وجوهم وتنقبض صدورهم إزاء كل كتاب أو مقال ممتاز يصدر من قلمه ، يرون السلامة فى التحالف والتآزر من أجل هدمه ، والتضافر على تحقيره وإخماد صيته . وقد يلجأون إلى سلاح الصمت للحيلولة دون نيله الشهرة التى ستودى بشهرتهم ، فلا يذكرون كتبه بكلمة ، ويحرصون على ألا يرد ذكر اسمه على ألسنتهم ، فى الوقت الذى يشيدون فيه بكل مقال أو كتاب يصدر عن أمثالهم من أصحاب القرائح العقيمة الجدبة ، ويمسح بعضهم جوخ بعض كما تتهارش الحمير ، مطمئنين إلى أنه لا خطر على شهرتهم من شهرة التافهين الأراذل .

على أن تأخر شهرة المجيد الموهوب هو فى الغالب خير له وإن كرهه وتألم له . فهو بتأخرها قد تجنب لسنوات طويلة ما تحدثنا عنه من أخطار الثروة والغرور ، والصالونات والنساء ، وهجره لمصدر إلهامه وبيئته الطبيعية .. مازال وقته ملك يده ، وقراءاته وساعات تفكيره وتأملاته لم ينتقص منها شىء . كذلك فإنه ما من شىء ذى قيمة حقيقية إلا استغرق نموه زمنا طويلا . أو كما قال ابن حزم : "أسرع الأشياء نموا أسرعها فناء ، وأبطؤها حدوثا أبطؤها نفادا ، ومادخل عسيرا لم يخرج يسيرا" .. إن تأخرت

شهرة الكاتب فى حياته فالأرجح أنها ستدوم مدة أطول بعد وفاته .

**يموت رديء الشعر من قبل أهله**
**وجيّدُه يبقى وإن مات قائله**
**( يغبل )**

فهو إن تأنى ، فإنما ليتقن . "قال بعض الشعراء لبعض : أنا أقول كل ساعة قصيدة وأنت تقرضها فى كل شهر . لأنى لا أقبل من شيطانى مثل الذى تقبله من شيطانك" ! وإن كتب فإنما يكتب للأجيال كافة والأمم كافة ، لا لجيله وحده وأمته وحدها . أما من جاءت شهرته الزائفة نتيجة تناوله لموضوعات الساعة ، أو لإرضاء ميول عارضة واتجاهات سياسية أو دينية مؤقتة ، فإنما شهرته أشبه شيء بالأعشاب والنباتات الصحراوية التى تنمو سريعا وتذوى سريعا ويسهل على الطفل الرضيع اقتلاعها ، أو بالورقة الخفيفة ليس بوسع أقوى ذراع لناقد أو ناشر أن يطيرها مسافة بعيدة .

أضف إلى ذلك أن تأخر الشهرة والنجاح سبب فى ألا يتعجل الكاتب الإنجاز ، أذ ليس هناك ما يستحثه ويدفعه إلى أن يمسك بالقلم مالم تجل بخاطره فكرة جديدة ذات قيمة . وهو فى العادة إنما يكتب لإرضاء حافز داخلى قوى يحفزه إلى التعبير عن ذاته ، لا لإرضاء جمهور قرائه :

**علىّ نحت القوافى من مقاطعها**
**وما علىّ لهم أن تفهم البقر**
**(البحترى)**

**وهو يدرك أن النائحة الثكلى ليست كالنائحة المستأجرة ، وأن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .. لذلك فهو حريص كل الحرص على كمال الأداء ، وإتقان الصنعة . ليس ثمة عمود يومى أمامه عليه أن يملأ سطوره بأى كلام ، ولا وراءه رئيس تحرير مجلة يستحثه الإنجاز كى يلحق بالعدد الأسبوعى ، أو مدير إذاعة يستعجل حلقات التمثيلية لتسجيلها قبل ظهور هلال رمضان . وقد قضى جوته فى كتابه "فاوست" اثنين وستين عاما . ولو أنه كان ينشرها فى حلقات فى مجلة ، أو استعجله مدير الإذاعة لتسجيل المسلسل ، لكان من المؤكد أن يحرم الأدب العالمى من إحدى روائعه .**

## ● حلاوة النجاح

غير أن للشهرة والنجاح فى حياة الكاتب ـ رغم كل ما قلنا ـ آثارهما الطيبة الحميدة . صحيح أن قيمة الكاتب الحقيقية ليست فى إنتاجه الفعلى بقدر ما هى فى قوة القريحة ورهافة الحس اللتين مكنتاه من كتابة ما كتب ، وإنتاج ما أنتج .. هى فى نفسه وملكاته لا فى المظهر الخارجى لهذه الملكات . غير أن الشهرة ونجاح كتبه من شأنهما أن يطمئناه على أنه يمتلك موهبة حقيقية يجدر به استغلالها وإنماؤها وتعهدها بالرعاية ، فى حين قد يزعزع الفشل من ثقته فى وجود تلك الموهبة فيتوقف عن ممارستها .. فالثقة بالنفس هى عماد المهارة وشرط المقدرة . والأديب عادة يفتقر إلى القدرة على أن يحكم بنفسه على مدى جودة ما يكتب ، مالم يلمس رد الفعل الإيجابى أو السلبى لدى جمهور قرائه ونقاده . والعين ، كما قيل ، لا ترى نفسها

إلا بمرآة .. وإذ أن العالم زاخر بالأناس العاديين غير المتميزين ، فإن الشهرة العظيمة لا يمكن أن تعنى إلا أن صاحبها فرد متميز خارق للعادة ، وأنه من بين الآلاف التى يصادفها فى الطريق ، أو الملايين التى يسمع بوجودها ، ذو قيمة فذة ترفعه فوقها ، وتفرقه عنها . ولابد أن إدراكه لهذه الحقيقة سيجلب إلى نفسه الرضا والسعادة ، خاصة إن كان العمر قد تقدم به فأفقده القدرة على الاستمتاع بأمور كثيرة مما يستمتع به الشباب . حينئذ تضحى الشهرة عنده إحدى متعه المحدودة ، وتعويضا لا بأس به عما بدأ يعتور شيخوخته من آفات ، ومصدر رزق حين تضعف قواه الجثمانية عن تحصيل الرزق .

هذا إلى أن الناس عادة إنما تحكم على الأشخاص وأفعالهم على ضوء النتيجة وقدر النجاح . وعندها أن الفاشل لابد سيء ، والناجح لابد جيد . فالحظ السعيد كثيرا ما يكون لازما للإعلاء من شأن المناقب والفضائل .. وهاهو كل من يوليوس قيصر وكاتيلين قد اعتزما نفس الأمر ، وبيتا نفس الخطة والمؤامرة ضد الدولة ، وكان لدى كل منهما نفس القدر من الموهبة والشجاعة . غير أن نجاح قيصر فى إنجازه خططه قد صيره بطلا تسير بذكره الركبان ، فى حين أدى فشل مؤامرة كاتيلين إلى الحديث عنه فى كتب التاريخ باعتباره خائنا غبيا .. كذلك فقد ثار البحارة على كريستوفر كولومبوس إبان رحلته البحرية ، ورفعوا راية العصيان وطالبوه بالعودة إلى أسبانيا ، فاستمهلهم متوسلا ثلاثة أيام يقفل بعدها عائدا إن لم تبد خلالها أرض فى الأفق . ثم إذا بهم فى مساء اليوم الثالث وقد لاحت لأعينهم أرض العالم الجديد . ولو أن البحارة أبوا إمهاله غير يومين ، وعادت السفن إلى أسبانيا وقد خابت الآمال المعقودة عليها ، لذكر الناس كولومبوس باعتباره حالما واهما ، قد خدع الملك فرديناند وغرر به ، وبدد الأموال الطائلة وخاطر بأرواح بحارته ، فى حين يذكرونه الآن بفضل نجاحه على أنه المكتشف الأعظم ، والبطل الفرد .

**فالدنيا إذن إذا اقبلت على أحد أعارته محاسن غيره ، وإن أدبرت سلبته محاسن نفسه .. فإن كانت جودة إنتاج الكاتب هى فى بعض الأحيان سبب شهرته ، فإن شهرته كانت فى كل الأحيان سبب الاعتراف بجودة إنتاجه . ولو كان الفشل نصيبه لتصيد الناس لنفس هذه الكتب العيوب ، وبرروا بها فشله وخمول ذكره :**

**وانكد الناس عيشا من تكون له**
**نفس الملوك وحالات المساكين**

## ◎ سعة العيش

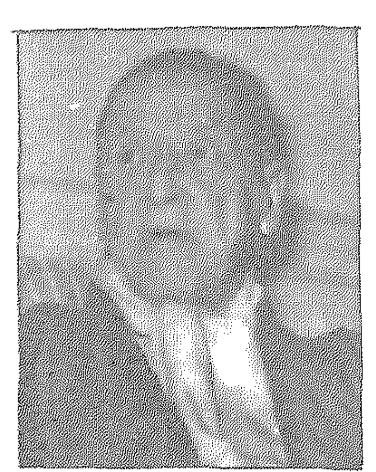
فإن كان النجاح قد وفر للكاتب سعة فى العيش ، ونقله بذلك من حيه الشعبى أو الريف وسكانهما إلى حى أنيق فى العاصمة ، وتحول عن استخدام الحافلات العامة المزدحمة إلى ركوب سيارة خاصة به ، وتضاءلت صلاته بطبقات الشعب المختلفة وكادت تقتصر على الأثرياء والفنانين ، فلاشك أيضا فى أن الضيق فى جانب يصاحبه انفراج فى جانب ، وانغلاق باب هنا يواكبه انفتاح باب هناك .. فهو الآن قد أضحى بفضل الشهرة والنجاح يخالط أناسا من طبقة

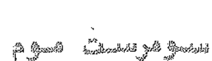
الأدباء والمثقفين ذوى الأفكار والأحاديث والمساجلات التى من شأنها أن تغذى فكره وإن لم تغذ مشاعره إلا لماما .. وهو يقابل فى الأمسية الواحدة يقضيها فى أحد صالونات الأغنياء مجموعة من المشاهير من نجوم السينما والمسرح والشعر والموسيَقى والرسم والنحت والسياسة والدبلوماسية والاقتصاد ، فتنمو بلقياهم معارفه ، ويتسع بمحاورتهم نطاق اهتماماته ، وينفتح أمامه بالاستماع إليهم باب من الخبرات الجديدة التى لم يكن له عهد بها . وهاهم المعجبون به يكتبون إليه أو يحادثونه فى لقاءاتهم به عن أخص خصائص حياتهم وأسرار قلوبهم مما لا يفضون به إلى أقرب المقربين إليهم من أصدقائهم وذويهم . ثم هاهو يدعى إلى مؤتمر للكتاب فى هذه الدولة الأجنبية أو تلك ، أو إلى إلقاء محاضرات فى جامعة أوربية أو أمريكية ، وقد يسعى حاكم آسيوى أو إفريقى إلى الاجتماع به ، أو أمير عربى إلى استشارته والائتناس برأيه . فإذا هو وهو ابن الحاج عبد المقصود عمدة إحدى قرى الصعيد ، وقد نزل ضيفا على كاسترو ، وتداول ساعة مع شو إن لاى ، وجال بين الآثار الإسلامية فى سمرقند وطشقند ، ودخل فى نقاش مع أساتذة جامعة أوكسفورد وطلبتها ، وتناول العشاء هو وزوجته على مائدة يفتوشنكو أو مكسيم رودينسون ، وأدلى بحديث لإريك رولو فى صحيفة لوموند .

فإن كان كل هذا قد استغرق الكثير من وقته ، وأثر فى قدر قراءاته ، فهو بالتأكيد قد أثرى حصيلة تجاربه ، ووسع من أفقه ومفاهيمه عن الحياة والعالم حوله ، وقضى على خطر أن يتحول إلى دودة كتب ، أو راهب فى صومعة . كذلك فلابد أن يؤدى اطلاعه الجديد على عوالم النحت والرسم والسينما والاقتصاد والسياسة وغيرها ، واختلاطه بأقطابها ، إلى تغذية أدبه وتنمية جوانبه وأطرافه ، فيضحى بذلك أدسم مضمونا وأعم نطاقا . أو كما قال ابن قتيبة : "من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع فى العلوم" . فإن كانت الحياة الاجتماعية والمحاضرات والمؤتمرات والأحاديث الإذاعية والتليفزيونية قد التهمت الكثير من وقته ، فالمؤكد أن ثمة ساعات أخرى كثيرة قد وفرتها له الشهرة والنجاح ، وما جاءت به الشهرة والنجاح من ثراء ، وما هيأه له الثراء من قدرة على الاستعانة بالغير فى السعى وراء إنجاز شتى احتياجاته . وسيكون بوسعه عندئذ باتصال تليفونى قصير أن يطلب من وزير معجب به إنهاء مهمة له ، أو من رئيس مجلس إدارة بنك قابله فى إحدى سهراته أن ييسر له تحقيق رغبة . وقد يحدث أن يكون مفتش الجمارك فى المطار قد شاهده فى التليفزيون فيرحب به مبتسما ولا يفتح حقائبه ، أو ناظر مدرسة مبهور بكتاب له فيقبل على الفور إلحاق ابنه بها ، أو تاجر أثاث قد تابع مسلسلته الإذاعية فيجرى له خصما عظيما على مشترياته !

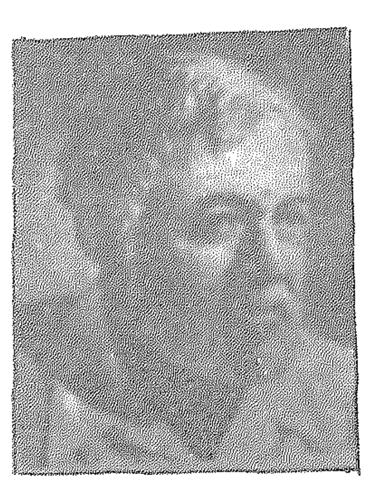
## ● مستوى الإنتاج

فإن كان صحيحا أن الشهرة والنجاح يواكبهما فى العادة إكثار من الإنتاج وإسراع فى الكتابة ، فليست السرعة بالضرورة مدعاة إلى الحط من قيمة الإنتاج مادام العقل خصبا زاخرا





سومرست موم



هيمنجواى

تشارلز ديكنز

بالأفكار . وإنما تمثل السرعة خطورة حين تتحول إلى عجلة ، ويكون الإكثار من الكتابة ضارا حين يتخذ صورة تجريف للعقل المنهك . وبوسعنا أن نذكر عشرات الأمثلة لأدباء عظام كانوا شديدى السرعة فى الكتابة ، ( دوستويڤسكى ، بلزاك ، ترولوب ، تشارلز ، ديكنز ) ، وكانت السرعة عندهم ناجمة عن الرغبة فى رفع مستواهم المعيشى ، وأنتجوا مع ذلك كتبا خالدة لم يعتورها خلل أو نقص .. فإن كان النجاح كثيرا ما يؤدى بالأديب إلى الاتجاه للكتابة للصحافة ، إما لزيادة دخله ، أو للإبقاء على تداول اسمه ، فهناك عشرات من الأدباء المشاهير ممن أتقنوا حرفة الأدب بفضل كتابتهم للصحف ، ( صامويل چونسون ، أديسون ، هازليت ، ثاكرى ، برناردشو ، چورچ أورويل ، بريستلى ، جراهام جرين ) .. والكتابة من أجل المال ليست عيبا فى حد ذاته كما يزعم تولستوى ، اللهم إلا إن كان الاشتغال بالقضاء أو الدبلوماسية أو الجندية أو الزراعة أو غير ذلك لقاء أجر عيبا . وثمة عدد من الأدباء ممن قضى الفقر على مواهبهم أكبر من عدد أولئك الذين قضى عليهم الإفراط فى الخمر ، أو أودى بهم الغرور ، أو أضر بهم الثراء الفاحش .

هذا وقد يكون تأخر الشهرة والنجاح مدعاة للاسترخاء ، وسببا فى الركون إلى الكسل . إذ ليس لدى الكاتب المغمور حافز يدفعه إلى المواصلة والإنتاج المتدفق ، مادام لا يرى جمهورا ينتظر إنتاجا جديدا له ، أو ناشرا يستحثه ، أو رئيس تحرير يقف وراءه بالمرصاد . وما من أحد بوسعه أن ينكر أن المثابرة والعمل المتواصل يساعدان على صقل المواهب وإتقان الصنعة ، وأنهما لازمان للأديب لزوم التدريب المستمر للرياضى والرسام ، وراقصى الباليه ، والمغنين والموسيقيين .

**غير أن أبرز النقاط الإيجابية فى الشهرة والنجاح فى رايى هو حرص الكاتب بسببها على ألا يهبط مستواه ، وخشيته الدائمة ، والمؤلمة المأساوية أحيانا ، من أن يأتى إنتاجه الجديد دون إنتاجه السابق . فهو دائما فى خوف على موهبته من أن يعتريها نقصان . وفى شك من قدرته على أن يجعل كتابه**

**الجديد في مستوى كتابه الأخير الممتاز . وهو يعلم أن النقاد والجمهور بصفة عامة لديهم ميل خبيث إلى أن يحكموا بضعف الإنتاج الحديث بالمقارنة بالإنتاج القديم الذى هللوا له وأشادوا به .** وقد كانت جل معاناة جوستاف فلوبير فى حياته هو من قول الناس له إن روايته الجديدة ، وإن كانت طيبة ، لا يمكن مقارنتها بروايته الأولى "مدام بوڤارى" . والكاتب يدرك أن الجمهور متقلب هوائى ، وأنه وقد كان بمقدوره أن يرفعه إلى السماء ، على استعداد دائما ، وفى أية لحظة ، لأن يخسف به الأرض ، وأن ينقل إعجابه وتهليله إلى غيره .. فالنجاح إذن هو خير ضمان لمحاولة الكاتب أن يبقى أدبه على مستواه الرفيع ، وأن يشل يده عن الإسفاف ، وعن الاستهانة بقارئه والاستخفاف . وهو أمر قد يكون مدمرا فى بعض الأحيان ، بدليل قولة شتاينبك إنه ما من كاتب حصل على جائزة « نوبل فى الأدب إلا كف عن الكتابة بعد الفوز بها من جراء خشيته من أن ينتج عملا جديدا يقال عنه : أهذا عمل يليق بحائز على جائزة نوبل ؟!! » قال هذا عام ١٩٥٦ مبررا به عدم طمعه فى أن ينال الجائزة . فلما نالها عام ١٩٦٢ ، ظل حتى وفاته سنة ١٩٦٨ لا يخط قلمه حرفا !

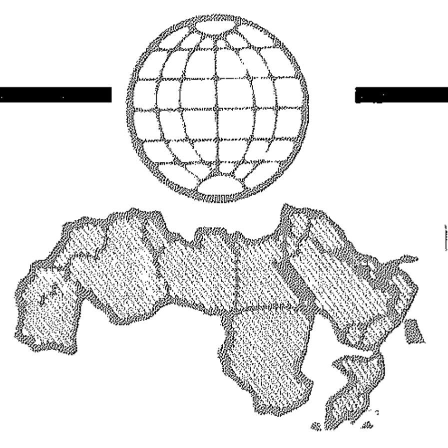
## ● خـــاتمـــة

فى عام ١٩٠١ ، سأل ليوتولستوى أنطون تشيخوف عمن يظنه من بين الكتاب الروس صاحب أعظم الكتب رواجا لدى الجمهور فى تلك الحقبة . أجاب تشيخوف بقوله : أنت ؟ قال لا . قال : فتورجينيف ؟ قال لا . قال : دوستويڤسكى ؟ بوشكين ؟ جوجول ؟ قال لا . فمن إذن ؟ فذكر له تولستوى اسما لا نجده اليوم مذكورا فى أى كتاب عن تاريخ الأدب الروسى .

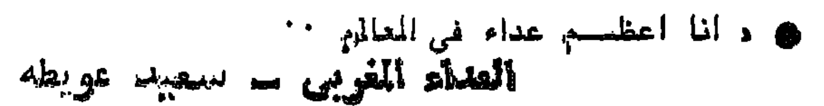
فهل بوسعنا أن نعتبر مثل هذا الشخص الشهير فى حياته ، النكرة بعد وفاته ، أسعد حظا من فرانتز كافكا الذى لم تسمع الجماهير باسمه أو بأدبه إلا بعد انقضاء الأعوام على موته ، ثم بات منذ أن عرفه الناس إحدى القمم الشامخة فى الأدب العالمى ؟

إن الشهرة التى كثيرا ما ينالها أصحاب المواهب المتوسطة أو الزائفة هى كالثروة التى يغتصبها امرؤ لنفسه بناء على وصية مزورة . أو هى كالعملة الزائفة ، يظل صاحبها فى قلق مستمر من أن يكتشف أمره ويسقط قناعه فيفتضح ، وهو ما لابد واقع . أما صاحب الموهبة الحقيقية ، فهو حتى إن لم ينل الشهرة فى حياته ، سيظل أسعد حظا من الآخر ، سعيدا بقدراته ونبوغه ورهافة حسه ، سعيدا بثقته من أنه فى يوم ما ، فى بلد ما ، سيمر ناقد جليل الشأن ، مسموع الكلمة ، برصيف أمام إحدى المكتبات ، قد ألقيت عليه أكوام من الكتب القديمة تباع بقروش زهيدة . وسيلتقط الناقد كتابه وينظر فيه ، ثم إذا به وقد راعه جمال فقرة ، أو عظمة فكرة ، فيقرر شراءه لينظر فيه على مهل .. ثم إذا هو بعد أيام يكتب عنه فى صحيفة ويشيد به . وإذا بالكاتب المجهول وقد أضحى حديث الناس أجمعين .

**وهو بالضبط ما حدث حين التقط ناقد شهير من بين كتب قديمة على الرصيف فى أحد شوارع لندن ، ترجمة إدوارد فيتزجيرالد الإنجليزية لرباعيات الخيام .**



# أقــوال معـاصـرة



سـعيد عويطـه



● « انا اعظـم عداء في العالم ٠٠

**العداء المغربي ـ سعيد عويطه**

● « روما هى القـاهرة بدون مسلمين »

**الصحفى الايطالى كارلو روسيللو**

● « أتمنى لو كنت مؤمنة لاصـلى من كل قلبى لكى تستمر مرحلة الانفتـاح والشفافية ، وبداية الحرية » ٠

**المخرجة السوفييتية كيراموراتوما**



كمال ابو المجد

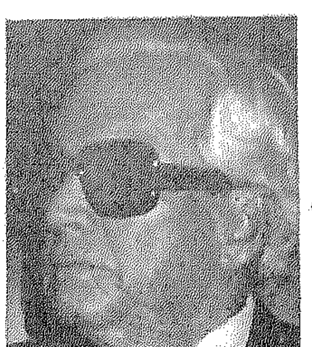
● « يصور البعض الصراع الدائر فى الخـليج على انه صراع سنى شـيعى ، ان اجترار هـذه الخـلافات واستدعاءها من الـذاكرة التاريخية ، هو القـاء بذرة خبيثة فى أرض الواقع ٠٠ »

**الدكتور كمال ابو المجد**

● « الاستشراق هو عين الاستعمار التى بهـا يبصر ويحدق »

**الاستاذ محمود شاكر**

كميل شمعون



● « سأتحالف مع الشيطان للتخلص من الفلسطينيين ٠٠

**آخر كلمات كميل شمعون**

● « حان وقت التواعد مع الواقع »

**باتريشيا شرويدر**

**عضو مجلس النواب الامريكى**

● « اكثـر صـعوبة على المـدمنين ان يقـولوا « لا » للمخدرات » !

**دافيد ماستو**

**الاستاذ الامريكى بجامعة ييل**



# الفتاة والفيلسوف

بقلم : د. أحمد أبوزيد

كانت مشاعر الأسى والكآبة والوحدة تخيم على الفيلسوف الألماني الشهير فريدريش نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠) فى السنوات الأخيرة من عمره وقبل أن يصاب بالجنون ، وكان يحاول التخلص بقدر الامكان من هذا الشعور القاتل عن طريق العزف على البيانو حيث كان يمضى ساعات طوالا يعزف موسيقى فاجنرالتى كان يعجب بها ويصاحبها أشد الاعجاب . ولكنه لم يستطع ان يتخلى أبدا عن الفكرة التى سيطرت فى تلك السنوات الأخيرة على ذهنه من أنه أفضل وأعظم فلاسفة عصره على الاطلاق ، كما لم يستطع أن يتخلص من شبح أمه وأخته الذى ظل يطارده حتى استراح منه بالجنون ثم الموت . وفى كتابه الذى لايكاد يعرفه فى العالم العربى غير القليلين وهو كتاب « هذا هو الانسان Ecre Homo » عبارات تشير إلى ذلك الهاجس ، وهى عبارات يبدو أن الناشر الأصلى للكتاب الذى ظهر عام ١٨٨٨ رفض أن ينشرها فظلت مجهولة حتى ظهرت فى طبعة عام ١٩٦٩ .

وقد كتب نيتشه تلك العبارات وهو على شفا الجنون ومنها يكشف عن رقة مشاعره الطيبة نحو أبيه وعن سوء ظنه فى أمه وأخته اليزابيث ، فيقول فى نفور واضح يكاد يصل حد الكراهية إن غرائزهما بلغت من الفظاظة والفجاجة حدا لايمكن احتماله وأن طريقة معاملتهما له كانت تملؤه بالرعب والارتياع وانهما كانتا توجهان ضده كل ( أجهزتهما الجهنمية ) ويصفهما بأنها نوع من ( الزواحف السامة ) المؤذية كما استخدم بطريقة مهينة بعض أفكاره وأرائه الفلسفية فى وصفهما فيقول مثلا إن قربهما الفيزيقى منه يجعله يتقبل بسهولة فكرة النشاز الأزلى وأن اقسى مايمكن أن يوجه إلى نظريته عن « العود الأبدى » من اعتراضات هو « عودة أمه واخته » وهكذا ، ولقد كتب نيتشه ذات مرة يقول إن اضعف رابطة يمكن أن يرتبط بها الانسان هى تلك التى تربطه بأبويه بصرف النظر عما إذا كان أبوه يوليوس قيصر أو الاسكندر أو ديونيزوس . وهذا تعبير مأساوى يكشف عن موقف معقد إلى حد كبير خاصة أن نيتشه كان شديد الاعتزاز بذكرى أبيه ويرى فيه الانسان الكامل . وذلك عكس رأيه فى أمه واخته .

## ● تدخل مستمر فى حياته الشخصية

وجانب كبير من نفور نيتشه من أمه وأخته يرجع إلى تدخلهما المستمر فى أموره الخاصة وبالذات فى شئونه المتعلقة بصداقاته النسائية رغم قلتها وكانت أخته اليزابث قد ارتبطت منذ الصغر ارتباط ذهنيا وعاطفيا يكاد يكون مرضيا بحث كانت تقف بالمرصاد لكل فتاة تعتقد أن اخاها يريد الارتباط بها أو أنها قد تسلبها ذلك الأخ وتستحوذ عليه كما فعلت مع ( لوأندرياس سالوميه ) ـ الفتاة الروسية التى عرفها نيتشه عام ١٨٨٢ وهو فى الثامنة والثلاثين من العمر بينما كانت لوسالوميه فى الحادية والعشرين فقط . فقد ناصبتها اليزابث العداء بشكل لايخلو من فجاجة وشراسة حتى انتهت تلك العلاقة بعد شهور قليلة وتركت نيتشه شبه محطم . وقد يكون ذلك من العوامل التى سارعت به إلى الجنون ، وإن كانت بذور ذلك الجنون أقدم من ذلك بل وقد يكون وراثيا . ولم ينس نيتشه لأخته ذلك أبدا بحيث إنه كتب اليها بعد أن قطع علاقته بلوسالوميه يقول : « **إننى لا أحب الأشخاص الذين هم على شاكلتك يا أختى العزيزة ، وبخاصة حين تكون نفوسهم غير صافية من الناحية الأخلاقية** » . كذلك كتب إلى صديقه أوفربك يقول : « إننى لا أحب أمى كما أن سماع صوت أختى يؤذينى أشد الايذاء ، بل اننى اشعر بالسقم والمرض حين أكون معهما . وصحيح أننا قلما كنا نتشاجر حتى الصيف الماضى لأننى أعرف كيف اتصرف معهما ولكن الوضع لايناسبنى على العموم » . وبلغ الأمر به حين أرسل إلى أمه خطابا قبل أعياد الميلاد فى تلك السنة اعاده اليها دون أن يفتحه .

ومع أن فترة علاقته بلوسالوميه كانت قصيرة ، لم تمتد إلى أكثر من بضعة شهور من عام ١٨٨٢ ، فالظاهر انها أثرت تأثيرا عميقا فى حياتيه العاطفية والفكرية على السواء وقلبت كثيرا من الموازين والمبادىء التى كان يتمسك بها فى سلوكه مما أثار عليه أمه . والواقع أن المرأة بوجه عام كانت تؤلف وإنما مشكلة من نوع خاص بالنسبة لنيتشه ، **والظاهر أنه كان شديد الولع والتعلق بالمرأة ، بقدر ماكان شديد النفور والرغبة فى الخلاص من ذلك الولع والتعلق على الأقل كما يتمثل ذلك فى علاقته بامه واخته .** ولقد مر نيتشه فى ذلك ببعض الأحداث والتجارب التى تركت آثارها السلبية فى نفسه . فحين تقدم مثلا لخطبة احدى معارفه قابلته بالصد والرفض . وقد أراد أن يتخذ من لوسالوميه تلميذة ومريدة بل وريثة فيما لو مات مبكرا ، وقد يكون أراد أن يتزوج منها ـ أو هذا على اقل هو ما أشاعته وأذاعته هى نفسها بين

## الفتاة والفيلسوف

الناس - ولكنها تركته لغيره بحيث فكر فى الانتحار . وقد بلغ من تعلقه بها وخروجه فى ذلك على كل التقاليد المألوفة ونزوله عن جانب كبير من كبريائه وكرامته وابائه كفيلسوف ومفكر أن أصبحت أمه تنظر بكثير من القلق والغضب الى تلك العلاقة ( غير المريحة ) بحيث كانت ترى أنها لن تنتهى الا بواحدة من ثلاث : « إما أن يتزوج فرتيز من لو أو أن ينتحر أو أن يصاب بالجنوب » كما جاء فى خطاب كتبته اليزابث يوم ١٠ فبراير ١٨٨٣ إلى أحد اصدقائها بعد أن كانت تلك العلاقة قد توقفت وانتهت بالفعل . وفى اليوم نفسه كان نيتشه ( أو فريتز كما كان أصدقاؤه وعائلته يدعونه ) يكتب الى أحد اصدقائه يشكو من أن لوسالوميه كانت لاتزال تملك عليه أمره وتحتل كل تفكيره بحيث لم تكن تغادر ذهنه لحظة واحدة ، وأنه لايزال يتألم حين يتذكر أن امه وصفته بأنه ( عار على أبيه فى قبره ) بسبب تلك العلاقة وأنه رغم صمته على تلك الاهانة التى جاءته من أمه فإن فكرة الانتحار راودت ذهنه بسببها .

### ● حنان الأب

ولقد ولد نيتشه ( فريدريش فيلهلم ) عام ١٨٤٤ . وكانت أمه ابنة لأحد القساوسة ، ويقال انها كانت تتمتع بقدرة فائقة على التكيف مع الأوضاع كما كانت على درجة عالية من التواضع والورع رغم انها كانت فى الوقت ذاته ذات مزاج متقلب ولايخلو من الحدة والحيوية إلى جانب قدرتها على الاحساس بالجمال وتذوق الفن بحيث كانت تجد متعة حقيقية فى قراءة الشعر والقائه . كذلك كان أبوه من رجال الكنيسة . وقد وصفه نيتشه نفسه بأنه « الصورة الكاملة » لرجل الدين فى القرية . واليزابيث نفسها التى لعبت دورا مدمرا فى حياة الفيلسوف كانت تقول إن الأب كان يعطى جانبا كبيرا من وقته لأبنه الطفل ويعتبره ( صديقه الصغير ) ، كما كان ( فريتز ) شديد الالتصاق بأبيه وكان يراقبه فى هدوء وهو يعمل ويقرأ ولم يكن الأب رجل الدين بعيدا هو أيضا عن الفن ، وإنما كانت له بعض الاهتمامات فى الموسيقى ، فكان يمضى جانبا من وقته فى العزف على البيانو ، بل وكانت له بعض المحاولات فى التأليف الموسيقى . وكان فريتز الصغير يحب فى طفولته أن يسمع إلى عزف أبيه ، بحيث تقول اليزابث انه حين كان يبكى دون سبب واضح كانت الأم تطلب إلى الأب أن يلعب على البيانو ، وحينئذ « يصبح فريتز ساكنا كالفأر الصغير ويجلس منتصبا فى عربته الصغيرة ولا يرفع عينيه أبدا عن أبيه أثناء العزف » ومات الأب وكان فريتز فى الرابعة من عمره . وجاء تقرير الطبيب يعزو الوفاة إلى حدوث ( سيولة فى المخ ) . وبعد شهور قليلة من وفاة الأب مات يوسف الأخ الأصغر لنيتشه . ووجد فريتز نفسه وسط عائلة لاتضم سوى خمس نساء : أمه واخته اليزابث وجدته واثنتين من عماته العوانس تعكس كل منهما شخصية مختلفة تماما عن شخصية الأخرى . فإحداهما تتميز بالطيبة والتدين بينما كانت الأخرى عصبية المزاج ولاتخلو من التهور . وماتت الجدة والعمة الطيبة . ولم تجد الأم صعوبة فى التخلص من العمة الأخرى وأن تستقل بحياتها هى وابنها وابنتها . وقد كتبت اليزابيث بعد ذلك عن الأم تقول : « كنا نرى فى أمنا اختا كبرى لنا ، إذ كانت تجمع بين المرح والحزم كما كانت قادرة على أن تشاركنا فى تصوراتنا وتخيلاتنا الطفولية ، وظلت قريبة طيلة الوقت من أفكارنا الساذجة البسيطة » .

وكانت وفاة الأب لطمة قاسية بكل المعايير وألقت بظلالها الكثيفة القاتمة على حياة نيتشه كلها رغم أنه كان فى الرابعة من عمره وقت الوفاة . وليس أدل على ذلك من أنه كتب قصة الوفاة وتأثره بها وذكرياته عنها خمس أو ست

مرات فى فترات مختلفة من حياته . ويشير نيتشه فى هذه الكتابات الى ماكان الأب يتمتع به من قدرة على تذوق الأدب والموسيقى . **ويبدو ان نيتشه نفسه ورث هذه الميول إذ كان له غرام بالعزف على البيانو كما كانت له بعض مؤلفاته الموسيقية الخاصة . وقد جذبته موسيقى فاجنر بشكل خاص واقام علاقات قوية مع فاجنر نفسه ومع زوجته كوزيما على الرغم من انه بحكم طباعه ومزاجه كان يختلف تماما عن فاجنر فى كل** شىء ، ولكنه مع ذلك ارتبط بهما ارتباطا وثيقا الى الحد الذى يقال إنه كان هو الذى يشترى لكوزيما كل احتياجات البيت من السوق . ومن الطريف أنه كان يشعر أحيانا أن أعماله الموسيقية المبكرة كان فيها جوانب وعناصر تشبه موسيقى فاجنر . ويلغ به الأمر فى ذلك بعد أن انتهت علاقته به أن كتب فى خطابه إلى صديقه بيتر جاست فى ٢٥ يوليو ١٨٨٢ يقول : « لقد كنت يوم الأحد الماضى وأنا فى ناومبورج أهيىء أختى لحضور أوبرا بارسيفال ، وبدا لى الأمر غريبا .بعض الشىء . وأخيرا قلت لأختى : يا أختى العزيزة إن هذا النوع من الموسيقى هو بالذات ماكنت أكتبه أنا نفسى حين كنت صبيا . وأعترف بأننى أحسست بخوف حقيقى حين أدركت كم كنت حينذاك شبيها بفاجنر . فياله من تدهور وانحطاط . » **وحتى حين كان تلميذا فى المدرسة الابتدائية كان عزفه يشد الانتباه بحيث إن بعض زملائه كانوا يرون أن** بيتهوفن نفسه لم يكن يستطيع أن يعزف أحسن منه . ولكنه حتى فى تلك السن المبكرة كان يميل إلى الوحدة كما كانت شخصيته ذات طابع حاد . وكان هو نفسه يرى ذاته فى أحسن أحواله حين ينفرد ويخلو إلى نفسه فى ( معبد الطبيعة الحرة ) ، **كما كان يجد متعة حقيقية فى ملاحظة ظواهر الطبيعة بما فيها الظواهر العنيفة من رعد وبرق ويرى فيها اية على عظمة الخالق :**

وعلى الرغم من أنه كان فى وقت من الأوقات يود أن يصبح من رجال الكنيسة مثل أبيه وجده فإنه لم يلبث أن فقد اهتمامه بدراسة اللاهوت واعتنق اراء وأفكارا لاتتفق تماما مع المسيحية . وقد أثار ذلك حزن الأم كما أشاع البلبلة والاضطراب فى ذهن الأخت اليزابث التى كانت تتحمس لكل ما يقول وتعتنق آراءه وتلتهم كلامه التهاما ولاتجرؤ على نقد أفكاره باعتباره المعلم الذى تعجب به وتحفظ كل أقواله وتحتفظ بكل أوراقه وكتاباته وتتابع كل مشاكله وتتوه فيها معه .

كانت المناسبة التى أدرج فيها نيتشه ـ حسب مزاعمه ـ وجه الشبه بين موسيقاه المبكرة وموسيقى فاجنر هى حضور اليزابث حفل أوبرا بارسيفال فى بايرويت ومعها لوسالوميه التى تعلق بها نيتشه . وكانت هذه فرصة فريدة لالتقاء الفتاتين ، كما أن اليزابث اصطحبت لوسالوميه لمقابلة كوزيما فاجنر والتعرف عليها ورؤية فاجنر العظيم نفسه ولو للحظات قصيرة . وكان يبدو أن الفتاتين قد أعجبت كل منهما بالأخرى وذلك قبل أن تندلع بينهما العداوة بشكل حاد وقاطع ولايخلو من شراسة جعلت قصة العلاقة من أقصر وأعمق القصص فى حياة فيلسوف وأدخلت صاحبتيها التاريخ .

وكانت لوسالوميه فى الحادية والعشرين حين قابلها نيتشه فى ايطاليا فى مايو عام ١٨٨٠ وكانت تتمتع بذكاء خارق وطموح زائد وشخصية وثابة . وكانت حينئذ تدرس فى جامعة زيورخ بسويسرا حتى أصابها مرض صدرى فحملتها أمها الى ايطاليا ، وهناك قابلت أحد اصدقاء نيتشه الحميمين وهو الفيلسوف باول ريه . وأعجب ريه بها منذ الوهلة الأولى وتكلم عنها مع نيتشه ويبدو أن كلامه كان على درجة عالية من البراعة والاثارة مما جعل نيتشه يتشوق لمقابلتها ومعرفتها ، فقد صورها ريه له على انها فتاه وقفت حياتها منذ الطفولة على طلب المعرفة .. وقد كتب نيتشه إلى ريه حول ذلك يقول : « إن الناس

# الفتاة والفيلسوف

الذين من هذا النوع أصبحوا نادرين جدا ويستحقون من المرء أن يلف العالم كله لكى يلتقى بواحد منهم » . وحين قابلها فى مايو كان أول ما قاله لها : « أى طالع حسن دفعنا الى السير فى اتجاه أحدنا الآخر لكى نلتقى » .

ولقد أعجبت لوسالوميه هى أيضا منذ البداية بطريقة نيتشه الهادئة وصوته الخفيض فى الكلام وبأسلوبه الأنيق فى اللبس وبمشيته المتأنية الحذرة الحزينة وبيديه الجميلتين الرقيقتين وبأذنيه الصغيرتين بشكل غير عادى وبخطوط فمه المعبرة إلى حد كبير على الرغم من أنها تكاد تختفى تماما وراء شاربه الكث المتهدل فوق فمه . بل إن بصره الكليل الضعيف كان يضفى عليه سحرا من لون خاص لأن عينيه لم تكونا تعكسان أى انطباعات عن العالم الخارجى وإنما كانتا تعكسان فقط مايدور بداخله . وقد قالت لوسالوميه فى ذلك : « **كانت عيناه تتجهان إلى الداخل كما لو كانتا تحدقان فى الأفق البعيد** » .

ومنذ ذلك اللقاء فى مايو من عام ١٨٨٢ ارتبط الثلاثة معا : نيتشه ولوسالوميه وباول ريه ، وكانت علاقته غريبة وغير مفهومة بالنسبة للكثيرين . فلقد وثقت الفتاة علاقتها بكل من الفيلسوفين وعملت على اثارة الغيرة والتنافس بينهما ، وشعر الثلاثة أن لاغنى لأحدهم مع ذلك عن الاثنين الأخرين فاتفقوا على أن يعيشوا فى علاقة ثلاثية تقوم فى ظاهرها على الأقل على الحب الأفلاطونى البرىء . وقد أطلقت الفتاة على هذه الجماعة اسم ( الثالوث ) ، وسجلت العلاقة ذاتها فى صورة لها دلالتها ، إذ تظهر فيها لوسالوميه جالسة فوق ( عربة يد ) وفى يدها سوط بينما يجر العربة نيتشه وباول ريه كما لو كانا حصانين . وكانت تزهو بهذه الصورة وتعرضها فى غير تحفظ على أصدقائها لكى تدلل على مدى سيطرتها على الفيلسوفين . ولكن الظاهر انها لم تكن تقدر تماما مدى حرص نيتشه على سمعته وكرامته وحساسيته من أن تهتز صورته فى أعين الآخرين . وكان ذلك من أهم الأسباب التى أدت الى الجفوة ثم القطيعة بينهما قبل أن تمر شهور قليلة على بدء العلاقة . وكان كل من الفيلسوفين يحاول التقرب الى الفتاة على حساب الأخر ويعمل على الانفراد بها واصطحابها فى رحلاته بعيدا عن الآخر . ويبدو أن باول ريه كان أقدر الرجلين على ذلك خاصة أن نيتشه كان يعانى من المرض ولذا كانت الفرصة أكبر أمام غريمه وصديقه الذى افلح فى أن يقنعها بأن تقيم مع عائلته لبعض الوقت كان أثناءها يزرع فى ذهنها الشك فى أن نيتشه يريد أن يستغلها جنسيا وعقليا وأن يستخدمها كسكرتيرة له فى كتابة أعماله ومؤلفاته . وكان نيتشه يحاول بقدر الامكان أن يخفى خبر تلك العلاقة الثلاثية الغريبة عن عائلته وعن معارفه باستثناء عدد قليل من الأصدقاء المقربين الذين لم يكونوا يجدون غضاضة فى قيام مثل هذه العلاقة .

### ● أذكى إمرأة رآها

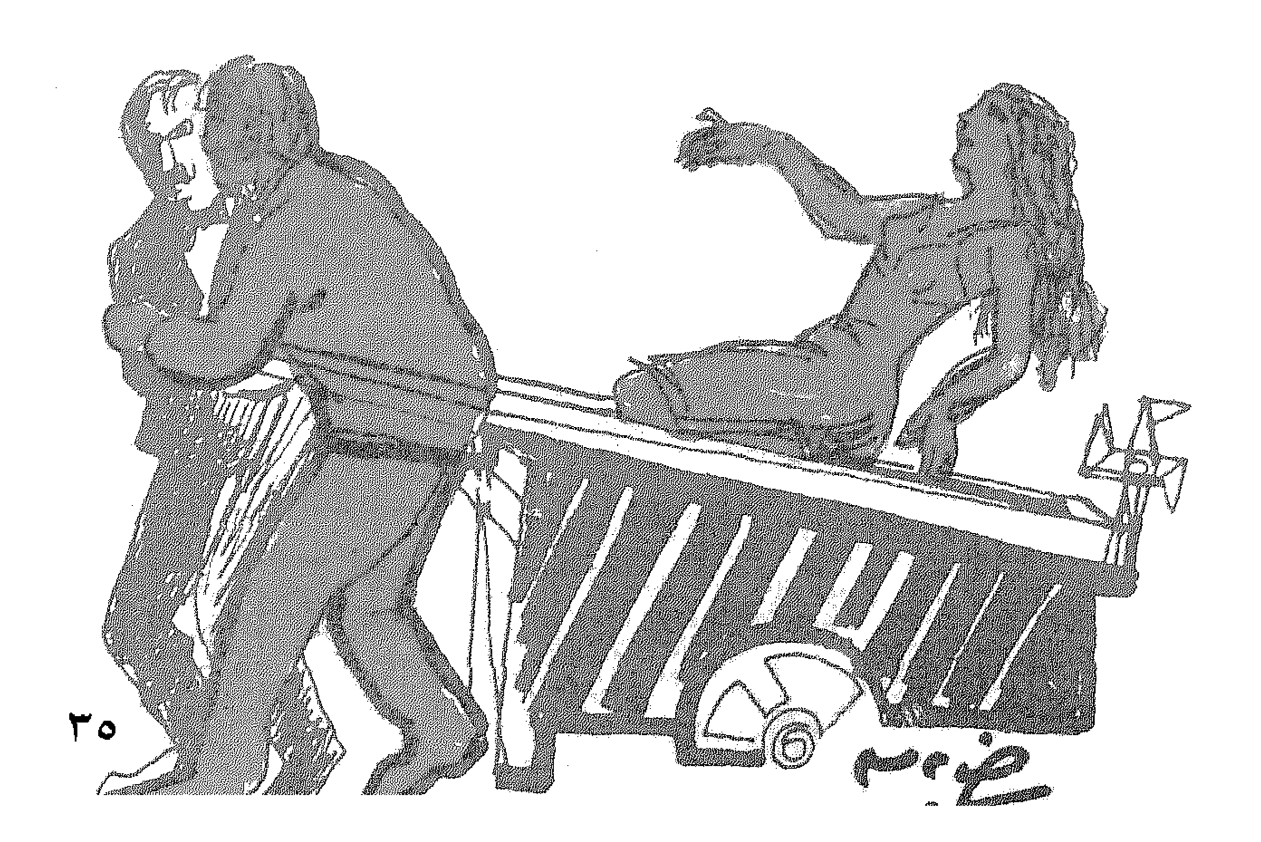
والواقع أن نيتشه الفيلسوف كان يأخذ الفتاة ، مأخذ الجد إلى حد كبير ويحاول أن يشركها فى أفكاره وأرائه ويتكلم معها عن نظريته عن ( العود الأبدى ) وعن زرادشت الذى كان يعتبره ممثلا لقيم الخير والشر فى أقدم قصص الانسانية المعروفة . فقد كان نيتشه يعتبر لوسالوميه أذكى امرأة صادفها على الاطلاق ولذا كان يتصور أنه يستطيع أن يجعل منها ابنة له وتلميذة وزوجة روحية فى وقت واحد . فلم تكن عاطفته المشبوبة نحوها تخلو من بعض العناصر الروحية ، كما أن الفتاة نفسها كانت تعتقد أن طبيعة نيتشه فى جوهرها طبيعة متدينة على الرغم من انكاره للدين . بل إن الدين كان فى كثير من الأحيان

هو الموضوع الوحيد الذى كانا يتكلمان فيه . وقد كتبت هى ذات مرة إلى باول ريه تقول له إنها لن تندهش « إذا كشف نيتشه عن نفسه ذات يوم على أنه نبى يبشر بدين جديد يكون أتباعه وأنصاره من الأبطال » كما تذكر أنهما قد يمضيان أحيانا عشر ساعات فى الحديث والنقاش ، وأن الحديث كثيرا مايسوقهما دون أن يدريا الى الهاوية وذلك حين يبلغان فى الحديث الى تلك القمم العالية المرتفعة التى يكاد المرء يصاب عندها بالدوار والتى تعطيه الانطباع بأنه أرتقى فى وحدته الى نقطة يستطيع أن يرى منها كل الأبعاد والأعماق . ولكن من المشكوك فيه إذا كانت هذه الأحاديث الطويلة العميقة وجدت طريقها الى كتابه الشهير ( هكذا تكلم زرادشت ) الذى نقله الى العربية منذ زمن طويل المرحوم فيلكس فارس .

والمهم على أية حال هو أن الفتاة تعلقت بنيتشه إلى الحد الذى أغفلت معه العمل فى كتاب كانت قد بدأت فى اعداده عن المرأة وكرست جانبا كبيرا من وقتها لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والانطباعات عن نيتشه نفسه وعن مرضه ومتاعبه وآلامه الجسمية الهائلة تمهيدا لتأليف كتاب عنه . وقد كتب هو نفسه عن ذلك يقول « إن ثمة شبها قويا بيننا فى الاحساس والتفكير مع وجود كثير من أوجه الخلاف والتنافر التى تجعل كلا منا يتعلم الكثير من صاحبه .. وإننى لأعجب إذا كان هذا التفتح الفلسفى الذى يقوم بيننا قد وجد له مثيلا من قبل على الاطلاق » . وقد يكون نيتشه مبالغا فى ذلك لكى يبرر لنفسه تمسكه بها وأنه لايستطيع أن يستغنى عنها كما يقول رونالد هايمان .

● علاقة مهينة !

ولم تكن هذه العلاقة الثلاثية من النوع الذى يمكن أن ترتاح اليه امرأة متدينة مثل أم نيتشه ولا امرأة أخرى غيورة ومتحكمة مثل اخته اليزابيث . وكانت الاثنتان تعتبرانها علاقة سيئة ومحيرة ومهينة للكرامة . وصحيح أن اليزابيث قابلت لوسالوميه وذهبت معها إلى مهرجان بايرويت الموسيقى الشهير عام ١٨٨٢ ثم اصطحبتها لمقابلة كوزيما فاجنر وتقديمها إلى فاجنر العظيم نفسه ، ولكنها لم



## الفتاة والفيلسوف

تلبث أن افتعلت معها كثيرا من المشاجرات وناصبتها العداء الصريح السافر . وقد أفلحت ذات مرة فى استثارتها أثناء زيارتهما لعائلة أحد الأساتذة من زملاء نيتشه فى جامعة بازل بحيث فقدت الفتاة سيطرتها على نفسها فانطلقت تصرخ وترميها فى وجهها بأن أخاها مجنون وأنه يريد أن يلطخها بالعار ويستغل جسمها وفكرها لأهوائه الخاصة . وصعقت اليزابيث لأسلوب لوسالوميه ونوع الالفاظ التى خرجت من شفتيها . وأثارت الحادثة غضب نيتشه فانصرف عنها ولكن الفتاة الذكية الماهرة عرفت كيف تتغلب على الأزمة ، فإذا بها « تقع فريسة للمرض » وتلزم الفراش بضعة أيام حتى ضعف نيتشه أمام مرضها وتخاذل وأعاد الاتصال بها وكتب اليها يقول : « **اعتقد أن الاختلاف الوحيد بيننا هو فارق السن . فحياتنا متشابهة وتفكيرنا متقارب أيضا** » . وحين نهضت من فراشها فى ١٣ أغسطس ١٨٨٢ أمضى الأثنان اليوم كله معا ونسى نيتشه كل شيء ولم يعد يهتم أو يضطرب لوجود صورة باول ريه على مكتبها كما كان يفعل من قبل ، وكتب فى ذلك يقول : « إننا نستطيع أن نتواصل ونتفاهم بأنصاف الكلمات ، بل إن حديثنا لايستخدم ألفاظا حقيقية وإنما هو حديث خاص بنا يتم من خلال تقابلنا معا فى منتصف الطريق » .

والطريف فى الأمر هو أن باول ريه حين رأى العلاقة تتوطد بين نيتشه ولوسالوميه على هذا النحو اقترح أن يتراجع هو وينسحب من الميدان ويتوارى فلا يلتقى بهما « حتى الموت » ولكن نيتشه ولوسالوميه رفضا الفكرة وأصرا على استمرار ( الثالوث ) . والطريف أيضا أن الفتاة لم تلبث أن تركت نيتشه وذهبت لكى تعيش مع ريه وأهله خلال سبتمبر ولكنها كانت طيلة الوقت تفكر فى نيتشه وتكتب بطريقته .

ولقد كان من الصعب على الصديقين أن يخفيا تنافسهما وصراعهما أو أن يرتفعا طيلة الوقت فوق مشاعرهما ، كما أن موقف الفتاة نفسها كان قد بدأ يتغير إزاء نيتشه بعد أن انفردت طويلا بباول ريه وعائلته ، ولذا قررت أن تهجر نيتشه نهائيا فى نوفمبر من ذلك العام وبعد ستة أشهر فقط من قيام تلك العلاقة المشبوبة المشبوهة ، ولكن الغريب أن نيتشه رغم ذلك لم يتوقف تماما عن الكتابة اليها رغم مافى ذلك من مهانة واهدار لكبريائه ، حتى رأت الفتاة أن تكتب اليه مذكرة سريعة ومقتضبة بعثت اليأس فى نفسه وجعلته يدرك تماما أن كل مابينهما قد انتهى حقا ، ولكنه ظل مع ذلك يأمل أن تعيد الاتصال به ، كما ظل على اعجابه بباول ريه ويتألم طيلة الوقت لمشاعره المتضاربة وكرامته المهدرة وعجزه الفيزيقى .

وكانت حالة نيتشه تثير الاشفاق بغير شك بسبب مرضه وعجزه ووحدته . والواقع أن صحته كانت قد بدأت فى التدهور منذ سن مبكرة ، وكان الصداع العنيف يهاجمه منذ كان فى المدرسة الابتدائية كما كانت الأزمة تستغرق فترة طويلة فى بعض الاحيان . وبصرف النظر عن أسباب المرض وهل كان راجعا الى اصابته ببعض الأمراض التناسلية فإنه كان يعانى من بعض الاضطرابات النفسية والعصبية وبالذات فى السنوات الأخيرة من حياته بفعل العقاقير التى كان يتناولها ، ولكن يجب ألا ننسى أن أباه توفى بأحد أمراض المخ التى لم تعرف حقيقتها تماما . والمهم هو أن نيتشه كان منذ سن مبكرة عرضة لكثير من الآلام الجسمية المبرحة التى كان يتحملها فى صبر وجلد لدرجة أنه كتب ذات مرة إلى فاجنر يقول : إنه كان « يبتلع تلك الآلام » ابتلاعا كما لو كان قد خلق خصيصا من أجلها ، كما كتب إلى طبيبه يقول : إنه « متعطش للموت » .

ولم تكن آلام نيتشه الفيزيقية هى نوع الألم الوحيد الذى عرفه فى حياته ، وإنما كانت هناك إلى جانب ذلك آلام الوحدة القاتلة . وكتاب ( هكذا تكلم زرادشت ) كان بمثابة « قصيدة جياشة عن الوحدة » التى تكشف - على مايقول شارفستاين - عن مدى احتياجه الى الأب الذى كان قد فقده منذ سنوات طويلة جدا والذى قال فيه : « إذا لم يكن للمرء أب طيب فعليه أن يخترع لنفسه مثل ذلك الأب » .

● تظاهر بالجنون !

ولقد اختلطت الأمور اختلاطا شديدا فى ذهن نيتشه فى السنوات التالية من الثمانينيات ، فلم يعد يفرق فى كثير من الأحيان بين التصورات الذهنية والوقائع والأحداث الخارجية ، كما بدأ ينظر إلى نفسه كما لو كان « عالما » قائما بذاته كما يقول رونالد هايمان ، وأنه يتمتع بقوة تكاد تحاكى قوة الآلهة ذاتها ، وأن أفكاره يمكن أن تسيطر على أحداث العالم وتتحكم فيها ، فليس ثمة أية مصادفات على الاطلاق ، « فإذا فكرت فى شخص ما مثلا فسوف أجده يضع بأدب رسالة من تحت عقب الباب » .

ومع ذلك فقد كان هناك بعض الشك فى حقيقة جنونه .

فحين جاء صديقه جاست مثلا لزيارته يوم ٢١ يناير عام ١٨٩٠ كتب يقول : « لم يكن يبدو عليه المرض » بل اننى كدت أتصور أن اضطرابه العقلى لم يكن أكثر من مبالغة فى تلك الألاعيب القديمة التى كان يجيدها والتى كان يقوم بها حين يكون وسط مجموعة من أصدقائه الحميمين ، فقد عرفنى فى الحال وأخذنى بين ذراعيه وقبلنى وكان يبدو فى غاية السرور والانشراح لرؤيتى كما لاحظ أنه لم يكن فى الحقيقة يريد أن يشفى من مرضه ولقد بدا لى - رغم قسوة ما أقول - كما لو كان نيتشه يتظاهر فقط بالجنون وكما لو كان مسرورا لأن الأمور انتهت بهذه الطريقة » . وكان هذا بالضبط هو رأى صديقه الآخر أوفربك الذى زاره فى فبراير من نفس السنة وكتب يقول : « لم أكن استطيع التخلص من الشك المؤلم .. فى أن ذلك الجنون كان جنونا مصطنعا من جانب نيتشه » خاصة أنه رغم ( مرضه وجنونه ) كان يجلس من حين لأخر فى العزف على البيانو بنفس الدقة والمهارة والتمكن بحيث لم يكن يخطىء ولو فى نغمة واحدة ، ولكن يجب ألا ننسى أنه هو الذى قال : ( بدون الموسيقى تصبح الحياة مجرد غلطة » .

ولكن رغم هذه الشكوك فإن ظلام الجنون امتد كثيفا على عقله وتفكيره ، ووجد نفسه فى آخر الأمر تحت رعاية أمه التى سعدت لاسترداد « ابن قلبها » كما أصبح تحت رحمة وسلطة اخته التى سيطرت على كل شىء بما فى ذلك الحصول على حقوق طبع أعماله التى كانت تنتشر بسرعة وتدر مبالغ طائلة كانت تنفقها فى سخاء على حياتها الاجتماعية وإن كانت فى الوقت ذاته اهتمت بعمل أرشيف كامل بكل أعماله وكتاباته وأوراقه وضمت إليه خصلة من شعره ، كما كانت تعمل جاهدة على تحويل أخيها إلى اسطورة خالدة لدرجة أنها كانت تضعه فى ملابس البراهمة البيضاء حتى يبدو واحدا منهم وبحيث إن من يراه لم يكن يتصور - كما يقول رودولف شتاينر - أن مثل هذا الرجل يمكن أن يموت .

**ولكن كان لابد للموت أن يجىء ، وقد جاء يوم الاثنين ٢٤ أغسطس عام ١٩٠٠ قبل سبعة أسابيع من بلوغ نيتشه السادسة والخمسين .**

ومن سخرية القدر أن الذى قام بتأبينه يوم دفنه كان أحد كبار اساتذة تاريخ الفن . ولكنه وقف يتلو مرثيته من نص مكتوب وبطريقة رتيبة مملة جعلت أحد النقاد يقول : « إن **الطريقة الأكاديمية العقيمة التى كان نيتشه يرفضها ويحاربها ظلت تتعقبه حتى قبره . ولو كان فى استطاعة نيتشه أن يقوم من القبر لألقى بالمحاضر من النافذة ولطاردنا جميعا من معبده » .. ولكن الموتى لايتحركون !**

# الرسام والطلقة

# ناجي العلي ..

## سيناريو الموت في حالة عطاء

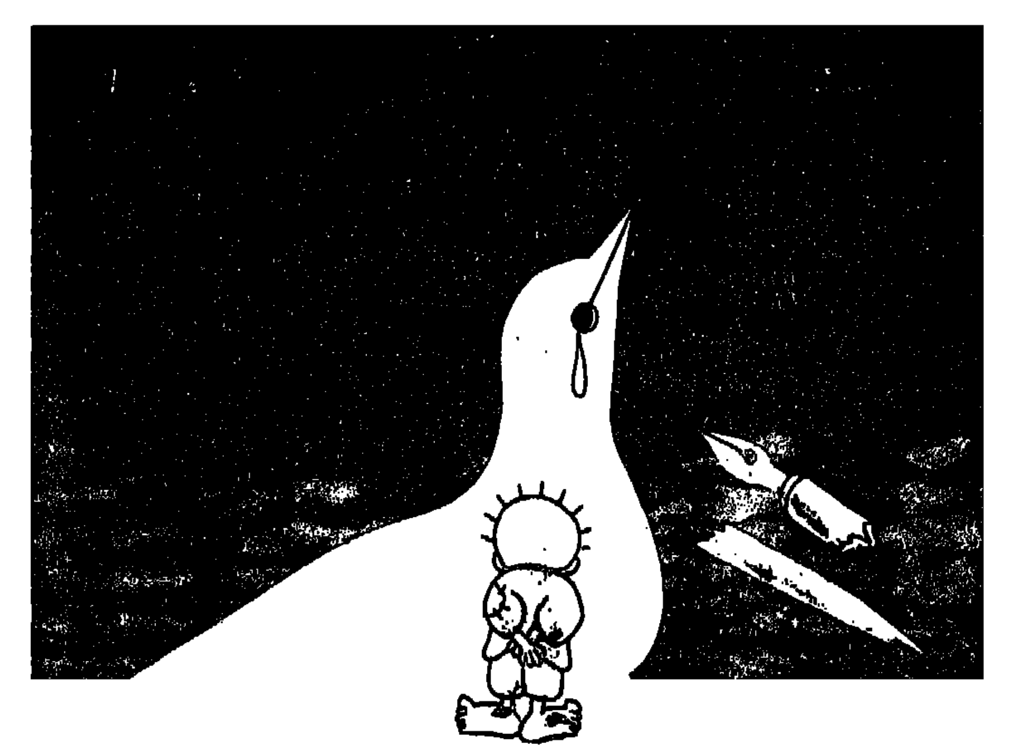
« مشهد ١ / الحادث »

● في نحو الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم الاربعاء الموافق ٢٢ ـ يوليو الماضي ، وفي شارع ساوث كينجتون بقلب العاصمة البريطانية لندن ، وبينما كان ناجي العلي يهبط من سيارته التي اقلته من ضاحية ويمبلدون حيث يعيش مع زوجته واولاده الاربعة ، وما ان تقدم من مدخل البناية التي توجد بها مكاتب الصحيفة الدولية التي يعمل بها، وكانت بصحبته سيدة ، حتى جاءه شاب طويل عريض في نحو الخامسة والعشرين ، ذو ملامح شرق اوسطية يرتدي ملابس زرقاء ، واخرج يده المدسوسة في جيبه بمسدس ، وتقدم خلفه، ومن مسافة لا تزيد عن ١٥٠ سم أطلق على فكه رصاصة واحدة، ومشى في طريقه بهدوء وكانه لم يفعل شيئا ، حتى وصل الى عربة كانت تقف على بعد امتار ، وفيها فتاة تنتظر احتفظت بموتور العربة دائرا ، وانطلقت به وغابت في زحام المدينة •

في نفس الوقت كان ناجي العلي قد سقط على الارض والدماء تتدافع من رقبته ، بينما بدأت السيدة تولول ، والمارة يتلفتون الى المنظر المفزع دون أن يطيلوا النظر •

وجاءت الاسعاف ونقل الى المستشفى ، والجدير بالذكر ان عملية نقله قد استغرقت خمسا واربعين دقيقة كاملة •

ومن الجدير بالذكر أيضا أن البوليس البريطاني اضطر أن يعلن عن وفاته ، حتى يتسنى له نقله الى مستشفى آخر تتوفر فيه معدات تحتاجها حالته المتدهورة •



حنظلة شخصية ناجى العلى الشهيرة يقف تحت دمعة
الحمامة التى تذرفها على كسر الريشة

## « مشهد ٢ / عودة للماضى »

● ولد ناجى عوض العلى فى قرية صغيرة من قرى الجليل الاعلى بفلسطين المحتلة ، اسمها « الشجرة » ، وكان والده واسرته قد عملوا جميعا بزراعة الموالح ، ولما جاءت نكبة فلسطين ، هاجر وهو فى العاشرة من عمره مع اسرته الى جنوب لبنان ، حيث اقيم لهم معسكر « عين الحلوة » فى جوار مدينة صيدا ، وهناك ايضا تلقى تعليمه الاولى فى مدارس وكالة غوث اللاجئين ، ودخل ايضا احد المعاهد المتوسطة ليدرس الكهرباء ، لكنه كان طوال الوقت يشتعل بروح الغضب ضد من احتلوا وطنه ، فاخذ يرسم على الجدران اشكاله الكاريكاتورية المحتجة ، وارسل رسما الى مجلة الحرية فنشرته ، ويبدو انه عندئذ قرر السير فى طريق الفن ، واحترف الرسم ليكون حياته ورايه وعشق القضية ، فدفع حياته ثمنا للحقيقة ، وللجراة والاقدام على تبنيها ·

## « مشهد ٣ / المستشفى »

ظل ناجى العلى تسعة وثلاثين يوما كاملة فى غيبوبة منذ اصابته وحتى وفاته ، فتحوا رقبته من اسفل ليصلوا حنجرته بانبوب يصبون له فيه السوائل المغذية ، ولم يفق من غيبوبته سوى دقائق معدودات طوال الـ ٣٩ يوما ·

وفى صباح يوم السبت الموافق ٢٩ من اغسطس الماضى مات ناجى العلى ، ويقول تقرير الاطباء الابيض ببروده المعهود:

ناجى العلى



« وقد جاءت الوفاة نتيجة هبوط فى القلب ، بعد غيبوبة طويلة لم يخرج منها منذ اصابته الا لحظات متقطعة كان يفتح فيها عينيه ويحس بمن حوله » •

« مشهد ٤/ ظهور حنظلة »

في أعقاب هزيمة يونيو ٦٧ كانت قد تحطمت احـــلام ، واستيقظت احلام اخرى ، وتكشفت حقائق عديدة ، وفي جـــو من الحمية ابدع الفنانون العرب الراديكاليون اعمالا فى غاية الاهمية : ووصل الكثيرون منهم الى اكتشافات فارقة ·· وفى رحلة بحثه الفني والفكرى ظهرت شخصية حنظلة التيصاحبت رسوم ناجي العلى على هيئة شخص ضـــــــــعيف يعطى للمشاهد ظهره في اغلب الاحيان : لكنك تراه يواجهـــك فى اللحظات الفارقة·ولم يبذل فيه الفنان كثيرا منالحبر ، مجرد خطوط بسيطة واضحة تنقل كل الشحنة ، وبحركته المعبـــرة يقول كل ما يريد ان يقول : شاهد مؤلم للضمير •

« قطع / ١ »

تلقى ناجي العلى في حياته القصيرة التى لم تزد عـــلى ثمانية واربعين عاما مائة خطاب تهديد بالقتل من اطـــراف عديدة ويقال أن اخرها وصله قبل اغتياله باسبوعين • سجل حافل بالشجاعة هي حياته •

« مشهد / جثة بلا وطن »

بعد وفاته بلحظات قامت زوجة الفنان الفلسطيني واولاده الاربعة بمحاولات مضنية مع الفعاليات السياسية فى كل مـن




دوائر من الحديد متشابكة فى سلسلة القهر تحملها الأم الفلسطينية بدلا من كعك العيد

سوريا ولبنان لتنفيذ رغبته بدفن جثته في معسكر عين الحلوة بالجنوب اللبناني حيث قضى صباه وشبابه لكن كل المحاولات ذهبت ادراج الرياح .

وكان مؤلما أن تقرأ في البيان الذى أصدرته اسرته هـذه العبارة : « أنه بعد كل هذه الاتصالات لم يكن امامنا الا ان ندفنه دفن امانة حسب الشريعة الاسلامية » .

لكن يبدو أن الخوف من ناجي العلي ميتا كالخوف منه حيا ، وظنوا انهم سيقتلون الرمز . لكن ما رأيكم ها هي وفود الزائرين تتوافر على قبره في « بروك وود » ويزداد الـرمز ابعادا أخرى .

« قطع آخر »

اذا نظرنا الى النتيجة السياسية التي قصدها المخططـون لاغتياله فاننا لابد ان نقول ، أن المقصود باغتياله هو بالضبط: اشاعة الفرقة بين الفلسطينيين وارهاب أصحاب الاقلام والمبدعين منهم حتى يعم الزور والجهل ، وحتى يترددوا في قول الحقيقة، وحتى يغيب من كان يهز الضمائر كل صباح، ويكاد المخططون ان يكونوا قد حققوا جزءا من هذه النتيجة بهذه الفرية التي ردده البعض وليس مقصودا ان تكون جهة وطنية قد اغتالت ناجي العلي ، مع أن القاتل واضح كالشمس .

« ختام »

الناس جميعا يموتون ولا يتركون آثارا على الارض ،الا المبدع المعطاء ، وناجي العلي كان مبدعا وعطـاء ، وها هي رسومه تنتشر في الارض ، ويعرفه الذين لم يعرفوه في حيـاته ليشتعل كالنار في الهشيم .




عين الحلوة المخيم الفلسطيني الذى قضى فيه ناجي صباه وشبابه عندما تدمع عيناه يتحول الدمع الى قنابل

مقالك اليوم عن الديمقراطيه
عجبني كثير - شو عمتكتب لبكره ؟

عمبكتب وصيتي !!

بشجاعة فائقة يكتب الكاتب وصيته غير مبال بمصيره إثر مقالة له عن الديمقراطية التى يرفضها الفاشست

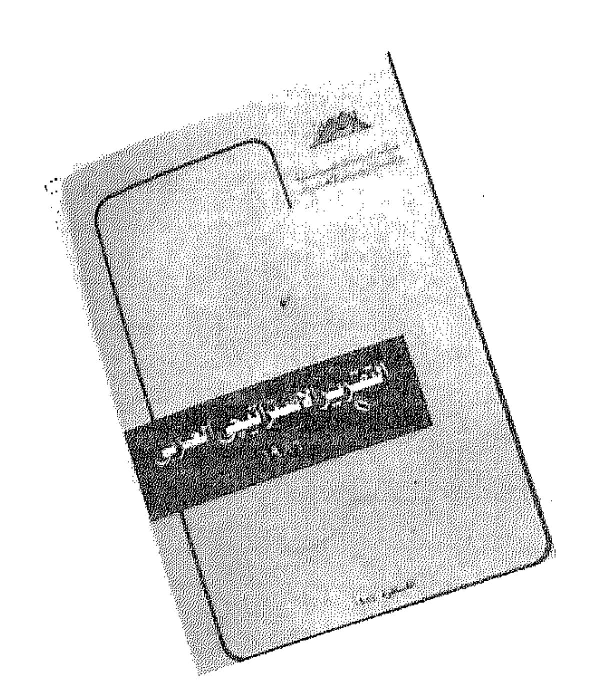


لم يكن ناجي العلي يرى فيما يحدث فى لبنان صراعا بين المسيحيين والمسلمين من ابناء الشعب الصورة توضح التضامن بين كل اللبنانيين

القلق على المعتقلين .. والمسجونين .. والمفقودين

كثيرا ما عبر ناجي بالعيون عما يريد قوله . العين الأولى على هيئة كلابشات والثانية قضبان السجن والثالثة فراغ وافتقاد .

واحدة من الرسوم المباشرة لناجي العلي يرفض فيها كتم اصوات اصحاب الرأى .



# التقرير الاستراتيجي العربي - ١٩٨٦

# ... إضافة إلى الترحيب والتقريظ

بقلم : مصطفى الحسيني

**لم يجانب الصواب السيد ياسين عندما كتب في مقدمة « التقرير الاستراتيجي العربي » الاول لعام ١٩٨٥ وكرر في مقدمة التقرير الثاني لعام ١٩٨٦ أن صدوره « يمثل حدثا فكريا ينبغي أن نتوقف عنده قليلا لنتأمل دلالته » .. فالذي لاشك فيه أن عملا من هذا القبيل من شأنه أن يسد فراغا فاغرا في المكتبة العربية ، وأن يلبي حاجة يتطلع اليها العقل السياسي العربي**

ومع هذا الاقرار الذي نكرره هنا مع السيد ياسين ، فان التوقف « عنده قليلا لنتأمل دلالته » لا يجوز أن يقتصر على الترحيب والتقريظ اللذين يشير اليهما رئيس تحرير التقرير بشكل غير مباشر في مقدمته للتقرير الثاني ، ولا أن يقتصر على القول انه «قد لبى حاجة موضوعية

لصناع القرار والسياسيين والباحثين والمثقفين والمهتمين بشكل عام » ·

ولعل الاقرب الى الصواب والى « تواضع المنشئين » أن يقال أنه قد سعى ويسعى الى أن يلبى حاجة موضوعية لدى من ذكرهم ، وأنه قد لبى بعض هذه الحاجة ·

ولا تسعى هذه المراجعة للتقرير الثانى الا الى تقديم مشورة متواضعة لعلها تساعد هذا العمل المهم على أن يكون أوفى بغرضه فى السنوات المقبلة·

قبل أن يصدر هذا التقرير كان المعنيون من العرب بالتوجهات الاستراتيجية عيالا على المنشورات الاجنبية فى هذا المجال ، وأشهرها التقرير الاستراتيجي الذى يصدر عن المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية فى لندن ، وكان هذا الاعتماد يحمل بالضرورة امكانية التأثر بالمنظور الذى تصدر عنه هذه المنشورات الاجنبية ، **خصوصا إن معظمها يدعى معه سمعة من « الموضوعية » و « الحياد » ، تتستر على ما ينطوى عليه من تحيز تخفيه مسلمات مسبقة وغير مذكورة** فى نصوصها ، ولعل من ابرز معالم هذا التحيز المخفى ببراعة أنها جميعا تتعامل مع العالم على أساس أنه يدور من حول مركز « انجلو ـ ساكسونى » ( ما يصل الى القارىء العربى هو ما يصدر فى الغرب ) ، أو بتعبير أوضح تتعامل تلك المنشورات مع عالم يدور من حول قوى الحلف الاطلسى ، فى صراعها مع دول حلف وارسو ، منظورا الى هذا الصراع من وجهة النظر الاطلسية ، وباعتبارها وجهة الخير والسلم والاستقرار الدوليين· ويترتب على هذا المنظور النظر الى أوضاع بقية العالم باعتبارها محكومة بهذا الصراع · محكومة وليست مجرد متأثرة مهما بلغت قوة هذا التأثر ·

وهذه وجهة تستهدف اسقاط قيمة القوى الذاتية لبقية مناطق العالم وأقاليمه ، بما تحفل به من طاقات صراعية كامنة ، وبالتالى تدفع المعنيين بالتوجهات الاستراتيجية فى هذه المناطق والاقاليم ، من المحللين الى متخذى القرارات ، الى الاعتماد على حركة قوى المركز وانتظار ما تقرر ·

ولعل أبرز ما يجب أن يميز ، أو بالحرى أن يبرر صدور تقرير استراتيجى اقليمي أو قومى ، هو أن ينجو بمن يتوجه اليهم من هذا الوبال ·

فهل نجا « التقرير الاستراتيجى العربى » ؟

## ● حياد الورقة البيضاء

اذا نظرنا فى بنيات التقرير وجدنا أن القسم الذى يتناول « الشرق الاوسط فى السياسة العالمية » يفتتح صلب التقرير ، وهو أمر من حيث الشكل كأنه يقول أن موقع « الشرق الاوسط » فى السياسة العالمية « هو القاعدة والاساس لما يجرى فى داخله وهو القوة الحاكمة والمقررة لوجهة طاقاته الصراعية ، ويقوى هذا الايحاء عندما نقرأ هذا القسم ، فنجده يبدأ بعرض العلاقات السوفييتية الامريكية · فينتقل الى رسم موقع الشرق الاوسط فى تلك العلاقات ، ثم الى استعراض سياسات كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى حيال المنطقة ، منتهيا الى عرض الميزان العسكرى السوفييتى ـ الامريكى ·

وفى صلب هذا العرض بفصوله الخمسة ، نجد التقرير الاستراتيجى العربى محايدا حياد الورقة البيضاء والماء القراح فقد كان مسار الاحداث مؤكدا للاتجاهات السابقة ( اتجاهات العام ١٩٨٥ ) : « اتجاه يعمل بقوة على تثبيت ودعم الوضع الراهن لتحقيق

الانفراد بالقوة والسيطرة على مسار الاحداث فى المنطقة ٠٠ » ٠٠ « وكان هذا هو اتجاه الولايات المتحدة » ٠٠ « أما الاتجاه السوفييتى فكان فى اطار تخفيف حدة التوتر فى المنطقة فيما يتعلق بالصراع العربى – الاسرائيلى» الى أن ينتهى هذا الفصل من التقرير بتقييم لسياسات الامريكيين والسوفييت حيال المنطقة فى العام ١٩٨٦ ٠

يقول التقييم : « ان مجمل هذه الممارسات فى عام ١٩٨٦. يشير الى استمرار علاقات الحرب الباردة الجديدة بين القوتين العظميين فيما يتعلق بالشرق الاوسط ٠ ولا شك أن موقف القوتين من المنطقة أملته اعتبارات استراتيجية فى المقام الاول، وعوامل اقليمية جعلت الاتحاد السوفييتى يستخدم أسلوب الترقب مكتفيا من حين لاخر ، بطرح فكرة المؤتمر الدولى لتسوية النزاع حول الشرق الاوسط ، بينما استمرت الولايات المتحدة فى تأكيد نهجها السابق والخاص باستبعاد الاتحاد السوفييتى من الاسهام فى أية جهود للتسوية فى المنطقة ، بل ان جهودها اتخذت خطا تصاعديا وصل الى حد التهديد بضرب دولة عربية والاعتداء المسلح على دولة عربية أخرى » ٠

عدا عن الجملة الاخيرة ، الا يسوى هذا التقييم بين موقف القوتين ؟ الا يرى أن موقف كل منهما « مفهوم » أو يجب أن يكون مفهوما ، على أساس أنه موقف « أملته اعتبارات استراتيجية فى المقام الاول » ؟

اتساقا مع هذا « الحياد الاكاديمى » وامتدادا له ، يختتم التقرير هذا القسم بعرض للميزان العسكرى السوفييتى الامريكى ، ينتهى بـ « مقارنة القوات التقليدية للاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة فى الشرق الاوسط » ووجه الاتساق مع « الحياد الاكاديمى » فى هذا العرض والجداول الملحقة به أنه يعتمد مقارنة كمية بين الاسلحة وحجم القوات ٠ ومع أهمية رصد الكميات ، فانه مما يضعف من مدلولها أن يخلو هذا من رصد العوامل المحددة لطاقة الكميات وامكاناتها ، ومن هذا القبيل : مواقع انتشارها ، طاقتها الحركية أو التعبوية ، نظم قيادتها والتحكم فيها ، هذا كله منسوبا الى الموقع المستهدف وهو فى حالة التقرير الاستراتيجى العربى : « الشرق الاوسط » وللانصاف فقد حاول التقرير ان يسد بعض هذه الفجوة بتلك المقارنة بين قوات الطرفين فى الشرق الاوسط ٠ انما يعيب هذه المقارنة أنها : أولا ، مثلها مثل الميزان الاجمالى اعتمدت الكم مقياسا ، وثانيا ، أنها اسقطت عنصرا مهما هو ما للطرفين من « قواعد » و « تسهيلات » فى المنطقة وحولها ، ومن ارتباطات عسكرية بدول المنطقة ٠ يضاف الى هذا أن هذه المقارنةقد وردت خلوا من تحديد مصدر ما ورد فيها (★) والمصدر هنا ليس مجرد أداه توثيق ٠ انه أداة مصداقية ٠ بمعنى أنه اذا كان المصدر غربيا أو كان المصدر شرقيا ، فمن وراء الارقام غرض يمكن تبينه من تحليل الارقام ٠ ولعل من الامثلة الشهيرة على الغرض فى هذا الشأن، ذلكالتقرير الذى درجت الولايات المتحدة علىنشره فى السنوات الاخيرة عن « القوة

---

(★) يغيب المصدر عن أغلبية ما يتضمنه التقرير من جداول و « معلومات » ٠

العسكرية السوفييتية، والذى يميل الى تهويلها ، وقد كشفت صحيفة «واشنطن بوست » فى العام الماضى عن وجود طبعة أخرى محدودة التداول من التقرير ذاته ، يختلف ما فيها من ارقام عما تورده الطبعة المعروضة للتداول اختلافا شاسعا ، وبمقارنة الارقام فى الطبعتين ، توصلت الصحيفة الامريكية الى أن غرض الارقام المهولة فى الطبعة واسعة التداول هو اقناع الرأى العام الامريكي بالموازنة العسكرية الضخمة، واقناع الرأى العام العالمى « بالخطر السوفييتى » ٠

قبل أن نغادر هذه النقطة ، وموضوعها ما نراه من أن « التقرير الاستراتيجي العربى » لم ينج من التسليم الضمنى بالمركز الانجلو ـ ساكسونية ، وما يترتب عليها من سيادة « الدولى » على « الاقليمى » وتحكمه به ، بل وتوقف الثانى على الاول وما ترتب على هذا من استدراجات ، قبل أن نغادرها نتحسب للقول بأن ما فعله التقرير هو الاقرار بواقع الحال ٠ حيث الراهن أن « الاقليمى العربى » معلق على « الدولى الامريكى ـ السوفييتى » ٠ فنبادر الى التسليم بأن هذا هو واقع الحال ٠ انما نضيف ـ مستندين الى التقرير ذاته ـ أن واقع الحال هذا يرجع فى الجزء الاكبر منه الى حالة التدهور العربى ، وهى وان كانت حالة راهنة، فان ما يعرضه التقرير من وقائع الاوضاع العربية ينطق بما يقترب من استحالة استمرارها ، كما يشير الى طاقات وممكنات تبدلها الى الافضل ٠ وما يتسق مع « النظرة الاستراتيجية » الا يوصد الباب أمام استشراف هذه الآفاق ٠

فى ايجابيات التقرير التى تستحق اشادة حارة، تلك الاقسام التى تناولت: « الاقتصاد العربى بين التبعية والاستقلال فى حقبة النفط »، « والصراعات الاقليمية خصوصا الصراع العربى ـ الاسرائيلى » و « النظام الاقليمى العربى » خصوصا الجزء المتعلق بالفلسطينيين ٠

تتميز هذه الاقسام عموما بنظرة استراتيجية ثاقبة وشامله تستحق التنويه ولا تحتاج الى التدليل ٠

ومع ذلك فلا بأس من بعض الملاحظات، التى وان كنا نراها جوهرية ، لا تقلل من قيمة هذه الاجزاء ٠

١ ـ ينتهى تناول « الصراع المسلح العربى ـ الاسرائيلي ١٩٨٦ » بجداول مقارنة للقوة العسكرية العربية ـ الاسرائيلية فى نطاق ثلاثة بدائل : أ ـ مجموع الدول العربية فى مقابل اسرائيل ، و ، ب : دول المواجهة العربية واسرائيل مع مجموعة من البدائل الفرعية ، تتناول الاحتمالات ( النظرية ) جميعا : أى أن تقاتل سوريا وحدها ، أو أن يقاتل الاردن وحده ، أو أن تقاتل مصر وحدها ، أو ان تقاتل سوريا والاردن معا ، أو أن تقاتل سوريا ومصر معا ، أو أن تأتلف دول المواجهة الثلاث ضد اسرائيل ٠

وهذا كله مفيد ٠

غير أن هذه الجداول يعيبها ماسبق أن أوردناه حول الميزان العسكرى ـ السوفييتى الامريكى منسوبا الى هذه المنطقة ٠ وهو ما لا حاجة الى تكراره ٠

كذلك غابت عنها الامكانية النووية الاسرائيلية ٠

٢ ـ عند التعرض للنظام الاقليمى العربى ، خصص التقرير قسما للتجمعات الاقليمية الفرعية تناول فيه تجربتى مجلسى التعاون الخليجى والتكامل المصرى ـ السودانى ٠

## ● مجلس التعاون .. حقيقة واقعة

وفى عرض تجربة مجلس التعـ...

# ● التقرير الاستراتيجى العربى ١٩٨٦ ●

الخليجى . يلاحظ التقرير أن « انسدلاع الحرب العراقية ـ الايرانية منذ سبتمبر ١٩٨٠ كان عاملا حاسما فى أن أصبح مجلس التعاون الخليجى كتنظيم اقليمى فى المنطقة العربية حقيقة واقعة» · وهى ملاحظة صحيحة · لكن الغائب عن « تقليب الامور على أوجهها » فى هذا الشأن هو محاولة اختبار الصلة بين تكوين هذا التجمع الاقليمى بالطريقة التى تكون بها ، وبقصر عضويته على بعض دول الخليج وليس عليها جميعا ، ـ أى استبعاد كل من العراق وايران ـ بنشوب الحرب العراقية ـ الايرانية · ويعزز من هذه النقطة أن من بين الافكار المطروحة ـ نظريا على الاقل ـ لانهاء هذه الحرب ولترتيب اوضاع هذه المنطقة من بعدها ، فكرة توسيع عضوية هذا المجلس ( أو تصحيحها ) بحيث تضم القوتين الخليجيتين الكبيرتين اللتين جرى استبعادهما ·

٣ ـ فيما يتعلق بالفلسطينيين نجد ميل العرض الى وجهة نظر خصوم القيادة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية · ولا غبار على هذا فهو أقرب الى النظرة الاستراتيجية الصائبة ، سوى أن المآخذ فى هذا السياق ، هو أنه كلما اتصل الامر بالموقف السورى مال العرض الميل الاخر · وهو ما نجد مثالا واضحا عليه فى موضع آخر ، فى وصف ما أسماه التقرير « علاقات التنافس والتهديد بين الاقطار العربية ، حيث يقول « انها اصرار سوريا على استبعاد منظمة التحرير فيعود بصورة أساسية الى العامل الشخصى » · وهى عبارة على ايجازها تتناول أمورا لم يقم عليها دليل ، لكنها تعامل على أنها «ثوابت» · مثل القول بـ « اصرار سوريا على استبعاد منظمة التحرير » · استبعاد المنظمة ، أم استبعاد القيادة الحالية للمنظمة ؟ نفى للمنظمة أم خلاف على السياسة التى تنتهجها قيادتها الرسمية · **ثم أليست مسالة « العامل الشخصى » هذه وقوعا فى شرك الدعاية السياسية وما تروجه ، حتى وان كان للعامل الشخصى بعض التأثير ؟**

كذلك يشوب هذا العرض « ميل أرشيفى » قوى · أى أنه يحفل برصد تفصيلى للتطورات والاحداث · وهو أمر مفيد · لكن هل مكانه الصحيح « تقرير استراتيجى » · ان خطر الفرق فى العرض التفصيلى هو أن يضيع الخيط الذى يقود الى رؤية استراتيجية ·

٤ ـ عندما تناول التقرير «الاقتصاد العربى بين التبعية والاستقلال فى حقبة النفط » ، أورد ما أسماه « استرداد السيطرة القومية على موارد النفط » وجسدها فى « اجراءات التاميم الشامل للنفط العربى » · وهى نقطة تتسع لان يقال فيها انها الباس لوجهة النظر ثوب الحقيقة · طالما أن هناك وجهة نظر أخرى ومعتبره فى أوساط كثرة من المحللين تقول ان اجراءات التأميم ، التى تراوح موقف الغرب وشركاته النفطية منها ما بين القبول الهادىء والتشجيع الصريح ، أدت الى اضعاف قدرة العرب على فرض حظر نفطى آخر ، على أساس أنه قبل التاميم كانت الشركات تدفع حصة الدولة العربية المعنية من قيمة برميل النفط بمجرد رفعه من البئر، بينما بعد التاميم لن تحصل الدولة أو الدول المعنية على سنت واحد من ثمن النفط الا اذا باعته ·

٥ ـ من القبيل ذاته ، قبيل الباس

وجهة النظر ثوب الحقيقة ، أو ثوب الامر المقضى به ، ما يتوصل اليه التقرير بعد فحص حال النظام الاقليمي العربي من أن « المغزى الاساسى لهذا التحول هو أن النظام العربي لم يعد نظام قيادة ( تقرير حال ) » وأن أفكار ونظريات الدولة القائدة لم تعد تصلح كمنطلق لبناء نظام اقليمي عربي جديد يقوم على درجة كبيرة من الوحدة ».

٦ ـ تعرض القسم الذى تناول الصراعات الاقليمية الى جانب الصراع العربي ـ الاسرائيلى ، كلا من الصراع العراقى ـ الايرانى ، والصراع الليبى ـ التشادى • وقد غابت عن عرض هذين الاخيرين ، أية اشارة الى اصول الصراع ، التى هى فى النهاية ، وعلى المدى الاستراتيجي المحدد الرئيسى لتطوراته فى المستقبل ، والتى هى أيضا مرجع الحق والباطل ، والعدل والبغى فى مواقف الاطراف •

كذلك فان التقرير عندما يعرض الصراع العراقى ـ الايرانى لا يخفى قدرا غير قليل من التحيز ضد ايران • ولا يطلب أحد موضوعية تغض الطرف عن الانتماءات • انما ما يطلب من « تقرير » أمران : أ ـ الا تكون التحيزات ظاهرة ، و ، ب ـ الا ينسب الى طرف ما لم يصدر عنه • ففى صفحة ١٣٢ يلخص التقرير الهدف السياسى ـ العسكرى الايرانى ، ويضع بين علامتى تنصيص « ••• » « هزيمة النظام الحاكم فى العراق عسكريا تمهيدا لقيام نظام موال لايران » والنصف الاول من الجملة صدر عن ايران أكثر من مرة ، أما النصف الثانى «تمهيدا لقيام نظام موال لايران» فلا يتصور صدوره عنهم • ثم يعود التقرير وفى الصفحة ذاتها ليدرج ضمن الهدف الاستراتيجى للعمليات العسكرية الايرانية ، وضمن علامتى تنصيص « •• والاستيلاء على منابع النفط فى السليمانية وهو ما لم ينطق به مصدر ايرانى •

ويبدو التحيز ضد ايران مرة أخرى فى موضع آخر ، فى القسم الذى يستعرض السياسات العسكرية لايران وتركيا واثيوبيا ، فبينما يعرض للسياسة العسكرية للاخيرتين عرضا تقريرا صرفا ، نجد عرضه للسياسة العسكرية الايرانية تهويلا لما يعتبره عداء ايران للعرب ، مثلا ، يرد فى صفحة ١٤٩ « ترى ايران فى الفكر القومى العربى تهديدا لها » هكذا وبهذه اللغة القاطعة ، ودون تصور أن مقولة كهذه تستحق التدليل عليها • خصوصا وأن من بين الطروحات العديدة ( والمتضاربة أحيانا ) التى صدرت عن ايران الخمينية تصور كحلف عربى ـ ايرانى ضد اسرائيل والولايات المتحدة والامبريالية العالمية •

تضمن التقرير قسما ضروريا ومفيدا حول « العرب ودول الجوار الجغرافى » وهو القسم الذى تناول السياسات العسكرية لايران وتركيا واثيوبيا •

الم يكن جديرا بالتقرير أن يضم الى هذه الدول باكستان التى شاركت فى حلف عسكرى ضم واحدة من دول المنطقة ( العراق ) واستهدف المنطقة ؟ والجبلى بامكانية نووية من شأنها أن تؤثر على أمن هذه المنطقة ؟ والتى عن طريق انغماسها الوثيق فى المشكلة الافغانية ، التى تخترق المنطقة ببعدها الاسلامى ، تمد اصبعا فى شئون أمن المنطقة •

هذه قبضة من الملاحظات على « التقرير الاستراتيجى العربى ١٩٨٦ »، مرماها اثارة حوار حوله يتخطى حدود التقريظ الذى يستحق التقرير غير قليل منه دون شك • ومرماها أيضا أن يكون التقرير للعام ١٩٨٧ أوفى بغرضه •

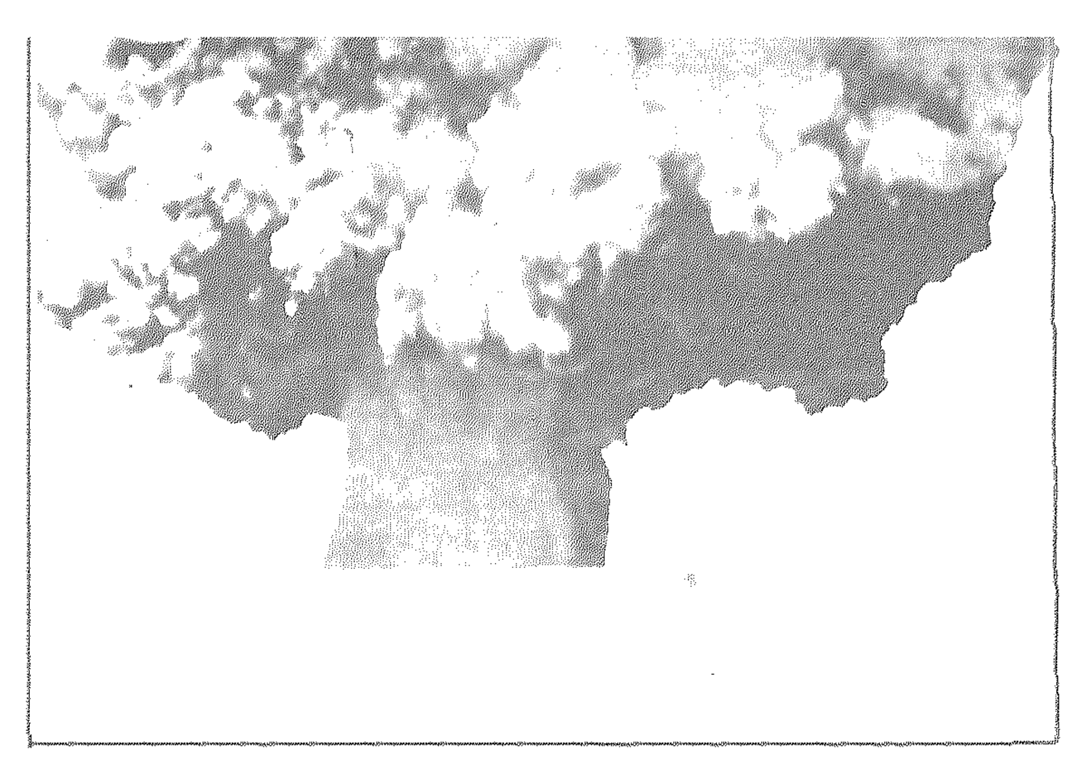
# محاكمة إسرائيل لخبيرها النووي

## جولدا مائير : قررت استخدام السلاح النووي في حرب أكتوبر

بقلم : عبد الرحمن شاكر

اصبحت مسالة القوة النووية للدولة الصهيونية أحد الموضوعات البارزة المطروحة على الساحتين العربية والدولية فلولا وقوف الاتحاد السوفييتي في حيازة تلك الدولة للاسلحة النووية لم يكن ليبالي بمسالة تطوير صواريخ « اريجا » الاسرائيلية ، لو لم تكن تلك الصواريخ مزودة بالرءوس النووية وأصبحت بتطويرها يصل مداها الى داخل حدوده وصور حلفائه في شرق أوربا « أنظر عدد سبتمبر من الهلال » • وحاليا تجرى في الدولة الصهيونية محاكمة مردخاى فانونو الفني النووى الاسرائيلي، المتهم بتهريب الاسرار النووية الاسرائيلية ، والذى سبق له اللجوء الى الغرب حيث أعلن في بريطانيا تخليه عن كل من جنسيته الاسرائيلية وديانته اليهودية ، وصرح لجريدة صاندى تايمز البريطانية بان الدولة الصهيونية تمتلك ترسانة من القنابل الذرية يبلغ عددها حوالي ثلاثمائة قنبلة ، مما يجعل منها قوة نووية سادسة ، تلي الدول الخمس الكبرى ، ذات العضوية الدائمة في مجلس الامن من حيث القدرة النووية ، وقد تمكنت الدولة الصهيونية من اختطاف خبيرها النووى السابق وعادت به الى الارض المحتلة حيث تجرى محاكمته ، مع احتمال ادانته بالخيانة العظمى ومعاقبته بالاعدام أو السجن مدى الحياة •

وفى اطار الاهتمام بهذا الموضوع ، انشأ الدكتور تيسير الناشف ، استاذ الدراسات العربية فى كلية اسيكس كاونتى فى نيوجرسى بالولايات المتحدة الامريكية ، مقالا مهما بعنوان التهديد النووى الاسرائيلى » نشره فى عدد سبتمبر الماضى من مجلة « المستقبل العربى » التى تصدر فى بيروت عن مركز دراسات الوحدة العربية • وفى هذا المقال اشار الباحث الى شهادات العلماء النوويين الذين استشارتهم صحيفة « صانداى تايمز » البريطانية فيما يتعلق بصحة شهادة الفنى الاسرائيلي مردخاى فانون ، ومن اهمهم « ثيودور تيلر ،



● هل سيغير السلاح النووى طبيعة الصراع فى المنطقة

احد تلامذة روبرت او بنهايمر الذى يوصف بانه « ابو القنبلة الذرية » ٠ وقد عمل تيلر على التصميم الاول للقنبلة النووية ، ثم تراس برنامج وزارة الدفاع الامريكية لتجريب الاسلحة النووية ٠ درس تيلر الصور التى التقطها فانونو داخل منشأة ديمونة النووية التى كان يعمل بها وصورة فى شهادته ثم علق عليها بقوله : « ينبغى الا يكون بعد اى شك فى ان اسرائيل طيلة عقد على الاقل دولة حائزة بالكامل للاسلحة النووية وبرنامج الاسلحة النووية الاسرائيلى اكثر تقدما بكثير مما يبينه اى تقرير سابق ، او حالات حدس سابقة كنت قد علمت بها » ، واضاف : « ان شهادة فانونو متسقة اتساقا تاما مع قدرة اسرائيل على انتاج عشر قنابل نووية سنويا ٠ ربما له مغزى مهم هو انها اصغر واخف واكثر فعالية من الانماط الاولى من الاسلحة التى استحدثتها الدول الخمس العظمى الحائزة للاسلحة النووية » ! ومعنى ذلك ان اسرائيل لم تعد تضارع تلك الدول العظمى فى امتلاك القنابل الذرية فحسب ، بل هى تمتلك قنابل اكثر تطورا من حيث كونها اصغر واخف حملا واكثر فعالية !!

ومما اورده الكاتب ايضا ان محطة سى ٠ ب٠اس الامريكية قد اذاعت بعض المعلومات التى يتضمنها كتاب سوف يصدر بالعبرية لصحفيين من اسرائيل هما ايل تايجر ، وعامى دور ، تجاوزا فيه شهادة فانونو بان اسرائيل لديها عدة عشرات على الاقل من القنابل الذرية ، ليقررا ايضا ان لديها بضع قنابل هيدروجينية !

## المونة الدولية

ويقرر الدكتور الناشف ، فى بحثه المستند الى مصادر كثيرة ، ان برنامج اسرائيل النووى « كان من بدايته تحت اشراف وزارة الامن ، مما يشير الى الطابع العسكرى الذى يتسم به ذلك البرنامج» ٠ «وان اسرائيل لديها البنية الاساسية والموارد والمعرفة

والخبرة اللازمة لانتاج الاســلحة النووية » وان الكثير من العلمــاء والفنيين الاسرائيليين متخصصون فى العلوم النووية ، كما ان هناك تأكيدا كبيرا على العلوم الطبيعية والهندسية فى نظام اسرائيل التعليمى • وتوجد فيها مؤسسات مهمــة تؤدى دورا رئيسيا فى اعــداد العلمــاء والاختصاصيين فى مجال العلــوم النووية مثل معهد وايزمان فى رحفوت وجامعة الهندسة التطبيقية فى حيفــا والجامعة العبرية فى القدس •والكثير من علماء اسرائيل النــوويين تلقوا دراستهم وتدريبهم فى وقت مبكر فى هولندا وفرنسا والمملكة المتحــدة والولايات المتحــدة الامريكية وغيرها من البلدان « ثم شرع هؤلاء العلماء يعودون من المغرب الى اســرائيل فى بداية الخمسينيات بما حصــلوه من معرفة فى التكنولوجيا النووية » •

وفىعام ١٩٤٨ اجرى الاسرائيليون تحترعاية وزارة الامن مسحا تمهيديا فى النقب حيث اكتشفت كميــة من اليورانيوم فى قرارات الفوسفات • وفى عام ١٩٤٩ انشئت دائرة بحــوث النظائر فى معهــد وايزمان ، التى اصبحت بعد ذلك دائرة البحــــوث النووية • وفى عام ١٩٥٢ انشــئت لجنة الطاقة الاسرائيلية برئاســـة ارنست بيرجمان الذى كان من اشــد المتحمسين لانتاج الاسلحة النووية • وقد احيطت هذه اللجنة بالســـرية بحيث لم يعلم الجمهور بوجودها الا فى عام ١٩٥٤ •

وقد حصلت اسرائيل على مفاعلها النووى الاول من الولايات المتحــدة الامريكية ، كما حصلت منهــا على المطبوعات والمعلومات المتعلقة بالمفاعل النووى • وتلقى العشرات من العلماء الاسرائيليين التدريب فيهــا أى فى الولايات المتحدة على ادارة المفاعلات وقد انشىء هذا المفاعل الذى تبلــغ طاقته ٥ ميجاوات فى ناحال ســوريك بالقرب من اسدود ، واستكمل بناؤه فى مايو ١٩٦٠ وهو قادر على انتاج البلوتونيوم ، ويعتبر مركــز تدريب للفنيين والعلمــاء الذين يســتطيعون بعد ذلك العمل فى تشغيل مفاعــلات اخــرى •

ومع ذلك فالدكتور الناشف يعتبر ان فرنسا هى « اشد الدول مسئولية عن مساعدة اسرائيل فى ان تصــبح دولة حائزة للاسلحة النووية ، وذلك بحكم تحالف الدولتين الســـياسى والعسكرى الذى « بلــغ ذروته فى العدوان الثلاثى على مصر فى عــام ١٩٥٦ » •

ولقد ابرم بين الدولتين فى عــام ١٩٥٣ اتفاق نووى ينص على تبــادل المعلومات التكنولوجية النووية وعلى تدريبعلماء اسرائيليين فى فرنسا•وقد بنت فرنسا فى النقب الشمالى مفاعل « ديمونة » النووى الذى بدأ بطــاقة ٢٤ ميجاوات ، وقد بدأ تشــغيله فى اواخر ١٩٦٣ وبداية ١٩٦٤ •

ومنذ بدايتها احيطت منشأة ديمونة النووية بالسرية التامة ، حتى لقــد قيل ان اعضاء الكنيست لم يســمح لهم بزيارة بعض اقسامها •

وقد ساعدت اسرائيل فرنسا على الاستقلال عن المظلة النووية للولايات المتحدة ، هى مقابل مســـاعدتها لاسرائيل بتزويدها « بالماء الثقيل » ، حصلت من هــــذه الاخيــرة على تكنولوجيا الحاسبات الالكترونيــة التى تم استحداثهــا فى الولايات

المتحدة · وكانت الولايات المتحدة قد حظرت بيع حاسبات الكترونية معينة لفرنسا حتى لا تستخدمها فى صنع قنابل ذرية · وكذلك حصلت فرنسا من اسرائيل على سر استخلاص اليورانيوم من المعادن الخام ·

وهكذا اسهم التعاون النووى بين فرنسا واسرائيل فى تمكن كل منهما من الحصول على القدرة على انتاج الاسلحة النووية ، الامر الذى أثار حفيظة الامريكان ، وجعلهم يطالبون اسرائيل رسميا بأن توضح نواياها النووية ، وفى عام ١٩٦٠ ارسلت امريكا طائرتى تجسس من طراز«يوم» لالتقاط صور لمركز ديمونة الذى كان فى طور الانشاء ·«وبذل الاسرائيليون جهودا جلية للتظاهر بأن المنشأة الملتقطة فى الصور هى مصنع للنسيج · ولكن بن جوريون اعترف فى النهاية فى اواخر عام ١٩٦٠ لاول مرة بانشاء مفاعل نووى فرنسى للبحوث · ووعد بالسماح بزيارات امريكية للتفتيش على مفاعل«ديمونة» على الا يتم ذلك فورا ، مكررا زعمه انه انما اقيم لاغراض سلمية ··

ويقرر الدكتور الناشف ان من الدول التى تعاونت مع اسرائيل فى برنامجها لانتاج الاسلحة النووية جنوب افريقيا وتايوان · وهما « دولتان » ذواتا وضع خاص شبيه باسرائيل · فكما تغتصب اسرائيل جزءا من ارض العرب تقيم عليه دولتها ، تقوم دولة جنوب افريقيا على اغتصاب جزء من الارض الافريقية تقيم عليه دولة معادية لسائر الافارقة، وكذلك تايوان التى تقيم على تلك الجزيرة الصينية دولة متمردة على النظام السائد فى جمهورية الصين الشعبية بأسرها ، ولا يخفى ان الصين بضخامتها وتعداد سكانها - تعتبر ازاء تلك الدولة فى وضع شبيه لم يزد عنه وضع العالم العربى والقارة الافريقية ، ازاء كل من اسرائيل وجنوب افريقيا · لذلك فكل من الدول الثلاث : اسرائيل وجنوب افريقيا وتايوان ، هى جزء صغير يعادى كيانا كبيرا نشأ بالرغم عنه ، وحاجتها الى الاسلحة النووية هى لتهديد هذا الكيان الكبير ، كى لا يفلح فى ردها الى « عصمته » ، ان صح التعبير !

## ● حالات التهديد

**والسؤال الان ، بعد ان اصبح امتلاك اسرائيل للسلاح النووى امرا معروفا ومسلما به ، ففى أى الاحوال يمكن لها ان تستخدم هذه الاسلحة ؟**

قبل الرد على هذا السؤال ينبغى الاشارة الى ان اسرائيل قد نقلت تحالفها الاستراتيجى من فرنسا الى الولايات المتحدة الامريكية ، التى تعرف تماما الان ان اسرائيل لديها **اسلحة نووية ، ولعل الولايات المتحدة قد اصبحت راضية عن ذلك تماما بعد ان كانت تستكره ايام التحالف الاسرائيلى الفرنسى ! ولعلها تعتبرها** كما سبق ان كتبت فى عدد سبتمبر الماضى من الهلال - ورقة تستخدمها فى مساوماتها النووية مع القوة العظمى الثانية فى العالم وهى الاتحاد السوفييتى !

ولقد ناقش الدكتور الناشف فى مقاله احتمالات استخدام اسرائيل لاسلحتها النووية ويلخص ذلك قوله : ان احد الظروف التى من المؤكد ان تستعمل فيها اسرائيل اسلحة نووية هو حالة تعرض اسرائيل للهجوم ،

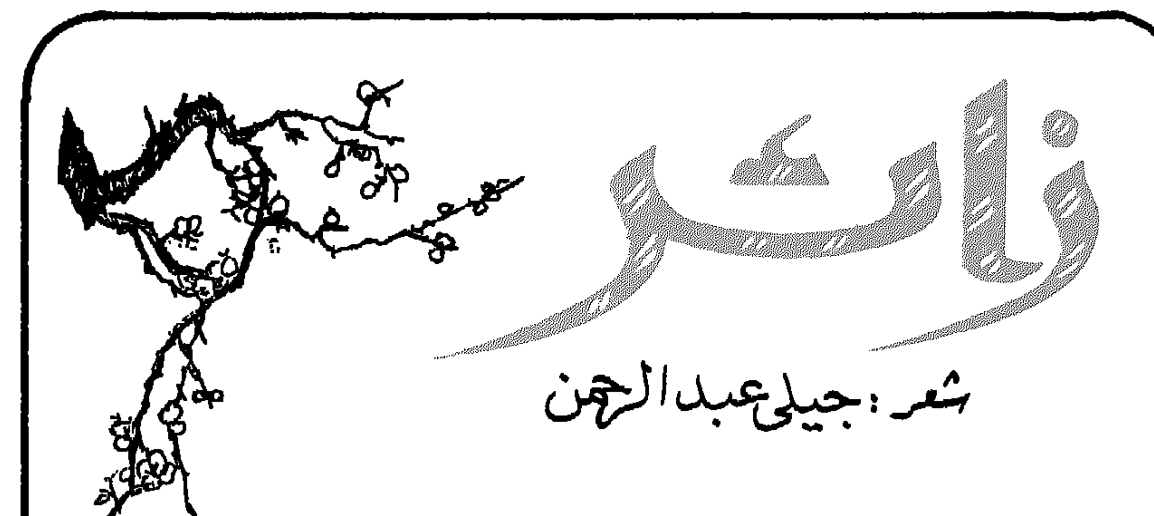
سواء بالمباغتة اولا ، من قبل طرف عربي واحد او اكثر ، ولا تكون قادرة فيها على صد الهجوم باستعمال الاسلحة التقليدية واذا قررت استعمال الاسلحة النووية فيمكن أن يكون هذا الاستعمال لهدف تكتيكي ـ وقف القوات العربية المتقدمة ـ او لتحقيق هدف استراتيجي ـ مثلا مهاجمة الاهداف الخلفية العربية ، والاختيار من هذين الخيارين يتوقف على عوامل مختلفة ، وخصوصا طبيعة المعركة الدائرة ، والهدف العسكرى للجيوش العربية ، وعدد الخسائر وسرعة وقوعها فى صفوف الاسرائيليين »

غير ان من اكثر ما يثير الاهتمام فيما كتبه الدكتور الناشف هو ما نقله عن مجلة تايم الامريكية عن القرار الاسرائيلى باستخدام السلاح النووى فى حرب اكتوبر ! تقول المجلة

« فى بداية حرب اكتوبر ١٩٧٣ .. صد المصريون هجمات اسرائيلية اولى على طول قناة السويس مسببين اصابات كثيرة ، وكانت القوات الاسرائيلية تتقهقر فى وجه هجوم الدبابات السورية المواسع النطاق . فى الساعة ٢٢ يوم ٨ اكتوبر ، اخبر القائد الاسرائيلى على الجبهة الشمالية اللواء يتسحاق حونى رئيسه : دانني لست متأكدا من اننا نستطيع ان نصمد وقتا اطول بكثير » ، وبعد منتصف الليل حذر وزير الامن موشى ديان رئيسة الحكومة جولدا مائير تحذيرا جادا « هذه هى نهاية الهيكل الثالث » . وعلى ذلك اعطت السيدة مائير ديان ترخيصا بتشغيل اسلحة « يوم الحساب » الاسرائيلية ( لعل الترجمة الادق هى « يوم القيامة » !)، وبعد تركيب كل قنبلة نقلت بسرعة الى وحدات القوة الجوية المنتظرة ، بيد انه قبل القيام بأى اطلاق،تحولت المعركة على الجبهتين فى صالح اسرائيل » .

ولكن الشيء الذى لم تناقشه تايم ولا الدكتور الناشف هو : اذا كان فى استطاعة اسرائيل استخدام القنبلة النووية على منطقة بعيدة عنها نسبيا من البلدان العربية ، فهل تستطيع استخدامها فى منطقة الشام التى تقع الدولة الصهيونية على جزء منه مجاور لبقيتها اشد الجوار ، دون ان تضع فى اعتبارها اخطار الغبار النووى على مواطنيها من الصهاينة ؟

ان الحرب الشعبية فى منطقة الشام من اجل استرداد حقوق الشعب الفلسطينى قد تكون اشد فعالية من الحروب النظامية ، وتكون الاسلحة النووية غير صالحة لوقفها ، ولعل الضراوة التى تعاقب بها الدولة الصهيونية مخيمات الفلسطينيين فى لبنان ، ردا على اعمال الفدائيين ، واخرها الغارات الاخيرة على مخيمات عين الحلوة والمية ميه فى منطقة صيدا دليلا على ذلك . وعلى كل لا يزال عرب الشام اكثر عددا ممن جلبتهم الصهيونية من يهود العالم لبسط سيطرتها على تلك المنطقة ، ونضالهم من اجل استرداد الحقوق العربية ، بمختلف اشكال المؤازرة من جانب مجموع الامة العربية،هو الذى سوف يحسم الصراع التاريخى فى المنطقة ، شريطة ان تكون صفوفهم اكثر تنظيما واقل انقساما فى مواجهة العدو التاريخى ، وذلك بدوره بحث اخر ، يخرج عن حدود البحث عن احتمالات التهديد النووى من جانب الصهيونية !




شعر: جيلي عبد الرحمن

كيف اشرقت علينـــا وتراب القبر فى اللحية
عطر المسبحة
وحفيف الاجنحـــة . ضوؤها .. فى مقلتينـــا
لم تكن في جيبك الخاوى . . جوازات ســـفر
وعلى المعطـــف ثقب ، وخيـــوط ومطر !
مثلما خلفتنى . . مازال قيـــسدى فى يديا
كافرا بالمنبـــر العالي . . ومسك الاضرحة !
هـــذه اللحظة . اومن بالعظم المســـجى
فى جـــراح الارض نيليا . . أريجى النخيـل
وبباب الدار للأيتـــام . . . . جرعـــات ،
وملجا
وآذان الفجـــر . . يصغى الطير للصوت الجليل
وعلى وجهك . نور الفاتحة!
وحمـــلت الطهر . . . آيات ، وشـــعرا ملحدا
ومحيطا من عقيـــق ، وبريق ، وصـــدى
اوقفونى: اين يا انت الهوية؟
وانا . . يا ســـيدى فى قبرك الغالى .. ضحية
اجهش التـــائه : ظلف الغاب من فوق الهدى
راية الاجداد .. داستها الخيـــول . . الجامحـــة !
انت اقبـــلت . . اذن فحنانيك الهوينـــا
رطب الراس بريق الروح.
رفرفت . . علينـــا وتراب الافـــق . .
كالاحراش . . يعمينـــا فاينا ؟
صولجان النصر ــ يارباه ــ دم المذبحة !




# وكفاح امرأة من أجل الحرية

بقلم : أحمد أبو كف

ورغم أنها الآن تعدت الستين ، فهى لا تعترف بذلك وتؤكد انها فى ربيع عمرها . وحقا فإن ميلينا ميركورى بقوامها السامق تحس أن فيها مسحة من ربيع العمر ، رغم أن الزمن لا يرحم الإنسان فقد بدأ الشيب يزحف على شعرها الكستنائى ، وبدأت العروق تنفر فى يدها ، وتحدد أو ترمز إلى حقيقة السنين .

حياتها لكل من قرأها وعرفها هى مجموعة من الملاحم والمآسى ، بل والكوميديات التى تشبه مآسى وكوميديات اليونان القديمة . تزوجت أكثر من مرة ، إلى أن استقرت على زوج يناسبها ، تعبت كثيرا فى البحث عنه ، هو المزج اليسارى الامريكى الأصل جول داسين ، وتعيش معه تحت سقف واحد ، وهو من وقف بجانبها أيام محنتها ، بل فى أحلك لحظات حياتها .. وهى قد وقفت جانبه من يوم زواجهما وحتى الآن ..

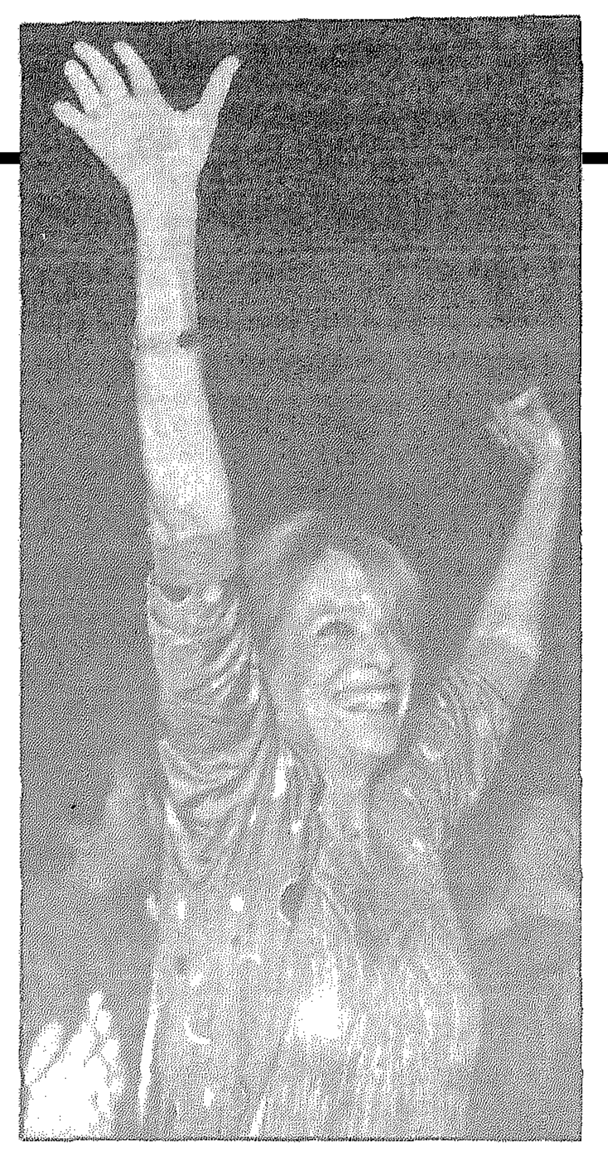
علاقة ميلينا ميركورى بالرجال ذات طبيعة خاصة ، وربما هى ـ كما قال لى يونانى مصرى فى أثينا ـ أنها فى فترة من عمرها لم تفرق بين الزواج وغير الزواج ، فعلت المستحيل من أجل مستقبلها .. ثم فعلت نفس الشىء من أجل بلدها لكى يتحرر من الطغمة العسكرية التى استولت عليه عام ١٩٦٧ .. ولم تتركه سوى عام ١٩٧٤ .

● ● ●

هى .. دائما مشغولة ، مشغولة لشوشتها ، لا تعرف متى تعطيك جانبا من وقتها .. حتى تتصور أنها من حوريات اثينا اللاتى لا تستطيع أن تمسك بهن . لكنها فى الحقيقة مواطنة يونانية من بنات ميناء بيريه ، ذلك الميناء الذى أنشأه "بركليس" .. وما أدراك ما هذا السياسى والخطيب اليونانى القديم .. الذى كانت تهتز لخطبه أعمدة الاكروبول .. أعظم أثر

عيب أن نذكر على الملأ سنوات عمر سيدة من بنات حواء . فما بالك لو كانت حواء هذه شخصية عامة وعالمية ، ونجمة سينما لها بصمات وسياسية ووزيرة لبلد عريق الحضارة في الماضي ، ثم هي مناضلة ، حملت رأسها على كفها ، وجعلت ساحة كفاحها العالم من أجل تحرير بلدها ، ولصدقها فقد رحب بها مفكرو العالم التقدميون ، وعلى رأسهم المفكر الفرنسي الكبير جان بول سارتر .

**ميلينا ميركوري**



مادي يوناني ، على قلة الآثار المادية في اليونان .

في ميلينا ميركوري شبه من حوريات جبل الأوليمب ، وفيها رقتهم وشموخهم . حياتها ـ كما ذكرنا ـ اسطورة جرت في بلاد أفروديت وفي خارجها ، ومع ذلك فهي تعشق المرح أو تحب دائما أن تعيش دائما كما عاش اليونان حين كانوا يحتفلون بعيد آله المرح والشراب ديونيسوس .

**فيها أيضا من البحارة .. وكأنها من رعايا "نبتون" آله البحر عند أجدادها اليونان القدامى . وهي تعشق السباحة والابحار وانما إلى عوالم جديدة ، قلوعها مشرعة ، مثل العصفور لا يهدأ على غصن ، أو هي مثل طائر النورس الذي كثيرا ما يشاهد بحذاء شواطيء اليونان الطويلة .. لكنها الآن حطت على مرفأ السياسة . أصبحت وزيرة للفنون والحضارة في اليونان .. وهي بدورها تتعامل مع هذا المنصب**

السياسى بحساسية الفنان .. أو العكس كذلك هو الصحيح .

**● ميلينا وجان بول سارتر**

منذ عدة سنوات وبعد موت المفكر الوجودى الفرنسى جان بول سارتر ، كتبت رفيقته سيمون دى بوفوار كتابا اسمته «مهرجان الوداع» .. أو «حفل الوداع» la Ceremonie de Adieux . تحدثت فيه عبر جمل مبعثرة عن الأيام الأخيرة لسارتر ، وعن علاقته بميلينا ميركورى . كانت ميلينا كما قالت تعشق وتقدر سارتر لسببين : أولهما لمكانته الادبية العالية والعالمية ، ولفكره المتشعب والشامل وثقافته الواسعة . والسبب الثانى : أن سارتر تبنى كفاحها من أجل تحرير بلادها من الطغمة العسكرية التى استولت على السلطة فيه

يبدو أن ميلينا قد تعرفت بسارتر فى نهاية الستينيات أو بداية السبعينيات ، وهو أيضا قد رحب بالتعرف عليها ، لأنه كان مهتما بقضية الديمقراطية فى اليونان

وكانت ميلينا قد قرأت بعض فكر سارتر واعجبت به ، فطلبت منه أن يساعدها على تحرير بلادها .

والعلاقة بين ميلينا وسارتر .. قد تكون أثارت غيرة سيمون دى بوفوار ـ فالمرأة هى المرأة ولو كانت مثقفة بزاد الارض الثقافى . بل ان سيمون ـ كما يقال ـ حاولت ابعاد ميلينا عن طريق سارتر بحجة أنه مريض . لكن سارتر اعترف لرفيقة حياته ، وهذا الاعتراف سجلته سيمون دى بوفوار ـ فى كتابها ، اعترف بقوله «أنا مع ميلينا أشعر وكأننى فى الخامسة والسبعين» .. وربما هذا ما دفع ميلينا إلى أن تتمادى فى علاقتها مع سارتر من ناحية ، وما دفع سيمون دى بوفوار إلى أن تنفر منها أو هى لا تستريح اليها من ناحية أخرى .

ومن بعض ما كتبت سيمون دى بوفوار فى كتابها «حفل الوداع» : انها وسارتر كثيرا مازارا اثينا ، وكثيرا ما كانت ميلينا تصحبه إلى مقهى يجتمع فيه المثقفون اليونانيون ـ بعد تحرر اليونان من حكم الطغمة ـ فمثلا فى أغسطس عام ١٩٧٤ وكان سارتر قد احتفل بعيد ميلاده السبعين ، قد سافر مع سيمون دى بوفوار إلى اليونان ، زارا الجزائر أولا . ثم ذهبا إلى اثينا واستمرا فيها عشرة أيام ، وصعدا الاكروبول ، وكان يتعشى مع ميلينا ، التى كانت تلتقى به كل مساء ، بينما هو يقضى النهار مع سيمون دى بوفوار .

وتذكر سيمون دى بوفوار فى كتابها أن ميلينا كانت دائما تزور باريس ، وكان سارتر دائما يحب أن يراها فى بيته . لكن سيمون دى بوفوار تقول ، إن سارتر اعترف لها عام ١٩٧٦ أن ميلينا ميركورى "جوفاء" .. لكنه لم يبغضها قط !!

ولقد زار سارتر ميلينا ميزكورى أيضا فى اليونان عام ١٩٧٤ حينما كان يحتفل بعيد ميلاده السبعين أما ميلينا فكانت حينما تزور باريس تتناول معه الغداء فى المطعم البرازيلى الشهير . ومرة ذهب معها للغداء ، فخذلته ساقاه ، ورغم ذلك قال لسيمون دى بوفوار : أنه يعود شبابا فى صحبتها» .. ومن هذا يبدو أن ميلينا كانت تعرف كيف تتعامل مع الرجال .

وتذكر سيمون دى بوفوار ، أن صديقها سارتر كانت له نزوات وتقلبات فى أواخر أيامه .. حتى أنه لم يعد يريد أن تأتى ميلينا لرؤيته كلما زارت فرنسا . وقال إنها

مهتمة بنفسها أكثر من اللازم ، ولكنها لا تثير الاهتمام !! . واضاف «انه لم يعد فيها ما يجذبنى» ..

وتؤكد سيمون دى بوفوار - والعهدة عليها - أن سارتر أسر إلى ميلينا مرة ، وقال لها «أنا أحمل لك قدرا كبيرا من العاطفة ، ولكننى لم أحبك قط» .. وبكت ميلينا وقتها ، ونشرت رسالة غرام لها إلى سارتر فى الصحف اليونانية .

كان سارتر على علاقة قوية بالمقاومة اليونانية أيام حكم الجنرالات ، وكان يكتب المقالات ضدها ، وكان دائم القراءة للكتب التى كتبت عن المقاومة فى اليونان . ولا شك أن ميلينا استغلت علاقتها بسارتر ايما استغلال - كما تقول سيمون دى بوفوار - سواء لنفسها هى أو لبلادها التى كانت ترزح تحت حكم الجنرالات حتى تحررت منهم .

● الغيرة طبيعة إنسانية

اعتقد ، ويعتقد الكثيرون أننى اطلت التمهيد للدخول الى عالم ميلينا ميركورى ، الشاسع الثرى .. والذى أردت به أن اثير اهتمامها لكى تتكلم . بمعنى أننى حاولت أن أضرب عصفورين بحجر ، أن أذكرها بسارتر وفترة من حياتها من جهة ، وفى نفس الوقت اذكرها بأيام الكفاح التى تريد دائما - حسب طبيعة البشر - أن تستعيدها وتخوض فى بحارها .

لكنها .. فاجأتنى بقولها : إن العلاقة مع سارتر ، والحديث عن صديقته سيمون دى بوفوار يحتاجان إلى حديث طويل ، فلا أحد عاشرهما أكثر منى ! وقالت : لقد تابعت ما كتبته سيمون دى بوفوار وأصدقاء كثيرون نبهونى إلى ما ذكرت فى كتابها . واعتقد أن الغيرة طبيعة انسانية ، كما أعتقد أن سارتر بشهادة الشهود كان يهش ويسعد كلما شاهدنى ، وكان دائما يحب الحوار معى ، وكنت أنا أبادله نفس الشعور كمفكر ، لأنه حتى فى أيامه الأخيرة التى اشتد عليه المرض فيها ، كان ذهنه متوقدا وحاضرا دائما .

وتتوقف ميلينا لحظات لتقول : لا أشعر أننى أعرف الغيرة مع انى أمرأة . لكننى أعرف كيف أسعى إلى التفوق . وهذا الشعور لم يراودنى حينما التقيت بسيمون دى بوفوار . واعترف أن شعور الغيرة راودنى بحق عندما شاهدت الممثلة الكبيرة إيرين باباس فى فيلم «اليكترا» . وشعور الغيرة أيضا راودنى عندما مثلت مع جينا لولو برجيدا فى فيلم «القانون» . لم نستلطف بعضنا بعضا أثناء التصوير ، وحينما عرض الفيلم وجدت أنها قدمت دورها أفضل منى .

**●● قلت لها : لماذا انضممت إلى حزب "الباسوك" مع أنك من اسرة ، بحكم طبيعتها ووضعها الاجتماعى ، كان من الطبيعى أن تنضمى إلى حزب الديمقراطية المعارض الآن فى اليونان ؟**

- قالت ميلينا ميركورى : ان حزب باسوك هو حزب الحركة الاشتراكية الهيلينية ، وهذا الحزب أقرب إلى طبيعتى كفنانة وكسياسية ، وإلى طموحاتى القومية وأهدافى من العمل بالسياسة .

**● ماذا فعلت ضدك حكومة الجنرالات ؟**

- قالت : تعرضت للكثير من السلطات العسكرية فى اليونان . لقد سحبوا جنسيتى ، وصادروا أملاكى وأملاك عائلتى ، وحاولوا اغتيالى . ولولا أن مهندسى الصوت - فى إحدى المرات -

اكتشفوا فى الميكروفون الذى سأخطب فيه جهاز تفجير ، لانفجر فى وجهى ، بينما أنا كنت على وشك الحديث فى اجتماع جماهيرى بمدينة جنوا الايطالية ، وكنت أطالب فيه بانتصار الديمقراطية فى بلدى اليونان .

**● سالت ميلينا : لماذا اخترت « ولدت يونانية » عنوانا لكتابك الوحيد ؟**

ـ قالت : هذا العنوان فرض نفسه علىّ ، بعد أن سحبت منى حكومة الجنرالات جنسيتى .

فى هذا الكتاب تحدثت ميلينا ميركورى عن تأثرها بجدها الذى كان نموذجا لانسان اليونان الطيب المرح ، الضعيف فى مواجهة النساء ، والقوى فى مواجهة الخصوم .

وقد ظل جدها ٣٠ عاما محافظا لاثينا ، ورئيسا لبلديتها .

فى الكتاب أيضا ـ وهى جذور ميلينا ميركورى ـ أن والد ميلينا كان وطنيا غيورا ، عاشقا لبلده . وانتهى به هذا العشق إلى العمل بالسياسة ، واخيرا تولى منصب الوزير أكثر من مرة ، ثم نفى خارج اليونان ليموت مغتربا .. وجاء موته بينما كانت ابنته ميلينا تعانى الغربة والقهر خارج وطنها ..

**● سالتها : هل أنت بالطبيعة مهتمة بالسياسة فانت سياسية أخطأت طريقها إلى الفن ؟**

ـ قالت : الفن سياسة ، والفن مهد لى الطريق لأن أمارس السياسة علنا ، ولأن يذهب صوتى الى كل ربوع الأرض . بمعنى أنى سياسية عن طريق الفن ، أو قل أنا فنانة شققت طريقى عبر السياسة .

● يقال إنك بدأت بالمسرح أولا ، اصابك ميكروبه ، وبسببه هبت عليك لعنات العائلة .

ـ تقول : المسرح عشقته منذ طفولتى ، بل إننى تحديت عائلتى كى أمثل أو أصعد على خشبة المسرح . تعرضت فى البداية لتوبيخ أمى ، وضربنى أخى بيروس . لكننى وجدت تشجيعا من الممثل اليونانى جورجيوس الذى علمنى كيف أتثقف مسرحيا ، وكيف أقرأ وكيف أستوعب ، بل كيف أعبر وانطق الكلمات . وقرأ على مسامعى شعر رامبو ، وفيرلين ، وأبوللينير . كنت فى هذه الفترة فى الرابعة عشرة من عمرى ، وشاهدت لأول مرة ميلودراما اسمها «الحدأة» وقد أحببت جورجيوس . وفى نفس الوقت بلغ من حبى للمسرح أن كنت أتسول ثمن التذكرة من الطرقات .

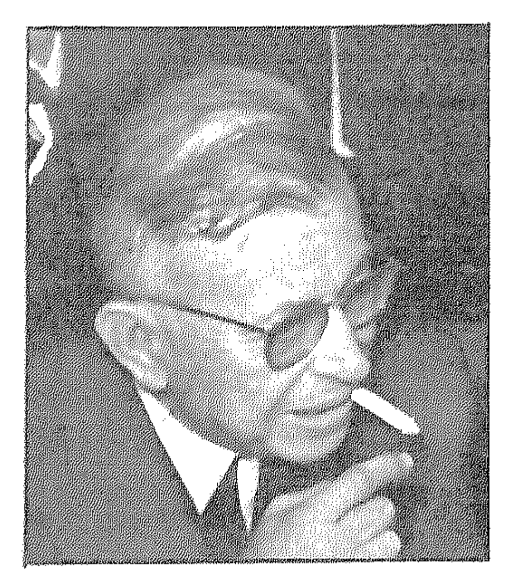
وعلاقتى بالمسرح بدأت حينما كنت فى العاشرة من عمرى ، عندما ارتديت ملابس أمى ودخلت أحد المقاهى المنتشرة فى جزيرة بيروس ، ثم بدأت أرقص . لكننى لم أفق إلا على صفعة قوية أنهالت بها والدتى على وجهى وسط جميع الزبائن . على أننى لم أهتم بما حدث سوى شىء واحد هو تصفيق الزبائن اعجابا بى . ومنذ ذلك الوقت الحت علىّ رغبة واحدة هى تسلية الجماهير بلا مقابل سوى التصفيق !!

**●● هل نجحت فى المسرح بعد ذلك ؟**

ـ قالت : نجحت قبل أن أبلغ العشرين من عمرى ، فى نهاية سنوات الحرب العالمية الثانية . وكانت بطولتى الأولى فى المسرح ، فى واحدة من أعمال برناردشو بعنوان «البطل والعسكرى» .



سيمون دى بوفوار



جان بول سارتر

● لكن ما هى أشهر مسرحياتك التى حققت نجاحا ؟

ـ قالت : «عصفور الشباب» وهى من تأليف الكاتب الأمريكى تينسى ويليامز وقد مثلتها على مسارح باريس . هذا بالاضافة الى مسرحية «آليا حبيبتى» التى مثلتها على مسارح برودواى فى نيويورك .

● كيف شققت مشوارك المسرحى ، وقد كان طريقا كله عقبات ؟

قالت : كوّنت فى البداية فرقة مسرحية مع جورجيوس ، مثلنا مسرحية بعنوان «طريق الحرية» وفشلنا فيها فشلا ذريعا ووقتها قال النقاد عنى : «إنها شباب جدا ، وشقراء جدا ، وبلا موهبة» ، وقالوا أيضا : هناك ممثلات ناشئات أكثر موهبة وفى حاجة للعمل .. وقالوا أيضا : لماذا لا تبقى الميركورى فى المجتمع الذى يليق بها .. !!

● لكنك تمسكت بالمسرح رغم كل شىء

ـ قالت : بالفعل ، لقد ناضلت من أجله . عملت أولا فى مسرح كاترين ، وكانت مدام كاترين ممثلة يونانية قديرة ، مديرة لمسرحها . وقد مثلت معها مسرحية «الحزن يناسبه الكثير» ليوجين أونيل . ووصلت إلى أن أصبحت نجمة الفرقة الكبيرة بلا منازع ، وقد حققت المسرحية نجاحا كبيرا ، كما حققت نجاحا كبيرا أيضا فى مسرحية أخرى لبرناردشو وهى «البطل والعسكرى» .

وتضيف ميلينا : لقد فكرت وقتها فى تكوين فرقة مسرحية . جمعت حولى ذخيرة الشباب الواعد ، وبدأت الافتتاح بمسرحية لكوستاس بلا ماش عميد شعراء اليونان المحدثين ، ولكن المسرحية فشلت .

● ماذا استفدت من النجاح والفشل فى المسرح ؟

ـ قالت : الفنانة لا تعترف بالنجاح أو بالفشل إنما عليها دائما أن تسعى لكى تكتشف الصورة المحددة للشخصية التى تحبها ، ثم تدرس أغوارها ، وبعدها يأتى كل شىء .

**● أحسب أنك تريدين أن توضحى شيئا عن المسرح ، ما هو ؟**

تقول : لقد تتلمذت أيضا على روندريس مدير المسرح القومى اليونانى وقتها ، وكدت انتحر وقتها بعد مجموعة من المحاولات الفاشلة . ثم انضممت فترة لفرقة المسرح القومى ، ومثلت مسرحية «عربة اسمها اللذة» ونجحت فيها . وقد تجولت مع الفرقة فى انحاء اليونان لمدة ٧ سنوات عرفنى فيهاالناس .. وكان عملى فى الفرقة القومية هو بمثابة اعتراف بموهبتى وبطاقة مرور إلى عالم النجاح .

مازال الحديث حول المسرح مستمرا ..

قالت ميلينا ميركورى : لقد مثلت على خشبة المسرح اليونانى ، كما مثلت فى باريس حيث تعرفت على مارسيل بانيول ، وجان كوكتو ، وسارتر ، وساشا جترى . وفى باريس أجدت التمثيل فى مسرحية «لاشار» ، أو هكذا قالوا لى .

**● وماذا عن فترة المنفى ؟ ..**

ـ قالت : فى فترة المنفى تعرفت على الكثيرين من نجوم الفكر والثقافة والفن ، ومنهم الروائى الأمريكى جون شتاينبك مؤلف رواية «ثم غاب القمر» . كما تعرفت على جين فوندا ، وتابعت نشاطها ضد حرب فيتنام ، وعرفت الفنانة فانيسا رود جريف التى تساند حركات التحرر وتقف مع الحق الفلسطينى .

**◎ عالم السينما الرحب**

من المسرح ننتقل مع ميلينا ميركورى الى عالم السينما ..

**● أقول : ماذا عن السينما ، حيث جعلتك نجمة شهيرة ؟**

قالت : أول دور مثلته في السينما كان شخصية أمرأة تغنى فى الكهوف على نغمات البوزوكى .. وهذا فن شعبى قديم معروف فى اليونان .

لكن أول أفلامى السينمائية كان فيلم «ستيلا» من اخراج كاكو نيس اشهر مخرجى اليونان ، وكان هذا فى عام ١٩٥٤ ، وقد تقاضيت فيه مبلغ ٢٠٠ دولار ، وكان دورى أمرأة متحررة تعارض فكرة الزواج ، لكنها فجأة تحب رجلا يعرض عليها الزواج . فالزواج فى رأيها موت لحريتها . وستيلا بطلة الفيلم امرأة مرحة ، كلها حياة ، كلاجيا فخورة بجسدها وحريتها ، وهى تحب حقيقة لكنها ترفض الزواج ومباركة المجتمع له .

**● ماهى أشهر أفلامك !**

ـ تقول : فيدرا الآثمة ، والبيانو الآلى ، وأبدا الاحد ، والمنتصرون .

**● ومن أشهر المخرجين الذين عملت معهم ؟**

ـ تقول : كوكايانيس الذى أخرج «ستيلا» . وجول داسين المناضل الأمريكى الذى هرب فى الخمسينيات من امريكا بفعل حملة المكارثيه ليستقر فى أوربا . وقد تزوجنا وعشنا ولا نزال نعيش أحلى الأيام ، وهو الذى أخرج لى فيلم «ابدا الاحد» .

**● « سألت المخرج الايطالى الشهير ماورو بولونينى عنك ، فقال انك نجمة كبيرة وأنك مازلت فى عصمة جول داسين . وقال أنك دعوتيه لحضور مهرجان سالونيك السينمائى باعتبارك الداعية له ، والسؤال هو : قبل داسين من هم أزواجك ؟**

ـ قالت : تزوجت فى فترة الأحلام الضابط البحرى الوسيم سبيروس ، ثم

افترقنا ثم تزوجت «بان» فى جزيرة سباستاى ، بعد أن انفصل عن زوجته الراقصة فى علب الليل وكنت قد تزوجت جورجيوس المسرحى ، وسافرت معه إلى باريس ، وافترقنا . وآخر أزواجى هو جولى .. أى جول داسين !

● **لكن كيف تعرفت على المخرج الكبير جول داسين ؟**

ـ قالت : تعرفت عليه فى مهرجان كان ، وقدمه لى ميشيل آشار بعد عرض فيلم ستيلا . ولاشك أن داسين هو رائد الواقعية فى السينما الأمريكية ، وكان اسمه وقتئذ فى القائمة السوداء لاتهامه ظلما بعدائه لأمريكا . وكان وقتها يفكر فى اخراج فيلم مأخوذ عن رواية كرنتزاكيس ، وهـذا الفيلم ، هـو « إعـادة صلب المسيح » . وقد عرض الفيلم بعنوان «هو الذى يجب أن يموت» . وجولى داسين طلق زوجته وتزوجنى بعد علاقة بيننا استمرت سبعة أشهر بدون زواج .

ولك أن تعرف أنه فى ربيع عام ١٩٥٧ ذهبت للمرة الثانية إلى مهرجان كان مع فيلم « هو الذى يجب أن يموت » ، وكان رئيس هيئة التحكيم جان كوكتو .. وقد مثل الفيلم فرنسا فى المهرجان .

● **نعود إلى فيلم ستيلا .. البعض يرى أن بطلته ستيلا هى ميركورى فى بداية حياتها .**

ـ تقول : ربما فيها الكثير من ملامحى

وتضيف : لقد نجحت فى ستيلا على أية حال ، وصعد معى نجم المخرج كوكا يانيس ، وصار مخرجا عالميا ، ونال فيلمه «اليكيترا» مع الممثلة ايرين باباس اعجاب العالم . ثم تبعه فيلم "زوربا" عن قضية نيكوس كـازنتـزاكيس ، ومـوسيقى ثيودوراكيس ، وحقق ، زوربا انتشارا وانتصارا عالميين .

● **وماذا عن الجوائز ؟**

ـ تقول : فى البداية .. عرض فيلم ستيلا فى مهرجان كان عام ١٩٤٥ .. لكنه لم ينل الجوائز . وبعدها بوقت قصير تعرفت على جول داسين ، وأخرج لى فيلم «هو الذى يجب أن يموت» ولم ينل الجائزة أيضا . لكن فى عام ١٩٥٧ ذهبت بالفيلم لمهرجان كان ، وكان رئيس لجنة التحكيم جان كوكتو . وقد حصل الفيلم على عدة جوائز ، ولم ينجح تجاريا .

● **وماذا عن فيلم «ابدا الأحد» أشهر فيلم لك ، والذى حصلت فيه على جائزة احسن ممثلة ؟!**

ـ تقول : هذا الفيلم الذى أخرجه جولى «تقصد جول داسين» كان اسمه «المومس السعيدة» ، ولكن اسمه تغير ، وهو يعرض لقصة رجل أمريكى يحاول فرض آرائه على الآخرين ، ثم يقابل أمرأة يونانية «ميلينا» .

وقد قام ببطولة الفيلم جول داسين نفسه لأنه لم يكن لديه مال ليأتى بالممثل جاك ليمون . وفى هذا الفيلم قمت بدور آليا ، وصرت لكل مومسات الأرض «الخرزة الزرقاء» التى تجلب لهن الحظ السعيد . وقد وصلتنى خطابات كثيرة من كل مكان فى أوربا من مومسات يشكرننى على العظمة التى أديت بها مهنتهن !!

● **ما الفرق بين دورك فى ستيلا ، وبين دورك فى «ابدا الأحد» ؟**

ـ فى ستيلا كنت نموذجا للمرأة ذات السمعة السيئة ، ونجحت فى تجسيد

مأساتها ، ولكن مع «آليا» فى «أبدا الأحد» صرت كما ذكرت من قبل .

● وماذا عن «فيدرا» ؟

ـ فيدرا أصلا تراجيديا يونانية ، وقد تم تصوير الفيلم فى جزيرة «هيدرا» وقد حقق الفيلم نجاحا كبيرا فى البلاد الكاثوليكية .. بينما خانه الحظ فى بلاد البروتستانت .

**● هل يأتي على الفنان وقت يرى فيه انه أدى واجبه وعليه أن يتوقف ؟**

ـ قالت : فى عام ١٩٦٦ كنت قد مثلت عددا لا بأس به من الأفلام ، وعملت مع مخرجين كبار بينهم فيتوريو دى سيكا . وقد مرضت فى هذه الفترة وأثناء مرضى أحسست أن الزمن يجرى بى وأن السينما تتطلب الشباب وكان فى نيتى بالطبع ألا أتشبث بها حتى آخر لحظة ، إنما سأنسحب فى الوقت المناسب ، وهذا الشعور انتابنى حينما بدأت أمثل دور الكسندرا ديل لاجو فى رواية «عصفور الشباب الجميل» المقتبسة عن مسرحية تينسى وليامز . والكسندرا هى شخصية نجمة سينمائية تسير نحو الشيخوخة ، وتمر بفترة انطفاء بريقها والكاميرات تثير الرعب فى نفسها .. وبهذا فقد صممت أنه قبل مضى ٦ أو ٧ سنوات لابد أن أعتزل السينما ، وأنشأت فرقة مسرحية فى اثينا .. لكى أمهد لذلك .

وتضيف ميلينا ميركورى : فى هذه الفترة بالذات كنت فى قمة شهرتى وازدهارى لدرجة أنه بعد نجاح «ابدا الأحد» ألح علينا أنا وداسين منتج أمريكي لتحويل نفس القصة إلى مسرحية استعراضية يخرجها داسين بعد أن عفوا عنه فى امريكا . و أقوم أنا بنفس الدور .



راسين .. مؤلف مسرحية فيدرا

وتعرض على مسارح نيويورك .. وبالفعل وافق داسين على ذلك .

وهذه المسرحية كانت بعنوان «اليا حبيبى» وقد حققت نجاحا كبيرا وأستمر عرضها أكثر من عام ، لدرجة أنهم فى اليونان تحدثوا عن الانتصارات الفنية التى حققتها بنت اليونان داخل امريكا . ووصفت الصحف اليونانية الانتصارات وقالت بالنص :

«إن اطفال بيريه ذهبوا إلى برودواى ، وصاروا آلهة هناك» .

وتضيف : فى امريكا اتيح لى أن اتعرف جيدا على ادوار إلبى ، وشتاينبك ، وتينسى وليامز وغيرهم من الكتاب الكبار .

## حلمت بالمستقبل المشرق

**● إلى هنا واقول لميلينا ميركورى : متى سحبوا جنسيتك ؟**

ـ تقول : لقد مضت الحياة جميلة فى نيويورك ، وكنت أحلم بمستقبل مضىء ،

وعندما عرفت بأحداث اليونان وقيام حكومة الجنرالات فى ٢١ ابريل ١٩٦٧ ، وفى نفس الوقت جاءنى خبر وفاة والدى فى لندن .

وبينما أنا فى نيويورك أرقص وأغنى فى مسرحية «آليا حبيبتى» إذ بمكالمة تليفونية تلقيتها صباح ١٢ يونيو ١٩٦٧ من أحد الصحفيين البريطانيين ، يقول لى : «مدام ميركورى ، لقد أعلن وزير الداخلية اليونانى أنك تعملين ضد مصلحة وطنك ، وقرر وضع الحراسة على ممتلكاتك ، وستفقدين الجنسية اليونانية» .

واضاف الصحفى : لقد اعلن وزير الداخلية تجريدك من جنسيتك اليونانية . وسألنى الصحفى بعد ذلك : ما رأيك ؟ . فقلت له : «لقد ولدت يونانية وسأموت يونانية» ..

**● هذا هو عنوان كتابك الذى كتبتيه فيما بعد .**

ـ قالت : بالفعل .. وهذا ما دفعنى إلى كتابته

**● وكيف ناضلت ضد الجنرالات ؟**

ـ لقد قدت كثيرا من المسيرات السياسية ضد الدكتاتورية . ففى امريكا كانت الاحاديث فى التليفزيون الامريكى ، والتظاهرات أمام البيت الأبيض تطالب باقصاء حكم الجنرالات .. واكثرت من الاحاديث والاجتماعات والخطب فى عواصم أوربا ، فى لندن وباريس وروما وقد تعرضت للكثير من المضايقات لكن الشرفاء والكتاب المناضلين كلهم وقفوا بجانب الشعب اليونانى حتى استرد حريته . لقد حاولوا اغتيالى فى أكثر من مكان .. وانا اقف بين الناس اطالب بانتصار الديمقراطية فى مواجهة الحكم العسكرى .

● ● ●

**● ما دورك الآن كوزيرة للثقافة والحضارة ؟**

ـ أولا إن دورى كفنانة لا يزال مستمرا .. الفنانة عليها اكتشاف الصورة المحددة للشخصية التى تحبها ، وأنا اعشق الثقافة والفن . ولهذا فأنا أعمل فى حقل التنمية الثقافية وينبغى أن ننطلق من المفهوم الهلليينى .. أى الحفاظ على المواريث الثقافية اليونانية العريقة ثم الانطلاق الى آفاق العصر .

**● هل هذا ماجعلك تتحدين بريطانيا لاسترداد الآثار اليونانية الثمينة التى استولت عليها ، وهى بعض رخام الاكروبوليس ؟**

ـ سأظل اطالب بتراث بلادى المنهوب الى أن يعود الى مكانه .

**● وماذا عن تمثال هيليوس اله الشمس فى رودس القديمة والذى أعلن عن اكتشافه أخيرا ؟**

ـ تمثال رودس كان فعلا من عجائب الدنيا ، ويقال إن طوله كان ٣٠ مترا ، وأنه اختفى خلال زلزال حدث فى عام ٢٢٥ قبل الميلاد وبعد انتشال إحدى الرافعات لكتلة حجرية كان يعتقد أنها جزء من التمثال اتضح أنها ليست جزءا من التمثال ، بل هى كتلة حجرية .. بعدما فحصها علماء الآثار .. وذهبت بنفسى والقيت نظرة عليها .

**● لكن الكتلة كما جاءت فى الصورة تشبه قدم تمثال كبير .**

ـ هى كذلك لكنها كتلة حجرية عمرها فى قاع البحر لا يتعدى السنتين أو ثلاثا كما أكد ذلك الخبراء والمتخصصون .

# سر الوجود
## وأسرار الغيب عند الفراعنة

بقلم : د. سيد كريم

يواصل د . سيد كريم فى هذا المقال حديثه عن كتاب الموتى ، الذى تناول أسرار التوحيد عند الفراعنة . وهو من أهم الكتب فى هذا المجال .

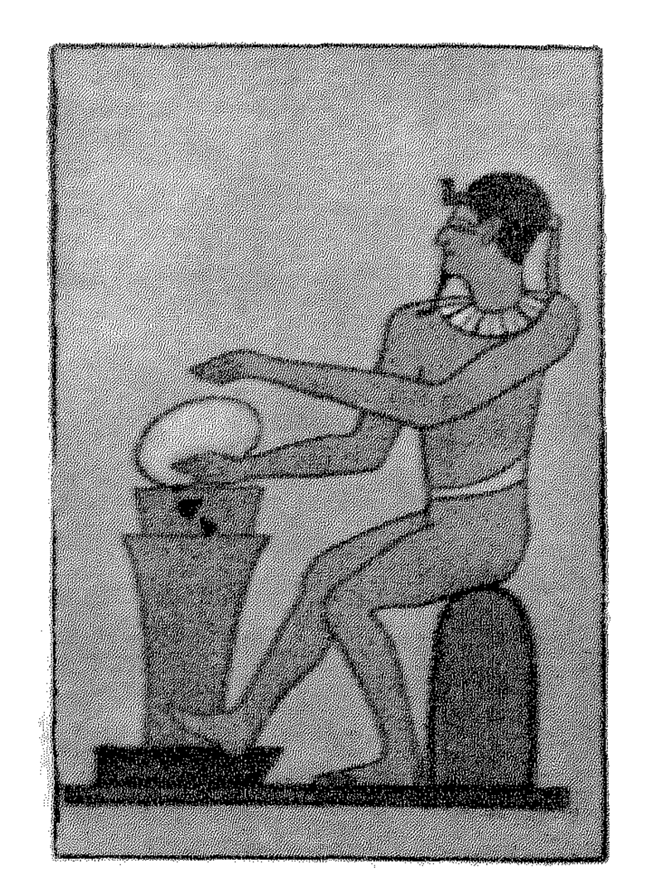
● إن محاولة البحث عن سر الوجود وكشف أسرار عالم الغيب أو ما وراء الحياة وعلاقة الجسد بالروح والروح بالخالق .. كانت الحلقة التى تدور حولها جميع الأديان وما نزل بخصوصها من كتب سماوية حددت العلاقات الإنسانية عن فلسفة الحساب ومفهوم البعث والجنة والنار وعلاقة المخلوق بالخالق .

وكل ماورد بشأن تلك الأديان وماحوته كتبها السماوية من تفاسير وتشاريع ومعتقدات وتصورات وجدت مفصلة فى « كتاب الموتى » الذى يعتبره كثير من المؤرخين وعلماء الأديان - أول كتاب سماوى عرفته البشرية - خاصة أن أقدم آثاره ترجع إلى ماقبل شروق فجر الحضارة نفسها ونادى بأول دعوة للتوحيد ضمت جميع عناصر الايمان من موت وحياة وبعث وقضاء وقدر ومحكمة الميزان فى عالم الخلود بما فيه من سماوات وجنات وجحيم .

يرجع تاريخ أول كتاب للموتى الذى يطلق عليه رسالة اوزوريس الى عام ٩٥٠٠ ق . م كما ورد فى وثائق الكاهن والمؤرخ المصرى القديم « مانيتون » ونسب نزوله الى عصر ملوك الشمس وقد تعرض كتاب الموتى أو رسالة التوحيد الى الاندثار أكثر من مرة فى مختلف العصور الفرعونية وحمل عوده نزول الرسالة أكثر من رسول من بينهم نعرمر ( الملك مينا مؤسس الأسرة الأولى ) الذى وحد القطرين بتوحيد العقيدة . ثم ايمحوتب توحيد عصر الأهرامات وحمل آخر رسالات التوحيد اخناتون الذى خرج بعده موسى بالتوراة من مصر وتكرر نزول الرسالة على عدة مراحل حتى ختمت بالقرآن الكريم آخر الرسالات .

لقد ردوا الكون إلى عناصر تكوينه الأساسية والقوى العظمى المتحكمة فيه ووصفوا نشأته بقولهم :

« كان في البدء محيطا أزليا من الماء اطلقوا عليه اسم « فون » لا حياة فيه ولا حركة ويغمره الظلام الابدى . فخرج من ذلك المحيط الأزلى اللانهائى اله خالق ـ اوجد نفسه بنفسه خلق ولم يخلق ـ اطلقوا عليه اسم « اتوم » أى الكامل المتباهي الذى لاتدركه الابصار .



الاله بتاح . إله الخلق والتكوين القديم يكون الأرض على شكل بيضة « خلق الحياة من الجمال »

كيان الوجود الإنسانى .. تاسوع عناصر الوجود التسعة (كتاب الموتى) .

كيان الوجود الانسانى

تاسوع عناصر الوجود التسعة (كتاب الموتى)

١ الجسم المادى خات

٢ الروح با

٣ القلب (الارادة) ايب

٤ القرين (النفس) كا

٥ العقل ([illegible]) خو

٦ الطاقة سخم

٧ الظل خايبت

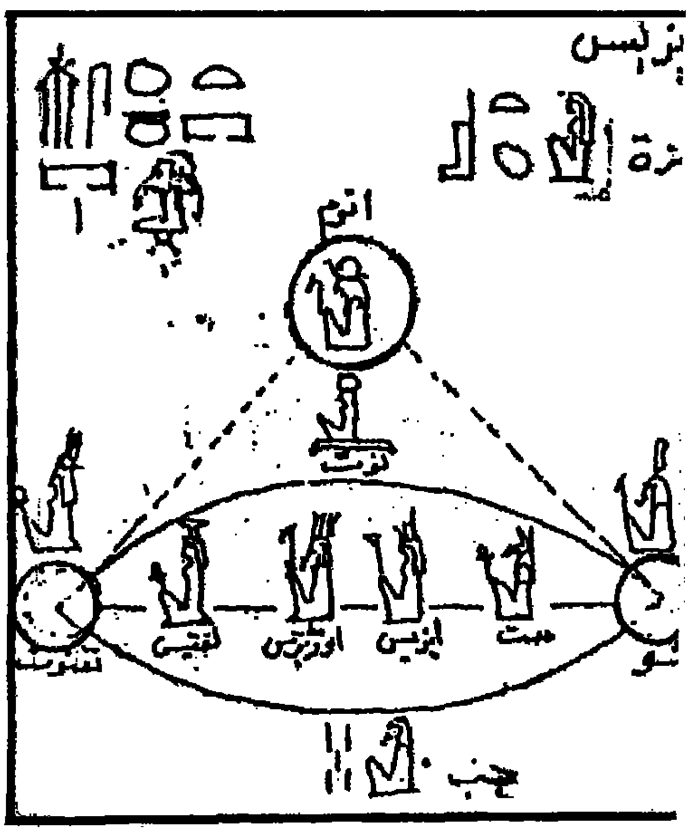
٨ الجسم الاثيرى سحح

٩ الاسم رن

اشرق بنوره فغمر الكون كله وبانفاسه سارت الحركة الدائمة » .

خلق الكون فى ستة ايام . فمن أنفاسه خلق ملائكة العرش الثمانية ( ارباب التكوين أو عناصر الكون الطبيعية ) ففى اليوم الأول أنجب شو ( رب الفضاء والهواء ) وتفنوت ( ربة الرطوبة والماء ) وبتزاوجهما انجبا فى اليوم الثانى نوت ( ربة السماء ) وجب ( رب الأرض ) وفى

- تاسوع عين شمس . إله الخلق الواحد والملائكة الثمانية التى تحمل العرش و « يحمل عرش ربك يومئذ ثمانية » سورة الحاقة .




ألايام الأربعة التالية انجبا بتزاوجهما اوزير ( رب الخصب ) وايزت ( ربة الخير والبركة ) ونفتيس ( ربة الاقوات ) وبتاح ( رب التشكيل والتكوين ) وفى بعض النصوص ورد اسم ست ( رب الشر والغرائز ) بدلا من بتاح .

وفى اليوم السابع استراح الاله الخالق على عرشه فوق المحيط الازلى وكافأ ملائكة العرش الثمانية بحمل عرشه الى ابد الآبدين .

« قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى اربعة أيام ثم استوى إلى السماء » ( فصلت ٩ ، ١٠ ، ١١ )

« والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ( الحاقة ١٧ )

« وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء » (هود ٧ )

إن نظرية خلق السماوات والأرض فى ستة ايام التى وصفتها رسالات التوحيد المصرية القديمة فى « كتاب الموتى » ، والتى ورد ذكرها وتفاصيلها فى أكثر من أية من آيات القرآن الكريم ، وجدت لها تصورا مماثلا فى جميع الرسالات السماوية التى خرج بها رسلها وأنبياؤها من مصر كالزبور والتوراة والانجيل ورسائل داود والمزامير .

فتصف التوراة خلق السماوات والأرض فى ستة ايام فى « الاصحاح الأول من سفر التكوين » بقولها :

« فى البدء خلق الله السماوات



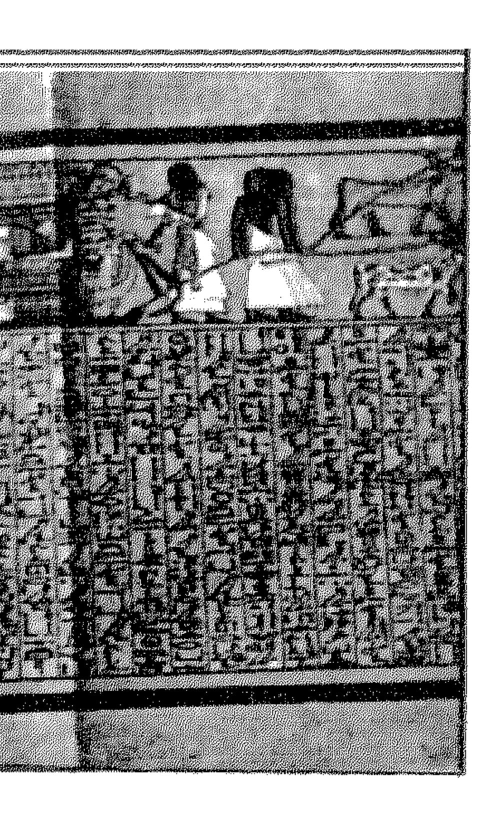


ـ طلبة المعبد وهم يتلقون الدرس الديني وينسخون كتاب الموتى .

والأرض فقال ليكن نور . ودعا الله النور نهارا والظلمة ليلا وفصل بينهما فكان صباح اليوم الأول . ودعا بفصل الماء واليابسة وارسى الأركان فكان صباح اليوم الثاني . وقال لتنبت الأرض عشبا ونباتا وشجرا فكان صباح اليوم الثالث . وقال لتكن أنوار تفصل الليل والنهار فكانت قبة السماء وكواكبها فكان صباح اليوم الرابع . وقال لتسبح الكائنات في البحر والطير في السماء والحيوانات في الأرض . والزواحف في بطنها فكان صباح اليوم الخامس . وقال نعمل الانسان على صورتنا ذكرا وانثى فكان صباح اليوم السادس . وفرغ الاله من عمله في اليوم السابع واستراح على عرشه وبارك اليوم السابع وقدسه . »

● لقد وصف أحد علماء الأديان نظرية الخلق ووحدانية الإله في كتاب « ضمير الحضارات ونشأة المعتقدات » بقوله ان عقيدة التوحيد المصرية التي دونت وسجلت في أكثر من كتاب مما أطلق عليه اسم « كتاب الموتى » والذى يرجع تاريخه الى عدة عهود وعصور تاريخية متباعدة والتي لاتختلف في مضمونها وتصورها والدعوة التي تحملها عن أول كتاب أو رسالة للتوحيد ( رسالة اوزوريس ) التي ظهرت مع فجر الانسانية وقبل الحضارة المصرية نفسها بآلاف السنين والتي ورد ذكرها في قوائم الكاهن الأكبر والمؤرخ المصرى القديم « مانيتون » بنزولها في عصر ملوك أبناء الشمس الذين حكموا قبل عهد الأسرات بأربعة آلاف سنة أى حوالي عام ٩٥٠٠ قبل الميلاد .

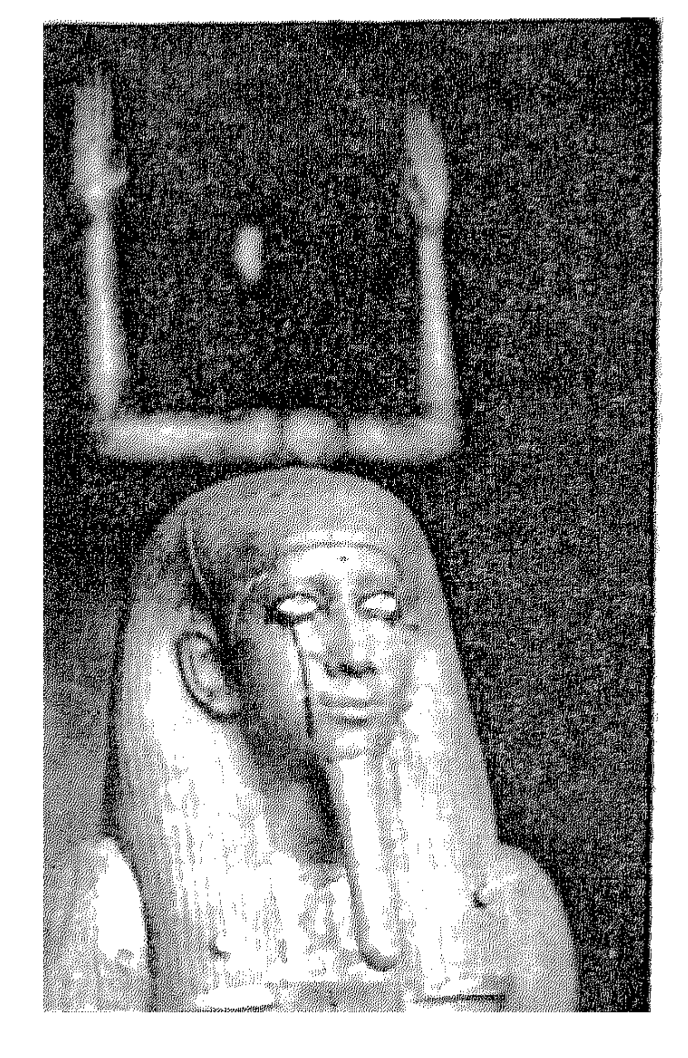
فرسالة الخلق في عقيدة التوحيد المصرية كما يصفها « ضمير الحضارات » كان فيها الرد المقنع والقاطع على طوائف الملحدين



والمشككين في الكتب السماوية بالإجابة على سؤالهم التقليدى ـ ، إذا كان الاله الواحد هو الذى خلق الكون والكائنات وحده .. فمن الذى خلق الإله نفسه ؟

إذا استعرضنا نصوص برديات الخلق التى وردت فى مقدمة كتب الموتى التى يعود تاريخها إلى مختلف العصور ابتداء من رسالة اوزوريس الى اخناتون نجد أنها تشترك جميعا فى التصور والمضمون كما تشترك الكتب جميعها فى أركان الايمان من حياة وموت وبعث وحساب ومحكمة الآخرة والجنة والنار وعالم الخلود كما

- صورة من النسخة الأصلية لكتاب الموتى
بألوانها الطبيعية المحفوظة بالمتحف
البريطانى وهى بردية واحدة طولها ٢٥ مترا .
وعرضها ٤٠ سم مدونة بالنقش المقدس ( الخط
الهيروغليفى ) وتظهر بها بداية رحلة العالم
الآخر .



- الكا .. القرين الروحى
( النفس ) رمز لها بذراعى
ويدى الشهادة إحداهما تعبر
عن الحواس الخمسة الظاهرة
والأخرى عن الباطنة

- الروح وصفها المصريون القدماء على شكل
طائر يخرج من عنق الجسد وصبغوا أجنحته
باللون الأخضر الذى يعبر عن البعث

تشابهت جميعها فى وصف الاله الخالق فوصفته احدى برديات معبد اون بقولها :

● اتوم ـ انت الآله الأوحد يارب الأرباب ـ يامن خلقت نفسك بنفسك . ومن أنفاسك خلقت الكون كله ، انت الأول فليس قبلك شيء . وانت الآخر فليس بعدك شيء . وانت الظاهر فليس فوقك شيء . وانت الباطن فليس دونك شيء .

وفى احدى برديات تحوت بهرموبوليس :

● إله واحد خلق نفسه بنفسه ومن أنفاسه خلق الكون والكائنات ، فى البداية كانت الكلمة والكلمة مصدرها الآله . فالآله خلق الكون بالكلمة ، قالها لكل شيء ، فكان كل شيء ، خلق الكائنات بنطق اسمائها .

وفى رسائل اخناتون برديات العمارنة :

● الله وحده لا شريك له ـ إله احد ليس بجانبه شأن لأحد ـ هو الأب وهو الأم وليس له ولد ـ سوى نفسه بنفسه ولم يكن بجواره أحد . نعمة لاتحصى تفوق حبات الرمال التى تكون الصحراء التى تمتد لتعانق الأفق على جانبى نهر الحياة . وتفوق قطرات الماء التى تكون البحار اللانهائية التى تعانق السماء .

وفى كتاب آنى :

● إله واحد خلق نفسه بنفسه ومن انفاسه خلق ملائكة العرش الثمانية ، خرج من المحيط الأزلى ليضيء بنوره الظلام الأبدى ـ خلق ولم يخلق عرشه فى السماء وظله فى الأرض .

وفى احدى برديات معبد إيزيس ( كتاب ختيا ) ٥٠٠ ق. م

● إله واحد . هو كل شيء كان . وكل شيء كائن . وكل شيء سيكون محالا على من يفنى أن يزيل النقاب عن سر من لايفنى انه الكل بغير ولادة أو نهاية بموت .

هو فوق كل المحسوسات ـ لم يلد ولم يولد ولم يحط بسر كيانه احد ، هو المحيط بكل شيء علما ـ عرشه فى السماء وظله فى الأرض يشمل نوره كل شيء فى السماء وكل كائن فى الأرض .

منه كل شيء وله كل شيء .

وهناك العديد من برديات الدعاء من مختلف العصور التى تملأ المقابر والتى تحمل نفس النصوص التى وردت فى كتب التوحيد كما نقش بعضها على جدران المقابر وأغطية التوابيت وزينت بعضها بالرسوم والصور التى تعبر عن البعث وخروج الأرواح من المقابر وانتقالها الى محكمة الآخرة وعالم الخلود .

فكتب التوحيد التى أطلق عليها خطأ اسم كتب الموتى لوجود بعض نصوصها أو اجزاء منها فى المقابر والتى نزلت على عدة مراحل طوال فسحة من الزمن تمتد لأكثر من عشرة آلاف سنة بدءا من رسالة أوزوريس التى نزلت فى عصر ملوك الشمس الى رسالة اخناتون الذى نادى بالتوحيد والتى سبقت التوراة ببضع مئات من السنين . وتضم رسالات التوحيد المصرية القديمة جميع أركان الايمان بالخالق التى وردت فيما بعد فى مختلف الكتب السماوية بدءا بالايمان والمناداة بوحدانية الاله الخالق الى الايمان بالحياة والموت والبعث والحساب والجنة والنار وعالم الخلود كما تضمنت الرسالات

التشاريع التى نادت بها الكتب السماوية لتنظيم حياة المجتمع .

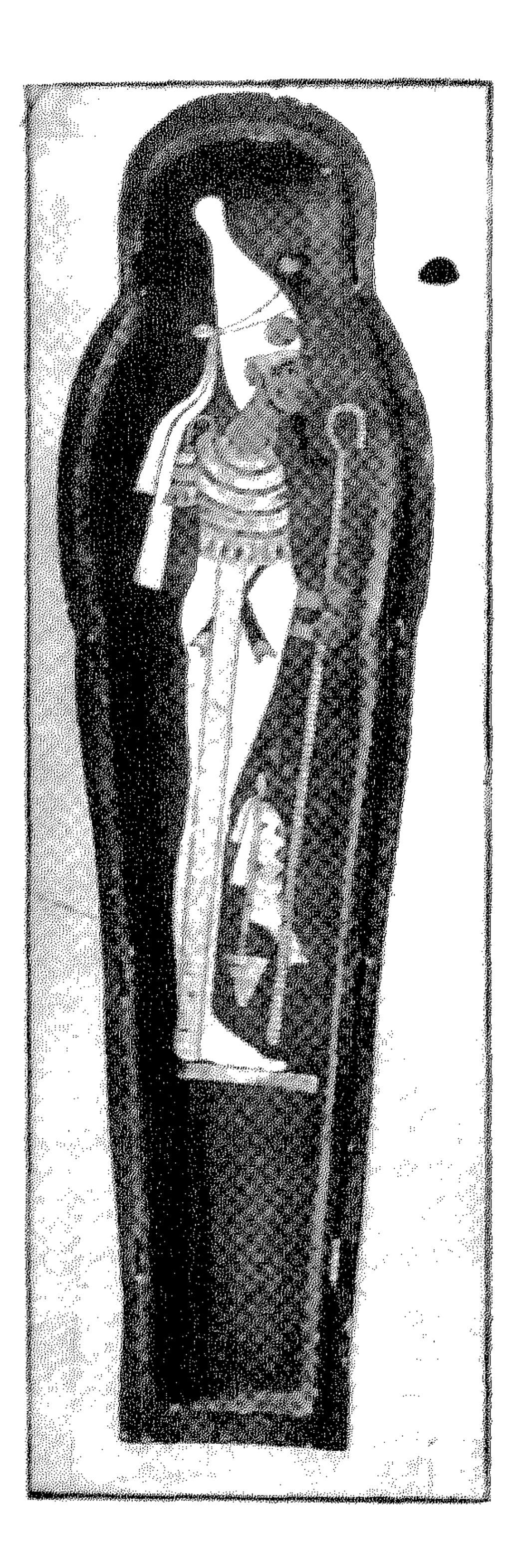
فمما لاشك فيه أن تلك الرسالات إذا قورن مستواها الأدبى والعلمي والفنى وقت نزولها مع فجر الانسانية وجاهلية البشرية . وما حملته من تخطيط وتشاريع لحياة المجتمعات . وتكرار نزولها كلما تعرضت للانحراف والانحلال ودورها الفعال فى بناء الانسان المصرى ، وبناء حضارته الخالدة ، وهو ما وصفت به مصر بأنها مهد الحضارات ومهبط الأديان وهو مايؤكد أن تلك الرسالات ومضمونها السامي ليست من وضع البشر وان من قاموا بحملها يمكن وصفهم بالرسل وهو ما يتفق مع قوله تعالى فى القرآن الكريم :

● « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » ( النساء ١٦٤ ، ١٦٥ )

● « ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك . وما كان لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق » ( المؤمن )

## ● خلق الأرض ونشأة الحياة

يصف كتاب الموتى خلق الأرض بعد السماوات بقوله إلا الاله الخالق أمر المعبود بتاح رسول التكوين وأحد ملائكة العرش الثمانية بتكوين الأرض من التراب بعد تحويله الى صلصال يخلط بماء الحياة حتى يسهل تشكيلها وأمره ان تكون على شكل البيضة ثم نفخ فيها من روحه فدبت



- صورة أوزير قاضي محكمة الاخوة مرسومة بداخل غطاء التابوت كتعبير عن الشهادة والايمان بالبعث واليوم الاخر .



- اجنحة الملائكة «خلق الله الملائكة اجنحة ينتقلون في ملكوت السماء وجعلهم درجات وطبقات منهم من يحمل جناحين ومنهم من يحمل ثلاثة واربعة واكثر. وملك الملائكة يطير بعدد لايحصى من الاجنحة «الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير» سورة فاطر.

- يحرس ابواب الجنة تسعة عشر ملكا - ويحرس ابواب الجحيم تسعة عشر حارسا

فيها الحياة وصورت برديات معبد منف المعبود بتاح وهو جالس على رحى التكوين وهو يشكل الأرض على شكل البيضة ، لذا فقد اتخذ المصريون القدماء البيضة رمزا للحياة واحتفلوا بها فى عيد الربيع عيد بعث الحياة فى الأرض .

ومما هو جدير بالذكر ان بيضاوية الأرض وصفها كتاب الموتى وانفرد القرآن الكريم بين الكتب السماوية الأخرى بتحديد شكلها البيضاوى كما اثبتت الدراسات الفلكية بعد ان قامت المراصد العالمية بتصويرها عبر الأقمار الصناعية وحسابات ابعادها بالكمبيوتر ان الأرض بيضاوية الشكل وليست كروية حيث تزيد المسافة بين قطبها الشمالى ومركز الأرض ببضعة مئات من الأميال على المسافة بين المركز وقطبها الجنوبى .

● خلق البشر من الطين والصلصال

وتصف برديات الخلق خلق البشر بأن الاله أمر المعبود بتاح ملاك التكوين بأن يخلق الانسان من طين الأرض « طا » التى خرج منها على أن يجمعه من زوايا الأرض وأركانها الأربعة - من طينها الأسود والأحمر والأصفر والأبيض ويعجنه بمياه الحياة الأربعة . ماء السماء ( الامطار ) والمياه التى تجرى على سطحها ( الأنهار ) والمياه التى تخرج من باطنها ( العيون والآبار ) ومياه المحيط الأزلى ( البحار المالحة ) حتى يتحول الطين الى صلصال ( نسى ) يسهل تشكيله .

فمن الطين اتخذ البشر أشكالهم وألوانهم ومن الماء طباعهم وصفاتهم وأخلاقهم . فمنهم الأبيض والأسود والأحمر والاصفر ومنهم الجميل والقبيح والطيب والخبيث فاختلفت ألوانهم الظاهرة وتباينت طباعهم الباطنة .

وصفت اساطير الخلق الصلصال الذى يشكل منه البشر - وكلمة صلصال فى اللغة المصرية القديمة كناية عن الرنين أو الصلصلة فى اللغة العربية - وهو الصوت الذى يسمع إذا ماطرق الصلصال أو نفخ فيه . **وينطق الجماد عندما ينفخ فيه الاله الروح .**

**● « الذى احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله فى سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه » ( السجدة )**

**● « واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين »**

**( الحجر )**

● خلق الانسان وكيان الوجود الانسانى

وقد أطلقت برديات العقيدة على اسطورة خلق الانسان اسم تاسوع كيان الوجود الانسانى - تشبها بتاسوع الخلق أى الاله الخالق وملائكة العرش الثمانية .

فكيان الوجود الانسانى تعلو قمته الروح « با » صورة الاله ويتكون هيكله من عناصر التكوين الثمانية وهى :

**الجسم المادى ( خت ) والجسم الاثيرى ( سعح ) النفس أو القرين ( كا ) والقلب او الارادة ( ايب ) الطاقة والحيوية ( سخم ) الظل أو الواسطة ( خابت ) العقل أو الهاله ( خو ) الاسم ( رن ) .**

**الروح والنفس فهو طيب أو خبيث .**
**فالروح تصعد ـ والنفس تحاسب ـ والجسد يفنى .**

وعبروا عن علاقة تلك العناصر ببعضها ودورها فى حياة الانسان وكيان وجوده بصورة الهرم المدرج المكون من ثلاث طبقات الطبقة العليا المتعلقة بالسماء ( نوت ) تمثل الروح « با » ويمثلها القلب والطاقة والعقل والضمير . والطبقة الوسطى النفس « كا » وتمثلها الحواس الخمس الظاهرة ( السمع والبصر والشم واللمس والتذوق ) والحواس الباطنة ( الغرائز والانفعالات والارادة ) والطبقة السفلى المرتبطة بالأرض الجسد ( جت )
أما العناصر الأخرى التى تربط الطبقات الثلاث ببعضها فهى الـ « خا » التى تربط الروح بالسماء وتقودها بعد مفارقة الجسد فى رحلة الصعود والظل ( خابت ) واسطة الاتصال والحركة المتبادلة بين الروح والنفس بينما الطاقة أو القوى الحيوية ( سخم ) هى الخيوط التى تربط النفس بالجسد فالروح ( با ) هى التى تحمل رسالة القدر المكتوب للانسان ولذا فهى مسيرة والنفس ( كا) هى التى تسيطر على الحواس الظاهرة والباطنة وتركت لها حرية الخيار فيما تعمل وتختار بين الخير والشر والحق والباطل وبين ماتخطه تشاريع القدر وماتمليه تصاريف النفس ولذا فالنفس مخيرة .
والجسد ( جت ) هو الجهاز المادى أو اداة التنفيذ وتبعا لمحصلة الصراع بين

## ● وصف الروح والنفس

ولما كانت حروف الكتابة فى اللغة الهيروغليفية وتركيب كلماتها تعبر نقوشها ورسومها عن منطوق المعنى الذى تؤديه فقد رمز للنفس « كا » بذراعين مرفوعتين الى السماء ، اطلق عليهما ذراعى الشهادة ـ كانت ترسم مفصلة فى برديات الدعاء . أو توضع فوق رءوس التماثيل تعبيرا عن الشهادة كما تعبر أصابع كف الذراع الأيمن عن الحواس الخمس الظاهرة وأصابع الكف الأيسر عن الحواس الباطنة كما تعمل اليدان فى نفس الوقت على درء الشر وصد الحسد كما ان رفع الذراعين واليدين الى السماء فى الدعاء يعنى الدعاء بجميع حواس الانسان الظاهر منها والباطن .

## ● النفس والروح بين القضاء والقدر

ما من مشكلة أخذت جدلا من خلال العصور كلها منذ نزول الرسالات والكتب السماوية مثل مشكلة القضاء والقدر .
فالقضاء والقدر من صلب الأديان والعقائد جميعها فهى تعبر عن مشيئة الاله وقدرته ويحاول الكثير من المفسرين أن ينسبوا إلى القدر أخطاء البشر بقولهم ان الانسان مسير ولكل أجل كتاب لايحيد عنه . واذا كان الانسان مسيرا بالقدر أى

لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا . فلماذا الحساب ؟ فالقدر في مفهوم رسالة التوحيد هو النظام المحكم الذى وضعه الاله الأعظم الخالق للوجود ، والقوانين العامة التى ربط بها الاله قدر الأشياء وحدد التشاريع التي ربط الاله الأسباب بمسبباتها فحلل الأشياء بأسبابها وحرم الأشياء بمسبباتها عندما وضع امام النفس حرية الخيار فيما تفعل أو لاتفعل وترك محاسبتها للقضاء .

**وتنص عقيدة التوحيد ان الاله ميز الانسان عن بقية المخلوقات بالعقل والضمير ويعبر عنهما بالنفس قرين الروح** . فالمخلوقات مسيرة بالقدر المكتوب الذى تحمله الروح اما الانسان فيوهب الحياة بالروح والقرين اى النفس معا ـ فاعطت النفس للانسان حرية العمل والاختيار بين العمل بوحى القدر الذى تحمل الروح الواحة أو بأمر النفس التى تسيرها الغرائز والحواس .

**« ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد وخاب من دساها »**. **( الشمس )**

فالروح تصعد ـ والنفس تحاسب ـ والجسد يفنى فتلك العلاقة الهرمية أو هرم الوجود الانسانى هى التى تحدد علاقة كل من القضاء والقدر بالمصير ودور كل من الروح والنفس فى محكمة الآخرة أو محكمة الميزان كما تصفها كتب الموتى .

تصف بعض النصوص حساب النفس بقولها « يضع الاله ميزان النفس فى ( قلب ) المؤمن فى حياته ـ ليزن اعماله ويحاسب نفسه حتى لاتلهيه النفس بمغريات الأرض عما هو مسطور فى كتاب القدر أو تعاليم السماء . حتى يخفف من أحماله التى ستصحبه الى ميزان الآخرة ويطهر نفسه بدفع ثمن خطاياه فى حياته .

يصف القضاء ـ أى حساب النفس ـ أكثر من بردية من برديات العقيدة بأن الحساب لن يكون بأكمله فى محكمة الآخرة بعد البعث . بل انه فى كثير من الأحوال يساير الحياة الأولى نفسها ( حياة التجربة ) لتطهير النفس المؤمنة والتكفير عن ذنوبها التى يغفرها الاله .

يكون حسابها بالاصابة بالحوادث والأمراض أو غير ذلك مما يؤثر على النفس والجسد ولكن هذه المحاكمة الأرضية لاتطهر النفس تماما ولن تعفى صاحبها من الوقوف امام الميزان .

● **« يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا »**

**( آل عمران ٣٠ )**

● **« ونضع الموازين القسط يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا »**

**( الأنبياء )**

وقد صورت برديات كتب الموتى القضاء والقدر فى أكثر من وضع وشكل تعبيرى من بينها « بردية شجرة الحياة » التى تصور المعبود تحوت أو هرمس يمد الحياة بيدين تحمل احداهما لوحة كتاب السماء ( القدر ) وتحمل الأخرى الميزان رمز الحساب أو ( القضاء ) .

أو برديات الايدى التى تحمل قرابين قدس الاقداس التى يتقدم فيها الانسان حاملا قدره فى يد وقضاءه فى اليد الأخرى .

# تأملات
# فى مظاهر تراجعنا الحضارى

بقلم: د . محمد عمارة

**كثيرة هى الظواهر التى يستطيع الباحث فى « التخلف والتراجع » الذى أصاب حضارتنا العربية الإسلامية أن يرصدها ، عندما يقارن حال هذه الحضارة وسماتها وقسماتها إبان ازدهارها وتألقها بحالها عندما دخلت طور التوقف عن الإبداع والخلق وأصيبت بالتخلف والتراجع والجمود ..**

**والبحث فى هذا الميدان ليس مجرد « تاريخ حضارى » بل هو من صميم « هموم النهضة » المرجوة لهذه الأمة ، كى تخرجها من المأزق الذى تردت فيه .. فرصد عوامل الصحة والمرض الحضارية ، هو السبيل إلى تمييز « الفجر الصادق » من « الفجر الكاذب » من بين المشاريع المختلفة والمتعارضة والمتناقضة التى يبشر بها فرقاء كثيرون ، سبلا لإنهاض الأمة وانعتاقها من قيود الضعف والتخلف والجمود ! ..**

وإذا كان انحراف الامة عن « النهج العقلانى » الذى تميزت به حضارتها العربية الاسلامية .. وهو النهج الذى بلغ من أصالته وتألقه الحد الذى جاء فيه « نقلها » ـ وهو القرآن الكريم ـ « معجزة ـ عقلية » ، لم يأت « ليدهش العقل » ، ويشل قدراته ، ويذهب فعالياته ـ كما كان حال المعجزات السابقة للرسل السابقين على نبينا ، عليه الصلاة والسلام ـ وإنما جاء هذا « النقل » ـ مع كونه « المعجزة » و « المعجز » ـ يحتكم الى « العقل » ، الذى جعله « مناط التكليف » ، وأداة « الراسخين » فى العلم إلى « فقه » ماوراء ظواهر النصوص ، ورد

الأيات « المتشابهات » إلى « المحكمات » التى هى « أم الكتاب » ! ..

إذا كان انحراف الأمة وحضارتها عن هذا النهج العقلانى ، وسقوطها الذى وقف بها عند « النصوصية » التى تنكرت لأدوات العقل والعقلانية ، هو واحد من أبرز سمات التراجع الحضارى .. فإن هناك عديدا من السمات التى لا بد من رصدها ، كى يبرأ منها المشروع الحضارى ، الذى لابد من صياغته دليلا للتقدم الحضارى المأمول .... فمثلا :

### ● فيما يتعلق بالانحراف عن شريعة الأمة

فلقد تزامن الضمور الذى اصاب طاقات الابداع وملكات الاجتهاد ، عندما سادت فكرية « التيار النصوصى » ـ الذى ثنى بمحاربة « الأشعرية » ، بعد أن اضطهد « المعتزلة » ـ تزامن ذلك مع انحراف دولة العسكر المماليك عن شريعة الأمة ، وفقه معاملاتها ـ وهو قانونها الطبيعى ـ .. فبعد أن كانت « الشريعة» حاكمة ومهيمنة ولها المشروعية فى كل الميادين ، ابتدع المماليك الازدواجية القانونية والقضائية .. فأبقوا على الشريعة قانونا فى أمور الأسرة « والأحوال الشخصية » ، ومرجعا للقضاء بين العامة والجمهور ... أما فيما يتعلق بأمور « الدولة » أى « الدواوين السلطانية » ، و« المعسكر » أى الطبقة الحاكمة ، فإنهم قد استعاروا واستوردوا لقضائها وتنظيم شئونها والفصل فى منازعاتها القانون الذى كان سائدا فى المواطن الأصلية التى جلبوا منها ، والذى وضعه الخان الوثنى جنكزخان [ ٥٦٢ ـ ٦٢٤هـ ـ ١١٦٧ ـ ١٢٢٧ م ] فاقتحم القانون الأجنبى ، الغريب عن طبيعة الأمة على الشريعة حصنها وحماها ، تعبيرا عن غربة هذه السلطة عن حضارة الأمة ، وشاهدا على التحولات التى مثلت التراجع والتخلف لازدهارها الحضارى ..

ومؤرخ العصر المقريزى [ ٧٦٦ - ٨٤٥هـ ـ ١٣٦٥ ـ ١٤٤١م ] يضع يدنا على ملابسات هذا التحول ، فيقول : « إن جنكزخان قرر قواعد وعقوبات اثبتها فى كتاب سماه « ياسة » .. جعله شريعة لقومه ، فالتزموه كالتزام أول المسلمين حكم القرآن » فلما حكم الترك المماليك البلاد « جمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد الى الردىء ، وفوضوا لقاضى القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية ، من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا إليه النظر فى الأقضية الشرعية .... واحتاجوا فى ذات أنفسهم الى الرجوع لعادة جنكزخان ، والاقتداء بحكم الياسة ، فلذلك نصبوا الحاجب ليقضى بينهم .. على مقتضى الياسة ، وجعلوا اليه ، مع ذلك ، النظر فى قضايا الدواوين السلطانية .. »( ١ ) ! ..

صحيح أن هؤلاء الترك المماليك قد أسلموا .. وبعبارة المقريزى : فهم « قد ربوا بدار الاسلام ، ولقنوا القرآن ، وعرفوا أحكام الملة المحمدية » .. لكنهم قد وقفوا بالتدين عند « شكل » الاسلام ، لأنهم قد أصابوه فى اللب عندما طعنوه فى عقلانيته ، فضمرت طاقة الاجتهاد فى أمته .. ثم ثنوا بانتزاع جهاز الحكم وطبقات الحكام

ولاية الشريعة الاسلامية وسلطانها ، فاستثنوا - جزئيا - السنة السيئة التى مارسها الاستعمار الغربى الحديث فى ميدان التشريع والقضاء ؟! ..

ومنذ ذلك التاريخ بدأت الهوة تتسع بين « القانون الاسلامى » - فقه المعاملات - وبين واقع المسلمين ... فضمور طاقات الاجتهاد قد تطور منحدرا الى ما عرف بـ « إغلاق باب الاجتهاد » .. وعزل القانون الاسلامى عن الهيمنة على جهاز الدولة وحكامها وجيشها قد أعجزه عن مجاراة الواقع - المتطور دائما - فجمدت الأحكام ، وتطور الواقع بعيدا عن سلطان هذه الأحكام .. وقنع فقهاء السلاطين بالتبرير لما حدث ويحدث .. وقنع فقهاء العامة بالتفصيل فى فقه العبادات . وذلك هو السر وراء الغنى الزائد عن الحد فى « فقه العبادات » ، والفقر المخل فى « فقه المعاملات » .. فالأول قد استمر حيا متطورا ، لدواعى الممارسة والاستعمال .. أما الثانى فلقد جمد وتحجر ، عندما عزل عن ميدان الواقع ، فذبلت مباحثه ، وأصابه جفاف شديد .. وغدونا ، عندما تلمسنا طريقنا الى اليقظة والنهضة ، ندرك أكثر فأكثر فداحة الخطب والجرم الذى صنعه بشريعتنا - وهى القانون الطبيعى للأمة - هؤلاء الترك المماليك ! .

وفيما يتعلق بالظلم الاقتصادى والاجتماعى للرعية :

لقد أحرز المماليك أعظم الانتصارات على الجبهة العسكرية ، وكانوا فرسان الشرق المهرة فى ميادين القتال لعدة قرون .. ولولاهم لتغير وجه العالم والتاريخ .. فهم فى عين جالوت [ ٦٥٨ هـ ١٢٦٠م ] الذين أنقذوا الشرق وحضارته من المصير الدامى والمرعب الذى لقيته بغداد على يد جحافل الهمج التتار [ ٦٥٦ هـ ١٢٥٨م ] وبسالتهم فى التصدى للغزوة الصليبية هى التى أنقذت بلادنا من مصير المستعمرات الاستيطانية اللاتينية الذى خططت له الكنيسة الكاثوليكية الأوربية ، ومولت تنفيذه المدن التجارية الأوربية ، وانخرطت فى الجيوش لتحقيقه الجماهير الأوربية الغوغائية المتعصبة تحت قيادة فرسان الاقطاع الصليبيين ..

تلك صفحة ناصعة - على الجبهة الحربية - فى تاريخنا الاسلامى - لفرسان المماليك ..

وبقدر ما كان هذا العمل عظيما ، كان الثمن الذى دفعته الأمة فى سبيله غاليا ، وفادحا ؟ ! ..

لقد كان الصليبيون إذا دخلوا بلدا من بلاد الاسلام ، وحولوا أرضه الى « إقطاع » لجنودهم وقادة هؤلاء الجنود .. كان ذلك « شريعة » من شرائع الفتح والاستعمار الاستيطانى الذى أقاموه فى بلادنا ... أما دول العسكر - من الغز والمماليك - فإنهم صنعوا شيئا قريبا من صنيع الصليبيين - فى هذا الميدان - فالبلاد التى دافعوا عنها وحموا حماها من الغزو الصليبى ، أو حرروها من احتلاله ، قد أقطعوا أرضها لجنودهم وقادة هؤلاء

الأجناد !! .. صحيح أنهم لم يجلوا الفلاحين عن أرضهم ، ولم يقتلوهم ـ كما كان يصنع الصليبيون ـ وإنما أنقذوا حياتهم .. ولكنهم حولوا هؤلاء الفلاحين الى « أقنان » فى نظام « الاقطاع الحربى » الذى طرأ على نظم استغلال الأرض الزراعية منذ ذلك التاريخ ..

يحدثنا المؤرخ أبو شامة [ ٥٩٩ ـ ٦٦٥ هـ ـ ١٢٠٢ ـ ١٢٦٧م ] فى أخبار [ ٥٦٤ هـ ١١٦٨م ] عن خطط وتخطيط الصليبيين لتوزيع أرض مصر إقطاعا على جنودهم إذا هم انتصروا عليها فى الحملة التى تحركوا فيها لهذا الغرض فى ذلك العام .. ويقول : إن ملكهم أحضر « وزيره ، وأمره باقطاع بلاد مصر لخيالته ـ [ فرسانه ] ـ وفرق قراها على أجناده .. وكان ، لعنه الله ، لما دخل ديار مصر ، قد أقام من أصحابه من كتب له أسماء قراها وتعرف له خبر ارتفاعها ـ [دخلها ] ـ .. » !( ٢ ) .

لكن الصليبيين قد هزموا أمام جيش الغُز والترك الذى قاده أسد الدين شيركوه [٥٦٤ هـ ١١٦٩م ] الذى أقطع بلاد مصر لجنوده .. كما يقول المؤرخ أبو شامة ، أيضا ؟ ! .. ( ٣ ) .

وصارت سنة من سنن دول العسكر ـ الغز والمماليك ـ تغير بها نظام استغلال الأرض الزراعية ، وتحول بها الفلاح الى « قن » ـ ليس عبدا حتى يباع ويسترق ـ وليس حرا ـ وإنما هو مربوط بالأرض ، التى أقطعت للجند كبعض من أدوات زراعتها ! ـ .. وعن هذه السنة السيئة ، التى مثلت المصدر الأول للبؤس الاجتماعى والظلم الاقتصادى ، ونكبت الشعب بالأوبئة والمجاعات ، يحدثنا المقريزى ـ مؤرخ العصر ـ فيقول : « ... واعلم انه لم يكن فى الدولة الفاطمية ، ولا فيما مضى قبلها من دول ، لعساكر البلاد إقطاعات ، بمعنى ما عليه الحال اليوم فى أجناد الدولة التركية ، وإنما كانت البلاد تضمن بقبالات معروقة لمن شاء ـ [ نظام الالتزام ] ـ ولم يعرف ما يسمى اليوم بالفلاحة ، والذى يسمى فيه المزارع المقيم بالبلد فلاحا قرارا [ أى **مربوطا بالأرض مقيدا اليها ] ـ فيصير عبدا قنا لمن اقطع تلك الناحية ، إلا أنه لا يباع ولا يعتق ، بل هو قن ما بقى ، ومن ولد له كذلك ؟! .. حدث ذلك عندما تغير الرسم ، وفرقت الأرض إقطاعات على الجند** .. » ( ٤ )

لقد أنقذ المماليك الأرض ، وحولوها الى إقطاع حربى لأجنادهم وأمرائهم ... واستمر هذا الاقطاع الحربى سنة متبعة فى استغلال الأرض الزراعية ـ وهى الثروة الأولى فى ذلك العصر ـ حتى رأينا « الروك الناصرى » [ أى مسح الأرض ـ فك الزمام ] الذى تم فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون [ ٦٨٤ ـ ٧٤١ هـ ١٢٨٥ ـ ١٣٤١م ].

فى [ ٧١٦ هـ ١٣١٦ م ] يقسم الأرض الى أربعة وعشرين قيراطا .. للسلطان ـ وهو مملوك ـ أربعة .. وللأجناد ـ وهم مماليك ـ عشرة .. وللدولة ـ وهى مملوكية ـ عشرة .. ولا شيء للفلاح ؟ ! .. ( ٥ )

وكما أنقذوا الأرض من التتار والصليبيين ، فلقد أنقذوا ما على هذه الأرض من فكر وحضارة ظلت تقام وتبث أشعة التقدم والاستنارة بكل الاتجاهات ... لكن الثمن كان غاليا ، والمهر كان فادحا ؟ ! فلقد أصيبت قسمة « العدل » ،

التى ميزت إسلامنا وحضارتنا ، بهذا الاقطاع الحربى فى الصميم ! ..

وفيما يتعلق بالمرونة الحضارية

كانت « عجمة الدولة والسلطة الحاكمة » فى دول العسكر المماليك ، وكذلك فى الدولة العثمانية ثغرة وحاجزا صنع المغايرة بين الحكام وجمهور الأمة فى اللغة ، التى هى فى حال لغتنا العربية اكثر من سبيل للتخاطب بين الناس .. فهى لغة القرآن والشريعة والسنة ، وقسمة من القسمات الثوابت فى حضارتنا العربية الاسلامية ..

ولقد أصابت العربية من تأثيرات التراجع الحضارى فى ظل دول العسكر المماليك امراض كثيرة .. فهى أداة الابداع ، تنمو بنموه ، ويصيبها الذبول عندما يلحقه الضمور .. فبعد الرقة والدقة والجزالة والاحاطة التى جعلت من العربية لغة الحضارة ، فى مختلف ميادينها وعلومها وفنونها ، النظرية والعملية .. أصابتها .. « الركاكة » ، وغرقت فى « الشكل » السطحى ـ سجعا ولعبا بالألفاظ ومحسنات لفظية ـ لأن هذا الشكل السطحى كان الوعاء المناسب للمضمون المتدنى لكثير من اهتمامات أدبائها فى ذلك الحين .. صحيح أن المماليك لم يحاربوا العربية ، ولم يتخذوا لهم لغة سواها .. لكن العجمة الغالبة عليهم ، والتردى الذى أصاب الحياة الفكرية والابداع العقلى أصاب الوعاء والاداة ـ العربية ـ كما أصاب المضامين والأغراض .. وفى أشعار ذلك العصر شواهد كثيرة على هذا الذى نقول ..

ولقد كانت محنة العربية فى ظل الدولة العثمانية أشد منها فى ظل دولة المماليك .. فلقد أضافوا الى أمراض الركاكة التى أصابتها حربا أعلنوها عليها ، عندما احتفظوا بمغايرتهم اللغوية للأمة العربية ، فاحتفظوا بلغتهم التركية ، رغم فقرها الشديد ، ورغم أنها مجرد خليط مستعار أغلبه من العربية والفارسية ـ فأصبحت التركية ـ لا العربية ـ لغة الدولة ودواوينها ، تجتذب الخاصة والعامة من راغبى الالتحاق بوظائف الدولة والاقتراب من السلطة ، وأصحاب الحاجات لدى دواوين الدولة وسلطاتها .. ولذلك ، فهى لم تنافس العربية فقط ، حتى فى الولايات العربية التى حكمها العثمانيون ، وإنما تعدى الأمر وتصاعد ـ فى ظل ما عرف بمحاولة الأتراك « تتريك العرب » ! . تعدى الأمر وتصاعد الى حد إزاحة التركية للعربية من مدارس المشرق العربى ، حتى غدا تعلم أبناء العرب للغتهم العربية فى المدارس مطلبا تناضل فى سبيله الأحزاب والجمعيات ، وقضية تناقش فى المؤتمرات ؟ !( ٦ )

صحيح أن من العثمانيين علماء تعربوا وبرعوا فى العربية .. وسلاطين ـ كمحمد الفاتح [ ٨٣٣ ـ ٨٨٦ هـ ١٤٣٠ ـ ١٤٨١ م ] كان من رأيهم أن يتعرب الأتراك العثمانيون حتى يندمجوا فى « الأمة الأم » ـ الأمة العربية ـ فيتسلحوا بأدواتها الحضارية ، ويشرفوا بشرفها النابع من دورها الخاص فى حياة الاسلام .. لكن هذا التيار لم يكن الغالب ولا المؤثر

وهذا الرأى لم يقدر له الانتصار .. فظل الاتــراك العثمــانيــون على عجمتهم ومغايرتهم العرب لغويـا .. وقادتهم التطورات الى أن شنوا الحرب على العربية ، وتوهموا ـ بسفاهتهم ـ إمكانية تتـريك العـرب وتحـويلهم عن لغـة القرآن ؟ ! ...

لقد كانت مأساة تجسدت فى موقف الأتراك العثمانيين من العربية .. وعن هذه المأساة تحدث فأجاد جمال الـدين الأفغانى [١٢٥٤ ـ ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م ] عندما قال : « لقد أهمل الاتراك أمرا عظيما .. وهو اتخاد اللسان العربى لسانا للدولة . ولو أن الدولة العثمانية اتخذت اللسان العربى لسانا رسميا ، وسعت لتعريب الأتراك ، لكانت فى أمنع قوة .. أنها لو تعربت لانتفت بين الأمتين [ العربية والتركية ] ـ النعرة القومية ، **وزال داعى النفور والانقسام ، وصاروا أمة عربية . بكل ما فى اللسان من معنى ، وفى الدين الاسلامى من عدل ، وفى سيرة أفاضل العرب من اخلاق ، وفى مكارمهم من عادات ... كيف يعقل تتريك العرب ؟! .. وقد تبارت الأعاجم فى الاستعراب ، وتسابقت ؟ ! .. وكان اللسان العربى لغير المسلمين ، ولم يزل ، من أعز الجامعات وأكبر المفاخر .. فالأمة العربية هى « عرب » قبل كل دين ومذهب .. ( ٧ ) »**

لكن .. إذا كانت العربية قد أصابها ما أصابها من ركاكة وتوقف عن التطور وملاحقة الجديد فى الفكر ومصطلحات العلوم .. مثلها فى ذلك مثل الاعضاء التى تكف عن الحركة الحيوية فيصيبها الضعف والضمور .. فإن هذا الذى أصابها قد ظل فى نطاق الأعضاء ، وبعيدا عن القلب النابض بمصدر الحياة ! .. ذلك أن ارتباط العربية بالقرآن الكريم ، وارتباط العروبة بالاسلام ، قد جعل من هذه القسمة هوية ثابتة وخصيصة لهذه الأمة تستعصى على الزوال ... فحيثما كان القرآن يتلى كانت العربية تحيا .. وعلى امتداد وطن الأمة صمدت المؤسسات العريقة والمنارات الصامدة ـ من الأزهر .. إلى الزيتونة .. الى القرويين . الى الجامع الاموى .. الخ .. الخ ... احتضنت الشعلة ، وحافظت عليها ، فلم تستطع إطفاءها الرياح التى هبت فى ظل عسكرة الدولة وتأثيراتها السلبية على قسمات الحضارة العربية الاسلامية ..

تلك كانت أبرز أسباب تـراجعنا الحضارى .. وأهم مظاهر وظواهر هذا التراجع الذى أصاب حضارتنا العربية الاسلامية بالتوقف والجمود ..

★ ★ ★

ونحن إذا شئنا ، عند هذا الحد من هذا الحديث ، شهادة على صدق هذا الذى رأيناه ، فإن لدينا الكثير مما سطره أئمة اليقظة الاسلامية الحديثـة فى هذا الموضوع :

● فالأستاذ الامام الشيخ محمد عبده [ ١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م ] يقول عن التأثيرات السلبية لدول العسكر المماليك على عقلانية حضارتنا وعروبتها : « .. كان الاسلام دينا عربيا ، ثم لحقه العلم فصار علما عربيا ، بعد أن كان يونانيا ... حتى سيطر الترك والديلم وغيرهم .. ممن لم يكن لهم **ذلك العقل الذى راضه الاسلام ، والقلب الذى هذبه الدين ، بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم فلبسوا ثوبه على أبدانهم ، ولم ينفذ منه شىء الى وجدانهم ، فمالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلتهم ، أما**

العلم فلم يحفلوا بأهله ، وقبضوا عنه يد المعونة ، وحملوا كثيرا من اعوانهم على ان يندرجوا فى سلك العلماء ، وأن يتسربلوا بسرابيلهم ، ليعدوا من قبيلهم ، ثم يضعوا للعامة فى الدين مايبغض اليهم العلم ، ويبعد نفوسهم عن طلبه ، ودخلوا عليهم ـ وهم أغرار ـ من باب التقوى وحماية الدين ، زعموا الدين ناقصا ليكملوه أو مريضا ليعللوه او متداعيا ليدعموه ، أو يكاد ينقض ليقيموه .

نظروا الى ما كانوا عليه من فخفخة الوثنية ، وفى عادات من كان حولهم من الأمم النصرانية ، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو براء منه ، لكنهم نجحوا فى اقناع العامة بان فى ذلك تعظيم شعائره ، وتفخيم اوامره . والغوغاء عون الغاشم ، وهم يد الظالم ، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات ، وتلك الاجتماعات ، وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة واركس ( ٨ ) الناس فى الضلالة وقرروا أن المتاخر ليس له ان يقول بغير مايقول المتقدم ، وجعلوا ذلك عقيدة ، حتى تقف الفكر ، وتجمد العقول ، ثم بثوا اعوانهم فى اطراف الممالك الاسلامية ، ينشرون من القصص والأخبار والأراء ما يقنع العامة بان لانظر لهم فى الشئون العامة ، وان كل ما هو من امور الجماعة والدولة فهو ما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ، ومن دخل فى شىء من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لايعنيه ، وان مايظهر من فساد الأعمال واختلال الأحوال ، ليس من صنع الحكام ، وانما هو تحقيق لما ورد فى الأخبار من احوال اخر الزمان ، وانه لاحيلة فى إصلاح حال ولا مآل ، وان الاسلم تفويض ذلك الى الله ، وما على المسلم الا ان يقتصر على خاصة نفسه . ووجدوا فى ظواهر الالفاظ لبعض الأحاديث ما يعينهم على ذلك ، وفى الموضوعات والضعاف ( ٩ ) ما شد أزرهم فى بث هذه الأوهام .

وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضللين ، وتعاون ولاة الشر على مساعدتهم فى جميع الأطراف ، واتخذوا من عقيدة القدر مثبطا للعزائم وغلا للأيدى عن العمل . والعامل الأقوى فى حمل النفوس على قبول الخرافات انما هو السذاجة ، وضعف البصيرة فى الدين ، وموافقة الهوى ـ أمور اذا اجتمعت اهلكت ـ فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ، ورسخ فى نفوس الناس من العقائد ما يتضارب وأصول دينهم ويباينها على خط مستقيم .

هذه السياسة ـ سياسة الظلمة واهل الأثرة ـ هى التى روجت ما ادخل على الدين مما لايعرفه ، وسلبت من المسلم املاً كان يخترق به اطباق السماوات ، واخلدت به الى يأس يجاور به العجماوات ! .

فجل ماتراه الان مما تسميه العامة اسلاما فهو ليس باسلام ، وانما حفظ من اعمال الاسلام صورة الصلاة والصوم والحج ، ومن الأقوال قليلا منها حرفت عن معانيها ، ووصل

الناس ـ بما عرض لدينهم من البدع والخرافات ـ الى الجمود الذى ذكرته ، وعدوه دينا ، نعوذ بالله منهم ومما يفترون على الله وعلى دينه ........ هنـاك استعجم الاسـلام وانقلـب عجميا ( ١٠ ) ؟! ..

هكذا صور الامام محمد عبـده الانقلاب الحضارى الذى صنعه الترك المماليك ، وهو الانقلاب الذى جعل الاسلام « عجميا » ؟! ..

● والامام الشهيد الشيخ حسن البنا [ ١٣٢٤ ـ ١٣٦٨هـ ـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩م ] هو الآخر يدلى بشهادته فى هذه القضية ، فيقول : « ان هذا الاسلام الحنيف نشأ عربيا ، ووصل الى الأمم عن طريق العرب ، وجاء كتابه الكريم بلسان عربى مبين ، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين ! . وقد جاء فى الأثر : « اذا ذل العرب ذل الاسلام » ! .. وقد تحقق هذا المعنى حين ذال سلطان العرب السياسى وانتقل الأمر من ايديهم الى ايدى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم ... ........ فالعرب هم عصبة الاسلام وحراسه .... ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لاحياء الوحدة العـربية وتـاييـدهـا ومنـاصـرتهـا ( ١١ ) .. !

تلكم « شهادتان » .. ان كان الأمر لايزال بحاجة الى اثبات ، بعد هذا المعنى الذى قدمناه عن مظاهر التراجع والتخلف الـذى اصاب حضـارتنـا العربية الاسلامية .. وهو حديث نرجو ان يكون التذكيـر به ممـا ينفع المؤمنين ؟!

## مراجع :

(١) [ الخطط ] جـ ٣ ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ . طبعة القاهرة . دار التحرير .

(٢) [ كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية ] جـ ١ ص ٤٣٠ . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م .
(٣) المصدر السابق . جـ ١ ص ٤٠٢ .
(٤) [ الخطط ] جـ ١ ص ١٥٧ ، ١٥٣ .
(٥) القلقشندى [ صبح الأعشى ] جـ ٣ ص ٤٣٢ . طبعة دار الكتب المصرية . ود . محمد عمارة [ فجر اليقظة القومية ] ص ١٦٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م .
(٦) انظر [ وثائق المؤتمر العربى الأول ] الذى عقد بباريس سنة ١٩١٣م ـ ص ١١٦ تقديم ودراسة د . وجيه كوثرانى . طبعة بيروت سنة ١٩٨٠م .
(٧) [ الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ] ص ٢٢٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م .
(٨) أى أعادهم الى حالتهم الأولى فى الضلالة قبل ان يهتدوا .
(٩) أى الأحاديث الموضوعة المكذوبة .. والضعيفة الإسناد .
(١٠) [ الأعمال الكاملة للامام محمد عبده ] جـ ٣ ص ٣١٧ ـ ٣١٩ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م .
(١١) رسالة المؤتمر الخامس ] ص ٤٦ . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م .

## منتدى الفكر الإسلامي بالجزائر

# الحياة الروحية في الإسلام

بقلم : د. سعيد إسماعيل علي

**«ان الدنيا خلقت لكم، وانكم خلقتم للاخرة »**

**حديث شريف**

**لم يعرف الفكر البشري عالما اغنى واعمق من عالم الروح الفسيح ، فما من مجتمع الا وله فيه قناعاته الخاصة ، وما من حضارة الا ولها منه موقفها المتميز وان تفاوتت بعد ذلك هذه القناعات والمواقف ، تطرفا واعتدالا ، سذاجة وعمقا ، واختلفت الاسماء والصفات وتعددت المصطلحات ، من القوى الباطنية للانسان الى ملكوت النفس ، ومن الطاقة الغامضة الى عالم الروح ، وما الى ذلك مما يعج بهتاريخ الفكر والفلسفة واللاهوت بصفة عامة ، ويزخر به التراث الاسلامي بصفة خاصة )) .**

**بمثل هذه الكلمات ، افتتح السيد بوعلام باقي عضو المكتب السياسي ووزير الشئون الدينية بالجمهورية الجزائرية ملتقى الفكر الاسلامي الواحد والعشرين فى ولاية ( معسكر ) فى الفترة من ١٩٨٧/٨/٢٦ — ١٩٨٧/٩/١ .**

لكن : لماذا ( الحياة الروحية ) بالذات ، وفى هذا العصر ؟

ان كثيرا من الغيورين من اهل العلم والفكر ، يعتقدون أن الذي يقدمنا لكى نسعد ونرقى افرادا وجماعات ، انما هو التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يساعد مجتمعاتنا على ان تنمو وتتطور وتلحق بركب العالم المتحضر ، الذى حطم الذرة ، وغزا الفضاء ، وصنع الكمبيوتر، واصبح على ابواب ثورة بيولوجية لا ندرى ماذا تصنع بالانسان .

وهنا يقف الدكتور يوسف القرضاوى ليؤكد ان من حسن حظ المسلمين ان دينهم لا يضيق بالدعوة الى العلم والتقدم كما يتوهم الذين

لا يعرفون الاسلام »، بل ويعتبر التقدم العلمي وما يثمره في الحياة من استخدامات تكنولوجية نافعة ـ تيسر على الانسان حياته وتوفر عليه جهده البدني والعقلي ـ عبادة بالنسبة للفرد المسلم ، يتقرب بمعرفتها واتقانها الى ربه ، كما يتقرب بالصلاة والصيام ، وهي ـ بالنسبة للمجتمع ـ فريضة كفائية ، يأثم المجتمع كله اذا لم يقم من ابنائه عدد كاف يسد كل الثغرات ، ويلبي كل الحاجات التي يتطلبها المجتمع في كل مجالاته المدنية والعسكرية .

ولكن الذي يؤكده القرضاوي هنا هو حاجة مجتمعاتنا ـ وكل المجتمعات البشرية ـ الى العلم والايمان جميعا . فالانسان جسم وروح ، وعقل وقلب ، ولابد من رعايته ككل وامداده بما يغذي كل جوانبه وطاقاته ، مما ينبت من الارض ، ومما ينزل من السماء ، وهذا هو التوازن او التكامل الذي تميز به الاسلام .

ومما يؤكد توافق هذه الصيغة الاسلامية مع الفطرة البشرية ، توصل كثير من المفكرين اليها رغم عدم درايتهم بالاسلام ، فمن ذلك ما استشهد به ( مولود قاسم ) ، وهو من الزعماء الجزائريين البارزين ، من اقوال للفيلسوف الالماني الكبير ( ايمانويل كانط ) الذي اقام فلسفته النقدية في نظرية المعرفة على هذا الجمع بين الروح والمادة ، بين العقل والاحساسات ، اى الماديات ، فقال في مقدمة الطبعة الاولى من كتابه الشهير ( نقد العقل الخالص )

critique of pure reason

« ان كل ادراك قائم على عنصرين اثنين ضروريين متكاملين ، اى لا يتم بدونهما ، ولا معنى لاحدهما بدون الآخر : التصورات او المفاهيم او القوالب الذهنية ، والاحساسات ، اى المدركات الحسية للحواس « الخمس من شم ولمس وبصر وسمع وذوق ، فالعنصر الاول ذهني ، عقلي روحي ، وهي تلك الصور ، او المفاهيم ، او القوالب الذهنية ، والعنصر الثاني : مادي ، حسي ، جسمي ، هي الاحساسات التي تبلغنا اياها حواسنا الخمس ، فيقول كانط ان المحسوسات فقط بدون المفاهيم ، مادة عمياء ، بدون دليل ولا مرشد ، ولكن المفاهيم وحدها ، من جهتها بدون محسوسات ، خيالات فارغة جوفاء .. بدون محتوى .. بدون مضمون ..

● اين المنهج العلمي

واذا كان هذا التوازن محل اتفاق كثيرين ، فقد كان من حق باحث مثل ( عبد الحميد برزوينة ) في المركز التربوي المدرسي بمستغانم بالجزائر أن يعجب حين يلاحظ ان اكثر الدراسات الفكرية التي تسمى بـ ( الانسانيات ) قد اجهدت نفسها وضيعت الاموال ـ حسب رأيه والاوقات من اجل ان ترد الازمات والمشكلات والادواء جميعها الى الاسباب المادية والعوامل الاقتصادية والمؤثرات البيئية وحدها ، ناسية العوامل الحقيقية والاسباب الاصلية . والذي يعجب له باحثنا اكثر ، ان ينهج دارسون من العالم الاسلامي هذا النهج المادي ، فينخدعون بالحسابات الرياضية والجداول الاحصائية والدراسات الوثائقية ، ظنا منهم ان هذا كله هو المنهج العلمي الذي ينبغي ان يتبع اذا اردنا تحليل الامراض ذات الطابع الحضاري والاجتماعي والنفسي .

ويمكن القول بأن التصوف اهم مظاهر الحياة الروحية في الاسلام ، الى جانب انقطاع افراد لحياة العلم والبحث ، ولذة التفكير والمعرفة .

ولفت الدكتور محمد عبد الهادى ابو ريدة انظار الحضور الى ان هناك من المحدثين من تناولوا التصوف بالدراسة تحت عنوان فيه لفظ ( الروحية ) كما فعل الدكتور محمد مصطفى حلمى ، والدكتور ابو العلا عفيفى ، الاول فى كتابه ( الحياة الروحية فى الاسلام ) ، والثانى فى كتابه : ( التصوف : الثورة الروحية فى الاسلام ) •

ونظرا لهذا الارتباط الذى بدا بين الحياة الروحية والتصوف ، كان لابد ان ينبرى باحث مثل الدكتور عبد العظيم الديب الاستاذ بكلية الشريعة بجامعة قطر ( مصرى ) الى ان يبين عددا من العوامل والاسباب التى صرفتنا فى هذه الايام عن هذا الجانب الروحى :

١ ـ فمن ذلك ما كان من اخطاء ارتكبت باسم التصوف ، والتصوف منها براء ، وما كان من وجود بعض المنحرفين المستغلين الذين انحرفوا بالتصوف عن مفهومه وهدفه واتخذوه وسيلة لاطماعهم وتحقيق ماربهم وعن طريقهحازوا الجاه واكتنزوا الاموال فاقتعدوا مقعد القيادة ، بل والسيادة، وحكموا فى الاتباع وتحكموا،وفرضوا عليهم الجبايات والمغانم ، والاخطر من ذلك انهم حالوا بينهم وبين المعرفة والاستنارة •

٢ ـ ما تعانيه امتنا الان من عجز وتخلف ، فى مجال العلوم العصرية، وفى مضمار القوة المادية ، وامتلاك اعدائنا لناصية القوة ، والمقدرة على القهر والاستبداد ، مما جعلنا نتطلع الى هذا الجانب المادى فى الحياة ، ونجرى وراءه ظانين ان تفوقنا فى هذا الميدان هو وحده العلاج ، هو وحده السبيل لكى تعود امتنا الى مكانتها من العزة والقيادة والريادة •

٣ ـ وثالث العوامل التى صرفتنا عن الجانب الروحى ، هو انه يتعلق بالنفس وتهذيبها،وبالقلوب وتطهيرها، يتعلق بالمعاناه فى كف النفس وكبح جماح الشهوات ، وانكار الذات والتطهر من الكبرياء ، والبعد عن الخيلاء ، وعدم الركون الى الدانيا ، وتذكر الوعد والوعيد فى العقبى • على حين تتعلق الجوانب المادية ، بالفكر والقلم واللسان •

## ● العلاقة بين التصوف والاسلام

ويقطع النظر عن كلمة ( التصوف) وما دار من جدل حولها : معنى وأصلا ، وحول مدى مشروعية التعبير بها عن مضمون لم يظهر لكثير من الناس مدى علاقته بالاسلام ، سواء فى مبادئه الاساسية او جوانبه الكمالية والتحسينية ، فانه من الاهمية بمكان ، ان يظهر ذلك البحث الذى تقدم به الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ، المفكر الاسلامى السورى المعروف ، حيث بين المعنى المراد بهذه الكلمة ، والعلاقة الدقيقة بين التصوفه والاسلام :

ان قيمة التزام المسلم بالاسلام تظهر على صعيدين اثنين ، قد يتضافران ويجتمعان ، وقد ينفك الواحد منهما عن الاخر •

أما الصعيد الاول : فهو الساحة الدنيوية التى يتجلى فيها تعامل الناس بعضهم مع بعض ومن المعروف ان الانسان يجب ان يعامل على انه مسلم ، من كل الجوانب ، بمجرد ان تتوافر اركان الاسلام فى ظاهر أقواله وافعاله •

لكن مدار الامر عند الله ، فى ذلك الصعيد الثانى الذى يقوم على صفاء القصد واخلاص القلب وموافقة

الظاهر الذى كان يراه الناس للباطن الخفى الذى يطلع عليه الله عـــز وجل ، فهذا هو اساس قضـــائه عز وجل فى حق عباده يوم القيامة ·

غير ان المشكلة التى كان لابد ان تؤرق فكر المسلم الصادق فى اسلامه، وهى مشكلة التوفيق بين الظاهر من احكام السلوك الدينيـــة ، والباطن من الاخلاص لوجه الله فيهـــا ، ذلك لان من السهل على الانســان ان يتحلى ، فى ظاهره بكثير من أوامر الله وحكامه دون اى انضباط حقيقى وجوهرى بها ، ودون اى اخـــلاص قلبى لها ، اما الامر العسير حقـا ، فهو السعى الى تطويع الباطن لما قد تحلى به الظاهر ، بحيث يصـــبح ظاهر المسلم عنوانا على باطنه ·

لم يكن غريبا ان تشـــغل هذه المشكلة بال المسلمين الراغبين فى ان يكون اسلامهم مفيدا لهم فى حـــكم القضاء الدنيوى ، وان يكون منقـذا لهم ايضا فى قرار الديانة الاخروية العائد الى حكم الله عز وجل ·

ونحن لا نشك فى ان القرآن يهدى الى السبيل الامثل لحل هذه المشكلة وربط كل من الظاهر والباطن بربـاط السعى المخلص الصادق الى مرضاة الله ، غير ان القرآن أجمل بيـــان الحل فى كلمة واحدة كرر الامر بهـا وشدد فى التنبيه الى ضرورتها ، الا وهى ( التزكية ) ، فكيف تتم هـــذه التزكية ، وهى فيما اجمـع عليـــه العلماء تطهير النفس من رعونتهـــا واهوائها الجانحة ؟ وكيف السبيل الى غرس محبة الله فى القلب ثم كيف السبيل الى التخلص من ( المغفلات ) وايقاظ القلب والمشاعر الى ذكـر الله ومراقبته ؟

ها هنا تكمن العقبة الـــكؤود ، وعندها يتجلى معنى الجهاد الاكبـــر الذى ابتلى الله به الانسان ، وجعله يفوق فى قيمته الجهاد بالسلاح ·

هنا يبرز البوطى دور التصـــوف الذى لا ينبغى ان يتعداه ·

والحق أن القرن الاول من تـاريخ المسلمين قد شهد صورا لا حصر لها تؤكد بما لا يدع مجالا للشـــك ان المسلمين الاوائل قد استوعبوا هـذه المعانى حق الاستيعاب ، فقد فهموا ـ حق الفهم ـ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الدنيا خلقت لكم ، وانكم خلقتم للآخرة » · لكن هـــذا النهج العملى الاصيل للحياة الروحية وما اتسم به من صفاء ووضـــوح ، قد عرف ـ فيما اكد السيد بو علام باقى وزير الشئون الدينية ـ تطورا كبيرا اكتنفه الغموض والتعقيـــد ، مع تطور الحياة السياسية والاجتماعية الثقافية وتعقدها ، ومع ما شـــهدته الامة الاسلامية من انقسامات حادة ، وما ظهر من الوان الترف المـادى ، فتزامنت وامتزجت الصور اللاهيـــة مع الصور الدامية ، وكان ذلك كله دافعا قويا للرجوع الى الــــذات والانطواء عليها لدى كثير من الزهاد والعباد ، وكانوا يختصون وحـــدهم بهذا الجانب بعد ان اصبح الدين فى المجتمع شكلا ومظهرا ، فراج التصوف وارتاد افاقا لم يالفها النـــاس من قبل ، اذ اصبح دراســـــة للقلوب واسرار النفوس ، وسبيلا الى المعرفة عن طريق الحس والـــكشف والذوق وصار عالما واسعا قابلا لاحتضـــان شتى الافكار الدينية والسياســـية والاجتماعية او الدعوة اليها ، فتشكل من كل ذلك تراث كامل كان المسلمون فى غنى عن جانب منه ، جانب افرط فى اهتمامه بالوسائل والســـبل حتى كاد يشغل عن الغاية ، اذ ابتعد المتطرفون من رواده عن نهج الاسلام

الصحيح فى تدبر كتاب الله والعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد فيه المتأولون المنحرفون مرتعا خصبا اثروه بمغامرات باطنية غامضة ، غير متورعين عن تطويع النصوص القرآنية للامزجة والاهواء ، واخضاع معانيها لرؤى غريبة لا يضبطها ضابط ، فظهرت مواقف متطرفة ومتناقضة ودعوات مغرضة وافكار دخيلة بلبلت العامة وتعالت اصوات تعلن ان الشريعة انما جعلت للمحجوبين ، اما اصحاب الاشراق والحس من المتصوفة الملهمين ، فانهم احرار في عبادتهم يأتون منها ما يشاءون ويدعون ما يشاءون .

ومن الطبيعي ان يعظم تأثير هذا النوع من التصوف السلبي المبتدع ، فيما اكد الوزير ، وان يكون هذا التعاظم مرتبطا بمدى التدهور الاخلاقي والاجتماعي للامة ، ومن هنا اصبح الاسلام عموما ، ترديدا مشوها لاقوال السلف ، وجدلية عقيمة فى العبادة ، قل معها الصدق والاخلاص فى مجاهدة النفس ، وتعطل معها جهاز الاسلام عن العمل بسبب العقول القاصرة العاكفة على هوامش الحياة وجزئياتها ، فنشط الجهال المغروروون ، واستغل بعضهم سرعة انقياد الناس لمن يخاطبهم بدينهم ، فادعوا العصمة وعطلوا الشريعة ونصبوا انفسهم اوصياء على الجنة والنار فرسخوا مفاهيم التواكل والاستكانة ، وكانوا معاول هدم وتخريب ، وعوامل تخدير وتجهيل .

واتساقا مع هذا الرأى ، فقد وزع على حضور الملتقى بحث صغير لعلم من مفكرى الجزائر الراحلين الا وهو ( محمد البشير الابراهيمى ) حمل فيه حملة عنيفة على التصوف وعلى الطرق الصوفية ، فمن ذلك ما ذكره

« .. واما المذاهب الصوفية فهى ابعد اثرا فى تشويه حقائق الدين واشد منافاة لروحه ، واقوى تأثيرا فى تفريق كلمة المسلمين لانها ترجع في اصلها الى نزعة غامضة مبهمة تسترت فى أول امرها بالانقطاع للعبادة والتجرد من الاسباب

والعزوف عن اللذات الجسدية والتظاهر بالخصوصية وكانت تأخذ منتحليها بشيء من مظاهر المسيحية وهو التسليم المطلق ، وشيء من مظاهر البرهمية وهو تعذيب الجسد وارهاقه توصلا الى كمال الروح كما زعموا » .

كذلك ذهب الابراهيمى الى ان الناظر فى احوال المسلمين اذا كان ممن رزقوا ملكة التعليل واراد ارجاع كل شيء الى اصله الاصيل ومنبته الاول فانه لا يعسر عليه ان يرجع امهات علل المسلمين الدينية والاجتماعية الى هذه الطرقية الكاذبة الخاطئة التى اصبحت من قرون فكرة تسود العالم الاسلامى وتتحكم فى دينه ودنياه وتتدخل فى حياته وسياسته ثم تستحكم فى طباعه فاذا هو فى غمرة من الذهول مطبقة اضاع معها آخرته ودنياه .

وحظيت الطرق الصوفية بعدة بحوث اختلفت اتجاهات كتابها اختلافا جذريا من اقصى اليمين الى اقصى اليسار : من ابراز لدورها فى ترقية وتنمية المجتمع الاسلامى وتحريره ، الى القول بالعكس تماما !

فمن البحوث التى القيت بحث بعنوان ( النقشبندية واثرها فى الحياة الروحية والنهضة الاسلامية المعاصرة ) القاها استاذ تركى بكلية الالاهيات بجامعة انقرة .

وكذلك بحث للاستاذ عمر نكيتشلفيتش عميد الدراسات الاسلامية بسرأييفو فى يوغسلافيا تحت عنوان ( الطرق الصوفية المعاصرة فى يوغوسلافيا ) وانواعها واعدادها ، وعرض اراء بعض اقطابها والاختلافات والمجادلات التى تجرى بين العلماء حول بعض اعتقادات الاتباع وسلوكياتهم الطرقية . وقد اتضح من عرض الباحث لموضوعه بأن ثمة كثيرا من الخرافات والسفاسف والشعوذات مثل الاعتقاد لدى بعض الاتباع بأن الولاية هى اعظم من النبوة وان الرسل يستفيدون من الولاية .. الى اخر ما يماثل هذه الخرافات الصوفية .

وكان هناك بحث آخر القاه ( سيدى الامين انياس ) مدير جريدة الفجر بدكار ( السنغال ) عن ( التصوف فى افريقيا عامل بعث وتحرر ) ، ومما جاء فى هذا البحث ان الاسلام فى افريقيا اسلام (طرقى) قامت فيهتجارب صوفيةعديدة أهمها طريقتان هما : الطريقة القادرية وهى ذات منشأ عراقى ، والطريقة التيجانية التى منشؤها الجزائر ، وهما الاكثر سلطانا وشيوعا وانتشارا ، وذكر الباحث ان التصوف الافريقى اتجاه يقوم على الصبر والشكر ، فالصبر يتطلب المعاناة ومجابهة المصاعب والمواجهة البدنية فيها بلاء وابتلاء ، اما الشكر فهو الثناء على الله وحمده ، وهذا دون الاستغناء عن زينة الحياة الدنيا وما اخرج الله لعباده من الطيبات من الرزق . وذكر الباحث أن هؤلاء ( الطرقيين ) قد اكتسبوا نتيجة ذلك صيتا وشهرة واسعين اصبحوا بموجبهما مرجعا فى الحياة والامور الاجتماعية .

اما الاستاذ ( مسعود الطويل ) المحامى لدى المجلس الاعلى للقضاء ( وهران ) فقد القى بحثا عن «الطرق الصوفية ودورها فى المجتمعات الاسلامية سلبا وايجابا» .

وذكر الاستاذ محمد الطاهر فضلاء مدير المكتبة المركزية بقصر الحكومة ان زعيم التيجانية كان مواليا لفرنسا وقد زار فرنسا فرحبت به ترحيبا عظيما وقدمت له من الهدايا فتاة شقراء تزوجها واصبحت تقيم معه بزاوية عين ماضى وتتصرف فى شئون الزاوية وتسيرها فكريا وعقليا .

**ومهما يكن من شيء ، فقد كانت رحلة الملتقي الى ماضى المسلمين موفقة ، اتت ثمارا طيبة ، فقد تفاعل الملتقون مع تراثنا الروحى ، ووقفوا على صحيحه وسقيمه ، وبينوا ان الشخصيات السلبية المنحرفة ليست حجة على التصوف الصحيح ، فهو منها براء ، وان ملات الدنيا وشغلت الناس ، واوضحوا فى الوقت نفسه ان ما جاء به التصوف النقى الطاهر السليم ، المحكوم بالكتاب والسنة ، هو فى الحقيقة جوهر الدين ولبه .**

كذلك فقد تاكد للجميع ان الفصل بين الحياتين الدنيوية والروحية انما هو نظرى تصورى لا اساس له فى الواقع ، فالمسلم الفقيه فى الاسلام حقا ، يستطيع ان يكون فى صميم الحياة الروحية وهو يواجه شأنا من شئون الدنيا ، اذا اراد به وجه الله ، ولا خير فى نشوة روحية اذا كانت لا تتم الا بترك الدنيا واعتزال الناس والتخلى عن الواجب واهدار الحقوق ومعارضة الفطرة .

## قضايا ومواقف

# إسلام الأتراك العثمانيين بين الحقيقة والأسطورة

بقلم: د. زكريا سليمان بيومى

**مازالت ندرة الوثائق والمصادر تشكل عاملا هاما فى أحجام الباحثين عن توضيح كثير من الجوانب الغامضة التى مازالت تكتنف تاريخ الدولة العثمانية، وقد أدى ذلك الى قبول المؤرخين للكثير من الروايات الأسطورية التى كتبها المؤرخون العثمانيون الأوائل تحت أعين سلاطينهم ووفق أهوائهم.**

واذا كانت حركة التحول التركى الحديثة الى العلمانية قد أفرزت كتابا ومؤرخين حاولوا تأصيل القومية التركية فحاولوا ان يضعفوا من دورهم الاسلامى، ومن أبرزهم محمد فؤاد كوبريلى، فإن الانتعاش الاقتصادى للبلاد العربية فى اعقاب اكتشاف البترول قد ادى الى اتجاه تركيا الى العالم الاسلامى للأتراك سواء من الأتراك ام من المسلمين العرب. الذين نالوا تشجيع الاتراك وان اختلفت دوافع كتاباتهم، فعادوا ليقبلوا العديد من الاساطير التى تحيط بنشأة التاريخ العثمانى، وانساهم حماسهم فى هذا الاتجاه ما كان ينبغى ان يلتزموا به - كلية - من الموضوعية.

ومن بين هذه الاساطير التى اضطر المؤرخون لقبولها واصبحت لاتساع تداولها حقيقة ثابتة قضية اسلام العثمانيين التى ترد فى اسطورتين.

فتروى الأسطورة الأولى ان عثمان قضى ليلة فى دار أحد الزهاد المسلمين وقبل ان ينام جاء صاحب البيت بكتاب فوضعه على رف فسأله عثمان عن هذا الكتاب فأجابه بأنه القرآن الكريم، كلمة الله التى انزلت للناس عن طريق النبى، وحمل عثمان الكتاب وأخذ يقرأ فيه حتى

الصباح ، ثم نام فرأى فيما رأى النائم كأن ملاكا بشره بأنه وذريته سيعلو قدرهم لقاء احترام القرآن .

أما الرواية الثانية فتذكر أن عثمان طلب إلى أحد مشايخ الصوفية واسمه "اده بالى" أن يزوجه ابنته فرفض الشيخ طوال عامين ، وفى احدى الليالى رأى عثمان وهو نائم فى بيت الشيخ كأن قمرا يخرج من صدر "إده بالى" ويقع فى صدره هو ، ثم تخرج من سرته شجرة يغطى ظلها الأرض كلها ، وفسر "إده بالى" الحلم بأن اسرة عثمان ستحكم العالم وزوّجه ابنته .

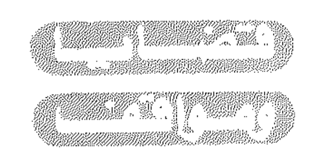
وعلى الرغم من إدراك المؤرخين لعدم صدق هذه الروايات لأسطوريتها ولتشابه ذكرها عن كثير من مؤسسى الدول كالامبراطور قسطنطين والسلطان محمود الغزنوى وغيرهما ، فإن أيا منهم لم يجد مناصا من الاعتماد عليها .

واذا جاز للمؤرخين ان يقبلوا مضطرين هذا الاسلام لمؤسسى الدولة العثمانية فلا ينبغى ان يقبلوا اسلاما جماعيا لقبيلته لمجرد اسلامه ، كما لا يجوز بعد قبول هذه الاراء اضفاء الصفة الاسلامية على توسعات هذه الدولة وعلى اساليبها فى الحكم ودورها فى تأسيس دولة اسلامية وجهودها فى نشر الاسلام وأهلها حديثو عهد به وغير ذلك من الاستطرادات التى امتلأت بها الكتب ومازالت تثير حماسا أجوف بين جموع المتشنجين .

وسواء أكان الأتراك العثمانيون من بين فصائل الترك التى وفدت مع السلاجقة الى منطقة الاناضول منذ العصر العباسى الثانى ام انهم قد اضطروا للهجرة تحت ضغط المغول من آسيا الوسطى حتى استقروا فى شمال غرب الاناضول فإنهم اعتنقوا الاسلام مثلهم مثل السلاجقة اذا ما جارينا اصحاب الرأى الأول ، أو انهم قد تعرفوا عليه واعتنقه بعضهم خلال فترة الهجرة التى لم تكن قصيرة والتى كانت بين العناصر الفارسية المسلمة . بل ان الرأى الراجح أن الاسلام قد انتشر بينهم فى منطقتهم الاصلية فى آسيا الوسطى منذ القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) حيث تؤكد مصادر الأدب الفارسى انتشار جماعات الفتوة التى كانت تعتنق الاسلام بين الترك فى آسيا الوسطى مثل جماعة العيارين فى جنوب منغوليا فى هذه الفترة .

## ● اعتناق الإسلام

ويرى البعض ان كثيرا من سكان اسيا الوسطى من الاتراك الذين كانوا يدينون بالديانة الشامانية والبوذية والمانوية قد ناسبهم ما فى الاسلام من واقعية ونزوع الى الحياة العسكرية والفتوة التى كانت تلتقى مع طباع بيئتهم والتى تقابل فكرة الجهاد والجنة التى وعد الله بها شهداء الحرب ، فى حين يرى البعض الآخر أنه لا يوجد دليل على ذلك وأن انتشار الاسلام فى هذه المناطق قد تأثر بنزوع كثير من دراويش الصوفية اليها والذين كانوا يركزون اسلوبهم فى نشر الاسلام على التخويف من العذاب اكثر من تركيزهم على فكرة الجهاد وثواب الجنة ، وباسلوب غير مستفز لعقائدهم القديمة أو تقاليدهم الاجتماعية ، فبدأوا اعتناقه بشكل فردى قبل القرن العاشر الميلادى ، وازداد عدد معتنقيه بعد نجاح المسلمين فى دخول بلادهم وبناء مجموعة من المساجد



اسهمت في اسلام اغلبهم في القرن الحادى عشر .

ولما كانت هذه الدلائل تؤكد اعتناق الاتراك العثمانيين للاسلام قبل دخولهم الاناضول من جهة ، في حين اعلن عثمان اسلامه على يد احد شيوخ الصوفية المحليين في الاناضول من جهة اخرى ، فإننا ينبغى ان نفرق بين اعتناقهم الاسلام واعلانهم لهذا الاعتناق الذى كان من الواضح انه يرتبط باهداف سياسية لا دينية نوضحها فيما يلى : -

**أولا** : أن "إده بالى" أو "أدب غالى" - حسبما يرد اسمه في بعض المراجع العربية - الذى تزوج عثمان ابنته كان الى جانب كونه شيخا لاحدى الطرق الصوفية شخصية مؤثرة على مجموعة من الآخيين من اصحاب الحرف الذين كانوا يعلنون حماسهم للجهاد وهم في حقيقة الأمر يسعون لرواج حرفهم ، وكان عثمان يدرك ان هذه الجماعات ستعينه على تدعيم مكانته وتحقيق طموحه في السعى للاستقرار حيث لم يكن يستطيع ان يحقق ذلك بفرسان قبيلته وحدهم الذين لم يزد عددهم على اربعمائة فارس ، لذلك وجد عثمان انه من الحكمة ان يعلن اسلامه على يد "أدب غالى" وان يتزوج ابنته فكان هذا بمثابة عهد بينهما ، واصبح عثمان يمثل القوتين الحربية والسياسية في حين يمثل الشيخ "اده بالى" أو "أدب غالى" القوة الدينية المدعمة له الى جانب امداده بالمجاهدين وهو اتفاق شبيه بالاتفاق الذى تم بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير النجدى محمد بن سعود في جزيرة العرب بعد ذلك .

**ثانيا** : أن عثمان قد أصبح حاكما اقطاعيا منذ بداية وجوده في منطقة سكود في شمال غرب الاناضول شأنه في ذلك شأن بقية امراء السلاجقة ، وان فرسان قبيلته قد ظلوا على ولائهم له بصفته شيخ قبيلتهم وان إعتناقهم الاسلام على منهج التصوف كما كان سائرا في بقية الامارات السلجوقية وبقية المناطق الاقطاعية في العالم الاسلامى لن يقلل من سلطته بل على العكس سيدعمها ، ولهذا اتسمت سياسة العثمانيين منذ البداية بتشجيع التصوف وساعدت على انتشار طرقه حرصا على تدعيم حركة الجهاد والحفاظ على سلامة النظام .

**ثالثا** : أن اعلان عثمان لاسلامه ، واخذه بنظام الحكم الاسلامى أو محاولته صبغ حكمه به لم يكن ليقلل من سلطته المطلقة على قبيلته واتباعه حيث كان شكل نظام الحكم الاسلامى الذى كان سائدا في هذه الفترة يلتقى مع نظام الحكم القبلى ، وهو امر دعا المؤرخ الانجليزى توينبى لأن يؤكد بأن العثمانيين قد حكموا الشعوب التى خضعت لهم باسلوب بيئتهم الأولى في اواسط آسيا ، وادى اعتناقهم للاسلام إلى كسب الصفة الثيوقراطية التى لم تغير من هذا الاسلوب شيئا .

**رابعا** : ان هذا الاعلان لن يغير من اسلوبه في السعى للتوسع والاستقلال بل على العكس سيضفى عليه صفة الجهاد والفتح بدلا من السلب والنهب والقتل وغير ذلك .

**خامسا** : كان عثمان يريد بهذا الاعلان ان يؤمن ظهره من جهة الامارات

السلجوقية اذا ما وجه قوته للتوسع على حساب الدولة البيزنطية ، فضلا عن انه سيضفي على امارته من الشرعيةاذا ما سعى للسيطرة على الامارات السلجوقية الضعيفة ، وهذا ما حدث بالفعل حين قام المغول بالقضاء على دولة الاتراك السلاجقة سنة ١٣٠٠ التى اعقبها وفاة الامير علاء الدين سنة ١٣٠٧ فاعلن عثمان ـ كبقية الامراء المحليين ـ استقلاله .

اما عن شكل الاسلام الذى اعتنقه الاتراك فى اسيا الوسطى فكما سبق التوضيح قد تم قبولهم له على يد مشايخ ودراويش الصوفية ، ولم يكن يعنى قبولهم هذا الدين تخلصهم او تخليهم عن كثير من العادات والتقاليد والمعتقدات القديمة كما ان العناصر المحلية فى الاناضول قد تأثرت بعديد من العقائد اختلطت فيها المعتقدات الشيعية التى تأثرت بها عناصر الاتراك الذين وفدوا عبر الاراضى الفارسية ، والمعتقدات السنية التى حملتها العناصر العربية والتى حوت عدة اتجاهات . وادى اختلاط هذه الاتجاهات الى تكوين مزيج من المعتقدات اثرت فى الاسلام الذى اعتنقه اهل هذه المنطقة عند مجىء العثمانيين .

وقد انتشرت بينهم العديد من الطرق الصوفية ومن أهمها الطريقة المولوية او الجلالية التى اسسها الشاعر الفارسى جلال الدين الرومى والرفاعية والخلوتية واليسوية والقلندرية التى اثرت فى بعض الاتراك العثمانيين قبل وصولهم الى الاناضول وذلك لكونها قد نشأت فى منطقة خراسان واثرت فى اغلب المناطق المجاورة لها .

ولا يمكن الحسم بأن هذه الطريقة قد تأثرت بالمذهب الشيعى بشكل واضح لكنها قد اثارت الطرق الصوفية السنية لغرابة طقوسها ، ولما دعت اليه من اباحية الى جانب المظهر الشاذ لاتباعها وهو ما دعا كثيرا من صوفية الاناضول إلى اتهام اهلها بالزندقة او بالهرطقة . وقد ابتعد عنها العثمانيون وهجروها الى طرق اخرى كالمولوية ثم البكاشية بعد استقرارهم فى الاناضول ، ويبدو ان انتماء اغلبهم الى هذه الطريقة فى البداية ثم التحول عنها هوالذى دعا بعض الصوفية السنيين إلى اعتبارهم وثنيين وهو الاساس الذى جعل مؤرخا مثل جيبوتر لان يراها فترة تحول من الوثنية الى الاسلام .

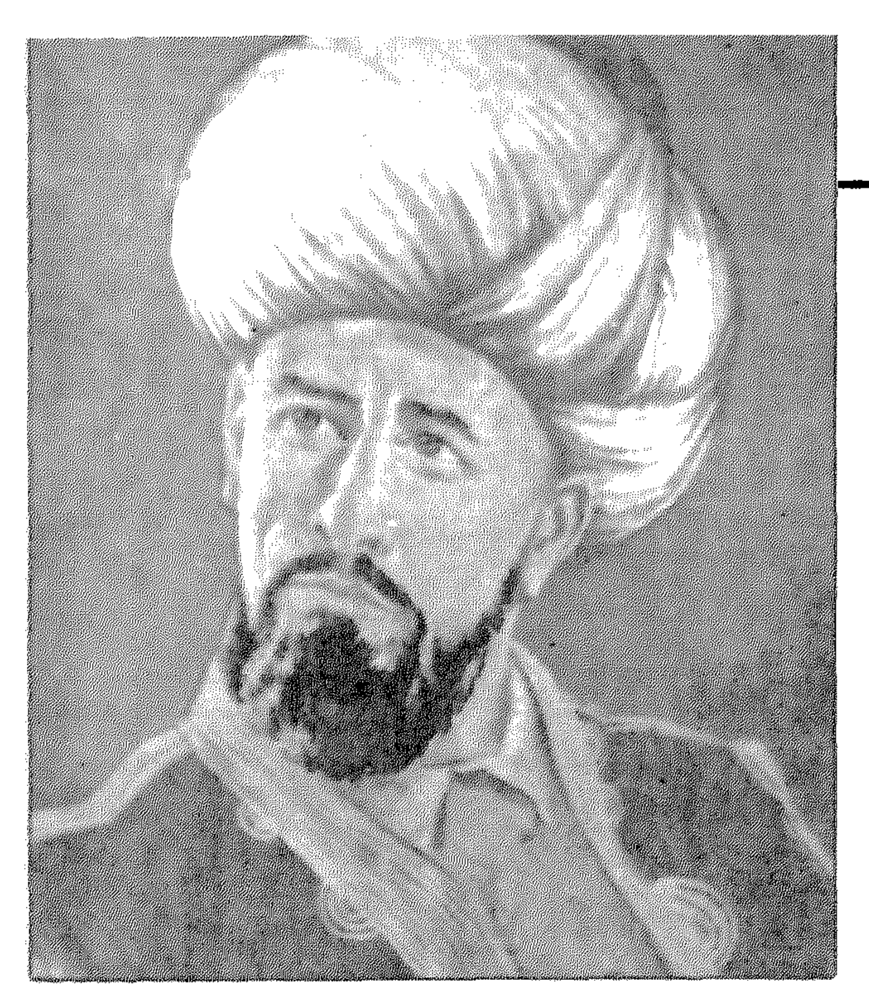
واذا كان الأتراك العثمانيون قد تحولوا ـ كما سبق التوضيح ـ منذ بداية وجودهم فى شمال غرب الأناضول عن طريقتهم الصوفية إلى طريقة محلية فإن أشهر الطرق المحلية كالمولوية ثم البكتاشية كانت هى الأخرى أكثر اباحية ، لكنها كانت لاتلقى نقدا من العناصر الصوفية المحلية ، ولهذا فإن التحول كان بغرض كسب ود هذه العناصر المحلية أكثر منه سعيا للتميز بين الطرق وهو أمر يتضح من مساعدتهم لأهل طريقتهم الأولى « القلندرية » على الاستقرار وضمان حمايتهم وعدم الاعتداء عليهم . كما أن الشدة التى قوبلت بها هذه الطريقة من العناصر المحلية كانت ترجع فى الأساس لتمردها على النظام الاجتماعى والأخلاقى أكثر من ميولها الالحادية أو أفكارها الشيعية .

# مصر
# فى التراث الجغرافى العثمانى

بقلم : د. محمد حرب

نحن فى هذا المقال بصدد مخطوط يشكل قيمة كبيرة فى تراث المسلمين ، وهو علامة واضحة فى الأدب الجغرافى العثمانى ، استخدمه الغرب كثيرا وشهدوا بفضله ، لأنه احتوى على معلومات هامة عن بلاد البحر الأبيض المتوسط .. ومنها مصر ، بخرائط دقيقة ومعلومات مدهشة ، كما أننا ـ فى هذا المقال ـ بصدد معرفة مؤلفه .. والمؤلف وإن كان تركيا ، فواجب على المصريين معرفته ، لأنه جزء من تاريخهم .. وإن جهلوه ، وكتب عن بلادهم .. فأوفى ، ورسم خرائط ديارهم ، فأجاد وأتقن ..

هذا المؤلف ، هو : الريّس بيرى ، القائد البحرى العثمانى ، والعالم الجغرافى الفذ .. وهو معروف فى الأدب العثمانى باسم بيرى رئيس ، وكذلك يعرفه الغربيون بهذا الاسم . وقد شغل الريّس بيرى منصب قائد الأسطول المصرى فى العهد العثمانى ، وكان مقر قيادته ميناء السويس ، وبيزى رئيس ، أو ، الريّس بيرى ، إن كان قد ولد فى غاليبولى فى تركيا ( ١٤٦٥ م ؟ ) فقد مات فى القاهرة عام ( ١٥٥٤ م ؟ ) أو بمعنى أصح قد دُقّ عنقه فى القاهرة ..



رسم تصـوری للريـس بـيری من عمل الفنان جمال دوندا

كان مولد الريّس بيرى ـ كما قلنا ـ فى مدينة غاليبولى ، وكانت المركز الإدارى للبحرية العثمانية .. اشترك مع عمه الريّس كمال ( وتقول بعض المصادر أنه خاله ) وكان هذا قائدا بحريا عثمانيا شهيرا ، اشترك فى الحرب البحرية الطويلة بين العثمانيين والبنادقة من عام ١٤٩٨ م حتى ١٥٠٢ م . واستفاد مؤلفنا من هذا ، خبرة حربية بحرية كبيرة .. وفى هذه الحرب وبالذات فى عام ١٥٠٠ م حصل بيرى ، على لقب ( ريِّس ) وقاد سفينة عسكرية أثناء حصار العثمانيين لقلعة بندقية هامة هى مودون ..

لكن بدايات خدمة الريّس بيرى للدولة العثمانية ، ترجع إلى قبل هذا التاريخ ، عندما كان يعمل ( قرصانا ) . وأحب أن أنبه هنا أن مفهوم القرصان فى اللغة العثمانية لم يكن يعنى المفهوم السائد الآن من السلب والنهب ، وإنما كان نوعا مما يمكن تسميته الميليشيات البحرية أو المتطوعين البحريين ، بمعنى قوات بحرية ، يقودها ، ويعمل فيها ، وعلى سفن خاصة ، أشخاص لاينتمون رسميا إلى القوات الحكومية التى تسيطر عليها الدولة العثمانية .. ومهمة القراصنة ، كانت ، مهاجمة القوات البحريـة الصليبية المعادية ..

والجدير بالقول هنا ، أن القرصنة العثمانية أدّت دورا رائعا فى إنقاذ حياة المسلمين فى الأندلس ، والمحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم عندما غادروا أسبانيا ، مطرودين أو فارين ، قصد

التوجه إلى ملجأ ما .. وكان دور القرصنة العثمانية حماية سفن ومراكب هؤلاء المهجّرين الفارين بأرواحهم وممتلكاتهم ودينهم من غدر السفن الأوربية التى كانت تقف لهم بالمرصاد ، وكانت المهمة الثانية للقرصنة العثمانية ايجاد مأوى لهؤلاء المسلمين الاندلسيين .. ولعله يمكن الإشارة هنا إلى أن تركيز القراصنة العثمانيين على المأوى ، كان على الساحل الجزائرى فى مكان ما ، وعندما تكاثر المهجرون فيه ، أطلقوا على هذا المأوى ، اسم البليدة ، وهى مدينة البليدة الجزائرية المشهورة الآن ..

من المعلوم أن أهل غرناطة طلبوا العون والمساعدة ضد الظلم الواقع عليهم ، طلبوا هذا من كل من تونس ، ومصر ، ثم من الدولة العثمانية وكان ذلك عام ١٤٨٦ م .. اشترك الريّس كمال فى حركة نصرة مسلمى الأندلس ، وقاد سفنا عثمانية متطوعة لذلك ، توجه بها إلى غرب المتوسط عام ١٤٨٧ م . واشترك الريّس بيرى ـ موضوع مقالنا هذا ـ بجانب عمه كمال ، فى عملياته البحرية هذه وفى الاستيلاء على بعض الموانىء والأغارة على سواحل جنوب فرنسا ، وسردينيا ، وكورسيكا .

ولما مات الريّس كمال ، خلفه فى القيادة خير الدين ، الذى اشتهر فى اوربا باسم بارباروس ، وبالتالى أصبح كبير القراصنة .. وعندما نجح القرصان العثمانى خير الدين باربـاروس فى الاستيلاء على مركب فرنسى كبير ، وأراد إرساله هدية إلى استانبول ، مع بعض الهدايا ، تقربا إلى السلطان العثمانى ، وليعلمه بنشاطه فى البحر المتوسط ، لم يجد خير الدين ، غير ( الريّس ) بيرى ، رسولا منه إلى استانبول . وأعجب السلطان بايزيد الثانى ( والد سليم فاتح الشام ومصر ) ببيرى ، وأحسن عليه ، بسفينتين ..

● علاقة الريّس بيرى بمصر

انضم الريّس بيرى إلى القوات البحرية النظامية العثمانية ، واشترك فى العمليات العسكرية للدولة أثناء الحرب العثمانية المملوكية التى قادها السلطان سليم الأول عامى ١٥١٦ ـ ١٥١٧ م . وفى الفتح العثمانى لمصر رسم الريّس بيرى خريطة لمصب نهر النيل ..

وعندما توجه الصدر الأعظم العثمانى ابراهيم باشا إلى مصر ، لكى يحل الخلاف الذى قام بين والى مصر و دفتر دارها ( عام ٩٣٠ هـ ـ ١٥٢٤ م ) .. تحرك من العاصمة العثمانية بأسطول قوامه عشر سفن حربية ، واصطحب معه الريّس بيرى مرشدا له .. وكان مكان ابراهيم باشا ، فى سفينة القيادة .. ولم يتمكن هذا الأسطول من الوصول إلى مصر ، بسبب العواصف الشديدة ، فاتخذ الصدر الأعظم الطريق البرى إلى مصر . ورافقه فيه الريّس بيرى . وبالتالى وجد الفرصة فى أن يعرض على الصدر الأعظم ـ مباشرة ـ أعماله العلمية ، وكتابه المشهور ( كتاب البحرية ) ويشرح له قيمته العلمية . ويسرت له هذه الفرصة فيما بعد مقـابلة السلطـان سليمان

القانونى ، إذ توسط له فى ذلك ابراهيم باشا عندما أنجز بيرى كتابه عام ١٥٢٦/١٥٢٧ م .

عقب زيارة الصدر الأعظم ابراهيم باشا لمصر ، أعطى الريّس سلمان ـ وكان قبطانا تركيا يعمل فى خدمة مماليك مصر ـ تقريرا هاما يقول فيه إن البرتغاليين قد استولوا على تجارة منطقة الخليج العربى وحرموا الأهالى هناك من العمل بها ، بل إنهم أخذوا المواد التجارية هناك وأرسلوها إلى بلادهم ، وأن هؤلاء البرتغاليين يتحكمون فى تجارة البهارات ، وأنهم استولوا أيضا على تجارة الخليج العربى ( وكان العثمانيون يسمونه خليج البصرة ) مع الهند والبلاد الأخرى وان البرتغاليين قد بعثوا بأسطول قوى إلى مياه الهند ، وقال الريّس سلمان فى هذا التقرير أن من الممكن بسهولة إنهاء النفوذ البرتغالى هناك ..

بعد ذلك بمدة ، صدر مرسوم بتعيين فرهاد بك قائد الاسطول البحرى المصرى ، واليا على اليمن ، ومرسوم آخر بتعيين الريّس بيرى ، محله ، قائدا للقوات البحرية المصرية العثمانية . وكان هذا التعيين عام ١٥٤٧ م .

أبحر الريّس البحرى بيرى من ميناء السويس عام ١٥٥١ م بوصفه الجديد هذا ، وفتح ميناء عدن ، واستولى على قلعتها بعد هجوم بحرى عنيف ، وترك فيها حامية برية وعاد إلى السويس ، وبلغ اعجاب كل من داود باشا والى مصر ، وكذلك السلطان العثمانى فى استانبول ، بهذا العمل الكبير ، حدا عظيما .

دفع هذا النجاح ، الريّس بيرى ، أن يقوم فى نفس العام ، بقيادة ثلاثين سفينة فى مختلف الأحجام ، من أسطول مصر البحرى ، وتوجه إلى جدة ، ثم إلى عدن ، ثم تمكن من فتح قلعة مسقط ، ثم حاصر هرمز وضربها ضربا شديدا بالمدافع ، لكن المقاومة البرتغالية ، كانت أشد ، وبالتالى استعصت هرمز على الفتح بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى منه . تذكر بعض المصادر العثمانية ان الريّس مال إلى التفاهم مع البرتغاليين مقابل دفعهم الخراج ، وتقديمهم هدايا ..

قام الريّس بيرى بأسطوله هذا من مياه هرمز إلى البصرة ومكث هناك مدة ..واذا به يعلم فجأة ان الاسطول البرتغالى فى طريقه إلى البصرة ، ولم يكن يتوقع هذا ، ولم يكن فى القوة البحرية الكافية لمواجهته ، فأسرع بالانسحاب من مياه البصرة بثلاث سفن كانت هى القريبة من أوامره ، ولم يتمكن من استدعاء بقية سفنه التى كانت تتجول فى مياه الخليج .. وكان غرضه الانسحاب بسفنه الثلاث سريعا قبل أن يلحق البرتغاليون بأسطوله ذى القوة العددية الضخمة .. وأمام البحرين تحطمت واحدة من سفنه الثلاثة وغرقت .. وعاد إلى قاعدته فى مصر بسفينتين فقط عليهما ما استطاع نقله من غنائم معاركه فى الخليج قبل انسحابه ..

أرسل قوباذ باشا والى البصرة ، رسالة إلى والى مصر ، يخبره بالواقعة ، وبأن الريّس قد ترك السفن الباقية من أسطوله فى مياه الخليج تواجه مصيرها . وقام والى مصر ، بدوره ، بابلاغ النبأ إلى العاصمة استانبول وشرح كل اسباب النكسة وقال أيضا فى بلاغه أنه قد قبض على الريّس ، بعد عودته إلى السويس ..

وجاء رد استانبول سريعا وحاسما : بأمر السلطان سليمان القانونى .. يدق عنق قائد البحرية المصرية الريّس ، وتصادر كل ثروته لصالح بيت المال ، وعلى ذلك أعدم فى ديوان مصر عام ٩٦٠

هـ ( = ١٥٥٣/١٥٥٢ م ) تقريبا يعنى ٩٦٠ هـ أو ٩٦١ هـ .

## ● الريّس بيرى : عالما جغرافيا

الريّس بيرى ، رائد من رواد رسم الخرائط في الأدب الجغرافى العثمانى .. وله فى هذا المضمار خريطتان هامتان ، الأولى لاسبانيا وغرب افريقيا والمحيط الأطلسى والسواحل الشرقية من الأمريكتين .. وهذه ، قدمها إلى السلطان سليم الأول فى مصر عام ١٥١٧ م ، وموجودة الآن فى متحف طوبقبو فى استانبول ( ٦٠ × ٨٥ سم ) . وعليها توقيع الريّس .

والأخرى لسواحل الأطلسى من جرونلاند إلى فلوريدا ( ٦٨ × ٦٩ سم ) وموجودة الآن فى متحف طوبقبو باستانبول أيضا ..

والجدير بالذكر أن الخريطة التى رسمها الريّس بيرى لامريكا ( الأولى المار ذكرها ) هى أقدم خريطة لها ..

فى ٢٦ أغسطس عام ١٩٥٦ عقدت فى جامعة جورج تاون بالولايات المتحدة الأمريكية ندوة إذاعية عن خرائط الريّس بيرى ، اتفق كل الجغرافيين المشتركين فيها بأن خرائط الريّس بيرى لامريكا : « اكتشاف خارق للعادة » .

وقد كان الريّس بيرى على معرفة بوجود أمريكا قبل اكتشافها ، ويقول فى كتاب البحرية : ( إن بحر المغرب ـ يقصد المحيط الأطلسى ـ بحر عظيم ، يمتد بعرض ٢٠٠٠ ميل تجاه الغرب من بوغاز سبته . وفى طرف هذا البحر العظيم توجد قارة هى قارة أنتيليا ) ..

وتعبيره ( قارة انتيليا ) هى الدنيا الجديدة أو أمريكا .. وقد كتب الريّس أن هذه القارة اكتشفت عام ٨٧٠ هـ ( ١٤٦٥ م ) أى قبل اكتشاف كولومبس لامريكا بحوالى ٢٧ سنة ..

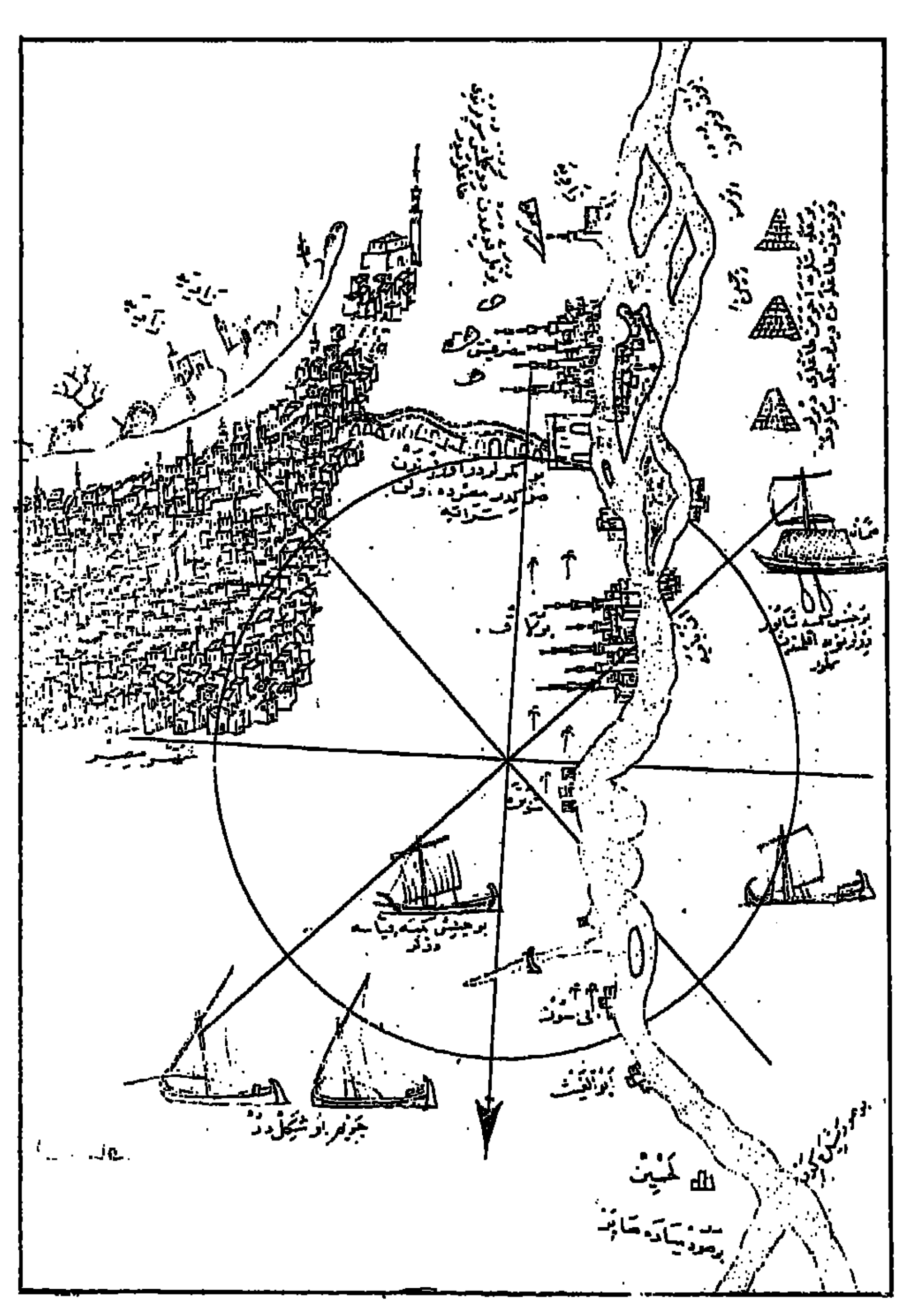
ولابد أن نلفت النظر هنا إلى أن رود ريكو ـ خادم الريّس كمال عم بيرى والذى أعيرت خدماته لكريستوفر كولومبس وهو صاحبه فى رحلته المشهورة . وقف يتوسط بين كولومبس وبين بحارته الذين ارادوا الأعتداء عليه بعد اليأس الذى أصابهم من البحث عن أمريكا ، قال رودجر هذا ـ وقتها : ( لابد أن تكون فى هذه المياه أرض ، لأنى تعلمت هذا فى استانبول ومن الكتب البحرية العثمانية . وأثق اننا لابد أن نصل هنا إلى الأرض التى نبحث عنها ، ذلك لأن البحارة العثمانيين لا يقدمون معلومات خاطئة ، وهم لايكذبون ، وبعد ثلاثة ايام من هذا الحديث عثروا على الأرض وكانت أمريكا ..

## ● كتاب البحرية : تصنيف الريّس بيرى

كتب الريّس بيرى ، كتاب البحرية ، عام ١٥٢١ م ، ثم وسعه وأضاف اليه حتى عام ١٥٢٥ م فقدمه للسلطان سليمان القانونى . وهو كتاب كما وصفه كراتشكوفسكى ) ( يمثل فى أساسه أطلسا ملاحيا ، إلا أنه كان يستهدف أن يكون دليلا للملاحة الشراعية فى بحر

ايجه والبحر الأبيض المتوسط ، وأن يخدم فى نفس الوقت كمرشد فى معرفة المواضع المبينة على الخارطات .. ولهذا السبب ، فإن الريّس بيرى يقدم وصفا مفصلا بما فيه الكفاية لجميع السواحل مع بيان التيارات والشعب والمراسى والخلجان والمرافىء ومنابع المياه العذبة والمواضع المحصنة والقلاع والمبانى والخرائب .. كما يتعرض خلال ذلك للحديث عن الجغرافيا السياسية والوضع الأدارى للأماكن المختلفة ..

وأن البحوث الأثرية قد أثبتت أن بيرى رئيس ، محل للثقة ، فمن بين جميع التفاصيل التى يوردها ، لا توجد واحدة



**خريطة للقاهرة فى القرن ١٦ م فى كتاب البحرية للرئيس بيرى**

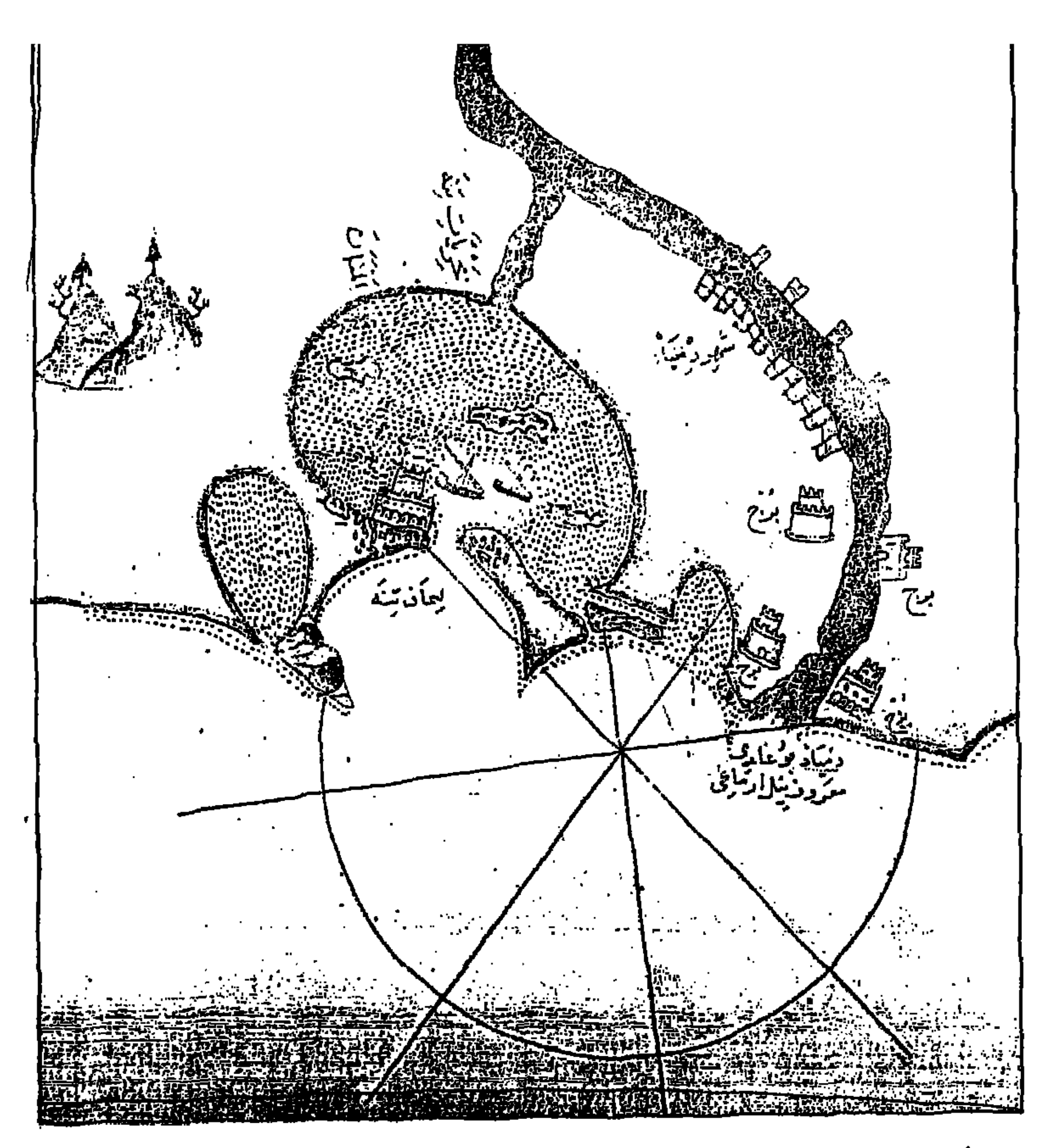
منها قط ، لم تدعمها البحوث المعاصرة ) .

لقد أحدث كتاب البحرية للريس بيرى ، صيتا واسعاً فى الأدب الجغرافى ، وهذا الكتاب يحمل تجربة ثلاثين عاما تقريبا من المران العملى فى الشئون البحرية ، والاطلاع الواسع على الآداب الجغرافية العربية والغربية .. وخرج أصيلا بحيث تردد صدى ذلك فيما تميز به الريّس بيرى من نضج واكتمال ..

**الريّس بيرى يتحدث عن اهمية ميناء دمياط**

لقد آثار كتاب البحرية هذا بصفحاته الـ ( ٧٤٣ ) والذى وضع اسم الريّس بيرى بين أسماء أعظم الجغرافيين فى التاريخ ، أثار بما فيه من معلومات وخرائط دقيقة ، دهشة المعاصرين من علماء الجغرافيا فى امريكا وأوربا ، معلومات وخرائط اثبت العلم المعاصر صحتها ..

فى مدح الريّس بيرى عالما جغرافيا وبحريا قديرا ، اشترك كل من الخرائطى الأمريكى ارلنجتون هـ . ماللرى ، وكذلك والترز المتخصص فى الخرائط فى أسطول الولايات المتحدة الأمريكية ، والراهب الجزويتى لاين هام مدير مركز الأرصاد فى ويستون . وهذا الأخير ، أنقل من أقواله هنا ، هذه العبارة : ( خرائط الريّس بيرى صحيحة بدرجة مذهلة للعقل ، خاصة أنها تظهر بوضوح أماكن لم تكن قد اكتشفت حتى أيامه فى القرن السادس عشر الميلادى .. ان الجانب المذهل فى مكانة بيرى ، هو رسمه لجبال انتاركتيكا بتفاصيلها فيما رسمه من خرائط ، مع أن هذه الجبال ، لم يكن أحد قد تمكن من اكتشافها إلا فى عام ١٩٥٢ م أى فى أول النصف الثانى من القرن العشرين ، وكيف ؟ بعد استخدام الأجهزة المتقدمة العاكسة للصوت ، أما قبل القائد العثمانى الريّس بيرى ، يعنى حتى القرن السادس عشر الميلادى ، لم يكن أحد يعرف أن أنتاركتيكا موجودة ، إذ كانت مغطاة بالجليد طوال عصور التاريخ ) .



رسم لميناء دمياط رسم الريّس بيرى خريطته قبل ٤٦٦ سنة

والمعروف أن أنتاركتيكا هى القارة السادسة والواقعة فى نصف الكرة الأرضية الجنوبى ..

لم يقتصر الذهول على الراهب لين هام فقط ، بل تعداه إلى كثير من العلماء والكتاب .

وها هو اريك فون دانكين ، مؤلف عربات الآلهة ينقل عن العلماء ويقول ..

انه بمقارنة صور الأرض التى تم التقاطها من مركبات الفضاء ( فى القرن العشرين طبعا ) بالخرائط التى رسمها القائد البحرى العثمانى الريّس بيرى فى البدايات المبكرة للقرن السادس عشر ، اتضح التشابه المذهل بين صور مركبات الفضاء وبين خرائط بيرى ) .

● مصر فى كتاب البحرية

يحتل وصف مصر وسواحلها معلومات وخرائط من صفحة ٦٩٢ وإلى صفحة ٧٢٢ من مخطوط مكتبة أيا صوفيا رقم ٢٦١٢ ، بالطبع فى كتاب البحرية للريّس بيرى . والجدير بالإشارة هنا أن قام ضابطان بحريان تركيان هما حيدر الباقوط ، وفوزى كورت أوغلو ، بتصوير

هذه النسخة المخطوطة من أيا صوفيا وعمل مقدمة وفهارس وبذلا في ذلك جهدا رائعا وقدما ذلك إلى المجمع التاريخي التركي عام ١٩٣٥ م ، وقام المجمع بنشر المخطوط بهذا الشكل . وصفحات مخطوط كتاب البحرية في ايا صوفيا يبلغ ٨٥٨ صفحة ( وليس ورقة ) بما في ذلك خرائطه . ونسخة ايا صوفيا هذه قد أهداها السلطان محمود الأول وأوقفها على مكتبة جامع ايا صوفيا ، الحديثة الانشاء في عهده ، وهي أكمل النسخ المخطوطة من كتاب البحرية ، وهي نسخ تبلغ ٢٩ نسخة ، وقام الضابط البحري التركي ياووز سنلم أوغلو بترجمة الكتاب إلى اللغة التركية وظهرت على جزءين ١٨ ، ١٩ من سلسلة الألف كتاب وكتاب التي تصدرها دار ترجمان للنشر في تركيا ..

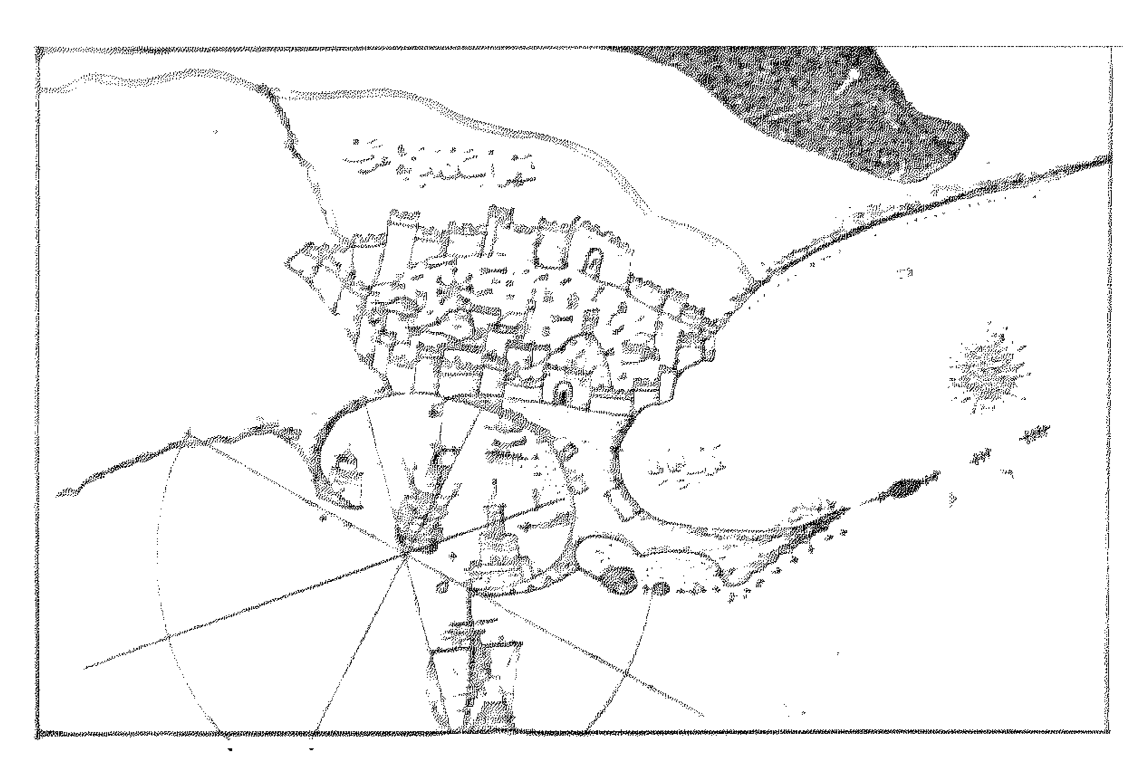
يبدأ الريّس بوصف السواحل المصرية بدقة بالغة من شواطىء السلوم ، وينتهي من وصفه لها عند غزة .. وبالتالي يتحدث في اقسام خاصة عن كل مكان على حده : رأس السلوم - ميناء مطروح جزيرة درك ( جزيرة الصرّى ) - مدينة الاسكندرية - ميناء ابى قير - شواطىء نهر النيل - سواحل رشيد - البرلس - شواطىء دمياط - سواحل تينه ..

وعن السلوم يقول كتاب البحرية - فيما يقوله - إنها رأس مرتفع يمتد نحو البحر - يجتازه الحجاج المغاربة عندما يتجهون برّا إلى مصر والاسكندرية . وهو طريق مشهور ذو مرتفعات ومنخفضات ، لذلك أطلقوا عليه اسم السلوم . والسلوم تعني السلّم أو السلالم .. ثم يتحدث الريّس عن الرياح التي تهب على السلوم ، ويتحدث عن الموانىء التي تحيط بها ، والأراضي الزيتونية المجاورة لها ، وعن مكان فيها للسفن الصغيرة تحتمي فيه ..

وعن مطروح يقول - فيما يقول - انها ميناء واسع ، ضد رياح الشمال وهي الريح التي تهب بين مطلع الشمس والشمال اى الجهة المقابلة للجنوب .. يسميها الأجانب بورتو دلبارتون ..

ويقول إنه يمكن التوجه إلى الميناء ، بالأتجاه نحو القبلة ، ذلك لأن جانب النجوم ، ضحل وهناك في الجهة الجنوبية الشرقية من الميناء بمسافة ثلاثين ميلا : رأس الكنايس . وفي الجهة الجنوبية الشرقية من رأس الكنايس على بعد ٧٠ ميلا يوجد بورتو دلقارسه ، ويطلق العرب عليها : مقطع الروح .. ويقطعون من هنا ، حجارة الطواحين ، وتحملها مراكب تأتي من الاسكندرية .

أما عن الاسكندرية ، فيبدأ المصنف حديثه عنها باشارة الى تاريخها القديم ، والى أن « الاسكندر ذا القرنين » عندما وصل الى هذه المدينة ، لم تكن الا مكانا مهجورا خربا .. ثم يقول الريس إن بعض الصحابة جاءوا الى هذه المدينة ، واقاموا فيها ، وماتوا فيها . لذلك اطلق الناس على مدينة الاسكندرية لقب ملجأ الأولياء .. يمتد سورها وبرجها الى مسافة ثمانية أميال وهما (في وقته) مهجوران .. ثم يصف المصنف أماكن رسو السفن ، والموانىء ، والأماكن المحيطة بالميناء ، والرياح التي تهب عليها .. ويحدد



**ميناء الاسكندرية ( القرن ١٦ م ) من كتاب البحرية للريس بيرى**

المسافات بينها وبين ما يجاورها من أماكن ، ويصف الطريق الساحلى بينها وبين أبى قير ..

ويبدأ حديثه عن أن أبى قير بقوله : « ميناء جميل للغاية ، واسع وطبيعى ..

وهناك أبراج أمام الميناء ، وعلى بعد أربعة أميال منه جزيرة وهناك بوغازان بين الجزيرة والبرج .. ويسرد المعلومات الجغرافية والبحرية بدقة كما هى عادته فى كل فصل ..

وعن نهر النيل يقول الريس بيرى مادحا : (كل مكان فى نهر النيل ميناء) .. و (يفيض نهر النيل فى أغسطس من كل عام ، وسبب ذلك أن النيل يبدأ عند خط الاستواء ، وعندما يكون هناك شتاء يكون هنا صيف .. لذلك يفيض النيل صيفا وفى أغسطس ..) و(كما أنى فصلت القول تفصيلا عن كل مكان رأيته فى البحر الأبيض المتوسط ، فلابد ان اسجل هنا كل مكان رأيته .. من نهر النيل .. لقد سجلت بالبوصلة ، كل مكان من مصبى نهر النيل يوصل الى القاهرة . وهى بمقدار ٥٠٠ ميل من سواحل البحر حتى القاهرة) ..

وفى الفصل الخاص برشيد (ويكتبها رشيت) تشبه ، من البحر ، شراع مركب النقل لذا يبدو مربعا ، وعندما تأتى سفن النقل الكبيرة بقصد التجارة ، تسرع المراكب الصغيرة من الداخل الى الذهاب اليها وتتولى حمولتها ، ثم تدخل مركب النقل بعد ذلك الى الداخل .. وتقع مدينة رشيد بعد برجها بثلاثة أميال ..

وعن ميناء دمياط ، يفصل الريس بيرى الحديث عن موقعه وعن خيرات دمياط .. وعن رياحها ، والمسجدين اللذين يظهران فى أول النيل ، وعلى بعد ستة أميال من بوغاز دمياط إلى الجنوب الشرقى يقع رأس الطير وهو رأس بحرى ومُكان جيد للرسو البحرى ، وعلى بعد منه حوالى ستة أميال نجد مصب تينه ، وميناء تينه ، وفيه يصطاد العرب السمك بالعصىّ ، وبين تينه وغزة ، تقع قرية العريش ..

# شوامخ وطرائف

# فى الذكرى الخامسة والخمسين لأمير الشعراء

# هكذا فشل شوقى فى المعارضات

بقلم : كمال النجمى

**[ فى الرابع عشر من اكتوبر الحالى تمر الذكرى الخامسة والخمسون لأمير الشعراء أحمد شوقى .. و "الهلال" يحيى ذكراه بهذه المقالة ] .**

نبدأ بطرفة من نقد الشعر وتذوقه عند أسلافنا الكرام الذين كانوا فى الشعر أرقى الناس بصرا بأسراره ، وألطفهم تذوقا لبدائعه ، وأنطقهم باستحسان الشعر الحسن ، واستهجان الشعر الردىء ! ..

في مرثية أبى الطيب المتنبى لوالدة سيف الدولة ، بيتان ختم بهما القصيدة مادحاً إياه :

**رأيتُكَ فى الذين أرى ملوكاً**
**كأنك مستقيمٌ فى مُحالِ**
**فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهمْ**
**فِإنَّ المسكَ بعضُ دَمِ الغزالِ**

قال أبو الحسن محمد بن أحمد الشاعر : كان الأمير سيف الدولة يسره من يحفظ شعر المتنبى فى مدحه ، فأنشدتُ الأمير يوما فى مجلسه هذين البيتين وأبو الطيب المتنبى حاضر ، ثم قلت : "هذان البيتان اخترعهما أبو الطيب اختراعا ، لم يسبقه إلى معناهما أحد " .. فقال سيف الدولة :

ـ كذا حدثنى الثقات من أهل العلم ..

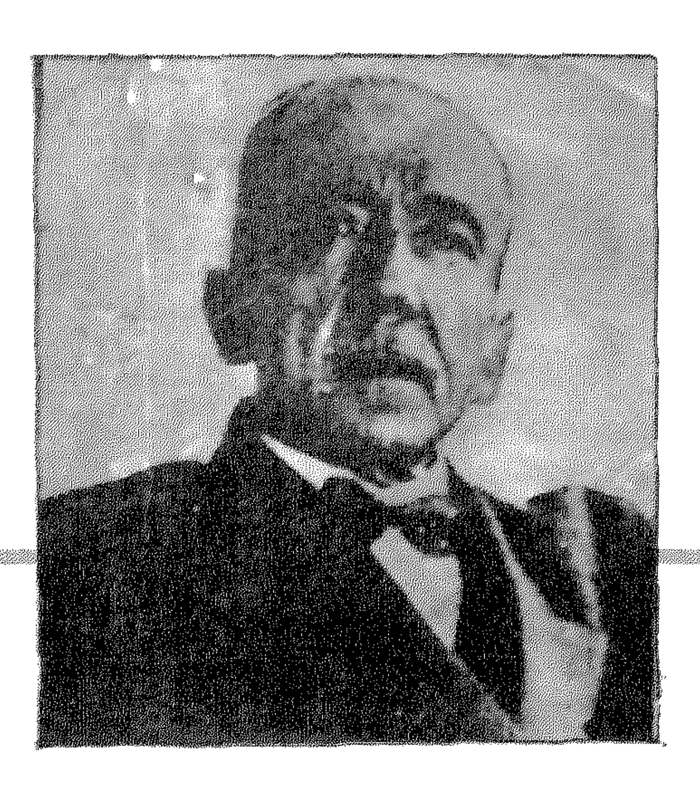
فاهتز المتنبى إعجابا بنفسه ، وكان واقفا فقعد ، استزادة من ثنائى عليه ، فأردت أن أعابثه فقلت :

ـ إلا أن فى البيت الأول عيبا ...

فالتفت المتنبى حانقا ، وسألنى متحديا :

ـ ماهو ؟! ..

قلت :



احمد شوقى
امير الشعراء

ـ قولك : "مستقيم فى مجال" .. والمحال ليس ضد الاستقامة ، وإنما ضدها الاعوجاج ! .. ولو قلت هذه الكلمة لوجب أن تكون قصيدتك على قافية الجيم لاقافية اللام ، فتقول : "كأنك مستقيم فى اعوجاج" ! ..

فأراد سيف الدولة مداراة المتنبى ـ وكان غضوبا ـ فوجه الكلام وجهة أخرى ، فسألنى متفكها :

ـ هب القصيدة جيمية القافية وليست لامية ، فكيف تعمل فى تغيير قول أبى الطيب : "فإن المسك بعض دم الغزال" من قافية اللام إلى قافية الجيم ؟! ..

فأجبت من فورى :

ـ فإن البيض بعض دم الدجاج !..

فضحك سيف الدولة حتى ضرب الأرض بيده وقال لى : هذا حسن مع سرعة بديهتك ، إلا أنه يصلح أن يُباع فى سوق الطيور ولا يصلح لمدح أمثالنا يا أبا الحسن ! ..

ونظرت فإذا المتنبى لايضحك ولا يلتفت نحوى من فرط استخفافه بفكاهتى وسرعة بديهتى فيها !..

● **انتهت قصة أبى الحسن ، بشىء من التصرف فى كلامها ! ..**

ولم يكن جادا فى نقده لكلمة "مستقيم" فى موضعها ذاك ، فإن العرب إذا قالت : "استقام الأمر" .. فمعناه : أمكن الأمر ، أو صار ممكنا .. فيكون المعنى الذى أراده المتنبى : "كأنك ممكن فى محال .. أو فى مستحيل" .. ولا شأن لهذا بهندسة الاستقامة والاعوجاج لأن أبا الطيب أراد المعنى الشعرى لا المصطلح الهندسى ، ولم يفارق فى ذلك لغة العرب ! ..

ولولا صبر المتنبى لقام فكسر على رأس أبى الحسن بيض الدجاج الذى جاء به فى تلك الفكاهة ! ..

فى هذه القصيدة يصف المتنبى كيف فاجأ الحزن جوارى والدة سيف الدولة ، إذ ماتت بين أيديهن ، وكن غافلات عن تقلبات الزمان لطول عيشهن مع سيدتهن هذه فى الترف والنعيم .. قال :

**اتتهن المصيبة غافلاتٍ**
**فدمعُ الحزن فى دمع الدلال**

وقد أجمع النقاد قديما على علو طبقة هذه الصورة المخترعة فى هذا البيت ، حتى قال أبو البقاء العكبرى اللغوى النحوى العلامة ، شارح ديوان المتنبى : "هذا من أبدع المعانى ، ولو لم يكن للمتنبى فى ديوانه إلا هذا البيت لكفاه" !

وشرح العكبرى البيت فقال : "أتتهن المصيبة على غفلة ، فَبَيْنَا هُنَّ يبكين دلالا ، بكين حزنا ، فاختلط الدمعان ، فهن يبدين الدلال مع الحزن ، والذلة مع الحسن" ! ..

● قلت : حاول الشعراء فى ألف سنة تقليد هذا البيت ، فلم يأتوا بشىء .. وكان أحمد شوقى أمير شعراء عصرنا يحاول الإلمام به فى بعض شعره ، فلا يقارب الإصابة ، حتى قال فى رثائه للخلافة العثمانية حين ألغاها مصطفى كمال "أتاتورك" سنة ١٩٢٤ :

**شُيِّعْتِ مِنْ هَلَعٍ بعبرةِ ضاحكٍ**
**فى كُل ناحيةٍ وَسَكْرَةِ صَاحِى**

فنظر الى بيت المتنبى ، وجاء ببيت جيد ، لا يعيبه أنه مستولد من بيت المتنبى ، وقد ابتعد كل منهما عن مجال الآخر ، وإن كان البيتان كلاهما فى معنى من معانى الرثاء ..

وحين خلع ضباط الاتحاد والترقى الخليفة العثمانى عبدالحميد الثانى سنة ١٩٠٩ كان لشوقى إلمامة عابرة ببيت المتنبى فقال يصف جوارى السلطان عبدالحميد وقد فوجئن بخلعه :

**العاثراتُ من الدلال**
**الناهضاتُ من الغرور**

هذا البيت يبدو بعيدا عن بيت المتنبى ، لكنك إذا تأملته وجدت شوقى قد أقامه على كلمة "الدلال" وعارضها بكلمة "الغرور" يقصد "الغفلة" .. فالجوارى هنا بين الدلال والغفلة عن تصاريف القدر ، تماما كجوارى والدة سيف الدولة اللاتى فوجئن بموتها كما فوجئت جوارى السلطان عبدالحميد بخلعه ! ..

ولشوقى طريقة فى التقاط المعانى من بعيد ، بحيث يخفى أصلها على من لا يتأمل أو يدقق ! ..

إلا أن شوقى أبدع فى وصف حال جوارى عبدِالحميد بأبيات لم يسبقه إليها شاعر .. وقصارى ماقاله البحترى فى جوارى الخليفة المتوكل العباسى بعد قتله وتفريق جواريه على قواد جيشه :

**ولم أنْسَ وحش القصر اذ رِيع سِرْبُهُ**
**وإذ ذُعِرَتْ أطلاؤه وجآذِرُهْ**

ووحش القصر هن جوارى القصر ، شبههن البحترى ـ على عادة الشعراء قديما ـ بالبقر الوحشى لاتساع عيونهن وجمالها ، ورشاقة أجسامهن ..

ولا يفى هذا البيت المفرد ولو بصورة واحدة من الصور التى أبدعها شوقى وصفا للحال التى صارت إليها جوارى السلطان عبدالحميد .. ولولا خوف الإطالة لجئنا هنا بهذه الابيات ! ..

كذلك "دم الغزال" .. كان للشعراء على طول السنين محاولات فى تقليده ، فلم يوفقوا حتى جاء شوقى بقصيدته التى مطلعها :

**حياة مانريد لها زيالا**
**ودنيا لا نود لها انتقالا**

فوصف فيها كيف زاره ليلا أحد المجاهدين السوريين القدماء الذين قاوموا الاحتلال الفرنسى . ليسلمه رسالة من زملائه فى سوريا .. وشوقى ليلتئذ وسط زحام حفل كبير أقامه فى داره "كرمة ابن هانىء" تكريما للوفود العربية التى توجته أميرا للشعراء سنة ١٩٢٧ .

طالع شوقى رسالة المجاهدين أو المحاربين القدماء الذين يمتلىء شعره بمدحهم ، فإذا هم قد كتبوا أسماءهم عليها بدمائهم لا بالمداد ، إعزازا للشاعر الذى تغنى بجهادهم ! ..

قال يصف ذلك :

**ذكرت المهرجان وقد تجلّى**
**ووفد المشرقين وقد توالى**
**ودارى بين أعراس القوافى**
**وقد جُليت سماء لا تُعالى**
**تسلل فى الزحام إلىّ نضوٌ**
**من الأحرار تحسبه خيالا**
**رسول الصابرين ألَمَّ وَهْناً**
**وبلغنى التحية والسؤالا**
**دنا منى فناولنى كتاباً**
**أحسّت راحتاى له جلالا**
**وجدت دم الاسود عليه مسكا**
**وكان الأصل فى المسك الغزالا**

فطاف شوقى فى البيت الاخير من هذه الأبيات ، باللفظ والمعنى فى بيت المتنبى

ولكنه لم يأخذ منه إلا "المسك" و "الغزال" ثم وجه المعنى إلى رسالة المجاهدين المكتوبة بدمائهم الزكية فجعل المسك من دم الأسد لامن دم الغزال ، فأبدع فى خلق هذا المعنى الجديد من المعنى القديم ، ولعل بيت المتنبى لم يكتمل فى ديوان الشعر العربى إلا ببيت شوقى الذى جمع إلى التصوير الجديد ، رشاقة فى التعبير ، وايماءة لطيفة الى بيت المتنبى ! ..

وقصيدة شوقى هذه التى يصف فى بعض أبياتها بطولة الشهيد يوسف العظمة ومصرعه فى معركة ميسلون الخالدة التى تصدى فيها مع نفر قليل من صحبه للجيش الفرنسى ، هى ـ بلا مراء ـ إحدى فرائد الشعر العربى الكلاسيكى الحديث ، وقد غمطها القراء والنقاد حقها كأنهم لم يقرأوها ، وما أكثر ما أضاع النقاد والقراء !! ..

ولا أتذكر الآن من الذى قال من أدباء الجيل الماضى إن شوقى كان يعارض أبا تمام والبحترى فلا يقصر عنهما، وقد يتفوق عليهما ، فإذا عارض المتنبى بان تقصير شوقى بإزاء شاعر العربية الأكبر ! ..

لست من هذا الرأى ، فإن شوقى عارض أبا تمام فى بائيته المشهورة التى خلد بها انتصار "المعتصمُ فى وقعة "عمورية" ومطلعها :

**السيف أصدق أنباء من الكتب**

**فى حده الحد بين الجد واللعب**

فقال شوقى بائيته التى يمدح بها مصطفى كمال حين هزم اليونانيين فى حرب الاستقلال التى خاضها الأتراك بقيادته وانتصروا سنة ١٩٢٢ ومطلع هذه القصيدة :

**الله أكبر كم فى الفتح من عجب**

**ياخالد الترك جدد خالد العرب**

والفرق واضح بين "الاصل" وهو كلام أبى تمام الذى اخترعه اختراعا ، وبين كلام شوقى الذى لم يكن الا جريا فى طريق أبى تمام ، ولا نقول فى غبار أبى تمام ، لأن قصيدة شوقى ـ فى ذاتها ـ من أجود الشعر ، ولا يضائل من قدرها إلا الموازنة بينها وبين قصيدة أبى تمام الفريدة فى بابها .. وقد اختلف مجال القول بين هذين الشاعرين فى عصرين متباعدين ، وحادثين مختلفين ، وليس فى الوسع أن يكون كلام القرن الرابع عشر الهجرى ككلام القرن الثالث ، فالزمان لا يتوقف ، والجديد ـ ولو كان أقل جودة ـ يحل محل القديم وإن كان لا يلغيه ولا يجحده .

وعارض شوقى سينية البحترى الرائعة :

**صنت نفسى عما يدنس نفسى**

**وترفعت عن جدا كل جبس**

فنظم شوقى ـ باجتهاد شديد ـ قصيدته التى أولها :

**اختلاف النهار والليل ينسى**

**اذكرا لى الصبا وأيام أُنسْى**

ولو حذف بعض أبيات قصيدته هذه لسترها وأعلي قدرها عند موازنتها بقصيدة البحترى .. مثال ذلك قول شوقى :

**ومكان الكتاب تغريك ريا**

**ورده غائبا فتدنو للمس**

فهذا مسخ لقول البحترى :

**يغتلى فيهم ارتيابى حتى**

**تتقراهم يداى بلمس**

ولعل شوقى أراد أن يأتى ببيت القصيد ، كما جاء البحترى به حين قال :

**والمنايا مواثل وانو شروان**

**يزجي الصفوف تحت الدرفس**

فقال شوقى :

**وعلى الجمعة الجلالة والنا**

**صر ، نور الخميس تحت الدرفس**

فهذه غارة شنها شوقى علي اللفظ والمعنى ، وإن كان قد جعل الحرب ، صلاة . واستبدل بكسرى أنوشروان ، الخليفة الأموى فى الأندلس ! ..

هكذا كان شوقى يقصر ويتخلف عندما يعارض أبا تمام والبحترى ، ولم يكن يتفوق عليهما كما ادعى من ادعى ، وكان تقصيره فى معارضة الشاعرين لا يقل عن تقصيره فى معارضة المتنبى ..

بل إن شوقى كان ينتابه التقصير حتى فى معارضاته لمن هم أقل طبقة فى الشعر من أبى تمام والبحترى والمتنبى ..

ومن منا لم يسمع معارضة شوقى لقصيدة الحصرى القيروانى : "ياليل الصب متى غده" .. فأين معارضة شوقى بإزاء هذه القصيدة الأندلسية التي تغنت بها الأجيال فى المغرب والمشرق ؟!

○ معارضة ليل الصب ○

فليل الحصرى هو "ليل الصب" .. أو ليل المحب المدنف الذى يتعجل الصباح ويراه بعيدا أو مجهول الموعد كقيام الساعة .. أما ليل شوقى فهو ليل المضنى الذى جفاه مرقده ، فهو راقد وليس ساهراً كالصب عند الحصرى ، ومع ذلك بكى على هذا الراقد المترف زائروه أو عائدوه وترحموا عليه كأنه ميت ، فياله من افتعال فى تصوير هذا العاشق الراقد فى فراشه بكامل صحته لا ينقصه إلا أن يغمض جفنيه وينام حتى توقظه ضجة الصباح :

**مُضْنَاكَ جَفَاهُ مرقدُه**

**وبكاه وَرَحمَّ عوَّده !..**

لقد نشط شوقى إلى معارضة "ياليل الصب" حين دعاه إلى ذلك اسماعيل صبرى

باشا ـ شيخ الشعراء كما كانوا يسمونه فى وقته ـ فرأى شوقى ألا يدع لاسماعيل صبرى فخر الانفراد بهذه المعارضة .. ثم اندفع بعض شعراء وشعارير عصر شوقى فعارضوا "ليل الصب" بما قدروا عليه من الكلام المنظوم الغارق فى نكت البديع وألاعيب الألفاظ .. ومن ذلك قول اسماعيل صبرى :

**أقريبُ من دنف غده**

**فالليل تمرد أَسْوَدُهُ**

**والتفت تحت عجاجته**

**بيض فى الحى تؤيده**

فهذه بداية حرب وقتال ، لا بداية غزل أو نسيب ، والليل هنا جيش من العساكر السود قد أثاروا بخيلهم العجاجة أو التراب ، وأقبل جيش آخر من العسكر البيض فانضم إلى جيش السود ! .. ولم يبق بعد ذلك إلا أن ينفخ الشاعر فى الصور ، ويقيم القيامة ، ويبعث الموتى من أجداثهم .. وكل ذلك من أجل ذلك "الدنف" الذى يسأل : أقريب غده أم بعيد ؟! ..

وغزليات شوقى التى نظمها معارضة للشعراء القدماء ، هى أقل شعره حظا من الجودة ، وهى متخلفة فى الإحساس والصدق والنبض الشعرى عن الأشعار الغزلية التى عارضها .. فأين هو من ابن زيدون الذى قال :

**ودع الصبر محب ودعك**

**ذائع من سره ما استودعك**

**يقرع السن على أن لم يكن**

**زاد فى تلك الخطى اذ شيعك**

عارضه شوقى فقال :

**ردت الروح على المضنى معك**

**أحسن الأيام يوم أرجعك**

**مر من بعدك ماروعنى**

**أترى ياحلو بعدى روعك**

خالف عن ابن زيدون فى موقفه الشعرى ، فابن زيدون يودع ، وشوقى يستقبل .. ولكنه لم يجد فى موقف الوصال بعد الوداع إلا هذا السؤال يردده على مسامع حبيبه : أترى ياحلو بعدى روعك ؟! .. فهبط قارىء الشعر من سماء ابن زيدون إلى مقهى "صولت" فى القاهرة حيث كان شوقى يقضى أمسياته يتسلى أحيانا بنحو من هذه "الدردشة" الشعرية ، أو قريب من نحوها ..

وابن النبيه الشاعر الأيوبى أقل شاعرية من شوقى ، ولابن النبيه أبيات غزلية بديعة سمعناها غناء فى عصرنا هذا من ملحنها الشيخ أبى العلا محمد ، ثم من

أم كلثوم .. ومطلع هذه الأبيات الصادقة الشعور ، الحلوة التعبير :

**أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا**

**ملك الفؤاد فما عسى أن أصنعا**

عارضها شوقى فقال الأبيات التى أولها :

**تاتى الدلال سجية وتصنعا**

**وأراك فى حالى دلالك مبدعا ! ..**

فلم يأت شوقى إلا بدليل آخر على أنه قد دعا شاعريته إلى معارضة القدماء لغير داع ! ..

ويعرف قراء الشعر العربى قول أبى الطيب المتنبى فى الغزل :

**أتراها لكثرة العشاق**

**تحسب الدمع خلقة فى المآقى ؟! ..**

وهو بيت "يخرق العقول" كما يقال ، لفرط حسنه واختراع معناه !.. فقال شوقى يعارضه :

**جئننا بالشعور والأحداق**

**وقسمن الحظوظ فى العشاق**

فجعل المرأة الوحيدة المخصوصة بالحب من عاشق واحد على كثرة عشاقها ـ مجموعة من النساء ، أو جمعا غفيرا منهن ، جئن بخصلات شعرهن وأحداقهن أو عيونهن ، وانهمكن فى تقسيم ما فى أيديهن من هذه الأشياء الجميلة على العشاق المساكين الواقفين فى "طابور" جمعية الحب الاستهلاكية ! ..

ثم انتقل شوقى من المتنبى إلى عمر بن أبى ربيعة فى "قلت" و "قالت" .. وبهما اشتهر ابن أبى ربيعة فى أشعاره التى تتضمن حوارا مع حبائبه الكثيرات .. قال شوقى :

**ضربت موعدا فلما التقينا ..**

**جانبتنى تقول : فيم التلاقى ؟! ..**

**قلت : ماهكذا المواثيق ، قالت :**

**ليس للغانيات من ميثاق ! ..**

فكان الشطر الأخير من هذين البيتين حكمة جرت على لسان تلك الغانية التى مانطقت ولا قالت شيئا ، ولكن شوقى أنطقها نيابة عنه بالحكمة التى أرادها فكانت طعنا فى مواثيق الغانيات ، وعلى رأسهن غانيته العزيزة ! ..

## ● تقليد الحب

لم يكن شوقى ـ رحمه الله ـ عاشقا لأية امرأة ، فجاء الحب فى شعره معارضة أو تقليدا للحب فى دواوين القدماء .. وضاع من شاعريته شىء كثير فى كلام قليل ضئيل عن الحب والمرأة لم يأت به من وجدانه ، ولكن من دواوين القدماء التى هى بدورها حافلة بالحب الصناعى الكلامى الذى بينه وبين الحب الحقيقى من البعد الباعد مالا تقريب فيه ! ..

وكان ناشرو شعر شوقي قد حذفوا مدائحه للخديو عباس حلمى الثانى من ديوانه حين أعادوا طبعه فى عهد الملك فؤاد وابنه الملك فاروق ، ولم يبق الناشرون إلا على أبيات الغزل التى كان شوقي يفتتح بها هذه المدائح ، على عادة قدامى الشعراء ..

ولو عقل الناشرون لحذفوا من هذه القصائد غزلها قبل أن يحذفوا مديحها .. وإن كان الرأى الذى يراه حفظة الأدب قديمه وجديده ، أن تبقى دواوين الشعراء على أصولها ، بلا حذف ولا تعديل ، بما فيها ديوان ابى نواس ومايجرى مجراه !

ومن حسن الحظ أن الخديو عباس حلمى خلع عن كرسيه ، فتحرر شوقى من التغزل المفتعل فى مقدمة كل مدحة خديوية ! .. ثم نظم غزلا قليلا جيد الصياغة ، رائع القسمات فى مثل روعة التماثيل الاغريقية الواقفة فى صمتها منذ ألفى عام .. ذلك أن شوقى لم يستطع أن يبعث فى غزلياته الجديدة هذه أيضا مشاعر حقيقية .. ولعل أشعاره الزجلية التى نظمها للمطرب الملحن الكبير محمد عبدالوهاب ، هى الشعر الذى حمل بعض خوالج شوقى ، فكان فى غزله الزجلى أشعر منه كثيرا فى غزله الشعرى .. ولو كان لشوقى فى شعره الفصيح قصيدة واحدة مثل قصيدته الزجلية " فى الليل لما خلى إلا من الباكى " لكانت حسبه من شعر الوجدان !..

إن شوقى قد أجاد فى زجلياته لأنه عبر فيها عن نفسه ولم يعارض بها أحدا .

إن شوقى قد أجاد فى زجلياته لأنه عبر فيها عن نفسه ولم يعارض بها أحدا ، ولكن شوقى كان مصابا بعقدة نفسية تدفعه إلى معارضة القصائد الفرائد فى الشعر العربى ليثبت تفوقه على شعراء العربية جميعهم ، فاثبت فى هذا المضمار غير الذى أراد .. !

ولما نفاه الانجليز الى الاندلس « اسبانيا » خلال الحرب العالمية الأولى ، وجدها فرصة لمعارضة ابن زيدون الشاعر الاندلسى الكبير ، فقال شوقى قصيدته التى مطلعها :

**يانائحَ الطلحِ أشباهُ عوادينا**
**نشجىٰ لواديكَ أم نأسىٰ لوادينا ؟**

يعارض بها قصيدة ابن زيدون المشهورة :

**اضحى التنائى بديلًا من تدانينا**
**وَنَابَ عن طِيبِ لقيانا تجافينا**

ولعل معارضة شوقى هذه لابن زيدون هى أفضل محاولاته فى المعارضة الشعرية ، لأنه كان وقتها يشعر بفداحة الغربة عن الوطن ، ويحس احساسا صادقا باللوعة والحنين ، فضلا عما يرزح تحته من الظلم والطغيان الأجنبى ، والخوف من المستقبل المجهول ..

إلا أن الأصل يبقي دائما هو الأصل ، فابن زيدون هو الذى دق الناقوس الشعرى لشوقى ليمضى فى آثاره ، ويقول فى بحره وقافيته ، وينسج على منواله .. وقد استعار ماشاء من الفاظ ابن زيدون وقوافيه ، ولم يأخذ ابن زيدون منه شيئا بطبيعة الحال .. وحسبنا هذا من فارق بين الشاعرين فى هاتين القصيدتين ! ..

بل ان "شوقى" لم يستطع ان يثبت فى المعارضة لقصيدة البوصيرى التى مطلعها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذى سَلَم
مَزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

والبوصيرى ليس من كبار الشعراء كابى تمام والبحترى والمتنبى .. ولا هو كابن زيدون والحصرى .. ولكنه كان يبلغ الغاية فى مديحه النبوى ، لصدق عاطفته الدينية وغزارتها ، وانثيال المعانى عليه من كل اتجاه .. ولذلك قال بعضهم : "افضل المدائح النبوية ، البردة والهمزية" .. وكلاهما للبوصيرى ولم يكن شوقى كاذبا فى العاطفة الدينية ، ولكنه لم يبلغ شأو البوصيرى الذى كان المديح النبوى مثار عاطفته وشاعريته ، فيبلغ بقوة روحه من بلاغة الشعر ما لايبلغه كبار الشعراء .. فاذا قال فى غير المديح النبوى كان شاعرا عاديا كشعراء عصر الايوبيين او المماليك البحرية .. أو عصر العثمانيين .. إذا شئت ! ..

هكذا اذن .. لم يكن شوقى يعجز عن معارضة المتنبى وحده ، بل كان يعجز عن معارضة القصائد المختارة فى الشعر العربى كله بغض النظر عن حظ اصحابها من الشاعرية .. لأن المعارضة كانت تخرج شوقى من شاعريته الى تقليد شاعرية الآخرين وشعرهم ، فيفارق طبعه وسليقته وطريقته لينازل شاعرا سبقه الى روضة قطف ازهارها وثمارها ولم يترك له فيها الا ما لا خير فيه . فيدفعه ذلك الى التكلف ، كأنه يصنع لنفسه روضة من الأزهار الصناعية والاثمار البلاستيكية ..

الا ان شوقى كان فى غير "المعارضات" شاعر العربية الاكبر فى عصره ومن اشعر الشعراء فى جميع العصور وله من فاخر الشعر مابوأه منزلته فى الشعر ، وجمع له شعراء العربية فبايعوه بإمارتهم وفى مقدمتهم حافظ ابراهيم شاعر النيل يقول :

اميرَ القوافِى قد اتيتُ مبايعاً
وَهٰذِى وفودُ الشرقِ قد بايعتْ مَعِى

واكثر معارضات شوقى شعر جيد فى ذاته ، ولكن الشعر ليس مغالبة قصيدة بقصيدة ، ولا محو شعر قديم بشعر جديد ، ولاصراع ابطال فى حلبة رفع الاثقال ، كل بطل يتحدى الآخرين ان يرفعوا مايرفعه من قناطير الحديد التى تقصم الظهور ! ..

## زيف الواقع في أدب الجاسوسية

# جون إبلر أو حسين جعفر وأخطر فصلى الجاسوسية

### بقلم : صالح مرسى

**لست اعتقد ان هناك من كان اسعد منى ، للمساهمة التي يقوم بها الهلال حول هذا النوع الجديد ـ علينا ـ من الادب ، وهو ما نطلق عليه الان اسم ادب الجاسوسية وبالرغم من اعتراضى على التسمية فانى ارى ان الادب ادب مهما تنوعت مادته ، الجديد علينا الان فقط هو ان الجاسوسية كنوع من النشاط الانسانى اصبحت واحدة من ملامح العصر الحديث ، ومع التقدم المذهل فى الاليكترونيات وأساليب التصنت والرؤية ـ على السواء ـ اصبح التجسس غير مقصور على أجهزة المخابرات فقط بل اصبح عنصرا هاما من عناصر الصناعة الحديثة وليست هناك شركة او مؤسسة صناعية كبرى ليس فيها قسم كامل مهمته معرفة مدى التقدم فى الشركات الاخرى او الجديد فيها ، سواء أكان هذا فى صناعة الدواء او حتى صناعة الاعلاف او الصواريخ .**

وفى العددين الأخيرين من الهلال، كتب الاستاذان الدكتور الطاهر أحمد مكى ، ومحمود قاسم ، عن هذا النوع من الادب ، ولقد كنت سعيدا بالمقالين سعادة حقيقية .. اذ انهما اكدا وجود هذا النوع من الادب المحترم على مستوى العالم المتحضر كله .. واذا كان كلاهما قد ذكرنى بالخير فى مقاله ، ذاكرا جهدى المتواضع فى اقتحام هذا المجال الجديد من الادب .. فان ثمة حقائق قد غابت عنهما ، بصفتهما ناقدين أدبيين .. ومن اهم هذه الحقائق ، ما جاء فى مقال الاستاذ محمود قاسم ، الذى اشهد له بمعرفة موسوعية عن هذا النوع من الادب .

ففى حديث الاستاذ قاسم عن الكاتب الانجليزى « كن فوليت » جاء ذكر روايته التى صدرت عام ١٩٨١ تحت اسم « الاسم الكودى : ربيكا» .. متحدثا عن الاصل الذى استقى منه هذا الكاتب قصته الاخيرة .. وهى قصة الجاسوس الالمانى « جون ابلر »

وهنا ، يجدر بنا أن نتوقف قليلا امام حقيقة مهمة !

هذه الحقيقة التى تقول ـ انه ليس هناك كاتب يكتب بدون دوافع ، بمعنى أن السيد فوليت الانجليزى ، لا يمكن أن يكتب ممجدا عملا اسرائيليا دون أن يكون من وراء ما يكتبه دافع،سواء أكان هذا الدافع ماديا ، أم معنويا ،أو حتى دافع مبدئى.. وهو ايمانه بقضية اسرائيل مثلا !!.. وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله اطلق عليه الاستاذ قاسم : الوجه الكئيب للوجه المصرى المشرف الذى هو كاتب هذه السطور .

ولابد أن الأستاذ قاسم قد استقصى معلوماته عن « جون ابلر » هذا ، من الرواية نفسها ، او من أحداثها ... وهذا خطأ لا يجب أن يقع فيه ناقـــد ودارس جاد وميشي كالاستاذ قاســـم .. ذلك أن تزييف الواقع ، أو بمعنى علمي ، افساده .. لا يأتي عبثا ، انما يوضع - ربما - في أحد العـــوامل العلمية او الفكرية ، في جهـــــاز مخابرات ما .

وهذا هو ما حدث في رواية الاسم الكودي : ربيكا » .

أما الواقع الحقيقي الذي حدث ، فيختلف اختلافا شديدا ، وربما جذريا ، عن هذا الذي وضعه فوليت في روايته - التي لم اقرأها بكل أسف - عمدا .. وربما جاء هذا التزييف أو الافساد ، لاخفاء دور الوكالة اليهوديـة ، والتي كان لها مقر في القاهرة ، وتعاونها مع كل اجهزة المخابرات في العالم لمصلحتها الخاصة ، والتي كانت عبارة عن جهاز مخابرات قائم بذاته له أسلوبه الخاص !

ولقد كان جون ابلر هذا طفلا لابوين المانيين يعيشان في الاسكندرية ، ولقد مات الاب فتزوجت الام من رجل مصري فاضل هو المستشار « صالح جعفر » ، الذي تبنى الطفل « جون » وأطلق عليه اسم « حسين جعفر » وعلمه الدين الاسلامي ، واصطحبه معه الى الاراضي الحجازية ، وهو لا يزال صبيا ، كي يؤدي فريضة الحج !

هكذا نشأ حسين جعفر في مصر ، يجيد الالمانية اجادة تامة ، كما يجيد العربية باللهجة المصرية كأحد ابنائها!

غير أن ما فعله المستشار صـــالح جعفر بكل أسف لم يأت بنتيجة ، ففي أحد أسفار الشاب حسين جعفـــر الى بيروت ، التقطته هناك احدى فتيات المخابرات الالمانية ، وحققت له اتصالا مع واحد من رجال النازى المشهود لهم بالبراعة .. ولم يقاوم حسين جعفـــر طويلا ، وسرعان ما اصطحبه الرجـــل الى تركيا ، ومن تركيا سافر سرا الى المانيا حيث تدرب على التجســـس ، وحددت له مهمتـــه في القاهرة وهى التجسس على الحلفاء ومعرفة خططهم بالنسبة لحرب الصحراء خاصـــة .. وكان زميل حسين ، أو جون ابلر ، في هذه المهمة ، شـــاب المانى يدعى « فولكاستر » ، كانت مهمته بث الرسائل باللاسلكي ، الى محطة اقيمت خصيصا في الصحراء الغربية ، لاســـتقبال رسائلهما .

وعندما أصبح ابلر جاهزا تمـــاما لمهمته ، التقى بالفوهرر - او الزعيم - أودلف هتلر ، ولم يدم اللقاء اكثر من دقيقة ونصف ، ذكره هتلر فيهــــا أن دماءه المانية خالصة ، وان عليــــه أن يقوم بالمهمة على الوجه الاكمل ، وان الفيلد ماريشال روميل ينتظر مساعدته واجابته على كل الاسئلة التى ستطرح عليه !

ولم يدخل ابلر الى مصر بالطـــريق الطبيعي .. بل دخلها عن طـــــريق الواحات ثم أسيوط ، ثم القاهـــرة ،

ووصل ابلر الى القاهرة .. وصل كحسين جعفر ، واتصل أول ما اتصل بصديقة له كانت تعمل كراقصة ، هى « حكمت فهمي » .. التى مهدت لـــه الطريق ، وقبلت التعاون معه ، لمعرفة اخبار الحلفاء من الجنود والضـــباط السكارى ، والذين كانوا يعودون في الاجازات منهكى القوى ، والذين كان ابلر يلتقي بهم في ملهى « الكيــــت كات » بامبابة حيث كانت حكمـــت تعمل ...

ولقد استطاع ابلر أن يمد قـــوات المحور في الصحراء الغربية ، بكـــم هائل من المعلومات كانت مفيـــدة الى

أقصى درجة بالنسبة لقوات روميـــل الزاحفة ..

لكن الضربة القاصمة كـانت ، في صداقة ابلر مع ميجور انجليزي يدعى « سميث » ، وكان واقعا في غـــرام حكمت فهمي ، وكان يشغل وظيفةهامة في المخابرات البريطانية ، ان لم يكن واحدا من قادتها اللامعين !

كان سميث يسكن العوامة المجاورة لعوامة حكمت فهمي ، فاستاجر ابلــر وفولكاستر العوامة المجاورة لهما .. وبلغ من غفلة ميجور سميث هــذا ـ لم أستطع الحصول على اسمه الاول رغم كل المحاولات التي بذلتها ! ـ انه أهدى جون ابلر ، ابريال شـــــديد الحاسية ، بحجة استعماله للراديـــو الخاص به ، وكانت وظيفته الاساسية ـ أي وظيفة الايريال ـ هي التقـــاط وبث الرسائل الى تلك المحطـــة التي اقيمت خصيصا في الصـــــــحراء الغربية !!!

وصل جون ابلر الى ذروة النشاط في تلك الفترة التي كان روميل يـدق فيها أبواب الاسكندرية ، وتلك الفترة القلقة التي كان على القيادة السياسية البريطانية ان تغير بقائد قواتهـــا في افريقيا الجنرال « ريتشي » ، قـــائدا آخر استقر الامر عليه هو مونتجومري .. في تلك الذروة ، لعبت الصـــدفة دورا خطيرا في كشف هذا الجاسوس الرهيب . وكانت الوكالة اليهوديـــة ، خلف هذه القصة !

فمع النجاح الهائل الذي كان ابلــر يحققه ، نسى الكثير من أسباب الامن .. كان ـ مثلا ـ يرتاد النواديالليلية مع صديقه فولكاستر .. وفي احـــدى المرات التقى ابلر بفتاة يهودية اسمها « ايفيت » ـ لم نعرف اسمها بالكامل ولم يذكر هذا الاســم حتى الآن !! ـ وكانت ايفيت هذه تدعي انها لبنانيـــة فرنسية ، وقد جمعها ابلر وفولكاستر مع فتاة أخرى ، الى العوامة .. وفي صباح اليوم التالي ، أعطى كل منهما عشرين جنيها استرلينيا !

لم يكن هذا هو الخطأ الوحيـد ، فلقد كان طبيعيا أن يحمل الناس في مصر في تلك الايام عملة بريطانية .. لكن الخطأ الاعظم جاء ، عندماتحدث ابلر الى فولكاستر أمام تلك الفتـــاة اليهودية ، ايفيت ، باللغة الالمانية !

هنا .. يجب أن نتوقف قليـــلا كي نتأمل ، الى أي مدى كانت أجهـــزة المخابرات الاســــــرائيلية ـ وكانت الوكالة اليهودية واحدة منها ـ عـلى درجة عالية من التدريب والكفاءة في نفس الوقت !!

ولقد كانت القصة تتطور ـ عـلى الجانب الآخر ـ تطورا غريبا !

فلقد حدث شيء غريب .. فعنـدما حاول فولكاستر ـ ضابط اللاسلكي ـ الاتصال بقاعدته المتاحة في الصـحراء الغربية .. لم يجد ردا مع اشاراته، وكانت الرسالة الجاهزة الآن للارسال، على جانب هائل من الخطـــورة ... لذلك ، فلقد انتاب ابلر القلق البالغ، وظن أن جهاز اللاسلكي معطل ،فسأل حكمت فهمي ـ شريكته بوضوح ـ عن خبير في أجهزة اللاسلكي فدلته عـلى ضـــابط اشارة في الجيش المصري ، اسمه : انور السادات !

فاتحت حكمت فهمي أنور السادات بالامر كله وبوضوح ، ووافق السادات على أن يكشف على الجهاز المعطــل ، وبالفعل جاء ، وكشف على الجهاز ، وقال : انه سليم وليس معطلا !!

وهكذا .. أسقط في يد جون ابلر، وكان عليه أن ينتظر ثمـاني وأربعين ساعة ، كي يتصل بالمحطة التبادلية ـ أي المحطة التي يتصل بها اذا لم ترد عليه المحطة المخصصة له ـ وكانتفي

اليونان ..

فما الذى حدث ؟ !

كان ما حدث ـ على الجانب الآخر ـ مأساة بكل المعانى لهذا الجاسوس الخطير .

فعندما كان ابلر فى المانيا يستعد للسفر الى مصر ، قدموا له كتاب « ربيكا » للكاتب « دافنى دى موريه» ، وهى الرواية التى استعملها الكاتب الانجليزى كن فوليت فى عنوان روايته ، كى تكون مفتاح الشفرة التى يتراسل بها .

كان هذا ، بالطبع، قبل قيام الحرب العالمية الثانية رسميا .

وكان قد حدث فى لندن حادثفريد فى نوعه ..

ففى احدى المكتبات ، دخل السفير الالمانى كى يشترى رواية .. وكان صاحب المكتبة يعرفه من قبل ،اذ كان السفير زبونا فى المكتبة.. ولقد انتقى الرجل رواية ربيكا للكاتب « دافنىدى موريه » ، ودفع ثمنها ، ثم انصرف..

بعد بضعة أيام ، دخلت زوجة السفير الى نفس المكتبة ، كى تطلب نفس الرواية ، ثم تدفع ثمنها وتمضى ... ولقد أدهش صاحب المكتبة هذا التصرف ، فكيف يقتنى رجل من رواية واحدة نسختين ... ولعب الفار فى عبه ، ولم يجد مفرا من ابلاغ الاستخبارات البريطانية بما حدث !

ولقد أفاد هذا الذى حدث العديد من رجال المخابرات فى العالم، وكان منهم عزيز الجبالى الذى ، عندماأراد أن يشترى رواية تحل شفرته معرأفت الهجان ، واشترى الرواية بالفعل من مكتبه هاشيت بالقاهرة ، ظل شهرا ، حتى كلف صديقا له ! بعيدا تماما عن مهنته ، بشراء نفس الرواية من نفس المكتبة ونفس الطبعة !

على ان المخابرات البريطانية وقد أبلغت بما حدث ، لم تفهم له معنى.. وظلهذا الامر حتى وقعت صدفةأخرى، وكان مكان الصدفة الجديدة ، يبعد الاف الاميال .. كان مكانها فى الصحراء الغربية ..

فلقد كانت احدى الدوريات الانجليزية تقوم بعملها فى الصحراء، عندما عثرت على وحدة المانية صغيرة مكونة من ثلاثة جنود ، يقبعونوحدهم فى الصحراء ، وليس هناك وسيلة من وسائل الحربمعهم سوى جهاز لاسلكى ..ولقد اعتقلت هذه الوحدة ، ودمر جهاز اللاسلكىوكل ما كان فى الموقع، حتى ذلك الكتاب الغريب الذى وجده قائد الوحدة،وهو رواية«ربيكا»لـكاتب « دافنى دى موريه » وكاد أن يلقى به جانبا ، لولا انه انتبه فى آخر لحظة، أن الكتاب باللغة الانجليزية .. وكان أمرا غريبا، أن تجد رواية بالانجليزية مع جندى المانى فى الصحراء الغربية ... وكان الكتاب جزءا من المضبوطات التى أرسلت الى القاهرة !!

هنا نتوقف قليلا ، لنعرف الحقيقة، ولنعرف كيف تتم لعبة التجسس،وكيف يتم التحكم فيها !

فعندما بدا واضحا للمخابرات البريطانية ، أن ثمة أسرارا رهيبة تتسرب الى العدو من القاهرة ، حان لابد من ارسال رجل مخابرات اخر ، غير ميجور سميث .. وبالفعل ، ارسل الميجور « سانسوم » ، وهو داهية بريطانى ، عاش فى السعودية والاردن وسوريا سنوات تعدت العشرين .. ولقد كان سانسوم هذا داهية بكل المعانى .. فبعد وصوله الى القاهرة، اكتشف أولا ـ ان هناك الوف الجنيهات الاسترلينية المزيفة تغرق السوق المصرية .. فبدأ يدس عيونه هنا وهناك رصدا لمصدر هذه النقود المزيفة .

ثم بدأ فى حصر فتيات الليـــــل اللواتى كن يتعاملن مع الجنـــــود والضباط البريطانيين ، وكانت منهـن الفتاة ايفيت ، فقبض عليها من ضمن من قبض عليهن ٠

وهكذا،تحرك مدير الوكالة اليهودية فى القاهرة ، الذى كان سانسوم يعرفه جيدا ٠٠ وكان تحرك المدير فى اتجاه الميجور سميث ، لكن الضابط الذى رد عليه تليفونيا ، حدد له موعـــــدا فى نادى الجزيرة ، دون ان يذكر له اسم من سيلتقى به ٠

فى نادى الجزيرة ، تم اللقاء بين سانسوم ومدير الوكالة اليهودية، الذى كان متسلحا بالنقود المزيفة ، وبتـلك القصة عن الشاب حسين جعفر الـذى يتحدث الالمانية بلهجة اقليم السار !!!

● نهاية مثيرة

وكانت هذه هى نهاية قصة جـــون ابلر ، أو ، حسين جعفر ٠٠٠ الذى ظل مجهول المصير ، منذ محاكمته الصورية التى تمت فى مكان ما بحى المعادى ـ وهو ضاحية قاهرية ـ وصدر ضـــده الحكم بالاعدام ٠٠ حتى أراد أحـــد الصحفيين البريطانيين ان يسجل تلك القصة ، ولم يجد خيطا يوصـــله الى الحقيقة ، الا البكباشى محمـد أنور السادات عضو مجلس قيادة الثـورة المصرية التى كانت قد قامت منذ أعوام قليلة ٠

وفى لقاء مع السادات ، أرشد هذا الصحفى عن مكان حسين جعفـر ٠٠ وكان يقطن فى قرية المانية مجهولة فى الشمال ٠٠ وما ان ذهب ذلك الصحفى الانجليزى الى صاحب المكتبة ـ وكان يحمل بالطبع اسما مختلفا ـ وصارحه بأن السادات هو الذى دله على عنوانه حتى وافق على الحديث ، وقص القصة بالكامل !

ولم يكن ممكنا ان يعيش الصحفى البريطانى فى قرية المانية لأسابيع دون أن يلفت الانظار ٠٠ لذلك ، وامعـــانا فى السرية ، قد استضاف صـــاحب المكتبة الذى لم يكن سوى حسين جعفر، أو جون ابلر ، الجاسوس الالمـــانى الشهير ، فى بيته فى أحدى ضواحى لندن ٠٠٠ ولقد قضى حسين جعفر ثلاثة أسابيع فى ضيافة هذا الصحفى ، الذى أصدر فيما بعد كتابا بعنوان « قـــطط وفيران»،يعتبر المرجع الرئيسى وربما الوحيد لهذه القصة الغريبة والمثيرة!

بقيت بعد ذلك نقطتان أود أن أضعهما تحت عين القارىء :

النقطة الاولى : أنى ما هدفت من وراء هذا المقال ، الا ان اضـع تحت أعين النقاد الذين يحترمون أنفسهم ! حقيقة هامة : هى أن الحكم على مثل هذه الاعمال أو القصص ـ من وجهة النظر الفنية ـ يتطلب جهد البحث عن الاصول٠٠٠فالعمل الفنى ـ بالضرورة ـ يختلف عن الواقع لا من حيـــث ترتيب الاحداث فقط ، ولكن من حيث البناء أيضا ٠٠ فثمة أسرار لا يمكن، ومن المستحيل ، أن تبوح بها الاجهزة مهما مر عليها من سنين أو أعوام، وان على الكاتب أو الاديب ، أن يصـــوغ « قصة » بالمعنى العلمى لهذه الكلمة ، تحوى الواقع ، ولا تشوهه !

أما النقطـــــة الثانية : فهى انى شخصيا ، قد عرفت حســـين جعفر ورأيته فى مدينة طنطا ، وكان ابوه ، بالتبنى ، المستشار صالح جعفر ،يملك أرضا هناك ، ويقيم بعض فصول السنة فيها ٠٠٠ وكنت واحدا من الصـــبية الذين يشيرون الى حسين جعفر عـلى انه أعجوبة ، فهو المانى ـ اثناء الحرب العالمية الثانية!! ـ ويعيش بيننا !!٠٠ عرفته كانسان يمضى أمامنا بوجهـــه العريض المحدد الملامح ، وبالطبع ، لم أعرفه كانسان !!



شعر
ماجده بركه



افصح : عن صوت الاشياء بروحى
أو ضمت الروح ، ازاء الاشيـاء
فوقمة واذوب بوشوشة البحر
هل تتملكني الاسماء ، تسكبنى فى
الاسفلت التائه
ام تتملكنى الروح فاحيا ، وانا
سهو مره
سرب من الصبايا العطاش وجره
قطـــرة
نهر .. فرس ... وفراشه
محموم يهذى ... مفترق
انثى ضجره
حوريه .. جنيه
قدس للاقداس .. قارورة عطر
نقش فوق جدار بالهيروغليفية
شرير ، مافون ، افعى
سقراط !
حب ووسادة عشق .. سجاده
دمعه .. وتر مكسور ـ
محبوب وصديقه
قاطرة وطريق ... مصباح
ارتاح .. على غصنك عصفوره
بنوره .. رأسي توقي لذراعك
دمعى .. مشتاق لقميصك
نبضى مشتاق وانا مشتاقه
يسرع حين يراك ،
يجرى يلهث ، يتعثر .. اتبعثر !
وانا ، سهو مره
سرب من الصبايا العطاش وجره

# الجريكو

## عبقرية متفردة في تاريخ الفن

بقلم : د. صبرى منصور

**من الحقائق القليلة المؤكدة عن حياة الجريكو انه قد توفى عام ١٦١٤ . ويخمن المؤرخون مولده فى عام ١٥٤١ بجزيرة كريت اليونانية ، وكان يدعى دومينيكوس ثيوتوكوبولس ، وحين اقام فى اسبانيا فيما بعد تحول اسمه ـ بسبب صعوبة نطقه باليونانية ـ الى دومينيكو جريكو او الجريكو فقط كما نعرفه اليوم ومعناه « اليونانى » . ولقد امضى طفولته فى قرية فوديل ، وتلقى تعليمه الاولى على ايدى الرهبان قبل ان يكمل دراسته فى المدرسة الشهيرة التابعة لدير سانت كاترين فى سيناء .**

ويتضح من محتويات مكتبته التى تركها بعد وفاته انه كان مثقفا محبا للفلسفة والادب الكلاسيكى والدراسات الدينية والجغرافيا والتاريخ ، وكانت نشأته فى عائلة تنتمى الى الارستقراطية المحلية المتحررة . وتعكس اعماله الاولى احاطته بالثقافة الايطالية ، ويتضح فيها ايضا تأثيرات الفن البيزنطى التى ظلت تلازمه طوال حياته . وقد احتفظ الجريكو دائما بمودة لوطنه الاصلى فكان يوقع لوحاته باليونانية مضيفا الى اسمه صفته كمواطن من كريت .

### ● تقديم الرؤى الدرامية

لقد ظهر الجريكو فى مكان منعزل عن العالم ، لم يتطور الفن فيه منذ القرون الوسطى ، ولابد انه قد تعود على رؤية صور القديسين المصورين بالاسلوب البيزنطى ذى المهابة والجدية والبعيد عن اية مماثلة للطبيعة . ويبدو ان فناننا كان



جزء من لوحة الاسبوليو او ( تجريد المسيح من ملابسه ) عـام ١٥٧٧



# الجريكو

عاطفيا وربما احس بالحاجة القوية الى حكاية القصص الدينى باسلوب جديد ومثير . وبعد اقامته فى ايطاليا متنقلا مابين فينيسيا وروما اختار مكانا قصيا فى اوربا ببلدة توليدو الاسبانية ، حيث لايكون خاضعا هناك لسياط النقاد ، او على الاقل مدفوعا لعمل تصميمات طبيعية على النسق التقليدى ، وكذلك لان اسبانيا كانت لاتزال غارقة فى التقاليد الفنية للقرون الوسطى ، وذلك يفسر السبب الذى جعل فن الجريكو يفوق فى تينتورتو ( ١٥١٨ ـ ١٥٩٤ ) فى جسارته على اهمال الاشكال الطبيعية ، وجرأته فى تقديم الرؤى الدرامية المثيرة . وعلى الرغم من استفادة الجريكو من طريقة تينتورتو فى التكوين ، وتبنى فكرة الاشخاص المبالغ فى طولها عنده ، فإن الجريكو وظف هذه الطريقة الفنية فى غرض جمالى جديد ، فلقد عاش فى اسبانيا حيث تتمتع العقيدة الدينية بسحر متقد وعميق ، وفى مثل هذا المناخ فان الفن التقليدى المتقولب داخل اطر مصطنعة يفقد كثيرا من جاذبيته وفاعليته . لهذا فان الجريكو ـ الذى يدهشنا اليوم كفن توفرت له عناصر فى منتهى الحداثة ـ لم يعترض عليه معاصروه فى اسبانا مثلما فعل معاصرو تيتيان معه .

ان النزعة الانسانية التى هيمنت على انتاجه المبكر كانت نتيجة طبيعية لثقافته المتحررة ، كما يعكس هذا الانتاج اهتماما بالثقافة الايطالية كما هو متوقع من احد ابناء العائلات الكبرى فى كريت وبالمثل يلاحظ ان التأثيرات اليونـانية وفن الايقونات ظلت موجودة فى كل مراحل انتاجه ، على الرغم من ان معالجاته الايطالية قد قللت من وضوح هذه التأثيرات . فبطريقة واعية او غير واعية فان الجريكو ردد فى اعماله اصداء من روح فن الموزاييك البيزنطى من ناحية التكوين ومعالجة الاشخاص ، اما من ناحية استعمال اللون فإن التشابه يصل الى مدى ابعد ، فلقد هجر الجريكو درجات الالوان الدافئة وكانت الوانه فى عمومها مشتقة من ضوء القمر ، وهو يلجأ الى تغطية السطح باللون الابيض او الاسود او الاصفر مثلما فعل الفنان البيزنطى ، ثم يقوم بتقسيم اللوحة وملء كل قسم على حدة وينتظر حتى يجف ليبدأ فى غيره . كما يبدو اثر الفن البيزنطى فى الفراغ الضئيل الذى يحيط بالاشكال ، وفى المنظورالبسيط ، ووضع الاشخاص فى مقدمة اللوحة تجاه خط الافق المنخفض بحيث تكتسب مظهرا شبحياً مستطيلا .

ولقد رأى بعض النقاد ان الجريكو لا ينتمى الى فن التصوير الاسبانى رغم اقامته الطويلة وانتاجه الغـزير فى اسبانيا . ويعتقدون ان ثقافته البيزنطية قد وجدت طريقها للتعبير فى اشكال تنتمى الى المدرسة الايطالية . وحجتهم فى ذلك طريقة تناوله للفراغ ، ومنظوره السحرى الغريب ذو النكهة الشرقية الخالصة ، فبينما الفن الاسبانى هو فن محدود ومباشر ، ويستوحى إلهامه من عناصر واقعية ، فان الجريكو يعطى التعبير لافكار وانفعالات ، ويملأ عالمه بوجود سماوى مقدس ، مشيدا مملكته الروحية . وفى الواقع فان التأثيرات البيزنطية لم تعبر عن نفسها بكل الوضوح فى اعمال الجريكو

الا فى مرحلته الاخيرة من حياته فى اسبانيا ، وربما كان هذا مثلا غير عادى لظاهرة عودة الفنان فى المرحلة الاخيرة من انتاجه لتأثيرات طفولته .

## ● المرحلة الإيطالية

ويعتقد ان الجريكو قد تعلم اصول فنه فى كريت قبل ان يشد رحاله الى مدينة ڤينيسيا الايطالية حوالى عام ١٥٥٠ ، وكان يقطنها آنذاك مايقرب من اربعة آلاف يونانى ، ولقد ادت المواجهة بين تقاليد الفنانين اليونانيين والاساليب الفنية السائدة فى ڤينيسيا الى توليد فن جديد ، هو خليط من الفنين البيزنطى والايطالى ، ولعل هذه المدرسة كانت ملهمة للجريكو فى بداية حياته الفنية ، حيث يبدو الطراز البيزنطى فى لوحاته فى حالة بعث جديد من خلال اشكال عصر النهضة ، ولقد ازداد هذا البعث وضوحا عندما تقدم به العمر وازدادت الخبرة ، فتلاشت الاشكال الايطالية ، وحل محلها ملامح بيزنطية ، هى بالتحديد التى اضفت الى اعمال الجريكو ذلك التميز والتفرد .

ولقد عاش الجريكو فى ڤينيسيا ما بين اعوام ١٥٦١ ـ ١٥٦٩ فى وقت كانت تمثل فيه مركز الثقل الفنى والادبى فى العالم الغربى ، وكان للعمل الفنى فيها شعبية كبيرة . وهناك شواهد تؤكد علاقته بالمصور الشهير تينتورتو ولعله كان واحدا من تلاميذه . ولقد تعلم منه كيف يكوّن اشخاصه فى مجموعات ، واضفاء الحياة عليهم بوضعهم بجوار مبنى عمارى يكون صدى لحركاتهم ، واسلوب السيطرة على الفراغ بدون اللجوء الى القوانين التقليدية للمنظور ، ولم يهجر الجريكو ابدا ما استفاده من المصور الڤينيسى الكبير فى التصوير عن نماذج مصغرة قام بنحتها من مادة الشمع او خامة الخشب ، تلك النماذج التى كان يستطيع تحريكها كيفما شاء وفقا للوضع المطلوب .

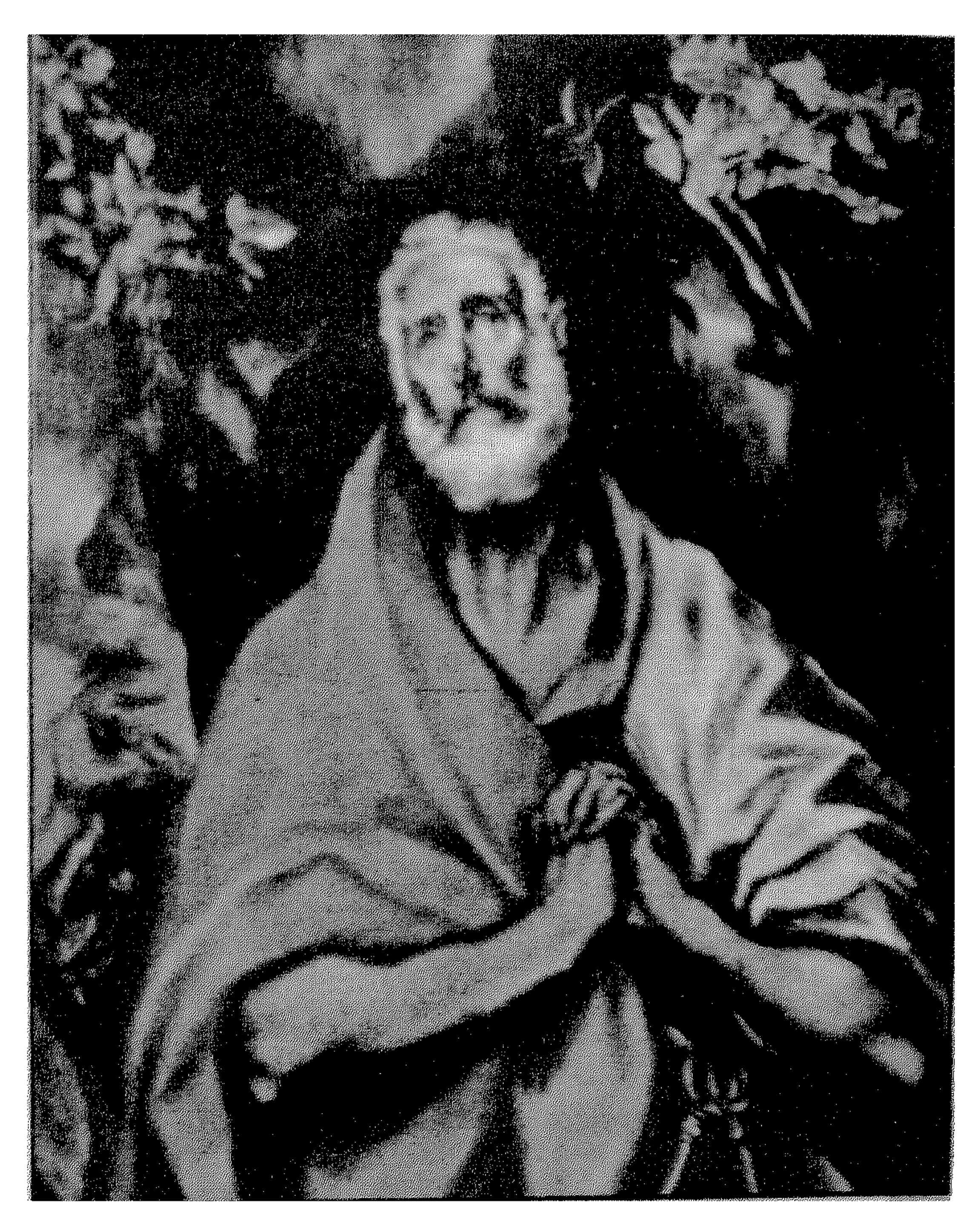
وفى فينيسيا كان المصور ڤيرونيز منبعا اخر لإلهام الجريكو ، فلقد شجعه على تجربة أشكال اكثر استدارة ، وتنمية احساسه بالخامات الثرية ، وفى اعوامه الاخيرة فى فنيسيا تأثر الجريكو بالمصور تيتيان الذى جعله يخطو خطوة للوراء فى مسار فنه ، فاشخاصه اصبحت بتأثير هذا المصور ذات طابع دنيوى ، وضربات الفرشاة اكثر نعومة ، والسطح اكثر استدارة .

وتظهر لنا اعمال الجريكو فى فينيسيا ضاربة فى عدة اتجاهات ، فهى تدل على مزاج فنى يحاول اكتشاف دربه الصحيح ، والاعمال المتميزة منها تبرهن على سرعة استيعاب الجريكو للمبادىء الفنية الرئيسية السائدة ، مثل ابراز الاحجام الممتلئة المستديرة ، وتضمين المعمار الثلاثى الابعاد ، والايقاع المنساب المتدفق .

وبعد ان استنفد الدروس الڤينيسية كان لابد له من ان يفكر فى الذهاب الى روما ، مدفوعا باهتمامه بالاعمال الفنية الكبيرة فى عصره ، يؤكد ذلك نسخه لبعض الاعمال الهامة لمايكل انجلو وكوريجيو . وفى روما تعرف على الاشكال الاصطلاحية التى اشاعها مايكل انجلو ورافاييل ، وكان اصحابهامن ذوى المواهب المحدودة ، فهم يملكون المهارات فى التكوين والتنفيذ ولكنهم يفتقدون الخلق والاضافة . واعمال الجريكو فى روما اثناء اقامته التى امتدت حتى عام ١٥٧٦ تظهر لنا بعض التأثيرات

وجه العذراء جزء من لوحة
العائلة المقدسة عام ١٥٨٥





لوحة القديس بطرس يبكي ( عام ١٥٨٥ )

الرومانية ، فلقد هجر التكوينات ذات الخط الافقى التى حذقها فى فينيسيا ، ولجأ الى التركيبات المعروفة في روما آنذاك ،كالتكوين البيضاوى والدائرى ، بحيث تتجه العين لمركز اللوحة ، بينما تمتلىء اركان الدائرة واطرافها بالاشخاص والتفاصيل . ومن اللوحات الشهيرة التى بنيت على هذا المفهوم لوحة

# الجريكو

« تجريد المسيح من الثياب او « الإسبوليو » عام ١٥٧٢ ، حيث يبدو تركيز الانتباه على شخص المسيح فى قلب اللوحة ، مع الاهتمام بالحركة الرأسية والعمودية واضفاء ايقاع محلق سواء للشخصية المحورية او للشخصيات الجانبية . وعلى مايبدو فان الجريكو قد وجد ان هذا الاسلوب فى التكوين اكثر ملاءمة لتجسيد الرؤى الخيالية والمناظر السماوية فى المنظور الافقى الڤينيسى ، فالحركة الصاعدة تجاه اعلى تؤكد تحرر الاشكال والاشخاص من اتصالها بالارض ومن ثقلها المادى .

ولقد كان الجريكو صموتا ذا طبيعة حالمة ، ويروى احد اصدقائه فى روما انه حين زار الفنان فى مرسمه ذات صباح ربيعى مشمس ، وجده جالسا فى كرسيه والستائر مسدلة ، والمكان يلفه ظلام دامس ، وحين دعاه للخروج رفض متذرعا بأن ضوء النهار يشوش عليه ضوءه الداخلى . كما كان عنيفا ذا كبرياء ، معتزا بقيمة عمله مدركا قدره ، ونحن نعلم من الوثائق المحفوظة ان البابا اوربان الثامن طلب منه ان يقوم بتغطية بعض الاشخاص العارية فى لوحة مايكل انجلو المعروفة « يوم القيامة » حين ظن أن هذا العرى لا يليق بالمكان الدينى ، فأجابه الجريكو بان من الافضل ازالة العمل كله ، فهو يستطيع ان ينجز عملا جديدا يتسم بالحشمة والوقار ، وسوف يأتى هذا العمل - [illegible] الاقل - مماثلا فى قيمته للوحة [illegible] . ويقال ان هذا الرد قد اثار سخط المجتمع الفنى ، وربما كان سببا ادى الى اضطراره مغادرة ايطاليا .

## ● الجريكو فى اسبانيا

ليس معروفا على وجه الدقة التاريخ الذى وصل فيه الجريكو الى اسبانيا ، كما انه لا يوجد دليل وثائقى يكشف الاسباب التى دعته الى اختيار مدينة توليدو للاقامة فيها بقية حياته . وكانت توليدو - او طليطلة ابان الحكم الاسلامى - تعد واحدة من اغنى المدن الاوربية واكثرها شهرة ، وظلت حتى عام ١٥٦٠ عاصمة لاسبانيا ، وبلغت قمة سامقة فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، وكان مجتمعها مكونا من المسلمين واليهود والاسبان بالاضافة الى عدة جاليات اجنبية اهمها الفرنسية والايطالية . ولقد تركها الملك فيليب الثانى وبلاطه عام ١٥٦٢ ومع ذلك ظلت فى سموها . فى تلك الفترة وفد اليها الجريكو ، وبدأ عمله فيها بداية ناجحة ، وكان مرسمه يعمل باقصى طاقته بمساعدة ابنه جورج مانويل وتلميذه لويس تريستان - وكان التابع الاسبانى الوحيد له - وقد كان هذان المساعدان مسئولين عن تلك الاعداد الكبيرة من الاعمال الفنية المنسوبة للجريكو لتغطية الطلبات الكثيرة التى انهالت على لوحاته من المقاطعات الاسبانية المختلفة . وتتميز لوحات توليدو الاولى بالعودة الى الدرجات الدافئة ، والاحجام المستديرة التى استقاها من خبرته فى ڤينيسيا ، وكذلك تحولت تكويناته الى تصميمات لونية واحجام محلقة فى الفراغ ، مرئية من اعلى او من اسفل ، ومغمورة بالضوء المفاجىء . وعموما فان اعماله حينذاك كانت تبدو

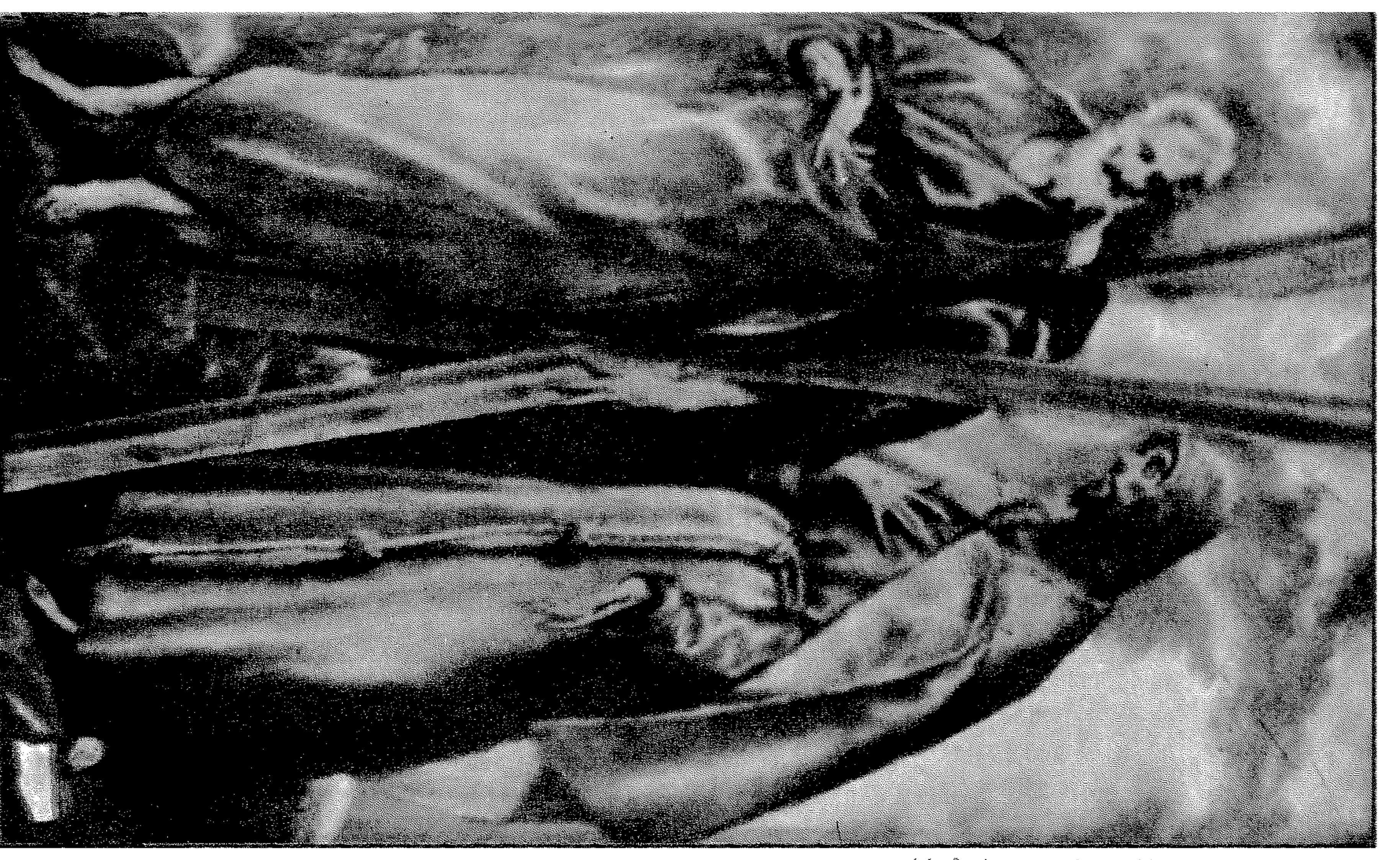


لوحة تعبر عن تخيل السيدة العذراء ان السيد المسيح قد بعث من جديد



كتجميع لكل ما هو جديد فى فن التصوير فى عصره . وفى نفس الوقت فانه كان يخطو بثبات نحو اشكال اكثر روحانية ، باروكية الملمح . وفى خلال السنوات من ١٥٨٥ وحتى ١٥٩٥ انجز الجريكو اعمالا عظيمة تتخذ مكانا بين مرحلته الايطالية ومرحلته الاخيرة من حياته . فلقد تحرك فنه بعيدا عن التكلف ، واكتسب الملامح الشخصية فى التعبير على الرغم من استمراره معتمدا على الواقع ، ومن ناحية التقنية فان مهارته بلغت درجة عالية . ومع هذا فانه لم يهجر ابدا تجاربه التى ادت الى ابداع اعماله الاخيرة الرائعة ، اذ انه بدأ فى ادخال مزيد من التحريف والتطويل على اشخاصه ، تلك المبالغات التى سوف تهيمن على اعماله الاخيرة والتى انتجها فى الفترة من ١٥٩٦ وحتى ١٦٠٥ ، حيث تلاشت كل آثار الواقعية ، وحلت ضربات الفرشاة الاثيرية محل معالجة الاشكال بطريقة نحتية ، واكتسبت الالوان مزيدا من الانسياب والشفافية . فى هذه المرحلة التى تمثل انتقالا بين قرنين من الزمان ابدع الجريكو اشكاله الطويلة الرفيعة المقدسة ، الغير موصولة بالارض ، والمحلقة دائما فى الفضاء السماوى الرحيب .

إن الجريكو الذى استطاع الهرب من واجبات البلاط الرسمية انجز العديد من الصور الشخصية ( البورتريه ) التى تبدو وكأن اصحابها قد توقفوا فى لحظة ما بين الحياة والموت ، ولقد اقتنص الفنان تلك اللحظة التى يبدون فيها على كامل حقيقتهم . لقد صور فقط اولئك الاشخاص الذين احس معهم بنوع من التعاطف ، وبدلا من أن يحصر همه فى تسجيل ملامحهم الدقيقة ، فانه حاول ان يغوص داخل الشخصية ليكشف ما اختبأ منها داخل الاعماق ، التى ربما كانت اعماقه هو ايضا ، وذلك يوضح مدى التشابه فى صور اشخاصه رغم فرديتهم القوية . انهم يعبرون عن شيء من روح الجريكو نفسه ، ففيهم غموضه وحزنه ، ولعله المصور الاول الذى يكشف عن روحه بهذه الطريقة ، مما دعا الكاتب الاسبانى الكبير خوسى اورتيجا إى جاسيت الى ان يكتب فيما بعد « ان روعة ڤلاسكيز تكمن فى



القديس اندرو والقديس فرنسيس ( ١٥٩٠ )

غيابه عن اللوحة ، بينما نجد ان تصوير الجريكو هو تجسيد خاص لروحه ، فحينما ننظر الى لوحة بريشته فنحن نرى الجريكو نفسه ، اسلوبه هو اعترافه ، هو رسالته » .

### ● سر التحرر والشهرة العالمية

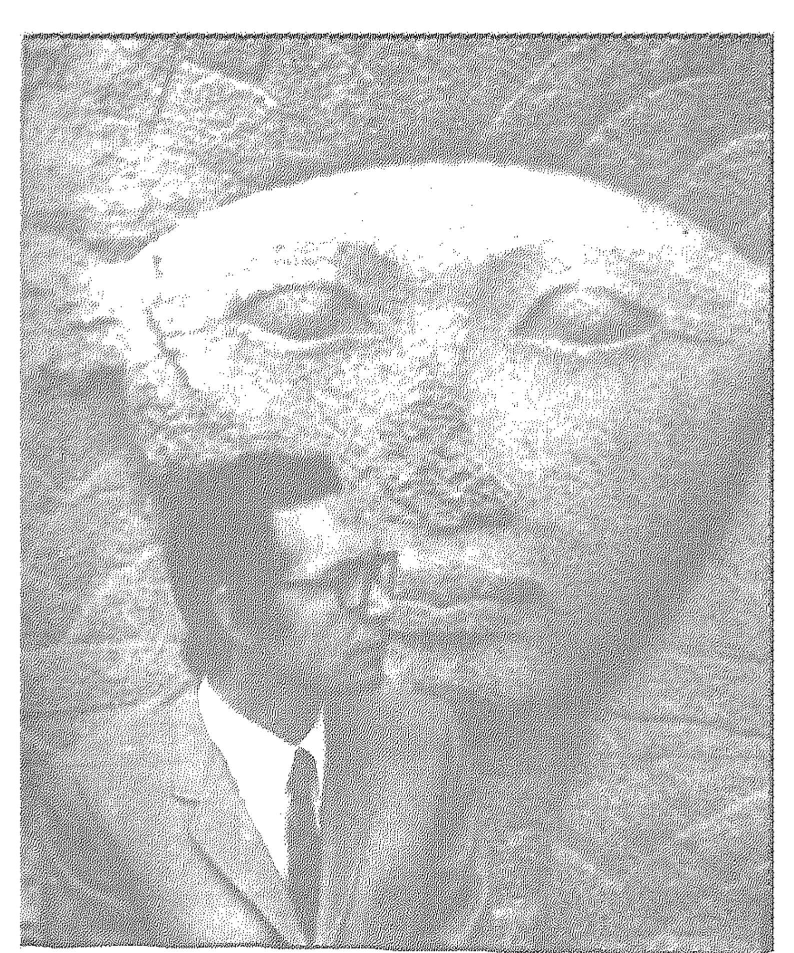
حقق الجريكو فى حياته مجدا وشهرة عريضة ، وفى مكمنه ببلدة توليدو ـ التى لم يغادرها ابدا ـ وفد اليه عديد من كبار الفنانين من شتى الاقاليم الاسبانية يمثلون مذاهب مختلفة ، وكانت الاتصالات بين هؤلاء وبين فنه مؤثرة لدرجة انه يمكن القول بخلق مذاق توليدو الذى اثر على التصوير الاسبانى فى بداية القرن السابع عشر . لقد كانت عبقرية الجريكو هى التى اعطت للتصوير الاسبانى القيم الجديدة التى مهدت الطريق نحو مجده العظيم ، حين اتصلت اسبانيا من جديد ـ بعد استجابتها مرة لنداء الشرق ابان الحكم الاسلامى ـ بالافكار الجديدة السائدة خلف حدودها والاتية من الغرب ، وتمثلت بذور الخصوبة فى اعمال الجريكو الذى كان يملك امجاد ڤينيسيا واساليب التقنية المتقدمة التى خبرها فى روما ، وكذلك تجربته فى التأثر بالاشكال البيزنطية ومواءمتها للافكار الجديدة .

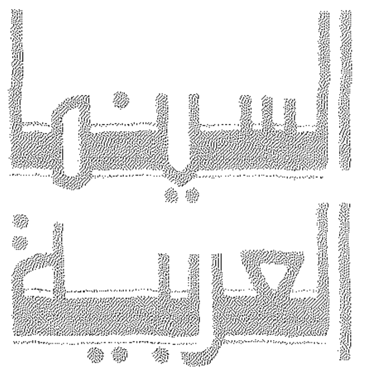
ومع ان شهرة الجريكو قد خفتت حدتها فى ايامه الاخيرة فإننا نلمح تأثيره على بعض اعمال المصور ڤلاسكيز الذى كان عليه كمصور للبلاط الملكى ان يقتنى بعض اعمال الجريكو لضمها للمجموعة الملكية .

وعادة فانه بعد موت الفنان تكون هناك سنوات يهمل فيها عمله ، ولم يشذ الجريكو عن هذه القاعدة ، فبعده بجيل تقريبا بدأ الناس ينظرون الى فنه كملحة غير طريفة ، واضحى موضوعا للنقد الذى وصل الى حدود غير عادلة . فقيل انه كان متطرفا فى افكاره ، وان رسمه غير دقيق لا يلتزم باصول التشريح . كما كانت هناك محاولات لايجاد اسباب معينة اثرت فيه واجبرته على ان يصور ويرسم ويرى كما فعل مثل ادمان المخدرات ، فى نفس الوقت نمت اسطورة تدعى جنونه ، واشيعت نظرية تدعى انه كان يعانى من قصر نظر شديد كان سببا فى طول شخصياته . ولم يصدق احد ان ملامح اعماله كانت مقصودة ، وانها تمت عن وعى وبعد تفكير عميق ، وذلك الفهم القاصر هو دائما قدر الانبياء الحقيقيين .

وفى القرن التاسع عشر فقط تحولت اعمال الجريكو لتصبح محورا للاهتمام ، وكان الرومانتيكيون الفرنسيون المسافرون الى اسبانيا قد حملوا العديد من اعماله وعرضوها فى فرنسا ، وتولى المصورون والشعراء والنقاد مهمة الدفاع عن فن الجريكو والدعاية له ، وكان الشاعر بودلير زائرا منتظما للركن الخاص باعمال الجريكو فى القاعة الاسبانية بباريس . ولكن لم يتسع مجال شهرة الجريكو الا حينما اعترف به الوطن الذى تبناه ، فأقيم له فى متحف البرادو الشهير بمدريد اول معرض ضخم لاعماله ، توالت بعده الكتب والدراسات التى تناولت فنه بالتحليل وابراز قيمته الحقيقية ، واصبح احد منابع الالهام للمصورين الاسبان الذين كانوا سببا فى اعادة احياء فنه ومن اهمهم ذولواجا وكذلك بيكاسو فى مرحلته الزرقاء .

بقلم :
مصطفى درويش






# أزمة صعود أم سقوط

لم يعد خافيا على أحد ، حجم الأزمة التى تعانى منها السينما العربية .

وقد انعكس ذلك أولا على مايعرض من أفلامها على الشاشات فى الغرب سواء ما كان منها صغيرا ام كبيرا .

فمثلا لم يتح لجمهور التليفزيون الفرنسى ان يرى خلال عقد الثمانينيات الذى على وشك الرحيل سوى ستة افلام عربية من بينها « لحن الخلود » لهنرى بركات و « باب الحديد » و « وداعا بونابرت » ليوسف شاهين .

وانعكس ثانيا ، وكرد فعل طبيعى لهذا الغياب ، على ما يكتب عنها على صفحات الجرائد والمجلات الغربية ، فقد كان قليلا ، بل قل ، معدوما .

واستثناء من قاعدة الاهمال هذه أفردت المجلة الفصلية الفرنسية الجادة « سينما أكسيون » بالتعاون مع معهد العالم العربى ومجلة « المغرب الكبير » - افردت ملفها الاخير رقم ٤٣ مايو لعام ١٩٨٧ للسينما العربية

وفى غمرة الانهماك فى الاعداد لهذا الملف الاستثناء ، لم يغب عن بال المشرفين على تحريره أن صاحب فيلم « ليلة حساب السنين » الشهير بالمومياء قد انتهت رحلة عمره قبل عام .

فكان أن أهدوا ملفهم الى « شادى عبدالسلام » مؤلف « المومياء » المتوفى فى ١٩٨٦ قبل ان يتمكن من اخراج « اخناتون »

وفوق هذا الاهداء جرى تزيين الصفحة الاولى من الملف بصورة نصفية للمخرج الراحل ، جالسا متأملا ، وفى الخلفية وراءه نحت حائطى لوجه أحد قدماء المصريين مكبرا .

ولعلى لست مغاليا إذا ما قلت إنها اكثر صور الملف - وعماده الكلام عن الافلام وما يصاحب ذلك بحكم الضرورة من تناول لجماليات الصورة - اكثرها اصالة ونبلا .

● الاهداء .. لماذا ؟

وليس محض صدفة ذلك الاهداء لفقيد السينما العربية .

فمعروف أنه أول مخرج تنجبه أرض الوطن العربى له أسلوب متميز ، متكامل ، فضلا عن أنه كان واعيا بتحديات حاضره ، متمكنا من أسباب ووسائل التصدى لها بلغة الفن السابع .

وفوق هذا فهو واحد من أهم بناة السينما على ارض مصر ، تلك السينما الأقدم والاقوى والأكثر انتشارا وتأثيرا من المحيط الى الخليج .

فاحد من الجمهور العادى لم يسمع بالسينما المنتجة على ارض العراق او الكويت او سوريا او تونس او المغرب او حتى ما كان منتجا منها على ارض المليون شهيد .

وبطبيعة الحال لم تشاهد الغالبية الغالبة ايا من أفلامها وعلى العكس من ذلك تماما حال سينما القاهرة ، فهى ملء الأسماع والأبصار ، أفلامها وحكايات نجومها على كل لسان .

ومن هنا استئثارها بمعظم مقالات الملف ، ، البالغ عددها خمسة وعشرون مقالا .

ومع ذلك - وياللعجب - فهى جميعا مكتوبة باقلام نقاد وباحثين فرنسيين وأمريكيين وعرب غير مصريين ، وذلك فيما عدا مقالا يتيما كتبه ناقد من مصر « خالد عثمان » تحت عنوان « وضع المثقف فى السينما المصرية » ( ١٥٧ - ١٦١ )

ومهما يكن من شيء ، فاذا ما قرأنا المقالات المكرسة لتلك السينما الأقدم والأقوى ، والتى على وشك ان تبلغ ستين عاما فيما هو قادم من أيام ، فمن اليسير ان تتبين لنا عدة أمور .

● المعطف والمأتم

أولها أنه منذ البداية والميلودراما متزاوجة مع نظام النجوم تتحكم فيها على وجه لاسبيل للفكاك منه .

« فليلى » ( عزيزة أمير ) أول فيلم روائى طويل كان ذا طابع مليودرامى صارخ .

و« زينب » ( بهيجة حافظ ) أول فيلم مستوحى من قصة لأديب عربى محمد حسين هيكل باشا » يغلب عليه الطابع الميلودرامى الزاعق .

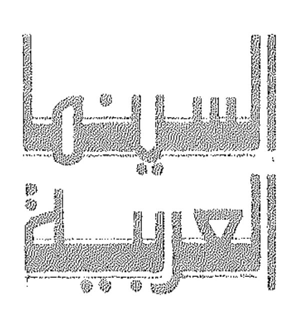
و « أولاد الذوات » اول فيلم تكلم حتى منتصفه بلسان عربى ، قد صب هو الآخر فى قالب مليودرامى فاقع ، قائم على تراكم وتزاحم الفواجع .

وقصته تستوجب وقفة قصيرة .. لماذا ؟

لانه فيلم مناحة خرجت من مأتمه السينما العربية ذات الطابع المليودرامى ، كما خرج الادب الروسى من معطف « جوجول » .

● لحن واحد

فلقد استمر نمطه متكررا فى مئات الاقلام



التى انتجتها صناعة السينما فى ديار مصر على مر الأيام والاعوام ، لاسيما ما كان منه من اخراج عز الدين ذو الفقار وحسن الامام وتمثيل فاتن حمامة ، تلك النجمة التى خصص الناقد « عباس فاضل ابراهيم » دراسة قيمة (ص ١٢١ ـ ١٣٠ ) لثلاثة من افلامها « دعاء الكروان » و « بين الاطلال » ( ١٩٥٩ ) و « نهر الحب » ( ١٩٦٠ ) لايجمع بينها سوى خيط واحد ، هو الميلودراما .

فاذا بنا نكتشف بفضل تلك الدراسة ، انها منذ سن التاسعة عندما ظهرت مع مطرب الملوك والامراء فى « يوم سعيد » وحتى « ليلة القبض على فاطمة » ، وهى كالفراشة الرقيقة تتنزه بوجهها الملائكى بين الافلام .

وإنها على عكس غيرها من النجوم قد وظفت موهبتها تماما فى خدمة الميلودراما وحدها لاشريك لها ، مما حدا بأهل الدعابة الى الانعام عليها بلقب « السيدة ميلو » !!

وانها قد نجحت فى الحفاظ على صورتها ملاكا طاهرا ، وذلك رغم مواصلتها من فيلم الى فيلم مسيرة اختطاف الازواج من نسائهم كما فى « لحن الخلود » ( ١٩٥٢ )

والآن عود الى « اولاد الذوات » اول فيلم عربى ناطق بلغة الآباء .

تدور وقائع هذا الفيلم حول رجل ثرى حمدى بك « يوسف وهبى » يخون زوجته زينب « امينة رزق » مع عشيقة فرنسية « كوليت دارفاى » ، يفر معها الى باريس حيث يضبطها متلبسة بالزنا مع شاب فرنسى ، فيطلق عليهما الرصاص ، وتنتهى به الخطوب معاقبا بالسجن اثنى عشر عاما .

ثم يمضى الفيلم قدما ، فيركب الحدث المثير فوق الحدث المثير فها هو ذا « حمدى » فى القاهرة متسللا الى بيت العز حيث يجد ابنه الذى لايعرفه محتفلا بزفافه ، ويجد زوجته امرأة حلالا لرجل آخر بعد أن وصل الى علمها خبر موته فى سجون فرنسا .

وكان يمكن أن ينتهى « أولاد الذوات » عند هذا ، ويكون مثيرا بما فيه الكفاية واكثر .

غير أن صاحبه « يوسف وهبى » أراد أن يعتصر آخر دمعة بان هيأ للبطل القبر بعد ان سلبه الشرف .

فها هو ذا يتقدم نحو ابنه وعروسه يهنئهما ، يقبل ايديهما .

فيحسبه العريس فقيرا يطلب إحسانا ، ويمنحه جنيها .

ويصطلى الاب بنار هذه الاهانة شقيا معذبا ، فيخرج من الفرح فى حالة من الانهيار تدفع به الى الالقاء بنفسه كما « أنا كارنينا » تحت عجلات القطار .

### ● جنس . دين

فإذا ما انتقلنا بعد هذه النهاية الفاجعة الى ثانى الأمور لوجدناه يتلخص فى معاناة السينما عندنا من محظورات شداد تحول بينها وبين حرية التعبير ( د . رفيق الصبان ـ ص ١٣٥ ـ ١٣٩ )

وهذه المحظورات هى الدين ونظام الحكم القائم والجنس غير المشروع بأوجهه المتعددة ( العشق المثلى ، العادة السرية ، العلاقات الحرة ، الخيانة الزوجية ، عشق المحرمات ) .

ولأن الدين أمره دقيق وشائك بحكم اتصاله بالعقيدة ولأن السينما فى المفهوم المتخلف السائد على امتداد الوطن العربى ، إنما لهو ولعب ، فقد امتنع على فنانيها ـ وهم اهل عبث ومجون ـ ان يعرضوا للدين بموضوعاته الحساسة ، لا من قريب ، ولا من بعيد .

وفعلا آثر صانعو الاطياف السلامة فابتعدوا بافلامهم عن الدين بمختلف تفصيلاته ، تجنبا لمشاكل قد تورطهم مع فئات من غلاة السلفيين

المتشددين ، لاتزال تعتبر الصورة رجسا من عمل الشيطان ، وترى فى السينما اثما وفسوقا يهددان الاسلام !

وحتى اذا لم يستسلم الفنان للحظر ، ولم يصرفه الخوف عن التصدى كما فى فيلم « وللحب قصة اخيرة » فانه سرعان مايتعرض . هو وكل من شاركه فى صنع الفيلم ، لالوان شتى من الاتهام والاضطهاد ، تشيع فى حياتهم القلق ، وتسبغ عليها سوادا مخيفا .

وهنا ، قد يكون من المفيد التذكرة بوقائع مطاردة صاحب هذا الفيلم « رأفت الميهى » ومنتجه « القلة » وممثليه « يحيى الفخرانى » و « معالى زايد » ! كيف عبثت بعض الاجهزة بأمنهم ، كيف أصدرت أمرا بالقبض عليهم ووقف عرض فيلمهم ، ثم ملبثت أن أفرجت عنهم بكفالات من غير المألوف أن تطلب حتى من مختالى المال العام وتجار المخدرات .

وليست السينما بأحسن حالا بالنسبة لمحظور نظام الحكم القائم ، فقبل الثورة وبعدها ألف صانعو الافلام الامتناع عن معالجة اى موضوع فيه شىء قليل أو كثير من المساس بالنظام السياسى السائد .

ففى العهد القديم ، كان ضرورة محتومة الا تعرض السينما لاستبداد السراى ، واستغلال الاقطاع للفلاحين .

بل إن من يشاهد الريف من خلال افلام المخرج « محمد كريم » ، لابد أن تذهب به الظنون للحظات ، انه انما يشاهد فيلما تقع احداثه فى ربوع سويسرا او السويد .

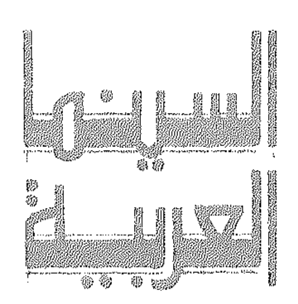
وبعد سقوط هذا العهد ، كان قضاء محتوما ، الا تعرض السينما بأى نقد لمؤسسات نظام الحكم الجديد ، ورجاله وقد يفسر هذا الحظر الراسخ رسوخ الجبال ، تلك الضجة التى صاحبت عرض « ميرامار » ( ١٩٦٩ ) للمخرج « كمال الشيخ »

فمن بين شخصيات هذا الفيلم الرئيسية شخصية عضو فى الاتحاد الاشتراكى العربى يذهب به الانحراف الى حد الارتشاء .

ومعروف ان الفيلم لهذا السبب لم يرخص له بالعرض الا بعد ان تدخل الرئيس جمال عبدالناصر شخصيا وسمح له بالعرض العام .

وعلى عكس الحال بالنسبة لمحظورى الدين والنظام الحاكم ، فصاحب المقال يرى فى غير مداورة ان نفرا من كبار المخرجين قد افلح فى ثقب جدار خطر الجنس على وجه يتيح لنا ان نرى زرقة السماء .





وعنده أن الضربة القاضية فى هذا المضمار قد جاءت على يد « صلاح ابو سيف » الذى طرح لأول مرة وبصورة لايختلف عليها أثنان موضوع الشذوذ الجنسى ، ذلك الموضوع المحرم تحزيما تاما على سينمائيى مصر .

فهو فى « حمام الملاطيلى » قد اختار العشق المثلى أرضا درامية ينهض عليها بناء الفيلم باكمله من خلال ثلاثة مراهقين يمارسون بيع أجسادهم فى حمام تركى .

ولم يفته ، وهو يتغنى بدور « صلاح ابو سيف » ان يتغنى كذلك بدور « يوسف شاهين » وثلاثيته « اسكندرية ليه » « حدوتة مصرية » و « وداعا بونابرت » باعتبار انها قد « خطت خطوات عملاقة فى تقديم العلاقة المثلية ، وكأنها علاقة طبيعية تقوم على الاختلاف ، وليس على مفهوم المرض او الجنون ، كما كان يحلو لبعض الكتاب والمخرجين فى مصر أن يقدموها »

● السفراء

اما ثالث الامور ـ ولعله اخطرها ـ فهو تحول القاهرة من مركز جذب لسينمائيى الوطن العربى المسدودة امامهم طرق الابداع فى بلادهم الى مركز طرد لهم ، لا يأبه بمصيرهم ، وهم فى منافى أوروبا تائهين .

فمثلا « برهان علوية » صاحب « كفر قاسم » و « مارون بغدادى » و « جوسلين صعب » و « راندا شهال » ( لبنان )

و« مرزوق علواش » صاحب « عمر قتلته الرجوله » و « ابراهيم تزاكى » ( الجزائر ) و « مؤمن سميحى » و « أحمد المأنونى » ( المغرب ) و « ناصر خمر » و « طيب لعوش » و « فيتورى بلحيبة » ( تونس ) و « عمر اميرالاى » صاحب « الحياة اليومية فى قرية سورية » ( سوريا ) ـ كل هؤلاء لم يجدوا سوى باريس مأوى للعيش والابداع .

وغيرهم استقر بهم المقام اما فى « بروكسل » كما « محمود بن محمود » و « نجية مبروك » ( تونس ) و« ميشيل خليفة » ( فلسطين ) او فى لندن مثل « هانى سرور » ( لبنان ) او فى فرانكفورت كما نبيل المالح » و « قيس الزبيدى » ( سوريا )

● النفى الخفى

وعن هذه الظاهرة كتبت الصحفية الامريكية « مريان روزين » مقالا تحت عنوان « سينما مجتثة الجذور» السينمائيون العرب فى المنفى ( ص ١٠٦ ـ ١١٣ )

وقد عرضت فيها لاسباب النفى فى الحقبة التالية لرحيل الاستعمار .

فاذا من بينها البيروقراطية غير الشرعية ، الاقتصاد غير المستقل ، المجتمع غير المتحضر ، والهوية الثقافية غير السوية

واذا من بين ضحايا هذا التلوث الشامل المخرجان « توفيق صالح » و « شادى عبدالسلام » .

فهما عند صاحبة المقال بمثابة منفيين ، وذلك رغم انهما لم يغادرا أرض الوطن العربى ، ولم يمارسا نشاطا سينمائيا فى بلاد الغربة .

وأولهما درس فى كلية « فيكتوريا ، ومن بعدها التحق بجامعة القاهرة ، ثم ما لبث أن سافر الى فرنسا حيث درس فن السينما فى باريس .

وفضل العودة الى مصر حيث كرس حياته من أجل سينما ملتزمة اجتماعيا وسياسيا .

وفيما بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٦٤ أخرج خمسة افلام روائية طويلة ( فى نفس الفترة ، أخرج يوسف شاهين أربعة عشر فيلما )

وعلى كل فأحد هذه الافلام الخمسة ظل


فاتن حمامة .. سيدة الشاشة العربية . أم السيدة ميلو

حبيس العلب زهاء عامين لانه انتقد البيروقراطية ، وفيلم ثان كادت الرقابة ان تبطش به لفضحه الفساد الحكومى ، لولا ان كتبت له النجاة بفضل تدخل عبدالناصر شخصيا ، وفيلم وثالث اعملت الرقابة مقصها فيه بالقطع والتمزيق متذرعة بانطوائه على مشاهد جنسية صارخة بعد كل هذا ، لم يكن غريبا ان يشد توفيق صالح الرحال الى سوريا حيث تقدم بمشروع فيلم يدور حول الفلسطينيين ، لم يكتب له لاعتبارات سياسية ان يرى النور .

ومع ذلك ، ففى عام ١٩٧١ ـ وبعد ايلول الاسود ـ التمس لمشاكله حلا فى قصة « رجال تحت الشمس » لصاحبها « غسان كنفانى » .

فاذا به يخرجها فى رائعته « المخدوعون » التى حصلت على الجائزة الكبرى لمهرجانى دمشق وقرطاج .

والغريب ان هذه الرائعة لم تعرض تجاريا الا فى دمشق ولمدة اسبوعين فقط ، كما لم تتح لها فرصة العرض العام لا فى مصر ، ولا فى العراق .

ومضت ايام من حياته اصبحت عشرة اعوام من الصمت ، لم يقطعه سوى تكليف من الرئيس العراقى باخراج فيلم « الأيام الطويلة » ( ١٩٨١ ) .

واذا كانت السن قد تقدمت بتوفيق صالح قليلا ، قليلا حتى اصبح كهلا رصيده من الافلام سبعة لاتزيد ، فان الموت قد انقض على « شادى عبدالسلام » ، فاختطفه فى اكتوبر ١٩٨٦ ، وليس له من رصيد سوى المومياء ، ذلك انه ، وعلى مر سبعة عشر عاما ، لم يفلح فى الحصول على تمويل « اخناتون » الذى كان يحلم باخراجه ، رغم أنه كان مقصوص الجناح ، مثقلا بقيود وضع اجتماعى متردٍ ، يغلب عليه الجهل بان الانسانية تعيش عصر الصورة ، واننا ، نحن العرب ، لا نستطيع ان نعيش خارج حضارة الصورة متبوذين .

## ● وداعا للتسول

وعن هذا الخطر الذى يتهددنا كتب المخرج المغربى « مؤمن سميحى » مقالا « اذا ما اختفت الصورة العربية » ( ٩٨ ـ ١٠٥ ) محذرا فيه من ان اية امة لا تنتج صورا مثلها مثل امة لاتنتج احتياجاتها من المواد الغذائية ، فمآلها بحكم اللزوم ان تتعرض لخطوب مهلكة من بينها المجاعة وضياع الكرامة بفقدان الاستقلال ، وذل السؤال .

# رحلة الحياة

قصة قصيرة

بقلم: نجيبة الغسال
ريشة: عادل ثابت

امتدت اصابعي في عصبية شديدة تحكم رتاج حقيبتي التي احملها دائما في مثل هذه المناسبة ··مناسبة تركي لبيتي ·· في ثورة عاتية وكثيرا ما افرغت الحقيبة بعد يوم او يومين على اكثر تقدير في دولاب ملابسي ·· وقد عاد بي احمد مرة اخرى الى البيت ·· وهو يقسم الا يغضبني ابدا ·· اعود وانا اقفز على اطراف اصابع قدمي والدنيا لا تسعني من السعادة،واثقة تماما في قسم احمد ولكن لا يمر اسبوع او اسبوعان حتى اكون في طريقي مرة اخرى الى بيت ·· ابي ·· ولكن هذه المرة انا التي اقسمت · وواثقة تماما في قسمي انني لن اعود الى هذا البيت · مهما حدث ·· و ·· وضعت الحقيبة بجانب باب الشقة وفوقها حقيبة يدي ومفتاح الشقة ، رجعت الى حجرة نومي لاكمل ارتداء ثيابي ولكن عرجت فجاه على حجرة الصالون لارتمي فوق مقعد مريح احاول تهدئة اعصابي حتى لا اخرج الى الطريق في منتهى التوتر ·· تنفست بعمق ·· اشمخ براسي متحدية كل همسة في بيتي ولكن لا ادري كيف استقرت نظراتي على صورة احمد المعلقة في صدر الصالون ·· يبتسم ابتسامة خفيفة واثقة يلمع معها بريق عينيه يؤكد احساسه بتفوقه وادراكه لقوة شخصيته وانتفضت واقفة ·· ذاهبة الى الصورة حتى اتاكد تماما من تحليلي لشخصية احمد ·· انه هو احمد كما احسه دائما صاحب انفة وكبرياء واعتزاز بنفسه واعتداد بطباعه واه من طباعه هذه انها سبب كل خلاف فرغم انه طيب القلب جدا عطوف ويحبني فعلا · الا انه حاد الطبع لا يستطيع كبح جماح غضبه عندما تغضبه اي لمحة لا توافق مزاجه من حيث وجهة نظره واحاول جاهدة الا اتي بما يغضبه ولكن قد يفلت الزمام دون ان ادري وعندها تكون الطامة الكبرى على اتفه



رحلة الحياة

الأشياء وكلما خرجنا من أزمة مفاجئة جاءت أزمة أخرى بلا مقدمات فجأة انتفض كل جسدي وامتدت يدي تربت على بطني . تسارعت أنفاسي . وانتقلت قدمي سريعا الى اقرب مقعد انها أول نبضة احسها في احشائي منذ أيام وكنا على مائدة العشاء عند أمي قمت منتفضة في خوف ابحث عن مقعد المائدة وسألتني أمي ..

ـ ما الخبر .

وقلت في خوف :

ـ لقد مر صرصار بجانبي ..

وضحكت أمي وضج الحاضرون من أخوتي وزوجاتهم بالضحك .. وقالت أمي ..

ـ مبروك .. الف مبروك لقد تحرك الشقي الصغير ..

لكن لم أصدق .. أهكذا يكون تحرك طفلي في احشائي ولكنها اليوم نبضة واضحة من جسم تحركه ملموس واوصدت باب قلبي وكل احساسي .. هل قدوم طفل صغير يجعلني أسيرة لكل هذه الطباع العنيفة .. والعصبية التي تكاد تطيح بكل شيء وتأتي كلمات أمي التي تهمس بها دائما .. الي .. يا ابنتي الحياة هكذا بكل ما فيها من سعادة وشقاء هي شركة متساوية بين اثنين زوج وزوجة .. ولو رضي كل زوج وزوجته ان يتقاسما الحياة بحلوها ، ومرها وخيرها وشرها

لعرفا ان الحياة لا تقوم الا بهما وبهما وحدهما وزادت النبضات ولكني هززت رأسي في عناد وقمت من فوري الى حقيبتي بجانب باب الشقة واعدت قسمي مره اخرى الا اعود الى هذا البيت مهما حدث.. من حسن حظي وجدت تاكسي امام ناصية

الشارع وكان السائق رجلا طيبا او ربما فطن الى حالتي .. لم اذهب الى بيت ابي احسست فجأة برغبة شديدة الا اذهب اليه فورا ولابد لي من الذهاب اولا الى اي مكان هادىء لاخذ فنجانا من القهوة وافكر مرة اخرى فيما انا مقدمة عليه .. تركت التاكسي في اشارة مرور ونزلت سريعا .. لم احدد الى اين اذهب .. تركت قدمي تقودانني الى وسط البلد ورحت بلا هدف انقل عيني بين واجهات المحال التجارية وشد انتباهي صوت ضحكة سعيدة تصدر عن قلب فرح هانيء .. نظرت حولي وكانت بجانبي . فتاة في مقتبل العمر تتأبط ذراع شاب لا يقل عنها سعادة وهناء .. لابد انهما لا يشعران بمن حولهما .. كل اهتمامها يكاد يخترق زجاج الفترينة العريضة المعروض وراءها حجرة مائدة في منتهى الذوق والجمال قالت الفتاة في حماس ..

ـ جميلة جدا هذه الحجرة .

وجاءني صوت الشباب في حب ..

ـ هل تعجبك حقا .

في دلع اجابت الفتاة

ـ جدا .. جدا .

وفى رجولة شديدة وشهامة قال الشاب ..

- اذن ندخل لشرائها حالا ..

ومرا من امامى فى خطوات جزلة سريعة والفتاة تتعلق فى ذراع فتاها وكانها لا تحس بالارض تحت قدميها وابتسمت فى صمت وانا اهز راسى وتعود الى قلبى كل مشاعر الفرحة التى تحسها الفتاة الان .. لقد شعرت بها من قبل .. كم هى جميلة تلك اللمسات الاولى التى مررت بها باصابعى على اثاث بيتى لنسرة الاولى .. وكادت تغشى عينى سحابة من الدموع انقذنى منها نبضة سريعة قوية من داخل احشائى وامتدت يدى سريعا تحتضن بطنى وخطوت مرة اخرى على غير هدى .. شدنى سريعا اصوات هادرة تتعالى من حولى فى صخب نظرت اليهم ثلاثة اطفال صغار ولد وبنتان انفلتوا سريعا من امهم وابيهم ليقفوا بجانب فترينة كبيرة للعب الاطفال، الاب يجاهد فى استماتة ليذهب بهم بعيدا عن الفترينة والام تهددهم وتعدهم ببعض اللعب . فى وقت قريب . لم تتركنى المفاجات لافكر بهدوء وقفت فى مكانى على الطوار كنت اهم بسحب قدمى لاخطو فى طابور المشاه وحاولا ان تسبق خطواتهما .. خطواتى اثنان .. زوج وزوجة خط المشيب راسيهما وكاد بريق الحياة يخبو فى عيونهما .. ولكن مازالت الزوجة تتمسك باناقتها . وتتمسك ايضا بتأبط ذراع زوجها يعطيه لها فى شموخ واهن وذراعه الاخرى تتكىء على عصاه ينقلها فى نغمة ولحن يطرب له ويعيد به خطوات شبابه .. سارا فى هدوء وتؤدة ثم اختفيا فى زحمة الحياة .. وقفت لحظة صامتة تماما .. ثم فجأة شعرت .. وكانى كرة تتدحرج على الارض مملوءة من الداخل بالنبضات القوية التى ترجفنى ويد تربت على بطنى ويدى الاخرى تحمل حقيبتى وراسى يدور فى قسمى وقلبى تسرع دقاته تحثنى على المضى فى طريقى .. اى طريق .. اى طريق .. طريق ابى ام طريق زوجى ام طريق ولدى ؟ وامام عينى العروس الفرحة بتأثيث بيتها والصغار باصواتهم الصاخبة . وفرحة امهم وابيهم بهم رغم زجرهم واخيرا العجوز وهى تتكفىء على ذراع زوجها الذى يلحن دقات عصاه على ارض الطريق على صوت المفتاح فى باب بيتى كانت هناك نبضة قوية ترجفنى معها وهى تدق .. بين احشائى وعلى صدر الصالون كانت هناك عينان مستقرتان فى ثقة واطمئنان ..



# المؤتمر الرابع

# لمظاليم الأدب في أقاليم مصر

رؤية أدبية يكتبها : يوسف القعيد

**● كانت الاستعدادات تجرى على قدم وساق فى شارع الهرم ، من أجل استقبال عايدة الهرم ، بعد أربعة اشهر من عايدة الأقصر . كان التناقض صارخا بين بذخ الإنفاق من أجل عايدة . وبين الإهمال الفاضح فى حوارى الجيزة . تلك المحافظة التى تعد بوابة القاهرة على صعيد مصر . وهى المحافظة التى لايعرف أحد أين ينتهى الريف فيها وأين تبدأ المدينة . ورغم كل تناقضات الحاضر فقد كانت هنا أول حكومة موحدة فى تاريخ البشرية .**

قطع أدباء مصر فى الاقاليم الطريق - عبر شارع الهرم - أربع مرات . مرتان الى قاعة خالد الذكر « سيد درويش » الذى قاوم الفناء بعبقريته الفذة . حيث جرى افتتاح وختام مؤتمر أدباء مصر فى الاقاليم . ومرتان الى قرية « طهومس » القريبة من شارع الهرم وفيها عقدت جلسات النقاش وتحول المؤتمر الى لجان ، هى نفسها اللجان التى شكلت فى المؤتمر منذ بدايته وحتى الآن . ولها أيضا نفس المقررين والأعضاء .

المؤتمر هو المؤتمر الثالث لأدباء مصر فى الأقاليم . وكان المؤتمر الاول قد عقد فى الفترة من ٤ الى ٧ فبراير سنة ١٩٨٤ فى مدينة المنيا بصعيد مصر . والمؤتمر الثانى عقد فى الفترة من ٧ إلى ١٠ ابريل سنة ١٩٨٦ فى مدينة الاسماعيلية . المؤتمر الأول عقد فى فترة رئاسة الدكتور سمير سرحان للثقافة الجماهيرية . والثانى عقد فى فترة رئاسة الدكتور عبدالمعطى شعراوى للثقافة الجماهيرية باعتبارها الجهة المنظمة للمؤتمر .

● لماذا العداء ؟

هذه المرة تعثر المؤتمر اكثر من مرة ، قدمت له محافظة سوهاج دعوة للانعقاد فيها ثم تنصلت واعتذرت ثم تقدمت محافظة مطروح بدعوة لعقد المؤتمر فيها

وعادت فسحبتها . وبعدها كان هناك عرض من محافظة جنوب سيناء فى مدينة نويبع وحدث خلاف بين الثقافة الجماهيرية ومحافظة جنوب سيناء حول الاقامة فاعتذرت المحافظة عن الدعوة .

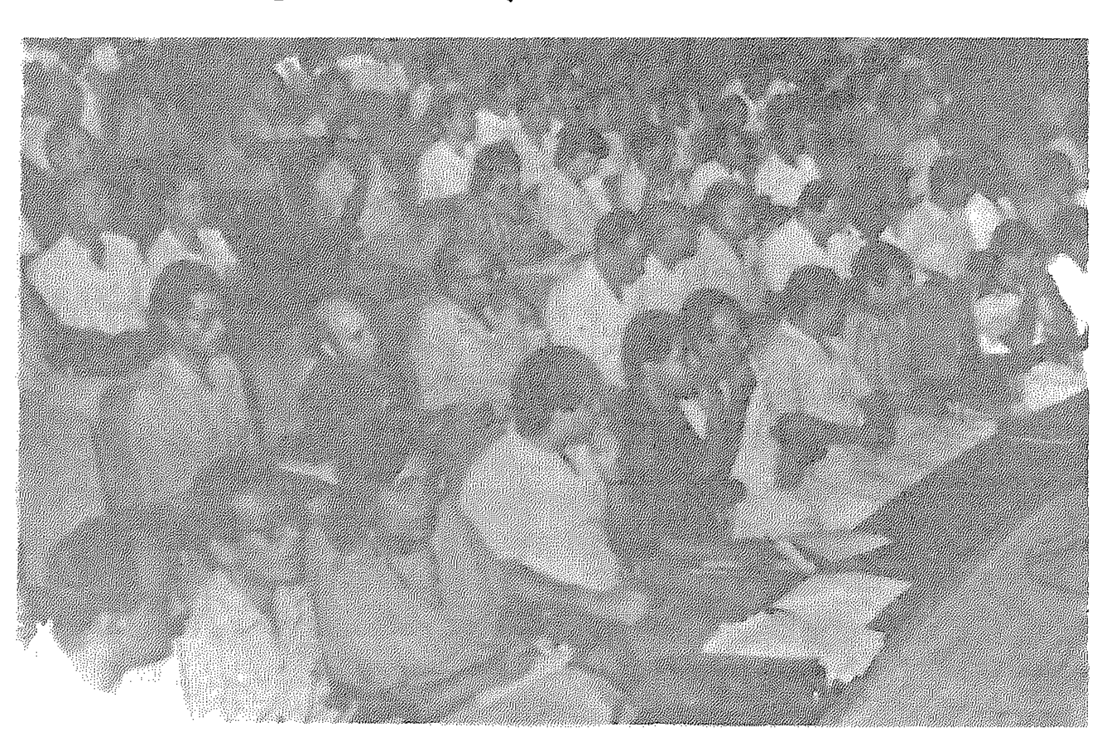
وأخيرا حدثت المعجزة وتمكن عبدالرحمن الشافعى مدير الثقافة بالجيزة من التوصل الى اتفاق مع الدكتور عبدالحميد حسن محافظ الجيزة على عقد المؤتمر فى الجيزة خاصة وأن الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة ورئيس المجلس الاعلى للثقافة هو فى نفس الوقت نائب فى مجلس الشعب مما سهل الاتفاق بين الثقافة الجماهيرية ومحافظة الجيزة .

والسؤال هو : لم كل هذا العداء للمؤتمر ؟ ولأنه لاتوجد إجابات محددة من أحد . نقدم نحن الاجابات التى يخشاها الذين يعادون المؤتمر ولايعلنونها أبدا . هل العداء للمؤتمر بسبب إصراره التام فى كل مرة عقد فيها على ان تكون التوصية الأولى التى تصدر عن أدباء مصر هى رفض كافة اشكال التطبيع مع اسرائيل فى المجال الثقافى ومقاطعة كل مثقف مصرى يقوم بالتطبيع مع إسرائيل بكل شكل من أشكال المقاطعة .

أم أن هذا العداء سببه التوصية فى كل مرة بضرورة استقلالية أجهزة الثقافة فى الأقاليم عن أجهزة الحكم المحض . حتى لايبقى الاهتمام بالثقافة مرهونا بمزاج مسئولى الاقاليم والمحافظات وفهمه لقضية الأولويات ؟!

أم أن رفض المؤتمر سببه الأساسى حالة العداء الدائمة الموجودة بين المسئول فى موقع المسئولية وكل هذا الصخب والضجيج الذى يحدثه المثقف عادة فى أى مكان يعمل فيه أو يصل اليه . خاصة وان هذا الصخب وذلك الضجيج

**جانب من الحاضرين فى مؤتمر ادباء الاقاليم**



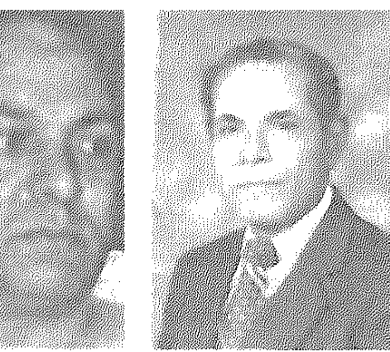
يحدث حالة من العدوى فى بعض الأحيان .

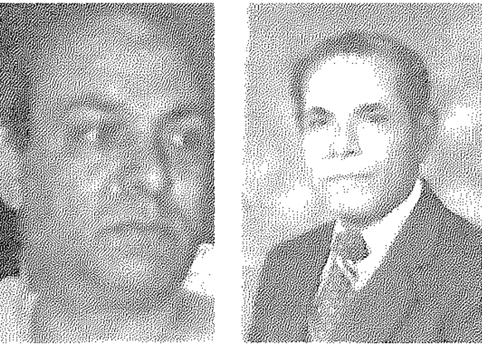
عموما لتذهب التساؤلات مع الرياح ولكن تبقى لنا النتائج . فقد عقد مؤتمر أدباء مصر فى الاقاليم لأول مرة بعيدا عن الاقاليم نفسها ، أى أنه عقد فى مدينة القاهرة؟ . بصرف النظر عما يقال من انه عقد فى الجيزة وأن مناقشاته جرت فى قرية « طهرمس » التى تبعد عن شارع الهرم بخمسة كيلو مترات فقط . فقد .

عقد المؤتمر فى إقليم القاهرة الكبرى . اى ان ادباء الاقاليم عقدوا مؤتمرهم فى عاصمة الأقاليم وليس فى أحد هذه الأقاليم . وتلك هى حقيقة الأمر بدون زيادة أو نقصان . وبعيدا عن التلاعب بالفاظ اللغة العربية .

● أغرب المؤتمرات

وهذا المؤتمر من أغرب المؤتمرات فى مصر ، فمن ناحية رقمه هناك اجتهادات متعددة ، ومن ناحية اسمه هناك اكثر من خلاف . الاوراق الرسمية تقول إنه المؤتمر الثالث . وبعض المشاركين يقولون إن هذا الرقم فيه تجن على الواقع . فالمؤتمر الأول ليس الذى عقد فى سنة ١٩٨٤ فى مدينة المنيا بصعيد مصر ولكنه المؤتمر الذى عقده شعراوى جمعه باعتباره أمين الدعوة والفكر فى الاتحاد الاشتراكي فى مدينة الزقازيق سنة ١٩٦٩ . صحيح ان





يس الفيل        عبدالله السيد شرف

مؤتمر الزقازيق ١٩٦٩ كان اسمه المؤتمر الأول للأدباء الشبان فى مصر ، ولكنه كان الانجاز الأول الذى خرج منه المؤتمر الذى نظم فى سنة ١٩٨٤ فى المنيا . وبالتالى من المفروض أن يكون هذا المؤتمر هو الرابع .

اسم المؤتمر قضية أخرى ، من الصعب معرفة أين تنتهى الاقاليم واين تبدأ العاصمة فى كل أدباء مصر الآن والقليل جدا من ادباء مصر هو من ولد فى العاصمة . وهذه التسمية جائزة . وهى تكرس وضعا يجب محاربته بدلا من أعطائه كل فرص الشرعية ، وهذا الوضع الذى يقسم أدباء مصر الى ادباء اقاليم وادباء عاصمة يجب مواجهته بدلا من تخصيص مؤتمر له . والاحتجاج على التسمية يلخصه محمد الخضرى عبدالحميد عميد أدباء صعيد مصر عندما يقول ببساطة :

يعنى نهاجر الى القاهرة ونترك البيئة والاقاليم ونجىء اليكم نصبّح عليكم مع كل طلعة شمس - لننال حقنا .

والخضرى عبدالحميد أديب فرض

اسمه على الساحة الادبية وسلاحه الوحيد هو : طابع البريد وقضية هى أنه من حق الاديب الجيد أن يأخذ حقه من المجتمع كله بصرف النظر عن الاقليم الذى يعيش فيه . ولكن المشكلة ان عباقرة اليفط الأدبية سدوا عين الشمس فى العاصمة الأدبية . والمشكلة أيضا أن كل بؤر تجمعات الادباء فى أقاليم مصر لم تستطع ان تخلق واقعها الادبى والثقافى الذى يوازى القاهرة . ابتداء من اسوان وحتى الاسكندرية ، فالكل يكتب ويبدع ولكن على ايقاع القاهرة الثقافى .

وإن كانت تلك هى حال الخضرى عبدالحميد فان الشاعر يس الفيل عميد أدباء الدلتا والوجه البحرى حالة أخرى . فالشاعر الذى سيكمل الستين من عمره فى نوفمبر القادم ، وسيحال الى المعاش من عمله كمدير عام للعلاقات العامة بمديرية التربية والتعليم بدمنهور . لم يتمكن حتى الآن من نشر ديوان شعر واحد . والسبب الوحيد فى ذلك بعده عن القاهرة وعن دور النشر بل ان ديوانه الذى سيكون الأول . موجود ومعد للنشر ضمن سلسلة اشراقات أدبية التى يرأس تحريرها عبدالعال الحمامصى ، وان كان لم يصدر بعد . وعندما يصدر ستكون المرة الاولى التى تدون فيها شهادة ميلاد شاعر فى سن الستين من عمره .

● البيانات والواقع الثقافى

وكالعادة حفل المؤتمر بالعديد من البيانات التى تقدم خريطة دقيقة للوجه الأخر للواقع الثقافى فى مصر الآن . ولكن هذا العام كانت اقل البيانات الصادرة .

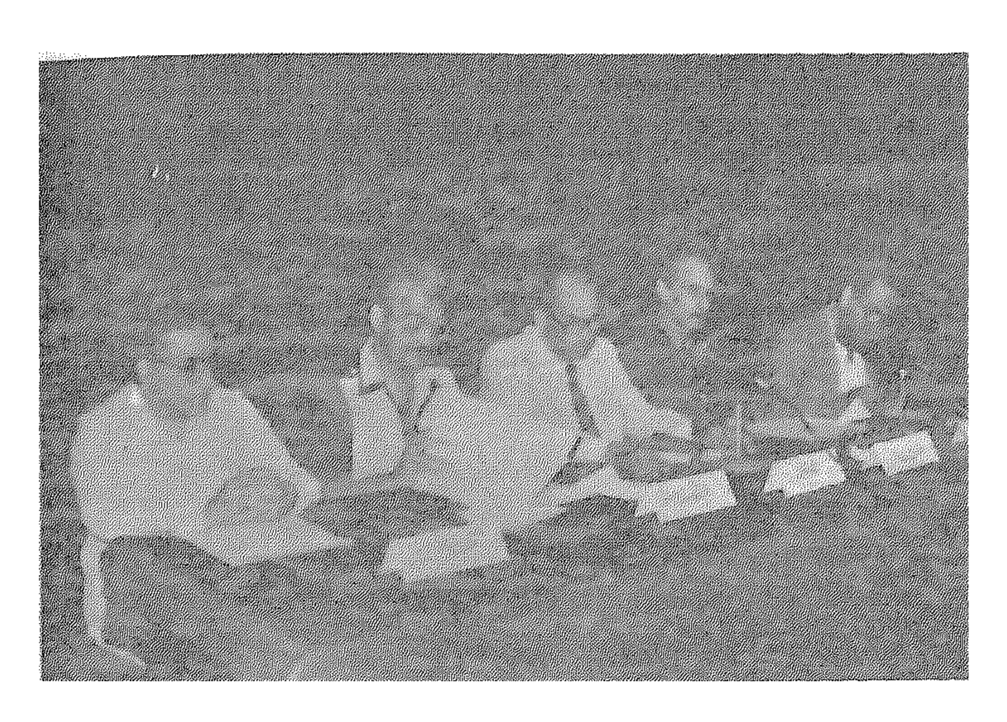
ولايدرى الانسان هل فقد الادباء اهتماماتهم ، أم أنها مرحلة لالتقاط الانفاس الادبية فى أقاليم مصر ؟

البيان الأول اصدره ادباء المنصورة : فؤاد حجازى نبيل خالد عبدالمنعم الباز محمد عمار وعنوانه لماذا نحن هنا ؟ وهذه الورقة فيها قفز على حقائق الواقع . ففى الوقت الذى اعتذرت فيه ثلاث محافظات عن استضافة هذا المؤتمر . اذ بورقة المنصورة تقترح مد المؤتمر من ثلاثة ايام الى سبعة أيام ، ثلاثة أيام منها لادباء مصر واربعة للادباء العرب .

ان امتداد الحلم الى ارجاء الوطن العربى مسألة مشروعة وربما كانت مطلوبة أيضا ولكن لا القدرة على الحلم موجودة ولا امكانية تحقيق الحلم متاحة لأحد الآن . فنحن فى زمن العين البصيرة واليد القصيرة .

البيان الثانى والثالث من ادباء الاسماعيلية عن مشاكل بين ادباء الاسماعيلية ونادى الادباء هناك وكذلك عن حال جريدة القناة وندوات النادى ، وقع عليه اشرف عوض الله . صفية فرجانى ، جوزفين ريمون . وهناك دعوة من ادباء الاسماعيلية بدعوة الجمعية العمومية لنادى الادباء للاجتماع واعتبار كل مبدع فيها عضوا ومقاطعة ندوات النادى الحالى المعين بقرار من المحافظ لحين انعقاد الجمعية العمومية .

والبيان الثالث من كل ادباء مصر المشاركين فى مؤتمر أدباء الاقاليم من اجل الابقاء على الدور الايجابى للمجلات غير الدورية فى اثراء الحياة الثقافية وتحقيقا للممارسة الديمقراطية الحقة نناشدكم نحن أدباء مصر التدخل العاجل



د . هيكل يلقى كلمة فى افتتاح المؤتمر

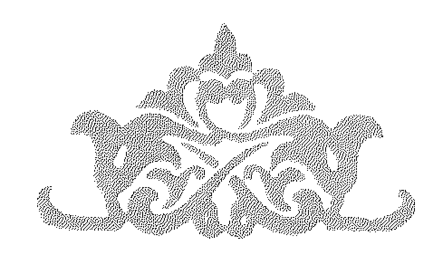
لدفع اى حظر على اصدار المطبوعات الثقافية غير الدورية . والبيان موجه الى الدكتور احمد هيكل وزير الثقافة . وموقع عليه من حجاج العابى وقاسم مسعد عليوة وجمال التلاوى ، سمير الفيل ، مصطفى نصر ، محمد المنسى قنديل ، سهام بيومى . جار النبى الحلو . خيرى عبدالجواد . أحمد زرزور .

حضر هذا المؤتمر مائتا كاتب واديب منهم حوالى ٨٠ فقط من ادباء الاقاليم والباقون من ادباء العاصمة طبعا وتكلفت الاقامة فى الفنادق فقط خمسة عشر الف جنيه مصرى .

ولعل أفضل صور المؤتمر هى صورة الاديب عبدالله سيد شرف وهو من قرية صناديد غربية وقد حول بيته فى القرية الى ندوة دائمة ومستمرة لأدباء مصر كلهم سواء من القاهرة أو من الاقاليم ورغم مرضه الذى يمنعه من الحركة . فقد جاء على كرسى متحرك وأبناؤه الصغار يدفعون به الكرسي المتحرك وكان حريصا رغم المرض على حضور كل الجلسات .

ان الحياة ـ فى الاصل والاساس ـ ارادة اكثر منها إمكانية وقدرة . وفى اعماق عبدالله سيد شرف ضرورة الخلق والابداع وارادة الحياة قبل هذا كله . لذلك جاء الى هذا المؤتمر على كرسى متحرك .

وقد حصل على تكريم هذا العام . ومعه شاعر الريف زكى عمر الذى غرق فى اليمن الجنوبى لكى ينقذ ابنتيه من الغرق ، وشاعر الدلتا الكبير يس الفيل والروائى السكندرى محمود عوض عبد العال . صاحب رواية سكرمر .






● كلمة « الشرق » تستعمل بمعنى « الشمس » .. لان الشمس تطلع من الشرق .. ويقال : طلع الشرق ، أى طلعت الشمس ، ولكن لا يقال : غاب الشرق بل يقال فقط : غابت الشمس .. قال المتنبى يذكر « الشرق » بمعنى الشمس :

والقى الشرق منها فى ثيابى
دنانير تفر من البنان

● من الاخطاء الشائعة فى الكتابة الصحفية قولهم : « طفلان توأم » .. وانما يقال للطفلين اذا ولدا فى بطن : « طفلان توأمان » .. والطفل الواحد : « توأم » .. وفى التأنيث : « توأمتان » .. والواحدة «توأمة» .. والجمع : « توائم ، وتؤام » .. وللاستاذ العقاد بيت فى الغزل يقول فيه لمحبوبته :

فيك منى ومن الناس ومن
كل موجود وموعود تؤام

انتقده مصطفى صادق الرافعى قائلا : ان من كل موجود وموعود بالوجود ، الحشرات والحيوانات والهوام ، فكيف يقال ان هذه الموجودات الدنيئة شقيقات توأمات للمحبوبة ؟! ..

● هرأ الرجل الكلام ، أى أكثر من الخطأ فيه .. والهراء هو الكلام الفاسد الكثير الخطأ ..

● يقولون : فلان تيمته فلانة بحبها ، أى جعلته ذليلا خاضعا لها .. ويقال أيضا : فلانة تامت فلانا ، بمعنى تيمته بحبها .. قال الشاعر القديم:

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت
احدى نساء بنى ذهل بن شيبانا

● نقرأ فى كتابات هذه الايام قولهم : صفع فلان فلانا على وجهه .. وهذا تعبير غير صائب « الصفع » يكون على القفا وليس على الوجه !.. ويكون « اللطم » على الوجه لا على القفا .. قال أبو نواس متغزلا فى امرأة تبكى :

تبكى فتذرى الدر من نرجس
وتلطم الورد بعناب

و « الورد » هنا هو ورد خديها ، فهى تلطمها بأصابع يديها المخضوبة كأنها العناب ! ..

وقد بالغ شعراء « البديع » بعد ذلك فى هذا المعنى حتى قال أحدهم :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

و « البرد » بفتح الباء والراء هو الثلج ، يشبه به الشاعر أسنان محبوبته وهى تعض أصابعها وتمطر من نرجس عينيها لؤلؤا تسقى به ورد خديها ! ..



• رأى فى الثقافة •

# التليفزيون المصرى ورسومه العجيبة

من نافلة القول ان نعيد ونزيد عن اهمية هذا الجهاز الذى يشكل الغذاء الاساسى للمشاهدين لدى الاغلبية الساحقة من الناس ·· لذلك فان حساب التلفزيون يجب ان يكون على هذه الدرجة العالية من المسئولية القومية ·

وانطلاقا من هذا الاحساس لابد ان نذكر السادة العاملين فيه بأن اى اداء سيىء لابد ان ينعكس على الناس وعلى درجة تذوقهم ، بل ، حتى على فهمهم للحياة ·

والشىء الغريب أن التلفزيون يضم بين جدرانه الشاهقة عددا كبيرا من المصممين والفنانين ذوى القدرات العالية ، لكن لا نعرف لماذا يسندون الرسوم المصاحبة للبرامج والفقرات الموسيقية ومقدمات الحلقات والديكورات الى اشخاص يبدو انهم لا يعرفون شيئا عن الرسم ، ولا شيئا من الذوق ، من اولئك الذين تخرجوا فى مدرسة افيشات السينما الرخيصة حيث تبدو الالوان ملطخة بشكل عشوائى ، والاشكال نفسها تدعو للرثاء : عصفورهم يوحى بالتشرد والضياع والهوان ، واغصان اشجارهم توحى بالنضوب والجفاف ، ووجوه نسائهم عليها اكوام المساحيق وملامح الرجال توحى أنهم خرجوا لتوهم من مستشفيات الامراض العقلية والنفسية والعصبية ·

وهذه الاشكال تنتقل الى اذواق وضمائر الناس حتى لتراها بالفعل فيما يختارونه من لوحات رخيصة يعلقونها فى غرف نومهم وطعامهم وصالوناتهم ·· وذلك طبعا بفضل الرسامين العتاة الجبابرة للتلفزيون المصرى ·

**عبده جبير**

### ● المستقبل العربي مرحلة جديدة

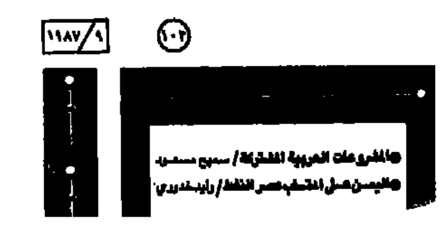
لا ينسى احد منا تلك المجهودات الرائدة التى قدمها معهد الدراسات العربية فى مجال الدراسات القومية التى اغنت المكتبة العربية بدراسات رائدة ، ستظل علامات بارزة فى هذا المجال ·

وبعد أن توقف المعهد عن العمل والانتاج لاسباب معروفة حدثت فجوة كبيرة ، لم يعوضها الا مركز دراسات الوحدة العربية فى بيروت الذى قام بمجهودات قيمة فى هذا المجال ، عبر الكتب العديدة التى قدمها منذ انشائه عام ١٩٧٥ ، والسنوات الاخيرة منها بالذات · او عبر مجلته المتميزة التى بلغت حتى الان ١٠٣ اعداد ·

وها هو مركز دراسات الوحدة العربية يتخذ خطوة جديدة فى سبيل تطوير نفسه من خلال تدعيم مكتبه بالقاهرة بالعديد من الباحثين الجادين والمشاريع الجديدة الذى يقوم عليها الباحث والكاتب جميل مطر الذى عرف بالكفاءة والتفوق ، لتعود القاهرة من جديد قبلة للثقافة العربية بعد سنوات من العتمة والظلام اللذين خيما على وجهها

اما العدد الجديد من المستقبل العربى فقد ضم دراسة هامة عن التهديد النووى الاسرائيلى كتبها الدكتور تيسير الناشف استاذ الدراسات العربية بالجامعات الامريكية ، ودراسة عن المشروعات العربية المشتركة ترصد واقع هذه المشروعات واهميتها كما تستعرض المعوقات التى تحول دون نموها والنظرة الى مستقبلها · هذا بالاضافة الى دراسات كل من د· المنصف وناس عن المنظومةالاصلاحية الخلدونية ، ودراسة د· وليد خدورى عن اليمن العربية على اعتاب عصر النفط ، وملف كامل عن الدولة الريعية العربية ساهم فيه كل من د· حازم الببلاوى وجياكومو لوشيان و د· محمود عبد الفضيل ، ورأى للدكتور رضوان السيد عن الشرعية الدستورية والعقد الاجتماعى ·

بالاضافة الى الابواب الثابتة وعروض الكتب والمؤتمرات وموجز يوميات الوحدة العربية وببلوجرافيا الوحدة العربية ·







### ● تراث كامل الكيلانى فى ذكراه

فى العشرين من اكتوبر الحالى يكون قد مر على ميلاد رائد كتابة الاطفال كامل الكيلانى ٩٠ عاما ، وفى التاسع من هذا الشهر تكون ٢٦ عاما قد مرت على رحيله ·

وهذا الرائد الكبير الذى وضع على كاهله مسئولية ضخمة لم يحملها احد قبله ، بل قام بها مدركا لاهميتها وخطورتها ، كان شلالا هادرا من الكتابات ، فكان بالفعل الرائدالعربى الاول للكتابة للاطفال ، ويذكر لنا التاريخ ان اول قصة كتبها الكيلانى للاطفال كانت عام ١٩١٢ ، اى منذ ٧٣ عاما ، وتعد اول قصة للاطفال فى الادب العربى ، وهى قصة الامير صفوان التى كتبها وهو فى الرابعة

عشرة من عمره ولم تنشر ، وان كان اصلها الخطى لايزال موجودا بين اوراقه في حوزة ورثته ٠

وبالاضافة الى كتبه المعروفة : « نظرات فىتاريخ الاسلام » و « ملوك الطوائف » و « مصارع الخلفاء » و « مصارع الاعيان » وتحقيقه الشهير لرسالة الغفران ، وترجماته العديدة كتب الكيلانى الف قصة بالتمام والكمال للاطفال ، بعضها ترجمه وصاغه والاخر من تاليفه الخالص ، ولم ينشر من هذا الكم الهائل من القصص سوى ٢٥٠ قصة تقريبا ، اما الباقى فيحتاج الى جماعة عمل جديدة ، لعل المركز القومي للطفل يقوم بدفعها ، كما سبق واعلن ، الى نشرها بعد تحقيقها بما تقتضيه الظروف التى تغيرت منذ وفاته ٠

ان هذه الكلمة القصيرة ما هى الا تذكير بهذا الرائد ، حتى لا تضيع اعماله ، واعادة تقليب فى اوراق روادنا الكبار الذين وضعوا على كواهلهم مسئولية من هذا الحجم القومي الكبير ٠٠ مسئولية الكاتب الحقيقى الذى يرى ان الكتابة رسالة قبل اى شىء اخر ، كما انها دعوة لدراسة اعماله مجددا لنتبين ما حققته وما لم تحققه وصولا الى مستوى متطور واكثر تحديدا للطفل العربى الذى يعانى نقصا شديدا فى الكتابة الجادة له ٠

## مسرح

### ● عروض جديدة

يستعد المسرح الحديث بعد ان اسندت ادارته للمخرج فهمى الخولى لتقديم اربعة عروض فى الموسم الشتوى القادم ، اولها « عريس لبنت السلطان » التى كتبها محفوظ عبد الرحمن ويخرجها محسن حلمى ، ومسرحية « النواسانى » للكاتب عبد المغنى داوود واخراج عادل زكى، ومسرحية « بشر الحافى » للدكتور عبد الغفار مكاوى والمخرج محمد صديق العائد بعد سفر طويل من الخارج ، وكان قد اوقف له عمله الاول فى بداية السبعينيات ، الذى كان مأخوذا عن نص « اليهودى التائه » للكاتب يسرى الجندى ، وسيقدم المسرح عرضا للمرحوم محمود دياب يخرجه جلال توفيق عن مسرحية « ارض لا تنبت الزهور » وهى اخر ما كتبه الراحل ٠

● وفى المسرح القومى يتم الان عمل البروفات للعرض المؤجل من الموسم الماضى والذى كان مدرجا فى خطة المسرح الحديث « دماء على ستار الكعبة » وهو من تاليف الشاعر فاروق جويدة ويخرجه هانى مطاوع وديكور اشرف نعيم ، وسبق ان اخرج مطاوع منذ عودته من الخارج مسرحيتين لفرق القطاع الخاص ، اولاهما « خشب الورد » لعلى سالم ، والثانية « شباب امراة » عن قصة امين يوسف غراب واعداد بهجت قمر ٠

● وفى المسرح الكوميدى مازالت البروفات مستمرة لعرض « د ٠ زعتر » تاليف يسرى الجندى واخراج السيد راضى ومن تمثيل ابو بكرعزت وبوسى على أن يبدأ العرض مع مطلع هذا الشهر ٠

### ● مسرح الثقافة الجماهيرية

يواجه مسرح الثقافة الجماهيرية الذى يشرف عليه الكاتب المسرحى يسرى الجندى ازمة حادة بسببتقليص الميزانية الى ثلث الاعتمادات المقررة، وكانت الازمة قد بدأت منذ العام




الماضي لنفس السبب ، وبسبب اثارة الموضوع امام رئيس الجمهورية فى لقائه مع الادباء فى افتتاح معرض الكتاب فى اول يناير الماضي ، تقرر اعادة الاستقطاعات ، ورغم ذلك فان ما حدث فى العام الماضى يتكرر هذا العام فقد اعتمدت الميزانيات وتم التخفيض ، والمشكلة هنا ليست فى قلة الاعتمادات المخصصة من قبل الدولة لقطاع الثقافة الجماهيرية ، ولكن لان المسئولين فى الثقافة الجماهيرية قد قرروا توزيع الميزانية بما يجوز على النشاط المسرحي ولصالح انشطة لا تمت للثقافة بصلة كافتتاح فصول للتطريز والخياطة وما الى ذلك ، وبذلك احكم الحصار حول المسرح ، مرة بخفض الميزانية ومرات لغلق دور المسارح بسبب احتلال السينما التجارية المستمر لهذه الدور وتقديم افلام تهدف للربح فى المقام الاول ، فاذا علمنا ان هذا الربح يدخل الى ميزانيات جمعيات رواد قصر وبيوت الثقافة المنتشرة فى كل اقليم والتى ليس من حق الادارة المركزية التدخل فى شئون ادارتها ، حيث تتكون من مجلس ادارة معظمه منتخب من قبل جمعيات وهمية يتكون اغلب اعضائها من رواد نوادى السينما حيث يشكلون الكم الاكبر بالنسبة للانشطة الاخرى ، ولذا فان معظم مجالس الادارات يتم فيها الانتخاب بالتزكية ، فتتكرر نفس الوجوه فى كل مجلس ، وهذه لايهمها بحكم الاستمرار والمصلحة سوىزيادة الرصيد ولو على حساب الانشطة الاخرى الاساسية كالمسرح ونوادى الادب والموسيقى والفنون الاخرى ، فلو علمنا مع كل هذا ان دور الثقافة بأروقتهاقد احتشدت بالانشطة النسوية وفصول تعليم اللغات ، ولم يبق مكان لممارسة نشاطات اخرى ، فان هذا كله يؤكد على النية المبيتة لتحجيم دور المثقفين في الاقاليم وتقليص نشاطهم ..

من اذن يقف وراء غلق الفرق المسرحية لابوابها وتسريح روادها وكذلك محاصرة نوادى الادب والموسيقى والفنون التشكيلية ؟... سؤال نضعه امام وزير الثقافة ونطالبه بالتدخل لوقف هذا الاهدار المتعمد لطاقات اكثر من مائة فرقة مسرحية تقدم عروضها السنوية فى كل ربوع الجمهورية .

**محمد الشربينى**

## • رسائل جامعية •

### • استكشاف الفنانين فى رسالة دكتوراه

ناقش الزميل الفنان رضا عبد السلام رسالة الدكتوراه التى تقدم بها لكلية الفنون الجميلة التى يعمل بها مدرسا مساعدا تحت عنوان « اهمية الرسوم التحضيرية فى التصوير المصرى المعاصر » ، وكانت لجنة المناقشة مكونة من الاستاذ احمد نبيل سليمان ، والدكتورمصطفى عبد المعطى ، والدكتور مسعد المنصورى .

وفى البداية اكد الدكتور احمد نبيل على ان اهمية هذه الرسالة انها رسالة ميدانية ، تناولت مجموعة من الفنانين المصريين فى رسومهم التحضيرية ، وان هذا جانب مهم لم يتناول من قبل .

وقد اكد الدارس فى تلخيصه للرسالة على عدد من الحقائق :

● ان الرسم يعد من اقدم وسائل التعبير الفنى عن نفسه منذ ازمنة بعيدة ، فعندما أحس الانسان بالرغبة فى التعبير عن خلجاته وامالـه ومعتقداته كان الرسم وسيلته الاولى .

● ان الرسم لم يعد تابعا للتصوير ، بمعنى أنه مجرد عملية اعداد للوحة الفنية ، بل اصبحت له اهميته المباشرة فى التعبير ، وانه فن مستقل بذاته . يتطلب عند تحليله مجهودا كبيرا كما تتطلبه اية لوحة فنية قيمة .

● للتاكيد على هذه الاهمية استشهد الباحث بنماذج عديدة من الرسوم ابتداء من عصر النهضة وحتى وقتنا الراهن .

● ان الرسم يستطيع ان يحيى فى الذاكرة ما تراه الاعين من نباتات وحيوانات وانهار وبحار واشجار ، بل يستطيع ان يسجل ادق التفاصيل ، بالاضافة الى حفظ الابعاد والنسب بين الاجزاء وبعضها البعض ، وبين الاجزاء والكل .

● نظرا لتعدد النماذج المصرية التى شكلت مادة البحث لجأ الباحث الى تصنيفها فى ثلاث مجموعات :
( أ ) رسوم انطباعية ماخوذة مباشرة عن مصادرها .

(ب) رسوم تلقائية ذات طبيعة خيالية .

(ج) رسوم تعبر عن شعور باطنى بطىء التكوين .

وقد اوصى الباحث بضرورة التفات النقاد والدارسين لفن الرسم باعتباره فنا مستقلا يجب اخذه بعين الاعتبار ، كما اوصى بضرورة انشاء مكتبة قومية تضم رسوم الفنانين خشية ضياعها .

وقد ايد الدكتور مصطفى عبد المعطى على اهمية الرسم واسماه ملح الطعام فى الفن ، وانطلق الى ما اسماه ملاحظات ضرورية ، بعضها يتعرض للشكل والبعض الاخر للمضمون .

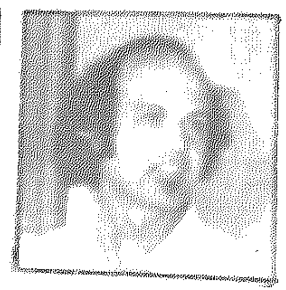
وفى اطار الملاحظات الشكلية اشار الى الاخطاء الاملائية والنحوية واللغوية التى كان يمكن تجنبها .

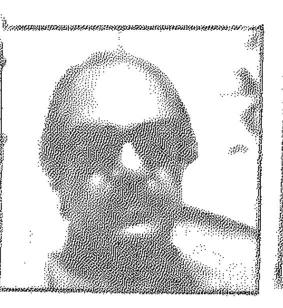
وقد وجد المناقش تناقضا موضوعيا حينما وصف الدارس الفن الفرعونى فى بداية البحث بما يوحى ببدائيته ثم وصفه باوصاف توحى بعظمته وتعقده مما يناقض القول الاول ، كما ان الباحث قد تجنى على الفن المصرى وهو يصف خطوطه بالعصبية ضمن فنون اخرى .

كما رأى المناقش فى الفصل الخاص بالفن الاوربى تطويلا كان يمكن الاستغناء عنه لان الرسالة اصلا عن الفن المصرى المعاصر ، وان كان الباحث قد رد على هذه النقطة باعتبار ان الرسم المصرى اخذ عن الاوربى الكثير من المناهج والرؤى مما يقتضى ضرورة عرضه فى هذه المساحة .

وعاب على الباحث خلو دراسته مما اسماه بالمخطة العامة التى يسير





رضا عبدالسلام      مصطفى عبدالمعطى

عليها من ناحية انه لجا احيانا الى التدليل على صحة كلامه فيما يخص احد الفنانين بنمـــاذج معينـــة من الرسوم والمعلومات ، وعند فنان اخر نجده يتخلى عن هذا المنهج ٠

أما الدكتور سعد المنصورى فاكد على ان الموضوع بالفعل مثير وشائق وفريد ، لان الكلام عن الاسكتشات هو كلام عن النبتة الاولى للابداع عند الفنان وله صلة كبيرة بعلم النفس وعلم الجمال ، والثقافة الفنية بوجه عام ٠ لـــذلك كنت ارجو أن يمس الموضوع من الناحية النظرية بشكل اعمق من الكلام عن الفنانين بهـذا الشكل السريع ٠

وقال ان هنـاك ملاحظة شكلية ، لكنها هامة وهى ان الباحث وضع فهرس المراجع فى غير موضعه وكان يجب ان يضعه قبل الملخص فى نهاية البحث ٠

وفى النهاية حصل الباحث علـى درجة دكتوراه الفلسفة فى الفنون ٠

• مهرجان •

## • تلك الرائحة فى مهرجان الرافعى هذا العام

احسن مهرجان الرافعى هـــذا العام لانه استن سنة جديدة تجاوز بها نفسه ولم يقف عنـد المدعاوى الاقليمية المضـــيقة الافق ، فها هو يتجاوز الحدود الاقليمية ليقيم ندوته الادبية عن عمل روائى هام لصنع الله ابراهيم ٠

والمعروف ان هذه الرواية نشرت اخيرا فى مصر فى طبعة كاملة لاول مرة ، بحيث يمكن القول انها ولدت فى تربة وطنها ولادة جديدة تستحق الاحتفاء والتقدير ٠

أقيم المهرجان ـ الندوة ـ يوم الاحد الموافق ٨/٣٠ الماضي وشارك فيـــه الدكتور فوزى مكى عميد تربية طنطا والدكتور محمود الحسينى الاسـتاذ بجامعتها والدكتور حامد ابو احمـد بالاضافة الى القاص فؤاد حجـازى والناقد محمود حنفى كساب ٠

وفى البـــداية رحب الدكتور مكى بصـــنع الله ابراهيم مؤلف تلـك الرائعة التى أقيمت الندوة لمناقشتها ، وعبر عن سعادته وغبطته باجتمـاع هذا الحشد القادم من العاصمة وعدد اخر من البلدان من اجل القيمـــة الادبية الجادة على الرغم من عناء السفر ٠ وقال عن الرواية انها افاقته على صرخة الالم الذى عاناه بطلها٠ وكان المتكلم الثانى هو القاص فؤاد حجازى الذى اشاد بالرواية ودورها التاريخى وقـــال انها كـــانت بداية لنهاية عصر الرواية التقليدية ، ولكنه عاب عليها بعض الالفاظ الخـــارجة وان كثيرا من تصرفات البطل رآها غير منطقية من النـــاحية الواقعية بالاضافة الى ان المؤلف لم يحـــدد الزمن الذى عاش فيه البطل ولا حالته الاقتصادية وكيف يعيش وماذا يفعل ولكن صنع الله ابراهيم اوضح ان القارىء يستطيع ببساطة ان يعـرف مكان وزمان البطـل من القـــرائن حيث هناك شوارع واماكن محـددة

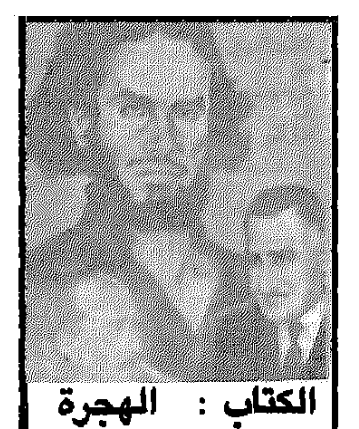
بالاسم فى الرواية كما اننا نستطيع ان نحدد الزمن من اللقطة التى نرى البطل فيهـا وهو يتابع العساكر العائدين من حرب اليمن .

اما محمود كساب فقال ان هذه الرواية هى مفتاح اعمال صنع الله ، ولكى ندخل الى عالمه المتمثل فى أعماله الاخرى نجمة أغسطس ، اللجنة بيروت بيروت ، لابد من ان نمر بتلك الرائحة ، وذكر ان للرواية مستويين، الأول المستوى الخارجى التلغرافى ، والثانى مستوى الحلم والتذكر والتداعى ويغلب عليه الطابع الشاعرى . كما انتقد علاقة البطل بالعسكرى الذى يأتيه كل مساء ومعه السركى ليوقع عليه بالتواجد فى مسكنه وقال انها علاقة نمطية لم تتغير .

اما الدكتور الحسينى فقد سرد وقائع الايام التسعة التى تستغرقها الرواية وقال انها يمكن ان تتناول بأكثر من طريقة ، فيمكن مثلا تناولها بالمنهج البنيوى كما يمكن تناولها من زاوية آليات اللغة التى تتحرك وتتطور من حالة الى أخرى .

اما الدكتور حامد ابو حمد فقد تعرض لتاريخ مصادرة الرواية وقارن بينهـا وبين روايتى مدام بوفارى لجوستاف فلوبير ويوليسيز لجيمس جويس اللتين تعرضتا للمصادرة بدورهما وقدم مقارنة ثاقبة من هذا المنطلق لهذه الاعمال .

## • مكتبة الهلال •



**الكتاب : الهجرة الى العنف**
**تأليف : عادل حموده**
**الناشر : سينا للنشر**
**٢٨٦ ص - ٥ ج .**

يستعرض عادل حموده فى هذا الكتاب وفى سياق متابعته السابقة للتيارات الدينية السياسية ، مقدمات ودوافع ظهور جماعة المسلمين الذين عرفوا من قبل بجماعة التكفير والهجرة وكيف كانوا حلقة من حلقات الجماعات المتطرفة من تنظيم الجهاد وجماعة صالح سرية وكيف استطاع شكرى مصطفى ان يجمع من حوله الأتباع حتى شكل تنظيمه الذى قام بعملية اختطاف وقتل الشيخ الذهبى .. لكن عادل حموده يلجأ هذه المرة الى بيان الاجواء السياسية والفكرية العامة التى كانت سائدة فى نهاية الستينيات والسبعينيات بدءا مماكان يجرى داخل السجون بين المعتقلين من الاخوان المسلمين ومرورا بحركة الطلبة التى قادت تظاهرات فبراير ونوفمبر ٤٨ لأول مرة فى فى عهد الثورة ، ثم كيف تطورت الأمور لأن يصبح اليسار قوة لايستهان بها فى الجامعة مما دفع السادات للتحالف مع الجماعات الدينية وتشجيعهم لتصبح لهم الغلبة بعد ذلك .

والمؤلف هنا يقدم تأصيلا ذكيا للحركات والجماعات الداعية للعنف بكثير من الموضوعية .

الكتاب : الحداد
تأليف : يوسف القعيد
الناشر : هيئة الكتاب
١٢٤ ص - ٧٥ ق . م

يكاد عالم يوسف القعيد يبدو على درجة عالية من النضج والطزاجة في هذه الرواية القصيرة الشائقة على الرغم من انها كانت روايته الأولى ، وضمن نتاجه الغزير تبدو هذه الرواية اقل من اخريات له حظا بالنقد ، وان كانت في الحقيقة اكثرها تفوقا من ناحية الانجاز الفني .

ومن أول سطر يبدو البناء شديد الاحكام ، يبدو لان زاوية الانطلاق كانت صحيحة وحاسمة، فالحدث الواحد ، الذي هو مقتل الحاج منصور ابو الليل يقوم بدور البؤرة التي تدور فصول الرواية حولها ، فأبطال الرواية الاربعة يسردون هذا الحدث الذي يدور في جو عام مشحون بالحزن والحداد الذي تسبب فيه موت منصور كعمق روائي واقعي ، وهو في نفس الوقت مشحون بجو الحزن المخيم على جميع الافراد، أبطالا وكومبارس، نتيجة لهزيمة البلد في ١٩٦٧ .

نرى هنا القرية المصرية دون افتعال ، وبعيدا عن الشعارات السياسية التي طرحتها أعمال أخرى للمؤلف ، ويصدق الفنان في براءته الحقيقية ووعيه الثاقب حتى لنتبين الريف المصري من وجهة نظر تستبعد المألوف والمعاد والمكرور الي الحي والانساني والمشوق .



الكتاب : اضاءه النص
تأليف : اعتدال عثمان
الناشر : دار الحداثة - بيروت
١٩٢ ص

تبدو المؤلفة في هذا الكتاب وقد وضعت يديها على القسمات الواضحة لكل شاعر من الشعراء الذين تناولتهم في دراستها ، وهي على أى حال تحاول بجدية شديدة أن تستخلص من الشعر مقولات عامة تدلل بها علي صحة المنهج الذى تتبناه ، ولا نعرف اذا قلنا انه المنهج البنيوي نكون مخطئين أم مصيبين على أي حال فهذه الدراسة التي لا تتسع بالعمق النظرى تدرس أعمال كل من أدونيس ، ومحمود درويش ، وسعدي يوسف وعبد الوهاب البياتي ، وامل دنقل ومحمد عفيفي مطر واحمد عبد المعطى حجازى ، في دراسات مستقلة وان كانت تعود لتستعرضها موضوعيا .

انها دراسة تتوخى الجدية والعمق على الرغم من أن المؤلفة قد وصفتها بالقراءة الشعرية امعانا في التواضع الذى يتحلى به الكتاب الجادون الحقيقيون .

## صدر حديثا

« المرأة الجديدة » تأليف قاسم أمين مع دراسة للدكتورة زينب محمود الخضيرى ، نشر سينا للنشر ، ١٤٠ ص، ٣ج ★ الاقباط والاسلام تأليف د . محمد سليم العوا، نشر دار الشروق، ٨٤ ص ، ١٥٠ ق م ذ

يتفق كتاب التاريخ على أن كتابة التاريخ وتدوينه يخضعان لمعايير محددة ، استنوها منذ زمن بعيد ، وطبقوها وبذلك حسمت واحدة من أهم القضايا التى تتيح للأجيال القادمة معرفة تاريخهم بالكامل .

أما نحن فى مصر ، فمازلنا نناقش الأسس الموضوعية للالتزام بكتابة التاريخ ، وكيفية تحرى الدقة فيما يكتب ، بعد أن أصبح هناك تجار وسماسرة لكتابة المذكرات ، وإعادة كتابتها ، بل وتزوير التاريخ نفسه ، من أجل حفنة من المال ، دون مراعاة لضمائرهم أو إخضاع مايكتبون لما اتفق عليه فى المنهج العلمى لتدوين تاريخ الأمم العريقة ، ومن بينها مصر .



محمد على — سعد زغلول





مصطفى النحاس — عبد الناصر

# زعماء مصر بين الحقيقة التاريخية والتشهير السياسى!

بقلم : عاطف مصطفى

وقد دعيت « الهلال » لحضور الندوة العلمية الدولية بالقاهرة المنعقدة تحت عنوان « الالتزام والموضوعية فى كتابة تاريخ مصر المعاصر من ١٩١٩ الى ١٩٥٢ » وهى تمثل كما أشار منسق الندوة د . أحمد عبد الله فى جلستها الافتتاحية نقطة التقاء بين دافع علمي ودافع وطنى ، فرضتهما الى حد كبير ظروف تناول قضايا تاريخية فى المجتمع المصرى اليوم ، حيث تشهد الصحافة المصرية معارك حول التاريخ بعضها يمتد فيخرج عن الحد ، وبعضها يلزم نفسه بقدر من الموضوعية والعلمية ، وتلك القضية تفرض نفسها على مجتمع العلماء الذين يتناولون التاريخ باعتباره قضية من قضايا البحث والدراسة العلمية ، وبالتالى إرتأينا ألّا يُترك أمر تاريخ هذا البلد فقط للمعارك والمعتركات السياسية للسياسيين فقط ، وإنما أن يتولى العلماء أيضا الادلاء بدلوهم فى هذا الشأن على أمل أنه قد يأتى فى يوم من

الأيام ميثاق شرف لتناول قضايا التاريخ خصوصا الحقبة من ١٩١٩ الى ١٩٥٢ التى تحيط بها معارك عديدة !

وللوهلة الأولى استبشرنا خيرا بصفوة المؤرخين والسياسيين الذين حضروا جلسة الافتتاح فى فندق ماريوت الفاخر ولكن ماهى إلا ساعات حتى ثارت الخلافات بين المؤرخين ، وبدأت التيارات الحزبية تظهر واضحة جلية فى قاعة المعهد الإيطالى الذى شهد عشر جلسات على مدى أربعة أيام شارك فيها عشرة من كبار مؤرخينا فى مقدمتهم أستاذنا الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى والاستاذ طارق البشرى فهذا يهاجم سعدا ، وذاك يدافع عنه باستبسال ، والآخر يتهم النحاس بأنه "أهبل" وبأن عبد الناصر شيطان ، وتحولت قاعة الندوة إلى حلبة من الصراع الذى بدد الجهد الكبير الذى بُذل فى إعداد أوراق الندوة .

**● موضوعية الالتزام**

ومايعنينا هو كيفية الالتزام بكتابة تاريخ الزعماء من محمد على حتى جمال عبد الناصر . والالتزام فى كتابة التاريخ يعتبر موضوعية نسبية ، بمعنى أنه ليست هناك موضوعية مطلقة ، فالمؤرخ له ميوله وتكوينه الثقافى أو انتماؤه الفكرى والاجتماعى ، وذلك يلعب دورا لاشعوريا فيما يكتب ، وهذا الدور يكون ملموسا ، فضلا عن فكرة مسبقة وغير واضحة لديه .

وعلى سبيل المثال فإن الانتماء الحزبى يلعب دورا فى عملية التقويم التاريخى ولو كان هذا المؤرخ يقيم أناسا من المعاصرين فإن حكمه يتأثر بذلك وبالتالى فليست هناك موضوعية مطلقة ، بل يحكم المؤرخ على الرؤية المتاحة لديه ، وبالقطع يحدث خطأ نسبى فى هذا المجال ، وليس هناك عمل تاريخى معصوم من الخطأ بالرغم من وجود الوثائق المتاحة والوثيقة بالطبع قام شخص معين بكتابتها من زاوية معينة .

وفى هذا الصدد يشير الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى فى بحثه للندوة حول تقييم زعامات مصر فيما بين ثورتى ١٩ ، ١٩٥٢ بقوله « لايجب على كاتب السيرة أن يتصدى لهذه المهمة الشاقة إذا ما افتتن بموضوعه افتتانا لامبرر له ، أو إذا اشتط فى معاداته ، فخلال تجاربى وجدت بلا استثناء أننى مررت بعدة مراحل من

أساليب التفكير ، قبل أن أتوصل إلى حكم متوازن حول موضوعى ، فالسيرة الحقة ليست مجرد تسجيل حياة شخص ما ، بل هى صورة حياة لاتتم إلا إذا استندت الى الفهم والتعاطف ، ولا أعنى بذلك المديح الذى يستوى فى خطورة قصوره مع الموقف المعادى الذى لابد أن يفضى الى طمس مشابه للحقائق ..

ويعود قائلا : لعل كتابة السير ، وبخاصة سير الزعماء من أصعب المباحث التاريخية ، بالاضافة الى انها تستلزم تمكن الكاتب فى عدة مجالات ترتبط بهذا النوع من الدراسة ، تتضمن أحكاما ذاتية تلعب دورها فى عملية التقييم بحسب ميول الكاتب وارتباطاته ونظرته الى الأحداث والأشخاص . وقد ارتبط تقييم الزعامات المصرية الى حد كبير بتطور الحركة الوطنية المصرية وانتصاراتها ونكساتها وبنشاطات الأحزاب والجماعات العاملة على الساحة السياسية وبالأمية السياسية لدى قسط كبير من الجماهير المصرية ، مما جعل كثيرا من الاحكام مرتبطا بالنزعات العاطفية ، لا بالنظرات العقلانية »

« فسحر الشخصية وجاذبيتها وهو السحر الذى لاشك له تأثيره فى الحياة الاجتماعية والسياسية فى كل زمان ومكان ، كان لهما أثرهما فى تقييم أعمال الزعماء ، سواء من جانب مريديهم أم من جانب خصومهم .

وهكذا افتقد كثير مما كتب عن زعمائنا النظرة النقدية المتوازنة ، واتصف بالانحياز أو بالتحامل بحسب العلاقات الشخصية والظروف السياسية التى كثر تقلبها ما بين مد وجزر .. وضعاف النفوس يظهرون بكثرة إذا ما أقبلت الدنيا على هذا الزعيم أوذاك ، ويفرون منه فرار السليم من الأجرب إذا ما ابتعد عن مقعد الحكم .. وما أكثر ضعاف النفوس فى تاريخنا الحديث بل والمعاصر ..

● العظيم يصنع التاريخ

والزعيم فى التاريخ له وضع متميز ، من حيث أنه لعب دورا وتزعم أمة وكان له أعداء وخصوم ، وله رأيه السياسى ، لدرجة أن البعض يقولون إن العظيم هو الذى يصنع التاريخ ، ويقود الجماهير خلفه ، فدوره عظيم ومسئوليته أكبر !

وهناك اجماع على أن محمد على هو مؤسس مصر الحديثة ، ولكن الوسائل التى اتبعها فى النهوض بمصر محل خلاف ، فالجبرتى ناقم على أسلوبه فى النهوض بمصر ، واستنكر الجبرتى أن يموت المصريون نتيجة للسخرة فى شق ترعة المحمودية ، حيث مات فى ذلك الوقت عدة آلاف من أبناء مصر الكادحين !

والجبرتى أيضا ناقم على مذبحة القلعة التى مهدت لمحمد على الانفراد بالسلطة ، وكان الجبرتى متعاطفا مع المماليك . والجبرتى مؤرخ معاصر وقلمه سيال وكان شديد النقد لمحمد على ، ذكر عن محمد على « إنه لما صادر بيوت الأغنياء .. أغلق مضايف الفقراء » وقال عنه : « إنه طمّاع ينظر الى مافى يد غيره ويطمع فيه »

ولم يفهم الجبرتى مضمون محمد على لأن الجبرتى كان ينتسب الى الفئة التى

دمرها محمد على ، وارتبط بوضعه الطبقى والاقتصادى .

أما المؤرخ المعاصر فحينما يؤرخ لمحمد على فإنه بالقطع لم يعاصر القهر الذى عاشه المصريون فى عصره ، والسخرة التى قاسى منها الفلاح المصرى ، وسوف يقول إن محمد على أسس دولة عظمى من لاشىء ، وأنه بانى نهضة مصر .

والميثاق لم ينكر نتيجة أعمال محمد على ، برغم نقده لطبيعة حكمه ، وديكتاتوريته والبعض من المؤرخين يقول إن نهضة مصر أسسها محمد على ، والبعض الآخر يرجع هذه النهضة وهذا التطور الهائل للشعب حتى لايسلط الضوء على محمد على .

● تعاطف الشعب

وإذا ماجئنا الى سعد زغلول نجد أن فتحى رضوان قال أكثر من مرة أن سعدا استغل ثورة ١٩١٩ وتسلق على أمواجها ، ولم يكن سعد مفجرا للثورة، فهو رجل بلغ عمره فى ذاك الوقت ستين عاما ، وتعاطف الشعب معه وهو يساق الى المنفى ، ووقتها أضرب المحامون والطلبة والموظفون ، وكانت البلد فى حالة غليان وعاد سعد بعد عامين . فى ذلك الوقت كان هناك تنظيم سرى فى مقدمته عبد الرحمن فهمى وإبراهيم عبدالهادى ، وبالرغم من دور عبد الرحمن فهمى ، فإن سعدا تنكر له فى النهاية وضرب أنصاره من مؤسسى الوفد فى باريس لينفرد بالسلطة !

وكان سبب الانقسامات موجودا ولكنه فجرها ، ولعب الانجليز لعبتهم المعروفة « فرق تسد » حيث كانت الظروف مواتية لهم ، بهدف تنفيذ سياستهم .

يقول د . أحمد عبد الرحيم مصطفى فى هذا الصدد « لاشك أن سعد زغلول هو أبرز زعماء مصر فى فترة مابين الثورتين ، فقد استطاع أن يوحد المصريين تحت زعامته ، فأصبحت الحركة الوطنية بتوجيهه مستقلة بذاتها ، تحتل مكان الصدارة فى الحياة السياسية المصرية ، وكان سعد أقرب من أقرانه الى قلوب الجماهير كما يذكر عباس محمود العقاد فى كتابه « سعد زغلول ـ سيرة وتحية » « فهو فى طبيعته العملية وفصاحته المقنعة وفكاهته المرتجلة وعزيمته الماضية وسماته المهيبة ومنزلته الرفيعة . خير من ترشحه مصر لزعامتها من صميم تكوينها » وهكذا انجذب إليه عامة المصريين وأوساطهم ، وتأثروا بسحر شخصيته الكارزمية مما جعله أقوى من استطاع أن يهز ضمير المصريين والشرقيين فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

● النحاس ومكرم عبيد

ويجىء دور مصطفى النحاس ليكون امتدادا لدور سعد زغلول ، وبالرغم من أن النحاس ليس له كل مؤهلات سعد وزعامته ، وبرغم أنه كان رجلا نظيفا ووطنيا فإن شخصيتة كانت أقل من شخصية سعد زغلول ومنذ توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، بدأ نجم النحاس والوفد فى الضعف لأنه من المفروض أن الوفد قد تأسس للحصول على الاستقلال ، فإذا بزعيمه (رئيس جبهة التفاوض) يوافق على تقنين الاحتلال !

وبعد ذلك هزت حادثة ٤ فبراير صورة الوفد فى نظر الكثيرين برغم ماقيل فى تبرير هذه الحادثة ، ولعب مكرم عبيد دورا

هاما فى زعزعة صورة النحاس زعيم الحزب ، وصل الى حد التجريح الشخصى حيث اتهم زوجة النحاس بالفساد والسيطرة عليه ، وبالرغم من دفاع الوفد المستميت ، فإن صورة النحاس بهتت عند بعض الناس ، بعد أن كان النحاس رمزا مقدسا فى هذا الوقت .

● عبد الناصر فى انتظار التقييم

ويختلف المؤرخون فى تقييم جمال عبد الناصر تاريخيا ويقول الدكتور أحمد عبد الرجيم مصطفى : إنه لو رأى الآن فى جمال عبد الناصر رأيا فإن الناس ستتحول إلى أحد نقيضين ، لأن وجوده كان قريبا ، وأعماله كثيرة جدا ، منها مايوافق عليه ، ومنها ما لايوافق عليه .

ولكى نتعرض للزعامات التى أثرت فى تاريخ مصر فإنه ينبغى أن يلتزم المؤرخ بالنظرة العلمية الناقدة الى الأحداث والأشخاص ودون مجاملة أو تحامل أو تشبث بالأفكار الموروثة حول هذا الزعيم أوذاك فكلهم « أصبحوا فى ذمة التاريخ بعد أن أدوا دورهم فى الحياة العامة كل حسب إمكانياته وميوله وظروفه ، وأصاب وأخطأ وعادى وصادق » .

« إن بعض الكتابات تعمدت إرضاء الحكام الآتيين دون رادع من ضمير أو منهج موضوعى ، ولهذا لم تثبت أمام المتغيرات السياسية ، بل إن عدم صدقها قد جعلها مثارا للسخرية والاحتقار ، بعد أن يبارح هذا الحاكم أوذاك مقعد الحكم ، ويأتى شخص آخر يستمرىء أن يكون موضوعا للإسراف فى المديح من باب تأييد شرعيته » .

ومن واجبات المؤرخ أن يتحرى أقصى درجات الدقة فى جمع المادة ، وعليه ان يقوم بكافة الاجراءات فى سبيل التحقق والتثبت والمقارنات والتدقيق ..

ثم يلجأ المؤرخ - كما يذكر الأستاذ على فهمى فى بحثه « الالتزام والنموذجية فى كتابة تاريخ مصر المعاصر ١٩١٩ - ١٩٥٢ » الى محاولات دءوبة فى إعادة تركيب المواد الجزئية عن جزئيات الواقعة التاريخية .

ومن هنا يكون مايقدمه المؤرخ هو مجرد محاولات فى إعادة التركيب لاترقى الى « مستوى الريبرتوار التام » وإن كان يظل متشبثا بالأمل فى الوصول بعمله العلمى الى هذا المستوى ، وهو لن يصل اليه مهما بذل لأن « الريبرتوار » التام هنا ، هو من قبيل المستحيل ! .

وهذه الكلمة السريعة دعوة صادقة لكتاب التاريخ ليراعوا ذممهم فى كتابة تاريخ الزعامات المصرية ، التى أثرت فى مسار هذه الأمة ، فمن اخطأ منهم نسجل خطأه ، ومن أصاب نذكر له ذلك .

وعلى مؤرخينا ومن يشتغلون بالتاريخ أن يبتعدوا عن تزييف الحقائق فإن ٤٩ مليونا من أبناء هذا الشعب الطيب لم يعودوا يثقون فيما تقوله الصفوة ، بل حتى فيما نختلف عليه من آراء تتغير الآن بين عشية وضحاها ، بهدف إرضاء ومجاملة البعض على حساب الحقائق التى لاتخطئها العين الفاحصة والعقل المستنير !

# بونابرته في بيت البكرى

بقلم : محمد سيد كيلانى

**فى أيام الاحتلال الفرنسى احتفل اهل القاهرة بالمولد النبوى فى الأزبكية على غير المعتاد ٠وكان هذا الاحتفال بناء على رغبة بونابرته ٠٠ وقد اقيم فى بيت السيد خليل البكرى صديق زمانه فنصبت الزينات واوقدت المصابيح الكثيرة وارسل بونابرته فرقة موسيقاه الخصوصية الى بيت البكرى فظلت تطرب الحاضرين ليل نهار وفى الليل اطلقت الصواريخ والمدافع ٠**

قالت صحيفة « كورييه دى ليجيبت » التى كانت تصدر فى القاهرة خلال وجود الحملة الفرنسية عدد (١٠٢) ما ترجمته « احتفلت البلاد هذه الايام احتفالا رائعا بمولد النبى ، فاضيئت منازل القائد العام (بونابرته) والجنرال ديبوى والشيخ البكرى بالأنوار الساطعة طوال خمسة أيام وفى الساعة العاشرة من كل ليلة من ليالى العيد سارت مواكب المسلمين فى المدينة وهى تنشد اناشيد المديح فى النبى ، كما عقدت حلقات الذكر على اضواء المشاعل » ٠

« وحوالى الساعة الثامنة من ليلة امس ( الليلة الختامية ) قام بعض جنود الحامية باستعراض عسكرى رائع ٠ ثم توجه لفيف من الضباط الفرنسيين بهيئة اركان الحرب يتقدمهم حملة المشاعل ورجال الموسيقى الى منزل الشيخ البكرى نقيب الاشراف ، وقد اطلقت المدافع عدة طلقات لدى وصولهم منزل النقيب » ٠

## ● رفض الفراء

« وفى صباح اليوم التالى قام القائد العام بتقديم عباءة من الفراء الفاخر الى الشيخ البكرى وقد حضر الاحتفال بتقديم العباءة أعضاء الديوان » ٠

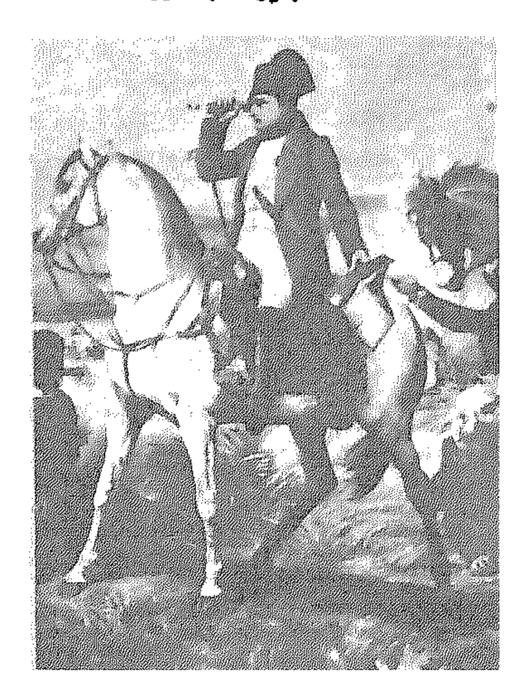
ورغم ما اظهره بونابرته من المشاعر الطيبة نحو المسلمين ، فان المصريين لم ينخدعوا ولم تنطل

عليهم مجاملات الفرنسيين فى المواسم والاعياد الاسلامية • ولم يطمئنوا الى الغزاة ، وقولهم انهم خربوا كرسى البابوية فى روما ، أو طردوا فرسان القديس يوحنا من مالطة •• فنجد الشيخ الشرقاوى ، وهو عضو فى الديوان يقول فى كتابه « تحفة الناظرين » ص ٢٤٥ ـ بولاق ما نصه « وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر أنهم فرقة من الفلاسفة اباحية طبائعية يقال لهم نصارى قاثوليقية ، يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا ، وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الانبياء والمرسلين • ويقولون ان الله واحد ولكن بطريق التعليل ويحكمون العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الاحكام ، يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع ، ويزعمون أن الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء ، وأن الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولذلك جعلوا فى مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون ما يناسب أهل البلاد بحسب عقولهم • وكان فى ذلك رحمة بأهل مصر ، فانهم جعلوا من جملة ديوانها جماعة من المشايخ ، وصاروا يراجعونهم فى بعض اشياء لا تليق بالشرع » •

هذا موقف الشيخ الشرقاوى ، فماذا كان موقف الشيخ حسن العطار ؟ نلمس مما كتبه العطار عن الفرنسيين روح الاستهتار بالقيم الدينية والخلقية ، والاعجاب بالحضارة الاوربية دون تحفظ ، ودون مراعاة لتقاليد البلاد وعاداتها ومعتقداتها • ويمكن أن يقال ان العطار قد حطم الحاجز الدينى والحاجز النفسى الناشىء عن اختلاف الازياء والعادات والتقاليد واللغة ، وهو ما حال بين الغزاة وبين سائر أفراد الشعب • اذ لا شك فى ان الوجود الفرنسى فى مصر كان انفع للشعب من الوجود العثمانى او المملوكى • ولو كان الفرنسيون مسلمين لما واجهتهم مقاومة ، بل لوجدوا ترحيبا عظيما •

وفى ثورة القاهرة سنة ١٧٩٩ هجم العامة على منزل السيد خليل البكرى بشارع عبد الحق السنباطى، لاتهامه بأنه كان يوالى الفرنسيين ويمدهم بالاطعمة • فهجم عليه عدد كبير من جنود المماليك ومعهم جمع عظيم من عامة الشعب ، ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده بعد ان ضربوه ضربا مؤلما وعروه من ثيابه وساقوه الى الجمالية وسلموه الى عثمان كتخدا •

القائد نابليون بونابرته



وحقيقة ان السيد خليل البكرى كان منحازا الى جانب الفرنسيين ولكنه استطاع ان يؤدى خدمات كبرى الى كثير من الاسر التى فقدت عائلها فى الحرب دفاعا عن الوطن.

وقد كانت نقابة الاشراف فى يد السيد عمر مكرم الذى هرب من وجه الفرنسيين الى الشام فضرب بذلك مثلا سيئا لابناء الامة ، وكان موضع خزى وعار .

قال الجبرتى فى ترجمة السيد خليل البكرى : « ... وصار له قبول عند الفرنساوية ، وجعلوه من أعاظم رؤساء الديوان ، مقبول الشفاعة عندهم . فازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى . وآوى كثيرا من المشردين وآمن عددا عظيما من الخائفين » .

ولم يجد الشيخ حسن العطار مانعا من الانسجام مع الفرنسيين ، كما سجل ذلك فى كتاباته .

وقد وجد محمد على باشا فى الشيخ العطار خير مشجع على الاخذ بالحضارة الاوربية فقد أفتى بجواز التشريح فاستطاع الباشا ان ينشىء مدرسة للطب فى الخانكة . كما أفتى بجواز تلقى المسلم العلم عن الغرب . وبذلك امكن ارسال البعوث الى اوربا ، واستقدام المدرسين من هناك .

كان اشتباك الدولة العثمانية فى حروب دائمة مع الغرب من العوامل الرئيسية التى اكسبتها قلوب المسلمين فى جميع انحاء العالم الاسلامى ، اذ اعتبرت حامية الاسلام والذائدة عن المسلمين . وقد كسب السلطان العثمانى منزلة مقدسة لا فى قلوب المصريين فقط ، بل فى قلوب المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها .. فكانوا يرفعون اصواتهم مؤمنين على دعاء الخطباء يوم الجمعة حينما يدعون بالنصر لسلطان المسلمين ولوزرائه وقواده وعساكره فى البر والبحر الى يوم الدين ، فقد كان السلطان هو المجاهد والغازى فى سبيل الله وحامى حمى الحرمين الشريفين .

وقد ادرك بونابرته هذه الحقائق حينما جاء لغزو مصر فنوه فى منشوراته بصداقة فرنسا للسلطان ، من ذلك ما ورد فى منشوره الاول « ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الاوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى ، واعداء اعدائه ، ادام الله ملكه » ... « والمصريون باجمعهم ينبغى ان يشكروا الله قائلين بصوت عال : أدام الله اجلال السلطان العثمانى »

واذا كان السلطان العثمانى يحتل تلك المكانة المقدسة فى قلوب المصريين ، فكيف استطاع محمد على ان يشق عصا الطاعة ضد مولاه ؟ ولولا تدخل الدول الاوربية لتمكن من القضاء على الامبراطورية العثمانية ، ولماذا لم يستخدم السلطان سلاح الدين ضد الباشا الخارج على دولة الخلافة ؟ لقد كان فى استطاعة شيخ الاسلام فى الآستانة ان يصدر فتوى بكفر محمد على وارتداده عن الاسلام .

أما من ناحية محمد على فيغلب على الظن انه استفتى الشيخ حسن العطار فى قتال السلطان فافتى بجواز ذلك على اساس « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ولا ندرى اذا كان اسم الخليفة العثمانى قد حذف من خطبة الجمعة بعد احتدام القتال بين الجيش المصرى والجيش العثمانى !

هذا الطريق الشاق الذى تتقدم فيه العبقرية .

# ● من يذكر شارلى شابلن

# شابلن بين الشقاء وسعادة الآخرين

بقلم : توفيق حنا



كان شابلن يخرج فيلمه الاخير « كونيتسة من هونج كونج » وكان ذلك عام ١٩٦٦ ٠٠ وفى اثناء عمله في هذا الفيلم قال لمحرر النيوزويك ـ جوزيف مورجنشترن ـ « انى املك بيتا جميلا فى سويسرا ، وكان من الممكن أن اقضى وقتى فى التزحلق ، وفى عمل اشياء تافهة اخرى كثيرة ، ولكنى اشعر بحماس يدفعنى الى العمل والانتاج ، وأجد دائما هذه الحاجة الى عمل اخر اشعر فى أعماقى برغبة لتحقيقه »٠

ثم يقول هذا الفنان الفيلسوف :

« مع مرور السنين تسقط الاوهام ، وتبدو الحقيقة فى صورة الطف وأدق ، وجميل حقا ان يتحرر الانسان من كل الاراء المسبقة ٠ وعندما تشعر انك انسان حر ، فانك لا تقيم وزنا لما يقوله الاخرون،

ذلك لانى أعمل عندما احس بدافـع يدفعنى الى العمل » ..

ثم يقول :

« سـوف استمر فى الاخـراج والعمل مادمت حيا » .

ولد شارلى شابلن فى ١٦ ابـريل ١٨٨٩ .. فى حى فقير من أحياء لندن الشعبية .. وفى هذا العام ولد هتلر - الديكتاتور - كما انتهى رائد العمران المعدنى ايفل من بناء برجه فى بـاريس على الضفة اليسرى من نهر السين.. وفى عزبة الكيلو ولد طه حسين ..

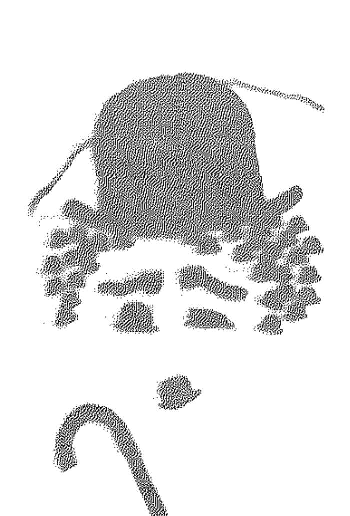
بدأ شابلن حياته الفنية فى الخامسة مثل الموسيقى موتسارت .. وذلك فى عيد ميلاده الخامس ( ١٨٩٤/٤/١٦ ) اذ كانت أمه تغنى أمام جمهور أحـد مسارح لندن المتواضعة واذا بها تفاجأ بأزمة حبست صوتها ولـم تتمكن من الاستمرار .. واذا بمدير المسرح يدفع بالطفل الصغير الى الغناء .. وينطـلق شابلن مغنيا مقـلدا صوت امه .. الحزين .

وتنقل الام الى احـدى العيـادات النفسية للعلاج من هذه الصدمة التى ادت الى فقدان صوتها وعقلها معـا .. وانتقل شابلن مع اخيه سيدنى الى احـد ملاجىء الايتام .. لان الاب كـان قـد هجر زوجته .. وترك أيضا الطفلين ..

هكذا بدأت حياة شابلن فى هذا الجو الحزين الكئيب .. القاتم .. الـذى ملأته ولونتـه ظروف الفقـر واليتم والحرمان والبؤس والقهر ..

## ● شابلن وشخصية شـارلو

كان الكتاب الذى أحبـه شـابلن فى شبابه هو كتاب جورج ميرمديث عن



« الممثلون البؤساء » كان شابلن وهو فى الرابعة عشرة يقوم بالتمثيـل الصامت ( البانتوميم ) عـلى احـد مسارح لندن عندما اكتشفه المخـرج فريد كارنو ... الذى علمه التركيز فى الاداء والايجاز فى الحركة وفنـون السيرك ..

ثم عمل بعد ذلك مع ماك سينيت ..

ثم اهتدى الى هـذا الاكتشـاف العبقرى .. شخصية شارلو .. هـذا الانسان البسيط .. هـذا المتشـرد فى شوارع لندن .. الانسان الذى يكره النفاق والرياء .. وتتميز شخصـيته بالرقة والحنان والبراءة .. البريئة من كل زيف .. الانسان الذى يعشق الحرية والمحبة والعدل والسلام .. وعلى مدى ستين عاما اضحك شارلو الانسـان فى الشرق والغرب وفى كل مكان ..

رغم كل الوان الظلم والقهر والضيق ..
**رغم الكراهية والحقد والجشع التى تسبب الحروب والانقسام والتمزق .. وتمكن شارلو من ان يشيع فى هذا الظلام التفاؤل والفرح والامل ..**

يقول ايزنشتين ـ المخرج الروسى المعروف ـ عن فن شابلن ورسالته :

« كم نحب أن نبقى اطفالا .. هذا هو ما يميز فن شابلن ... كل فيلم من افلامه يعيد الينا الدهشة والانبهار وكل ما يميز عالم الاطفال عن عالم الكبار ـ بكل ما يحيط بنا فى هذه الحياة التى تستحق ان نتحمل فى سبيلها كل عناء وعذاب والم » ثم يقول ايزنشتين :

« ان شابلن ـ رغم هذا الشعر الرمادى الذى يكسو رأسه ـ يحتفظ فى سلوكه وفنه بروح الطفل وبنظرته التلقائية التى يقابل بها كل ظواهر الحياة والواقع .. ومن هنا نلمس ما يتمتع به شابلن من تحرر أمام ضغط القيود والقوانين وكل المواضعات الاجتماعية » .

فى عام ١٩٢٧ وفى البيان السيريالى الذى وقعه مع الشاعر الفرنسى اراجون كثير من الكتاب والشعراء مثل أبدريه بريتون ومارسيلدوهاميل وبول ايلوار وجاك بريفير وجورج مادول .. نجد هذه التحية للفنان العبقرى شابلن :

« فى كل افلام شابلن نلمس ما يعانيه الانسان من بؤس وقهر وما يلاقيه من صعاب ومشاق .. وهو يصور لنا هذا الطريق الشاق الذى تتقدم فيه العبقرية .

نسجل هنا شكرنا لهذا الفنان الذى يمكن أن يقدم لنا عن طريق السينما هذه الحقائق العظيمة التى يعيشها الانسان فى الغرب حيث تختفى شموسه الواحدة بعد الاخرى .. تلك الحقائق الاخلاقية التى تفوق قيمتها كل ماعداها على هذه الارض .

شكرا لك .. ونحن نعلن بأعلى اصواتنا هذا الشكر والتقدير .. ونحن جميعا نشارك فى تحقيق اهدافك النبيلة » .

فى عام ١٩٣٧ وجو أوربا ملبد بالغيوم منذر بالحرب فكر شابلن ان يخرج فيلما عن « المسيح » .. عن نابليون عن هأملت .. عن هذا الجندى الشجاع شقابك ..

وانتهى أخيرا باخراج فيلم « الديكتاتور » الذى يصور فيه فى شكل اقرب الى السخرية والتهكم والكاريكاتيرية شخصية هتلر .. وذلك فى عام ١٩٣٨ .. ولم يعرض الفيلم على الجماهير الا فى عام ١٩٤٠ .. والحرب العالمية مشتعلة وهتلر يتقدم بجيوشه معلنا قيام سلطان الظلام وبداية سنوات القهر والطغيان والتخريب والدمار والخراب ..

وفى عام ١٩٤٧ وضع شابلن فى القائمة السوداء لمن اتهم بمعاداة السياسة الامريكية .. بسبب هذه الاراء والافكار والمبادىء التى كان يبشر بها فى افلامه .. وفى كثير منالولايات

الامريكية قامت التظاهرات ضد فيلم « مسيو فردو » ومنع عرضه . وفى عام ١٩٤٨ رشحت جماعة نقاد السينما الفرنسية شابلن لجائزة نوبل للسلام .

وفى عام ١٩٥٢ ، بعد ان اخرج فيلم « اضواء المسرح » ، رحل مع أسرته الى أوربا .. وفى لندن عرض هذا الفيلم لاول مرة ، وبعد ذلك توجه شابلن الى فرنسا ومنها الى سويسرا حيث اشترى بيتا كبيرا واستقر فيه مع أسرته .. ثم صفى شابلن أعماله وباع كل ما يمتلكه فى امريكا .. وفى جنيف اعاد شابلن الى القنصل الامريكى « تصريح العودة » وأعلن بذلك قراره النهائى بعدم العودة الى امريكا .

وفى عام ١٩٥٤ تجنست اونا اونيل — ابنة الكاتب المسرحى الامريكى المعروف اوجين اونيل — بالجنسية البريطانية .. وكانت اخر زوجاته .. وفى نفس العام حصل شابلن على الجائزة الدولية للسلام . وفى عام ١٩٥٧ عرض فيلم « ملك فى نيويورك » فى لندن للمرة الاولى ، والذى منع عرضه فى نيويورك . وابتداء من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٤ عكف شابلن على تسجيل مذكراته الخاصة .

وفى عام ١٩٦٦ انتهى شابلن من اخراج اخر افلامه « كونتيسه من هونج كونج » فى استديوهات باينوود فى ضواحى لندن .. وهذا الفيلم من تمثيل مارلون براندو وصوفيا لورين .. وشابلن .

يقول المخرج الروسى بودوفكين :

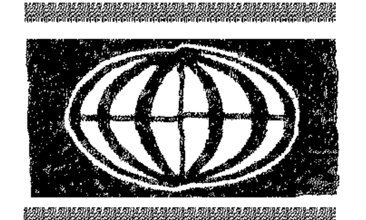
« تعتمد عبقرية شابلن على العمل الجاد والدقيق والعميق الذى يحققه عقل وقلب فنان عرف الحياة واحب الناس .. ويؤمن بمستقبل افضل للانسان .

يواجه شابلن الحياة والواقع بصراحة وحسم .. وفى اصرار وعناد .. ولا يغفل جوانب الحياة القاتمة الحزينة .. وفى افلامه الاولى نجده اشبه بهذه النملة التى تسير ثم تقع .. ثم تقوم وتعاود السير وكلها ثقة انها لابد واصلة الى هدفها الذى وضعته امامها .. انها تسير فى عزم وتصميم وفى عناد واصرار .. وكان بطل هذه الافلام الاولى ـ هو هذا الرجل البسيط العادى الذى يبحث عن السعادة — ولعل هذه السعادة ابعد بكثير عن آماله المتواضعة الحقيقية — ان يجد الامان والاستقرار فى ابسط الصور واشدها تواضعا » .

كان شابلن يحلم باخراج فيلم عن « مارسيل بروست » مؤلف « الزمن المفقود » .. ولكن هذا الفيلم بقى حلما من أحلام الزمن المفقود فى حياة هذا الفنان العبقرى الجاد الذى كان يحرص كل الحرص على أن يتحمل كل مسئوليات فيلمه .. من اخراج وتمثيل ومونتاج وموسيقى تصويرية كان يقوم أحيانا بتاليفها ومن حوار — فى افلامه الناطقة — ومن سيناريو ايضا .. كان حريصا على أن تبلغ رسالته الفنية فى الصورة التى أرادها .

فى كتاب « شابلن والنقد » الذى كتبه الناقد الايطالى جلوكو فياتى والصادر عام ١٩٥٥ — منذ ثلاثين عاما — سجل المؤلف الف وثيقة تتعلق بحياته وعمله .. من دراسات ومقالات وكتب بلغ عددها أربعين كتابا .

# العالم في سطور



## لوس انجلوس

● تجدد موضة تجسيد الشخصية الخيالية في السينما الامريكية

تستعد السينما الامريكية لتحويل شخصية « سبيدرمان » أو « الرجل العنكبوت » الخيالية الشهيرة الى فيلم سينمائى كبير ـ او ربما الى سلسلة افلام ـ بعد ان صدرت لهذه الشخصية الاف من مجلات وكتب الشرائط المصورة للاطفال انتشرت انتشارا هائلا ، وتمت ترجمتها الى لغات عديدة ·· من بينها العربية ·

وتجدد السينما الامريكية بفيلم «سبيدرمان» موجة تجسيدالشخصيات الخيالية التى تحفل بها المجلات المصورة ، والتى ظهرت بوضوح فى السبعينيات ·· حيث تتحول تلك الشخصيات من خطوط والوان الى لحم ودم ، وتنطلق من سجنها على الورق لتتحرك على الشاشة ، وقد كتب فنان أمريكى من كبار الفنانين العاملين فى هذا الحقل تقريرا يرصد من خلاله هذه الموجة ، ذكر فيه ان اول سلسلة مصورة تحولت الى فيلم سينمائى كانت سلسلة ذائعة الصيت فى الثلاثينيات وحتى الخمسينيات اسمها « ليل ابنير » وقد تحولت الى فيلم لاول مرة سنة ١٩٤٠ ، ولكن التجربة كانت فاشلة ·· واعيدت الكرة بنجاح سنة ١٩٥٩ ·

واضاف الفنان واسمه ستان لى وهو الذى يقوم بابتكار الشخصيات الخيالية لمجموعة المجلات والكتب المصورة المفخمة « مارفيل » انه تلى ذلك ظهور شخصية « باتمان » أو « الرجل الوطواط » فى فيلم سينمائى سنة ١٩٦٦ ، وبعدها بعامين ـ تحولت سلسلة مصورة فرنسية ناجحة اسمها « باربار يلا » الى فيلم ··

وذكر الفنان ستان لى فى التقرير الذى نشره « معهد الفيلم الامريكى » ان السينما الامريكية لجأت مع

سبيدرمان .. جاء عليه الدور ليتحول الى لحم ودم



احتدام منافستها مع التليفزيون فى اواخر السبعينيات الى تحويل شخصيات المجلات المصورة الخيالية الى افلام باهظة التكاليف تعتمد على احدث الحيل السينمائية : فكان فيلم « سوبرمان » الذى صور هذه الشخصية الاكثر شهرة بين الشخصيات الخيالية سنة ١٩٧٨ ، وبعد النجاح الجماهيرى الكبيرالذى حققه الفيلم : أصبحت السينما الامريكية تنتج فيلما او اكثر من هذه النوعية سنويا ..

وشهدت سنة ١٩٧٩ تحويلسلسلة « بوك روجرز » المصورة واسعة الانتشار الى فيلم ، اما سنة ١٩٨٠ فقد كانت سنة الشخصيات الخيالية فى السينما : حيث ظهر خلالها لجزء الثانى من « سوبرمان » ، تحولت شخصيتان خياليتان شهيرتان جدا من رسوم على الورق الى شخصيات تنبض بالحياة على الشاشة : فظهر فيلم للشخصية المحبوبة البحار « بوباى » ومثل قيمة فنية جيدة بالاضافة الى ما حصل عليه من نجاح جماهيرى ، وظهر فى السنة نفسها فيلما اخر لشخصية « فلاش جوردون » التى جذبت اهتمام اجيال متعاقبة .

وفى سنة ١٩٨٢ : ظهرت فى فيلم سينمائى شخصية نسائية محبوبة من شخصيات المجلات المصورة ، هى شخصية « انى » التى قدمتها من قبل مسارح « برودواى » فى مسرحيات غنائية ، وفى سنة ١٩٨٤ : ظهر فيلم « سوبر جيرل » وهى « النسخة النسائية » من « سوبرمان » ، ثم مرت ثلاث سنوات توقفت فيها الموجة .. التى سوف تستأنف بشخصية « سبيدرمان » .

## باريس

### ● عصر الموسوعات الشاملة

تحتفل الاوساط الادبية العالمية هذا الشهر بذكرى ميلاد الكاتب والفيلسوف دينيس ديدرو الذى عرف برجل الموسوعات العالمية . عاش ديدرو فى الفترة بين عامى ١٧١٣ و ١٧٨٤ ومثل العصر الذى عاشه خير تمثيل فقد كتب القصة والنقد الادبى والمسرحية . فى عام ١٧٤٧ اسندت اليه الاكاديمية الفرنسية ـ الحديثة العهد انذاك ـ مهمة رئاسة تحرير الموسوعة الفرنسية التى اشترك فى تصنيفها اهم كتاب عصره ومفكريه وقد عرف عنه انه لم يهدأ يوما فى البحث عن المصادر الاكيدة للمعلومات فكتب فى الموسوعة اكثر من الف مقال حول مواضيع مختلفة . كان واسع المعرفه متعدد المواهب . يجوب المعامل والمصانع لجمع المعلومات واتقان معرفة الفنون المهنية والحرفية .وكان يقوم بتصحيح واستكمال مقالات الاخرين وتنظيم العمل بين معاونيه . وكان رائده فى عمله وجهده تقديس العقل . فكما حظت الفلسفة فى رأيه بريادة عقلية خطوة استتبع ذلك تقديم العلوم الاخرى . وكان صاحب رأى شهير هو ان الدين يجب ان تسوده روح التسامح ويجب ان تقود السياسة روح الحرية . اما الاخلاق فعليها ان تهتدى بالسلوك الطبيعى .

كانت الموسوعة التى اشرف عليها ديدرو فاتحة لصدور الاف الموسوعات فى شتى المجالات لدرجة ان اصبح القرن العشرين هو عصر الموسوعات .. ويسوقنا هذا الى الحديث عن اهمية



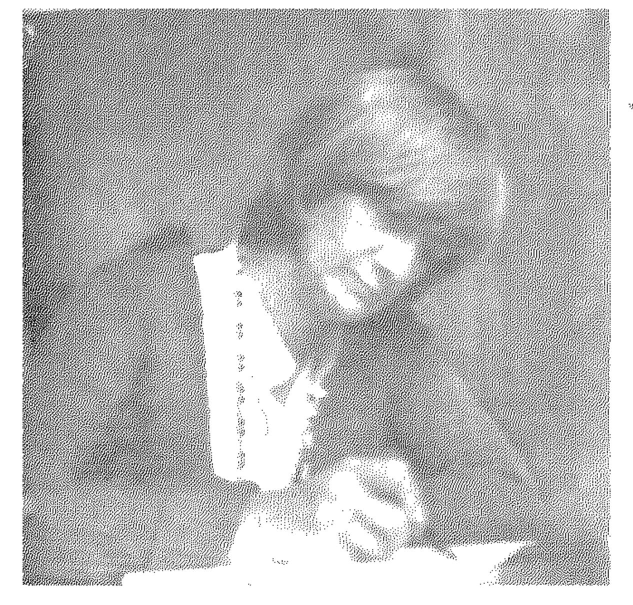

وجود موسوعات عربية متطورة .. ومدى حاجتنا الى موسوعات عامة ومتخصصة فى كافة فروع المعرفة . وللاسف فقد تعثرت هيئات عديدة ـ رسمية وغير رسمية ـ فى اعداد او اصدار الموسوعة العربية . وترى الهلال ـ كما نادت دائما ـ ان هذا لن يتحقق ابدا الا بانشاء اكاديميات ادبية من بين مهامها الرئيسية اصدار هذه الموسوعات .. فهل سيأتى هذا الوقت .. ؟ مجرد سؤال .

## بروكسل

**● فرانسواز .. امرأة مرهجة**

« المدخل العكسى » .

عنوان احدث مسرحية تعرض هذا الاسبوع فى بلجيكا كتبتها اخيرا الكاتبة المعروفة فرانسواز ساجان ـ ٥٣ عاما ـ التى تعرضت فى العام الماضى لازمة صحية شديدة . أهمية هذا الخبر ان فرانسواز التى عرفت برواياتها الوجودية العديدة تعود من جديد الى المسرح . ففى عام ١٩٦٣ نشرت مسرحيتها الاولى « قصر فى السويد » التى ما لبثت ان تحولت الى فيلم سينمائى وترجمت الى اللغة العربية فى نفس العام .. ثم قدمت مسرحيات اخرى منها « ثوب فالنتين



فرانسواز ساجان

الرمادى » و « الحصان المغمى عليه» ولم تخف ابدا انها ارادت بهذه الاعمال السير على هدى ابيها الروحى جان كوكتو . الذى تعلمت منه لياقة الاسلوب . وهشاشة الاحاسيس :

ومسرحية ساجان الجديدة تدور مثلما حدث فى مسرحيتيها السابقتين فى مدينة فيينا . ولكن الاحداث تدور عام ١٩١٤ حول رجل يعشق النساء ويجيد معاملتهن . ولكنه مع ذلك لا يتجح فى الارتباط الدائم بواحدة منهن . حتى يضطر اخيرا ان ينام مع امرأة رجل ذهب الى الحرب . وكى يهرب من الشعور بالذنب يتزوج اختها .. وهربا ايضا من ذنب يقترفه يصبح انسانا داعرا..

المسرحية من اللون الكوميدى . ويقوم ببطولتها تسعة من نجوم السينما والمسرح منهم ميشيل بلان ودومنيك لافينان . وقد قامت فرانسواز باختيارهم جميعا بنفسها لانهم يجسدون الشخصيات كما تخيلتها . ويتحدث الآن حول هذه

التجربة قائلا : « على خشبة المسرح يجد الممثل نفسه دائما حر الحركة فينطلق كما يشاء . وفيه نشعر بعدالة التمثيل على المدى الطويل وذلك عكس ما يحدث فى السينما ..



## ● الموتى على شرف جون هيستون

لاشك أن الحاسة السادسة متضخمة بشكل ملحوظ عند الفنان.. وقد اتضحت بصفةخاصة عند المخرج الراحل جون هيستون الذى توفى الشهر الماضى عقب اخراجه لفيلم يحمل عنوان « الموتى » المأخوذ عن احدى مسرحيات جيمس جويس .. فمن خلال الاحاديث التى كانت تنشر للمخرج العجوز فى السنوات الاخرى بدا مدى حبه للحياة . وشغفه بأن يعيش لحظة مهما كان السبب لدرجة انه قال لو ان السينما عطلته عن الاحساس بمتعة الحياة لابتعد عنها فورا ..

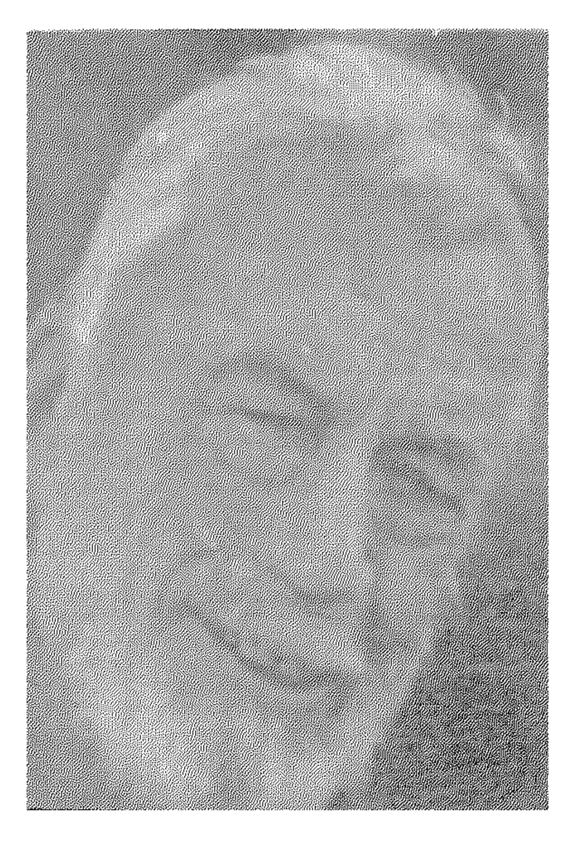
هيستون هو احد المخرجين القلائل الذين حققوا المعادلة الصعبة فى السينما فقد استعان بنصوص ادبية جيدة وبنجوم سينمائيين معروفين وخرج من كل هذا افلاما لاقت النجاحات على كل المستويات الجماهيرية والفنية .. بدأ حياته كممثل مسرح ومخرج فى برودواى ثم كاتب سيناريو . وأخيرا مخرج سينمائى .. عمل مخرجا فى افلام مأخوذة عن هيمنجواى وتنسى ويليامز وآرثر ميللر وجيمس جويس

.. الذى تم تصويره فى مصر عام ١٩٦٤ . ومنذ ذلك الحين وهو يطلق لحيته على طريقة نوح أما اهم النجوم الذين عمل معهم فهناك همفرى بوجارت ومارلين مونرو وكلارك جيبل وجاك نيكولسون .

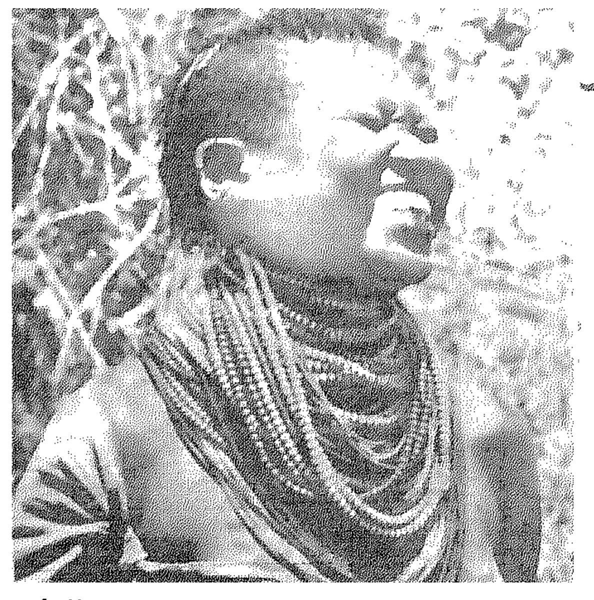
يقول هيستون انه عندما ذهب الى هوليود للعمل فى الاستوديوهات فان رجال السينما عاملوه على انه ابن الممثل المعروف والترهيوستن . وقد أصابته هذه الحكاية بنوع من النقص . ولكنها لم تمنعه من أن يسند الى أبيه أدوار البطولة الثانية فى العديد من الافلام قبل وفاته عام ١٩٥٠ كذلك لم تمنعه من اسناد البطولة الثانية الى ابنته ايخيلكا فى فيلم « شرف بريزى » عام ١٩٨٤ والتى حازت به على جائزة اوسكار احسن ممثلة مساعدة وكذلك فيلمه الاخير « الموتى » .

رغم أهمية أفلام هيوستن فانه كان يستعين دائما بكاميرا واحدة

جون هيستون







امرأة من الايك

اثناء التصوير وكـــان يرى ان الضخامة لا تأتى بالكاميرات المتعددة والديكورات الباهرة ·· ولكن البساطة نفسها تحمل عنصر الابهار ·

## كمبـــالا

### ● مسرحية انجليزية في شمال أوغندا

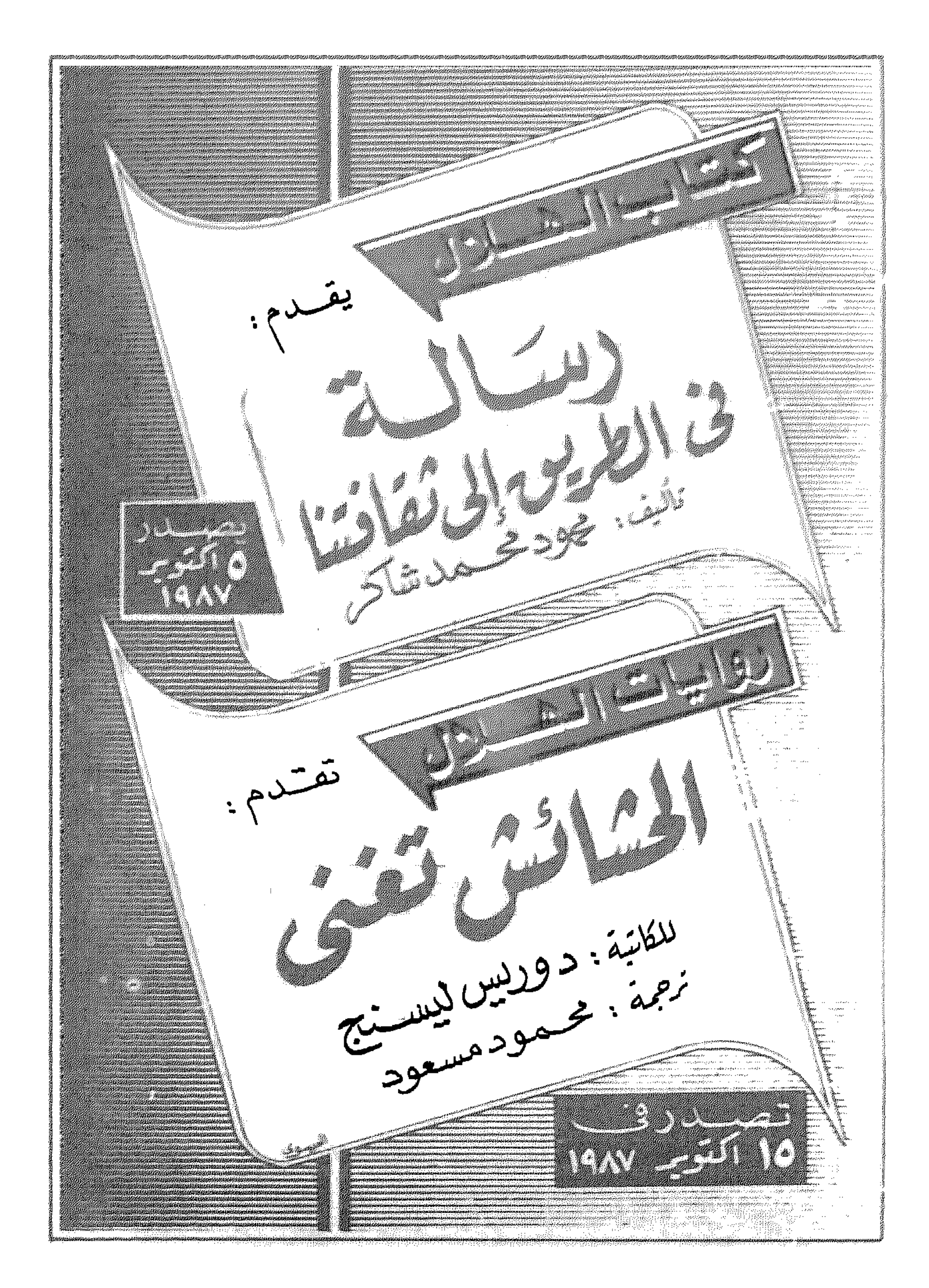
صدرت هذا الشهر الترجمـــــة الايطالية لكتاب « الايك » الذى قدمه الباحث الانثربولوجى البريطـــانى كولين تربنول فى عام ١٩٧٠ لاول مرة وتنبع اهمية هذا الكتاب فى انه تحول فى منتصف السبعينيات الى ظـاهرة ثقافية هامة مزجت فيها التجـــربة الحية بالوقائع المذكورة فى هـــذا البحث الهام ·

ففى اواخر عام ١٩٨٤ فكر الكاتب والمخرج المســـرحى بيتر بروك فى الاستعانة ببعض حكايات قبـــائل الايك التى تقع فى شمال اوغنـدا فاقترح على ترنبول الذهاب الى افريقيا لرؤية هذا الشعب ومعايشـــته على الطبيعة · ورغم ان المؤلف كان قـــد سبق ان حبس نفسه ثلاث ســـنوات ـ فيما قبل ـ ليؤلف هذا الكتـــاب ووافق فانه وافق ان يذهب مع بروك·· ولكن المخرج كان اكثر طموحا · فهو لم يصحب فقط معه مؤلف الكتاب ·· بل كل الممثلين الذين ســيعملون فى المسرحية ·· الذين عاشوا تجـــربة فريدة · فتعلموا لغة الايك وراقبـــوا حركاتهم عند الحديث والطعام والحب والكراهية ·او كما يقول اعضـــاء الفرقة : « احسسنا كاننا جميعا من الايك · فقد عايشنا هشاشـــتهم · والتبعث فينا اضواؤهم ·

وعندما عادت الفرقة الى لندن بدأ الحماس مشتعلا داخل وجدان الجميع فجاءت تجربة فريدة اكدت ان الفنان ليس فقط معايشة للنص ـ ان حدث ـ وانما معايشة للاشـخاص الحقيقيين الذين يتقمصون حكاياتهم ·

يقول المؤلف فى مقدمة طبعتـــه المترجمة الى الايطاليـــة ان اروع ـ واقسى ـ ما شاهده فى حيـــاته هو لهفة الامهات على منع الجوع عن ابنائهن الصغار حتى لا يموتـوا من الجوع ·

تؤكد هذه التجربة من جـــديد ان الفن ليس منفصلا عن المجتمع العالمى ومعاناته من ناحية · وانه أيضا ليس منفصلا عن البحوث العلمية الجـافة مثل التى كتبها الانثربولوجى المعروف كولين ترنبول ·



كتاب الهلال
يقدم:
رسالة
فى الطريق إلى ثقافتنا
تأليف: محمود محمد شاكر
يصدر
٥ أكتوبر
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم:
الحشائش تغنى
للكاتبة: دوريس ليسنج
ترجمة: محمود مسعود
تصدر فى
١٥ أكتوبر ١٩٨٧

## ■ أدباء بلا جذور ■

# الاستيطان.. الرحيل.. الحنين

بقلم : محمود قاسم

**يستمد الكاتب هويته من الأرض التى عاش فوقها .. ففيها تلاعب لسانه يخاطب اقرانه بلغته المالوفة . واكتسب عاداته الصغيرة . وجذل مشاعره باديمها ماذا يفعل هذا الكاتب حين تجتث الظروف جذوره الهشة من هذه الأرض فيذهب إلى وطن آخر يقال له : « هذه هى أمك الشرعية » ؟**

**حدث هذا فى الجزائر .. حدث هذا فى فرنسا ..**

« أى أرض تلك التى ننتمى إليها ؟

هل هى الجزائر التى نشأنا فوق أرضها ورضعنا من أديمها . وسرت مياهها فى دمائنا فأصبحنا جزائرى اللحم والهوية ؟ أم هى فرنسا التى نحمل جنسيتها فى بطاقات هويتنا ؟

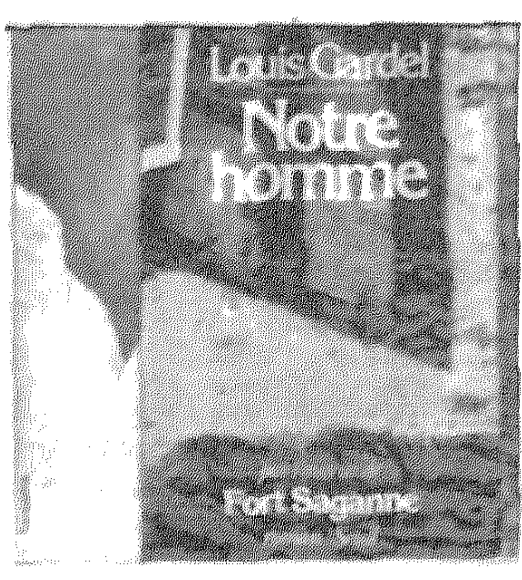
هذا هو التساؤل الذى يدور الآن فى ذهن أغلب الفرنسيين الذين رحلوا عن الجزائر بعد الاستقلال الذى تم منذ ربع قرن . هذه الفئة من الناس الذين أطلقت عليهم الصحافة اسم « الأقدام السوداء » . لا هم بالفرنسيين ولا هم بالجزائريين .

ولأن الأدب هو الروح المعبرة عن كل فئة فان الأدباء الذين ينتمون الى « الأقدام السوداء » قد دونوا دوما مشاعرهم وأفكارهم فى ادبهم وصنعوا ثقافة خاصة بهم هى فى الغالب « حنين » جارف الى تلك الأرض التى عاشوا فوقها ابان سنوات الطفولة أو الشباب المبكر . وعدد هؤلاء الكتاب ليس بالقليل . كما انهم يلعبون دورا مؤثرا فى شكل الحياة الثقافية المعاصرة فى فرنسا ، مما يعكس أهمية أن نتناولهم بالحديث ونذكر من بين الاسماء التى لاتزال تقدم عطاءها المتدفق : ايمانويل روبليس ، وبرنارهنرى ليفى ، وهيلين سيكسوس وشانتال شواف . اما البيركامى فقد كان أشهر الأدباء الذين ينتمون الى هذا النوع من الأدب .

وقد ترك الرحيل من الجزائر ـ مع سنوات الاستقلال ـ أثرا واضحا على أدب



شانتال شواف




رجلنا .. عنوان احدث رواية بلا جذور

كل منهم . ورغم هروب الكثير من أدباء النوع من تأثير المكان متجها نحو « التغريب » فإنه فى الحلف دائما توجد أشباح تتحرك فى أماكن هلامية . تعبر عن مشاعرها بجمل غير محددة المعانى مثلما فعلت كل من شانتال شواف وهيلين سيكسوس .

اما البعض الآخر فقد ظل مرتبطا بالأرض التى تربى عليها وجعلها مجالا خصبا لرواياته جميعها مثلما فعلت مارى كاردينال المسماة بابنة الجزائر ـ انظر مقالنا حولها فى هلال أغسطس ١٩٨٣ ـ ولوى جارديل . لكن البعض الثالث يعلن انه لاينتمى إلى أى الثقافتين لكثرة الخلط الذى دار برأسه ـ سواء الفرنسية ام العربية فى الجزائر وسوف نحاول هنا الحديث عن اربعة نماذج أدبية من هذه النماذج المتعددة . وهم جميعا من الشباب . أى ان السنوات التى عاشوها فى الجزائر كانت بالغة القصر قياسا الى الجيل الاسبق الذى عاش بأكمله هناك .

ورغم ذلك فان مكان سنوات الطفولة بدا واضحا للغاية فى ادبهم .

## ● أدب .. الشعر المنثور

تنتمى كل من شانتال شواف وهيلين سيكسوس ليس فقط الى « الأقدام السوداء » ونفس الجيل . ولكن أيضا إلى نفس الاتجاه الأدبى . فهما تكتبان ما يمكن تسميته برواية الشعر المنثور . وكلتاهما غزيرة الانتاج الأدبى . وقد نشرتا أول أعمالهما فى عامين متقاربين .

نشرت شانتال روايتها الأولى عام ١٩٧٤ تحت اسم " المذبح " ومنذ ذلك الحين وهى تنشر رواية كل عام تقريبا حتى توقفت عن الكتابة عام ١٩٨١ . وهو نفس العام ايضا الذى توقفت فيه زميلتها هيلين عن الكتابة بعد عطاء متدفق غزير .. ولو دققنا فى روايات شانتال فسوف نرى انها تدور جميعا فى اطار السنوات القليلة المحدودة التى عاشتها فى الجزائر .. رغم ان المكان هنا شىء هلامى لايمكن تحديده بسهولة أو الامساك به . وقد بدت الكاتبة

مهتمة باشخاص معينين ـ هم بالطبع من الاقدام السوداء ـ خاصة امها التى ماتت وهى تلدها عام ١٩٤٧ . ويبدو ان الكاتبة قد شعرت بعقدة ذنب غير براءة تجاه أمها فقدمت كل أعمالها تكريما لهذه الام . وفيها حكت الكثير عن أبيها وعلاقته بابنته أو بزوجته . حول وفاة أمها أثناء ولادتها وقسوة التجربة قدمت روايتها " القلب المزموم " عام ١٩٧٥ . أما روايتها « بذرة القمح » عام ١٩٧٨ .. فهى أيضا مجموعة أشعار منثورة حول الطفلة الصغيرة التى عاشت بدون أمها . لا ترضع من لبنها الساخن ولم تنعم بها وهى توقفها أمام المرآة تجدل لها شعرها وتضع الحلى حول رقبتها لذا كثيرا ما تخيلتها تفعل هذه الأشياء وغيرها . ثم تذوب فجأة بين السحاب فتقف الصغيرة خلف النافذة تتطلع إلى أعلى ربما تعاود النزول مرة أخرى لتسامرها ..

وفى نفس العام نشرت شانتال روايتها "احمرار" حول نفس العالم . المنزل الريفى فى الجزائر والمساحات المترامية الاطراف التى لا تنتهى . مما جسد الشعور بالوحدة والغربة ونمّا فيها الحاسة الشعرية .

ومن أمها و « البيت الريفى » إلى أبيها الذى خصصت عنه روايتها الأخيرة المنشورة « غروبيات » عام ١٩٨١ . وكما تخيلت امها تنزل من السماء لتصنع لها جدائلها . تخيلت اباها يأتى اليها فتجاوره فى مونولوج صامت تعبر فيه عن مدى تعاستها وعذاباتها . لقد رأت اباها يموت ببطء فوق سرير مرضه ، بعد ان تسربل الضعف شيئا فشيئا فى جسده الرقيق . ورغم قسوة المرض وحدته . فإن وجهه لن يفقد ابدا بريقه الجذاب . فظل بشوشا . يتحدث بنفس اللغة التى تتهامس بها إليه فى روايتها لكنه ابدا لا يرد .. ولا يتجاوب مع حوارها الداخلى ...

### ● دون كيشوت .. فى الصحراء

رغم ان لوى جارديل ـ ٤٦ عاما ـ قدم خمس روايات بين عامى ١٩٧٧ و ١٩٨٥ فإن روايته « قلعة ساجان » هى التى جلبت له الشهرة خاصة بعد تحويله الى فيلم سينمائى قامت ببطولته كاترين دونوف وعرض فى مهرجان " كان " منذ عامين . وهى رواية استعمارية حول جده الذى قرر غزو الجزائر على طريقته الخاصة فيما بين عامى ١٩١١ و ١٩١٤ . انه دون كيشوت الصحراء . تحولت طواحين الهواء الى سرابات الرمل التى لا تقترب أبدا . يحلم بامتلاك تلك المساحات الواسعة الممتدة بلا نهاية فلا يمكن للبصر ان يبلغ مداها . أرض لم يطأها امرؤ من قبل . لكن شارل ساجان يصاب بخيبة أمل . فيكتب إلى أخيه بعد عدة أشهر ان التجربة أكثر قسوة مما كان يعتقد . وان الصحراء الواسعة ضاقت به فتحول ضياء الشمس إلى لهيب حارق . وأعجزه الصمت والوحدة .

ويقول الكاتب ان ساجان الذى جاء الى الجزائر لينتصر على السلطان محمود لم يكسب سوى زوجة عاشت معه فى " قلعته " الصغيرة . وعندما يتزوج يقرر عدم تكملة رحلته . خاصة ان الحرب

العالمية الاولى قد اندلعت وهى كما يراها اكبر شيء غبى فى التاريخ المعاصر .

ويتحدث جارديل عن جده الذى مات عام ١٩١٤ قائلا انه : الهمنى الكثير فهو ينتمى الى أسرة متواضعة . ابن الوحدات العسكرية الفرنسية . أصبح التلميذ ضابطا صحراويا . نُشرت قصته فى « الجريدة الرسمية » . ورغم أننى قرأت كثيرا عنه فإنه لا يزال مجهولا بالنسبة لى . تزوج جدتى عام ١٩١٤ ولم يدم زواجهما سوى ثلاثة اشهر .. فقد مات ...

وعن حياته الخاصة ومشاعره يتحدث الكاتب قائلا : " قضيت اغلب سنوات طفولتى فى الجزائر وكانت اسرتى تنتمى الى الأقدام السوداء . سافرت الى باريس أول مرة عام ١٩٥٧ وانا فى السادسة عشرة من عمرى . كنت ممزقا . خائفا من ان تظل اسرتى هناك . الا انها سرعان ما عادت بعد الاستقلال . " مازلت اقدس الجزائر . فاذا شاهدت بعض العرب فى المترو . فاننى اجلس الى جوارهم واستمع الى لغتهم التى احبها واتكلم بعضا منها . واجد نفسى اروح معهم فى حوار طويل لا ينتهى الا عندما يتوقف المترو فى محطة ينزل بها احد منا " .

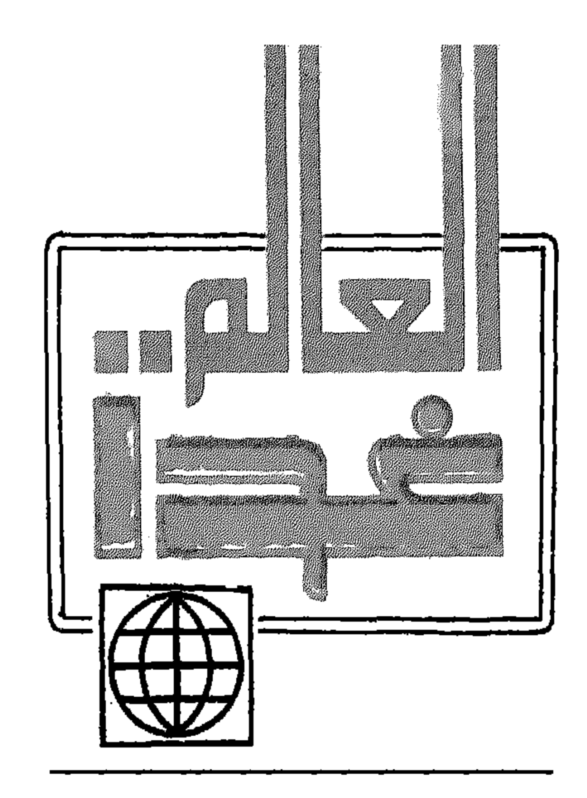
## ● رجل من بنى مصاف

الكاتب الرابع هو برنار هنرى ليفى احد أبرز الوجوه الثقافية المعاصرة فى فرنسا . ان لم يكن فى العالم كله . فهو مؤسس حركة "الفلسفة الجديدة" عرف اسمه ككاتب ومناضل سياسى وعدائى للنظم الشمولية وهو فى الخامسة عشرة من عمره . فاز فى عام ١٩٨٤ بجائزة ميدتشى الادبية عن روايته «الشيطان فى الرأس»

وفى الاحاديث الصحفية التى يدلى بها ليفى يردد انه لا ينتمى الى فرنسا . ولا الى الجزائر بل انه ليس سوى انسان " يقيم فى فرنسا " ويقول : « انتمى الى العديد من الرجال والنساء والشباب الذين يمكنهم أن يعيشوا فى اى مكان : نيويورك . لندن . ميلانو . باريس . اذا كانت فرنسا مجموعة من الأراضى والأطيان . فلست أحمل منها سوى الثقافة واللغة الفرنسية . هناك هذا الجزء من الأغنيات والكتب والأوراق التى أعرفها وأحبها . وارتبط فيه بوجودى . فليس من السهل ان تكون فرنسيا ـ من اليسار إلى اليمين ـ دون ان تجرى وراءك جثث مروعة واشباح »

ويرى الكاتب المعروف لوسيان بودار ان ليفى لا ينتمى الى مكان . لا البلد الذى ولد فيه . ولا ذلك الذى يحمل هويته . يقول انه رغم يهوديته . فإنه لا يحلم مثل الآخريين بالذهاب الى القدس . وان الكتابة هى حزبه ووسوسته التى تسبب له الجنون »

هذه اذن بعض النماذج الادبية التى تنتمى الى هويتين ثقافيتين . فلم يشعر اصحابها بالانتماء الكامل لاى منهما . وذلك عكس كتاب الجزائر من العرب سواء الذين يكتبون باللغة العربية ام بالفرنسية ـ فهم رغم هجرة بعضهم الى فرنسا ومحاولة الاستيطان هناك . فإنهم فخورون بعروبتهم . يكتبون ادبا عربيا فى المقام الاول . ولم يظهر حتى الان ادبا جديدا غيرهم مثلما حدث فى ادب الاقدام السوداء . ومن هنا يتضح الفرق بين الثقافة الواهية الجذور التى يحاول ان يصنعها المستعمر فى الارض التى يحتلها . والثقافة الراسخة الوتد التى تأصلت فى ابناء البلاد الاصليين منذ الاف السنين ..




## ● اكتشاف خام اليورانيوم فى مصر

تم اكتشاف حقول جديدة لخام اليورانيوم فى منطقة العلوجة شرق ابو ذنيبة ٠ والمعروف ان مثل هذه الخامات قد اكتشفت من قبل في ثلاث مناطق : شمال غرب الغردقة ، وجنوب شرق اسوان ، كما فى مناطق المسيكات والعريضية في منتصف الطريق بين سفاجا وقنا ٠٠

لكن اهمية المنطقة الجديدة ( العلوجة ) ترجع الى انها المرة الاولى التى يتم فيها اكتشاف اليورانيوم في صخور رسوبية ، فكل الاكتشافات السابقة كانت فى صخور جرانيتية وتركزت اساسا على معادن اليورانيوم الثانوية ، رغم اكتشاف معادن اولية ( مثل بتش بريندت ) فى بعضها ٠٠

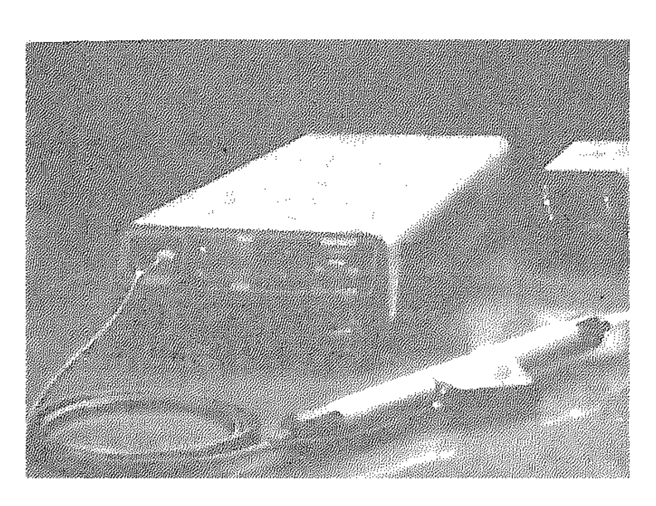
والمعروف فى الخبرة العالمية ٠ان مناجم الصخور الرسوبية اغنى كثيرا من مناجم الصخور الجرانيتية .

ولهذا تبشر منطقة العلوجة بامكانات كبيرة ، نظرا لان ظهور المعادن الثانوية لليورانيوم علىالسطح مؤشر قوى لتواجد المعادن الاساسية فى الاعماق ٠

وتولى هيئة المواد النووية اهتماما كبيرا بمنطقة العلوجة ـ كما هى الحال بالنسبة للمناطق الاخرى ـ وتجرى الدراسات لتقييم الكشف الجديد ، والاعداد لبرنامج مكثف من الحفر والاعمال المنجمية ، بهدف التوصل الى معرفة الكمية المتوفرة ، وللاعداد للمراحل الانتاجية ٠ والمعروف ان العمليات التحضيرية السابقة على الانتاج تستغرق عادة من سنتين الى خمس سنوات ٠٠

## ● ثورة فى علاج الاسنان

أعلن العالمان الامريكيان كرونمان وجولدمان عن ابتكار سيحدث ثورة فى علاج الاسنان هو سائل « كاريدكس » الذى يذيب التسوس دون تاثير على مادة السن او اللثة،



وذلك بفعل تركيبتـــه الكيميــائية الخاصة ..

وقد ابتكر العالمان للسائل الجديد انبوبا تتصل به مضخة يدوية تمكن الطبيب ، بعد تهيئة الطريق ، تعريض التسوس للســـائل ٦٥٠ مرة في الثانية ، ولا يكون علي الطبيب بعد اقل من دقيقة الا شفط التسوس المذاب ليعمل بعد ذلك في حشو الفجــوة الناتجة .

ومن جــانب اخــــر قامت شركة فرنسية بابتكار جهاز ليزر متطور لا يزيد وزنه علي ٩ كيلوجرامات ( وزن الليزر السابق ١٠٠ كيلوجرام ) سهل كثيرا استخدام اشعة الليزر في علاج امراض الاسنان .

والمعروف ان اشعة الليزر تستخدم في ازالة التسوس وفي الجراحــات الخــاصة للثـــــة والفكين وازالة التقرحات ، كما في علاج التهــابات العظام ومفصل الفك واللثة والجيوب الهوائية في الوجه والغدد اللعابية .

واستخدام الليزر في طب الاسنان يبشر بانقاذ المرضي من المضـــادات الحيوية ومضادات الالتهابات ومزيلات الالم والمسكنات بما لها من تاثيرات جانبية غير هينة .

## • تآكل سقف العالم

طبقة الاوزون التي يزيد سمكهــا علي ٣٠ كيـــلو مترا ، في نطـــاق الغلاف الجوى المحيط بالارض ، ذات أهمية بالغةبالنسبة للحياة ، ذلك انها تتكفل بامتصاص نسبة كبيـــرة من الموجـــات فوق البنفســــجية ..

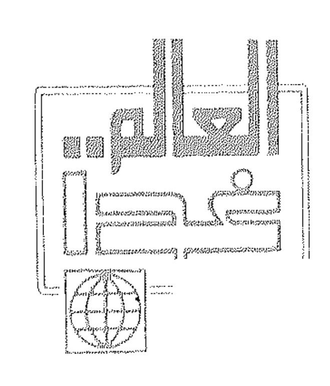


ثقب في طبقة الاوزون

التي تحملها اشعة الشمس قبل دخولها جو الارض . وزيادة نسبة هذه الموجات تؤدى الي تغييراتكبرى في جو الارض كما تضر بمظــاهر الحياة عليها .. ويؤكد العلماء الامريكيون أن مثل هذه التغيرات باتت ملحوظة خلال السنوات الاخيرة ، وأن نسبة الاصابة بسرطان الجلد في ارتفاع مستمر ..

ويعتقد كثير من العلماء أن طبقـــة الاوزون ـ السقف الذى يحمي العالم ـ تتعرض لتأكل تدريجي ، وان الثقب الموسمى الذى يظهر بها فوق القطــب الجنوبى هو أشــد مظــاهر التآكل وضوحا ..

ومازال الجـــدل علي أشده حـــول مسببات هذا الثقب واذا كان البعض يرجعونه الي ارتفاع كميات من الهــواء من أسفل جو الارض ، مما يخفف نسبة الاوزون فالابحــاث التي أجــــراها د. سولومون من جامعة نيويورك خـــلال العام الماضي تؤيد الفكرة السائدة حول مسئولية غاز الكلور فلور كاربون الذى يســـتخدم في كثير مـــن البخـــاخات



( الاسبراى ) وأجهزة التبريد وانتاج بعض مواد البلاستيك .. مسئوليته عن تآكل طبقة الاوزون ، اذ يرتفع تدريجيا حتى يصل هذه الطبقة ويقضى رويدا على مكوناتها ..

لهذا قامت كندا والولايات المتحدة الامريكية والبلدان الاسكندنافية بحظر استخدام الكلور فلور كاربون تماما ، لكن معظم الدول الاوربية لاتزال فى طور التحضير لسياسة موحدة فى هذا الصدد .

وقد وقع الامريكيون والسوفييت أخيرا اتفاقا مشتركا لدراسةثقب طبقة الاوزون بالوسائل الارضية والفضائية، مما سيساعد على رسم سياسة دولية شاملة لمواجهة الاثار الوخيمة التى تهدد مناخ العالم وصحة سكانه ..

## ● دواء لاصابة الانسان بالاجهاد

يؤدى الاجهاد المزمن ، بما يصاحبه من قلق ، الى الاصابة بامراض ارتفاع ضغط الدم ، والذبحة الصدرية ، والقرحة ، ناهيك عن الامراض العصبية .. ومن المعروف أن العقاقير المهدئة التى تستخدم فى كبح الاجهاد تصيب الانسان بالخمول كما تقلل من حساسيته وتكبح انفعالاته القوية، الامر الذى يصيب قدراته العاطفية والابداعية فى الصميم ..

وقد اعلن العلماء السوفييت اخيرا عن اكتشافهم مادة تقضى على مضار الاجهاد دون تاثير على حيوية الانسان .. وقد حدث ذلك عند ملاحظتهم خلال التجارب على الحيوانات ان بعضها يتحمل بهدوء ما يتعرض له من المحن والضغوط ، بينما يمرض بعضها الاخر . واستنتج العلماء من ذلك ان هناك « ميكانيزم » طبيعيا يمكن ازالة الاثار الضارة للاجهاد ، وان هذا الميكانيزم يعمل لدى بعض الافراد ولا يعمل عند الاخرين .

واكدت التجارب وجود مثل هذا الميكانيزم ، وتاثيره على الافرازات البيولوجية التى تصاحب الاجهاد ، بما يزيلها بسرعة من الدورة الدموية للحيوانات المنيعة .. هذا كما اتضح أن الاجهاد لا يشكل خطرا على الجسم الا بعد تجاوزه حدا معينا « يدركه » ميكانيزم ازالة اثار الاجهاد ، وعند « بلادة » هذا الميكانيزم لا يعى الانسان حدوده ، ويندفع بما يتجاوز الحد النافع للاجهاد ..

واكتشف العلماء أن الاداة التى يستخدمها هذا الميكاينزم سائل موجود فى دماغ الانسان ، وهكذا لم يلبث صناع الدواء يعملون حتى استخلصوها وحولوها الى دواء . وتجرى حاليا ابحاث لتحديد الشكل الامثل لتناولها ، وتحديد الجرعات الملائمة ووقت اعطائها للمريض .

لكن الطريف أن الدراسة أسفرت ايضا عن تفكير فى استخدام الافرازات المصاحبة للاجهاد فى « قلقلة » غلاظ البشرة اللامبالين الذين لا يحسون بأى اجهاد أو قلق .

## ● سياحة فى الفضاء

★ يوم ١٢ اكتوبر ١٩٩٢ ستتم باذن الله اول رحلة فضائية سياحية فى مركبة تتسع لـ ٢٠ سائحا بالاضافة الى ملاحيها وسوف تستغرق الرحلة

١٢ ساعة تدور فيها المركبة حـــول الارض عدة مرات . الرحـلة الاولى كاملة العـــدد من الان رغم ان ثمن التذكرة ٥٢ الف دولار .

★ ذكرت صحيفة الرابطة الطبيـة الامريكية ان ١٢ الف عالم امريـكى ( ٧٠٠٠ ) ويابانى (٣٠٠٠) وبريطانى (١٠٠٠) .. قرروا عدم الاشتراك فى برنامج « حرب النجوم » الذى طرحه الرئيس ريجان عام ١٩٨٣ هذا كمـا وقع ٢١ من علماء الفيزياء والكيمياء الحاصلين على جائزة نوبل على بيان رفض الاشتراك فى ابحاث البرنامج .

★ احتفلت احدى حدائق الحيوان الاوربية بعيد الميلاد الثـــانى لاول باندا تمت ولادته فى الحديقـــة عن طريق التلقيح الصـــناعى ، ذلك ان حيوانات الباندا تضرب تمـــاما عن التواصل والتكاثر ان فقدت حريتها .

★ خلال قراءة المذيع ديفيـــد هورويتز نشرة الاخبار اقتحم عليـه الاستوديو شاب يدعى جارى ستولمان واجبره تحت تهديد مسدسه على قراءة بيان يهاجم فيه وكالة المخـــابرات المركزية لتكتمها انباء عن رواد فضاء حطوا من كواكب بعيدة .. ظهر بعد ذلك ان المسدس لعبة من البلاستيك .

المذيع يقرا تحت التهديد



● هل هم اطفال عباقرة



اشتركت فى مسابقة العـزف على التشيللو التى اقيمت اخيرا فى باريس الطفلة الفرنسية اوريليا الكســندر التى اجادت العزف رغم ان عمرهـــا لا يتجاوز ٤ سنوات ، وانها لم تتدرب على التشيللو سوى سبعة شـــهور هذا كما انتظم طالب لا يتجاوز عمره ١٣ سنة فى محاضرات كلية الصحافة بجامعة موسكو بعد ان اجتـــاز كل امتحانات القبول بدرجة « امتياز » .. الطريف ان بيجلوف اسم الطالب بدا القراءة وهو فى الثالثة وطــــالع ما يقرب من الف كتاب ، وكتــــابه المفضل « فلسفة التاريخ » وهـــو من اصعب واعمق المؤلفات الفلســـفية للمفكر الالمانى هيجل ..

# بين الفحم والماس

# خبرة العلم فى العنصر والمنظومة

بقلم : د. أحمد عامر

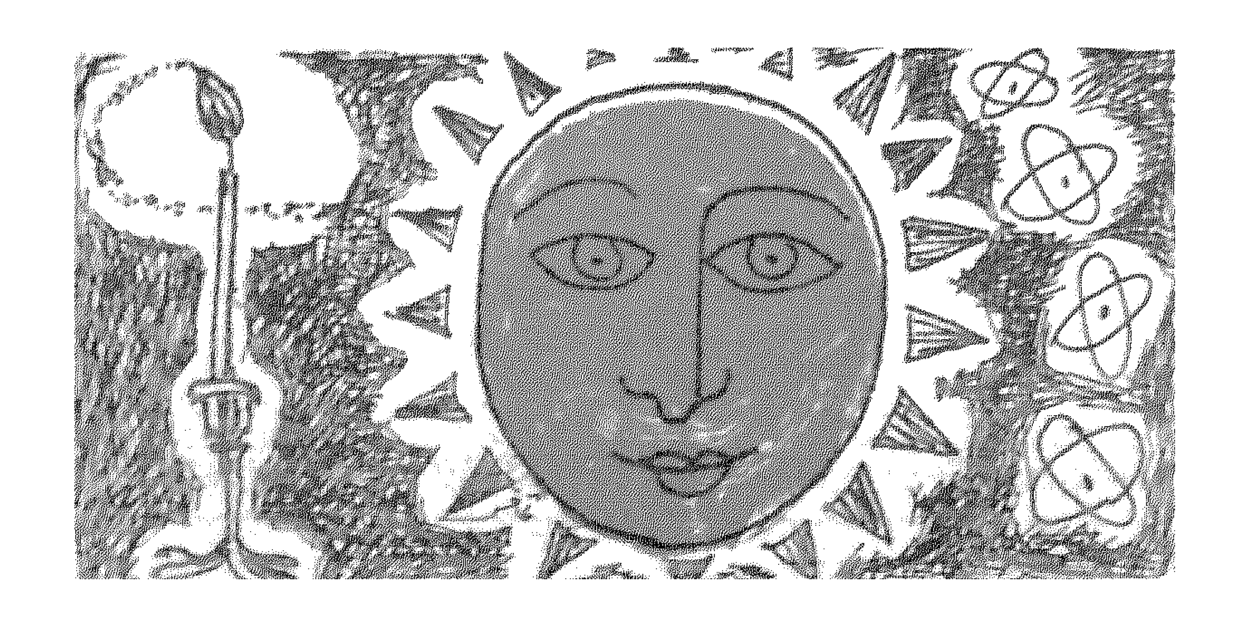
**فى الحياة كما فى البحث العلمى نتعامل مع اشياء ، وعادة ما لا تكون هـــذه الاشياء بسيطة ، بل تكون مركبـــة ، ذات مكـونات وبناء ، وعـــادة ما تقتصر النظرة السطحية للامـــور على رؤية مكـونات الشىء وتقصر عن رؤية بنـائه ، فلا ترى من الامة مثلا الا افرادها ، ومن الجيش الا عساكره ومن الكتـاب الا فصوله .**

ولكن المنظرة الاعمق تكتشف بناء الشىء وتدرك اهميتـــه التى كثيرا ما تكون حاسمة فى تحديد هويته . فالاشـــياء اما بسيطة لا تركيب لها ولا تتكون مما هو أبسط منها او مركبة . تسمى الاشياء البسيطة عناصر ، اما الشىء المركب فيسمى منظومة ، فالمنظومة تتكون من عناصر ( أجزاء ) . ونورد هنا اربع ملاحظات على مفهـــــومى العنصر والمنظومة :

( أ ) العنصر او الجزء اصطلاح نسبى : فالشخص بالنسبة للمتخصص فى العلوم الاجتماعية هـو الوحـدة أو الجزء الذى يتكون منه المجتمع ولكن هذا الشخص نفسه بالنسـبة للطبيب منظومة غاية فى التعقيــد مركبة من عناصر واجزاء ابسط ،فهو مكون من اجهزة والاجهزة مكونة من اعضاء والعضو مكون من انســجة والانسجة مكونة من خـــلايا . كذلك الذرة فى الكيمياء هى الجزء النهائى من المادة ونواتها لا تنقســـــم فى التفاعلات الكيميائية ، ولكنهـــا فى

---

● استاذ قسم الرياضيات بكلية العلوم جامعة القاهرة



الفيزياء منظومة مكونة من عناصر ابسط ، اذ تتكون نواتها من بروتونات ونيوترونات ·

كذلك ، فان ما نتصوره في مرحلة من مراحل تقدم العلم بسيطا وأوليا ، نكتشف تركيبه فى مراحل اكثر تقدما ، فالذرة مثلا ، كانت فى وقت من الاوقات تعتبر أصغر جزء من المادة ثم اكتشف رذرفورد تركيبها من نواة والكترونات واعتبرت النواة عندئذ بسيطة بلا تركيب ، أدى مزيد من دراسة النواة الى اكتشاف تركيبها من بروتونات ونيوترونات ، هذه الاخيرة كانت تعتبر جسيمات أولية لاقل من عشرين سنة خلت والان يعتبرها الفيزيائيون مركبة مما هو أبسط وهو الكوارك ·· وهكذا ·

فالشىء يعتبر بسيطا اوليا لاحد سببين : اما لاننا نعتبره فى سياق لا يتعرض لتركيبه او لما يتأثر بتركيبه ، او لان حدود معرفتنا بالشىء لم تصل الى تركيبه ، وهذا يعنى ان تركيبه لا يتدخل فى كل التفاعلات التى رصدناه فيها ، بل يسلك كشىء أولى بسيط بلا تركيب ·

(ب) التجميع البسيط والاتحاد المركب : المنظومة قد تكون تجميعا بسيطا لعناصرها أو اتحادا مركبا منها ، كمخلوط الكبريت والحديد ومركب كبريتيد الحديد، فالاول بسيط ويحمل خصائص الكبريت وخصائص الحديد ويمكن فصلهما فيه بواسطة مغناطيس مثلا ، يجذب الحديد ويترك الكبريت ، اما الثاني فلا يحمل صفات أى منهما ولكن له صفاته الخاصة ·

● تغير العلاقات

قارن بين سلة من البرتقال وباقة من الزهور ، المنظومة الاولى تجميع بسيط لعناصر حيث تسلك كل برتقالة كما لو كانت موجودة وحدها فى غياب البرتقالات الاخرى ، ولا يعطى الجمع هنا الا زيادة الكمية دون اضافة خصائص جديدة ، اما باقة الزهور فستبعث فيك من البهجة اكثر مما تبعثه فيك الزهور لو رأيت كلا منها على حدة ، واحدة بعد الاخرى· كذلك القصيدة المفككة والقصيدة المترابطة الاولى مثال على منظومة هى تجميع بسيط لعناصرها ، والثانية مثال على

# بين الفحم والماس

منظومة هى اتحاد مركب لعناصرها التى هى ابيات الشعر فى الحالتين ·

(د) العلاقات بين العناصر : على العموم ليست المنظومة مجرد التجميع البسيط لعناصرها ، ولكنها هذه العناصر داخلة فى علاقات معينة ، فالمنظومة = عناصر + علاقات · وكلما قل التفاعل بين عناصر المنظومة أو قلت اهميته ، قل الفرق بين المنظومة ومجموع عناصرها

ويمكن بتغيير العلاقات بين عناصر منظومة ما ، دون تغيير أى عنصر من عناصرها ، أن نحصل على منظومة جديدة تختلف عن السابقة اختلافا بينا · فجزىء الاكسجين مثلا ، يكون من ذرتين من الاكسجين وجزىء الاوزون مكون من ثلاث ذرات من الاكسجين ، فلو قلت عندى ست ذرات من الاكسجين ★ ، فماذا املك؟ قد تملك اكسجينا أو أوزونا ، اذا اتحدت الذرات اثنتين اثنتين فستملك ثلاث جزيئات من الاكسجين ، اما اذا اتحدت ثلاثا فسيكون عندك جزيئين من الاوزون ، والاكسجين غاز شفاف بينما الاوزون لونه أزرق باهت ، والاكسجين عديم الرائحة وللاوزن رائحة خاصة ، وهكذا · كذلك الفرق بين الفحم والماس هو أن الاول كربون غير متبلور بينما الثانى كربون متبلور ، أى أن الماس هو بلورات الكربون · هذا يعنى أن ذرات الكربون موجودة فى الفحم عشوائيا بلا ترتيب ، اما فى الماس فتوجد بترتيب هندسى معين ، فالمنظومتان ، الفحم والماس ، كلتاهما مكونة من نفس العناصر وهى ذرات الكربون · ان لم يكن لها تركيب معين فهى فحم، اما اذا دخلت ذرات الكربون فى علاقات معينة ( ترتيب هندسى معين ) فهى ماس · والفرق بين الفحم والماس بين ، لن نتكلم عن السعر ، لكن الماس يخدش الزجاج وصلابته شديدة بينما الفحم ( الجرافيت ) لين ، والماس شفاف والفحم معتم ، وهكذا · ايضا اذا غيرت ترتيب الذرات ، فقط الترتيب فى بعض الجزيئات الكبيرة يتغير المركب الكيميائى فتتغير بهذا بعض انواع السكر الى سم ·

هناك امثلة ابسط لتغيير المنظومات بتغييرات بسيطة فى العلاقات بين عناصرها دون تغيير العناصر ذاتها ، فالتليفزيون ( جهاز الاستقبال مثلا ) هو منظومة من شاشة وسماعة ومقاومات ومكثفات وملفات وصمامات وأشباه موصلات واسلاك متصلة اتصالا كهربائيا والكترونيا معينا · لو فككت سلكا من مكانه ولحمته فى مكان آخر او تركته مفكوكا ، لن تكون قد غيرت ايا من العناصر ،ولكنك بهذا تكون قد غيرت المنظومة من تليفزيون الى شىء لا يستقبل الارسال التليفزيونى · او خذ سيارة مثلا وفك عجلاتها الاربع وضعها على السقف ، وفك المحرك وضعه داخل العربة ، ستحصل بهذا على شىء غير السيارة بالرغم من انه مكون من كل عناصرها ·

هناك من لا يرى فى الامة الا ابناءها وفى الكتاب الا فصوله وفى

★ هذا للتبسيط لان ست ذرات كمية غاية فى الضآلة ، فاربعة جرام مثلا من الاكسجين بها الكثر من ١٫٥ × ١٠ ^٢٣^ ذرة أى مائة وخمسون الف مليار ذرة ·

البستان الا نباتاته ويتساءل : ماذا يبقى للامة كى تتحضر بحضارة عصرها اذا تحضر بهذه الحضارة كل فرد من أبنائها ؟ ماذا يبقى من الكتاب لتستوعبه اذا استوعبت فصوله ؟ ماذا يبقى من البستان اذا ازدهرت كل نبتة فيه ؟ والامة المتحضرة ليست فقط افرادا متحضرين ولكنها افراد متحضرون تربطهم علاقات متحضرة ، وفرق كبير بين امتين افراد كلتيهما متحضرون ولكنهم فى الاولى بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وفى الثانية مثلهم فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فضلا عن أن كل فرد من الامة يجب أن يكون قائما بالدور الاجتماعى الملائم له ( الشخص المناسب فى المكان المناسب ) فلا يقوم المهندسون بعلاج المرضى والاطباء بصناعة الاسمنت مثلا ، أما عن الكتاب كجزئيات متناثرة لا يربطها سياق عام فيفشلون فى حل مسائل يعالج الكتاب موضوعها لان حلها يتطلب فهم السياق العام وهو ما يربط بين فصول الكتاب ولو لم يبق فى الكتاب حقا ما يستوعب بعد استيعاب كل فصل لكان كتبا وليس كتابا ، ولكان كل فصل فيه كتابا قائما بذاته ، لا يغير الامر أنك جمعتها فى مجلد واحد • يتضح هذا الامر اكثر اذا قارنت الجملة بكلماتها • فأحيانا تفهم كل كلمة فى جملة ولا تفهم الجمله ، ولا سيما اذا كانت بلغة أجنبية تكون مبتدئا فيها • يضاف الى هذا أيضا أن الجمله هى مجموعة كلمات وفصلات ونقط فى ترتيب معين يقال ان الملك قد عفا عن أحد معارضيه المحكوم عليه بالاعدام وقرر الافراج عنه ، وكان المعارض محبوسا فى مكان بعيد ، وجاء قرار الملك بالعفو عنه فى نفس اليوم المقرر فيه اعدامه ، فلم يكن بد من ارسال برقية ، وأملى الملك البرقية الاتية :

الاعدام ممنوع • الافراج

ولكن عامل التليغراف تلقاها كالاتى :

الاعدام • ممنوع الافراج

وشنق الرجل • أما البستان فليس فقط نباتات مزدهرة ، ولكنه نباتات مزدهرة منسقة • والبستانى الماهر هو الذى يجيد أيضا تنسيق الزهور فى احواضها وهو يزرعها •

● احتمالات واردة

**(د) صفات العناصر وصفات المنظومة : هل كل ما يصف العنصر** يصف المنظومة ؟ وهل كل ما يصف المنظومة يصف العنصر ؟ نجد كل **الاحتمالات واردة ، فهناك صفات** تتصف بها العناصر وتتصف بها المنظومة ، بعض هذه الصفات تجميعى وبعضها ليس كذلك ، كما أن هناك صفات تتصف بها العناصر ولا تتصف بها المنظومة بمعنى أنك لو أضفت هذه الصفات على المنظومة فلن تحصل على عبارة صحيحة ولا على عبارة خاطئة بل ستحصل على كلام فارغ من المعنى او الدلالة • واخيرا فهناك صفات تتصف بها المنظومة ولا معنى لاضفائها على العناصر :

**١ ـ صفات تصف العناصر والمنظومة : اعتبر منظومة مكونة** من منظومات جزئية كأن تكون كتيبة فى الجيش مكونة من فصائل • عدد جنود الكتيبة هو مجموع اعداد جنود فصائلها ، أما القدرة القتالية للكتيبة فليست مجموع القدرات القتالية

# بين الفحم والماس

لفصائلها ، قد تكون أكبر أو أقـــل حسب كفاءة قيادتها وحسن تنظيـم الفصائل في الكتيبة . فالعنصر هنـا وهو الفصيلة يتصف بأن به عـددا من الجنود وبأن له قدرة قتـالية ، كذلك تتصف المنظومة وهي الكتيبـة بالصفتين . الصفة الاولى وهي عدد الجنود تجميعية أما الصفة الثانيـة وهي القدرة القتالية فليست تجميعية لو اعتبرت منظومة من الجسيمات ، فالعنصر ( الجسيم ) يتصف بـأن له شحنة كهربائية ( قد تساوي صفرا ) وحجم وكتلة . في هذا المثـال ، الشحنة تجميعية لان شحنة المنظـومة هي مجموع شحنات عناصرها ، أمـا الحجم فواضح أنه ليس تجميعيـا اذ أن حجم المنظومة اى الحجم الـكلي لا يساوي مجموع حجوم عنـاصرها فقد يكون اكبر من ذلك ، كما هـو الحال في المجموعة الشمسية فحجم المجموعه الشمسية اكبر بـكثير من مجموع حجوم الشمس والـكواكب وكذلك الحال في الذرة . أمـا اذا أذبت نصف لتر من الخل مثلا في لتر من الماء فلن يكون حجم المحلول لترا ونصفا بل اقل من ذلك ، فهنا حجـم المجموعة وهي المحلول اقل من مجموع حجوم عناصرها وهي الخل والماء .

أما الكتلة فهي اذا أردنا الدقـة غير تجميعية كما هو الحال مثلا في نواة ذرة الهليوم المكونة من بروتونين ونيوترونين ، كتلة نواة ذرة الهليوم أصغر من مجموع كتل مكوناتهـا . فاذا رمزنا لكتلة النـواة بالرمز ك وكتلة البروتون او النيوترون ( نفرض انهما متساويان ) بالرمز ك ، فان . ك = ٤ ك ف ، ف > صفر حيث ف هو الفرق . والسبب في هذا الفرق هو التجاذب النووي الشديد الـذي يجمع النويـدات ( البروتونـات والنيوترونات ) في النواة والذي ينتج عنه جهد سالب كبير المقدار جدا .

وهذا الجهد قصير المدى ★ جدا ، فمدى الجهد النووي هو $١٠^{-١٣}$ سم أي واحد من مليون مليون من المليمتر فاذا كان لدينا بروتونان ونيوترونان على مسافات اكبر بكثير من $١٠^{-١٣}$ ( واحد من مليون من المليمتر اكثر من كافي ) لا تكون المجموعة نـواة وتكون كتلة المجموعة في هـذه الحالة ٤ ك . اذا قربنا النـويدات لتندمج وتكون النـواة فان كتلة المجموعة في هذه الحالة تسـاوي ك . تقل طاقة المجموعة النهائية وهي النواة عن طاقة المجموعة الابتدائيـة وهي النويدات غير المترابطة بمقـدار $ف ع^{٢}$ حيث ف هو فرق الـكتلة كما اسلفنا ، ع سرعة الضوء حسب المعادلة المشهورة . حسب قـانون بقاء الطاقة لابد ان ينطلق هـذا الفرق في صورة اشعة مختلفـة وحرارة . هذا هو اساس القنبـلة الهيدروجينية ، كما يفسر حـرارة الشمس وضوؤها ، فمـا الشمس الا قنبلة هيدروجينية كبيرة :

لكن عندما تكون القوى المتبـادلة بين جسيمات المنظومة صغيرة ★ فان الكتلة تكون تجميعيـة ، فاذا اذبت

---

★ مدى الجهد هـو البعد الذي يصبح الجهد بعده صفرا او يكاد .

★ يجب أن تكون سـرعات الجسيمات ايضا صغيرة .

جراما من الخل او السكر فى خمسة جرامات من الماء فستحصل على ستة جرامات من المحلول .

٢ ـ صفات تصف العناصر ولا تصف المنظومة : اعتبر مجموعة عناصرها افرادا من البشر .كل عنصر يتصف بالانوثة أو الذكورة ، أما المجموعة ككل فلا تتصف بأى منهما ، ففريق لكرة السلة من البنات ، كل عنصر من عناصره انثى ، الا ان الفريق ليس انثى كما انه ليس ذكرا، فهو لا يتصف بهذه الصفة . كذلك فريق لكرة القدم ، كل لاعب فيه له رقبة ولسان ، اما الفريق فلا رقبة له ولا لسان ، وهكذا .

٣ ـ صفات تصف المنظومة ولا تصف العناصر : اذا اخذنا فريق الكرة مرة ثانية كمثال ، فالفريق له خط هجوم وخط دفاع ، اما كل لاعب على حدة فليس له خط هجوم ولا خط دفاع مثال اخر ، منظومة مكونة من عدد كبير بمائة الف مليار من جزئيات الماء ، هذه المنظومة ستتصف بالصلابة أو السيولة أو الغازية حسب درجة حرارتها ( والضغط الواقع عليها ) وستسمى ثلجا أو ماء او بخارا ، اما الجزىء الواحد من جزيئات الماء فلا يتصف بهذه الصفة ايضا لو اتيت بذرة من الكربون وسألت هل هى فحم أم ماس ؟ لا معنى للسؤال ، ولا اجابة ! لان الماس هو مجموعة من ذرات الكربون فى ترتيب هندسي معين للتكون بلورات أما اذا كانت الذرات غير مرتبة فالمجموعة فحم والذرة الواحدة لا تتصف بأنها مرتبة أو غير مرتبة . كذلك فدرجة حرارة مادة هى تعبير عن الحركة العشوائية لجزيئات هذه المادة وترتفع بزيادة هذه الحركة العشوائية وعليه فدرجة الحرارة صفة لمجموع الجزيئات ككل ولا يتصف بها الجزىء الواحد ، فلو أتيت بجزىء وسألت عن درجة حرارته فالسؤال بلا معنى ، ولو وصفت الجزىء بدرجة حرارة معينة فقد قلت لغوا .

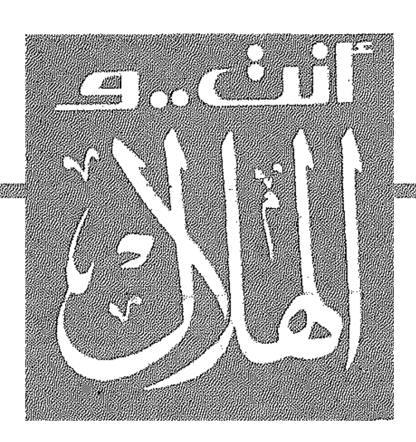
## ● تحديد العلاقة

كذلك فالديمقراطية صفة تصف المجتمعات ولا يتصف بها الافراد لان الديمقراطية تحدد العلاقة بين الافراد ومؤسسات المجتمع ، ولا يتعارض هذا مع أن تقول انك ديمقراطى لان هذا لا يعنى انك ديمقراطى فى ذاتك بل يعنى انك تحبذ الاسلوب الديمقراطى فى التعامل مع الاخرين او انك تحبذ المجتمع الديمقراطى أو تدعو اليه أو تعمل من أجل اقامته . كذلك لا يوجد مصرى عضو فى منظمة الامم المتحدة بينما مصر عضو ★ بها .لاحظ ان اعضاء الوفد المصرى فى الامم المتحدة ليسوا أعضاء بالمنظمة بل هم ممثلو مصر بها .

يظن البعض أن من اخطر مزالق الخطأ فى التفكير ان تضع أمامك اسماء المجموعات الى جانب اسماء افرادها ثم تتوهم ان لكل مجموعة منها كيانا غير كيانات افرادها . وعلى ضوء ما سبق لا يمكن ان نوافق على هذا الظن ، فالمجموعة عادة كيان غير كيانات افرادها بما ينتظم هؤلاء الافراد من علاقات داخل المجموعة ، والا ما انفجرت القنبلة الهيدروجينية وما اضاءت ولا ادفات الشمس .

---

★ هذا المثال ضربه الدكتور محمد عامر استاذ الرياضيات بكلية العلوم بجامعة القاهرة .




● القصيدة البحرية

● عندما امسك القلم لاخط رسالة ، فأنني اعتبر هذا الامر جهادا فى سبيل الكلمة ، وعندما تهاجر الكلمات من شفتي الى سطح الورقة فـانني أسمى هذه الهجرة بالهجرة الشعرية الشريفة ..

وعندما آثرت أن أراسلكم بقصائدى آثرت ذلك لانني شممت رائحـة العشق تفوح من ثقب باب « انت والهلال » فتمنيت أن أكون حديقـة ورد ، واتبرع بقلبي لخدمة هذا الباب حتى يظل وطنا دافئا لابجديات الشذى ..

اننى أتمنى أن تفتحوا لى هذا الباب وتاخذوا شعرى زنبقة بيضاء.. تطوقونها بقوس قزح .. وأتمنى أن لا تغلقوا الباب فى وجهى .. وتتركونى أدق عليه باستمرار .. أو أنظر للذين ينشرون فيه زهورهم .. من ثقبه ..

أحبها ومدى الامواج أرتكب
تلك التي شعرها للبحر ينتسب
فى المد تأتى فالقاها بأغنية
حتى اذا اقتربت .. فى الجزر تنسحب
كانت وصايا الهوى كالحرف تحفظنى
ورغم ذا منعت أحلامى الكتب
قلبى قصيدة ورد كيف اكتبها
والعطر في عشقها عنوانه السحب ؟؟
جميلة ـ قال نجم كان نازعني
في حبها ـ فاستحمت فى دمى الشهب
ان مر سطر ببالى كان ينظمها
فسوف يرسمنى فى قلبها الادب
فالعشق « أصدق أنباء » اذا اقتربت
والحرف اكذب ان كانت ستنسحب

عبد الله السمطى
آداب عين شمس

● تعليق :

ـ ننشر ـ كالعادة ـ رسالتك وشعرك بلا تعليق ! ..

● اهواك

● أرسلت اليكم قصيدة عنوانها « أهواك » ولم أجدها منشـورة ، ووجدت اسمى بين ردودكم على القراء .. هل معنى ذلك أنكم ترفضـــون قصائدى . وهذه هى القصيدة التى اختصرتها لكم حتى لا أضيع وقتكم :

أنا بالقلب أهـــــواك ودوما لست أنساك
وأنت الحب والسـلوى فكيف القلب يسلاكى
فحبى لســـت أنســاه ولن أنسى محياك
«منايا» في الهوى« أنت » فما أحببت إلاك
اذا ما النــوم نادانى أتانى فى الكرى « فاك »
ينـــاجينى بـــلا خوف ويدعونى لرؤياك
« فمن أرسل لها وردى » ومن تحميه أشواكى
» ومن أفديه بالـــروح ومن أتى لها شاكى
« ومن أفدية بالــــروح ومن أغدوا لها باكى
« ومن أســـهر لها ليلى لن يابدر أفلاكى ؟!

عيد حميدة ـ آداب طنطا

● تعليق

● نحن لا نرفض شعرك ولا شعر أحد من الناس ، ولعلك تطـالع ردودنا على اخوانك الشعراء الناشئين وغيرهم ممن جاوزوا سن الشـباب .. أما قصيدتك هذه ففيها :

١ ـ أغلاط نحوية .. مثل قولك : « أتانى فى الكرى فاك » وصحتها « فوك » .. لأنها من الاسماء الخمسة وقد درستها فى التعليم الثانوىوأنت الآن فى كلية الآداب فهل نسيتها ؟!

٢ ـ أغلاط عروضية ، مثل قولك « منايا فى الهوى انت » .. فـلا يصح أن تقول « منايا » فى أول البيت ، بل تقول : « مناى » وهنـا ينكسر البيت ، وكذلك قولك : « فمن أرسل لها وردى » .. لانك اذا ضممت اللام فى « أرسل » انكسر البيت ، واذا جعلتها ساكنة أخطأت فى النحو .. وكـذلك كلمة « أسهر » فى قولك : ومن أسهر لها ليلى .. فالضم فيها يكسر البيت والسكون خطأ نحوى ..

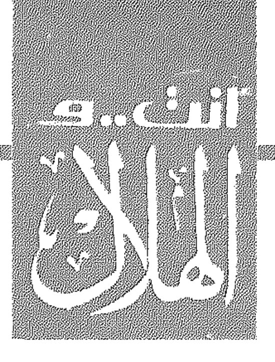
● احـــزان

عشـت فى همـــوم البشر وأطلت ـ حنقا ـ من نظرى
فرأتنى صورة للحزن قــــد صاغنى البؤس بادهى الصور
غصت فى بحر حياتى ضائعا وشريدا ليس لى من أثر
بين صبح صـــام فيه أملى عن ضياء الشمس طول العمر
ومساء لم يصـن لى حـلما نضرا أرعاه تحت القمر
وضمير هزأ النـــور بـه بعد أن أصبح أعمى البصر
وعيون تحمل الدنيــا عـلى لجة الشوق وسخط القدر
تعب الحـــب بقلبى وانثنى تحت ضغط الحقد بين البشر
سرت أرمى ألى فى دمعـــة علها تخفيه بين الحفر

أحمد حمدى ـ القاهرة

● ادباء الاقاليم

● نتشرف بان نكتب اليكم قصيدتنا العصماء « أدباء الأقاليم .. » وهى كما ترى فريدة فى معناها ومبناها .. ولم يسبقنا شاعر الى هذا




التناول الفريد والحمد لله ·· ونسال الله ان يحفظ وحدة الصف المصرى والصف العربى ، كما نأمل أن تتكرموا باعطائنا حقنا الذى توجبه عليكم مصر ·· بنشر هذه الرائعة فى صدر مجلة العروبة « الهلال » ·· ومصر ستبقى هى القاهرة ·· وهذه هى القصيدة :

من اين جاء ؟؟
من أين جاء ؟؟
هذا الذى سمى وقسم فى ذكاء
هذا الذى اصطنع الحدود
هذا الذى ابتدع السدود
من أين جاء ؟؟
يا مصر يا وطن الوفاء
كنا صغارا فى ابتداء
كنا صغارا فى انتماء
كنا صغارا فى ولاء
ومع دراستنا حروفا للهجاء
قال المعلم اذ يشير الى الخريطة فى استياء :
تلك الحدود هى افتراء
اذ يهدف المستعمرون الى التمزق فى البناء
يا أمة العرب المجيدة وحدة ·· نعم الاخاء
ومن الخليج الى المحيط : البيت يجمعنا ·· تظللنا السماء ··
ومضى الزمان ·· مضى زمان الابرياء
ومضى المعلم لم ير عصر التقدم فى ارتقاء
قد قسموا مصر الحبيبة فى دهاء
قد قسموا وطن الرجاء
هذا رثاء للمعلم والمناهج والمدارس والولاء
هذا رثاء للرثاء

الشاعر الدكتور احمد عامر

● تعليق

- ننشر الرسالة والشعر بلا تعليق ، ولا نستكثر على احد من شعراء زماننا أن يكون مبعوث العناية لانقاذ فن الشعر ، كما كان المرحوم يوسف وهبى مبعوث العناية لانقاذ فن التمثيل !!

### ● الجمال الطبع

يا هذه ·· ما بال عينك لا ترى
مما وضعت بها ، وهددها العمى

زججت عينا والمراود ســـخرة
تجرى هنا وهناك فنا علقمـــا
وأزلت حاجبها ولم يك وضــــعه
عيبـــا ، وكان مرتبا ومهنــدما
واتحت خطـــــا باليمين مرادفا
خطا يجـــاور خطه مستســلما
أو ما رأيت مع الطبيعة خلقـــه
تسمو مع المولى ، وتبدو بلسما
عودى الى الطبع الكريم ورددى
أن الجمال الطبع يرقى ســـلما

عبد العزيز بيومى على
مدير بالمدارس الثانوية سابقا

● حول قصة الجزائر

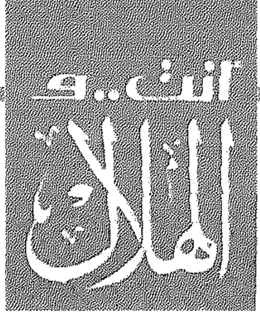
● كان يا ماكان : قصة الجزائر كاملة صور وأحداث من أيـــام « الداى » وحتى بعد مضى ربع قرن على الاستقلال اعداد الاستاذ مصطفى نبيل رئيس تحرير الهلال فى عدد أغسطس الماضى ، وجاء فيها ما يلى : « ٠٠ وعلى رأسها مكتب المغرب العربى فى القاهرة،والذى كان يرأسه علال الفاس ويضم صالح بن يوسف ومحمد خيضر ٠

عندما كانت الثورة المسلحة فى المغرب قد بدأت تتسع بسبب خلع الملك محمد الخامس ، ولم تكن القضية التونسية قد حلت بعد ٠ »

وأريد أن أشير هنا : أولا : علال الفاسى لا علال الفاس ثانيا : أن الرئيس حبيب بورقيبة كان من أعضاء مكتب المغرب العربى فى القاهـــرة المؤسسين والعاملين ، ويمكن للقارىء مراجعة كتاب « ذكريات عن مكتب المغرب العربى فى القاهرة » بقلم الاستاذ الرشيد ادريس الصادر عن الدار العربية للكتاب تونس ٠

ومن الكلمة التى القاها الرئيس الحبيب بورقيبة بقصر قرطاج يـــوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ عند استقباله للولاة الجزائريين : « ٠٠٠ ولعلكم تذكـرون ان الكثيرين من المناضلين التونسيين المنتسبين الى الرعيل الاول قضـــوا السنين الطويلة بسجون الجزائر ومنهم السيد الباهى الادغم ٠٠ وغيرهـم ومنهم كذلك من أدركته الوفاة هناك ٠ وتقول كذلك : « ٠٠٠ وبعد حــرب الجزائر شعرت كأنما شعبينا امتزجت دماؤهما ، وكنت معتقدا صـــــادق الاعتقاد أن الكفاح المشترك سيؤدى الى مصير مشترك ٠ فطيلة تلك الحرب قاسينا الشدائد معا ، وكنا هنا فى تونس نعانى الكثير من مشـــــاكلنا الداخلية ٠ وحصلت لنا متاعب مع فرنسا من أجل تضامننا مع الجزائر ٠ وكنا جادين فى مواقفنا ومساندتنا للجزائريين ٠٠ بل اننا احتملنا بكـــل صبر وجلد القذف الجوى ، والاعتداءات المتوالية والضائقة الاقتصــــادية وصمدنا بلا تردد ٠

وقد رأينا أن علينا التزامات للشعب الجزائرى لابد لنا من الوفـــاء بها وكنا معرضين للاخطار دون سوانا ٠ وكان تراب بلادنا محتـــــلا ، والقوات الفرنسية مرابطة ببعض مدننا التونسية ومن الاعتداءات الفرنسية



على القرى والمدن التونسية مدينة سيدى يوسف الحدودية للبلاد الجزائرية وذلك يوم ٨ فبراير ١٩٥٨ م قصفها يوم السوق الاسبوعى فاختلطت الدماء التونسية مع الدماء الجزائرية وخاصة المدرسة الابتدائية بالمدينة . »

ويمكن للقارىء مراجعة كتاب « بين تونس والجزائر ماض مشترك ومصير واحد : الحبيب بورقيبة نشر وطبع كتابه الدولة للشئون الثقافية والاخبار .

محمد العائش القوتى
عضو باتحاد الكتاب ( تونس )

● ماذا تصنع بالاوزان ؟

الاصفر يقتحم الذاكرة
ويعصف بالالوان
وجراد يلتهم الجنة
فى اطمئنان
والنورس يضرب بجناحيه الجثة
والديدان ..
تلهو بالجسد ـ الجيفة
والغربان ..
تمتلك الساحة
قل لى :
ماذا تصنع بالاوزان ؟

حسين محمد على
ديرب نجم ـ شرقية

● دعاء الفجر

● هذه القصيدة المسماة « بدعاء الفجر » هى احدى قصائدى الكثيرة عبرت فيها عن احساسى بليلة كئيبة قلقة وبالاحساس بتخلف الفجر عن الحضور ثم قدوم الفجر والاتجاه الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء . فارجو من سيادتكم وأنت راعى الادباء والشعراء الشبان ان تعطينى رأيك فى هذه القصيدة من الناحية الفنية والموضوعية وهل استمر فى الكتابة أم لا ؟

وما هى الكتب التى تنصحنى سيادتكم بالاطلاع عليها لتنمية موهبتى الشعرية .

وهل أستمر فى ارسال قصائدى لمجلتكم الموقرة ؟!

حسبت الفجر قد أخلف ميعـــاده
وكان ضياه منى ذا اقتراب
سألت النجم عنه والســـحاب

لماذا ضـــياء فجـــرى عنى غاب .
« الراسل »
أحمد فهمى غنيم على ـ ليسانس حقوق
شبراخيت

● تعليق

ـــ أنت مشكور على تعلقك بالشعر ، ولكنك يا بنى قد وصـــلت الى درجة الليسانس وأنت بعد لا تستطيع أن تقيم الاوزان ، فليس فى قصيدتك هذه بيت واحد موزون أو له أدنى صلة بالعروض والقافية ، فضلا عما حوته القصيدة من عجائب الاغلاط النحوية والصرفية والاملائية ، فاترك الشعر يا بنى ولا تأسف على تركه ما دام لم يسلس لك قياده ، وقد فاتك الشــعر فلا تتعب نفسك فى طلبه . ونرجو أن تكتب فى رسائلك المقبلة « المرسل » لان كلمة « الراسل » غير صحيحة فى هذا الموضع !.. ونرجو الا تغضبك هذه الصراحة ، لانها لازمة ومفيدة فى هذا المقام ! ..

## ● مع الاصدقاء

● حسن المنشاوى ـ السويس :

ـــ نحن نهتم بكل ما يصل الينا من المواد . لا بالشعر فقط كما تقول، ولكن كثرة الشعر فى هذا الباب سببها أن تسعين فى المائة على الاقل مــن الرسائل التى نتلقاها تحوى شعرا .. ونرجو أن تلتمس لنا عذرا فى عجزنا عن نشر قصتك لضيق المقام ..

● محمد عبد الفتاح مصطفى عمار :

ـــ نشكرك على حسن ظنك ، ونرجو أن تبلغ بالمثابرة ما ترجوه فى فن الشعر ان شاء الله ..

● مسعد سليمان نجم ـ العزيزة ـ دقهلية :

ـــ نشكرك على تحيتك . ونحييك على كلمتك عن الكاتب الكبـــــير الراحل توفيق الحكيم ..

● رضا ابراهيم عبد المعطى ـ دكرنس :

ـــ قصيدتك « أيها الليل » طيبة جدا ، ونتمنى لك مستقبلا حســـنا فى الشعر ..

● ونشكر كل الشكر أصدقاءنا السادة : رفعت محمـــد بروبى .. جمال محمد جمال طلحة .. أحمد محمد زيادة .. عبد السلام فـــاروق عبد العظيم .. عاصم فريد البرقوقى .. أشرف محمـــــد أبو العز .. .. هيام عطا الله أحمد .. فؤاد سليمان مغنم .. موسى عنتر المرسى .. أسامة عبده حسين .. خالد سعد الدين الصغير .. ايمان ابراهيـــــم عبد المعطى .. يوسف شهير .. عزة سعيد السمادونى .. محمد عبدالله الهادى .. الحسين محمود خضيرى .. عبد الفتاح الضبع .. منيـــــب ابراهيم عبد الحميد ..

# الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

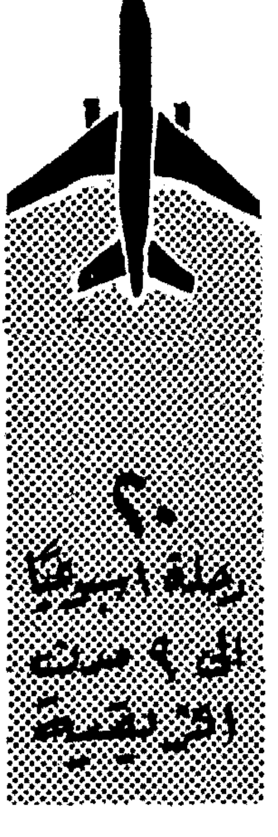
دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

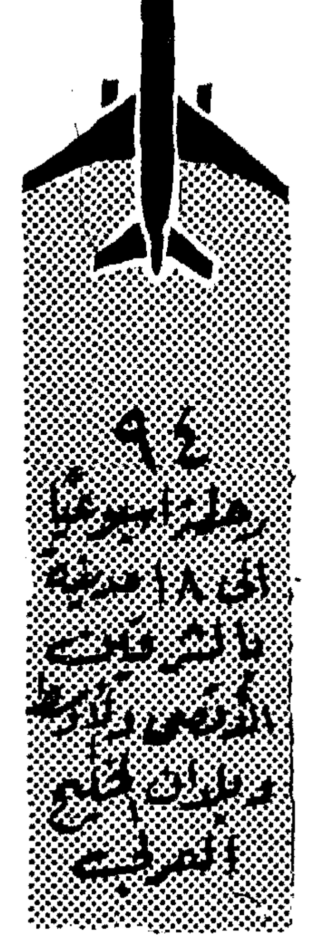
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

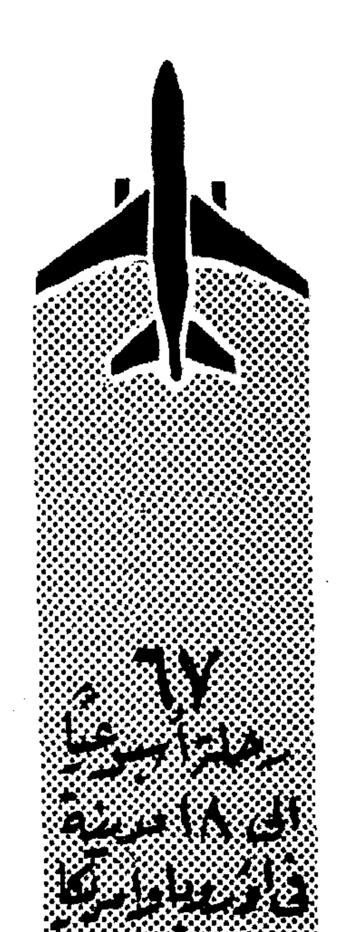
رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

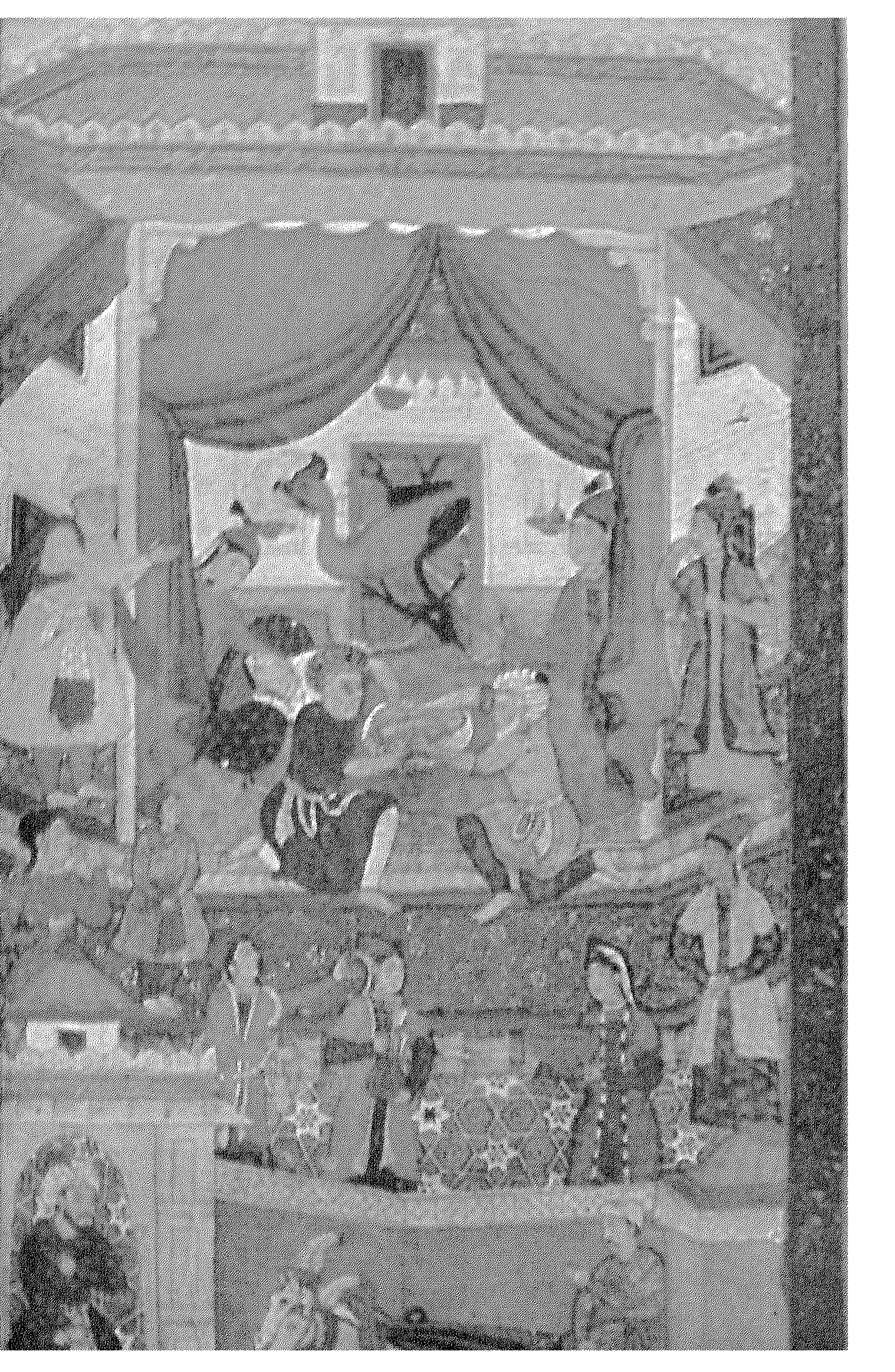
| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٨٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبــى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |


٢٠
رحلة أسبوعيًا
الى ٩ مدن
افريقية


٩٤
رحلة أسبوعيًا
الى ١٨ مدينة
بالشرقين
الأقصى والأوسط
وبلدان الخليج
العربي

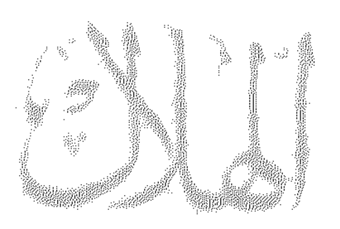

٦٧
رحلة أسبوعيًا
الى ١٨ مدينة
في أوروبا وأمريكا


الهلال



## من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن الإسلامى تحمل اسم «كتاب الملوك» وهى احدى لوحات عديدة تصور ميلاد الأمير الهندى رستم فى نهاية القرن السادس عشر الميلادى . واللوحة المحفوظة بالمتحف الوطنى بنيودلهى تكشف مدى اهتمام الفنان بتكثيف العديد من مظاهر الحياة داخل لوحة واحدة ..




السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جرجى زيدان علم ١٨٩١ - اول نوفمبر ١٩٨٧ م - ٩ ربيع اول ١٤٠٨ هـ



**الغلاف الاول : رسم وتصميم الفنان حلمى التونى ، ويعبر عن رؤيته لاثر القطار ورحلته عبر المكان والزمان ..**

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●

## فن تشكيلى



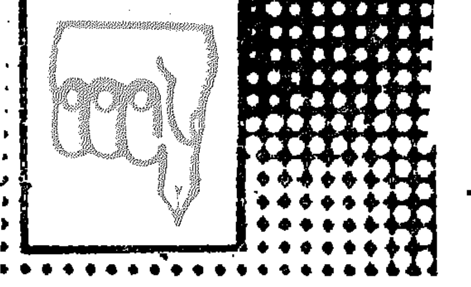
## قصة وشعر



## دراسة الهلال



## الأبواب الثابتة



عزيزي القارئ

# "بابور" قل لي

ما اشبه الليلة بالبارحة ..

جرى اول قطار للأنفاق في الشرق الأوسط وافريقيا في القاهرة الشهر الماضي .. ومع جريه تحت الأرض لابد ان تعود الذاكرة إلى اول مرة جرى فيها القطار فوق ارض مصر في القرن الماضي .

ينشر "الهلال" ابتداء من هذا العدد مجموعة مقالات بالغة الطرافة والاهمية للكاتب المؤرخ الأديب الاستاذ محمد سيد كيلاني ، اختار لها عنوانا خاصا هو « ياوبور قل لى » .. لانها تروى قصة دخول القاطرة البخارية او « وبور السكة الحديد » الى مصر في منتصف القرن التاسع عشر ..

و « الوبور » تحريف بسيط للكلمة الانجليزية Vapour ومعناها « البخار » .. وقد اطلقها المصريون منذ دخلت مصر عصر البخار قبل مائة وثلاثين عاما .. على كل آلة كبيرة او صغيرة تعمل بالبخار ، مثل « وبور الماء » .. « وبور الطحين » .. « وبور النور » .. وقبل كل شيء « وبور السكة الحديد » ..

وقد اختار الاستاذ كيلاني عنوانا لسلسلة مقالاته الممتعة ، مَطْلَعَ الاغنية المشهورة : « ياوبور قل لى رايح على فين » التى غناها محمد عبدالوهاب قبل خمسين عاما في فيلمه السينمائى الثالث : « يحيا الحب » ومازالت حتى الآن اجمل الاغانى عن قطار السكة الحديد وخدماته فى تقريب المسافات بين المحبين ! ..

ومقالات « ياوبور قل لى » اقتضت من الاستاذ كيلانى جهدا كبيرا فى مراجعة مئات من مجلدات الصحف المصرية القديمة التى مضت عليها عشرات السنين ، والكتب والوثائق المنسية في اركان دار المحفوظات بالقلعة او فى دار الكتب واماكن اخرى كثيرة ..

وليست هذه اول مرة يكابد فيها الاستاذ كيلانى جهدا من هذا القبيل ، فهذا دابه في جميع مؤلفاته وبحوثه منذ كان طالبا فى كلية الاداب قبل بضعة وخمسين عاما .. وقد اصدر منذ عشرين عاما كتابا عنوانه « ترام القاهرة » اقتضاه ان يبذل فى البحث

والتنقيب جهدا لا يقل عن الجهد الذى بذله فى رسالته التى نال بها درجة الماجستير ..

وترام القاهرة هو اخو « الوبور » او القطار البخارى الذى دخل مصر قبل الترام بزمن طويل ..

ففى سنة ١٨٥٢ قام روبرت ستيفنسون ، وهو ابن جورج ستيفنسون مخترع القاطرة البخارية وملحقاتها من عربات وقضبان حديدية ، بمد اول خط حديدى فى مصر . وكان المفروض ان يقوم بهذا العمل والده ـ مخترع القاطرة ـ ولكنه مات سنة ١٨٤٨ بعد ان تعلم منه الابن هندسة السكك الحديدية مع عدد اخر من مواطنيه الاسكتلنديين والانجليز ..

ومقالات « ياوبور قل لى » تروى قصة دخول القاطرة البخارية الى مصر وما احدثته من تطورات عميقة سريعة فى المجتمع المصرى كله ، حولته من مجتمع عثمانى مملوكى متخلف الى مجتمع متقدم ..

لقد اخرجت القاطرة مصر من القرون الوسطى الى العصر الحديث ، ونقلتها من عصر الابل والحمير الى عصر البخار قبل ان تنتقل اليه جميع الدول الاوربية ماعدا انجلترا وفرنسا .. ثم كان « الوبور » سببا فى لحاق مصر بعصر المركبات الكهربائية سنة ١٨٩٦ ، فدخل الترام القاهرة واحدث فيها انقلابا اجتماعيا حضاريا .. ثم جاءت السيارة ، وقفزت القاهرة بعد بضعة وثلاثين عاما فقط من بلدة متخلفة موبوءة بالكوليرا يسكنها ثلاثمائة الف ، إلى مدينة عصرية جميلة نظيفة يسكنها اكثر من مليون انسان ، وتنافس باريس وروما فى مرافقها الحضارية الحديثة ! ..

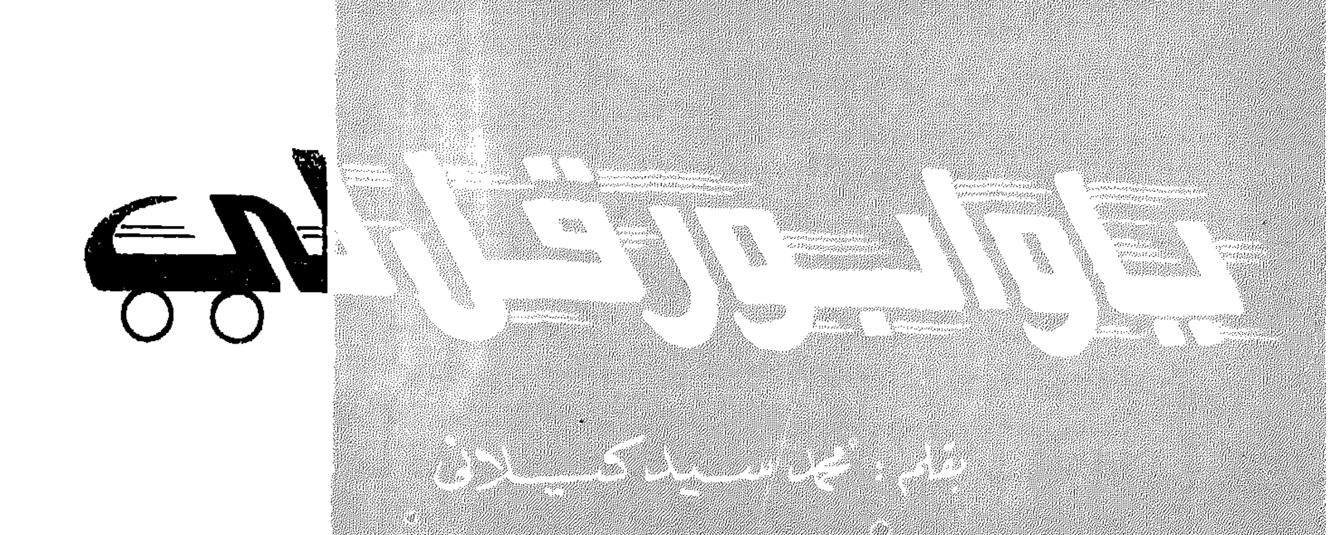
إن « الوبور » كان بداية ثورة المواصلات التى بدات فى انجلترا قبل مائة وسبعين عاما وهى يومئذ رائدة الثورة الصناعية الأولى . وقد لحقت مصر بثورة المواصلات ، وتغير وجه البلاد من اقصاها إلى اقصاها ، وانفتح الباب لبشائر العصر الصناعى ، وانتقلت بلادنا انتقالا حقيقيا ـ اجتماعيا وسياسيا وفكريا ـ من ظلام عصر المماليك العثمانيين الى نور القرن العشرين ، وكان انتقالها ذاك يوحى باعظم الأمال .. فماذا حدث بعد تلك الخطوات التى اوحت بالآمال العظام ؟ ..

إن المقالات التى سيوالى « الهلال » نشرها ابتداء من هذا العدد عن « وبور » الاستاذ كيلانى ، ستلقى ضوءا على جوانب لهذا السؤال ..

ولقد ظن بعض عامة الناس حين شاهدوا القطار والترام والسيارة لأول مرة ، ان هذه البدع المستحدثة من علامات الساعة ، وأمارات آخر الزمان .

وقد خلت الساحة الآن من هؤلاء جميعا ، ولكن ماذا عن افكار هنا وهناك فى ايامنا هذه ؟! .. اتراها تقدمت كثيرا عن افكار أولئك العامة البسطاء فى تلك السنين الخالية ؟!

وماذا أعددنا لعصر الفضاء ، وقد فرغنا من عصر « وبور » البخار وترام الكهرباء منذ نهاية القرن العشرين ، ونحن الآن على مشارف القرن الواحد والعشرين ؟! ..




كان عباس باشا الأول ذا ميول انجليزية وكان مبغضا لكل ما هو فرنسي . وقد أوعز إلى شاعره شهاب الدين المصرى المتوفى سنة ١٨٥٧ أن ينظم قصيدتين فى مدح الانجليز ، والإشادة بقوة الإمبراطورية البريطانية والتغنى بمفاخر الملكة فكتوريا وزوجها البرت ورئيس الوزراء بلمرستون . ومما جاء فى إحدى هاتين القصيدتين :

القطار رحلة فى الزمان والمكان

إذا غضبت فالدهر يبدى تغضبا
وإن رضيت فالدهر يرضى بما فعل
ألا وهى ذات المجد ( وكترية ) التى
بشوكتها فى الملك قد ضرب المثل
وقد عظّمت كل الممالك شأنها
وما أحد منهم إلا لها امتثل
وان شابهتها فى المفاخر دولة
فهيهات ليس الكحل فى العين كالكَحَل
رعى الله هاتيك المحاسن كلها
وصان بها جيد الزمان عن العطل
وأعلى جناب الشهم البرت زوجها
وما كل من رام العلاء به اتصل

ومنها يذكر بلمرستون :

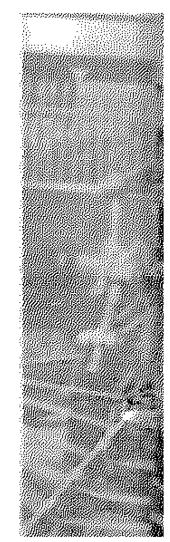
ودونكما ذاك المشير فإنه
أصالته فى الرأى صينت عن الخطل
بتدبيره كم أكسب الشعب حظوة
بنوا مجدهم فيها على كاهلَىْ زحل
فسطوتهم فى البر والبحر أصبحت
قلوب جميع الناس منها على وجل
فهم أهل إنجاد وأصحاب قوة
وصولتهم تعنو لشكوتها الدول

* * *

ظلت مصر حتى نهاية عصر محمد على لا تعرف من وسائل السفر غير السفن الشراعية والدواب .

وفى عصر عباس الأول اقترح عليه بعض الانجليز إنشاء خط حديدى يربط ثغر الاسكندرية بالعاصمة فلم يتردد فى الموافقة وسرعان ما جاءت من انجلترا الأدوات اللازمة من فلنكات وقضبان وعربات وقاطرات ومعها العمال المتدربون على مثل هذا العمل الذى أشرف عليه مخترع القاطرة البخارية جورج ستفنسون . وقتل عباس قبل أن يكتمل إنشاء السكة ولكن العمل لم يتوقف بل استمر حتى تم فى عصر سعيد ( ١٨٥٤ ـ ١٨٦٣ ) وفى عصر هذا الوالى شاهد المصريون لأول مرة السفن البخارية فقد أنشأت شركة كوك خطا ملاحيا يبدأ من القاهرة وينتهى بالأقصر ، وخصصته لخدمة السياح ، كما أنشأت فندقا فخما هناك . ومن ذلك الوقت بدأت السياحة تأخذ طابعا منظما وكثر وفود الأجانب لمشاهدة آثار الفراعنة .

أما الخط الحديدى فقد توقف عند القاهرة . ولما تولى الخديو إسماعيل ( ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩ ) امتدت الخطوط الحديدية إلى المنيا ثم إلى أسيوط . وكان



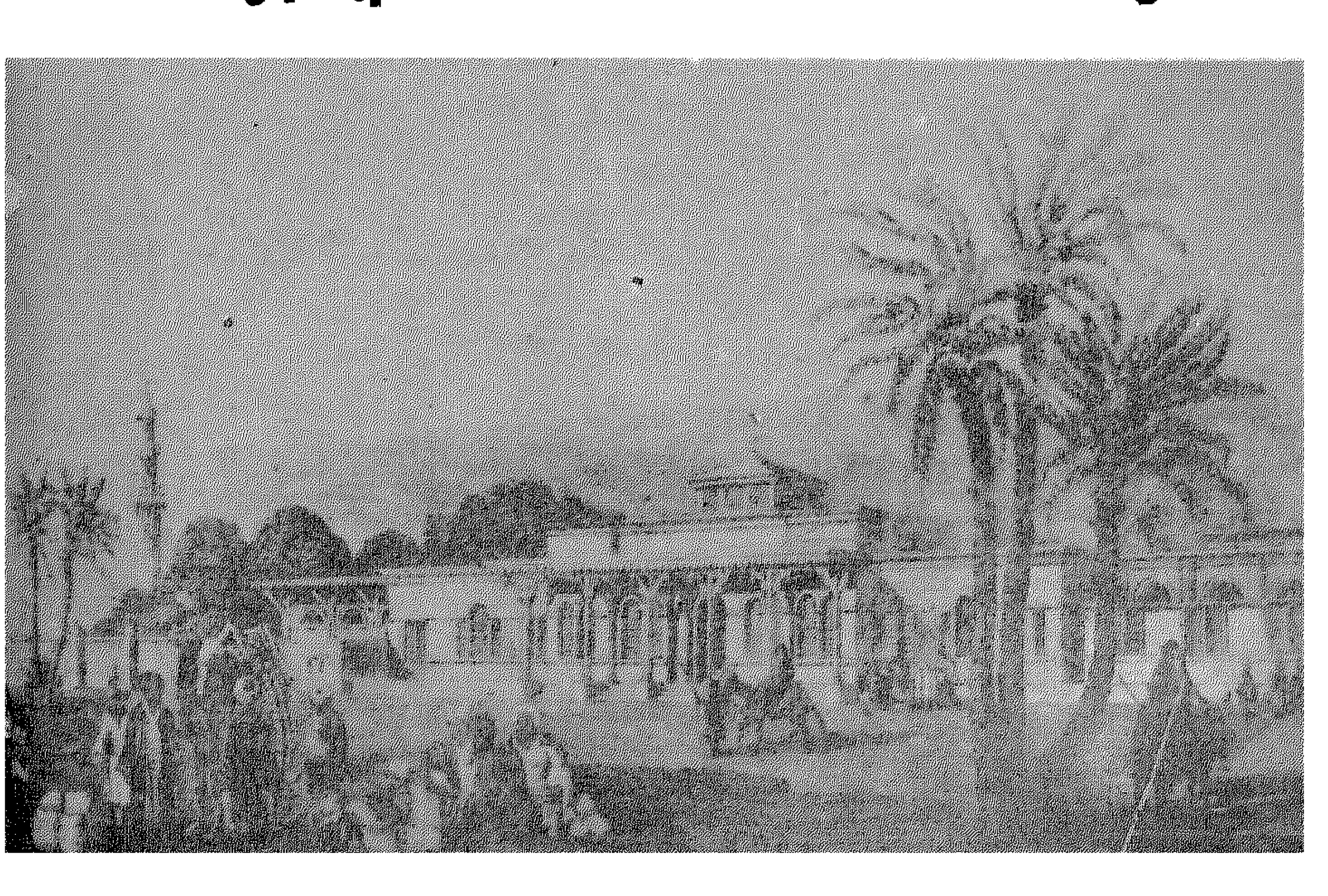
الغرض من هذه الخطوط خدمة مزارع إسماعيل فقد كان يمتلك مليونا واربعمائة الف فدان من أجود الأراضي ومعظمها يقع فى مديريتى المنيا وأسيوط ، كما أنشأ مصانع لانتاج السكر .

وفى عصر الخديو عباس الثانى (١٨٩٢ ـ ١٩١٤ ) امتدت هذه الخطوط إلى جرجا ثم قنا ثم إلى الأقصر التى وصل إليها أول قطار فى السادس من مارس سنة ١٨٩٨ .

وقد عهدت الحكومة إلى شركة سوارس الانجليزية بمد خط يربط بين الأقصر وأسوان . وتشكلت شركات انجليزية لمد خطوط تربط مدن الدلتا . ولم يكد القرن العشرون يهل حتى كانت جميع مدن القطر قد ارتبط بعضها ببعض بالخطوط الحديدية ، وأصبح من السهل على الإنسان أن ينتقل من جهة إلى أخرى .

**حقا لقد سيطر الانجليز على مصلحة السكك الحديدية فكان منهم كبار**

● باب الحديد ١٨٥٦ .. صورة قديمة تخلو من السور الحديدى .



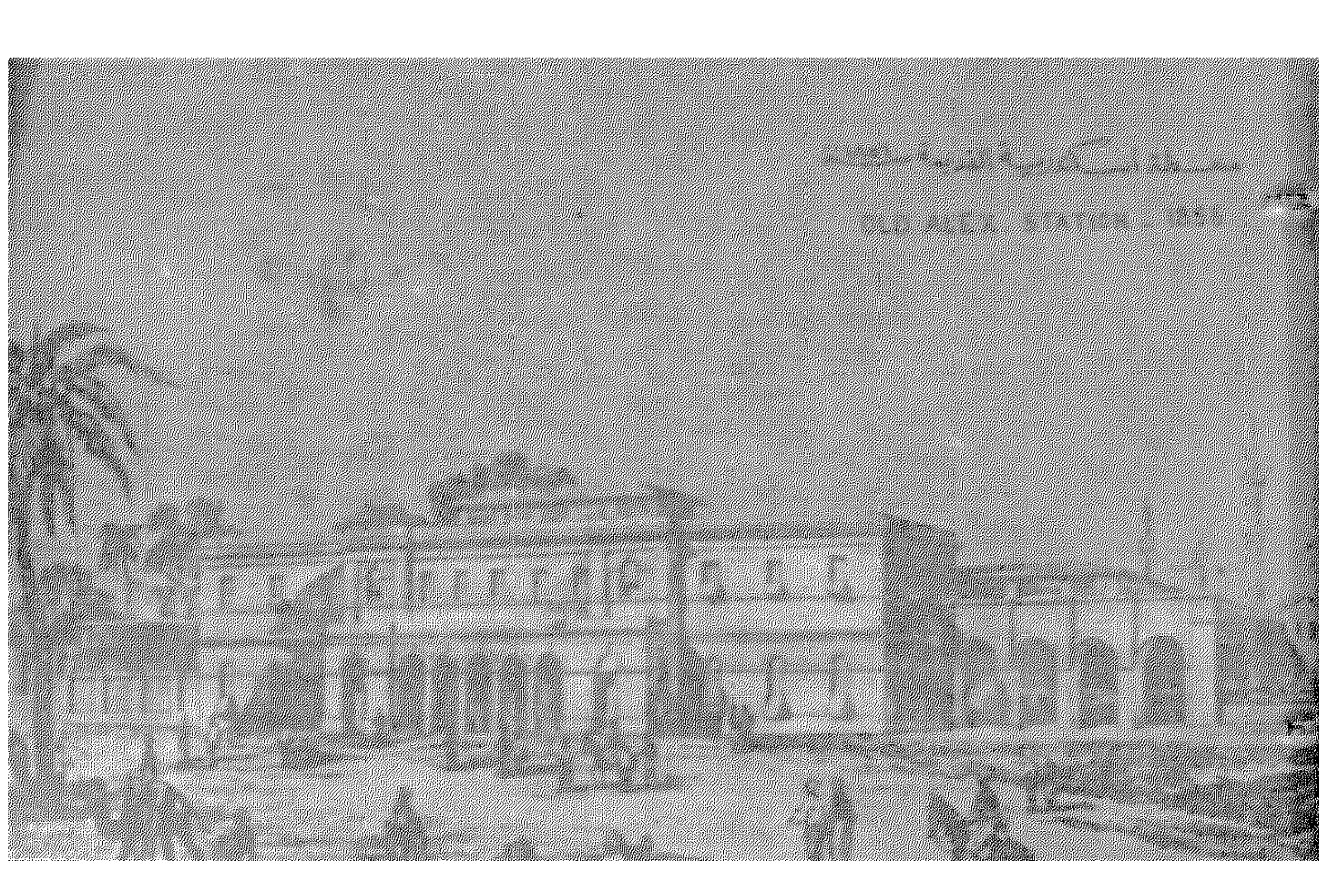
المهندسين وكبار الموظفين . وانشىء فى لندن مكتب خاص لشراء مستلزمات هذه المصلحة من فحم وعربات بضاعة وعربات ركاب وغير ذلك . وكان هدفهم تسهيل نقل المواد الأولية من الهند وسرعة تصديرها إلى انجلترا . كما كان غرضهم تجميع القطن من سائر جهات القطر وتصديره إلى الخارج . وكذلك نقل المصنوعات الواردة من بلادهم إلى الشرق . ولكن احدا لا يستطيع ان ينكر فضل السكك الحديدية فى تغيير معالم البلاد الاجتماعية والاقتصادية والفكرية .

لم يرق فى أعين الفرنسيين أن تستأثر انجلترا بهذه المغانم ، وكان كل من سعيد واسماعيل ذا ميول وثقافة فرنسية . فاجتهد ديليسبس فى الحصول على امتياز حفر قناة السويس ، وبذلك حدث توازن بين النفوذين الإنجليزى والفرنسى .

ثم وضعت قوانين خاصة بالسكك الحديدية توقع عقوبات على من يعطلها عمدا ، أو يتلف شيئا منها .

ونظرا لازدياد عدد القطارات واتساع حركة النقل بالسكك الحديدية رؤى إنشاء ورش لإصلاح القطارات فأنشئت ورش عنابر بولاق سنة ١٩٠٠ .

● محطة سكة حديد مدينة الاسكندرية وترجع الصورة الى عام ١٨٥٦ .



وكانت توجد بالعاصمة محطتان : محطة السبتية للوجه القبلى وأخرى هى محطة كوبرى الليمون للوجه البحرى .

وفى الساعة العاشرة من صباح يوم ١٤ مايو سنة ١٨٩٢ جرى احتفال بوضع الحجر الأول فى بناء محطة القاهرة . وقد وضعت أصناف العقود في سجل البناء المفتتح باسم الجناب الخديوى المعظم ، ونسخ من جميع الجرائد العربية والافرنجية التى تطبع فى الديار المصرية فى علبة كبيرة ختم عليها بالرصاص . وحضر هذا الاحتفال كبار موظفى نظارة الأشغال العمومية ومصلحة السكك الحديدية . كما أن شركة سوارس ربطت ضاحية حلوان بالعاصمة بخط حديدى . ومثل هذا تم بين القناطر الخيرية والقاهرة .

## ● تغير الحياة الاجتماعية

أدى إنشاء محطة العاصمة فى هذا الموضع إلى ازدحام الجهات القريبة بالفنادق والمطاعم والحانات والمقاهى . وكان موظفو السكك الحديدية يسكنون فى حى الفجالة ومنهم من سكن فى حى شبرا . كما أن الطبقة العاملة سكنت فى حى السبتية والقللى . وكان موظف بالسكة الحديد اسمه مسرة يملك أرضا فضاء فى الشارع الذى يحمل اسمه فشيد بها بعض المنازل وأجرها لموظفى السكة الحديد .

وكانت ترعة الاسماعيلية تمر بميدان باب الحديد ، وكانت شواطئها تتخذ كمراحيض حتى أصبحت قرارة أوضار تنبعث منها الروائح الكريهة إلى مسافات بعيدة فتصدم القادمين إلى العاصمة من مصريين وأجانب . وقد أقيم على هذه الترعة كوبرى صغير ليعبر عليه الناس ، واتخذه باعة الليمون مكانا يعرضون فيه بضاعتهم . ومع أن هذا الكوبرى قد زال من الوجود فإن ذكره لا يزال يدور على الألسنة فيقال محطة كوبرى الليمون .

وترتب على ما تقدم أن فقد حى بولاق « أبو العلا » أهميته ، إذ كان قبل إنشاء السكك الحديدية محطة نهرية ترد عليه السفن من مختلف الجهات . وإليه يقصد المسافرون ليستقلوا السفن الشراعية التى تنقلهم الى بلادهم . ولذلك كان هذا الحى عامرا بالوكالات التجارية مثل وكالة البلح والبن والصابون وغيرها .

وتغيرت جغرافية المدن ، فبعد أن كانت تنشأ على شاطىء النيل أصبحت تقوم على جانبى السكك الحديدية . وأقبل المصريون على السفر بالقطار ، إذ بلغ عدد ركاب الدرجة الثالثة تسعة ملايين راكب سنة ١٨٩٦ .

* * *

وباجتماع محطتى الصعيد والوجه البحرى فى مكان واحد ، أضحى ميدان

الحديد من أوسع ميادين العاصمة وأخطرها وأشدها ازدحاما بالجماهير وبوسائل النقل . فتخترقه السيارات العامة القادمة من شرق المدينة أو غربها ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس . وتظل الحركة في الميدان طوال اليوم إلى ساعة متأخرة من الليل وخاصة بعد أن اكتظ حي شبرا بالسكان وجهات الزيتون والمطرية وعين شمس . لذلك وافقت الحكومة على إنشاء نفق يخترق الميدان وينتهي بباب اللوق فربما يخفف من شدة الزحام فى تلك الجهة . أما ميدان أحمد حلمى فقد انشىء فى الخمسينيات .

وكما يحدث فى كثير من بلاد العالم فقد اندس اللصوص والنصابون والمحتالون وسط الزحام وشرعوا يزاولون جرائمهم وبخاصة مع القادمين من الأرياف .

وفى أوائل الثلاثينيات خصصت مصلحة السكك الحديدية نظاما سهل على الموظفين قضاء عطلة نهاية الأسبوع فى الاسكندرية ، ذلك فى قطار البحر الذى كان

● سوارس كانت وسيلة الانتقال المحلية التى سبقت القطار



صورة لمرسى بولاق رسمها الباحث الاثرى روبرت هاى تبين مدى اعتماد القاهرة على النقل الشراعى

● وتوافد البشر الى العاصمة عبر القطارات يملأون ميادينها ويشغلون مقاهيها .

يغادر العاصمة ظهر الخميس ليعود صباح يوم السبت . وكانت أجرته زهيدة فى الذهاب والإياب .

## ● السيارة .. منافس خطير

لم يطل احتكار القطار للنقل السريع ، بل سرعان ما ظهر له منافس خطير ، وأعنى به السيارة . فقد اشترى الخديو عباس سنة ١٨٩٨ "عربتين من العربات التى اخترعت حديثا وتعرف باسم أوتوموبيل ، وهى كالعربة المعتادة ولكنها تسير بقوة الكهرباء الموضوعة أدواتها بأسفل العربة بين العجلات" [ عن المؤيد ] . وحذا حذوه الأغنياء .

وفى نوفمبر سنة ١٩٠٨ شاهد سكان القاهرة السيارات العامة لأول مرة تخترق الشوارع .

ولما جاء لورد كتشنر معتمدا بريطانيا فى سبتمبر سنة ١٩١١ وكان عسكريا بطبعه وبيئته . تحول نظره إلى إنشاء الطرق على النمط العسكرى ولخدمة الأغراض العسكرية البريطانية . فأمر بانشاء طريق يربط القاهرة بالاسكندرية ، وآخر ربطها بحلوان والضواحى . وطلب إخراج المسجونين للعمل فى هذه الطرق فأنجزت هذه المشروعات سنة ١٩١٢ ، وسافر كتشنر بالسيارة من القاهرة إلى الاسكندرية . ولكن هذه الطرق كانت ترابية ، وكانت ترش بالماء .

وقد فرضت معاهدة سنة ١٩٣٦ على مصر القيام بتعبيد عدة طرق علاوة على ماسبق ذكره ، منها طريق مصر ـ السويس والاسماعيلية . ثم غطيت هذه الطرق كلها بالاسفلت فسهلت السير على السيارات .

**وإذا كان القطار قد ربط بين المراكز والعواصم ، فإن السيارة قد ربطت بين القرى والكفور والنجوع ، وصار فى إمكان الفلاح أن ينقل بضائعه من فواكه وطيور وخضار إلى المدن فى اى وقت شاء ودون مشقة ، ولم يكن هذا متيسرا من قبل لأن القطار له مواعيد محددة ، ويحتاج إلى إجراءات معقدة . أما السيارة فكانت تتحرك من الباب إلى الباب . وهكذا نشأت مصلحة الطرق والكبارى . كما نشأت إدارة المرور التى يعمل فيها آلاف من العساكر والضباط .**

وقد احتكر العمل على السيارات عناصر أجنبية قبرصية ومالطية ويونانية . فكان منهم السائقون والذين يتولون إصلاح ما يتلف منها . وقد تتلمذ عليهم المصريون واستفادوا منهم كثيرا . كما أنشأت محطات البنزين التى يعمل فيها آلاف المصريين الآن . وقد كثرت حوادث تصادم السيارات فى مصر كثرة فاحشة وراح ضحيتها عدد لا يحصى من الرجال والنساء والأطفال . كما استخدمت السيارة فى ارتكاب الجرائم ، وفى الأمور المخلة بالآداب .

# • مصر بعد ظهور القطار •

كان المصرى قبل ظهور القطار يعيش منعزلا فى مدينته أو قريته ، لا يدرى شيئا من أحوال البلاد الأخرى فضلا عن العالم الخارجى . وكان الانسان فى المدينة اذا انتهى من أمور معاشه توجه إلى منزله . ولم يكن الفلاح فى قريته يعرف من أمور دنياه سوى غيطه وبهيمته ، ومن أمور دينه غير أستاذ طريقته . وكانت رأسه ملأى بعبارات الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة .

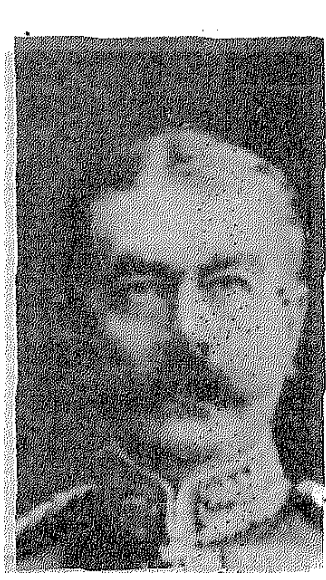
أما بعد امتداد الخطوط الحديدية فقد أمكن للمصرى أن ينتقل من جهة إلى جهة وهو آمن مطمئن . فبدأت آفاقه تتسع ومعلوماته تزداد ويعرف كثيرا من عادات الآخرين وتقاليدهم . وانتشرت الجالية اليونانية فى جميع جهات القطر من الاسكندرية إلى أسوان إلى بورسعيد ، وأخذت تفتح الحانات والمقاهى وتبيع المخدرات فبدأ ضعاف النفوس من الشبان يتعاطون الخمر والسطل . جاء فى تقرير كرومر ما نصه « لا تكاد قرية من القرى المصرية تخلو من حان لبيع المسكرات . وأصحاب هذه الحانات هم عادة من اليونان . ولا ريب أن تاثيرها كان سيئا فى آداب الأهالى . ولم اسمع من معتبرى المسلمين شكوى بقدر الشكاوى العديدة الحقة التى سمعتها منهم بهذا المعنى »

* * *

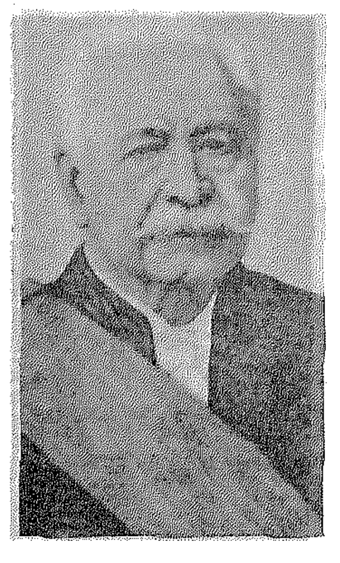
وكان الناس يستقبحون اسم « القهاوى » على ألسنتهم فضلا عن جلوسهم عليها ، لأن الشهامة كانت تمنعهم من الجلوس فى محلات لم تخلق إلا لأقوام خلعوا



● الملكة فيكتوريا



● كيتشنر



● دليسبس

المعممون والمطربشون .. كل ذلك كان من تأثير دخول القطار الى مصر فالزى أيضا تغير

برقع الحياء وانساقوا مع شهواتهم وملذاتهم فصار كل شيء عندهم حسنا . ولذا كان الإنسان يرى البيوت آهلة عامرة بالناس ، وقلما يخلو بيت من البيوت ولا يكون فيه جماعة يتجاذبون اطراف الأحاديث النافعة .

**أما بعد ظهور القطار فقد انعكست القضية ، وهجر الناس بيوتهم وصار العظيم والحقير على حد سواء في الجلوس على المقاهي .**

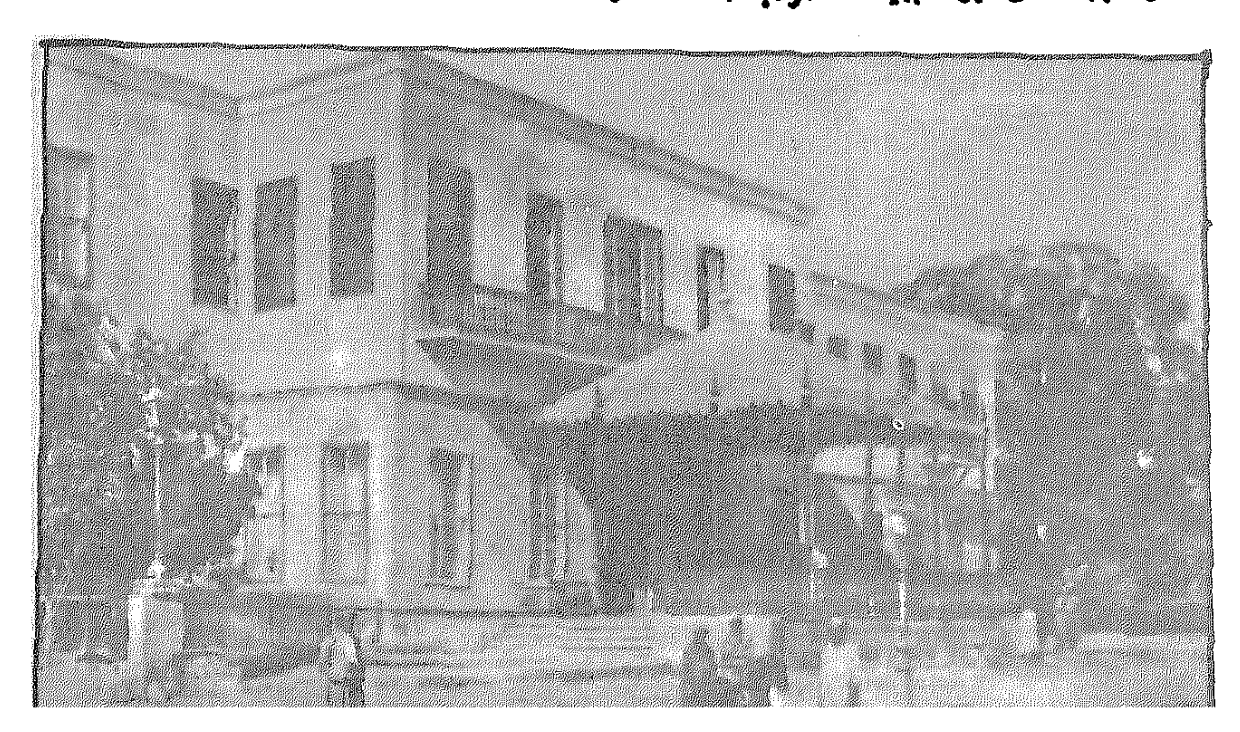
قال الشيخ محمد عبده ( المنار في ٢ - ٨ - ١٨٩٨ ) تحت عنوان "منتدياتنا العلمية وأحاديثها" . تعقد عندنا المجالس ولكن على ذكر أنواع الخمور والمسكرات . يطرب المجتمعون فيها بذكر أوصاف الغيد الحسان ، ويصرفون ثلثي الليل على قهاو يشربون فيها من المواد الممزوجة بالعقاقير السامة قدرا لا تسوغه طباع الوحوش الضارية ولا الأسود الكاسرة . وفي خلال ذلك يتناقشون ويتخاصمون حيث إن كلا منهم يفضل مألوفه من ذلك ويعدد أوصافه ويذكر محاسنه من صور عيون ورقة خصور ، وعذوبة منطق . ويحتج عليه بأن فلانا لا يبيت في ذلك المخدع ولا يطأ ذلك الموضع حتى يدفع عشرين أو ثلاثين جنيها"

● التشبه بأوربا

وقد أخذت العادات والتقاليد الأوربية تحل شيئا فشيئا محل العادات الموروثة في

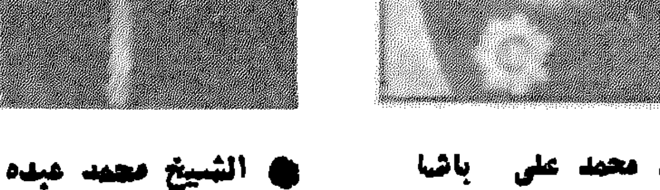
● تغير شكل العمارة في شوارع المدينة بعد دخول القطار ..

واعتبر فندق شبرد بهيكله نموذجا لهذا التطور





● عباس الاول



● محمد علي باشا



● الشيخ محمد عبده

الملبس والمسكن والمأكل ، وفي حفلات الأفراح وتوسع الناس في استخدام البترول في شئون المنزل وفي الأضاءة وإدارة الآلات والسيارات .

وبعد ظهور القطار وفد على القاهرة أعيان البلاد وأغنياؤها وتركوا المدن والقرى التي كانوا يعيشون فيها من قبل حتى أقفرت منهم ، وشيدوا القصور في العاصمة وسكنوها وانعزلوا عن بقية أفراد الشعب . وقد حدث أن زار لورد كتشنر المعتمد البريطاني في ذلك الوقت منية المرشد سنة ١٩١٣ ونزل ضيفا على فتح الله بك بركات فاثني عليه وعلى أفراد أسرته لاختيارهم بلدهم مقرا لسكناهم ، وتمنى لو سلك كبار الأمة وذوو المكانة في البلاد هذا المسلك .

وقبل ظهور القطار لم يكن للإدارة الحكومية وجود ، ولم تكن الحكومة تعرف شيئا عما يدور في البلاد وخاصة البعيدة عن العاصمة . حقا لقد ارتبطت جميع البلاد بخطوط البرق منذ عصر محمد علي ، ولكن هذا لم يكن كافيا لكي تثبت الحكومة سلطانها وهيبتها في طول البلاد وعرضها .

فلما ارتبطت المدن بالخطوط الحديدية انشأت الحكومة في كل مدينة الأجهزة الإدارية اللازمة مثل مركز للشرطة ومحكمة شرعية وأخرى أهلية ومكتب للبريد وأخر للبرق وإدارة للكنس والرش والإطفاء ، فضلا عن محطة للسكة الحديدية ومكتب للصحة به طبيب يشرف على قيد المواليد والوفيات . وانشيء في كل

مدينة ميدان صغير وحديقة عمومية . وقد تطلبت كل هذه الأجهزة تعيين عدد من الموظفين . وهكذا ظهرت طبقة الأفندية فى الأقاليم بعد أن كانت محصورة فى العاصمة .

ولما كانت الملابس الأوربية آخذة فى الانتشار فقد احتاج الأمر إلى خياطين متخصصين فى القمصان والبدل والمعاطف والأحذية . ولم يكن للمصريين عهد بهذه الأمور فخلا الميدان لليونان والأرمن لمزاولة هذه الأعمال . وبمرور الزمن اخذ المصريون يتعلمون هذه الصناعات ومهروا فيها . كما أن أعمال الكهرباء وإصلاح مواقد البترول والآلات البخارية والسيارات ظلت وقفا على العناصر الأجنبية مدة من الزمن . ومثل هذا يقال عن تركيب الأدوات الصحية فى المنازل . وكذلك أعمال الطباعة والزنكوغراف والتجليد كانت كلها فى يد الأجانب ، الذين كثر وفودهم على مصر لان مجال العمل كان أمامهم مفتوحا .

* * *

وبعد ظهور القطار أخذت الأسلحة النارية تتسرب إلى جميع جبهات القطر ، وترتب على هذا ظهور عصابات تغير على القرى والمدن وتقطع الطرق وتنهب وتسلب وتخطف الرجال والأطفال وتطلقهم نظير فدية مثال ذلك ما جاء فى صحيفة المقطم ( ٢٥ ـ ١ ـ ١٨٩٧ ) وهو "ظهرت عصابة خطيرة من اللصوص وقطاع الطرق يتزعمها على سليم في مديرية قنا وقتلوا ملاحظ شرطة أبو شوشة . فدعاهم بطرس بك عبد الشهيد ليختبئوا عنده . فلما استقر بهم المقام أرسل سرا إلى الشرطة فجاء أحد الضباط على رأس عدد كبير من رجال الشرطة يطلب منهم التسليم فأبوا ، وكانوا ثمانية رجال ومعهم كمية كبيرة من الذخيرة والبنادق . فصعد رجال الشرطة على سطح الحجرة ، وفتحوا ثغرة فى السقف وأطلقوا عليهم النيران فاشتعلت الذخيرة وماتوا جميعا حرقا . وقد ثبت أنهم خربوا أربعين قرية من قرى مديرية قنا وشردوا سكانها وتسببوا فى حبس أربعمائة رجل من عائلات معروفة" .

وقد شاع التسمم فى بلاد الريف إلى درجة مخيفة أصبحت معها حياة كل مقيم فى تلك الجهات مهددة وكثيرا ما ذهب الأبرياء فريسة بجريرة المذنب ، بمعنى أن المرأة أو الرجل الذى يرغب فى قتل آخر بهذه الطريقة يضع له السم فى أكل أو شرب ، ويقدمه له فيتصادف أنه لا يأكل منه ، بل يكون من نصيب آخرين غير مقصودين فتذهب أرواحهم فداء للمنتقم منه . وقد أصبحت هذه الجواهر السامة الرخيصة القيمة سلاحا بسيطا للجهلاء يضعونها لمن أرادوا فيزهقون روحه حتى امتلأت المحاكم بهذه القضايا التى يصعب إثباتها على المتهمين .



ولما كثرت جرائم القتل بالاسلحة عقب ظهور القطـــار غيرت الحكومة فى القانون الجنائى .

ومن أسباب استخدام سلاح السم ما حدث فى الأرياف من فساد بعد ظهور القطار . فإنك تجد رجلا يعشق امرأة ويهواها ، ثم يحبها رجل آخر ، وهى بالطبع تميل إلى أحد الرجلين ، فيعمد الآخر إلى إعدام هذا المزاحم ليخلو له الجو فينفرد بصاحبته . أو أن امرأة تهوى رجلا وتريد الزواج منه وهى لا تقدر على التخلص من عقد الزوجية مهما أكرهت الزوج على ذلك فتدس له السم فيموت وتقع هى تحت طائلة العقاب .

وقد أخذ الوازع الدينى يضعف يوما بعد يوم . ولا أدرى لماذا وجه بعض الكتاب حملاتهم على مدينة المنصورة بالذات . فقد كتب أحدهم فى صحيفة الفلاح ( ١٦ ـ ٢ ـ ١٩٠٠ ) مقالا جاء فيه "ولما كان المتجول فى بعض شوارع هذه المدينة ـ أى المنصورة ـ يراها أصبحت محلا للفجور والفحشاء ، ومرسحا تمثل فيه الرذيلة باشكال لم تنزل من السماء يعود ـ ولا شك ـ ساخطا ساخرا خصوصا إذا رأى شبانها منعكفين على حب الشهوات ، مجدين وراء الملذات » .

وكتب آخر فى صحيفة الدستور ( ٢٦ ـ ١ ـ ١٩٠٨ ) مقالا جاء فيه "سافرت

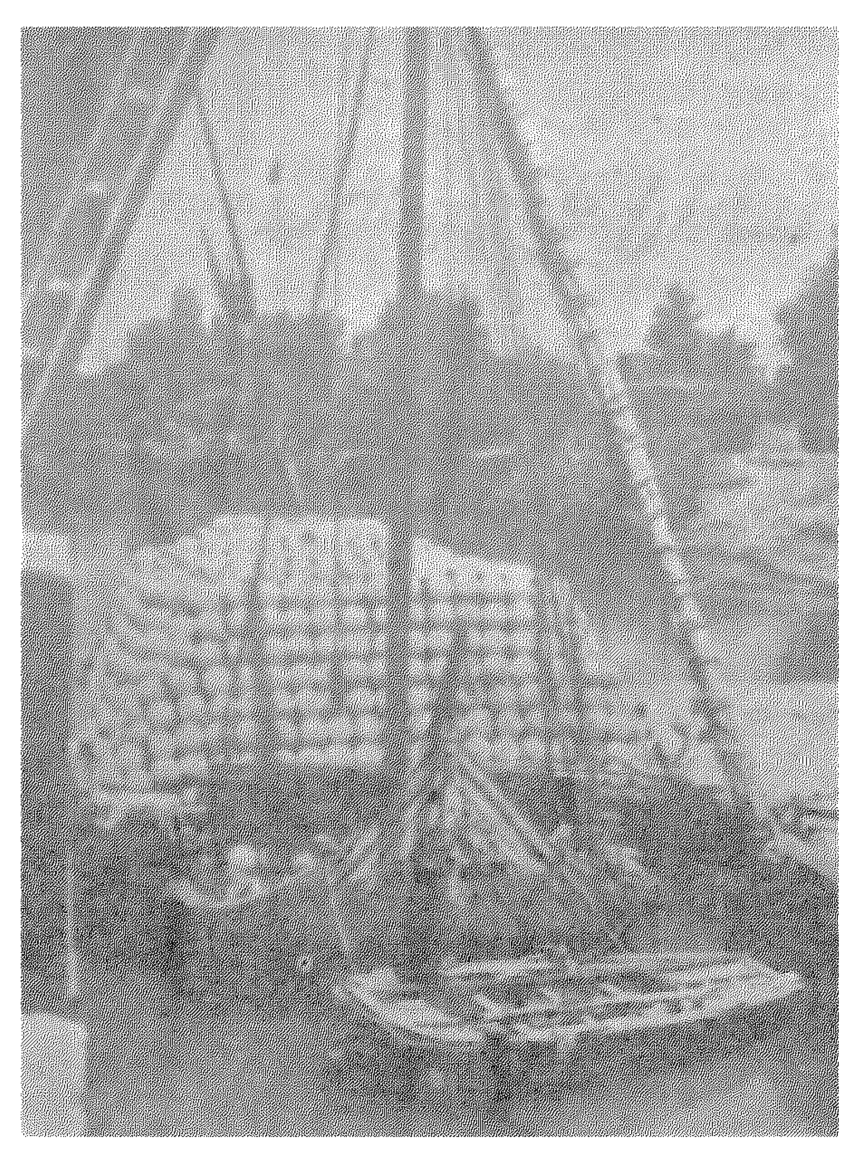
إلى المنصورة لأشغال خصوصية . وبقدر ما سرني عمرانها ساءني حالة شبابها الأدبية ، فقد رأيت منهم تحرشا بالسيدات وتحككا بالأوانس ومغازلة للمخدرات ، من هذه الأمور المعيبة والفعال الشائنة .

نعم ، لا أنكر أن هذا الداء الخبيث سرى فى جسم الأمة جمعاء سريانا ينذر بالخطر الشديد ، ولا أغالى إذا قلت إن الشيوخ يشاركون الشبان فى هذه النقائص ، ولكن الحق أقول رأيت من بعض الشبان اندفاعا فى هذا المأزق الخطر وتوغلا فى ذلك السبيل الممقوت بدرجة فظيعة يبكى لها العفاف ويئن الأدب وتتألم الفضيلة وتتوجع الإنسانية ، ولا أكون مزكيا نفسى إذا قلت إن فؤادى كاد يذوب من جراء ذلك ، بل انهمر مدمع عينى مدرارا مما شاهدت"

وفى الدعوة إلى ارتكاب المعاصى يقول عباس محمود العقاد :

| | |
|---|---|
| يانديم الصبوات | اقبل الليل فهات |
| واقتل الهم بكأس | سميت كأس الحياة |
| خمرة تملأ قلبى | بقديم الذكريات |
| إن فى الخمر لصحوا | من خمار الحادثات |

وجاء فى مجلة المنار ( ١٢ ـ ٧ ـ ١٨٩٩ ) مقال نذكر منه "بعض ما شاهدتـه فى الديار المصرية مما يذهب ثروة أهلها وملاشاتهم من ظلوا على سباتهم وغفلتهم ، وذلك أنى زرت الديار المصرية منذ عشرين سنة ، وزرتها فى العام الماضى فوجدت فرقا كليا فى الزيارتين . وجدت فى الأولى مصر للمصريين . وفى الثانية وجدت مصر للدخلاء والغرباء وجدتهم قابضين على الوظائف المهمة والأشغال العمومية . وجدت المالية بيدهم وكذا التجارة والبنوك . وجدت الوطنيين حالات صماء بأيديهم . وجدت أكثر أبناء الأعيان الذين هم رجال المستقبل منغمسين فى المنكرات ، عاكفين على اللذات ، ينفقون المال جذافا فى سبيل البذخ والشهوات . وكثير منهم باعوا ما تركه لهم أسلافهم من الأطيان والعقار ، وأضاعوه فى المقامرة وأخواتها من الفواحش . وجدت الوطنيين مثقلين بالديون للأجانب . وجدت أكثر سراتهم ووجهائهم عاكفين على اللهو والبطالة وأحوالهم فى تأخر وتقهقر ، والأجنبى يبتز أموالهم ويتملك أطيانهم . وإذا سافر أحدهم إلى البلاد الأوربية ـ كما هى عادتهم فى الصيف إبان القيظ فلا يعود منها بتجارة أو صناعة تعود عليه وعلى بلاده بالنفع والفائدة ، بل بأحمال من الأزياء والعادات الإفرنجية التى تذهب بجانب كبير من ثروتهم إن لم تذهب بمجموعها" .



رغم تطور النقل البرى بالقطارات ، فإن النقل النهرى لايزال صالحا لبعض السلع دون غيرها

"ثم جلت فى الأرياف حتى انتهيت إلى الحدود فرأيت مثلما رأيت فى البنادر الكبيرة وزيادة . رأيت الدخلاء قد نصبوا فيها للفلاحين المساكين فخاخ المسكر والميسر والفواحش والربا الفاحش يوقعونهم فيها ويستولون على أطيانهم . وقلما مررت بكفر إلا رأيت فيه المواخير والحانات ومحلات المقامرة والفحش ، والعمد والفلاحين عاكفين عليها أى انعكاف" .

### ● ضرورة التغيير

ولما كثرت جرائم القتل بالأسلحة النارية عقب ظهور القطار ، أو بالسم اضطرت الحكومة إلى إدخال تغيير مهم فى القانون الجنائى . وقد جاء فى تقرير المستشار القضائى ( المقطم فى ٢٤ ـ ٣ ـ ١٨٩٨ ) مانصه : "فى سنة ١٨٩٧ أدخل على قانون العقوبات تغيير مهم ، فإن المادة ( ٣٢ ) التى ألغيت منه كانت

تشترط في الحكم بالاعدام أحد أمرين : إقرار المتهم بجنايته أو شهادة اثنين يشهدان برؤيته يرتكب تلك الجناية . ولما كان من النادر أن يقر جان بجنايته أو يرتكبها على مرأى من شهود فلم يتيسر للمحاكم أن تقيم الحد منذ نشأتها أى فى ظرف ١٤ سنة سوى ٢٧ مرة ، على أن القطر لم يصل من النظام والحضارة الدرجة التى يمكن معها أن يبطل هذا الحد بغير أن يلحق الأمن العام ضرر من ذلك"

"ولقد مضى على هذه المادة زمن ، ولم يفكر أحد فى طلب الغائها كان يظن من أن ذلك يخالف احكام الشريعة الغراء . ولما لوحظ ان شرائع البلاد الإسلامية الأخرى ليس فيها ما يماثل هذه المادة ، بحث عن أصل ذلك التقييد فى الحكم بهذه العقوبة فى أعظم الكتب الفقهية فاستدل منها على أن حذفه لا يكون فيه مخالفة للأحكام الشرعية . وفى الواقع إن القانون المعمول به الآن فى بلاد الدولة العلية يجيز الحكم بالقرائن في كل الأحوال .

فبالنظر لهذه الأسباب رأت الحكومة أن تلغى هذه المادة ليكون الإعدام جائز الحكم به متى ثبتت التهمة بطريق من طرق الإثبات العمومية بدون تقييد بإقرار أو شهادة أسوة بالعقوبات الأخرى ، وقد كان" .

وكان حكم الإعدام ينفذ علنا في ميدان باب الخلق ، وفى ميادين المديريات فى الأقاليم .

* * *

وكان وباء الكوليرا يظهر من حين إلى حين ويفتك بالأهالى فتكا ذريعا فأغلقت المدارس والكتاتيب وامتد الوباء إلى الحدود وقضى على عدد من الجنود يزيد على مائتين وعدد من الضباط المصريين والانجليز .

وكان الأهالى يتسترون على مرضاهم لسوء معاملة رجال الصحة فإنهم كانوا يشرحون الموتى أمام أهلهم ، ولا يكفيهم ذلك ، بل يلقونهم على قطع الخشب معرضة لحرارة الشمس . وقد حدث صدام بين الأهالى ورجال الصحة في مصر القديمة وبولاق وباب الشعرية .

وانتشرت الشائعات فمن قائل إن مصر ليس بها داء ولا وباء بل ان الذين يموتون فإنما يموتون بسم الأطباء ، وهذه سياسة انجليزية . ومن قائل إن أناسا يلقون حلوى مسمومة فى الطريق ليأكلها المصريون ويموتوا بها . ويقولون إن الاحتياطات الصحية مخالفة لنصوص الشريعة الإسلامية وإن أطباء الصحة لا

## ● شغب باروقة الأزهر

[illegible] الطبيب [illegible] الدرب الأحمر فى إصابة [illegible]
الشوام من أروقة الجامع الأزهر ، فذهب لنقله الى المستشفى لأنه يقيم فى مكان لا يمرض به عليل ، ومحافظة على صحة الطلبة . فامتنع رفاقه عن تسليمه وعن السماح بتبخير الرواق وطردوا الطبيب فاستغاث حينئذ بمعاون شرطة الدرب الأحمر فذهب المعاون ومعه بعض العساكر فلم يمتثل الطلبة لأوامره فأرسل اشارة إلى المحافظ فجاء ومعه البكباشى منسفيلد وكيل الحكمدار وأخذ يلاطف الطلبة ويكلمهم بالحسنى ليرجعوا عن موقفهم فأبوا أن يصغوا اليه وتطاولوا عليه وعلى من معه وشتموهم ورجموهم بالأحجار ، وأقفلوا الأبواب كلها ومنعوا العساكر من الدخول .. وأصاب المحافظ حجر فى فمه وآخر فى رجله ، وأصاب البكباشى منسفيلد حجر فى رأسه فشجه وأسال دمه .

ثم اتحد الطلبة جميعا وتسلقوا الجدران وجعلوا يرجمون رجال الشرطة بالحجارة فجرحوا بعضهم . ونما الخبر إلى كولس باشا حكمدار العاصمة فسار ومعه مائة من المشاة وخمسون فارسا . ولما وصل إلى الجامع كان الطلبة مازالوا يقذفون الأحجار حتى ملأوا الشارع بها . فلما رأى المحافظ أن العساكر باتوا فى خطر أمر بإطلاق النار فقتل أربعة طلاب وأصيب خامس ، واعتقل عدد منهم وحقق معهم وقدموا للمحاكمة أمام محكمة السيدة زينب ، وصدر الأمر باغلاق رواق الشوام لمدة سنة ، ولكن الخديو عباس أصدر عفوا عن هؤلاء الطلبة وأمر بإعادة فتح الرواق .

* * *

وكان الناس فى الأقاليم ينظرون إلى طبقة الأفندية نظرة شك وارتياب فهم فى رايهم خارجون عن الوطنية لتركهم الزى الوطنى واتخاذ الزى الافرنجى قال طه حسين « ... ولكننا نقول إن للشرق زيا تدعو إليه طبيعته وللغرب زيا يقتضيه جوه وإقليمه . فليس تبديل الزى الغربى بالزى الشرقى فى الشرق صادرا إلا عن نفس مرتبكة مختلطة ومزاج غير مستقيم » ، وكان الأولاد يجرون وراء اى افندى صائحين "افندى طز اكل اللحمة وخلى الرز" وكان الأمر الذى حير الناس هو كيف يستطيع الأفندى ان يجلس فى المرحاض لتنزيل ضرورة . وأطلقوا على كلمة "بنطلون" اسم "عنطلوز" ويقولون "لبسوك العنطلوز يامحمد ياولدى فكيف ومن أين يذهب عنك الأذى ؟"

ولم يقف الأفندية صامتين إزاء هذا الهجوم وتلك السخرية ، بل قابلوا المثل بالمثل فكنا نسمع "العمة وقعت فى البير وصاحبها واحد خنزير" وغير ذلك .

القفز على

# الأشواك

# تفريخ الباحثين

بقلم: د. شكرى محمد عياد

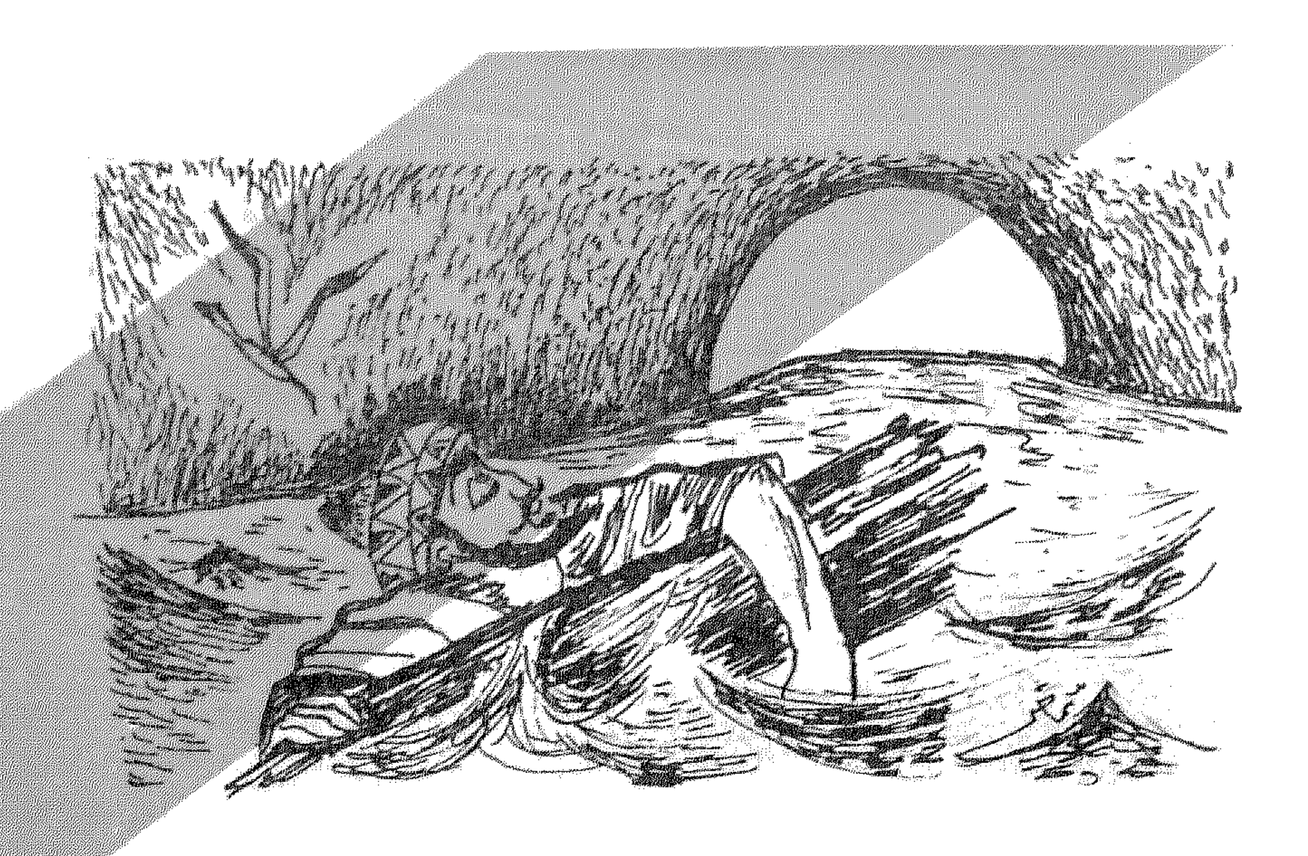
**لايمكن تفريخ الباحثين مثل الكتاكيت ..**

**ولكن هذا هو بالضبط ما نفعله عندما ننشىء دراسات عليا فى بضع عشرة جامعة ممتدة بطول الوادى وعرضه، ومنح ماجستيرات ودكتورات بدون حساب، لنقول إننا خرجنا أو فرخنا كذا ألفا من « الأفراد العلميين » . فإذا سألت أين نحن من التقدم المذهل الذى حققه العلم فى العصر الحاضر، فلا يكاد يمضي يوم بدون كشف جديد، تولى الدمع عن قلبى الجوابا . وكيف نضيف إلى العلم جديدا ومكتباتنا ـ مع فقرها ـ مخربة منهوبة ومعاملنا ملقاة فى العراء أو مطروحة فى المخازن يعشش عليها العنكبوت ..**

**أما آن لنا أن نجدّ ؟ أما آن لنا أن نفيق ؟**

**بلى ، قد آن ..**

وكم سعدت حين استمعت إلى ندوة على التليفزيون من بعض كبار الزراعيين، اعترفوا خلالها بأن الاكتشافات الثورية فى العلوم الزراعية، والتى توالت منذ الخمسينيات، بقيت مجهولة لدينا إلى سنوات معدودة، الآن أصبح لدينا مركز لأبحاث الهندسة الوراثية، وأكثر من مركز واحد لابحاث



زراعة الصحراء .. شعورنا المفاجىء بتخلفنا فى العلم هو بداية العلم ، وربما كان اضطرارنا فى الأعوام الأخيرة إلى استيراد معظم غذائنا هو الذى حفزنا الى التطلع الى مزيد من العلم فى باب انتاج الغذاء ، فحركة العلم تبدأ من حركة الحياة ، والبحث العلمى لا يدور فى فراغ ، ولكنه ينطلق من الواقع ليعود إلى الواقع ، ينطلق من مشكلة قائمة ليعود باقتراح الحل ، أو بخطوة نحو اقتراح الحل ..

وهذا كلام لم يعد مجهولاً لأحد .. وأظنهم يدرسونه فى اقسام الفلسفة والعلوم الأجتماعية فى جامعاتنا ، أما الكليات العلمية فلم أسمع انها عنيت يوما بفلسفة العلم أو تاريخ العلم ، فهذه الكليات لا تزال محتفظة بطابعها الأصلى كمدارس عليا أنشئت لتخريج مهنيين ، أما « كليات العلوم » فتقف نموذجا فريدا ، لا هى بالكليات المهنية ـ كالطب والهندسة ـ ولا بالكليات النظرية ، وقد خرجت من عصر كان شعاره « العلم للعلم » إلى عصر أصبح شعاره « العلم للمجتمع » أو العلم للتطبيق العملى ..

**واينما وجهت نظرك ، سواء سمعت كلاما محفوظا معادا عن المنهج العلمى وفلسفة العلوم أم سمعت معادلات وقوانين فى صفحة بيضاء انزلت من السماء ، فمفهوم العلم كحركة ذهنية لاكتشاف المجهول غائب فى جميع الاحوال ..**

ولعلى لا أبالغ حين أقول ان الصفة الغالبة على الكتابات العلمية عندنا هى النقل ، حتى كتب « المنهج العلمى » ، التى تتحدث عن الملاحظة والتجريب وصياغة المشكلة والغرض والاختبار والقانون ومجال القانون ، نكتفى بنقلها بعد حذف ما يستعصى علينا فهمه ، لقد تخلفنا عن حركة العلم مرتين : مرة طوال العصر التركى حين سيطرت الخرافة ، ومرة طوال العقود الثلاثة السابقة التى شغلنا فيها بغير العلم ، وانقطعنا عن

## القفز على الأشواك



المراكز العلمية المتقدمة في الغرب ، فطبيعي إذن أن ننقل عن الغربيين .. ولكن الحقيقة المزعجة هي اننا بدأنا مرحلة النقل منذ مائة وثمانين سنة تقريبا ولم نتجاوزها إلى مرحلة الابتكار حتى الآن .. ولذلك فقد يمكننا القول أن عندنا « علما » ولكننا لا نستطيع القول إن عندنا بحثا علميا يعتد به ، لأن البحث غير المبتكر لا يعد بحثا ، إنما هو نقل ، ولو سميته بحثا ومنحت صاحبه درجة الماجستير أو الدكتوراه ..

● أصل الداء

ولا يمكن تفسير الاهمال الفظيع الذي تعاني منه مكتباتنا ومعاملنا بمجرد « التسيب » أو ضعف الرقابة ، فإننا لا نجد مثل هذا القدر من التسيب في خدمات المواصلات أو الصحة أو التموين مثلا ، إنما التفسير الأقوى هو أن مفهوم البحث العلمي غائب من حياتنا ، مهما وجد عندنا من دراسات عليا ومنح من درجات الماجستير والدكتوراه ..

ولعلنا حين نأمل اليوم في أن تنطلق حركة بحث علمي حقيقي ، من مراكز مخصصة للبحث ،" تعالج مشكلات التخلف في الإنتاجية ، لا نراعي فقط مفهوم العلم في أحدث مراحله ، وهي مرحلة الأرتباط الوثيق بالتكنولوجيا ، لا ...

الخطوة المفهوم الكلاسيكي للعلم ذاته ، وهو ان العلم بحث متجدد ، وليس مجرد نقل وتفسير وإعادة تفسير ، ان العلم اكتشاف ، لا مجرد تحصيل ، والمعلم الماهر هو من يجعل المتعلم يعيد اكتشاف حقائق العلم التي توصل اليها واضعوه او مكتشفوه ..

هكذا كان شيخ الفلاسفة سقراط يعلم أصحابه ، حتى كان يقول إن الحقائق كلها موجودة في عقل الانسان ، وإنما عمل الحكيم فيها ان يساعد على إخراجها من الباطن إلى الظاهر ، كما تفعل القابلة مع المرأة الحامل ، ولم يكن أرسطو ذاتيا إلى هذه الدرجة ، بل كانت طريقته هي إعمال قوانين العقل في الملاحظة الخارجية ، وبذلك اخرج العلم من مجال الأخلاق إلى مجال الطبيعة .. ووقف العالم الغربي ردحا طويلا من الزمن حيث وقف أرسطو ، إذ شغلتهم أمور الآخرة عن امور الدنيا ، وتفسير النصوص المقدسة عن ملاحظة الطبيعة ، فكان اعتمادهم في العلم الطبيعي - ما بقي لديهم منه - على نصوص ارسطو ايضا .. وهكذا جمد العلم ، ولم يستانف نشاطه الحقيقي إلا حين رعاهم فرانسيس بيكون إلى أن يتجهوا مباشرة إلى الطبيعة ، ولا يعتمدوا على نصوص أرسطو ..

ولا تزال هذه المبادىء الأولية نافعة للمعلم والمتعلم ، ولاسيما عندنا ، فكل حركة جادة لاصلاح التعليم تصطدم بالاعتماد المفرط على الحفظ ، وكثيرا ما يبقى المحفوظ كتلا صماء في ذهن ... منها ، ولذلك

فهو لا يلبث - بعد محنة الامتحان - أن يلفظها كالأجسام الغريبة .. والحفظ جزء ضرورى من العملية التعليمية ، لاشك فى ذلك ، بل لعله الجزء الأهم ، وإلا فكيف ننتفع بما أنتجه العقل البشرى على مدى القرون ؟ ولكن هذا "الأنتفاع " نفسه لا يتم بمجرد الحفظ ، إذا غابت عن المتعلم « دلالة » المعلومات التى حفظها ، أى قيمتها بالنسبة إلى الانسان فى ماضيه وحاضره ومستقبله . ولا اعنى بالقيمة الفائدة العملية فقط ، من نحو ما نسميه اليوم بالاستعمالات التكنولوجية ، فإن قيمة المعلومات العلمية - حتى تلك التى تتعلق بالعلوم الطبيعية - بالنسبة إلى الانسان فى نظرته إلى نفسه وعالمه لا تقل عن قيمتها العملية ..

الوعى بهذه الدلالة هو الذى يجعل للعلم دورا مهما فى بناء الشخصية .. وكثير من المعلومات ينسحب رويدا رويدا حتى يختفى فى مخزن الذاكرة ، فلا يبقى إلا ما يستعمله المرء فى حياته العادية أو فى ممارسته لمهنته .. ولكن ميسم العلم على الشخصية يبقى دائما : نوع من المرونة الذهنية فى تقبل الأفكار الجديدة ، والبحث عن الأسباب والمقارنة بين النتائج .. اسلوب علمى فى التعامل مع المشكلات ، بتحليلها ، وتقدير عناصرها ، وترتيب هذه العناصر ، وإذا كان للدارس شغف خاص بعلم معين فسيبدأ تخصصه ولديه توجه الباحث ، فالبحث العلمي لا يتطلب كما معينا من المعلومات .. قد يكون الكم متواضعا فى البداية .. ولكن الباحث لديه أسئلة حائرة تبحث عن أجوبة .. هناك موضوع يثير اهتمامه : نبات ، حشرة ، كتاب ، بناء ، آلة فهو يحاوره ويستنطقه ، احترام هذا الشيء ، الشعور بأن له كيانه الخاص ، وله قيمته فى حياتى وحياة الناس جميعا ، هو ما يمكن ان يجعل منى باحثا ومكتشفا ..

### ● العلم والإيمان

لاشك أن هناك قدرا من العاطفة الدينية لدى كل باحث ، وإلا ما اهتم كل هذا الأهتمام بموضوعه ، وما تخلى عن مسراته وعلاقاته الاجتماعية ومصالحه المادية ليمنحه كل مايملك من وقت .. ولكننى لا أكتمكم أنى غير سعيد بشعار « العلم والأيمان » ..

فإنى أرى واو العطف هنا توحى بشيء غير متوقع .. تماما مثل « الأصالة والمعاصرة » .. كأن فيها معنى « لكن » . تأليفا بين شيئين غريبين كل عن الآخر ، غريبين إلى درجة التناقض ..

والذى اذكره عن شعار « العلم والايمان » ، أنه كان فى أول أمره تعبيرا عن موقف خاص من الماركسية ، التى تسمى نفسها الأشتراكية العلمية ، وترتبط عند اكثر الناس بالالحاد ..

هو شعار برجماتى إذن ، لا بأس ، لو لم يكن منطويا على استغلال سيىء لفكرة خاطئة عن العلم ، وأخرى لا تقل خطأ عن الدين ..

لقد ادى الجمود الفكرى الذى اتصف به العصر العثمانى إلى ان وقف بعض رجال الدين موقفا سلبيا من العلم الحديث حين بدأ محمد على اصلاحاته

الفكر على



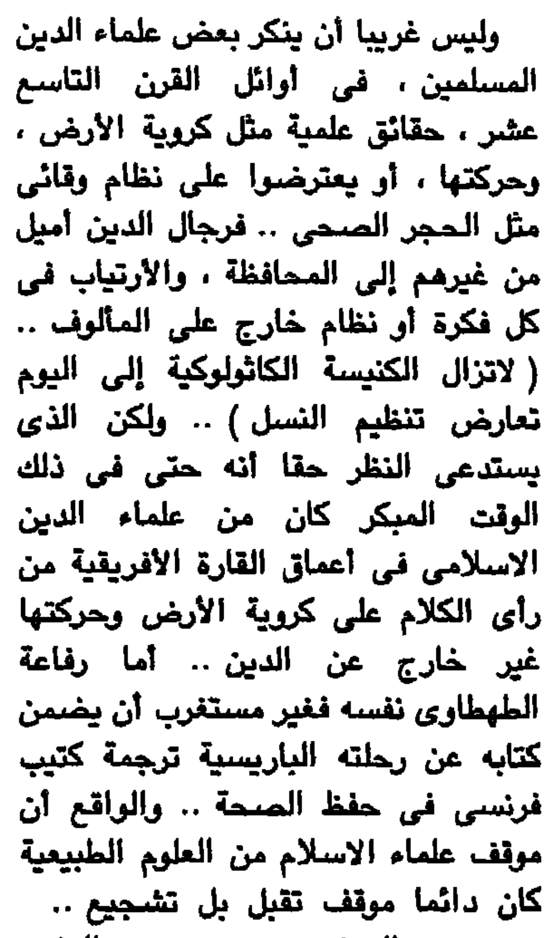
# الأشواك

الحضارية فى مصر .. ويحدثنا رفاعة الطهطاوى حديثا طريفا فى مستهل المقالة الثانية من كتابه « تخليص الإبريز » بمناسبة حجزه مع رفاقه فى « الحجر الصحى » حين وصلوا إلى ميناء مرسيليا ..

« ولنذكر هنا ما قيل فى ( الكرنتينة ) بين علماء المغرب ، على ما حكاه لى بعض من يوثق به من فضلاء الغرب ، قال : وقعت بين العلامة الشيخ محمد المناعى التونسى المالكى المدرس بجامع الزيتون ، ومفتى الحنفية العلامة الشيخ محمد البيرم ، المؤلف عدة كتب فى المنقول والمعقول ، وله تاريخ دولة بنى عثمان ، من مبدئها إلى السلطان محمود الحالى ، محاورة فى إباحة ( الكرنتينة ) وحظرها ، فقال الأول بتحريمها ، والثانى بإباحتها ، بل وبوجوبها ، وألف فى ذلك رسالة ، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة ، وأقام الأول أدلة على التحريم ، وألف رسالة فى ذلك ، جل اعتماده فيها فى الاستدلال على أن ( الكرنتينه ) من جملة الفرار من القضاء ..

ووقعت بينهما محاورة أيضا نظير هذه فى كروية الأرض وبسطها ، فالبسط للمناعى ، والكروية لخصمه ..

وممن قال من علماء المغرب بأن الأرض مستديرة ، وأنها سائرة ، العلامة الشيخ مختار الكنتاوى ، بأرض أزوات بغرب بلاد تمبكتو » ..



● الإسلام والعلم

وليس غريبا أن ينكر بعض علماء الدين المسلمين ، فى أوائل القرن التاسع عشر ، حقائق علمية مثل كروية الأرض ، وحركتها ، أو يعترضوا على نظام وقائى مثل الحجر الصحى .. فرجال الدين أميل من غيرهم إلى المحافظة ، والارتياب فى كل فكرة أو نظام خارج على المألوف .. ( لاتزال الكنيسة الكاثولوكية إلى اليوم تعارض تنظيم النسل ) .. ولكن الذى يستدعى النظر حقا أنه حتى فى ذلك الوقت المبكر كان من علماء الدين الاسلامى فى أعماق القارة الأفريقية من رأى الكلام على كروية الأرض وحركتها غير خارج عن الدين .. أما رفاعة الطهطاوى نفسه فغير مستغرب أن يضمن كتابه عن رحلته الباريسية ترجمة كتيب فرنسى فى حفظ الصحة .. والواقع أن موقف علماء الاسلام من العلوم الطبيعية كان دائما موقف تقبل بل تشجيع ..

وحتى المتشددون منهم ، الذين هاجموا الفلسفة وعلم الكلام ، لم يتعرضوا للعلوم الطبيعية أو المشتغلين بها ، لقد هاجموا ابن سينا - مثلا - فيلسوفا ، ولكنهم لم يتعرضوا له طبيبا .. ولم نعرف أن كيميائيا مثل جابر بن حيان ، أو طبيعيا مثل الحسن بن الهيثم .. أو طبيبا مثل ابن النفيس ، جلبت عليه نظرياته العلمية عداوة رجال الدين كما حدث لجاليليو مثلا .. إن موقف علماء الدين المسلمين فى مقاومة الفلسفة ، بل تكفير المشتغلين بها أحيانا ، ينحصر فى رفض الألهيات ، وهذا لا يختلف فى شىء عن هجوم

الماركسيين ، أو الوجوديين ، أو الوضعيين المنطقيين على الميتافيزيقا .. وكيف ننسى أن من بين من هاجموا علم الكلام ابن خلدون ، وهو فيلسوف اجتماعى عظيم ؟

إنما العجيب حقا أن بعض من ينتسبون إلى علم الدين وتعليمه فى أيامنا هذه لايزالون - بعد أن كتب رفاعة الطهطاوى هذا الذى كتبه عن موقف أسلافهم من العلوم الحديثة بأكثر من مائة وخمسين سنة - يتعرضون لبعض حقائق العلم ومنجزاته بالتشكيك والانكار ، وقد سمعت أو قرأت - لا أدرى - أن أحد هؤلاء يحرم الهندسة الوراثية لأنها من باب تغيير خلق الله .. وسمعت طرائف من الأسئلة التى توجه إلى علماء الدين ، وأجوبة بعضهم عليها ، فى إذاعاتنا العربية .. من ذلك أن طالبا سأل : نحن نتعلم فى الجغرافيا أن المطر يسقط حيث تهب رياح محملة ببخار الماء على منطقة جبلية ، فيتكاثف بخار الماء بفعل البرودة ، فكيف يتفق ذلك مع كون المطر رحمة يصيب بها الله من يشاء من عباده ؟ وسأل آخر : اننا نصلى ونتضرع إلى الله لينزل علينا مطراً ، ونحن مسلمون مؤمنون ، وفى بلاد الكفار تنزل الأمطار الغزيرة بلا صلاة ولا تضرع ، كيف يتفق ذلك ؟ والسؤالان لا محل لهما ، ولكن الاجابة كانت أعجب ، أو كانت = على الأصح - هروبا من الاجابة .. لقد كانت على ما أذكر - شيئا كهذا : إن سقوط المطر أو احتباسه راجعان إلى مشيئة الله فقط ، ولو شاء سبحانه أن يزيد المطر عندنا ويجعل أرض الفرنجة قفراً يبابا لفعل .. ولا أدرى لماذا نسى المجيب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات ولده ابراهيم : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد .

أظن أن خوف بعض علماء الدين من العلم لا يرجع - آخر الأمر - إلا إلى خوفهم على مكانتهم الاجتماعية .. فقد كان تراجع النشاط الإنتاجى فى العالم العربى إيذانا بانفراد علماء الدين بالقيادة الفكرية .. ومن ثم اصبحوا يستفتون فى كل شىء من أمور الدين والدنيا .. وفى فطرة الانسان أن يسأل عن كل ما يحيط به من الموجودات ، كما أن فى نظرته أن يؤمن باله واحد خالق قادر .. وهكذا ارتد الناس إلى ما يشبه ديانة الأقوام البدائيين ، فالتمسوا أسبابا غيبية لكل ما يلم بهم من شر وما يرجونه من خير .. واختفى « عالم » الدين ، العالم بالدين ، وحل محله « رجل الدين » الذى يشبه عراف القبيلة ، وفهم أكثر الناس « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، على أنها شاملة لأمور الدين والدنيا ، مع أن التمييز بين علوم الدين وعلوم الدنيا كان مبدأ مستقرا ، أشبه بالبديهيات ، طوال عهود الحضارة العربية ..

ولكن طوفان الحضارة الغربية ، بعلومها الحديثة ، كان يغرق بلادنا ، شئنا ذلك أم أبيناه .. فقام بعض حسنى النية منا - وهم قلة من علماء الدين المستنيرين ، وأفراد ممن تخصصوا فى تلك العلوم الحديثة - يحاولون « استئناس » العلوم الطبيعية بربطها بالدين .. ولو رجعوا إلى تراثنا العريق لما وجدوا بينهما خصاما يدعو إلى المصالحة ، أو نفرة تحوج إلى الاستئناس ..

فخاض هؤلاء وهؤلاء فيما سمى

القفز على

# الأشواك

بالتفسير العلمى .. ووضع الشيخ طنطاوى جوهرى - من علماء الأزهر الشريف - تفسيره الضخم الذى سماه « تفسير الجواهر » ، ضمنه من علوم الفلك ، والطبيعة ، والأحياء ، ما جعله أشبه بموسوعة علمية .. وكان بعض الناس يشبهونه بتفسير الفخر الرازى مع أن البون بينهما بعيد كالبون بين حاضرنا وماضينا ، ولا اقيسهما بمقياس الجودة بل بمعيار أساسى فى فهم الحضارات وهو العلاقة بين الدين والفلسفة والعلم .. فالفخر الرازى كان يمزج الدين بمسائل علم الكلام والفلسفة الدينية وما بعد الطبيعة ، وهى من بابه وان اختلفت الأداة فهى فى الدين السماع وفى علم الكلام وما إليه العقل .. أما صاحب « الجواهر » ، فقد مزج الدين بالعلوم الطبيعية وهما نهجان مختلفان ، يستقلان إذا تقدمت الحضارة ويلتحمان إذا تراجعت ..

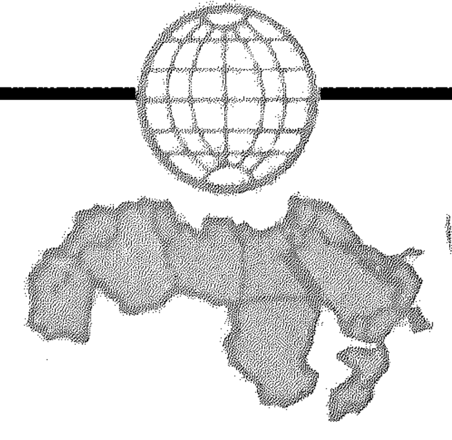
وما أظن إلحاحنا على الربط بين العلم والأيمان فى هذه الأيام إلا استمرارا لحالة الأنبهار الفزع التى أصابتنا أمام طوفان الحضارة الغربية والعلم الغربى ، فنحن لا نجد الوقت الكافى لاستئناس مخلوقات العلم التى تهاجمنا من بين أيدينا ومن خلفنا ومن فوقنا ومن أسفل منا ، وسنظل كذلك إلى أن ننهض نهضة حضارية شاملة .. ولكننا نكون جديرين بتراثنا الدينى والعلمى العظيم ولا قادرين على استقبال تلك النهضة المرموقة إن نحن مضينا فى الخلط بين الدين والعلم ..

إننا لا نزيد على أن ننادى على أنفسنا بضعف الدين والعلم جميعا حين نحاول دعم أحدهما بالآخر .. نعم ، إن الدين والعلم يمكن أن يلتقيا عند بعض الممارسات ( أطفال الأنابيب أو نقل الأعضاء مثلا ) مثلما يلتقى القانون الوضعى مع العلم فى هذه الممارسات ..

فكل من الدين والعلم والقانون يعمل لتنظيم الحياة .. ومن السهل أن نحل المشكلات التى تنشأ عن مثل هذا اللقاء .. ولكنك لن تكون ديّنا حقا ، ولا عالما حقا ، إذا وضعت نصوص الدين أمامك فى المعمل .. يكفى أن تحملها فى داخلك .. كم أشفق على المعلم والتلميذ فى حصة الطبيعة أو الكيمياء أو الأحياء أو الجغرافيا ، فى بعض مدارسنا العربية ، حين يلزمان باستخلاص العبرة الدينية مما تعلمه هذا وعلمه ذاك ، قبل أن ينهيا الدرس ! فإن نسيا ذلك أو ضاق عنه الوقت فربما أدى ذلك إلى فصل المدرس !

**بل كم أشفق على المجتمعات العربية كلها حين يتداعى بعض أساتذة العلوم الحديثة لعقد مؤتمرات يأملون أن يخرجوا لنا منها علم اجتماع إسلاميا ، أو علم نفس إسلاميا ، مبنيين على الكتاب والسنة ، ولا أدرى ، فقد يجيئوننا غدا بفيزياء إسلامية ، وكيمياء إسلامية ، وبيولوجيا إسلامية !**

**أما الكاتب الذى يخلط نصوص الدين بحقائق العلم ، فقد نحتمله ، ولكن كما نحتمل الروائى الذى يلقى علينا درسا فى الأخلاق !**




● « لـــو انني لـم ازر هـــوليوود ، فكأني لم ازر الولايات المتحدة » •

**البابا يوحنا بولس الثانى**

● « اذا كانت ثمة أزمة فى الثقـــافة المعـــاصرة فهى التليفزيون » •

**الكاتب البريطانى هبوهيرت**


البابا يوحنا بوليس

● « جـــزء كبير من حل الازمة الراهنة يكمن فيتخليص الشباب المتطـــرف من سجن الفكرة الواحدة » •

**الدكتور فؤاد زكريا**

● « يحتـــاج الابداع الى طاقات وامكانيات هائلة ، فى وقت يصـــبح فيه الجمهور اصغر فاصغر • ! » •

**ديريك مالكولم**


فؤاد زكريا

● « ان امريكا هى البلد الوحيد الذى انتقـــل من حالة البربرية الى الانحطـــاط دون المرور بمرحلة الحضارة » •

**الجارديان ـ مايل بيلنجتن**

**المخرج البولندى (( أندريه فايدا))**

● « الفنان يجب ان يخدم المجتمع » •

● « الزواج من السـلطة هو جحيم فيالنهار ، وكوابيس فى الليل » •

**نزار قبانى**


نزار قبانى

● « المبادىء الثلاثة التى توصل اليها واضـــعو الدستور الامريكى هى الحل الوسط ثم الحل الوسط ثم الحل الوسط

**المؤرخ الامريكى (( اكستير كوك ))**

● « لم يكن برنامج الرئيس ريجان متسما بالعدل ، فقـــد زاد من فقر الفقير ، ومن غناء الغنى » •

**((تيب اونيل)) رئيس مجلس النواب الامريكى السابق**

● « البابا ممثل افضـــل منى شخصيا » •

**الممثل الامريكى شارلتون هستون**

# قضايا ومواقف

## • الضروري المفقود على قمة عمان • مفهوم مشترك للأمن القومي العربي

بقلم : مصطفى الحسيني

**خلال أيام تشهد العاصمة الأردنية اجتماع قمة عربية هي الاولى منذ قمة فاس بالمغرب فى سبتمبر ١٩٨٣ . وهى قمة تعثر عقدها رغم تكرار موجباتها منذ ذلك الحين ، ومن اوضح هذه الموجبات العدوان الاسرائيلي على تونس ، والعدوان الامريكي على ليبيا ، وهذه موجبات ملحة ، ان لم نقل مستفزة ، بمقاييس تراث القمم العربية ، إذ إن تقليد عقد مجلس الجامعة العربية على مستوى القمة قد وجد اصلا بسبب موضوع الأمن القومي العربى مترجما فى التهديد الخارجي لدول الجامعة العربية .**

ولعله من اللافت للنظر ان القمة العربية الاخيرة قبل قمة عمان المرتقبة ، قد انعقدت ايضا متأخرة عن موعدها ، والموعد هنا موضوعى لا تقويمى ، فقد كانت تلك القمة هى « التعليق » الجماعى العربى على غزو اسرائيل لبنان فى ١٩٨٢ وما ترتب عليه ، فبدلا من ان يجتمع العرب فور بدء ذلك الغزو لتحديد ردهم عليه وتنظيم مسئولياتهم حياله ، انتظروا حتى انتهى الغزو واثمر نتائجه ، فاجتمعوا ليعلقوا على تلك النتائج ، او ليحددوا مواقفهم على اساس تلك النتائج .

كما انه من اللافت للنظر ايضا فى تلك القمة العربية الاخيرة ان ما توصلت اليه ، كان اقرارا لمشروع سبق ان رفضته فى ١٩٨١ ، هو ما عرف باسم « مشروع الملك فهد لتسوية النزاع العربى ـ الاسرائيلى » فكأن القمة اعلنت فى فاس ان غزو اسرائيل لبنان قد اقنعها بالتراجع وقبول مالم تكن تقبل .

**ومع تعثر محاولات عقد قمة عربية منذ قمة فاس ١٩٨٣ ، تعثر ايضا الاعداد لهذه القمة المرتقبة ، فقد جرى هذا الاعداد من خلال اجتماع طارىء لمجلس الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية ، لكن الاجتماع تم**

**على مرحلتين نتيجة لصعوبة الاتفاق على جدول اعمال . رغم ان وصف الاجتماع بأنه « طارىء » يوحي بان مشكلة جدول الاعمال محلولة ، وان مهمة الوزراء المجتمعين تقتصر على الصياغة والتنظيم .**

وانتهى الاجتماع وجدول الاعمال ما زال موضوعا للخلاف : هل يقتصر على بحث الحرب العراقية ـ الايرانية « ام بتسع للصراع العربى ـ الاسرائيلى ، الذى هو موضوع « الامن القومى » الذى كان مبرر القمم العربية السابقة جميعا ، ولم يحل هذا الخلاف . ان كان حقا قد حل . الا فى نطاق المشاورات اللاحقة لاجتماع وزراء الخارجية التحضيرى ، والا تحت ضغط تهديد عدد من الدول العربية بعدم المشاركة فى القمة اذا لم يصبح الصراع العربى ـ الاسرائيلى هما من همومها .

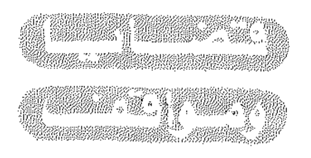
## ● بعد اعمق للخلاف

ولقد يبدو هذا الخلاف على جدول الاعمال ، خلافا بين من يرون أن على القمة ان تواجه الموضوع الملح وهو الحرب العراقية ـ الايرانية ورفض ايران ( او قبولها الشروط ) لقرار مجلس الامن الدولى الداعى لوقف اطلاق النار وافساح المجال للمساعى الدولية لتحقيق تسوية دبلوماسية للنزاع العراقى ـ الايرانى ، وبين من يرون انه اذا كانت القمم العربية تنعقد لبحث تهديدات الامن الومى ، فلا يجوز لواحدة منها ان تتجاهل التهديد الاصيل والمستمر .

غير ان لهذا الخلاف بعدا اعمق بكثير من هذا الذى يبدو . هذا البعد هو ان التفكير العربى ( الرسمى على الاقل ) فى الامن القومى العربى ، فوق انه يمنح لوضع راهن يتميز بالالحاح اولوية على خطر دائم ومستمر ، ويتميز ايضا بالالحاح ، كما انه يمنح نزاعا مع قوة اقليمية اصيلة فى المنطقة اولوية على الصراع ضد هذا الخطر الدائم المستمر الملح والذى تمثله قوة غريبة عن المنطقة لا يختلف العرب على ان اختلاقهاكان بقصد ضرب أمنهم القومى .

او بكلمات اكثر تحديدا ، وضع جدول الاعمال المقترح لقمة عمان المرتقبة النزاع مع ايران فى موضع الاولوية فوق الصراع ضد اسرائيل مع ان ايران ( ١ ) قوة اصيلة فى المنطقة و ( ٢ ) ليس من اهدافها ( فيما بعد سقوط الحكم الشاهنشاهى ) ضرب الامن القومى العربى و ( ٣ ) ان نزاعها مع العراق هو من « طوارىء » السياسة وليس من ثوابتها ، وامثاله فى العلاقات الدولية كثير : النزاع الهندى ـ الباكستانى على كشمير ، النزاع الهندى ـ الصينى على الحدود ، النزاع التركى ـ اليونانى على بعض جزر بحر ايجه ، النزاع الاثيوبى ـ الصومالى على اوجادين ، .. الخ ، بينما وضع الصراع بين العرب واسرائيل يتصف بالنقيض الكامل لتلك المواصفات كلها .

**اى ان جدول الاعمال المقترح لقمة عمان المرتقبة قد اصدق ما يقال فى الغرب عن العرب ، مثلهم مثل الغرب ، قد هبطوا بصراعهم ضد اسرائيل الى مكان متاخر فى ترتيب اولوياتهم .**



تأسيسا على هذا الارتباك الواضح فى تحديد الاولويات ، لا يحتاج المراقب الى واسع خيال ليتوقع ان يطلب العراق ومناصروه من تلك القمة اعمال ميثاق الدفاع العربى ، وهو مطلب عادل وسليم لولا ان اصحاب المطلب يعلمون من السوابق : ـ أن هذا الميثاق لم يوضع موضع التنفيذ على الاطلاق

● قمة لفرض العقوبات على مصر

وكانت مناسبة تلك القمة وموضوعها توقيع اتفاقات كامب ديفيد بين مصر واسرائيل . ولقد اتخذت تلك القمة قرارات غير مسبوقة فى وجه تطوير فى الصراع العربى ـ الاسرائيلى غير مسبوق ، اتخذت قرارات تعنى فى مجموعها مقاطعة شاملة لحكومة عربية هى الحكومة المصرية ، لانها اتت ما كان حتى ذلك الحين هو « الحرام » فى معالجة الصراع العربى ـ الاسرائيلى .

ان النظر فى تلك القرارات التى سميت قرارات مواجهة لاتفوته عليها ملاحظات ثلاث :

( ١ ) إن تلك القرارات اقتصرت على فرض عقوبات على مصر ولم تكتب سطرا واحدا عن خطة المجتمعين فى بغداد للمضى فى ممارسة الصراع ضد اسرائيل ، لم تتطرق الى خطة ، او مشروع خطة ، او اطار لخطة تعالج موقع اسرائيل من مسألة الامن القومى العربى ، عدا عن تكرار المبادىء النظرية ـ التاريخية حول الرفض العربى لوجود اسرائيل او لتوسع اسرائيل او لعدوانية اسرائيل .

ولا يغيب عن المراقب انه حتى صياغة هذه المبادىء النظرية ـ التاريخية لا يعبر عن فهم واحد موحد للموقف من اسرائيل . فالوقوف ضد وجودها غير الوقوف ضد توسعتها ، غير الوقوف ضد عدوانياتها .

( ٢ ) انه عندما تقررت العقوبات الحقت بفقرة عاطفية تلتزم بألا تؤدى العقوبات التى فرضت الى الاضرار بالشعب المصرى ، دون الالتفات الى صعوبة ـ ان لم يكن استحالة ـ فرض عقوبات اقتصادية على الدولة المصرية دون الاضرار بمصالح الشعب المصرى حيث تحكم الدولة الشعب وتدير شئونه ، وحيث مركزية الدولة فى الحياة المصرية ، وبغض النظر عن نظام الحكم ووجهته ، هى العنصر الاهم فى تاريخ مصر السياسى القديم والحديث والمعاصر .

( ٣ ) انه مع كل التهويل فى أهمية القمة ، فقد كانت من اقل القمم العربية من حيث مشاركة الرؤساء والملوك ، وان ثلاثا من الدول المشاركة ابلغت القمة ذاتها انها لن تلتزم بالقرارات . ولم يمر وقت طويل بعد القمة حتى تواتر الخروج عن قراراتها على ما هو معروف .

الى ماذا تشير هذه الملاحظات ؟

تشير الى امرين :

الاول : ان قرارات تلك القمة غاب عنها الربط الملزم بين ما تضمنت من عقوبات على مصر وبين موقف الذين قرروها من اسرائيل كحظر على الامن القومى العربى ( امن بلدانهم ! ) .

الثاني : ان القرارات بفرض عقوبات على مصر ، تجاهلت مركزا معينا لمصر فى الحياة القومية العربية ، ولهذا كانت قرارات « مخروقة » من لحظة صدورها .

وجذر هذين الامرين ان قرارات العقوبات هذه جاءت بديلا ذاتيا عن عبء المواجهة مع اسرائيل ، بينما لم تكن بديلا موضوعيا صالحا .

**وهنا ، لعل هذا المقال قد « وضع العربة اما الحصان » عندما قال بهبوط العرب بالصراع ضد اسرائيل الى مكان يتاخر فى ترتيب اولوياتهم . « وضع العربة امام الحصان » لانه افترض ان ثمة ترتيبات للاولويات . مع ان ترتيب اولويات ، فى هذا السباق ، لا يقوم الا على مفهوم مشترك للامن القومى العربى .**

**وهذا هو المفقود**

واذا كان هذا مفقودا ، ضاعت المسألة ، وتساوت الهموم وتحولت الأولويات مجرد وجهات نظر ، اى ان الامر يصبح كالتالى :

ان الذين يقولون بأولوية النزاع الايرانى ـ العراقى فى الاخطار التى تهدد الامن القومى العربى قد يكونون على حق .

من اين تستمد الامم مفهومها لامنها القومى ؟

من مجموع تجاربها التاريخية

واذا نظر العرب فى تاريخهم المعاصر ، وجدوا ان الاخطار التى تعرضت لامنهم ، دولا ومجتمعات ، مجتمعة ومنفردة ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ترجع اجمالا الى مصادر ستة ، ثلاثة منها خارجية ، وثلاثة داخلية .

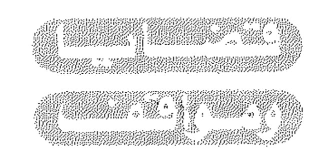
اما المصادر الخارجية فهى :

١ ـ سعى الامبراطوريات الاستعمارية القديمة الى المحافظة على مواقفها ومصالحها فى بلاد العرب ، وقد كانت بعض هذه الامبراطوريات تحكم بلادا من هذه البلاد ، كما كانت لها مصالح فى بعض منها ، وكانت تعتبرها جميعا من مرتكزات أمنها وأمن مصالحها .

ومن تطبيقات هذا المصدر : العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ ، حرب الاستقلال الجزائرية ، وحرب الاستقلال اليمنية الجنوبية . العدوان الامريكى على ليبيا ـ فى العام الماضى .

٢ ـ اختراق « دولة » اسرائيل ، وهو مصدر لا يبعد كثيرا عن المصدر الاول .

**ومن تطبيقات هذا المصدر : الاستيلاء على ارض فلسطين على مرحلتين ، وتشريد قسم من شعبها وقهر القسم الاخر تحت الاحتلال ، الاستيلاء على**



الجولان واعلان ضمه ، مشاركة اسرائيل في العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ ، حرب ١٩٦٧ ، ضرب المفاعل النووى العراقي ، غزو لبنان مرتين في ١٩٧٨ و ١٩٨٢ واحتلال جزء من اراضيه ، ضرب تونس ، رفض التسوية التي تقوم على اساس اعادة الاراضي التي احتلت في ١٩٦٧ . مع ملاحظة ان هذا السرد يقتصر على التطبيقات الكبرى لهذا المصدر ، دون التطبيقات اليومية المستمرة .

٣ ـ عوامل التوتر مع الامم المجاورة . وهو اقل المصادر الخارجية نشاطا ، غير ان من تطبيقاته : الحرب العراقية ـ الايرانية ، وفي هذا الشأن يجدر ان نلاحظ ان هذا التوتر لم يشهد اى قدر من الهدوء لا فى العهد الشاهنشاهى ولا فى العهد الاسلامى فى إيران ولافى العهد الملكى ولا فى العهد الجمهورى فى العراق ، الا عندما انضوت الاثنتان تحت الهيمنة الغربية فى حلف بغداد . اما فى ما عدا ذلك ، فقد تراوح التوتر ما بين الحرب بالوكالة والهدنة القلقة ، وتسوية الاذعان ، الى ان اندلع منذ ما يزيد على سبع سنوات ، ولأول مرة ، فى حرب مباشرة مازالت معنا وقد تبقى كذلك فى المستقبل المنظور .

ومن تطبيقاته أيضا التوتر مع تركيا التى درجت فى الخمسينيات ، على حشد قواتها على حدود سوريا كلما استعصت دمشق على ضغط الغرب ومطالبه ، والتى مازال يداعبها حلم مستنيم بضم شمال العراق ان واتتها الظروف .

وبالطبع ، فإن هذه المصادر الثلاثة ، على تمايزها ، وعلى تفاوت قدرتها على النشاط ، ليست منفصلة ، اذ يربط بينها سعى مستمر الى ادامة تبعية بلاد العرب لقوى خارجية .

كما انها ليست مقطوعة الصلة بالمصادر الداخلية لتهديد الأمن القومى العربى.

و المصادر الداخلية هى :

١ ـ منازعات الحدود ، اى المنازعات بين الدول العربية حول السيادة : على الأراضى . ومن تطبيقات هذا المصدر : الحرب الجزائرية ـ المغربية فى ١٩٦٤ ، مناوشات الحدود المتكررة بين شطرى اليمن ، توتر الحدود بين اليمن الشمالى والسعودية ، توتر الحدود بين دولتى الامارات وعمان ، النزاع الاخير بين قطر والبحرين على « فشت الدبل » ، النزاع الذى حاولت السودان فى عهد حكومة عبدالله خليل أثارته مع مصر حول السيادة على منطقة حلايب ، والنزاع الذى أوشك أن ينفجر فى السبعينيات بين مصر وليبيا حول السيادة على واحة جغبوب ، مايثار حاليا فى مصر حول مشروع « النهر العظيم » فى ليبيا . النزاع المغربى ـ الجزائرى . بالوكالة . على منطقة الصحراء . وهو من ذيول حرب

١٩٦٤ . هذا ، الى حالات حشد القوات على الحدود على النحو الذى تكرر بين سوريا والعراق وبين سوريا والأردن ، وبين ليبيا وتونس .

وليست غائبة عن الادراك صلة هذه المنازعات على الحدود بعمليات التقسيم الاستعمارية التى أنتجت الدول المستقلة فى المنطقة ورسمت حدودها .

٢ ـ توترات التغيرين الاجتماعى والسياسى : ولعل من ابرز تطبيقاتها ، حرب اليمن ، وانفصام الوحدة المصرية ـ السورية :

ففى حرب اليمن رأت السعودية تصدير الثورة الناصرية باستهدافاتها الاجتماعية والاستقلالية والقومية الى موقع على حدودها .

وكان انفصام الوحدة المصرية ـ السورية من وظائف تجاهل التفاوت فى التطور الاجتماعى الاقتصادى بين شطرى الدولة الموحدة . ولاخلاف الآن على ان عوامل الاطماع الخارجية لعبت دورا منشطا فى الحالتين .

٣ ـ المشاكل القومية والطائفية : ومن أمثلتها : المشكلة الكردية ، مشكلة جنوب السودان ، مشكلة البربر فى الجزائر ، وعلى مستوى اخر وأخطر : الحرب الاهلية اللبنانية .

ولاخلاف أيضا على أن قوى التهديد الخارجى ، المصدر الأول ، واسرائيل ، المصدر الثانى ، تلعبان دور المنشط فى هذه المشاكل .

إن اطارا يجمع هذه المصادر لتهديد الأمن القومى العربى ، والخارجية والداخلية ، ويدرك مساحات تداخلها ، كما يدرك مساحات تمايزها ، هو التصور التخطيطى العام للمفهوم المشترك لعوامل تعرض الأمن القومى العربى

فإذا حقن هذا التصور ، بتصور آخر لكيفية مواجهة ماتجب مواجهته منها وتحييد ما يمكن تحييده ، كان هذا اطارا لمفهوم مشترك للأمن القومى العربى .

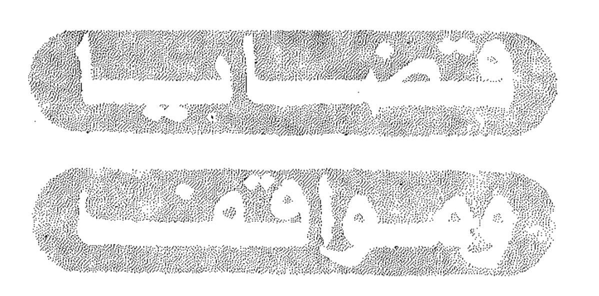
وعلى قاعدة منه يكون تحديد الاولويات ، ويكون تحديدا قاطعا وصارما ، لايتسع لوجهات النظر .

**هل يحاول هذا المقال طرح هذه المهمة على القمة العربية الآتية فى عمان ؟**

**ياليت !**

**لكن اجتماعات القمة مؤسسات سياسية ، مهمتها معالجة الراهن من الأمور ، فحتى عندما يندرج على جدول أعمالها : الصراع العربى الاسرائيلى ، تعالج منه المستجدات ، دون الأصول والثوابت ، مع افتراض ان هناك اتفاقا جامعا على هذه الأصول والثوابت .**

**إنما هذا المقال ، وجد فى مادار حول اجتماع هذه القمة الآتية من خلاف ، مناسبة كى يفتتح على صفحات « الهلال » نقاشا بين المعنيين من العرب ، حول هذا الضرورى المفقود : المفهوم المشترك للأمن القومى العربى .**




# من أجل حياة تعليمية سليمة

بقلم : د. محمد عبد الحميد عيسى

**تتواكب هذه الايام مع بداية عام دراسي جديد ، استعدت له الاسر المصرية ، كما يجرى العمل على قدم وساق فى كل مؤسسات الدولة المرتبطة بالعملية التعليمية ، وللعام الدراسى الجديد طابع خاص ، وصورة قلقة فى نفوس الكثيرين من المهتمين بمستقبل الوطن . فهو ياتى بعد عام دراسى انتهى بما يشبه الزلزال لما تكشفت فيه من مآس وفضائح حاولت اجهزة الدولة مخلصة معالجتها ، وهيأ الله لها وزيرا نعترف بشجاعته ومحاولته اعادة الامور الى نصابها ، كما صاحب ذلك حملة اعلامية ضخمة تبرز هذه المساوىء والعيوب ، وتناى بالاصلاح كما ان نتائج العام الدراسية كانت مؤشرا واضحا على تدنى المستوى التعليمى وتذبذبه .**

ولقد سكنت هذه الحملة الآن ، وهدأ كل شيء ، وانصرف المسئولون الى معالجة الآثار المتخلفة من العام الماضى . وأخشى ما أخشاه أن تعود تلك الضجة الى الظهور مرة ثانية فى نهاية العام وان تعود « ريمة الى عادتها القديمة » .

ولكى نقيم فى بلادنا نظاما تعليميا سليما ، وحتى لا نصرخ فقط فى نهاية العام علينا أن نبدأ فى هدوء فى دراسة الواقع التعليمى فى مدارسنا ، وفى معالجة مشاكلة

● د. محمد عبد الحميد عيسى ، أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد بكلية التربية ـ جامعة عين شمس .




المؤتمر القومي للتعليم .. [illegible] مجرد توصيات

واحدة واحدة حتى يضمن اقامة نظام تعليمي سليم .

ودون أن نهمل قرارات المؤتمر القومي للتعليم الذى واكبته ايضا حملة اعلامية ضخمة ثم انتهت - مثلما هو حالنا فى جميع المناسبات - والنتائج المتمخضة عن احداث العام الماضى ، فاننا يجب ان نعترف صراحة بتدنى المستوى التعليمى فى بلادنا الى حد ينذر بالخطر ، ويهدد بضياع اجيال كاملة قادمة ، ولا يحتاج الأمر الى كثير من الأدلة، وما نراه عند تصحيح أوراق اجابات طلابنا فى الجامعات لشىء يندى له الجبين خجلا ، من تدهور واضح فى المستوى العلمى واللغوى والاملائى ، كما أن أوضاع الخريجين فى كافة التخصصات لا تبشر بأى أمل ؟ .

والسبب الرئيسى فى ذلك يرجع الى النظام التعليمى ، والى التسيب السائد فى هذا النظام من البداية الى الجامعة التى لم تنج - للأسف الشديد - من الانحدار فى هوة التسيب وتدنى المستوى ، والاهتمام بالكم فقط ، ومنح الشهادات دون أن يكون لهذه الشهادات قيمة تذكر فى الدلالة على كفاءة حاملها .

اننا نسرف فى الحديث النظرى عن اعداد الأجيال ، وصنع الانسان ، ونتبارى فى ذلك الحديث متخصصين وغير متخصصين ونعقد المؤتمرات والندوات ، وننفق الأموال على مراكز الابحاث التربوية والدراسات العليا المنتشرة بوفرة على مختلف انحاء أرض مصر ، وفى نفس الوقت نشارك، بل ونسعى بجد الى هدم هذه الاجيال، وافساد صنعها وتركها خاوية على جذوعها ، وتركها دون علم أو وعى أو حتى مبادىء اخلاقية أو قيم جمالية، وذلك بتجاهلنا - أن لم يكن بمشاركتنا - للجرائم التى تحدث فى

مدارسنا وللفساد المستشرى فى نظامنا التعليمى .

هل يعقل أن يساهم المدرسون وأولياء الأمور والمسئولون في انتشار الغش في النظام التعليمي منذ بدايات المرحلة الابتدائية ، وحتى الجامعة ، وبعد ذلك نطالب بوجود جيل متعلم متمسك بقيم دينه وايمانه ؟

ان ظاهرة الغش فى النظام التعليمي ليست وقفا على مكان معين او مرحلة دراسية معينة ، بل هى - للأسف الشديد - قد تفشت كمرض سرطاني حتي لم يعد يجدى معها العلاج بالادوية والمسكنات ، ويحتاج الامر الى مشرط جراح ، ولكى نصل الى العلاج السليم علينا أن نحدد العوامل التى تسببت فى تردى الاوضاع ومن ثم يمكن لنا اتخاذ الاجراءات اللازمة لعلاجها وهذه العوامل هى :

اولا : قوانين وزارة التعليم التى سمحت بتكدس عشرات التلاميذ فى فصول ضيقة ، وفى نفس الوقت طالبت المعلم بأن تكون نتيجة نجاح طلابه اكثر من ٩٠٪ والا حرم من كثير من الامتيازات ، ودفع ذلك المعلم الى السعى لكى ينجح طلابه ، سواء كانوا يستحقون النجاح او لا يستحقون .

وشارك المدرس فى ذلك السعى المخرب كل المسئولين اعتبارا من ناظر المدرسة ، وانتهاء بوزير التعليم نفسه ، والذى جعل منصبه السياسى اهم بكثير جدا من الواقع التعليمى ، وسعى الى استرضاء أولياء الأمور عامة والشخصيات الاجتماعية خاصة وذلك باصداره قرارات ادارية تحدد نسبة أدنى يجب الا تتجاوزها ارقام الرسوب مهما كان المستوى وحتى فى الشهادات العامة . وكم سمعنا عن سمت النجاح قبل التصحيح وعن لجان الرأفه والمراجعة .. الى غير ذلك وتسربت العدوى الى الجامعات فعمد رؤساء الاقسام والعمداء الى تعديل نتائج تصحيح أعضاء هيئات التدريس ، ووضعت قواعد تسمح بانجاح طلاب لم يكن من حقهم النجاح ، وغيرت نسب النجاح الى أرقام غير واقعية دون النظر الى المستوى العلمى .

## ● ثانيا: مسئولية الوالدين

لعبت المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والأزمات التي يعاني منها مجتمعنا المصرى دورا هائلا فى تغيير القيم والمثل والمبادىء سواء على المستوى الجمعى أو الفردى ، حتى وصل الامر بالآباء والامهات .

المفترض فيهم القدوة والمثل الى المشاركة الفعلية فى عمليات الغش فى الامتحانات ، وعدم التحرج فى طرح ضمائرهم جانبا ، وسعيهم بكل همة - وبلا خجل - للحصول لابنائهم على مالا يستحقونه . ولقد ساهم نظام القبول فى المراحل التعليمية ، والتوزيع فى الجامعات القائم فقط على المجموع الكلى فى تبرير تصرفات هؤلاء الآباء فى حصولهم لابنائهم على درجات بحق أو بغير حق .

## ● ثالثا : نظام الحكم المحلى :

شارك المسئولون عن الحكم المحلى فى افساد الحياة التعليمية لاسباب شخصية بحتة ، اما لوجود أقرباء لهم فى المراحل التعليمية أو لارضاء المسئولين أو للحصول على شعبية مزيفة لدى أولياء الامور ، ضاربين عرض الحائط بالقيم والخلق وما يمليه الضمير والدين والاخلاق حتى وصل الامر فى بعض المحافظات التى تطلق

عليهما اسم « النائية » ان يقوم المحافظ بنفسه باستقبال لجان الثانوية العامة . وتكون درجة اكرامه لهم بقدر ما يتساهلون مع أبناء محافظته في الامتحان ، وأصبح هدف المسئولين في هذه المحافظات ارضاء الاهالي ، حتى ولو تخرج في الجامعات أطباء لا يعرفون الفرق بين مرض وآخر ومهندسون ينهار ما يبنونه قبل أن يتموا بناءه . ومدرسون جهلاء يناط بهم تنشئة الجيل الجديد .

● وثالثا : رجال الامن

ويقشعر البدن حين نستعرض دور رجال الامن في افساد الحياة التعليمية في بلادنا وذلك أنه من المفترض أنهم حماة القيم والاخلاق وأنهم القدوة والمثال لكنهم لاسباب شخصية وللرغبة في اثبات الذات أو للرغبة في استتباب الامور والبعد عن المشاكل نرى موقفهم أمام لجان الامتحان يتغير تماما . حيث يتحالفون مع غيرهم للمساعدة في الغش وانجاح الطلاب دون وجه حق ، وويل للمراقبين ذوى الضمائر الحية والرغبة في أداء واجبهم كما أمر الله ، حيث يجدون أنفسهم في العراء دون اى غطاء أمني بل وفي مواجهة عداء مكثف من قبل رجال الامن والمسئولين وأولياء الامور .

● والعلاج لذلك كله

لقد أسرفت صحافتنا في التنديد بالظاهرة هذه الايام مما كان له أثره الطيب في نفوس المحبين للاصلاح ، ومما أعطى بعض المؤشرات الهامة في نتائج العام الدراسي الماضي ، وأخشى ما أخشاه أن يكون ذلك فورة يعقبها سكون ثم يمضي كل شيء على ما كان عليه ، ومن ثم قد يصل الأمر الى ما لا يمكن تداركه . والمسألة تقتضي ما هو أهم من ذلك ، اذ كيف يتسنى لنا أن نعالج المشكلة معالجة جذرية دون خوف أو تردد مهما كان حجم الالم الذي سيشعر به الكثيرون ؟ في رأيي أن الامر يحتاج الى مجموعة من الحلقات لابد من تكاملها معا حتى تعطي نتائج ملموسة ومنها :

أولا : اصلاح النظام التعليمي ، بحيث يكون الهدف منه تقوية القدرات واكتساب المهارات ، دون التركيز على ملكتي الحفظ والتذكر ومن ثم ابتكار أنواع من الاختبارات التي تقيس التقدم عند طلاب وما اكتسبوه من خبرات وملكات عقلية وفكرية . تلك الامتحانات سوف تجعل من الصعب الغش او النقل وان لم تمنع ذلك كلية كذلك يجب التركيز ومنذ المراحل التعليمية الاولى على تقوية الجوانب الخلقية والروحية . وذلك باعطاء النموذج والقدوة وايجاد المجتمع المدرسي الصالح فعلا وعدم الاعتماد على حشو اذهان الطلاب نظريا بكلام لا يجد له في الواقع تجسيدا أو يجد عكسه في معظم الاحوال .

● كما يجب الا تكون الدرجات المكتسبة في الامتحانات هي العامل الاوحد في توجيه مصائر الطلاب بل يجب أن تكون هناك عوامل اخرى نفسية وصحية وعقلية تساعد في توجيه الدارسين نحو ميولهم واستعداداتهم الحقيقية .

● العمل على تغيير نظرة النظام التعليمي التي تتجه الى الجامعة باعتبارها الأمل الوحيد الذي تهفو اليه قلوب المتعلمين ، وتربية أبنائنا على أسس وقيم جديدة تقدر قيمة الفرد بما يعرفه ويجيده لا بما يحمله ويجيده لا بما يحمله من شهادات

● الغاء القوانين واللوائح التي تحتم نجاح نسبة معينة من طلاب المدارس والجامعات والعمل ما امكن على تحسين مستوى المدرسين المادي والعلمي حتى يمكنهم العمل في جو اجتماعي مناسب .

● ايجاد نظام يسمح بمثوبة المدرسين وعقابهم بناء على نتاجهم وجهدهم الفعلي لا على الارقام المزورة التي يقدمونها .

● ايجاد علاقة قوية بين الاباء والمعلمين ، واحياء مجالس الاباء ، وابراز روح التعاون بين المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية بغرض اعداد اجيال متعلمة حقيقة .

● منح مديري المدارس سلطة اتخاذ القرارات الحازمة ضد الطلاب الذين يسيئون الى مدرستهم بمحاولتهم الغش، وكذلك ضد المدرسين الذين لا يؤدون واجبهم كاملا .

ثانيا : المسئولية السياسية :

بما أنه لا يخفى على أحد مسئولية السلطات السياسية عن ذلك التسيب الواقع في نظامنا التعليمي بدءا من ملابسات تسرب الامتحانات العامة في الستينيات .. ولجان اليمن الشهيرة واللجان الخاصة وغيرها ، فانه مما لا شك فيه أن الاصلاح يجب أن يبدأ من هذه السلطات . ولن يستقيم الامر الا باتخاذ قرار سياسي حاسم وتوجيه واضح من رئيس الجمهورية الى المحافظين يحدد فيه صراحة عزل أي محافظ يقع غش في دائرة محافظته ، واعتبار ذلك مسئولية شخصية يجب أن يتحملها ويستعد لها .

● ثالثا : المسئولية التشريعية :

ومع كثرة التشريعات في بلدنا ،فان الضرورة تحتم اصدار تشريع بتجريم الغش في الامتحانات أو المساعدة عليه، وتشديد العقوبة على الطلاب وأولياء أمورهم ، وتزداد العقوبة كلما كان القائم بها من المسئولين سواء في نظام الحكم المحلي أو موظفي الدولة أو رجال الامن أو غيرهم من رجال المجتمع ، الى درجة المطالبة باعتبار الغش جريمة أخلاقية يجب أن تخلو منها صحيفة المواطن عند تقدمه للمناصب العامة التنفيذية منها أو الشعبية .

● رابعا : مسئولية رجال الامن :

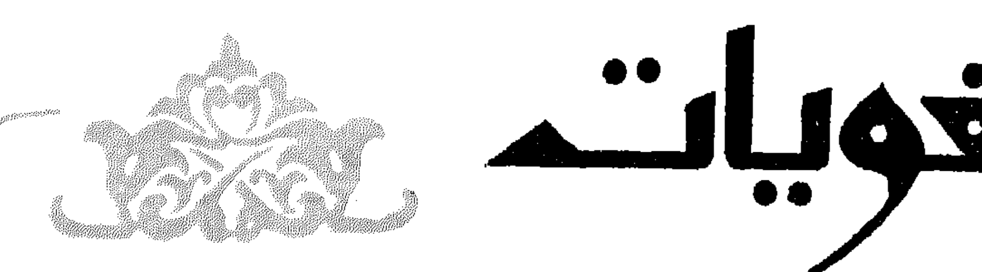
لابد أن تنهض وزارة الداخلية بدورها الحقيقي في حماية الامن ، واقرار القيم ، وأن تقف الى جانب المراقبين ولجان الامتحانات وذلك بحمايتهم من اعتداءات الطلاب وأولياء الامور وابعاد أولياء الامور والاهالي وغير المسئولين عن مقار لجان الامتحان، وتأمين وسائل حياة كريمة للجان الامتحان والمراقبين ، وتوقيع أقصى عقاب على من يسيء اليهم .

● خامسا : القرارات الادارية :

واقصد بها القرارات التي يجب أن تتخذها وزارة التعليم ضد موظفيها ومدرسيها الذين يساعدون في عمليات الغش ، ولا يتحلون بقيم المربين واخلاقهم، ويجب أن تكون هذه القرارات حاسمة ، وأقلها فصل أي مدرس أو اداري يساهم في افساد الحياة التعليمية ان لم يصل الامر الى السجن والمحاكمة باعتبار ذلك جريمة في حق الشعب المصري بكامله حاضره ومستقبله .

كما يجب أن تنص القرارات الادارية بحرمان أي طالب حرمانا نهائيا من مواصلة التعليم في حالة قيامه بالغش أو حرمانه على الاقل من المجانية التعليمية .

ان الامر شاق ومؤلم ، ولكن مستقبل الوطن في حاجة الى انقاذ والله الموفق والهادي الى سواء السبيل .



● نبدأ بتصحيح خطأ مطبعي وقع في لغويات الشـهر الماضي ، فقـد ذكرنابيت المتنبى الذى يقول فيه :

والقى الشرق منها فى ثيـابى دنانيرا تفـر من البنـــــان

وكلمة « دنانير » لا تنون لانهـا ممنوعة من الصرف - اى ممنـوعة لغويا وليست ممنوعة بصفتها عملة ذهبية - ولكن هذه الكلمة فى هـذا البيت تنون - ضرورة - لاقامة وزن الشعر هنا ، وقد لا تحتاج الى هـذه الضرورة فى وزن آخر .. ونأسف لان الخطأ المطبعي قد اسـقط الالف من « دنانيرا » فصارت « دنانير » فقـط وانكسر البيت ! .. وسامح الله من كان السبب في كسره ، ونقـول له : ان مالا يجوز فى النثر ، يجـوز فى الشعر ضرورة ! .. ونرجو الا يتكرر العدوان على اوزان الشعر مـرة اخرى ! ..

● « المتهم » فى جناية او جنحة - مثلا - يسميه بعض العامة « المتهوم » .. ويظن بعض المتأدبين ان كلمـة « المتهوم » غير فصيحة ، او غيـر عربية ، ولكنها عربية فصيحة !..

● اذا قلت : رأيت عـديدا من الناس ، فمعناه : رأيت عـددا من الناس ، لان « العديد » معنـاه « العدد » ويستعمل المتـأدبون الان كلمة « العديد » بمعنى « الكثيـر »وهو غير صحيح .. وانما العديد هو العدد كثيرا كان او قليـلا : قال المتبنى ، جامعا بين الكثير والعديد :

يقـدن الفناء غـداة اللقاء الى كل جيش كثير العـديد

و « كثير العديد » .. معنـاه :كثير العدد » .. وليس معناه «كثيرا لكثير » .. .. لان كثير الكثيـر لا معنى له ! ..

● يقولون : ارتطم فلان بالحائط. والصواب : اصطدم بالحـائط ، لان الارتطام يكون فى حفرة او نحـوها فيقال : ارتطم فلان بحفرة عميقة ، اى وقع فيها !

● يقول العامة : شاب صـغار - بضم الصاد - اى صغير ، وهذا القول صحيح فصيح .. وكذلك : كبـار - بضم الكاف - اى كبير .. العـامة تضم الكاف مع تشديد البـاء ، والصحيح فتح الباء بدون تشديد ..



# مصر وشخصيتها التاريخية

بقلم : مصطفى سبير

لايحتاج الباحث المدقق الذى يشغله قضية الهوية والشخصية المصرية ، سوى ان يعيد قراءة تاريخ مصر . وسيجده كتابا مفتوحا غنيا بالوقائع والدلالات ، ويجيب على كافة التساؤلات ، ولن يجد فيه زيف الازدواجيات التى تمتلىء بها الحياة الثقافية .

ولا محل لتلك المناقشة حول : هل مصر فرعونية أم عربية .. ؟!

وترى ان الحوار الدائر بين العروبة والإسلام ، لايزيد على كونه لغوا بلا معنى ، عندما يجد تاريخ مصر ، دوائر تتداخل ولاتتعارض .

وصفحة التاريخ المصرى ، مدونة ومسجلة ، وهو أول تاريخ عرفه الإنسان ، وضع أمام القارىء آلاف السنين التى تبدو بالأمس القريب ، بعد ان قدر لكل مراحل التاريخ أن تجد من يسطر احداثها ويسجلها ، ويكاد يندر فى تاريخ مصر الفجوات ، بما لايقارن مع تواريخ المجتمعات البشرية الأخرى .

كلما الحت عليّ فكرة تناول شخصية مصر التاريخية أستبعدها ، لما تحمله من شبهة التعصب الوطني ، وما يمكن أن تدفع إليه من كبرياء أجوف مما يتعارض مع مضمون حضارة مصر ورسالتها ، ولإيماني العميق بأن المجتمع المصرى مثل غيره من المجتمعات يقوم ببناء الحاضر والمستقبل ، لا على زهو الماضى وانما على جهد ابنائه ، وتسلحهم بالمعرفة والمهارة ، وصلابة ارادة الجماعة ، والتصميم على التقدم والانجاز ، وشيوع الايمان بالعدل وحقوق الانسان ، وبعدها يحتاج المجتمع الى عبر ودروس الماضى ، وعندها يتعدى دور التاريخ المتاحف والأماكن الأثرية ، الى سلوك الناس ، عندما يضيف الى عمل الانسان ايمانا عميقا بالمستقبل .

وشعرت بدقة الفكرة وصعوبتها ، وأن أولى الناس لانجاز هذه المهمة هم أساتذة التاريخ ، ولست متخصصا فى التاريخ ، وما أنا سوى قارىء لأحداثه .

وأدركت أن سبب ندرة هذه المؤلفات التى تجمع أطراف تاريخ مصر فى مراحله المختلفة ، تعود الى طبيعة المنهج الأكاديمى ، الذى يقوم على التخصص الدقيق ، وخلاله تتقطع أوصال التاريخ المصرى بين أيدى الدارسين الى مراحل وأطوار ، وتصبح مصر الاسلامية مقسمة الى مصر الطولونية ، ومصر الفاطمية ، ومصر المملوكية ، وهكذا .

وهذا بسبب كثرة المادة التاريخية وتنوعها وتداخلها مع غيرها مما يجعل الرؤية الشاملة بالغة الصعوبة ، ويغيب وسط أطنان المخطوطات وحدة التاريخ المصرى وفلسفته ، وترمى أية محاولة فى هذا الطريق ، بالبعد عن الدقة العلمية واقتحام دروب غير آمنة !

ولكن طال التاريخ فى مصر ماطال سواه ، من التشويه والسعى الى توظيفه للقعود والنكوص ، لا للصحوة والنهوض ، البعض بسوء قصد والبعض نتيجة القصور وتبنى أفكار الغرباء الذين تناولوا هذا التاريخ ، يحملون على اكتافهم معازكه القديمة ، ووجدنا المراحل التاريخية تخاصم بعضها بعضا ، فالمتخصص فى التاريخ الاسلامى يتجاهل تاريخ مصر القديم ، على اعتبار أن التاريخ الفرعونى منقطع الصلة بما جاء بعده ، وفى المقابل خرج علينا من ينظر الى تاريخ مصر الاسلامية على أنه مرحلة ركود وموات انتزعت الروح المصرية والشخصية المصرية !

ويحضرنى نموذجان :

● يقول أحد أساتذة التاريخ .. « عندما فتح العرب مصر عام ٦٤٠ م ، كانت مصر ولاية بيزنطية تحكم من القسطنطينية ، وعندما غزا الفرنسيون مصر عام ١٧٩٨ م وجدوها ولاية عثمانية تحكم من نفس القسطنطينية التى حملت اسما جديدا هو اسلامبول أو الأستانة ، ولم يكن حالها بأحسن من حالها عام ٦٤٠ م ، وكان البلد

خرابا ، وكأن أثنى عشر قرنا ضاعت سدى انقضت ونحن نيام بعيدون عن الوجود .. » !

وهى رؤية مضطربة لأحداث الماضى ، تتجاهل أن مصر كانت فى ذات الفترة التى وُصِفَت فيها بالخراب حاضرة العالم الاسلامى ، ومنارة علمه وفنونه ، وقلب الحضارة الاسلامية ، وتتجاهل دور مصر ورسالتها عندما دافعت عن المنطقة العربية وواجهت الغزاة من الصليبيين والمغول ، وأنها كانت قبل الفتح العثمانى مقرا للخلافة الاسلامية .

● ويؤكد أستاذ آخر على أن مصر لم تحكم بواحد من أبنائها منذ عصر الفراعين حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ، ويقول ... « أخضعها ـ أى مصر ـ الروم والعرب والديلم والفرغانيون والمغاربة والكرد ، وكل ما تجلبه أسواق النخاسة من أجناس الترك ، حكمها العثمانيون والفرنسيس والأرنؤود والبريطانيون ، وذاقت مصر حكم الأجنبى على كل لون تراه فوق خريطة أوروبا وآسيا ، لم ينقصها سوى حكم الهنود والصينيين واليابانيين وقد تكون الوحيدة من بلاد الله التى عانت خلق الله جميعا .. »

تزدحم هذه الكلمات بالمغالطات ، ولايتسع المجال الا لذكر بعض الملاحظات ، مثل أن نظرته لتاريخ مصر الاسلامية ، جاءت من خلال معيار حديث ، هو الفكر القومى الحديث ، الذى لم يكن سائدا فى المرحلة التاريخية التى يتحدث عنها ، ويرى من خلالها أن حكام مصر كانوا من الأجانب عنها ، متجاهلا أن المعيار الوحيد فى ذلك الزمان ، هو الايمان بالله ورسوله ، وإذا اعتمدنا ذات المعيار مثلا على بريطانيا ، لكانت تحكم حكما أجنبيا ، فالعائلة المالكة البريطانية ذات أصول المانية ..

ونتساءل .. اذا أخذنا بنظرته تلك ، فهل نعتبر صلاح الدين الأيوبى وهو كردى الأصل ، أجنبيا ، وفيما كان جهاده وانتصاراته اذن هل كانت دفاعا عن وطن الكرد ، أم عن وطن الاسلام .. ؟!

وبنفس المعيار ، كيف نقيّم معارك الظاهر بيبرس وهو المملوك المولود على ضفاف نهر الفولجا ، هل كان فى معاركه ضد الصليبيين والمغول ، يدافع عن بلاد القفجاق أم عن بلاد الاسلام ، بعد أن كفانا التراث والوجدان الشعبى مشقة التقييم فمجده كما لم يمجد حاكما سواه .

لهذا وجب علينا اعادة قراءة التاريخ ، بعين منصفة وفى سياقه الطبيعى ، وخاصة أنه كلما تزايدت المصاعب والتحديات التى تواجه مصر الحديثة ، كلما سعى البعض الى اخفاء جوهر الرسالة الحضارية للشعب على ضفاف النيل ، باعتبار الماضى تجربة انسانية ، ومرتكزا اخلاقيا ، وسجلا لأعمال المواطن وأفكاره ، عندها نتعلم من عبر التاريخ ، ونبتعد عن التفاخر والغطرسة الفارغة ، كما نبتعد عن النظرة الظالمة المتميزة .

**فهذا الماضى كفيل بأن يبعث فى الأمة صحوة جديدة ونهضة أصيلة . توضع عندها المشاكل اليومية فى حجمها الحقيقى ، ويمكن لنا أن نستشرف الغد ، وتتحول المعادلات وموازين القوى الجامدة ، الى معادلات يمكن تغييرها والفكاك من أسرها .**

## ● اقدم الحضارات

ولعل المدخل قد طال ، وحان الوقت لتحديد بعض ملامح التاريخ المصرى .

إن نظرة خاطفة على تلك الخريطة الملونة التى أعدها سير جون هامرتن فى كتابه تاريخ العالم ، والتى تقدم تاريخ حضارات العالم بألوان متعددة ، وميز الحضارة والتاريخ المصرى باللون الأزرق ، تلحظ أنه عند اللون الأزرق يبدأ التاريخ ، تاريخ مصر ويمتد الى ما قبل ٤ الاف سنة قبل الميلاد ، ويأتى بعده البابليون والحيثيون وكل من الهند والصين ..

أما بلاد مثل بريطانيا فلا يمتد تاريخها إلى أبعد من الفى عام ، وأسبانيا لايتجاوز تاريخها سوى الفين وخمسمائة عام .

وتكشف لوحة هامرتن أيضا عن أن التاريخ المصرى تاريخ متصل .

يذكر : « **إذا أخذنا بالتقدير الأقصر على أنه الأرجح ، كانت سنة ٣٤٠٠ ق . م هى بداية فجر التاريخ ، وكان فجر التاريخ المصرى ، السابق على أرض مابين النهرين ( البابليون ) . وهناك روايات يمكن اثباتها تمتد الى سنة ٣٥٠٠ ق . م ، وبهذا يكون تاريخ الانسان المتحضر قد بدا فى وادى النيل** » ،

● ويؤكد فى تعليقه على اللوحة .. « أن هناك شواهد تدل على أن الحياة الاجتماعية فى مصر كانت فى تاريخ غير معلوم يقع فى حدود عام ٤٠٠٠ ق . م الذى ترتقى فيه مصر وتتجه نحو اقامة دولة منظمة ، وأن أول امبراطوريات العالم قامت عام ١٥٨٠ ق . م عندما طردت مصر فئة حاكمة من الغزاة الأجانب ، بفضل عبقرية تحتمس الثالث » .

ويكاد البحث التاريخى يتفق على أن فجر البشرية كان فى مصر ، ويتناول « وول ديورانت » الفكرة فى كتابه « قصة الحضارة » بقوله :

« ولم يكن الشرق مسرحا لأقدم مدنية عرفها الانسان فحسب ، بل إن تلك المدنيات كونت الاساس والبطانة للثقافة اليونانية والرومانية التى ظن سير هنرى مين خطأ أنها المصدر الوحيد الذى استقى منه الفكر الحديث فما لنا من فلسفة ودين يرتد الى مصر والشرق .. »

وينتقل الى القول :

« فى هذه اللحظة التاريخية ، حيث تسرع السيادة الأوربية نحو الانهيار ، وحيث تنتعش اسيا مما يبعث فيها الحياة ، وعندما يبدو الاتجاه فى القرن العشرين وكأنما هو صراع شامل بين الشرق والغرب .

فى هذه اللحظة نرى أن التعصب المقيت الذى ساد كتاباتنا للتاريخ ، والذى يبدأ كتابة التاريخ من اليونان ، ويكتفى بتلخيص الشرق كله فى سطر واحد ، لم

يعد يحرر غلطة علمية ، بل ربما اخفاقا ذريعا فى تصوير الوقائع ونقصا فادحا فى ذكائنا .. »

ثم يتساءل .. كيف يتاح لعقل غربى أن يفهم الشرق ؟ فالعمر بأسره لايكفى طالبا غربيا ليدمج نفسه فى روح الشرق الدقيقة اللمحات ، وفى تراثه الذى يكتنفه الغموض .

فى القصر ماتبدو حياة اليونان او روما بالقياس الى السجل الحافل فى حياة مصر ، فاليونانيون قد اخذوا فنون عمارتهم من هذا الشعب المبدع المبتكر .

وتتوالى الشهادات :

● فيشير موريه فى كتابه « النيل والحضارة المصرية » .. « ماضى المصريين هو أطول الاحقاب التى يسجلها تاريخ البشرية ، فمصر وحدها هى التى تقدم لمن يدرسها تاريخا يمتد من العصر الحجرى القديم حتى العهد المسيحى ، فاذا لم ندخل فى حسابنا سوى الحقبة التى تلت العمل بالتقويم ، فإن امامنا اربعة الاف سنة من حضارة تركت اثارها المدونة .. »

● ويذكر بريستيد فى كتابه « فجر الضمير » ، وفيه يرى أن تاريخ مصر ليس الاقدم فحسب ، بل اول حضارة ، تتوصل الى فكرة الضمير كقيمة فلسفية وأخلاقية ، يقول : « إذا نظرنا الى أرض وادى النيل ، منبت أول انسان أدرك قوة المثل الاخلاقية ، تلك المثل التى قلبت الصفحة الكبرى فى تاريخ الانسان ، تذكرنا ان حكماء المصريين كانوا أول الناس إدراكا لمعنى الشخصية والأخلاق وصدق الاحساس » .

## ● التدوين والتسجيل

وتأتى العلامة الثانية التى لم تنل حظها من الاهتمام رغم أهميتها البالغة ، وهى أن تاريخ مصر من اكثر تواريخ البشرية تدوينا وتسجيلا ، ولم توجد مرحلة تاريخية مهمة لم يرافقها مؤرخ يسجل وقائعها ..

فمصر امة صنعت التاريخ ، وعاشت عمرها فى احداثه ، وهى إما صانعة حضارة او محافظة عليها ، تقدمها لمن يتعاقب عليها من الأجيال .

فكان في مصر منذ عهد الأسرة الأولى سجل بوقائع كل عام ، وبما بلغه النيل من ارتفاع ، وحفظ التاريخ الاف السنين ، واصبحت بفضل التدوين كتابا يمكن ان تقرأ خلال صفحاته رسالتها وطبيعة شخصيتها ، ومغزى احداثها .

وتتواصل ظاهرة رصيد الماضى وتدوينه ، كدليل على الحس التاريخى لشعب مصر ، فالتاريخ ظاهرة فارقة بين التحضر والهمجية ، فغير المتحضر لايعرف حتى اباءه ، يشغله ويملك عليه

نفسه احتياجاته الآنية ، ولايمتد بصره الى مابعد حاجاته الضرورية ..

واذا كان تاريخ الفراعنة قد سجل على المعابد وأوراق البردى ، فيكاد لايجد مرحلة تاريخية لم يظهر فيها مؤرخ يدون أحداثها ووقائعها ، منذ هيرودوت ومينتون المصرى .. وحتى عبدالرحمن الجبرتى ..

سجل لنا ( أبو التاريخ ) هيرودوت فى كتابه التاسع ، الذى كتبه حول مصر ، بعد زيارتها فى القرن الخامس قبل الميلاد ، دون حملة قمبيز على مصر الذى ابتلعته رمالها ، وعالج مصر وكأنها الكنز الحافظ لحضارة الانسان ، وهى عنده أم الفنون والعلوم والدين ونظم الحكم ، ووصف اثارها منذ عصور موغلة فى القدم ، وتحدث عن طبيعة أرضها ونيلها وعادات أهلها ومظاهر حياتهم وأصل سكانها ، ونقل ماعرفه عن حياة ملوكها .

وبدأ كتابه بالقول .. « إن حديثه عن مصر سيطول نظرا لكثرة ماتحمله ارضها من عجائب المخلوقات ، ومن البدائع والروائع وسائر الفنون والصناعات .. »

وقام فى ذات الفترة مؤرخ مصرى سجل حياتها وهو منتون .

وبقى التاريخ محفوظا ، يجهل بعض جوانبه حتى أصحابه ، الى أن اكتشف شامبليون حجر رشيد ، فى رحلة علمية جسورة تسلحت بالادراك والخيال ، قادت الى سر اللغة الهيروغليفية ومعرفة ابجديتها ، فأزاح الستار عن فجر التاريخ الانسانى ، وقاد المؤرخين الى ينابيع لاتنضب من المعرفة التاريخية ، ومهد الطريق الى عالم التاريخ المصرى الرحيب .

## ● مصر المسيحية

وتمر الأيام ، وتمضى العصور ، ويدون الرهبان تاريخ مصر المسيحية فى مدوناتهم وينقل شفيق غربال عن مؤرخ مصر المسيحية « كارنا سك » قوله : « أن المسيحية قد لاءمت فى مصر بين خصائصها والخصائص الأساسية للدين المصرى القديم ، لمدى اوسع مما شهدناه فى اى بلد أخر ، فأن كان أكثر المصريين قد أصبحوا عند منتصف القرن الرابع مسيحيين ، فمرجع ذلك إلى أنهم خلقوا لأنفسهم دينا قوميا من المسيحية ، بأن لقموا هذه الديانة ببقايا معتقداتهم القديمة وآمالها .. » ويضيف ..

« واقامت مصر المسيحية كنيسة قومية ، وخلقت فنا جديدا وأداة لغوية جديدة ، ودونت تاريخها وسجلته ، وأصبحت الحضارة المصرية ذلك المزيج الفذ ، المسيحية المصرية ، وعندما ظهرت المسيحية دان لها الحكام البيزنطيون - حكام مصر فى ذلك الزمان - وبقى الحكام أجانب يسعون الى فرض مذهب دينى مغاير ، وقاوم وانتصر المصريون ، فاحتفظوا بشخصيتهم ، وأقاموا صروح الفن واللغة » .

ومصر لا روما ولاأثينا كانت مصدر التشريع الكنسى للعالم المسيحى ، وابتدعت مصر نظام الرهبنة الذى انتشر منها فى أنحاء العالم .

وما من بلد اثر في انتشار المسيحية كما فعلت مصر .

## ● مؤرخو مصر الاسلامية

وبدخول مصر الاسلام ، اتسع الافق المصرى ، وامتد الى محيط دار الاسلام ، وظهر الانتماء الأوسع ، الى منطقة أرحب ، وتحرر الانسان من العبودية لغير الله الخالق .

وبرزت ظاهرة التدوين فى مصر الاسلامية ، وسبب ذلك انها اقرب المراحل التاريخية للزمن الراهن أو لعله نتيجة رسوخ التدوين فى أرضها ، ويؤكد الدكتور كامل حسين فى كتابه « أدب مصر الاسلامية » ... « من اقدم المحفوظات العربية التى تضمها كافة المكتبات والمتاحف العالمية ، تلك التى كتبت فى مصر على ورق البردى .. »

وقائمة من أرخوا لمصر الاسلامية قائمة طويلة ، تكاد تسجل حياة مصر الاسلامية بكل تفاصيلها الحية ، وتضم هذه القائمة كلا من ابن عبدالحكم ، والكندى ، وابن زولاق ، والمسبحى ، والقضاعى ، والمقريزى ، وابن تغرى بردى ، والسخاوى ، وابن اياس ، والجبرتى .

ولايكاد يفوت أحدهم واقعة تاريخية أو حدث جلل ، الا وسجلها وكشف مكنونها ، ورصد نتائجها ، فى تتابع يثير الدهشة ، وشمل تسجيلهم كل شيء ، فمثلا يقدم الكندى سجلا وافيا عن قضاة مصر ويسجل ابن زولاق انهيار الحكم الطولونى وقيام الدولة الاخشيدية ، ويؤرخ لانتقال مصر من الخلافة العباسية الى الخلافة الفاطمية ، ويكتب المسبحى سيرة الحاكم بامر الله ، وبعدها ياتى مؤرخو مصر المملوكية ، ويسجل وقائعها كتاب موسوعيون هم النويرى والعمرى والقلقشندى .

ويقوم كل من المقريزى وابن تغرى بردى والسخاوى وابن اياس ، بتدوين تاريخ مصر الاجتماعى ، يمزجون فيه بين اخبار العامة والدهماء مع سير الملوك والحكام ، وتظفر من خلالهم بتاريخ القرن التاسع الهجرى ، فى صورة حية متصلة ، تحكيه المشاهدة وترك لنا ابن اياس المشاهد الدامية لخضوع مصر للعثمانيين ، ثم ياتى عبدالرحمن الجبرتى راصدا الحملة الفرنسية واعمالها ، وبداية عصر محمد على ..

وتقف هذه الأعمال التاريخية الضخمة لتشكل منهلا لكل باحث شغوف بتاريخ مصر ، وقد قدم الكاتب الكبير عبدالله عنان اعمالهم فى كتاب مهم هو ، « مؤرخو مصر الاسلامية » ، ولاحظ الكاتب الكبير فى هذه الأعمال قدرة مصر الخلاقة على التفاعل مع من حولها مع الاحتفاظ بخصوصيتها . فقد

عني مؤرخو مصر الاسلامية بتدوين تاريخ مصر قبل غيره .

ويقول المقريزى فى مقدمة كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » :

« كانت مصر هى مسقط راسى ، وملعب اترابى ، ومجمع ناسى ، ومغنى عشيرتى وحاميتى ، وموطن خاصتى وعامتى ، وجؤجوى الذى ربى جناحى فى وكره ، وعش ماربى ، فلا تهوى الأنفس غير ذكره ، لازلت مذ شذوت العلم واتانى ربى الفطانة والفهم ، ارغب فى معرفة اخبارها ، واحب الاشراف على الاغتراف من ابارها ، واهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها .. »

وتظهر عاطفة ابن اياس الفياضة فى وصفه لمحنة سقوط مصر فى يد العثمانيين فى أواخر القرن التاسع الهجرى ، ويصور بقلمه هزيمة جيش مصر بقوله : « اشيع خبر الكائنة العظيمة التى لمت وعمت وزلزلت .. وزال ملك الأشرف الغورى فى لمح البصر ، فكانه لم يكن ... وقام نعى السلطان فى ذلك اليوم ونعى الامراء والاعيان الذين قتلوا ، وصار فى كل حارة وزقاق وشارع من القاهرة صراخ وبكاء .. ورجت القاهرة ، وضجت الناس ، واضطربت الأحوال ... وانقض الغزاة البرابرة على القاهرة كالضوارى المفترسة ، فاوقعوا فى سكانها السفك الذريع ، وامعنوا فى الآمنين قتلا وهتكا ونهبا ، ودامت المذبحة الهائلة اياما اربعة .. » وهى .. « المصيبة العظمى التى لم يسمع بمثلها فيما تقدم من الزمان ، وكانت الجثث فى الطرقات من باب زويلة الى الرميلة .... » .

ويحكى بكلمات دامية اعدام السلطان بقوله ..

« صرخت الناس عليه صرخة عظيمة ، وكثر عليه الحزن والأسف ، فكان شجاعا بطلا تصدى لقتال ابن عثمان وقتل منهم ما لا يحصى ، ووقع منه فى الحرب امور لم تقع من الأبطال العناترة ..

لهفى على سلطان مصر كيف
قد ولى وزال كانه لم يذكرا

## ● التغير والاستمرار

إن هذا العرض يؤكد أن تاريخ مصر وحدة متكاملة ، ورواية متصلة ذات فصول ، بطلها الشعب المصرى ، وتاريخها المدون يؤكد على مذاقها الخاص وخصوصية تاريخها ، ويمكن ملاحظة الوحدة الكامنة وراء كل مراحلها التاريخية ، ودورها الحضارى الفريد ، فلا تصدق على حضارة صفة الاستمرار كما تصدق على تاريخ مصر .

ويؤكد ذلك عباس العقاد فى مقدمة كتابه عن سعد زغلول ، « إن المصريين امة لها تاريخ قديم متصل ، والاخبار عنها متصلة ، وذاكرة الشعوب باخبارها مشغولة ، العالم القديم والعالم الحديث كليهما ، ومصر امة توارثت العقائد والمأثورات جيلا بعد جيل ، وأصبح لها من بعض تلك العقائد تراث تصونه وتحافظ عليه » .

مصر
وشخصيتها التاريخية

وكانت قوة هذه الحضارة تتلخص فى قدرتها الدائمة على التفاعل مع ما حولها ، وفى التناغم الدائم بين مراحلها التاريخية المتعاقبة ، وهى على حد قول الدكتور جمال حمدان ، فرعونية بالجد ، ولكنها عربية بالاب .

وهى توشك ان تكون مركزا مشتركا لثلاث دوائر مختلفة ، فهى قلب العالم العربى ، وواسطة العالم الاسلامى ، وحجر الزاوية فى العالم الافريقى ، وهى لاتجمع بين الأضداد ، ولكنها تجمع بين اطراف متعددة وجوانب خصبة تجعلها أمة وسطا .. » وهى بجسمها النحيل تبدو مخلوقا اقل من قوى ، ولكنها برسالتها التاريخية تحمل راسا اكثر من ضخم .. » .

وعالج قضية الاستمرار فى التاريخ المصرى عالمان كبيران ، شفيق غربال فى كتابه « تكوين مصر » . الذى يعتمد على خلفيته التاريخية ، والدكتور جمال حمدان فى كتابه « شخصية مصر » ، والذى يعتمد على الجغرافية الواسعة .

ويتحدث شفيق غربال عن خصوصية تاريخ مصر بقوله .. « عندما نبحث عن مصر خلال كل العصور ، مصر التى تسمو فوق هامات الحقب والعصور ، نلاحظ أن التفاعل بين الاستمرار والتغيير هو مادة التاريخ ، فما يبدو فى التاريخ مستمرا لايخلو أبدا من تغير خفى دقيق ، وما من انقلاب مهما كان فجائيا ومهما كان عنيفا استطاع ان يقطع صلة الاستمرار بين الماضى والحاضر » ويضيف .. « الشخصية المصرية قابلة للتأثر والتأثير فيما تتصل به ، وبقيت لها خصائصها عندما اتصلت بشعوب العهد القديم وباليونانية والرومانية ، وقد حان الوقت لأن ننفذ الى صميم النفس المصرية من خلال فنها وأدبها وعاداتها ، ومن الناس من يرى اهمال تلك الأيام ، ويلحقها بقصص الاستعمار ، مما يفرض على الكتاب واجب أن يصلوا بين أطوار حضارة مصر .. » ، « والذاتية المصرية اكثر الوجوه استجابة لأثر البيئة الجغرافية ، فنلاحظ أن تطور مصر الاسلامية يجرى على نسق خاص بها ، يبين أن هذا الاتجاه كان فى الوقت نفسه سريع التأثر بمبادىء الاسلام وبالحركات الاسلامية ، فتاريخ مصر سار وفق خطوط تختلف اختلافا بينا عما سار عليه تاريخ العراق أو تاريخ المغرب » .

ويجيب تاريخ مصر على العديد من التساؤلات المعاصرة ، فالتاريخ هو لسان الجغرافيا والتعبير الصادق عن البيئة والموقع ، ومن يبحث مثلا على اسس أمن مصر، فسيجدها من وقائع التاريخ التى تؤكد .. أن طريق الشرق هو اتجاه الغزو على مر الأيام .

واخيرا .. هل لكل هذا التاريخ المدون والمتصل من مغزى ، سوى مغزى واحد ، هو أن هذا المجتمع الذى يعيش على ضفاف النيل ، قدر له ان يلعب دورا حضاريا فى حياة البشر ، وبناء الحضارة .

فإذا اقعدته الظروف بعض الوقت ، فسرعان ما يقوم ويكمل رسالته .

في ذكرى المولد النبوي

# هل اخذنا امرة الارض اغتصابا ؟

بقلم : أحمد حسين الطماوي

**بين حين واخر يرسل المذياع الى اذاننا قصيدة نبوية من نظم احمد شوقي وغناء السيدة ام كلثوم من ابياتها المادحة للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم .**

**وعلمنا بناء المجد حتى : اخذنا امرة الارض اغتصابا**
**وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا**
**وما استعصى على قوم منال اذا الاقدام كان لهم ركابا**

البيتان الاخيران منفصلان عن البيت الاول . جيدان ، ويمثلان حكمة عالية ، والمعنى المتضمن يرهج العواطف ، ويصقل النفوس ، ويذكى الروح ، ويمكن أن يقالا عن اى شعب مجاهد فى سبيل تحقيق عزته وتاكيدها بعد طول اذلال وهوان . ولكن ترتيبهما بعد البيت الاول يؤكد معنى خطيرا يتنزه عنه الاسلام ، ويبطله تاريخه العريق ،ذلك ان البيت الاول يشير الى أن مجد الاسلام استند الى اغتصاب البلاد التى اعتنقت الاسلام عنوة وقهرا ، وهذا المعنى يعرج عنه لبطلانه ، ويمترى فيه لتفاهة برهانه ، هذا فضلا عن أن انتساب كلام من هذا القبيل لأحد شعراء الاسلام يعد أكبر تأييد لرأى بعض المستشرقين الذين يزعمون باطلا أن الاسلام انتصر بالسيف ، وانتشر بالمعراك بين أقوام يرفضون أصوله . واغتصب الارض ليؤثل عليها مجدا .

ان تاريخ صدر الاسلام ليس خافيا على أحد ، فهو مسطور فى دواوين التاريخ ، ومن ينظر فيه يجد تكذيبا لكل من يفترى عليه وعلى رسوله الامين وخلفائه الراشدين الفاتحين ، ومن دروس الاسلام التى تدحض فرية الاغتصاب والقهر ما جاء فى « فتوح البلدان » للبلاذرى عندما بعث النبى ( ص ) محيصة بن مسعود الانصارى الى أهل فدك يدعوهم الى الاسلام ورئيسهم يومئذ يوشع بن نون اليهودى، فصالحوا الرسول ( ص ) على نصف الارض بتربتها فقبل ذلك ، لانه لم يرجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب» . اما ماآل الى المسلمين من خيرات فدك فقد انفقه الرسول ( ص ) على أبناء السبيل ، ونتساءل أين الاغتصاب فى هذه الواقعة ؟

لم يكن الاسلام يقهر الناس أو يغتصب الاهل والارض والممتلكات ،

# هل أخذنا أمة الأرض غصباً؟

وانما كان يحمى تلك البلاد ويؤمنهـا ويرعاها ، فقد جاء فى كتـاب النبى ( ص ) الى أهل نجران : « لنجـران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وغيرهم » الى آخره . ولم يأل الاسلام جهدا فى رعاية أهل الذمة ، وكان الرسول (ص) يستوصى الفاتحين خيـرا بقبط مصر وله فى ذلك أحاديث ترددها كتب السيرة النبوية ، وأسفار الحديث الشريف .

وتمدنا سجلات التاريخ الاسـلامى بأخبار الذين دخلوا الاسلام بارادتهـم الحرة ، فقد أسلم أهل تبالة وجرس من غير قتال فى عهد الرسول ، ويذكـر الواقدى فى « فتوح الاسلام » أن أبا موسى أقام على اصطخر الى أن فتحها « صلحا » أما أهل مرو فقد أرسـلوا الى عبد الله بن عامر فصالحوه، وكان بعض الملوك يطلبون الامـان من قواد العرب المسلمين مثل كنازا ملك طوس ، والاسوار ملك نيسـابور ، وذادوية ملك الفارياب ، وأثران ملك بلخ .

## الدعوة لا القوة

فلم يعلمنا الرسول الكريم أو أحـد الخلفاء الاربعة أن نغتصب أراضى الغير ونبنى عليها مجدا ، ولكن الاقرب الى الصواب « أن الاسلام انتشر بالـدعوة لا بالقوة » كما يبرهن على ذلك « اقبال » فى كتابه « دعوة الاسلام » .

واذا كان العرب قد فتحوا البلـدان المجاورة لهم فذلك بهدف نشر دين الله، وليس بهدف السيادة والاغتصاب، ومما قاله عمرو بن العاص لأبى مريم جاثليق مصر عندما دخلها « نحن ندعوكم الى الاسلام فمن أجابنا اليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية ، وبذلنا له المنعة » على حد ما جاء فى « تاريخ الطبرى » . فنشر أصول الاسلام هى غاية الفتوح الاسلامية، وهناك البلدان العديدة التى لم يفتحها المسـلمون ، وسادت فيها شعائر الاسلام مثل غرب افريقيا وأندونيسيا وغيرها .

أما الصدام بين المسلمين وغيرهـم فقد جرى عندما قاوم أهـل الشرك والوثنية كلمة الله ودعوة نبيه بالحرب والضرب ، وانبرى المسلمون لهم وذادوا عن دينهم وأنفسهم بنفس الوسـيلة « والله غالب على أمـره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

ولم يكن دأب القواد المسلمين فرض الدين وجمع المال ، وانما كـانت رسالتهم نشر الدعوة بالسماحة واللين ذلك أن العقيدة لا تدخل القلوب بالقهر والغلبة ، ومما يصلح أن يكون مثـالا على ذلك ما جرى عند فتح الاسكندرية سنة ٢١ هـ ، فقد أسر عمرو بن العاص عددا كبيرا من المصريين ، فأرسـل اليه صاحب الاسكندرية كتابا يطلب فيه اطلاق السبايا مقابل جزية يدفعهـا . فكتب عمرو الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره بما عرضه عليه صاحب الاسكندرية ، وجاء رد عمر شـافيا كافيا فرأى أن يخير السـبايا بين الاسلام ودين قومهم ، فمن اختار منهم الاسلام فهو من المسلمين له مالهـم ، وعليه ما عليهم ، ومن اختار دين قومه وضعت عليه الجزية ، فأخبر عمرو بن العاص صاحب الاسكندرية بفحوى رد أمير المؤمنين .

وهذا المثل يوضح الى أى مدى كان الاسلام سمحا لينا لا يأخذ النـاس بالقوة ، وانما يرغبهم فيه بالدعوة .

## البلاد المفتوحة ترحب بالاسلام

وتخبـرنا كتب التاريخ الموثوق

بسحتها أن أبناء البلاد المفتوحة رحبوا بالمسلمين ووقفوا الى جانبهم عندما أدركوا أن انصاف الاسلام واصل اليهم، وعدالته حاكمة فيهم ، وحرية العقيدة مكفولة لهم، بعد معاناة طويلة وشديدة من عسف الفرس وخسف الرومان ،فلا جرم أن ساعدت قبيلة الجراجمة ( المسيحية ) المسلمين فى قتالهم ضد الرومان فى بلدان الشام ، وليس غريبا أن يسد أهل حمص طرق مدينتهم فى وجه هرقل وجيشه ، ويعرضوا على الفاتحين من المسلمين بلدهم ليشرق عليها نور الاسلام ، وليس هذا فحسب وانما الفينا أسقف دمشق يفتح بابها الشرقى للمسلمين « فصارت دمشق كلها صلحا » وسايره فى هذا بطريق بيت المقدس الذى سلم المدينة للعرب .

ويمكن أن يقال مثل هذا الكلام على قبط مصر الذين سامهم الرومان صنوف الاضطهاد ، وعلى أهل فارس حيث كان نفوذ كهنة الزرادشتيه خطيرا فى الحياة الاجتماعية .

وكان دور الاسلام فى تلك البلدان هو رد الحقوق المغتصبة ، وتحرير الناس من ظلم حكامهم .

وعندما استتب الامر للمسلمين وانتشر العدل ، ومنحت الحريات ، واستقامت احكام الشريعة السمحاء ، دخل معظم أبناء تلك البلاد المفتوحة فى دين الله أفواجا ، بل ان العرب المسلمين عندما أخذوا فى تنظيم دولتهم، وانشأوا الدواوين المختلفة تبعا لذلك، أخذ كثير من الذميين وغيرهم فى ترك لغتهم الاصلية ، وتعلموا العربية التى تمكنهم من التوظف والعمل فى دوائر الحكم ودواوين الدولة . وانه لا يمكن التصور بأن العربى المسلم قد لوى السنة أهالى الامصار المفتوحة لتعلم لغته واستخدامها فى حياته العامة والخاصة .

وقد لقى الاسلام انصافا عند غير المتعصبين من الأوربيين،فشهدوا بمدى تسامح المسلمين مع أهالى الاقطار التى دخلها الدين الحنيف ، وقدر الترحيب الذى لقيه الفاتحون الجدد ، فقال بلاسكو ابانيز عن دخول العرب الى اسبانيا : « ان القرى الاسبانية أسلمتهم أزمتها بغير مقاومة ولا عداء » ويقرر توماس ارنولد بأن «الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس الى الاسلام بعيدة عن التصديق»

فهذه شهادات للاسلام بسماحته من غير المسلمين .

لقد كان مجد المسلمين الحقيقى هو نشر الدعوة واعلاء كلمة الدين ،وليس امتلاك الارض أو اغتصابها .

والواقع الماثل ــ بعيدا عن التفلسف والتعصب ــ يؤكد أن المسلمين لم يغتصبوا شيئا ، فالأقوام فى البلاد المفتوحة هم أقوامها ، والأرض لم تنتقل من مكانها ، كل ما حدث أن عقيدة السكان تغيرت من الشرك الى التوحيد، ومن الوثن الى الاله المقتدر ، وبقى كل شيء فى موضعه ، والآن تحكم الشعوب الاسلامية نفسها بنفسها فى أرضها ، فاذا كان هناك من أخذ ، فماذا أخذ ؟

وعلى هذا فان شوقيا قد خانه التوفيق ، فى التفكير والتعبير ، وواقع الامر أن المسلمين لم يأخذوا أسرة بالقوة بل بالدعوة ، وأخذوا الدنيا بالسماحة وليس بالغلبة ، ولم يركبوا الاقدام فقط الى البلاد المفتوحة وانما استخدموا الاقناع والبرهان ، ونال المسلمون ما نالوا بالجهاد المشروع وليس بالاغتصاب المكروه ، وأقاموا العدالة المستمدة من الشريعة ، فانتشر الاسلام ، وساد السلام « وأشرقت الأرض بنور ربها » .

# سرّ تقدم غير المسلمين!
# متى.. ولماذا تخلفنا حضاريًا؟

بقلم: د. محمد عمارة

لم يتبدل « الإسلام ـ الدين » ولم تضعف حصيلة المسلمين من فقه أسراره ومراميه .. بل لعل التقدم الذى أحرزته علوم الشريعة والعلوم الطبيعية يكون قد أتاح للخلف من أسرار الإسلام ومراميه مالم يتح للأسلاف ...

فلماذا تقدم « السلف » .. وتخلف « الخلف » ؟ .. حتى صرنا الى مانحن عليه ، ووجدنا أنفسنا ـ وغيرنا ـ مدفوعين الى الخوض فى الحديث عن ضرورة اليقظة الاسلامية التى تخرج الأمة من السبات والنوم ؟ .. والصحوة التى تنقذها من السكرة ؟ .. والنهضة التى تغادر بها الركود .. والتقدم الذى يعتقها من التخلف ؟ .. والتجديد الذى يخرج بها من الجمود ؟ .. والاجتهاد الذى يعصمها من التقليد ؟ .. والارتقاء الذى يرفع عنها عار الانحطاط ؟ .. والتواصل الحضارى الذى يجدد الخيوط التى وهنت ، ويبعث الحياة فى قنوات الاتصال بين حياة المسلمين ودينهم الحنيف ؟؟؟ ..

لقد زادت معرفتنا بالاسلام .. وزادت كشوف المسلمين لثروات أوطانهم المادية .. وبلغ تعدادهم المليار .. وهم أكثر أهل الأرض زيادة في معدل التوالد الجديد ؟! .. فلماذا تقدم السلف ؟ .. ولماذا تخلف الخلف ؟ ..

سؤال طرحه العقل المسلم منذ القرن الثامن عشر الميلادى .. وأضاف اليه ، منذ الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة ، السؤال عن : سر تقدم غير المسلمين ؟؟ ..

وإذا كانت إجابات هذا السؤال قد تعددت بتعدد مذاهب الذين طرقوا مباحث هذا الميدان فإننى اعتقد أن رصد التحويلات الواقعية التى أحالت تقدمنا تخلفا ، عبر مسيرتنا التاريخية ، هو أقوم السبل لحسم النزاع بين المجيبين على هذا السؤال ! ..

* * *

لقد ذهب الصحابى سعد بن هشام بن عامر ، رضى الله عنه ، إلى أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنها ، سائلا .. فقال :

ـ « يا أم المؤمنين ، أنبئينى عن خُلُق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم »

ـ فقالت : ألست تقرأ القرآن ؟!

ـ قال : بلى !

ـ قالت : فإن خُلُق نبى الله كان القرآن » !

هنا ، كان القرآن قد تحول ، عبر الذين فقهوه ، الى طاقة حية ، تقيم فى الواقع بناء حضاريا تتجسد فيه روح القرآن ! .. ولم يقف الأمر عند الحفظ والترتيل للآيات ، بل ولا الفقه للمرامى والأغراض ؟! ..

وعندما ساوم الباطل ـ ممثلا فى مشركى قريش ـ الحق ـ ممثلا فى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ـ بالترغيب والترهيب ، كانت قولته المشعة المدوية : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته .. » !

ولقد صبغت هذه المقولة تلك المرحلة ، فكان شعار جيلها الفريد : « احرص على الموت توهب لك الحياة » ! .. فكان الذى بهر الدنيا .. المستضعفون يقوضون عروش الأكاسرة والقياصرة ، ويحيون موات المواريث الحضارية القديمة ، ويفتحون فى ثمانين عاما ما لم يفتح الرومان ـ سادة الفتح فى التاريخ ـ فى ثمانية قرون .. ويبدعون أعظم وأنبل الحضارات التى شهدها تاريخ الانسان ..

فلماذا .. ومتى .. وكيف حدث الانقلاب ؟ .. وماهى المسيرة التى سلكتها الأمة إلى حيث تحققت فيها النبوءة السياسية والحضارية التى نبه عليها رسولها ، صلى الله عليه وسلم ، محذرا ، عندما قال : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها ! .. »

فقال سامعوه : « يارسول الله ، أمن قلة بنا يومئذ ؟ ! »

قال : « أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم

# سر تقدم غير المسلمين!
# متى .. ولماذا تخلفنا حضاريا؟

المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ! »

فسأل سامعوه : « وما الوهن ، يارسول الله ؟ »

قال : « حب الدنيا وكراهية الموت ! »

لماذا ؟ .. ومتى ؟ وكيف حدث الانقلاب الحضارى ، حتى تحققت « النبوءة ـ المحذرة » لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. فغدى المسلمون غرباء فى ديارهم ، أسرى لأعدائهم ، تستبد بهم وبمقدراتهم التحديات المعادية والمنهالة على عالم الاسلام من كل الملل والقوميات ـ ومن الحضارة الغربية وقواها العدوانية على وجه الخصوص ـ ؟! ..

لنمسك الخيط من بدايته .. ولنتابع المسيرة الحضارية ، راصدين أسباب التراجع ومظاهره ، لنضع أيدينا وعقولنا على سبل اليقظة التى هى الغاية من وراء هذه الصفحات .

## ● استبداد الأكاسرة

لقد كانت قيادة الشرق ، فى صراعه التاريخى ضد الغرب ، للدولة الفارسية .. نهضت بهذه المهمة ، ومارست هذا الدور ، ناجحة حينا ومخفقة أحيانا ، لعدة قرون ( ٤٩٠ ق ٠ م ـ ٦٢٧ م ) ؟! ..

لكن هذه الدولة الفارسية قد بلغت بها أمراضها المستعصية ـ من النظام الاقطاعى الظالم .. إلى الطبقية الثابتة المغلقة .. إلى استبداد أكاسرتها باسم التفويض الإلهى ـ بلغت بها هذه الأمراض حدا جعل كفة الغرب الاغريقى ترجح فى هذا الصراع ، فكانت الهيمنة الاغريقية الغربية على عالم الشرق منذ حقق الاسكندر الأكبر ( ٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق .م ) انتصاره الحاسم على الفرس سنة ٣٣١ ق ٠ م .. ومنذ ذلك التاريخ :

● رزحت الشام ومصر وبلاد الشمال الأفريقى تحت الحكم الاغريقى فالرومانى فالبيزنطى ..

● وظل العراق تحت الهيمنة الفارسية ..

● وتبادل الفرس والأحباش السيطرة على اليمن وجنوبى شبه الجزيرة العربية ..

● وكاد وسط شبه الجزيرة العربية أن يسقط ، فيتم احتواء كل الشرق نهائيا ، فى غزو الحبشة لمكة عام الفيل سنة ٥٧١ م .. عام ولادة الرسول محمد ابن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام ؟! ..

لكن ظهور الاسلام قد جاء إيذانا بتغير صورة هذا الواقع البائس ، وتبدل اتجاه التاريخ العالمى ...

● ففى عام البعثة المحمدية ، ومع تباشير الوحى برسالة الاسلام ، تحقق للعرب أول انتصار على الفرس فى « يوم ذى قار » ؟! ..

● وبالتوحيد الدينى توحدت الهوية القومية والحضارية للعرب ، فبنوا دولتهم العربية الاسلامية ، التى رفعت رايات الوحدة على شبه الجزيرة كلها للمرة الأولى فى التاريخ .
● وانطلقت شعوب المنطقة ـ حتى الذين ظلوا على عقائدهم الدينية القديمة ـ خلف العرب المسلمين فى موجة الفتوحات العربية الاسلامية ، كالاعصار التحريرى ، فاقتلعوا الهيمنة الغربية البيزنطية التى رسف الشرق فى أغلالها لأكثر من عشرة قرون ؟ ! ..
● وانجزت هذه الفتوحات وحدة الشرق ، تحت قيادة الأمة العربية ، وواصلت الدولة العربية الاسلامية المهمة التى عجز عنها الفرس .. مهمة قيادة الشرق فى صراعه التاريخى ضد أطماع الغرب واستعماره ..

## ● انتصارات الجهاد الاسلامى

لكن الغرب لم يستسلم لهذا المصير ، فظلت الجبهة « الاسلامية البيزنطية » مشتعلة بوقائع الغزو والجهاد ..
والذين يراقبون حركة « الخط البيانى » لأحداث جبهة الصراع « الاسلامية ـ البيزنطية » ، يلحظون العلاقة العضوية بين « وحدة الأمة الاسلامية » و « وحدة دولتها العربية الاسلامية » وبين توالى انتصارات الجهاد الاسلامى على خط هذه الجبهة .. فإذا ضعفت وحدة الأمة وأهتزت وحدة الدولة مالت الكفة على جبهة التحديات الخارجية لصالح الأعداء .. أى أن العوامل الداخلية والخارجية قد ارتبطت دائما وأبدا فى الصعود والهبوط .. فى القوة والضعف .. فى الانتصار والهزيمة فكان تاريخ « الواقع » الشاهد الأعظم على صدق « المناهج والنظريات » التى تعلمنا صدق هذه المقولة فى شئون الأمم عبر كل الحضارات وفي كل مراحل التاريخ .. فالعلاقة عضوية ، والعروة وثقى بين العوامل الداخلية والخارجية فى صراعات هذه الأمة ، وفيما حققت من تقدم وما أصاب مسيرتها الحضارية من نكسات .
فاشتداد مخاطر التحديات الخارجية فتح الباب للاهتمام بـ « الدولة » أكثر من « الأمة » والتركيز على « القوة » على حساب « العدل » فتغير النهج الاسلامى ، تدريجيا ، منذ تأسيس الدولة الأموية ( ٤١هـ ـ ٦٦١ م ) فشابت « الشورى » سلبيات « الملك العضود » ، وأصبحت الأموال دُولة بين الأغنياء ، بعد أن كانت نهرا أعظم والناس شربهم فيه سواء ؟! .. الأمر الذى فجر ، على أرض الواقع الداخلى سلاسل من « الثورات » و « الانتفاضات » و « الأزمات » .. عالجتها الدولة بالمزيد من « الأدواء » فلقد واجهت التمزق الداخلى بتنمية « القوة » بدلا من إشاعة « العدل » و « الشورى » ، حتى جاء الوقت الذى تضخمت فيه هذه « القوة » الضاربة ـ وكانت قد أصبحت غريبة عن الروح الحضارى للأمة ـ فتم « الانقلاب » الذى قاد النهضة إلى التراجع والجمود ؟! ..
لقد كانت وحدة الأمة الاختيارية هى المصدر الطبيعى لقوة « الدولة » .. وعندما كان التمزق يصيب وحدة « الأمة » كان الوهن يتسرب إلى قوة « الدولة » فتميل الكفة ـ إعمالا لقانون ارتباط العوامل الداخلية بالخارجية ـ تميل الكفة لصالح الأعداء على جبهة الغزو والجهاد ..
● ففى ( ٧٠ هـ ـ ٦٨٩ م ) انقسمت الأمة فى الصراع بين عبد الملك بن مروان ( ٢٦ ـ ٨٦ هـ ـ ٦٤٦ ـ ٧٠٥ م ) وعبد الله بن الزبير ( ١ ـ ٧٣ هـ ـ ٦٢٢ ـ ٦٩٣ م ) فبلغت « الدولة »

من الضعف الحد الذى اضطرها إلى مهادنة الروم البيزنطيين لقاء « جزية » نعم « جزية ، هكذا سماها المؤرخون ؟! مقدارها الف دينار يدفعها خليفة المسلمين عبد الملك بن مروان الى ملك الروم « كل جمعة » ؟! ..

● فلما عادت إلى « الأمة » وحدتها ، وإلى « الدولة » قوتها ، بعد تصفية ثورة ابن الزبير ودولته ، طويت هذه الصفحة من صفحات كتاب العلاقة مع الروم ، واستأنف المسلمون الغزو والجهاد فى سنة ( ٧٦ هـ ٦٩٥ م ) وانتظم هذا الغزو والجهاد ، تقريبا ، كل عام ! ..

● فلما جاءت ( سنة ٨١هـ ٧٠٠ م ) وحدثت ثورة عبد الرحمن بن الاشعث ( ٨٥ هـ ـ ٧٠٤ م ) كان التمزق والضعف .. فتوقف الغزو والجهاد فى ذلك العام ؟! ..

● وإبان تزايد حدة الثورات التى أشعلها الخوارج والعباسيون ، تفرقت « الأمة » وانخرطت جموعها وقواها خلف أعلام الثوار .. فضعفت « الدولة الأموية » .. فتوقف الغزو والجهاد طوال فترة ضعف الدولة الأموية ، وفى مرحلة التأسيس وعدم الاستقرار ـ بسبب الثورات ايضا ـ للدولة العباسية .. بل لقد مالت الكفة لصالح الروم ، فشرعوا فى غزو ديار الاسلام ، وانتزع ملكهم قسطنطين ( ٧٤١ ـ ٧٧٥ م ) مدينة « ملطية » عنوة ، وهدم سورها فى ( ١٣٨ هـ ٧٥٥ م ) ؟!

● فلما عادت الوحدة « للأمة » والقوة « للدولة » العباسية الجديدة ، تغير ميزان القوى ، فعاودت الدولة غزوها وجهادها .. واستردت مدينة « ملطية » ( ١٤٠ هـ ـ ٧٥٧ م )

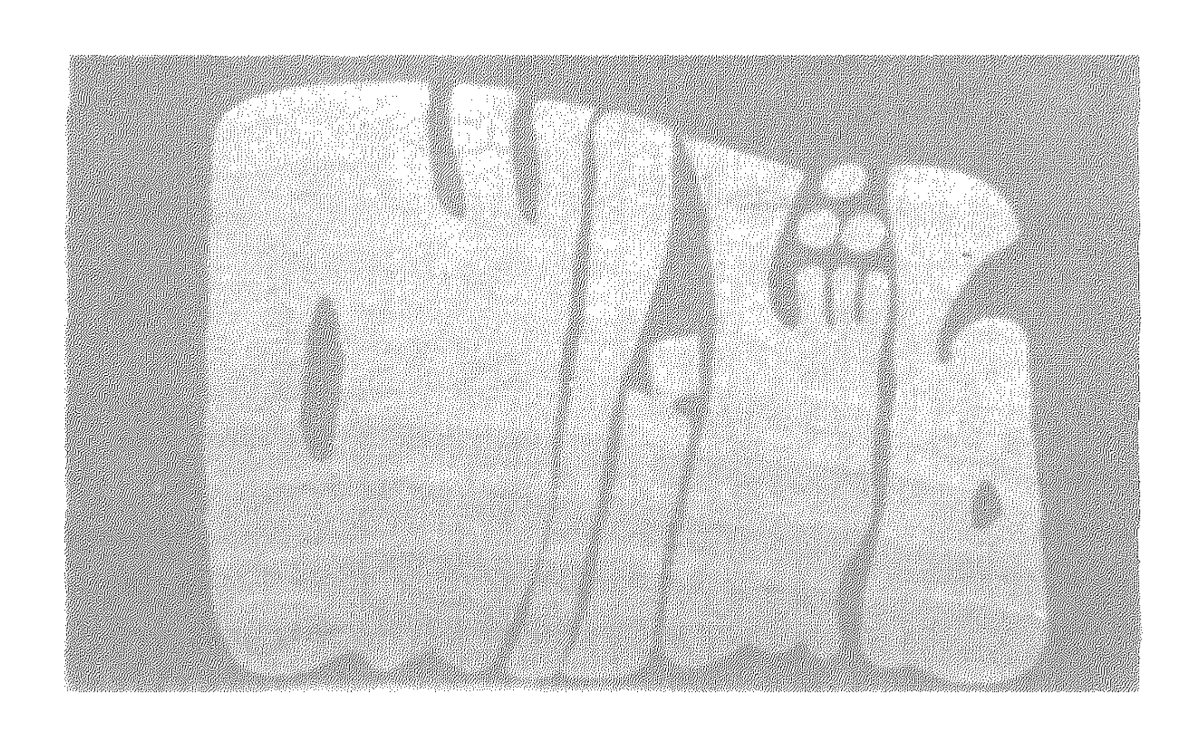
● وفى عهد هارون الرشيد ( ١٤٩ ـ ١٩٣ هـ ٧٦٦ ـ ٨٠٩ م ) تصاعد الخط البيانى للغزو والجهاد .. حتى إذا حدثت فتنة الأمين ( ١٧٠ ـ ١٩٨هـ ـ ٧٨٧هـ ـ ٨١٣ م ) والمأمون ( ١٧٠ ـ ٢١٨ هـ ٧٨٦ ـ ٨٣٣ م ) تراجع هذا الخط ، فغابت من سنوات تلك المحنة ظاهرة الغزو والجهاد ؟ !..

وفى القرن الثالث الهجرى برزت على خريطة الواقع الاسلامى عدة عوامل وظواهر ذات دلالة بالغة فى موضوع هذا الحديث ..

● فثورات الخوارج وهباتهم وانتفاضاتهم قد تواصلت دون انقطاع ..

● والعلويون ، الذين نافسوا العباسيين على « السلطة » و « الدولة» توالت ثوراتهم تحت قيادات « زيدية » فكانت لهم فى ذلك القرن الثالث الهجرى ثورات : فى الكوفة ( ٢٤٢ هـ ٨٥٦ م ) وطبرستان ( ٢٥٠ هـ ٨٦٤ م ) والرى ( ٢٥٠ هـ ٨٦٤ م ) وقزوين ( ٢٥٠ هـ ٨٦٤ م ) والكوفة ( ٢٥٠ هـ ٨٦٤ م ) وثورة الزنج الكبرى فى العراق وفارس ( ٢٤٩ هـ ٨٦٣ م ) ..

● والشعوبية ، التى احترفت الكيد لكل ماهو عربى ، والتى لم تتبدد أحلامها فى أحياء المواريث المجوسية الفارسية القديمة ، واصلت هى الأخرى الكيد لوحدة الأمة ولقوة الدولة ..



ولم يتوقف نشاطها بنكبة الرشيد للبرامكة ( ١٨٨ هـ ٨٠٣ م ) .. بل لقد استثمروا هذه النكبة ، عاطفيا ، فى الكيد للعروبة ودولتها وللاسلام ووحدة أمته ..

● وغير الثورات المذهبية والفكرية ، تفجرت فى الكثير من ولايات الدولة انتفاضات محلية ، لأسباب اقتصادية أو أجتماعية أو عرقية أوقبلية .. وذلك من أمثال ماحدث فى مصر ( ٢١٣هـ ٨٢٨ م ) و ( ٢١٤ هـ ٨٢٩ م ) و ( ٢١٥ هـ ٨٣٠ م ) و ( ٢١٦ هـ ٨٣١ م ) وماحدث فى فارس ( ٢٢٠ هـ ٨٣٥ م ) وماحدث فى طبرستان ( ٢٢٤ هـ ٨٣٩ م ) وماحدث فى البحرين ( ٢٨٦ هـ ٨٩٩ م )

● وغير هذه الثورات .. والمكائد .. والتمردات ، شهد هذا القرن ، والذى تلاه عددا من الأزمات الداخلية ، ذات الطابع الفكرى ، أضعفت وحدة الأمة ، فسرى الضعف إلى الدولة والخلافة على نحو مهد السبل لعوامل التراجع والجمود والاضمحلال ..

ففى سنوات ( ٢١٢ ـ ٢١٩ هـ ٨٢٧ ـ ٨٣٤ م ) حدثت المحنة التى اشتهرت بمحنة « خلق القرآن » عندما استخدمت الدولة قوتها فى فرض لون من ألوان الفكر على رافضيه ، فكان ماكان من انقسامات فى صفوف العامة والخاصة على حد سواء ...

وفى ( سنة ٢٣٦ هـ سنة ٨٥٠ م ) شرع المتوكل العباسى ( ٢٠٦ ـ ٢٤٧ هـ ٨٢١ ـ ٨٦١ م ) فى اضطهاد الشيعة والمعتزلة والعلويين .. وتصاعد هذا الاضطهاد فى عهد القادر بالله ( ٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ ٩٩١ ـ ١٠٣١ م ) فصدر ماعرف بـ « الاعتقاد القادرى » الذى حرم فكر المعتزلة وأهل العدل والتوحيد ، بما يشبه المراسيم الكنسية ، الغريبة عن روح الاسلام ؟!

● وفى خضم هذه الثورات .. والمكائد .. والتمردات .. والازمات .. وبتأثيراتها ، كان ضعف الدولة المركزية . فظهرت حركة استقلال العديد من الولايات ، وخصوصا فى الأطراف .. فاستقلت الدولة الطولونية ( ٢٥٤ هـ ٨٦٨ م ) والبويهية ( ٣٣٤ هـ ٩٤٥ م ) والغزنوية ( ٣٩٠ هـ ٩٩٩ م ) ـ وكانت السلطة فيها جميعا أعجمية ـ تركية وديلمية ـ ؟؟ وذلك فضلا عن المغرب .. والأندلس ..

## سر تقدم غير المسلمين!
## متى.. ولماذا تخلفنا حضاريا؟

تلك كانت أبرز التحديات التى واجهت الدولة الاسلامية فى القرن الثالث الهجرى ... فماذا صنعت هذه الدولة إزاء هذه التحديات ؟! ..

لقد سبقت إشارتنا إلى أن الدولة قد عالجت هذه « الأدواء » بـ « الداء » الذى زادها حدة وتفاقما .. فأغلب هذه الانشقاقات والأزمات قد جاء ثمرة لضمور « العدل » و « الشورى » فى مناهج الحكم وغاياته ووسائله ، لحساب تركيز السلطة والثروة بيد « الدولة » وانصارها وعصبيتها ، ظنا منها أن ذلك هو المعين على مواجهة التحديات الخارجية بكفاءة واقتدار... لكن هذا الطريق فى معالجة التحديات قد زادها عددا واستفحالا ، على النحو الذى أشرنا إلى أبرز معالمه فيما تقدم من سطور ...

والبعض ـ ممن يحترف منهج « التبرير » فى كتابة التاريخ ـ يرى أن « الدولة » لم يكن امامها خيار آخر فى معالجة ومواجهة هذه التحديات .. فلا يفل الحديد إلا الحديد ؟ ! ..

لكننا ننبه إلى أن النهج الاسلامى ، بل والتاريخ الاسلامى ، قد عرف ، بل ومارس ، خيارا آخر فى مواجهة مثل هذه التحديات .. فخامس الراشدين عمر بن عبد العزيز ( ٦١ ـ ١٠١هـ ـ ٦٨١ ـ ٧٤٣ م ) عند حمل أمانة خلافة المسلمين ، واجهته تحديات مماثلة ، بل ربما أشد .. فعلى جبهة « العدل » وجد ثروة الأمة ، التى تركها النبى صلى الله عليه وسلم والشيخان « نهرا أعظم ، والناس شربهم فيه سواء » وجدها قد حيزت من قبل العصبية الأموية ، وغدت دولة بين الأغنياء ... فجعل رسالته الخالدة : رد المظالم الى أهلها ، بادئا بنفسه وأهله وأمراء بنى أمية وبطانة الدولة فعامة الناس ! ..

وعلى جبهة « الشورى » وجد أن فلسفة الحكم قد تنكبت طريقها ، وغدت « الخلافة » ملكا وراثيا عضودا .. فعزم على إعادة الأمر شورى بين المسلمين ـ وإن يكن أعداؤه لم يمكنوه من تحقيق عزمه هذا ، عندما دسوا له السم فمات ؟!... وعلى جبهة « وحدة الأمة » واجهته ثورات الخوارج والعلويين وأهل العدل والتوحيد... فحصن الثغرات فى جدار وحدة الأمة بالعدل والسلام العام وعقد الهدنة مع الجيوش الثائرة والجموع المتمردة ، واستبدل الحوار بالسيف ! ... إلى آخر ماصنع رضى الله عنه من معالم النهج الاسلامى الأمثل فى معالجة الازمات التى تمر بالدول والمجتمعات .

صحيح أن الذين خلفوه كانوا ثورة مضادة على هذا النهج الاسلامى ... لكن ماصنعه عمر بن عبد العزيز شاهد على أن للاسلام نهجا متميزا فى معالجة الأمراض والتحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ... وليس صحيحا مايقوله محترفو « التبرير » ، من أن الدولة العباسية لم يكن أمامها خيار آخر غير المزيد من « القوة » وتركيز السلطة و « عسكرة المجتمع » لمواجهة هذه التحديات لكن الذى حدث قد حدث ! ..

فلقد أقدم الخليفة العباسى المعتصم ( ٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ ـ ٨٣٣ ـ ٨٤٢ م ) ـ كى يواجه التحديات التى أشرنا اليها ـ على ذلك « الخطأ القاتل » عندما استجلب الترك المماليك ، وأقام

لهم مدينة « سامراء » معسكرا ، وجعلهم مركز الثقل فى القوة العسكرية الضاربة لدولة الخلافة .. فهنا ، وللمرة الأولى فى تاريخ الدولة الاسلامية أصبحت القوة الضاربة للدولة غريبة عن روح حضارتها ، فليست لهم عروبة الأمة والدولة والحضارة .. وليست لهم عقلانية الاسلام ، لأنهم لم يحصلوا منه ، بعد شهادة التوحيد ، إلا أشكالا ورموزا لاتغنى عن جوهر هذا الدين ؟ ! ..

وزاد الطين بلة ، أن الدولة ـ كى تواجه حدة التحديات ـ زادت هذه المؤسسة العسكرية عدة وعتادا ، فتغيرت موازين القوة بينها وبين « الخلافة ـ الدولة » ، فبعد أن كان المظنون والمبتغى أن يكون العسكر المماليك أداة طيعة بيد الخلافة ، لعدم ارتباطهم بأطراف الصراع الداخلى فى الدولة ، غدت الخلافة لعبة فى يد أمراء الأجناد الترك وقادة المماليك .. و « سامراء » التى بنيت معسكرا لهؤلاء العسكر ، تابعا للعاصمة « بغداد » غدت ـ فى سنة ٢٢١ هـ ـ ٨٣٦ م العاصمة التى تتبعها « بغداد » ؟! .. وكان مقتل الخليفة المتوكل ، بيد قادة الجند المماليك بداية هذا التحول الجذرى فى مسيرتنا الحضارية ، فدخل ازدهارنا الحضارى ، عبر مراحل طويلة ، ومن خلال دروب متعرجة ، وبمصاحبة صحوات عدة ، ومقاومات باسلة ـ كما هو شأن التطور الحضارى ، صعودا وهبوطا ـ دخل ازدهارنا الحضارى ، منذ ذلك التاريخ نحو الهبوط والتراجع والانكسار ..

لقد قضى الأمر .. و « تعسكرت » الدولة « الاسلامية ، وحدث أنفصام حضارى بين « السلطة والدولة » وبين « الأمة وحضارتها » .. وأصبحت مقاليد الأمر والنهى والحل والعقد بيد رجال من مثل : « وصيف » و « بغا » و « كيغلغ » و « ياجور » و « بايكباك » و « بكلبا » و « أصغجون » ... الخ ... الخ .. ؟! ..

## ● السيف .. والقوة

وغدت الخلافة وأصبح الخليفة لعبة فى أيديهم ، يولونه ويعزلونه ، ويسجنونه ويقدمون له السم فلا يملك إلا أن يتناوله ليموت ؟! .. ولقد اجاد الشاعر الذى شهد ذلك الواقع عندما وصف حال الخليفة المستعين بالله « ٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ ـ ٨٦٢ ـ ٨٦٦ م ) مع قائدى الجند المماليك « وصيف » و « بغا » فصور الواقع الذى بلغته الخلافة والخليفة فقال :

خليفة فى قفص ⁂ بين وصيف وبغا
يقول ماقالا له ⁂ كما يقول الببغا ؟!

وعندما انتهت حياة الخليفة المستعين بالله مقتولا بيد هؤلاء الجند الترك المماليك ، قال البحترى ( ٢٠٦ ـ ٢٨٤ هـ ـ ٨٢١ ـ ٨٩٨ م ) :

لله در عصابة تركية ⁂ ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد ⁂ وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا ، فأصبح ملكنا متقسما ⁂ وإمامنا فيه شبيه الضيف ؟!

لقد تعسكرت الدولة بهذه « العصابة التركية » .. وغدا « السيف ـ القوة » هو السيد الموهوب فى كل الأمور .. ولم تنجح « القوة » فى رأب الصدع ومداواة الجراح ومواجهة التحديات .. بل تفاقمت الأمور و « أصبح ملكنا متقسما » على حد تعبير البحترى ـ .. أما الخليفة ـ الامام ـ أمير المؤمنين ـ فلقد أصبح ـ إلى جانب هذه « العصابة المملوكية » ـ « شبيه الضيف » فى الدولة التى هو خليفة عليها ؟! ..

ولم يقف الأمر عند « عسكرة الدولة » . بل لقد امتدت تأثيرات هذه « العسكرة » الى المجتمع ، فأحدثت وأقامت أكثر العوامل السلبية التى فعلت فعلها فى التخلف والتراجع والجمود لحضارتنا العربية الاسلامية ..

لكن ... قبل الحديث عن تأثيرات « العسكرة » على « الحضارة » ومظاهرها فى ميدان التراجع الحضارى ... علينا أن نسأل : لماذا اختار المعتصم العباسى أن تكون « القوة » الضاربة غريبة عن أجناس الأمة ؟ .. ومن الترك بالذات ؟ .. ولماذا لم يلجأ ـ كخليفة عربى إلى العرب ، يستعين بهم على مواجهة التحديات التى تواجه الدولة العربية الاسلامية ، كما صنع من قبل ، عمر بن عبد العزيز عندما جدد جهاز الدولة واحدث فيه ما أحدث من تغييرات بلغت حد الثورة بواسطة عناصر وقوى وبدائل من ذات الأمة ، وليس من خارجها .. ولامن الغرباء عن روح حضارتها ؟؟ ..

إن البعض يبسط الاجابة على هذا السؤال تبسيطا مخلا ، عندما يرجع اختيار المعتصم للترك المماليك بسبب من جنسية أمه ، التى كانت جارية تركية ؟! .. لكننا نعتقد أن هذا الخليفة ، الذى كان كالمأمون ( ١٧٠ ـ ٢١٨ هـ ٧٨٦ ـ ٨٣٣ م ) والواثق ( ٢٢٣ ـ ٢٢٨ هـ ٨٤٢ ـ ٨٤٧ م ) منحازا الى فكرية التيار العقلانى ـ المعتزلة ، أهل العدل والتوحيد ـ وواعيا بمخاطر الشعوبية والتيار الشعوبى على وحدة الدولة ، لم يكن بالمعادى للجنس العربى ، ولابالزاهد فى الاستعانة بالعرب ، ليكونوا « القوة الضاربة » التى تواجه بها الدولة ما فرض عليها من تحديات .. أما لماذا لم يلجأ المعتصم الى « العرب » واستجلب بدلا منهم « الترك ـ المماليك » فأن مرجع ذلك ـ فى اعتقادنا ـ إلى أسباب ، فى مقدمتها :

١ ـ أن التيار العلوى ، المناهض للعباسيين والساعى لانتزاع الدولة منهم ، كان قد استقطب العنصر العربى الى دعوته وثوراته ، وذلك بسبب من الدور الملحوظ للعنصر الفارسى فى قيام الدولة العباسية .. فلقد أصبح هوى العرب مع آل البيت ، والعلويين منهم على وجه الخصوص ..

٢ ـ وهو الأهم ـ أن العنصر العربى كانت قد استوعبته عوامل الترف والرفاهية ، فلم يعد مؤهلا ليكون « القوة ـ الخشنة ـ الضاربة » القادرة على مواجهة ماتواجه الدولة من تحديات ..أو على الأقل لم يكن ذلك بالأمر السهل فى التهيئة والاعداد .. فبدلا من أن تبذل الدولة جهدها فى تهيئة العرب كى يكونوا قوتها الضاربة ـ وهى لاتطمئن اليهم ، لأنهم طرف فى الصراعات القائمة ـ لجأت الى عنصر غريب ـ « الترك ـ المماليك » ـ ظنا منها أنهم لغربتهم عن أطراف الصراع سيكونون أداة خالصة للطاعة وكاملة الولاء للخلافة والدولة العباسية ..

إذن هو « الترف » و « الرفاهية » اللذان أعجزا العرب عن حماية الدولة والحضارة التى بنوها بثورة الاسلام وعقلانية القرآن وخشونة الجند الفاتحين ! ..

ونحن عندما نتأمل صنيع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ( ٤٠ق . هـ ٢٣ هـ ٥٨٤ ـ ٦٤٤ م ) فى هذا الميدان نجد شواهد الصدق على هذا الذى نقول .. لقد كان عمر بن الخطاب

حريصا على أن يحفظ لهذه الدولة وأمتها وحضارتها قوتها العربية الضاربة ، شديد الوعى لمخاطر الترف والرفاهية - التى عرفها العرب بعد الفتوحات - على خشونة الجند العربى واهليته للقتال والجهاد ... فكان يمصر الأمصار الخاصة بالجند فى البلاد اتى يفتحونها ، حتى لايندمجوا فى الحياة المدنية المترفة فى تلك البلاد فيفقدوا خصائص الجند الذين صاغت خشونتهم طبيعة البلاد التى نشأوا فيها .. بل وكان يحرص على تميزهم فى الزى عن أهل البلاد المفتوحة .. وبلغ به هذا الحرص الى الحد الذى نهاهم فيه عن الزواج من نساء تلك البلاد ، وهن كتابيات أحل الاسلام الزواج بهن ، فلم يقل عمر إنه « حرام » لكنه نبه على « مضاره » الاجتماعية والعسكرية على الجند الذين أرادهم قوة ضاربة تحمى الدولة وتصد عنها القائم والآتى من التحديات ..

كان عمر يصنع ذلك بالذين خرجوا إلى مواطن الترف فاتحين .. أما من بقى فى شبه الجزيرة من أشراف قريش ورءوس الصحابة ، فلقد كان واعيا بمخاطر خروجهم الى مواطن الترف وانغماسهم فى حياة الرفاهية ... ولنتأمل فى ذلك عبارة الطبرى ( ٢٢٤ - ٣١٠ هـ ٨٣٩ - ٩٢٣ م ) التى تقول : « إن عمر بن الخطاب كان قد حجر على أعلام قريش ، من المهاجرين ، الخروج فى البلدان إلا بإذن وأجل ؟! .. فلما ولى عثمان لم يأخذهم بالذى كان عمر يأخذهم به ، فخرجوا الى البلاد ، فلما نزلوها ورأوا الدنيا ! ورآهم الناس ، فانقطع اليهم الناس .. وتقربوا اليهم ، وقالوا : يملكون فيكون لنا فى ملكهم حظوة ؟! فكان ذلك أول وهن على الاسلام ، وأول فتنة كانت فى العامة !!

ولنتأمل أكثر وأكثر وصف الطبرى لهذا التحول ، تحول جند الدولة وقوتها العربية الضاربة ، من خشونة الجند البعيدين عن الترف والرفاهية ، إلى نعومة الحياة المدنية المترفة ، وصفه لهذا التحول بقوله : « فكان ذلك أول وهن على الاسلام » ؟!

ثم .. لنتأمل ، أيضا حديث ابن خلدون ( ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م ) عن طور انتقال الدولة من « العمران » الى « الترف والرفاهية » ، وكيف ان ذلك التحول هو « سن الوقوف لعمر العالم فى العمران والدولة » ؟! .. أى علامة الدخول الى طور التراجع عن العمران - الحضارة - والدخول فى طور الاضمحلال ..

فهو إذن « الترف » والانغماس فى حياة « النعومة والرفاهية » ، هو الذى افقد الدولة العربية الاسلامية قوتها الطبيعية الضاربة والحامية - القوة العربية - حضاريا - فكان أن لجأ المعتصم العباسى الى اتخاذ قراره المشئوم ، واقتراف خطئه القاتل ، بتكوين جند الدولة من عنصر غريب عن حضارة الأمة ، هم « الترك - المماليك » ..

وصدق الله العظيم إذ يقول : ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ) .. - ومن « القراء » من يقرأ ( أمَّرنا ) بتشديد « الميم » مفتوحة ، أى جعلناهم أمراء الدولة وقادتها ؟!

هكذا تعسكرت « الدولة » .. فلما طال عليها الأمد - بسبب طول التحديات الخارجية وحدتها - امتدت تأثيرات « العسكرة » الى المجتمع ، فأصابت الكثير من ميادين الابداع الحضارى بالذبول والجمود .. فدخلت حضارتنا العربية الاسلامية طور الغفوة والسبات ، ومرحلة التراجع والتخلف منذ ذلك التاريخ .. الأمر الذى حتم ويحتم على هذه الامة أن تسلك - بكل الطاقات والامكانيات - طريق « اليقظة » و « النهضة » ، حتى تنجو من التحلل والاضمحلال والموات ! .



# كارل بوبر
## صبى النجار الذى أصبح فيلسوفاً !

بقلم : د. أحمد أبو زيد

حين بعد العشرين عملت ( صبيا ) عند نجار متقدم فى السن فى فيينا ، كان اسمه أولبرت بوش وكان ( أسطى ) فى صنع الدواليب والخزانات ، وقد ظللت أعمل معه من عام ١٩٢٢ حتى أواخر عام ١٩٢٤ أى بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ( الحرب الكبرى ) بوقت غير طويل ، وكان أولبرت بوش شديد الشبه بجورج كليمنصو ولكنه كان رقيقا وعطوفا . وبعد أن اكتسبت ثقته كان يجود علىّ من حين لآخر ، عندما نكون وحدنا ، بشىء من فيض علمه الذى لاينتهى ، فقد أخبرنى مثلا ذات يوم أنه ظل يصنع لعدة سنوات نماذج مختلفة لاحدى الآلات التى تستطيع أن تعمل باستمرار وبحركة دائبة وبغير توقف .. ثم أضاف بعد تأمل طويل : أن الناس يتشككون دائما فى قدرتك على صنع الشىء ولكن حين تفعله فإنهم يتكلمون عنك بطريقة أخرى مختلفة تماما .. وكان له غرام شديد بتوجيه الأسئلة التى لها صلة ببعض الأحداث التاريخية ثم يتولى الاجابة عليها حين يرى أننى لا أعرف الجواب رغم أننى كنت طالبا بالجامعة ، وهى مسألة كانت تبعث فيه الشعور بالزهو والفخر ..

فكان يسألنى مثلا : « هل تعرف من الذى اخترع الأحذية ذات الرقبة الطويلة .. ألا تعرف ؟

إنه فالنشتاين دون فريد لاند أيام حرب الثلاثين عاما .. وبعد سؤالين أو ثلاثة من هذا النوع الصعب والتى كان يجيب عليها بنفسه كان يقول لى بكبرياء لايخلو من تواضع : تستطيع انت الآن أن تسألنى ما تشاء ، فأنا أعرف كل شىء » ..

صاحب هذه العبارة هو الفيلسوف النمساوى البريطانى المعاصر كارل بوبر الذى يقول فيه أحد كبار النقاد وهو برايان ماجى : « ليس هناك من بين الفلاسفة الذين يكتبون بالانجليزية الآن من يماثل كارل بوبر فى اتساع مجالات كتاباته أو نوعية هذه الكتابات التى تشمل السياسة والعلوم والفنون ... والواقع أنه لايكاد يوجد سوى قليل جدا من موضوعات الفكر الانسانى الكبرى لم يتعرض لها بوبر فى أعماله ويلقى عليها بعض الضوء » .. ولكن هذا الاطراء لم يمنع بوبر نفسه من أن يقول : « إننى أعتقد أننى تعلمت عن نظرية المعرفة من ( معلمى ) الأسطى أولبرت النجار الذى « يحيط بكل شىء علما » أكثر مما تعلمت من أى ( معلم ) آخر من أساتذتى ، فلم يفعل أى واحد منهم أكثر مما فعل الأسطى أولبرت لكى يجعل منى تلميذا لسقراط .. فهو الذى جعلنى أشعر بمدى تفاهة معلوماتى ، كما جعلنى أدرك أنه لا خير فى أى نوع من العلم أو الحكمة .. إن لم تجعل صاحبها يحس بمدى جهله وضآلة معرفته » ..

كانت هذه الأفكار وأمثالها تراود ذهن كارل بوبر وهو عاكف على صنع المكاتب وخزانات الكتب ، وقد عرف فيما بعد أنها أفكار تتعلق فى آخر الأمر بما يعرف فى الدراسات الفلسفية باسم الايستمولوجيا ( نظرية المعرفة ) ، وكان لدى الأسطى أولبرت ( طلب ) بصنع وتوريد ثلاثين مكتبا من خشب الماهوجنى مزودة بعدد كبير من الأدراج على كلا الجانبين .. والظاهر أن الصبى ، كارل بوبر لم يبد قدرا كافيا من الحذق والمهارة والاتقان فى الصنع وبخاصة فى دهان المكاتب بالورنيش الفرنسى فى المرحلة الأخيرة .. وربما كان ذلك بسبب انشغال فكره بالإيستمولوجيا على ما يقول هو نفسه .. ولكن الأسطى أدرك ، كما أدرك بوبر نفسه ، أنه لايصلح لذلك النوع من العمل .. وقرر بوبر أن يبحث لنفسه بمجرد الانتهاء من فترة تلمذته الصناعية فى اكتوبر ١٩٢٤ عن عمل آخر يكون أسهل من النجارة ومن صنع المكاتب الماهوجنى .. وكان هذا العمل السهل الذى وقع عليه اختياره هو الفلسفة ..

### ◎ المرء فيلسوف بطبعه

ولكن المسألة لم تكن بطبيعة الحال على مثل هذه الدرجة من البساطة ..

صحيح أن كل إنسان هو فيلسوف بشكل أو بآخر وبطريقته الخاصة ، ولكن أن يكون المرء فيلسوفا ( محترفا ) أو أن يتخذ من الفلسفة عملا ومهنة وتخصصا فإن ذلك يقتضى توفر قدرات ذهنية معينة كما يتطلب إعداداً شاقا وطويلا ومن نوع معين أيضا .. ومعظم الناس يعرفون بالضبط ـ على مايقول بوبر ـ تاريخ وساعة ومكان ولادتهم ( الفيزيقية ) ولكن القليلين جدا هم الذين يعرفون متى وكيف تمت ولادتهم الفكرية .. أما هو فإنه يعرف الكثير عن الخطوات الأولى فى إعداده الفكرى وعن المراحل المبكرة فى تطوره الفلسفى ، كما يدرك أن ذلك الاعداد الفكرى بدأ بعد تطوره العاطفى والأخلاقى بوقت طويل ..

فهو لم ينس مثلا أنه كان فى طفولته الباكرة يحمل كثيرا من الاحترام والاعجاب بمن يكبرونه فى السن أو يفوقونه فى القدرات العقلية أو حسن السلوك ، وأنه إذا كان ثمة اعتقاد شائع بين الناس عن

أن الأطفال قساة القلوب بطبيعتهم فإنه يرفض ذلك الزعم ولايؤمن به ، بل إنه على العكس من ذلك تماما يذكر كم كان فى طفولته يشعر بالشفقة والتعاطف مع الضعفاء ، وأن ذلك التعاطف كان واحداً من أقوى مشاعره وأحاسيسه ، بل لعله كان يؤلف جزءا هاما ـ إن لم يكن العنصر الرئيسى فى أولى تجاربه فى الحب ، وهى تجربة مر بها وهو لايزال طفلا فى الرابعة أو الخامسة من عمره .. فقد حمله أهله إلى إحدى رياض الأطفال فى فيينا ، وهناك قابل طفلة صغيرة على درجة عالية جدا من الحلاوة والجمال ولكنها كانت عمياء .. وأحس الطفل الذى أصبح فيلسوفا بقلبه يتمزق بين ابتسامتها الحلوة الرقيقة دائما والمأساة التى تعيشها .. ومع أنه لم يرها سوى مرة واحدة فقط ولفترة لاتزيد على ساعة أو ساعتين لأن أهله نقلوه فى اليوم نفسه إلى مدرسة أخرى ، فلاتزال هذه الذكرى اللطيفة عن ( حبه ) الأول عالقة بذهنه وتؤلف جزءا من تاريخ حياته المبكرة ..

وكانت مظاهر الفقر المدقع فى فيينا تثير الروع والاضطراب فى نفس الطفل الصغير .. وظلت هذه المظاهر كامنة طيلة الوقت تقريبا فى مؤخرة عقله .. وكما يقول هو نفسه فى تاريخ حياته ( صفحة ٩ من الترجمة الانجليزية ) : « إن قليلين جدا من الذين يعيشون الآن فى إحدى الديمقراطيات ، الغربية يعرفون ما كان عليه الفقر فى أوربا فى بداية هذا القرن .. كان الرجال والنساء والأطفال يعانون أشد المعاناة من آلام الجوع والبرد والعجز .. ولم يكن فى استطاعتنا نحن الأطفال أن نفعل شيئا لمساعدتهم سوى أن نطلب من أهالينا بعض قطع النقود الصغيرة لكى نعطيها للفقراء » ..

وكان الجو العام الذى نشأ فيه جوا مليئا بالكتب ، وكان الكتاب يسيطر على كل شىء فى البيت ، إذ كان أبوه واثنان من أعمامه يحملون درجة الدكتوراه فى القانون من جامعة فيينا .. وكان لأبيه مكتبة ضخمة موزعة فى كل أنحاء البيت وفى كل حجراته باستثناء حجرة الطعام التى كانت على أية حال تضم مجموعة كبيرة من الأعمال الموسيقية الكاملة لكبار الموسيقيين من أمثال باخ وهايدون وموتسارت وبيتهوفن وشوبيرت وبرامز ، فإذا كان أبوه مغرما بالقراءة وبالكتب التى أثرت بغير شك فى التكوين العقلى للطفل الصغير الذى نشأ يحب القراءة ، فإن أمه كان لها ولع شديد بالموسيقى ، وقد انتقل ذلك الولع إلى الابن الذى شغل بها فكره منذ الصغر ثم أصبحت له فيها ـ وفى الفن بوجه عام ـ كتابات وآراء وأفكار لا تخلو من الجدة ومن العمق .. والطريف أن الأب الذى كان يحمل شهادة فى القانون ويشتغل بالمحاماة لم يكن يعتبر نفسه محاميا بقدر ما كان يتصور نفسه باحثا أكاديميا ومؤرخا .. فقد كانت له اهتمامات واسعة بالتاريخ وبخاصة بالفترة الهلينستية وبتاريخ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، كما كان يكتب الشعر وينقل بعض الأشعار من اليونانية واللاتينية إلى الشعر الألمانى ، وذلك إلى جانب قراءاته الفلسفية بحيث كانت مكتبته تضم الأعمال الكاملة لعدد من الفلاسفة من أمثال أفلاطون وبيكون وسبينوزا وجون لوك وكانط وشوبنهاور وغيرهم . ولم تخل مكتبته أيضا من الأعمال الروائية الأدبية لكبار الروائيين والكتاب الألمان والأوربيين

والروس على السواء ، ولا من أعمال كثير من المفكرين الاجتماعيين بما في ذلك الاشتراكيون والشيوعيون بل والفوضويون مثل الأمير بيتر كروبتكين ، إلى جانب الكتابات التى تناصر حركة السلام التى كان أبوه من دعاتها ، ولا يزال كارل بوبر يحتفظ بكثير من هذه الكتب التى رآها وقرأها لأول مرة فى مكتبة أبيه وهو فى مقتبل العمر ..

وهكذا نجد أن ذلك النجار الشاب نشأ أصلا فى بيت كانت الكتب والموسيقى وأعمال الفكر والفن تلعب فيه دورا أساسيا وتتغلغل فى حياة أهله ، وأنه ظل يرى أو يسمع هذه الكتب والأعمال الفنية ويتأثر بها بشكل مباشر أو غير مباشر لوقت طويل جدا قبل أن يتمكن من أن يقرأها ويفهمها ويستوعبها ويعترف كارل بوبر أن معرفة القراءة - وكذلك الكتابة وأن يكن بدرجة أقل - هى أهم الأحداث الكبرى فى التطور الذهنى للفرد ولا يكاد يعدلها فى ذلك شىء على الأطلاق ولقد بدأ هو نفسه يقرأ الكتب الجادة وهو فى سن مبكرة نسبيا لدرجة أنه درس بعض الكتابات الأساسية الصعبة فى النظرية الأشتراكية - مثلا - وهو لايزال فى الثانية عشرة من عمره .

## ● الحرب والتنكر لمبادىء الانسانية

كان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى .

فقد ولد كارل بوبر عام ١٩٠٢ ، وبذلك تكون الحرب قد لحقت به وهو لايزال صبيا ، وعرف منها عن قرب كيف يتنكر الانسان لابسط مبادىء وحقوق الانسان وهو حق الحياة ، كما عاصر الاحداث السياسية التى كانت تموج بها أوربا والعالم فى ذلك الحين . وشاهد تفسخ الأمبراطورية النمساوية والحركات الانفصالية التى تعرضت لها بعد ان كان يعتقد انها وطن لجميع ( الرعايا ) الذين يعيشون فيها رغم تعدد لغاتهم من تشيكيين وسلوفاكيين وبولنديين وسلافيين جنوبيين ويوغوسلافيين وبعض الجماعات الأخرى التى تتكلم الايطالية ، وسمع كثيرا جدا من القصص والحكايات عن هروب كثير من افراد هذه الجماعات التى تتكلم عن تلك اللغات العديدة من الجيش ومن الخدمة العسكرية اثناء الحرب وكيف ظهر مازاريك وهو فيلسوف من جامعات فيينا وبراغ لكى يقود التشيكيين ، وكيف تم تكوين جيش تشيكى فى روسيا من اسرى الحرب النمساويين الناطقين باللغة التشيكية ، وكيف بدأت الشائعات تتردد وتنتشر حول حالات الخيانة العظمى وتوقيع الحكم بالاعدام على الذين تثبت عليهم التهمة ، وكيف طفا على السطح طغيان وارهاب السلطات النمساوية ضد الافراد الذين يشك فى ولائهم للدولة وقد ترك ذلك كله آثارا عميقة بغير شك فى نفس الصبى وعقله وتفكيره وانعكست كلها فيما بعد فى بعض كتاباته .

وعلى الرغم من كل مايقال عن صعوبة الفلسفة وتعقد مشكلاتها ومباحثها فان بعض هذه المشكلات الفلسفية الحقيقية - وليس مجرد الألغاز الناشئة عن اساءة استخدام اللغة - كانت مشكلات واضحة ويمكن ان تطرأ على ذهن اى طفل صغير يكون على قدر كاف من الذكاء . وقد صادف كارل الصغير بعض هذه المشكلات وهو فى سن الثامنة تقريبا . اذ كان قد سمع عن النظام الشمسى وعن لانهائية الفضاء ، وشعر بالحيرة ازاء ذلك لأنه لم يكن يستطيع ان يتصور ان يكون

للفضاء نهاية والا فما الذى يوجد وراءه أو خارج حدوده ، كما لم يكن يستطيع ان يتخيله ممتدا بغير حدود أو نهاية ، وحين آثار الموضوع مع احد اعمامه ـ بناء على نصيحة ابيه ـ سأله العم اذا كان يجد أية صعوبة فيتصور تسلسل وتتابع الاعداد واحدا بعد الآخر باستمرار وبدون توقف ؟ فلما اجابه بالنفى طلب اليه ان يتخيل كومة من قوالب الطوب وان يضيف اليها قالبا جديدا ثم قالبا آخر وهكذا بغير توقف ، وقال له انه مهما زاد عدد قوالب الطوب فان ذلك لن يملأ حيز الكون ابدا . وتقبل الطفل ذلك الشرح ولكن على مضض لان الاجابة كانت مفيدة ولكنها غير مقنعة تماما .

وكانت هذه مجرد مشكلة واحدة ... فقط من المشكلات الفلسفية الجادة التى شغلت ذهنه فى تلك السن المبكرة أو بعدها بقليل كما حدث له حين شغل فكره وهو فى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة بمشكلة اصل الحياة التى لم تحلها تماما النظرية الداروينية وهل هى مجرد عملية كيميائية بحتة . ومشكلة أصل الحياة فى رأى بوبر هى من المشكلات التى يمكن أن تخطر على ذهن أى شخص يكون قد سمع عن داروين سواء اكان ذلك الشخص طفلا أو رجلا مكتمل النضج والتفكير ، وهى مشكلة فلسفية بالدرجة الأولى بصرف النظر عن التجارب والبحوث العلمية الدقيقة التى اجريت حول الموضوع والتى لم تستطع على اية حال ان تجردها من طبيعتها الفلسفية . ولكنه لم يكن يشك قط فى أن كل هذه المشكلات التى كانت تقلق باله دار حولها كثير من المناقشات وأيديته فيها اراء عميقة عديدة وانها ليست مشكلات جديدة تماما ، وانه اذا كان يجد صعوبة فى فهمها أو الادلاء برأى فيها فإن ذلك كان راجعا الى قلة معلوماته وقصور مداركه .

## ● زمن اليأس والتمرد

كان ذلك زمنا للتمرد فى كل المجالات وليس فقط فى المجال السياسى ، كما كان زمنا لليأس من كل شىء بما فى ذلك اليأس من العثور على العمل والحصول على الطعام ، ولم يكن امام كثير من الشبان الا ان ينضموا الى المدرسة للدراسة وليس على أمل العثور على عمل بعد الدراسة ، كما شغل الكثيرون منهم انفسهم بالجدل السياسى والسير اغلب الاحيان فى ركب الدعوة الاشتراكية أو حتى اعتناق الشيوعية باعتبارها الأمل الاخير امام الشعوب . وهذا مافعله كارل بوبر لفترة قصيرة من الزمن قبل ان يكتشف مافى دعاوى الشيوعية من زيف وانصرافه بالتالى هو وبعض زملائه عنها . وحدث ذلك قبل ان يتم السابعة عشرة .

وقد جاء ذلك التغير نتيجة لحادث قد يبدو بسيطا ومألوفا ولكنه هز ثقته فى الماركسية كلها . وذلك حين ادت الدعوة السافرة الى تصعيد الصراع الطبقى فى فيينا الى وقوع صدام عنيف مع الشرطة ، مات فيه عدد من الشبان الماركسيين والشيوعيين غير المسلحين .. ووجد كارل بوبر نفسه فى مواجهة حادة مع ضميره لانه تقبل بغير مناقشة مبدأ الصراع الطبقى وضرورة تصعيده واعتبر نفسه مسئولا ـ أو على الأقل مشاركا فى المسئولية ـ عما حدث . ولم يكن على استعداد لأن يقبل التبريرات الماركسية

من ان مثل هذا الصراع سوف يسارع الى تحقيق الاشتراكية وانه لابد لكل ثورة من بعض الضحايا ، وان ضحايا الراسمالية اضعاف اضعاف ضحايا الثورة الاشتراكية ، واحس ان كل هذه الحجج هى مجرد تبريرات للتهوين من جرائم القتل وان مايسمونه بالاشتراكية ( العلمية ) ، ليس لها سند من ( العلم ) مادام انصارها يتقبلونها بدون مناقشة ودون ان يخضعوا افكارها ومبادئها للنظرة النقدية . وشعر بضميره يؤنبه لانه اعتنق « عقيدة خطيرة » بغير تمحيص أو فحص أو نقد وبطريقة دجماطيقية بحتة جعلته يعادى كل الاتجاهات العقلانية الواعية . وهكذا دفعته تلك الحادثة الى ان يعيد النظر فى موقفه الايديولوجى والى أن يغير نظرته الى الماركسية بعد ان تحقق من « طبيعتها الدجماطيقية » و« غطرستها العقلية » المبالغ فيها ، وأصبح يشعر برعب حقيقى من ان ينتحل نسقا ايديولوجيا لايقبل من الأخرين مناقشة مبادئه بينما يبشرهم بآمال واحلام قد لايمكن تحقيقها على الاطلاق . وتملكه الأسى لأنه سمح لنفسه بالوقوع فى ذلك الشرك أو تلك المصيدة ( صفحة ٣٤ من تاريخ حياته ) .

وبمجرد ان اخضع كارل بوبر الماركسية للنظرة النقدية ظهرت له الفجوات والثغرات والتناقضات وعدم الاتساق بين كثير من عناصرها الاساسية بما فى ذلك موضوع مهم مثل ديكتاتورية البروليتاريا . فكان يتساءل مثلا عمن يكون هؤلاء البروليتاريا ، وهل هم اناس من نوع لينين وتروتسكى وامثالهما من القادة والزعماء ؟ وقد لاحظ ان الشيوعيين لم يؤلفوا ابدا الاغلبية فى أية دولة أو مجتمع ، بل انهم لم يكونوا الاغلبية ابدا بين عمال المصانع، وأنهم فى النمسا بالذات كانوا يؤلفون اقلية ضئيلة للغاية ، وان هذا يكاد يصدق على كل المجتمعات والتنظيمات التى لديه علم بها .

وبطبيعة الحال لم تكن افكاره حول هذا الموضوع قد وصلت الى كل هذه الدرجة من النضوج والتحديد فى تلك السن المبكرة من اولى مراحل الشباب وان كانت بذور ذلك التفكير وتلك الاتجاهات الجديدة قد وجدت حينذاك ثم عمل هو على رعايتها وتنميتها طيلة الوقت حتى تمخضت فى آخر الأمر عن عدد من الكتابات ذات المذاق السياسى المتميز والتى تعكس موقفه الرافض لكل دعاوى التسلط والطغيان ، ومن هذه الأعمال كتابه الشهير بعنوان ( عقم المذهب التاريخى ) الذى نقله الى العربية منذ حوالى ربع قرن فى ترجمة عربية دقيقة ومتقنة استاذ مصرى من جامعة الاسكندرية هو الدكتور عبد الحميد صبره أحد تلاميذ بوبر واستاذ تاريخ العلوم فى جامعة هارفارد الآن . ثم هناك كتابه الآخر المهم ( المجتمع المفتوح واعداؤه ) . وبعض الكتابات الأخرى التى ظهر معظمها بين عامى ١٩٣٥ ، ١٩٤٣ .

ومن المؤكد ان ضمن العوامل التى اشاعت فى نفسه روح التذمر بل والثورة على الماركسية فى تلك المرحلة المبكرة من حياته أى حوالى عام ١٩١٩ و١٩٢٠ هو مالاحظه من ادعاء بعض اصدقائه الماركسيين وبعض زملائه فى الدراسة انهم هم قادة الطبقة العاملة فى المستقبل واعتبارهم ذلك امرا مفروغا منه وتصرفهم على هذا الأساس ، مع انهم لم يكونوا

يتمتعون بأية قدرات أو مواهب عقلية أو شخصية يمكن ان يستندوا اليها فى هذا الادعاء أو تؤهلهم للقيام بهذا الدور . فلم يكونوا يعرفون فى الأغلب سوى القليل عن الكتابات الماركسية وذلك فضلا عن عجزهم الشديد عن مناقشة هذه الكتابات او اخضاعها للتحليل النقدى . والادهى من ذلك . انهم لم يكونوا يعرفون شيئا على الاطلاق عن تلك الطبقة العاملة التي يريدون ان يكونوا قادة لها . كما كانوا يجهلون كل شىء عن طبيعة العمل اليدوى الذى كان هو قد عرفه ومارسه لسنوات طوال ليس فقط من خلال عمله مع الاسطى اولبرت بوش النجار ولكن ايضا عن طريق عمله فى احد المصانع اثناء الحرب العالمية الأولى وكذلك عمله فى رصف الطرق لفترة قصيرة حيث لم تساعده قواه الجسمية على الاستمرار لمدة اطول فى ذلك العمل الشاق .

وكانت هذه المواجهة مع الماركسية عاملا مهما فى تطوره الفكرى ، اذ نبهته الى عدد من الأمور التى لم ينسها بعد ذلك قط ، فقد علمته أولا مغزى عبارة سقراط الشهيرة ( اعلم اننى لااعلم ) وجعلته يدرك ان كل إنسان معرض للخطأ كما علمته فضيلة التواضع الفكرى وضرورة التمييز بين الفكر الدجماطيقى والتفكير النقدى . وقد ادى ذلك التمييز به ليس فقط الى رفض ماركس والماركسية وإنما امتد إلى كل فكر دجماطيقى آخر مثل فكر فرويد ( التحليل النفسى ) وفكر آدلر ( سيكولوجيا الفرد ) وقد حدث كل ذلك التغيير فى تلك السنة الحاسمة فى حياته ، سنة ١٩١٩ وساعد على ذلك انه عرف لأول مرة موقف أينشتاين العلمى واسلوب تفكيره وكان ذلك أيضا فى مايو من تلك السنة نفسها حين حضر فى فيينا محاضرة عامة القاها أينشتاين ولم يكد بوبر يفهم منها شيئا لأن ماقاله ذلك العالم الكبير ، كان فوق مستوى فهمه ، ولكنه عرف على أية حال ان أينشتلين لم يكن يعطى من الأهمية للتجارب الجديدة التى تتفق مع آرائه وتوقعاته والتى تؤكد نظريته بقدر ماكان يهتم بمعرفته اذا ما كانت هناك ولو تجربة واحدة لاتتفق مع هذه الاراء و التوقعات لأن ذلك معناه عدم صحة تلك النظرية ، وأدرك بوبر ان هذا هو الموقف العلمى الصحيح ، وهو موقف يختلف اختلافا جذريا عن الاتجاهات الدجماطيقية التى تحاول العثور على الوقائع والحقائق والاحداث التى تساعد على تحقيق واثبات وتأكيد النظريات التى يميلون اليها أو يفضلونها .

وهكذا توصل كارل بوبر عام ١٩١٩ وهو لايزال فى السابعة عشرة من عمره الى نتيجة حاسمة وقاطعة اصبحت اهم مبدأ يسترشد به فى حياته الفكرية وأصبحت أساسا لفلسفته وهى ان الموقف العلمى هو بالضرورة موقف نقدى لايهتم بالبحث عن المبررات أو يحاول البرهنة والاثبات بقدر مايبحث عن الاختبارات والفحوص النقدية التى قد تؤدى إلى تفنيد ورفض النظرية التى تختبرها . فمبدأ

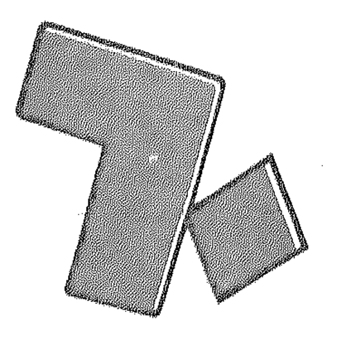
التفنيد اهم فى العلم بكثير من محاولات الاثبات والتحقيق . والعلم يقوم اساسا على التفنيد اكثر مما يقوم على القبول والتحقيق والاثبات . وهذا هو احد الاسهامات الكبرى التى اسهم بها صبى النجار والتى جعلت منه واحدا من اكبر فلاسفة العلم المعاصرين .



# فى الذكرى الستين للسينما المصرية

## □ السينما فى عيون الآخرين □

بمناسبة مرور ٦٠ عاما على بداية السينما المصرية ، تقدم « الهلال » هذا الملف الذى يتناول نظرة الى السينما المصرية فى عيون الاخرين ، الذى يشارك فيه الناقد السينمائى المعروف مصطفى درويش بموضوع « سينما مفترى عليها » و د. رفيق الصبان بموضوع « السينما المصرية فى عيون الاجانب » ، كما يكتب رؤية بعنوان « الظلال والاطياف فى قاموس السينما العربية » الناقد الفرنسى كلود ميشيل كلونى .



في الذكرى الستين للسينما المصرية

# سينما مفترى عليها

بقلم : مصطفى درويش

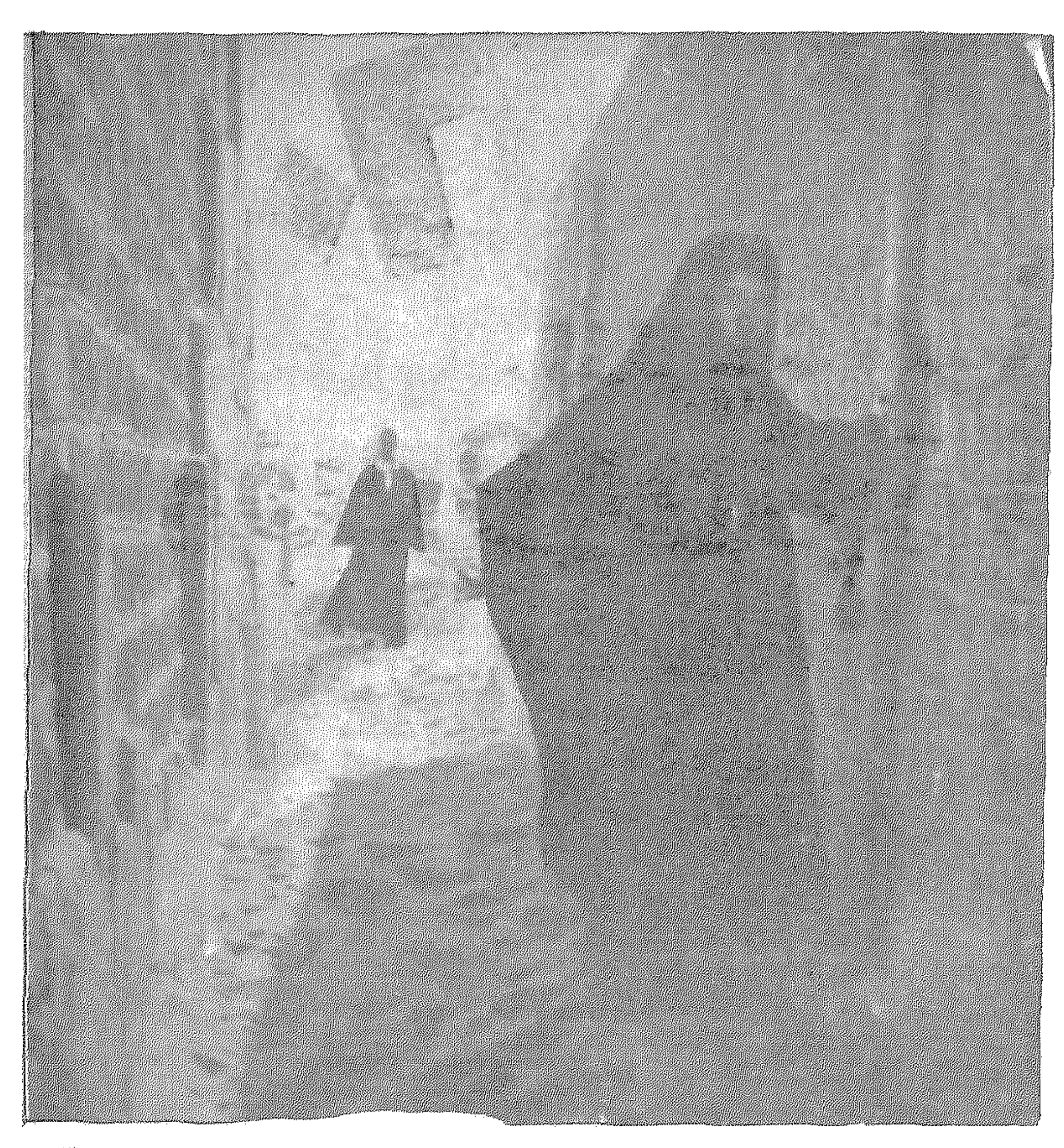
**« منذ زمن بعيد ، واثناء مشاركتي في مهرجان كورك ، اسات إلي سمعتي عندما قهقهت ضاحكة في تعال على فيلم مصرى ارادوا له ان يكون جادا ..**

**ولم يعدني إلى الصواب ، إلا تذكرة من جالس إلى جوارى ، صدمه سوء سلوكي ، تذكرة بان مخرج الفيلم موجود في قاعة العرض ..**

**وعلى كل ، فقد كنت أظن انه ليس ثمة ما يدعوني إلى الأهتمام بما تعرضه الشاشة المصرية .. غير أنني اكتشفت انه من الواجب عليّ أن أهتم .. واهتم » ..**

بهذه الكلمات الساخرة ، الحافلة بما يملأ النفس دهشة وتعجبا ، وبما يدفع العقل الى التفكير المتصل ، استهلت » ديليز باول » ناقدة « الساندای تايمز » المخضرمة مقالها في ( ١٩٧٢/٤/٢ ) عن « ليلة حساب السنين » المعروف تحت اسم « المومياء » ، ذلك الفيلم الذى بفضله اكتشفت الناقدة الانجليزية السينما المصرية ، وغيرت من نظرتها اليها ، وهى نظرة ـ باعترافها ـ متعالية ، تحمل مما تبقى من غطرسة ابناء وبنات الأمبراطورية التى غربت عنها الشمس ـ تحمل الشيء الكثير ..

وليس من الغريب هذا الاكتشاف



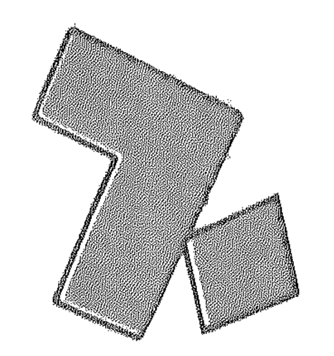
المومياء .. الحدث الذى بهر النقاد

للسينما المصرية الذى اعقبه اهتمام بها ، ثم حماس لبعض افلامها ..

● التجاهل .. لماذا ؟

ولكن الغريب ان يجيء هذا الاكتشاف يواكبه بعض الاهتمام والحماس ، فى مطلع السبعينيات أى بعد اكثر من أربعين عاما على مولد السينما المصرية قريبا من نهاية العشرينيات ، وبالتحديد فى ١٦ من نوفمبر ١٩٢٧ تاريخ عرض فيلم « ليلى » الذى بفضله حازت ممثلته « عزيزة أمير » على لقب « مؤسسة الفن السينمائى فى مصر »

( ملحوظة : هناك رأى آخر يقول به المخرج « أحمد كامل مرسى » صاحب « معجم الفن السينمائى » مع الدكتور



فى الذكرى الستين للسينما المصرية

« مجدى وهبه » ـ وهو أن « ليلى » ليس بأول فيلم مصرى روائى طويل ، وانما « قبلة فى الصحراء» ( ١٩٢٧/٥/٥ ) للاخوين ابراهيم وبدر لاما )

فلماذا كل هذا الزمن .. لماذا كان لابد أن يضيع زهاء نصف قرن حتى ينتهى الاهمال ، او يبدأ الأهتمام بسينما لايفصلها عن الساحل الأوربى فى الشمال سوى شريط ضيق من بحر أو « بحيرة » كما كان يحلو « لموسولينى » ديكتاتور ايطاليا ان يسمى بحرنا المتوسط ..

عند الناقد الفرنسى « كلود ميشيل كلونى » ( عدد ١٨٠ من « سينما ٧٣ » ) هذا الوضع الواضح الشذوذ له اسباب كثيرة من بينها الجهل والرفض والاحتقار ..

« حقا ان ماضى السينما المصرية بأفلامها ـ التى هى فى معظمها من نوع سقيم ـ لا قيمة له ، انما هو ماض لا يشرف ..

غير ان مسئولية ذلك انما تقع على تجار بيروت والقاهرة . وفضلا عن ذلك فهو بمفرده لا ينهض سببا يبرر كل هذا التجاهل لسينما وطنية معاصرة تلعب دورا مهما فى العالم العربى الممتد من المحيط الى الخليج ..

وهذا الرأى قريب مما ذهب اليه الناقد الفرنسى « جى هينيبيل » فى مقاله « السينما المصرية والتاريخ .. النهضة متى ؟»( عدد ٢٠ من مجلة افريقيا الأدبية والفنية ١٩٧٢ ) ..

فمما جاء فى هذا المقال ان عرض افلام السينما المصرية يكاد يكون امرا محظورا فى اوربا الغربية والولايات المتحدة .. وهذا الحظر يبررونه بسوء مستوى الأفلام المصرية ، وهو تبرير مردود عند هينيبيل لسببين اولهما ، ان بعض الانتاج المصرى الذى بلغ حوالى ١٤٠٠ فيلم ( الآن حوالى ٢٥٠٠ ) له ، ولاشك ، قيمة فنية تؤهله للتوزيع فى الغرب ..

ومع ذلك فافلام هذا البعض ذات القيمة الفنية لا تحظى بشرف العرض ..

والثانى ان الانتاج الغربى وان كانت بعض افلامه من نوع لا تقل رداءته عن الأفلام المصرية ، الا ان هذا البعض الردىء تتاح له فرص العرض على امتداد الغرب ..

ويبدو من كتابات النقاد خارج مصر انهم لا يختلفون فى أن جيد الأفلام المصرية ضئيل جدا ، اذا ما قورن برديئها الذى هو كثير جدا الى حد الشذوذ المثير للأنتباه ..

## ● صوت الحق

فناقد عربى كبير مثل طاهر الشريعة ( تونس ) يقول فى وصف السينما المصرية إنها « ما برحت تنحدر نحو الاسوأ وصار الفرق الآن هو فارق الدرجة ، درجة افتعال صخب الأحداث ، وبلاهة الابتسامات ، وسيل الدموع ،

وهذيان الخطب وألوان الماكياج الأشبه تكلفا بلطخات الشمع » ..

وناقد إنجليزى شهير مثل « جون راسل تايلور » يتطرف الى حد اعتبار السينما المصرية سينما فيلم واحد « المومياء » » ..

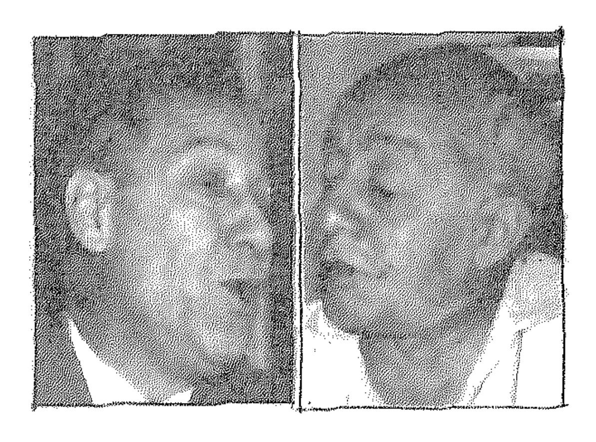
وفى الدراسة التى افردها « لساتيا جيت راى » المخرج الهندى فى مؤلفه « مخرجون واتجاهات » ، كتب فى وصف فيلم « شادى عبد السلام» قائلا انه « عمل فردى يتسم بالغرابة والخروج على المألوف ، ومن المحتمل انه لا يعكس سوى مواهب مبدعه » ..

ولو كان « شادى » حيا ، لم يتركنا الى عالم الأموات ، قبل عام ، لرد على ما كتبه الناقد الانجليزى فى حق فيلمه قائلا برقة حادة وذوق دقيق لايفوته شىء :

« إنكم تتكلمون عن المومياء ، وكأنه عشبة شيطانية طلعت فى صحار مقفرة ، فلماذا لا تتكلمون عن زملائى السينمائيين المعاصرين لى ؟ لماذا لا يستبد بكم الفضول لمعرفة موقعى فى ساحة الحركة السينمائية المصرية المعاصرة ، فانا فى الحقيقة لا اعمل وحدى ، ولا اخرج وحدى ، انا جزء من حركة ، هى جزء من بلد وحقبة وتاريخ » ..

## ● قطاع طرق

ومهما يكن من شىء .. فانغماس السينما المصرية فى ردىء الأفلام انما يرجعه الناقد الفرنسى « روجيه بوسينيه » فى « موسوعة السينما » الى عدة أسباب لعل أهمها مناخ رقابى قاس يفسد الأمر على سينما وطنية تتصدى لمشاكل البلاد

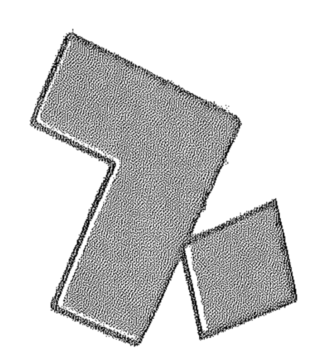


أحمد كامل مرسى        محمد كريم

الحقيقية ، تستمد موضوعاتها من ثراء الواقع ..

وفى دراسة فريدة للاستاذ الأمريكى « رايموند بيكر » منشورة فى العدد الثالث من المجلد السابع عشر من المجلة العلمية « امريكان بيهيفرال ساينتيست » تحت عنوان « مصر فى الأطياف ، الأفلام والنظام السياسى » ـ فى هذه الدراسة يرد صاحبها جنوح السينما المصرية الى الابتعاد عن تلك المشاكل او الأقتراب منها فى كثير من التحفظ والأحتراس بحيث اصبح العالم الواقعى غائبا تماما عن سينما مصر ما قبل الثورة ، يرده الى ان الطبقة الحاكمة بدافع من انانيتها وتفسخها وفسادها أستطاعت قطع الطريق على اية محاولة تبذل لتجسيد الواقع المصرى فى السينما ..

ونجد هذا متمثلا فيما فعله المخرج « محمد كريم » الذى يعتبر ابا للسينما المصرية مع الحيوانات التى ظهرت فى فيلمه « زينب » فقد اصر على غسلها جميعا بالماء والصابون قبل بدء التصوير كما نجده واضحا كل الوضوح فيما أرسته تلك الطبقة للسينما من قواعد تقليدية ثابته



فى الذكرى الستين للسينما المصرية

، اصبحت مع كرّ الأيام مقوّما اساسيا من مقوماتها ..

وفى رأى صاحب الدراسة ان المعالجة الميلودرامية السطحية لحياة الطبقة الموسرة ، بما يتخللها من اغنيات ورقصات شرقية ، مع اصرار معيب لا منصرف عنه على عدم تقديم اى تنويع آخر .. هذه المعالجة هى المقوم الاساسى الأول بين مقومات السينما المصرية ..

● الرقابة الخفية

وربما كانت تجربة « عزيزة أمير » منتجة وممثلة « ليلى » مع فيلمها هذا ، خير مثل على ثقل الضغوط الكامنة وراء ابتداع هذا النمط من الأفلام الذى اصبح راسخا رسوخ الجبال ..

فبينما هى ـ بعد عرض فيلمها بنجاح ـ قريرة العين ، هادئة الروع ، مطمئنة البال ، فليس فى الأمكان ابدع من ان

المتمردون - رائعة توفيق صالح

تكون رائدة تدخل التاريخ من باب الأطياف ، حتى فوجئت ، وعلى غير انتظار بمقال ينشر فى مجلة الصباح ( ١٩٢٧/١/٢٨ ) - اى بعد احد عشر يوما من عرض « ليلى » بسينما مترووبول - يسخر من فنها ، لانها اظهرت مصر القرون الوسطى «فى حين ان لدينا اشياء كثيرة نفخر بها» ، واختتم صاحب المقال كلماته متسائلا كيف سمح ممثلو وممثلات الفيلم لانفسهم « وهم طبعا من سكان ارقى شوارع القاهرة » ان يتم تصويرهم داخل اكواخ الفلاحين ..

وما كادت رائدة السينما المصرية تفرغ من قراءة مقال « الصباح » ، حتى اعلنت ان فيلمها القادم سوف تجرى احداثه فى اوساط الطبقة الغنية دون سواها ..

وهنا تطرق صاحب الدراسة الى الرقابة قبل الثورة قائلا نقلا عن « صلاح ابو سيف » انها كانت تقف بالمرصاد لأى نقد ولو بالتلميح لاصحاب المهن الرسمية .. « وبذا يبقى رجل البوليس والقاضى والمحامى والصحافى فوق اية شبهة ويختال رجل السلطة بعيدا عن اية مفسدة فى نقاوة الثلج المتساقط الآن » ..

ولم تلبث الأمور ان تدهورت ، واذا برابطة حجاب المحاكم المصرية تحتج بشدة ضد فيلم « العزيمة » لماذا ؟

لأن حاجب المحكمة الذى ظهر فى احد مشاهده كان قصير النظر !

## ● القفزة الكبرى

ثم تتقدم الأعوام شيئا ، واذا الملكية تسقط ، وتضع الثورة نظما من شأنها ان تغير الحياة السينمائية فى مصر تغييرا خطيرا ..

ومن بين هذا التغيير - فى رأى « بيكر » - ظهور الأفلام ذات الصبغة السياسية الواضحة ..

وما ان يذكر الفيلم السياسى فى الوطن العربى الا ويقفز الى مقدمة الاسماء التى شاركت فى صنعه اسم « توفيق صالح » ..

فإليه يعود الفضل فى إضفاء قدر من الأهمية السياسية والاجتماعية على السينما العربية داخل الوطن العربى وخارجه ..

ولقد وصفه « شادى عبد السلام » مبدع المومياء بأنه «المخرج الملتزم الوحيد الذى لم يبع نفسه للموزعين السينمائيين العرب » ..

وهو الوحيد من دون جميع مخرجى السينما المصرية الذى جعل من السينما اداة سياسية ، اداة لفهم العالم ، ومحاولة تغييره ..

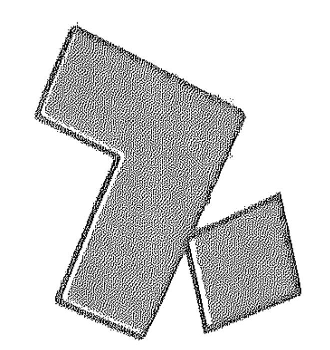
فنظرة طائرة على افلامه ، تتيح اكتشاف ميزة ينفرد بها ، هى واقعيته الممتدة الى جذور الأشياء على وجه بعيد عن الحرفية والفجاجة ..

وعن هذه الميزة قال الناقد الفرنسى « ميشيل شيڤالييه » انه « يمكن للانسان الذى سبق ان تعرف على مصر ان يجدد تعرفه بها من خلال سينما توفيق صالح ..

ففى افلامه تطابق مدهش مع الواقع المصرى ، يكاد يخلو من اية شائبة ..

وهى لاتخلو ابدا من تحريض الانسان على الكفاح من اجل التغيير .. مع تأكيد التماس الحل فى صيغة مناسبة غالبا ما تكون ثورية ..

واذن فتوفيق صالح لم يعقد بعد اتفاق استسلام ، لم يرتض الصلح ، ولم يستكن للمهادنة » ..



فى الذكرى الستين للسينما المصرية

ولعل « المتمردون » افضل تعبير عن هذه الميزة التى اشار إليها الناقد الفرنسى ..

فالفيلم يحكى قصة طبيب شاب يصاب بمرض التدرن الرئوى المتخصص فيه ، فيذهب للاستشفاء فى احدى المصحات الرسمية ، حيث يكتشف الكثير من الحقائق المفجعة ، ان كل شىء نهب إهمال وسوء الإدارة ، وان الكل ناقم ، متربص وما تلبث نقمة النزلاء ان تتحول

● الهزيمة نقطة تحول



الى ثورة ، يصبح هو فى موضع القائد منها ..

وتبدو الثورة للوهلة الأولى ناجحة ، عندما تفلح فى طرد مدير المصحة المستبد ، واستكمال السيطرة على كل صغيرة وكبيرة فى المصحة ..

ثم لا تلبث ان تدور الدائرات ، فاذا بالثورة تتهاوى تحت ضربات القوة الغاشمة ، ويعود كل شىء الى ما كان عليه ولا يظفر الطبيب من العدل لنفسه ولا لغيره من النزلاء بشىء ..

● حقائق واكاذيب

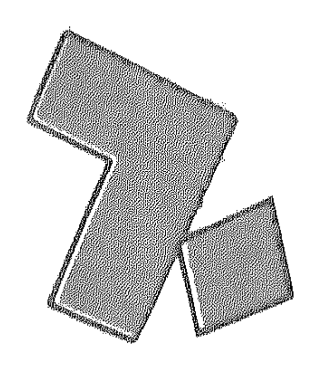
ومما ينسب الى « توفيق صالح » فى دراسة الناقد الأمريكى « بيكر » ، سالفة الذكر انه قال عن فيلمه « المتمردون » ، ما حاصله ان الرقابة قد مارست عدوانها عليه عندما اطاحت باحسن مشهد صورّه طوال حياته السينمائية ، لانها ضاقت بما كان يرويه ، ومصدره ان النزلاء المصدورين ، قد تمكنوا من تنظيم شبكة اتصال فيما بينهم ، تمهيدا لتفجير الصراع ضد ادارة المصحة ..

وهذا القول المنسوب الى المخرج الكبير ليس له من الحقيقة نصيب ..

فالرقابة ـ وكاتب هذه السطور كان مسئولا عنها وقت عرض فيلمه عليها ـ لم تشوه رائعة السينما العربية « المتمردون » بأى حذف ، بل وافقت عليها كاملة غير منقوصة ..

وقد تسأل اخيرا عن سر هذا الادعاء .. وقد تطيل التفكير فى السؤال دون جدوى ..

فما اصعب الوصول الى الحقيقة فى هذه الأيام !!



في الذكرى الستين للسينما المصرية

# السينما المصرية في عيون الأجانب

بقلم: رفيق الصبّان

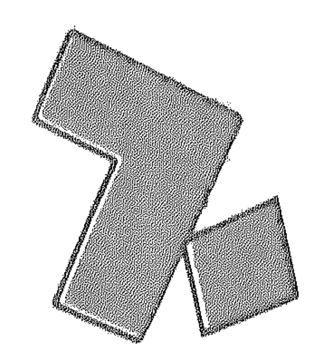
**غريبة جدا .. هذه النظرة إلى سينما تعود فى تاريخها وجذورها إلى نشاة السينما فى العالم وان اختلفت فى تطورها وتياراتها وأفكارها واسلوبها عن أية سينما آخرى نشات معها او بعدها فى ارجاء الدنيا ..**

**غريب جدا موقف المتفرج الأجنبى منها .. موقف يتارجح بين الفضول حيث السخرية أحيانا .. والإعجاب الذى يصل إلى حد المبالغة مرات قليلة ..**

لقد واجهت بنفسى هذه الآراء المتضاربة .. من خلال أحاديث شخصية أو مواقف محددة .. أو لقاءات رسمية فى ندوات عامة أو فى كواليس المهرجانات المحلية أو الدولية ..

ولكن اغلب هذه ( المواجهات ) كانت تتم مع نقاد مختصين أو مهتمين بشئون السينما فى العالم الثالث .. أو عاملين فى المهنة .. ( ★ ) الى ان اتتنى هذه الدعوة الخاصة جدا فى سنة ١٩٨٥ لتقديم مجموعة من الافلام المصرية فى صالة عرض تجارية بباريس ..

الأفلام كانت كالعادة .. لمخرجين ..



في الذكرى الستين للسينما المصرية

عرفهم الجمهور الفرنسي عن طريق نقاده وصحافته ومهرجاناته .. « كيوسف شاهين وصلاح أبوسيف وأنور وجدى وبركات » .. أو لأبطال في الغناء والاستعراض .. شاعت أسماؤهم وأغانيهم عن طريق الجاليات المغربية والجزائرية والتونسية التي استوطنت باريس وفرضت على الأحياء التي تقيم فيها أجواء ومناخا عربيا مختلفا كأفلام فريد الأطرش وعبد الوهاب وأم كلثوم وفيروز الصغيرة ..

كان لي أن أناقش جمهورا عاديا .. وغير متخصص .. يختلط فيه العرب مع الفرنسيين ، افلاما .. مزاوجة بين الحداثة والقدم .. تمتد من ( وداد ) فرتيز كرامب وجمال مدكور إلى عودة الابن الضال ليوسف شاهين .. مرورا بياسمين وإنت حبيبي ورصاصة في القلب وانتصار الشباب ..

واعترف اني خرجت من هذه التجربة ( الصعبة ) والفريدة معا ، بحصيلة وافرة يمكنني أن الخصها في عدة نقاط ..

● منها ان السينما المصرية مازالت في أعين الكثيرين من المتفرجين الأجانب .. صورة ايكسوتيكية يختلط فيها التغريب بالأحساس السياحي .. يؤكد ذلك اللغة وطريقة التصرفات والسلوك فضلا عن العادات والأزياء ثم النظرة العامة للأمور وطريقة تقييمها ..

● ان الخلطة المركبة التي كانت تستعملها السينما المصرية في أفلامها الدرامية والاستعراضية والمكونة عموما .. من شيء من الغناء وشيء من الرقص وشيء من الفواجع .. تثير عجب المتفرج الاوربي الذي تعود تماما على الفصل بين الأنواع في الفن السينمائي .. كما انها تجعل المتفرج الحالي .. يستدعي رغما عنه بعض ظواهر الفن المعاصر ببدعه الحديثة المستغربة ..

● ان السينما المصرية بطريقة تناولها لبعض المشاكل الأجتماعية ، والسياسية والعاطفية مازالت تحتوي على قدر حاد من العفوية والبساطة التي فقدتها السينما الأوربية تماما .. والتي تبدو للمشاهد الاجنبي وكأنها نتيجة جهد كبير وجاد .. بالاضافة الى ان هذا التبسيط الدرامي ( اللا مقصود أحيانا كثيرة ) يظهر ميكانيكية الأمور بوضوح اكثر .. ويحدد بصورة قاطعة الحواجز الفاصلة بين الاسود والابيض .

## ● ابتكار يثير الانتباه

كانت هذه النقاط الثلاث .. من أكثر الامور التي توقف عندها المناقشون الاجانب في هذه الليالي المصرية .. بل اني عجبت لطرافة ما كنت اتصورها .. فما كنا نعتبره في مفاهيمنا النقدية الشرقية تجاوزا أو « قلة حيلة » .. يُعتبر الآن بالنسبة لبعضهم ابتكارا وتجديدا .. يثير الانتباه .

حتى مقاييس الجمال والحكم عليها .. الآن تبدو مختلفة .. ومحكوما عليها من خلال منظار مختلف ، وأعترف اني شهدت

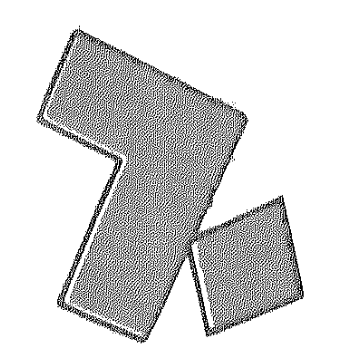



( وداد ) ام كلثوم .. من خلال جو حماسي .. لا اظن ابدا ان الظلم كان سيصادفه لو عرض الان عرضا عاما .. فى احدى صالات القاهرة .

أما خيال انور وجدى فى افلامه الارستقراطية وخصوصا هذه التى مثلها مع الطفلة فيروز .. فقد حظيت بتقدير جماهيرى .. لا يقل ابدا .. عن التقدير الذى لاقته فى بلدها الاصلى .. وان كان الجمهور الفرنسي يضحك فى المواقف الميلودرامية التى ابكت الكثيرين من المتفرجين الشرقيين ..

وعندما اقول ( يضحك ) فانا لا اعنى بذلك استهانة بالفيلم ومخرجه وممثليه .. وانما اعنى هذا الضحك النابع من القلب .. والذى يختلف بكثير عن الاعجاب .. حول نجاح هذا المخرج فى تحقيق ( الميلودراما ) .. اى الدراما الغنائية بمعناها الايطالى القديم .. التى تستغل المواقف الصعبة لتعطيها غنائية خاصة بها .. تخرجها عن نطاق ( التأثير ) وتصل بها الى حدود ( التنفيس ) .

العين الغربية لا تحكم على فننا السينمائى وفق مقاييسنا نحن بل وفق مقاييسها هى .. ( وهذا امر طبيعى عكسه يمكن ان يثير الاستغراب ) وهذا ما يجعلها تطبق عليها مفاهيم خاصة جدا تجعلها .. تقبل ( فساد الذوق ) الذى تهتم به بعض مشاهد افلامنا .. وترى فيها تركيبة موفقة ومركبة لتجميع عدد من الفنون فى واحد ..



فى الذكرى الستين للسينما المصرية

تماما ... كما يضع الناقد الموسيقى الحان اليان برج وساتى .. فى مواجهة ميلوديات شوبان وعاطفيات موزارت .. او الناقد التشكيلى .. تكعيبات بيكاسو وبراك أمام صفاء بوتيشيللى أو فيلاسكيز .

الابتعاد عن الهارمونى العقلى فى البناء الفيلمى الحديث .. والاعتماد على ايقاع غير منتظم يربط الأحداث فيما بينها .. اعتبرها المتتبع السينمائى الأجنبى ميزات خاصة .. تعبر عن سينما ارادت ان تسير فى طريق خاص بها .. يختلف عن المسار العادى الذى طورت السينما العالمية نفسها حسب سياقه ..

والحقيقة ان هذا المفهوم يمكن ان يكون نقطة تثير الجدل والنقاش ..

فالسينما المصرية بحكم تاريخها القديم .. وكونها واحدة من السينمات اللاتى بدأت .. قبل كثير من السينمات اللاتى تحتل الآن موقعا بارزا فى خارطة الفن السينمائى كالسينما الاسبانية واليونانية والمجرية والسويدية مثلا .. لم تتحرك كثيرا .. « وإنما ظلت فى موقعها تعالج وفق اسلوب لايسير افقيا قدر ما يسير عمقا » .. المشاكل نفسها من خلال الشخصيات نفسها .. مع تغيير طفيف فى الطريقة السينمائية لايكاد يذكر ..

ومهما قيل عن ان هذا التوقف عن النمو .. امر خارج عن ارادة السينما المصرية والعاملين بها .. فإنه يبدو بعيدا نوعا ما عن المنطق .. لاننا نرى هذا الاصرار ، فى عدم التخلى عن الاسلوب الذى تميزت بـه هـذه السينما .. محسوسا .. لدى كبار المخرجين اكثر من صغارهم .. فأفلام صلاح ابو سيف .. تشكل كلا واحدا .. كذلك افلام شاهين .. او بركات .. مهما اختلف الموضوع الذى يطرقونه ..

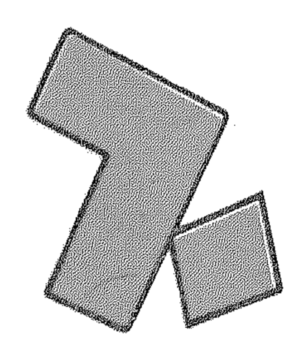
ان السينما المصرية فى مدارها الطبيعى مازالت مصرة على استخدام ايقاعها الذى عرفت به وأسلوبها المكون من مزيج متنافر من فنون عديدة .. يشكل تداخلها .. نوعا من الانسجام والتوازن شبيه بتوازن لاعب السيرك على حبل رفيع مشدود على الهواء .. وفق طريقة فى الأداء .. وفى التشكيل .. وفى العرض .. تتناسب فيها مع نفسها اكثر مما تقارن به

ولعل هذا وهذه .. هو الذى اعطاها طابعها الفريد الخاص بها .. وهو الذى جعل الجمهور الأوربى يكتشفها كنوع خاص له نكهته وطعمه ورائحته ..

بل ربما كان دون قصد منه .. يدفعنا الى ان نراها مرة اخرى .. بعيون جديدة .. تجعلنا نغير الكثير من احكامنا .. وتحثنا على ان نراجع دفاتر حساباتنا .. ومن يدرى .. فقد يأتى اليوم الذى نرى فيه حسن الأمام . الـ ( برجمان ) الذى يليق بنا .. ؟؟؟؟؟

---

(*) صالة الباجود .. وهى صالة مخصصة لعرض افلام الفن والتجربة .. ولكنها صالة تجارية بحتة وتقع فى مركز حساس وجماهيرى من الضفة اليسرى للسين .



في الذكرى الستين للسينما المصرية

# الظلال والأطياف في قاموس السينما العربية

بقلم : كلود ميشيل كلوني

**صاحب المقال واحد من اهم مؤرخي السينما العربية ، بل لعله مؤرخها الوحيد ، فهو مؤلف « قاموس السينمات العربية الجديدة » ذلك القاموس الفريد .**

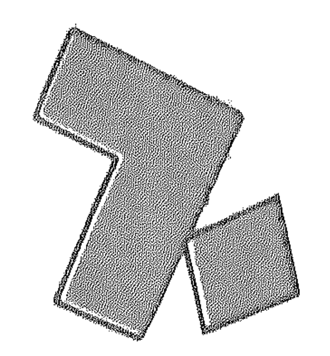
**فليس ثمة عمل مماثل له في لغتنا العربية . وحسب ماعندنا من معلومات ليس له ترجمة سواء داخل مصر او خارجها .**

**وما نامله من ترجمة مقاله ـ ولنا عليه تحفظات كثيرة ـ هو ان نلقى الضوء على منهجه في النقد ، وان نحرض على ترجمة قاموسه ، فنبلغ بذلك بعض مانريد لحركة النقد من نهضة ليس الى محوها من سبيل .**

● العالم العربى الحديث ، وان كان هو الوارث لآخر الحضارات الكبرى ، الا انه فى العمر يصغر السينما .

ولم تكد مصر تفلت من قبضة حكم عثمانى دام قرونا حتى جرى عرض اشرطة « لوميير » الاولى بأحد مقاهى الاسكندرية خلال ١٨٩٦ .

ولقد توجهت مصر وحدها نحو الغرب ، نحو اوروبا آلية ، غنية ، منقسمة على نفسها ، بأمل ان تقترض منها نماذجها الاقتصادية ، وبعضا من ارصدتها



فى الذكرى الستين للسينما المصرية

السياسية ، لاسيما اللبرالية التى تبنّاها حزب الوفد .

والحماس الذى استقبل به « السينماتوجراف » ـ هكذا كانت تسمى السينما فى مطلع القرن ـ انما يرجع الى الميل المتأصل لفن الاستعراض ، ذلك الميل الظاهر للعيان على امتداد الشرق ، فضلا عن الانبهار بالسينما بوصفها اختراعا اعجب من العجب ، هذا الى الانجذاب الشديد للتحديث ، وذلك على الاقل داخل صفوف الفئات المستنيرة من بين سكان مدن متفرنجة ، تلك الفئات التى كانت تزداد على مر الايام نشاطا ووطنية .

**وفى العالم العربى الذى كان واقعا تحت شكل من اشكال الاستعمار ـ وهذا يعنى كل العرب عدا مصر ـ لم يكن لظهور السينماتوجراف اى صدى الا فى الاوساط الاستعمارية القابضة على ناصية الحكم .**

وهكذا ، فالسبق الذى تميزت به السينما المصرية على اية سينما عربية اخرى ، إنما نجد تفسيرا له فى هذا التقبل النسبى من الجمهور ، فضلا عن وجود رجال مهرة ، يحسنون تشمم رائحة الربح .

ورغم هذا السبق لم تصبح السينما مصرية بعد ، ذلك ان انتشارها السريع ، انما كان بفضل ايطاليين ولبنانيين ، ويونانيين وفرنسيين واتراك والمان ، فهؤلاء الاجانب هم الذين مولوها ، امتلكوها وابدعوا اعمالها ، وذلك حتى اقتراب سنوات العشرينيات من نهايتها .

وهذه السينما التى جاء بها اجانب كممولين ومستغلين هذه السينما الرائدة فى مصريّتها ، لم تكن بالنسبة للجمهور الا استعراضا جديدا ، يدخل ضمن عروض الاسواق ، ومسارح السحرة والمشعوذين .

وعلى كل فهذه « الصناعة بلا مستقبل » حسب مقولة « لويس لوميير » لم تكن قد اصبحت فنا بعد .

حقا كانت قد اصبحت شعبية ، او بمعنى اصح كانت قد احرزت نجاحا متزايدا بين اكثر الفئات الاجتماعية فى القاهرة والاسكندرية حصولا على امتيازات وتطلعا الى ثقافة اوروبا الغربية .

ومع ذلك ، فهذا الجمهور لم تكن رغباته ليشبعها لا الانتاج الايطالى ـ اللبنانى بمستواه الهابط ، ولا المسرح المسرف فى ارتجاله والمصور فى افلام بالاسكندرية لجمهور شعبى انبهر بها انبهارا شديدا .

فازدهار زراعة القطن وتوريده ، والوجود البريطانى المتزايد بسبب الحرب العالمية الاولى ، ومابعدها من احداث ، ونمو حجم الملاحة فى قناة السويس نموا متصلا ، كل ذلك ادى الى توفر سيولة نقدية تغرى بالاستثمار فاذا ببنك مصر ينشىء استديوهات ويحل محل « بنك روما » فى مرحلة التمويل ، ويوافق على ارسال بعثات الى أوروبا ابتغاء تكوين تقنيين ومخرجين مصريين .

وكما ارست صناعة الاسطوانات

قواعدها ونمت بفضل شركتى « اوديون » و« بيضافون » اللتين نجحتا فى غزو اسواق الشرق الاوسط ، فقد ارست صناعة الفيلم هى الاخرى قواعدها فى كل من الاسكندرية والقاهرة .

● نشاط سينمائى فى القاهرة

وظل الحال كذلك حتى بداية الحرب العالمية الثانية وبالتحديد ١٩٤٠ ، عندما انتقلت نهائيا استديوهات الاسكندرية بنشاطها الى القاهرة حيث البناء التحتى التقنى - البلاتوهات والمعامل - لم يتوقف عن النمو والتقدم ، مستجيبا فى ذلك الى متطلبات سوق ( محلى واجنبى ) ساعد الفيلم المتكلم على توسعه بحيث امتد الى اكثر من جمهور جديد .

وهكذا ، وفى حين ان الافلام الصامتة - لاسيما ما كان منها من انتاج الاسكندرية باصوله الممتدة خارج مصر - كانت فى معظم الاحوال غارقة فى محاكاة الانماط الكوميدية او العاطفية للسينمات الغربية ، فان السينما ما كادت تنطق حتى اكتشفت مع الكلمة والموسيقى والغناء الجذور الطبيعية اللازمة للارتواء من التراث .

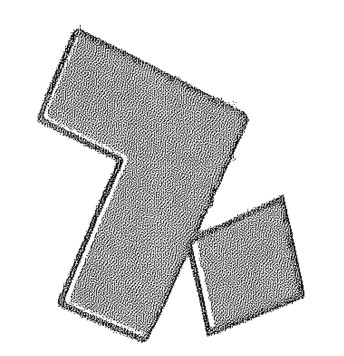
وفضلا عن ذلك ، فقد تمكنت من التكيف مع تلك الاشكال من الاستعراض التى ادمن الجمهور تذوقها .

● دعامة اقتصادية

ومهما يكن من امر فالدور المهيمن

فاطمة رشدى وحسين صدقى .. فى فيلم « العزيمة »





فى الذكرى الستين للسينما المصرية

الذى لعبته المصارف فى النهوض باستديوهات القاهرة ، هذا الدور قد اكسب الانتاج استقلالا مماثلا لذلك الاستقلال الذى حصلت عليه السينمات الوطنية الغربية .

ولكن اذا كان الاتساع المتزايد للسوق قد قوى من شأن دعاماتها الاقتصادية ، فهو قد جنح بها الى استغلال بلا هوادة لانماط سينمائية موثوق بها . بحيث اصبح نجاح الفيلم تجاريا مرتهنا بالالتزام بها .

حقا كان الانتاج مستقلا ما فى ذلك شك ، ولكن هل عبر عن التمصير كما كانت تراه وتؤمن به دوائر الاعمال اللبرالية ، ومعها المثقفون فى مواجهة قرون من الاحتلال التركى .. وكيف ؟

اول مايسترعى الانتباه بالنسبة لطبيعة افلام مابعد انتهاء الفترة الصامتة ، انها حاولت ان تتلاءم مع الذوق العربى .

والشىء المهم ، ان محاولتها هذه جرت على نحو ما من خلال منتجات تكاد لاتقول شيئا ، وليس من خلال البحث عن اساليب .

فالسينما لم تكن الا وسيلة ، وسندا جديدا لاستعراض قديم غير محدد المعالم لا يدفع الى امام ، والى اى بحث ( اى تساؤل ) شكلى او تقنى .

كل ما هنالك هو انها قدمت الى الجمهور ضحكا أو دموعا بالانطلاق من تراكيب مأخوذة تارة من الانتاج الغربى ، وتارة من تقاليد المسرح المصرى .

● تقليد سينما الغرب

**« اقتصروا فى القاهرة على اقتباس مسرحيات غربية معدلة بما يلائم ام كلثوم وعبد الوهاب » .**

وعندما كانت سينما الاسكندرية تريد تقليد اوروبا كانت تعيد انتاج الافلام الغربية ، ولكن بنكهة مصرية ، بلون محلى متميز .

هكذا كان الامر مع « بحبح » فقد استوحى « توجو مزراحى » بعضه من فيلم « المليون » « لرينيه كلير »

والعجيب ان سينما الاسكندرية هذه ـ وكان لها حظ كبير من الشعبية ـ كانت من صنع يهود وايطاليين ويونانيين اقاموا احيانا فى مصر واداروا فرقا عروضها قوامها مسرح مسرف فى الارتجال .

واقتصر دور الأوربيين على اداء المهام التى تستوجب « دراية تقنية » ( من حديث اجراه صاحب المقال مع « توفيق صالح » لنشره فى مؤلفه « قاموس السينمات العربية الجديدة »)

هذا هو حال السينما قريبا من بداية الثلاثينيات ، وذلك قبل ان يقوم امثال « ماريو فولبى » ، « مانويل فيمانس » ، « تيليو كيارينى » ، و« الفير اورفانيللى » ( بفضله تمكن « يوسف شاهين » من انتاج « بابا امين » ) يقوموا بالتخلى عن اماكنهم شيئا فشيئا ، ليحتلها من بعدهم « توجو مزراحى » ، « احمد جلال » ، « محمد كريم » ، « يوسف وهبى » و« احمد بدرخان » .. ميلاد شائع متعثر لسينما مصرية حقا ؟ ويا له من ميلاد بطىء شديد الشيوع !

ولقد كانت مصر البلد الوحيد فى العالم العربى الذى انفرد بالاشتراك فى المغامرة السينمائية قريبا من بداياتها .

ولكن كان لامناص من انقضاء مالا يقل عن نصف قرن حتى يمهد الطريق لمجىء سينما متحررة من ذلك التصور الذى يرى انها لاتعدو ان تكون مجرد سند مختلف للعروض التقليدية ( مسرح . غناء او رقص ) فقد كان الانتاج فى معظمه لا هو بالتعبير عن مؤلف ، ولا هو بالتصوير لواقع .

ويذهب هواة الافكار التى تجنح الى تبسيط الاشياء الى انه يمكن اعتبار السينما المصرية والسينما العربية كلا واحدا لايتجزأ .

وقد يكون ثمة حظ من الصحة لرأيهم هذا بالنسبة للانتاج اللبنانى ( اغلبه من انتاج مصريين ) وكذلك بالنسبة لبعض افلام على نفس المستوى التجارى جرى تصويرها فى مراكش ، او سوريا .

## ● التمسك بالواقع

فبدءا من سنوات الستينيات ظفرت دول عربية كثيرة بحظ من الانتاج السينمائى .

ومع ذلك فأى فيلم ذى قيمة انتجته السينمات الجديدة لهذه الدول فى فجر بداياتها العسيرة كما « وشمة » ( مراكش ) « رياح الاوراس » ( الجزائر ) « خليفة الشرير » ( تونس ) و« حارس الليل » بعد « سعيد افندى » ( العراق ) اى منها لاينتسب الى مدرسة متصلة بمصر سنوات الخمسينيات والستينيات ، مصر التى توهجت جذوتها ، فافصحت عن مكنون نفسها .

وفى الحق فلا وجود لاية سينما وطنية اذا ما اخذت فى التطور خارج اطار ثقافتها الخاصة بها او انفصلت عن الواقع بالتجريد له .

قد يستطيع رسام مؤمن من « سيينا » ( ايطاليا ) فى القرن الرابع عشر او مصور شخصيات ( بورتريه ) فى البلاط ( لندن ، باريس ، كيوتو ) ان يتجرد بفنه فيما يبدو لنا انه تمرد على عنصر الزمن وتجاوز له .

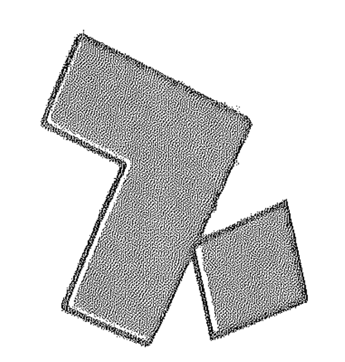
اما الفيلم ، فاذا كان يريد ان يعبر فى ايامنا هذه عن جوهر ايمان ما ، سواء اكان هذا الايمان دينيا او سياسيا ، او يريد التعبير عن روح شخصية ما ، فلزام عليه ازاء ذلك الذى يريد التعبير عنه ، ان يكون تناوله له خلال فترة زمنية محددة تحديدا دقيقا ، وان يكون ما يقدمه وثيق الصلة بالعالم اوثق اتصال .

**( والافلام العربية الاولى غير المنتسبة الى مصر قد حاولت ان تمسك بزمام الواقع من خلال العلامات الدالة عليه ) .**

## ● رهبة السينما !

عندما قام « محمد كريم » باخراج « زينب » ( ١٩٣٠ ) انطلاقا من رواية لم يوافق صاحبها ( يقصد محمد حسين هيكل باشا ) ان يوضع اسمه عليها الا بعد انقضاء عشرين عاما على نشرها ، وذلك يعزى الى ان الرواية كانت تعتبر نمطا ادبيا لا يجلب لصاحبه سوى العار ، فقد اثار « كريم » بفعلته هذه فضيحة ، لاتختلف كثيرا عن فضيحة « كمال سليم » بعد ذلك مع فيلمه « العزيمة » ( ١٩٣٩ )

ومن المفارقات انه كان لابد وان يجىء « جمال عبد الناصر » وينشىء قطاعا عاما حتى يمكن ان يتاح لهذا الاستقلال النادر ان يؤتى ثماره .



فى الذكرى الستين للسينما المصرية

وعلى كل ، فقد جاء ميلاد الواقعية المصرية مواكبا لتاريخ نشوب الحرب العالمية الثانية ، اى بعد ربع قرن من عمر السينما .

وما كاد يقع انقلاب ١٩٥٢ ( يقصد الثورة ) حتى أخذ النظام المنبثق عنه فى ممارسة لعبة « الاستغمّاية » مع الثقافة .

ورويدا .. رويدا جنحت السياسة من ناحية والفنان من ناحية اخرى ، الى الظن بأن الاخر هو وحده المعصوب العينين .

ورد الفعل المزدوج هذا ، كان امرا متوقعا بل واقعا لامحالة ، وذلك بحكم انه امر لازم فى جميع الاحوال التى تتبنى فيها السلطة ، ايا كانت طبيعتها التدخل فى الثقافة لتوجيهها الوجهة التى تشاء .

ومع ذلك ، فقد حمل زمن الاوهام هذا للسينما من الخير الشىء الكثير .

## ● قواعد جديدة للسينما

فقد دفعها الى التطور من عدة نواح ، بان فتح الابواب لجيل جديد من السينمائيين والتقنيين ، وارسى قواعد تعليم السينما فى مصر ، وشق طرقا لانتاج افلام خارجة على المألوف ، طالما ان الرقابة ليست لها بالمرصاد .

فالدولة قد عادت الى تبنى نظرية سنوات الثلاثينيات التى تخولها حق مايعرض ، وما يمتنع عرضه من افلام ، اية ذلك « المتمردون » لتوفيق صالح ( ١٩٦٦ ) « والقضية ٦٨ » لصلاح ابو سيف ( ١٩٦٨ ) ، فكلاهما يظهر بجلاء تنكر السلطة لاى تعبير يحمل اى انتقاد ، ولو سليم للواقع .

ومن المفارقات الجلية ، ذهاب السلطة الثورية المنبثقة من ١٩٥٢ فى الرفض الى مدى ابعد بكثير من احرار الامس .

فمعاداة فيلم « محمد كريم » « زينب » ، جاءت اصلا من دوائر دينية ، ضاقت به ذرعا لانها اعتبرت تصوير « حياة الاخرين » وبالذات حياة فلاحة فقيرة ، والادهى انها فتاة ، اعتبرت كل ذلك عملا منكرا .

وكان من نتائج تلك المعاداة ان ساد مبدأ اخضاع التعبير السينمائى ( والروائى ) لمختلف انواع الحظر ، هذا المبدأ الذى اصبح من الثوابت ، ويعمل به الى يومنا هذا .

ولم تكتف هذه الدوائر بنجاحها بل

كمال سليم



سعت سعيا حثيثا الى تضييق الخناق على اية محاولة للاقتراب من الحياة الواقعة .

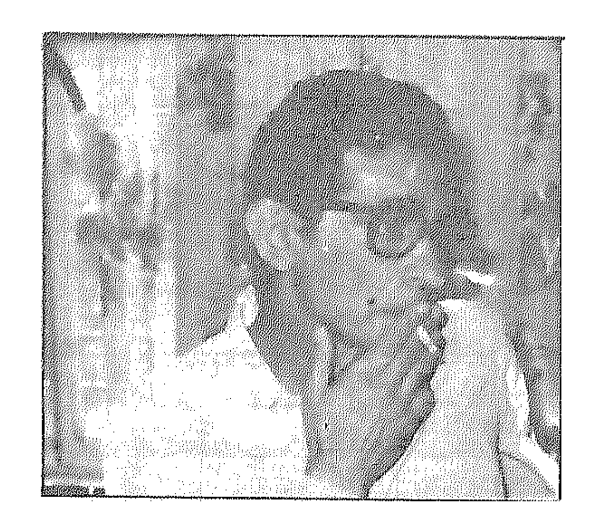
● نجدة كبار الملاك !

ولم يخيب كر الايام مساعيها فى هذا الخصوص حتى ان قانون الرقابة المصرية ، قد اصبح فى الشدة مضرب الامثال ، متجاوزا فى شدته هذه قانون « هايز » الامريكى السىء السمعة .

والواقع انه فى البلاد ذات البنيات الزراعية الراسخة لا تخيب هذه الدوائر الظن فيها ابدا ، فهى دائما متلهفة على نجدة كبار الملاك واخضاع الفقراء ، واستعباد النساء .

« فزينب » و« الحرام » ( بركات ١٩٦٥ ) وغيرها من افلام تعرض لمحنة النساء فى الريف كما « نوه » ( للجزائرى « طولبى » ١٩٧٢ ) كل هذه الافلام انما تؤكد استمرار المعاناة بجميع الوانها ، ولنفس الاسباب .

يوسف شاهين



غير ان « كمال سليم » عندما اراد ان يخرج « العزيمة » اذا به يثير بفيلمه هذا ضجة اكبر .. لماذا ؟

لان « العزيمة » لم يكن متوافرا فى حقه ذلك العذر الريفى المخفف ، عذر المشاهد الزائفة غير المألوفة لمتفرج المدينة ( مشاهد الريف ) .

فهو لم يصور سوى الحياة الواقعة اليومية فى الحوارى الشعبية بالقاهرة .

وهذه الموانع والخصومات لها فضل الاسهام فى بيان الوضع الحقيقى للسينمائى .

وفوق هذا كشف ضيق المساحة المسموح له بممارسة نشاطه داخل حدودها .

فظهور الشعب الصغير على الشاشة ، يعتبر فى نظر بورجوازية اصحاب الاعمال أوقع فى تأثيره السىء من ظهور الفلاح المجهول .

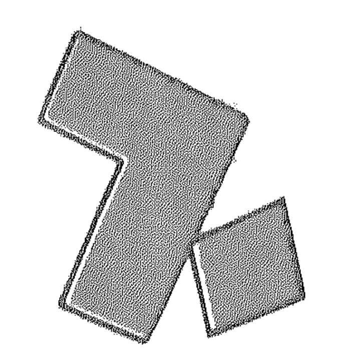
وهذه النظرة ليست رفضا سياسيا بقدر ماهى رد فعل طبقى .

فالفرجة على الفقراء فى السينما ، قد تبعث فى نفوس المتفرجين شيئا من التعاطف .

والرفض اليوم قوامه طبقة وسيطة من البرجوازية الصغيرة ( قطاع ثالث وموظفون ) لاتحفل بالفلاحين ومشاكلهم ، همها الاول والاخير العمل بهمة على تعميق الهوة التى بينها وبين عمال المدن ، وزيادتها اتساعا .

أما على صعيد السلطة فالرفض قد صار رفضا سياسيا والمبدأ المستأثر بتفكيرها بداءة ، هو ان هذه الموضوعات لاتثير اهتمام الجمهور فى قليل او كثير .

ولم تطرح عليها أبدا فكرة كيف يقلب هذا المبدأ رأسا على عقب ؟ ما الذى



فى الذكرى الستين للسينما المصرية

يتعين عمله لاثارة اهتمام الجمهور ولتضميد جراح مجتمع شوه نفسه بنفسه تشويها شديدا .

قبل الستينيات ، كان الرواد والمنحرفون يجرى الحكم عليهم من منطلق الربح .

**فالنجاح التجارى لافلام محمد كريم واحمد بدرخان فضلا عن النجاح غير المتوقع للعزيمة ، كل ذلك كان من شانه اتاحة الحرية للمخرج فيما بعد فى الا يدخل ضمن حساباته « التوليفة » السينمائية المالوفة اذا ماشاء .**

### ● رسالة الفيلم اولا

وهكذا كان الربح باعثا لمزيد من اللبرالية . بيد ان الحال لم يبق عند هذه الخطوة ثابتا .

والان ، لم يعد النجاح هو المقياس .. حل محله مقياس اخر .. رسالة الفيلم .

ورغم ان السينمائيين العرب ليسوا ، حسب المفهوم الغربى للثقافة بمثقفين الا نادرا ، فانهم فى المحصلة النهائية ، قد اصبحوا اكثر وعيا بأهمية اللعبة السينمائية ، وبالطبيعة المتميزة لصناعة يلزم العمل دوما على انتشالها من هوة الانتاج النمطى والربح دون مخاطر .

وكذلك كان حال السينما فى الغرب حيث عملوا بغير انقطاع على تحريرها من الخيارات التجارية ، وازالة الحواجز الرقابية او التحايل عليها .

**ولكن هذه السينما مالبثت ان تمثلت التراث الثقافى الضخم الذى اتصلت به ، مما كان سببا فى تنوع ماتنتج من آثار .**

وكذلك اصبحت السينما فنا ، بقدر انفصالها عن المصادر التى استلهمتها فى البداية ، هذه المصادر - اى المسرح والادب - التى سرعان ماتحولت الى كمائن مميتة .

**والى ان نشبت الحرب العالمية الثانية ، كانت مصر رغم حظها من المخرجين ، تفتقد ذلك النوع من السينمائيين الذى يعمل الفكر فى القوانين التى يفرزها اى فن ، اذا كان له ان يولد ، يدوم ويتجدد .**

حقا كان ثمة نفر من المخرجين المهرة ( بدرخان ، مزراحى ، كمال سليم ) الا ان اخص ما نلاحظه عليهم ان ايا منهم كان لاينفرد على المدى الطويل باسلوب يتميز به على الاخرين ، وذلك فيما عدا « محمد كريم » فى بعض العناصر التى تأتلف منها افلامه .

وبوسعنا ان نقول انهم كانوا يستشعرون بين الحين والحين ماهية السينما ( كتابة متحركة ، جديدة ومختلفة ) .

بيد ان مصر كانت بعيدة عن تجارب الروس فى العهد الذهبى ( يقصد فترة السينما السوفييتية خلال النصف الثانى من العشرينيات ) قدر بعدها عن هلوسات الطليعة الفرنسية المتطاولة على

المقدسات ( مان راى ، بونويل ، كوكتو ، فيجو ) .

فالمخرجون المصريون كانوا لايعرفون من امر الغرب شيئا .

والفيلم الوحيد الذى تأثر بتجارب الروس - وهو « لاشين .. بطل الشعب » - هذا الفيلم اخرجه المانى « فريتز كرامب » ( ١٩٣٩ ) حول فكرة قوامها هبات فلاحية ومؤامرات قصور .

و« كرامب » هذا كان يعيش فى مصر ، وقد اشترك على وجه الخصوص مع « جمال مدكور » فى اخراج « وداد » ( ١٩٣٦ ) ومع « احمد بدرخان » فى اخراج « نشيد الامل » وكلاهما مثلته « أم كلثوم »

⊙ خلل وتناقض !

ومايسترعى الانتباه فى « لاشين » هو مشاهد القرويين وهم يزحفون على القاهرة .

فكرامب فى تناوله قد اعتنى بالاطر وبتحريك الجماهير عناية فائقة ، مستلهما فى ذلك الدروس المستفادة من « ايزنشتين » وافلامه العظيمة ، وهى دروس حاول « خليل شوقى » ان يتذكرها عند اخراجه لبعض مشاهد « الجبل » ( ١٩٦٥ ) فاذا بهذه المشاهد تكشف فيما بعد عن ضعف هذا الفيلم المهجن ، وعما به من خلل فادح وليد تناقضات افقدته وحدته .

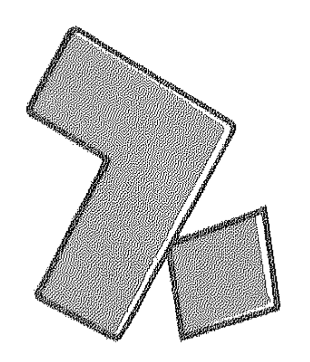
ويظل الحال كذلك الى ان ينجح « يوسف شاهين » و« توفيق صالح » فى تعمق تلك الدروس فيخرجا فيلميهما « الارض » ( ١٩٦٩ ) و« المتمردون » ( ١٩٦٦ ) .

**لقد تبنت مصر السينما كما تبنت منتجات وتقنيات اخرى قادمة من غرب كان لقوته الاقتصادية ولنفوذه الايديولوجي والثقافى اثر كبير وصل الى حد الهيمنة .**

والسينمائيون الاوائل فى القاهرة والاسكندرية اذا كانوا غرباء على مصر الحقيقية ، كما ذكرنا سلفا ، فالسينمائيون المصريون الاوائل كانوا بدورهم - وعلى مر مايقرب من نصف قرن - غرباء على ثقافتهم الوطنية .

فهم وقد خضعوا لمفاهيم عن اوروبا لم يستقم تحليلها بحيث استعصى عليهم فك رموزها الامر الذى ترتب عليه انهم لم يعتمدوا الا على اشكال من العروض سيئة السمعة ( الكباريه ) او الخطرة ( الاشتعارة الادبية ، المسرح والغناء والرقص ) اقاموا عليها - وهم فى غفلة غير مبصرين - سينما وطنية .

ولانهم كانوا منقطعى الصلة تماما بماضى مصر المذهل ( التعليم الحالى لايزال المسئول الاول عن ذلك ) جاهلين بواقع ريف لاتوجد مصر بدونه ، ولاترى الا به مشغولين بارضاء اذواق جمهور ضائع فى الاوهام - فقد تكلفوا الاستعمال - داخل الاستديوهات - لوسائل المسرح ونجوم الغناء ومن بعدهم نجوم الرقص ، كل ذلك انطلاقا من سيناريوهات ( غالبا ماكانوا هم مؤلفوها ) أو « توليفات » اصطنعت استجابة منهم لمتطلبات المنتجين )





واذ انهم كانوا ( ومازالوا ) فى كثير من الاحيان ممثلى مسرح ( يوسف وهبى ، عزيزة امير ) او مطربين ومخرجين يجمعهم مشروع واحد محدد ، فهم وامثالهم قد جعلوا من الفيلم مجرد سند تقنى لشىء منتج ـ استعراض ـ تتزاوج فيه عناصر متباينة على وجه يصعب معه رد ابداع هذا الشىء لاحد .

المرأة الحديدية .. استمرار الموجة المقتبسة



واذا كان مستوى شريط الصوت قد ظل على حاله ، كما هو غير معتنى به ، فالتصوير على العكس من ذلك كان يعنى به اشد عناية ، وان كان اخص مايلاحظ على الاطار المحيط بالصورة ، انه لم يكن يعنى به ابتغاء التعبير عن ذات الصورة ومكنونها ، وانما ايثارا لشىء اخر ، هو لفت النظر فى غير نفع الى ديكور او نجم .

## ● الجهل بطبيعة السينما

وهنا يمكن الجنوح فى تفسير ماتقدم الى القول بان ثمة تفرقة بين المصور والسينمائى ، ففى حين ان الاول مبدع ، فان الثانى ينحصر دوره فى تسجيل ماهو كائن تقنيا ، ولايتجاوزه الى اعادة التصوير .

وهذه التفرقة التى تقوم على عدم الفهم مردها الجهل بطبيعة السينما بوصفها فنا ، وهو جهل قد يكون له فضل تجنب الزج بها فى نزاعات دينية .

**ومع ذلك ، وعلى كثرة ماقيل فى حق السينما ، فما اكثر الذين رفضوا تاثرا بالتقاليد ، الذهاب الى السينما فى البلاد العربية لانها رجس من عمل الشيطان !**

وقد يكون تساهل العلماء هذا مستمدا من التفسير سالف الذكر .

وعلى كل فالتفكير الناقد يجد لهذا التفسير مايبرره فى تاريخ السينما .

فعلى امتداد اربعين سنة من الانتاج ، بقى الاطار المحيط بالصورة فى الفيلم

المصرى كما كان مفرغا من الواقع تفريغا يكاد يكون تاما .

وفوق هذا ظل خاليا من اى بحث حول التعبير تشكيليا بدقة واناة .

ومن عجب انه وفى بلد كمصر واسع الثراء بموروث من التقاليد والقيم الثقافية متراكم على مر آلاف السنين ، لايفيد السينمائى من هذا المورث شيئا به يعصم عمله من الجدب والعقم

ولكن هل كان ثمة احساس عند السينمائى قبل « كمال سليم » و« صلاح ابوسيف » ـ انه يبدع عملا يعبر به عن مصر ، وانه لو استلهم فنه من مصر ، لكان ذلك ايذانا بانعتاقه من رق النماذج والانماط التجارية ؟

غير انه مع حصول البلاد العربية الاخرى على استقلالها بدا هذا المأزق للعيان واضحا كل الوضوح .

وبفضل ذلك كان الخيار هو الاخر واضحا

فاما الانقياد للغة مستوردة ، لقواعدها ، ولنظام القيم الخاص بها ، واما ترجمة معطياتها فى مفردات حضارة مختلفة .

لقد نجح اليابانيون والروس والاسكندنافيون فى هذا الخيار وتحدياته ، محققين انجازا كبيرا

ولكن العالم العربى كان اقل حظا

فقد سلب على مر العصور من ثقافته الخاصة به ، ومصدر ذلك فيما يظهر سبات عميق اصاب ديار الاسلام قرونا .

واستعمار قصر تحصيل العلم فى اوروبا او فى جامعات محلية نادرة قصره على فئات من السكان محدودة انفردت بحظ كبير من الامتياز .

وكان لكل ذلك اثره على حياة الفنان العربى ، فقد وجد نفسه فى اتصاله بالغرب اسير موقف زائف ، تابع يجعله هشا ، عرضة للضياع .

**واذا كان السينمائى العربى يريد ان يخرج من هذا المأزق فعليه ان يحصن نفسه اولا ضد سحر المحاكاة للنماذج المستوردة المعروضة عليه فتنة له ، وان يخترع ثانيا اللغة التى يمكن ان تؤهله ـ فيما لو تغلب على ثرثرة الكلمات واعتياد السير على صراط مرسوم لا حيد عنه ـ تؤهله اخيرا للوصول الى جمهوره الحقيقى ، لاسترداد هويته شانه فى ذلك شان بعض سينمائى الهند ممن ساروا فى السبيل الذى يخرج بهم من هذا المأزق فنجوا ( مثل راى ، سن ، بنجال )**

ومهما يكن من شىء فمنذ صلاح ابو سيف ومسيرته الصبورة فى طريق الواقعية ـ وهى مسيرة سابقة على واقعية الايطاليين ( عمل ابو سيف مساعدا لكمال سليم اثناء اخراج « العزيمة » ) ومصر تدخل شيئا فشيئا فى الاطار السليم حيث نراها ، وقد بدأت هويتها المتعددة الاوجة المشروخة ، الغامضة ، المهمومة بدأت فى الظهور منعكسة على الشاشة تارة بالمجاز « المتمردون » وتارة بالحكى الاجتماعى « زقاق السيد البلطى » وتارة بالغوص فى الماضى « المومياء »

# جولة المعارض

# استلهام الفن الشعبى فى معرض حلمى التونى

بقلم : د. صبرى منصور

كان اول معرض اقامه الفنان حلمى التونى فى القاهرة عام ١٩٨٥ ، بعد غياب استمر لسنوات طوال فى لبنان . وخلال اكتوبر الماضى اقام معرضه الثانى الذى قدم فيه اعمالا تنحو فى مجملها نحو الاستفادة من الفن والرسوم والزخارف الشعبية ، وكذلك فن الوشم . ولقد اختار لمعرضه شخصية محورية دارت حولها الاعمال ، وهى شخصية فتاة أسماها نرجس ، وصورها منذ طفولتها وحتى زواجها وانجابها ، مرورا بفترة احلامها وصباها وتمردها ، كما صورها فى لوحات اخرى مع عناصر محببة الى قلبها كالبستان او الحبيب . واستفاد الفنان فى



نرجس والابنة
فى عيون الفنان





ان نرجس ترسم بالوشم على قلبها ..



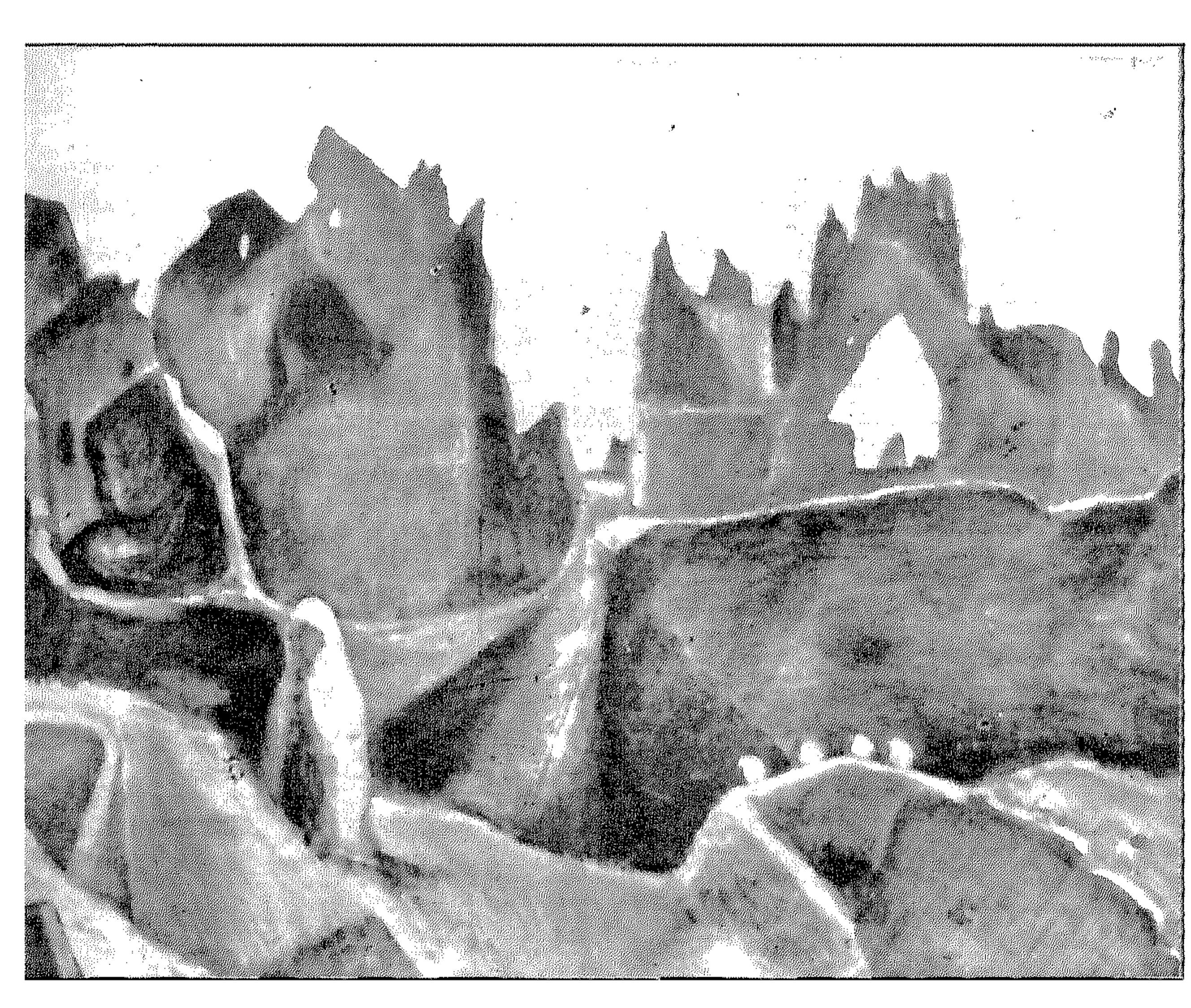
# جولة المعارض

صياغة فتاته من شكل عروسة المولد بملامحها الدقيقة الجميلة ، وألوانها المبهجة ، ومظهرها الانيق . انتهج التونى فى معرضه الجديد اسلوبا مختلفا عن اسلوب معرضه الاول ، والذى كان قد اقتحم فيه عالم فن التصوير من اوسع ابوابه ، واظهر ما يختزنه من حساسية تصويرية عالية بدت من خلال اللوحات كسجين يسعى للانطلاق من اسر العالم الذى استولى على الفنان فاستغرق فيه ، وهو عالم الملصق والاخراج الفنى للمطبوعات الذى تخصص فيه ومارسه سنوات عديدة ، واصبح علامة مميزة فيه على مستوى الوطن العربى ، ومع ذلك فهو مجال لا يمنح الفرصة الكافية للتعبير عن الافكار الذاتية ، والانطلاق فى دنيا الابداع بحرية كاملة . فالفنان مقيد فيه بعديد من الاعتبارات ، من بينها الموضوع الذى يتناوله الملصق او المطبوع ، والاستجابة لحساسية الجمهور ، وتلبية مطالب صاحب العمل ، بالاضافة الى الامكانيات التى يمكن ان توفرها او تحد منها وسائل الطباعة . ومن هنا لابد ان يأتى العمل واضحا جذابا ، مرضيا للذوق العام . اما فى التجربة الفنية الخالصة ، فإنه لا توجد أى اعتبارات يضعها الفنان نصب عينيه سوى تحقيق القيم الفنية فى اسمى مراتبها . وذلك هو الطريق الذى اتبعه التونى فى معرضه الاول ، فجاءت الاعمال ـ وقد ابتعدت عن المباشرة والوضوح ، واتسمت بالغموض الفنى ، وسادها اللون الغنى المتدرج فى هدوء وشفافية ، وحفلت التصميمات بحوار بليغ بين الأشكال والفراغ .

وفى معرضه الثانى يبدو أن التونى قد غلب عليه عالمه الاثير ، فقد ظهر مزاحما لميل الفنان التصويرى ، ومنازعا له ، بل ومتغلبا عليه فى معظم الاعمال . فنراه يلجأ الى التصميم الزخرفى البسيط ، واللون المبهج الصريح ، والتناول المباشر لعناصر ووحدات من الفن الشعبى دون تعديل او تحوير ( كالسمكة والاسد شاهرا سيفه والنخلة والطائر والديك ) كما غلبه اسلوبه الصحفى حين لجأ الى حشو الفراغات ، فامتلأت التكوينات بتفاصيل غرضها الاساسى هو التزيين . ولم يبق من تجربة المعرض الاول للتونى غير قدر من الرومانسية والخيال الشعرى الرقيق الذى يستدعى الى الذاكرة اسلوب المصور شاجال فى جرأة الجمع بين العناصر وغرابة توليفها .

وفى بعض الاعمال استطاع التونى ان يزاوج بنجاح بين الاتجاهين اللذين يتأرجح بينهما ، حين خفف من حدة اللون ومباشرته ، وقلل من الوحدات الزخرفية ، وايضا عندما اعطى لأشكاله الفرصة كى تتنفس فى الفراغ المحيط بها . وربما كانت هذه الاعمال هى المدخل الى مرحلة جديدة تتبلور فيها كل العناصر المتصارعة فى فن حلمى التونى وتذوب فى شخصية متميزة تكون اثراء واضافة للتصوير المصرى فى المرحلة الراهنة .

# حوار الأطلال
## فى معرض عزالدين نجيب



- نادتنى الواحة .. وباحت لى بالاسرار ..

منذ سنوات قليلة اتجه عزالدين نجيب الى التعبير عن الطبيعة المصرية ، ممثلة فى مناظر مستقاة من منطقة الوادى الجديد والواحتين الداخلة والخارجة ، ثم صحراء وجبال سيناء ، واخيرا واحة سيوة التى عرض انتاجه عنها فى قاعة اتيليه القاهرة فى اكتوبر الماضى . وفن المنظر وان لم يكن جديدا على انتاج الفنان - الذى كان يطالعنا بين الحين والاخر بمناظر من الاحياء الشعبية كالقلعة

والحسين ـ الا انه قد اتخذ فى السنوات الاخيرة موقع الصدارة فى ابداعه . ولعل البداية كانت حين شارك الفنان فى رحلة نظمتها الثقافة الجماهيرية لمجموعة من الفنانين لزيارة الوادى الجديد ، بغرض اتاحة الفرصة لهم للتعبير الفنى بعد زيارة ميدانية ومعايشة فعلية للمكان . وقد اثمرت التجربة معرضا جماعيا تميزت معظم الاعمال فيه بتلقائية التعبير وسخونته ، وكان للعناصر الجديدة التى تناولها الفنانون فى اعمالهم من واقع البيئة تأثير كبير ساهم فى كسر حدة الملل والرتابة التى سيطرت على اغلب معارض الفن التشكيلى فى الفترة الاخيرة . ومنذ ذلك الحين يبدو ان عز الدين نجيب قد وجد لتجربته الفنية منحى جديدا ، فلقد ظهرت اعماله التى انجزها فى رحلة الوادى الجديد وقد اتسمت بملامح جديدة حين اسرته الظلال القاتمة والاضواء المبهرة فأجاد صياغة الحوار بينها ـ وكذلك تحولت المنازل ذات العمارة البدائية الى كتل نحتية كاد الشكل الانسانى ان يختفى منها ، ومع الواقعية والبساطة فى التناول فان التركيز قد انصب على العلاقات التشكيلية . وقد ظهر ذلك كتحول فى مسار تجربة الفنان الذى تعودنا تناوله للقضايا الاجتماعية فهو يؤمن بأن الفنان صاحب رسالة اجتماعية واضحة ، وان الفن يجب ان يلتحم مع الجماهير العريضة مستلهما قضاياها ، ومحطما لجسور العزلة التى تبعده عنها

ومع ذلك فان عز الدين نجيب الذى يبدو كأنه قد هجر مؤقتا تناول الموضوعات الملتهبة ( وكان آخرها لوحته عن مذبحة صابرا وشاتيلا وقد عرضها عام ١٩٨٣ ) فانه لم يهجر الملامح الاساسية لاسلوبه الفنى ، فهو مازال فى مناظره واقعيا ، لا يلجأ الى التحريف والتحوير الا نادرا ، وهو ان فعل ذلك ففى اضيق الحدود ، مثلما رأينا فى لوحاته عن جبال سيناء وقد اتخذت قممها اشكالا آدمية ، او حينما يصور طائرا باسطا جناحيه فوق بقايا البيوت التى بدت كقلاع شامخة تتحدى الزمن ، فيضفى على الاعمال طابعا رمزيا . او حينما يرسم امرأة وحيدة تعدو فى خلاء المنظر ، ويرمى ظلاله الطويلة الداكنة ذات المصدر المجهول لتذكرنا بظلال دى كيريكو وعالمه الميتافيزيقى .

وفى معرضه عن واحة سيوة قد استهوته فكرة الاطلال التى تثير الشجن والحنين الى الماضى « نادتنى الواحة وباحت لى بالأسرار » فهو كالشاعر العربى القديم الذى كان يحلو له الوقوف على الديار التى غادرها الاحبة والخلان فأصبحت اطلالا مهجورة ، فتوقد قريحته ليرسل الشعر ابياتا محملة بالشوق والذكريات ، وهكذا تشى اعمال عز الدين نجيب الاخيرة ، فتلك الاطلال كانت ذات يوم منازل وقلاعا آهلة بالعمران والحضارة والبطولة ايضا . وهو حين يلبى النداء ويهرع الى الواحة طالبا الصفاء والسكينة

فانه سرعان ما يكتشف من خلال الحوار مع اطلالها ، ومزج الماضي البعيد بالحاضر القريب خيبة امله وفشل مسعاه . فلقد واجهته الاطلال بالحقيقة عارية من كل زيف « هكذا لبيت نداء الواحة كي اطفيء ظمئي وسط الحصار والهجير ، فاذا هي تردني ظامئا الى داخل اسواري ، وتواجهني بواقعي ، لكني عدت محملا بهذه الاطلال - المواجهة » .

ولقد تنازعت في مناظر عز الدين نجيب الاخيرة ثلاثة اتجاهات ، اولها هو التسجيلي المباشر ، فالطبيعة احيانا تملك سحرا كامنا فيها ، لا تملك معه ان تضيف اليها او تحذف منها ، بل تتقبلها كما هي دون تصرف في العلاقات القائمة بين عناصرها ، والاتجاه الثاني يميل ناحية الزخرف ، كما تبدى في بعض المناظر التي بسطها الفنان وقسمها الى مساحات مثلثة ، ولونها بألوان شبه صريحة خالية من التنغيم ، وهو اتجاه ظهر غريبا على اسلوب الفنان وشخصيته ، وربما لجأ اليه من باب التجريب . اما الاتجاه الثالث فهو اقرب الى روح الفنان ، ويتصف بالعمق والتدخل الحذر في عناصر المنظر ، حين قام الفنان بتأكيد الظلال ومدها لتربط بين الاشكال ، وتصرف في العلاقات بين الكتل والفضاء المحيط بها ، واضفى عليها ايحاء بالحركة ، كما اولى السطح عناية اكبر بتنغيم الملامس فيه ، واجرى تعديلات جوهرية على تركيب الوانه فاكتست ثوبا رماديا مشربا بالزرقة اعطى مذاقا فريدا للوحات ، وخلق جوا اسطوريا مشبعا بالغموض .

وقد اكد هذا الاتجاه الاهتمام المتزايد الذي بدأ يوليه عز الدين نجيب للعلاقات التشكيلية الخالصة ، التي يجب ان يواكب الاعتناء بها عمق المضمون وسمو الفكرة الادبية .

والواقع ان اعمال عز الدين نجيب تثير دائما التساؤل حول امكانية التوفيق بين التعبير الادبي ، والتعبير الفني التشكيلي ، والمحافظة على النجاح في التعبير بكل واحد منهما بنفس المستوى من التميز . فالجانبان وان كانا قد اجتمعا من قبل عند العديد من المبدعين امثال - وليم بليك ولوركا وموديلياني وبيكاسو وبول كلي وجبران خليل جبران ، الا ان هناك ميدانا واحدا قد طغى على الاخر عندهم ، فكان الميدان الذي برزوا فيه واضافوا اليه وعرفوا به . فالتعبير عن فكرة بأدوات الأدب يختلف اختلافا كبيرا عن التعبير عن فكرة وسيطها اللون والشكل . واذا كان المضمون يأتي للمبدع ممتزجا باسلوب تنفيذه ، فلنا ان ندرك مدى الصعوبة الفنية التي يواجهها الفنان التشكيلي والكاتب الاديب عز الدين نجيب ، ومقدار الحذر والتيقظ والوعي الفني الذي يجب ان يكون دائما مسلحا به حتى يظل محلقا في سماء الابداع بجناحي الادب والفن ، ونعتقد انه قادر على ذلك

## رحلة الحروف الى التجريد المطلق فى معرض حجازى

● قدم الفنان محمد رضوان حجازى فى معرضه الذى اقامه بقاعة اخناتون الشهر الماضى اعماله الجديدة التى اعتمد فيها على استفهام الحروف العربية . وكان منذ سنوات ـ اثناء عمله بالكويت ـ قد بدأ رحلته عبر الحروف المقروءة ، والجمل المفهومة ذات الدلالة الدينية المباشرة . فى تلك الاعمال الاولى سادت الصنعه والتقنيه الزائدة ، حتى لقد بدت كلوحات الحرفيين ، ولكن تجارب حجازى التالية اظهرت تحررا تدريجيا ، وافسحت المجال لحرية التناول وسلاسته ، كما شهدت اختفاء الحروف والجمل المقروءة بعد ان استخلص الفنان منها ايقاعها التشكيلى الذى تراوح ما بين القوة والرقة ، فى اعمال تجريدية الطابع ، متمكنة الاداء . وقد اقام الفنان فوق ارضياتها المحايدة حواره بين الاشكال وبقايا الحروف والنقط والهمزات والشدات والفصلات ، فهى حينا تتمايل فى رقة ( مؤثرات الخط الكوفى ) ، او تتصارع فى قوة ( مؤثرات الخط الركعة ) واحيانا اخرى تتسامى فى شموخ ( مؤثرات الخط النسخ ) ، اما فى تجارب الفنان الاخيرة فلا نكاد نلمح اى تأثير للحروف ، معلنا ولوجه ـ بعد رحلة المفهوم ـ الى عالم التجريد المطلق .



## معرض الفنانين: سامح الميرغنى وكريمه يس

اقيم معرض للفنان سامح الميرغنى والفنانه كريمة يس بأتيليه القاهرة فى الفترة ٩/١٣ الى ١٩٨٧/٩/٢٥ وهو المعرض الثانى للفنانين وقد عرض الفنان سامح الميرغنى ثلاثين عملاً فنيا عن القاهرة كما يراها . مستخدما الكولاج مع الحبر الشينى فى التعبير عن رؤيته الجمالية . ومخاطبا المتلقى العادى بعيدا عن الاساليب والمدارس الفنية الحديثة ، وكاشفا عن الواقع .

وعرضت الفنانة كريمة يس ثلاثين عملا فنيا نرى تطورا ملحوظا بدأ بالطبيعة الصامتة وقدرتها على استخدام اللون فى تحريك العناصر الصامتة وانتهاء بالبورتيريه وامكانية توظيفه فى صياغة موضوع فنى .

- تحرر الحرف العربي فى لوحات حجـازى واصبح سلس التناول



احدى اللوحات الحديثة للفنانة كريمة يس

مؤتمر الفن التركي الثامن

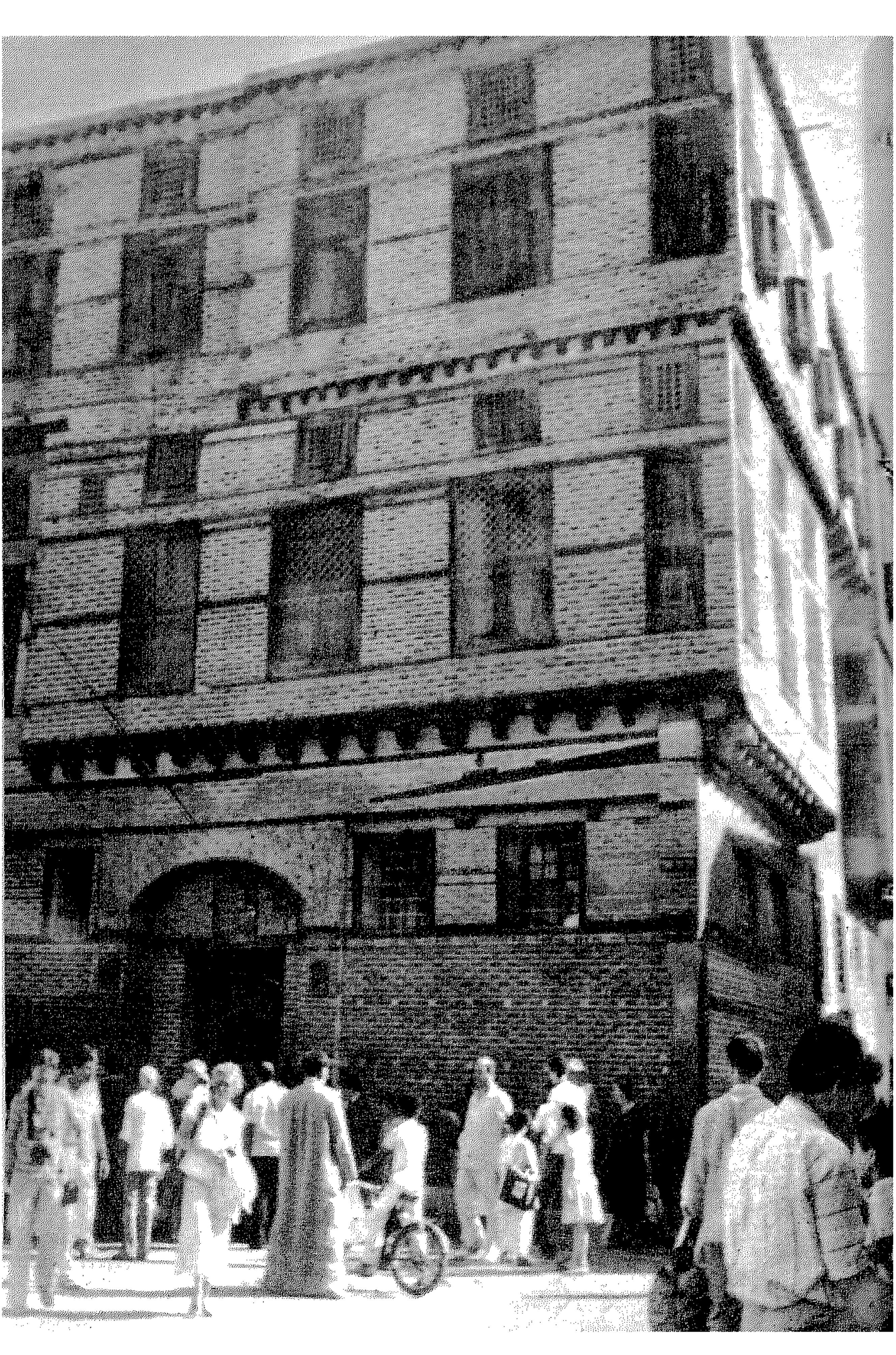
# فنون مازالت في الوجدان المصري

بقلم : أحمد أبو كف

●● رغم الدعاية المكثفة التي واكبت أوبرا عايدة .. فإن الكثير من المصريين أحجموا عنها او شهدوها ربما من قبيل الوجاهة ، فهم بعيدون عن هذا الفن الاوبرالي ، ورغم ذلك فقد تجاوبوا بشكل ملحوظ مع الموسيقى التركية التي عزفت فوق قلعة صلاح الدين بالقرب من مسجد محمد علي الكبير . حشد كبير تزاحم ليشنف اذانه بالبشارف والسماعي والادوار .. فهذه الموسيقى ليست غريبة علي المصريين ، لقد لعبت دورا كبيرا في تشكيل الوجدان المصرى اكثر من ثلاثة قرون . ونتيجة لذلك فقد كان متفقا علي ان يقدم الاتراك حفلة واحدة ، فاضطروا الى تقديم حفلة اخرى .

المصريون تصطرع فى دمهم الموسيقى الشرقية .. التى اول من وضع قواعدها هم الاتراك فقسموها الى اقسام ووضعوا لكل قسم اصواته ، ولكل صوت مقامه حتى بلغت المقامات اكثر من مائتين . كما انهم حددوا سلم الموسيقى الشرقى تحديدا علميا لايقل فى كماله عن السلم الغربى ●●

أحد بيوت مدينة رشيد وهى عثمانية الطراز وفيها ملامح الفن التركى ←



# فنون

مازالت في الوجدان المصري

● وقد كانت الموسيقى التركية واحدة من معالم الفن التركي ، التى قدمت فى مؤتمر الفن التركى الثامن والذى يعقد كل اربع سنوات ، ويناقش الفنون والعمارة التركية .

على انه بجانب الموسيقى التركية قدم الاتراك فنا هو اقرب الى المصريين بالتاريخ والوجدان من اى شعب اخر ، فقد أضاء الفن التركى سماء القاهرة بثلاثة معارض ، اهمها معرض اعمال الخطوط والزخارف . اربعون عملا فنيا من اصول المخطوطات النادرة ، وتذيب آيات قرآنية بالاضافة الى لوحات خطية مزخرفة ومذهبة بجميع أنواع الخطوط التى ابدعها الخطاطون الاتراك بالذات وعلى رأسهم الخطاط الاشهر « زهدى » . وبالاضافة الى ذلك قدم ممثلو ٢٦ دولة من دول العالم ٥٧ بحثا فى الفنون ومثلها فى العمارة التركية واستطاع المؤتمر ان يجذب الانظار بجانب مترو الانفاق واوبرا عايدة .. واستطاع رئيس المؤتمر د . احمد قدرى ان يشد القلوب حينما وقف يتحدث عن التحدى الحضارى الذى يفرض على مصر لانقاذ اثار اسلامية مهمة ، ومنها اثار عثمانية الطراز مثل اثار رشيد ومساجد وأسبلة ، وبيوت فى القاهرة .

## ● الفن التركى فى مصر

والواقع ان الاتراك ـ كما فى بحث د . سعاد ماهر استاذة الاثار الاسلامية حول الفن التركى فى مصر ـ قد بدأ نفوذهم يظهر بشكل واضح فى سياسة الدولة الاسلامية فى العصر العباسى فى القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) ولعل اهم الشخصيات التركية التى لعبت دورا بارزا فى تاريخ الدولة الاسلامية عامة هو محمود الغزنوى الذى استطاع ان ينشر الاسلام فى جنوب ايران والهند وافغانستان فى القرن الخامس الهجرى « الحادى عشر الميلادى » ، ومنذ ذلك التاريخ ارتحل كثير من الاتراك السلاجقة الى ايران فى عصر الدولة العباسية . كما ان السلاجقة صار لهم سطوة وسلطان فى الدولة العباسية . بل لقد تمكنوا من هزيمة الدولة البيزنطية فى موقعة « مانزكرت » عام ١٠٧١ ميلادية .

ولقد استمر زحف السلاجقة الاتراك فى اسيا الصغرى ، حتى استطاع عثمان ابن أرطغرل هزيمة المغول هناك ، واتخذ من مدينة « إسكى شهر » عاصمة له ، ولقب نفسه « باديشاه آل عثمان » وهكذا تكونت الدولة العثمانية فى اسيا الصغرى منذ عام ١٣٠٠ ميلادية . ولم يمض نصف قرن من الزمان حتى استولى محمد الفاتح على مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣ ميلادية ، وبذلك استولت الدولة العثمانية على جميع املاك الدولة البيزنطية التى ظلت قائمة اربعة عشر قرنا من الزمان .

وتضيف د . سعاد ماهر اننا اذا تركنا الجانب التاريخى وتحدثنا عن الجانب الفنى والاثرى فإن الامر يحتاج الى موسوعات طوال حتى نستطيع ان نوفيه ولو بعض حقه من الدراسة والاهتمام .

**فمن ناحية العمارة والفنون فقد كان هناك تاثرات وتاثيرات واضحة . ففى مجال العمارة الدينية تميز المسجد**

التركى بمميزات انفرد بها الا وهى القبة التى تغطى مكان الصلاة كله ، وكذا المئذنة المرتفعة التى تنتهى بشكل مخروطى يعرف باسم « القلم الرصاص » .

كذلك تميزت العمارة المدنية واهمها المنازل ، بمميزات خاصة ، فلقد خطط المنزل التركى بحيث يكون مدخله على شكل زاوية قائمة ، فلا يرى الداخل من بصحن أو حديقة الدار من النساء والحرمات . كما روعى فى بناء المقعد الرجالى ان يكون اما فى مواجهة المقعد الحريمى اذا كانت مساحة الدار تسمح بذلك . اما فى حالة ضيق المساحة ، فان المقعد النسائى يعلو المقعد الرجالى ويطل عليه . والقصد من هذه المواجهة هو مشاركة النساء الرجال فى اجتماعاتهم دون ان يروا النساء .

وبالنسبة للفنون الجميلة التركية ، مثل صناعة السجاد والنسيج والزجاج والخزف ، فقد كانت ولاتزال اروع ما انتج بالنسبة للفنون الاسلامية عامة ، وعلى سبيل المثال فان الدولة العثمانية عنيت عناية خاصة بصناعة سجاجيد الصلاة بكثرة لم تشاركها فى صناعتها دولة اسلامية اخرى بهذه الوفرة والاتقان ، وهناك نوع من السجاد انفردت به تركيا ، وهو المعروف باسم « تشنمانى ».

كذلك امتازت تركيا بصناعة انواع من الخزف انفردت به ايضا ، ولاتزال حتى الان موضع تقدير فنى وصناعى . ومن اهم مراكز صناعة الخزف مدينة بروسه ، ثم ازنيك وكوتاهيه واسطنبول وشناك كال ، ومورفت .

ولقد انفرد الخزف التركى بنوع من الطلاء الطبيعى ذى اللون الطماطمى ، وهو المعروف باسم Armenian Bole ومعناه الحرفى هو عرق معدنى فى تربة ارمنيا .

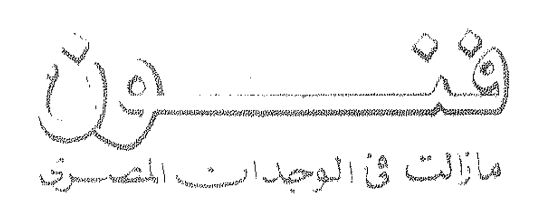
ولقد امتاز الخزف التركى بزخارفه النباتية القريب من الطبيعة الى حد كبير ، وخاصة زهرة ملالة « شقائق النعمان » ويقال ان العثمانيين اقبلوا على رسم هذا العنصر النباتى لقرب اسمه من لفظ « الله » جل جلاله

اما عن صناعة المعادن عند الاتراك فقد وصلت الى درجة من الرقى والروعة لاتزال تحتفظ بها حتى الان . وقد تعددت انواع المصنوعات والمشغولات المعدنية من ادوات للاستعمال المنزلى او لزخرفة الغرف والعمائر ، اما صناعة الحلى فهى لاتزال تحتل مركز الصدارة فى العالم .

وللنسيج التركى شهرة واسعة حتى الان ، ونعنى به النسيج اليدوى فتركيا لاتزال تصنع الديباج الذى يحتوى على خطوط معدنية فى معظم الاحيان واسمه العلمى Brocade . اما منسوجات الدمقس Damascus فهى لاتزال تعتبر من ارقى واعلى المنسوجات الحريرية اليدوية حتى الان .

## ● الأسبلة العثمانية

من بين الابحاث ايضا بحث طريف حول الاسبلة العثمانية نصف الدائرية التى كثرت فى مصر كوسيلة لكسب الثواب عن طريق توفير المياه الصالحة للشرب لعابرى السبيل . وقد اهتم السلاطين والامراء وذوو النفوذ والجاه ببناء الكثير من الاسبلة وتوفير المياه لها عن طريق




ملئها من النيل ، أو من المياه الارضية بواسطة السواقى ..

ولقد شهد العصر العثمانى كما يقول د . عادل شريف علام فى بحثه حول طرز الاسبلة العثمانية النصف دائرية ـ تطويرا واضحا فى عمارة السبيل ، اذ انه بجانب الاسبلة ذات النمط المحلى التى اتخذت من السبيل المملوكى اساسا لها جرى تشييد اسبلة القاهرة فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى « الثامن عشر الميلادى » ، واتخذت من اسبلة استانبول نموذجا لها .

ويتصل بهذا البحث بحث اخر بعنوان « تأخر الطراز العثمانى فى زخارف أسبلة القاهرة » ألقته د . نعمات علام حمدى .

فهى تقول : اننا اذا اختبرنا الامثلة الموجودة حاليا للاثار المبنية بالقاهرة بعد الغزو العثمانى لمصر فى بداية القرن السادس الميلادى ( ٩٢٣ هـ ) لانجد الزخرفة العثمانية قبل القرن الثامن عشر ، فقد ظلت مصر مرتبطة بالفن المملوكى فى العمارة المحلية لقرنين من الزمان تقريبا . وهناك امثلة من فن الزخرفة قبل العصر العثمانى ، الذى استخدم لتزيين واجهات الاسبلة بالقاهرة لكنه فى اسبلة متأخرة

ملامح من الحياة التركية المجسمة من المتاحف

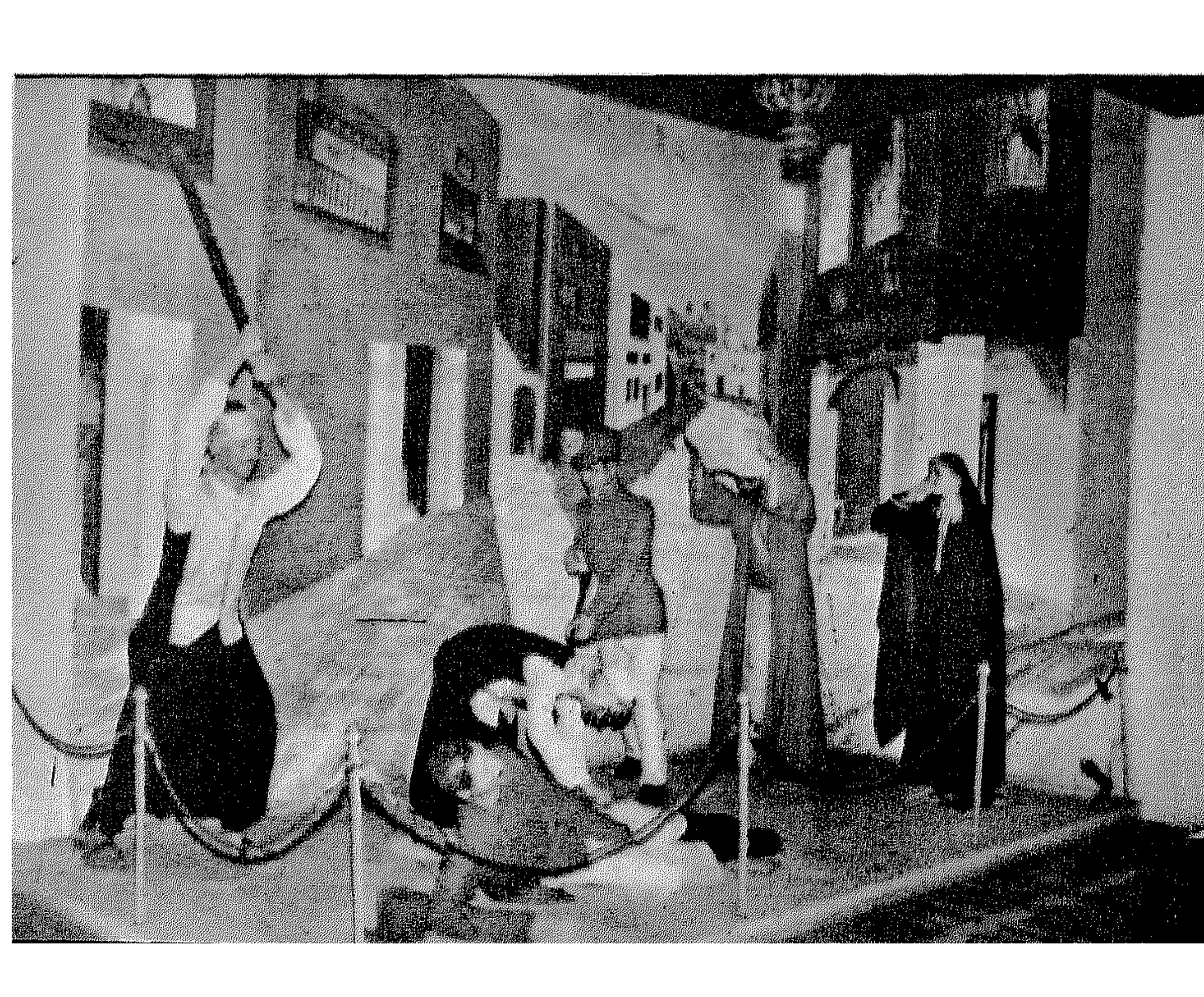
من الاسبلة نلاحظ تبنى الاسلوب الزخرفى العثمانى .

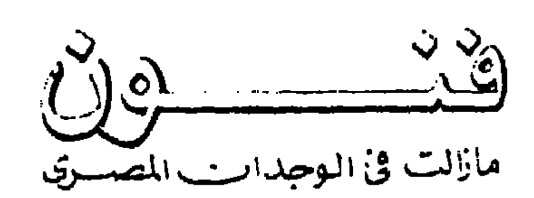
## اشكال معمارية جديدة

فى مجال المعمار .. كانت هناك عدة بحوث منها بحث د . درويس بيهرنس ابو سيف بعنوان « الزخارف المعمارية فى القاهرة فى القرن الثامن عشر » يقول البحث : ان الاحتلال العثمانى لمصر انتج اشكالا معمارية جديدة متواضعة باحتراس من مبنى لاخر ، وظهر الابتكار اساسا فى المجال العمارى فى مستوى الزخارف العمارية ، بينما ساد الطرار المملوكى بطريقة منتظمة لمدة اطول .

ولم تظل العمارة فى القاهرة فى فترة الحكم العثمانى جامدة على الرغم من انها لم تكن بنفس الايقاع الذى كانت عليه فى ظل الحكم المملوكى ، وفى خلال القرن الثامن عشر الميلادى ظهرت عوامل جديدة اساسها اناضولى عثمانى فى نفس الوقت الذى ظهر فيه التحسن على نوعية الزخرفة .

وفى مجال زخرفة المعمار العثمانى ظهرت التأثيرات البيزنطية على الابنية فى القاهرة وفى الحقيقة فانها ظهرت مرة اخرى لان العمارة الفاطمية ( ٩٦٩ هـ - ١١٧١ م ) كانت قد تأثرت بالعمارة






البيزنطية طبقا للتقاليد المحلية والحرف الاجنبية .

ولقد ظهرت الدائرة الرئيسية والمتدليات الكروية والنقوش اللولبية على الاعمدة التى كانت تظهر بطريقة طبيعية على التذكارات الحجرية المعمارية الخاصة بالعصر الفاطمى مرة ثانية فى العصر العثمانى ، ويمكن مشاهدة اساليب نموذجية عثمانية مثل شجر السرو ، ورسوم النباتات الحقيقية والزخارف المنحوتة مثل الشوايات الجديدة المعقدة التى ظهرت لاول مرة فى مبانى القاهرة .

وبالاضافة الى التأثيرات الفاطمية فهناك بحث بعنوان « التأثيرات المملوكية فى الفن العثمانى فى مصر » لمدير متحف الفن الاسلامى بالقاهرة با نعمت محمد ابو بكر يقول البحث : ان الفنانين العثمانيين فى مصر حاولوا ان يظهروا بعض الاساليب الزخرفية الجديدة على الفنون المصرية بصفة عامة ، غير انه لم يكن من السهل ان يغير الصناع والفنانون ماكان لديهم من طرز عمارية واساليب فنيه بسرعة كما كان من الصعب عليهم ان يروا مسحة اجنبية تسود فنونهم وصناعتهم التى ورثوها من ابائهم واجدادهم الذين عاشوا زمن المماليك . ولذلك ظل كثير من الاساليب والعناصر الفنية التى كانت سائدة فى عصر المماليك مستعملة فى العصر العثمانى .

● ● ●

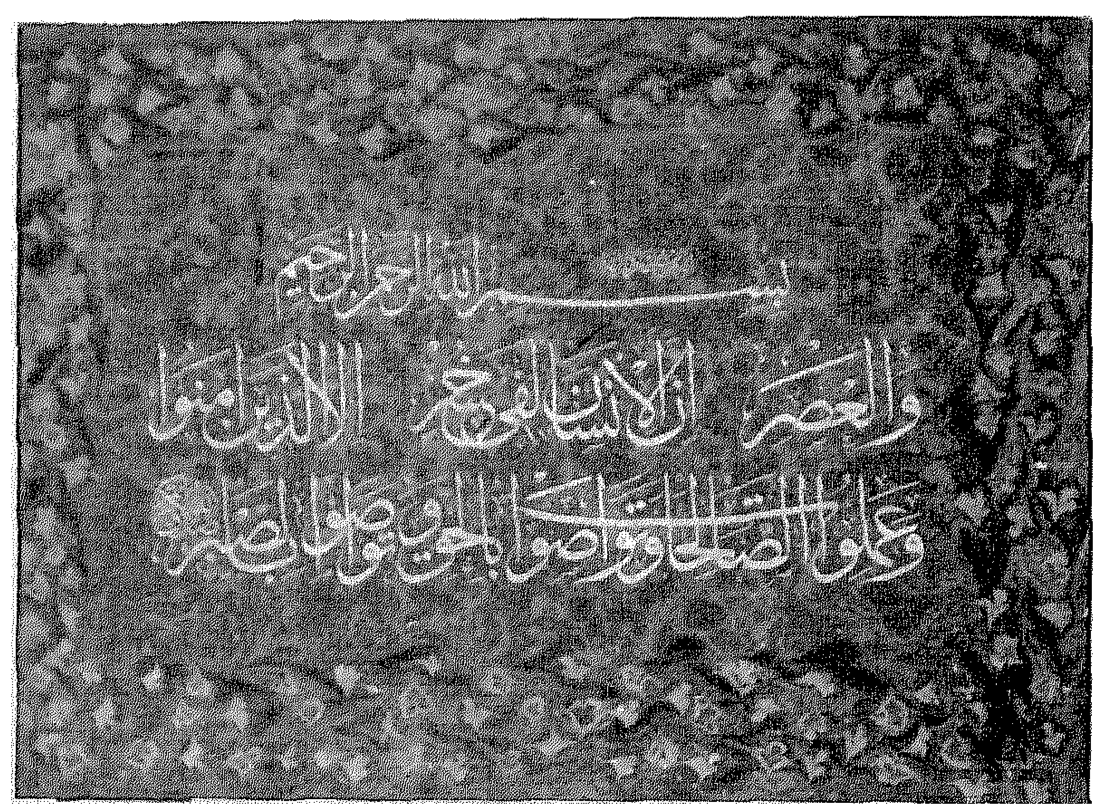
هذه بعض البحوث .. التى القيت .. واغلبها يرى ان الفنون التركية ، هى فى الاصل فنون مملوكية ، او فاطمية الاصول ، وأن الاتراك العثمانيين حاولوا كثيرا استنباط فنون تنتمى اليهم ، وقد نجحوا فى القليل الذى قاموا بتطويره .. ولم يبدعوا سوى فى اقل القليل الذى يمكن ان يقال عنه انه فن تركى .

ولقد حاولنا تقديم الفن الذى يطلق عليه الفن التركى فى مصر ، لأن مصر بها اكثر كمية من الاثار الدالة على ذلك .. لكن المؤتمر القيت فيه بحوث حول الفن التركى فى ليبيا ، واليمن ، وتونس ، وتركيا ، أيضا كما القى فى المؤتمر ايضا بحث حول مجموعة السيراميك التى اكتشف حديثا فى بحث قدمه د . نازان اولكير وملاحظات حول هندسة المبانى فى شرق الاناضول قبل الفترة العثمانية ، وبحث عن العمارة الاسلامية فى المجر فى القرنين ١٦ و ١٧ الميلاديين ، وبحث للدكتور جونيل ادنى حول الهندسة العثمانية والمملوكية فى مساجد القاهرة ، وبحوث عن المساجد فى تونس ، وفى منطقة البحر الاسود الشمالية .

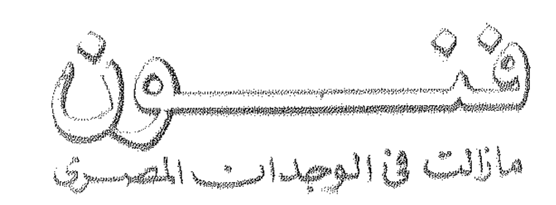
## آثار رشيد الإسلامية

اخيرا .. ماذا فى رشيد من الاثار العثمانية ؟.

الواقع ان رشيد اصلا كمدينة ترجع من ناحية تخطيطها وعمائرها الدينية والمدنية الى العصر العثمانى ، فلقد سجل فى عداد الاثار مجموعة من المنازل والمساجد والزوايا كما وجدت بتلك المدينة منشآت تجارية ، باعتبارها الثغر التجارى المهم فى مصر فى تلك الفترة : وتنقسم هذه المنشآت التى وجدت كما تقول د . آمال العمرى الاستاذة بكلية الاثار جامعة




برع العثمانيون فى تذهيب وتجليد المصاحف .. واللعب بالخطوط كان السلاطين خطاطين ، وأول من ابتدع « الطغراء »




القاهرة فى بحثها الذى قدمته للمؤتمر الى منشآت قائمه بذاتها ، تتمثل فى الوكالات والخانات التى زالت جميعها ويمكن الاستدلال على موقعها من الوثـائق الخاصة بالفترة العثمانية فى مصر ، ومازال الخان الذى انشأة الوالى داود باشا موجوداً فى كنيسة الكاثوليك حيث اشتروا هذا الخان وادخلوه فى كنيستهم . اما النوع الثانى فى المشآت التجارية ونعنى به الجزء المخصص فى بعض بيوت التجار برشيد والذى يطلق عليه اسم الشادر ، فكان يؤدى عمل الوكالة من ناحية حفظ البضائع وتسويقها .

ولاهمية رشيد بالنسبة للاتراك فلقد رتبت زيارة لاعضاء المؤتمر بدأت بزيارة قلعة رشيد .. التى بناها فى الاصل السلطان قايتباى ، وهى القلعة التى عثر عليها اثناء الحفر فى اساساتها ايام الحملة الفرنسية على حجر من البازلت الاسود عرف باسم « حجر رشيد »

وهذه القلعة اضيفت اليها منشآت عثمانية لكن كلها اندثرت .

وزار اعضاء المؤتمر ايضا بعض البيوت العثمانية الطراز ذات المميزات المعمارية والفنية التى تتميز بها منازل رشيد ، خاصة استخدام الطوب المنجور المطلى باللونين الاحمر والاسود بالتبادل فى زخرفة الواجهات ، مع استخدام

الفنون التركية فى المتاحف .. وعلى واجهات المساجد والاسبلة

الكحلة ذات اللون الابيض كمونة بارزة بين المداميك وهذا مايسمى بالطوب المنجور المكحول .

ويتكون كل منزل من ثلاثة او اربعة طوابق ، اسقفها خشبية وقد استخدم نظام الاسقف المتعددة المستويات بالاضافة الى استخدام الكوابيل الخشبية لحمل البارزات والادوار العليا التى يتجه بروزها نحو الخارج بالتدريج . كما استعملت الاعمدة فى الزوايا الخارجية لحمل البارزات او السلالم .

والطابق الارضى للبيوت يضم الوكالة او الشادر ، كما يضم الاصطبل والسبيل ويضم الصهريج الذى يستخدم لتخزين المياه الخاصة باستعمال اصحاب البيت

اما الطابق الثانى والذى سماه العثمانيون الدهليز فكان له باب مستقل تتوسطه « دور قاعه » وتحيط بها حجرات .

أما الدور الثالث فهو خاص بالحريم ، ويطلق عليه الهدير اى مكان النوم ، وغالبا ماتصطف حجراته حول قاعة رئيسية يطلق عليها الايوان . وفى كثير من الاحيان كان بواجهة هذه القاعة الرئيسية محراب من القاشانى كما فى منزل القناديلى ويضم هذا الدور مجموعة حجرات فضلا عن حمام خاص يتكون من غرفة استحمام ذات ارضية من الرخام وسقف مغطى بقبة ضحلة فرغت بعض اجزائها وملئت بزجاج ملون لزيادة الانارة . وكان يتم تزويد الحمام بالمياه عن طريق انابيب . كما كان مزودا بدست نحاسى يتقدمه لوح رخامى مثبت بالجدار وامامه حوض من الرخام يعلوه صنبوران للمياه .

وقد زار اعضاء الوفود ايضا اكبر منزل من العصر العثمانى والذى تحول الى متحف بعد ترميمه وهو منزل عرب كلى الذى كان يسكنه محافظ الرشيد فى القرن ١٨ م . وهو منزل يشتمل على ٤ ادوار .

لكن ماذا عن المساجد التى ترجع للعصر العثمانى ؟

ان المميزات الفنية والزخرفية تنحصر فى الاتى :

١ ـ تعدد المداخل التى هى عبارة عن باب يقع داخل مستطيل بارز يعلوه عقد ثلاثى يتوسط عقده الاوسط دائرة مزينة بالزخارف النباتية والهندسية .

٢ ـ تحتوى هذه المساجد على اروقة وبائكات محمولة على اعمدة رخامية حراكتاف تحمل اسقفا خشبية او قبابا كما هو موجود فى مسجد المشيد بالنور

٣ ـ اعتناء الفنان بالاضرحة والمقاصير فزخرف واجهات بعضها بالطوب الرشيدى المنجور

٤ ـ استخدام القاشانى فى زخرفة الجدران وفى المآذن كما فى مسجد دومقسيس ، وكذا فى تغطية المحاريب .

**ولاشك كما يؤكد بعض المؤرخين ان العثمانيين حاولوا ارساء قواعد عمارة مميزة لهم بالنسبة للمساجد .. لكنهم على اية كانوا ناقلين للطراز البيزنطى ، وكنيسة ايا صوفيا بالذات .. ذات القبة الكبيرة والقباب الصغيرة .. طبقوا هذا الطراز على مساجدهم المربعة الشكل .. وهذه قضية اخرى .. تحتاج الى دراسة متكاملة .. ربما يجرى بحثها فى المؤتمر التاسع القادم بعد اربع سنوات فى مدينة قرطبة الاسبانية .**



# كوب الحليب

للكاتب التشيلى : مانويل روخاس

ترجمة : طلعت شاهين

كان البحار يقف على جانب السفينةكمن ينتظر شخصا ما ، كان يمسك فى يده اليسرىلفافة من الورق الابيض ، ملطخة بالدهون فى عدة اجزاء منها • وفى يده الاخرى كان ممسكا بغليونه •

ظهر شاب نحيف من بين العربات الواقفة ، توقف لحظة، نظر باتجاه البحر ثم تقدم ، وسار على جانب الرصيف،كان يضع يديه فى جيوبه ، وكان يبدو شارد الذهن

عندما اصبح في محاذاة السفينة صرخ البحار باللغة الانجليزية

ـ أسمع ، انظر الى•

رفع الشاب رأسهدون ان يتوقف واجاب بنفس اللغة :

ـ اهلا ، ماذا تريد ؟

ـ هل انت جائع ؟

سادت لحظة صمت ، كان الشاب يبدو انهيفكر وبدت خطواته اقل

استعجالا ، وبدا كما لو كان على وشك التوقف، ولكنه في النهاية نظر الى البحار بابتسامة وقال له :

– لا ، لست جائعا ، شكرا ايها البحار •

رفع البحار غليونهمن شفتيه وبصق ثم اعاد الغليون الى فمه مرة اخرى •

واتجه بعينيه الىمكان اخر ، كان الشابخجولا من مظهره الذى يثير الشفقة وبدا يستعجل الخطى • كمن يخاف من التراجع عما فعله •

بعد ذلك بلحظات ، مر امام البحار صعلوك يرتدى ملابس منالخرق، وحذاء كبيرا ممزقا ، فزعق فيه البحار دونان يلفت انتباهه :

– هل انت جائع ؟

وقبل ان يتم البحار جملته ، كان الصعلوك ينظر الى اللفافة التى كانت في يد البحار بعيون ذات بريق واجابه بسرعة :

– نعم يا سيدى ،انا جائع جدا •

ابتسم البحار ، طارت اللفافة في الهواء وذهبت لتسقط بين يدى الجائع الشرهتين ، ودون ان يوجه كلمة شكر كان يفتح اللفافة التى كانت لا تزال ساخنة ، جلس على الارض ، فرك يديه بسعادة وهو يتامل ما تحويه اللفافة • ربما لم يكن يعرف الانجليزية لكنه لن يتسامح مع نفسه ابدا ، لانه لا يجيد الانجليزية ليطلب بعض الطعام ممن يجيد تلك اللغة •

الشاب الذى مر منذ لحظات ، كان يقف على مسافة قصيرة ، يتامل المشهد •

هو ايضا كان جائعا، مضت ثلاثة ايام منذ ان تذوق الطعام لاخر مرة ، ثلاثة ايام طوال ، لم يكن ذلك بسبب الكرامة بقدر ما كان بسبب الخجل ، كان يعانى وهو يمر امام العربات المصطفة على رصيف الميناء ، اثناء فترات الغداء ، منتظر لفافة من بقايا الطعام يلقيها اليه كرم البحارة ، لكنه لم يستطع تقبل ذلك ،ولا يستطيع ذلك ابدا،وعندما يعرض عليه احدهم ما تبقى منه – مثلما حدث منذ لحظات كان يرفض ببطولة ، ويشعر بان رفضه يسكت جوعه •

مرت ستة ايام وهو يتصعلك في الحارات وعلى ارصفة الميناء ، كان قد تركته سفينة انجليزية في ميناء«بوئنا اريناس» حيث هرب منها بعد ان كان يعمل فيها صبيا للقبطان، ظل هناك لمدة شهر ، يساعد الصيادين ثم هرب في اول سفينة متجهة الى الشمال •

اكتشفوه في اليوم التالي من الابحار فارسلوه للعمل في قسم الغلايات ، وانزلوه في اول ميناء كبير رستفيه السفينة ، فبقي هناك ، كحمولة بلا عنوان ، او صاحب،دون اى معارف، بلا اى نقود في جيوبه ، ودون القدرة على ممارسة اى عمل •

عندما كان فيالسفينة كان يمكنه ان ياكل،لكنه الآن ••• المدينة كبيرة، كان يبتعد عن الشوارع المليئة بالمطاعم والموائد الفقيرة ، لم تكن تجذبه، كانت تبدو لعينيه اماكن للاستعباد ، بلا هواء*، مظلمة ، ليست كبيرة كالبحر ، وبين جدرانها العالية وشوارعها المستقيمة يعيش الناس ويموتون فاقدى الوعى •

كان مجنونا يسيطر البحر على عقله ، الذى يغير الحياة الناعمة المحدودة كذراع قوية تلوى قضيبا من الحديد، ورغم صغر سنه الا انه قام بعدة سفرات الى شواطىء امريكا الجنوبية في عدة سفن، ومارس مهنا مختلفة ، وهوايات تقريبا ليس لها وجود على الارض •

بعد ان تركته السفينة ظل يسير ويسير، منتظرا صدفة تسمحله بمواصلة

الحياة بأية طريقة الى ان يعود الى اسرته ، لكنه لم يصادف شيئا،الحركة فى الميناء كانت قليلة ، ولم يقبلوه للعمل فى اية سفينة من السفن الراسية فى الميناء •

هناك كان يتجول صعاليك، بحارة بلاعمل، تركتهم سفنهم او فصلوا لاى سبب ، وصعاليك يحبون الراحة ، ولا يعرف كيف يعيشون ، يتسولون ، او يسرقون، وتمر الايام ، فى انتظار اى شيء يحدث ، او قد لا يحدث اى شيء ،افراد من جنسيات مختلفة ، دخلاء غرباء ، من هؤلاء الذين لا يمكن تخيلانهم ما زالوا على وجه الارض ، الى ان تشاهد نموذجا منهم •

فى اليوم التالى، تاكد انه لن يستطيع انيتحمل اكثر من هذه فقرر ان يسلك اىطريق للحصول على الطعام •

سار باتجاه سفينة كانت قد وصلت فىالليلة السابقة ، وكانت محملة بالقمح ، كان هناكطابور من الرجال المحمليـن بالاكياس الثقيلة ينزلون من السفينة عبر سقالة من الحديدالى ان يصلوا الى مدخل المخازن ، ويتركون حمولاتهم امام عمال الرص •

عملبقوة طوال الفترة الاولى ، بعد ذلك بدأ يشعر بالتعب ثم فاجاته نوبات من الاغماء، فكان يسير على السقالة مترنحا تحت الحمل الثقيل ، فكان يشاهد البحر من بين ساقيه المنفرجتين والمسافة بين السفينة ورصيف الميناء، كان يرى البحر ملطخا ببقع الزيت والبقايا التى تتحرك فى صمت •

انهى فترة العمل وهو منهك تماما ، والعرق يغطى كل جسده ، بينما كان العمال ينسحبون ، جلس هو على حافةبعض الاكياس باتجاه المسئول عن العمل ، وبعد ان انسحب اخر العمال اتجه الىالمسئول مترددا، ودون ان يقص عليه حكايته ، ساله ان يدفع له اجره الآن ، اويعطيه بعض الاجر مقدما •

اجابه المسئول ان العادة جرت على الدفع بعد انتهاء العمل كله ، وانه يجب ان يعمل فى الغد لانهاء حمولة السفينة ، يوما اخر ، انهم لن يدفعوا لهشيئا• فقال له :

ـ لكن ، لو كنت فى حاجة الىالنقود ،يمكننى ان اقرضك اربعينسنتيما •• لا املك اكثر منذلك•

شكره بابتسامة حزينة وذهب •

حينئذ هاجمته موجة حادة من الياس ، كان جائعا ، جائعا ، جائعا، جوعا كالسوط، كان يرى كل شيء وقد غشاهضباب ازرق ، كان يسيرمترنحا كالسكران ، ومع ذلك ، لم يكن بامكانه الشكوى، او الصراخ ، كان المه مظلما ومنهكا ، لم يكن الما ، لكنه كان غمسا صامتا ، انهاكا ، كان يشعر كما لو كان مضغوطا تحت حمل ثقيل •

فجاة شعر بنار تسرى فى امعائه، فتوقف ،وظل ينحنى ، ينحنى بالم ، الى ان اعتقد انه اوشك على السقوط ، فى هذه اللحظة ، شعر كما لو فتحت امامه نافذة، شاهد من خلالها بيته، والارض المحيطة به هناك ،شاهد وجه امه ووجوه اخوته، شاهد كل ما اراد واحب ظهر واختفى فى عينيه المغلقتين من التعب ••

بعد ذلك ، زال الاغماء، شيئا فشيئا ، وبدا يعتدل فى مشيته بينما كانت النار تبرد ببطء ، تنفس بعمق ، ساعة اخرى وقد يسقط على الارض •

اسرع من خطواته ، كمن يهرب من موجة اغماء جديدة، وبينماكان يسير قرر ان يذهبلياكل

في أي مكان ، دون أن يدفع ، مستعدا للفضيحة أو الضرب ، أو الزج به في السجن، مستعدا لأي شيء ، المهم هو "ياكل" هــذه الكلمة ترددت في عقله مائة مرة : ياكل ، ياكـل ، ياكـل ، الى ان فقدت الكلمة معنـاها ، تاركة فراغا ساخنا في رأسه •

لم يفكر في الهرب ، سيقول لصاحب المطعم : « سيدي،لقد كنت جائعا، جائعـا ، جائعـا ، ولا أملك شـيئا لأدفع ... سافعل ما تريد » •

وصل الى أول شوارع المدينة ، وفي احداهـــا وجد محلا لبيع منتجـات الحليب ، كان نظيفـا ، مليئا بالمناضد الصغيرة المغطاة بالرخام ، وخلف الطاولة كانت تقف سيدة شقراء بصديرية بيضاء جدا •

في محل الحليب لـم يكن هناك سـوى زبون واحد ، عجوز بنظارات، ويضع أنفه بيـن أوراق صحيفة ، كان يقرأ ،كان يبدو ساكنا،بدا كما لو كان ملتصقا بالمقعدوعلى المنضدة كان هناك كوب من الحليـب ممتلىء الى المنتصف •

انتظر خروج الزبون، فظل يتمشى على الرصيف، وكان يشعر بأن الاحتراق السابق يعود اليه شـيئا فشيئا ، انتظــر خمس دقـــــائق ، عشر ، الى خمــس عشـــــــرة دقيقة ، أصابه التعب ، فتوقف الى جـــــانب المدخــل ، وكان يرمق العجوز بنظرات حجرية

اي شيطان يقرأ هـذا العجوز في هذه الصحيفة تخيل انه عدو شخصي له، كمن يعرف ما يفكر فيه ويريد أن يعكر عليـــــه صفو هذه الفرصة ، كان يرغب في أن يدخل ويقول له شيئا مزعجا لاجباره على مغادرة المكان ، أن يتهجم عليه أو أن يقـول له أنه ليس له الحق في البقاء أكثر بهذا المبلـغ الزهيد الذي دفعـه لقاء الخدمة وكوب الحليب •

أخيرا أنهى العجـــوز قراءته ، أو على الأقـل قطع القراءة،أنهى باقي الحليب في رشفة واحدة، وقف متثاقلا ، دفـــــع حسابه واتجه نحو الباب، خرج ، عجوز أحدب له مظهر نجار أو نقاش •

ما أن وصل الشارع، عدل وضع نظارته، وضع أنفه من جديد بين أوراق الصحيفة ، وذهب ببطء، وكان يتوقف كـــل عشر خطوات ليقرأ بانتبـــــاه أكثر •

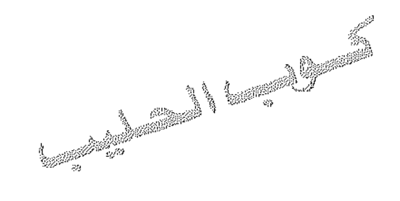
انتظر الى أن ابتعـــد العجوز فدخل ، توقف في المدخل للحظات ، مترددا لا يعرف أين يجـلس ، أخيرا اختار مائدة واتجه اليها ، تراجع في منتصف الطريق فاصطدم بمقعد، ثم اتجه بعد ذلك الى ركن وجلس •

عندما اســـــتدارت السيدة ، فرك يديـــــه بركبتيه ، مبتهجا ، كمن يشعر بالبرد وسـيشرب شيئا ساخنا •

عادت السيدة ووضعت أمامه كوبا من الحـليب وطبقا مليئا بالبسكويت، ثم اتجهت بعد ذلـك الى مكانها خلف الطاولة •

أول ما فكر فيه ، هو أن يشرب كوب الحليب دفعة واحدة ثم بعـــد ذلك ياكل البسكويت لكنه ندم على الفور ، شعر بأن عيون المرأة تراقبه بفضول • لم يجرؤ على النظر اليها ، اعتقد انه لو فعل ذلـك فانهـــا ستعرف حاله ، وتضعه في موقف مخجل ، كان عليه أن يقف ويذهب ، دون أن يتذوق ما طلب •

أكل بســـكويتة على مهل، غمسها في الحليب ووضعها في فمه ، أخذ رشفة من الحليب فشعر بأن الاحتراق المشـتعل فـي معدتـه بـــدأ في الانطفاء ، والاختفـاء لكن على الفـور تذكـر موت السيانس ، شيء ما قوي وساخن صعد من قلبه الى حلقه ،انتبه الى أنه على وشـــك البكـــاء ، البكـــاء الصارخ ، رغم أنه كان يعـرف أن الســـــيدة




كانت تراقبه ، الا انه لم يستطع ان يمنع الانشطة الساخنة التى كانت تضيق اكثر فاكثر قاوم ، وبينما كان يقاوم اكل بتعجل ، كان يخاف ان يمنعه البكاء من الاكل ، عندما انهى الحليب والبسكويت تضببت عيناه وشىء فاتر مر عبر انفسه ، وسقط فى الكوب ، بكاء مرعب هزه حتى اخمص قدميه .

اسند راسه على كفيه ، ويكى بكاء طويلا ، بكى بمرارة ، بغضب ، برغبة فى البكاء ، كما لو كان لم يبك فى حياته ابدا .

كان يبكى منحنيا ، عندما شعر بيد تداعب راسه المتعصب ، وسمع صوتا رقيقا لامراة بلكنة اسبانية قالت له :

ـ ابك ابك ، يابنى، ابك ...

موجة جديدة من البكاء دمرت عينيه ، ويكى بقوة كما لو كانت هذه المرة الاولى ، لكنه الان يبكى بفرح ، وشعر بريح رطبة تخترقه ، مطفأة ذلك الشىء الساخن الذى كان يخنق حلقه ، وبينماكان يبكى اختفت حياته وأحاسيسه كما لو كانت تغسل كالكوب الذى يوضع تحت ماء مندفع، مستعيدا وضوح وحزم الايام السابقة .

وعلى المائدة امامه كان هناك كوب جديد ملىء بالحليب ، وطبق اخر ملىء بالبسكويت اكل ببطء ، دون انيفكر فى اى شىء كما لو ان شيئا لم يحدث ، كما لو كان فى بيته ، وكما لو كانت هذه المراة التى تقف خلف الطاولة هى امه .

عندما انهى طعامه كان المساء قد حل ، وبدا المحل يضاء بلمبة كهربائية ، ظل جالسا للحظات ، كان يفكر فيما سيقوله للسيدة لم يجد شيئا مناسبا .

اخيرا وقف وقال ببساطة :

ـ شكرا يا سيدتى ، مع السلامة ..

اجابته :

ـ مع السلامة يا بنى

خرج ، الريح القادم من البحر كان يلطف وجهه ، الذى كان لا يزال ساخنا من فرط البكاء ، سار لفترة دون اتجاه محدد ، ثم اتجه بعد ذلك الى شارع يؤدى الى رصيف الميناء .

فكر فى السيدة الشقراء الكريمة ، وفى الطريقة المناسبة ليدفع لها أجرها عندما يتوفر لديه المال ، لكن هذا الامتنان اختفى مع سخونة وجهه ، ولم يبق منه شىء ، وهذا الذى حدث منذ قليل ، ضاع بين ثنايا حياته الماضية .

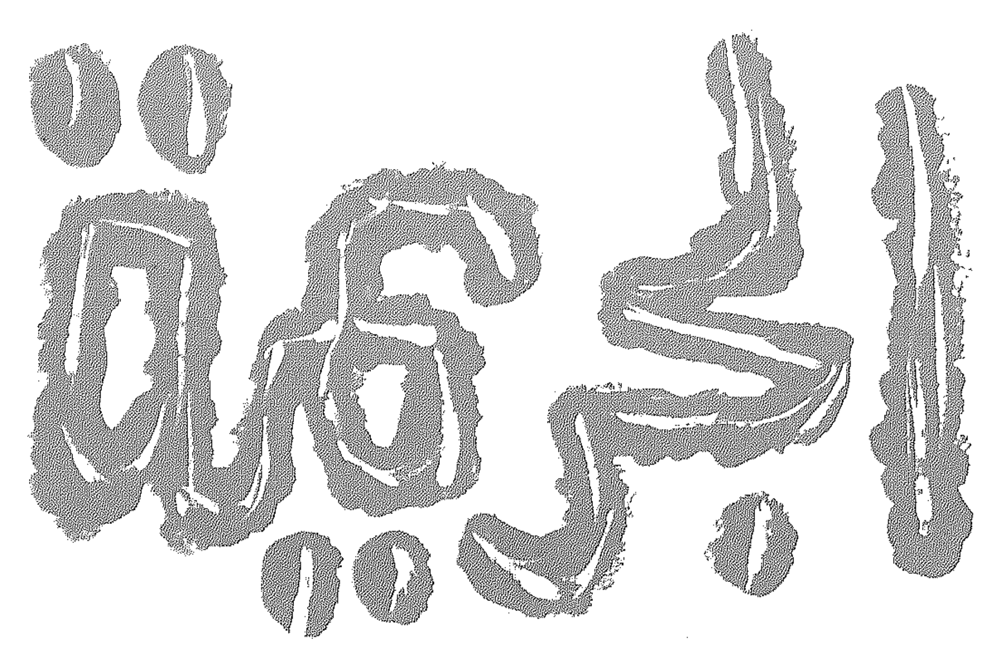
فجاة بدا يغنى اغنية بصوت منخفض ، وسار سعيدا ، يدوس على الارض بحزم وثقة .

وصل الى شاطىء البحر ، وظل يسير من جانب الى اخر، بمرونة ونشاط كما لو كانت قواه الداخلية التى ضاعت من قبل ، قد تجمعت بقوة .

بعد ذلك بدا التعب يسرى فى ساقيه كالنمل ، فجلس على كومة من الاكياس .

نظر الى البحر ، اضواء الرصيف السفن كانت تشتعل فى الماء متناثرة ما بين اللونين الاحمر والذهبى ، كانت ترتعش برقة ، اسند ظهره ونظر الى السماء فترة طويلة ، لم تكن لديه رغبة فى التفكير، او الغناء او الكلام ، فقط شعر بانه مازال حيا .

وظل فى وضعه هذا الى ان نام ووجهه باتجاه البحر .



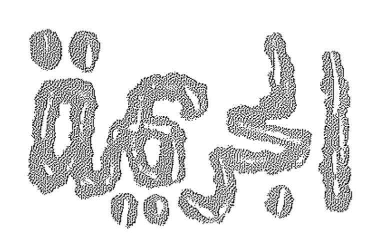
# الجريمة في روايات محمد جلال

عرض وتحليل : عبد المنعم الجراوى

●● ( محمد جلال ) صاحب عالم قائم بذاته .. عالم من اشخاص . يخلقهم، ويحركهم،ويجعلهم يحبون ، ويتألمون ، ويتصارعون، ويقتل بعضهم بعضا .. على مرأى ، ومسمع من القارىء . ثم لاتكادتمسك بالمجرم لتعاقبه على ما ارتكب .. حتى تكتشف ان الجريمة لم يرتكبها مجرم واحد .. ! وانما هى جريمة عصر .. كتجريف الارض .. جريمة تضارب الرغبات ، ولقاء المصالح ، وتنازعها فى صدور أصحابها . فالذين يعملون فى الارض هجروها وسافروا الى الخارج .. فاذا بها عقيم .

ويصبح التجريف جريمة كبرى .. لكن بلا مجرم محدد السمات أو الصفات .. ! ومجنى عليه .. هو الأرض .. لا يملك الدفاع عن نفسه ولا يعرف ماذا يراد به .. !

و ( الحلواني ) بطل ( فرط الرمان ) فضلا عن اتهامه فى قضيتى قتل .. متهم ايضا بالجريمة الكبرى جريمة التجريف .. لكنه لا يجرف ارضا .. بل يقوم بما هو أخطر ، وهو تجريف النفوس من كل محتوياتها فهو بحكم ثرائه الفاحش ، وغناه المفترس .. يمارس على أهل الجمالية. وعماله ، والذين حوله ارهابا اقتصاديا .. يقوم فيه بتجريف نفوسهم من كل ما تبقى فيها من




## في روايات محمد جلال

قسوة ظروفهم .. منتزعا كل بذرة خير او حب او جمال .. فمازال رغم اعتراف المجتمع به .. يعيش بروح زعيم العصابة .. !

وقد اجتهد ( محمد جلال ) في ان يمد الرواية · بشخصيات باهتة .. منزوعة الارواح .. رغم انها تدب ، وتتحرك .. لكنها جميعا كالفراشات التي تحوم حول النار .. ثم تحترق .. حتى ترضى طغيان ( الحلواني ) الذي لا يقف عند حد .. !

و « محمد جلال » في (فرط الرمان) يبدو عليه في اكثر من موضع · المرحلة العمرية التي يجتازها · مرحلة النضج الشديد الذي يتالق في الذروة لكن يخطفه الحنين الى الماضي يوشك ان يعيده الى بطن الغيب ، ورحم الزمن ، وهو ما يسمى بالولادة العكسية .. يحاول ان يستحضر ما مضى من الزمن بالتمائم واطلاق البخور · لعله ينتشي فيذهب الى الماضي دون ان يغادر زمانه او مكانه .. !؟ وقد ارضى مراهقته الماضية باحياء ذكرى شخصيات كان يعشقها · ويتمناها في صباه ، وخلط بها احلامه بعد دخوله مرحلة العقل حينما زاوج بين الهولندية البيضاء كثلج بلادها ، و ( كروانة ) جارية المعلم ( الحلواني ) وجعل ( ادهم ) يتزوج ( كروانة ) · فهو لا يجرؤ حتى في الخيال على الزواج من ( خوجاية ) لانه منغرس في المصرية ، وفي حواري مصر .. !

### ● الجريمة تختار المجرم

والتزام المؤلف بالواقع · لايعصمه من الخروج عنه احيانا .. الا انه في الالتزام او الخروج عنه .. يعيش واقعه الذي صنعه من قراءاته ، وتاملاته · لذلك يجيء اسلوبه احيانا كالشعر المنثور .. او بكلام متناغم نظيف .. كانه غسل بماء مطر .. لا ينقطع صيفا او شتاء .. الا انه يجيء من سماوات محمد جلال فقط وحينما يضيع منه الخيط .. يلوذ بالتنغيم ، والترتيل · كالمغنى الذي يعيد الليالي والاهات ·لاتطريبا ولكن حتى يتذكر الكلمات التي ضاعت من ذاكرته .. وقد حدث هذا عندما اخذ ( ادهم ) الى اوروبا ، وطاف به في ( هولندا ) ثم عاد به .. وكان يمكن ان يوفر كل هذه المصروفات ، وتذاكر الطيران .. فهي لم تضف الى صلب الاحداث كثيرا او قليلا !!

وفي ( فرط الرمان ) استطيع ان اقول ان الكاتب سلك طريقا لم يسلكه من قبل في رواياته السابقة .. فقد حاول ان يقول خلال جزئي الرواية.. انه اذا كان المجرم يختار جريمته .. فان الجريمة ايضا احيانا تختار المجرم الذي يرتكبها .. وهذا القول ليس جديدا على ادب الجريمة ، ولكن الجديد · هو ان يقوله ( محمد جلال ) الروائي الحالم الذي يفزع من الرعب ، ويخاف من خياله ! ·

فالجريمة في هذه الرواية .. تظل قابعة .. لا تكشف عن نفسها .. الى ان يجيء من تختاره .. فيرتكبها .. اي ان عناصر الجريمة تكون ومكتملة .. يمهد لها المؤلف .. بحذق ، وبراعة .. كما في جريمة قتل (خميس) الذي جاء من القرية .. لكي يعيد والده الذي يعمل مع عمال التراحيل عند ( الحلواني ) ·

ان الجريمة هنا توافرت عناصرها واصبح ارتكابها ضرورة لحياة المستفيد منها .. والمستفيد من قتل

( خميس ) هو ( الحلوانى ) سلطان الجمالية . الرجل الذى يملك سيف المعز وذهبه ، وليس له فى الدنيا بعد المال .. سوى ابنة واحدة .. وهى تجاوزت المراهقة أو تجتازها ، وترتاد نادى الجزيرة ، والفروسية ، ولها فى حظيرة والدها حصان اسمه ( سكر ) .. لكن الحب لا يعرف الطبقية .. ومن هنا تقع فى حب ( خميس ) ابن احد الاجراء الذين يعملون فى وكالة والدها .. لكن والده يعارضه لأنه يريد السفر الى الخارج .. لكى يحصل على دولارات .. أو على الاقل يبقى فى وكالة ( الحلوانى ) ولا يعود الى الارض !

**لماذا يموت خميس ؟**

ولما كان الأب ( الحلوانى ) يريد أن يصاهر بابنته شيخ تجار الفضة المليونير ( الفيروزى ) . فهو يحاول ان يدفعها الى هذا الزواج ، ولا أقول برغمها .. لانها حصلت على قسط من التعليم ، وأعطاها الأب حرية ندم عليها .. حينما نقل اليه ( عشرى ) عينه وذراعه اليمنى التى يبطش بها .. انه رأى ابنته وخميس يجلسان فى جلسة حب .. تحت شجرة فى قصر ( الحلوانى ) ، وان ( خميس ) هذا هو سبب عصيانها ، وتمردها !

و ( عشرى ) مخلوق ضائع بلا جذور .. التصق بالمعلم .. ترك نفسه له .. ينفث فيه كل متاعب الماضى ، واحتقاراته .. كل ما تلقاه من صفعات وركلات .. وصمد ( عشرى ) لكل هذه الاهانات .. لهدف ناله أخيرا ، وهو ثقة المعلم .. فلم يعد كلب حراسة فقط ، وانما يحوله عندما يريد الى ذئب عقور !

لكن ( الحلوانى ) الذى كان يحمل التراب على كتفه .. ثم صار سلطانا صاحب قصر ، وقاعة ذهبية ، وارصدة ، وخيول تجرى فى السباق

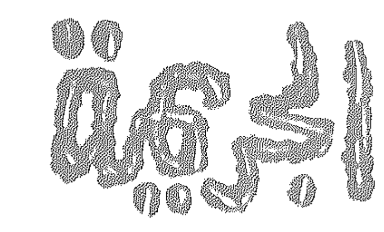


محمد جلال

.. يذوب رقة ، يتحول الى شاعر .. اذا تحدث الى ابنته .. ولهذا فهو أجبن من ان يواجهها ، ويطلب منها أن تقطع علاقتها ( بخميس ) .. ويقترح عليه ( عشرى ) ان يزيح خميس من الطريق ، هكذا أصبح موت خميس ضرورة اجتماعية واقتصادية وعاطفية أيضا .. ووقعت الجريمة التى دبرها ( عشرى ) باحكام معركة بين الاجراء .. تهوى فيها كل العصى على راس ( خميس ) حتى يموت ، وهكذا يذهب القتيل بلا قاتل محدد .. فالوكالة مظلمة والمعركة اشترك فيها الجميع ( الصعايدة ضد البحاروة ) ، ويموت (خميس) !!

قتل ( خميس ) جماعيا ، وأفرجت النيابة عن الجميع .. ولم يتهم الأب أحدا بعينه .. لكن الجميع ادركوا ان المستفيد هو (الحلوانى) ، والمنفذ هو ( عشرى ) . والقتلة هى عصى غليظة كانت فى أيدى .. انتهزت فرصة المعركة والظلام ، وأجهزت على ( خميس ) .. الا ان الجريمة لم تعط المجرم الثمار التى كانت مرجوة منها .. !

فالفتاة سقطت صريعة اكتئاب مرير ، وهى ترى والدها يتحول من



في روايات محمد جلال

مجرم مالى الى مجرم جنائى .. يقتل أحب الناس اليها .. وترفض الزواج وتصر على السفر الى الخارج .. وتسافر دون ان تقول لوالدها كلمة عتاب .. أو وداع .. !! وتتشرخ شخصية الاب ( الحلوانى) حزنا على ابنته .. يعيش فى الحظيرة مع حصان ابنته . الذى يموت بعد أيام يضرب فيها عن الطعام .. وتضطرب حياته - ويرتفع نجم ( عشرى ) الذى يدير كل شىء باسم المعلم .. وتساوره نفسه بان يجلس على مقعد المعلم .. وهنا يقفز صبى ( عشرى ) (الطماوى) الى مكانة ( عشرى ) ويحاول ان يزاحمه .. لا سيما بعد ان شعر ان ( الحلوانى ) يعتقد انه السبب فى كل ما أصابه من نكبات ، وان طموحه الذى لا يقف عند حد .. هو الذى قاده الى الجريمة .. ليستذله بها ، ولا يكاد ( الطماوى ) يعرض عليه ان يتكفل بازاحة ( عشرى ) حتى يسأله كيف ؟ فيقول له بنفس الطريقة التى ذهب بها ( خميس ).. فيصمت ولا يرد عليه ، ويكون ذلك اشارة البدء .. !

● ترقية الى رتبة قاتل

ويذهب ( الطماوى ) ، ويلعب نفس اللعبة ، ويموت ( عشرى ) .. ولا تجد النيابة العامة قاتلا معينا لمحاكمته ، وتطلق سراح الجميع .. لكن الجريمة الثانية التى ذهب ضحيتها المجرم الأول فى الجريمة الاولى .. يصعب ان تدخلها فى عداد الجرائم الا من الناحية العددية أما من الناحية المعنوية فهى جريمة تابعة للجريمة الاولى .. أى انه لولا الجريمة الاولى التى قتل فيها ( خميس ) ما كانت الاخرى ، ولذا فهى جريمة مجرورة بالجريمة التى سبقتها ، ليس لها الكيان الجرائمى المستقل .. وأهم هذه الأركان هو المجنى عليه .. وهو فى هذه الجريمة جان ، ومعتد أثيم لذلك حتى وهو ضحية .. ليس سهلا أن نطلق عليه لقب ( المجنى عليه ) ! ..

● الممكن والمستحيل

ونعود الى الجريمة الأولى التى هى الاصل ، والمحور الذى تدور من حوله الأحداث العتيقة .. ان المؤلف نسج فى براعة الخيوط التى كونت الجريمة ، وتركها تتفاعل فى انتظار ( عشرى ) ليرتكبها .. فالمعلم ( الحلوانى ) يقيم حفلة يدعو اليها ( الفيروزى ) لا لشىء الا لكى يغريه ليتزوج ابنته .. لكنه يفاجأ باعراض ابنته ، ويجتاح هذا الاعراض أماله التى رتب لها ، وأعد لها .. ويود ان يصل الى أسباب هذا الاعراض .. حتى لو كلفه ذلك نصف أمواله.. لكن ( عشرى يقدم له أسباب المشكلة ويقدم له الحل فى نفس الوقت .. فيتحمس للحل رغم أنه يحوله الى شريك ، ومعرض فى قضية قتل .. لكن حتى كتابة هذه السطور أجزم بالتلفيق من المؤلف - للتمهيد لهذه الجريمة .. والتلفيق . هو فى حب ابنة ( الحلوانى ) لهذا الشاب القروى الذى جاء من القرية ، لكى يعيد والده اليها .. !

اهمس فى اذن المؤلف ان حكاية الحب لا تعرف الطبقية .. نعم .

لكن الذى هو واقع هنا ليس طبقية فحسب ، وانما هو بعد بعيد .. بين فتاة تركب الخيول فى نادى الجزيرة، وفلاح قابع فى وكالة والدها .. بين فتاة تحقق احلامها قبل ان تحلم بها ، وانسان لا اعتقد كما وصفه المؤلف انه غسل جلده بصابون طيب منذ أن ولد .. فتاة تقرأ الصحف والمجلات الافرنجية ، وشاب بين عمال التراحيل .. بالاضافة الى أن المؤلف لم يذكر شيئا عن ثقافاته او تعليمه.. وحتى لو كان جامعيا .. وهو فى هذا القاع ، وهى فى تلك القمة .. لأرتج عليه عندما يجلس اليها ، ولما وجد حرفا يقوله .. فكيف بهما يجلسان جلسة حب ، وتعشقه هذه الفتاة الى حد أن تصاب بالاكتئاب بعد موته ، وتسافر الى الخارج !.

الواقع أن السياق كله ، وليست الجريمة فقط .. قد عراه الاضطراب وجعل القارىء يرجع الى السطور مرة اخرى يقراها .. حتى يعرف كيف اجتمع ( الشامى على المغربى ) كما يقول المثل وذلك انعكس بالتالى على الجريمة فهز أحد اركانها هزا سرى فى الاركان الاخرى التى تكون محاور الجريمة .. !

فالجريمة المكتوبة فى صياغة اى عمل ادبى .. يجرى عليها ما يجرى على كل الاعمال الفنية .. اذا ما اختل فيها ركن تداعت له الأركان متهافتة ، متهاوية !..

الحمامة .. صرعها الحلوانى ام صرعته .. ؟!

وقد استطاع المؤلف ان يقدم لنا شخصية الرجل صاحب السطوة فى الأحياء البلدية .. الذى تتضاعف أمواله بعد حد معين من الثروة دون جهد اقتصادى منه .. بقدر ما هو جهد جنائى اجرامى .. ولعل المؤلف اعتنى كثيرا برسم شخصية ( الحلوانى ) عناية جعلته يهمل كل الشخصيات الاخرى . فلا قيود من حوله الا اشباحا لاتكاد ترى .. وله بعض الحق فى ذلك الا أن المؤلف بدأ بشخص اسمه ( أدهم ) ، ويملك حمامة اسمها ( فرط الرمان ) وهى التى جعل الرواية تحمل اسمها ،ويدلل بها المؤلف على شراسة ( الحلوانى ) كمادة أولى ، وعينة من عينات عنجهيته .. فيدوسها بسيارته ، وهى ترقص فى الحارة ..ثم يسرع باخراج بضعة جنيهات ليدفعها تعويضا لادهم عن ( فرط الرمان ) لكن ( أدهم ) يرفض النقود .. !

هذا ( الادهم ) يظل على هامش الرواية .. يظهر ويختفى ، ويسافر « هولندا » لكى يتعلم كيف يزرع الورد فى الصحراء .. ويستفيد ( محمد جلال ) من رحلاته المتعددة الى اوروبا .. ثم تنتهى الرواية بعيدا عن كل هذه الصراعات والجرائم .. تنتهى فى صحراء اين تقع لا احد يدرى - ولكنها فى مصر ، ويهرب اليها ( أدهم ) الذى يطلق اسم ( فرط الرمان ) على احدى العاملات عند ( الحلوانى ) وهى الاخرى انتزعها من ( الحلوانى ) ، وكان يجب أن تبقى له بعد رحيل ابنته .. لكنها تهرب مع ( ادهم ) الى الصحراء ، ويتزوجان .

ولا تصل الجريمة بمرتكبها الى اى هدف من الاهداف التى استهدفها، وهو يرتكب جريمته .. فلا ابنته عادت .. ! ولا هو اصبح صهرا لملك الفضة ولا عاش هادىء البال فى قصره الذى بناه ليسكن هارون الرشيد الثانى فى الجمالية .. !

# المسيح والمرأة العجوز

## قصة قصيرة

بقلم: سيد جاد



ظل مبهورا يصفق بحرارة مع جمهور المشاهدين الذين اكتظ بهم مسرح الكورت رويال .. لاشك انه محظوظ لتمكنه من الحصول على هذا المقعد رغم انه باعلى البلكون .. وقفت جوقة الراقصات والراقصين في مقدمة خشبة المسرح يتلقون التحية في توهج وسعادة وما ان تقدم بطل العرض المسرحي عيسى المسيح العصرى ليقف بينهم حتى تصاعدت حدة التصفيق المدوى في جميع انحاء القاعة الكبيرة .. ظل التصفيق طويلا .. والممثلون يبادلون الجمهور التحية

بالانحناء ورفع الايادى والتصفيق ايضا ..رغم انتهاء المشهد الراقص الغنائى الاخير، مازالت الاضواء والالوان والالحان وايقاع حركات الراقصين والراقصات الملائكية العارية تموج وتتجاوب فى كل انحاء المسرح وفى قلوب المشاهدين .. هاهم الناس من حوله فى البلكون .. النساء الجميلات بازيائهن الراقية والرجال المتأنقون حتى وهم يرتدونمعاطفهم ويهمون بالتحرك لمغادرة مقاعدهم مازال سحر المسرحية وما فيها من جمال قيم التعاطف والمحبة ونبل العذاب من اجل خلاص الانسان وكرامته كل هذه القيم الجميلة تلتمعفى عيونهم ويبدون اشبه بملائكة محلقة قلوبهم فى السماء ..

ويتحرك ببطء وسط هذا الجمهور المتذوق منتشيا بروائح العطور الغالية وباصداء الالحان ..

الممرات العلوية السلالم كلها مكتظة.. يتحركون ببطء .. اتجه جزء من هذه الكتلة البشرية فى الممر الطويل بالطابق الارضى نحو احد ابواب المسرح الخلفية المعدة للخروج لتخفيف حدة الزحام ..كان هناك احد العمال يحاول رفع المزلاج الحديدى لفتح الباب .. وفى نفس اللحظة كان عدد كبير من هذه الكتلة البشرية قد تجمع للخروج من هذا الباب الذى ما كاد ينفتح عن اخره حتى تدافعوا الى الخارج ..

وجد نفسه وسطهم .. واذا بالاقدام المتسارعة المتزاحمة تتعثر فى شىء ما كان متمددا على العتبة الخارجية عندما انفتح الباب .. واذا بالشىء يصرخ فى الم وضعف .. ويتحرك محاولا دفع الاقدام عنه كفان معوقتان اشبه بكفوف الهياكل البشرية ترتعشان.. جسد امراة عجوز ملتف فى معطف قديم حائل اللون .. شعر ابيض متناثر .. جزء من الوجه المتغضن المرتعب يظهر من بين اقدام الناس .. هل كانت تنتظر المحسنين عند خروجهم من المسرح .. هل كانت تحتمى من تيار الهواء البارد فاستسلمت للنوم بين قدمى المسيح المجسم على الباب .. ام كانت ثملة بالشراب مثل اولئك المشردين الذين يشحذون من اجل جرعة شراب فاخذتها الغيبوبة وتمددت فى اقرب مكان ..

قبل ان يتنبه احد وسط حركة الشارع والسيارات والناس الى صرخاتالعجوز الواهنة كان الجسد الضئيل قد كف عن الحركة وهمد تماما ◇

# كتاب الشهر

## أفكار ما بعد الاشتراكية
### والباحثون عن تكنولوجيا للتنمية

بقلم: عبد الرحمن شاكر

**لم اجد تصنيفا لما انوى ان اعرض له من اراء وافكار فى هذه السطور ، اوفق من وصفها بانها افكار (( ما بعد الاشتراكية )) على غرار ما درج عليه الاقدمون من وصف بعض الفلسفات القديمة بانها تبحث فيما (( وراء الطبيعة )) او ما اصطلح على تسميته (( بالميتافيزيقا )) .**

وعذرى فى اختيار هذا التعبير ، أو الاسباب التى تدعونى لاختياره ، يمكن أن تتلخص فى عدة أمور :

● ان الحوار المتشعب ، الواسع النطاق ، الذى أحاول أن الم بأطرافه ، قد جرى ، ولايزال يمتد فى مجالات أخرى فى مصر ، بعد ان خاضت بلادنا العزيزة تجربة التطبيق الاشتراكى فى الستينيات ، ثم حدث بعض التعديل ، أو كثير منه فى الواقع على هذا التطبيق فى السبعينيات ، باسم الانفتاح ، الذى اعتبره بعض المتحمسين للتطبيق الاشتراكى انقلابا عليه ، وخاصة لما ساده فى مراحله الاولى – اى هذا الانفتاح – من طابع استهلاكى مسرف .. ومع ذلك فالامور تجرى محاولة لتداركها ، وجعل الانفتاح انتاجيا ، ممايدل على أن جذور التطبيق الاشتراكى اقوى من أن تقتلع ، ولا يزال الحوار دائرا حول القطاع العام ، الذى كان أوضح ثمار هذا التطبيق ، فى ظل اعتراف شامل بانه يشغل مركزا رئيسيا فى الاقتصاد المصرى المعاصر ، لا سبيل لتجاهله ، أو انكاره ، أو التفكير فى الاستغناء عنه ، اللهم الا تعديل بعض نواحيه ، هنا أو هناك ، ليعطى أكبر مردود ممكن للتنمية .

● وأتوقف عند لفظ التنمية ، فهى بلا جدال احدى موروثات التطبيق الاشتراكى فى بلادنا ، وقد اقترنت به اقترانا لصيقا . وكان ذلك جزءا من ظاهرة الاشتراكية ، ليس فى بلادنا وحدها ، بل فى العالم كله ، حيث أن الثورة الاشتراكية ، التى شهدها العالم فى القرن العشرين ، بدءا من الثورة الروسية فى مطالع هذا القرن ، وتوسعها

بحوث و مناقشات نـدوة

**تكنولوجيا تنمية المجتمع العربي**

في ضوء الهوية و التراث

| | | |
|---|---|---|
| ابو الوفا التفتازاني | سمير لطفي | فؤاد مرسي |
| احمد بهاء الدين | صلاح قنصوة | قاسم عبده قاسم |
| احمد خليفة | عادل حسين | محمد خلف الله |
| السيد يسين | عبد الباسط عبد المعطي | محمد سيد احمد |
| حسين امين | عبد المنعم النمر | محمد عمارة |
| محمد النويهي | علي مختار | وليم سليمان |

فى منتصفه تشمل الشطر الشرقى من أوربا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، وامتدادها الى الصين فى شرق آسيا ، وجاراتها فيما كان يعرف باسم الهند الصينية ، وانعكاساتها على الهند ذاتها ، وصولا الى ما يعرف الآن بالعالم الثالث ، فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، مما يصطلح على تسميته بالدول « النامية » ، وضع خطا تحت كلمة النامية لان قدرا كبيرا من الحديث أو معظمه يدور حول «التنمية» .. أقول هذه « الثورة الاشتراكية » على اختلاف صورها قد وقعت ، ودخلت التاريخ من بوابة بلدان كانت تعانى ولا تزال من التخلف الاقتصادى ، وما يتبعه من تخلف « حضارى » عما يصطلح على تسميته « بالعالم الاول » .. وهو عالم الدول الصناعية المتقدمة فى غرب اوربا وشمال امريكا ، مع استثناء وحيد في أسيا هو اليابان . كانت التجربة الاشتراكية ، واختيار الطريق الاشتراكى على مختلف صوره فى تلك البلدان المتخلفة اقتصاديا ، من أجل غرض واحد هو التنمية ، وخاصة في المجال الصناعى، واذا كانت «العدالة الاجتماعية» أصلا جوهريا فى الاشتراكية عموما ، بل هى هدفها النهائى ، فقد كانت هذه « العدالة » بوجه من الوجوه، اداة فى معظم ما شهده العالم من تجارب باسم الاشتراكية لتحقيق اغراض التنمية .

● **ولم يكن الانفتاح مقصورا على تجربتنا في التطبيق الاشتراكي وحدها، بل لجأت اليه الصين ، ثم الاتحاد السوفييتى أخيرا فى عهد زعيمه الجديد جورباتشوف** ، ولم يستحق الانفتاح فى هذين البلدين الكبيرين ، اللذين أعطيا العالم بثورتيهما وجهه « الاشتراكى »، ذلك القدر من « سوء السمعة » الذى استحقه الانفتاح عندنا ، لرسوخ التطبيق الاشتراكى فى هذين البلدين أكثر منه مما كان لدينا ، ولانه لم يتعرض لرياح من نوع « الرخاء النفطى » الذى أحاط بنا فى منطقتنا ، فجعل « انفتاحنا » ، على « البحرى » ، كما يقال .. ومع ذلك صمد التطبيق الاشتراكى عندنا أو كثير منه كما تقدم، متمثلا فى القطاع العام ، حتى بدأت الامور تعود الى جادتها ، ويعود الانفتاح عندنا كما هو في التجارب الاشتراكية العالمية، بحثا عن طريق لزيادة « التنمية » عن طريق زيادة الانتاج، ومحاولة استيعاب ثمار « الثورة التكنولوجية » ، التى لعب العالم الاول ، أو الدول الصناعية المتقدمة فى الغرب ، الدور الاكبر فى انجازها .

● وبذلك أصبح « الاشتراكيون » ، على مختلف صورهم الفكرية ، وصور التجارب الذاتية والعامة لهم، «تنمويين»

بالدرجة الأولى . أى أن شاغلهم الشاغل هو « التنمية » لبلادهم قدر ما يطيقون بغض النظر عما يقتضيه هذا الهدف من تباعد كثير أو قليل ، عن الاصول المذهبية التى انطلقوا منها، تحت راية الاشتراكية .

● لذلك لم يكن غريبا ، بل كان من المنطقى جدا ، أن يكون من بين المتحاورين حول « تكنولوجيا التنمية » عدد كبير من الاشتراكيين ، الماركسيين، أصلا ، أو لاحقا ، أو سابقا ، وأن تتراوح أفكارهم « ما بعد الاشتراكية » ، ما بين الماركسية المعدلة ، الى نبذ الماركسية واتخاذ موقف الخصومة منها! فهم جميعا ، ما بعد الاشتراكية ، أى ما بعد اعتناقهم لها ، لم تعد مقنعة عند كثير منهم ، وانما يتطلعون الى ما عداها ، ما بعد الاشتراكية ، بمعنى بعد ما أسفرت عنه الاشتراكية عندنا ، وفى العالم ، الذى لم يعد يعيش عصر انجاز الثورة الاشتراكية العالمية،ولكنه تجاوزها الى الثورة التكنولوجية العالمية التى يحاول الجميع اللحاق بها .

وبعد ، فلعلك أيها القارىء الكريم تسألنى عمن هم هؤلاء المتحاورون ، وأعتذر لك أننى تأخرت فى ذكرهم وأقول :

بين يدى كتاب طريف ممتع أشد الامتاع ، عنوانه طويل جدا ، هو : « بحوث ومناقشات ندوة تكنولوجيا تنمية المجتمع العربى فى ضوء الهوية والتراث » . ولن أذكر لك كل أسماء مؤلفيه ، فعلى غلافه أربعة وعشرون اسما ، معظمهم ممن شاركوا فى الندوة المذكورة ولكن بعضهم يبدو أنه قد شارك فى ندوة سابقة عن « الهوية والتراث » ، نظمتها ذات الجهة التى نظمت الحوار الأخير ، وهى « المركز الاقليمى العربى للبحوث والتوثيق فى العلوم الاجتماعية » ، التى تتبع ـ على نحو لا أعرفه ، منظمة اليونسكو الموسوم باسمها صدر الكتاب .

وحينما أقول لك انه كتاب ممتع فصدقنى .. انك حين تقرأ كتابا لمؤلف واحد رصين الفكر جيد العبارة فأنت لا شك مستمتع به .. ولكنك فى هذا الكتاب أمام ظاهرة جديدة : لقد عمد مدير المركز الصادر عنه هذا الكتاب وهو الدكتور أحمد خليفة ، ومساعدته البارعة الدكتورة سهير لطفى الى تنظيم ما يشبه أن يكون مباراة ما بين عدد من الكتاب والمفكرين عندنا ، فجاءت ورقة، أو بحث كل منهم تحمل طابع التحدى ، وحشد كل منهم أقصى طاقته فى الفكر والتعبير ، مع التركيز والايجاز قدر ما يستطيع ، حتى يكون له قصب السبق فى تلك الندوة المباراة ! وينتهى الكتاب بحوار بين أصحاب هذه الاوراق أو البحوث ، وسواهم من حاضرى الندوة، قد لا يكونون قد انتهوا فيها الى نتيجة مشتركة ، ولكنك تصغى فيها الى وقع الحوار فيما بينهم كما تصغى الى صلصلة سيوف المتبارزين !

والآن دعنا نستعرض بعض مايحتويه هذا الكتاب الغريب الشائق :

## ● الاسلام والعلمانية

لا تستغرب أن يدور شطر كبير من هذا الكتاب حول الاسلام ، فالحوار لم يكن من طرف واحد ، بين الماركسيين وحدهم ، بل بينهم وبين عدد من « الاسلاميين » بمن فيهم الماركسيون المتحولون على صورة أو أخرى الى الاسلام ! وعدد آخر ممن يصعب ادخالهم فى أحد الفريقين ، وربما كان أقرب تصنيف لهم أنهم يقفون تحت راية الليبرالية العلمانية على الطريقة الغربية .

على أن هذا السبب الذاتى لم يكن وحده ، بل هناك أسباب موضوعية تقضى بأن يدور حوار كثير عن الاسلام ، من ذلك ما أصبح يعرف الآن باسم الصحوة الاسلامية ، واذا ذكرت الصحوة الاسلامية فلا مفر من تذكر « الثورة الايرانية » وما تمثله من تحد لسائر العالم الاسلامى ، متهمة اياه بأنه متخلف فى صحوته عنها ، محاولة أن تفرض عليه مذهبها ومنهجها باعتباره النموذج الصحيح للصحوة والمؤدى اليها !

سبب موضوعى أكبر من هذا هو الصهيونية بنجاحها فى فرض ارادتها حتى الآن على العالم العربى والاسلامى ، واحتفاظها بالارض المقدسة التى اغتصبتها من ابناء هذا العالم ، وهى بعد دولة مهما ادعت من علمانية أو ديمقراطية — فهى انما تقوم على الدين ، حيث تعتبر دولة لليهود دون من عداهم ، وانها تقوم تنفيذا لوعد ربانى لبنى اسرائيل !! ومن ساندوا — ولا يزالون يساندون حتى الآن قيامها ، من دول الغرب « الديمقراطية العلمانية » بدورها ، لا يزيدون على أن يفضحوا وراء مساندتهم لها — بجانب مصالحهم الامبريالية — تعصبا صليبيا حاقدا على العرب والمسلمين ، ووشائج لا تنفصم عندهم بين « مسيحيتهم » واليهودية ، باعتبارهما نسيجا مشتركا لحضارتهم . لذلك كان الهرع الى الاسلام من جديد أمرا منطقيا عند كثير ممن خدعوا فى علمانية الغرب وديمقراطيته من ابناء العرب والمسلمين بعد ان تفتحت اعينهم على تلك الحقيقة المفزعة التى جسدها نجاح الصهيونية فى فرض ارادتها بمؤازرة من آزروها من دول الغرب ومفكريه !

ويمكن ان يندرج بين تلك الأسباب وقريبا منها أن صيحة « انصاف الشعوب » فى عصر الاشتراكية ، كان لا مفر من أن تمتد الى انصاف حضاراتها التى لحقها الغبن فى العصر الاستعمارى ، تلك الحضارات التى قامت على أسس مخالفة لحضارات الدول الاستعمارية ، وفى مقدمة من لحقه الغبن الدين الاسلامى رغم كون هذا الدين قد ظهر تاريخيا بعد اليهودية والمسيحية ، وجاء مكملا لهما ، وبالتالى فان كثيرا من التحولات التى حدثت فى الغرب ، انما كانت بفضل الاسلام ، وفى محاولة اللحاق بما حققه من اطوار اكثر تقدما فى تنظيم الجماعة الانسانية ، لذلك لم يكن العالم الاسلامى ، عند كثير من المتحدثين فى الندوة بحاجة الى الثورة على الدين كما حدث فى الغرب ، بل ربما كانت الحاجة الى العودة اليه صحيحا خالصا أولى ، وفى مقدمة من عبروا عن هذه الفكرة الدكتور محمد عمارة فى حديثه عن العلمانية ، حيث يرى أن الاسلام كان علمانيا بطبيعته منذ البداية ، فليس فى الاسلام كهانة ، ولا نشأت فيه مؤسسة دينية تشبه الكنيسة ، التى ثار عليها الغرب وصولا الى الديمقراطية والعلمانية ، بل ترك الاسلام لمعتنقيه أن يدبروا أمور دنياهم كما يشاءون طبقا لمقتضى العقل والمصلحة العامة ، حتى الخلافة طبقا لهذه « النظرية » ، كانت مؤسسة علمانية أنشأها المسلمون فى حينها لتدبير أمورهم السياسية طبقا لمقتضى العقل والمصلحة العامة وليس هناك من شريعة سماوية تقضى بها وتضع نظامها !

وكان من طبيعة الأمور أن يرفض أبناء المدرسة العلمانية الغربية هذا المنطق ، ويصفوا ورقة عمارة بأنها قصيدة هجاء طويلة فى الغرب ،

دون أن يصلوا الى تنفيذ كامل واضح لنظريته ·

غير أن أغرب المواقف فى هـذا الصدد كان موقف محمد سيد أحمد وورقته : فالدكتور فؤاد مرسى على سبيل المثال ، قد قرر وهو الماركسى المعروف ، وترك للحاضرين أن يسجلوا عليه أن فكره قد تحول فى السنوات الاخيرة ، وأن ما يقوله الآن لم يكن ليقوله منذ ثلاثين سـنة حينما كان ماركسيا قحا ، فهو يرى الآن ما لم يكن يراه من قبـل وهو أن بعض ما تعتبره الماركسية جزءا من البناء الفوقى الـذى يتغير بتغير قـوى الانتاج والاوضاع الاقتصادية ، قد يلعب فى التاريخ دورا أكبر بكثير مما قدره له هذا التصور ، من ذلك مسألة الدين - فالاسلام ورسـوخه عندنا ، والمسيحية ورسـوخها فى الغرب ، تمتد من عصر الاقطاع الى الرأسمالية ، ويمكن أن يبقيا طويلا بعد الاشتراكية ، كان ذلك سلاحا يسـلمه الدكتور مرسى فى سـخاء للاسلاميين ·

أما محمد سـيد أحمد فدون أن يسلم لأحد من الحاضرين ، أنشـأ بدوره قصـيدة هجاء حقيقيـة فى المدرسة الماركسية التى تعلم فيهـا ، وهى الحركة الشيوعية المصرية ، التى سيطر عليهـا اليهود الأجانب طويلا وحاولوا أن يسخروها لاغراضهم الصهيونية ! وزاد على ذلك أنه قدم للحاضرين بيانا رائعـا عن أخطار الثورة التكنولوجية على هوية الأمم المتخلفة ، حيث أصبح فى مقدور الدول التى تملك ناصية تلك الثورة أن تدمر بوسائلها الاعلامية الجبـارة هوية الامم المتخلفة وتبدلها وتحـولها الى الصورة التى تشتهيها وتلائم أغراضها كان ذلك أكبر تحريض للاسـلاميين على الدفاع عن « الهوية الاسلامية » دون أن يفصـح صاحبه عن المدى الذى أصبح اليه أسلاميا ، فى موقعه الذى يصر عليه من أنه مجرد مفكر أو مراقب « كونى » لما يدور فى هـذا العـالم !

## ● أين التكنولوجيا ؟

ويصر الدكتور أحمد خليفة منظم الندوة ، على أن يصل المتحـاورون الى بيان لتكنولوجيـا التنمية التى يقترحونها والتى هى موضوع الندوة، بدلا من الغرق فى مناقشات بيزنطية حول الماضى والعقائد ، تزيد الحيرة ولا تضفها حينمـا تصل الى طريق مسدود ، ويعلن أحد الحاضرين وهو الشيخ الدكتور النمر أنه لا يفهم ما يقولهالدكتور سيد ياسين ، ومايقصده بان تطبيق الشريعة الاسلامية خاصة فى مسألة الحدود يصطدم « بالمدفاع الاجتماعى » ! ·

ويستبشر الدكتور احمد خليفة حينما يتكلم عادل حسين ، ويذكر التنمية ، ويذكر أيضا أن التنمية ليست تنمية اقتصادية فقط ولكنها اجتماعية كذلك بالمقام الاول ، مناقضا بذلك انتماءه الأول للماركسية وحاملا على مدركاتها القاصرة من وجهة نظره الحالية التى تنتسب الى الإسلام · ويزداد الدكتور خليفة بشرا حينما يستخلص من كلام عادل حسين أن الاجتمـاعيين فى الوقت الراهن أصبح لهم دور وعليهم مسـئولية فى التنمية ربما تفـوق أهميتها أهمية الاقتصاديين ، الذين سيطروا طويلا على خاصية كل حديث عن التنمية ·

غير أن « تكنولوجيا » عادل حسين التنمية تأخذ طـابعا حالما شـديد الغموض لدى المتحاورين ، حينمـا يقول انها تبدأ من « شهادة أن لا اله

الا الله وأن محمدا رسول الله » !

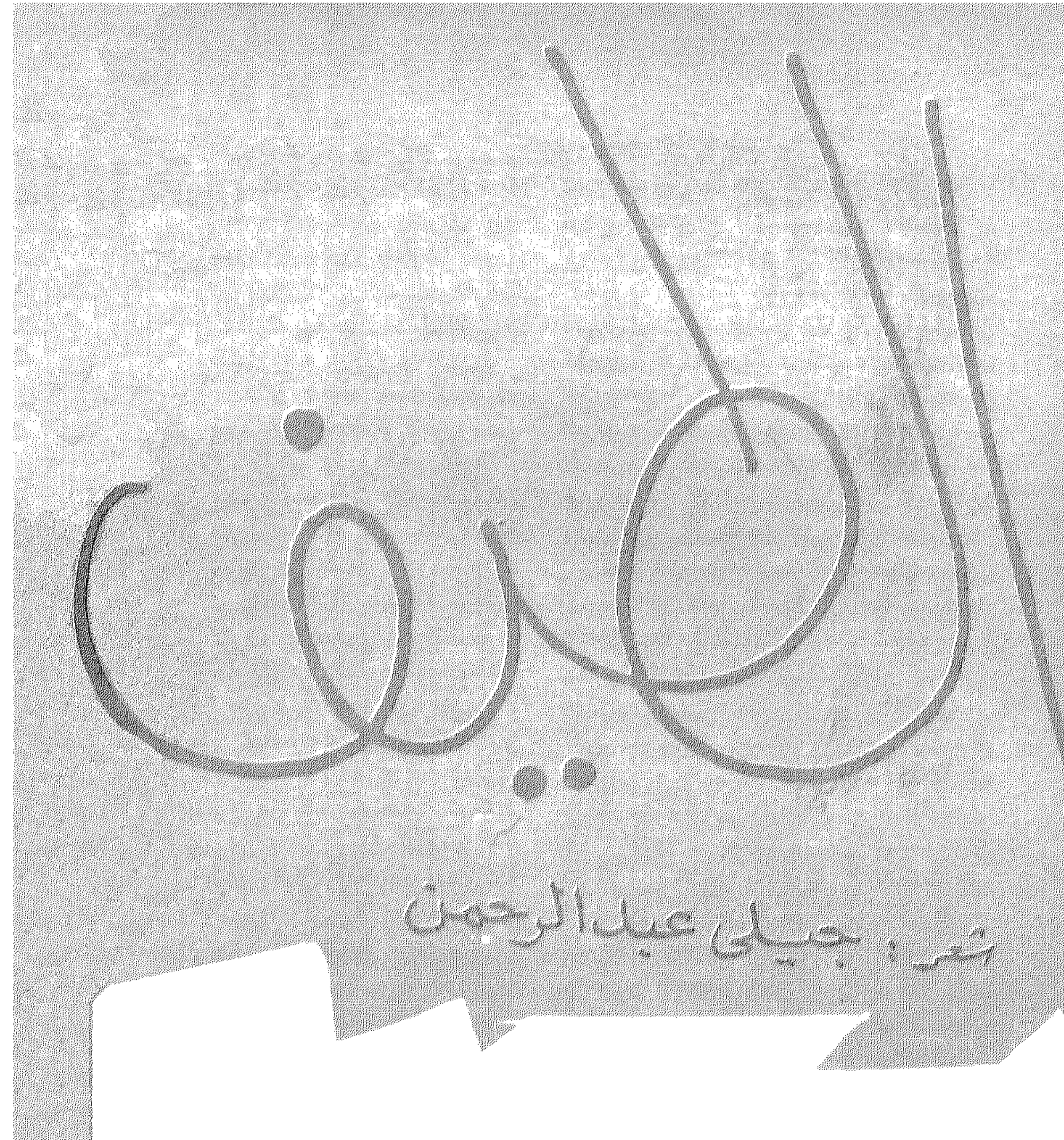
ويحاول أن يوضحها بتقرير أن « الايمان يمكن أن يكون محركا كبيرا للتطور » ، وربما تكون تلك مقولة فى وجه مقولة الماركسية بأن « الاقتصاد هو محرك التطور » !

غير أنه ـ أى عادل حسين ـ لم يكن فى وسعه أن يبعد كثيرا عن مجال الاقتصاد أو يتجاهله بالمرة ، فى تكنولوجيته للتنمية ـ بل حتى عن المدركات التى علمتها له الماركسية قديما عن علاقة « الطبقة » بالانتاج ، وأن كل نمو اقتصادى وراءه طبقة أو طبقات تقوده ، فيقرر أن « الطبقة » التى يرشحها لقيادة التنمية الاقتصادية فى بلادنا ، هى « طبقة » من المؤمنين يعملون على قيادة التطور الاقتصادى فى تيار الاسلام ! ولا أدرى من يعنيهم بهذه الطبقة ؟ هل هم اصحاب شركات توظيف الاموال ، التى تتدثر .. بلباس الاسلام، والتى يمكنها السباحة ببراعة فى محيط الثروة النفطية فى بلادنا العربية والاسلامية ، رغم ان هذه الثروة توشك ان تاتى عليها حرب الخليج وتدهور أسعار النفط ؟ على كل لم يكن عادل حسين صريحا مثل جلال كشك ولم يكن من حضور الندوة غير أن مثيل فكره كان حاضرا، الذى اظهر مثله التحول من الماركسية الى الاسلام ، والذى يقرر فى صراحة ان « الرأسمالية » هى الطبقة الوحيدة التى تستطيع تحقيق التطور الصناعى، رفضا لما ادخلته « الناصرية » فى بلادنا من اقتفاء آثار الثورات الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى والصين،فليس بالضرورة أن ما نجح فى هذين البلدين ـ عند عادل حسين ـ يمكن أن ينجح عندنا .

وفى مواجهة هذا التيار الاسلامى، او تيار التنمية على اسس اسلامية او على نطاق اسلامى ، كان الدكتور سيد عويس ـ على الطرف الاخر اشد تركيزا على « الهوية المصرية » وضرورة الانطلاق من الوطنية المصرية بجميع موروثاتها من الحضارات ، وقدم دفاعا بليغا عن الحضارة المصرية ، كان من اطرف ما تضمنه ذكر ان ارسطو وعلمه الواسع كانا اكذوبة كبرى صدقتها الحضارة الغربية ، حيث أن تلامذته فى مصر قد سرقوا كل علوم المصريين ونسبوها الى معلمهم !

غير أن ما ذهب اليه الدكتور عويس لم يقنع احدا فى موضوع تكنولوجيا التنمية ، وفى الوسط ما بينه وبين الاسلاميين ، حاول الدكتور على مختار ان يرد المتحاورين الى ما يمكن تسميته « بالاعتدال العربى » ، حيث يقرر أن التنمية لم تأخذ مداها فى بلادنا ، ولن تأخذ هذا المدى ، وبالتالى لن نستطيع ان نقرر ان الاخذ بالطريق الاشتراكى اليها كان صحيحا أم لا ـ حتى تقوم الوحدة العربية ، لان كل تنمية على مستوى العصر هى بحاجة أولا الى كيان كبير يستطيع ان يحقق ما ليس فى مقدور الدويلات الصغيرة أن تحققه ..

وأخيرا فلن أستطيع ايها القارىء الكريم أن انقل اليك فى هذه المساحة المحدودة كل الافكار العزيزة التى تضمنها هذا الكتاب ، الذى تغلفه غلالة من الحزن ، تمثلت فى اهدائه لروح المرحوم الدكتور على مختار ، الذى قضى منذ شهور قليلة ، قبيل صدور الكتاب ، ولم يكن مجرد مساهم فحسب ، فى ندوته ، بل كان ناشره ايضا ، وهذا الكتاب هو اخر ما اصدره من كتب عن « المؤسسة العربية للدراسات والنشر » التى تحمل الان اسم دار على مختار للدراسات والنشر » !



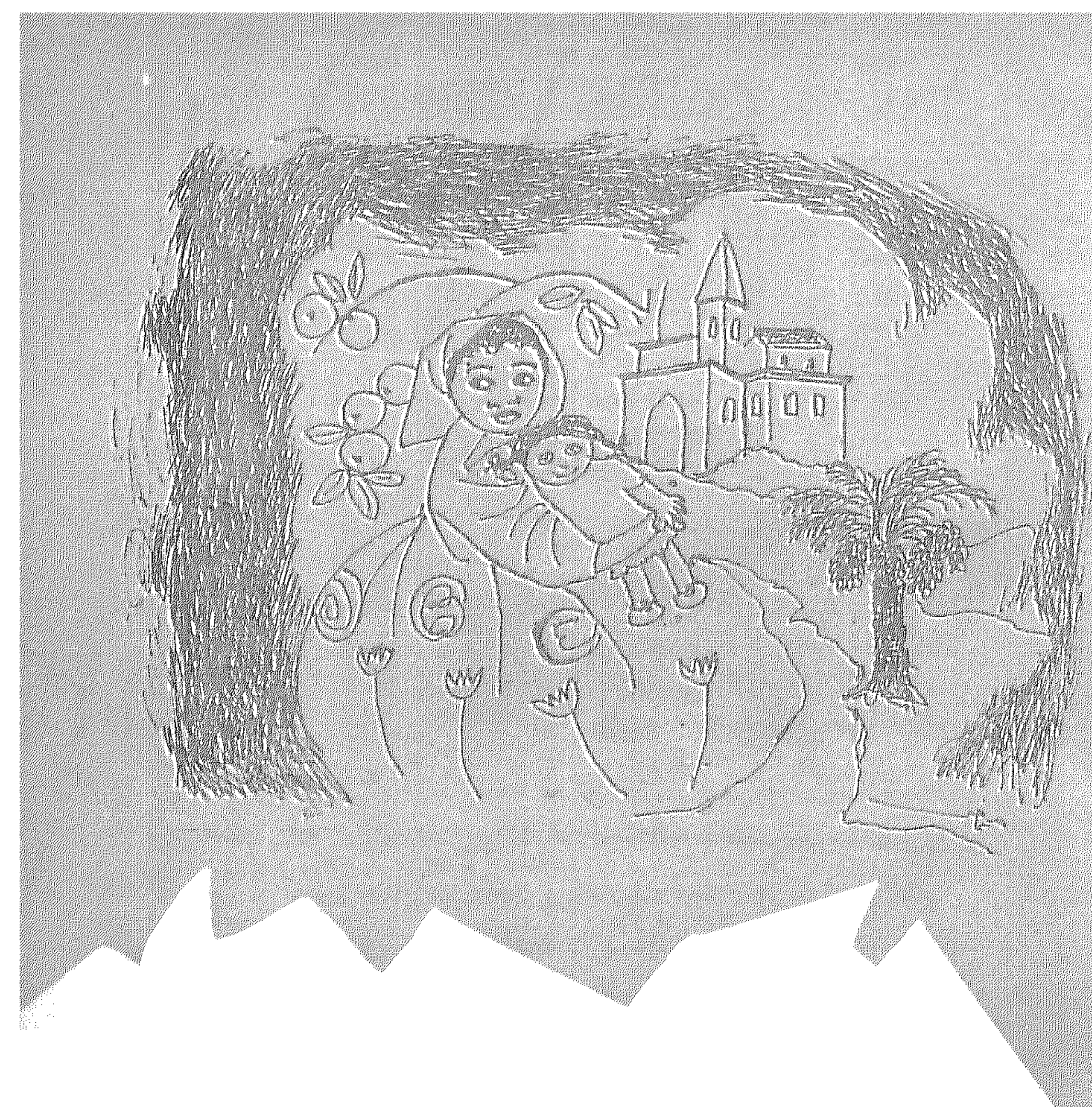

تحضنها اعينهم
تفاحة .. مخضبه
الخصر .. فى انحنائه
يميس .. مثل القصبه
والشمس يهمى دفئها القمحى
حتى الرقبة !

***

افريقيا ، هذى تقاطيع ابى فى
العربه .

واجفات .. منتحبه
ومثل صقر .. هالك
تعدو عليه الدببه
عبرت الف شارع
كنائسا .. مذهبه
وخضت فى الزحام او الترام
.. مثل أرنبه
حتى قبعت هاهنا
فى وحدتى .. المنسكبه !

***



طفل آبق
رانت عليه المسغبه
فهل يثير .. هاتفا
من الحنان ، والهبه ؟

★☆★

تبارك المليك
حيا .. رائق البلور .. سحبه
الافق فاح صندلا
أدعية و أحجبه
والنيل فاض فى المدى
شبابة ، وهضبه
النخل .. يعطى رطبه
والكرم يهدى .. عنبه

★★★

الدمع ؟
لا !
قلائد من الندى مغتربه
لا تتركيني أرقهى .. عسالى
هجير الغربه
الطفل .. من عذبه ؟
مناه
تم صلبه !




● رأى فى الثقافة ●

# طه حسين .. الباقى

فى الثامن والعشرين من أكتوبر الماضى مرت الذكرى الرابعة عشرة لوفاة طه حسين وسط زحام الكلام عن كل شىء ماعداه ·· على الرغم من أن الايام تثبت كل يوم عن الاخر ضرورة طرح القيم المصرية العليا مجددا ، ووضعها موضع الصدارة ، خاصة اذا كنا ( على الاقل نحن العاملين فى الحقل الثقافى ) على نفس القدر من الاحساس بالمسئولية كما كان طه حسين ابن القرية المصرية الذى حمل على كاهله ، كما لم يحمل أحد قبله أو بعده ، هذا الاحساس الطاغى بدور المثقف فى المجتمع : أن يصبح العلم حقا لكل الناس كالماء والهواء ، وأن ينفخ فى روح المجتمع الايمان بالعلم كقيمة عليا يجب أن تتهيأ لها كل الاسباب وفى مقدمتها حرية الرأى ، والديمقراطية الحقة ، والعدالة التى بدونها تصبح كل المعانى كالطبل الاجوف ·



د . طه حسين

فى الثامن والعشرين من أكتوبر الماضى مرت ذكرى طه حسين دون كلمة وسط ضجيج الكلام عن كل شىء ماعداه ، على الرغم من أن الايام تثبت حاجتنا الشديدة لطرحه للمناقشة أمام الاجيال الجديدة ، التى تكاد العوادى تأخذها فى طريق الضياع ، كما تثبت الايام أن القيم التى كافح من أجلها طه حسين خافتة هذه الايام ·· فلننتبه ·

**عبده جبير**



• تليفزيون •

« مغناطيس » نعمان عاشور

● عندما كتب نعمان عاشور مسرحيته ( المغناطيس ) فى أوائل الخمسينيات ، قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، كان الهدف منها هو رصد الواقع المصرى الذى يتأرجح بين التقدم للامام والتقهقر للخلف ، فهو أسير معتقدات وعادات وتقاليد تسرى فى حارة درب عجور مثلها مثل الخرافات والغيبيات التي تكمل دائرة الأسر الاجتماعي ، وفي الوقت الذى يتوق فيه هذا الواقع للتحرر بأشكال مختلفة يبدأ عطوة أفندي في التحرر من الاستغلال على يد الحاج حسنين أبو المال وأمثاله الى التحرر الطبقي لقمر على يد الحاج حسنين نفسه الذى يجدها هو الآخر فرصة للصعود الطبقي والسياسي· وبين هذا التأرجح جاء الطبيب النفسي العائد من فرنسا ليفتتح عيادته ، فيصبح محل اقبال أهل ( درب عجور ) ، لكن الطريف هو هذه المفارقة التيجعلت أحدث أساليب العلاج فى ذلك الوقت تؤتى ثمارها فى علاج أهل الحارة ·· ولكن ·· بمفهومهم هم ·· أى من خلال منطقهم الخاص بأن ( الشافي هو الله ) وأن هذا الطبيب الشاب مثل المغناطيس فيه شىء لله يعرف ما بالنفوس ويداويها ، وهكذا التقي العالمان ·· الطبيب على غير رضاه ( فهم يتجاهلون علمه ) ، وأهل الحارة كما أرادوا لهذا العلاج أن يكون · وخطورة هذه المعادلة التي طرحها نعمان عاشور منذ ٣٦ عاما مضت أنها وان أتاحت للطرفين معا أن يتعاونا ويلتقيا، فانها لا تقوم على الوعى والايمان بالعلم من طرف الاغلبية ، وانما تتجه الى الحل عن طريق الغيبيات وهى بقدر ما تتيح للناس أن يستفيدوا من علم الطبيب أو العالم بقدر ما توقفتطوره العلمى لانه غير مطالب به ولا متاح له

على أن نعمان عاشور أعاد كتابة ( المغناطيس ) مرة أخرى عام ١٩٦٦ باسم ( عطوة أفندى قطاع عام ) مضيفا اليها أبعادا جديدة ، ورؤية واضحة كانت قد تبلورت لديه ككاتب مفكر : هى ايمانه بالاشتراكية وملكية الدولة لوسائل الانتاج والمؤسسات العامة ، وهكذا حملت نهايتها الحلالذى وجده(عطوهأفندى) ـ الشخصية المحورية فىالمسرحيةالثانية ـ للانعتاق مناستغلال الآخرين له ( حسنين ، وعادل ) وهو العمل فى جمعية تعاونية استهلاكية أو مجمع فى ذلك الوقت (١٩٦٦) الذى بدأت فيه الدولة هذا المشروع ، وقد قدم كاتبنا الراحل هذا الحل بعد دعوة من خلال المسرحية الى يقظة الجميع وتحول أى سلبى منهم الى ايجابى ، ونبذه لخطاياه وعيوبه من نفسه ( أى تطهره ) وهى دعوة خيالية تصور الكاتب وقتها انها تثمر لدى أمثال الحاج حسنين أبو المال، الذى يصاب كما وصفه فى نهاية المسرحية، بانسداد فى المسالك الاستغلالية ، فيعيد الكمبيالات الى أصحابها المديونين له ، ويتنازل لاخيه الاصغر عن العروس قمر لأنها تلائمه أكثر منه ويحل مشاكلهما المالية، وهكذا جاءت

المسرحية الثانية بحلول محددة رآها المؤلف ، وان لم يفسر لنا لا منطقيتها مع الكثير من العيوب الاجتماعية والظواهر التي رصدها في المسرحيتين، والتي مازالت مستمرة ، بل اصبحت اكثر رسوخا ووضوحا في مجتمع اليوم ، وهكذا بدا تقديم مسلسل تليفزيوني ، مأخوذ عن المسرحيتين معا ، عرضه التليفزيون في الشهر الماضي على شاشة قناته الثانية ( وعرض في العالم العربي قبلها ) بدا غير بعيد ولا متناقض مع واقع الثمانينيات كما اعده كاتب السيناريو عاطف بشاي واخرجه ابراهيم الشقنقيري ، فالعديد من الخيوط القديمة تأكدت استمراريتها ومتانتها فهي تمثل محاور الصراع الرئيسية المستمرة منذ الخمسينيات ( الصراع بين القديم والحديث ، بين العلم والخرافة ، طموحات التجاوز المادي والطبقي ) ، فبينما كان الفساد مجسدا في ( مغماطيس ) الخمسينيات في الحاج «حسنين ابو المال» الذي يشغل الآخرين ويتاجر بالسلع في السوق السوداء فان الفساد يزداد في ( مغماطيس ) الثمانينيات من خلال اشكال وانواع اخرى وهو ما شكل مادة خصبة تثري الطرح القديم لكن معد العمل التليفزيوني لم يستغلها بل وترك عددا من افضل الافكار والظواهر التي طرحها نعمان عاشور في الخمسينيات وعادت لتشتد بوضوح اكثر في السبعينيات والثمانينيات وهي ظواهر : الاتجار بالدين واللعب على الوتر الديني ثم لعبة الصعود السياسي والبرلمان عن طريق المال والثراء التي عادت بضراوة اخيرا ، ثم هذا التغيير الأساسي لعطوة افندي والجميع بحثا عن العدل ورفضا للاستغلال .

**ومن هنا فان السؤال المطروح هو الى اي حد من التغيير يمكن لمعد عمل ابداعي ان يذهب ، والى اي حد يتوقف ؟**

لقد احتفظ المسلسل بالشخصيات الرئيسية لمسرحيتي نعمان عاشور مع تغييرات عديدة مثل تغيير اسم الطبيب النفسي ( من د. غريب الى د. عادل ) بلا مبرر ، ومن تغييرات في الملامح الجسدية والعمر ، وحذف شخصيات هامشية، وشخصيات هامة ،واستبدال شخصية ( مدرس ) بشخصية ( مأمور ضرائب ) مع ما للشخصية الاولى من دلالة درامية ، وهناك تغييرات من اجل المعالجة الدرامية تصبح مقبولة في اطار حرية الكاتب المعد للسيناريو والحوار لكن هناك تغييرات اساسية اضطرارية من اجل الانتاج والتسويق وايضا النجومية كان يكون ممثل احد الادوار الكبرى اكبر الممثلين المشتركين اسما فيكبر دوره ليصبح محوريا وتتقلص ادوار اخرى وهو ما حدث مع شخصيتي الطبيب النفسي وعطوة افندي المحوريتين في ( المغماطيس ) ثم انفراد ( عطوة افندي ) بالدور الرئيسي في المسرحية الثانية ومع ذلك فقد تقلصت تلك الشخصية ، وضاع جزء كبير من اهميتها بوجود نجم سينمائي لامع ( حسين فهمي ) في دور الدكتور امام ممثل ادوار هامشية لعب باقتدار دور عطوة افندي (رشدي عسكر ) ، هناك ايضا شخصية (السني الفنجري ) الذي يطلق لحيته ويرتدي جلبابا وطاقية بزر اخضر ولا يكف عن ترديد الادعية وتبخير محل الحاج الذي يعمل به ويبدو كما وصفه نعمان عاشور في بداية المسرحية مصابا بالبلاهة وتبلد الفهم يعيش في انفصال لا يربط مطلقا بين سلوكيات الحاج وممارساته الاستغلالية للجميع،

نعمان عاشور

ومنهم هو ، وبين عدم جدية تظاهره بالتقوى ، عكس عطوة أفندى ،وبرغم التغيير المهم لهذه الشخصية فى نهاية المسرحية الثانية حيث يتزوج السنى من الست فرحانة الأرملة السمسارة التى تكبره ويحلق لحيته فان المسلسل التليفزيونى الغاها لأسباب تخص ظروف الثمانينيات ، وربما كانت أبرز نقاط الاختلاف التى أضيفت ( للمغماطيس ) فى الثمانينيات هى موقف المسلسل من الازمة الاقتصادية ، فبينما كانت تلك الأزمة لدى نعمان عاشور تمثل أزمة (موظفين) سواء ذوو الاصول الطيبة منهم أو الاخرون ، اى ازمة طبقة لها دخل ثابت ووضع اجتماعى متميز بالحسب القديم أو التعليم فان الأزمة تتعمق فى الثمانينيات ، من خلال المسلسل ، لتصبح محورا مهما يطول الجميع ولتدفع بسلوكيات كان من المفروض أن تتغير منذ هذا الوقتالى نفس المسار ، فبنت الخمسينيات ذات الأصل الطيب والدخل المحدود فضلت، تماما كبنت الثمانينات ، رجلا غنيا بثقلها ماديا ، اجتماعيا ٠

ومع قرب المسلسل من واقع الثمانيثيات فانه اغفل عن عمل ثلاث نقاط تمثلاهمية خاصة للعمل ولفكر نعمان عاشور وبدونها ، يفقد المؤلف الاصلى جزءا كبيرا كمبدع له قدرة على سبق الآخرين واستشراق المستقبل ٠

ماجدة موريس




## ● الدعاية الاسرائيلية من خلال الراديو

عن الدعاية الاسرائيلية فى اذاعة صوت اسرائيل نوقشت فى كليةالاعلام رسالة الماجستير المقدمة من الباحثة نجلاء العمرى ٠ وقد تكونت لجنة المناقشة من د ٠ على الدين هلال الأستاذ بكلية السياسة والاقتصاد و د ٠ جيهان رشتى و د ٠ ماجى الحلوانى الأستاذتين بقسم الاذاعة بكلية الاعلام ٠

وقدمت الباحثة فى رسالتها دراسة تحليلية لعينة من الأخبار والبرامج الاخبارية الموجهة باللغة العربية ، واوضحت الدراسة أسلوب الدعاية الاسرائيلية وتركيزها على الدعاية الاذاعية ، لإيمانها بانها الوسيلة الأكثر فاعلية فى مجال الدعاية للاقطار العربية ، وان كان ذلك ـ كما قالت الباحثة ـ لا ينفى أهمية استخدام الأساليب الأخرى السياسية والعسكرية والديبلوماسية لاختراق الفكر العربى ٠ والدليل الذى ساقته

الباحثة هو ارتفاع نسبة الاستماع العربية للاذاعات الموجهة ، وأوضحت أن البرامج الاخبارية تمثل الجزء الأكبر من المواد الأكثر استماعا بعد الأغاني والمسلسلات الدرامية ٠

واعتمدت الباحثة في دراستها على منهج دراسة الحالة بجانب أداة تحليل المضمون لرصد تطور المعالجة الدعائية في الاذاعة الاسرائيلية وذلك على المستويين العام والخاص ٠

فالمستوى العام يتعلق بنشرات الأخبار والبرامج الاخبارية ، أما المستوى الخاص فيتركز في القضية الفلسطينية داخل الأرض المحتلة ، والصراع العربي الاسرائيلي ، وعلاقة الدول العربية باسرائيل ٠

وأوضحت الدراسة مفهوم الدعاية الاسرائيلية والصهيونية وخصائصهما الأيديولوجية ، التى شكلت أهم نتائج الدراسة.

● ستبقى اسرائيل محور الصراع

وأثنى د ٠ على الدين هلال فيبداية مناقشته للباحثة على موضوع الرسالة وقال انه موضوع هام يستحق أن نحيى عليه الباحثة ، وذلك لأن بعض الباحثين فى الآونة الأخيرة دأبوا على اختيار موضوعات ليست ذات حيثية

٠٠ وقال أن أهمية الرسالة ترجع الى انها رسالة رائدة فى مجال الاذاعات الموجهة وقد اختارت الباحثة أهم هذه الاذاعات حيث أن اسرائيل ستبقى محور الصراع الذى نعيشه فى هذه المنطقة ٠

وقال د ٠ على الدين هلال ان الاذاعة الموجهة تعتبر بمثابة ذراع من أذرع الدولة وهذا يعنى أن الاذاعة دائما تحمل خصائص الدولة التى تعبر عنها والمفتاح التفسيرى والمنطقى لفهم اسرائيل ـ والذى أغفلت الرسالة توضيحه هوان اسرائيل مجتمع « احلالى » واستيطانى ، فبحكم انه استيطانى فهو يقوم ـ بالضرورة ـ على نفى وجود الغير ، وهذا الغير هم الفلسطينيون ٠ واسرائيل أيضا مجتمع أيديولوجى له رسالة يجاهد ويقاتل من أجلها ـ وهذا طبعا بصرف النظر عن رأينا فى هذه الأيديولوجية

وانتقل د ٠ على الدين هلال الى مناقشة نشأة الاذاعة الاسرائيلية قبل اقامة دولة اسرائيل وذلك بعكس جميع دول العالم ، ومسألة بث التليفزيون الاسرائيلى لبرامجه باللغة العربية أكثر من اللغة العبرية وقال ان الرسالة أوردت هذه الحقائق مؤيدة بالأرقام لكنها لم تذكر السبب وتفسير ذلك يرجع الى أن اسرائيل ورغم كل شىء نواة لمشروع لم يكتمل ، بمعنى أنها ما زالت أقل فى الواقع من أفكار قادتها ومؤسسيها ٠

ثم قال د٠ على الدين هلال عن أسباب السخرية الاسرائيلية من الحكام العرب الذين يقيمون علاقات صداقة وثيقة مع الولايات المتحدة عندما تقول فى اذاعتها « أن الحكام المسلمين يحرصون على الحج الى واشنطن كل عام » ، ان ذلك يدل على أن اسرائيل لا تشعر بالامان اذا ما تحالفت الدول

نجلاء العمرى



العربية مع الولايات المتحدة ، لأن هذا يعني أن العرب يحاولون طرح أنفسهم كبديل لاسرائيل في الولايات المتحدة ·

وأخذ د · علي الدين هلال على الباحثة عدم توظيفها للمادة العلمية لاستخدامها أفضل استخدام ممكن ر. قيامها بجهد واضح في جمع البيانات والاحصائيات · فمثلا ذكرت الباحثة ارتفاع نسبة العداء الاسرائيلي للسعودية لكنها لم تفسر لنا ذلك · فمشكلة الدراسة هي احتواؤها على معلومات كثيرة غير مفسرة ، مماأدى الىوجود عدم توازن ملحوظ بينعرض البيانات والاحصائيات وتفسيرها وقال ان جمع البيانات يجب أنيوضع في ملحق بعد الانتهاء من الرسالة ، ذلك لان العلم في جوهرة ليس أرقاما بل تفسيرا في الاساس ، ومسألة جمع المعلومات هي الاساس الذي يقوم عليه العلم وليست العلم نفسه ·

وانتقد د · علي الدين هلال أداة تحليل المضمون كأداة بحث مستخدمة في الرسالة، وتساءل عن مدىفاعليتها في تحقيق أفضل النتائج بالنسبةلمجال الاذاعة ، لأنها تعتمد على كلمات منطوقة ، وتحليل المضمون ينصرففي الأساس الى الكلمة المطبوعة ، وقال ان هذين المستويين مختلفان تماما ، فالتحليل الذي أخرج به من قراءة الأخبار في جريدة غير الانطباع الذي أخرج به لدى سماعها ، ذلك لان الاذاعة دائما تفترضعدمانتباه المستمعلانهاتهتم بالانطباع والايحاء الذي تتركه فيأذن المستمع · وأضاف د · علي الدين هلال أنه رغم تنبه الباحثة الى المآخذ العديدة لاداة تحليل المضمون فقد وقعت في أسره ، واستهوتها الفكرة الشائعة بأن الكم دائما أقوى من الكيف · وهذا خطأ كبير أحذر الباحثين في مجال الاعلام من الافراط في استخدامه لانذلك حتما سيوقعهم في مزالق علمية وتفسيرية عديدة ·· وقال د · علي الدين هلال أحب أن أنبه الباحثين أيضا الى مسألة كبر حجم الرسالة ، وقال انه ليس بالضرورة أن القيمة العلمية الكبيرة تساوي رسالة كبيرة ·

ثم ناقشت د· جيهان رشتيالباحثة واعترضت علىما ذكرته من أنالاذاعة الاسرائيلية دائما تؤثر عدم التركيز على الخلافات بين الائتلاف الحكومي في اسرائيل ،

هبة عادل عيد

## • مسرح •

### ● ((الدربكة)) والمسرح الصوتي

بقاعة منف التجريبية قدم الموسيقي الموهوب انتصار عبد الفتاح عرضه الذي أسماه « الدربكة » نسبة الى آلة « الطبلة » التي تسمى في ريف مصر بالفرايحية ، وهو يستخدم هذا المفرد الايقاعي مصاحبا لرحلةالانسان الفرد في واقعنا المصري ، ومحاولاته المستمرة للتوحد مع ايقاع الحياة

والعرض الذي يقترب زمنه من الساعة ليس عرضا دراميا بالمعنى المتعارف عليه بالتالي لا يعتمد على نص حواري مكتوب ، ولكنه صياغة متعددة الأصوات داخل وجدان انسان مصري منذ بداية ميلاده ، وحتى نهايته ، وهو لا يبحث في الوجود والماهية بقدر ما يركز على الحياة وديمومتها ، يولد الطفل فيرتبط بايقاع

الحيـــاة ويســتمد مــن خصوبتها ، مــا يدفعــــــه الى النهـــوض والمقاومة ، ومن أجل ذلك تتوحد هذه « الدربكة » مع الانسان الذى يواجه الكون من حوله ، فيصبح ما يتعرض له فى مسيرة حياته واستمراره هو ما يوازى ، ما يمكن تسميته تجاوزا بصراع هذه الآلة من أجل البقاء وسط مجموعة من الالات تتطور باطراد مع كل تقدم علمى جديد ·

يشغل العــرض القاعة كلها ، ففى أطرافها يتشكل العالم من شرق وغرب يحتل كل منهما مسرحا خاصا لا يرتفع عن الارض باكثر من نصف متر وعرض مترين ، أمـــا الجمهـور فيجلس فى صفين ـ فقط ـ متقابلين يشكلان بقية حدود القاعة ، وفى نقطة تتوسط كـل هذا وفوق كف مرسومة على بــلاط الأرضية ممتدة الاصابع ، يولــــد الانسان بلا هوية ، ولكنه سرعان مما يستمد ويتعـلق ويلقم أطرافهـا مـما حوله ، من مفردات يكثفها العــرض ببراعة فينتقى من الاغنيات الشعبية البسيطة ومن ايقاعات الحرفيين ومن ترديدات الحياة الممتدة ، وهو يختار ممثلا أو اكثر لكى يعبر عن كل مفردة وتكتل ، فهناك مجموعة من المنشـدين باغان شعبية مختارة من قلب المدن والقرى عن الميلاد والطهور والسبوع ·· الى آخر هذه المناسبات المختلفة التى تمر فى حياتنا ، ومع كل مايحرك الحياة يختار العرض الحــــرفيين ( الحداد والنجار والجزار والبنــاء والطعمجي والمنجد والنحاس والمبيض) بادائهم الحركى الذى يتوحد مــع الاصوات المتناغمة الصادرة من اثـر استعمالات الادوات ، فى هارمونيــة تختلط بايقاعات مختلفة ماخوذة مـن الممارسة المعيشية ، ويمتزج كل ذلك مع كركرة القلة ودقات الهون وتقطيــع المخرطة واستخدامات طست الغسيل والقرمة والعجلة الخشـــبية ، فى صيرورة متصــلة ومتواصــلة مـع محاولات هذا الانسان من أجل المشاركة والتعلق باكتشافاته الاولية التى تتراكم رويدا فى وجدانه ، فيتحدد بالتـالى لديه الاتجاه أو الهوية أو الهـــدف والارتباط ، وينجذب تماما بعـد أن يصبح الكل فى نغمة واحدة صـادرة من هدير الحياة السرمدى · كل ذلـك وهو ليس بمعزل عن رصد الغرب لـه من خلال ما يمثله ، وهو هنا مجـرد فتاة تتابعه أولا وتراقبـه وتـدرس عاداته ومعتقداته ولا تدعه يغيب عـن نظرها ومنظارها المعلق أمام عينيها،

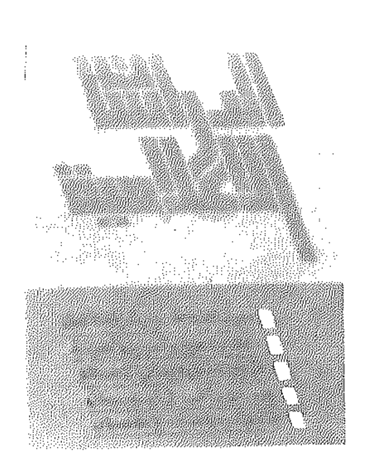
قد يكون فى هذه التجــربة بعض التزيد والاستعراض الشخصي، ولكنها تبقى علامة واضحة لفنان لا شك فى موهبته واصالتها ، وهنا تجـــدر الاشادة بمجموعة العرض المتجانسة التى ذاب الفرد فيها من أجل المجموع الذى أنكرت فيه الذوات الفردية ابرازا للمعنى المراد بكل اخلاص : حســام محسب ، عبير لطفى ، تغريد ابراهيم، سيدة زكى ، سهام اسماعيل ، محمد هناء كمال ، تامر كمال ، رباب محمد، خطاب عمر ، ادريس متقال ، محمد عزت ، أسامة جانو ، عثمان محمد جمال منصور ، محمود حســن ، مصطفى الشناوى ، أحمــد عوف ، اسماعيل شعراوى ، احمد البهنساوى جيهان النمرسى ، محمد عسكر، ماجد الكدوانى ، احمـد الحسينى ، عــلى عثمان ، عمرو سامى ، اكـــرم اسماعيل ، كوثر مصطفى ، خالــد يوسف ، ومهندس الديكور حســن العزبى ·

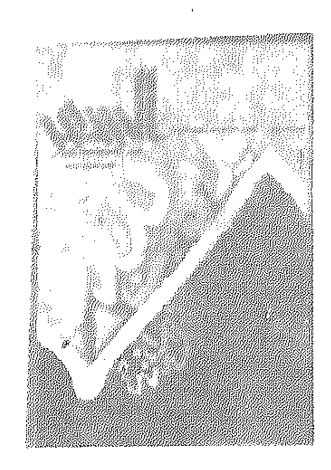
● محمد الشربينى

# • مجلات •

كل المجلات لها بيت
ومجلة الشعر ليس لها بيت





مجلة الدراسات الاعلامية • هذه الدورية التي يصدرها المركز العربي للدراسات الاعلامية ويرأس تحريرها الكاتب صلاح الدين حافظ تعد واحدة من أهم دورياتنا ، وان كان السبب خافيا فى أن معرفة الناس بهاء حتى وسط الصحفيين والاعلاميين تكاد تكون معدومة •

ولكن القارىء لهذهالدورية سيكتشف اهميتها الفائقة بعد دقائق معدودة ، لا لانها فقط تتناول قضايا حرية الرأى، وحرية الصحافة والاعلام ، بل أيضا لانها تجمع بيانات مفيدة وهامة للغاية عن الاذاعات العربية وعددها ،والصحف العربية فى كل قطر من الاقطار،، فى وقتنا الراهن ، وعدد قنوات التليفزيون فى كل بلد ، بالاضافة إلى دراساتها ذات الرأى التى تعلى من قيمة الاعلام باعتباره حقا من الحقوق الاساسية للانسان يجب أن يتيح للانسان العربى المعلومة الحقيقية الصادقة ، كما انه جهد مشكور يدفع أجهزة اعلامنا لمزيد من الوعى بدورها فى حياة الناس •

الشعر هذا الفن العربى الاول لا يعانى من عدم وجود مجلة خاصة به فى أكبر بلد عربى ، بقدر ما عانى من وجود هذه المجلة وطوال سنوات وهى تعامل كشىء زائد عن الحاجة ، أو مجرد سد خانة ، وعلى سبيل المثال صدرت هذه المجلة من القاهرة وكان رئيس تحريرها مسافرا فى بلد آخر عدة سنين !

على أى حال ها هى مجلة الشعر تعود فى شكل جديد وجميل ، وعلى صفحاتها أسماء شعرائنا الكبار أحمد حجازى وعفيفى مطر وفاروق شوشه وغيرهم ، وبهمة رئيس تحريرها الجديد فتحى سعيد الذى نفخ فيها من روح الشباب ما دفعها سنين عديدة الى الامام ، وقبل المسئولية الصعبة فى وسط تحف به الاشواك من كل جانب ،

والغريب ، والغريب ، أنه لا يجد له مكتبا يعمل منه ، بل لنقل أن مجلة الشعر فى أكبر بلدى عربى ليس لها غرفة تصدر منها • كل المجلات لها بيوت ماعدا مجلة الشعر ليس لها بيت،

ونحن نرجو أن يشفق عليها السيد وزير الاسكان ليمنحها ولو غرفة فى مدينة ٦ أكتوبر •• ومع ذلك فلدينا القدرة على أن نحيى هذا الاصدار الجديد مع تمنياتنا بالمزيد •

## • مكتبة الهلال •




الكتاب : توفيق الحكيم
تأليف : د. ناجي نجيب
الناشر : دار الهلال
١٦٤ ص، ٣ ج م

هذه دراسة نابهة ومتميزة لا تنخدع بالمظاهر ولا تتأثر بالاقاويل أو اوضاع المكتاب التى اكتسبوها لسبب او آخر ، لنوع جديد من الكتابة الادبية ، او قل التحقيق الادبى الاجتماعى النقدى الذى يتتبع الظاهرة من داخلها دون فرض مسبق او وجهة نظر ضعيفة الافق ، بها تميز ناجى نجيب الذى اختطفته المنية قبل ان يعطى الكثير ، على الرغم من انه اعطى عدة كتب لعل اهمها «كتاب الاحزان» الذى درس فيه الفئات المتوسطة المصرية والمدرسة الرومانسية فى الكتابة الادبية ، ثم دراسة النزعة الى العالمية التى خصص الجانب الاكبر منها عن يحيى حقى ، ثم كتابه عن يوسف ادريس •

لكنه فى هذا الكتاب يتابع مسيرة توفيق الحكيم الحياتية والادبية بدقة متناهية ، ويورد اراء غاية فى الجراة والشجاعة ، نعتقد انها ستثير الكثير من النقاش فيما سياتى من ايام ، ومما يحتاج الى عرض اكثر رحابة



الكتاب : فوق الحلال والحرام
قصص : احسان عبدالقدوس
الناشر : مركز الترجمة والنشر بالأهرام
٢١٢ صفحة ، ٣ ج م

بأسلوبه السلس يكتب لنا احسان عبد القدوس تسع

قصص جديدة ، حملت اولاها عنوان الكتاب ثم تلتها » دموع ابنى» و«حمل تبادلنى»و« حتى لا يكون احد الزبائن » و « فى دنيا الاوهام » و «فى درج الذكريات » و «وطردتنى من حياتها» و « العمر لحظات » و « الضياع فى الصيف والشتاء » ، واغلب هذه القصص تدور حول مشاكل الشباب المعاصر من المصريين ، خاصة ابناء الطبقة المتوسطة ذات الطموح للصعود الى اعلى ، مستعرضا مشاكلهم الاجتماعية وغرامياتهم التى يوظفها للكشف عما يدور فى المجتمع المصرى من مشكلات ؟ وان كانت بعض المواقف تكاد تكون مستحيلة بالنظر الى الشخصيات وطبيعتها الا ان الهدف الذى يرمى اليه الكاتب هنا يبرر هذا الخروج على نواميس الطبيعة بل والخروج على المنطق الذى يفترضه القارىء من متابعته للعمل •

وتبقى السلاسة التى يكتب بها احسان عبد القدوس مدرسة فى القصة المصرية الشعبية وتبتعد عنه بمقدار ما تبتعد عنه الشخصيات الاعتيادية التى يكتب لها وعنها

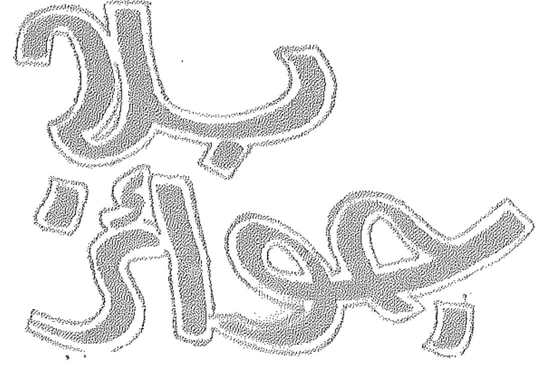
الكتاب : تاريخ الطبقة العاملة المصرية
تأليف : أمين عزالدين
الناشر : دار الغد العربى
١٠٤٠ ص ، ١٥ ج م

كان أمين عز الدين قد أصدر من قبل ثلاثة كتب عن تاريخ الطبقة العاملة المصرية أرخ فيها للحركة العمالية ابتداء من عام ١٩١٩ وحتى ١٩٣٩ ، ومنذ بداية السبعينيات وقراؤه المهتمون ينتظرون ان يكتمل هذا الجهد ، حتى فاجانا اخيرا بسفره الضخم هذا ، الذى عاد فيه الى كتبه الثلاثة الأولى منقحا ومزيدا وموصلا لبحثه حتى اكتمل لنا هذا السفر الكبيرالذى سيدخل منذ لحظة صدوره فى قائمة الاعمال العربية الضخمة المهمة ، بجوار شخصية مصر لجمال حمدان ، والحراسة الوطنية لطارق البشرى والنزعات المادية فى الاسلام لحسين مرة ، تلك الاعمال التى تعبر عن فكر كامل متكامل ، ورؤية خاصة للعالم •

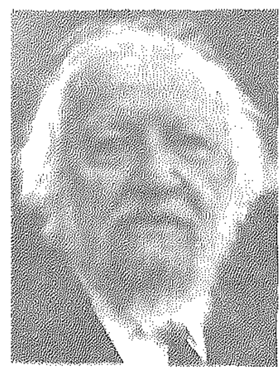
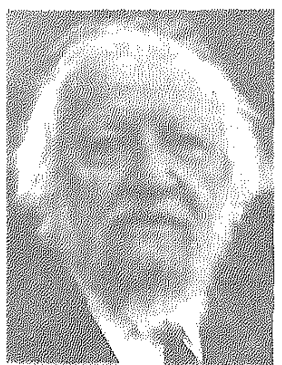
وها هو مؤلفنا يقول : اذا كنت أدعى اكتمال هذا العمل، بمعنى شموله زمنيا لعمر الطبقةالعاملة حتى عام ١٩٧٠ ، فاننى لا ادعى كماله ، فالجهد الفردى مهما كانت جديته واخلاصه ، يظل قاصرا عن بلوغ غاياته •

ومرحبا بهذا العمل الجليل ، ولنا عودة مستفيضة معه على صفحات الهلال •

# نوبل ١٩٨٧

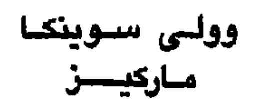



# شهرة بلا جوائز

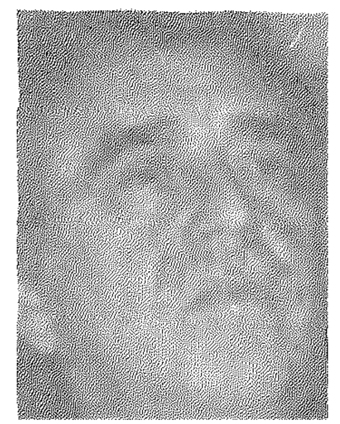
وليام جولدنج

كلود سيمون



وولى سوينكا

ماركيز



هؤلاء فازوا بالجائزة

بقلم : محمود قاسم

**لماذا تاخر اعلان اسم الفائز بجائزة نوبل فى الادب هذا العام عن الموعد المحدد ؟**

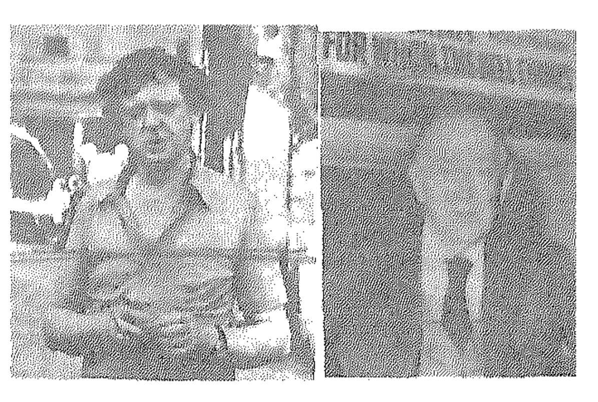
**فبعد أكثر من عشرة أيام من اعلان اسماء الفائزين بالجائزة فى كافة الافرع التى تمنح فيها سنويا . فانه لاحس ولا خبر عن اسم الفائز فى فرع الادب .. ! هذا الفائز الذى كثيرا ما يثار حوله نقاش لا ينتهى فهو تارة كاتب مجهول او شاعر مناهض للمعسكر الشرقى أو هو صهيونى معروف بميوله العنصرية الواضحة فى ادبه . مثل الشاعر يوسف برودسكى الذى فاز بها هذا العام .**

مع كل عام جديد وبدءا من منتصف شهر اكتوبر بالتحديد تتطلع العيون الى اكاديمية ستوكهولم لمعرفة اسم الفائز الجديد بالجائزة .. الجائزة الان تقارب الاربعمائة الف دولار .. لكن قيمتها الادبية اهم من هذا المبلغ .. فبعد ان كانت تعطى هذه الجائزة لكاتب انسانى عالمى . يتكلم بلغة انسان العصر مهما اختلف لونه وعقيدته ـ كما اوصى بذلك الفريد نوبل ـ صبغت الجائزة بشكل سياسى سواء تعمد



جونترجراس    با - كين Pa - Kin

جراهام جرين    انتونى بيرجيس



النوبوليون المنتظرون دوما

فيها الحديث عن سوينكا فقد عقدت الندوات ودبجت مئات البحوث الادبية عن موهوبين اخرين مثل سوينكا . رغم انه ليس الافضل فى القارة .. فاذا كان الكاتب المسرحى قد نال الجائزة عن احد دواوينه الشعرية . فان الغرب قد تباكى على الشاعر الفرانكفونى ليوبولد سيدار سنجور الذى قيل انه احق من سوينكا .... وان فوز هذا الاخير يضيع الفرصة تماما من سنجور الذى عليه ان ينتظر ستة وثمانين عاما اخرى قد تعود فيها الجائزة مرة اخرى الى القارة السوداء .

## ● ظلم الاديب العربى

الادب العربى ايضا مغبون فيما يتعلق بالجائزة .. فعلى طول سنوات القرن العشرين لم تمنح الجائزة مرة واحدة لكاتب عربى .. وقد تباكى العرب دائما على عدم منحهم هذه الجائزة . وقامت الاقلام حادة ضد الاكاديمية تتهمها تارة بالحيدة تجاه ادب الغرب ، او بالعنصرية .. واتهامات اخرى معروفة ومتناثرة فى الصحف العربية ليست هى موضوع حديثنا الآن .

**وقد تنبه القائمون على منح الجائزة لهذه الحساسية ، ليس فقط من قبل العرب بل من قبل الدول والقارات التى لم تمنح الجائزة . وايضا من قبل البلاد التى لم تمنح** الجائزة منذ سنوات بما فيها السويد وبلاد شمال اوروبا وايطاليا واليونان والدول الاشتراكية واستراليا .. وامام هذه الحساسية فكر البعض فى ابتداع تعبير جديد يمكن به امتصاص الغضب او ابتلاع الحساسية . هذا التعبير هو « النوبليون » .. وهو يعنى قائمة طويلة من الادباء الذين

القائمون على منح الجائزة ذلك ام لا .. فعندما يفوز كاتب ما بها فهذا يعنى فوز وطنه فى المقام الاول .. وفوز الكاتب بهذه الجائزة لا شك سيفتح مجالا للتعرف على ادب بلد هذا الكاتب مثلما يفتح المجال للتعرف على ادب الكاتب نفسه ، حدث هذا للادب فى امريكا اللاتينية عقب فوز ماركيز بها عام ١٩٨٢ . كما حدث ايضا بالنسبة للادباء الافارقة عندما منحت الجائزة لولى سوينكا فى العام الماضى ، تنبه العالم - هكذا فجأة الى ان الافارقة يكتبون . وانه من الواجب الاهتمام بما يكتبون .. وطوال عام ١٩٨٧ - التى لم يكف

● شهرة بلا جوائز ●

لم يفوزوا بالجائزة فى هذا العام مثلا • ولكن يمكنهم ان يفوزوا بها فى الاعوام القادمة • وانه لا عيب قط فيهم بسبب عدم فوزهم • وانما الاختيار الديمقراطى المتبع عند منح الجائزة هو الذى يعود اليه تأخر فوزهم • ربما لعام •• أو لاعوام •• المهم ان اسماءهم فى القائمة •• وعليهم الانتظار • ومن يموت منهم قبل ان يجيىء دوره فيكفيه شرف الحصول على لقب « نوبلى » ••

وقد نجحت الاكاديمية بالفعل فى سياستها هذه • ونحن نذكر العام الماضى الذى اعلن فيه ان الدكتور يوسف ادريس والشاعر السورى أدونيس قد أصبحا « نوبليين » فامتلأت الصحافة العربية حديثا عن هذه الظاهرة • وعقدت المحاورات مع الكاتبين العربيين حول الجائزة وأهميتها وكأن شرف الانضمام الى قائمة « النوبلييه » يقارب الى حد كبير من شرف الحصول على الجائزة

وفى كل عام وقبل منح الجائزة باسابيع •• ووسط عملية تعتيم شديدة حول اسم الفائز الجديد تتسرب من الاكاديمية قائمة صغيرة تمثل نموذجا لما فى قائمة الانتظار الطويلة • هذه القائمة تتضمن اسماء كتاب من مختلف الجنسيات والعقائد تم ترشيحهم للفوز بالجائزة • فى بعض الاحيان يكون الفائز الحقيقى بالجائزة موجود ضمن القائمة مثلما حدث عام ١٩٨٥ حين فاز بالجائزة كلود سيمون ، وفى بعض الاحيان يختفى اسم الفائز من القائمة النوبلية حتى اذا اعلن عن فوزه تكون المفاجاة الكبرى مثلما حدث مع الشاعر التشيكى ياروسلاف سيفيرت عام ١٩٨٤ والكاتب الافريقى وولى سوينكا عام ١٩٨٦ •

## ● انتظار بلا امل

ومن يستعرض الاسماء النوبلية سنويا يجد انها تختلف من عام لاخر • مع وجود اسماء ادباء باعينهم ينتظرون الفوز الدائم بها • خاصة الكتاب المشاهير الذين ترى الاكاديمية فى السنوات الاخيرة ان الشهرة التى يتمتع بها الكاتب هى نوع اخر من النوبلية • وان شهرة الكاتب قد تقف عائقا امام فوزه بها •

من هؤلاء الكتاب المشاهير الذين قد تتجنبهم الجائزة الالمانى جونترجراس والبريطانى جراهام جرين ، والايطالى ليوناردوشاشا ، والامريكى نورمان مايلر ، والكاتب الارجنتينى الراحل بوورخيس ، والكاتبة الانجليزية دوريس ليسنج ، والاديبة نادين جورديمر من جنوب افريقيا •

اما اسماء الادباء الذين تطفو اسماؤهم كل عام فى القائمة انتظارا لجودو الذى لا يصل قط فاغلبهم من العالم الثالث • او من القارتين الاسيوية والافريقية • بالاضافة الى بعض الاسماء فى أمريكا اللاتينية فمن الصين يتقدم اسم الكاتب المعروف با ـ كين (٨١ عاما) صاحب الرواية الشهيرة « العائلة » التى ترجمت منذ اكثر من خمسة عشر

عاما كاملة الى اللغة العربية • وهى رواية احق بعشرات الجوائز النوبلية عن العديد من الروايات التى فاز اصحابها بالجائزة • هناك أيضا الكاتب الاندونيسى براموبدا انانتاتوير • والروائى اليابانى ياسوشى اينوف • ومن استراليا تضم قائمة الانتظار ايضا الكاتب باتريك وايت الذى يرشح سنويا للفوز بالجائزة منذ عام ١٩٧٣ وهو العام الذى نشرت فيه أعماله فى السويد •

**ومن اوروبا نفسها يرشح ايضا اسم الكاتب النمساوى البارون فون شتوتز الذى يقال ان ادبه نموذج للابداع المميز الذى تهتم به اكاديمية ستوكهولم ••**

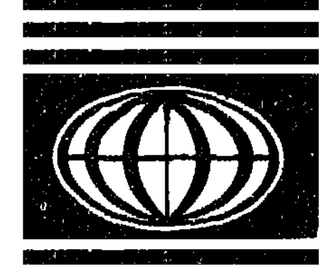
والملاحظ ان اغلب هذه الاسماء مجهولة • ليس فقط بالنسبة للقارىء العربى • ولكن ايضا للقارىء العالمى •• ويكفى ان نسوق هنا مثالا ان با ـ كين الصينى قد ترجمت روايته العائلة الى اللغة العربية قبل ان تظهر فى فرنسا مثلا باكثر من عشر سنوات • اما اينوف اليابانى فانه لا يتمتع باية شهرة فقط خارج بلاده قياسا الى ما يتمتع به اخرون لا يزالون على قيد الحياة مثل اينوه وكاتو وتانيزاكى •

الغريب ان اسم برودسكى لم يظهر فى القوائم النوبلية هذا العام ولا فى الاعوام السابقة • فكان مفاجأة المفاجآت ليس فقط لفوزه بالجائزة • بل لعدة اسباب منها انه بالبحث فى موسوعة أدباء امريكا • وفى الموسوعة الامريكية المطبوعة عام ١٩٨٤ وفى موسوعة الادباء اليهود العالميين لم يذكر حرف واحد عنه ولا عن



يوسف برودسكى

أهميته • مما يدل ان الاكاديمية قد تأخرت فى تسريب القائمة هذا العام حتى يمكن امتصاص الدهشة بالاضافة ان برودسكى هو الكاتب اليهودى الخامس الذى يحصل على جائزة نوبل خلال عشرة اعوام وكلهم أمريكيون جاءوا من الدول الاشتراكية ليعيشوا فى الولايات المتحدة عدا الياس كانيتى البلغارى الذى يعيش فى المملكة المتحدة اما هؤلاء الكتاب فهم صول بيللو (١٩٧٦) ، اسحاق باشفتس سنجر ١٩٧٨ ، كانيتى ١٩٨١ وايلى فيسل ١٩٨٦ ( أديب فاز بجائزة السلام ) واخيرا برودسكى الشاعر الذى لم يتجاوز السابعة والاربعين • ولم تخرج شهرته من محيط غرفته الصغيرة ••



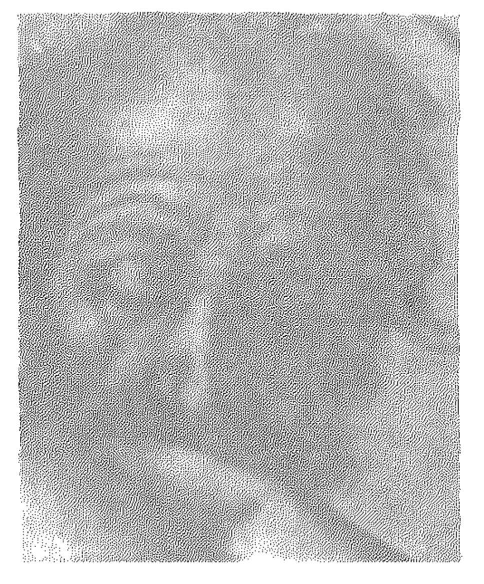


## الفاتيكان

### العوينات احدث لوحة ليوناردو دافنشى

هل يمكن ان يكتشف نص جديد مجهول لكاتب مثل وليام شكسبير ؟ قد يبدو السؤال غريبا • لكن ما حدث اخيرا يؤكد انه سوف يتم العثور على نصوص جديدة لشكسبير طالما انه تم العثور بالفعل على لوحة مجهولة لفنان عظيم مثل ليوناردو دافنشى صاحب اشهر لوحتين فى العالم « الجيوكندة » و « العشاء الاخير » فبعد اكثر من ٤٥٠ عاما تم العثور على لوحة لدافنشى فى كنيسة سستين التى رسم الفنان اسقفها المستوحاه من قصص التوراة ••

اللوحة التى تم العثور عليها تمثل تفصيلا للعوينات • ويرجع ان دافنشى قد رسمها فى نفس الفترة التى كان فيها يرسم سقف كنيسة سستين • اى بين عامى ١٥٠٨ و ١٥١٢ • وقد تم العثور على اللوحة فى اطار عملية ترميم الاثار والتحف الفنية التى تضمها الكنيسة وهى عملية بدأت فى عام ١٩٨٤ ومن المنتظر ان تنتهى عام ١٩٩٢ ، وقد تم فيها

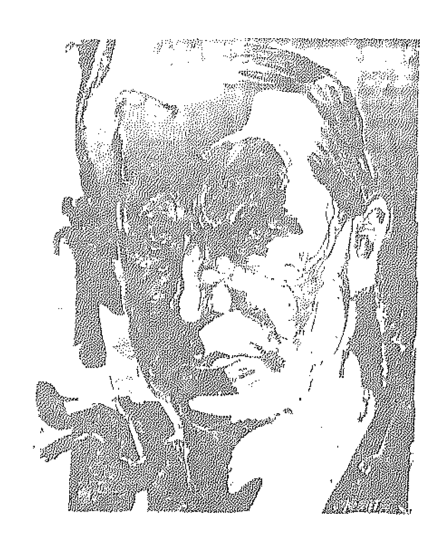


رسم تفصيلى من احدث لوحات دافنشى

ترميم لوحات فخمة ليهودا والنبى داوود • والنبى زكريا • وقد اشتركت عدة دول فى تمويل عملية الترميم مثل اليابان والولايات المتحدة

اكد الخبراء الفنيون فى الفن التشكيلي ان اللوحة تعود بالفعل الى عام ١٥١٢ وانها تنتمى الى مايكل انجلو وانها احدى اللوحات التى كان يميل اليها البابا فى تلك الاونة •

الجدير بالذكر انه قد تم اكتشاف لوحة مجهولة ـ منذ عشرين عاما ـ للفنان المعروف رفاييللو تحت اسم « الفرقة » •• السؤال الان هل يمكن ان تختفى لوحة لفنان كبير مثل انجلو طوال هذه السنوات واين •• فى كاتدرائية مشهورة ••



مالابرته

# نابـــــولي

## ثلاثون عاما على وفاة الرجل السيء

احتفلت ايطاليا في الشهر الماضي بكاتبها الكبير مالابرته بمناســـبة مرور ثلاثين عاما على وفاته • وهو احد الادباء الذين ناهضوا الفاشية منذ بدايتها • وقد عاني الكثير من موقفه ضد سياسة موسوليني • ورغم اهميته فانه اقل شهرة في عالمنـــا العربي •

ولد مالابرته في مدينة فلورنســا عام ١٨٩٨ • وعقب اندلاع الحــرب العالمية الاولى اجتاز الحدود الفرنسية وانضم الى الجيش الفرنسي • وفي عام ١٩٣١ نشر روايته الاولى «تقنية الدولة » التي تعتبر اول كتـــاب يحذر من الفاشية ويندد بها • وكان نصيبه من هذا الكتاب خمس سنوات من النفي في احدى الجـزر الايطـالية التي عاد اليها مرة اخــــرى في الاربعينيات عقابا له على مجموعــة مقالات كان يرسلها الى صحيفته التي يعمل بها من الجبهة الروسية •

وقد نادى مالابرته دوما ـ اثناء سنوات الحرب ـ بان تنفصل بلاده عن المانيا واعتبر اكثر الــكتاب كراهية من قبل الفاشيين • ومنعت رواياته في العديد من البلاد بما فيها الاتحاد السوفييتي وحول هذه التجربة قدم مالابرته روايته الشهيرة «الجلد» التي اخرجتها السينما الايطاليـــة منذ اربع سنوات وتصور فظائع الاحتلال الاجنبي لايطاليا • والصـــدام بين ثقافتين • ثقافة سكان مدينة نابولي وثقافة جيش الحلفاء • والصـــدام يكشف عن كل الجروح الغــائرة في نفسية اهالي نابولي • حيث الفقـــر الشديد والحرمان • وحيث تبـــاع كرامة الانسان مقابل علبة ســجائر وعلى النقيض هناك الارســتقراطية الايطالية التي استفادت من الحرب • والتجار الذين ضمت تجــارتهم كل البضائع ابتداء من تجارة الادميين • الى التجارة بالاسرى الالمان •

وقد اعتبر النقاد ان رواية « الجلد » تنال نفس المكانة التي تنالها روايــة « الطاعـون » لـكامي • وهي الرواية المنشورة ايضا في عــام ١٩٤٩ • ومالابرته ( وهي كلمة ايطاليـة تعني الجانب السيء) رغم شهرته العريضـة فقد كان مقلا كثيرا في ابداعـــه • وكانت روايــة « الجـلد » كفيـــلة وحدها لكسبه كل الشهرة التي نالها• اما اعماله الاخرى فهناك روايـــة « كابوت » المنشورة عـام ١٩٤٣ • ومجموعة قصصية تحمل عنـــوان « دم » •

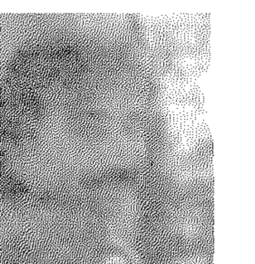


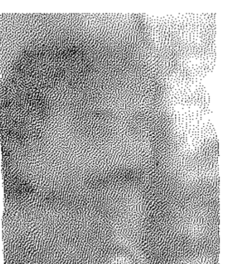
## باريس

### ادباء .. لاول مرة

فى يوم ٨ سبتمبر الماضى ـ اى بعد انتهاء مؤتمر الاقاليم الثالث بالجيزة بيومين ـ خصص الملحق الادبى الاسبوعى لجريدة لوفيجارو عددا خاصا للاحتفال بعدد خمسين كاتبا ينشرون رواية لاول مرة .. وهؤلاء الكتاب ينتمون لاعمار مختلفة وجنسيات متباينة واتجاهات فكرية متعددة • منهم من تجاوز الخمسين مثل الفريد ايبل صاحب رواية «الكلب الغريب» • ومنهم من لم يتجاوز الخامسة والعشرين مثل جاك باريو صاحب رواية «بدون عنوان» والكاتب الصينى يادنج صاحب رواية «السورجو الاحمر» وروضة خميس العربية المولودة فى المكسيك.

وقد ضمت قاعة الكتاب الجدد خمس عشرة امرأة • كما ان دور النشر الكبرى هى التى تبنت كالعادة تقديم هؤلاء الكتاب • فقد قدمت

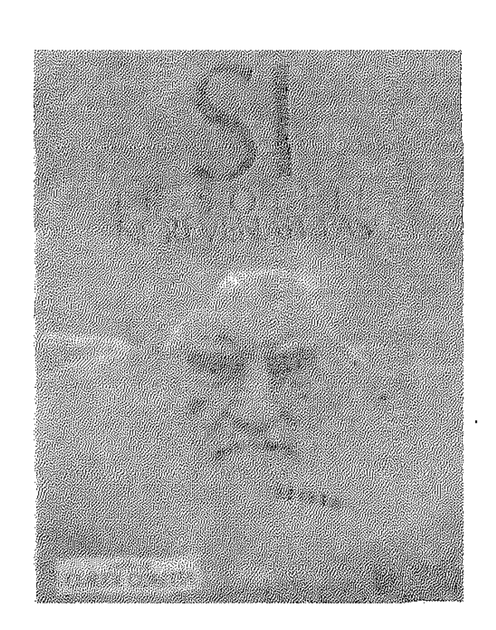

الان سلستر


دان فرانك

جاليمار رواية «رسالتين لصديق» من تاليف بربارا كارلبيه و «النبات» من تاليف جنفيف بريساك بينما قدمت البان ميشيل روايات عديدة مثل رواية «يوميات امراة خجول» لماري صوني ونشرت جراسية رواية «السيمفونية البيزنطية» لجان اوليفييه تيرسكو • كما تنافست بقية دور النشر فى تقديم الروايات الاولى لادباء اخرين

وقد وجد الكاتب العربى فرصة نشر روايته الاولى من خلال رواية «مكتوب» للكاتب المغربى جيل زنو الذى يقوم بتدريس الادب العربى فى جامعات باريس •

الظاهرة العامة لهذه الكتب انها مطبوعة بطريقة فاخرة • وانها مرتفعة الثمن ورغم عدد الصفحات التى افردها الملحق الادبى للفيجارو ـ وكذلك ابواب الكتب فى مجلة الاكسبريس ولونوفيل اوبزرفاتور ـ فان هؤلاء الكتاب لم يتم تقسيمهم حسب الاقاليم التى ولدوا او جاءوا منها • كما لم تطلق عليهم تسميات مشبوهة مثل الاديب الشاب • او الاديب الصاعد • واكدت لوفيجارو انه لا توجد ازمة نشر وان اغلب هذه الروايات قد ظهر فى فترة قصيرة • وسوف تحصل مجموعة كبيرة من اصحاب هذه الروايات على نصيب الاسد فى الجوائز الادبية السنوية التى تعلن فى الاسبوع الثالث من نوفمبر الحالى • مثل جائزة جونكور وفيمينا ومديتشي .. وسوف تخصص الهلال مقالا قريبا حول هذه الظاهرة عندما تصدق توقعاتها بفوز هؤلاء الادباء بالجوائز الادبية الفرنسية لعام ١٩٨٧



شارل فانيل . جبل فى الخامسة والتسعين

## لـــــــــــندن

### البطولة لنجوم يقتربون من المائة عام ..

شيوخ السينما الذين يقتربون من المائة عام عمراهم « الجان بروميير » للافلام التى تعرض الان فى مهرجانات السينما الدولية ودور العرض العالمية .. النجم الفرنسى شارل فانيل ـ مولود عام ١٨٩٢ ـ قام بالبطولة المطلقة فى فيلم « اذا لم تعد الشمس قط » من اخراج السويسرى كلود جوريتا الذى عرض فى المسابقة الرسمية لمهرجان فينسيا . وهو يعمل فى السينما منذ عام ١٩١٢ بلا توقف . عمل فى اكثر من ثلاثمائة فيلم . ولم يتوقف يوما عن العمل فى التمثيل . من اشهر افلامه « ثمن الخوف » امام ايف مونتان عام ١٩٥٥ حيثقاما بدورى سائقى شاحنة محملة بسائل النتروجلسرين الشديد الانفجار تسير فوق طرق وعرة .

اما فيلم « حيتان اغسطس » الذى اخرجه الانجليزى ليندساى اندرسن فقد ضم ثلاثة من نجوم السينما تجاوز اثنان منهم التسعين . اما الثالثة ـ بيتى دافيز ـ فانها تقترب من التسعين بسنوات قليلة .

اسند اندرسن دور البطولة المطلقة الى نجمة السينما الصامتة ليليان جيش والى ممثل ادوار الرعب المثل المعروف فنسنت برايس .

وليليان جيش مولودة ايضا عام ١٨٩٨ وقد اسند اليها جريفث بطولة عشرين فيلما وهى لم تتجاوز السادسة عشرة بعد وقد صنع منها فيلم « الزنبقة المحطمة » عام ١٩١٩ نجمة ذات صيت عالمى . ثم انقطعت عن العمل بالسينما الى ان اعادها كنيج فيدور الى العمل عام ١٩٤٦ بفيلمه المشهور « صراع فى الشمس » وفى عام ١٩٥٥ عادت مرة اخرى بفيلم « ليلة الصيادين » وتتحدث حول نفسها قائلة : « لم اكن ابدا صبية جميلة » وفى فيلمها الاخير تقوم بدور شقيقة لبيتى دافيز وتعيشان معا فى منزل صيفى . تجىء اليه البنات الصغيرات لمشاهدة حيتان شهر اغسطس . انهن صورة مكررة لمئات البنات اللاتى جئن لمشاهدة الظاهرة وكان العالم لا يتغير ..

## جنـــــــيف

### تسام .. فى خدمة القضية الفلسطينية

منحت الشهر الماضى « سبتمبر » جائزة اليونسكو السنوية الخاصة «

« بالتعليم من اجل السلام » للصحافية السويسرية لورنس ديونا » وهى كاتبة معروفة ، متخصصة فى شئون الشرق الاوسط عاشت الحروب العربية - الاسرائيلية منذ سنة ١٩٦٧ حيث كانت فى الاردن وشاهدت الغزو الاسرائيلى للضفة الغربية ، ولها عدة كتب حول العالم العربى من بينها « اليمن الذى شاهدت » « والمراة فى الكويت بين الحصير والمقعد الوثير » « وكتابها الاخير الذى حصلت على جائزة اليونسكو من اجله بعد اعداده فيلما باسم « الحرب من خلال صوتين » يتضمن لقاءات حية لزوجات الشهداء فى حرب اكتوبر ٧٣ من مصريات وكذلك عدة سيدات اسرائيليات فقدن أزواجهن فى هذه الحرب .

وقد اختارت المؤلفة عدة نماذج لسيدات من الفلاحة الى استاذة الجامعة ، فجاء كتابها معبرا عن نبض النساء . كما اعدت المؤلفة فيلما عن الكتاب وصورت لقاءات حية مع السيدات المصريات اللاتى التقت بهن عند تاليف الكتاب . وقد اخرج الفيلم المخرج الشيلى خوزيه مالدافسكى الذى سبق له اخراج فيلم عن اطفال صبرا وشاتيلا .

هذا وكان من ضمن لجنة التحكيم التى منحت الصحافية السويسرية الجائزة الزعيم النمسوى السابق برونوكرايسكى والرئيس السنغالى ليوبولد سنجور وعميدة كلية الحقوق بالكويت الدكتورة بدرية العوضى .

وفى اطار المؤتمر الرابع للمنظمات غير الحكومية حول القضية الفلسطينية التقى العالم فى سطور بالسيدة هانا هيوب ابنة الكاتب المعروف برتولت بريخت والتى اكدت مدى سعادتها ان اباها مقروء فى العالم العربى على نطاق واسع ، وذلك على العكس من موطنه الاصلى المانيا الاتحادية ، حيث لا تزال بعض اعماله مصادرة ولا يسمح بتقديمها ، خاصة فى منطقة البايرن : التى يترأس حكومتها السيد شتراوس . ففى السنوات الاخيرة اعيد فرض الرقابة على بعض اعماله من جديد مثلما حدث منذ اربعين عاما .

رسالة سويسرا :

بقلم : جميل عطية ابراهيم

صفحات مجهولة من تاريخ الحركة الفنية المعاصرة ..

# معرض الفنان المصرى السويسرى حميد زكى

## العلاقات الفنية بين مصر وسويسرا فى مطلع القرن

**معرض الفنان المصرى السويسرى حميد زكى**

**الذكرى العشرون لرحيل الفنان العام القادم والبحث عن العلاقات الفنية بين مصر وسويسرا في مطلع القرن .**

**تعرض حاليا قاعة عرض فنية معروفة في مدينة بازل ٤٠ لوحة زيتية للفنان المصرى ـ السويسرى الراحل حميد زكى ( ١٩٠٩ ـ ١٩٦٨ ) .**

**وقصة هذا الفنان مليئة بالطرافة ، وقد اثرت فيها الأحداث السياسية التي جرت بمصر في الربع الأول من هذا القرن ، واهمها عزل الخديو عباس حلمى الثانى ، وقد عاش معظم حياته في سويسرا وتوفى بها سنة ١٩٦٨ بعد اصابته بالسرطان ، واذا كان الفرد ليس بمقدروه اختيار ابويه او موضع وزمان مجيئه الى الدنيا ففى مقدوره اختيار مهنته في الحياة ، وقد اختار حميد زكى الفن منذ صباه واخلص له ، وشق لنفسه طريقا فى الحياة الفنية فى سويسرا .**

## معرض الفنان المصري السويسري

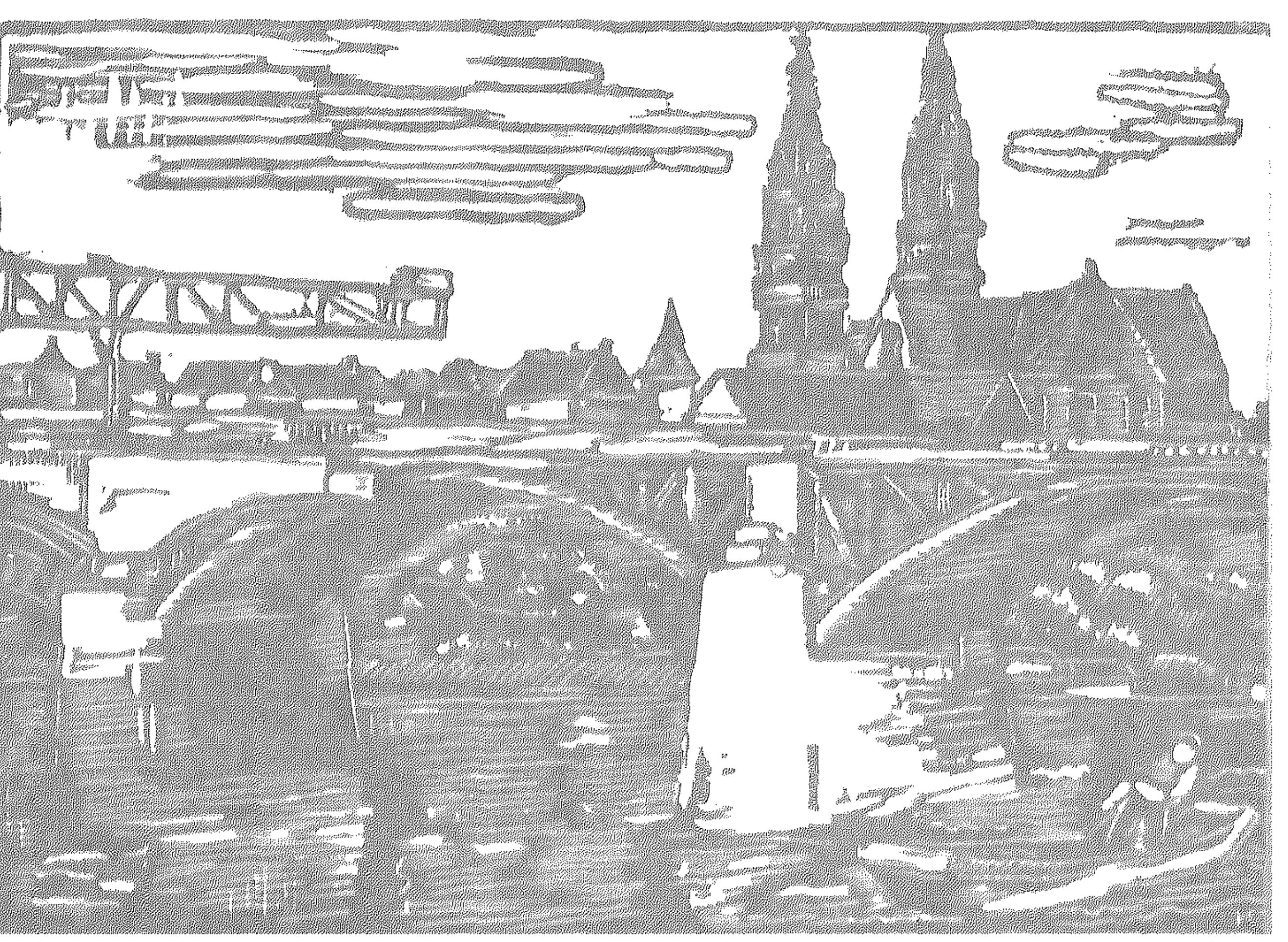
واعمال الفنان حاليا موزعة على عدة متاحف فى زيوريخ وبازل وفى حوزة عدة بنوك وشركات للادوية والعديد من الافراد بالاضافة الى ماتركه لأسرته . وقد نشرت عنه دراسات عديدة فى الصحف والدوريات الفنية ، واذا كانت اعماله الفنية باقية ودراستها متيسرة لمن يرغب ، فان قصة هذا الفنان قد بدأت

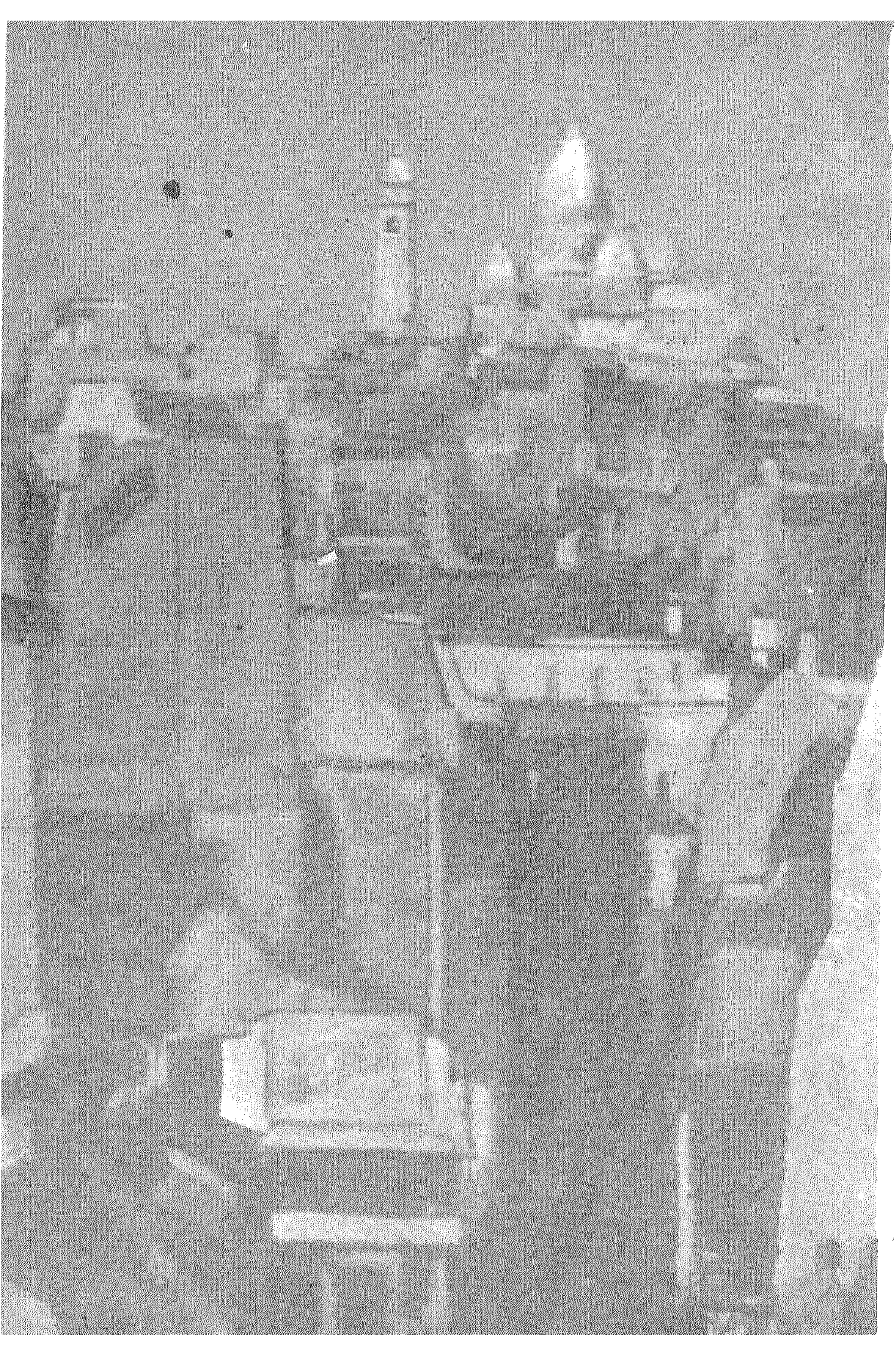
تغيب تفاصيلها ويطويها النسيان ، بفعل كر السنين فيما عدا المحطات الفنية أو العلامات البارزة فى حياته التى ارّخت لها الادبيات الفنية وكتالوجات المعارض .

### ● البداية : مصر فى مطلع القرن

الوالد هو « حسين بك زكى » مهنته محام ويعمل فى بلاط الخديو عباس حلمى الثانى، ولاتزيد الدراسات التى نشرت عنه عن هذا القدر ، ولاتوضح اذا كان الوالد يمت بصلة قرابة الى الخديو وعائلته ام

حفر على الخشب من أعمال حميد زكي





لا ، وان كان بعضها يشير بطريقة غامضة الى الصلة القوية بين والده والخديو عباس حلمى الثانى .

وهذه النقطة الخافية قد اثرت فيما يبدو تأثيرا كبيرا على مسار الفنان وحياته ، كما يتضح من تسلسل الاحداث ، فقد دفع الفنان ثمن خلع الانجليز لعباس حلمى الثانى فى ديسمبر ١٩١٤ وتعيين الأمير حسين كامل سلطانا لمصر ، وتغيرت مسارات حياته ، وساءت علاقاته بالعائلة .

ولنرجع ثانية الى الوراء عدة سنوات حيث كان « حسين بك زكى » يمتلك قصرا فى سويسرا فى مدينة « تون » السياحية على بحيرة تقع فى سفح جبال الالب الشهيرة ، ولم يكن ذلك غريبا أو مستغربا بالنسبة لمحام على مقربة من خديو مصر فى ذلك الحين فقد كانت سويسرا فى مطلع القرن تعانى من مشاكل اقتصادية وتسمح للأجانب بتملك القصور على اراضيها ، وتزوج « حسين بك زكى » من فتاة سويسرية من مقاطعة بازل انجبت له بنتا توفيت صغيرة وبعد ذلك انجبت حميدا .

وقد عاشت الزوجة السويسرية مع ابنها حميد بين مصر وسويسرا ، وكان الوالد يمتلك قصرا فى منطقة « مصر الجديدة » ووفقا لرواية الزوجة الأولى للفنان ، وقد تعرفت على والدته لسنوات طويلة قبل وفاتها ، انها كانت تتحدث العربية وسعيدة بالعيش فى مصر على الرغم من ان « حسين بك زكى » كانت له زوجات اخريات .

وقد ولد حميد زكى فى مدينة « تون » فى ١٠ ابريل ١٩٠٩ ، ولم اجد تفسيرا لمولد حميد فى مدينة « تون » سوى ان والدته قد أتت لسويسرا للوضع ، والعودة ثانية بالمولود الى القاهرة .

ووفقا لرواية زوجة الفنان ، فان حميدا قضى طفولته فى مصر ، وكذلك شبابه المبكر ، وان امه كانت تتحدث العربية بطلاقة ، وان والده اطلق عليها اسم « ساليكا » وحتى هذه اللحظة لم اجد تفسيرا مقنعا لهذا الاسم الغريب عن العربية "ساليكا" سوى أن عائلة حسين بك زكى كانت تتحدث التركية لا العربية ، ولم يكن ذلك غريبا بالنسبة لأهل البلاط فى ذلك الحين .

والشىء المؤكد بهذا الخصوص هو اتقان حميد للغة الفرنسية وتعلمه لها فى القاهرة ، وقد وجدت اوراقا باللغة الفرنسية بخط يده .

**وربما يوضح لنا الاستاذ الكبير يحيى حقى اطال الله فى عمره حقيقة هذا الاسم ، فما من مرة سالته فيها عن فرد من اهل البلاط فى تلك الفترة الا واخبرنى بحسبه ونسبه وعنوان مسكنه ومهنته ، وما يهمنا فى هذه المرحلة هو مولد حميد زكى فى ١٠ ابريل ١٩٠٩ فى مدينة "تون" ولا خلاف حول هذه النقطة فقد سجلتها كافة الدوريات التى تعرضت لحياته .**

## ● مرحلة غامضة فى حياة الفنان

أكثر المراحل غموضا فى حياة هذا الفنان هى مرحلة الطفولة والصبا ،



صورة تذكارية لوالد الفنان حسين بك زكى ووالدته السويسرية نتاليا

وتختلف حولها الروايات فى ادبيات الحركة الفنية السويسرية ، فبعضها يشير الى انه قدم مع والدته الى مدينة بازل للدراسة فى مدارسها سنة ١٩١٦ بعد عزل الخديو بعامين وعمره سبع سنوات ، وبعضها الآخر يشير الى انه قدم الى بازل فى سن متأخرة فى سنة ١٩٢٥ ، ووفقا لرواية زوجة الفنان فانه بقى فى القاهرة حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ثم حضر الى بازل بعد ان دب خلاف بين حميد ووالده حول المهنة ، فقد اختار حميد الفن مهنة له بينما كان الأب يدفعه لدراسة المحاماة ، فغادر الابن القاهرة غاضبا وحضر الى سويسرا ـ معتمدا على اخواله ـ لدراسة الفن .

واذا كانت المراحل السابقة مجهولة لنا ، فانه من المؤكد بعد ذلك انه قد سافر الى فرنسا فى الفترة من ١٩٢٥ ـ ١٩٢٨ لدراسة الفن فى مونتمارتر وانه فى اثناء ذلك قام بعدة رحلات فنية الى جنوب فرنسا وجنوب اسبانيا وجنوب ايطاليا .

ثم يعود الفنان الى مدينة بازل سنه ١٩٣١ ويفتتح له مرسما خاصا ويلتحق بمعهد للفنون التطبيقية فى بازل لمتابعة دراسته الفنية .

وقد تمكن حميد زكى فى هذه الفترة من تحقيق نجاحات فنية ، فعرض فى صالون المستقلين فى باريس سنة ١٩٣٠ ، وكذلك فى صالون الخريف فى باريس سنة ١٩٣١ .

● الانغماس فى الحركة الفنيــة السـويسـرية

كانت سنة ١٩٣٨ حاسمة بالنسبة للفنان ، ففى هذه السنة قبل عضوا فى رابطة الفنانين فى بازل وهى رابطة فنية لها تقاليد عريقة ، وفى تلك السنة يصدر ناقد سويسرى هو الفريد بادر كتابا حول عدد من الفنانين باسم "رسائل الى الفنانين" يضمنه مقالة نقدية حول اعمال حميد زكى وينشر لوحة من اعماله فى الكتاب .

وهذه المقالة النقدية تحلل اعمال الفنان بصفة عامة ولوحته "الميناء" بصفة خاصة ، ويشير فيها الناقد الى الدماء الحارة التى تجرى فى عروق هذا الفنان ويؤرخ له ، ويعرض للوحته من حيث البناء الفنى وطريقة توزيع الالوان الدافئة والباردة فى اللوحة ، وخبرة الفنان بنيل مصر ، ويشير اليه بصفته مصريا قضى طفولته وصباه الى جوار النيل واختزنت ذاكرته صور المراكب .

وقد استمر حميد زكى يعرض اعماله الفنية فى معارض رابطة الفنانين منذ سنة ١٩٣٨ والى حين وفاته سنة ١٩٦٨ .

● الغياب عن مصر

أشرنا فى مقدمة المقال الى ان حميد زكى قد دفع ثمن عزل الخديو عباس حلمى الثانى من حياته ، فبعد طرد الخديو ساءت الاحوال المالية لوالده ، واعتقد حميد أن والده يحجب عنه المال اللازم لدراسته الفنية ليدعم به الخديو المخلوع أو ينفقه على ملذاته ، وظل حميد على هذا الظن حتى وفاته سنة ١٩٦٨ .

وقد باع حسين بك زكى القصر الكائن فى مدينة "تون" قبل وفاته سنة ١٩٣٨ بفترة ، وتشير قرائن عديدة الى ان الفنان ووالدته السويسرية لم يتلقيا دعما من "حسين بك زكى" طوال فترة الدراسة والاعداد ، وانه كان يعتمد على عائلة والدته السويسرية فى معيشته ، مما زاد من عمق الجرح فى نفسه وجعل القطيعة بينه وبين عائلة والده فى القاهرة نهائية .

وبعد النجاح الفنى الذى صادفه حميد زكى سنة ١٩٣٨ بقبوله عضوا فى رابطة الفنانين ، حصل على منحة دراسية سهلت له فيما بعد الحصول على الجنسية السويسرية .

وهذه النقطة ليست معروفة على وجه الدقة ، ففى رواية زوجة الفنان الأولى التى اقترن بها فى الفترة من ١٩٤٥ ـ ١٩٦٢ ، اخبرتنى انه احتفظ بالجنسية المصرية بالإضافة الى الجنسية السويسرية بسبب الأجراءات البيروقراطية التى كانت تحتم صدور قرار من الملك فاروق باسقاط الجنسية أو رفعها عنه للسماح له بالحصول على الجنسية السويسرية ، وقد نصحه احد القناصل بالسعى للحصول على الجنسية السويسرية دون اخطار الحكومة المصرية ، وقد فعل ذلك وفقا لرواية هذه السيدة وظل محتفظا بجنسيته المصرية الأصلية .

وتشير بعض المقالات الى انه حصل على الجنسية السويسرية سنة ١٩٤١ الا ان بعض الدراسات تشير الى انه قد حصل على الجنسية فى وقت مبكر .

## ● فترة العطاء الفنى الخصب

يمكن القول ان فترة العطاء الفنى المتميز قد تأكدت بحلول سنة ١٩٣٨ والى حين وفاته ، فقد تنوعت موضوعاته من المناظر الطبيعية الى الطبيعة الصامتة الى تصوير الشخوص .



ديانا ابنة الفنان حميد زكى

لوحة للفنان حميد زكى تؤكد مدى اقترابه من جوجان

## معرض الفنان المصرى السويسرى

وحدد احد النقاد المراحل الفنية للفنان بقوله انه اقترب فى مرحلة من المراحل من جوجان وفى مرحلة اخرى اهتم بالايقاع فى اللوحة عن طريق اللون والزخرف .

وتوجد مجموعة لوحات له لوجوه نسائية مصورة على ارضية ذهبية تشبه الايقونات وان كانت الوجوه النسائية فيها سمراء قادمة من جنوب مصر .

### ● مكانة الفنان فى الحركة التشكيلية السويسرية

سبق أن ذكرنا أن الفنان اخذ مكانته الفنية فى الحياة الثقافية منذ سنة ١٩٣٨ ، وأصبحت لوحاته تباع بأسعار مرتفعة ، وفى تلك الفترة كانت تعاصره كوكبة من الفنانين منهم على سبيل المثال أيرين تسوركندن ، فالتر ويمكان ،

الانسان والطبيعة الخلابة .. عادا لوحات الفنان المصرى حميد زكى



نيكلاوس شتوكلين ، باومان ، وولف ، بارت وغيرهم .

غير أنه من الملاحظ أن حميد زكى لم ينضم أو يعمل تحت لواء الجماعة الفنية التى كونها هؤلاء الفنانون والتى عرفت فى تاريخ الفن بجماعة ٣٣ ، وهى الجماعة الفنية التى تشكلت لمقاومة الافكار النازية قبل اشتعال الحرب العالمية الثانية بواسطة المعارض الفنية والملصقات والندوات سلاحا للمقاومة فى الوقت الذى شاعت فيه الافكار النازية وتدفقت على سويسرا الألمانية مع تدفق موجات نهر الراين .

وليس سرا أن المبادىء النازية فى البداية صادفت إعجابا من الشباب الغر وبعض القطاعات من أصحاب الفلسفات البالية وقطاعات من رجال الأعمال الذين ارتبطت اعمالهم بالمانيا النازية ، وكانت حركة شرسة خاضها هؤلاء الفنانون فى شجاعة حتى تكشف فظائع النازى والتحقت الجماهير العريضة بالمقاومة .

وبالبحث فى ادبيات هذه الحركة ومنشوراتها لا توجد اشارة صريحة او ضمنية لاسهامات حميد زكى فى هذه الحركة السياسية الراديكالية .

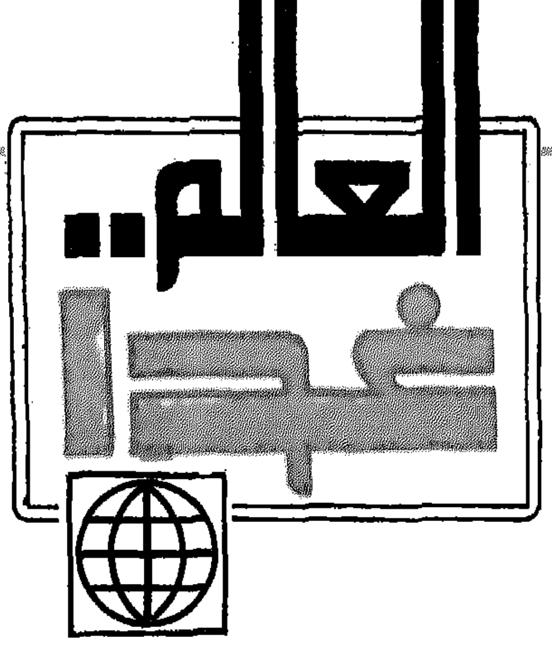
وقد اوضحت لى زوجة الفنان الأولى ان زوجها على الرغم من صداقته لافراد هذه المجموعة فانه كان لا يشاركها نشاطها السياسى ولا يشغل نفسه بنشاط آخر غير الفن ، وأنه كان مشغولا بفنه ليلا ونهارا ، ولحظات راحته القليلة بعد النوم والطعام كان يقضيها على المقاهى ، ولم يكن مشغولا بشىء آخر فى الحياة سوى اتقان فنه وتجويده ، ولهذا لم يكن مستغربا عدم اسهامه فى هذه الحركة الراديكالية .

ولكن هذا التبرير ليس مقنعا ، وربما توجد اسباب اخرى دفعت حميد الى الابتعاد عن هذه المجموعة ، منها احساسه بمصريته وقد ترددت مصر كثيرا فى اعلان الحرب على المانيا النازية ، كما ان المانيا النازية كانت تبدى تعاطفا مع تركيا ، وربما عدم حصوله على الجنسية السويسرية فى وقت مبكر منعه من الانغماس فى السياسة حيث تحرم القوانين والأعراف على الأجانب مزاولة الأنشطة السياسية ، ولكن كل هذه الأقوال من قبيل الظن ، ويجب الا يعتد بها حتى تسند بالبراهين ، وان كانت هذه الفروض نابعة من الشخصية المصرية التى نشأت فى مطلع هذا القرن حين كانت مصر تحت السيادة العثمانية من الناحية الاسمية وتحت الحماية الانجليزية من الناحية الفعلية .

## ● جياكوتى مدرسة بمفردها

والملاحظة الثانية حول علاقات حميد زكى ، هى عدم نشأة علاقة بينه وبين النحات السويسرى جياكومتى ، وهذه ظاهرة ليست مقصورة على حميد زكى وحده ، ولم تهتم المجموعة الفنية التى أشرنا لها سابقا بهذا الفنان العظيم ، فقد كان هذا الفنان مجددا اكثر مما ينبغى فى نظر هؤلاء الفنانين ، كما ان جياكومتى كون شهرته ـ فى البداية ـ فى فرنسا لا فى سويسرا .

ووفقا لرواية زوجة الفنان الأولى فأن حميد زكى لم يهتم بجياكومتى مطلقا سواء فى سويسرا او فرنسا ، وكان يراه مجددا الى الدرجة التى لا تسمح له بتذوق اعماله او الاعجاب بها ، وكان انتاجه النحتى مخالفا لخبراته الفنية التى تربى عليها فى مطلع القرن .




## • موسم الهجرة الى الصحراء

عقد أخيرا في الوادى الجديد المؤتمر الاول لتنمية محافظات مصر الصحراوية • ويجيء هذا المؤتمر كواحدة من المحاولات المتكررة للتغلب على التكدسين السكانى والحضرى فى وادى النيل •

وقد ناقش المؤتمر ٥٠ بحثا تناولت الامكانات الزراعية والصناعية والسياحية للمناطق الصحراوية،بهدف انشاء مناطق جذب حضرى جديدة ، وذلك ـ كما دعت احدى دراسات المؤتمر باتباع اسلوب تنموى يعتمد على انشاء قرى صحراوية زراعية صناعية ، تتميز بطابع بيئى وعمارى خاص ، ونشاط حرفى وانماط حياة مناسبة • هذا ولم تغفل الابحاث الانشطة الخاصة بحماية الحياة والمنشآت من تحديات البيئة •

وانتهى المؤتمر الى توصيات مختلفة فى مجالات التنمية الزراعية والموارد البيئية والصناعية والاعداد البشرى ، وتضمنت هذه التوصيات

● تشكيل مجموعات عمل متخصصة لتنفيذ الدراسات المقدمة للمؤتمر •

● رسم خريطة للمياه الجوفية على مستوى الجمهورية •

● ادخال محاصيل غير تقليدية تقاوم الملوحة والجفاف ، فى الزراعة الصحراوية •

● التركيز على التعليم الزراعى والصناعى والارتفاع بمؤسساته الى مستوى المراكز الانتاجية للصناعات البيئية ••

● ضرورة البت بسرعة فى تنفيذ مجمع فوسفات « ابو طرطور » •

وقد شغلت محافظة الوادى الجديد مساحة كبيرة من اعمال المؤتمر ،بعد ان اكدت الابحاث ان الاراضى القابلة للاستزراع فيها تقدر بحوالى ٤٣٣ الف فدان ، بينما لا تزيد المساحة المزروعة على ٤٣ الف فدان ، رغم وجود مصادر مائية تكفى لزراعة ١٠٠ الف فدان • ولهذا تضمنت التوصيات ربط خطتى التنمية وتشغيل الشباب فى المحافظة •



## ● تصميم سيجارة جديده

صممت شركة امريكية للدخان والسجاير ( ريتولدز ) سيجارة جديدة ستطرح فى الاسواق على سبيل الاختبار مع عام ١٩٨٨ ٠

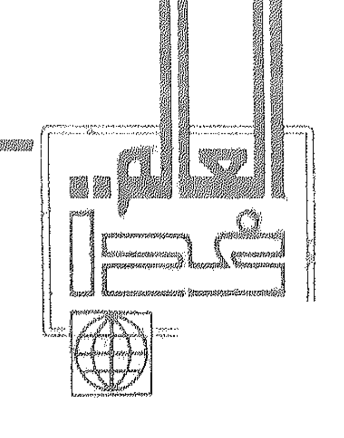
وتشبه السيجارة الجديدة فى الهيئة والمذاق ، بل وطريقة الاشعال ووقت التدخين السيجارة العادية ، لكنها تختلف عنها من حيث عدم احتراق التبغ ذلك ان الذى يشتعل فيها هو وقود كربونى يثبت فى طرف السيجارة ٠٠ ويؤدى احتراق الوقود الى ارتفاع موضعى فى درجة الحرارة يسخن الهواء الذى يسحبه المدخن عند أخذ نفس من سيجارته٠وحين يمر الهواء الساخن عبر التبغ يطلق ما يحويه من ابخرة عطرة ونيكوتين، يحصل منها المدخن ، حين تضاف الى اكاسيد الكربون الناتجة عن الوقود المحترق ، على نكهة شبيهة بنكهة السيجارة العادية ، كما تشبع حاجته الى النيكوتين ٠ دون دخان احتراق التبغ الذى يحتوى على القار وغيره من الكيماويات الضارة ، التى تعد من الاسباب الرئيسية ، حسب الاعتقاد السائد ، فى سرطان الرئة وامراض القصبة الهوائية ٠

وان كان المتوقع الا تتسبب مثل هذه السجائر فى أضرار صحية للمحيطين بالمدخن ٠ لعدم وجود الدخان ، الا انهما لا تفترق عن السجائر العادية من حيث وقوع المدخن فى اسر الادمان الذى ينشأ اصلا من تأثير النيكوتين على الدماغ، ولا تفترق عنها ايضا من حيث التأثير الضار لابخرة التبغ على رئتى المدخن٠ اضف الى ذلك أن غالبية الوفيات الناجمة عن التدخين تحدث بسبب امراض الشرايين ، والشرايين التاجية على وجه الخصوص ، وفى الغالب نتيجة استنشاق اول اكسيد الكربون وتأثير النيكوتين ٠ وهكذا تظل السيجارة الجديدة التى لا يحترق فيها التبغ ذات اضرار كبيرة على صحة المدخن ٠٠

ومن الجدير بالذكر ان احصاءات منظمة الصحة العالمية تبين تزايدا مطردا فى نسبة المدخنين ببلدان العالم الثالث ( المتخلف ) رجالا ( ٧٠٪ ) ونساء ( ! ) ، بينما تتناقص باطراد نسبة المدخنين فى البلدان الصناعية ٠٠

## ● من اجل عيون الاسد

خلال احد عروض السيرك فى كراسنويارسك ( الاتحاد السوفييتى ) انتبه المروض ايفان روبان الى ان احد الاشبال ( اسمه لورد وعمره ستة شهور ) تلفه حالة من الاضطراب الشديد ، عند الاقتراب مع زملائه من جانب الحلبة الايمن ٠ وبين






الفحص الطبى للشبل فيما بعد انه مصاب باعتام فى عدسة العين ··

وهكذا وجد المروض نفسه فى موقف لا يحسد عليه ، فهذا الاعتام يجعل الشبل شبه اعمى،ويقضى علىاية سيرة محتملة له في عالم السيرك ، لتصبح حديقة الحيوان افضل مصير يمكن توقعه له ··

ولجأ المروض الى مركز الجراحات الدقيقة للعين فى كراسنويارسك ،الذى قرر ضرورة الاستعاضة عن عدسة عين الشبل بعدسة اصطناعية· ورغم موافقة المروض لم تنته المشكلة ، وكان على الاطباء ان يأخذوا بعين الاعتبار ان الشبل مازال فى مرحلة النمو لهذا يجب ان يركبوا فى عينه عدسة تناسبه حين يكبر · وكشفت دراسة عين اسد اكبر ان قطر العدسة اكبر بنحو خمسة ملليمترات مقارنة بعدسة عين الانسان وأن حدقة عين الاسد تتسع فى الظلمة بشكل يزيد زهاء ٣ مرات ··

ولم يكن امام الاطباء الا اللجوء الى الكمبيوتر الذى بين ان العدسة التى يحتاجها الشبل يجب ان تكون اثقل ٢٠ مرة من العدسات التى يستخدمونها فى جراحات عيون البشر وجاء دور مهندسى معهد البحث العلمى للجراحات الدقيقة فى موسكو ، حيث جرى صنع العدسة المناسبة لعين الشبل ، قبل ان يتمدد الشبل المخدر على طاولة العمليات بين ايدى الجراحات ·· وذلك قبل ان يعود الى حلبة السيرك يصول ويجول بين اقرانه دون خوف او اضطراب ··

## ● بنك لمعلومات البيئة والموارد

تشيد الامم المتحدة حاليا شبكة كمبيوتر تتعامل ، على نطاق واسع ، مع المعلومات العلمية الخاصة بالمتغيرات البيئية التى تصيب كوكبنا وذلك من اجل مساعدة مخططى التنمية والمختصين على اتخاذ قرارات رشيدة · ويستخدم بنك المعلومات المعتمد على هذه الشبكة اجهزة كمبيوتر قادرة على القيام بـ ١٢ مليون عملية حسابية فى الثانية الواحدة ·

ويسعى البنك الى الحصول على الاعتراف العالمى باعتباره ضرورة علمية وتنموية فى نفس الوقت · وقد تلقى البنك مساعدات كثيرة من المنظمات القطرية والدولية والمؤسسات الصناعية الخاصة والجامعات ، الامر

الذى ساعد على اتمام مرحلته الاولى بتكاليف لا تتجاوز ٢ر٥ مليون دولار ٠

ويقول الدكتور مصطفي كمال حلمى المدير التنفيذى لبرنامج الامم المتحدة الخاص بالبيئة ، ان البنك الجديد سوف يساعد البلدان الاشد فقرا على ادارة وتنمية مواردها واتخاذ قرارات بيئية رشيدة ، كما انه سيكون فى خدمة العلماء الراغبين فى فهم افضل الظروف البيئية ٠

والمجالات التى يهتم بها البنك تتضمن صحة الانسان ، ومياه المحيطات ، والموارد المتجددة ،والمناخ، وعمليات التلوث الطويلة الامد ٠٠لكن الجديد فى نشاط هذا البنك ليس المعلومات التى كانت موجودة ومتاحة قبل انشائه ، وانما عمليات تحليل المعلومات ومعالجتها بشكل يساعد على استخدامها ميدانيا ٠

والمركز الرئيسى للتحكم فى عمليات البنك موجود فى العاصمة السكينية نيروبى ( مقر برنامج الامم المتحدة الخاص بالبيئة ) اما مركز اعداد وتحليل المعلومات فيوجد فى جامعة جنيف فى سويسرا ، وتقدم وكالة الفضاء الامريكية ( ناسا ) مساعدات فنية وهندسية للبنك ٠٠

## ● عام دولى لمحو الامية

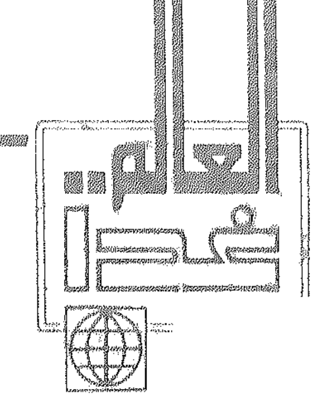
* تشهد القاهرة اول ديسمبر المؤتمر العربي للتخدير ( تحضره ٣٠ دولة ) الذى يناقش قضايا التخدير لزراعة الاعضاء وجراحات المخ والقلب المفتوح ، وذلك بالاضافة الى وسائل العناية المركزة وتخدير مرضى نقص المناعة الناشىء عن استعمال ادوية علاج السرطان ومنع طرد الاعضاء ، او نتيجة الاصابة بمرض الايدز ٠

* وصلت الى لوس انجلوس مومياء فرعونية لسيدة عمرها حوالى الاربعين تاريخها الى ١٥٠٠ ق ٠ م حيث ستجرى عليها اختبارات تستمر ستة شهور بهدف دراسة الاساليب الكفيلة بحماية قرينائها وذلك عن طريق تطوير بيئة اصطناعية تؤخر احتمال تعفن اعضاء المومياء ، وتساعد على عرضها للجمهور ٠

* صدر قاموس الدكتور حسين محمد فهمى الشافعى للالفاظ القرائية وييسر القاموس الجديد الاستدلال على اى من الفاظ القران الكريم دون الحاجة الى تخصص فى قواعد اللغة حيث يرتب القاموس الالفاظ طبقا للصورة الاملائية للكلمة ( دون رجوع الى مصدر اللفظ ومشتقاته كما هى حال المعاجم الاخرى ) ٠

ويشتمل القاموس بهذا النحو على جميع الفاظ القران ولا يقتصر على الاسماء والافعال مع الاشارة الى السورة والاية وموقع اللفظ منها ٠٠

* اعلن وزير التربية الكويتى خلال اليوم العالمى لمحو الامية قرارا بالزامية محو الامية فى الكويت ،




امتثالا لامر الاسلام بالقراءة وطلب العلم ، وحرص الكويت على التقدم العلمي ·· والمعروف ان مكافحة الامية صارت واجبا الزاميا في الكويت بموجب قانون صدر عام ٨٦ · وقد حدث انخفاض في نسبة الاميين ما بين تعدادي ١٩٧٥ و ١٩٨٥ من ٤ر٦٠ في المائة الى ٦ر٤٤ في المائة وتولى وزارة التربية ـ كما اعلن الوزير ـ اهتماما كبيرا بالتعاون مع اليونسكو ، الذي يعد لعام دولي لمحو الامية ، بالاضافة الى التعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والجهاز العربي لمحو الامية ، والمكاتب الاقليمية لتدريب قيادات تعليم الكبار ·· بهدف تبادل المعرفة والخبرات ··

## ● اليابان والعودة الى العصر الحجري

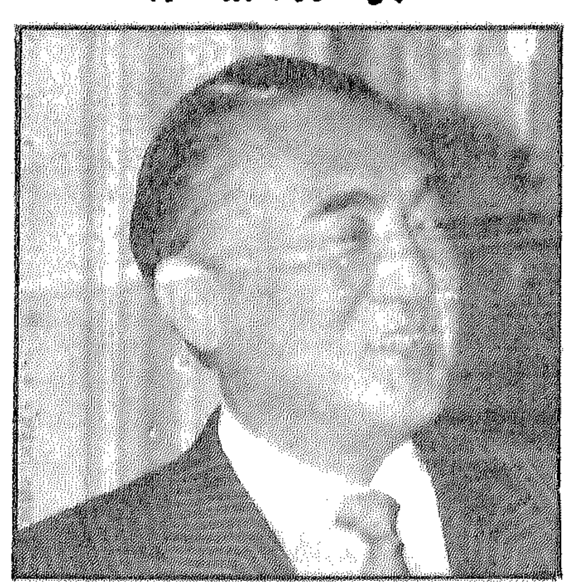
في حوار تم بين رئيس وزراء اليابان ياساهيرو ناكاسوني والفيلسوف تاكيشي اومهارا ، ونشر بمساحة مدفوعة الاجر في مجلة تيجي شنجو قال الرئيس انه يعتبر دعوة الفيلسوف للعودة « الى نقاء العصر الحجري » احد اهم المساهمات التي اسداها للحياة الثقافية في اليابان

ويعد أومهارا اول القائلين بفكرة نقاء العصر الحجري والمدافعين عنها ، وقد عين اخيرا مديرا لـ « مركز الابحاث الدولية للدراسات اليابانية » الذي انشىء بدعم من ناكاسوني نفسه

وقد جرت الدعوة الى « نقاء العصر الحجري » الاتهامات على ناكاسوني واومهارا · ولعل اهم هذه الاتهامات هو التآمر لارساء نوع من التفكير العنصري الذي يهدف الى تأصيل فكرة نقاء الجنس الياباني وتفوقه ··

ويرى أومهارا ان الحضارة الغربية ، بعد ازدهارها في عصر النهضة ، وصلت الى سقف تطورها ، ويتنبأ بدمار العالم مالم يتخل الغربيون عن الوجهة البيكونية ( نسبة الى فرانسيس بيكون ) القائلة بضرورة سيطرة الانسان على الطبيعة وتسخيرها لخدمته ، ومن هنا يبرر دعوته الى مبادىء العصر الحجري

ناكاسوني .. رئيس وزراء اليابان



# استراتيجية اسرائيل النووية

بقلم : محمد فتحي

**خصصت وكالة الطاقة الذرية مؤتمرها القـــادم لبحث التهديد النـــووي الاسرائيلي على العالم ، جاء ذلك بعد مناقشة احـــدالتقارير حـــول مخـــاطر الطاقة الذرية الاسرائيلية .**
**بعد ان طـالبت ٤٨ دولة بضرورة مواجهة العـــالم لهذه الاخطار .**

في عام ١٩٨٣ سرت في عديد من الاوساط التي تبدو متباعدة ، من حيث نوعية نشاطها ، مثل أوساط تجارة السلاح والصـــحافة وتجارة الجنس والمخابرات .. سرت همسات عن اهتمام جديد شاذ لبوب جوكسيوني رئيس تحرير مجلة « بنتهاوس » الانجليزية ذات الطابع الجنسى ..

وكانت المفاجاة الاولى أن هذا الاهتمام الشاذ لم يكن ســوى تكنولوجيا الطاقة الحرارية النووية . وكانت المفاجاة الثانية أن الاتفاق كان يجرى في سرية مطلقة ، بين جوكسيونى وسول ايزنبرج تاجر السلاح الاسرائيلي المعروف،وجاكوبنيمرودى الكولونيل السابق في المخابرات الاسرائيلية ، الصديق الحميم لايريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلى ( سابقا ) . وكانت المفاجـاة الثالثة ان الاتفاق يجـرى حول اقامة مفاعل اندماج حرارى نووى .. اى مفاعل من ذلك النوع الذى تعجز أى من دول العالم حتى اليوم عن بنائه منفردة ، والـذى تتعاون آحاد من الدول بينها الولايات المتحدة والاتحاد الســوفييتي واليابان على تكاليفه المالية والفنية ، والذى يمكن أن يصير مصدرا للبلوتونيوم اللازم لصناعة القنابل النووية ، ناهيك عن كونه مصدرا خرافيا للطاقة الرخيصة والآمنة .

ولم تكن مفاجاة بالمرة بعد كل هذه المفاجات أن الامر كلهيجرى لحساب اسرائيل ومؤسستها العسكرية .

# استراتيجية اسرائيل النووية

لقد اثرنا هذه الحكاية المثيرة مدخلا للحديث عن استراتيجية اسرائيل النووية ، لانها تكشف ذروة من ذرى هذه الاستراتيجية الطموحة ، لكن لا بأس من تدارك الامر مباشرة والعودة الى السياق التاريخي ٠

لم تتأخر اقامة « مؤسسة الطاقة الذرية الاسرائيلية » ( أغسطس ٤٨ ) عن اعلان الدولة الصهيونية كثيرا ٠ ولم يحل عام ١٩٤٩ الا وكانت اسرائيل ترسل بعثاتها لدراسة الهندسة النووية، فى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية والمانيا الاتحادية ٠ وما ان بدأ هؤلاء المبعوثون فى العودة الى اسرائيل حتى الحقوا بصفوف الخبراء اليهود، الذين هاجروا الى اسرائيل من أرجاء العالم المتقدم ، لينخرط الجميع ( عام ١٩٥٤ ) فى بناء مفاعل « ريشوليزيون» لتدريب الفنيين الاسرائيليين على انتاج النظائر المشعة ، وتطبيقاتها الزراعية والصناعية والطبية ٠

وما هى الا شهور حتى قفزت اسرائيل الى بناء مفاعل جديد فى ناحال سوريك تم تشييده اخر ١٩٥٨ بقدرة ٥ ميجاوات ، واتخذ وجهة تخصصية فى اعداد الكوادر اللازمة لتوليد الطاقة الكهربية من المحطات النووية ٠ ولم يكد العمل ينتهى فى هذا المفاعل حتى بدأ تشييد مفاعل ديمونة الشهير فى صحراء النقب ، الذى سرعان ما تحول الى مدينة نووية متكاملة ، شكلت محورا هاما من محاور الاستراتيجية النووية الاسرائيلية ٠ ومنذ عام ١٩٦٧ بدأ العمل فى مفاعل « البنى روبين » الذى تبلغ قدرته ٢٠٠ ميجاوات ، بهدف تحلية مياه البحر وتوليد الطاقة الكهربائية ٠٠

وهكذا توالت سلسلة المشروعات النووية الاسرائيلية حتى وصلت للمفاعلين النوويين اللذين تزمع اسرائيل استخدامهما فى انتاج الطاقة، واللذين يدور حولهما الاخذ بين اسرائيل وفرنسا منذ أعوام ٠

وان كشف ذلك عن الاستمرارية التى يتسم بها البرنامج النووى الاسرائيلى فلهذا البرنامج سمات أخرى يجدر الوقوف عند بعضها ، ولعل الشمول وتنوع الاغراض أول هذه السمات ، فالبرنامج الاسرائيلى يراوح ما بين انتاج البلوتونيوم اللازم لصنع القنابل النووية ، وبين مجالات بريئة مثل توليد الكهرباء وتحلية مياه البحر وأبحاث استخدام التفجيرات النووية فى الحفر وشق القنوات ، بل ويمتد الى مجالات تبدو نائية مثل تحديد عمر الاثار والعاديات باستخدام الكربون المشع ، كما انه ـ البرنامج ـ لا يغفل امتلاك مركز متخصص وخبراء على أرقى مستوى فى زرع نخاع العظام (١) ٠

## ● من كل اتجاه وبكل اسلوب

هذا كما ينوع البرنامج النووى الاسرائيلى كثيرا مصادر مستلزماته وتكنولوجياته النووية ٠ فنجده يتعاون مع « أيه ٠ اف ٠ ام أتوميكس » الامريكية ( مفاعل ريشو ليزون ) ، و « أتوميك انترناشونال » الامريكية ( ناحال سوريك ) ، ومع التكنولوجيا الفرنسية ( مفاعل ديمونة ـ ،فضلا عن التنويع فى مصادر الخامات المطلوبة٠

ومن السمات التى تلفت النظر فى برنامج اسرائيل النووى الدأب على اقامة علاقات وثيقة مع الاخرين فى مجالات مختلفة ، حتى وان بدا بعضها بعيدا عن السلاح النووى والتكنولوجيا

النووية ، ساعيا بذلك الى الاستفادة من تجارب الغير دون تكرارها ، والاقتصاد فى النفقات الهائلةللابحاث النووية ٠

ومن هذا المنطلق سارعت اسرائيل ( عام ١٩٥٤ ) للانضمام الى الوكالة الدولية للطاقة النووية للاستفادة من امكانياتها ، وللحصول على شحنات منتظمة من اليورانيوم بحجة اجراء التجارب العلمية ، هذا كما افتتحت بمعهد الآثار القديمة فى الجامعة العبرية مركزا لتدريب علماء الآثار الاوربيين والامريكيين (ا) على سبل التنقيب التى تستخدم « الكربون-١٤» المشع ، بل وخفت الى مشاركة الاتحاد السوفييتى فى التخفيف من آثار محنة تشرنوبل ، بارسال وفد الجراحين العالميين ، الذين ذهبوا للمعاونة فى انقاذ ضحايا الاشعاع ، بطبيب من مركز زراعة النخاع فى اسرائيل (ا)

والى جوار ذلك تعمل اسرائيل ، متسلحة بكل الذرائع والدعاوى ، على تجنيد العلماء الاوربيين والامريكيين للعمل فى مؤسساتها ، ولا تتورع فى الوقت نفسه عن تنويع علاقاتها غير الشرعية على امتداد رقعة العالم ،من جنوب افريقيا الى شرق آسيا ، ومن أمريكا الشمالية وأوربا الى أمريكا الجنوبية ، ولا عن استخدام شبكة من العلماء اليهود والجواسيس فى معظم البلدان المتقدمة للاستفادة من تجارب الآخرين ٠

هذا وان أعوزتها كميات اضافيةمن المواد المشعة غير تلك التى تنتجها أو تحصل عليها من خلال القنوات الشرعية أو الاتفاقيات المشبوهة ، لا تتورع عناستخدامأساليب القرصنة للحصول على هذه الكميات كما حدث فى مغامرة السفينة سرسبرج التى خطفت اسرائيل حمولتها ( ٢٠ طنا من اليورانيوم ) وهى فى عرض البحر ٠

## ● طموح مبنى على العلم والعمل

غير أن اسرائيل ومع الاستفادة الى أقصى حد من العلاقات الوثيقةوالمتنوعة الشرعية وغير الشرعية ، تعمل على تطوير تكنولوجيتها الخاصة فلا تكتفى بامتلاك أسرار العمليات المعقدة لفصل البلوتونيوم ، اللازم لانتاج القنابل النووية ، **بل تسعى الى أسلوب جديد لانتاج اليورانيوم المشبع باستخدام اشعة الليزر ٠ ولا تقف عند الاساليب التقليدية لحمل الاسلحة النووية بل تسعى الى صنع الصواريخ الجنحة القادرة على ذلك ، بل وتسعى الى تطوير مدفعية نووية تكتيكية ، غير عابئة بفشل الدول الكبرى فى ذلك ٠٠** كما أنها لا تقف عند امتلاك السلاح النووى بل تسعى حثيثا الى امتلاك القنبلة الهيدروجينية ٠

واسرائيل تتميز فىذلك كله بالطموح واليقظة واجادة اختيار التوقيت ٠ ولعل أفضل مثال على ذلك مشروع اقامة مفاعل الاندماج النووى الذى شارك فيه ثلاثي جوكسيونى وايزنبرج ونيمرودى ٠ فالمعروف أن المفاعلات النووية التى تعمل حتى الان تولد طاقتها عن طريق انشطار نويات ذرات العناصر الثقيلة النادرة ( مثل اليورانيوم )٠ لكن العلماء يدركون امكانية الحصول على كميات هائلة واكبر من الطاقة عن طريق اندماج أنوية ذرات العناصر الخفيفة ( مثل الهيدروجين ونظائره ) والمفاعلات من هذا النوع الاخير آمنة تماما ، لانه لا يتخلف عنها نفايات ذرية ، ذلك ناهيك عن انها مصدر خرافى لا ينضب ، لان المادة الخام التى ستعتمد عليها هى المياه

وقد ساهم كل ما سبق فى جعل

# استراتيجية اسرائيل النووية

مفاعلات الاندماج النووى حلمــــا تسعى لكل البلدان المتقـدمة وراءه ٠ وقد كرست هذه البلدان امـــكانات مالية وفنية هائلة لتحقيق هذا الحلم طوال الثلاثين سنة الماضـية ، حتى قاربت الوحدات التجريبية الموجـودة حاليا حدود النجاح فى اقامة هـذه المفاعلات ، وذهبت التوقعـات الى ان بداية القرن الجديد هو التاريخ المحتمل لبدء استخدام مفاعلات من هذا النوع على نطاق اقتصادى وصناعى ٠٠

وهكذا لما صارت التجارب الطويلة الباهظة التكاليف قاب قوسين او ادنى من الاثمار ، قفزت اسرائيل الى ساحة هذه التجـــــارب ، لتجنى ما زرعه الاخرون ، فاقدم ثلاثى جوكسـيونى وايزنيرج ونمرودى على مشروع بناء مفاعل نووى من هذا النوع ،يستخدم خلاصة التكنولوجيا الامريـــــكية والفرنسية بالمقرب من تل ابيب ، فى اطار شـــركة « اى ٠ ان ٠ اى » المرتبطة بشركة « انيسكو »الامريكية، التى يساهم جوكسيونى فى تمـويل بحوثها ، والتى تقدم تصـــــميما جديدا للمفاعل ٠

ومن الجدير بالذكر أن الامـــــر بالنسبة لمفاعلات الاندماج الحـرارى النووى لا يقف عند كونها وســـيلة امنة لانتاج كم هائل من الطـــــاقة الرخيصة ، ذلك ان الاحتمال الارجح هو استخدامها فى ارتباط بمفـاعلات الانشطار النووى العادية ، لاستخدام جزء من نيوتروناتها فى معالجــــة اليورانيوم ـ ٢٣٨ الطبيعى ( وخاماته وفيرة جدا ، ولم تستخدم على نحـو فعال حتى الان لانتاج البلوتونيـوم ـ ٢٣٩ ، وهو وقود ثمين للمحطـــات النووية العادية ، ناهيك عن كـــونه الوقود اللازم لصناعة القنــــابل النووية ٠

● على اعدائى فقط !

ولا بأس بعد ما فصلناه من الانتقال الى بعض الاعتبارات الاستراتيجيــة الهامة التى تحيط ببرنامج اسـرائيل النووى ، التى تعد جديدة فى بابها ٠ لقد شكك بعض الخبراء العسـكريين فى القيمة الاستراتيجية للقوة النووية الاسرائيلية ، لان استخدامها سيلحـق خرابا لا يوصف باسرائيل نفســها ، ناهيك عن المنطقة العربية ٠ لـــكن الانباء التى تتناثر حول نشــــاط اسرائيل النووى تتضمن الحديث عن اسلحة مثل القنابل النيوترونية التى تقتل الاحياء دون أن تدمر الانشاءات والمبانى والمعدات ، ولا يتجاوز مـدى الدمار الناتج عنها مسافة ١٣٠ مترا، اذ ان هدفها الاول القضــــاء على الاحياء الموجودين على مسافة كيلـو مترين حول مركز تفجيرها ، باستخدام سيل النيوترونات ، حتى يأتى أناس اخرون ، فيما بعد ، ليجمعوا ماتخلف من غنائم ٠ او يقيموا حيث كان عدوهم

هذا كما ان الاوساط العســـكرية العالمية نشطت فى الحديث عن نـوع جديد من الاسلحة ، يعتمد على نشر المواد المشعة من مستحضرات ومـواد تفاعل انشطار الوقود فى المفــاعلات النووية ، بهدف اصـابة البشـــر بالاشعاع دون اللجوء الى تفجيرات نووية ٠ وهذا السلاح الاشعاعى يشبه فى مفعوله القنابل النيوترونيـة وان تفوق عليها فى سهولة الاســـتخدام وقلة التكاليف ، بالاضافة الى السرية الكاملة التى تحيط باسـتخداماته فى مواجهة العدو ، حيث لا يكتشف ولا يحس به أحد ، الا مع ظهور اثـاره

المدمرة على الانسان والبيئة . وهكذا فهو سلاح أكثر خفاء مقارنة بالقنبلة النيوترونية التى يصاحبها انفجار هائل يشعر به الجميع ..

وكل هذه المستجدات تمكن من قصر الاصابات الاشعاعية على المستهدف بها دون أن تمس مستخدم السلاح ، وذلك بعيدا عن استراتيجية « على وعلى أعدائى » التى كانت تثار قديما ..

هذا وقد تمكنت اسرائيل فى اطار استراتيجيتها النووية الشاملةمن تجاوز الاهداف المحددة للقوة النووية ، فان كانت الاهداف التقليدية لمثل هذه القوة تدور حول مضاعفة القوة التدميرية لمالك السلاح النووى دون حاجة الى مضاعفة جيوشه ، وضمان عدم تحقيق الاطراف المعادية لتفوق يؤثر على ميزان القوى ، والاستفادة من المنافع الجانبية للنشاط النووى فى تطوير الاقتصاد .. الخ فقد اضافت اسرائيل اهدافا استراتيجية جديدة لمثل هذه القوة من قبيل استثمارها فى ابتزاز الاخرين ، والمقدرة على حسم الامور سياسيا بالتهديد بالخيار العسكرى ، والضغط على الاخرين لاتمام تحالفات قد لا يرغبون فيها ، بهدف الدخول تحت مظلة نووية ولحماية أنفسهم من القوة النووية الاسرائيلية .

● مشاهد من بيت بيجين

وان كنا قد انهينا ان تكون حكاية بوب جوكسيونى مدخلنا للحديث عن استراتيجية اسرائيل النووية فلابأس من أن يكون ختام هذا الحديث مشهداً من بيت مناحم بيجين ..

فى عصر الاحد ٧ يونيو ١٩٨١ استدعى رئيس الوزراء الاسرائيلى سكرتيره وامره بابلاغ اعضاء الوزارة ، كل على انفراد ، بالحضور الى بيته فى الساعة الخامسة .. واعتقد كل وزير انه المدعو الوحيد للحديث مع الرئيس فخف وهو يحس ببعض الزهو ، لكن كل واحد منهم فوجىء عند وصوله بوجود الوزراء الاخرين وفى الساعة الخامسة والربع اطل بيجين على وجوه الوزراء المستطلعة وقال « حسنا . ان ستا من طائراتنا فى طريقها الان لقصف هدف هام فى العراق . وامل فى نجاح المهمة ،

ولف الحضور صمت عميق برهة همس احد الوزراء بعدها ، وقد راح ذهنه الى المواجهة المتفجرة ـ ساعتها ـ حول نشر صواريخ « سام ـ ٦ » السورية فى الاراضى اللبنانية .. « تقصدون سوريا يا سيادة الرئيس» .

لكن لسان بيجين لم يكن قد زل . كان يقصد بالتحديد مفاعل تموز النووى العراقى وكلنا يعرف بقية القصة المؤسية ، وذلك رغم توقيع العراق على اتفاقية حظر انتشار الاسلحة النووية ، وقبوله التفتيش الدولى على منشآته ، الامر الذى لم تفعله اسرائيل .

وهنا يمكن الشق الاخر للاستراتيجية النووية الاسرائيلية ، الساعية الى حرمان الدول العربية من مقومات اى برنامج نووى مستقل .

**تبقى ملاحظة لا يمكن تجاوزها هنا وهى ان اسرائيل تسعى كثيرا الى استخدام الحديث عن القدرات النووية كباب للردع النفسى والتهويل ، ويجب ان ننتبه لذلك . لكن يجب الا يفوتنا ايضا أن ادراك الواقع هو اول شروط مواجهته ومن فضل القول ان نقرر اهمية امتلاك العرب لقدرات نووية خاصة ، واهمية العمل على اخضاع كافة المفاعلات النووية بالمنطقة للرقابة الدولية ، والعمل على انشاء منطقة منزوعة السلاح النووى فى الشرق الاوسط وافريقيا .**

## من دراسات الأدب الحديث

# فن المقال الصّحفي في أدب طه حسين

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

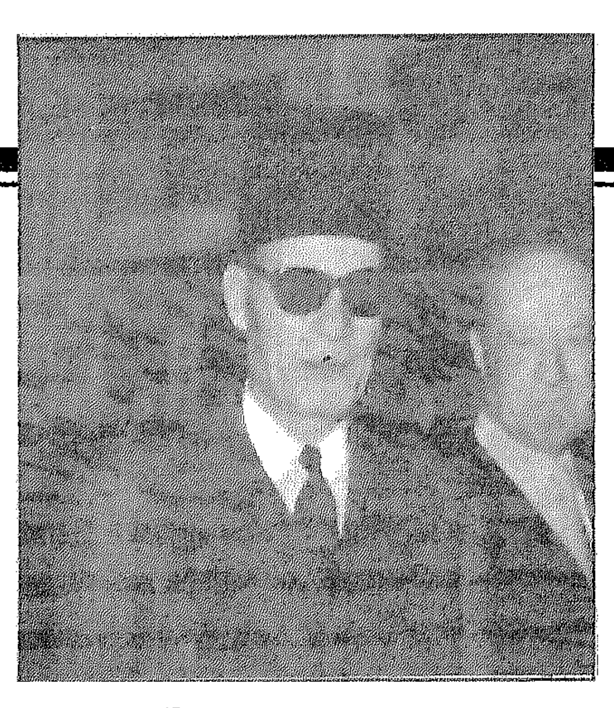
**طه حسين ( مارس ١٨٨٩ ـ الاحد ٢٨ اكتوبر ١٩٧٣ ) مزاج قوى بين حضـــارة الشرق وحضارة الغــرب ، وعصارة طيبة من معهـــدين مختلفين: الازهر والسوريون ..ومن نبع المعرفة الانسانية نهل طه حسين من الثقافات العالمية وتعمق فى دراســات الآداب القديمة والحديثة على السواء .**

وتتركز ملامح شــخصية طـه حسين فى فكره الحر المستقل وروحه الـكبيرة الطموح ، وهيامه بالفن والجمال والادب كمــا يقول محمود تيمور فى مقالة له عن طه حسين نشرت فى الهـــلال عدد فبراير ١٩٦٦ .

ويمثل طه حسين ورفاق له مدرسة جـديدة فى الادب المصرى ، بل وفى الفكر المصرى المعاصر

وطه حسين يصـطنع فى البحث المنهج الديكارتى ـ نسبة الى ديكارت ـ وقد شغف طه بفلسفته وتأثر بهـا ، وسار على ضوئه فى دراســته للشـعر الجاهلى .

ولطه حسين نظــرياته فى الادب والنقد والثقافة ومن اساتذته ســيد



د . طه حسين .. فكر حر مستقل

ابن على المرصفى والشيخ محمـــد المهدى واحمد زكى باشــا وحفنى ناصف ، وقد اخذ عنهم فهم النص ، وتذوق بلاغتـه ، وكـذلك المستشرقـان نلينو وفييت واخذ عنهما فهم الادب العربي واطواره وكل المقومــات الادبية التى تأثر بها هـذا الادب ٠ وفى فرنسا حضر محاضرات فوكـو فى علم النفس فى جامعة مونبليـه ، ومحاضرات اميل بوركليم وشلستان بوجليه فى علم الاجتمـاع ، وتحت اشرافهما كتب رسالته فى الفلسـفة الاجتماعية عند ابن خلدون ٠ ودرس الفكر اليونانى وكتب عنه وألف فيه ٠ كما تأثر بفلسفة ابن خلـدون وابى العلاء ، واحتذى حـذو احمـد لطفى السيد فى تفكيره ٠٠ وفى كتبه : أديب ـ الحب الضائع ـ فصول فى الادب والنقد ـ الوان ـ من بعيد ـ صـوت باريس ـ لحظات ، صور من تأثـره بالثقافة الفرنسية ٠

وصلة طه حسـين بأدب المنفلوطى صلة وثيقة ، ومع انه نقد المنفلوطى فى مجلة اللواء ثم العلم عام ١٩١٠، فانه كان يقـول : لقـد كنـت أمقـت المؤيد كل المقت الا يوم ينشر فيـه « نظرة » او « اسبوعية » فقد عـلم الله انى كنت اشغف به كل الشغف ، واقبل عليه كل الاقبال ( الهلال عدد فبراير ١٩٦٦ ص ٨٧ ) ٠

والحديث عن طه حسين طـويل ومتشعب ولا ينفد بحال ٠

● دراسة جديدة

وقريبا من عيد ميلاد طه حسـين الثامن والتسعين ( ١٨٨٩ ـ ١٩٨٧م) يظهر فى دراسة أدب طه حسـين كتاب جديد للدكتور الناقد عبد العزيز شرف بعنوان « فن المقال الصحفى فى ادب طه حسين فى نحو ثلاثين واربعمائة صفحة من القطع الكبير ، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

والكتاب دراسة جديدة ، غيـر مسبوقة ، استخدم فيها د٠ عبد العزيز

# فن المقال الصحفي في أدب طه حسين

شرف منهجه فى التفسير الاعـــلامى للادب ، وحرص على الرجـوع الى الادب الذى لم ينشر فى كتب لعميـد الادب العربى د . طه حسين .

وقد استطاع الباحث أن يستقرىء اشكالا جديدة لفن المقال ، تثرى فنون التحرير ، وتؤصل هذا الفن فى تراثنا ، وتحدد منهجه فى تحقيق التعادلية بين الاصالة والمعاصرة ، وجهد المؤلف فى اظهار الخصائص الفنية لادب المقالة، وسيلة لتأصيلها فى تراثنا ، ولتأصيل هذا الفن فى التراث ايضا .

ويقول المؤلف فى صدر بحثـــه ( ص ١٠ ) : حاولنا فى هذا البحث أن نتعرف على الاسس الجوهـرية والتيارات الفكرية العامة ، والنواحى الفنية الهامة التى أسفر عنها الفن الصحفى فيما يخص المقال الصحفى فى ادب طه حسين ، من حيث تحريره وغايته فى الارتباط بالجمـــاهير ، فضلا عن عمومية وسيلة الاتصـــال الصحفى ودوريتهـــا ، والرؤيـــة الوظيفية التى تدفع الفن المقـــالى ، وتحدد شكله ومضمونه . وقد اتخذ طه حسين من الفن الصحفى وسـيلة للاتصال بالجماهير فى تحقيـــق التقارب والتواصل ، القائم على أن الفكرة فى دلالتهـــا الاجتماعية ، والكلمة فى صيغتها العملية من اقدم الوسائل لتحقيق ما ينشد .

## ● دوره فى ابراز النهضة

ويقول المؤلف : ان طه حسين أحد الطلائع الذين استوت على أيديهـم معالم النهضة المصرية الحاضـرة ، فكانت مراحل حياته المختلفة ، كمـــا كانت جهوده الصحفية مظهـــرا لايمانه بهذه المثل ، ومصداقـــا لعمله على التعبير عنها فى الوصول بمصر الى الغد المشرق ، وفى تعزيز صلاتها بالفكر الانسانى على تعـدد افاقه ، وفى مقاومة العزلة بجميـــع الوانها . ويمثل مقاله الصحفى هذه الرؤيا فى الميدان الفكرى والميـدان العملى على السواء ( ص ١١ )

ويقول كذلك : لعل فى ذلك ماحدا بكثير من المستشرقين الى توكيـــد الارتباط بين الجوانب المختلفـــة فى كتابات طه حسين ونبوغه الفنى فى كتاباته الثقافية والسياسية والادبية على السواء ( ص ١١ ) .. ولقـــد تقاضانا المنهج العلمى فى دراســـة فن المقال الصحفى فى ادب طه حسين أن ننطلق من فهم عملية الاعلام على انها عملية اتصال بين كاتب وقـارىء الامر الذى يجعل دراسة المقـــال الصحفى فى مكانه من عملية الاعلام ( ص ١٣ ) .

## ● المستشرقون وطه حسين

ويقع الكتاب فى عدة فصول :

فالفصل الاول : عن طه حســـين ومدرسة الجريدة .

والثـــانى : عن طه وبيئة المقال الصحفى فى مصر .

والثـــالث : عن طه وبلاغـة الاتصال بالجماهير .

والرابــع : عن أساليب التحرير فى مقال طه .

والخــامس : عن طه حســين وفـن العمود الصحفى .

والســادس : عن فن اليوميات الصحفية فى ادب طه حسين

والســابع : عن فن المقـــال الرئيسى الافتتاحى .

والثـــامن : عن فن المقـــال الرئيسى المنزالى .

والتـــاسع : عـــن فـــن المقـــال الرئيسى الكاريكاتيرى .

والعاشر : عن المقال التحليلى والتقويم الصحفى ·

وفى المقدمة ذكر المؤلف ان فى الدور الذى قام به طه فى نهضتنا الصحفية الحديثة ما يلقى الضوء على تقدير المستشرقين لدوره ، حتى لقد ذهب الاستاذ سبرنجلنج الى انه لم يظهر من عصر هوميروس الى الان من نبغ نبوغ طه وعده«برجشسترسر» فخر الادب بمصر · وجعله المؤلف هو وسقراط والجاحظ اشد الناس صلة بروح المقال الصحفى ( ص ٢٥ )

ويدرس المؤلف بيئة الجويدة التى عمل فيها طه وبيئة كوكب الشرق ، والوادى ، والكاتب المصرى فى الفصل الثانى

ويشرح فى الفصل الثالث : عناصر الاصالة والتجديد فى فن المقال الصحفى عند طه حسين ، وبلاغة المقال الصحفى ، وبلاغة الاتصال بالجماهير فى مقاله ، والاسلوب الواقعى والاستقصائى والاستقرائى والصحفى فى ادب المقال عند طه حسين ·· وذلك فى الفصل الثالث

وفى الرابع يستعرض المؤلف المقال القصصى والوصفى ، والرمزى والرسائل المقالية فى أدبه الصحفى وخصائص كل لون ، وذلك فى دقة ، وعمق تناول ·

وفى الخامس يعرض لفن العمود الصحفى ولفن العمود الرمزى وخصائصهما ·

وفن اليوميات الصحفية موضوع الفصل السادس حيث يعرض المؤلف لفن المقال الاعترافى وفن اليوميات الصحفية وخصائصها فى أدب طه حسين ·

وفى السابع دراسة للمقال الرئيسى الافتتاحى وخصائصهفى ادب طه حسين الصحفى ·

والمقال النزالى وخصائصه عند طه حسين يشمل الفصل الثامن ·

ودراسة للمقال الكاريكاتيرى وخصائصه وعناصره فى أدب طه حسين فى الفصل التاسع جديرة بالتأمل ·

والمقال التحليلى والتقويم الصحفى مما عرض لهالمؤلف فى الفصل العاشر عرضا جيدا وجذابا وعميقا ·

والمصادر والملحقات والمصورات شىء كبير ، وعمل علمى كثير الاهمية وهى فى الكتاب جديرة بالتأمل والوقوف عندها ·

## ● تحديد أبعاد فن المقالة

وماذا أقول عن هذا السفر القيم النفيس الذى يأخذ بزمام القارىء والدارس ، ولا يترك له مجالا ، آخذا شديدا ·

ولهذه الدراسة الواسعة العميقة لفن المقال الصحفى فى ادب طه حسين فضل تحديد ابعاد الفنون المقالية واستقرائها من تراثه الصحفى : فن المقال التنويرى وفن المقال النقدى والعمود الثقافى ، والمقال القصصى والمقال الوصفى ، والتقرير الصحفى، وفن العمود الصحفى وفن اليوميات الصحفية ، وفن المقال الاعترافى ، والرئيسى الافتتاحى ، والنزالى ، والكاريكاتيرى ، والتحليلى

كما حرصت هذه الدراسة على التزام الحيدة العلمية حرصا شديدا·

وعلى الجملة فالكتاب معلمة كبيرة عن طه حسين وفن المقال الصحفى فى ادبه ·

وهو جدير بالقراءة والتأمل العميق ويصدر فى ذكرى ميلاد طه حسين الثامنة والتسعين ·

وقد ازعم أن تراث طه حسين قد كسب اليوم جديدا من الدراسة ، وانه سيبقى معلما من معالم دراسات ادب طه حسين اديب العربية الاكبر فى العصر الحديث ··

زمن الاختيارات الصعبة

# انخفاض أسعار النفط وتحويلات المصريين وأثره على ديون مصر

بقلم: د. جلال أمين

**مع تغير القيادة السياسية عام ١٩٨١ ظهرت فرصة أخرى لإنهاء حالة الارتباك والفوضى فى السياسة الاقتصادية وللمواجهة الجدية لمشكلة الديون الخارجية . ليس من السهل رسم صورة دقيقة لتركة الديون التى ورثها أنور السادات لمصر فى عام ١٩٨١ ، ولكننا نستطيع أن نستخلص ، من بين متاهات الأرقام المتشعبة والمتضاربة الصورة التالية ، التى يمكن أن نعتبرها قريبة جدا من الحقيقة .**

كان اجمالى ديون مصر الخارجية ، العامة المدنية ، طويلة ومتوسطة الأجل ، عند وفاة السادات ١٤٫٣ بليون دولار ، وهى الديون المستحقة على الحكومة المصرية أو المضمونة من جانبها ، والمسحوبة بالفعل . وكانت الديون العامة المدنية قصيرة الأجل ٦٫٨ بليون دولار ، وديون القطاع الخاص نحو نصف بليون دولار .

كانت الحكومة مدينة أيضا بديون عسكرية تبلغ نحو خمسة بلايين دولار للولايات المتحدة وسائر دول العالم الغربى ، ونحو ثلاثة بلايين للاتحاد السوفييتى وبقية الكتلة الشرقية . كان اجمالى ديون مصر اذن عند وفاة السادات ، المدنية والعسكرية ، العامة والخاصة ، طويلة ومتوسطة وقصيرة الاجل ، نحو ثلاثين بليونا من الدولارات(١) .

كان هذا المبلغ يمثل نحو ١٤١ ٪ من الناتج المحلى الأجمالى فى ١٩٨١ بالمقارنة بنسبة ٤٣ ٪ عند بداية تولى السادات الحكم . وكان على مصر فى عام ١٩٨١ ان تدفع لخدمة ديونها المدنية وحدها ٩ر٢ بليون دولار ( ٣ر١ بليون كاقساط و ٦ر١ بليون كفوائد ) أو ما يمثل ٢٨ ٪ من جملة ايراداتها من العملات الأجنبية ، وهو مايساوى تقريبا معدل خدمة الديون عند بداية عهد السادات ، مع هذا الفارق المهم : وهو أن مصر فى ١٩٨١ كانت تتدفق عليها من الايرادات من العملات الأجنبية مالم تكن تحلم به فى ١٩٧٠ ، اذ كان مجموع قيمة ايراداتها من صادرات السلع والخدمات فى ١٩٨١ اكثر من عشرة أمثال ماكانت عليه فى ١٩٧٠ .

● ظروف خارجية جديدة

كان الشعور فى أعقاب مقتل السادات ، عاما وملحا ، بالحاجة الى اعادة النظر فى السياسة الاقتصادية برمتها ، والى ادخال اصلاحات جوهرية عليها ، ولكن كان من المقدر لأية محاولة للاصلاح ان تجرى فى ظروف خارجية غاية فى الصعوبة ، فقد اقترنت نهاية عصر السادات بظروف جديدة بدا فيها ان فترة الرخاء القائم على تدفق ايرادات البترول وتزايد تحويلات العاملين بالخارج وايرادات قناة السويس والسياحة قد ولت . ففى السنوات الأربع التالية لمقتل السادات ( ٨١/٨٢ - ٨٥/١٩٨٦ ) انخفضت ايرادات البترول بنسبة ٣٦ ٪ ، وأصاب الركود مصادر الدخل الثلاثة الأخرى ، التى تعتمد بدورها ، بدرجات متفاوتة ، على أسعار البترول ، بينما ظل معدل تدفق الاستثمارات الأجنبية الخاصة ثابتا تقريبا عند زهاء بليون دولار سنويا . فى نفس الوقت لم يسمح استمرار الركود فى أسواق التصدير الرئيسية بحدوث زيادة ملموسة فى الصادرات المصرية من السلع التقليدية ، ومن ثم لم تزد قيمة الصادرات من السلع الأولية (عدا البترول ) بأكثر من ٤ ٪ سنويا ، ولم تزد صادرات غزل القطن والمنسوجات ، التى تمثل أهم بند فى صادرات مصر المصنّعة ، وان كانت لاتشكل الا نسبة ضئيلة للغاية من الصادرات الكلية ، بأكثر من ٨ ٪ سنويا ، ومن ثم انخفضت القيمة الكلية لصادرات السلع والخدمات فى ٨٥/١٩٨٦ بنسبة ١١ ٪ بالمقارنة بقيمتها فى ٨١/١٩٨٢ .

فى نفس الوقت كان على مصر بالطبع أن تستمر فى دفع فوائد متزايدة على ديونها السابقة ، حيث ارتفعت قيمة الفوائد السنوية المستحقة الدفع من ٤ر١ بليون دولار فى ٨١/١٩٨٢ الى ٧ر١ بليون فى ٨٥/١٩٨٦ .

كان قد ولى أيضا عهد الهبات والمنح القادمة من الدول العربية ، التى توقفت منذ عام ١٩٧٩ ، ولم تكن الهبات والمنح تشكل نسبة كبيرة من معونات الدول الغربية ، ولم تطرأ عليها زيادة تذكر خلال الثمانينيات اللهم الا بتحويل المعونات العسكرية الامريكية الى هبات لاترد ابتداء من ١٩٨٥ ، دون أن ينطبق ذلك على القروض العسكرية المعقودة قبل ١٩٨٥ .

● زمن الاختيارات الصعبة

كان من الواضح أن الاختيارات السهلة نسبيا ، التى كانت متاحة فى السنوات الخمس الأخيرة من عهد السادات ، حينما كانت تتدفق العملات الأجنبية على مصر بلا حساب ، لم تعد متاحة فى بداية عهد مبارك ، وأن محاولة اجراء تخفيض كبير فى المديونية أو على الأقل عدم التورط فى مزيد منها كان يتطلب تخفيضا كبيرا فى الواردات ، حتى من بعض السلع الأقل كمالية ، وبما فى ذلك الواردات من السلع الرأسمالية والوسيطة ، مما يتطلب بدوره التضحية بارتفاع معدل النمو ، فضلا عن تخفيض حجم الانفاق العسكرى بما يخفف من عبء ميزان المدفوعات ، مع امكانية تعويض كل ذلك بإجراءات جادة لاعادة توزيع الدخل وترشيد توزيع الاستثمارات . كان هذا الحل ، حتى مع مايتسم به من بعض القسوة ، يمثل فى رأينا الحل الحكيم الوحيد ، إذ كان البديل لايعنى الا تأجيل المتاعب الى فترة لاحقة ، بل وزيادة الأعباء فى المستقبل ، متمثلة فى خدمة ما يعقد من قروض جديدة . كان هذا أيضا هو الحل الذى اتجهت الى الأخذ به صفوة الاقتصاديين المصريين فى المؤتمر الذى دعا اليه الرئيس مبارك فى فبراير ١٩٨٢ ، عقب توليه الرئاسة بشهور قليلة ، وكان هو الذى يتردد فى مؤتمرات الاقتصاديين المصريين السنوية فى أواخر عهد السادات وأوائل عهد مبارك .

ولكن الذى حدث هو أن الادارة الاقتصادية تبنت الاختيار الآخر الأكثر سهولة فى المدى القصير ، والمؤذن بمتاعب لاحد لها فى المدى الطويل ، والذى يعتبر فى سماته الاساسية استمرارا للسياسة الاقتصادية السابقة على ١٩٨١ ، وهو تبنى معدل مرتفع للاستثمارات ، خاصة فى المرافق العامة ، وعدم اخضاع الواردات أو الانفاق العسكرى لدرجة عالية من التقييد ، مع الاستمرار فى الاعتماد على القروض الخارجية فى تمويل العجز بين الموارد والمتطلبات .

كان من الواضح منذ تدشين ماسمى بالخطة الخمسية الأولى ( ٨٢/٨٣ - ٨٦/ ١٩٨٧ ) أنه ليس من بين أولوياتها تخفيض الاعتماد على التمويل الخارجى . فعلى الرغم من تبنى الخطة فى مقدمتها شعار « الاعتماد على الذات » استهدفت الخطة أيضا زيادة المديونية الخارجية المدنية من ١٣ بليون جنيه فى ٨١/٨٢ طبقا لأرقامها ، الى ١٦ر٢ بليون فى ٨٦/٨٧(٢) أى زيادة المديونية المدنية بنحو الربع فى خمس سنوات ، وذلك من أجل تمويل استثمارات مستهدفة تبلغ ٢٥ ٪ من الناتج المحلى الاجمالى ، وتحقيق معدل نمو ٨ر١ ٪ سنويا . لم يكن يتوقع بالطبع فى مطلع ١٩٨٢ ، أن تنخفض اسعار البترول ، ويصيب الركود تحويلات المصريين العاملين بالخارج وايرادات السياحة وقناة السويس على النحو الذى حدث منذ السنة الثانية للخطة ، ولكن كان يكفى فى

اعتقادنا ما وصلت اليه حال المديونية فى ١٩٨١ ، ومابدأت تلقيه من اعباء ثقيلة على ميزان المدفوعات ، لأن يتبنى المخطط معدلا للنمو أقل طموحا ، ومعدلا اقل للاستثمار ، بما يتطلبه ذلك من تخفيض الواردات ، بغية التخلص التدريجى من المديونية ، وتعويض هذا الانخفاض فى معدل النمو بالتركيز على ترشيد الاستثمار واعادة توزيع الدخل . بل ان الذى حدث هو أن واضعى السياسة الاقتصادية لم يستجيبوا استجابة كافية للتغيرات التى بدأت تطرأ على موارد مصر من العملات الاجنبية مع توالى سنوات الخطة .

فعلى الرغم مما تم بالفعل من تخفيض معدل الزيادة فى الواردات السلعية تخفيضا كبيرا عما كان عليه فى عهد السادات ، عجز هذا التخفيض عن ملاحقة الانخفاض فى الصادرات ، ومن ثم استمر العجز فى ميزان المعاملات الجارية فى الزيادة ، فارتفع من ٧ر١ بليون دولار فى ٨١/٨٢ الى ٥ر٣ بليون فى ٨٥/٨٦ ، الأمر الذى حتم ، مع ضآلة الهبات والمنح وثبات حجم الاستثمارات الأجنبية الخاصة ، الالتجاء الى مزيد من الاستدانة ، واذا بالاقتصاد المصرى فى منتصف ١٩٨٦ ، بعد اربع سنوات من بداية الخطة ، ينوء بعبء من المديونية الخارجية أثقل مما تصوره واضعو الخطة فى ١٩٨٢ .

## ● الديون الخارجية فى منتصف ١٩٨٦

ففى ٣٠ يونية ١٩٨٦ ، بلغت قيمة الديون الخارجية العامة المدنية ، طويلة ومتوسطة الاجل ، ٣ر٢٤ بليون دولار بزيادة قدرها عشرة بلايين ( أو ٧٠ ٪ ) عما كانت فى ٣٠ يونية ١٩٨١ ، كما ارتفعت ديون القطاع الخاص بنحو خمسة أمثال ( من نحو نصف بليون دولار فى ٨١ الى ٧ر٢ بليون فى ١٩٨٦ ) . خلال هذه الفترة مالت الديون المدنية العامة قصيرة الأجل الى الانخفاض من ( ٨ر٦ بليون دولار فى ١٩٨١ الى نحو ٦ بلايين فى ١٩٨٦ ) وبقيت الديون العسكرية المستحقة للاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية ثابتة عند ثلاثة بلايين دولار ، ولكن زادت الديون العسكرية للولايات المتحدة وبقية الدول الغربية من نحو خمسة بلايين دولار فى ١٩٨١ الى ما بين ٨ ـ ٩ بلايين دولار فى ١٩٨٦ (٣) طبقا لهذه التقديرات يكون اجمالى ديون مصر الخارجية ، المدنية والعسكرية قد زاد من نحو ٣٠ بليون دولار فى منتصف ١٩٨١ الى نحو ٤٥ بليون دولار فى منتصف ١٩٨٦ اى بزيادة قدرها ٥٠ ٪ فى خمس سنوات وضعف النسبة التى استهدفتها الخطة مع مراعاة أن هذا الرقم الأخير ( ٤٥ بليون ) لايشمل تسهيلات الموردين التى قدرتها بعض المصادر بنحو ثمانية بلايين دولار فى منتصف ١٩٨٦ (٤)

## ● اعذار واعتراضات

إن هناك الكثير من الأعذار التى يمكن أن تقدم ، وتقدم بالفعل ، لتبرير زيادة بهذا الحجم فى المديونية خلال الثمانينيات . فمن الممكن أولا المقارنة بين تطور المديونية فى السنوات الخمس الأولى من الثمانينيات وتطورها فى السنوات الأخيرة من حكم السادات على نحو يظهر الثمانينيات فى ثوب ناصع للغاية . اذ فلنقارن زيادة بنسبة ٤٤ ٪ خلال السنوات الخمس ( ٨١ ـ ١٩٨٦ )

فى اجمالى المديونية الخارجية المدنية ( من ١ر٢١ بليون دولار الى ٣ر٣٠ بليون ) بتضاعف ديون السادات المدنية أكثر من ثلاث مرات فى السنوات الست الأخيرة من حكمه ( من ٣ر٦ بليون دولار فى ١٩٧٥ الى ١ر٢١ بليون فى ١٩٨١ ) وهناك ثانيا اختلاف الظروف الخارجية اختلافا شاسعا ، حيث **تضاعفت ديون السادات بهذا القدر فى سنوات بالغة الرخاء ، بينما استدانت مصر فى الثمانينيات فى ظل انخفاض اسعار البترول وركود المصادر الاساسية الاخرى للنقد الاجنبى .** بل أن من الصحيح ايضا أن جزءا لايستهان به من القروض التى سحبتها مصر خلال الثمانينيات كان قد تم التعاقد عليه بالفعل أيام السادات . ويقدر وزير التخطيط الحالى هذا الجزء بنحو ثلثى الزيادة فى ديون مصر الخارجية المدنية خلال الفترة ( ٨١ - ١٩٨٦ ) (٥) يمكننا أيضا أن نضيف أن الاعتذار الذى تعودنا سماعه لتبرير ديون السبعينيات ، وهو حاجة المرافق العامة لمبالغ طائلة للنهوض بها مما تردت اليه ، انما يصلح لتبرير قروض الثمانينيات بدرجة اكبر بكثير مما يصلح لتبرير قروض السادات . فالتحسن الملحوظ فى حالة المرافق العامة ، وخاصة فى قطاع النقل والمواصلات وفى مياه الشرب والصرف الصحى ، انما يرجع فى الاساس الى قروض تم سحبها فى الثمانينيات وليس قبل ذلك .

## ● الديون الخارجية وسياسة الانفتاح

كل هذا صحيح ، وانما يكمن اعتراضنا الاساسى على السياسة الاقتصادية لهذه الفترة فى أن التورط فى الاقتراض لتمويل مشروعات المرافق العامة فى ظل اهمال واضح للقطاعات السلعية التى يمكنها وحدها ان تولد القدرة على خدمة هذه القروض فى المستقبل ، كان يعكس استمرارا لنفس سياسة السبعينيات التى تقوم على تبنى اسهل الحلول فى المدى القصير مع تجاهل اثرها على الاقتصاد فى المدى الطويل . كانت هذه السياسة تعكس توجها اخر اكثر عمقا للسياسة الاقتصادية فى الثمانينيات والسبعينيات معا ، ويتعلق بموقفها من دور كل من القطاع العام والقطاع الخاص .

فقد قامت فلسفة الانفتاح الاقتصادى منذ تشييدها فى ١٩٧٤ ، ومازالت مستمرة دون انقطاع حتى اليوم ، على تقليص مسئولية القطاع العام وتركيز توسعاته على مشروعات المرافق العامة ، على افتراض ان يقوم القطاع الخاص بنصيب متزايد من استثمارات الزراعة والصناعة . هذه النظرة الى توزيع مسئوليات التنمية ما كانت لتحدث بالضرورة ضررا بمعدلات التنمية فى المدى الطويل ، لو كان القطاع الخاص قد قام فعلا بالدور المنوط به فى تنمية القطاعات السلعية . ولكن هذا لم يحدث خلال السبعينيات وتفاقم الاختلال لصالح قطاعات الخدمات وعلى حساب الزراعة والصناعة ، كما سبق أن رأينا ، سواء من حيث نصيب هذه القطاعات فى الناتج القومى أو فى خلق فرص العمالة .

وقد اعترفت وثيقة خطة التنمية ( ٨٢/٨٣ - ١٩٨٧/٨٦ ) بهذا .

صراحة ، وجعلت من بين اهدافها تصحيحه (٦) ولكن نفس النمط من التنمية استمر خلال سنوات الخطة . ففى الوقت الذى اقبلت فيه الحكومة على الاقتراض لتمويل مشروعات المرافق العامة ، تراخت جهود القطاع الخاص ، المحلي والأجنبى ، فى الاستثمار فى القطاعات السلعية ، وأقبلت بدورها على الاستثمار فى قطاعات التجارة والمال والاسكان ، وفى مشروعات ضئيلة الأثر فى زيادة القدرة على التصدير ، وشديدة الاعتماد على الاستيراد . بل ان مقارنة توزيع الاستثمارات المنفذة بالفعل خلال السنوات الثلاث الاولى من سنوات الخطة ( ٨٢/٨٣ - ٨٦/ ١٩٨٧ ) وهى السنوات التى تتوفر لدينا ارقامها وقت الكتابة ، بتوزيع الاستثمارات فى السنوات الخمس السابقة عليها ( ٧٧ - ٨١/١٩٨٢ ) لاتظهر اى تقدم فى هذا الصدد ، اذ بلغ نصيب القطاعات السلعية فى اجمالي الاستثمارات المنفذة ٤٩ ٪ فى السنوات الثلاث المذكورة (٧) و٣ر٤٩ ٪ فى السنوات الخمس السابقة عليها (٨) ترتب على ذلك بالطبع استمرار الاختلال فى الجهاز الانتاجى لصالح قطاعات الخدمات ، وهو مايحمل مغزى هاما فيما يتعلق بمشكلة المديونية الخارجية . اذ بينما انهمكت الحكومة فى الاقتراض لتمويل مشروعات ليس من شأنها توليد عائد كاف من العملات الأجنبية يمكنها به خدمة قروضها ، لم يعوض القطاع الخاص هذا العجز بتوليد دخل كاف من الصادرات ، بل شكلت الاستثمارات الأجنبية الخاصة عبئا متزايدا على ميزان المعاملات الجارية ، بما تولده من طلب على الواردات وما تحوله من ارباح للخارج ، وأهم من ذلك ماتسرب من خلال فروع البنوك الأجنبية من مدخرات المصريين بالعملات الأجنبية .

### ● ضغوط واغراءات

لقد وصفنا هذا التوجه العام نحو تركيز الحكومة على الاستثمار فى مشروعات المرافق العامة بالاعتماد على القروض الأجنبية ، وصفناه بأنه كان أسهل الحلول فى المدى القصير لأنه كان فى الواقع يعفى الحكومة من الأعباء السياسية التى يفرضها الحل البديل وهو تعبئة اقصى قدر من الموارد الذاتية من القادرين على الدفع ، ولأنه كان يعفيها كذلك من محاولة مقاومة الاغراء الذى يمارسه المقرضون لتمويل مشروعات بعينها ، قد لاتحتل أولوية خاصة فى نظر المخطط ولكنها تجلب للمقرض نفسه مغانم محققة . هذه المغانم لاتتمثل فقط ، ولا أساسا ، فى خدمة القروض ، بل فيما تتيحه القروض للمقرض من تصريف منتجات يعجز عن تصريفها بعائد مجز ، بل إن هذا التوجه كان يعفى الحكومة أيضا من محاولة مقاومة الضغوط التى تمارسها الدول المقرضة نفسها فى سبيل استمرار سياسة الانفتاح الاقتصادى التى تترك مشروعات الاستثمار خارج نطاق المرافق العامة ، مفتوحة للاستثمار الخاص .

إن القول بأن جزءا لايستهان به مما اقترضته مصر خلال السبعينيات والثمانينيات كان بضغط واغراء المقرضين وتحقيقا لمصلحتهم ، لا هو من قبيل التخيل ولا يصف ظاهرة جديدة لم نعهدها

مصر من قبل . فقد سبق أن رأينا كيف كان الجزء الأكبر من ديون اسماعيل من هذا النوع ، والمسئولون الرسميون أنفسهم يضطرون فى بعض الأحيان للاعتراف به صراحة . ففى حديث قريب العهد لوزير التخطيط الحالى ، الذى تسلم مسئولية التخطيط فى مصر منذ بداية الثمانينيات ، تحدث الوزير عما تعرضت له مصر فى السبعينيات من « اغراء وتوجيه للاستدانة » من جانب الدول الصناعية بسبب « زيادة الفائض المالى لديها »(٩) ولانرى من جانبنا سببا للاعتقاد بأن نفس « الاغراء والتوجيه للاستدانة » اللذين مورسا فى السبعينيات لم يمارسا أيضا خلال النصف الأول من الثمانينيات . قد يكون الأمر قد اختلف بالفعل عما كان عليه فى السبعينيات من حيث مدى توافر الأموال السائلة لدى الدول المقرضة ، ولكن المصالح الأخرى التى يحققها الاقراض للمقرض استمرت قائمة بطبيعة الحال ، خاصة مع استمرار الكساد الاقتصادى فى الدول الصناعية ، وهى المصالح المتمثلة فى تصريف سلع وخدمات يصعب تصريفها بعائد مجز .

من الأمثلة الصادقة لذلك مايذكره تقرير صادر عن الجهاز المركزى للمحاسبات فى مصر عن مشروع الصرف الصحى لمدينة الاسكندرية ، ومشروع تطوير ميناء السويس ، اللذين مولا بقروض أمريكية ، وذهب ٥٩,٥٪ من حصيلة القرض الأول و ٤٣,٣٪ من حصيلة القرض الثانى مقابل أتعاب المكاتب الاستشارية الأجنبية التى قامت باعداد الدراسات الخاصة بالمشروعين ، وما يذكره نفس التقرير من نفقات شحن بعض السلع التى تشتريها مصر من الولايات المتحدة بحصيلة بعض القروض الأمريكية ، وتشترط اتفاقية القرض شحنها على سفن أمريكية ، تبلغ فى بعض الأحيان أربعة أضعاف الأسعار السائدة للشحن ، وأن وزارة الصناعة المصرية أخطرت الجهاز المركزى للمحاسبات بخطاب مؤرخ فى ١٩٨٥/٢/١٢ ، بأن أسعار بعض السلع الأمريكية التى تمولها قروض أمريكية تبلغ فى بعض الأحيان ضعفى الأسعار المتاحة لمصر من دول أخرى .(١٠)

### ● الديون العسكرية

على أن أكبر مغنم يتحقق للمقرضين ، هو بالطبع الذى يأتى من الاقراض العسكرى ، وهذا يقودنا الى الوجه الثانى للاعتراض على توجه السياسة العامة فى النصف الأول من الثمانينيات . إن ديون مصر العسكرية قد زادت كما رأينا بنحو ٨٠٪ فى خمس سنوات ( من نحو خمسة بلايين فى ١٩٨١ إلى ٩,٨ بلايين فى ١٩٨٦ ) . وقد بدأت الزيادة الكبيرة فى الديون العسكرية فى ١٩٧٩ ، مع بداية الاقتراض لأغراض عسكرية من الولايات المتحدة فى أعقاب اتفاقية « السلام » ، بقرض قدره ١,٥ بليون دولار . ثم تزايد الاقراض العسكرى باطراد حتى بلغت

ديوننا العسكرية للولايات المتحدة ٤,٥ بليون دولار فى مطلع ١٩٨٥ ، حينما اصبحت المعونات العسكرية الأمريكية منذ ذلك الوقت منحا لاترد . ولكن ما كان قد تم اقتراضه اقترن بشروط بالغة القسوة استمرت في ارهاق كاهل ميزان المدفوعات المصرى ولاتزال . فقد بلغ سعر الفائدة الذى قدمت هذه القروض العسكرية بمقتضاه ١٢٪ فى المتوسط ، الأمر الذى كلف ميزان المدفوعات فى ١٩٨٢/٨١ ، كفوائد على الديون العسكرية وحدها ، ١٧٣ مليون دولار ، ارتفعت الى ٤٦٣ مليون فى ١٩٨٥/٨٤ أو مايمثل ١٣٪ من اجمالى خدمة الديون الخارجية فى تلك السنة ، ويتوقع أن تصل خدمة هذه الديون العسكرية الى قمتها فى ١٩٩٤ ، حين تبلغ ٧٠٠ مليون دولار . اقترنت هذه القروض العسكرية أيضا بعقوبات على التأخير في سدادها تتمثل فى اضافة أربع نقاط مئوية الى سعر الفائدة المتفق عليه ( فيصبح سعر الفائدة ١٦٪ بدلا من ١٢٪ ) على كل مبلغ يتأخر سداده لمدة ستين يوما أو أكثر . وقد بدأت مصر بالفعل فى التأخر فى سداد هذه الديون فى ١٩٨٤ ، ثم لم تستطع أن تدفع فى السنة التالية أكثر من ٣٨٪ من المستحق دفعه منها . وقد قدر بنك التمويل الفيديرالى ( الأمريكى ) حجم المتأخرات من هذه الديون فى يولية ١٩٨٦ بمبلغ ٥٢٧ مليون دولار .(١١)

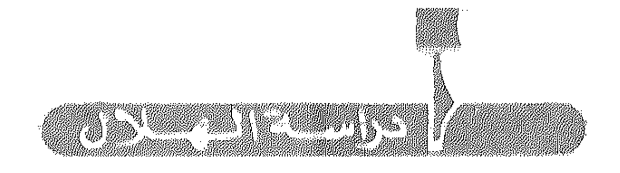
● هيكل المديونية فى منتصف ١٩٨٦

يهمنا هنا أن نبين ما آل اليه هيكل المديونية الخارجية لمصر فى منتصف ١٩٨٦ ، وما اتسم به من اختلال واضح لصالح الكتلة الغربية ، بعد أن كان هذا الهيكل يتسم بدرجة عالية من التوازن بين الكتلتين فى ١٩٧٠ . ففى أخر يونيو ١٩٨٦ كان التوزيع النسبى لاجمالى قروض مصر العامة المدنية ، الطويلة والمتوسطة والقصيرة الأجل ( ٣٠ بليون دولار ) على النحو التالى : ٢٥٪ للولايات المتحدة ، ٣٣.٣٪ لبقية الدول الغربية واليابان واستراليا ، ٩.٥ لمجموعة البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، ٢١٪ لدول ومؤسسات عربية ، ٣٪ للكتلة الشرقية (١٢) وهكذا اقترن التحول فى السياسة الاقتصادية والخارجية لمصر منذ بداية السبعينيات بارتفاع نصيب الدول والمؤسسات الغربية والمنظمات الدولية السائرة فى ركابها من ٤٦٪ من ديون مصر المدنية فى نهاية ١٩٧١ الى ٦٨٪ فى منتصف ١٩٨٦ ، وارتفع نصيب البلاد العربية من نحو ١١٪ الى ٢١٪ ، بينما انخفض نصيب الكتلة الشرقية من ٤٢٪ إلى ٣٪ خلال نفس الفترة .

---

هوامش الدراسة

١ ـ اعتمدنا في الوصول الى هذه التقديرات على عدة مصادر منها : تقرير غير منشور لصندوق النقد الدولى بعنوان :



Arab republic of Egypt : recent Economic developments june 19,1984.

ورمزى زكى : بحوث فى ديون مصر الخارجية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٤٠٧

Middle East Economic Survey , March, 30, 1987 :

وكذلك : Butter, D : Debt and Egypt's Financial policies,

وهو بحث مقدم لندوة عقدت فى كلية الدراسات الشرقية بجامعة لندن فى ١٨/٥/١٩٨٧ تحت عنوان :

Politics and the Economy in Egypt Under Mubarak..

٢ - وزارة التخطيط : الاطار العام التفصيلى للخطة الخمسية ( ٨٢/٨٣ - ٨٦/١٩٨٧ )

الجزء الأول ص ١٦٣ - ١٦٥ .

٣ - انظر مقال Butter الذى سبقت الاشارة اليه ، ص ٢ ، وتقريرى السفارة الأمريكية بالقاهرة عن الاقتصاد المصرى ، بعنوان :

Economic Trends Reprt

فى يونيه وديسمبر ١٩٨٦ .

٤ - تقرير السفارة الامريكية عن الاقتصاد المصرى ، ديسمبر ١٩٨٦ ، ص ٢٤ , ٢٥

٥ - انظر حديث الدكتور كمال الجنزورى لمجلة المصور ( ٣/٧/١٩٨٧ ) ص ٢٢

٦ - وزارة التخطيط المرجع السابق ، ص ١٥ ، ١٩ ، - ٢٠ ، ٢٦

٧ - حسبت هذه النسبة من الأرقام الواردة فى : البنك الأهلى المصرى : النشرة الاقتصادية العدد (١) ١٩٨٥ ، ص ٧٥

٨ - وزارة التخطيط ، المرجع السابق ، ص ٢٨

٩ - مجلة المصور ، العدد سالف الذكر ، ص ٢٠

١٠ - الجهاز المركزى للمحاسبات : تقرير عن المديونية الخارجية لمصر فى ٣٠/٦/١٩٨٤ والسياسات المؤثرة عليها ، (بدون تاريخ ) غير منشور ص ٧

١١ - من مذكرة امريكية رسمية غير منشورة

١٢ - حسبت من بحث Butter الذى سبقت الاشارة اليه ، ص ٢

# ابتسامات

● وفاق عائلي

نظر الرجل الى زوجته ، حين واجهته بمعطف جـديدمن الفرو ،قال لها انني رجل عاقل ولن اسمح بأن يهدد شيء كهذا وفاقنا العائلي وسعادتنا فاعيديه الى المتجر فورا ‥ !!

● العكس صحيح

التقى رجلان في حفل كوكتيل في باريس ، واثناء الحديث، قال احدهما للآخر : انظر الى هاتين الســيدتين الشقراء والسمراء ، ان واحدة منهما هي زوجتي والاخـرى الشــقراء وعلى الفور قال له الثاني : غريب بالنســبة لي العكس هو الصحيح ! ٠

● فترة حداد

عرف عن الايطالية الشقراء « كلوديا » انها كانت تحب زوجها الى درجة الجنون ، ومع ذلك شوهدت بعد ان توفي زوجها باسبوع مع شاب زنجي ٠ وحين سألها احدهم : كيف ولماذا تفعلين ذلك ، اجابت ببساطة وماذا افعل انا لا ازال في فترة الحـداد !!

● تبادل قبلات

سئل النجم الفرنسي موريس شيفالييه عن السبب الذي يجعل الرجال الفرنسيين يتبادلون القبلات على الوجنتين ، فقال : لأننا نحن الفرنسيين نحب ان نجدد معارفنا ، ولهذا قد نقبل رجلا لم نره منذ خمس سنوات ، او فتاة لم نرهامنذ خمس دقائق !!

● شكر

قال مدير الشركة للموظف الذي يعمل عنده : انا اعرف انك لن تستطيع ان تتزوج بالمبلغ الذي اعطيته لك ، ولكنني اعرف انك ستشكرني على ذلك في يوم من الايام !

● صداقة

قال صديق لصديقه : لقد قلت انك ستبقى صديقي للنهاية، اذن اقرضني مائة دينار فرد عليه صديقه : وهكذا نكون قـد وصلنا الى النهاية !!

● مثالية

قال احد الكتاب : عندما كنت شابا قررت الا اتــزوج الا من المرأة المثالية وقد وجدتها بعد اعوام ، ولكنهـا كانت تبحث هي الاخرى عن : رجل مثالي !!




## ● المجمع اللغوى

● جاء في « المعجم الوسيط » الطبعة الاولى – وهى التى بين يدى – عند الحديث عن معانى « الخضراء » ما يلى :

« وخضراء الدمن : يكنى بها عن جميل الظاهر قبيح الباطن، لانها تنبت على المزابل ونحوها ، فتكون حسنة المنظر قبيحة المخبر. وفى الحديث : « اياكم وخضراء الدمن • قيل وماذاك يا رسول الله ؟ فقال : المرأة الحسناء فى منبت السوء » •• والحديث الذى ذكره « المعجم » – فيما أعلم – غير صحيح ، وقيل من بين منا قيل فيه انه ضعيف جدا ، وعلى أحسن الوجوه فقد وصف بأنه ضعيف •فهل يليق بالمجمعيين الاعلام أن يستشهدوا بحديث هذه صفاته ، فى مجال لغوى ، ولا شك أن من بينهم متخصصين ؟! وان كانت هناك وجهة نظر فنحن فى شوق الى معرفتهـــا من حضراتهم ••

**احمد قاسم احمد – قنا**

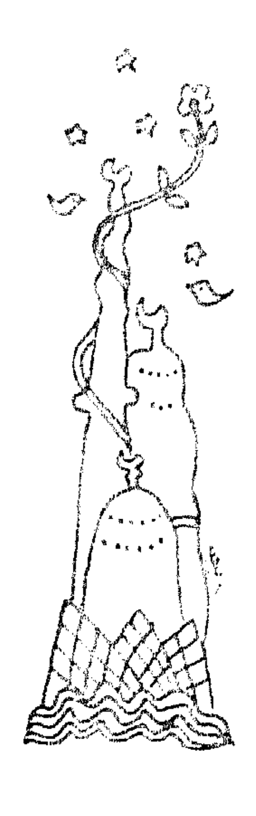
## ● ثلاث رسائل

● جاءتنا الرسائل الثلاث التالية من الشاعر الدكتور احمد عامر الطبيب البيطرى بمدينة شبين القناطر :

١ – قال فى الرسالة الاولى ما يلى :

« نكتب اليكم رائعتنا مزدوجة الثقافية ونسألكم : منذ قامت حرب العبور ، وحتى الان ، هل نشرتم ، أو حتى قرأتم قصيدة على مستوى هذه الرائعة ؟!•• اقرأوا وسيحدوا معنا بحمد الله الذى يهب لمصر هذا العطاء •• يهدينا الله واياكم » •

وقفت على مر العصـــور
تزهـــو المآذن والقبـب
والى السماء امتـــد نور
والازهـــر العـــالى سبب
أهرامنـــا فوق الـــدهور
تعلو بمصــر على السحب
يا جنـــة الضيف الزائر
انت الســـياحة ان رغـب



٢ ـ وقال الدكتور عامر في الرسالة الثانية ما يلي :

« السلام عليكم ، وبعد ·· نحن نكتب اليكم أعلى مستويات عرفها الشعر العربى والحمد لله ··

وهذا العصـــر سادته جيوب
قد انتفخت على أغلى الثياب
فليس الفارس المغـــوار الا
بطينا مال فى الثوب المهـــاب

٣ ـ وقال الدكتور أحمد عامر فى رسالته الثالثة :

« قال عمر بن الخطاب : « صديقى من أهدى الى عيوبى » ·· ونحن من أجل انتمائنا الحقيقى لمصر ·· ومن أجل الاخلاص للشعر العربى ·· وللموهبة الاصيلة التى وهبها لنا الله ·· نرى من واجبنا أن نصارحكم ·· ألستم بتمزيقكم المستمر لروائعنـــا تشاركون فى تكثيف أزمة الشعر المزعومة فى مصر وفى الوطن العربى ·· انكم باجتزائكم القاسى وتبديلكم بعض المفردات اللآلىء الشاعرة ·· وبالنشر الى جوار نماذج مشوهة للناشئين المتعثرين فى زاوية خاصة ·· تحاولون محاولات يائسة للنيل من روعة العمل الكامل وتشويهه فى صورة ناقصة مبتورة لايهام الساحة العربية بافتقار الوطن العربى الى امتياز الابداع ، وانكم ـ يا صبركم الطويل ··!! ـ تشجعون وتحتملون ما لا يحتمله غيركم ··! أيها الاخ الكريم لا نريد لكم ـ معاذ الله ـ أن تكونوا كمن يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ·· فروائعنا التى نزفها اليكم هى بعض من فضل الله ونوره علينا وعلى مصر ·· ونحن جزء من أرض مصر ·· هل يستحق الشاعر الدكتور أحمد عامر وهل تستحق مصر هذا التشويه لقصيدتنا الرائعة « وطنى ؟ ·· » ؟؟ ·· وهـــل لا ترى مجلة « الهلال » حتى الان أن من حق الشـــاعر الدكتور أحمد عامر على سلطات التحرير بها أن يزينوا بأعمـــاله صدر مجلتهم ·· عفوا أقصد مجلتنا جميعا ·· ومجلة مصر ·· ومجلة العروبة ·· أيهـــا الاخ الكريم نأمل أن تكونوا قـــد ارتكبتم مـــا ارتكبتموه دون قصد ·· وأن تنتبهوا فيما بعد فنحن جميعـــا فى سفينة واحدة ·· كما نأمل أن تصلحوا ما ارتكبتموه فى حق مصر وفى حق قصيدتنا « وطنى » وأن تزينوا بها صدر الهلال ·· وتبقى أنت يا وطنى ·· منارا فوق خارطتى ·· وبعد : نتشرف بأن نزف اليكم فى الصفحة التالية احدى روائع الحزن العربى وهى رائعتنا مزدوجة القافية : « يا ليل لا تحزن ·· » · وهل نشرت مجلة الهلال قصيدة أجمل من قصيدتنا هذه ؟؟

ـ أيها الاخ الكريم : « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما مـــا ينفع الناس فيمكث فى الارض » ··

قدر علينا أن نسير على الجـــراح ·
قدر علينـــا أن نســـير ونبتسم




الطائر المشتاق مكتوف الجنـــاح
يمشى عــلى قلب ينوء بمــا كتم
تلهو به ويحــزنه هــوج الرياح
يا غربة العمــر المضــاع بهجرهم
مالوا عن الشدو الجميل الى الصياح
يا طائر الاخــلاص يا حلو النغم
الشاعر الدكتور احمـد
مصر .العربية

● تعليق

ـ نشرنا رسائل الدكتور احمد عامر الثلاث ، وهى بعض رسائله الكثيرة فى هذه المعانى التى تلح على الدكتور من انه اشعر شعراء مصر والعرب ، واننا نضطهد قصائده الرائعة التى يعجز الشعراء جميعا عن الاتيان بمثلها · وقد صبرنا كثيرا على الدكتور ، ولابد أن نصارحه بكل حنان ونحن نربت على كتفيه فى مودة خالصة بانه مجرد شاعر من الشعراء الذين يوجد مثلهم فى كل مكان ، ولا يعيبه أن يكون شاعرا عاديا ، بل شاعرا عــاديا جدا ، أو حتى أقل من ذلك فى طبقات الشعراء ، ولكن يعيبـه كثيرا هذا الزهو بنفسه وشعره الى الحد الذى يخرجه من الثقة بنفسه ، الى الغرور الشديد الذى يحجب عنه حقائق الاشياء ،

واولها انه لا يرســل الينا روائع واننا لا نعبث باللؤلؤ الذى يرسله الينا ، بل نرى هذا اللؤلؤ فى حاجة الى تهذيب فنغير أو نبدل فيه ليكون أجمل فى عيون القراء ، فياعزيزنا الدكتور احمد عامر ·· لقد تقبلنا كلماتك ونصائحك كلها ، فحاول انت أيضا أن تتقبل نصيحة واحدة منا ، وهى : اقتصد فى قول الشعر ، وبدلا من أن ترسل الينا كل شهر أربع قصائد أو أكثر ، ارسل قصيدة واحدة ذات مستوى أعلى مما ترسله الينا ، واكتب بجوار إسمك اسم البلدة التى تعيش فيها لا اسم مصر كلها ·

● خاطرة

فى هداة الليــل بين الفجر والسحر
والفكر يجرى كسيل فوق منحـــدر
وحدى تذكرت انسام الهــوى فسرت
لحنا شذيا يناغى هـــائم البصر
حتى اذا طارت الاحــلام والتامت
ستائر الروح ·· فاض القلب بالعبر

ياسيد الحسن ان كان الغـــرام لظى
يشوى المحبين··لا رحماك فى قدرى

عبد الرحيم الماسخ
سوهاج

## قصيدة قصيرة جدا للاسماء والبحـــر

● كنت أقف وبعض الاشخاص الذين لا أعرفهم فوق جسر عال امام منحدر ترابى يؤدى الى مدخل المدينة ، على يمين المنحدر بحر واسع عميق أزرق مليء بالمراكب والسفن يمتد ضبابا حتى الافق ، وعن شمال المنحدر حقول من القمح والنباتات الاليفة ، وخلفى لم تكن صحراء ولا جبال ، كانت غابات وحقول ، تأملنى أحدهم وقال :

ـ أنت ······ !

قلت : نعم أنا هو ··

قال آخر :

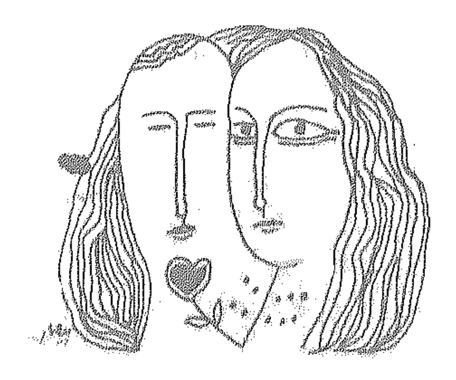
ـ أنت ······ !

قلت : نعم أنا هو ··

صافحنى كلاهما بحرارة ، قلت لهما : لى أصدقاء هنا ، ولم أستطع النطق بأسمائهم ، ابتسم كلاهما وتركانى وحـــدى أتأمل بيوت المدينة ، قلت لنفسى : كيف سأبيت هنا وأى منهما لم يحاول استضافتى ، وقفت فى ظل شجرة شاردا ، بكيت ، فازداد البحر اتساعا ، وفى فمى أسماء من أحببتهم ولم أستطع النطق بأسمائهم ·

سعد الدين حسن

## ● مالا يجوز فى الحب



أحبك لا شك فى أن احب حياتى
ولا شك انك أكبر من كلماتى
ولا شك انك اغنية صعبة الفهم
لا شك انك اصعب من قدراتى
أنا لاأبرر شيئا
ولكننى لا أجيز الكلام عن الحب
حين تكون القضية بينى ···
وبين حياتى ···!

محمد سعد
قصر ثقافة أسيوط




## ● غرور بعض الشبان

● الشعر يولد فى العراق وينمو ويترعرع فى الشام ويموت فى مصر ·· هذه العبارة التى أطلقها الشاعر نزار قبانى مازالت تدوى فى أذن الاجيال الشعرية الجديدة الطالعة كالوردة من بين الاشواك فنحن نحاول جادين أن نمحو هذه العبارة من ذاكرة التاريخ الشعرية تلك العبارة التى تلاحق الشعر العربى فى مصر فى كل منتدى شعرى ·

فلماذا لا تعطوننا فرصة ·· فرصة واحدة فقط كى نشتعل فى البحر الطويل ·· البحر الحرفى ·· بحر الذهب ؟!

ان جيل الثمانينيات ـ فى رأيى ـ هو الجيل الذى سيرفع رأس الشعر العربى فى مصر ·· فنرجو أن تساعدونا على أن نرفع رأسنا ونطبق المثل التركى : كن رأسا ولو رأس بصل ·

**عبد الله المسمطى**
**اداب عين شمس**

## ● تعليق

ـ اما قول نزار قبانى ان الشعر يموت فى مصر ، فهذا من الكلام الذى يلقيه على عواهنه ، ومن الشطحات والتطوحات اللفظية المعروفة عن نزار قبانى الذى هو فى الحقيقة شاعر متوسط الموهبة ، قليل المعانى والالفاظ ، لكنه كثير الضجيج والعجيج ، يركب الموجات ويحسن استخدامها فى ترويج كلامه ·· أما أنت يا سيد عبد الله ومن تسميهم الاجيال الطالعة فاين اشعاركم ، وهل منعناكم فرصة من الفرص ، أم انك وأمثالك ممن لعب الغرور بعقولهم يتصورون ان الدنيا تضطهدهم ، والحقيقة انهم هم الذين يضطهدونها بادعاءاتهم التى لا تنتهى !·

ولا معنى لتقسيمك الشعراء الى جيل الثمانينيات وغيرها فليس لكل عشر سنوات جيل ، والامر كله عجز من بعض الشبان عن الرؤية ، ورغبة عارمة منهم فى أن يكونوا بغير حق راسا ، ولو راس بصل ، كما تقول فى رسالتك !···

● **حنان السعيد ابراهيم مكرم ـ تربية الزقازيق :**
ـ عندك الروح الشاعرية ، لكن تفعيلاتك مازالت تفتقر الى الوزن ··

● **محمود عبد اللطيف فايد ـ الاسكندرية :**
ـ قصيدتكم « أشجان والد » هزت مشاعرنا ، ونهنئكم على حل تلك المسألة العائلية التى نظمتم فيها قصيدتكم هذه ، ونعتذر من عدم النشر لطول القصيدة ··

● **محمود عبد الفتاح ابراهيم ـ طنطا :**
ـ قصتك « شجرة » تدل على استعدادكم لكتابة القصة ·· حاول صقل موهبتك بالدراسة والصبر الطويل ··

● **رفعت محمد بروبى ـ سوهاج :**
ـ قصيدتك « لحن لم يتم » وقصيدتك « أحـــلام العودة » محاولتان طيبتان فى الشعر · ونرجو أن تفوز فى اخر الامر بهدفك فى مجال الشعر ·

● **الرفاعى عبد الحافظ حافظ ـ كليـــة اللغة العربيـــة بالمنصورة :**
ـ لم نفهم هدفك من تعليقك على مقال البابا شنودة المنشور فى هلال أغسطس الماضى ·· فهل تريد أن تشرح لنـــــا أسباب الحروب الصليبية وكيف بدأت ومن الذى دعا اليها من قساوسة أوربا ؟!·· ان كان كذلك فلا جديد ، ولكننا نأخذ عليك غموض التعبير لدرجة يعجز معها القارىء عن فهم ما تريد قوله !·· ان أساس الكتابة هو الايضاح ، واسأل فى ذلك الاديب الكبير الدكتور محمد رجب البيومى عميد الكلية التى تتعلم فيها !··

● **عمرو محمد عبد الحميد ـ ساقلته :**
ـ قصتك « الشارب » تدل على رغبتكم فى كتابة القصة ، فاستمر حتى تجعل من هذه الرغبة عملا أدبيا ذات يوم ··

● **محمود أحمد المصلى ـ شربين دقهلية :**
ـ القصيدة التى أرسلتموها الينا تتحدث باسم رجل لبنانى عن وطنه وما يدور فيه من مآسى الحروب ، وقد توقفنا عن نشرها لاننا لم نفهم علاقتك بهذا الامر ، ونخشى أن تكون القصيدة لشاعر لبنانى ومدسوسة عليك !··

● **ايهاب النجدى ـ جامعة القاهرة :**
ـ لو بينت لنا الكلية التى أنت من طلابها لمكان افضل ، والمهم أن قصيدتك « ضاع العنوان » تختلط فيها التفعيلات الموزونة والاخرى غير الموزونه ··

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقي والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .


دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N


وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال. بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤.

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

| البلد | السعر | العملة | البلد | السعر | العملة |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٨٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |



كتاب الهلال
يقدم:
التاريخ الذي أحمله على ظهري (٣)
الشمال
بقلم: الدكتور سيد عويس
يصدر
٥ نوفمبر
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم:
أماديوس
تأليف: بيتر شافر
ترجمة: شوقي فهيم
تصدر في
١٥ نوفمبر ١٩٨٧


ديسمبر ١٩٨٧ • الثمن ٦٠ قرش
الهلال
مصطفى النحاس
وربع قرن من
تاريخ مصر
الشرقاوي
"الفلاح"
صاحب "الأرض"
أزمة
اليونسكو



# من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن الاسلامى تحمل عنوان "المرأة والحكمة" مأخوذة عن إحدى حكايات الشاهنامة ، ويعود تاريخ رسمها الى القرن السادس عشر . وهى تصور ان المرأة يمكنها ان تستمد حكمتها من استشارة الآخرين . ومن جمال الطبيعة التى حولها ..

وتكشف اللوحة مدى شغف الفنان بتعدد الالوان وتحطيمه للمناظير التشكيلية المتعارف عليها واستخدامه للعديد من الالوان الفضفاضة فى نفس اللوحة ..


# الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جرجى زيدان عام ١٨٩١ - أول ديسمبر ١٩٨٧ - ١٠ ربيع الثانى ١٤٠٨ هـ



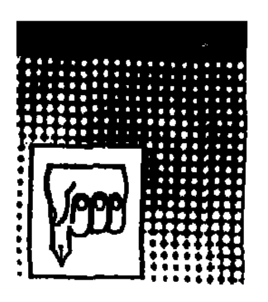
الغلاف : تصميم : الفنان
حلمى التونى

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●



● قضايا ومواقف



عزمى الفارو

# مذكرات مؤرخ الأندلس

الأستاذ محمد عبدالله عنان ـ كان ـ من أعظم حملة الأقلام فى مصر والبلاد العربية فى القرن العشرين ، ولكنه عاش عمره الخصيب المديد فى ظلال التواضع وإنكار الذات ورهبانية العلم ، حتى أوشك بعض المثقفين المصريين والعرب أن يجهلوا عنه أكثر مما يعلمون ، وفوجىء بعضهم بوفاته فى العام الماضى ، فقد كانوا يظنون أنه لحق بالرفيق الأعلى منذ زمن طويل !..

عاش محمد عبد الله عنان ٩٠ عاما .. ولد سنة ١٨٩٦ فى بلدة بشلا بمركز ميت غمر ـ محافظة الدقهلية ـ وتوفى سنة ١٩٨٦ واشتغل بالمحاماة والصحافة والتحق بالوظائف حينا ، وكتب فى الأدب والسياسة والتاريخ ، وترجم قصصا ومقالات عن الفرنسية والانجليزية والألمانية والأسبانية ، وأصدر فى الثامنة والعشرين من عمره أول كتبه التاريخية وهو "تاريخ العرب فى أسبانيا" .. فكان بداية مسيرته الطويلة الرائعة فى شعاب التاريخ العربى الأندلسى ، بعد طموس ـ معالمه ، وضياع أخباره ، وعفاء آثاره !

وكان كتابه هذا الذى بدأ يؤلفه وهو طالب فى الحقوق سنة ١٩١٥ ، يبشر بنجاح عمله الدءوب فى جمع تاريخ الأندلس من مصادره ووثائقه ، وقد استمر هذا العمل سبعين عاما ، طاف الأستاذ عنان خلالها اسبانيا وإيطاليا والبرتغال وفرنسا والمانيا والمغرب ، وبحث فى مكتبات مصر واوربا وأمريكا حتى استكمل موسوعته الأندلسية فى سبعة مجلدات تضم خمسة آلاف صفحة .

وخلال هذا العمل الكبير المتواصل ، أصدر كتبا غير مسبوقة فى مادتها ومنهجها عن الشعب العربى الذى عاش فى الاندلس ثمانمائة سنة .. وتعتبر كتبه الكثيرة الغزيرة هذه ، بجانب موسوعته ، أوثق وأهم ما كتب المؤرخون قديما وحديثا عن الأندلس ، وهى مرجع كل باحث فى التاريخ الأندلسى .

لقد كانت صفة الباحث العالم المحقق هى الصفة الأساسية للأستاذ عنان رحمه الله ، فلم يمد عينيه إلى ما وراء البحث والتحقيق العلمى ، ولم يتطلع إلى منصب أو مال أو جاه ، ولا أقام حول اسمه ما أقامه الكثيرون حول أسمائهم من ضجيج !..

كانت متعته الكبرى هي التجوال في الأندلس . من طليطلة إلى قرطبة إلى شبيليه . وخص غرناطة ـ أخر أرض عربية أندلسية ـ باهتمام خاص ، وعاطفة مشبوبة ، فزار مدنها .. من رندة إلى الجزيرة وبسطة والمرية وطريف وجبل طارق . وسار متأملا فوق ضفاف نهر غرناطة المشهور "شنيل" وصعد فى جبال سييرانفادا ، ووقف بقصور الحمراء ، وقضى الأيام والليالى فى مكتبة الاسكوريال ومكتبات مدريد وبرشلونة وبلنسية وغرناطة . ثم مكتبة الفاتيكان وكاتدرائية سرقسطة . وتعلم اللغة الأسبانية لكى يفهم الوثائق القشتالية "الإسبانية" .. حتى اجتمع له تاريخ الأندلس كله ، من بدايته الظافرة التى شهدت عبور جيوش طارق بن زياد ، إلى نهايته الأسيفة التى شهدها بهو قصر الحمراء الكبير حينما جمع الأمير أو السلطان أبو عبد الله ـ أخر حكام العرب الأندلسيين ـ فقهاء سلطنته وأعيانها ليتبادلوا البكاء والعويل ويرددوا مع السلطان المهزوم هتافهم المأساوى الأخير : "الله أكبر ، ولا راد لقضاء الله" .. ثم يوقعوا صك التسليم الذليل لفرديناند ملك قشتالة ، وزوجته إيزابيلا ملكة أراجون . ليحمله إليهما كبير أمناء الملك ممهوراً بتوقيع السلطان أبى عبد الله !..

وقد تخفف الأستاذ عنان فى أخريات أيامه من التأليف فى التاريخ . وتفرغ لكتابة مذكراته الشخصية . كأنه يكتب لنفسه سيرة ذاتية ، أو تاريخاً خاصا يشمل قصة حياته وكفاحه العلمى والأدبى من البداية إلى أخر المطاف ..

وأوصى ـ رحمه الله ـ بتسليم هذه المذكرات إلى "كتاب الهلال" لإصدارها ضمن سلسلته . وقد رحبنا بها بحرارة ، وقررنا إصدارها فى كتاب الهلال فى يناير القادم إن شاء الله ..

وينشر "الهلال" من هذه المذكرات مقالتين ، إحداهما فى هذا العدد الذى بين يديك ، والأخرى فى العدد القادم .

إن محمد عبد الله عنان الذى عاش مستقل الفكر ، ميالا إلى المذاهب الأحرارية بعد أن مال فى شبابه بعض الوقت إلى الاشتراكية ، قد اصطدم استقلاله الفكرى بثورة ٢٣ يوليو المصرية العربية ، فاشتد ، أو اشتط فى الحديث عنها فى مذكراته ، على أنه أنجز أعظم مؤلفاته فى عهدها ، ولم تتداخل فى عمله ولم تعرقله ، ولكنها أيضا لم تساعده ، ولعل السبب أنه كان دائما منطويا منزويا منهمكا فى عمله بعيدا عن الناس ..

ولا ينقص من مذكرات الأستاذ عنان وأهميتها الكبيرة ، ما يتخللها من المناقشة الحادة لثورة ٢٣ يوليو ، فإن عصرنا هو عصر المناقشات الصريحة الساخنة لكل ما صنعه أهل اليسار وما صنعه أهل اليمين فى كل مكان فى العالم .

وياعزيزى القارىء .. إننا ندعوك إلى اللقاء مع هذا المؤرخ العظيم فى مذكرات حياته ، من خلال ما ينشره الهلال . ثم فى كتابه كاملا فى يناير القادم ان شاء الله ..



## عبد الله عنان في مذكراته :

# كيف يعمل الصحفي المستقل في صحيفة حزبية ؟ كيف أفقدت البلشفية روسيا امتيازاتها في مصر ؟

بقلم : محمد عبد الله عنان

يقدم الهلال ، هذا الجزء من تاريخ الثقافة والصحافة ودور النشر والمنتديات الأدبية فى مصر فى مطلع هذا القرن ، يكتبها المؤرخ الكبير الاستاذ عبدالله عنان ، وهى صورة قلمية من تجربته الشخصية ، يرصد خلالها بداية قيام الأحزاب السياسية فى مصر وصدور صحفها الخاصة ، والتى تنشر لأول مرة .

وينقل تجربته ككاتب عمل فى جريدة يصدرها حزب لاينتمى اليه



عبدالله عنان

فى سنة ١٩٢٤ كان اتصالى بجريدة « السياسة » ، وكانت تصدر يومئذ باعتبارها لسان حال حزب الأحـرار الدستوريين . وكان صدورها قبل ذلك بعامين حادثا مدويا في عالم الصحافة المصرية ، وذلك لما احتشد فى تحريرها من أكابر كتاب العصر ، ولما كانت تبتكره من أبواب جديدة فى الفن الصحفى . وكان رئيس تحريرها يومئذ المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ، وقد لبث فى هذه الرياسة أعواما طوالا ، حتى تطورت الأحوال السياسية واحتجبت السياسة . وكان يعاونه فى تحريرها يومئذ رهط من أعلام الكتاب والصحفيين ، أمثال الدكتور طه حسين ، والأستاذ توفيق دياب . والأستاذ محمود عزمى بعد ذلك بقليل . والأستاذ عبدالحميد حمدى . وغيرهم . ويشترك فى تحريرها من الخارج أصدقاء أعلام مثل المرحومين الشيخ مصطفى عبدالرازق ، وأخيه على عبدالرازق ، والشيخ عبد العزيز البشرى ، والدكتور محمد ولى ، والدكتور محمد صبرى السوربونى ، والأستاذ المازنى ، وغيرهم . وقد كان من حظى أن ألتحق بهذا الحشد اللامع من رجال الفكر والقلم ، وذلك فى ظروف لم تكن تخطر ببالى . وكان الفضل فى ذلك يرجع الى صديقى وبلديّ ، المرحوم الدكتور سيد بك شكرى ، وكان يومئذ مديرا لمستشفى زفتى الأميرى ، وكان يسكن في الضفة الأخرى بميت غمر ، وكنا نجتمع كل مساء مع عدد مختار من الأصدقاء ، من محامين وأطباء ورجال أعمال ، وموظفين في مقهى ميت غمر الكبير الفاخر المسمى بمقهى « بابا » ، وأحب بهذه المناسبة أن أنوه بما كانت عليه مدينة ميت غمر من الجمال ، وروعة موقعها وكورنيشها على النيل ، مقابل قرينتها مدينة زفتى ، وبفخامة صروحها ومبانيها ومنتدياتها ، وجمال تخطيطها ونظافتها . وقد كان ذلك يرجع أولا الى غنى ميت غمر ورخائها ، وكثرة رجال المال والأعمال من أعيانها ، وثانيا الى أنه كانت بها جالية يونانية كبيرة نشيطة ، أنشأت بها كثيرا من المحال والمنتديات الجميلة من مقاه ومطاعم وفنادق ، ومنها مقهى بابا الفخم الكبير . وكنت أقول دائما ان بلدتى ميت غمر هى أجمل مراكز القطر المصرى ، وان مدينة المنصورة بندر مديرتى الدقهلية ، هى أجمل بنادر القطر المصرى

وقد كان جمال المنصورة فى ذلك العهد يرجع الى وجود المحاكم المختلطة بها ، وهى تضم جالية اجنبية مختارة من القضاة والمحامين والموظفين القضائيين ، هذا الى جالية أخرى يونانية كبيرة نشطة على منوال جالية ميت غمر ، ثم الى وجود عدد كبير من البيوتات العريقة والارستقراطية ، ولكن من شديد الأسف أن تغيرت الظروف ، وتطورت الأحوال فى معظم المدن المصرية فى العهد الأخير ، وفقدت كثيرا من جمالها السابق وفخامتها القديمة . وذلك لاختلاف موازينها الاجتماعية ، نتيجة ما وقع من تغييرات طبقية مفتعلة بقوة التشريع ، وكانت خسارة المنصورة وميت غمر فى ذلك كبيرة ، أولا ، لانتهاء عهد المحاكم المختلطة ، ونزوح الجاليات الأجنبية عنها نظرا لما وقع من مطاردتها دون تفريق بين العناصر النشطة الشريفة ، والعناصر السيئة ، وثالثا لسوء الأحوال الاقتصادية ، وزحف الفقر الى معظم الطبقات ، وانخفاض المعايير ، والتدهور الأدبى والمعنوى الذى أصاب المجتمع المصرىفى العهد الأخير .

---

• صداقة العمر

---

وأعود بعد ذلك الى موضوعى الأصلى ، وهو اتصالى بجريدة السياسة ، وفضل صديقى المرحوم الدكتور سيد بك شكرى فى عقد هذا الاتصال . وكانت تربط الدكتور صداقة متينة العرى بالمرحوم الدكتور حافظ عفيفى ( باشا ) زميله فى الدراسة بمصر وأوربا ، وكان يومئذ من اقطاب الأحرار الدستوريين ، ويتولى ادارة جريدة السياسة العليا . وكانت السياسة تصدر يومئذ عن دارها الأولى فى شارع المبتديان ، فقدمنى اليه الدكتور شكرى ، وأطنب فيما كنت أتمتع به من معارف ومزايا لغوية وتحريرية . ووافق الدكتور عفيفى فى الحال على أن يضمنى الى تحرير السياسة . وكان ذلك فى أواسط سنة ١٩٢٤ . وكانت هذه الصلة الأولى بينى وبين الدكتور عفيفى ، بداية لما أصبح فيما بعد صداقة العمر بينى وبينه . وسرعان ما شعرت بما تنطوى عليه هذه الشخصية المصرية الفذة ـ شخصية حافظ عفيفى ـ من صفات ممتازة ، واخلاق رفيعة ، ومواهب أدبية وفنية لامعة .

**وكان الدكتور هيكل قد عهد الى بان اقوم بتحرير عمود الصفحة الأولى من السياسة الذى يحمل عنوان « اخبار خارجية » . وكانت تربطنى به الصفة المهنية ، صفة المحامى ، وكان قد اشتغل بالمحاماة وقتا ثم اعتزلها ، ثم ظهر بمقالاته التى كانت تنشرها جريدة الاهرام حول الأحداث المصرية ، والتطورات السياسية التى كانت تتوالى فى ذلك الوقت** . وكنت أشعر ان هذه الرابطة الأدبية مما يقوى صلاتنا الصحفية . هذا الى ما كان يمتاز به الدكتور هيكل من رقة وادب جم ، وحديث ممتع ومعارف واسعة . وكان صدور جريدة « السياسة » فى نوفمبر سنة ١٩٢٢ ، حادثا صحفيا عظيما ، لا لأنها كانت فقط لسانا لحزب قوى يضم طائفة من اقطاب السياسة المصرية ، ولكن لانها كانت بالأخص منذ صدورها ، حسبما اسلفنا مسرحا لاقلام جمهرة من أعلام الكتاب

والصحفيين ، الذين كان لهم أثر كبير فى سير النهضة الأدبية والصحفية .. وكانت فضلا عن كونها صحيفة رأى ، وصحيفة كفاح حزبى ، فتحا جديدا فى الفن الصحفى ذاته . وقد اشتهرت بصحفها الأدبية والعلمية والفنية والاقتصادية والزراعية التى كان يحررها أكابر الاخصائيين ، كما أشتهرت بمقالاتها السياسية ، القوية وأسلوبها الأدبى الرفيع . وكان لمقالها السياسى الرئيسى . « حديث اليوم » ، وهو الذى كان يحرره على الأغلب الدكتور هيكل دائما وقع ملحوظ فى الدوائر السياسية ، نظرا لصفته الحزبية ، ولما كان يمتاز به من قوة الحجة وبلاغة الأسلوب وكان من وراء السياسة بعض أقطاب الحزب الممتازين يوجهونها ويغذونها بآرائهم ومعلوماتهم .

وكان فى مقدمة هؤلاء الدكتور حافظ عفيفى بك ، فقد كان له أعظم أثر فى توجيه جريدة السياسة ، وتنسيقها واختيار موضوعاتها ، وتزويدها بكثير من الآراء والمعلومات القيمة . واشتهرت السياسة أيضا بمحاضرها البرلمانية الشهيرة التى كان يحررها الأستاذ محمود عزمى أيام وزارة سعد باشا ، والتى كان من أثر تصويرها اللاذع أن منعت السياسة من شهود جلسات البرلمان . وفى وزارة سعد باشا أيضا صودرت السياسة وأغلقت مطبعتها أياما وقدم رئيس تحريرها وصاحب امتيازها الى محكمة الجنايات فى يونية سنة ١٩٢٤ لحملتها على البرلمان الوفدى فى مقالات رنانة عنوانها « حزب الستمائة » . ولكن حكم القضاء بالافراج عن مطبعتها ، قضى على رئيس تحريرها بالغرامة . واستأنفت السياسة صدورها أشد ما تكون عزما على النضال . وبلغت يومئذ ذروة الانتشار ، اذ كانت تطبع نحو أربعين ألف نسخة ، وهو رقم لم تبلغه أية جريدة مصرية أخرى من قبل .

---

[illegible]

---

وهكذا بدأت عملى فى السياسة بتحرير باب « الأخبار الخارجية » ، وكنت أستعين على تحريره بقراءة الصحف الانجليزية والفرنسية ، واختيار ما أستطيع منها من النبذ الاخبارية الطريفة . وكان الدكتور عفيفى من جانبه يقدم الىّ من آن لآخر ، بعض اعداد من الصحف الفرنسية التى قرأها ، ووقع فيها على بعض الأخبار والنبذ الشائقة ولاسيما جريدتى « الجورنال » و « الكوتيديان » . وكان هذا التعاون بيننا يقوى ويتوثق مع الزمن ، ولم يمض وقت طويل حتى بدأت أنشر فى صحف السياسة الخاصة ( الثانية أو الثالثة ) بعض البحوث التاريخية مما كنت قد أعددته من قبل ، أو وقع اختيارى عليه ، وأذكر من ذلك فصلا عن « العقاب والتعذيب فى العصور الوسطى » وبحثا عن ابن خلدون عنوانه « ابن خلدون مؤرخ الحضارة فى القرن الرابع عشر » بقلم المستشرق « فون فيسندنك » ترجمته عن مجلة « دويتشه روتشاود » الألمانية ، وغيرهما . وهكذا ألفيت الميدان امامى فسيحا للتحرير والنشر ، فى جريدة محترمة ، وفى وسط رفيع من أكابر كتاب العصر ، والى جانب نخبة من رجالات مصر ، الذين كانت تحفل بهم دار السياسة باستمرار . وأود أن أنوه هنا

عبدالله عنان في مذكراته :

بحقيقة بارزة ، هى أننى بالرغم من مساهمتى فى تحرير جريدة السياسة ، لسان حزب الأحرار الدستوريين واتصالى بكثير من أقطاب هذا الحزب ، فانه لم يخطر ببالى مطلقا ، أن أتجه الى هذه الناحية الحزبية ، أو أتسم بها بأية حال . بل ولقد حرصت أشد الحرص على ألآ أغمس قلمى فى أى موضوع سياسى محلى أو حزبى ، لأننى كنت ألتزم أشد الالتزام بصفتى المصرية ، ولا أبغى نزوعا عنها لأية ناحية حزبية . ولقد كان المشرفون على تحرير السياسة ، وفى مقدمتهم الدكتور هيكل ، والدكتور حافظ عفيفى ، يشعرون منى بهذا الالتزام ، وهذا العزوف المطلق عن الاتجاهات الحزبية ، ويحترمون عزلتى وشعورى ، ويوقنون أنى أدين بمبدأ مخلص لا تشوبه أية شائبة ، ولقد كنت حينما توالت بى الأعوام فى تحرير السياسة ، وأضحى من واجبى أن أساهم فى تحرير افتتاحيات الجريدة ، التزم الكتابة فى السياسة الدولية ، أو الشئون الدستورية ، وشئون الامتيازات الأجنبية ، والقضاء المختلط وكان لى بالأخص فى شئون الامتيازات الأجنبية والقضاء المختلط حملات شديدة ، كان لها تأثيرها العملى . وأذكر من ذلك أننى عقب وفاة المسيو ستولوف القاضى الروسى بالمحكمة المختلطة ( سنة ١٩٢٧ ) ، ومحاولة اختيار قاض أجنبى مكانه ، اننى نشرت فى السياسة مقالا شديد اللهجة ، بينت فيه أن روسيا السوفييتية ، لم تعد لها أى امتيازات أجنبية ، وان مصر لم تعترف بها ، وان مكان القاضى المتوفى يجب أن يخرج عن سلطان القضاء المختلط ، الى نطاق السيادة المصرية وانه من حق مصر أن تعين قاضيا مصريا فى هذا المنصب القضائى الذى آل اليها بفقدان روسيا البلشفية لامتيازاتها القديمة ، وقد كان لهذا المقال اثر عميق فى الأوساط القضائية ، وكان من أثره أن تراجعت محكمة الاستئناف المختلطة عن محاولتها ، وعينت الحكومة المصرية قاضيا مصريا مكان القاضى المتوفى ، هو المرحوم الدكتور عبدالسلام ذهنى .

وكان من آثار وجودى فى تحرير السياسة ، أن اتصلت فيمن اتصلت بهم ، بآل عبدالرازق : مصطفى عبدالرازق ، وعلى عبدالرازق ، ومحمود عبدالرازق ، وكان مصطفى وعلى يكتبان فى السياسة من آن لآخر . وكان أخوهما محمود باشا من قادة حزب الأحرار الدستوريين ، بل قائده الأول ، وكنت أتردد من آن لآخر مع الدكتور هيكل على منزل آل عبدالرازق الواقع خلف سراى عابدين ، وسرعان ما ادركت ما كانت عليه هذه الأسرة من العراقة والنبل ، وما كان عليه أولئك الاخوة الثلاثة من رفيع الخلال ، بل استطيع أن أقول إننى لم اشهد بين الأسر المصرية العريقة أسرة تضارع آل عبدالرازق ، فى رقة الخلال ، وفى الكرم ، والأدب ، والتواضع ورحابة الصدر . اذكر انى كنت مع الدكتور هيكل ذات يوم فى حديقة منزل آل عبدالرازق ، وجاء السفرجى يقول : « تفضلوا ، الاكل جاهز » ، فقمت استاذن الدكتور هيكل فى الانصراف ، فقال لى

نى اين ؟ » ، فقلت : انى لم ادع الى الغداء » فقال : « وأنا كذلك لم أدع ، ولكن تقليد أل عبدالرازق ان يشترك دائما فى السفرة من وجد من الأصدقاء والزوار ، اكانوا من المدعويين أم لا » . ولقد توثقت علاقتى على مر الأيام بالأستاذين الكبيرين مصطفى عبدالرازق وعلى عبدالرازق . وكان الأستاذ على فى أواسط العشرينيات يشرف على اصدار مجلة شهرية ، تسمى بمجلة الرابطة الشرقية تعنى بشئون الأمم الاسلامية الشرقية ، فدعانى الى المساهمة فى تحريرها ، فاستجبت مغتبطا ، وكانت تطبع فى مطبعة احمد باشا شفيق الخاصة التى يقوم بطبع « حولياته السياسية » فيها فتعرفت به ، وازدادت هذه الصلة فيما بعد الى أن طلب منى شفيق باشا مساعدته على تنظيم مذكراته . وكان يقيم فى شبرا فى فيللته المطلة على النيل . وكنت فيما بعد أسكن فى شبرا قريبا منه ، فكان هذا القرب مما سهل على تحقيق رغبته فى تنظيم هذه المذكرات المهمة ، التى نشرت فيما بعد تحت عنوان « مذكراتى فى نصف قرن » ، وكان لما ورد فيها دوى شديد فى قصر عابدين ، ودعى شفيق باشا للتحقيق معه فى بعض ما ورد فيها ، وسحبت نسخها من المكتبات . وأذكر بهذه المناسبة أننى التقيت لدى شفيق باشا لأول مرة بالآنسة مى زيادة ، ابنة الصحفى المعروف الأستاذ الياس زيادة ، صاحب جريدة « المحروسة » وكانت يومئذ قد ذاعت شهرتها الأدبية . وكانت فى نحو الخامسة والثلاثين من عمرها فتاة متوسطة القوام تميل الى السمرة ، ولكن السحر كان ينفث من عينيها ومن حركاتها وألفاظها وقد التقيت بها فيما بعد فى احدى حفلات نادى القلم ، ثم توطدت بيننا أواصر مودة أشير اليها فيما بعد .

وهنا أقف قليلا ، لاعطف على ذكر حادثين وقعا وقت أوائل عملى فى السياسة ، وكان لهما أثر عظيم فى حياتى الأدبية . أولهما صدور كتابى « تاريخ العرب فى اسبانيا » ( سنة ١٩٢٤ ) وقد كان مجهودا متواضعا ، ولكنه حسن التنسيق ، غنى المادة ، ويشتمل على موجز فى تاريخ الأندلس منذ الفتح ، حتى عصر الناصر لدين الله ( فى نحو مائتى صفحة ) ، وكنت قد بدأت فى كتابته منذ أيام دراستى فى الحقوق ، وقرأت من أجله عددا من المصادر العربية الجامعة ، وبعض المصادر الأوربية مثل دوزى ولاين بول ، وقد كانت هذه الفاتحة الأولى فى البحوث الأندلسية رغم ضآلتها أساس مجهوداتى الكثيفة الواسعة النطاق فيما بعد ، فى ميدان الدراسات الأندلسية ، ودليلا اتبعته فى تنظيم مراحل التاريخ الأندلسى فى موسوعتى الأندلسية ، التى أشتغلت من أجلها فيما بعد زهاء عشرين عاما فى مدريد والاسكوريال وغرناطة والمغرب وغيرها ، والتى تبلغ سبعة مجلدات كبيرة ، تشغل نحو خمسة آلاف صفحة

والحادث الثانى هو انضمامى الى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التى أسست فى سنة ١٩١٤ ، وكنت قد سمعت عن تنظيمها ونشاطها الأدبى من زميلى المرحوم الأستاذ يوسف الجندى المحامى . وقت عملى بميت غمر ، وكان عضوا بها ، فسعيت الى الالتحاق بها ، وقابلت من أجل

ذلك رئيسها صديقى المرحوم العلامة الكبير الأستاذ أحمد أمين ، وكان يومئذ قاضيا شرعيا بمحكمة السبتية ، وعرضت عليه رغبتى ، فرحب بها ، والتحقت عضوا باللجنة ، وقمت بشراء الأسهم المقررة لعضويتها ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢٣ ، ومازلت عضوا بها حتى كتابة هذه السطور ، وذلك بالرغم مما آلت اليه جهودها من الضعف والاضمحلال ، وما رزئت به من وفاة معظم أعضائها العاملين على التوالى

وقد كانت هذ اللجنة الأدبية الجليلة ، أيام ازدهارها تضم رهطا كبيرا من أعلام رجال التربية والعلماء والكتاب والأدباء والشعراء المعاصرين أذكر منهم على سبيل المثال ، عدا رئيسها الأستاذ أحمد أمين : أحمد لطفى السيد ، أحمد نجيب هاشم ، الدكتور طه حسين ، الدكتور عبدالرازق السنهورى ، الأستاذ أحمد حسن الزيات ، الأستاذ محمد فريد أبو حديد ، الأستاذ اسماعيل القبانى ، الدكتور حسين حسنى ، الأستاذ محمد بدران ، الدكتور أحمد زكى ، الدكتور محمد عوض محمد ، الدكتور عبدالسلام الكردانى ، الأستاذ الدمرداش محمد ، الدكتور سيد باشه ، الأستاذ مختار رسمى ، الأستاذ حسن جلال ، الأستاذ عبدالحميد العبادى ، الدكتور ابراهيم بيومى مدكور ، الأستاذ يوسف الجندى ، الأستاذ صبرى أبو علم ، الأستاذ مرسى قنديل ، الأستاذ رائد رسم ، الاستاذ عوض لطفى ، الدكتور محمود القوصى وغيرهم وغيرهم . وقد لقى معظم هؤلاء الأعضاء الأجلاء ، ربهم تباعا ، ولم يبق من الأعضاء الأحياء العاملين سوى قلة ، فرحم الله من توفى منهم ، ومد الله فى عمر من بقى منهم . وقد لبث أعضاء لجنة التأليف والترجمة ومعظمهم من أكابر رجال التربية دهرا يسهرون على تربية الأجيال المتعاقبة من الشباب ، وكان جلهم من خريجى مدرسة المعلمين العليا ، وقد تولى وزارة التربية والتعليم منهم عدة ، وتولى البعض وزارة الشئون الاجتماعية ، والله يجزيهم خير الجزاء على ما قدموا لوطنهم من جليل الخدمات .

وقد تولت اللجنة نشر بعض كتبى : مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى ، تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، المترجم عن الألمانية ، ولكنى لم أتابع نشر كتبى بها ، لما آنسته من ضعف جهودها فى الطبع والتوزيع .

وقد قامت اللجنة ، خلال حياتها الطويلة ، بنشر عشرات من الكتب العلمية والادبية ، وكتب التراث . وقامت بالأخص بنشر كثير من الكتب الدراسية التى تتعلق بالتعليمين الابتدائى والثانوى من تأليف أعضائها ، وجلهم كما أسلفنا من أعلام رجال التربية . وكان معظمها تقرره وزارة التربية لتلاميذ المدارس ، وكانت أثمان هذه الكتب الدراسية ، تكون موردا من أهم موارد اللجنة المالية .

وكان للجنة أثرها البارز فى سير الحركة العلمية والأدبية في نصف القرن

الماضى ، بما كانت تنشره من الكتب والمجموعات الأدبية والفنية ، وبما كانت تعقده من ندواتها الأدبية . وكانت هذه الندوات تعقد بانتظام فى مساء كل خميس ويجتمع فيها رهط من العلماء والأدباء من أعضاء اللجنة وغيرهم من الزملاء والأصدقاء ، وضيوف مصر من أدباء البلاد العربية ، ويجرى تبادل الأفكار والأحاديث الأدبية من كل لون . واذا كان من حظ الندوة ، أن يحضرها المرحوم الشيخ عبدالعزيز البشرى ، وقد كان صديقا حميما لنا جميعا ، فقد كانت نكاته النادرة الأخاذة ، تبعث فينا جميعا من الضحك والبشر ما ترتاح اليه النفوس وتنتعش القلوب .

---

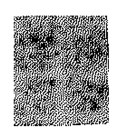
وكانت ندوات اللجنة تشغل فى البداية بالأخبار والمناقشات ، الأدبية ، وكان المرحوم الأستاذ كامل كيلانى يحاول دائما أن يجعل من ابن الرومى وأخباره وأشعاره موضع النقاش ، ويحاول أن يستغرق فى ذلك معظم الوقت لولا أن كنا نوقفه عند حده .

ويتحفنا المرحوم الأستاذ أحمد الزين بانشاد مالم ينشر من أشعاره ، وفيها الكثير من الجيد والطريف ، ويثير كل منا ما يرد على خاطره من الأخبار والطرائف الأدبية والتاريخية . فلما وقعت «ثورة ٢٣ يوليه» وقام النظام العسكرى الجديد . كانت الأوضاع والأحوال الجديدة ، تشغل حيزا كبيرا من مناقشات الندوة . وكان التفاؤل بالعهد الجديد وأحواله ، يغلب على معظم الأخوان من أعضاء اللجنة ، ولاسيما فى الأعوام الأولى . وكنت وحدى أخالف هذه النزعة ، وأبدى تشاؤمى وتخوفى من تطور الأحوال الجديدة والأخوان جميعا يقابلون تشاؤمى بالاعتراض واللوم . فلما مضت الأعوام ، أخذ معظم الأخوان يغير رأيه ويبدون موافقتهم لموقفى وأرائى ، ويقولون "عنان كان عنده حق فى تشاؤمه» « عنان كان أبعد منا نظرا .. » الخ . ثم أخذت هذه المناقشات السياسية بطبيعتها تتضاءل ، ويعدل عنها لما كانت تثيره عندئذ من حدة المناقشات وعنفها ، وأخذت مناقشات لندوة طابعها الأدبى المعتاد .

وكان للجنة دار خاصة ، وبها مطبعة كبيرة تقوم على طبع كتبها وغيرها من الكتب العلمية ، وكانت تسير بخطوات ناجحة ، لولا ماتوالى فى أواخر عهدها من مشاكل العمال التى أثارتها التشريعات العمالية المفرقة ، والتى ذهبت فى التحيز للعمال والاغداق عليهم الى حدود غير معقولة ، والتى كادت أخيرا أن تشل كل شىء فى نشاط اللجنة ، وتستنزف كل مواردها . ومن ثم فقد اضطرت اللجنة إلى أن تتصرف فى دارها وفى مطبعتها بالبيع البخس ، تخلصا من هذه المشاكل . وهى مازالت تعمل حتى اليوم ، بالرغم من ضعف مواردها على نشر كتبها القديمة ، ونشر القليل من الكتب الجديدة . ويجرى فى اتجاه البقية الباقية من أعضائها الى تصفيتها تصفية نهائية ، والله يعمل مافيه الخير .

# مصطفى النحاس "١٨٨٤ - ١٩٦٥" وربع قرن من تاريخ مصر

بقلم : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى



**ومصر تحتفل بعيد الجهاد ، نطل على إحدى الشخصيات المهمة التى لعبت دورا بارزا فى تاريخ مصر الحديث .**

هو أحد الزعامات الرئيسية فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر - فقد رأس حزب الوفد ، حزب الأغلبية البرلمانية ، طيلة ربع قرن من الزمان امتد فيما بين عامى ١٩٢٧ و ١٩٥٢ تولى خلاله رئاسة الوزارة أربع مرات واقيل فى كل مرة . ولقد ظل طيلة حياته السياسية مخلصا للتوجهات التى سار عليها الحزب منذ أيام سعد زغلول : السعى إلى تحقيق استقلال مصر التام والدفاع عن الديمقراطية فى مواجهة أوتوقراطية القصر ودسائس الإنجليز ودعم الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط . ولكن مشكلة النحاس لدى توليه زعامة الحزب تكمن فى أنه ، رغم إفادته من الشعبية التى أحاطت بالحزب وزعيمه الأول لم تكن له الشخصية الطاغية والمهابة اللتان كانتا من سمات سعد زغلول مما ساعد على الانشقاقات التى حدثت فى صفوف الحزب خلال الأعوام ١٩٣٢ و ١٩٣٧ و ١٩٤٢ ولو أنه كان يعالج هذه الانشقاقات بضم أعضاء جدد .

ولقد وصف السير مايلز لامبسون ( المندوب السامى ثم السفير البريطانى فى مصر ) النحاس عقب أول لقاء جرى بينهما بأنه أغرب شخص فى مصر وما لبث بعد ذلك أن وصفه بأنه عصبى وغير متوازن ويفتقد المقدرة الإدارية والخبرة وبأنه مختال سيىء السلوك وبأنه هزلى كرجل دولة وإن يكن بطلا شعبيا باعتباره مؤيدا متعصبا للزغلولية على طول الخط . ورغم ذلك فقد اشتهر النحاس بطيبة قلبه وبنزاهته ووطنيته التى لا تتزحزح . كما كان خطيبا عاطفيا بليغا له من الصفات ما يجذب إليه الجماهير والأفراد دون مشقة - هذا إلى ورعه واستقامة سلوكه .

وقد انتمى النحاس إلى الطبقة

لوسطى الدنيا التى شكلت الشريحة الأساسية لقواعد حزب الوفد . وبعد أن أتم دراسته الحقوقية التحق بسلك القضاء ومال إلى مبادىء الحزب الوطنى ( حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ) بعض الوقت . وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى كان أحد أعضاء الوفد الذى تشكل للمطالبة باستقلال مصر عن بريطانيا والتوجه من أجل ذلك إلى العاصمة الفرنسية حيث انعقد مؤتمر الصلح ، وبعد رفض بريطانيا السماح لأعضاء الوفد بالسفر وقبضها على سعد زغلول ورفاقه اندلعت ثورة ١٩١٩ التى اشترك فيها النحاس وما لبث أن أصبح من أبرز أنصار سعد وبخاصه فيما يتعلق بتنظيم الطلبة للقيام بالعمل السياسى . وفى عام ١٩٢١ نفى مع سعد إلى سيشل ثم عاد إلى مصر فى عام ١٩٢٣ بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى منح مصر استقلالا مشروطا . وحين أجريت الانتخابات البرلمانية طبقا لدستور ١٩٢٣ رشح النحاس نفسه عن دائرة سمنود ـ مسقط رأسه ـ وفاز فى الانتخابات ثم تولى وزارة المواصلات فى وزارة الشعب التى رأسها سعد زغلول ( يناير ـ نوفمبر ١٩٢٤ ) كما فاز من جديد فى الانتخابات التى أجريت فى عام ١٩٢٦ . ورغم أن حزب الوفد كان يرغب فى أن يمثله النحاس فى الوزارة



● فى اجتماع الوفد المصرى بسراى لطف الله يوليو ١٩٢٨ النحاس باشا .. يلقى خطابا



● النحاس ومكرم عبيد

الائتلافية التى تشكلت فى يونية ١٩٢٦ فإن المندوب السامى البريطانى اعترض على تعيينه ، فانتخب نائبا لرئيس مجلس النواب سعد زغلول الذى اعترض المندوب السامى على تعيينه رئيسا للوزراء على زعم مسئوليته عن مقتل السردار فى عام ١٩٢٤ .

انتخب النحاس بعد وفاة سعد زغلول فى أغسطس ١٩٢٧ زعيما لحزب الوفد بعد أن جرت منافسة بينه وبين فتح الله بركات قريب سعد على الفوز بهذا المنصب . ومن المحتمل أنه كان لمحمود فهمى النقراشى وصفية زغلول - أرملة سعد - دور فى هذا الاختيار : فقد نظم النقراشى تظاهرة أمام المكان الذى جرى فيه الاقتراع وأيد اختيار النحاس ، فى حين أن من المحتمل أن صفية قد انحازت إلى النحاس الذى سمح لها بأن يكون لها رأى فى شئون الحزب وهو مالم يكن فتح الله بركات على استعداد للتسليم به . **وعلى أى حال فقد كان النحاس هو الشخص الثانى فى الوفد بعد سعد زغلول وكان قد اكتسب شهرة بسبب نزاهته ونظافة يده . ورغم انه كان على صلة وثيقة بعدد من أكثر الوفديين تطرفا فليس معنى هذا انه كان العوبة فى ايديهم .**

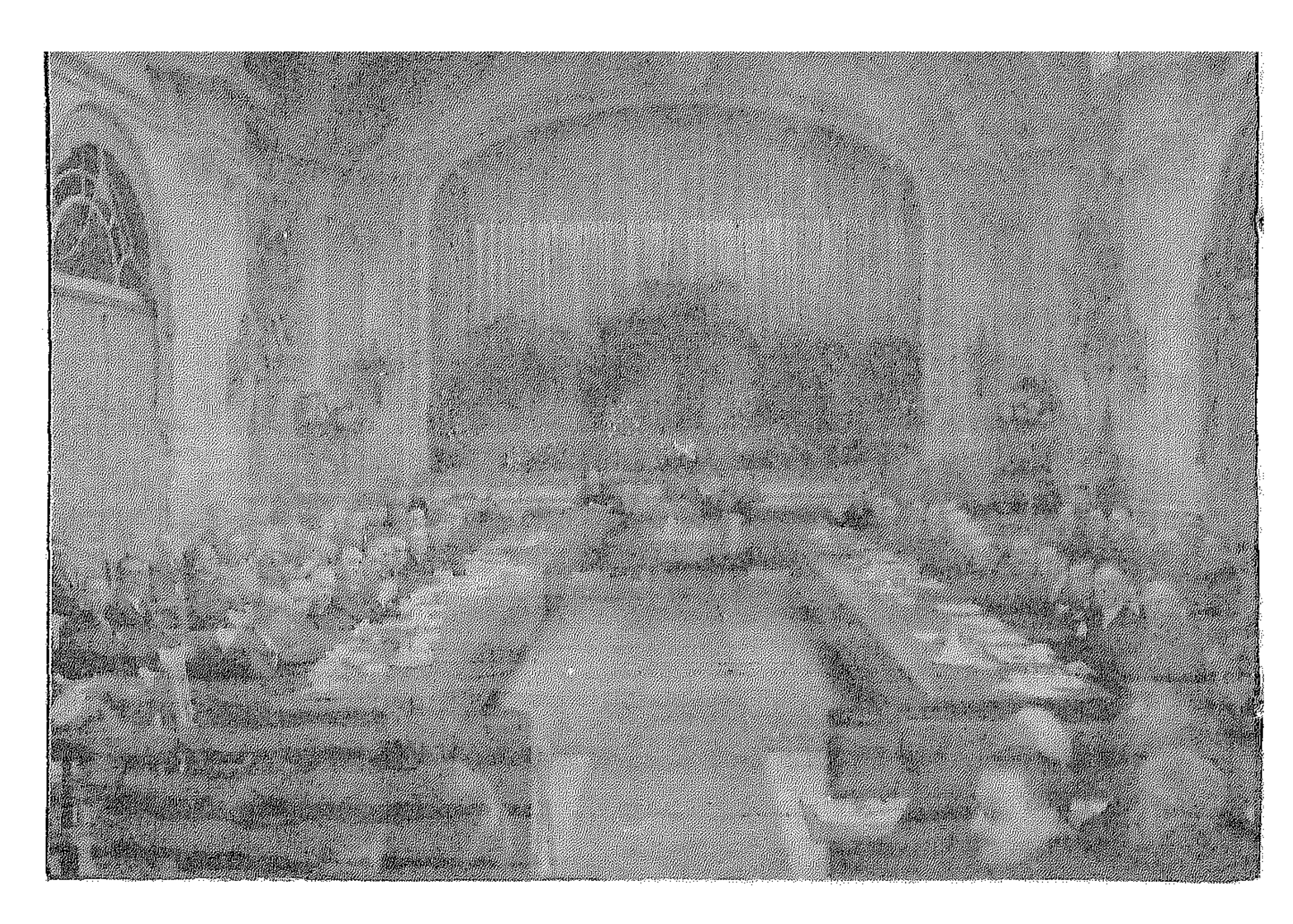
تولى النحاس فى مارس ١٩٢٨ رئاسة الوزارة لفترة قصيرة ما لبث الملك فؤاد أن أقاله بعدها . وخلال حكومة محمد محمود "الحديدية" أمكن للنحاس أن يحافظ على ولاء حزب الوفد برغم مناوأة الجناح المعتدل له . وفى اوائل عام ١٩٣٠ تولى رئاسة الوزارة من جديد واجرى مفاوضات مع الانجليز ما لبثت أن فشلت على صخرة السودان - وحينئذ قال النحاس قولته المشهورة : خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز ! ثم أقيل النحاس للمرة الثانية ليفسح المجال لوزارة إسماعيل صدقى التى ألغت دستور ١٩٢٣ ، وحينئذ اشترك الوفد مع حزب الأحرار الدستوريين فى التصدى لوزارة صدقى بكل الوسائل المتاحة إلى أن اختفى صدقى عن المسرح فى عام ١٩٣٣ ، وحينئذ نشط النحاس وحزبه فى المطالبة بإعادة دستور ١٩٢٣ وهو ما تم فى أواخر عام ١٩٣٥ . وفى العام التالى حصل الوفد على أغلبية كبيرة فى الانتخابات وتراس النحاس الجبهة الوطنية التى ضمت كل الأحزاب وتفاوضت مع بريطانيا حول عقد معاهدة بين الطرفين تنص على الاستقلال وتحدد علاقة مصر ببريطانيا .

---

© معاهدة ٣٦

---

فقد أجريت المفاوضات فى الوقت الذى لاحت فيه بوادر الحرب العالمية الثانية وبرز التهديد الفاشى لحدود مصر الغربية وللسودان بعد اعتداء موسولينى على الحبشة . وبالفعل تم التوقيع على معاهدة ١٩٣٦ التى كرست الاحتلال وسجلت نقطة انتقال حاسمة فى تاريخ مصر : فقد أقنع الزعماء الوفديون الشعب بأنهم حصلوا على "الشرف والاستقلال" مما أدى إلى انحسار المد الوطنى حين توهم المصريون أنهم قد حصلوا على الاستقلال فانصرفوا وصرفتهم الأحزاب إلى الصراع المرتبط بتقلبات الحكم فى حين قنعت السلطات البريطانية بالتدخل



خطاب توقيع المعاهدة ١٩٣٦

من وراء ستار مما أدى إلى احترام النضال السياسى بين الوفد والقصر الذى كان يود أن يملك وأن يحكم .

## حادث ٤ فبراير

ويذكر كيلرن أن النحاس وزملاءه قد أنشغلوا بعد المعاهدة إلى حد كبير بالأحاديث والمناسبات الاجتماعية وأنه كرس الوقت القليل الذى أمكنه قضاءه فى مكتبه لإرضاء مطامع أتباعه الذين عينهم فى كثير من المناصب الرئيسية مما أتاح للملك فاروق فرصة لإقامة الوزارة ، وظل النحاس وحزبه فى صفوف المعارضة حتى اقتراب القوات الألمانية من الاسكندرية فى أوائل عام ١٩٤٢ ، وكانت ايطاليا قد انحازت إلى ألمانيا بعد سقوط فرنسا وسمحت لها بنقل بعض قواتها إلى ليبيا التى كانت حينئذ مستعمرة إيطالية .

وقد أدت هذه التطورات إلى نشوب أزمة سياسية فى مصر كانت من مقدمات حادثة ٤ فبراير الشهيرة . فإزاء الخطر الذى كان يحيط ببريطانيا وامبراطوريتها نتيجة للانتصارات التى أحرزتها ألمانيا منذ نشوب الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ ، **أصرت الدوائر البريطانية على أن يتولى النحاس ـ زعيم الجبهة التى وقعت معاهدة ١٩٣٦ ـ رئاسة الوزارة ، على اعتبار أن بإمكانه أن يواجه القصر ـ الذى كانت له صلة بالقوى الفاشية ـ ويمسك بزمام الحكومة والبرلمان ويرضى الجماهير ويحشدها لتأييد المعاهدة وجهود الحلفاء الحربية .** ولمواجهة الضغط البريطانى الهادف إلى تولى النحاس للحكم على كره من الملك فاروق سعت دوائر القصر إلى تشكيل وزارة ائتلافية يرأسها النحاس

..بى يعلم علم اليقين مدى كره النحاس هذا النوع من الوزارات . وحين رفض النحاس عروض القصر بهذا الصدد حوصر قصر عابدين بالدبابات البريطانية وخير الملك ما بين قبول النحاس رئيسا للوزارة وبين تنازله عن العرش . ورضخ الملك فاروق أمام التهديدات البريطانية فكلف النحاس بتشكيل الوزارة . ولقد أدى قبول النحاس للحكم بهذا الشكل وفى مثل هذه الظروف إلى تعرضه لكثير من الاتهامات . بل لقد اعتبر بعض الضباط هذه الحادثة مساسا بكرامة البلاد وسيادتها مما استتبع ارهاصات التشكيلات السياسية داخل الجيش . ولا يزال تقويم حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ مثارا للجدل حتى الوقت الحاضر : فالمتعاطفون مع الوفد يعتبرون قبول النحاس للحكم فى ذلك الوقت انحيازا للديمقراطية ضد الفاشية وإنقاذا للبلاد من فرض السيطرة البريطانية المباشرة عليها ، فى حين اعتبره خصومه تآمرا على استقلال البلاد واستسلاما للمستعمر .

---

ولكى تأخذ دوائر القصر ثأرها من الإذلال الذى وجه إلى شخص الملك فإنها عملت على استقطاب مكرم عبيد الرجل الثانى فى الوفد أملا فى أن يؤدى ذلك إلى تصدع حزب الأغلبية . وكان مكرم قد انتخب سكرتيرا عاما للوفد فى عام ١٩٢٧ فشغل المكان الذى سبق للنحاس أن شغله . وكان مكرم والنحاس وثيقى الصلة بحيث كان كل منهما يكمل الآخر . فلقد كان مكرم رفيق النحاس ومستشاره الدائم ـ فقد كانا ينتميان إلى جيل واحد ويشتغلان بالمحاماة ، كما اشتركا فى المنفى وفى وجهات النظر بحيث شكلا معا جبهة سياسية قوية . وكان مكرم قد استغل نواحى القصور فى شخصية النحاس لكى يعزز مكانته هو خاصة أنه كان خطيبا بارعا بإمكانه التأثير فى الجماهير ، بالاضافة الى مهارته كمفاوض يجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية إجادته لاصطناع المنطق السياسى الأوربى نتيجة لدراساته فى انجلترا وفرنسا وزياراته لعاصمتيهما فى مهمات سياسية وإعلامية . وفى المقابل كان النحاس بسيطا صريحا وطيب القلب ولم يكن مفاوضا ماهرا بإمكانه التعامل مع العقلية الأوربية . وبمرور الزمن فرض مكرم نفسه على النحاس وأصبح المهندس الحقيقى لقرارات الوفد . وليس معنى هذا أننا نجارى من يذهبون إلى أن مكرم كان يسيطر على النحاس ، إذ لو كان النحاس ضعيف الشخصية لما أحرز ثقة سعد زغلول وتدرج فى سلم حزب الوفد ـ ولو أن هذا التفسير وحده لا يكفى ، إذ أن كثيرا من الشخصيات المتسلطة لا تحتمل وجود شخصيات قوية بجوارها بل تفضل أن يكون حولها إمعات .

وإلى جانب مؤامرات القصر لفصل قطبى الوفد كل منهما عن الآخر دخلت إلى الساحة السيدة زينب الوكيل حرم النحاس التى يقال أن لمكرم يدا فى زواجها . ولما كان فارق السن كبيرا بين زعيم الوفد وزوجته الطموح ( فقد تزوجها قبل يومين

● عقد المفاوضة عام ١٩٤٦ برئاسة صدقي باشا

● النحاس باشا مع جلالة الملك فاروق

من عيد ميلاده الخمسين فى الوقت الذى كان فيه عمرها ٢٣ سنة ) فإنها شاعت أن تستغل فرصة وصول زوجها إلى الحكم لكى تثرى وتثرى أقاربها ـ فقيل انها كانت تتدخل بصورة مباشرة لدى الوزراء لتعيين أو ترقية أقربائها الذين رفض مكرم منحهم لامتيازات والاستثناءات فى أذونات لاستيراد والتصدير فى الوقت الذى أقر يه النحاس ووزراؤه الترقيات الاستثنائية لوفديين الذين بقوا خارج الحكم منذ عام ١٩٣١ بعد أن رفضها مكرم الذى يبدو أنه رر الانفصال عن الوفد وسحب أكبر عدد من الأعضاء معه ، إن لم يكن قد داعبه الأمل فى تولى رئاسة الوزارة بعد أن يزعزع مركز النحاس مستعينا فى خططه بما لمسه من فساد الوزارة ، واعتبر النحاس نشاط مكرم تهديدا لسلطته فى الحزب ، خاصة وقد كان لمكرم اتباع كثيرون خارج وداخل الحزب ، فقد كان يستند إلى تأييد العمال وشباب الحزب . ولما كان يعتقد أن النحاس لا يمكنه الاستغناء عنه ، فقد مضى فى خصومته إلى آخر الشوط مما استتبع طرده من الوزارة فى ٢٦ مايو ١٩٤٢ ثم فصله من الحزب بعد وقت قصير . ثم رفع مكرم شعار "نزاهة الحكم" ضد فساد الوفد والف "الكتاب الأسود" الذى روى فيه أخبار فضائح الاستثناءات والمحسوبية لصالح أقارب النحاس وأقارب وزرائه . ورد النحاس على ذلك بطرد مكرم وأنصاره من عضوية مجلس النواب . وحينئذ أثبت مكرم أن قوة خصومته لا تقل عن قوة صداقته فمضى فى تحديه لصديقه السابق وبخاصة بعد إنشائه جريدة "الكتلة" وحزب "الكتلة الوفدية" وكيله الاتهامات للنحاس وحزبه بصورة تكاد تكون يومية . ولكنه مضى فى خصومته إلى الحد غير المعقول وهو لا يدرى أنه أصبح ألعوبة فى يد القصر . وما لبث أن ندم بعد ذلك وحاول بشتى الطرق أن يسترجع مكانته السابقة ولو أن النحاس لم يصفح عنه ابدا .

وبعد أن خفت القيود المفروضة على مصر نتيجة للحرب العالمية وذلك بعد أن تحولت مجريات الحرب بصفة أكيدة الى جانب الحلفاء وسمح الإنجليز للملك فاروق بإقالة النحاس وذلك فى اكتوبر ١٩٤٤ . وعاد الوفد إلى المعارضة من جديد مصرا فى خلال المفاوضات التى جرت بين مصر وبريطانيا فى أعقاب الحرب على أن يكون هو على رأس المفاوضين ، وحين قدم النقراشى شكوى مصر الى مجلس الأمن فى عام ١٩٤٧ أبرق النحاس إلى المنظمة الدولية ليفيدها بأن النقراشى لا يمثل الشعب المصرى ـ بل لقد قيل فيما بعد إن المفاوضات التى اجراها النحاس من اجل إنشاء الجامعة العربية قبيل إقالته كانت تستهدف سحب البساط من تحت اقدام الملك فاروق الذى كان يتطلع إلى الخلافة وزعامة العالمين العربى والإسلامى .

وسعى فاروق فى تلك الأثناء إلى استبعاد الوفد عن الحكم إلى اجل غير مسمى ، فساند الحكومات الأئتلافية التى شكلتها "احزاب الأقلية" ، بل لقد فكر فى أعقاب هزيمة ١٩٤٨ أن يقيم دكتاتورية

عسكرية يترأسها هو شخصيا بحيث يسهل عليه أن يتوصل إلى عقد اتفاقية مع بريطانيا والدول الغربية الأخرى التى أسلمت قيادتها للولايات المتحدة الأمريكية بالصورة التى ترضى الرأى العام المصرى وتعزز مكانته . ولكن الدوائر البريطانية لم تسلم بخطط الملك وأصرت على أن تجرى المفاوضات فى هذه المرة مع حكومة ذات قاعدة شعبية تستطيع أن تقنع الشعب بما يمكن التوصل إليه . وهكذا جاء الوفد إلى الحكم للمرة الأخيرة فى يناير ١٩٥٠ وسعى دون إبطاء إلى التوصل إلى حل للقضية المصرية مهددا بريطانيا بأنه سيقدم على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ إذا استحال التوصل إلى حل مرض ، وهو ماتم فى ١٥ أكتوبر حين ألغت حكومة الوفد معاهدة ١٩٣٦ من طرف واحد . ولكى تحرج مركز البريطانيين فإنها أمرت العمال المصريين العاملين فى الثكنات البريطانية بترك أعمالهم وسمحت للفدائيين بالنشاط فى المناطق التى تقوم فيها المعسكرات البريطانية . ولما كانت الحكومة البريطانية قد عولت على أن تتخذ موقفا صلبا فإنها واجهت الفدائيين وأمرت قوة البوليس المصرية فى الإسماعيلية بتسليم سلاحها وإلا تعرضت للقصف ( ٢٥ يناير ١٩٥٢ ) . واستشهد كثير من الجنود المصريين الذين أصدرت إليهم الوزارة أوامرها بالصمود إلى آخر طلقة رغم أن أسلحتهم كانت لا تمكنهم من مواجهة القوات البريطانية .

### ● حريق القاهرة

وكان حريق ٢٦ يناير ١٩٥٢ فى القاهرة نتيجة لمجزرة الإسماعيلية ـ وقد استغله الملك فاروق فى الإطاحة بحكومة الوفد للمرة الأخيرة بعد أن حدا بها الارتجال إلى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ دون اتخاذ أى استعدادات لمواجهة الموقف وإصدار الأوامر إلى قوة البوليس العاملة فى الإسماعيلية إلى المقاومة إلى آخر طلقة . فمثل هذه الأعمال الارتجالية لم تكن تستهدف سوى استعادة شعبية حزب الوفد التى تزعزعت منذ علم ١٩٤٢ بوجه خاص نتيجة لما أثاره حادث ٤ فبراير من ردود فعل قوية .

**ودفع النحاس وحزبه ثمن هذا الارتجال ـ فقد كانت أحداث أواخر عام ١٩٥١ وأوائل ١٩٥٢ بداية النهاية بالنسبة إلى "العهد القديم" الذى بدا كأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة . وحين قامت ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ وخلعت الملك فاروق كان النحاس يستشفى فى فرنسا ، فبادر بالعودة إلى القاهرة وهو يمنى النفس**

باستلام الحكم بصفته صاحب الأغلبية النيابية فى البرلمان المعطل منذ حريق القاهرة ، إلا أن "الضباط الأحرار" لم يمكنوه من تحقيق حلمه ، بل قاموا بإلغاء الأحزاب جميعا وإلغاء دستور ١٩٢٣ ، منددين بفساد الحياة النيابية فى البلاد ومعولين على الاستمرار فى تحمل مسئوليات الحكم . وظل النحاس منعزلا عن الحياة العامة ، ولو أنه يسجل له موقفه الوطنى خلال عدوان ١٩٥٦ الثلاثى حين رشحته الدوائر البريطانية لتولى الحكم فى حالة القضاء على النظام الجديد فى مصر . وحين توفى فى أغسطس عام ١٩٦٥ خرجت جماهير القاهرة لتودعه الوداع الأخير برغم القيود التى كانت

فروضة انذاك على التجمعات العامه

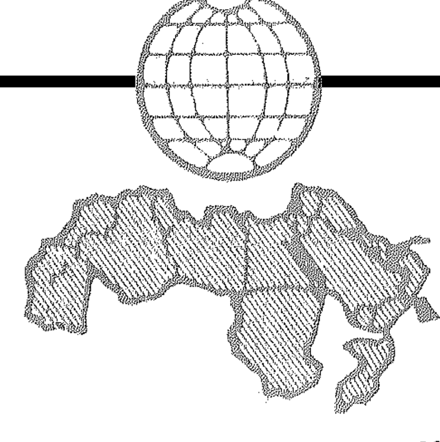
* * *

**وقبل ان نختتم هذا المقال تجدر الإشارة إلى ان النحاس لم يتول الحكم سوى فترات قصيرة برغم نجاح حزبه فى كل انتخابات حرة يخوضها ، مما جعله فى أواخر الخمسينيات أميل إلى مهادنة القصر ولو أن ذلك قد أحدث رد فعل شديد من جانب القوى الصاعدة فى الحزب التى عرفت باسم "شباب الوفد" . على أننا لابد أن نضع نصب أعيننا انه لم يكن من السهل أن تستقيم الحياة النيابية فى مصر وبريطانيا تستبقى قواتها على أراضيها وتنفذ مصالحها بتطبيق سياسة "فرق تسد" .**
فهى طورا مع حزب الأغلبية وطورا إلى جانب القصر ، مما أصاب الحياة السياسية فى مصر بالشلل . ورغم ما سجلناه من مآخذ على النحاس وممارسته للحكم فإنه وفر للبلاد زعامة كان لها وزنها فى سياسة البلاد ، وبالتالى فلابد أن يحتل المكانة اللائقة به فى سجل الزعماء الوطنيين الذين كافحوا فى سبيل الاستقلال والديمقراطية . ولكن ليس معنى ذلك أننا نغض الطرف عن أخطائه - إذ ليس الزعماء معصومين كما أنهم ليسوا فوق مستوى المحاسبة من جانب الكتاب والمؤرخين الذين يتوخون الموضوعية بالإشارة إلى كل من السلبيات والإيجابيات ولا يقبلون بالنظرة الواحدة إلى الأشياء

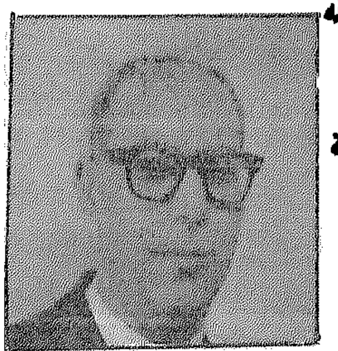


● صورة كاريكاتورية شهيرة رسمها الفنان صاروخان

والأشخاص ، بل يصححون الحد الشامل على الأحداث ومن شاركوا فيها من نظرة مسبقة ناتجة عن الالتزام الضيق . **فالشعوب الناضجة تنتقد زعماءها فى حياتهم وفى مماتهم فى الوقت الذى تسجل فيه مآثرهم وذلك دون انزلاق إلى مستوى عبادة الأصنام وتاليه البشر الذين كتب عليهم الفناء . وسأكرر هذه المقولة حتى يجيء الوقت الذى تعم فيه النظرة الإنسانية والعقلانية أحكامنا التاريخية دون أن نحسب على الكاتب رأيا لا يخالف رأينا او نلتقط له فلتة قلم أو زلة لسان فنبنى عليها مواقف قد لا تستند إلى اساس .**



# أقوال معاصرة



د . لويس عوض

● « الشعب الذى لا يعرف كيف يدافع عن حقه فى التعليم المجانى ، لا يلومن الا نفسه » .

**الدكتور لويس عوض**

● « على الرئيس ريجان الا يتعجل ، فشخصية « رامبو » لا توجد سوى فى الافلام » .

**أورتيجا**
**رئيس نيكاراجوا**

● « الرقابة تعتبر الفن جنحة » !!

**نجيب محفوظ**



نجيب محفوظ

● « اذا سقطنا ، فسنسقط ونحن نحارب » .

**كورلوجوس**
**مستشار الرئيس الامريكى**

● « السينما اهم اختراع فى القرن العشرين لانها الاداة الوحيدة التى تمس العقول والقلوب » .

**الممثلة ليليا جيش**

● الاحتلال هو الاحتلال حتى لو زينوه بوهم العودة التلمودى ( عودة شعب بلا أرض الى ارض بلا شعب ) » .

**الشاعر محمود درويش**



الشاعر محمود درويش

● « العديد من القضايا التى تشغلنا وتفرق بيننا هى فى حقيقتها قضايا غير ذات موضوع » .

**المفكر محمد عابد الجابرى**

● « الشعب يستحق معاملة افضل ، يستحق الحصول على الحقيقة بامانة » .

**روبرت سولو**
**المغنى الامريكى**

## القفز على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

# عن الديمقراطية

**أخشى ما أخشاه على الديموقراطية أن تتحول إلى شعار يلحق بما سبقه من شعارات .**

**ليس مصدر هذا الخوف أني أشك في دلالة الخطوات التي سرناها على طريق الديموقراطية ، وإنما مصدره ـ مرة أخرى ـ سوء معاملتنا للكلمات . فطالما رددنا كلمات مثل «الاشتراكية» ، «الانطلاق العظيم » ، « الطبقات الشعبية » ، « القومية العربية » دون أن نفكر في معناها ، ومن ثم تحولت إلى ما يشبه الهتافات ، كل من أراد السير في الزفة رددها بأعلى صوته ، حتى امتلأت الساحة بالمنافقين .**

تعالوا نفكر قليلا في معنى الديموقراطية ، على الأقل بالنسبة إلى بلد كبلدنا ، فـ « حكم الشعب بالشعب للشعب » ، هذا التعريف الذي أعطاه ابراهام لنكولن للديموقراطية منذ أكثر من مائة سنة ، واسع جدا بحيث يغفل الظروف الخاصة بكل بلد ، مطلق جدا بحيث يحتاج إلى تعيينه بالممارسات العملية .

وفي ظروفنا المحلية والتاريخية ، يمكننا أن نقول إن الديموقراطية تعني نوعا خاصا من العلاقة بين الحكومة والشعب .

هذا التعريف المقترح ـ وهو كما ترى مبهم جدا ولابد له من تخصيص وتوضيح ـ لا يتناقض مع تعريف لنكولن ، وليس من المفروض أن يتنافض ، ما دمنا نقول إن تعريف لنكولن واسع ومطلق . ولكن الجديد في تعريفنا هو أنه يسلم ابتداء بأن الحكومة شيء والشعب شيء آخر ؛ وأظن ان هذا وصف واقعي يصور بأمانة

أساليب الحكم التي عرفناها على مدى تاريخنا البعيد والقريب .

كانت العلاقة بين الحكومة والشعب أشبه بالعلاقة بين الرجل والمرأة في عصر الحريم .

الحكومة – الرجل تملك الشعب ـ المرأة . الشعب المرأة عند قدمى الحكومة الرجل . تطبخ له طعامه وتخيط ثيابه وتغزل وتنسج وتبيع غزلها ونسيجها فى السوق . تشبع شهواته وتستجيب لجميع نزواته ، وان كان ديوثا فهى تبيع جسدها أيضا وهو يقبض الثمن . وعندما يقضى تصرخ . وهم يحملون جثمانه خارجين من الدار : « ياجملى » ، أما إن طفح بها الكيل فهى تدس له السم فى الطعام .

الحمد لله ، تغير هذا الحال . دخلنا فى عصر آخر : عصر الزواج المتكافىء ، ولكننا لا نزال فى أوله .

فى الزواج المتكافىء لا سيد ولا مسود لا قائد ولا مقود . الشعب والحكومة كالساقين للانسان ، يسعى بهما المجتمع فى حركة منسجمة ، تخطو اليمنى مرة وتليها اليسرى ثم اليمنى مرة أخرى وهكذا دواليك أيهما تقود وأيهما تتبع ؟ لا أحد يمكنه أن يقول .

**عندما يصل الشعب والحكومة إلى هذه الدرجة من التوافق ، يمكننا أن نقول ونحن صادقون : الآن بدأ الانطلاق العظيم .**

---

● [illegible]

---

لم يعد عقد الزواج بين الحكومة والشعب عقد اذعان واستيلاء ، او بيع وشراء . أصبح فى مقدور الشعب أن يقول « لا » حين يسأل . نعم إن بعضنا لديه تحفظات على شروط العقد ، أو اعتراضات على بعض الاجراءات ، ولكن المبادىء الاساسية ، والشكل العام للتنفيذ ، معترف بهما لدى كل من يعنيهم الأمر . إنما الباقى ـ والأهم ـ هو كيف تسير الحياة بالزوجين : الشعب والحكومة . ولكى نترك لغة التشبيه الى لغة الواقع ، نقول إن العلاقة المتكافئة بين هذين الطرفين ، ككل علاقة متكافئة ، تقوم على الثقة والاحترام . والثقة والاحترام لايضمنهما العقد القانونى وحده ، بل إن العقد القانونى يمكن أن يصبح حبرا على ورق ، إذا لم تؤكده الممارسة اليومية ، التى لا تلبث أن تصبح أسلوب حياة ، أعم من القانون ، وأخف محملا من القانون ، ولكنه أيضا ـ وياللعجب ! ـ أقوى من القانون ، لأنه يخلو من الثغرات التى يتفنن فى اكتشافها من يحترفون اللعب بالقوانين

لعل أهم ما يدعم الثقة والاحترام بين الشعب والحكومة أن يكاشف كلا الطرفين صاحبه بأفكاره عن الحياة التى يحاولان بناءها معا . ولا شك أننا حققنا هذا الشرط الأساسى بنجاح تغبطنا عليه شعوب كثيرة . بل إننا بلغنا فى المصارحة بالعيوب ـ من الطرفين ـ مبلغا يدل على تمكن الثقة ، وقد يخشى البعض إن تمادينا بلا ضابط من أنفسنا ، أو مراعاة ، «للحساسيات» القديمة ، أن يؤدى الافراط فى المصارحة إلي تكدر العلاقة . ولكننا واثقون أن إصرار الطرفين على أنجاح العلاقة الجديدة سوف يمنع هذا الخطر .

## القفز على الأشواك

على أن المكاشفة لاتعنى حرية لتعبير عن الأفكار فقط ، فالأفكار التى تستحق التعبير عنها هى الأفكار المبنية على وقائع ، لا على أوهام أو تخمينات ، الأفكار المبنية على وقائع هى دليل العمل ، أما الأفكار المبنية على أوهام أو تخمينات فلا تخرج عن أحد أمرين ، أما أن تبقى « أفكارا » لاصلة لها بالعمل ، ثرثرة تستهلك نفسها ، تتبخر فيها الحماسة ويتبلد الذهن وتخمد الارادة ، وإما أن تدفع الى مغامرة طائشة إن نجحت لم تفض إلى نتيجة بعدها ، لأن الباعث مضطرب والهدف غامض . إن الوصول الى المعلومات الدقيقة عن أى شيء تعنى امكان السيطرة عليه بالفكر أولا ثم بالعمل ثانيا . هذه حقيقة تنطبق على الممارسة الديموقراطية كما تنطبق على التجسسين الداخلى والخارجى . والعلاقة واضحة بين الاثنين ، وهى علاقة ضدية . فحيث توجد الديموقراطية يوجد الانتقال الحر للمعلومات بين الأطراف ، ويوجد التعاون بينها لتحقيق هدف مشترك . وحيث تفتقد الديموقراطية يسعى كل طرف لسرقة المعلومات من الطرف الآخر ، كى يستخدمها فى الايقاع به .

لهذا نؤمن بأن العمل السرى سوف يختفى ـ من تلقاء نفسه ـ حين تصبح الديموقراطية ـ بالفعل ـ أسلوب حياة ، ولن تبقى إلا الحلقات التى تعمل فى خدمة قوى أجنبية ( طالما أننا لم نعرف ـ بعد ـ نظاما عالميا « ديموقراطيا » يحكم العلاقات بين الدول والشعوب ) . كذلك نؤمن بأن نجاح المشروعات القومية الكبرى متوقف على تدعيم الديموقراطية كاسلوب حياة .

ولعل هذا الاتجاه موروث عن عهود سابقة كان « الاعلام » فيها مرادفا للدعاية ، وللدعاية شقان : تضخيم وتعتيم ، وكلاهما مناقض لما سميناه الانتقال الحر للمعلومات . ولاشك أن حرية النشر التى تمتعت بها الصحافة فى السنوات الأخيرة الى حد كبير قد سمحت لها بأن تسعى بنفسها ـ ولا تستثنى الصحافة القومية من ذلك ـ للحصول على المعلومات معتمدة على مصادرها الخاصة . ومع ذلك فإن بعض المعلومات البالغة

ولابد من الاعتراف بان حرية انتقال المعلومات لا تزال محدودة . وطبيعى أن ذلك راجع إلى الحكومة ، باعتبار انها هى التى تملك المعلومات ، كما تملك معظم وسائل إذاعتها . نعم ، إن هناك « إعلاما » نشيطا عن طريق الصحافة والاذاعة والتليفزيون ، ولكنه يقتصر غالبا على النواحى الايجابية ، ويغفل الصعوبات والمشكلات ، وهى التى يجب ابرازها لكى يعمل الجميع ـ حكومة وشعبا ـ على تذليلها وحلها .

## الاهمية لا تزال تعتبر سرية

### ● أسرار لاتذاع !

هل هناك ما هو أهم من الميزانية والخطة الخمسية وتقارير المتابعة ؟ إنها لا تنشر أبدا بصورة مفصلة . وحتى الكتاب المتخصصون فى الصحف القومية لايمكنون من الاطلاع عليها . أى أن هذه المعلومات التى يقوم عليها بناء الحاضر

والمستقبل ، والتى يجب أن تشرح وتناقش على جميع المستويات ، ضمانا لتكتيل الجهود فى سبيل تحقيق الأهداف الوطنية التى جمعت من أجلها ، لاتزال تعد ، لدى من يملكونها من رجال الحكومة ، إسرارا لاينبغى أن تباح للشعب .

لعل هؤلاء الرجال يشعرون فى قرارة أنفسهم بأن الحالة الاقتصادية بالذات لا تدعو الى كثير من التفاؤل ( وهذا خطأ بغير شك ) ، ولهذا يخافون ، من ناحية ، أن يشعر الشعب بالاحباط إذا اطلع على مثل تلك المعلومات ( وهذا أشد خطأ ) ، ومن ناحية أخرى أن تؤدى إذاعتها إلى تردد الدول التى تقدم القروض والمعونات ( وهذا هو الخطأ الأكبر ، لأن تلك الدول لاتعدم الوسائل للحصول على المعلومات التى تريدها ، ولأن إخفاء مثل هذه المعلومات عنهم يعنى الشعور بالذنب ، وهو ما يجعلهم أشد تجبرا وتعنتا ) .

لعل رجال الحكومة يرون أيضا أنهم وحدهم أهل الخبرة وأهل الثقة ، أو يحبون أن يتصرفوا على هذا الأساس . فالذين هم خارج الحكومة لايعدون فى نظرهم إما أن يكونوا حاقدين موتورين طامعين ، واه أن يكونوا جهالا لايطلب منهم إلا إطاع الأوامر . وهذا رسيس الداء القديم ، داء استعلاء الحكومة على الشعب . فالحقيقة هى أن الحكومة وإن ضمت عددا وافرا من الخبراء فى كل ميدان ، **فالذين هم خارجها من هؤلاء الخبراء اوفر عددا ، وربما كانوا اوفر علما** . وحتى إذا ضممنا إلى الجهاز التنفيذى سائر الأجهزة من تشريعية واستشارية ( وكلها داخلة ضمن العقد القانونى الذى يضع أساس الديموقراطية ، دون أن يضمن وجودها ) فسيبقى خارج هذه الأجهزة كلها كثيرون من ذوى الرأى .

ومن طريف ما يلاحظ أن معظم الناس لهم صفتان . صفة رسمية محكومة بموقعه فى جهاز الدولة ، وصفة شعبية لايحكمها إلا علمه وشخصيته . وكسر الحواجز بين الحكومة والشعب وإحلال الثقة والاحترام بينهما محل الشك والتهمة يتيح لكل فرد أن يخدم وطنه بالصفتين معا ، فلا تعوق إحداهما الاخرى أو تهدمها . إن الديموقراطية تعنى ، ضمن ما تعنى ، أن يكون الرئيس رئيسا ، والمرءوس مرءوسا ، فى حدود عملهما فقط ، وحتى فى هذه الحدود ينبغى أن يكون فى قدرة المرءوس أن يخاصم رئيسه إن كان موضوع الخصام مصلحة عامة . ولن يكون الحكم بينهما فى هذه الحالة إلا الرأى العام المستنير ، وكيف يمكن أن يوجد مثل هذا الرأى العام المستنير إن حجبت عنه المعلومات ؟

نعم ، لابد أن يبقى جانب من المعلومات التى تملكها الدولة محجوبا عن الجهود ، بل محصورا فى دائرة العاملين فيه مباشرة . ولا يبعد أن يقوم خلاف بين

الحين والحين ، فى أى نظام ديموقراطى ، حول حق الدولة ، أو دوائر معينة منها ، فى الاحتفاظ بسرية اجراءات معينة ، وحق الشعب فى أن يعلم ، ولكن هذه الاجراءات المختلف على سريتها لا تتجاوز العلاقات الخارجية مع الدول أو المنظمات أو الجماعات الأخرى . وهذا يرجع الى ما سبقت الاشارة اليه من أن الدول مازالت تتعامل فيما بينها على قواعد غير ديموقراطية . **اما فى الداخل فان التعاون بين الشريكين ـ الشعب والحكومة ـ لايمكن أن ينجح بدون حرية التعبير وحرية المعرفة .**

• المؤسسات الشعبية

والنظر فى كيفيات هذا التعاون ـ وهو الهدف الأخير من حرية التعبير وحرية المعرفة ـ يفضى بنا الى محاولة تصنيف الأعمال المشتركة . إن معظم هذه الأعمال يقوم بها الشعب والحكومة معا ، كجهاز سيبرناطيقى واحد ، بالغ الكفاءة والتعقيد ، يتلقى المعلومات وينظمها ويصدر الأوامر وينفذها دون أى تنافر بين أجزائه . وكل خلل فى هذا النظام يجب أن يعالج توا . إن ما قلناه عن تكامل الصفة الشعبية والصفة الرسمية لكل فرد يضمن الا تتعطل قنوات الاتصال داخل هذا الجهاز الكبير دفعة واحدة ، وبذلك تكون هناك دائما فرصة لاصلاح الخلل . على أنه لا جدال فى أن الحكومة تمثل المركز أو ـ كما كان يقال قديما ـ العقل المدبر فى هذا الجهاز المركب ، ولا يمكن أن يكون الحال غير ذلك فى جميع المشروعات الكبرى فى الحرب والسلم .

ولكن إذا كان للحكومة أن تحتفظ لنفسها بحق الانفراد بالعمل فى أمور بعينها ، بل وأن تحيط هذه الأعمال بستار من السرية ، فان الشعب فى نظام ديموقراطى يتحرك حركة واسعة فى كل اتجاه ، مطمئنا الى ثقة الحكومة واحترامها لإرادته ، إن التعليم ، والصحة ، والثقافة ، وقسما كبيرا أو حتى القسم الأكبر من الانتاج الزراعى والصناعى ـ كل هذه الجوانب ـ من حياة المجتمع يمكن ان تنهض بها مؤسسات شعبية بكفاءة اكبر مما لو تولاها الجهاز ببنائه الكبير المعقد . وليس من الضرورى فى تطورنا الديموقراطى أن ننقل عن غيرنا حرفا بحرف . إن دور المؤسسات الشعبية فى تاريخنا الحضارى عظيم جدا ، **فعلى الرغم من السلطان المطلق الذى تمتع به الحاكم فقد كان لمجالس العلم ، وطوائف الحرف ، والطرق الصوفية حضور قوى فى جميع الأوقات ولاسيما أوقات الأزمات . لقد بقى التكافل الاجتماعى سمة مميزة لهذه الحضارة ، ولا يبعد أن يفرز مؤسسات من نوع خاص ، إلى جانب المؤسسات الحديثة المعروفة من نقابات واحزاب وجمعيات ، او فى داخل هذه المؤسسات .**

ولا ينبغى أن ننسى أن « التعددية ،

مقوم أساسى من مقومات الديموقراطية . والمهم ألا يحدث تعدد الأصوات ضجة كضجة السوق ، بل ثراء كثراء الموسيقى الأوركسترالية . وليس فى الديموقراطية « مايسترو » يضبط حركة كل فرد فى الجوقة بعصاه ، ولكن ذلك التفاهم الضمنى ، والاحترام المتبادل ، والقواعد المستقرة فى النفوس لما ينبغى أن يكون عليه السلوك الديموقراطى .

أما الأحزاب ـ التى استكملت وضعها القانونى بالاعتراف بالمعارضة كجزء من النظام ـ فلن تكتمل حقيقتها الديمقراطية الا حين تصبح بالممارسة كيانات مستقلة عن الحكومة . إن « الحزب الحاكم » لا يساوى « الحكومة » . فالحزب الحاكم يمكن أن ينتقل الى المعارضة وتنتقل المعارضة الى الحكم وتبقى « الحكومة » محتفظة بنوع من الاستمرارية . ولاشك أن هذه مسألة تحتمل اجتهادات مختلفة بين النظم الديموقراطية ، أنهم قد يتحدثون عن « حكومة المحافظين » و « حكومة العمال » أو « حكومة المحافظين » و « حكومة الديموقراطيين » ، ولكن هذا لايعنى أن مجىء المعارضة الى الحكم ، فى نظام ديموقراطى ، يشكل انقلابا أو ثورة . إن هناك نوعا من القواعد يحكم تبادل الأدوار فى الديموقراطيات الغربية ، وله جذوره فى التاريخ والحضارة والتركيب الطبقى للمجتمع ، ولا يلزم ـ بداهة ـ أن تسلك ديموقراطيتنا ذلك النهج نفسه ، أو تعمل بذلك الأسلوب نفسه ، يكفى أن تحتفظ بالمبدأين الأساسيين للحكومة الديموقراطية : التعدد ، وإمكانية التغيير السلمى ، وكلاهما يقتضى أن تكون الأحزاب مؤسسات شعبية مستقلة عن الحكومة : مؤسسات يمكن ـ بهذه الصفة ـ أن يكون لها حضورها فى المؤسسات الشعبية الأخرى من نقابية واقتصادية وثقافية وتعليمية الخ ، ولكن وظيفتها الأساسية هى أنها منتديات للفكر يطرح منها للبحث كل ما يهم الصالح العام ، وتغربل فيها وبينها الآراء ، ويعرف فيها الشباب معنى الانتماء لفكرة أو مبدأ ، ويتدرب على العمل فى جماعة لتحقيق مصلحة الجماعة .

هذا كله ـ وهو دم الحياة للديموقراطية ـ لايمكن أن يتم في اطار الحكومة ، ولا أن يتم بصورة كافية فى اطار المؤسسات الشعبية الأخرى ولذلك يتحتم أن يحظى العمل الحزبى بالاحترام والثقة ، وأن يتسع مجاله كي يؤدى دوره كاملا . سواء أكان الحزب في الحكومة أم في المعارضة ، بل سواء مثل الحزب في الجمعية المنتخبة أم لم يمثل ، قويت احتمالاته في الوصول يوما الى الحكم أم ضعفت أم انعدمت .

ولا يستطيع أحد أن يرسم طريق الديموقراطية سلفا ، ولكننا نستطيع ـ بل يجب علينا ـ أن نتمثل معناها وغايتها .

في بداية الطور العربي الإسلامي - الذي بدأ بظهور الإسلام - لحضارة هذه الأمة ، وعندما كانت الحياة الفكرية بسيطة بساطة مجتمع شبه الجزيرة العربية ، كان مثقفو الأمة هم "القراء" - قراء القرآن الكريم وحفظته - .. ومع نشأة العلوم والفنون ، وتعقد الحياة الفكرية بتعقد المشكلات وتشابك القضايا المستجدة وثراء المواريث الفكرية في البلاد التي فتحها العرب المسلمون ، عرفت الحياة الفكرية : "الفقهاء" ، و"المتكلمين" و"المحدثين" و"المفسرين" ، و"المؤرخين" و"علماء الطبيعة" وظواهرها ، و"الفلاسفة" مع مبدعي الفنون ، شعرا ، ونثرا ، وموسيقى .. الخ .. الخ .. وكانت الموسوعية هي طابع العصر ، فكان القلم الواحد يجمع العديد من هذه العلوم والفنون .. وكانت علوم الشريعة في المقدمة ، لشرفها النابع من جمعها بين شئون الدين والدنيا .. ولذلك كان "الفقهاء" هم أبرز "مثقفي" الأمة في ذلك التاريخ ..

بقلم: د. محمد عمارة

# الفقهاء والسلاطين

وقبل عسكرة الدولة والمجتمع - عندما سيطر الترك المماليك ، في العصر العباسي الثاني - كانت استقلالية الفقهاء عن التبعية للدولة أمرا بارزا وملحوظا .. وقصة العلاقة بين الامام مالك [ ٩٣ - ١٧٩ هـ ٧١٢ - ٧٩٥ م ] والامام أبي حنيفة [ ٨٠ - ١٥٠ هـ ٦٩٩ - ٧٦٧ م ] والأمام أحمد بن حنبل [ ١٦٤ - ٢٤١ هـ ٧٨٠ - ٨٥٥ م ] وبين الدولة العباسية نموذج ومثل لهذه السمة التي ميزت مواقف الأغلبية الساحقة من فقهاء الأمة بالشموخ المتواضع ، والاستقلالية الأبية النبيلة عن التبعية للخلفاء والولاة .. ناهيك عن نماذج الحسن البصري [ ٢١ - ١١٠ هـ ٦٤٢ - ٧٢٨ م ] وواصل بن عطاء [ ٨٠ - ١٣١ هـ ٧٠٠ - ٧٤٨ م ] وعمرو بن عبيد [ ٨٠ - ١٤٤ هـ ٦٩٩ - ٧٦١ م ] وجعفر الصادق [ ٨٠ - ١٤٨ هـ

٦٩٩ ـ ٧٦٥ م ] وزيد بن على [ ٧٦ ـ ١٢٢ هـ ٦٩٨ ـ ٧٤٠ م ] من الفقهاء والرواة والمتكلمين الزاهدين المجاهدين الثوار !..

تلك سمة غلبت على الحياة الفكرية للأمة ـ سمة استقلالية الفكر والمفكر ـ وهى قد لعبت دورها العظيم فى تنمية ملكات الخلق والابداع ، ونمت هى أيضا ، عندما ارتوت من نبع هذا الخلق والإبداع .. **فالحرية تثرى الفكر ، والفكر الحر يزيد عود الحرية قوة وعزما !..**

لكن عسكرة الدولة والمجتمع ، وقد أصابت الابداع الفكرى فى الصميم ، نراها قد قللت من شأن العلم والفكر ، ومن ثم من شأن المفكرين والعلماء .. **فلم تعد "الإمامة" لمن بلغ فى العلم مرتبة الاجتهاد ، وانما غدت ""السلطنة"" لمن غلب ؟!!..** وعندما مالت الكفة لحساب "القوة" على حساب "العقل" تبدلت مؤهلات "الصفوة" ، فغدت الفروسية والمكر والدهاء وقهر الخصوم هى سبل الوصول الى السلطة والدولة ، وهى الموازين التى تزن بها الدولة من تقربهم من الرجال !..

* الفقهاء للدولة

وحدث أن اهتم العسكر الترك ـ كعادتهم ـ بشكل التدين أكثر من اهتمامهم بجوهره ، فهم لا يستطيعون غيره .. وهو أكثر جلبا لرضا العامة ؟!.. ففى الوقت الذى عزلوا فيه الشريعة عن أن تكون قانون "الدولة" وحكامها ، نراهم يستبدلون الفخامة المترفة بالبساطة فى اقامة المساجد وما ألحق بها من المدارس .. فتحول المسجد الى مؤسسة ضخمة لاقبل للفقراء بإقامتها مستقلين ، أقامتها الدولة ، بواسطة السلاطين والأمراء ، وأوقفت عليها الأوقاف الدارة ، بعد ان انتزعت أرضا من ملاكها وفلاحيها .. **وغدا الفقهاء الذين يعلمون تلاميذهم ، فى هذه المؤسسات التى اقامتها وتنفق عليها الدولة ، غدوا "موظفين" لدى دولة العسكر المماليك .. فغلبت سمة التبعية للدولة على كثير من الفقهاء ، للمرة الأولى فى تاريخ امتنا الحضارى .. وكان ذلك تحولا سلبيا أصاب حياتنا الفكرية والسياسية فى الصميم !..**

ففريق من الفقهاء ربطتهم التبعية الاقتصادية بالدولة ، فغضوا الطرف عن تجاوزاتها ، ووقفوا ازاء فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند أضعف الإيمان ؟! ..

وفريق قادته هذه التبعية الاقتصادية الى "التبرير" .. تبرير التجاوزات التى تقترفها الدولة ضد الرعية .. ورحم الله من قال : « من يأكل عيش الكافر يحارب بسيفه » ؟! .. فما بالك اذا كان صاحب "العيش" "سلطانا" ممن « يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » ؟! ..

**بل لقد ألجأت المخاطر الخارجية المحدقة بالوطن والأمة والحضارة .. ألجأت بعضا من الفقهاء المجتهدين المجاهدين الى أن يغضوا الطرف عن تجاوزات الدولة وانحرافات الامراء السلاطين ، ايمانا منهم بأن الخطر الخارجى هو الاعظم ، وأن مجاهدة الدولة ـ مع ظلمها ـ لن يفيد ـ فى ذلك الظرف العصيب ـ سوى العدو الخارجى الذى يهدد الأمة والحضارة بالفناء .. فرأينا** مجتهدا مجاهدا مثل ابن تيمية [ ٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م ] ، لبصيرته السياسية والحضارية العبقرية يقف مع الدولة المملوكية ، ينصرها ويناصرها ، ويجمع لنصرتها الاعوان ، والامكانات ، بل ويطوع الأحاديث النبوية ـ بالتفسير المتعسف ـ كى تشهد بأن المماليك هم الفئة المنصورة التى تنبأ بها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ... كل

ذلك ايمانا من ابن تيمية بأن بقاء الاسلام وحضارته رهن بقوة هذه الدولة وانتصارها على التتار .. فلقد كانت الأمة فى "حالة حرب ضروس" .. ولن يفل حديد التتار الهمج المتوحشين الا حديد فرسان المماليك .. والضرورات تبيح المحظورات ، بل قد توجبها !.. وعلماء الأمة ، من أهل السنة والجماعة ، قد أجازوا إمامة المفضول دينيا اذا كان أفضل سياسيا وأقدر على مواجهة التحديات المحدقة بالأمة .. و« إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر » - كما جاء فى المأثورات ؟!.. ثم انه - ابن تيمية - على مذهب شيخه الإمام أحمد بن حنبل ، الداعى الى طاعة الدولة ، والبيعة لمن غلب ، والناهى عن الخروج والثورة وتجريد السيف ضد الحكام ، حتى ولو جاروا وظلموا .. فعنده أن « السيف الباطل ، ولو قتلت الرجال وسبيت الذرية ، وأن الامام قد يكون عادلا ، ويكون غير عادل ، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقا .. » !(1)

فسيرا على هذا النهج ، نهى ابن تيمية عن مناهضة الدولة المملوكية - مع تسليمه بظلمها - ، وقال : إن « المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الائمة وقتالهم بالسيف ، وإن كان فيهم ظلم .. لأن الفساد فى القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة ، فيدفع أعظم الفاسدين بالتزام الأدنى .. » !(2)

وهو - كما نرى - موقف من مواقف "السياسة" الاسلامية ، أشبه مايكون بما نسميه فى اصطلاحاتنا المعاصرة : « تقديم التناقضات الرئيسية على التناقضات الثانوية » .. فتناقض الأمة ودولتها الظالمة مع الخطر الخارجى كان الرئيسى والحاكم ، لأنه هو "التناقض العدائى" على نحو جذرى ، أما تناقض الأمة مع دولتها الظالمة ، فلقد كان - فى ظل التناقض مع التتار ، وبالقياس عليه - تناقضا ثانويا ، من الواجب تأجيله .. أو استخدام الأساليب غير العنيفة فى مواجهة مظالمه وانحرافاته ، دون السيف - أى الثورة والقتال - .. ولهذا وجدنا ابن تيمية يقف ، مع فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، عند درجة الانكار باللسان .. فانتقد الواقع وانحرافاته ، ونصح للحكام .. حتى لقد مات الرجل فى سجن المماليك ؟!.. لكنه لم يدع الى الثورة والتغيير للمنكر بالعنف والثورة والقتال ، لا لجبن منه أو تقصير فلقد كان مجاهدا ، حمل السلاح وقاتل ، ولكن ضد العدو الرئيسى والخطر الأكبر : جحافل التتار !..

فى ضوء هذه الرؤية السياسية والحضارية يجب أن يفهم موقف ابن تيمية من دولة العسكر المماليك ، ويجب أن تقرأ كلماته التى تحلل الموقف السياسى والعسكرى والحضارى تحليلا عبقريا ، عندما يقول :

« .. إن سكان اليمن ، فى هذا الوقت ، ضعاف عاجزون عن الجهاد ، أو مضيعون له ، وهم مطيعون لمن ملك هذه البلاد ، حتى ذكروا أنهم أرسلوا بالسمع والطاعة لهؤلاء [ التتار] !.. وأما سكان الحجاز ، فأكثرهم ، أو كثير منهم خارجون عن الشريعة ، وفيهم من البدع والضلال والفجور ما لا يعلمه الا الله ، وأهل الايمان والدين فيهم مستضعفون عاجزون . وإنما تكون القوة والعزة ، فى هذا الوقت ، لغير أهل الاسلام بهذه البلاد !.. وأما بلاد إفريقيا - [ تونس ] - فأعرابها غالبون عليها ، وهم من شر الخلق ، وهم مستحقون للجهاد والغزو !... وأما المغرب الأقصى ، فمع استيلاء الافرنج على أكثر بلادهم ، لا يقومون بجهاد النصارى الذين هناك ، بل فى عسكرهم من النصارى الذين يحملون الصلبان خلق عظيم !. ولو استولى التتار على هذه البلاد

لكان اهل المغرب معهم من أذل الناس ، لاسيما والنصارى تدخل مع التتار ، فيصيرون حزبا على أهل المغرب ! .......................

فهذا وغيره » مما يبين أن هذه العصابة - [ عسكر المماليك ] - ، التى بالشام ومصر ، فى هذا الوقت ، هم كتيبة الاسلام ، وعزهم عز الاسلام ، فلو استولى عليهم التتار لم يبق للاسلام عز ولا كلمة عالية ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها اهل الأرض تقاتل عنه .. فهم - [ المماليك ] - من أحق الناس دخولا فى الطائفة المنصورة التى ذكرها النبى ، صلى الله عليه وسلم ، بقوله فى الأحاديث المستفيضة عنه : » لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة « [3] ... وثبت عنه فى الصحيح ، انه قال : » لا يزال أهل الغرب ظاهرين «[4] .. والنبى تكلم بهذا الكلام وهو بالمدينة النبوية ، فما يغرب عنها فهو غرب ، كالشام ومصر ... « ؟![5]

لكن هذا الموقف العبقرى ، والمفهوم ، الذى اتخذه ابن تيمية - ومن رأى رأيه - من دولة العسكر المماليك ، والذى ناصر الدولة فى جهادها للخطر الأعظم .. وانتقدها ، بالوسائل السلمية ، على مظالمها وتجاوزاتها .. هذا الموقف المفهوم ، قد استفاد منه "تيار التبرير" و"المسايرة" و"ايثار السلامة" ، عندما وقفوا عند رفضه للثورة على الدولة الظالمة ونهيه عن قتال الحكام الجائرين ، دون إبراز للملابسات التى أملت هذا الموقف .. تلك التى أوضحها ابن تيمية عندما قال لنا : لقد كان هناك تحالف "تترى - صليبى" ضد عالم الاسلام .. وكان هناك عجز عن مواجهة هذا التحدى المدمر فى أغلب بلاد الاسلام .. اليمن .. والحجاز .. وإفريقيا .. والمغرب الأقصى .. ولم يكن هناك سوى فرسان المماليك ودولتهم من يعلق الاسلام والمسلمون عليهم الآمال فى مواجهة هذا التحدى "التترى - الصليبى" .. فلذلك وجبت نصرة المماليك فى ضوء هذه الظروف والملابسات ..

لقد أغفل "أهل التبرير" الملابسات التى حكمت رأى ابن تيمية فى الدولة المملوكية ... فأستمر "التبرير" بإطلاق .. بل وغدا السمة الغالبة والنغمة السائدة حتى بعد انحسار الخطر التترى وانهيار آخر الحصون والقلاع الصليبية [ ٦٩٠ هـ ١٢٩١ م ] .. عندما لم يبق من دولة العسكر المماليك سوى السلبيات التى أصابت بها حضارتنا العربية الاسلامية .. وعندما زالت الدواعى القاهرة التى تبرر للأمة إسلام الزمام والقياد والمقدرات لسلطة جائرة متغلبة على البلاد والعباد .. فكان أن فقدت الأمة سلاحا من أمضى أسلحة مواجهة الظلم ومحاربته .. سلاح : استقلال "الفقهاء" مثقفى ذلك التاريخ ؟!

---

## هوامش

(١) الأشعرى [ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ] جـ٢ ص ٤٥١ ، ٤٥٢ . طبعة استامبول ١٩٢٩ م .

(٢) [ منهاج السنة ] جـ٢ ص ٨٧ . طبعة القاهرة - الأولى - .

(٣) رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى وابن ماجة والدارمى والامام أحمد .

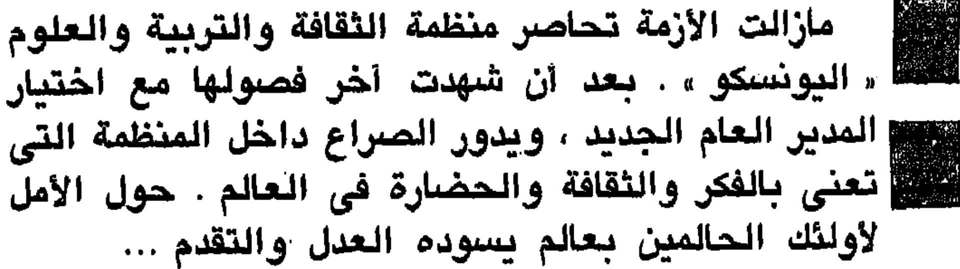
(٤) رواه مسلم .

(٥) [ الفتاوى الكبرى ] جـ٤ ص ٣٤٦ - ٣٥٨ . طبعة القاهرة ١٩٦٥ م .

# اليونسكو

# أصوات متعددة وعالم واحد

## بقلم : مصطفى نبيل



**مازالت الأزمة تحاصر منظمة الثقافة والتربية والعلوم « اليونسكو » . بعد أن شهدت آخر فصولها مع اختيار المدير العام الجديد ، ويدور الصراع داخل المنظمة التى تعنى بالفكر والثقافة والحضارة فى العالم . حول الأمل لأولئك الحالمين بعالم يسوده العدل والتقدم ...**

**وأزمة اليونسكو نموذج حى لأزمة النظام الدولى الراهن ، الذى مازال البعض لايرى فيه سوى أداة للسيطرة ، وساحة لفرض أفكاره ومعتقداته على العالم ، وعندما تعوزه الوسيلة ينفض يديه من اللعبة كلها ..**

وتتمتع « اليونسكو » فى مصر والوطن العربى بمكانة عالية ، بعد أن قدمت جانبا مشرفا من جوانب العمل الدولى ، وساهمت فى إنقاذ التراث الانسانى فى مصر ، بمساهمتها فى إنقاذ معبد « أبوسمبل » ، ومعبد فيله وآثار النوبة ، من الغرق بعد إقامة السد العالى ، وأقامت مركز سرس الليان فى ريف مصر ، وتساهم حاليا فى إقامة متحف النوبة فى اسوان ، ومتحف الحضارات فى القاهرة .

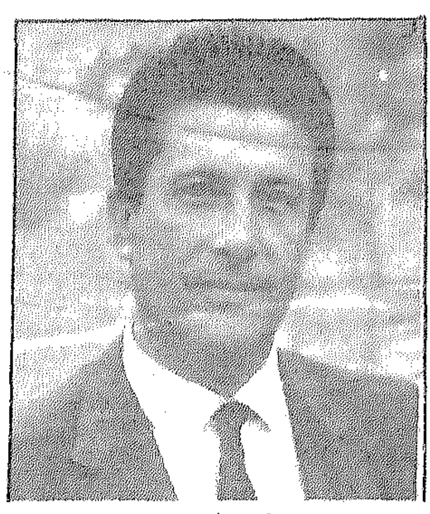
كما قامت بالعديد من المشروعات فى البلدان العربية ، منها إعادة تنظيم معظم وزارات التربية والتعليم ، وساهمت فى بناء جامعة قطر ، وجامعة الامارات ، وجامعة عمان ، ومركز علوم البحار فى البصرة ، ومركز علوم البحار فى عدن ، ومتحف طرابلس الغرب .

**ولنبدأ بالفصل الأخير الذى عاشته « اليونسكو » عند انتخاب مديرها العام الجديد ، والذى لعب « المقعد الخالى » الدور الحاسم فى اختياره وتركزت انظار العالم على هذا الانتخاب مدة عشرة أيام حافلة بالضغوط والمناورات ، اما هذا « المقعد الخالى » فهو مقعد الولايات المتحدة التى سبق أن انسحبت من اليونسكو احتجاجا على سوء افعالها ! .**

وبدأت الجولة باثنى عشر مرشحا ،



أحمد مختار أمبو



فدريكو مايور

أبرزهم هو أحمد مختار إمبو مديرها السابق ، الذى استمر فى الصدارة خلال أربع جولات انتخابية ، على أثرها أعلن انسحابه ليتم اختيار المرشح الأسبانى فردريكو مايور ساراجوزا ..

وشدت باريس انظار العالم ، فالمدير العام لليونسكو يتمتع بأهمية كبيرة ، وشهرته تفوق بعض رؤساء الدول ، ولأن اليونسكو تعيش منذ فترة طويلة ساحة صراع ساخن بين اتجاهات متباينة ، تدور حول نظرة العالم الصناعي ونظرة العالم الثالث إلى الثقافة والتربية والعلوم ، وقد حققت دول العالم الثالث فى ظل إدارة مختار إمبو عددا من الانجازات المهمة ، وهذه الانجازات هى التى وضعت اليونسكو ومستقبلها وأنشطتها أمام مستقبل مجهول ، وهى التى أبرزت أزمة التعاون الدولى فى عالم متغير ..

وقد احتل مختار إمبو منصبه منذ اختياره عام ١٩٧٤ مديرا عاما ، واستمر ثلاثة عشر عاما مفعمة بالنشاط والحيوية والحوار ، وهو سنغالى مسلم ، درس فى جامعة السوربون فى باريس ، وأول من يصل من أفريقيا لهذا المنصب الثقافى الرفيع ، وينتمى إلى ذلك الجيل الذى حقق الاستقلال ، وتشغله قضية حوار الثقافات وخصوصية ثقافة الشعوب المختلفة ، وهو تعبير عن ذلك المزيج الحى بين الأصالة والعالمية ، وله مؤلفات تضم خلاصة تجربته منها « نابع المستقبل » و« زمان الشعوب » ..

وقد دفعه للترشيح لدورة ثالثة كينيث كاوندا رئيس زامبيا والرئيس الحالى لمنظمة الوحدة الأفريقية . ووقفت تؤيده كافة الدول الأفريقية واغلب الدول العربية ..

وعلى الجانب الآخر أيد مايور المدير العام الجديد ، وهو الوزير الأسبانى السابق ، والعالم فى الكيمياء الحيوية ، جميع الدول الأوربية ـ عدا فرنسا ـ التى بها مقر المنظمة والتى تراعى الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية ، وكل دول أمريكا اللاتينية واليابان كما أيدته أخيرا الدول الاشتراكية ..

أما الضغوط التى تعرض لها مختار إمبو وأدت إلى انسحابه ، فيمكن تلمسها من خلال التصريحات التى صدرت ، والمقالات التى كتبت ، ومنها

## اليونسكو

ماصرح به الناطق الرسمى لليونسكو بقوله .. « إن عددا من الدول هددت بالانسحاب من المنظمة إذا أعيد انتخاب مختار إمبو ، ومن هذه الدول المانيا الغربية وسويسرا وبلجيكا وهولندا بالاضافة إلى اليابان صاحبة أكبر حصة فى ميزانية اليونسكو ... » ! !

وما ألمحت إليه صحيفة الهيرالد تريبون الأمريكية .. « من أن غياب مختار إمبو قد يكون سببا لحل مشكلة اليونسكو ، واقناع الولايات المتحدة بالعدول عن قرارها بالانسحاب من اليونسكو .. » !

ولعل فوز مايور والتأييد الذى حصل عليه يعود إلى الخلاف الذى كان قائما بينه وبين مختار إمبو خلال عمله مدة أربع سنوات مساعدا له ، ثم عمله بعد ذلك مستشارا فى اليونسكو لمدة عامين .

### ● حصون السلام

وأهمية الأزمة التى تواجهها اليونسكو ، أنها تدور حول عقل العالم وثقافته ، وأنها تعكس فشل آليات النظام الدولى ، وعجزه عن حسم مايواجهه من صعاب ، والعاصفة التى هزت اليونسكو ، تواجه مثلها منظمات التعاون الدولية الأخرى .

« ففى عقول البشر تبنى حصون السلام » ، شعار المنظمة التى تعنى بشئون الفكر والثقافة ، وعلى أرضيتها تتحاور الأفكار وتظهر الاتجاهات العالمية الجديدة ، وماشهدته اليونسكو هو الجزء الظاهر من جبل الثلج ، والذى يجب على المفكرين العناية به ومناقشته .

**فالمهدد هو مستقبل التعاون الدولى متعدد الأطراف ، الذى يقوم على أساس « المشاركة » و« المسئولية » عن أمن العالم وتقدمه .**

**وهذه الأزمة فى أحد جوانبها تعكس إصرارا من جانب الدول الصناعية على أن تتحكم فى عقول وأفكار دول العالم الثالث ، وتكشف الخلل القائم بين دول الشمال والجنوب ، وتنامى الفجوة بينهما ، وفشل الشعار الذى رفع منذ عقد من الزمان والذى يدعو إلى الحوار بدلا من المواجهة ..**

فإنكار الواقع لن يمحوه ، تقول الحقائق ، انه بعد الحرب العالمية الثانية قامت الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ فى ظل سيطرة كاملة للحلفاء ، وفى ظل شعارات عالم أفضل ، يقدس الحريات الأربع ، وبدأت اليونسكو بثمان وعشرين دولة ، أصبحت الآن تضم مائة واحدى وستين دولة ، وزادت أعداد الدول المستقلة ، وظهرت أغلبية تلقائية للدول الصغيرة حديثة الاستقلال ، فالنظام الدولى يقوم على أساس صوت واحد لكل دولة ، فهل تسلم الدول الصناعية بذلك ؟ ! . وماذا إذا اختلفت النظرة والرؤية بين دول الشمال ودول الجنوب ، وكيف تتصرف الدول الكبرى عندما تعجز عن تحقيق غاياتها وفرض أسلوبها على التجمعات الدولية ... ؟ !

وأمام هذه المعضلة تغيرت وجهة نظر الذين أسسوا الأمم المتحدة وأقاموا وكالاتها المتخصصة ، عندما أصبحت هذه المنظمات محدودة الجدوى بالنسبة لأهدافهم .

وسقطت اليونسكو ضحية هذه القضية ، فالفجوة واسعة بين احتياجات

دول العالم الثالث التى تعانى الأمية ، واحتياجات الولايات المتحدة مثلا التى تهدف إلى نشر نموذج الحياة الأمريكية ، وأصبحت الأغلبية التلقائية التى تتمتع بها دول العالم الثالث عقبة رئيسية أمامها ، واهتزت فكرة ديمقراطية الثقافة ، وجرى صراع بين أيهما صاحب القرار ... من له أغلبية الأصوات أم من يملك أكبر حصة فى ميزانية اليونسكو ؟ ! فتدفع الدول الأعضاء فى اليونسكو أنصبتها على أساس حجم الثروة الوطنية لكل منها ، وحصة الولايات المتحدة وحدها تصل إلى ربع ميزانية اليونسكو ، وتبلغ مساهمات الدول الغربية ٧٠٪ من الميزانية ، والدول الاشتراكية ١٨٪ من الميزانية وبقية كل دول العالم الثالث ١٢٪ ..

وارتفعت أصوات تطالب بعدم المساواة بين الدول ، وتستنكر فكرة صوت واحد لكل دولة ، وتطالب بتقسيم الأصوات وفقا للمساهمة المالية للدول الأعضاء ، مثل مايجرى به العمل فى البنك الدولى ، وصندوق النقد الدولى ! .

**وتكاد الأمم المتحدة ذاتها تواجه مشكلة الإفلاس ، ولم تدفع الولايات المتحدة نصيبها ، وأبدى دى كويار الأمين العام أخيرا مخاوفه من عجز المنظمة عن دفع رواتب العاملين فيها ، و لذى يصل عددهم إلى تسعة الاف وخمسمائة موظف ! .**

**فإذا كانت الولايات المتحدة تتمتع بالفيتو فى مجلس الأمن ، فهى لاتتمتع بذات النفوذ فى الجمعية العامة ! .**

**● تصدع ضمير العالم !**

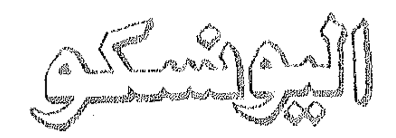
ولنقترب أكثر من أزمة اليونسكو وننتقل من الكل إلى الجزء ، ومن الأمم المتحدة إلى اليونسكو ، أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على التوالى انسحابهما من اليونسكو ، وأصاب هذا الانسحاب المنظمة الثقافية بصدع كبير ، وانتقص من عالميتها وحدّ من نشاطها ، وحجب ٣٠٪ من ميزانيتها ، ووجه رسالة شفرية للمنظمات الدولية الأخرى بما ينتظرها إذا قاومت ، وهى ترى علامات الاستفهام قائمة حول مستقبل اليونسكو .

واعتمد الذين دافعوا عن اليونسكو ، والذين خذلوها وتخلوا عنها على ميثاقها التأسيسى ، وجاء المدير العام الجديد مايور شاهرا الميثاق فوق الأشهاد ، وكأنه يقول بينى وبينكم هذا الميثاق ، وهو كأية وثيقة يقرأ بعيون مختلة ..

**يقول الميثاق : « إن حكومات الدول الأطراف فى هذا الميثاق ، تعلن باسم شعوبها أنه لما كانت الحروب توجد فى عقول البشر ، ففى عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام » .**

ويقول : « لما كان جهل الشعوب بعضها ببعض مصدر الريبة والشك بين الأمم على مر التاريخ ، وسبب تحول خلافاتها إلى حروب فى العديد من الأوقات ... ولما كانت الحرب العظمى المروعة التى انتهت ، قد نشبت بسبب التنكر للمثل العليا الديمقراطية التى تنادى بالكرامة والمساواة والاحترام للذات الانسانية ، وبسبب العزم على احلال مذهب عدم المساواة بين الأجناس كل هذه المثل العليا عن طريق استغلال الجهل والانحياز ..

« ولما كانت كرامة الانسان تقتضى نشر الثقافة ، وتنشئة الناس جميعا على مبادىء العدالة والحرية والسلام ، كان هذا العمل بالنسبة لجميع الأمم واجبا مقدسيا ، ينبغى القيام به فى روح من التعاون المتبادل » ...



فما الذى آلت إليه هذه المبادىء السامية ؟ ... وماهى الحجج التى قدمتها الولايات المتحدة لانسحابها ؟ وماهى الأسباب المعلنة والمستورة وراء قرار الانسحاب ؟ كانت الحجج التى أعلنتها الولايات المتحدة تتلخص فى التالى :

**● إضفاء الصفة السياسية على كل الموضوعات الثقافية التى تتناولها اليونسكو .**

**● العداء الأصيل تجاه المؤسسات التى يقوم عليها العالم الحر ، اقتصاديات السوق ، والصحافة الحرة المستقلة .**

**● التبذير وسوء الادارة .**

وصرح وقتها جريجورى ويل مساعد وزير الخارجية لشئون المنظمات الدولية قائلا :

« جاء قرار الانسحاب من اليونسكو بعد مراجعة متأنية استمرت ستة شهور ، تأكد فيها للخبراء أن اليونسكو لن تغير موقفها وسياستها من القضايا المهمة التى كانت محل خلاف دائم بين الولايات المتحدة واليونسكو » ..

وتركز هجوم الولايات المتحدة على ما أعلن عن « نظام إعلامى جديد » ، وعن الفارق الجوهرى بين حقوق الانسان ، وبين حقوق الجماعات .

**● النموذج الأمريكى ●**

ولما كان المجتمع الأمريكى مجتمعا مفتوحا ، أمكن معرفة كيف تم اتخاذ قرار الانسحاب ، والقوى الأمريكية التى ساندته ونجحت فى إصداره ..

بدأ الموقف الأمريكى من اليونسكو مع إدارة الرئيس الأمريكى ريجان ، التى رات أن التعاون الثنائى أجدى وأفيد للمصالح الأمريكية ، من التعامل من خلال اليونسكو ، بعد أن حالت الأغلبية التلقائية لدول الجنوب ، من سيادة المفهوم الثقافى الأمريكى ، الذى يدمج الثقافة والإعلام ، ومع رفض دول العالم الثالث لفكرة محاكاة النموذج الأمريكى ، وبعد أن تحولت اليونسكو إلى ساحة للصراع الأيديولوجى والسياسى .

ولم يرقها ماشهدته من تنامى فكرة الشخصية الذاتية والهوية الخاصة للشعوب المختلفة ، والتى رأت فيها دول العالم الثالث الملاذ من محاولات الاستيعاب والسيطرة الفكرية ..

**وقد عبرت بوضوح عن تفكير الإدارة الأمريكية مؤسسة « هيراتتج » ، التى تصاعد نفوذها فى ظل الإدارة الأمريكية الحالية ، كمعبرة عن اليمين الأمريكى ، والتى أصبحت المستودع الفكرى والعقل المدبر وراء إدارة الرئيس ريجان ، وقامت بإعداد دراسات وبحوث حول العديد من القضايا ، تحولت أغلبها إلى سياسات فعلية ..**

وتناولت إحدى دراساتها الموقف الأمريكى من اليونسكو ، وأكدت أن عضوية الولايات المتحدة فى اليونسكو تهدم وتشوه وجهات نظر وقيم ومصالح الولايات المتحدة ، وقد برهنت التجربة على عجز السياسة الأمريكية عن تغيير اليونسكو من الداخل ، ولايجوز أن تمول الولايات المتحدة أنشطة ضد مصالحها ، كما أن انسحابها يقوى مركز الولايات المتحدة فى منظمات الأمم المتحدة الأخرى ، ولم يعد أمام الادارة الأمريكية سوى أن تخير دول العالم بين قبول طريق

الحياة الأمريكية أو أن تقوم بهذا الدور منفردة .. !

وأوصت « هيرانتج » الادارة الأمريكية بضرورة الالتزام بخمسة أهداف ، تكون دليلا لتعامل الولايات المتحدة مع المنظمات الدولية ، وهذه الأهداف هي :

● **ضرورة استرداد النفوذ الأمريكي على قرارات المنظمات الدولية .**

● **ضرورة سيادة القيم والأفكار التي يقوم عليها العالم الحر ، حتى تسترد أمريكا مكانتها الدولية ..**

● **وقف تناقص أعداد الأمريكيين العاملين في المنظمات الدولية ، والذي بدأ في التناقص منذ ٢٠ عاما .**

● **معارضة زيادة ميزانية المنظمات الدولية ، وتشجيع هذه المنظمات على الاستخدام الأمثل لميزانيتها .**

● **تخفيض عدد المؤتمرات الدولية التي بلغت في عام واحد ١٠ آلاف مؤتمر ، وتقليل مدة انعقاد هذه المؤتمرات .**

وتعالت صيحات تطالب بانشاء منظمة جديدة للثقافة والعلوم تقتصر على الدول الصناعية ، بعد عجز دول الجنوب على تغيير مجرى عمل اليونسكو منذ بداية الستينيات ، وخططت الولايات المتحدة وقفها من اليونسكو كوسيلة لحمل المنظمة على القبول بصيغة من صيغ حق الاعتراض ( الفيتو ) في مواجهة دول العالم الثالث .

ويعيش الغرب في المنظمات الدولية وجهين من الصراع ، أحدهما بين الشمال والجنوب ، والآخر بين الشرق والغرب ، ويغلب أحدهما الآخر بناء على حركة أطراف الصراع ، وقد استخدمت الولايات المتحدة عند انسحابها حجة أن اليونسكو أصبحت أداة في يد الدول الاشتراكية ضد الغرب ، وأن مختار إمبو حولها إلى ساحة قتال بين الشرق والغرب ، وقد إنتقد سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكية الأسبق هذه النظرة لدول العالم الثالث ، وقال انها تتجاهل الأماني الوطنية والطموحات والخصوصيات المحلية .

ومن جانب آخر تستغل الدول الغربية فكرة التنسيق لكي تحبط فعالية هذه المنظمات في القضايا الحيوية .

**● النظام الإعلامي الجديد**

ومن أكثر المسائل التي رفضتها الولايات المتحدة ، وأثارت حوله جدلاً واسعاً ، هو مشروع اليونسكو نحو « نظام إعلامي جديد » ، وتشبه الحملة التي أثيرت القول ... « أن أسوأ أنواع الذم هو الذي يتظاهر بالمدح ، وأشد ضروب الكراهية هي التي تتخفى وراء قناع الود » ..

فعندما سعت دول الجنوب ، إلى إدارة حوار متكافىء بين الثقافات والحضارات ، ووجدت أنه من الضروري إقامة نظام للاعلام والاتصال متوازن ، ينقل المعلومات في اتجاهين وليس اتجاه واحد ، لكي تنتقل دول الجنوب من مجرد التلقي إلى التبادل الفعال ، وكان من الضروري أن تلاحظ أن أربع وكالات أنباء عالمية غربية تتحكم في ٨٠٪ من الأنباء ، وأن دولا أفريقية تعرف أنباء جيرانها من خلال واشنطن ولندن وباريس ، وبحثت عن طريق لعلاج عدم التوازن والتحريف في نشر الأنباء ، وماهي المبادىء التي يمكن اعتمادها لخلق نظام عادل للاتصال والإعلام .

ومع قيام عصر ثورة المعلومات ، سعت دول الجنوب إلى اللحاق بهذه الثورة ،

وامتلاك أدواتها ، وتوظيفها كقوة تعيد التوازن إلى العلاقات الدولية ، بعد أن أصبح مجموع المعرفة البشرية يتضاعف كل ثمان سنوات .

ويدور مشروع اليونسكو على إقامة البنية الأساسية للاتصال بين دول العالم الثالث ، ووضع برامج تدريب الإعلاميين ، وإقامة شبكات إتصال عن طريق الأقمار الصناعية ، وتقديم المساعدة الفنية للمنظمات الاقليمية ، وادخال الكمبيوتر فى حفظ المعلومات واسترجاعها .

**فهل مست اليونسكو بهذا المشروع أحد المحرمات فى العلاقات الدولية ؟ ! ..**

فتبادل الأفكار والثقافات والمعلومات مسألة حيوية ، من خلالها تصاغ العقول ، وتتحدد الأفكار ، ويقف أو يتم تغلغل التأثير أو السيطرة ، وهاهو مشروع يقوم لأول مرة على أساس متوازن ، فوقفت لهذا المشروع الدول الغربية بالمرصاد .

وكان مدخل الهجوم على هذا المشروع حصيفا ذكيا ، وجاء الهجوم ، من أن مجرد مناقشة هذه القضايا بواسطة مؤتمر يضم ممثلين عن الحكومات ، اعتداء صارخ على حرية الإعلام والاتصال والصحافة ، وأن العديد من دول العالم الثالث تخضع شعوبها لنظم استبدادية ، مما سيوضع هذا النظام الجديد فى خدمتها ! .

ويكشف مختار إمبو فى رده على هذه الحملة ، ماتتضمنه من نفاق ، عندما يؤكد « إلغاء نص كان له مكانته الخاصة فى تأكيد حرية اليونسكو ، وهو أن أعضاء المجلس التنفيذى يمارسون السلطات التى أوكلها لهم المؤتمر العام ليس بوصفهم ممثلين لحكوماتهم ، وتغير هذا النص عام ١٩٥٤ بناء على طلب الولايات المتحدة ، فأصبح كل عضو من أعضاء المجلس التنفيذى ممثلا لحكومته ! .

وبذلك فقد المجلس ـ الذى كان يتكون من شخصيات مستقلة فى عالم الفكر استقلالهم » وتواجه ذات المشكلة كافة منظمات الأمم المتحدة التى تضم ممثلى الحكومات المختلفة ، مما يجعل الحديث عن دور المؤسسات الفردية بعيدا عن الواقع ، وزعما لايستند إلى أساس ..

ويعكس هذا الهجوم من جانب آخر الفجوة فى النظرة بين دول الشمال والجنوب ..

فالدول حديثة الاستقلال تلعب الحكومة فيها دورا بارزا ، مهما اختلف نظامها الاجتماعى ، وإذا كان المتعارف عليه أن مبدأ تدخل الدولة هو جزء من الفكر الاشتراكى ، الذى يأخذ بفكرة التخطيط الشامل ، وأن الفكر الرأسمالى ينادى بأن تكون الثقافة نشاطا حرا ، إلا أنه بالنسبة للثقافة والاعلام أمر آخر ، فالثقافة دعوة للاستقلال وتبادل المعرفة ودعوة للتفكير ، تقود إلى النظرة النقدية ، ولاينبغى أن يكون موقف المجتمع منها انعكاسا مباشرا لمواقفه فى ميادين الاقتصاد والسياسة .

**وشهدت بعض دول العالم الثالث اختلاط مبدأ تدخل الدولة مع ضمان قدر كبير من حرية الفكر ، ومشروع اليونسكو هو خطوة فى هذا الاتجاه عندما ينهض بالجانب الفنى فى وسائل الاتصال ، أما من يملك السيطرة ، الدولة أم المؤسسات الخاصة ، فهو امر**

بعيد عن مسئولية اليونسكو ، والتقدم الفنى محايد لايمس أيديولوجية أية دولة .

وربما كان موقف دول الجنوب من اليونسكو يشابه أحد المواقف التاريخية فى التاريخ المصرى ، عندما فرض الغرب على مصر والشرق عام ١٨٤٠ سياسة الباب المفتوح ، بعد هزيمة جيش محمد على فى موقعة نافارين ، واكتملت هذه السياسة فى عهد سعيد وإسماعيل ، ولم تستهدف مجرد الهيمنة السياسية والاقتصادية بل والثقافية والفكرية أيضا ! .

ومرة أخرى تظهر الفجوة الواسعة بين نظرة أهل الشمال وأهل الجنوب ، وذلك عندما يتخذ التصور الأمريكى للحرية طابعا فرديا ، تعدديا ، ولايتصورون الحرية على أنها صفة يكتسبها المجتمع بطريقة جماعية ، بل هى عندهم صفة يكتسبها كل فرد بنفسه ، وتؤدى إلى تعدد الاتجاهات وتباينها ، بدلا من أن تؤدى ـ كما تطرح اليونسكو ـ إلى حركة المجتمع نحو تحقيق أهدافه ، كما ترتبط الحرية فى أذهانهم بتعدد الاتجاهات واختلافات الرأى .

وما اعتبرته دول الجنوب ، والحالمون بعالم يسوده العدل ، حسنات لليونسكو ، اعتبرته الدول الصناعية سيئات توجب العقاب ! .

### ● الجنوح إلى السياسة

إن العلامات الفارقة بين السياسة والثقافة يصعب تحديدها ..

وجاءت هذه القضية لتفتح بابا واسعا للهجوم على اليونسكو ، ومن دوافعها موقف اليونسكو ، دفاعا عن التراث العربى والاسلامى فى مدينة القدس وفى المؤسسات التعليمية العربية ، وقد تفجر الغضب الأمريكى على اليونسكو عندما اتخذت قرارا عام ١٩٧٤ بطرد اسرائيل من عضوية مجموعاتها الخمس التى تتألف منها المنظمة ، وأدانتها بتدمير التراثين الفكرى والحضارى للشعب الفلسطينى ، وطمس وتدمير المعالم الأثرية الاسلامية فى فلسطين ، وأليست هذه القضية من صميم عمل اليونسكو ؟ ..

وعندما أصدر الكونجرس الأمريكى قرارا بوقف تسديد نصيب الولايات المتحدة فى ميزانية اليونسكو ، واستمر القرار حتى عام ١٩٧٧ ، حتى تراجعت اليونسكو وقبلت اسرائيل ضمن المجموعة الأوربية .. والحقيقة .. أن مايهم الولايات المتحدة هو الجانب السياسى ، رغم انها تتهم اليونسكو بالتورط فى الأمور السياسية ...

لقد عارض قرار انسحاب الولايات المتحدة من اليونسكو العديد من الأصوات الشريفة ، ومن أصحاب الرأى الحر فى الولايات المتحدة ذاتها ، ولم توافق أغلبية اللجنة الوطنية الأمريكية لليونسكو المؤلفة من أكثر من ٥٠ عالما ومفكرا على قرار الانسحاب من اليونسكو ..

فهل حان الوقت ليتغير الموقف الأمريكى من اليونسكو ؟ ..

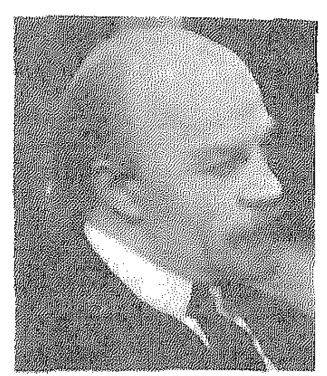
وهل تعود الولايات المتحدة وبريطانيا إلى احتلال مقعديهما من جديد ؟ .. بعد وصول مرشحها إلى منصب المدير العام ..

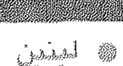
هذا ماستجيب عنه الأيام القادمة ، وماسيسفر عنه الصراع على عقل وضمير العالم .

# بورصات العالم
# تحتفل بثورة أكتوبر!

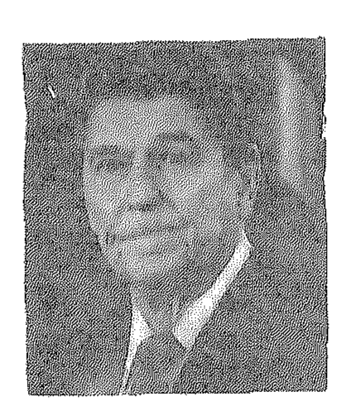
بقلم: عبدالرحمن شاكر

أعجبنى قول الدكتور عبدالمنعم راضى ، عميد كلية تجارة عين شمس ، فى التليفزيون المصرى تعقيبا على انهيار الأسعار فى بورصة نيويورك ، وما عداها فى بورصات العالم ، خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر الماضيين ، إن مثل هذه الأزمات هى من عيوب النظام الرأسمالى ، رغم أنه من المعروف عن الدكتور راضى أنه من أنصار الاقتصاد الحر ! ولكنى أتوقف عند قوله ـ فى الحديث ذاته ـ إن مثل هذا الأزمات أمر شبيه بالكوارث الطبيعية ، مثل الزلازل والأعاصير وهلم جرا . فالاقتصاد فى النهاية ـ حتى ولو كانت له قوانين تشبه فى عملها قوانين الطبيعة ـ هو أمر من صنع البشر ، ولابد أن تكون لديهم الإرادة للتحكم فى هذه القوانين والتخفيف من آثارها الضارة على الأقل ، إن لم يكن فى المقدور استبعادها كلية .





لينين



ريجان



جورباتشوف

لقد نشأ علم الاقتصاد مع العصر الصناعي ، واعتبر علماؤه الأوائل أن أوضاع هذا العصر ، هى الأوضاع « الطبيعية » ، حيث يمثل حافز الربح الفردى المحرك الرئيسى للنشاط الاقتصادى ، بغض النظر عما يترتب على هذا الحافز من تضارب فى مصالح مختلف المنتجين ، والبائعين والمشترين ، والتنافس على الأسواق ، فلابد من ربح هنا وخسارة هناك ، وكل وشطارته ، فى صناعته أو تجارته ، كل ذلك وضع « طبيعى » ، يحكمه قانون رئيسى ، هو قانون العرض والطلب ، الذى ينبغى ألا تفرض قيود تحول دون تحكمه فى عملية الانتاج وتبادل السلع .

فى مواجهة تلك المدرسة التقليدية ، نشأت مدرسة أو مدارس أخرى ، تنطلق من فكرة أن الهدف من الانتاج والتبادل فى النهاية هو إشباع الحاجات الانسانية ، وأن الاقتصاد الطبيعى هو ما يستهدف اشباع تلك الحاجات ، وعليه فإن للجماعة الانسانية ، أو عليها ، أن تتدخل لتوجيه الحركة الاقتصادية فى اتجاه المصلحة العامة للمجتمع ، تلك هى المدرسة « الاجتماعية » ، التى اصطلحنا على تسميتها فى لغتنا العربية « بالاشتراكية » .

لقد نشأت هذه المدرسة الاجتماعية و الاشتراكية ، فى حضن النظام الصناعى الراسمالى فى غرب أوربا ، بسبب ما كان يجتاحه من أزمات دورية يبدو فيها المجتمع وكأنه قد أفرط فى انتاج مالا يستطيع تصريفه من سلع ، وبناء عليه تغلق المصانع أبوابها وتقذف بعمالها الى الشوارع ، وتعم

بورصات العالم
## تحتفل بثورة أكتوبر!

البطالة ، وتزداد الازمة حدة بذلك ، حيث يعجز العمال المتعطلون عن شراء ما يلزمهم من سلع ، ويسود صفوفهم وصفوف اسرهم الجوع والعوز ، فى الوقت الذى لايجد فيه الرأسماليون من يشترى انتاجهم الكثير ، فتتكدس السلع فى مخازن اصحابها من الرأسماليين ويتكدس الحرمان فى احياء « منتجيها » من العمال ، ويستمر الكساد فترة تطول او تقصر ، حتى يتم التخلص من السلع المكدسة بنحو او اخر ، بمافى ذلك تدميرها أحيانا ، حتى تعود عملية الانتاج من جديد ، وفى أثناء ذلك يموت من العمال أو اسرهم من الجوع أو المرض من يموت ، ويفلس من أصحاب المصانع الصغيرة أو الكبيرة من يفلس ، وينتحر منهم من تسوّد الدنيا فى عينيه بعدما اصابه من خسارة او إفلاس ، وهلم جرا !

كان الحل عند هؤلاء الاجتماعيين أو الاشتراكيين ، هو أن يتملك المجتمع عن طريق الدولة المصانع ، الكبيرة منها على الأقل ، وينتج فيها ما يحتاجه افراد المجتمع ، ويعطيهم من الأجور مايكفى لاستهلاكها ، وكحل وسط اقترحه بعض الاقتصاديين الرأسماليين لتجنب هذا الاجراء ، زيادة ما يدفع من أجور للعمال بدرجة معينة تتيح لهم ان يحققوا للانتاج الرأسمالى ، ما اطلقوا عليه اسم « الطلب الفعال » ، تجنبا للأزمات الدورية من ناحية ، وللحل الاشتراكى « الراديكالى » من ناحية اخرى .

### ● ظاهرة الاستعمار

غير أن أهم حل كانت تجنده الرأسمالية فى دول الغرب الصناعية ، والذى ساعدها تاريخيا على البقاء كان هو الأسواق الخارجية لتصريف منتجاتها ، بل ولإعادة استثمار رءوس اموالها فى مجتمعات جديدة ، وظاهرة الاستعمار التى شهدتها القرون الأخيرة إنما كانت لهذا الغرض ، بما فيه جلب مواد خام أولية لأغراضها الصناعية بأسعار زهيدة ، وإعادة تصدير المنتجات الصناعية بأسعار باهظة ، ولو اقتضى الأمر - وعادة ما كان يقتضى - تدمير هياكل الانتاج والاستهلاك الأساسية فى المجتمعات المتخلفة او التابعة وإعادة تشكيلها لكى تنتج ما يحتاجه « السيد » الاستعمارى او شراء ما ينتجه هو ! ومن أجل الاستحواذ على تلك الأسواق ، لم تكن الدول الرأسمالية تتردد فى خوض الحروب الطويلة فيما بينها لاقتسام او إعادة اقتسام المستعمرات ، والحربان العالميتان اللتان شهدهما العالم خلال هذا القرن ، فى أوائله ومنتصفه ، إنما كانتا جزءا من هذه الظاهرة ، وفى خلال ذلك نشأت وتطورت صناعة عظيمة هائلة ، عادت وتعود على أصحابها بالمكاسب الطائلة ، هى صناعة الأسلحة الحديثة

الفتاكة ، بما فى ذلك أسلحة الدمار الشامل ، التى تستطيع القضاء على مجتمعات بأسرها ، وإفناء الحياة على الأرض برمتها !

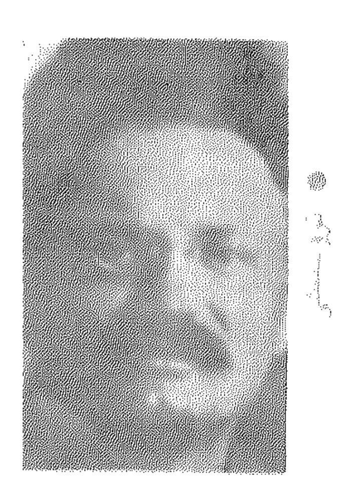
● اشتراكية المتخلفين

اندحرت الاشتراكية فى غرب أوربا ـ ممثلة فى أحزاب الدولية الثمانية الاشتراكية الديموقراطية ، بعد أن فشلت فى منع عمالها من قتل بعضهم بعضا فى الحرب العالمية الأولى دفاعا عن أوطانهم « البرجوازية » والمصالح الرأسمالية المسيطرة عليها فى اقتسام المستعمرات ، ولكن تلك الاشتراكية ذاتها وجدت لها ملجأ فى روسيا ، البلد نصف الأوربى نصف الأسيوى ، التى انسحبت من الحرب تحت وطأة جراحها وعجزها عن الاستمرار فيها ، فكانت ثورة اكتوبر ـ نوفمبر الاشتراكية عام ١٩١٧ . ولقد توهم قادة الثورة آنذاك أمثال لنين وتروتسكى أن عمال غرب أوربا سرعان ما يلحقون بها ، ولكن ذلك لم يتحقق ، ووجدت الثورة الاشتراكية فى روسيا نفسها وحيدة محاصرة ، وكان عليها أن تشرع لنفسها طريقا جديدا ليس بالرأسمالى ولا الاشتراكى على الطريقة التقليدية التى بشر بها فلاسفة الماركسية فى الغرب المتقدم . كان عليها أن تختط لنفسها طريق بناء الاشتراكية فى بلد متخلف صناعيا حيث تقوم الاشتراكية بالدور الذى عجزت الرأسمالية فى روسيا عن القيام به وكان الطغيان الذى شهدته تلك البلاد فى عهد ستالين هو الثمن الذى دفعته لبناء قاعدتها الصناعية ودفع شبح المجاعة وصناعة السلاح لمواجهة محاولات الدول الرأسمالية القضاء عليها وخاصة محاولة هتلر فى الحرب العالمية الثانية .

وبعد الحرب تحولت الى ذات الطريق السوفييتى فى بناء الاشتراكية مجموعة الدول المتخلفة فى شرق أوربا ( باستثناء تشيكوسلوفاكيا المتقدمة صناعيا بعض الشىء ) والدول الأسيوية وفى مقدمتها الصين . كما تأثرت بنفس الطريق فى بناء الصناعة مجموعة من بلدان العالم الثالث فيما عرف باسم « الطريق غير الرأسمالى » فى مصر والهند وأندونسيا وغيرها ، أما فى بلدان الغرب الصناعية المتقدمة ، فقد نجحت بعض الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية ، فى إدخال اصلاحات على الأوضاع الاقتصادية الرأسمالية فيها ، عن طريق زيادة أجور العمال والتوسع فى الخدمات التى تقدمها الدولة فى مجالى التأمين الاجتماعى والصحى وما الى ذلك ، مع تأميم بعض الصناعات أو الشركات الكبرى ، وإن كان هذا الاجراء قد ظل عرضة للتغيير ، كما حدث أخيرا فى انجلترا على يد المسزتاتشر .

وقد أدى انقسام العالم الى معسكرين أحدهما رأسمالى والآخر اشتراكى إلى ما يعرف باسم الحرب الباردة ، وسباق التسلح الرهيب ما بين المعسكرين ، وقد وجدت الدوائر الرأسمالية فى الغرب وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى صناعة السلاح الضخمة فى ظل هذا السباق مجالا كبيرا لزيادة أرباحها ومكاسبها على حساب دافع الضرائب الامريكى حيث إن الدولة التى تجبى الضرائب هى ذاتها التى تشترى السلاح ، فى الوقت الذى كان فيه







بورصات العالم

# تحتفل بثورة أكتوبر!

المعسكر الاشتراكى وخاصة الاتحاد السوفييتى يرى فى أعباء التسلح معوقا كبيرا لتقدمه الاقتصادى ، وعقبة تحول دون رفع مستوى معيشة الجماهير وإظهار مزايا النظام الاشتراكى فيه .

## • انتصار المهزومين

فى الوقت الذى اتجهت فيه الولايات المتحدة الأمريكية الى التوسع فى صناعة الأسلحة ، بما فى ذلك برنامج حرب الكواكب ، كانت الدولتان الصناعيتان المهزومتان فى الحرب العالمية الثانية **وهما ألمانيا واليابان تتجهان الى إعادة بناء قوتهما الصناعية متحررتين من أسر الصناعة العسكرية ، بحكم معاهدات الصلح التى فرضت عليهما حدودا معينة لتقدم هذه الصناعة الأخيرة فيهما . وترتب على ذلك أن أصبحت اليابان وألمانيا أقدر على** تصدير سلعهما الصناعية من الولايات المتحدة الأمريكية ، والاستحواذ على الأسواق بما فى ذلك السوق الأمريكية ذاتها . وأصبح النصر الاقتصادى فى المنافسة الصناعية بمثابة تعويض تاريخى لهاتين الدولتين عن الهزيمة العسكرية فى الحرب العالمية الثانية .

تلك هى احدى الحقائق التى تقف وراء انهيار أسعار الأسهم والسندات فى بورصة نيويورك وماتلاها فى البورصات

العالية ، فقد ترتب على اسراف الولايات المتحدة الأمريكية فى صنع السلاح عجز هائل فى كل الميزانية الاتحادية بها وميزانها التجارى ، فقد كانت الدولة الامريكية تستدين لكى تشترى السلاح من الشركات التى تنتجه ولا تكفيها فى ذلك مواردها من الضرائب التى تفرضها . وتركت لدافع الضرائب أن يستورد كما يشاء من بلدان العالم بما فى ذلك السلع الصناعية التى تنتجها دول أخرى فى مقدمتها ألمانيا واليابان ، فكان لذلك أثره فى زيادة عجز ميزانها التجارى .

وبعد الانفراج الذى حدث فى العلاقات الدولية ما بين المعسكرين وخاصة القوتين العظميين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى ، وقرب اتفاقهما على نزع السلاح النووى فى أوربا ، المنتظر إقراره فى اللقاء المرتقب خلال هذا الشهر ( ديسمبر ١٩٨٧ ) ما بين ريجان وجورباتشوف ، فان طريق صناعة السلاح المتطور يبدو مظلما ومسدودا ، **لأن الأسلحة الفتاكة التى تكلفت ألوف الملايين سوف تبقى فى مخازنها ، وربما يتم تدمير بعضها أو الكثير منها** ، لأن معنى استخدامها هو ـ ببساطة ـ القضاء على الحياة الانسانية برمتها ، فهى إذن خسارة محققة للدولة والمجتمع الأمريكى برمته .

وهكذا ، فإذا كان النظام الرأسمالى فى الغرب ، قد استطاع أن يطيل أمد وجوده بفضل صناعة السلاح والحروب الاستعمارية الكبرى ، فقد وصل هذا التطور الى منعطف تاريخى ينبغى التوقف عنده ، واليأس منه حتى فى اكبر دولة رأسمالية ومنتجة للسلاح عرفها التاريخ وهى الولايات المتحدة الأمريكية . واذا كان الاتحاد السوفييتى والصين ومعظم دول المعسكر الاشتراكى تعترف حاليا بتخلف اقتصادها فى النواحى السلمية والاستهلاكية أساسا ، ولا ترى بأسا فى أن تعيد بعض أوضاع الاقتصاد الحر الى بلادها ، فى السماح ببعض المشروعات الفردية ، الاعتماد على حافز الربح وأليات السوق لرفع مستواها الانتاجى ، ومحاولة اللحاق بركب التطور التكنولوجى الذى حدث فى الغرب ، فقد أصبح أيضا من الواجب على المجتمعات الرأسمالية وخاصة فى الولايات المتحدة أن تعترف هى الأخرى بأن عليها إدخال تعديلات مقابلة فى نظامها الرأسمالى الخالص ، ولا بأس فى ذلك بأن تستفيد بالنقد الاشتراكى لها .

**إن التوقف عن صناعة السلاح ، أو التقليل منها سوف يعود بلا شك بالفائدة على الاقتصاد السوفييتى ويتيح له الفرصة لتعويض الكثير مما فاته من تقدم** . ولكن مجرد شبح التوقف عن صناعة السلاح أو بعضه فى الولايات المتحدة الامريكية يقف وراء الازمة الحالية التى تمثلت فى انهيار أسعار الأسهم والسندات فى البورصات العالمية فدافع الضرائب الأمريكى لن يكون قادرا على تعويض العجز فى ميزانية الاتحاد فى وقت قريب ، حيث لن تستطيع الحكومة الامريكية من خلال التشريعات الجديدة أن تمتص منه أكثر من حوالى عشرين مليارا من الدولارات بينما يبلغ العجز فى

## بورصات العالم
# تحتفل بثورة أكتوبر!

الميزانية عشرة أمثال هذا المبلغ . أما العجز التجارى فيستلزم إدخال هياكل جديدة فى الانتاج السلمى الامريكى ويحتاج الى وقت طويل لتعديله ليكون قادرا على مواجهة المنافسة اليابانية والألمانية .

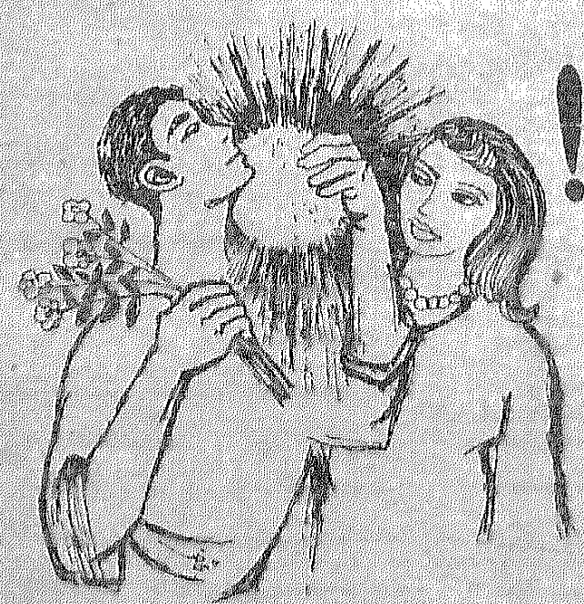
وحتى تعيد الرأسمالية الأمريكية النظر فى مواقعها فى ظل المتغيرات الجديدة ، أو حتى يعيد المجتمع الأمريكى النظر فى أوضاعه التى تمثلت فى الخضوع المطلق للرأسمالية بأنانيتها ، وضيق أفقها ، وسعيها المجنون وراء الربح بغض النظر عن الأهداف الأجتماعية للانتاج ، **فإن الانهيار الذى حدث فى أكتوبر فى البورصات العالمية ، كان بمثابة تصفيق حاد متواصل للذكرى السبعين لثورة أكتوبر الاشتراكية التى أدخلت الى العالم مفهوم الديموقراطية الاقتصادية وتوجيه الانتاج للأغراض الاجتماعية . وفى ذات الوقت لم يتردد قادتها المعاصرون فى الاعتراف بحافز الربح فى التنمية الاقتصادية فى بعض جوانبها ، دون ان يصبح هذا الحافز هو الدافع الوحيد للأنتاج ايا ما كان نوعه ووجهته .**

إنه ـ بديلا عن صنع أسلحة الدمار الشامل ـ توجد عشرات ، بل مئات المشاكل التى ينبغى أن تتوجه اليها طاقات الانتاج الكبرى فى العالم ، وما تحت يد الجماعة الانسانية من معلومات وفيرة ووسائل تكنولوجية متطورة أبدعها العلم ، وفى مقدمة تلك المشاكل ما أصبح يعرف باسم تلوث البيئة الناجم عن التطور الصناعى العشوائى ، والانفجار السكانى فى العالم ، الذى يكاد يجعل من الجنس البشرى الوباء الأكبر على سطح الكرة الارضية ومشاكل الفقر والجوع فى دول العالم الثالث ، التى استطاعت الرأسمالية العالمية وخاصة الامريكية إعادة إخضاعها من جديد عن طريق التحكم الاقتصادى ، بعد أن ظفرت معظمها بالاستقلال عن الاستعمار التقليدى للدول الأوربية ، وقد أصبحت مواردها على وشك النضوب بحيث تعجز معظمها عن سداد ديونها الخارجية ، وقد كانت هذه الديون بمثابة تجارة رابحة للدول الصناعية المتقدمة ، تقرضها بفوائد باهظة يزيد مردودها سنويا على مقدار ما تحصل عليه تلك الدول النامية من قروض جديدة ، وقد بارت هذه التجارة بدورها بعجز الدول النامية عن السداد ، بحيث تزيد من أزمة الرأسمالية العالمية التى تمثلت فى الانهيار الذى شهدته البورصات وأسواق المال فيها .

**إن التحول الاجتماعى او الاشتراكى للانتاج ، لم يعد ضرورة على المستوى الداخلى للمجتمعات الراسمالية الكبرى فحسب ، بل اصبح ضرورة ايضا على المستوى العالمى ، وأن لتلك المجتمعات أن تستمع الى صرخات شعوب العالم الثالث ومطالبتها بنظام اقتصادى عالمى جديد !**

# هواك الشمس!

شعر: سالم حقى



وهل يُمكنُ ان انسى ؟!

وهل يمكن ان تنسى ؟!

وفى أعماق قلبينا ..

هوى قد شارف القدسا

زرعناه .. بصدرينا

فطاب على المدى غرسا

وأزهر فى حديقتنا

وضوّا ليلنا عُرسا

وهل يمكن ان أنسى

إذا أمكن تنسى ؟

وقد كنت الصبا والنور

والاحلام والأنسا

وكنت الظلّ والمأوى

وكنت الشعر والهمسا

وقلبى .. أنت دنياه

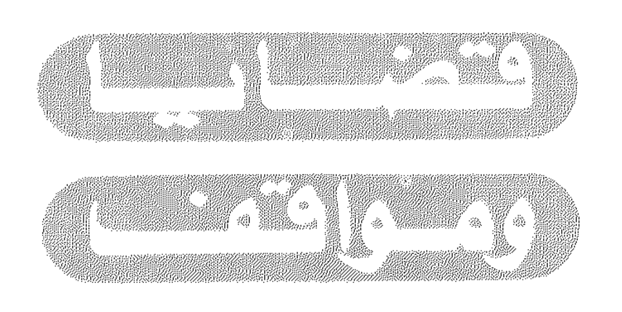
إذ أصبح أو أمسى

هواك الشمس ، هل يمكن

أنا نطفئ الشمسا ؟!

وفى حبك .. صدقنى

انا لا أعرف اليأسا




# التعليم وحقوق الإنسان المصرى

بقلم : د. شبل بدران ★

**كان التعليم قديما يعد نوعا من انواع الترف الإنسانى ، ولذلك كان مقصورا على فئة اجتماعية معينة دون غيرها ، وهى الفئة التى كانت تملك الثروة والسلطة والأصل الإجتماعى المرتبطة بالنخبة السياسية والاجتماعية الحاكمة . ومع بداية الثورة الصناعية فى انجلترا والثورة الإجتماعية فى فرنسا فى القرن الثامن عشر ، تغير مفهوم التعليم ومحتواه وأهدافه ، وتجاوز تلك الفئة الاجتماعية التى ظلت لقرون طويلة تحتكر العلم والمعرفة دون غيرها من طبقات المجتمع .**

لقد كانت البورجوازية - الرأسمالية - الغربية فى امس الحاجة الى عمال مهرة وفنيين وتقنيين يقومون بأدوارهم فى العملية الانتاجية الصناعية التى تحول المجتمع إليها بعد القضاء على مرحلة الزراعة الاقطاعية .

فلم يكن أبناء الصفوة راغبين البتة فى الانخراط فى العمل المهنى واليدوى .. واقتصر دورهم على تحصيل العلم والمعرفة النظرية كامتياز طبقى واجتماعى وبذلك تم تقسيم العمل وتقسيم البشر ، ومن هنا نشأت الحاجة الى تعليم ابناء

---

★ أستاذ اصول التربية المساعد بكلية التربية
جامعة طنطا . ومعار حاليا للعمل بالسعودية

الفئات الاجتماعية الاخرى ، ليس بغرض تثقيفهم وتوعيتهم ، ولكن بغرض قيامهم بأدوار مهنية فى العملية الانتاجية لزيادة العائد الاقتصادى الذى يعود بدوره على تلك الفئة صاحبة الامتيـاز الطبقى والمعرفى .

● تحقيق مصالح الاستعمار

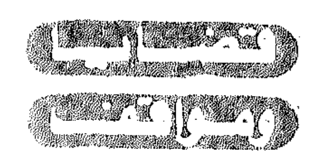
إذن فكرة توسيـع نطاق التعليم وانتشاره بين ابناء فئات المجتمع ، لم تكن فكرة بريئة ومن أجل سواد عيون الفقراء ، بل كانت تلبيـة لاحتياجـات التطور الاجتماعى والصناعى والمعرفى الذى ساد اوربا فى القرن الثامن عشر . ومع انتشار الاستعمار بشكله المباشر فى البلدان المتخلفة صناعيا ، ظل هذا الفهم سائدا لدى القوى الاستعمارية ، وهو توفير التعليم للفقراء بالقدر الذى يحقق مصالح الاستعمار ومصالح من يتعاونون معه ..

**وبذلك ظل التعليم مجالا للصراع الاجتماعي والسياسي والثقافي بين القوى الوطنية فى البلاد المتخلفة ، وبين قوى الاستعماريين الخارجي والداخلي على السواء . ولقد شهدت مصر هذا الصراع الطويل ، بداية من مطلع القرن التاسع عشر ، وحتى الخمسينيات من القرن العشرين .**

ومع تدنى احوال ابناء الطبقات الفقيرة فى العالمين المتخلف والمتقدم على السواء ، حاولت المنظمات الدولية ان تهتم بحقوق الانسان المقهور فى العالم فظهر الاعلان العالمى لحقوق الانسان فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ والذى تضمن حقوقا عديدة للانسان فى الحياة الكريمة والسكن وحرية الفكر والاعتقاد والتعبير والصحة والتعليم ، على اعتبار أنه حق أصيل للانسان على الدولة ان توفره له دون عائق اجتماعى أو مادى أو ثقافى أو بيئى يحول دون تحصيل الانسان للعلم والمعرفة ـ التعليم ـ .

وتوالت بعد ذلك جهود المجتمع الدولى نحو تدعيم حقوق الإنسان وكفالة احترام حريته وكرامته وأدميته . ومن هذه الجهود المعهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ( ديسمبـر عام ١٩٦٦ ) والاتفاقيات الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وبرنامج عمل أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة ( نوفمبر عام ١٩٧٣ ) لمكافحة العنصرية والتمييز العنصرى لمدة عشر سنوات واتفاقية مناهضة التعذيب والعقوبـة القاسية واللاإنسانية ( ديسمبر عـام ١٩٧٠ ) والقواعد النموذجية الـدنيا لمعاملة السجناء وقواعد سلوك الموظفين المكلفين بتنفيذ القوانين ( ١٩٧٥ ) .

وبرزت منظمة العفو الدولية ( ١٩٦١ ) كإحدى المنظمات التى تدافع عن حقوق الإنسـان فى جميع أنحـاء العالم ، والمحافظة على تطبيق الاعلان العالمى لحقوق الانسان الذى أقر فى ديسمبر ١٩٤٨ . وترتب على ذلك أن أخذت بعض جمعيات حقوق الإنسان تظهر إلى الوجود لتمارس شرعيتها فى الدفاع عن حقوق الانسان . ففى مصر ظهرت جميعة انصار حقوق الانسان بالاسكندرية عام ١٩٧٩ وهى جمعية غير رسمية وجمعية حقوق الانسان بالقاهرة ( ١٩٨٠ ) ثم أخيرا المنظمة العربية لحقوق الانسان بالقاهرة ( ١٩٨٥ ) ثم أخذت الهيئات العلمية



والبحثية تنظم المؤتمرات والندوات التى تدافع عن حقوق الانسان . ففى العام الحالى ١٩٨٧ انعقدت ثلاثة مؤتمرات دارت كلها حول التعليم كحق اصيل للانسان المصرى والعربى وهى :

● المؤتمر الأول ( ٧ ـ ٩ مايو ١٩٨٧ ) ونظمته اليونسكو مع اتحاد المحامين العرب والمنظمة العربية لحقوق الإنسان ، وتركزت ابحاثه ومناقشاته حول قضية التعليم والاعلام والتوثيق فى قضايا حقوق الانسان . جزء منها اهتم بالتعليم الجامعى وماقبل الجامعى فى علاقته بارساء قيم ومبادىء احترام الكرامة الانسانية والجزء الاخر اتجه نحو المواطن فى محاولة إيقاظ وعيه بقضايا حقوق الانسان .

● المؤتمر الثانى ، مؤتمر ( الحق فى حرية الحياة الخاصة ) والذى نظمته كلية الحقوق جامعة الاسكندرية ( ٣ ـ ٦ يونيو ١٩٨٧ ) وقد ركز هذا المؤتمر على الجانب الخاص فى حقوق الانسان ، اى حق الإنسان فى الحياة الخاصة وحرماتها .

● المؤتمر الثالث الذى نظمته كلية الحقوق جامعة القاهرة ( ٩ ـ ١١ يونيو ١٩٨٧ ) وقد ركز فى موضوعه الاساسى على : تعليم حقوق الانسان . وقد جاء هذا المؤتمر ليعمق من اهمية الدور الذى يلعبه النظام التعليمى والتربوى فى إرساء القيم والإتجاهات والسلوكيات التى تتفق وحقوق الإنسان . وقد اتجهت بعض البحوث والمناقشات إلى مرحلة التعليم العام ، واتجه البعض الآخر إلى مرحلة التعليم الجامعى بوجه عام والتعليم داخل كليات الحقوق بوجه خاص .

● مطلب وطنى

وهذه المظاهر وغيرها ما هى إلا تعبير حى على بروز حقوق الإنسان فى التعليم كمحور مهم يجب الاتفاق حوله فحقوق الإنسان ليست ميثاقا فقط ، وليست مهمة الدولة ، بقدر ما هى مهمة المنظمات الشعبية والوطنية التى يجب أن تراقب إهدار تلك الحقوق سواء من قبل الدول أو غيرها ..

واذا كانت هذه المؤتمرات الثلاثة قد عقدت فى عام ١٩٨٧ ، فهل حق الإنسان فى التعليم الجيد القادر على زيادة وعيه وتثقيفه ، لكى يكون مواطنا نشطا ، وفعالا وذا أهلية للمشاركة فى صنع القرار السياسى وتسيير شئون الوطن . يصبح مطلبا وقضية وطنية يجب الاهتمام بها فى عامينا الحالى والقادم ؟!

نحن نزعم ان الغالبية من المواطنين يعيشون حياة قاسية للغاية ولاينالون القسط الضرورى من التعليميين الرسمى والنظامى ، كما ان غالبية المواطنين ـ الفقراء ـ يكادون يحرمون من ابسط احتياجاتهم الضرورية من الغذاء الضرورى للحفاظ على حياتهم والاستمرار فيها .. فحسب بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء لعام ١٩٨٧ نجد :

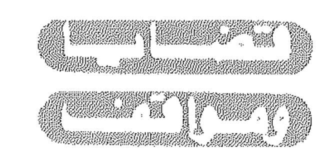
● ان خمس الاسر المصرية تستحوذ على نصف كعكة الدخل القومي ـ ٤٨ ٪ على وجه التحديد ـ بينما يتصارع باقى الشعب على ٥٢ ٪ من الدخل القومى ، وهو مايعنى ان ٨٠ ٪ من افراد الشعب المصرى يعانون من موجات الغلاء التى أصبحت تمثل حلقة جهنمية مفرغة تبتلع أية زيادة حقيقية فى الأجور والمرتبات . وتؤكد الدراسة ايضا ان موجات الغلاء قد اضطرت الأسرة المصرية إلى ان تنفق مابين ٥٥ ٪ و٩٠ ٪ من دخلها على بند الغذاء وهذه فهل هناك مايتبقى للتعليم فى ابسط صوره ؟! ونحن نعلم أن تكلفة التعليم الآن أصبحت مرتفعة وليست فى متناول أيدى الاسر الفقيرة ، نظرا لتدهور الأوضاع الاقتصادية وإختلال الموازين خلال حقبة السبعينيات .

● كما تؤكد دراسة الجهاز المركزى ؛ أن هناك حوالى ٥٠٠ أسرة يزيد متوسط دخلها السنوى على ١٠ ملايين جنيه ، بينما هناك ٢٤٠ الف أسرة يزيد متوسط دخلها السنوى على المليون جنيه ، وفى المقابل يقبع مليون و ٧٠٠ الف أسرة لا يتجاوز متوسط دخلها السنوى ٢٢٠ جنيها ؟" وإن الفرق بين أعلى متوسط دخل شهرى وأقل متوسط دخل شهرى يصل إلى حوالى ٨٣٣ الفا و٢٢٣ جنيها ، وتشير الدراسة أيضا إلى أن هناك ٤ أسر من بين ٥ أسر مصرية تعيش تحت وطأة الغلاء وقسوة الحياة . وتوجه الاسر المصرية ٥٥ ٪ من دخلها فى المتوسط إلى الغذاء ويرتفع هذا المعدل إلى حوالى ٦١ ٪ فى الريف وحوالى ٩١ ٪ بين الأسر المحدودة الدخل ، وتؤكد الدراسة أن نسبة ماتنفقه الأسرة المصرية من دخلها على بند الغذاء تعادل ثلاثة أمثالها فى الولايات المتحدة الأمريكية وضعف هذه النسبة فى انجلترا !!!

وتبرز خطورة هذا الوضع إذا علمنا أن حوالى ٨٠ ٪ من الأسر المصرية التى تقبع فى قاع سلم الدخول والأجور والمرتبات فى مصر لا تحصل على اكثر من ٥٨ ٪ فقط من الدخل القومى بينما تستحوذ نسبة ٢٠ ٪ على ٤٢ ٪ من الدخل القومى .

## ● حرمان من حقوق التعليم

ولا شك ان مثل هذا الوضع ينعكس بدوره على مجال التعليم ، ونحن هنا نقصر الحديث عن التعليم وليس التربية على إعتبار أن التربية أعم وأشمل وتتم بواسطة النظام التعليمى وغيره من الانظمة المجتمعية الرسمية والشعبية . أما التعليم فهو مايتم داخل جدران المدارس والمعاهد والجامعات ، وماتقدمه الدولة من خلال النظام التعليمى من معلومات ومعارف وقيم وانماط سلوك بهدف خلق مواطن اكثر تكيفا وتلاؤما مع بنية النظام السياسى . ولو نظرنا الى الوضع التعليمى سوف نجد أن كثيرا من الاطفال والشباب يحرمون من ابسط حقوقهم ، وهى تعليم القراءة ، والكتابة والحساب واكتساب المهارات الأساسية التى تعين الفرد على إيجاد عمل محترم يحقق من خلاله وجوده الاجتماعى فى المجتمع .



وتشير الاحصائيات الرسمية الصادرة عن وزارة التربية والتعليم لعام ١٩٨٢ وعام ١٩٨٦ الى الحقائق التالية :

● بلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الابتدائى لعام ١٩٨٢ حوالى ٥ر١٨١٦١١ كما بلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الاعدادى حوالى ١ر٨٤١٠٨٥ طالب ، وبلع عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الثانوى بجميع أنواعه ودور المعلمين حوالى ١ر٣٣٩٠٦٩ . كما بلغ عدد الطلاب المقيدين بالجامعات والمعاهد العليا حوالى ٠ر٦٦٦٦٠٠ وبلغ مجموع الطلاب المقيدين بجميع مراحل وأنواع التعليم الجامعى وماقبل الجامعى حوالى ٩ر٠٢٨٣٦٥ تسعة ملايين وذلك فى حين ان الاطفال الذين يقعون فى فئة العمر مابين ٦ ـ ٢٢ سنة وهى شريحة العمر التعليمى حوالى ١٤ر٢٧٥٠٠٠ اربعة عشر مليونا وربع مليون .

يتضح لنا من ذلك ان هناك حوالى خمسة ملايين طفل مصرى خارج جدران المدارس ومعاهد العلم والمعرفة الاساسية ويحرمون من التعليم أو لا تتاح لهم فرصة لكى يدخلوا النظام التعليمى ولو حسبنا إلى جانب ذلك نسبة التسرب من التعليم وهى تتعلق بالظروف الاقتصادية القاسية للاسر وهى بمعدل ٢٠ ـ ٢٥ ٪ فى المرحلة الابتدائية لقفز الرقم إلى ستة ملايين بدلا من خمسة ولاشك أن هذه النسبة مرتفعة للغاية .

● وفى عام ١٩٨٦ نجد الصورة على ماهى عليه تقريبا ، اى أن جهود خمسة سنوات لم تحقق الهدف المنشود من إتاحة الفرصة لمن لهم حق الالتحاق بالنظام التعليمى . حيث بلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الابتدائى حوالى ٦ر٣٥٩٩٤٢ . وبلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الاعدادى حوالى ٢ر٢٧٠٣٥٥ وبلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الثانوى بانواعه ودور المعلمين حوالى ١ر٥٩١١٣٤٠ كما بلغ عدد الطلاب المقيدين بالتعليم الجامعى والمعاهد العليا حوالى ٠ر٦٦٦٦٠٠ وبلغ مجموع الطلاب المقيدين بالنظام التعليمى من اوله إلى منتهاه حوالى ١٠ر٨٨٨٢٣٧ وفى المقابل بلغت نسبة الاطفال الذين يقعون فى فئة العمر مابين ٦ ـ ٢٢ سنة وهى مرحلة التعليم حوالى ١٦ر٣٢٩٠٠٠ .

معنى ذلك انه فى عام ١٩٨٦ زاد عدد الطلاب المقيدين بمراحل التعليم عن عام ١٩٨٢ ، حيث بلغوا حوالى عشرة ملايين وثمانمائة الف فى حين بلغ عدد الطلاب فى فئة العمر من ٦ ـ ٢٢ سنة حوالى ١٦ر٣٢٩٠٠٠ . اى انه يوجد خارج جدران معاهد العلم والمعرفة الاساسية نحو خمسة ملايين ونصف مليون طفل مصرى يحرمون من ابسط حقوقهم فى تحصيل العلم والمعرفة التى يجب على الدولة ان توفرها لهم ، لكى يكونوا مواطنين قادرين على خدمة قضايا الوطن والمساهمة والمشاركة فى

عملية صنع القرار وتدعيم البنية الاقتصادية .

معنى ذلك بوضوح وصراحة ان هناك نسبة مرتفعة للغاية من الاطفال تحرم من حق التعليم .. ونحن نناقش التعليم وليس التربية ، على اعتبار ان الاخيرة اشمل واعم ، العبء فيها لايقع على عاتق نظام التعليم فقط ، بل يتجاوزه الى انظمة المجتمع الاخرى ، كما اننا لم نناقش محتوى المعرفة والعلم المقدم للطلاب ، وهل هى معرفة حيادية ام منحازة ؟ والى اى الفئات تنحاز وتدعم أى مصالح ؟ لم نناقش ذلك ، ولكن حاولنا ان نعرض صورة عن حرمان المواطن من ضروريات الحياة الاساسية المتمثلة فى الغذاء كذلك ضروريات الوجود الاجتماعى المتمثل فى التعليم .. فهل تلك المؤتمرات والمنظمات بقادرة على إيجاد سبيل للخروج من تلك المعضلة ؟ وهل يتحقق العدل الاجتماعى حينما ينخرط جزء من الاطفال ـ وغالبا من القادرين ماليا ـ فى نظام التعليم ويستبعد الجزء الاخر لاسباب تتعلق بالسن والمكانة الاجتماعية والقدرة الاقتصادية عن مواصلة التعليم او الالتحاق بالمدارس الخاصة ؟ الا يعنى ذلك أن الفقراء وحدهم هم الذين يدفعون ضرائبهم من المنبع وبشكل منتظم ويحرمون من ابسط حقوقهم لاسباب خارجة عن إرادتهم وقدرتهم المالية . اليست هذه القضية فى ذاتها بحاجة إلى أبحاث ومؤتمرات وندوات : كيف يحصل المواطن على حقه فى التعليم دون اعتبار إلى لونه أو جنسه أو دينه أو معتقده او مكانته .. الخ .

ان أخفاق المؤتمر القومى للتعليم الذى عقد أيضا فى شهر أغسطس الماضى فى إيجاد مخرج لتلك المشكلة ، يدعم ضرورة تجديد الدعوة للدفاع عن هذا الحق .. ويستبعد من دائرة الحوار الوطنى أصحاب مقولة إلغاء مجانية التعليم او ترشيدها .. لانه كيف يتسنى لنا الالغاء والترشيد وهناك خمسة ملايين طفل يحرمون من ابسط حقوقهم الانسانية والاجتماعية فى تحصيل العلم والمعرفة اللازمين لهم وللمجتمع أيضا ؟!

## الهوى

قال العلماء : « الهوى أنواع ، أوله العلاقة ، وهو الشىء يحدثه النظر والسمع فيخطر بالبال ، ثم ينمو فيقوى فيصير محبة . والحب اسم مشترك يجمع ضروبا من ميل النفس كحب الولد والمال ، ثم الهوى ، ثم المودة ، ثم الصبابة ، ثم العشق ، ثم الوله ، والهيام ، والتتيم ، وهو أرفع درجات الحب لأنه التعبد » .

حـول كـتاب :

# رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا

## الجانب الآخر من القضية

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

يقول ابن حيان مؤرخ الاندلس العظيم، المتوفى ٤٢٢ هـ : ١٠٣١ م ، عن مواطنه ومعاصره العالم الجليل ابو محمد علي ابن حزم :

« كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب ، وما يتعلق بأذيال الادب ، مع المشاركة في كثير من انواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة..

« وكان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه ، على استرسال في طباعه ، ومذل ( أى قلق ) باسراره ، واستناد الى العهد الذى اخذه الله على عباده، ليبيننه ولا يكتمونه ، فلم يك يلطف صدعه بما عنده بتعريض ، ولا يزفه بتدريج ، بل يصك به معارضة صك الجندل ، وينشقه متلقية انشاق الخردل، فينفر عنه القلوب ، ويوقع بها الندوب، حتى استهدف الى فقهاء وقته، فتمالأوا على بغضه ، وردوا قوله ، واجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو اليه والاخذ عنه ، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ، ويسيرونه عن بلادهم ، الى أن انتهوا به الى منقطع اثره ، بتربة بلده ، من بادية لبلة ..

وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع الى ما ارادوا به ، يبث علمه في من ينتابه ببادية تلك ، من عامة المقتبسين منه، من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة ، يحدثهم ويفقههم ويدارسهم ولا يدع المثابرة على العلم ، والمواظبة على التاليف والاكثار من التصنيف.»

الذخيرة لابن بسام ١ / ١٦٦

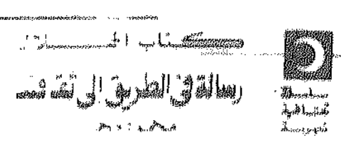
ما قرات هذا النص الا خلت الرجل يتحدث عن محمود محمد شاكر ، ومع أنى لا أوافقه فى بعض ما تحيف ابن حزم ، وبالتالى أبرىء عالمنا المصرى منه ، فان الصورة فى مجملها دقيقة.

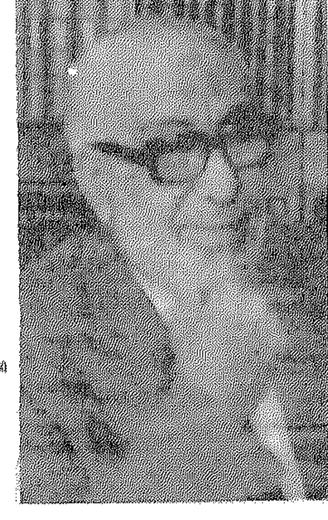
وبعد ابن حيان بقرن واحد من الزمان تقريبا أبدى أبو العباس بن العريف الصوفى الزاهد ، وهو اندلسي من المرية ، رأيه في جملة قصيرة مفيدة تغني عن صفحات : « سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان » .

ترانى أستطيع أن أستعير قولته . او أعدلها ، وان اضم الى ابن حزم ابا فهر محمود محمد شاكر .

احسب اننى ان فعلت لا اتجاوز وجه الصواب !

والحق اننى منذ زمن بعيد ، مقيما فى وطنى مصر ، او راحلا الى وطنى الذى كان ، اعنى الاندلس ،ويتقاسمان مشاعرى حبا وعرفانا على السوية ، الاول فيما يعطى، والثانى فيما أعطى،




محمود محمد شاكر

ما عرض لى ابن حزم الا ذكرت ابافهر، وما قرأت لا بي فهر الا واقع في خاطرى ابن حزم ، فبينهما من وجوه الشبه والتلاقى كثير ، فيما نقبله منهمـــا عارفين فضلهما ، او نستأذنهما في رده شاكرين ، وكل ما هو غير قرآن او حديث يؤخذ منه ويترك ، ويقبل منه ويرد عليه ، فيما يقول السـلف من شيوخنا ! •

أترى المقدمة طالت ؟ •

أظنها كذلك ، ولكن الحديث عـن « رسالة في الطريق الى ثقافتنـا » لأستاذنا محمود محمد شاكر ، وكتبها كلمات قلائل صدر بها كتابه الخـالد « المتنبى » ، ونشرتها الهلال في كتابها الثقافي مستقلة ، تتطلب مثلها وزيادة لو اتسع المكان •

فقد أجمل فيها عالمنا الكبير ثـلاث قضايا جد خطيرة في لغة رصـينة ، وأسلوب بليغ ، وصراحة عالية ،وعمق لا وراء بعـــده لمستزيد ، وهى : الاستشراق والتبشير والاستعمار،وبين هذه المحاور الثلاثة ، وقبلها أو بعدها تناثرت آراء أخرى ، مقصودة أو تأتى عرضا ، عن المنهج والتذوق الادبى ، والثقافة والعلم والنحو، وفساد الحياة الأدبية ، والصدام المروع بـين الاسلا

والكاثوليكية ، أو المسيحية الغربية ان شئت ، وهى حرب لما تتـوقف ، وان اختلفت الاسلحة وتنـوعت وتلونت . وأعدت لكل معركة أسلحتها ،وذكريات عزيزة على صاحبها ، ومضيئة لنـا ، وكلها افكار لا تذهب بددا ، أو يجـب أن تكون كذلك ، وانما تثير عند مـن يقرأ ويفهم ويفكر كوامن وشـجوننا ، وتزلزل سواكن العقول •

ورغم ارتفاع النبرة ، فان الكـاتب لا يغلو ، ولا يجاوز حد الاعتدال ، ولا يتخفف في التعبيـــر ، ولا يوارب أو يداهن ، وانما يتحدث الى قومه في لغة واضحة لا تحتاج الى تفسير أو تأويل، ولا تحتمل لفا أو دورانا ، كما نقـول في لغتنا الدارجة •

## ● حرب دينية ماكرة

نحن معه في كل ما قال عن الحروب الصليبية ، ونراها حربا دينيـة مـن الفها الى يائها على غير ما يلقنـون أبناءنا في المدارس ، ويحشون أدمغتهم في الجامعات ، ويملأون أسماعهم في الاذاعة والتليفزيون ، من أنها كـانت حربا سياسية لبست رداء الدين •

ونعرف اكيدا أنها حرب أعلنها البابا أوربان الثانى ، في خطبته التى القاها في مون كلير ، ذات يوم من خريف عام

١٠٩٥ م ، من فوق منصة عالية ، في عمقها صليبان كبيران ، يحملهما رجلان أبيضان ، حتى القفازات التي في أيديهما كانت بيضاء ، وحينئذ ظهر بين الصليبيين رجل أبيض أيضا ، طويل القامة ، أشقر اللحية ، يرتدي ملابس بيضاء ، ووشاحا في لون لحيته ، يتدلى من كتفيه ، وتتناثر من فوقه صلبان كثيرة ، وتقدم البابا خطوات على المنصة ، بين صخب عنيف من الجماهير ، وأحدثت كلماته الاولى في صوت رنان صمتا مطبقا ، وبدأ يتحدث بالرومانثية ، أى اللغة العامية ، وليس باللاتينية الجاسية :

« أتحدث الى كل هؤلاء الذين أمامي ، وأعلن به كل الغائبين ، متبعا أوامر المسيح ..

:

اذهبوا دفاعا عن المسيح ، أنتم يا من في كفاح متواصل ، حاربوا الكفار · أيها اللصوص كونوا جنودا ، وقاتلوا من أجل غاية حقة ، اعملوا من اجل ثواب خالد يا من تخدمون بأجر تافه ..

:

« تحركوا نحو القبر المقدس ، انتزعوا تلك الارض من سلطان الجنس الملعون ، واحتفظوا بها لأنفسكم ، وفي تلك الارض يفيض اللبن والعسل ، فأورشليم أرض الله من أخصب الاراضي ، هناك مات المسيح من أجلنا ، وفيها دفن ، وفيها قبره لا يزال يواصل معجزاته السنوية ..

« لا تخافوا ، سنحفظ لكم ثرواتكم ، وسوف تنتزعون من عدوكم ثروات أعظم وأضخم ، لا تخافوا أن تموتوا فقد مات الاله من أجلكم ، واذا مات أحدكم عبر الطريق ، أو في كفاحه ضد الوثنيين فسوف تغفر له خطاياه . أعلمكم بهذا ، وذلك بفضل السلطة التي منحنيها الله » ·

وتقدم الكاردينال أديمر أسقف بوى وطلب أن ينضم الى قيادة الجيش ·

وقال الناس انهم كانوا يرون في السماء صورة بيت المقدس حين كان البابا يلقي خطابه ·

واستطاع هذا البابا أن يوحد شعوب الغرب الأوربي نحو غاية واحدة ، رغم اختلاف هذه الشعوب جنسا ولغة وعادات واهتمامات ، جمعهم تحت راية الصليب ·

يا له من بابا يا شيخنا العظيم ، انهم يسمونه في تاريخهم البابا الذهبي ، وهو لقب جدير به ، شخصية وثقافة وحزما وتكوينا ·

هل في لغتنا العربية شيء عنه ؟· لا أعرف على كثرة ما قرأت · يرد اسمه على استحياء أحيانا ، متواريا بين أسطر حين يتحدث مؤرخونا عن الحرب ، ولكن أحدا ، أعني المسلمين ، لم يدرسه أو يؤرخ له ، ومن ثم فنحن نجهله ، لا شخصا ، فأهمية هذا قد تكون محدودة ، ولكن اتجاها وسياسة وتخطيطا ، وهي أشياء ربما تطورت قليلا مع الزمن ، لتواجه ظروفا متغيرة ، ولكنها لم تتبدل في جوهرها ·

ولست أعرف الخطبة مترجمة نصا في لغتنا العربية ، وانما شذرات منها نجدها في هذا الكتاب أو ذاك ، كما يقدمها لنا الاوربيون أنفسهم ، أو الكاثوليك ان شئت ، لأنها لا ترد كاملة في أغلب المصادر الأوربية ، فهم يعبثون بها عند الضرورة ، يحذفون فقرات منها يرونها غير مناسبة ، وهم يختلفون في نصها ، وربما لأن البابا

القاها ارتجالا باللهجة العامية،فسجلها من أراد من الحاضرين حسب ما فهم.

ولم تنس أوربا الحديثة هذه الحرب، ولكنها لا تخطب بها،ولا ترفعها شعارا وانما تدرسها جيدا وفى عمق ،لتأخذ منها العبرة والعظة والدرس المفيد ، فى سياستها الانية والقابلة ، ولـذلك أنفقت مؤسسة فورد الامريكية أموالا طائلة ، لجمع المصادر الاصليةللحروب الصليبية ، ونشرها كاملة كل مصدر فى لغته الاصلية ، عربية أو لاتينية ، أو سريانية،أو رومانثية ، أو جرمانية، ولغات أخرى محدودة الانتشار ، وفى ظنى ، ولست على يقين لأننا فى مصر لا نملك منها شيئا ، أنها تبلغ ستة وعشرين مجلدا ضخما .

وقبل خطبة البابا أوربان باكثر من ثلاثين عاما ، أو بالدقة فى سنة ١٠٦٣ م ، منح البابا أسكندر الثانى المحاربين الكاثوليك الذين يقاتلون مسلمى الاندلس غفرانا ، وأعفاهم من التوبة ، واعتبر قتالهم المسلمين تكفيرا عن خطاياهم ، وفى خطاب منه موجه الى أسقف مدينة نربون فى جنوب فرنسا استثنى ذبح المسلمين من التحريم الكنسى العام للقتل ، وفى خطاب منه الى رجال الكنيسة فى فولتورنو فى ايطاليا يحث أولئكم الذين قرروا الذهاب الى اسبانيا لقتال المسلمين أن يركزوا كل انتباههم فى انجاز مهمتهم.. وانه يعفيهم من التوبة، ويغفر لهم خطاياهم ..

***

● **يأتى التبشير الوجه الاخر لخطبة البابا ، فقد تجدى الكلمة الحلوة حيث لا ينفع السيف، وليس أدعى الى العرفان والامتنان من أن يجد المحتاج ، ومن فى ضائقة ، يدا تمتد اليه ، تسنده أو تدعمه أو تعالجه ، أو تعطيه خبزا،أو تيسر له سقفا ، وكلها تفتح القلوب المقفلة ، وتذيب الصخور المعوقة ، ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا .**

## ● بدايات الاستشراق

وبعد قرنين من خطبة البابا أوربان بدأ الاستشراق رسميا ، وعلى نحو منظم ، فى معهد تنفق عليه الدولة ،فى مدينة مرسية ، ورايات الاسلام لما تزل خفاقة على جانب من الاندلس ، حين أنشأ الملك الفونسو العاشر(١٢٥٢ ـ ١٢٨٤ ) ، ويلقبه قومه الحكيملكثرة ما اهتم بالعلم ، مدرسة في مرسية ، عهد بها الى عالم مسلم ، لا نعرف عنه شيئا ، أو نذرا قليلا لا يغنى ،هو محمد بن أحمد بن أبى بكر الرقوطى ( فى كل طبعات نفح الطيب الذى أورد خبره ، بما فيها طبعة احسان عباس القرموطى وهو خطأ ) ، نسبة الى رقوطة ، وهى قرية صغيرة تقع شمال غرب مرسية ، على نهر شقورة ، وكان بحسب تعبير المقرى : « من أعرف أهل الاندلس بالعلوم القديمة : المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب ، فيلسوفا طبيبا ماهرا ، آية الله فى المعرفة بالاندلس، يقرىء الاممبالسنتهم فنونهم التى يرغبون فيها وفى تعلمها. ولما تغلب طاغية الروم ( أى الفونسو ) على مرسية عرف له حقه ، فبنى له مدرسة يقرىء فيها المسلمينوالنصارى واليهود .

ويبدو أن الملك لم يتوقف فىالضغط عليه ، لانه ترك مرسية ، واستقر فى غرناطة ، وأرسى فيها قواعد أول جامعة اسلامية عصرية فى الغرب الاسلامى .

وانتقلت الجامعة النصرانية من مرسية الى اشبيلية ، لأن الاولى كانت لما تزل تتنسم أريجا اسلاميا ، على حين أن الثانية ذات تاريخ نصرانى عريق ، وعلى اية حال فان عملية الترجمة على نطاق واسع من العربية

# رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا

الى اللاتينية ، أو القشتالية ( أى الاسبانية القديمة ) استقرت فى طليطلة حيث الجميع يعرفون العربيه ، الى جانب اللاتينية ، نصارى ومسلمين ، ودخلت التاريخ تحت اسم مدرسة المترجمين فى طليطلة ·

وفى القرن نفسه سوف نلتقى برايموندلل ( ١٢٣٥ ــ ١٣١٥ ) ، فيلسوف نصرانى من الجانب المسيحى فى الاندلس ، وربما أعظم فلاسفتهم فى هذا القرن ، يجيد العربية ، ويكتب بها بعض مؤلفاته قبل أن يترجمها الى اللاتينية أو القطلونية لغته القوميه ، وهى التى يتكلمها شمال شرقى أسبانيا وتأثر كثيرا فىفلسفته زاهدا ومتصوفا وداعية بابن عربى المرسى ، وبذل جهدا كبيرا فى دعوة البابا أن ينبذ الحرب ، وأن يتبنى التبشير بالكلمة والود ، ودعا الى تعليم اللغة العربية، وحمل الرهبان على معرفتها والوعظ بها ·

وكانت هذه البداية التى اتسعت وامتدت حتى بلغت كل الجامعات الأوربية ، والدوافع واحدة ، وأن ارتدت فى كل جامعة ثوبا مغايرا

وكانمنأمر الاستعمار مما لا يحتاج منى الى فضل بيان ·

كل ما عرضنا له ، واكثر منه ، حق لا شك فيه · ولكن هل هم المسئولون عن تخلفنا واختلافنا ، وفقرنا وجهلنا ؟

هنا يا أستاذنا الجليل سوف تفترق بنا الطريق !

## ● طريق النجاح

بدءا أقرر أنه ما من مبعوث على قدر من الذكاء والفهم أرسلناه الى أوربا ولم ينبهر، ابتداء من رفاعة الطهطاوى، وحتى آخر مبعوث سوف يسافر هذا العام ، أو ما يتلوه من سنوات ·

ولكن ، ما الذى بهرنا هناك ؟·

صدقنى اننا لم نكن من السذاجة بحيث لا نعرف ما نريد ، وماذا يراد بنا ولنا · وعندما سألنى أحد تلاميذى النجباء ، مسلم صادق وذكى نابه ، وكانت وجهته فرنسا مبعوثا : ما الشىء الاهم الذى يجب أن يوليه كل اهتمامه هناك ؟

كان ردى : أن يتأمل كثيرا وطويلا ، وعميقا كيف بنوا حضارتهم ، وما الشىء الذى جعلهم يبلغون هذا القدر من القوة والتقدم والغنى ، فاذا عرفت هذا السر تكون البعثة قد حققت غايتها ، وطريقك اليه أن تتمكن من لغتهم تماما ، لكى تنفذ الى ما وراء ظاهرهم ، فقبلها سوف تتعثر خطواتك ، وقد تضل طريقك ، وما عدا هذا السر واللغة وسيلة كشفه ، فأمره هين وسهل وميسور ·

**ولست أكتمك أن هذه مرحلة لم يبلغها الا قليلون ، فكثيرون عادوا ولا يعرفون من لغة البلد الذى اوفدناهم اليه شيئا ، الا ما يقع فى الكلام العادى التافه ، كأن يرد تحية ، أو يسأل عن طريق ، أو يطلب كوبا من الشاى مقهى ·**

جاءت هذه فاصلة ضرورية بين سؤال وجهته فى البدء : ما الذى بهرنا فى العالم الاوربى الذى ذهبنا اليه ؟·

بهرنا فى المقام الاول احترام الانسان ، فما دام الفرد مستقيما لم يخرج عن جادة الصواب ، لا احد يستطيع أن يناله بسوء ، حتى ولو من بعيد ، فهو لا يؤخذ بالظنة ، ولا يؤذى بشبهة ، ولا تمس مقدساته أو حرماته· وحين يتهم يظل يتمتع بكل هذا الاحترام حتى يقول القضاء كلمته ، اذا برأ ساحته خرج مرفوع الرأس كريما ، واذا

أدانه أدى العقوبة دون تزيد ، ودون أن يتجاوزه العقاب الى غيره من أهله وبنيه ٠

وأن هناك حدا اقتصاديا أدنى لحياة المواطنين ، فى العيش والسكن والتعليم والصحة ، وأن الفرد وهو يكافح فى الحياة لن يكون وحيدا اذا كبا أو مرض أو تعثر أو أقعدته جوائح الحياة ٠

### ● نهاية مؤسفة

ومع التأمل والمعاودة والتعمق فى تاريخنا وجدنا الدولة الاسلامية فقدت مقوماتها الاساسية ، وانتهت الى العجز الذى نعيشه ، حين انهار فيها هذان العنصران : احترام كرامة الانسان ، والاكتفاء الاقتصادى ٠

كان فيها طغاة على امتداد أرضها وعمق تاريخها ، يقتلون من يشاءون حيث يشاءون ، وحين كان هناك من يقف فى وجوههم، ويردهم عن طغيانهم، كان الامل يزهر ، والدولة تنتعش ، وحين كثر عددهم ، وضعفت المواجهة أو انعدمت ، ساء حالنا ، وانتهى الى ما نحن فيه ٠

حين كانت الدولة غنية ، والارزاق موفورة ، والفقر معدوما أو نادرا والتكافل شاملا ، عاشت قوية مهابة، وحين جفت مواردها ، وفقدت ثراءها، تخطفها الطامعون ٠ وكان سقوط مصر تحت جحافل الغزو العثمانى نتيجة حتمية لتدهورها الاقتصادى ، حين شاع الاغتصاب والنهب والسلب واشتد القحط وعم الوباء ، وتعدد الجفاف واكتشف بحار برتغالى طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٧ ، فأتى على ما كانت تجنيه مصر من ضرائب ومكوس على التجارة الذاهبة من أوربا الى الهند ، أو من هذه الى تلك ، فأتى على بقية الرخاء ، وجعل مصر تعيش حالة من البؤس والسوء شغلتها عن المقاومة، واستسلم الجيش المملوكى بعد لقاء واحد ، وبعدها أخذت طريقها نحو السفح مهرولة ٠

وبهرتنا الاغلبية من رجال الدين هناك ٠

فهم دعاة بحق ، لا يعيشون فى الاحياء الراقية وحدها ، ولا يقبضون على عملهم أجورا عالية ، وانما يعيشون حياة مريحة ، فى بساطة بهجة ، وتقشف جميل ، وكثرتهم تشارك الفقراء حياتهم فى القرى ، وتجاور العمال مصانعهم فى المدن ، وترعى أولادهم ، وتحنو على كهولهم ، أما التبشير بالدين عندهم فيتجه الى مجاهل أفريقيا ، وأطارف آسيا ، والى بلاد المسلمين نفسها أخيرا ، وكلها بلاد العمل فيها ـ كما ترى ـ تضحية بكل طيبات الحياة ٠

ويقع فى الخاطر أننا لا نذهب الى هذه البلاد الا موظفين يقبضون ، وأن الذين يتصدرون الدعوة الاسلامية ويحملون أرفع ألقابها لم يذهبوا الى هذه البلاد أبدا ، وانما يذهبون الى أوربا الغربية والولايات المتحدة وكندا، يشاهدون مباهجها ، ويعالجون أمراضهم ، ويتسوقون من انتاجها ٠ وكل ذلك لا بأس به ، **ولكن ما هو باطل كله أن يذهبوا الى هناك وهم يرفعون راية تفقيه المسلمين فيها ووعظهم ، وربما هداية غيرهم ، وهو غطاء يسترون به أن يدفع لهم الغير اقامتهم فى الفنادق الفخيمة ، أو علاجهم فى المستشفيات الغالية ، أو أجور الطائرات العالية ، وفى الدرجة الاولى طبعا !**

أرأيت !٠

ثم ، وهنا الطامة ، جعلنا لخطبة الجمعة تسعيرة ، اذا ألقاها خطيب يحمل الثانوية وما فى مستواها تلقى مكافأة عليها عشرة جنيهات كاملة ، أما اذا كان يحمل شهادة جامعية فسوف ترتفع الى خمسة عشر ، فاذا كان

# رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا

صاحبها يحمل الماجستير بلغت عشرين ، اما حامل الدكتوراه ، ولو من جامعة مبشرين ومستشرقين ، فسوف يقبض خمسة وعشرين جنيها ، معفاة من التامين والضرائب •

ومن هنا بدأ كبار الدكاترة يتسابقون عليها ، والامر فى ظاهره سهل‌ميسور، أن تفسر أية من القرآن ، أو تشرح حديثا نبويا ، والصعب خفى هين لا يعرفه أحد •

***

وفى مجال البحث والعلم بهرنا المستشرقون بمناهجهم واخلاصهم لقضاياهم وبلادهم ، وبالتقاليد العلمية العاليةالتى تحكم جامعاتهم، وبالخدمات العديدة التى تقدم للباحثين ، وما اكثر المكتبات التى تفتح ابوابها مع التاسعة صباحا وتبقى مفتوحة حتى العاشرة مساء ، وبداخلها المطعم الذى يقدم لك وجبة الطعام مدعمة ، والمقصف الذى يقدم لك الشراب باردا أو ساخنا ، والخدمة العاجلة المهذبة فيما تطلب من كتب ، أو الاعتذار عنها حين لا توجد ، والتوجيه النافع فيما تبحث عنه، وأين تجده •

## ● أغنى المكتبات فى العالم ..

هل أحدثك قليلا عن مكتبة الازهر ؟

انها أغنى‌المكتبات بنوادر المخطوطات واكاد اقول فى العالم كله ، وان لم يفهرس الجانب الاكبر منها ، لان عددا كبيرا من العلماء الصالحين اوقفوا مكتباتهم قديما وحديثا على طلابه ، وتحتل ركنا متواضعا فى مدخل الجامع الازهر نفسه على يسار الداخل فيه ، وقاعةالمطالعة بها ضيقة المساحة للغاية، متواضعة البناء والارض والمقاعد، تضم منضدة كبيرة واحدة ، تتسع لعشرة طلاب متلاصقين ، وحولها ثلاثة مكاتب خالية دائما •

وذات يوم قريب ، دخلها عالم باحث، وجد منضدة القراءة مزدحمة بالطلاب، وعلى مكتب بجوارها جلس طالب يقرأ، والمكتبان الاخران خاليان ، فأخذ مكانه على استحياء بجانب الطالب ، ولم يشأ أن يشغل مثله مكتبا آخر •

وفجأة أهل زعرور من داخل المكتبة ، وما ان رآهما على هذه الحال حتى صاح : الجالسون على المكتب يتركونه‌ا ولم يعره العالم او الطالب سمعا •

فعاد يصرخ مهددا : قلت اتركوا المكتب والا تبقى وقعتكم سودة !

أما الطالب فجمع أوراقه وخرج ، وأما العالم فنادى الموظف ، وحاول أن يعرفه بشخصه ، وأنه جاء يراجع معلوماته عن مخطوطة لدقائق معدودة•

فأصر الموظف : ولو ، تخرج ، وعندما يشغر مكان تعود •

وقال العالم فى عزم : ولكنى لن اقوم •

وانسحب الزعرور ، وعاد ومعه زعارير آخرون ، وأصروا اما أن يخرج العالم واما أن يتولوا تأديبه بأيديهم ، وحدث هرج شديد ، وتدخل الطلبة القارئون يعرضون عليه أن يتخلوا له عن أمكنتهم وقد عرفوا شخصه ، ولكنه رفض •

وجاء المدير ، رجل تجاوز الستين من عمره فى صوته ومظهره طراوة بادية ، وعرف الامر ، وبدأ يعتذر للعالم : ماذا أصنع ، هؤلاء يحملون شهادة التجارة المتوسطة ، أرسلتهم لى القوى العاملة، وليس عندى غيرهم ، وهم شرسون، ولا حيلة لى فيهم •

وعز الامر على موظف صعيدى شهم،

صغير السن والدرجة ، فعرض عـالم الباحث أن يصحبه الى مكتبه انقـاذا للامر، واستجاب العالم، ولكن الزعارير قرروا علانية انهم لن يقدموا لـه شـيئا مما يطلب ، ولو جاءهم شيخ الازهـر نفسه ، وانفذوا كلمتهم !

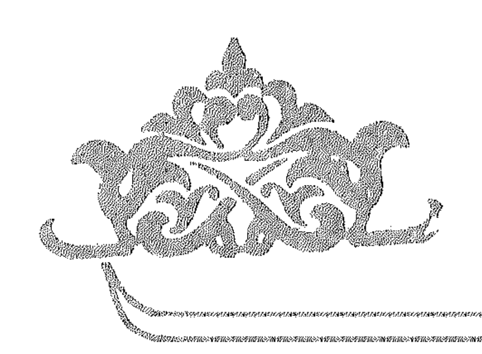
وبعد هذه الوقعة احتاج هذا العالم بعينه الى مجلة أجنبية ، عرف أنهـا توجد فى مكتبة دير الآباء الدومينكان ، فى أطراف صحراء العباسية ، فاتصـل بهم تليفونيا عما اذا كان ممكنا أن يقوم بتصوير هذا المقال ليعود اليـه حـين يريد .

وذهب اليهم ، ومع أول خطوة أحس أنه عاد الي أوربا ثانية ، الهدوء شديد، والامور منتظمـة ، ووجـد ما طلـب مصورا ، ودفع تكاليفه فى دقائق، وعاد الى بيته راضيا مغتبطا .

ان فساد الحيـاة الادبية يا عالمنـا الجليل ، وهى فاسـدة حتى النخاع ، يعود الى أسباب كثيرة ، ليس من بينها التبشير أو الاستعمار او الاستشراق وانما تعود فى أساسها الى أن حيـاتنا نفسها فاسدة ، والادب صدى لهـا ولا يستقيم الظـل والعـود اعـوج ، ومحال أن يمشي كل شيء في حياتنا، في غير طريقه الصالح ، ثم نتطلب هـذا في الحياة الادبية ، رغم كل ما يقـال عن الطليعة الموجهة، والصفوة المختارة، وهراء كثير يصم الاذان !

وفى النفس حاجات ، وفيك فطانة .
سكوتى سؤال عندها وجواب !





# لغويات

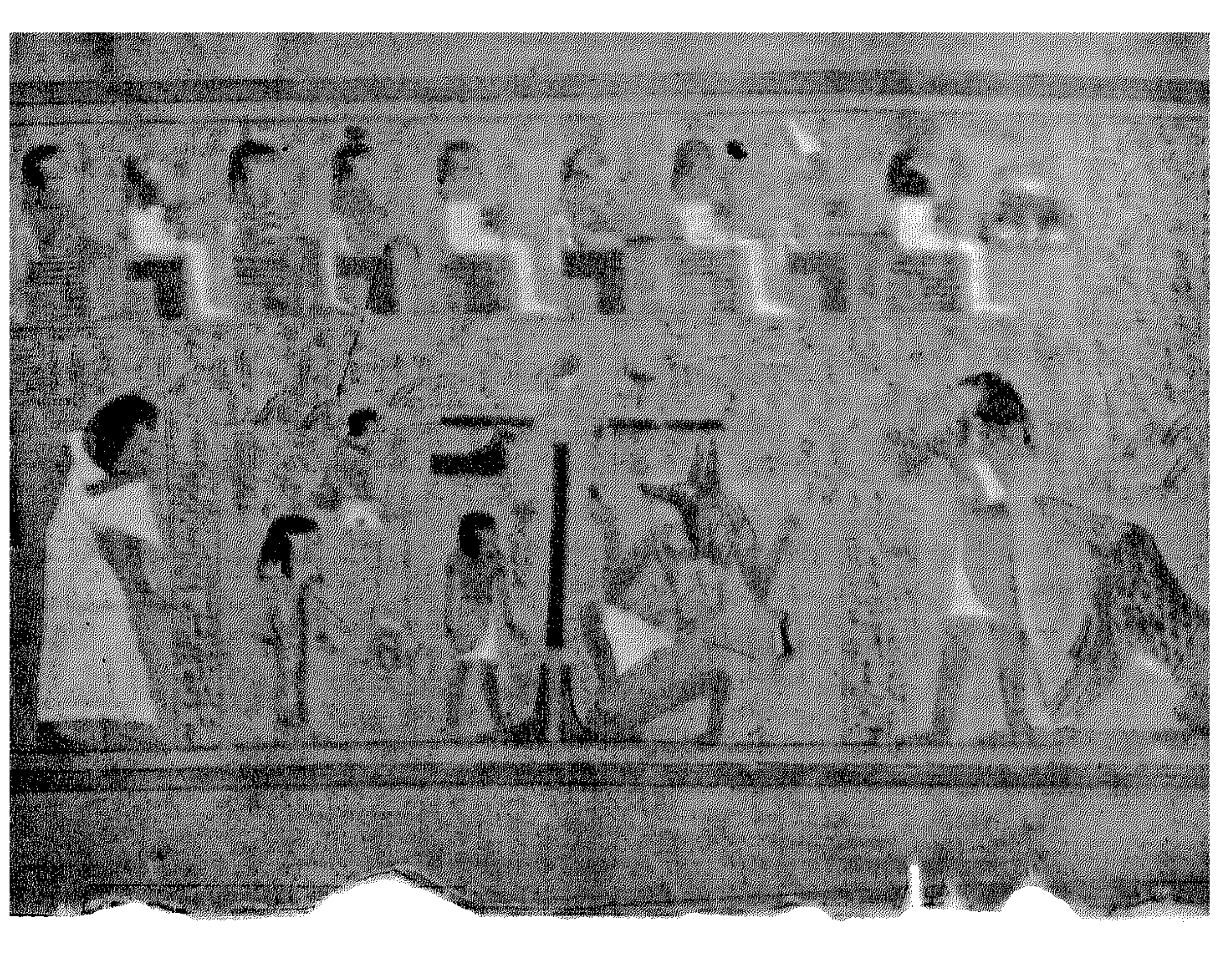
● يقال أذنتك بالأمر ـ بمد الألف فى آذنتك مدا ظاهرا ـ أى أسمعته لأذنيك . ومعنى "الأذان" بهمزة قطع مخطوفة خطفا فوق الألف الأولى ، هو الإعلام بالشىء . والمئذنة هى الموضع الذى يتم من فوقه هذا الإعلام .. ويخطئون فى الإذاعة والتليفزيون فيمدون الألف الأولى فى كلمة " أذان " عندما يقدمون أذان الصلوات ، فيقول المذيع أو المذيعة مثلا : " حان الآن وقت آذان الظهر" .. بمد طويل للألف الأولى ، وهو خطأ فاحش ، لأن "الآذان" بهذا المد جمع أُذُن ، والمثنى أُذُنان ، وهما اللتان يسمع بهما الإنسان ، وشتان بين " آذان " يسمع بها الناس ، و "أذان" يسمعه الناس فيقومون للصلاة !.

● يقال الآن فى الأهاجى السياسية : إن فلانا قد انحدر إلى الحضيض !.. والحضيض هو القرار من الأرض عند أسفل الجبل ، فمعنى كلامهم هو أن فلانا هذا قد انحدر من قمة الجبل إلى ما يلى سفحه من الأرض المنخفضة !..

● " اللحظة " هى الوقت القصير جدا ، وأصلها لحظة العين ، أى النظرة السريعة بمؤخرة العين . واللحاظ هى العيون ، والمفرد : لحظ .

● وزارة الرَّى ، تختلف فى نطقها إذاعات الأقطار العربية ، فبعضها ينطق حرف الراء فى " الرى " بكسر وتشديد . والإذاعة المصرية تنطق الراء بفتح وتشديد ، اتباعا للنطق السائد فى مصر ، وهو الأصح فى رأينا ، لأن " الرِّى " بالكسر هو الشبع بالماء ، أما بالفتح فهو اجتلاب الماء أو نقله أو استقاؤه من النهر أو العين أو البئر ، وهذا هو عمل وزارة "الرَّى" ، بفتح الراء وتشديدها .

● زعموا أن كلمة "المنبر" سريانية الأصل أو فارسية لأن السريان والفرس عرفوا المنابر قبل العرب ، وهذا زعم باطل جملة وتفصيلا ، فهى كلمة عربية ، أصلها " نبرت الشىء " .. أى رفعته عاليا .. ومن هذا الفعل جاءت نبرة الصوت ، أى رفع الصوت ، وسمى المنبرُ منبراً ، لأنه الموضع الذى ترتفع فوقه نبرات أصوات المتكلمين ..



# البعث ومحكمة الآخرة
## فى كتاب الموتى ورسالة التوحيد

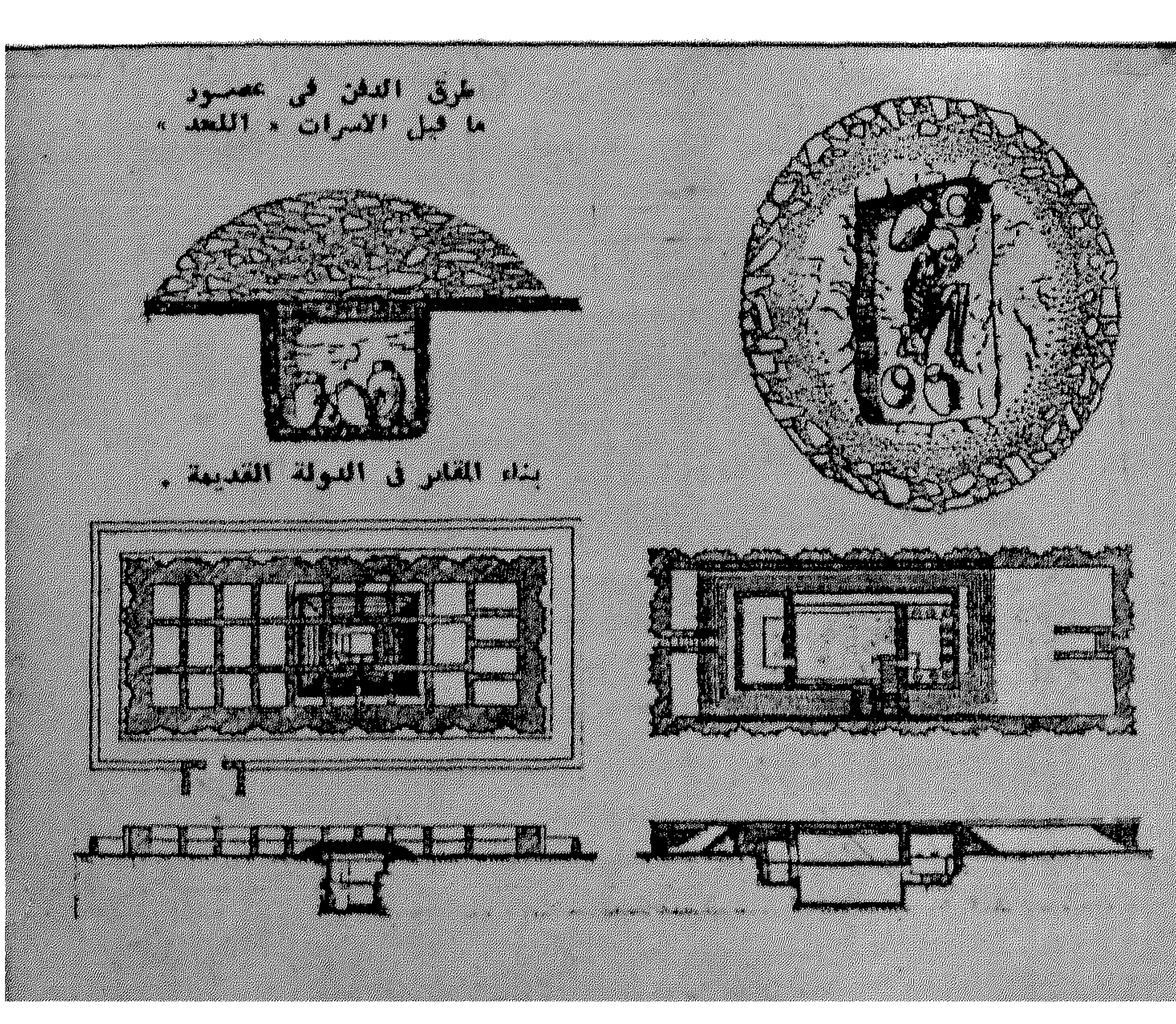
بقلم : د . سيد كريم

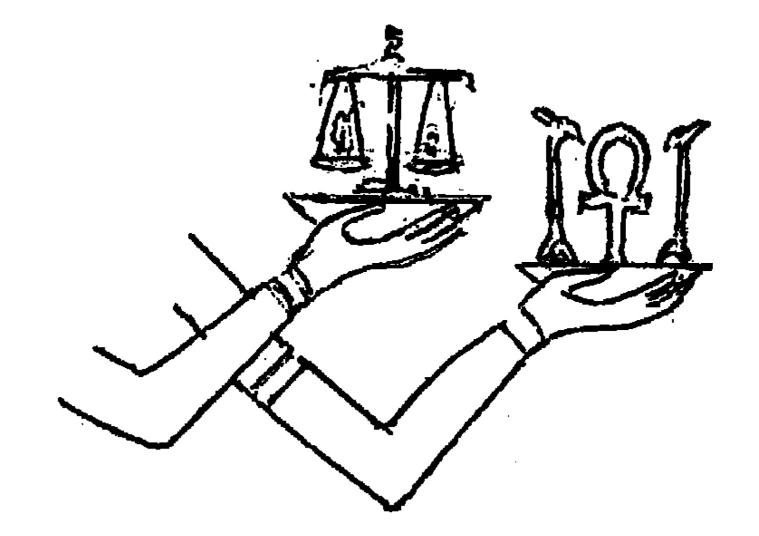
**●● إن الإيمان يجرى فى عروقهم كما يجرى النيل فى أرضهم لقد اهتدوا إلى الدين والإيمان قبل أن يبدأ التاريخ . آمنوا بالحياة الأخرى عندما آمنوا بالاله الواحد وملكوت السماء . وبالتوحيد آمنوا ، آمنوا بالبعث والحساب ومحكمة الآخرة والجنة والنار ـ قبل أن تأتى بها اديان السماء لذلك عندما بلغتهم رسالات الأنبياء والمرسلين استقبلوها بقلوب مفتوحة . فآمنوا بها ورعوها فالتوراة خرجت من مصر . والمسيحية رعتها وحفظتها مصر . والاسلام تبنته مصر . ومعظم الانبياء آوتهم مصر ـ لأن الرسالات جميعها آمنت بالتوحيد والبعث والحياة الآخرة التى نادت بها مصر ●●**

● الاعتقاد فى البعث أمل وايمان ، آمن الفراعنة بالبعث مع الايمان بتوحيد الاله الذى حمل رسالته اليهم . اوزوريس احد ملائكة العرش الثمانية . نزل بها على ارض مصر التى اطلق عليها اسم ( جب بتاه ) أرض الاله قبل تاريخ عصر الاسرات بسبعة آلاف سنة . وهو الاسم الذى مازالت تحتفظ به مصر الى الأن . وقد بدأت الرسالة بتعليم المصريين القراءة والكتابة ليقرأوا تعاليم السماء والزراعة ولبس المخيط لتأمين حياتهم .

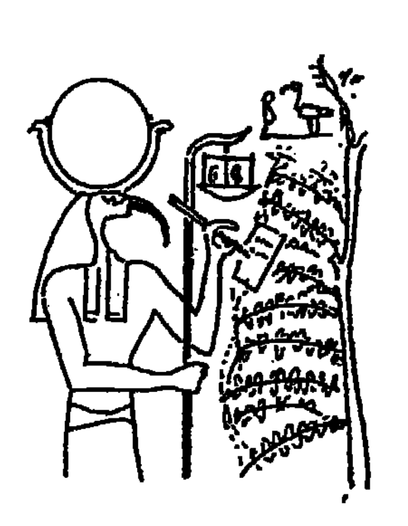
وعن طريق الايمان بالاله الخالق والتطلع الى اسرار الوجود كشفت لهم السماء ـ على حد وصف كهنتهم – ابواب المعرفة المقدسة من فلك وعلوم ورياضيات وطب وفنون وآداب ان ايمان المصريين بعقيدة التوحيد وتمسكهم بكل ماهو منزل من السماء من تعاليم وشرائع كان له الفضل الأول فى نشأة الحضارة الخالدة واستمرارها لأكثر من سبعة آلاف سنة .

لقد آمنوا بالبعث كما صورته لهم برديات متون العقيدة برؤية معالمه مجسمة وممثلة فى بعث الحياة ، وفى فيضان النيل الذى تغمر مياهه الأرض الميتة فتحييها ثم ينحسر عنها فيميتها ثم يبعث من جديد ليحييها ثانية . ويتحول النبات بعد موته الى حبة تدفن فى الارض ثم تبعث فيها الحياة مع فيضان النيل ثانية





يدان تحملان القـرابين فى قدس الاقـداس .. تحمـل احداهما رمز القـدر .. وتحمل الاخرى الميزان ..



المعبود تحوت امام شجرة الحياة حاملا باحدى يديه لوحا للقـدر المكتوب للروح ، وبالاخرى ميزان القضاء للنفس .

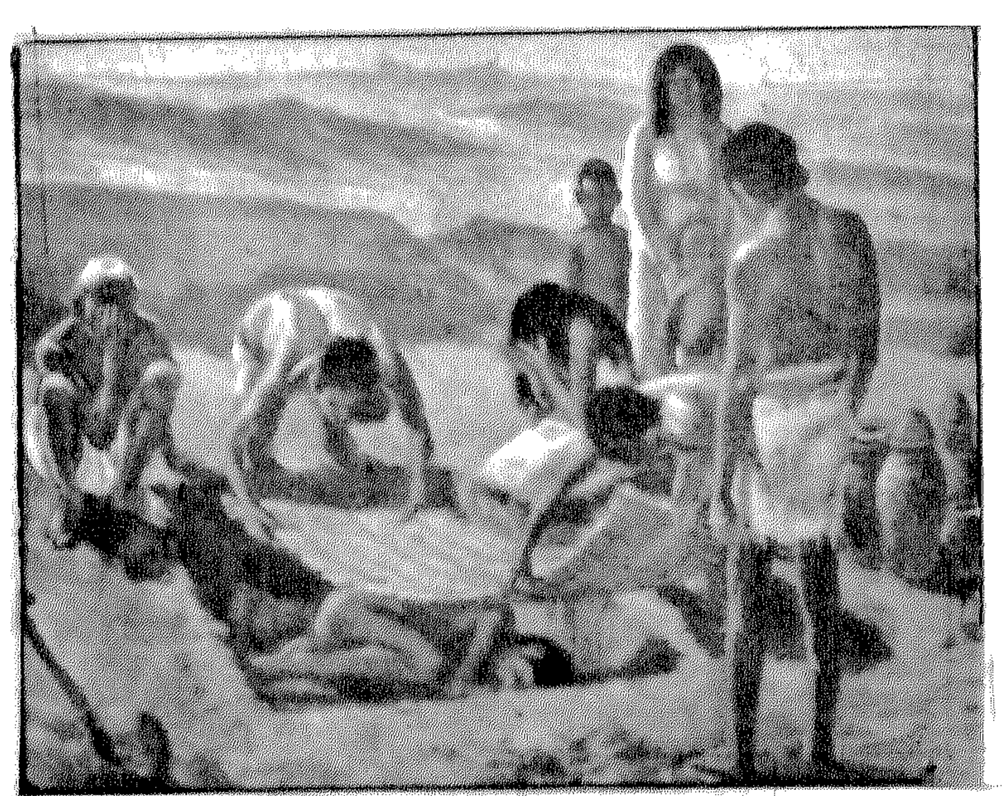
فيخرج النبات الحي من الحبة الميتة . رأوا البعث ممثلا فى دورة الشمس عندما تولد فى افق الشروق وتدور دورة الحياة لتغرب فى عالم الاموات ثم تبعث لتشرق ثانية فتحيى الارض والكائنات بنورها وتموت في ظلامها لتبعث ثانية فى شروقها او بعثها . نظروا الى القمر كيف يولد وكيف ينمو ليصبح بدرا ثم يضمحل وينتهى بالموت ثم يبعث من جديد .

لقد جسدت ارض مصر المقدسة ونيلها وسماؤها فكرة البعث امام المصرى القديم .

« ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فإذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شىء قدير » . ( فصلت ٣٩ )

## ● اهتمام بالغ بالبعث

ان اهتمام المصريين بحقيقة البعث من عصور ما قبل التاريخ كان الدافع الرئيسى لاهتمامهم بدفن موتاهم والحفاظ على قدسيتهم كما حظى دفن الموتى باحترام واهتمام نادرين لايمانهم بما وصفته كتب الموتى ـ بان الموت ليس نهاية الحياة والبعث هو استمرارها وباب القبر يغلق على حياة التجربة فى الارض ليفتح على مرفأ سفينة الروح التى تنقلها الى محكمة الاخرة لتستكمل مسيرتها الى عالم الخلود والانتقال الى الحياة الابدية .

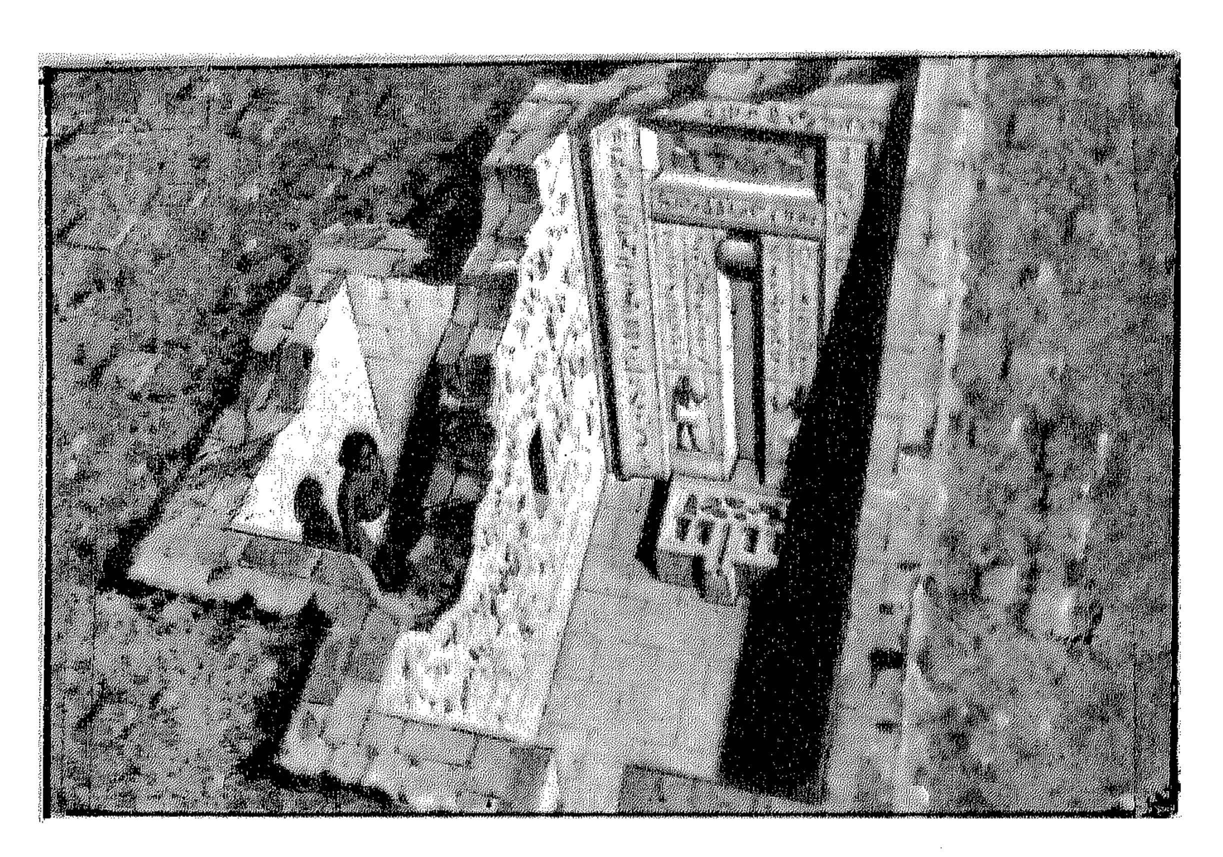


طرق الدفن في عصور قبل الاسرات
وتغطية الجثة بحصير من ليف النخيل

أن الايمان بالبعث والاعتقاد فى العالم الاخر ظهرت آثارهما في طريقة دفن الموتى لاعدادهم لمسيرة البعث ورحلة الانتقال الى محكمة الاخرة وعالم الخلود ، حين بدأ الاهتمام بدفن الموتى وماارتبط بعملية الدفن من طقوس وتقاليد بدائية في العصر النيوليتي والتي كشفت عنها حفريات المقابر التي عاصر تاريخها نزول عقيدة التوحيد الاولى وانتقلت منها الى حضارة تاسا القديمة قبل عصر الاسرات .

عبرت طرق الدفن التي انتقلت اليهم من متون العقيدة ـ بوضع الميت في حفرة القبر في بطن الارض التي خرج منها على طريقة وضع الجنين في بطن الام عند خروجه للحياة الاولى تعبيراً عن ميلاده الثاني او بعثه في العالم الاخر ، وضعوا الميت راقدا على جانبه الايسر جانب القلب أو القرين الذي سيلازمه في العالم الاخر واتجهوا بوجهه نحو الغرب حيث تغرب الشمس في طريقها الى العالم الاخر الذي سيتوجه اليه تحمله مراكب الشمس او سفينة الروح . مع وضع حاجياته الاولية من ادوات للزينة والمأكل والمشرب وبعض حاجياته المنزلية مع بعض صفحات من كتب الموتى ونصوص التلقين والدعاء .

وهي التقاليد التي اتبعت في مختلف العصور الفرعونية في ازدهارها واضمحلالها . وتشير كتب الموتى الى أن الميت لن يأخذ شيئا معه الى العالم الاخر سوى اعماله في الدنيا . فلن يحمل معه ممتلكات ومتعلقات عند خروجه من الدنيا سوى ما دخل به اليها يوم مولده .



باب القبر : البعث هو استمرار الحياة حيث يغلق باب القبر
ليفتح على مرفأ سفينة الروح التى تنقلها عبر السموات السبع .

وما كان يوضع فى المقابر من ادوات أو طعام لم يكن القصد منه كما وصفه بعض المؤرخين ما يحتاج اليه الميت فى القبر او فى رحلة المصير الى العالم الاخر والذى وصل فى العصور الذهبية من أوج الحضارة بزخرفة المقابر وتزويدها بادوات الزينة والمصاغ والاثاث والزهور والماكولات لكنه كما ورد وصفه فى بعض نصوص برديات العقيدة انها تعبر عن ذكريات الميت فى حياته الاولى ويقدم بعضها بصفة قرابين ونذور للالهة لذا فقد استعيض عنها فى كثير من مقابر الدولة الوسطى بزخرفة حوائط المقبرة بالرسوم والنقوش التى تعبر عن الحياة العامة والخاصة التى عاشها وعاصرها صاحب المقبرة بالاضافة الى ما قام به من اعمال فى حياته لخدمة المجتمع وما قام به من اعمال لآخرته تمهد له طريق النور الى عالم الخلود . والكنوز الفنية التى احتفظت بها مقابر المصريين القدماء من تماثيل وتحف وادوات تملأ غرف المقابر والصور والنقوش التى تزين حوائطها ، عبرت اصدق تعبير عن الحياة الاجتماعية العامة والخاصة فى المكان والزمان بجانب النقوش والنصوص الدينية التى تغطى اسقف غرف الدفن وجدران النواويس واغطية التوابيت ـ كانت المرجع الاساسى الذى استمد منه المؤرخون والباحثون فى تاريخ الحضارة المصرية ما ساعدهم على كشف أسرار الحضارة وتسجيل تاريخها فى مختلف نواحيها الاجتماعية والعلمية والسياسية والدينية ـ لقد عبرت الكثير من المقابر عن وجهى الحياة التى عاشها المصرى

القديم . وجه الحياة الدنيوية التى عمل فيها لدنياه ، ووجه الحياة الابدية التى اعد نفسه لها .

وهو ما عبر عنه المؤرخ ايرمان فى تاريخ الحضارات بقوله :

إن احتضان المصرى القديم للموت مهد له معرفة سر الحياة . فعمل فى حياته بالقيم والمعرفة التى استمدها من تشاريع العقيدة والايمان بالبعث فادى رسالته فى الحياة على انها ليست فانية ، وعمل لاخرته ايمانا بانها هدف خلود الوجود . فبنى باعماله حضارة مصر الخالدة .

عمل لدنياه كأنه يعيش ابدا .. وعمل لاخرته كأنه يموت غدا

● عندما امن المصرى القديم بوجود الخالق ومعجزة البعث وطريق النور الى محكمة الاخرة . بدأ تطلعه الى معرفة سر وجوده . والتساؤل عن معنى الحياة والموت فوجد الجواب فى برديات كهنة المعرفة المقدسة واقوال الحكماء فى تفسير كتب الموتى منه قول ايبرور

● « ليس هناك موت ان لم تكن هناك حياة . وليست هناك حياة ان لم يكن هناك موت . فالموت هو طريق البعث »

● الموت انتقال من حياة جسدية فانية ـ الى حياة ابدية خالدة ( آنى )

● الحياة رحلة فى النور بين الخروج من ظلمة رحم الام الى الدخول فى ظلمة رحم الارض فى القبر ( خيتى )

● باب القبر يغلق على حياة التجربة فى الأرض ليفتح على مرفأ سفينة الروح التى تنقلها عبر السماوات السبع الى قاعة الميزان . فالجسد يبقى فى الارض ليفنى والروح تصاحب النفس الى محكمة اوزوريس وتكمل مسيرتها الى عالم الخلود واستمرار الحياة ( حنوفر )

● طهروا ارواحكم وحصنوا انفسكم بتعاويذ كتاب الطريقين قبل الدخول من باب القبر ( آنى )

تشرح بردية تلقين الميت عند دخوله القبر . رحلة البعث بعد خروج الروح من القبر الى دخولها محكمة الاخرة كما وردت فى كتاب الموتى يقولها :



« ايها الراحل انك لم تمت بل دخلت بامر الله الى القبر لتخرج من بابه الاخر لتلقى اوزوريس فى محكمة الآخرة - لن تحمل معك الا اعمالك التى تضعها فى الميزان لتتلقى حكم الاله الاعظم خالق الكون والكائنات ليتحدد مكانك باعادة مولدك في عالم الخلود . ان قلبك قرين حياتك وهو الظل الذى يلازمك حتى تقف بين يدى الاله عندما تسأل وتجيب على اسئلة القضاة فهو القرين الذى لازمك فى الحياة الاولى وشاهد على اعمالك فلا تحاول ان تكذب فالخطيئة تضاعف اذا انكرتها . فاذا اخطات قل انى مذنب وقد اخطات لانى بشر فاغفر لى يارب والرب يغفر ذنوب المؤمن جميعها اذا اعترف بها وطلب العفو ولا تنس ان ملكى الحسنات والسيئات يقفان الى جوارك وانت تدلى بالشهادة »

## ● محكمة العالم الآخر

ان الحلقة الاخيرة من كتاب الموتى او نهاية رحلة البعث هى الوصول الى محكمة العالم الاخر - عالم الخلود - وتصور مختلف كتب الموتى ولوحات بردياته بنقوشها الفنية التصوير والاخراج قاعة المحكمة التى يتصدرها "اوزوريس" رئيس محكمة العالم الاخر - وهو جالس على عرشه وامامه مائدة القرابين والنذور التى كانت تقدم اليه فى المعابد اعترافا بالبعث والانتقال الى محكمته فى اليوم الاخر .

وتقف على جانبى اوزوريس كل من "ايزيس ونفتيس" ملكتا الحسنات والسيئات ، تحمل كل منهما الكتاب الذى سجلت فيه ما قام به المتوفى من اعمال فى حياته الدنيا - حياة التجربة والامتحان .

ويصطف على جانبى القاعة ( تاسوع عين شمس ) الاله الاعظم رب الارباب اتون ( الذى يصور على شكل حورس حامل قرص الشمس ) وخلفه المحلفون ملائكة الابواب الاثنى عشر ( ابواب البروج السماوية ) التى نزلت منها روح المتوفى فى ميلاده الاول بالارض .

على الجانب الاخر من القاعة يجلس هيئة القضاة الاثنين والأربعين وعلى رءوسهم ريشة "ماعت" علامة العدل والحق .

وفى وسط القاعة يظهر الميزان محور المحاكمة . يشرف على الميزان المعبود "انوبيس" ( رأس ابن آوى ) حارس ارواح الموتى فى القبور يقف خلفه "تحوت" كاتب الالهة الذى يحمل لوحا يسجل عليه نتيجة الوزن ويتحقق منه .

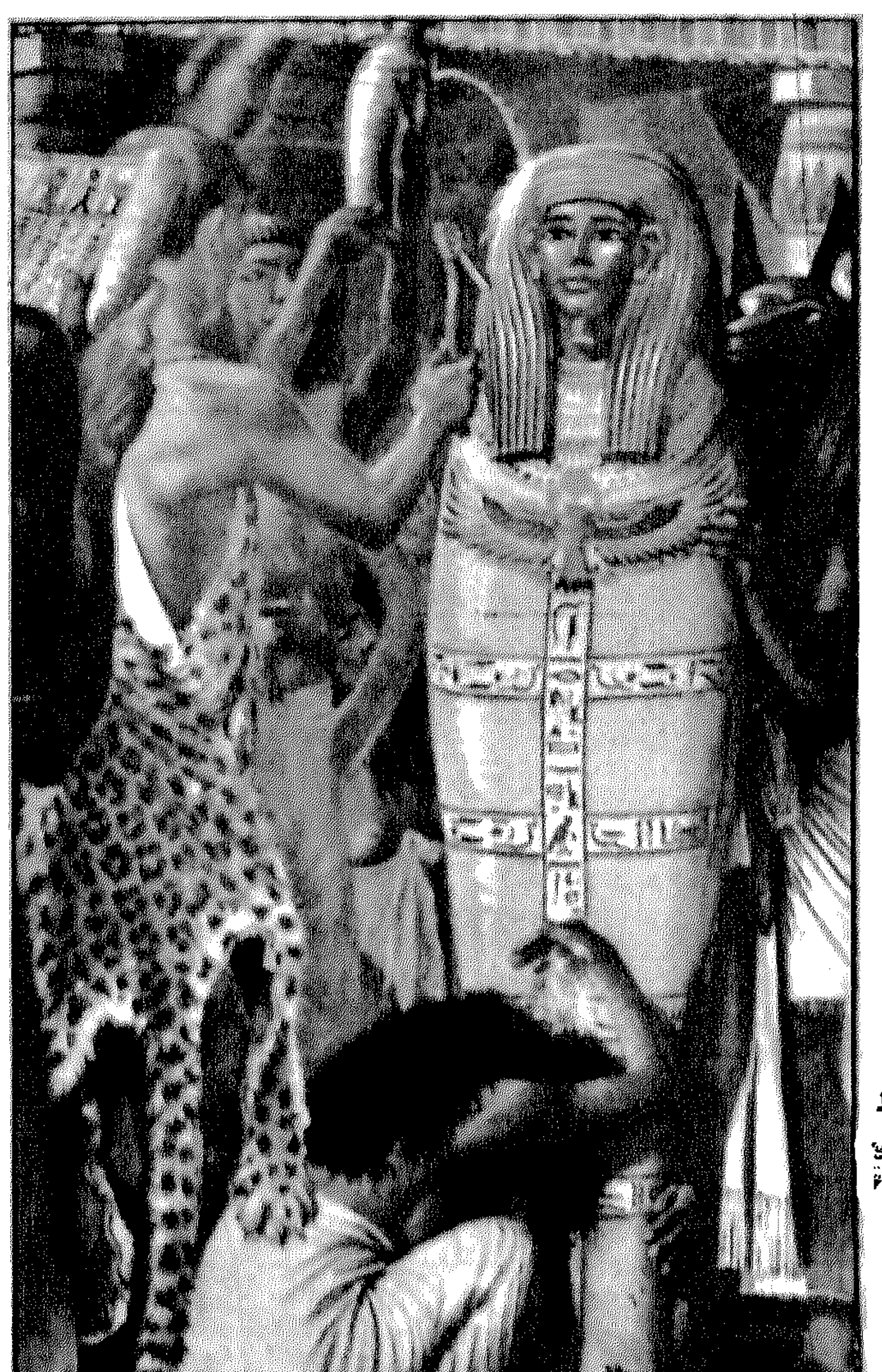
يقف خلف تحوت حيوان بشع يسمى الملتهمة - احد زبانية الجحيم ( رأس تمساح وجسد اسد ومؤخرة فرس النهر ) يتحفز لألتهام النفس اذا وجدت ظالمة .

ويقف المعبود "حورس" ( قائد الموتى الى المحكمة ) وهو يقود المتوفى الى الميزان . ويجلس على شاهين الميزان فوق قمته القرد ( هرمس ) للتأكد من سلامة شعرة الميزان . كما تقف على جانبى الميزان الملكتان « رننوت » و

« مسخت » تمثل الاولى ملكة الولادة فى الحياة الاولى ـ والثانية ملكة الولادة الجديدة فى عالم الخلود .

وتبدأ المحاكمة بدخول المتوفى يقوده حورس سائق الارواح الى المحكمة وبعدما يلقى بعض التعاويذ التى تلقنها فى القبر والتي وردت نصوصها فى كتاب الموتى يبدأها بالشهادة بإيمانه بالاله الاعظم والتعاليم التى حملها اوزوريس فى رسالته الى البشر والتمسك بشرائعه وما ورد فى كتابه ثم يتقدم نحو الميزان فينتزع حورس قلبه قرين حياته والشاهد على اعماله ويضعه فى احدى كفتى الميزان ويضع فى الكفة الاخرى ريشة ماعت رمز الحق والصدق والعدالة .

● « اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . مايلفظ من قول الا



تلقين الميت بعد تحنيط الجثة عند دخوله الى القبر ورده بدء الحياة

**لديه رقيب عتيد . ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » ( سورة ق ١٧ ـ ٢١ )**

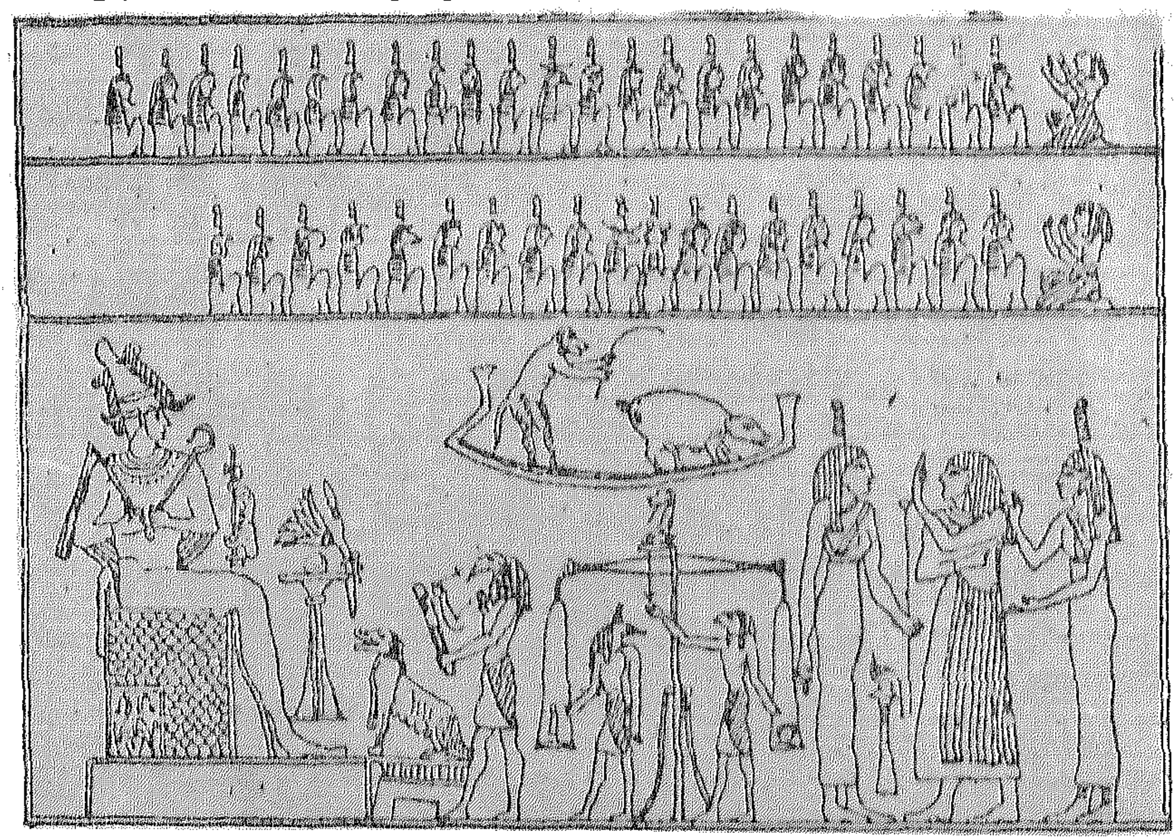
● **« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين » ( سورة الانبياء ٤٧ )**

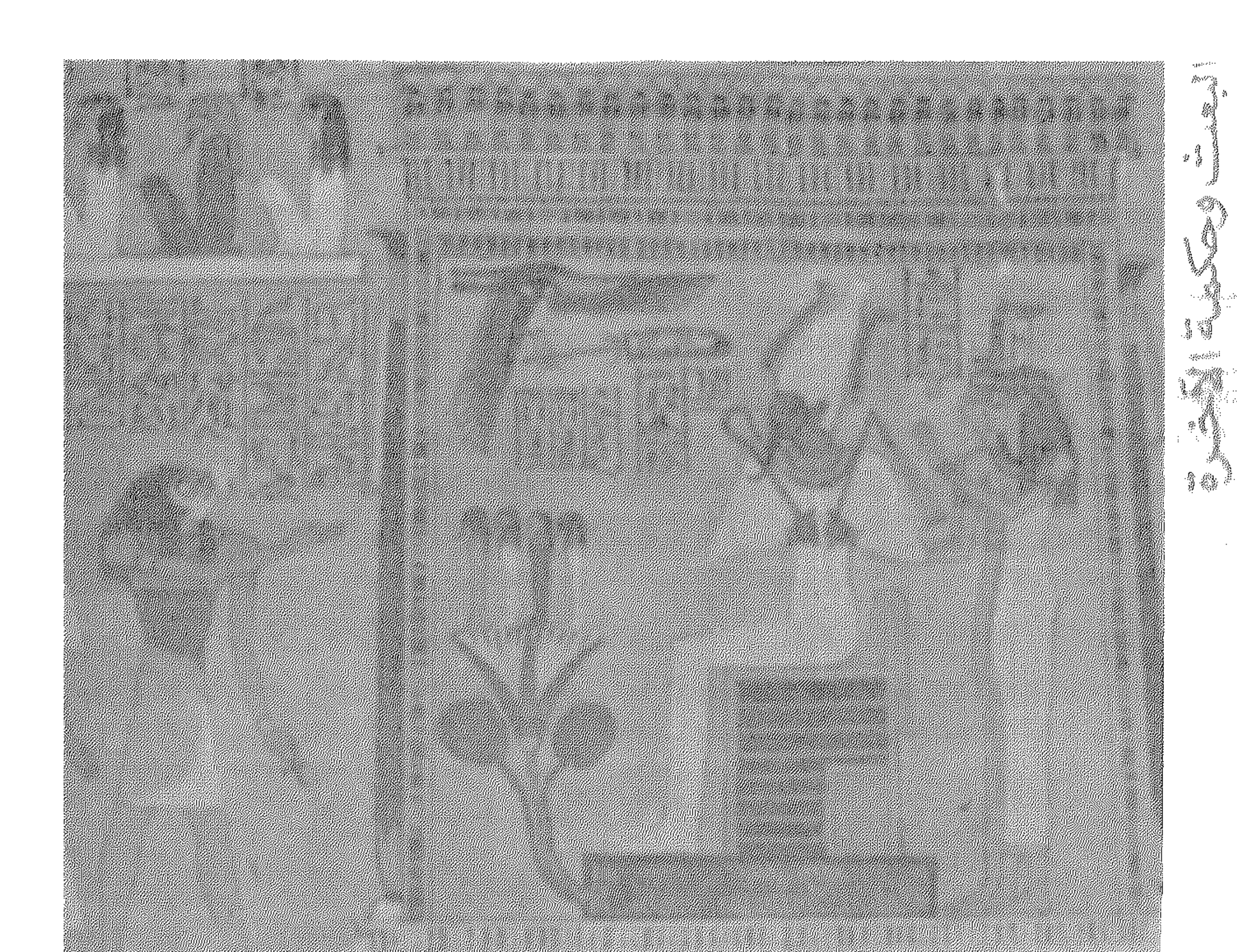
وبنهاية الميزان وتقييم الاعمال التى يسجلها "تحوت" فى لوحاته تبدأ المحاكمة باسئلة القضاة الاثنين والاربعين ـ يسأل كل واحد منهم سؤالا محددا يجيب عليه المتوفى ويقوم تحوت بتسجيل الاجابة ويقارنها بوزنها الحقيقى فى الميزان . بعد الانتهاء من اسئلة القضاة يرفع تحوت ( رسول الملائكة ) نتيجة المحاكمة الى المحلفين الذين يرفعونها بدورهم الى الاله الأعظم . الذى يصدر حكمه بمولده الجديد فى جنة الخلد ودخوله فى أحد ابواب طبقاتها السبع ـ أو تحمله الزبانية الى ابواب طبقات الجحيم حتى يتم تطهيره من ذنوبه أو الحكم بفنائه .

● **« والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » . ( سورة الأعراف ٨ ـ ٩ )**

● لقد احتل الميزان اكثر من موضع فى متون العقيدة ونصوصها وبرديات كتب الموتى وملازمته للانسان فى الحياة الأولى إلى أن يلتقى معه فى محكمة العالم الآخر مما تأكد فى قولهم :

محكمة الاخرة والقضاة الاثنان والاربعون .



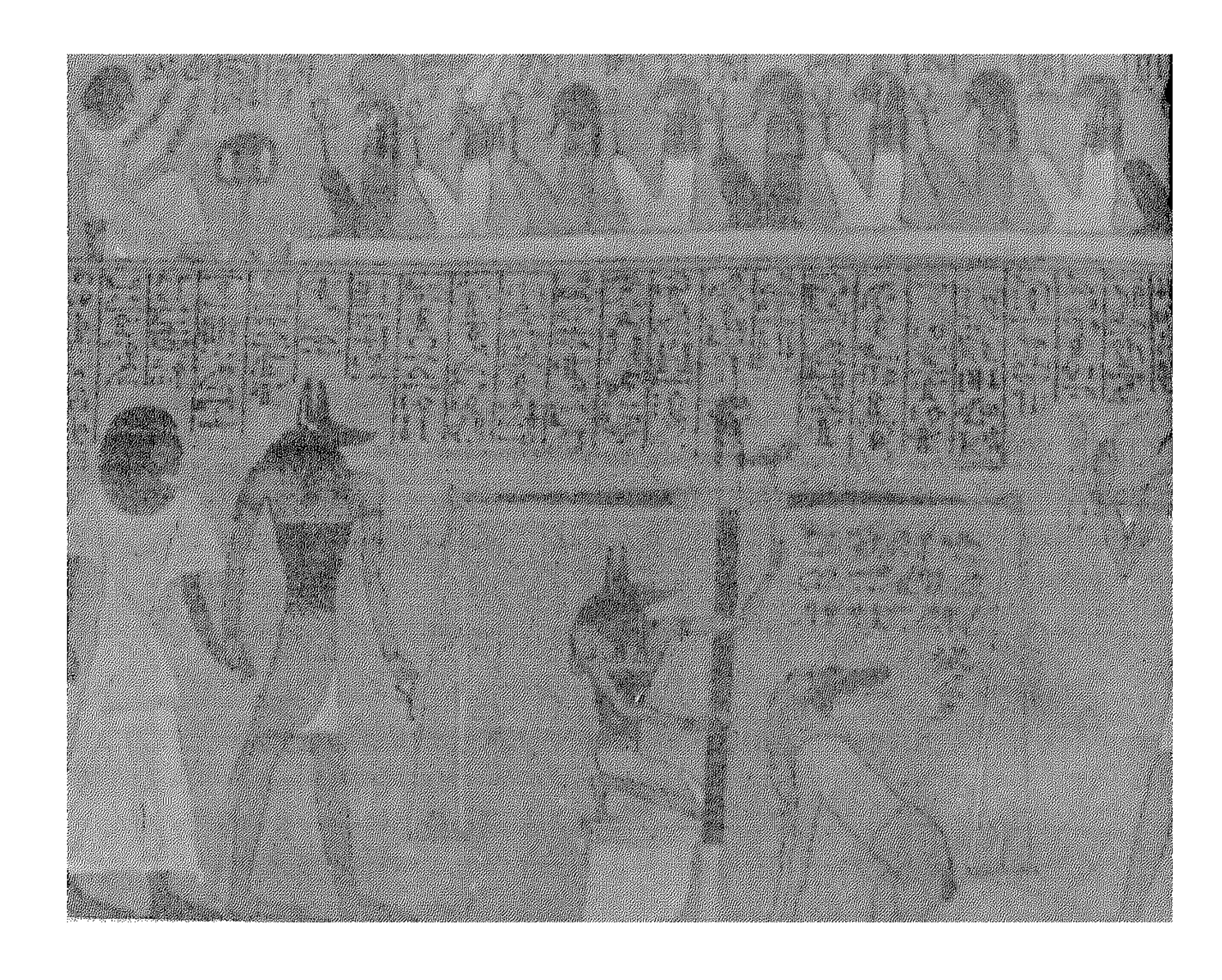


● صورة محاكمة العالم الاوزيرى ( ماخوذه من بردية خانوفر

« خلق الاله كل شىء فى الكون بالميزان . وخلق الانسان بميزان العدل والحكمة وزوده بتشاريع السماء ليزن بها اعماله فى الحياة الأولى حياة الامتحان . فاعمال الانسان فى الحياة هى التى تحرك كفتى الميزان فى الصعود والهبوط بثقل الموازين وخفتها وتقوم « رننوت » ملكة الولادة فى الحياة الأولى بتسجيلها فى كتاب الحساب الذى يحمله معه الى محكمة الاخرة حيث يعاد وزن الأعمال فى محكمة الاخرة بميزان المصير » آنى .

« زن اعمالك فى الحياة قبل ان يعاد وزنها فى ميزان الاخرة حتى تقابل الاله بنفس مطمئنة وروح راضية » .   كاجمنى

« قلبك هو قرينك ودليلك الى الميزان . فلتكن روحك مضيئة ونفسك راضية عن اعمالك حتى تطمئن الى قلبك الذى سيشهد عليك عند وضعه فى الميزان »   سنب حتب



« ان ميزان الاخرة قد وضعه الاله بين يديك عند نزولك الى الحياة الأولى لتزن به اعمالك وتحاسب نفسك حتي لاتفاجأ باختلال الأثقال فى كفتى الميزان عند اعادة وزنها فى محكمة البعث » .

« عندما تموت لن يسألك الاله عما ملكت فى الدنيا لانك لن تأخذ شيئا منها معك . ولكن سيسألك كيف ملكت ؟

وهو مايحرك كفتى الميزان لتحاسب عليه » . ( ايبيور )

● ان اجراءات الميزان تبدأ بوقوف المتوفى امام القضاة الاثنين والاربعين حيث يلقى كل واحد منهم بسؤال واحد محدد بعد وضع قلبه فى إحدى كفتى الميزان وتوضع فى الكفة الأخرى « ريشة ماعت » رمز الحق والعدالة . وكلما اجاب على سؤال من الاسئلة تحركت كفتا الميزان وكلما ثقلت الموازين خفت القضايا .

# عبد الرحمن الشرقاوى

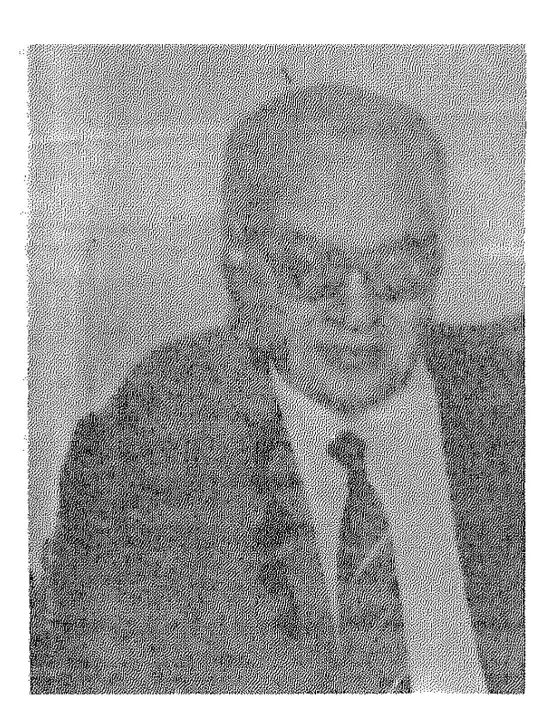
# الإنسان .. الصّديق .. الراحل

بقلم: فاروق خورشيد

ستحيا ابنتى فى ظلال السلام
.. وتنعم باللعب الوافرة
تمارس كل حقوق الحياة حقوق طفولتها الزاهرة
ستحيا انطلاقاتها كلها وأحلامها الحلوة الشاعرة
واقسم ان لن تصير ابنتى غدا طفلة لشهيد قضى
اتسمعنى أيها الهمجى . ستحيا ابنتى فى ظلالى انا
كاسعد مانتعاطى الحياة
أتسمعنى أيهذا الاله ؟
ستحيا ابنتى فى ظلال السلام
وتصبح انت مع التابعين هواجس
من ذكريات الظلام

بهذه الابيات المليئة بالصدق والمرارة ، بالاصرار والاحساس بالطحن ، بالثورة والامل ، ينهى عبد الرحمن الشرقاوى قصيدته الرائعة « رسالة من أب مصرى الى الرئيس ترومان » التى نشرها عام ١٩٥١ فكانت أحسن استهلال لحياة رائعة فى دنيا الكلمة والفكر ، وكانت تلخيصا موجزا للرؤية والفكر اللذين سيظل يدور فى فلكهما حتى النهاية عام ١٩٨٧ ، تلك الحياة التى بدأت عام ١٩٢٠ فى قرية الدلاتون بالمنوفية والتى دارت أساسا حول حب الاسرة ، وحب الوطن ، وحب القومية ، ثم حب السلام للانسان ، والعدالة للانسان ، والحرية للانسان ، فى كل مكان وفى كل زمان ·· ذلك الحب الذى يدفع القوة بالتضحية بالذات ، ويدفع العسف بالاصرار ، ويدفع الطغيان بالطاقات كلها ، طاقة ( أيامنا الباقية وتاريخ أجيالنا الآتية ) ·· ويكشف لنا الشاعر ابراهيم عبد الحليم فى مقدمة طبعة هذه القصيدة ، العوامل الاولى التى كانت تمور بصدر الشرقاوى فى مستهل الفتوة فيقول عنها : ( فى ذلك الوقت ـ عام ١٩٥١ ـ كان الشاعر عبد الرحمن الشرقاوى فى باريس ، وكتب قصيدته هناك وهو يعبر البحر الواسع بأحاسيسه ومشاعره ، ويتطلع وقلبه يهتز بالحب والامل والثقة الى وطنه وزوجته وابنته الصغيرة عزة ـ وكان شاعرنا المصرى يلتهم فى باريس تراث فرنسا الأدبى والثورى ـ كان من

هناك يسجل أحاسيس جديدة لم يأبه لها ولم يرها أدباؤنا الذين تخصصوا فى وصف المواخير والغانيات ـ وكتب شــاعرنا عن مارتان وريمون ديان و ١٤ يوليو ، وكانت رسائله للكاتب تهز آلاف الاباء والامهات فى مصــر وتربطهم بمعركة السلام · ومن خلال هذه الرسائل أحست مصر ، وأحس الاحرار فى مصر ، بميلاد فنان جديد، فنان لا يتخذ الادب حرفة للكسب ، بل يعتبره رسالة ، ويشهر قلمــــه كسلاح من أجــل وطنه ومعـــــركة الانسانية ، من أجل الحياة والثقافة والحرية وكرامة الانسان ) ·· ومن كلمات ابراهيم عبد الحليم نحس هذا الجوهر الذى يستشرف الثقافة فى باريس ، وحركة الانسان الحر فى كل مكان من أجل زوجته وابنته ومصره وقومه ومن أجل الإنسان ، ومن أجل



عبد الرحمن الشرقاوى

رفقة الطريق الاصدقاء يعمل الشرقاوى لبناء ثقافة جديدة فى مواجهة الطغيان والطوفان ، يقول مخاطبا مفجر أول قنبلة ذرية مبيدة فى التاريخ ـ ترومان ـ قائلا :

**« ولـكن انا**
**انا وابنتي**
**وفتاتى التى اجن بشوقي اليها هنا ( اى زوجتى )**
**وهذا الصديق ، وذاك الرفيق . وكل الرفاق بناةالغد**
**أنملك نحن سوى التضحية ؟**
**الا ننحني لك يا سيدى**

## ● حب الوطن

الزوجة والابنة والرفاق والاصدقاء هم المدرع ، وهم أيضا الهم الدائم لانهم الوطن ، ولانهم بناة الغد وآمله ، ومن الاعماق يأتى حبه لجـــذوره وتراثه ووطنه ودينه · ويكشف الشرقاوى عن هذه الارتباطات الريفيـــة الأصلية فى عمق تكوينه فى اهدائه لكتابه الرائع ( محمد رسول الحرية ) فيقول : ( الى أبى ·· الذى غرس فى قلبى ـ منذ الطفولة ـ حب محمد )·· فالاب هنا رمز الحنان والحب حقا ، ولكنه ايضا رمز التربية والاصــالة ، فليس الاب مجرد والد ، وانما هو الذى غرس فى القلب حب محمد ، وما حب محمد ؟·· حب محمد هو عمق الايمان بالاســلام ورسالته ، رســالة النور والسلام ·· حب محمد هو صادق الالتفات الى معنى النبوة فيه ، والى معنى الانسان البطل الذى يقود أمته من الظلام الى النور ، ومن الظلم الى العدل · ومن الخوف الى الامن ، ومن الذلة والعمالة الى الكرامة

# عبد الرحمن الشرقاوى

## الإنسان .. الصديق .. الراحل

والاستقلال ·· ان كتاب محمد رسول الحرية ، أو قصة محمد رسول الحرية كما أحب أن يسميه اذ فضل المنهج الروائى فى كتابته ، يقدم نفسه الى القراء ( ·· عسى أن يجدوا فيه قصة انسان رائع البطولة ، ناضل - على **الرغم من كل الظروف - ضد القوى الغاشمة المفترسة ، من اجل الاخاء البشري ، ومن اجل العدالة والحرية وكبرياء القلب المعذب ، ومن اجل الحب والرحمة ، ومستقبل افضل للناس جميعا بلا استثناء : الـــذين يؤمنون** بنبوته والذين لا يؤمنون بها على السواء ·· انه ميراثهم جميعا لا ميراث الذين يؤمنون به فحسب ·· ) ·· لقد امتزج عند عبد الرحمن الشرقاوى معنى الدين بمعنى الانسان · فالدين يعيش فى قلب الانسان ، والدين يريد للانسان الحياة الافضل ، الحياة الاكرم ، الحياة الاعدل ·· ومن اجل أن يصلح الانسان لمواجهة رسالته على الارض ، كان لابد أن يهتدى الى حقيقة علاقته مع السماء ، كان لابد لمعنى السلام ان يبدأ بين الانسان وربه ، قبل أن يجاهد لتحقيق السلام بينه وبين البشر كافة ، وفى البشر كافة · ثم ما كان يستطيع أن يحقق هذا السلام الخلاق المبدع فى اكتشاف عظمة الله فى كونه ، وتسخير كل الطاقات التى أعدها الله لخلقه الا بمجموعة من المثل والمبادىء تقيم له الخطو ، وتيسر له الطريق ، وتهديه الى السواء ·· فيكون انسانا عابدا مؤمنا ، ثم يكون انسانا مناضلا ضد كل ما هو عدو للانسان والعدل والحرية والاخاء ·· فانســــان القلب المظلم لا يقيم مشعل نور ، وانسان القدرة الظالمة لا يحقق عالم حب وسلام ·

وفهم عبد الرحمن الشرقاوى هذا للدين كان منهجه فى كل ما كتب عنه فى كتابه ( قراءات فى الفكر الاسلامى ) الذى نشره عام ١٩٧٢ · وفى محاولاته لرسم شخصيات أبطال النور والاخاء والعدل والبسالة فى حياة الاسلام ، ( على امام المتقين ) و ( عمر بن عبد العزيز ) و ( الفاروق عمر بن الخطاب ) و ( الصديق أبو بكر ) و ( ابن تيمية الفقيه المغربى ) و ( أئمة الفقه التسعة ) ·

### ● اعجاب بالحسين

واذا كان الاب يمثل فى حياة انساننا الايمـــان القوى ، الانســـــان الشادى الى المعرفة والعدل ، انسان المعركة الدائمة لقصر الكفر والظلم والاستبداد ، فان الام تمثل نوعا آخر من الايمان ، انه ايمـــان الحب ، وايمان التضحية ، وايمان الحزن الشجى والامل الهادىء · ومن هنـــا قـــدم عبد الرحمن الشرقاوى مسرحيتيه ( ثأر الله ) : ( الحسين ثائرا ) ( والحسين شهيدا ) الى أمه ، التى يجتمع فيها معنى التضحية مع معنى الوفاء والذكرى ابدا ·

واختيـــار على والحســـين لم يأت عفوا ، فالاب هو رمـــز النبـــالة رمز الفروســـية والشهامة والخلق الذى هو خلاصة الفتوة العربيـــة كلها ، ثم هـــو صـــاحب المبدأ الذى يدافع عنـــه بســـلاحه

هو الشريف الكريم ، لا بسلاح الاخرين الختال المخادع ، حتى لو كان فى الامر هزيمة ، لان الهزيمة على الشرف بقاء ، ولان الانتصار مع الخسة عار لا يمحوه زهو الانتصار ·· فان الحسين يمثل الشهادة الكريمةوالفداء لامته ولمبادئه وللمعنى الانسانى الكريم فى أن يظل الانسان انسانا لايتراجع عن معنى ، ولا يذل أمام اغراء، أو سلام شخصى ، كما يظل يمثل الثأر الدائم للايمان من الفسق ، وللكرامة من الاتضـــاع والوصولية والنفعية المجردة ، وللانسان من معانى دماره وضياعه ، واختفاء قيمة النبل من حياته ، واذا كان عبد الرحمن الشرقاوى قد أهدى مسرحيته عن الحسين لامه فقد أهدى كتابه ( على امام المتقين ) الى أخيه ، وقد بلغ الفــارس أشده ، وكثرت جولاته وصولاته ، وكثرت جراحاته ، وأثخنت فيه الاحقاد أن يتراجع أو يترك السلاح ، ولكنه لا يحيد حتى الموت ، ولكنه أيضا يحتاج الى من يفهم معنى معاناته ، ومعنى ما يلقى فى سبيل ما ارتضاه لنفسه من تعب وهموم ·· ومن غير الاخ الناضـــج يفهم ، وترق الدموع التى لا تسيل ، ويقطب الجراح حتى تندمل ·· يقول عبد الرحمن الشرقاوى فى اهدائه لكتابه ( على امام المتقين ) : ( الى أخى الدكتور عبد الغفار ·· كنت تشفق على ونحن صغار من أن يصرفنى الأدب عن طلب العلم ، فلمــا أنهيت دراستى بكلية الحقوق ، خفت أن يصرفنى الادب عن الاشــتغال بالقانون ، كما كان يريد أبونا رحمه الله ·· فلما أدركتنى حرفة الادب ، عانيت انت ما جرته على الحرفة من سخط وكيد ·· ثم تعودت أن تلومنى لانى رفضت كثيرا من المناصب الكبرى والرياسية لكى أتفرغ للادب وحده، بما يتطلبه من انشغال البال بالقراءة والتفكير والتأمل وهموم التعبير ·· ولكم شق عليك هذا ··· ) ·· ليس الاخ أيضا مجرد الشقيق فى الدم والرحم ، وانما هو الاخ الذى يشارك فى تحمل العبء ، ويتحمل عن أخيه ومعه ما يلقى من هموم ، فالعلاقات ليست وحدها علاقات الصدفة بالميلاد ، وانما هى علاقات ينميها التعــاطف والفهم ، وتتغلغل معــانى النبل فيهــا ، وكذلك الدين ليس هو الايمان العفوى الذى يأتى بالتوارث الاسرى ، وانما هو الايمان الممزوج بالعمل الفاهم ، والادراك السليم لمعنى الدين كســياج يصون من الزلل ، وكدافع الى التحلى بمعنى الجليل من الخلق ، وكأمر الهى بأن يلعب الانسان دوره فى ثبت الشرف والكرامة والصدق والسلام· وكذا معنى البطولة فى أبطال الاسلام هؤلاء الذين اختار أن يكتب عنهم عنده فهو يقول عن كتابه عن على : ( وبعد ، فأرجو أن أكون قد وفقت فى رسم صورة مضيئة للاسلام ، ولقدرته على مواجهة مشكلات العصر ، من خلال تصويرى للامام على بطلا خارقا ، ومفكرا ، وحكيما ، وعالمــا ، وزاهدا ، وانسانا عظيما ·· وبالهذا البطل المثالى الذى كان يواجه بنبالة الفروسية ، وبعظمة الزهد ، وبسمو الفكر ، كل ما طالعتــه به الحيــاة الجديدة من أطماع ، وجحود ، ودسائس ، وحيل ، وأباطيل ! ) ·· وهو يقول على السنة أبطال الحسين حين قرر الخروج لمواجهة الفتنة وعهد يزيد فى آخر المشهد السابع من ( الحسين ثائرا ) ··

« **زينب** : آه لو تدفع عنه الكيد آلاف القلوب الضارعة
**سعيد** : انما تدفع عنه القدر آلاف السيوف القائمة
**ابن جعفر** ( مختنقا ) : يا الهى انهم لن يتركوه

لن يكفوا عنه حتى يقتلوه
الحسين ( جليلا ) : ليست العبرة فى قتل الحسين
انما العبرة فيمن قتلوه ·· ولماذا قتلوه !
ابن جعفر ( فى يأس هائل ) : سيظلون ملوكا
يتوالون على عرش مكين مطمئنين ·
الحسين ( مستمرا فى جلاله ) : انما العبرة فى ثأر الحسين
أنا ثأر الله ان مت شهيدا فاطلبوه
فاطلبوا الثامن السفاح أيا ما يكون ·

اننا نرى أن المسألة ليست ترديدا لكلام الاسى للبركة ، وحسن التأسى ربما ·· ولكن المسألة استدلاء المعنى الجديد ، وادخال درس الماضى فى هموم الحاضر ، واسقاط مشكلات الحاضر على استدعاءات التراث الاسلامى المجيد ، فالهدف هو أن يكون الاسلام عدلا ( بقدرته على مواجهة مشكلات العصر ) ·· وفى عصرنا استشهد الحق على أيدى الباطل ، وهزمت النبالة أمام السفالة ، وضاع الحق وسط انكسار أصحابه وقعودهم ·· وفى عصرنا ضاع الحق فينا فضاع حقنا ، ومن أروع صور هذا الاسقاط الفنى الماهر قوله فى نشيد الحسين الاخير ، نشيد الشهادة فى ( الحسين شهيدا ) ، والمشهد يدور فى صحراء محرقة هى صورة للصحراء التى أستشهد فيها الحسين بكربلاء ، وهو من المشاهد المسرحية الرامزة ، والتى ترفع العمل كله الى مرحلة الملحمة ·· يقول الحسين :

« الحسين :
فلتذكرونى عندما تغدو الحقيقة وحدها
صيرى حزينة
فاذا بأسوار المدينة لا تصون حمى المدينة
لكنها تحمى الامير وأهله والتابعينه
فلتذكرونى عندما تجد الفضائل نفسها
أضحت غريبة
واذا الرذائل أصبحت هى وحدها الفضلى الحبيبة »

فالمدينة بلا أسوار ، والفضائل بلا انتهاء ، والرذائل القانون والقاعدة والمقياس ··

« الحسين :
فلتذكرونى فى حين تختلط الشجاعة بالحماقة
واذا المنافع والمكاسب صرن نيران الصداقة
واذا غدا النبل الأبى هو البلاهة
وبلاغة الفصحاء تقهرها الفهاهة
والحق فى الاسمال مشلول الخطى حذر السيوف »

وما الشجاعة وما النبل ، وما الفصاحة ، ما الحق ·· الكل أسرى

وتلاط القيم ، وتردى العصر ، والكل يسأل فى حيرة أين مكانه فى القلوب وفى الافهام وفى الضمائر ، والكل يعرف أنه يتردى حذر السيوف ، وضد الفهاهة والبلاهة ·· ونحن نذكر الحسين مع هذه الكلمات :

« الحسين :

فلتذكرونى حين يختلط المزيف بالشريف

فلتذكرونى حين تشتبه الحقيقة بالخيال

واذا غدا جبن الخنوع علامة الرجل الحصيف

واذا غدا البهتان والتزييف والكذب المجلجل هى آيات النجاح

فلتذكرونى حين يستقوى الوضيع

فلتذكرونى حين تغشى الدين صيحات البطون

واذا تحكم فاسقوكم فى مصير المؤمنين »

بهذه الصيحات فى الحسين تحولت المسرحية الى وثيقة احتجاج ادبية على عصر شاهده يعرضه ويتمزق بأوضاعه المقلوبة وقيمه الجائرة· ويتحول التاريخ الى واقع ، ويتحول الاستلهام الى اســقاط ! ويتحول الاديب الى داعية ثورة ويقظة وتمرد · وقد كانت ـ وستظل ـ هذه هى رسالة الادب فى كل زمان وجد فيه الظلم وضاع فيه الحق ·· عبد الرحمن الشرقاوى بهذا يرفع عن جيله تهمة الصمت والمداراة ، هو قال بوضوح ، وقال فى العلن ، ولكنه قال كأديب فنان ، قال من خلال الشخوص والرموز المستوحاة من ماض عرف مثل ما عرفنا ولكنه تمرد على ما صمتنا نحن عنــــه ·

وتكتمل الدائرة حين نلاحظ أن أول كتاب له وهو ( رسالة من أب مصرى الى الرئيس ترومان ) أهداه الى ابنته الطفلة أيامها ( عزة ) ، ثم يأتى كتاب صدره باهداء وهو ( خامس الخلفاء عمر بن عبد العزيز ) فيهديه الى جميع أبنائه وقد اكتمل شملهم ( عزة وأحمد وشريف وأيمن ) فمـــا نعرف أنه صدر بعدها كتابا باهداء · فالفاروق عمر صدر بلا اهداء ، والصديق أبو بكر لم يصدر فى حياته ككتاب · ويقول فى هذا الاهـــداء الذى وجهه لابنائه اسما اسما ، ( أهدى هذا الكتاب الذى حاولت ان أرسم فيه صورة قلمية لامام عادل ، ضحى بثروته وعافيته ، وبكل شئ حتى حياته لينشر قيم الاسلام الفاضلة ، وليدافع عن الحقيقة والعدل والاخاء وحقوق الانسان ، متحديا الخطر والمؤامرة ، والسم والخنجر ·· ) انه يقدم هنا نموذجا لشهيد آخر خرج من نفس العباءة ، وعاش لنفس المبادئ الحسين حمل السيف واستشهد ، أما عمــــر بن عبد العزيز فقـــد حمل المسئولية وحمل العدل وحارب بهما الظلم والفسق واستشهد ، ومات مســـوما على فراشه ، فمنذ بدأ وهو يتأسى بعلى بن أبى طالب وعمـــــر ابن الخطاب ، نموذجين اسلاميين مشرفين ، أحدهما حاد فى مبادئه ، والآخر حاد فى عدله · فتعلم من الاول الاستشهاد من أجل المبدأ ، وتعلم من الثانى الاستشهاد من أجل العدل ·· حين تولى خامس الخلفاء السلطة خرج من ثوب السلاطين الى ثوب الزهاد فعرف حقيقة عصره ، وحقيقة الفساد فيه ، فسار فى هذا العصر وفى أهل السلطة ومراكز النفوذ فيـــه سير العدل والزهد معا ، وعاد رجال المسلمين الى العمل الصالح البناء فى ثقة بالسلطة وفى أمن منها ومن غدر أصحاب النفوذ من رجالهـــا ،

# عبد الرحمن الشرقاوى

## الإنسان .. الصّديق .. الراحل

وعاد مال المسلمين الى اصحابه ·

ان النموذج هنا ليس صاحب مبدأ ينادى به ، فان فاز بالحكم لايعرف كيف سيتصرف ولا اين ستذهب مبادؤه ، النموذج هنا لواحد دخل حيز التنفيذ الحقيقى لمبادئه ، وعرف كيف يبعد الذئاب عن القطيع ، وكيف يحمى القطيع من هجمات الذئاب ووحشيتها ، ليرفع مشعل النور بيد ثابتة ، ويؤكد وجود العدل وامكان تحقيقه ، حتى لفترة من زمن · ولكن الذئاب تتربص دائما ، وتدس المال فى يد العبد ، ويدس العبد السم فى طعام سيده ، ويستشهد عمر بن عبد العزيز ويقول الشرقاوى معلنا ان سقوط العلم من يد لا يعنى الا أن يدا أخرى ستنقذه بالحتم وترفعه من جديد ، أو تكافح النفوس الحرة ، والضمائر الامينة من أجل هذا : ( وذات صباح ، عادت الذئاب تشرع الانياب ، وتشهر الاظفار ، وشكا الرعاة فى أعلى رءوس الجبال البعيدة ، وفى الوديان الفسيحة سطوة الذئاب ، فقد انقضت على الشياه تفترسها بلا رحمة وبعد أن ظلت نحو عامين ونصف وما من ذئب يفتك بشاة ·· فعلموا أن العبد الصالح الامام العادل فارق دنياهم ·· واستنفر الرعاة بعضهم بعضا فى اقطار الارض ·

عبد الرحمن الشرقاوى كتب للغد ولابناء الغد ، أبنائه وأبناء الاخرين ، ويقول لهم جميعا فى اهدائه لكتابه عمر بن عبد العزيز اليهم : ( ··· عسى أن تجدوا يا أبنائى أنتم وجيلكم فى هذا الكتاب ما يحبب اليكم تراثكم العظيم ، فتجدوا فيه الاسوة ، والقيمة ، وما يعينكم على حل مشاكل عصركم ·· ) · كما انه يوجه الحديث باستمرار الى الانسان ، الانسان بعامة ، الانسان المسلم بخاصة ، والانسان العربى بصفة أخص ، والانسان المصرى فى أخص الخصوص ، يعرف واجبه تجاههم فيتبنى الامهم ، وينشر امامهم صور القوة فى السلوك والكفاح والشهادة · ولعله أيضا كان يوجه كلامه الى الحكام فى عصره وفى كل عصر حين يرسم لهم طريق الخلود فى تاريخ أمتهم ، فهو يوجههم وينقد واقعهم من خلال السطور وما بين السطور

وانتماء الشرقاوى الواضح لاسرته الصغيرة وأسرته الكبيرة على السواء ، ولم يخفت أبدا من جانب انتمائه الى الاصدقاء والرفاق ، فما عرفنا واحدا كالشرقاوى يجمع فى صداقاته بين كل المتناقضات : يصادق أهل اليسار · ويصادق أهل النفوذ والسلطة ، كما يصادق من هم بلا نفوذ أو سلطة ·· ويصادق من يبدون له الصدود والعداوة ، كما يصادق من يمدون له حبال الود والمحبة··هذا القلب الكبير كنت تعرف معناه فى مشهد جنازته المهيب ، وفى سرادق العزاء الرحب ، الذى اتسع لممثلى السلطة وممثلى المعارضة ، وللشباب والشيوخ ، ولرجال الدين ولرجال الماركسية ، وللمسلمين وغير المسلمين ، ولرجال الاقتصاد والفكر والابداع والاعلام والفن والطب والعلوم ·· هذا المحشد هو عقد منظوم استكن فى قلب الشرقاوى ، فلما سكن نبضه وانفرط العقد اباح بسر حياته التى لا يحصيها عدد ، والتى لا يجمعها الا قلب انسان يحب ، ويعرف الحب ،

ويدعو الى الحب ، ويعيش الحب نفسه ٠

وكما ترك لصديقه ابراهيم عبد الحليم أن يقدم ( خطاب مفتوح من ٦١ مصرى الى الرئيس تومان ) اظهارا لاعزازه له ولمكانته من نفسه ، ترك لصديقه الاذاعى الكبير سعد لبيب أن يقدم كتابه ( أرض المعركة ) هو الحب والصداقة اذن والوفاء أيضا ٠ وقد اشتهرت صداقة عبد الرحمن الشرقاوى ويوسف السباعى وأحمد حمروش واحساب عبد القدوس وكامل الشناوى وصلاح حافظ كما اشتهرت صداقته هو وحسن فؤاد وزهدى وطوغان وجمال كامل وأحمد كامل مرسى وأنور المشرى وكامل التلمسانى وسعد لبيب وعباس أحمد ٠٠واشتهرت أيضا صداقته هو وعبد العزيز عبد الله وصلاح الدين حافظ والدكتور النجار والدكتور النمر وفتحى عبد الفتاح ومحمد الرميحى ويوسف العانى وسليمان مظهر وميخائيل رومان وبدر الدين وصلاح عبد الصبور وعبد القادر القط وثروت أباظة وعبد الرحمن فهمى ٠

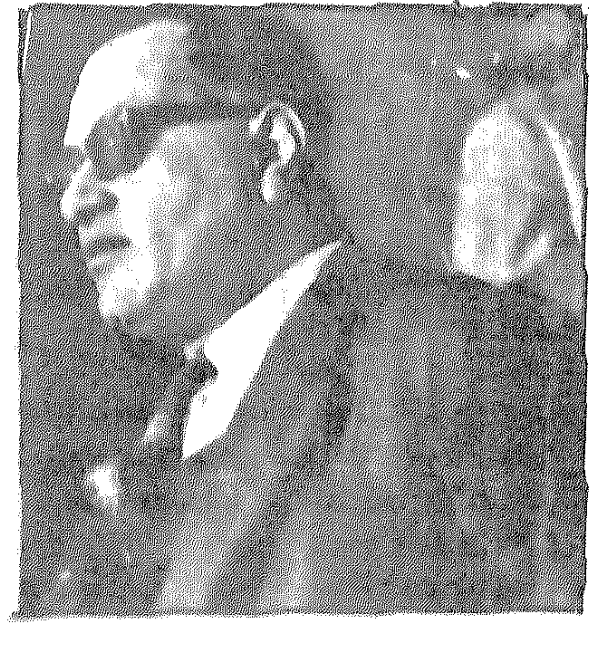
ان ضايقه أحدهم ابتسم لانه صديق ، وان وشى انسان بأحدهم عنده ، ضحك وقال صديق ، وان غاب أحدهم سأل عنه فهو الصديق ٠

**فى الستينيات كنا نلتقى مع عبد الرحمن الشرقاوى كل اسبوع اما فى الكارلتون أو فى الصالة الخلفية من بور فؤاد ، وتدور أحاديثنا ومناقشاتنا الهادئة حينا ، العصبية حينا ، ولكن صوت الشرقاوى الهادىء كان هو القاسم المشترك فى كل نقاش وفى كل قضية ٠٠ ومنذ السبعينيات** ونحن نلتقى فى مكتبى بين الحين والاخر ، هو الذى يحدد اللقاء ، وهو الذى ينتقى الصحاب ٠ وقبل سفره كان يتصل بى يوميا أو مرتين فى اليوم ليطمئن على تقدم مراحل الشفاء من الجلطة التى أصابتنى ، وحين رددت عليه بعد أن أمكننى الحديث كان صوته يرقص طربا فى التليفون ، وعلاه العقل وكأنه لا يصدق أن صديقه قد كتبت له صفحة حياة جديدة ، وقال : ( أسافر وأعود لتعود للقاءاتنا ، فقد أوحشتنى والله جلستنا ، أخبر عبد العزيز عبد الله وصلاح الدين حافظ ، والدكتور القط ، وقل له يحضر ديوانه ليقرأ لنا من شعره ٠ ولا تنس فتحى عبد الفتاح وسعد لبيب ) ٠

من يومها لم أسمع صوته ومضى شهيدا حرا ٠٠ ومن لحظتها وستوحش الجلسة من غيره ، وان جلس الصحاب فانما ليتذكروه ويذكروا صحبته الاصيلة وصداقته الرائعة الحميمة ٠٠ وليقولوا مع غسان فى ( وطنى عكا ) حين استشهد صاحباه ماجد ومقبل مخاطبا أرض وطنه ، فى شعر الشرقاوى العذب الصادق الجميل :

**غسان : سيظل دم الشهداء هنا فى أرضك يا وطنى علما**
**( مقبل مات ) ٠٠**
**يخفق فى ليل الاحزان ينبض قلب المستقبل ٠٠**
**كيف أصدق ٠٠**
**سيظل يؤج هنا بالنور ، ويصبغ وجه الفجر دما**
**أجنون ذلك أم حكمة ، سيظل يضىء هنا كالمشعل**
**تظلم أرضى وسمائى بعدك يا ( مقبل ) فوا أسفى ٠٠**
**سأعود اليوم بلا ( ماجد ) وأقاوم دونك يا ( مقبل ) ٠٠**
**عدنا اليوم بلا عبد الرحمن ٠٠ وسنقاوم دونك يا ( شرقاوى ) ٠٠**
**وأظلمت من بعدك أرضى وسمائى ٠٠ ولكنك ستظل مضيئا فى قلبى كالمشعل٠**

# ثم رحل "الفلاح" صاحب "الأرض"



بقلم : د. سيد حامد النساج

**يشاء القدر ان يكون يوم رحيل الاديب عبد الرحمن الشرقاوى هو نفس اليوم الذى شهد مولده . فقد ولد في العاشر من نوفمبر ١٩٢٠ ، بقرية الدلاتون محافظة المنوفية . تلك القرية التي أنبتت صديقه الاديب الراحل الفنان سعد مكاوى . وفي فترة ما بين التاريخين استطاع عبدالرحمن الشرقاوى ان يقدم لوطنه وامته وابناء الفقراء فى مجتمعه ، نتاجا أدبيا وفكريا وانسانيا ، لا يقل بحال من الاحوال عما قدمه رواد النهضة الفكرية والادبية فى عصرنا الحديث وان أضاف الى ذلك نضالا شريفا ومعارك ضارية ، ضد التخلف الفكرى ، والقهر الانسانى مستهدفا تحقيق الديمقراطية والحرية والعدل والتقدم .**

ولم يكن عبد الرحمن الشرقاوى وحده . ولكنه كان واحدا من أبناء جيل كامل . شغلته قضايا مجتمعه . وهصرته آلام شعبه . وكتم أنفاسه محتل اثيم . وحاصرته حكومات ديكتاتورية مستغلة . وكان أبناء هذا الجيل اكثر انحيازا للفقراء . واكثر انتماء للفكر الذي يسعى الى تحرير المجتمع والفرد ، وتحقيق العدل. وكانوا فى الاغلب الاعم من أبناء الفلاحين . وممن اطلعوا على الفكر الاشتراكي الذى شاع بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد نجاح بعض الثورات الاجتماعية على المستوى العالمي .

ومن هنا نستطيع تفسير وتحليل كتابات عبد الرحمن الشرقاوى فى

القصة القصيرة، وفى الرواية الطويلة، وفى المسرح ، بل انه نفذ الى دراسة شخصيات اسلامية رائدة من خلال هذه الرؤية . وكذلك كتاباته السياسية ومقالاته الوطنية الاجتماعية، واسهاماته النقدية الباكرة . انه ينطلق من خلال رؤية شمولية ، وبوعى كامل ، ونظرة عميقة الى الحياة والتاريخ والمجتمع والحاضر والمستقبل ، على هذا النحو يمكن تلمس أبعاد عبد الرحمن الشرقاوى الوطنية ، القومية ، السياسية ، الاجتماعية ، الاسلامية .

وما التزم به عبد الرحمن الشرقاوى فى كتاباته الاولى ، ظل محتفظا بمنهجه ، وخطه ، وفكره ، حتى كتاباته الاخيرة بدءا بقصيدته المعروفة « من أب مصرى الى الرئيس ترومان» ١٩٥٣ ، مرورا بمجموعاته القصصية: «أرض المعركة» ١٩٥٢ و«أحلام صغيرة» ١٩٥٤ . ورواياته « قلوب خالية » و « الارض » و « الفلاح » و« الشوارع الخلفية » . ومسرحياته الشعرية : « مأساة جميلة » و « الفتى مهران » و « وطنى عكا » و « الحسين ثائرا » و « الحسين شهيدا » و « النسر الاحمر» و« عرابى زعيم الفلاحين » ثم ابداعاته فى تقديم الشخصيات الدينية ، بدءا بكتابه العظيم « محمد رسول الحرية » و « ابن تيمية » و « ائمة الفقه التسعة » و « على امام المتقين » و« الفاروق عمر بن الخطاب» و«الصديق أول الخلفاء » و « عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء » . وهذه الكتابات لا تقل عما قدمه العقاد وطه حسين وهيكل وتوفيق الحكيم فى هذا الجانب. حيث اقتحم هذا اليسارى النقى عالما كان حكرا على جماعات بعينها ، تذود عنه ، وتدفع الآخرين بعيدا حتى لا يدخلوه . لكنه بفكر واع ، ونظرة ثاقبة ، وايمان عميق، وحس شاعرى، ودوافع انسانية ، استطاع أن يقدم جديدا من خلال تناوله هذه الشخصيات

## ● تفاؤل بلا حدود

انه منذ البدايات الاولى فى « المصرى» و « الفجر الجديد» و«الاديب المصرى » و « التطور » و « الغد » ، يؤمن ايمانا راسخا بقدرة الانسان على التطور والابداع ، وبأنه كائن كريم فى عنصره ، ينزع دائما الى الحياة الحرة الكريمة ، ويعمل من أجلها ، وله المقدرة على بلوغ مايريد، انه سيد نفسه فى نطاق من العلاقات الاجتماعية ، تجعل هذه السيادة غنية بكل ما يسعده ويبهجه . وهو لذلك متفائل الى أبعد الحدود . يرى من خلال ظلام الواقع والمآسى والدموع التى يصنعها الانسان لأخيه الانسان بشائر مقبلة سعيدة . فثبات الانسان فى وجه المصاعب . وجهاده اليومى المضنى . والوعى المتعاظم بمشاكل الحياة . والنقمة المتفاقمة على الاوضاع المزرية. والحب والأمل والاصرار ، كلها بشائر تلك الحياة المرتقبة المقبلة .

هذه كانت رؤيته ودعوته . وذلك كان ايمانه بالغد : يقول فى «المصرى» ١٩٥٣/٢/٥ ( ان أدباء الغد يدركون أن الأدب هو تعبير عن الحياة الانسانية فى تفاعلاتها المتشابكة . ان موضوع العمل الفنى هو حياة الانسان أو موقف من حياة الانسان فى اطاره الاجتماعى وصلاته ومفهوماته وحركته ليسيطر على قوى الطبيعة . هو اللحظة الراهنة التى هى حركة وأثر وجزء نابض من كفاح الانسان فى سبيل حياة أفضل . كفاحه ضد قوى القدر ، وضد العجز، والضعف البشرى الذى صنعته أوضاع بالذات ) .

ثم يستمر فى تحديد الادب الذى يحتاجه المجتمع قائلا : ( هو ذلك الذى يؤمن بالانسان ويفتح أمامه طريقا الى

ثم رحل الفلاح
عن الأرض

المستقبل . يربط انسان الغد بانسان اليوم . ويؤمن أن انسان اليوم البطل ليس انسانا بلا نسب . وينبع من ادراك عميق للتاريخ ، وفهم دقيق لكل القوى التي صنعت التاريخ ، يقاوم الاخطار التي تهدد حياة الانسان ، ويصون شرف الثقافة من الامتهان . ولا يزيف الحياة والواقع . يؤمن بأن المغامرات السابحات الفاتنات ، وعزيزتي انتونيا ليست هي القيم العليا التي أثرت في الآداب العالمية وليست هي المعجزة التي ستنقذ الادب المصري من اللهو واللعب ) .

ومن أجل تحقيق ما يؤمن به ، وبسبيل تقديم نتاج واقعي صادق ، اخذ عبد الرحمن الشرقاوي في الارتباط بالنبع الثر الغزير ، بالارض والفلاح، لأنه لا ينفصل عنهما ، نشأة وحاضرا ومصيرا ، ولأنهما ظلا بعيدين عن أن يكونا موضوعا لاعمال أدبية وفنية . لكنه ـ ليس بحثا عن الجديد ـ ذهب اليهما مسلحا بمجموعة من القيم .

أولها : اخلاص شديد للارض ، من حيث هي مصدر الخير للغالبية العظمى من السكان في بلد كان يستند الى الزراعة مصدرا للثروة . وانتماءقوى اليها كانتماء الابن لأمه . وهو انتماء لا تزعزعه شكليات من أي نوع ، ولا يحد منه شيء من الابتعاد عنها لظروف طارئة او قاهرة .

ثانيها : ايمان قوي بالفلاح ، على اعتبار أنه القوة الفاعلة الوحيدة التي تحرص على أن تظل الارض مصدر انتاج متزايد ، لتكون بالفعل منبع الخير والسعادة والرفاهية للجميع . ثم على اساس انه يمثل قيمة كبرى وكيانا ماديا ضخما لا سبيل الى تجاهله او انكار وجوده . فهو يقدم للمجتمع عملا منتجا حيويا وفعالا ، وبالتالي فان قيمته كانسان عامل ينبغي أن تكون واضحة ومجسدة .

ثالثها : التزام واع بقضايا كل من الارض والفلاح ، التزاما يستهدف الانتصار لهما ، ومعرفة مشكلاتهما ، والعمل على ضرورة حلها بايجابية : ضمانا لبقاء الام طاهرة نقية غير مستغلة ، وأملا في أن يظل الفلاح عاملا فعالا في جو ملائم ومناخ معتدل، لا يعكر صفوه شيء من استعلاء الآخرين ، أو استغلال المستغلين ، أو اضطهاد من قبل السلطة ، أو تناقض طبقي مدمر .

رابعها : الدعوة الصادقة المخلصة لتصوير حياة الطبقة الكادحة ، الارض تصويرا واقعيا ديناميا ورفض أي شكل من أشكال التصوير غير الواقعي الذي يحاول التشويه والتمويه وتزييف الحقائق . هذه الصور التي تصدر من الطبقة التي تجد مصلحتها في أن يبقى الوضع ـ وضع الارض والفلاح ـ على ما هو عليه . لان كشف الحقائق ، وابراز التناقض ، وتجسيد المساوىء ، ليس من مصلحتها هي بقدر ما فيه قضاء عليها ان آجلا أو عاجلا ..

وكان عبد الرحمن الشرقاوي واعيا ومدركا وقارئا كل الكتابات التي تعرضت للقرية وللفلاح . ابتداء من ١٩٠٣ ، ١٩٠٥ عند محمود خيرت في « الفتى الريفي » و « الفتاة الريفية » و « عذراء دنشواى » ١٩٠٦ لمحمود طاهر حقي . و « زينب » ١٩١٢ لهيكل . و « الايام » ١٩٢٩ لطه حسين . و « ابراهيم الكاتب » ١٩٣١ للمازني

و « عودة الروح » ١٩٣٤ للحكيم ·
و « يوميات نائب فى الارياف » ١٩٣٧،
و « حمار الحكيم » ١٩٤٠ له ايضا ·
ثم « دعاء الكروان» ١٩٤١ لطه حسين·
و « سيد العزبة » ١٩٤٤ لبنت الشاطيء
و «رجل المعجزات» ١٩٤٨ لمحمد أمين
حسونة · و « بعد الغروب » لمحمد
عبد الحليم عبد الله ١٩٤٩ · وقد
أشار الى بعضها فى مقدمة روايته
« الارض » ·

لكن القاريء لكل هذه الاعمال
لا يظفر فيها بالرؤية الاشتراكية، التى
تنبع من ايمان عميق بحق الانسان فى
الحياة الحرة الكريمة · والتى تكشف
كشفا شاملا عن آلام الارض والفلاح·
والتى تخطط للشخصيات الفلاحية
تخطيطا يضفى عليها من الواقعية
والصدق بعدا لا يستهان به ، بمثل
ما نجد فى « الارض » ١٩٥٣ · وهكذا
ظلت الارض ، وبقى الفلاح ،فى انتظار
الابن المخلص البار ، الذى يشعر
بارتباط قوى لا ينفصم بأرضه وترابه·
والذى يؤمن ايمانا قويا راسخا بأهله
الفلاحين الكادحين· والذى يشغله تمثل
واضح لقضايا كل منهما ، ويؤرقه ما
يستشعره من آلامهما ، ومن الصراع
الطبقى الذى يدمر حياتهما ، حتى يأتى
فى عام ١٩٥٣ عبد الرحمن الشرقاوى،
الفنان الفلاح الذى كان قد حدد موقفه
الصريح من هموم ومشاكل وتناقضات
« الارض » و « الفلاح » فى ريفنا
المصرى ·

وتدل كتاباته فيما قبل نشره «الارض»
مسلسلة بصحيفة «المصرى » على
التزام واع بقضايا مجتمعه · كما
تتميز رؤيته بالصدق ، والعمل ،
والشمول ، والاتساع ، والتكامل· كما
يؤمن بأن الواقع فى ديناميه وحركة
وتطور · ويدرك اثر الزمن على تطور
الاحداث وصيرورة البشر· ولا ينظر الى
قضايا « الارض » و « الفلاح »منفصلة
عن قضايا المجتمع ككل، وقضايا العالم
بأسره ·

وهناك قصة قصيرة بعنوان «الخادم»
نشرها الشرقاوى فى « المصرى » العدد
٥٢٦٢ صبيحة الثورة ١٩٥٢/٧/٢٣
تصور ثورة الفلاحين بزعامة «هنداوى»
ابن الريف المخلص الذى عاد من المدينة
ليلتصق بأهله الفلاحين · ويتزعم ثورة
عارمة ضد العمدة ، وجبروته ،
وسيطرته ، وعنجهيته ، وظلمه ،
وتسخيره الفلاحين الفقراء · واذا
بالقرية تصحو ، والارض تنبض
بالحركة ، والفلاحين لا ينامون ·
وبصرف النظر عن أن قصة «الخادم »
كتبت قبل او ليلة الثورة ، فانها بكل
تأكيد ساهمت مع غيرها فى الارهاص
للثورة التى خدمت الفلاحين · وهم
القطاع الذى شغل فكر عبد الرحمن
الشرقاوى وفنه ، لأنه فلاح ابن فلاح·

## ● التأثر بسعد مكاوى

هنا تلزم الاشارة الى صدق عبد
الرحمن الشرقاوى وأمانته · فانه لم
يكن من الادعياء المزيفين الذين
يدعون الريادة والبطولة والفروسية ·
وينكرون على الناس حقوقهم · وهذه
سمة من سمات الفنان الصادق ، فقد
صرح لى فى حديث معه يوم الاحد
الموافق ١٢ من مارس ١٩٦٧ بأن سعد
مكاوى هو رائده الحقيقى الذى قاد
خطاه الى هذا الاتجاه· وأنه فى رواياته
وقصصه القصيرة ومسرحياته الشعريه
كان يسير على نسق سعد مكاوى
( كنت متأثرا فى بدء حياتى تأثرا
معينا بالاستاذ سعد مكاوى ، وتأثرت
به جدا جدا ، وكنت أنشر على نسقه.
وهو الذى قادنى الى تشيخوف وجوركى
ومايكوفسكى ) · وقد ساعد على هذا

## ثم رحل الفلاح من الأرض

الالتقاء بين الكاتبين فكريا وعقديا وفنيا أنهما نشأ في بيئة ريفية واحدة ، وفي قرية « الدلاتون » محافظة المنوفية التي اشرنا اليها ، وعاشا في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية مشتركة ، وانضما الى الفكر والآراء والدعوات التي طالبت بالثورة ،وتحطيم القديم ، والضرب بعنف على أيدي الرجعيين والانتهازيين والراسماليين والاقطاعيين ، وانتصرت للشعب العامل الكادح .

ويبدو تأثير هذه النشأة وتلك الظروف لو أننا أمعنا النظر في قصص كل منهما . فالنماذج التي كتب عنها عبد الرحمن الشرقاوي في « الارض » هي نفسها النماذج التي صورها سعد مكاوي في « الماء العكر » .

والقضايا الاجتماعية التي تعرض لها سعد مكاوي في قصصه القصيرة نجد مثيلا لها عند عبد الرحمن الشرقاوي . وشخصية « حسان » في قصة « العقرب » عند عبد الرحمن الشرقاوي هي شخصية « هارون » في قصه « ابن اليسة » عند سعد مكاوي. في ثورته ، في سخريته من الاوضاع، في احساسه بالظلم ، في نقده للتناقض الطبقي . غير أن نهايته هنا مأساوية، غير متفائلة . وثورة أهل الدلاتون الفلاحين عند سعد مكاوي في « الماء العكر » يثورونها في « الخادم » عند عبد الرحمن الشرقاوي .

واذا كانت الثورة قد هيأت المناخ الصحي لاتجاه جديد في الرواية المصرية،لكتاب لم يسبق لهم ان خاضوا غمار الكتابة الروائية قبل الثورة ،فان عبد الرحمن الشرقاوي يقف فيمقدمتهم جميعا . ثم ياتي بعده يوسف ادريس وصلاح حافظ في « المتمردون » و « القطار » . وابراهيم عبد الحليم في « أيام الطفولة » « وأيام الربيع » و « أرض الوطن » . وعباس أحمد « البلد » وفتحي الرملي، « الخطر » . ولطيفة الزيات « الباب المفتوح » . والدكتور شريف حتاتة في « العين ذات الجفن المعدنية »و«جناحان للريح » .ومحمد مفيد الشوباشي وفتحي غانم ومحمد صدقي وصنع الله ابراهيم وغيرهم ممن التزموا بالواقع الجديد. وناصروا القوى الفاعلة فيه. وانحازوا الى الطبقات المطحونة ضد المقهورين فغلبت على كتابا تهم الروائية رؤية واقعية اشتراكية .

وكانت « الارض » لعبد الرحمن الشرقاوي أول رواية مصرية تحمل هذه الرؤية . كما أنها كانت أول رواية معاصرة تجعل « الارض » عنوانا لها ، وتقع في أكثر من خمسمائة صفحة لم يختر الكاتب اسم « وصيفة » أو « عبد الهادي» أو « محمد أبو سويلم» لكي يكون عنوانا لروايته، وانما كانت « الارض » بكل ثقلها .

وفي هذه الرواية تتكشف أبعاد عبد الرحمن الشرقاوي : الفلاح،الفنان، الشاعر ، الكاتب التقدمي ، المفكر الاسلامي . فيها وعي الفلاح المتمسك بأرضه ومشكلات أهله . وفيها حس الفنان المرهف الذي يلتقط من جزئيات

الواقع ما يرقى به الى حيث القيمة الجمالية • وفيها صفحات كاملة لا يكتبها الا شاعر رومانسى• كما أنها حافلة برؤية واقعية نقدية تقدمية وموقف عبد الرحمن الشرقاوى من رجال الدين فى القرية ، هو الموقف الذى نجده مجسدا بعدئذ فى دراساته الاسلامية والدينية التى أحدثت دويا وصدى •

وتعالج روايته « قلوب خالية » الحرمان الجنسى الذى يعانى منهشباب القرية • وما يتركه ذلك من انطباعات فى أخيلتهم • وما يعكسه على تصرفاتهم من اضطراب وشذوذ • كما تكشف عن الآثار التى أحدثتها الحرب العالمية الثانية فىحياة القرية المصرية• ونلاحظ أن الجو الذى هيمن على « الارض » هو نفس الجو المهيمن على « قلوب خالية » • فانت تشم عطر تراب القرية بتفاصيلها ومواقفها الانسانية وحياة الناس فيها • حتى الشخصيات فى « قلوب خالية » تحمل ملامح شخصيات كثيرة فى « الارض» فغانم يحمل ملامح عبد الهادى • ورضوان أفندى يقابل محمد أفندى • وفتح الله أفندى يشبه الشيخ حسونة وهكذا •

بيد أن روايته الثالثة « الفلاح » تحمل موقفا جريئا ، فتح به عبد الرحمن الشرقاوى بابا كان لزاما أن يفتح فى الحياة الادبية فى مصر • اذ نراه يصور مجتمع ما بعد الثورة من منطلق المناصر لا الحاقد • الملتزم لا السلبى • التقدمى لا الرجعى • أراد أن يقول رأيه فى مجتمع الارض بعد تطبيق القوانين الاشتراكية والاصلاح الزراعى ، وقد تنبهت الرواية الى أن أعداء الاشتراكية قدتسللوا الىمناصب قيادية فى القرية ، وهم يعذبون الفلاح كما كان يفعل أجدادهم • بل نهم يستغلون الفلاح، ويحجرون على حريته ، ويحرمونه حقوقه التى خولها له القانون • ان معنى خطر نسف الثورة من الداخل هو السائد فى الرواية من الصفحة الاولى حتىالاخيرة منذ قدم « عبد العظيم » الى القاهرة ليطلع المسئولين على ما يجرى انى تحذير « الفرماوى » من الخطر •

ورغم أن هذه الرواية لا تصل الى حد الكمال فى بنائها الفنى ، فان عبد الرحمن الشرقاوى اعتمد حركة صادقة فى تنشيط شخوصه ، وتكثيف رؤاهم • فهم ليسوا معنيين باهتمامات ساذجة،بل بمسالة أكثر عمقا وأصالة أنها قضية حياتهم ، والمعوقات التى تحول دون استمرار هذه الحياة ،ومع أن الكاتب تخلى عن جزئيات التصوير التى تستهدف الايهام بالواقع ، فانه كان صادقا فى عرض ما يحدث فعلا فى القرية ، وللقرية• وبتكثيف واضح، وادارة للحوار متمكنة ، وقد وفق عبد الرحمن الشرقاوى فى طرح قضية استمرارية الصراع • فلم يجمده فى حدود معينة • بمثل ما طرح مشكلة الثورة ، التى ستظل قائمة فى النضال البشرى ، حيث يبقى الخطر قائما! ويظل النضال ضده هو الطريق الى تحقيق العدل والحرية والمساواة للجماهير • وهى القيم التى كان عبد الرحمن الشرقاوى يؤمن بها،والتى تسللت الى كل كلمة خطها يراعه ، ونبضت بها شرايين الحروف ،ونطقت بها شخصيات رواياته وقصصهالقصيرة ومسرحياته وقصائده الشعرية الحميمة!

قصة قصيرة

# حان وقت الموت

بقلم : يوسف أبورية
ريشة : عادل ثابت

ترك حسين الطاحونة بعد اذان المغرب بقليل، واتجه الى داره ، ليغير خلعة العمل ويزيل آثار الدقيق عن وجهه وشعره وقفاه ، ورمى فى جوفه بقايا طبيخ الغداء .

وخرج مرة اخرى الى الشارع ، ولكن هذه المرة ، كان يرتدى الجلباب الصوفى الفخيم ، و « البلغة » اللامعة ، والطاقية البيضاء المكوية ، كان ذاهبا الى هذا الحى الذى انشىء حديثا ، على اطراف البلد بين الكويانية « والابيك » . هناك كانت الشوارع الجديدة تتقاطع بانتظام تقام عليها عمائر من عدة طوابق ، تطل شرفاتها على شوارع رحبة ، تسمح لهذا الهواء المنطلق باللهو بالاوراق الكثيرة المتناثرة .

انتظر طويلا على ناصية الشارع الفارغ الذى اغلقت ابوابه ، وانطلقت من نوافذه اصوات التليفزيون ،ثم مل الموقوف ، وقال لنفسه ،ربما سبقنى الى هناك .

وطرق « حسين »على الباب الخشبى القصير المفتوح بوسط حائط منخفض بسور الحديقة الصغيرة فى مقدمة البيت ، وتتوزع على حوافه قطع الزجاج ، وتنام علىظهره اغصان خضراء ارتفعت من الداخل وانتبه «حسين» الى الجرس المدقوق على جانب الباب،وضغط على الزر بسبابته،فسمع الصوت الواهن ينادى عليه « ادخل » فدفع الباب بحذر ، وسار فى الممشى قليلا حتى رأى النور ينبثق من فرجة باب لحجرة اقيمت وحدها فى المساحة الفارغة امام « الفراندة تتسلق اعمدتها اغصان اللباف واللبلاب ورأى صلعة « عبده داود » تحت نور المصباح .

— مساء الخير يا عم « عبده » .

— اهلا .. مساء النور .



## حان وقت الموت

وقام « عبده داود » عن مكتبه يضبط معطفه الكالح الذى لا يرفعه عن جسده ابدا ويعيد الطاقية الى مقدم رأسه العارى .

- تفضل .

- لا مؤاخذة عاوزك فى موضوع بسيط .

- تحت امرك .. تفضل .

وانفرد « حسين » على كرسى « الانتريه » الواطىء ، وعاد «عبده داود » ليقعد على « الشلت » الكثيرة التى ترفعه الى اعلى الكرسى فتسمح لطوله بالامتداد بعرض المكتب ، وتجعله يرى الزبون قريبا اليه، وهو يطل بطرف من رأسه ، ويكون جسمه كله غاطسا فى الكرسى المنخفض . ورأت عين «حسين» حين استدارت اليه الخريطة المساحية الكبيرة المعلقة خلف « عبده » . ورأت فوقها صورة المسيح طفلا ترفعه العذراء علىذراع بضة بيضاء ، وعلى راس كل منهما هالة من النور . واعاد « عبده» الطاقية الى الخلف فبرقت الصلعة مرة اخرى ، وعقد ذراعيه وجهه ، وبدأ ينصت الى « حسين » .

- انت تعرف ان عمى « ابراهيم » لم يترك وريثا غير ولد وبنت .

- الله يرحمه .. كان حبيبى .

- البنت عادت من الاسكندرية بعد ان غدر بها زوجها . وهى الان قعيدة الفراش ، وايامها على الدنيا معدودة ، وتريد كتابة كل ما تملك لاخيها الوحيد ، لتسرد على زوجها الصاع صاعين .

- عندها حق .. لكن لايجوز الوصية الا فى الثلث .

- تريد كتابة املاكها بيع وشراء .

- فى هذه الحالة لابد وأن يعجل اخوها بتسجيل هذه الاملاك ، لان حضورها واجب .

- بالتاكيد .. وعلى كل سوف تعرف الموضوع بالتفصيل .

- اقبل كل شىء تشرب قهوة ؟

- لا داعى لهذا .. تحيتك مردوده .

وظهر « يسرى » فجاة فى نور الحجرة ، ولم يكونا قد انتبها لصوت اقدامه تطأ الورق الجاف فى الممشى سلم على « عبده »وقال لـ « حسين » : سمعت صوتك من الخارج .

وقال له « حسين » معاتبا : انتظرتك طويلا، ولكنك تاخرت .

- كنت ابحث عن العقود فهى مدفوسة من زمان بين اوراق كثيرة .

ووقف « عبده» ليدخل راسه فى النافذةالصغيرة المطلة على الحديقة : يت يا « تريزة » يا « تريزة » .

وسمعا صوتا انثويا نحيلا يرد من بعيد : نعم يا بابا .

- اعملى قهوة يا بنت .

ـ كم فنجان يا بابا؟

ـ اعملى ثلاثة ٠

واستدار اليها ليلعن التليفزيون الذى هرش ادمغة الصبايا اللاتى صرن يتركن ما بأيديهن ليفرغن للفرجة على المسلسلات ٠

واجابه « حسين » :
ـ كل البيوت هكذا ٠

وقال « يسرى » :
ـ الشوارع الان خالية، الكل يتفرج ٠

وجمع « عبده » اطراف معطفة ، وقال ساخطا : اخر زمن ٠

واشار « حسين» الى « يسرى » الذى يجلس على الكرسى المقابل ليخرج العقود حتى يطالعها الكاتب ، وفرد « يسرى » الاوراق على المكتب ، وراح «عبده» يرفعها الى عينيه مستعينا بالنظارة التى وضعها على اطراف انفه وقال: يعنى البيع سيكون فى الدار والطاحونة ٠٠ ارض الاصلاح الزراعى لا يجوز بيعها رسميا ٠

وقال « حسين » :



سنكتب بها تنازل حتى اذا وزعت الحكومة عقود الملكية تصير من نصيب « يسرى » ٠

ـ لا ادرى ان كان هذا ينفع ام لا ؟

ـ سنكتبها من باب الحرص ٠٠ لا غير ٠

ـ الحكومة كل يوم فى حال ، مرة تقول اراضى الاصلاح ستوزع وفقا للتوريث الشرعى ومرة تقرر انها ستكون للافراد المذكورين فى البحث ٠

وقال « يسرى » :
« حسين » باع من قبل، وانا بعت نصيبى منها بعقد ابتدائى ، والحيازة مازالت باسمى ، فمقدار ما سنتنازل عنه «زبيدة»

١٦ قيراطا فقط ٠

وقال« حسين » :لاتحاول ان تفهم عمك « عبده » هو يحفظها بالمتر ٠

وابتسم « عبده » وقال مفاخرا : كم مرة قستها بالقصبة ايام المرحوم ٠

وصمت « عبده » قليلا ، وبدأ يزحزح الطاقية الى الوراء ، ويمرر اصابعه الطويلة على الشعر الخفيف ، واستغرقه النظر فى الورقة التى ترتعش امام عينيه ، ثم سالها: اظن يا « يسرى » ان نصيبك فى الطاحونة مؤجر لعمك الحاج ؟

ـ انا لا احصل على شىء منه ٠

وقال « حسين » حرام عليك لا تظلم الرجل ٠٠ الم تحصل على ثلاثين جنيها اخر الشهر ؟

ـ هو ياكلها من جذورها ، انت على نياتك ، ولا تعرف شيئا عن الايراد ٠

ـ يا سيدى منه لله ، لن ياخذ شيئا معه الى قبره ٠

# حان وقت الموت

وركن « عبده »الورقة على جنب ، ورفع الاخرى امام عينيه ، وقال : انا انكر انى كتبت لك عقد بيع وشراء لاختك فى هذه الدار من قبل .

– ستعيد الى ما اشترت وفقا لعقد جديد

– انت لا تملك من الدار غير نصيبك من ثمنة امك ؟

– بالضبط .. فمجال الامتار التى ستذكر فى العقد الجديد ١١٠ امتار نصيب « زبيدة » من ابيها وامها وما اشترته منى .

وبدا « عبده » يفرد اوراقا بيضاء امامه ، وامسك بالقلم ، وطفق يخط به ناظرا بين الحين والاخر الى العقود المنشورة امامه ، او رافعا راسه ليسال «يسرى» عن شىء غمض عليه ، حتى دخلت البنت الصغيرة ترفع صينية القهوة بين يديها كانت ترتدى الجلباب المربوط بحزام الى الوراء ، وتدلت من راسها ضفيرتان رفيعتان من تحت ايشارب اصفر، عمق شحوبة وجهها النحيل،وضعت الصينية على الترابيزة القصيرة، وقالت : عاوز حاجة يا بابا ؟

ولم يرد عليها ابوها الذى انحنى راسه بشدة على الاوراق ، وتجهدت سحنة وجهه المزموم الفم ، واتخذ ملمح الوقار ، وكانما ذهب الى عالم اخر ، فرض على الحضور قدسية الصمت ، وعادت البنت بظهرها الى الخارج ، ولم تكرر سؤالها .

ومد « حسين » يده الى الفنجان ، واشار بعينه الى « يسرى » ليرفع فنجانه ، ورشف « يسرى » النوش بصوت مسموع ، وزغر له « حسين» لائما ، والرجل سقط منهما تماما ونسى وجودهما وظلا على كرسيهما مدة طويلة . يتحرك الكلام بصدريهما، ولا يقدران على التلفظ به على الالسنة ،وبردت القهوة فىفنجان «عبده»

ومنع « يسرى » نفسه اكثر من مرة ، كانت رغبته لتنبيهه الىالقهوة قوية جدا ، واخيرا غامر بالقول : قهوتك بردت يا عم « عبده » .

فبحلق اليه الرجل من تحت عويناته ، وعاد من الكتابة ، فوجه الحديث الى الرجلين : بص يا سيدى .. العقد جاهز على التوقيع،طبعا كتبت عقدا اجماليا .

وقال « يسرى » : كنت اريد عقدا لكل شىء على حده .

وقال « عبده مكشرا: لا فرق .. المهم توقيعها على ماكتبت ثم الاسراع بالتسجيل .

وتدخل « حسين » لينبه الكاتب بالطلب الاخر : لو تكرمت تكتب لنا اقرارا بانه لا يجوز لـ « يسرى » المتصرف فى هذه الاشياء الا بعد وفاة اخته .

وقال « يسرى » مؤيدا : طبعا لازم تضمن حقها ، اشرب قهوتك الاول .

ورفع الفنجان الى

الرجل الذى اخـــرج منديله الكبير من جيب المعطف ، وراح يمسـح به حبـات العرق التى تجمعت على الصـلعة المضيئة ، دفع « عبده » الفنجان الى فمه مـرة واحدة ، وسـحب ورقة اخرى ، واستعاد حالته الاولى ، وساد الصمت فترة طويلة ، حتى عاد « عبده » من استغراقه، ورفع الورقة الى عينيه ليقول: بص يا سيدى·· انا تركت فراغــا على « يسرى » ان يمـــلاه وفقا لبيانات بطاقتـــه العائلية ·

طلب « حسين » ان يقرأ عليهما الرجــل صيغة الاقرار ، فرجـع « عبده » بظهـره الى الوراء ، ونشق الهواء بطاقتى انفه ، وسـكت مدة يتأمل الورقة ، ثم قال : بص يا سيدى ··

وراح يقرأ الجمــل باستمتاع ، يتخــلل القراءة وقفات لينشـق من الهواء نشقة طويلة، ثم يعاود القراءة ناظرا اليهما من فوق الورقـة ليتأمل وجهيهما ويقاطعه « حسين » ليقول : الله ينور عليك ·

ولما اختتم القــراءة قال له « يســـرى » : تسلم يدك ·

ومد يده خفيــة الى « حسين » ليعطيه حـق الرجل ·

وسأل « حسين » : كم يا عم « عبده » ؟

ـ من غير حاجة ·

ـ خيرك سابق ·

ومد يده بالفــلوس المطوية ، فردها «عبده» بين اصابعه ، ثم القاها باستنكار جهة «حسين»: والمسيح الحى لا ينفع، ناس غيركم اخـذ منهم فوق المائة جنيه ·

ـ انت واخـــد على عقود الطاحونة مــع اخوتى نفس المبلغ ·

ـ كل يــوم الدنيـا فى حال ·

وطلب « حسين » من « يسرى » ان يضـيف خمسة جنيهات اخرى ·

وقاطعه « عبده » وهو يدفــع الفلوس بيـده المتوترة جهته : ورحمة ابيك الغالى لا ينفـع · اريد على هذه الفـلوس ثلاثين جنيها اخرى ·

وقام « حسين » ،وقام « يسرى » معه ، وقال « عبده » : خذوا الورق والفــلوس واعتبروها خدمة

ـ كثر الف خيرك ·· هات يا « يســـرى » عشرة جنيهات، ولاتطلب اكثر من هذا ·

ـ الامر لله ·

ودفس المبلغ فى جيب معطفه ، وقام ليسـلم عليهما ، ومال برأســه على « يسرى » هامسا: اجعلها تمضى هنـا فى هذه الفـراغات ، ومن الصبح تطلع على الشهر العقارى،لانك لو تأخرت وحصل المقــدر كأنك يا « ابو زيد ما غزيت »

ـ شـكرا يا عـم « عبده »

وغادرا نور الحجرة، وسبقهما ظلهمــا فى مستطيل النور الساقط على ممشى الحـديقة ، ولفهما ظلام المســاحة الفارغة المواجهة لمدخل البيت ، وخرجـا الى الشارع النائم يسيران تحت مصابيحه القليلة التى توزع بقعا باهتة من الضوء ·




# الحالة الفكرية والعلمية بعد السكك الحديدية

بقلم: محمد سيد كيلانى



لما ارتبطت مدن القطر بالسكك الحديدية ، أمكن وصول المطبوعات إليها من صحف يومية ومجلات أسبوعية وكتب فأخذت الأذهان تتفتح على عوالم جديدة لم تكن معروفة عند أهل البلاد .. وأصبح فى مقدور الناس أن يلموا بما يجرى فى العاصمة من أخبار وما يشغل الأذهان من موضوعات ، بل أصبح فى امكانهم أن يلموا بأنباء العالم الخارجى فاتسعت المدارك وارتقت الأفهام ونما الوعى الوطنى والاجتماعى .. كما أن أهل العاصمة أصبح فى مقدورهم أن يلموا بما يجرى فى الأقاليم من أحداث سارة أو محزنة ..

وأخذوا يتساءلون عن سبب تأخرهم فوجدوا أن عقائدهم الدينية قد تسربت اليها ضلالات كثيرة نتيجة لجهل بعض رجال الدين أو جمودهم فحولت الدين عن محرابه الإلهى : فبعد أن كانت ثمرته على الاخذين به فى الرقى السريع والنظام الكافل لأرقى أشكال المدنيات .. أصبح عبئا شديد الوطأة على عاتق الأخذين به ، قعد بهم عن لحاق من كان دونهم من الأمم الجاهلة فحملهم هذا النظر الصادق على العمل على إزالة تلك الضلالات من دينهم الطاهر فتألفت جمعية شمس الاسلام سنة ١٨٩٩ ، وشرع الشيخ محمد رشيد رضا يطوف فى البلاد ويخطب فى المساجد منبها العقول إلى الخرافات التى علقت بالدين وكانت سببا فى تأخر المسلمين .. فالقى فى ملوى خطبة كان لها تأثير قوى فى نفوس الحاضرين ـ كما ذكر مراسل المؤيد ، ومما جاء فيها : أيها الناس ، إنى لست ذاكرا فضائل رجب أو شعبان ، ولا متعرضا لصحة الأحاديث الواردة أو بطلانها ، إنما اذكر حالة الاسلام الآن ، وما طرا عليه من الانحطاط والتقهقر وما هى أسبابهما . ثم أخذ يبين الداء ويصف الدواء بأدلة قاطعة مما جعل عوام الناس فضلا على علمائهم يقولون : حبذا لو كانت خطب الجمعة كلها على هذا النمط ، فإنه أنفع لحالنا فى هذه الظروف من ضياع الزمن فى بيان فضائل الشهور والأيام ..

وقد انشات جمعية ، « شمس الاسلام » فروعا فى الأقاليم وفى المدن والقرى ، وكانت تعقد الاجتماعات وتلقى الخطب محرضة على اجتناب ما يخالف الشرع الشريف واتباع ما امر الله به فى كتابه العزيز وقال مراسل المؤيد فى « ديروط » وإني اقول اليوم إننا من عهد تاسيس جمعية « شمس الاسلام » في بلدنا والناس يواظبون على أداء الصلاة فى اوقاتها ويعاملون بعضهم بعضا بالمعروف ، معرضين عن كل ما يخالف الكتاب والسنة » ..

وكان طلبة الأزهر حين يعودون لقضاء الأجازة الصيفية فى بلادهم وبين ذويهم ، يحملون معهم مبادىء إصلاح المجتمع التى سمعوها من الشيخ محمد عبده وغيره من دعاة الاصلاح : ومن بين ما دعوا إليه إبطال زيارة الأضرحة او إقامة الموالد لأصحابها . او طلب الشفاء من الامراض او التوسل بالأولياء لقضاء الحاجات فحدث صدام شديد وجدال عنيف بين بعض الناس وبعضهم الآخر .. فمنهم من انتصر لكرامات الأولياء ومنهم من ينكر ذلك .. ومازال الناس يحملون النذور إلى أصحاب الأضرحة ..

وكان فقهاء الكتاتيب يخوفون الناس من المدارس ويذكرون انها تعلم الجغرافيا . وهذه تؤدى إلى الكفر ..

وفى سنة ١٨٩٨ ظهر العدد الأول من مجلة « المنار » لصاحبها محمد رشيد رضا ، وقد ذكر أن خطته « هى خدمة الدولة والملة وإيقاظ الشرقى من السبات العميق الذى انغمس فيه حتى صار فى غاية الضعف ونهاية الانحطاط مع ما صار اليه أخوه الغربى .. من التقدم والارتقاء بسبب جده وكده ونشاطه ودأبه على العمل حتى الان له الحديد ، وسخر الجبال وجعل كل شىء آلة لتغلبه وفوزه على غيره » ..

وقد انتشر السخط على الحاضر والتغنى بمفاخر الماضى عند الشرقيين اجمعين ، وكان هذا نتيجة من نتائج احتكاك الغرب بالشرق ، فتفتحت أعين الشرقيين فراوا فى الغرب دولا قوية ذات حضارة ومدنية ، ثم وازنوا بين حالهم وحال هذه الدول فتولد عندهم الشعور بالنقص فبداوا يسخطون على حاضرهم ويعزون تخلفهم إلى اهمال ابناء جيلهم ويوجهون اللوم الشديد والنقد العنيف لمعاصريهم من ابناء وطنهم ملقين على عواتق الوطنيين تبعة تاخر البلاد واختلال احوالها ..

## سكة حديد الحجاز

وما كاد مشروع سكة حديد الحجاز يظهر إلى الوجود سنة ١٩٠٣ حتى تالفت اللجان فى جميع جهات القطر لجمع التبرعات .. وتالفت لجنة فى مدينة الاقصر برياسة أيوب بك صبرى .. وقد ربطت هذه السكة بين مصر

وفلسطين . وكان من المتوقع أن يستطيع المصرى أن يسافر من القاهرة إلى دمشق ثم إلى الاستانة وأوربا عن طريق السكة الحديدية ولكن الدسائس الاستعمارية أولا ، ثم قيام إسرائيل ثانيا قضى على هذا الحلم .

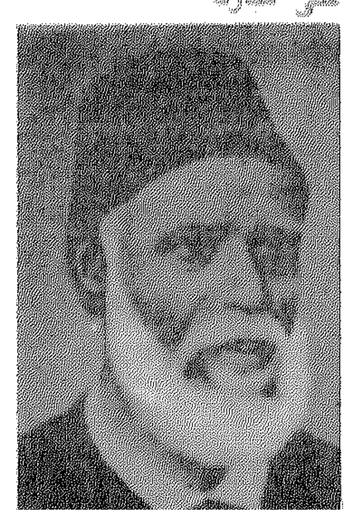
وقد اشتدت الغارة على الاسلام والمسلمين ، فألفت كتب كثيرة طعنا فى الاسلام ، وسيرت الجيوش لاحتلال بلاد المسلمين .. واخذت دسائس المستعمرين تعمل عملها فى الايقاع بين العرب والترك وتلفق الأخبار عن قرب قيام خلافة عربية ..

واشتد الجدل على صفحات الجرائد بين انصار التمثيل وخصومه .. ومن ذلك قول أحد الخصوم « إن الروايات فى أوربا تعرض على الرقابة لاجازتها بينما الروايات فى مصر لا تعرض على أية جهة .. وفى أوربا يؤلف الروايات كبار الكتاب بينما فى مصر مطرودو المدارس الذين لم ينالوا الشهادة الابتدائية . والروايات عندنا على كثرة عددها ليس فيها إلا القليل الذى الفه أدباء معروفون ، ولذلك تكثر فيها السفاسف ، وكثيرا ما تحتوى التمثيلية على مايخالف الآداب العامة .. وعلى ذلك فلا يصح أن نقول إن التمثيل عندنا ينهض بالأخلاق مادامت هذه حاله .. ويتخلل فترة الاستراحة من الاستباحة لضروب الرذائل والوقاحة ولا نجاوز الواقع إذا طالبنا بإبادة هذا العار » ..

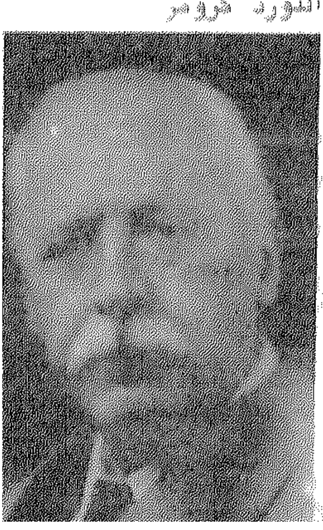
وقال آخر إن اكثر رواياتنا منقول عن الأجانب ، مشتملة على ما يوافقنا ومالا يوافقنا من عاداتهم وأحوالهم وأخلاقهم ..

ولكن الحقيقة أن هناك مسرحيات عُرّبت عن الفرنسية والأنجليزية وقام ببطولتها جورج ابيض وغيره وحازت نجاحا عظيما .. وشرعت بعض الفرق تنتقل إلى الأقاليم وتعرض مسرحياتها على الجمهور ، وبذلك شاركت بعض الأقاليم سكان العاصمة فى التمتع بهذا اللون الجديد من الأدب . ورأينا

علي مبارك



اللورد كرومر



محمد سهراوي



موظفين هناك مثل ابراهيم زكى الموظف بمديرية الدقهلية يترجم دراما لشكسبير سنة ١٨٩٨ ..

ومثلت رواية عايدة فى صحراء الهرم يوم ٣ مارس سنة ١٩١٢ لترغيب السياح فى المجىء إلى مصر .. وسار خلال التمثيل موكب النصر مؤلفا من الف شخص ، و ١٥٠ حصانا ، و ١٠٠ جمل ، و ١٠ ثيران .. وعساكر وأسرى فكان الموكب من اكبر المواكب التى شوهدت فى هذه الرواية ..

وفى ( ٢ ـ ٧ ـ ١٩١١ ) صدرت لائحة التياترات ، ومن بنودها « يخصص مكان لضابط البوليس المنوط بالمراقبة وقت التمثيل » ..

وتالفت فرق مدرسية للتمثيل فى كثير من المدارس والمعاهد ..

× × ×

وصدر قانون المطبوعات فى ٢٩ ـ ٤ ـ ١٩١٠ ، وهو يقيد حرية الصحافة والخطابة ، وقد تالف وفد من أعضاء مجلس الشورى من :

محمد شواربى باشا ومحمد شعراوى باشا واسماعيل أباظة باشا وطلبة سعودى باشا وتوجهوا إلى الوكالة البريطانية لمخاطبة غورست وطلبوا تخفيف شدة المادة ( ٤٧ ) من قانون العقوبات المختصة بمعاقبة المتفقين على الجرائم ، ولم يوافق غورست على طلب الوفد ، وأصر على ابقاء المادة المذكورة كما هى ..

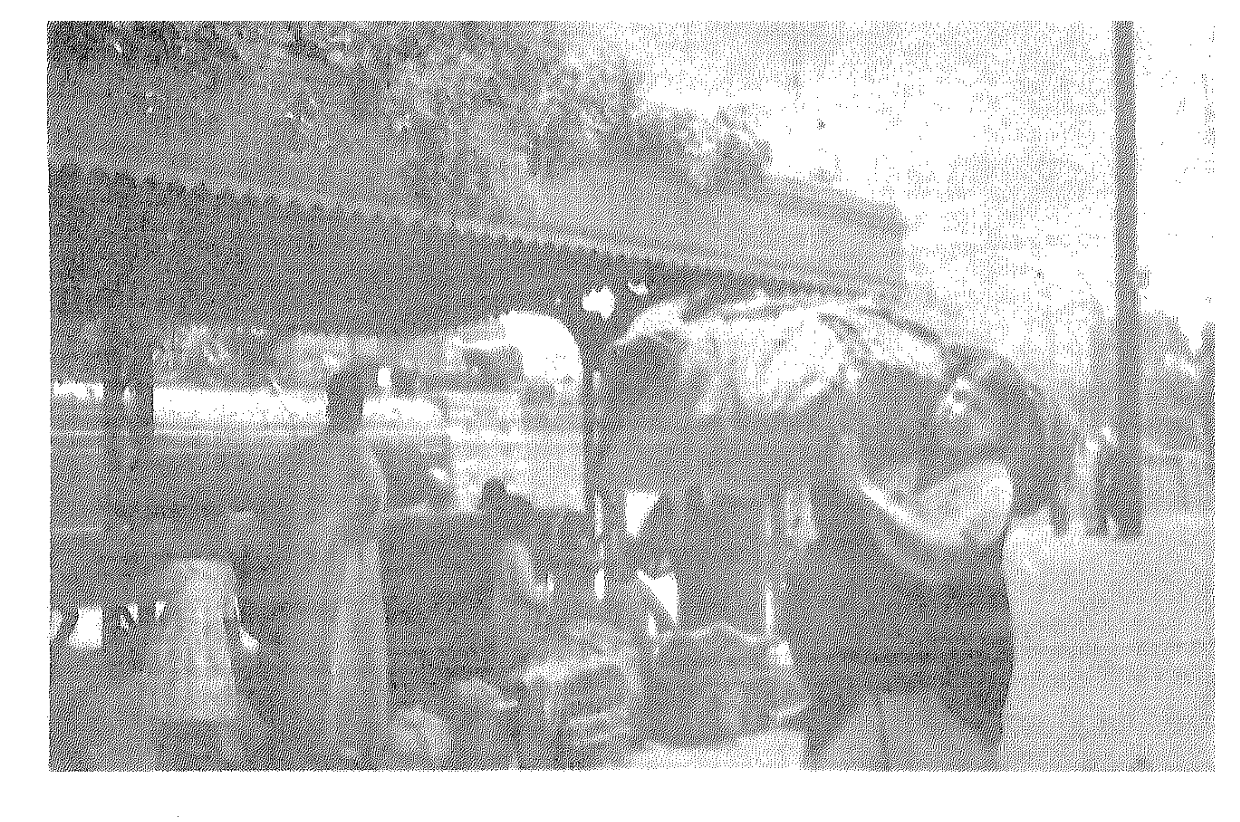
ومن الجدير بالذكر ان هذا القانون الذى وضعه الانجليز مازال معمولا به إلى الآن .. وقد نص القانون السالف الذكر على ان الجرائم التى تقع بواسطة الصحف او غيرها من طرق النشر تحكم فيها محاكم الجنايات ويكون حكمها غير قابل للاستئناف . وهو ما يجرى به العمل حتى وقتنا هذا ..

وقد علقت صحيفة المقطم على هذا القانون بمقال جاء فيه :

« والذى يجعل هذا القانون مكروها بنوع خاص أنه ميز بين صحافتين فى بلد واحد ، فهو يكم افواه الصحافة الوطنية ولكنه يترك الصحافة الأجنبية حرة تقول ما تشاء .. ولولا ذلك لما راينا الصحف الأجنبية لاتكاد تعلم أن جريدة مصرية أنذرت حتى تبادر إلى نشر المقالة التى اوجبت الأنذار فيقبل الناس على قراءتها ولعلهم لولا ذلك لم يكونوا يشعرون بها .. فلا عجب بعد ذلك إذا رأينا الصحف الوطنية تعين رجالا من الأجانب لرياسة تحريرها .. فكانت تختار سباكا او ترزيا او بائعا جائلا وتضع اسمه كرئيس للتحرير ولا غرابة إذا وجدنا بعض المصريين يرتاحون لوجود الامتيازات الأجنبية ويتمنون لها البقاء ..

## الحركة العلمية

وبعد ظهور القطار وفد على العاصمة عدد كبير من شباب القرى



وجمعت محطات القطار فوق ارصفتها نماذج متشابهة من مصر

والتحقوا بالأزهر .. وقد انشأ الخديو عباس الرواق العباسى سنة ١٨٩٨ وافتتحه باحتفال رسمي وحضر الاحتفال عدد من تلاميذ احدى المدارس وأنشدوا بصوت عذب ..

بشرى لنا تم المرام ∴ فى ظل من ساد الكرام
هذا رواق باهر ∴ انشاه عباس الهمام

وقد أراد الشيخ محمد عبده أن ينهض بمستوى التعليم ليتمشى مع روح العصر فاقترح فى سنة ١٨٩٨ أن تدرس الشروح دون الحواشي .. ومن ذلك أنه كان يقرأ كتابا فى التوحيد فرأى رأيا لا يقبله باقى العلماء فشكا هؤلاء لشيخ الأزهر وحذروه عاقبة الدوام على هذه الحال .. وبعد أن اجتمع الشيخ محمد عبده مع باقى العلماء لم ينحل وجه الخلاف وأصر العلماء على أن يقرأوا كتبهم العلمية وحواشيها وألا يقبلوا فى ذلك منازعة ولا مراجعة وإلا دفعوا القوة بالقوة ..

على أنه كان لابد وأن يخضع الأزهر لسنة التطور .. جاء فى تقرير كرومر عن سنة ١٨٩٧ ما نصه « إن مديرى الجامع الأزهر طلبوا فى السنة الماضية ثلاثة عشر استاذا من أساتذة المدارس الأميرية ، وادخلوا طرقا جديدة للتعليم من انفسهم .. أما الدروس التى يدرسها أولئك الاساتذة فهى الرياضيات والجغرافيا ورسم الخرط .. واذا نظرنا الى ازدحام التلاميذ عفوا واختيارا عليهم لتلقى العلم منهم حكمنا أن تدريس تلك العلوم فى مدرسة اشتهرت باقتصارها على العلوم الدينية فقط يعد نجاحا عظيما » ..

كثرت الاضطرابات وانتشرت الفوضى فى هذا المعهد نظرا لكثرة اعداد الوافدين عليه .. كتب الشيخ محمود ناجى الحنفى الأزهرى فى المؤيد ( ٢٣ ـ ٣ ـ ١٩٠٨ ) مقالا جاء فيه :

انك لو دخلت الأزهر لوجدت :

أولا : طبقات سافلة منهمكة في اللعب والضحك حال جلوس المعلم لقراءة الدرس .. ومنهم من استولى عليه النوم ، والبعض يتشاجر مع غيره ويشوش على الشيخ ، وحينئذ يرتبك فينزل الله عليه سحائب الذهول والغفلة عنهم فلا يمكنه زجرهم ولا القراءة لهم ..

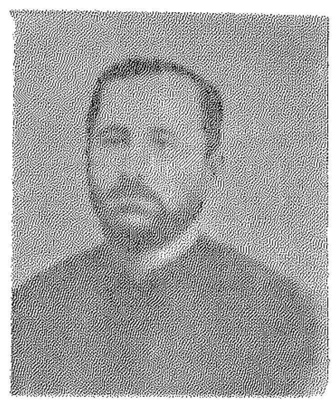
ثانيا : وهناك تنعقد مجتمعات متعددة لانتقاد بعضهم بعضا والأخذ على علمائهم وانتخاب القوى منهم وجعله فتوة الدين ، وبه يستعينون على ضرب من شاءوا ولو شيخهم كما شاهدت ذلك منهم ..

ثالثا : يظهر للرائى أيضا أنهم عندما يريدون ضرب من اقتضت إرادتهم ضربه أن يبعثوا له شابا صغير السن يعاكسه وينتظرون من المعاكس أن يكلم هذا الشاب المرسل من قبلهم أو يلتفت إليه فإذا فعل ذلك هموا بضربه الضرب الشديد المؤلم فتارة بمراكيبهم وأحذيتهم وآونة بالكرابيج والعصى وطورا بالسلاح ..

× × ×

وكان من رأى بعض المصريين أن الأمة فى حاجة ماسة إلى الاكثار من المدارس الأولية أو الكتاتيب بلغة ذلك العصر .. وفي ذلك يقول سعد باشا زغلول ناظر المعارف فى خطبة القاها فى حفلة توزيع الأعانات على الفقهاء :

« وجهت الحكومة عنايتها من عدة سنين إلى تعميم الكتاتيب وإصلاح شئونها لأنها رأت فيها خير وسيلة لتربية أخلاق العامة وتهذيب نفوسهم وتقليل الشرور الناتجة عن جهلهم مبادىء الدين الصحيحة وقواعده الشريفة ، ولأن المواد التى تعلم فيها هى عبارة عما لايصح لانسان أن يستغنى عن معرفته بصفته إنسانا .. فاسست مدارس لتخريج معلميها ورتبت دروسا خصوصية لارشاد فقهائها الحاليين ، وأباحت أرضها لكل من يريد بناء كتاب عليها ، ورتبت مفتشين لها وانشأت إدارة خاصة بها ، وقررت مساعدات مالية للكتاتيب التى تستوفى الشرائط التى وضعتها لحسن سيرها ، واستنهضت الأمة لمساعدتها فنهضت واسس بعض سراتها كثيرا من المعاهد وستتبينون مقدار هذه النهضة مما سيتلوه على حضراتكم



محمد رشيد



سعد زغلول



السلطان عبد الحميد

تذكرة

رخصة من ديوان الدائرة البلدية بمصر من سنة ٧٨ ثمانيه
وسبعين عن حمار ركوب ملك ... يمر بدون مانع على مراكز الداخلية وشوارع المحروسة

وارد العموميه في تاريخ ... ٧٨

(ترجمة اللعبة المسماة باسم)

# عايدة

وهي لعبة تياترية من نوع الالعاب المعروفة باسم الاوبيره
(أي التصوير بالمادة التاريخية الشهيره) تشتمل على مناظر بهيجه
ومراقص مستغرب بها ... موسيقية مطربه
متوزعة على ثلاثة فصول وسبعة مناظر
تأليف المسيو غيزلنسوني وتوقيع الاوسته ويردي
... 

## بأمر سعادة خديو مصر

لقصد تصويرها في تياترو الاوبيره
بمصر القاهرة
وقد حصل اللعب بها بالفعل في الملعب المذكور في ... سنة ١٢٨٧

تعريب
السيد أبو السعود أفندي
محرر صحيفة وادي النيل

حضرة مدير الكتاتيب ، غير أن ما تم إلى الآن فى شأنها من انتشار وتقدم وإن كان عظيما بالنسبة للحالة الماضية فإنه قليل بالنسبة لما تحتاج إليه الأمة فإن نسبة المشتغلين بالتعليم إلى من هم فى سنه ولا يشتغلون به هى إثنا عشر في المائة فقط ، وهي حالة غير مرضية يجب السعي على قدر الامكان في تخفيفها .. والأمل وطيد فى ان تتحقق هذه الأمنية تحت رعاية جناب الخديو الأكرم وحسن اجتهاد حكومته ومساعدة رعاياه المخلصين ..

محاربة الكتاتيب

ولقد توهم قوم منا ان انتشار الكتاتيب بيننا مضر بالزراعة ، لأن الولد يانف ـ بعد خروجه منها ـ العمل فى غيط أبيه ، وعنفوا الحكومة تعنيفا شديدا على مساعدتها لهذا المشروع ، وافرغوا ما عندهم من وسائل القول والعمل فى تعطيله .. ومن ذلك إرجافهم .. بأن فى إصلاحها عن الحالة الأصلية اخلالا بتعليم القرآن الشريف ..

وإذا صح هذا التوهم فى الماضى عندما كان التعليم نادرا ، والمتعلمون قليلين ، والقدر القليل من المعلومات كافيا لكسب العيش فلا يصح فى الحاضر وقد انتشر التعليم نوعا وكثر المتعلمون ، واصبحت المعلومات الأولية غير كافية لأن يتعيش الشخص من استعمالها ..

على ان تضرر الأمة بجهل السواد الاعظم منها أشد بكثير من تضررها بقلة الأيدى العاملة فى الزراعة والصناعة .. ومن حسن الحظ ان أصحاب هذا الرأى يقلون يوما فيوما .. وقد اجتهدت نظارة المعارف بواسطة مفتشيها ومساعديهم والمنشورات التى ترسلها تباعا إليهم فى إزالة ما علق بالأذهان من ذلك الإرجاف وساعدها على ذلك كثرة انتشار الكتاتيب ووقوف كثير من العقلاء على ما تقوم به من التعليم الصحيح للقرآن الشريف على الوجه الشرعى وبث مبادىء الدين القويم فى الأذهان . وإنى ادعو كل من لم يقتنع بهذه الحقيقة لغاية الآن أن يزور ما يختاره من الكتاتيب السائرة على النظام الجديد ، ويقابل بينها وبين كتاتيب العهد القديم فإنه يرى بين النوعين فرقا عظيما ..

وليت الذين ينتقدون على المعارف مشروعاتها وقراراتها يتانون فى الحكم عليها حتى يقفوا على الحقيقة من مصدرها فإن ذلك يكفيهم شر الخطا

● حمل القطار كل هؤلاء المتعلمين من قراهم المصرية البعيدة إلى القاهرة ليتعلموا فى الجامعة

● وغدت دواوين القطارات وما يحدث فيها مصدر إلهام للفنانين

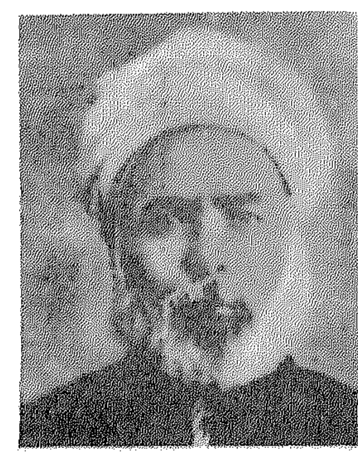
**فى النقد ويضمن لهم الصواب فى الراى ويحمل نظارة المعارف على أن تسمع اقوالهم وتتبع احسنها وتصل بمجموع ذلك إلى تحقيق مقاصد الجناب العالى ـ حفظه الله ـ من تعميم التربية وتهذيب النفوس وتقويم الأخلاق ، أدام الله لنا علاه ، وحقق لنا برعايته ما نتمناه » ..**

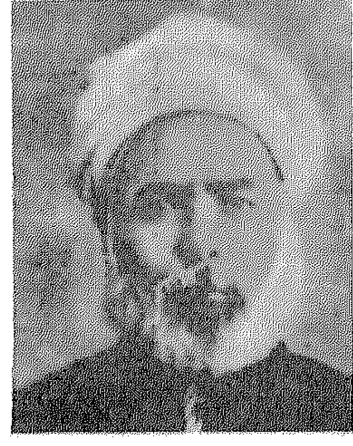
× × ×

## القطار .. فى الأدب العربى الحديث

هز القطار مشاعر العديد من الأدباء المصريين المعاصريين ، فكان ميدانا خصبا لاحداث روايات ، ومسرحيات ، وقصائد ابدعها الادباء . ومن أبرز ما جاء فى هذا المضمار ما ردده عامل التذاكر فى مسرحية « مسافر ليل » لصلاح عبد الصبور وهو يتحدث إلى الراكب قائلا :

أولا تدرك من ثوبى ما أطلب
اطلب تذكرتك
هذا عملى .. عمل مرهق
ينزعنى من فرشى فى بطن الليل
يحرمنى من نومى .. أشهى خبز فى مائدة الله
أحيانا لا تحوى القاطرة سوى حفنة ركاب
ينتشرون كأجولة ملقاة فى مخزن قطن مهجور
بل أحيانا لا تحوى الا رجلا أو رجلين
تبدو مظلمة باردة خافتة الانفاس
كبطن الحوت الميت ..
اعرف ذلك حين تقعقع فوق رصيف البلدة
انوار مطفأة ، وزجاج لا تلمع خلف غشاوته رأس
لكن اتفقد كل العربات
هذا واجب !
أتحسس جلد مقاعدها وأحدق فى الظلمة .
أحيانا أقلب ظهر المقعد
بل انى احيانا أقعى كى انظر ما تحت المقعد
بل أنى احيانا أستخرج مطواتى ، واشق المقعد
ماذا ؟ لا اغفر ان يركب أحد دون تذاكر
ماذا ؟ هل هدأت نفسك !
تذكرتك





● الشيخ محمد عبده ● اسماعيل اباظة

فمن هذه الخطبة نرى أن من المصريين من كانوا يعارضون التوسع فى إنشاء المدارس الأولية بحجة أن التلاميذ إذا خرجوا منها انفوا من العمل فى الحقول فتصاب الزراعة بضرر كبير .. ومن الخير فى رأيهم ان تظل الأمية متفشية فى البلاد ..

ومنهم من كان يرى أن إنشاء هذه الكتاتيب لا يغنى عن انشاء جامعة وشبه الكتاتيب بالمصابيح ذات الضوء المحدود ، والجامعة بالكوكب الذى يغمر ضوءه البلاد . قال حافظ ابراهيم :

فانشئوا الف كتاب وقد علموا ... أن المصابيح لا تغنى عن الشهب

× × ×

وبعد ظهور القطار اقبل عدد كبير من الرهبان الجزويت والفرير ورجال الطائفة الإنجيلية وفتحوا المدارس للبنين والبنات فى كثير من مدن القطر ..

وكان للطائفة الإنجيلية ١٣٣ مدرسة للصبيان ، و ٣٥ مدرسة للبنات وعدد تلامذتها ١١٠١٤ منهم ٢٢٨٠ من المسلمين ..

وكان لليونان مدارس للبنين والبنات فى العاصمة وفى الاسكندرية .. كما كان للأرمن مثل ذلك

وقد احدث وجود المدارس الأجنبية واقبال المصريين عليها رد فعل عند المسلمين وعند الأقباط الأرثوذكس .. فنشأت الجمعيات الخيرية الاسلامية والقبطية وفتحت المدارس للبنين والبنات .. وانشأت الطائفة اليهودية مدارس خاصة لأبنائها ..

سوانح وطرائف
في القديم والجديد

# صناجة الأثير شاعر مصر الرسمي

بقلم : كمال النجمي

**● صدر أخيرا ديوان الشاعر الجهير على الجارم ـ رحمه الله ـ فمرحبا بهذا الديوان الجزل وإن لم تستقبله اقلام الأدباء فى الصحف بما يستحق من عناية ، أو بما دون الطفيف من العناية ، مع أن أدباء الصحف فى الزمن الأخير يكثرون الكلام فيما يستحق وما لايستحق من إنتاج الأدباء والشعراء ، صغارا كبارا .. وكبارا صغارا .. وكل من ادعى دعوى فى الشعر والنثر ! .**

**ماذا يمكن أن يقال عن الشاعر الجارم الآن بعد ثمان وثلاثين سنة من رحيله عن الدنيا ؟! .. ●**

كان الجارم صاحب صوت جهورى رنان ، والقاء مرنم للشعر الموزون المقفى ، فكان أمير الشعراء أحمد شوقى ينتدبه أحيانا لالقاء قصائده فى المحافل التى كان الشعر مادة إساسية فيها قبل خمسين عاما ..

وبعد رحيل شوقى ، دارت الأيام حتى صار صاحب الصوت الرنان ، هو شاعر مصر الرسمى فى محافل القاهرة والعواصم العربية .. فملأ الدنيا وشغل الناس ! .. لكن اسم الجارم مر فى ذكراه هذا العام ، كما مر اسم ديوانه الذى صدر



● على الجارم

ـدون أن يومىء إليه إلا الأقلون بالتحية والسلام ، فإن عارفى الجارم وذاكريه قد ذهبوا إلا أفرادا هنا وهناك ، وامتلأت الساحة بالشعراء والنقاد والقراء الذين لايعرف أكثرهم إلا أسماء بعض زملائهم ى الشعر والنقد والقراءة .. فإذا اضطر أحدهم اضطرارا إلى شىء من الاهتمام بشعراء الجيل الماضى ، فليس يعدو اهتمامه الفاتر أحمد شوقى وحافظ ابراهيم ، وربما تطرق إلى اسماعيل صبرى باشا ومحمود سامى البارودى ، وقد يسمع كلمات متناثرة عن أحمد محرم وخليل مطران وقد يتخيل ثم يخال شيئا عن هذا الشاعر أو ذاك ! ..

أما الشعراء الفحول الآخرون من ذلك الجيل الرائـع ، فإنهم منسيـون بل مجهولون .. لاتعرفهم أجهزة الاعلام ، وإن كانت تقيم لذكرى فريد الأطرش أسبوعا كاملا من الاحتفالات كل عام ! .. ولارغبة للجيل الجديد فى التعرف إليهم ، فقد انقطع التواصل الوجدانى والفكرى والفنى بين شعراء العربية ، إلا عند أفراد متفرقين ، وقليل من الطلبة الباحثين تضطرهم « الرسائل الجامعية » إلى السؤال عن بعض شعراء ذلك الجيل ، ويرون فى ذلك عملا مرهقا وواجبا ثقيلا .. إلا مَنْ خَفَّ على قلبه وروحه طلبُ العلم .. وأين الآن مثل هذا بين أولئك الأبناء ؟! ..

وعلى الجارم لم ينقطع عن قول الشعر طوال خمسين عاما ، لكنه لم « ينبغ » فيه إلا فى السنوات العشر الأخيرة من حياته ! .. ويضم ديوانه الجديد القديم شعره كله تقريبا ، إلا أن أخصب هذا الشعر مانظمه فى السنوات العشر الأخيرة من عمره ، من أواخر الثلاثينيات إلى أواخر الأربعينيات ..

كان الجارم فى شبابه وإلى مشارف كهولته ، يرسل الشعر مدائح أو مراثى فى

الملوك والأمراء والكبراء .. أو مقطعات فى النسيب والمناسبات ، وقد جمع من قصائده فى مرحلته هذه التى استغرقت معظم حياته التى لم تكن طويلة ، ديوانا طبعته وزارة المعارف المصرية قبل أربعين عاما ـ وكان كبيرا لمفتشى اللغة العربية فى مدارسها ـ وقوبل هذا الديوان فى وقته بحفاوة مدرسى اللغة العربية فى المدارس الابتدائيـة والثانـوية ودار العلوم ، كما قوبل من الشعراء بالمجاملة أو الترحاب .. إلا أنه لم يترك أثرا ! ..

● براعة نادرة

وفى العشرينيات كان الجارم أبرع من يلقى الشعر فى المحافل الحفيلة التى تضم الألوف من المستمعين بلا « ميكروفون » فتغمر أسماعهم نبرات صوته الجهورى الرنان ، وتقطيعه للأوزان الشعرية تقطيعا مطربا ينقل عدوى الطرب إلى المستمعين ولو لم يكونوا من جمهور الشعر ! .. فكان لهذه الميزة النادرة مقربا إلى شوقى أمير الشعراء ، ينتدبه أحيانا لالقاء قصائده فى المحافل ، إذ كان شوقى على جلالة قدره فى الشعر ، ضعيف الصوت ، مبهم النطق ، فاتر الأداء ! ..

وكان شوقى يتعمد انتداب الجارم ـ دون سواه ـ لالقاء الشوقيات فى المحافل التى يشارك فيها حافظ ابراهيم شاعر النيل المشهور بروعة الالقاء ـ على تواضع شعره ـ فقد كان حافظ يختلب اسماع الجماهير بطريقتـه البالغة القوة فى إلقاء شعره وإن كان شعره ضعيفا .. حتى لينصرف كثير من الناس بعد الحفل وهم يفضلون شعر حافظ ـ لجودة إلقائه ـ على شعر شوقى ، إذا كان من ألقاه اضعف موهبة فى الالقاء من حافظ ! ..

كان الجارم ندا لحافظ فى الالقاء وإن لم يكن ندا له فى الشهرة أيامئذ .. ولم يكن ليعرفه أحد لولا أن غنت ام كلثوم فى أواخر العشرينيات قصيدته التى مطلعها :

مالى فُتِنْتُ بلحظِكِ الفتَّاكِ
وسَلوتُ كُلَّ مليحةٍ إلَّاكِ

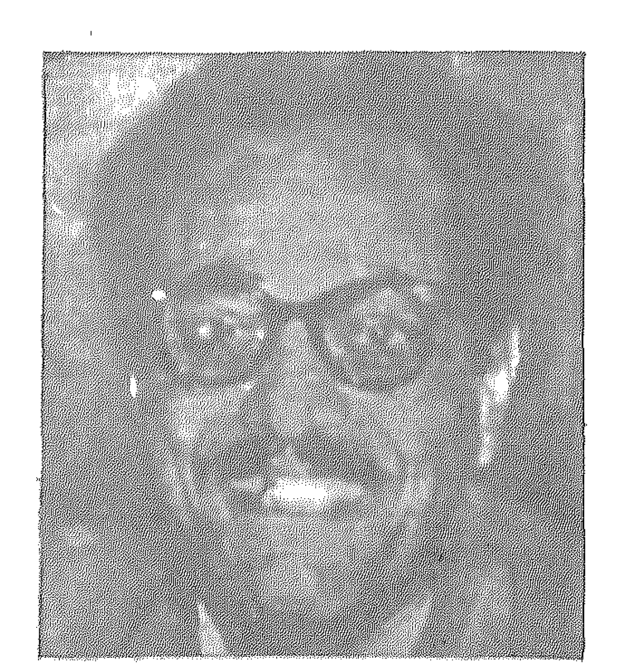
فأشار إليه الكثيرون عندئذ بالبنان ، فإن هذه القصيدة لم تكن اقل شأنا من شعر الغزل الذى غنته أم كلثوم فى بداية أمـرها من تلحين الـدكتور صبـرى النجريدى الملحن الطبيب ، صديق على الجارم ! ..

وقد لبث الجارم زمنا يفخر بأنه ألحق الهزيمة بحافظ ابراهيم فى معارك كثيرة للالقاء .. ولما توفى سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٧ كان الجارم أول من فكر فيه شوقى لالقاء قصيدته الرائعة فى رثاء سعد ومطلعها :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها
وانحنى الشرق عليها فبكاها

وقد ذهب من ذاكرتى الآن ـ وأنا أستملى الذاكرة وحدها ـ خبر هذا الحفل الذى أقيم فى سرادق ضخم لرثاء سعد .. ولم أجد من الوقت متسعا للبحث عمن ألقى قصيدة شوقى الرائعة التى واجهها حافظ إبراهيم بقصيدته التى مطلعها :

إيه ياليل هل شهدت المصابا
كيف ينصب فى النفوس انصبابا



● محمود حسن اسماعيل



● بشارة الخوري

وهذه القصيدة ليست من أحاسن شعر حافظ ، وله أحسن منها فى رثاء باشوات وبكوات عاديين لايرتقى أحدهم إلى عتبات سعد زغلول .. وقد سقط حافظ فى قصيدته هذه سقطة تدل على طفولته السياسية التى صحبته طول حياته وجعلته شديد الاكبار للانجليز .. إذ امتدح جريدة « التيمس » لأنها كتبت كلمة عن وفاة سعد ، فاعتبرها حافظ شهادة من الجريدة البريطانية المهيبة لسعد زغلول بالمجد والعظمة ! ..

وألقى الكاتب الكبير عباس محمود العقاد قصيدة مسهبة فى الحفل كان أولها :

**أمَضَتْ بعْد الرئيس الاربعونْ**
**عجباً .. كيف إذَنْ تمضى السنونْ ؟!**

فكانت هذه القصيدة من أقرب شعره كله إلى أسلوب الشعر العربى وطريقة الشعراء ذوى الديباجة وخلت تقريبا من الصياغات النثرية والمعاظلات الفكرية التى قلما يخلو منها شعر العقاد ، ولهذا أعجبت هذه القصيدة من سمعوها ، ونسخت عندهم قصيدة حافظ ، برغم فخامة إلقاء حافظ وضعف إلقاء العقاد .. فكان العقاد فى سرادق سعد خيرا من حافظ ! ..

ولقد تغيظ حافظ لذلك ، فذهب إلى صديق له فى إحدى الصحف يستعديه على العقاد ، فكتب الرجل مقالا ضد العقاد يتساءل فيه ساخرا : « من هذا الغراب الذى قام ينعق بين بلبلين ؟! » .. يقصد بالبلبلين شوقى وحافظا ، وبالغراب العقاد ! ..

ويعلم الله أن حافظا لم يكن بلبلا فى قصيدته تلك الطويلة فى غير طائل ، ولم يكن العقاد غرابا ، بل كان فى حالة من حالات سجع الطيور ! ..

## ● شاعر الحكومة

سرعان ماتقضّت الأيام ! .. مات حافظ وشوقى ، وخلا ميدان الشعر فى مصر من رنين شعرهما الذى تتجاوب به دنيا العرب ، وارتفعت للشعر رايات فى الشام والعراق ، ولم يبق من شعراء مصر فى ذلك العصر من هو أشهر من الجارم ..

# صنّاجة الأثير
# شاعر مصر الرسمى

نعم .. كان فى مصر أحمد محرم من المخضرمين الفحول .. ثم على محمود طه من الرومانسيين المطبوعين المتصرفين فى فنون الشعر .. وآخرون تفرقوا بين الكلاسيكية الحديثة والرومانسية على طريقة القرن التاسع عشر فى أوربا .. بكلهم - على قلتهم - مجيد بارع .. ولكن الجارم كان « شاعر الحكومة » - إن صح التعبير - أو « شاعر وزارة المعارف » بتعبير أصح .. وكانت صفته الرسمية هذه تجعل صوته أعلى من أصوات جميع الشعراء ، وفيهم أصحاب منزلة رسمية وجاه عريض كالشيخ عبدالله عفيفى شاعر الملك فؤاد ، ثم شاعر الملك فاروق ، و « المحرر العربى فى ديوان جلالة الملك » !

وارتفع شأن الجارم واتسعت شهرته منذ أنشئت الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية سنة ١٩٣٤ فقد كثر إلقاؤه لأشعاره فى ميكروفون الاذاعة ، وكانت الاذاعة فى أول أمرها قبل خمسين عاما عجبا من العجب ، وفتنة للأسماع ، فعرف اسمه مئات الألوف من المستمعين ، وصار عندهم صنّاجة أمواج الأثير غير مدافع ! ..

أما عبدالله عفيفى - على منزلته الملوكية - فلم يكن له إلا قصيدة أو قصيدتان كل عام تنشران فى جريدة البلاغ ، وربما فى الأهرام أيضا أو فى غيرها من الصحف اليومية .. وما أقل عدد القراء الذين يصبرون على قراءة قصائد المديح الطوال ولو كانت محلاة بعلامات التشكيل ، منمقة محفوفة بإطار يميزها ويلفت إليها الأنظار ..

قفز اسم الجارم بفضل الاذاعة إلى مقدمة أسماء الشعراء ، وقد كان للاذاعة أثر كبير فى تقديم بعض شعراء الثلاثينيات والأربعينيات إلى الجمهور ، وكان أعلاهم صوتا بعد الجارم ، الشاعر الشاب - حينذاك - محمود حسن اسماعيل الذى كانت بداية شهرته الحقيقية من ميكروفون الاذاعة لا من ديوانه الأول « أغانى الكوخ » الذى اعتاد بعضهم أن يغالى بأهميته وينسب إليه شهرة هذا الشاعر .. وكان الجارم ومحمود حسن اسماعيل على طرفى نقيض فى المذهب الشعرى ، ولكنهما كانا زميلين على أمواج الأثير ..

## ● بحترى الكنانة

اختلف شعر الجارم فى الاذاعة عن شعره فى ديوانه القديم .. ترك الجرى على رسوم الأولين فى اختيار الألفاظ الوعرة ، وكف عن تعاطى الغريب البدوى والشاذ والوحشى ولم يعد يقف بقارعة الطريق للأعراب الأقحاح يسألهم ويطلب لغاتهم وقوافيهم ! ..

وخلال بضعة عشر عاما عاشها الجارم على أمواج الأثير ، بنى لنفسه منزلة عالية حتى عده الكثيرون « شاعر مصر » .. وصار بعض فضلاء العراقيين والشاميين يلقبونه « بحترى الكنانة » تشبيها له بالبحترى الشاعر العظيم المشهور ..

والحقيقة ان الجارم بعد أن كان فى أولياته يلوذ بأمثال رؤبة والعجاج والفرزدق وتأبط شرا فى طلب الشعر الوعر لفظا وديباجة ، صار فى أخرياته يأنس إلى



ام كلثوم

أمثال البحترى فى جريانه بالشعر فى غير تكلف ولانحت فى الصخور ! ..

ولم تتوثق صلتى بشعر الجارم إلا فى أواسط الأربعينيات حين اقتصر نشره على جريدة الأهرام فى عهد رئيس تحريرها الأديب الكبير أنطون الجميل باشا ، فى نفس الموضع الذى كانت الأهرام تنشر فيه شعر شوقى فوق صدرها فيما سلف من الأيام ، فكنت أعجب لهذا الشاعر الذى نبغ فى كهولته كانه النابغة الذبيانى ، وتغيرت ديباجته الوعرة البدوية ، إلى ديباجة عباسية خسروانية ! ..

ولم ألتق به ـ رحمه الله ـ إلا قبل رحيله عن الدنيا بعامين أو أكثر قليلا .. زرته فى بيته مرة واحدة سنة ١٩٤٧ ، وكان بيته ـ إذا صدقتنى الذاكرة ـ فى جزيرة الروضة وهى يومئذ حقول وحدائق وباحات خالية ، وأراض مقسمة للبناء بدون مبان ، وبيوت متناثرة تعد على الأصابع ، وكان عائدا لتوه من لبنان وقد ألقى قصيدة فى حفل رسمى هناك ، يقول فى بدايتها متغزلا :

ألقيت للغيد الملاح سلاحى
ورجعت اغسل بالدموع جراحى
ولمحت ريحان الصبا فرأيته
ذبلت نضارته على الاقداح
كان الشباب طماح لاعجة الهوى
فاليوم يرفع ساعديه طماحى
قد كان للذات أسرع ناصح
فغدا على الشبهات أول لاحى

تحدثنا عن هذه القصيدة التى جرى فى غزلها على طريقة القدماء ، ثم جرى على طريقة شوقى فى التغزل بجمال لبنان وامتداح فضائل أهله فى طلب العيش والثراء فى مهاجرهم البعيدة ، كما نظر إلى بعض المعانى التى جاءت فى قصائد حافظ عن لبنان واللبنانيين ..

وقال لى الجارم ـ ولم يكن قليل الاعتداد بنفسه ـ إنه يبذل غاية جهده فى قصائده التى يلقيها فى لبنان أو سوريا أو فلسطين أو العراق ، لأن أبناء هذه الأقطار الشقيقة اعتادوا سماع شعر شوقى فى جزالته وعذوبته وعلو طبقته ، ولم ينس اللبنانيون رائعة شوقى التى مطلعها :

السحر من سود العيون لقيتهُ
والبابلىُّ بلحظهن سُقِيتهُ

ومنها قوله البديع الذى سار كالأمثال لأنه أوجز فيه وجمع أوصافا كثيرة فى كلمات يسيرة :

لبنانُ والخلدُ اختراعُ الله لم
يُوسَمْ بأزينَ منهما ملكوتهُ

## صناجة الأثير
## شاعر مصر الرسمي

تفتقت شاعرية الجارم كالزهرة فى شوطها الأخير ، وقويت روحه المعنوية بذيوع اسمه واحتفال كبريات الصحف بنشر شعره ، ومضى ينسج على منوال يراه قريبا من منوال شوقى على فرق مابينهما بطبيعة الحال ، وصار يسمى قصائده « الجارميات » كما كانت قصائد شوقى تسمى « الشوقيات » ! ..

كان الجارم يغار ـ وهذا طبيعى ـ ممن يعتبرهم منافسيه ولو كانوا من غير مصر ، وأذكر أنه حدثنى عن الشاعر اللبنانى الكبير بشارة عبدالله الخورى المسمى « الأخطل الصغير » فقال ـ وأنا أنقل هنا كلماته بتصرف مما سبق لى نشره قبل ثلاثين عاما من هذا الحديث :

ـ لقد أبدى بشارة الخورى إعجابا شديدا بالقصيدة .. وبخاصة هذا البيت ..

ثم صمت وسألنى :

ـ أفتدرى ماهو ؟! .. هذه نسخة القصيدة فاستخرج منها البيت الذى تظن أنه نال إعجاب الخورى ..

قلت له :

ـ هل تؤمن بتذوق القصائد بيتا بيتا ؟! ..

ـ نعم .. خير الشعر ما استقل كل بيت فيه بمعناه ، وهذه ميزة للشعر العربى يظنها أعداؤه مغمزا فيه ..

ـ زميلك العقاد فى المجمع اللغوى يقول غير ذلك ! ..

ضحك الجارم وقال :

ـ مازال العقاد منذ عرفناه كاتبا كبيرا ..

نظرت فى القصيدة أبحث عن البيت الذى نال إعجاب بشارة الخورى ثم قلت :

ـ أظنه هذا البيت :

**ولمحت ريحان الصبا فرأيته**
**ذبلت نضارته على الأقداح**

فهو بيت جيدُ النسج ، جديد المعنى فى جمعه بين ذبول الصبا وذبول الريحان على أقداح الشراب فى مجلس الأنس والطرب المفتعل فى أيام الشيخوخة .. ويكاد هذا البيت يكون اختراعا .. و .. و .. و ..

ضحك الجارم فى سعادة وقال :

ـ إنك وصاحبنا الخورى تصدران عن ذوق واحد ، على بعد مابينكما من فارق السن والفوارق الأخرى ..

بعد شهور من هذا اللقاء قرأت فى صدر الأهرام قصيدة لبشارة الخورى يمدح بها شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية حينذاك بادئا بالغزل كالقدماء ولكن فى غير لغتهم :

**فتْنُ الجمالِ وثورةُ الأقداح**
**صَبَغَتْ أساطيرَ الهوىَ بجراحى**

وكانت قصيدة بارعة من بحر وقافية قصيدة الجارم التى تكلمنا عنها ، كأنما كان الأخطل الصغير يقول للجارم : ها أنذا ألقاك فى بحر « الكامل » وعلى قافية « الحاء » .. فإن كنت أنت البحترى ـ كما يقول أصحابك ـ فأنا أبو نواس كما قال أحمد شوقى عن نفسه قديما فى إحدى مساجلاته لصديقه اسماعيل صبرى باشا حين مدحا معا الخديو عباس حلمى من بحر واحد وقافية واحدة ، فقال شوقى يشير إلي ذلك :

وتعارضت فيكَ القوافي وانبرى
لأبى نواسَ البحتريُّ المُفْلِقُ
جعل شوقى نفسه البحترى . وجعل صديقه أبا نواس ! ..

## ● أخر المطاف

قابلت الجارم عرضا بعد نشر قصيدة الأخطل الصغير فكان مما قاله تعليقا على القصيدة :

- بشارة الخورى قصيـر النفس لايتجاوز الأربعين بيتا أو الخمسين ، وأكثر شعره مقطعات ! ..

قلت فى حدة الشباب وقلة تجربته :

- وماذا ترون فى المتنبى ؟! .. إنه وهوشيخ الشعراء لم يزد فى أجود قصائده على هذا القدر من الأبيات .. وكان ابن الرومى حين يطيل قصائده يقع فى التعبير النثرى مما كاد يسقطه عند معاصريه ..

ولولا جهل الشباب وقلة تجربته لكنت خليقا أن أساير فى الرأى شيخا كبيرا مشهورا قد بلغ فى أيامه منزلة شاعر مصر الرسمى الذى تنتدبه الحكومة إلى محافل البلاد العربية فيهز الأسماع بشعره ويذكرهم بشوقى ويحيى عندهم أمل الوحدة العربية كما كانوا يتصورونها فى تلك الأيام ! ..

**إن أحدا من شعراء مصر لم يتح له أن يمثل مصر رسميا كما أتيح للجارم الذى انتزع قصب السبق فى جميع المحافل العربية بشهادة أصحابها .. وليقل من شاء ماشاء فى شعر الجارم ، فحسبه شعره الوطنى والعروبى فى أخريات أيامه .. وكان ذلك خاتمة شعره ..**

وفى أخر مطاف الجارم بالدنيا كان - رحمه الله - يستشف ماوراءها بخيال الشاعر ، فيطالع قراء شعره بنظراته الشعرية القريبة من نظرات المتصوفة فى أشعارهم ، وكانت قصيدته فى رثاء صديقه أنطون الجميل باشا رئيس تحرير الأهرام فى أوائل سنة ١٩٤٨ حافلة بهذه النظرات التصوفية ، مع أنه لم يكن متصوفا ، وكأنه كان ينعى نفسه فى هذه القصيدة فقد مات سنة ١٩٤٩ .

لعل الجارم فى نظراته التصوفية العابرة كان يتشبه بالمتنبى الذى كانت تقع له فى تأملاته تعبيرات عجيبة كأنها من كلام الصوفية وهو والصوفية لايلتقيان حتى قال الصاحب الوزير ابن عباد الناقد البصير بالكلام : لو وقعت أق "، المتنبى هذه فى عبارات الجنيد والشبلى لتنازعتها الصوفية دهرا بعيدا ..

كان الجارم كأنما يرى الدنيا توشك أن تنطوى تحت قدميه مؤذنة بالزوال ، مع أنه لم يكن قد طعن فى السن إلا أنه كان مريضا .. وماأسرع ماانطوت دنياه فى منظر يبعث الأسى ! ..

كان قد نظم قصيدة - هى آخر قصائده - فى رثاء صديقه محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء .. وجلس فى حفل التأبين وقد عاقه المرض عن إلقاء قصيدته فقام نجله يلقيها نيابة عنه ..

ولفظ الشاعر أنفاسه جالسا ونجله يلقى قصيدته فى حفلة تأبين رئيس الوزراء الذى اغتاله المتطرفون الدينيون ! ..

## ● نظرة نقدية عادلة

وبعد فقد كان الجارم كغيره من شعراء

# صناجة الأثير
# شاعر مصر الرسمي

جيله ضحية فورة أو انتفاضة فى الشعر العربى المعاصر ، فلم يكد يفارق الدنيا حتى نجمت الدعوة النظرية إلى شعر التفعيلة ، بوصفه شعر التقدم الذى لابد لقيامه من هدم شعر الأوزان والقوافى .. وكان فى هذه الدعوة الكثير من الأوهام ، وذهب أصحابها بعيدا فى تجاهل واقع أمتهم وتاريخها ووجدانها وذوقها ، وثرثر بعضهم فى حق الشعر العربى ثرثرة غثة كأنه يردد كلام المبشرين الاستعماريين أو الصهيونيين ..

ولامجال هنا لغير هذه الاشارة الخاطفة التى أردنا بها أن نستكمل كلمتنا هذه عن الجارم الذى لم يكن وحده ضحية السذاجة الطفولية فى النقد خلال الخمسينيات والدعوة الشعواء إلى هدم الشعر العربى الموزون المقفى ، ومنع نظمه ، ومحاربة نشره كأنه رجس من عمل شياطين الرجعية ! ..

لقد انطلق الدعاة الجدد وقد ثملوا بدعوتهم الطفولية هذه ، فأطبقوا على أعناق جميع شعراء العربية فى جميع العصور ، وبخاصة شعراء عصرنا ، من شوقى إلى حافظ إلى الجارم .. إلى الآخرين جميعا ، وقذفوا بهم فى ربطة واحدة إلى الجحيم ، وهم يتصايحون بتوجيهات نظرية متسرعة أثبت الزمان خواءها ، مع أن بعض أصحابها كانت تدفعهم النيات الحسنة إلى ماعملوا ، فكانوا أشبه بجماعة المتهوسين الذين قفزوا بعد ثورة أكتوبر الروسية سنة ١٩١٧ يخلعون السكك الحديدية التى بنيت فى عهد القيصر ، لكى يبنوا بدلا منها سكك حديد اشتراكية ! .. فكانوا جديرين بلقب « سكان الكهوف » الذى أطلقه عليهم زملاؤهم الذين يعرفون تماما أن سكك حديد القيصر تستطيع أن تخدم الاشتراكيين كما خدمت القيصريين ! ..

وقد خدمت الأوزان والقوافى عصورا متعاقبة ، وأفكارا متنوعة رجعية وثورية وفوضوية ودينية ولادينية .. ولم يكتشف الطابع الرجعى للقوافى والأوزان إلا سكان كهوف النقد فى بلادنا ! ..

إن الحق ليقتضى « تقييم » شعراء مرحلة الجارم بعد أن أعادت الحياة فى مصر والعالم كله تقييم كل شىء فى الأدب والعلم والسياسة والاقتصاد ، وتخطت حقائق الحياة كثيرا من التوجيهات النظرية ، والأوهام الفكرية ، وشطحات سكان الكهوف ! ..

ورحم الله صناجة الأثير ، بحترى الكنانة ، الذى كان شاعر المحافل العربية الرسمية فى عصر التطلع العربى الساذج إلى الأحلام الذهبية فى الحرية والاستقلال وتضامن الأشقاء العرب فى سبيل الوحدة العربية ..

وتحية لديوانه الجديد القديم الذى نرجو أن يتاح لنا العود إليه ذات يوم بالتفصيل ! ..



# بيت على شامة

شعر: محمد محمد السنباطي

في صفحة خدك ياوطني لي شامة
قطعة أرض أصغر من كف
يرمقها النيل بعين ساحرة وقسامة
يعلوها بيت من طابق
كالعاشق رث هندامه
أصغر من بيت الشعر
وأجمل من بيت الشعر
وفي حجم يمامة
سيل القمح تثير به الريح الرعناء
والأشجار الصفصاف جدائلها البلهاء
الخافضة الهامة
تتغنى قدامه
مئذنة تندى فيها التكبيرات
مدخنة ترفع أنفاس الطوب الى الغيمات
الأخضر في كل مكان
والأزرق في النيل وفي الأفق الصافي
والبقرة مازالت تجتر طعام الأمس
يهتز الرأس كمن يتذكر شيئا فجأة
والمرأة
مازالت أحلى المخلوقات بعين الشاعر
تحمل جرتها وتسافر
في رأسي
ما أجمل هذا الجو الساحر



بقلم: محمود بقشيش

# مفاجأتان .. في القاهرة

من بين المعارض الفردية التى أقيمت بالقاهرة استوقفنى ـ كما استوقف عشاق الفن التشكيلى ـ معرضان أجنبيان . أحدهما للفنان النمساوى [ جيرهارد جترف ] والآخر للفنان المجرى [ مارتون باراباش ] . وشكرت سراً من تسبب فى استقدام هذين الفنانين ، وهاأنذا أعاود الشكر علناً ، راجياً الاستزادة من الاحتكاك الثقافى بين الفنانين المصريين ونظرائهم فى الخارج . ولقد اشترك المعرضان فى إثارة مانحن فى أشد الحاجة إليه .. ليس فى مجال الفن وحده بل فى كل جوانب حياتنا ـ أعنى [ الاتقان والبراعة ] . وكنت أتوقع من المركز القومى أن يستكمل خدمته الثقافية بإضافة دراسة مضيئة عن كل من الفنانين بدلا من الاكتفاء بتقديم بيانات سريعة . لهذا يجد الباحث صعوبة .. خاصة من تعدى منهجه حدود تفسير حرفية الفنان وموقعها من القواعد . ولست أعرف على وجه اليقين ـ موقع كل منهما فى خارطة سياقه الثقافى ، وموطنه .. فلم يظهر اسمهما فى أى من القواميس العالمية . وقد علمت ـ بالمصادفة البحتة ـ من سيدة مجرية دارسة للفن وتاريخه أن « مارتون باراباش » قليل الشهرة فى المجر . إذن ليس امامنا غير اللوحات نغوص فيها ونستخلص منها ما نقدر على استخلاصه !

## جيرهارد جترف واستلهام التراث الكلاسيكى

- ولد فى النمسا عام ١٩٤٤ .
- تخرج فى أكاديمية « فيينا » للفنون الجميلة واستكمل فى « روما » دراسته فى « التصوير والتصميم » .
- عُيِّن رئيسا لقسم الرسم بالاكاديمية الصيفية الدولية فى سالزبورج .
- حصل على العديد من الجوائز الأولى منها : جائزة فيينا «للفنون فى ثلاث

سنوات متلاحقة : ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ١٩٦٦ كما حصل على جائزة اتحاد الفنانين عام ١٩٦٨ .

● أقام ، واشترك فى العديد من المعارض النوعية منها : معرض أقيم بالمعهد النمساوى بروما عام ١٩٧١ .. يدور حول موضوع واحد هو [ رسم الآلات ]

وأقام معرضا فى « فيينا » عام ١٩٧٥ فى [ الجواهر والصور المعدنية ] ، ومعرضا فى الحرف اليدوية عام ١٩٨١ ، كما أقام معرضا عام ١٩٨٧، تحت عنوان [ منّوعات صغيرة لكبار الفنانين ] .

أقيم معرضه بقاعة إخناتون رقم [ ١ ] بمجمع الفنون بالزمالك ، ضم منتخبات من مراحل مختلفة .. تكشف فى مجملها عن فنان يحرص على البحث المنهجى الرصين . ويتجه ببحثه ـ تارة ـ الى إنجازات كبار الفنانين .. يتناولها بالتحليل والنقد أو الاستنساخ الذى لايخلو من إضافة ، ويتجه ـ تارة أخرى ـ إلى الحياة الاجتماعية .. فيختار منها مايدل على انتمائه الى عصر الصناعة والعلم ؛ وهو فى استلهامه تراث فن التصوير الغربى ، واستلهامه الحياة الاجتماعية المعاصرة يتسلح بوعى ناضج بانجازات فن التصوير ؛ قديمه وحديثه ، وببراعة فى الرسم والتلوين ، وتمكن من أدوات ووسائط التعبير المختلفة .

ولقد ساعدت الطريقة التى أخرج بها المعرض على التعرف على عالمه .. فتواجه فى الداخل من القاعة مستنسخة للوحة الشهيرة المسماة ( فى المرسم ) للفنان العالمى « فيرمير » . وما تكاد تقترب منها حتى تكتشف الاضافة التى أضافها ، والايحاء الذى أراد إيصاله لنا .. ففى موضع اللوحة المحمولة ( داخل اللوحة المستنسخة ) وضع لوحة تكعيبية « الأسلوب » وتتناقض « أسلوبيا » مع بقية عناصر اللوحة ، وإن حافظ على نفس الدرجات الضوئية واللونية للوحة الأصلية .. وربما أراد أن يذكرنا بهذا التباين بمبدأ : المسرح داخل المسرح .. كما فى مسرحية « هملت » ـ على سبيل المثال ـ لتأكيد واقعية المرسم والاضاءة واختلافها الحتمى عن واقعية الفن . ومن الأرجح أن اختياره عَرْض هذه اللوحة بالذات كان للاعلان عن أن « الجديد » ، و « المختلف » .. الذى رسمه .. ليس مقطوع الصلة بانجازات المبدعين فى الماضى . يتجه اسلوبه الى « التوفيق » بين شتات من العناصر ، بين « التكعيبية التركيبية ـ المبسّطة » و « المفردات اللونية الكلاسيكية » .. المطعّمة بلمسات صريحة لاتخلو من الحذر .. لهذا يتسم عالمه بالاعتدال ، والوقار ، والتأمل الهادىء .. وحتى لاتسقط رسومه وتصميماته الأنيقة فى برودة الحياد « الكلاسيكى » .

كان يستنجد ـ أحيانا ـ بطوق التحريف الكاريكاتيرى .. خاصة فى الدراسات التى أجراها على لوحةْ "فيلاسكيز" المسماة ( فى المرسم ) . لقد كانت مستنسخة "فيرمير" ( المعدّلة ) مفتاحاً للمصالحة بين القديم والحديث ، فأدخل

اليها فى حذر الأصفر الصريح ، والأزرق الصريح ، وبعض التحليل التكعيبى .. لكن فى أضيق الحدود . وعندما انصرف الى لوحاته "المؤلفة" تعقبته الآثار الكلاسيكية : نلمحها فى المساحات الهندسية الأنيقة ، والمتقنة ، والخالية من مناوشة الفرشاة : نراها فى الرسوم الخطية المؤطرة لشكل ما .. وإن "حاول" الاجتراء فى تصميماته ، التى لم تخرج - فى جوهرها - عن أسس التصميم فى عصر النهضة .

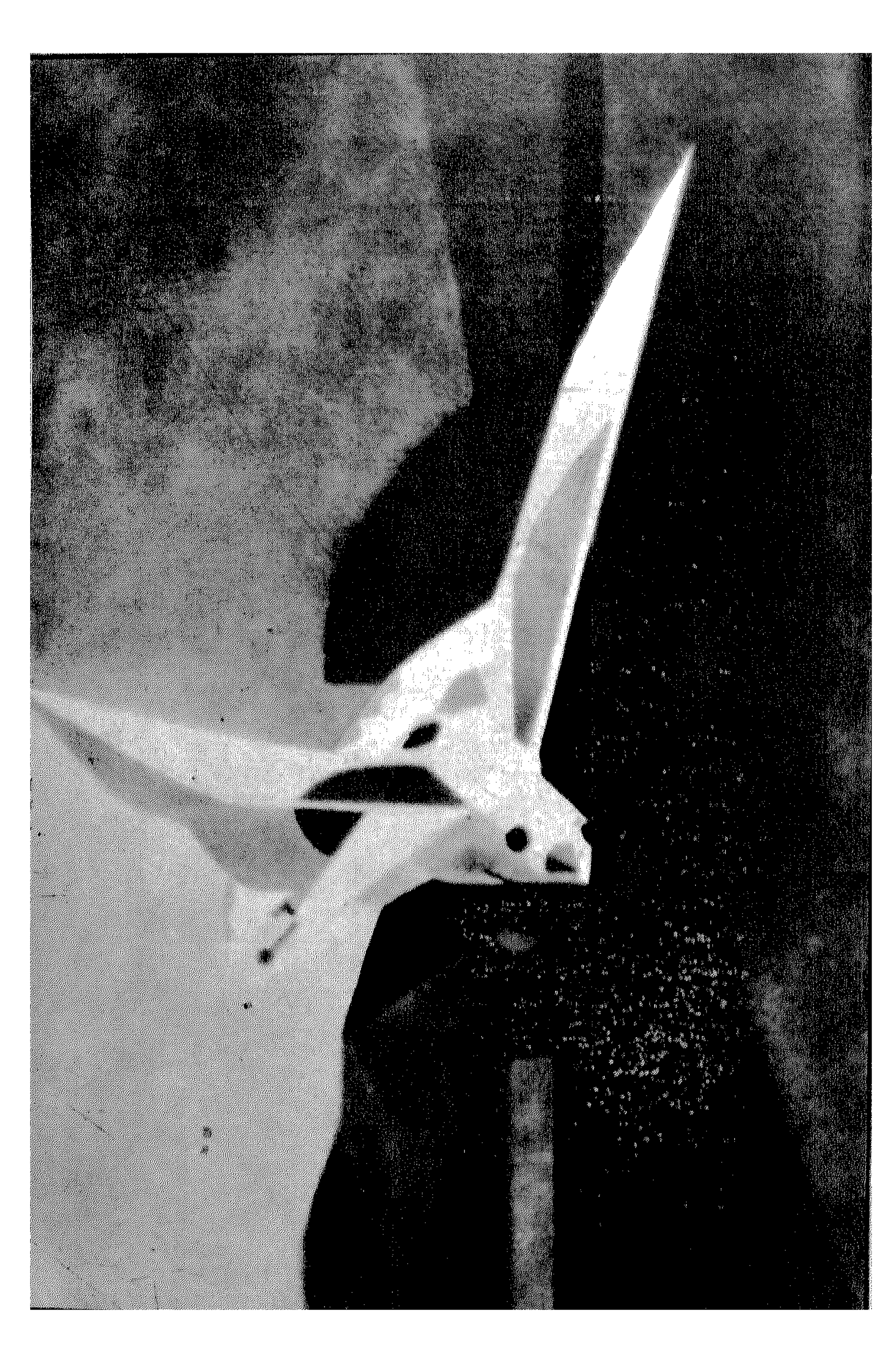
اختار "المنضدة" مفردة أساسية فى عالم المعرض ، ومن ثم كان عليه أن يركّب عليها وبها علاقات بنائية من موضوع "الطبيعة الصامتة" . واستفاد من ظاهرة الحاح كثير من الفنانين المعاصرين على موضوع أو فكرة محددة ، لا يهدءون قبل أن يكونوا قد استخلصوا منها أقصى إمكاناتها التعبيرية والجمالية .. لهذا يقوم "جيرهارد جترف" بدراسات متنوعة بالرصاص ، والحبر الصينى ، والألوان المائية على موضوع "المائدة" أو "حمامة السلام" قبل أن يستقر على تنفيذها بالألوان الزيتية .. وقد اجرى بعض الدراسات التحليلية والنقدية على لوحة "ڤيلا سكيز" - المشار اليها من قبل - وهنا ظهرت بعض الحرارة ، والطرافة فى تحريف شخوص اللوحة ، كما تأكدت براعته فى التلوين بالألوان المائية ، والتحليل التكعيبى ، وان افتقد تحليل اللوحة الى الطابع الانتقادى اللاذع ، والحرية أو ( الشقاوة ! ) التى ميزت تحليل "بيكاسو" لهذه اللوحة وغيرها من لوحات "فيلا سكيز" .

أما لوحاته فى المنظر الطبيعى فقد اتسمت بدرجة عالية من الاختزال ، ودقة التحليل ، واحترام مسطح الورق الأبيض .. الذى لم يعد مجرد مسطح صامت ، بل درجة ساطعة من الضوء .. تنتشر وتتخلل درجات اللون المتراكبة ، والمتجاورة . لمساته محكمة .. تنبذ ثرثرة "التعبيريين" .. لهذا تقف بعض لوحاته فى المنظر الطبيعى على مشارف التجريدية .

من لوحاته ذات الرمز متعدد الظلال .. لوحة بعنوان ( حمامة السلام ) . وهو يواجهنا منذ البداية بانقلاب الحمامة . المسالمة .. الى طائرة منقضة على هدف ما . محتلة بؤرة اللوحة ، ومتسيدة بجناحيها مجمل فراغاتها .. غير أنه لا يتركنا جامدين عند مفارقة ( الحمامة - قاذفة القنابل ) .. فما نكاد نقبل على تأملها حتى نكتشف اننا أمام طائرة ورقية . مزخرفة ... جميلة !... وربما اراد لنا الفنان الا ننسى أننا امام لوحة لا واقع ، وان اللوحة - من وجهة نظره - يجب ان تتحلى "بالوقار" الكلاسيكى ، وبعض "المناوشات" المعاصرة !



حمامة السلام للفنان النمساوى جيرهارد جترف



## ● مارتون باراباش .. والتمرد على اللوحة المؤطرة

● فنان مجرى . ولد عام ١٩٥٢ .
● تخرج فى أكاديمية الفنون بالمجر عام ١٩٧٧ .
● عُرف كفنان من خلال المعارض الجماعية التى نظمها "استوديو الفنانين الشباب" داخل وخارج المجر .
● اشترك فى البينالى السابع والتاسع للفنون الصغيرة [ التطبيقية ] فى بيس .
● ابتدأ حياته الفنية باقامة معرض بقاعة احدى دور العرض ببودابست عام ١٩٧٦ ( أى قبل تخرجه بعام )
● له اعمال معروضة فى الأماكن العامة ـ منها بعض المتاحف الاقليمية .

أقيم معرض الفنان المجرى "مارتون باراباش" بقاعة اخناتون رقم « ٣ » بمجمع الفنون . فكان على موعد مع الفنان النمساوى لتقديم جرعة فنية جديرة بالتأمل والمناقشة . ويشارك زميله فى البراعة فى الرسم ، والدقة فى التنفيذ ، ويختلف عنه فى الرؤية . ان الانطباع الأول الذى تلقيته هو تمرد الفنان على الشكل المألوف للّوحة : المستطيل او المربع ، واتخذ بدلاً منه اشكال الات موسيقية شعبية ، واخرى عالمية ، وبعضها مبتكر . اتخذها مساحة للرسم ، مع اضافة ، ولصق .. أصابع "بيانو" ، أو خيوط تُذكّر بالأوتار ، وكما يمكن ان تُعلّق تلك اللوحات على الحوائط ـ على النحو الذى شاهدناه ـ يمكن أيضاً أن تصير أغطية جميلة لتلك الآلات الموسيقية وغيرها من صور الفن التطبيقى .. لهذا اختار طريقاً وسطاً بين [ النافع ] و [ الجميل ] قاده الى موضوعات ، ومعالجات ، تنصرف نهائياً عن منطقة التحريض ـ أو بمعنى آخر دراما الواقع الاجتماعى ـ الى منطقة الطرافة ، والخيال ( المحكوم بالصنعة ) .

ضم معرضه منتخبات من الرسوم الخطية ، والرسوم الظلّية : أراد أن يستعرض بها قدراته في الرسم الأكاديمى ، اما بقية المعرض فمكرس للجمع بين المسطح المرسوم ، والمشغول بالمجسمات المضافة . واستطاع أن يوظف قدراته الفائقة فى الاستنساخ فى دراسة منحوتات اغريقية : آلهة ، وابطال ، وحيوانات ، وأعمدة ، وبقدر احتفاله بالتجسيم والتفاصيل ، يقتصد فى اللون : فهو يتحرك داخل مساحة اللون الواحد صعوداً وهبوطاً . فى لوحة من سلسلة لوحات بعنوان : [ محراب برجامون ] ـ على سبيل المثال ـ يغطس كل العناصر الرئيسية؛ الانسانية والحيوانية .. فى شرائح من درجات الأزرق والأسود ، بينما وضع ـ فى المستوى السفلى للوحة ـ ستة مصابيح منيرة بالألوان الساخنة ( الصفراء والبرتقالية والحمراء ) .. للتاكيد ـ عن طريق التفاوت الحاد بين درجات الساخن والبارد ـ على التفاوت بين درجات البعد والقرب . ولقد قامت المساحة الثابتة . المنضبطة . بين المصابيح .. بالايحاء بالزمن . بالحركة . بالايقاع . وتقوم المصابيح . المرسومة .

المتألقة بالألوان الساخنة .. فوق مساحة ناعمة من درجات تقترب من الأسود .. "بالحوار" مع الأصابع . المجسمة . المحرومة من تألق الساخن من الالوان .. غير أن تلك الأصابع السوداء والبيضاء تكتسب من درجات الأزرق مايمنحها بعداً او عمقاً فى الفراغ . وتشكل فى موضعها رأس مثلث وهمى ، متساوى الأضلاع ، مع قاعدة المصابيح ، ويؤطر هذا المثلث الوهمى عناصر المنحوتة المختارة . لقد ألغى فى لوحاته تلك ، بل قل فى كل اللوحات .. "المنظور الثابت" دون أن يتنازل عن الايحاء بالعمق فى الفراغ . وتتكرر المصابيح المنيرة ، والمنتظمة لتقوم بنفس الدور تقريباً - فى لوحات أخرى ، وان اختص مجموعة لوحات [ محراب برجامون ] بدور اضافى . نتكهنه دون أن نتيقن منه كل اليقين .. ذلك اننا نظن أنه أضاف - بمصابيحه - الى ايحاء الزمن "المتحرك" فوق مسطح اللوحة ، ايحاء مجازياً بالزمن التاريخى بين الموروث القديم والانجاز المعاصر . وكما تحرر من "المنظور الثابت" دون إن يضحى بـ "المدى" ، فقد تحرر ، أيضا من التبرير الواقعى لعلاقات الأشكال . فيقتطع من الأشكال - واقعياً - أجزاء دون أن يضحى - نفسياً - بإيحاء استمراريتها ، وحركتها ، وترابطها . ويقاوم المسطحات اللونية . الصريحة بمناوشات صغيرة . ملونة .. من لمسات تبدو للوهلة الأولى عشوائية ، وعند الاقتراب منها تجدها مرسومة بعناية !.. وتتكرر تلك المناوشات الصغيرة الأنيقة .. فى معظم لوحاته .. كما يتكرر - على درجة أكثر أهمية - استلهاما منحوتات ينتمى بعضها الى المدرسةُ البرجامونية ، المعروفة بحيويتها وحسيتها ، ومن ثم كانت مناسبة اذا صوحبت بأنغام آلاته الموسيقية المتنوعة !. واذا كان "باراباش" قد كرم أبطال "برجامون" فى عديد من لوحاته . فقد كرّم ، أيضاً ، الفنان "دى كريكو" الذى تُعد أعماله مقدمة للأسلوب السيريالى ، ولا تخلو لوحات "باراباش" من مغازلة للسيريالية دون أن ينحاز لمنهجها انحيازاً صريحاً ، وتبدو لوحاته التى ( يقترب ) بها من عالم السيريالية اقرب الى التشبيهات الدارجة .. كتشبيه "الزرافة" "بالعمود" طولاً ... وفى احدى أعماله التى كرّم فيها "دى كريكو" جعل "الزرافة الكبيرة" تتوج عمودا كبيرا . والغزالة الصغيرة تتوج عمودا صغيرا .. أو يستعير عجينة ساعة "سيلفادور دالى" يطرّى بها أحد أعمدته ، ويحيله الى كيان ثعبانى !

**إن هذين المعرضين - مهما كان الرأى فيهما كلنا بحق - مفاجأة سعيدة لعشاق الفن التشكيلى ، ويكفى أن**

الفنان المجرى مارتون باراباش






**نستخلص منهما شعارا ، لو صار مبدأ جوهريا في "حياتنا" لقفزت قفزات كبيرة إلى الأمام هذا الشعار هو الاتقان . الاتقان . الاتقان !!**

ملصق ارشمط مرحامور للفنان المجري ماروزون ميرابلتر

# ● صـــلاح عـسـكـــر وقناع الفن الشعبى



ام كلثوم للفنان صلاح عسكر

● ولد فى أسيوط عام ١٩٣٩
● تخرج فى كلية الفنون الجميلة عام ١٩٦٠ ( قسم التصوير )
● يعمل حاليا أستاذا مساعدا فى كلية الفنون الجميلة
● عمل مستشارا للبنك الدولى بواشنطن عام ١٩٧٩

بعد فترة إنقطاع ـ ليست قصيرة ـ عن المشاركة فى الحركة التشكيلية المصرية .. عاد الفنان « صلاح عسكر » ليثبت وجوده بإقامة معرض فردى ، يضم إنتاجه فى التصوير فى الفترة من ١٩٧٩ حتى ١٩٨٣ والمعرض فى مجمله يشكل عودة إلى عالمه ، ومفرداته الحميمة ، التى كان يطالعنا بها ـ على فترات متباعدة ـ فى بعض المعارض العامة ، وهى مفردات رمزية مستخرجة من الفن الشعبى .. كالعروسة ، والحصان « الحلاوة » ، والتمساح .. غير أنه يعيد بناءها ، ويشكل بها علاقات تستعير طرافة الفكاهة ، والحكاية الشعبية ، وربما ظننا للوهلة الأولى أنه ينوى الانتقاد ، بحشد تلك

الكائنات فى مفارقات عجيبة ؟ فها هو يعقد قرانا بين « شامبانزى » أو « سمكه » ـ لا أدرى ـ وعروس فاتنة ، أو يضع تمساحا موضع أبى زيد الهلالى ، فوق حصان من الحلاوة .. بينما تقف فى انتظاره « عروس » تجمع بين شكلها الحلاوة ، والانسان ، وتظهر الطيور والأسماك فى هيئة عازفين .. وهكذا ، غير أن نوايا الفنان تتكشف سريعا عندما نجد أنفسنا نبتسم .. كما نكتشف أن الفنان أراد لطرافة « الحكاية » الشعبية أن تسود عالم لوحاته ، وأن تلك الأشكال التى حسبناها رموزا ليست أكثر من تشبيهات دارجة .. فما أكثر الناس الذين يشبهون طيورا ، وحيوانات ، وأسماك ! .. وربما كانت الفترة الطويلة التى أمضاها رساما للأطفال قد أثرت على رؤيته ، فقد جعل من الكائنات الشريرة ـ فى الواقع ـ طريفة .. محبوبة .. فى اللوحات ! .. ظهر « التمساح » عازفا ، وعاشقا ، وفارسا ! ..

سألته : لماذا تريد لنا أن نحب هذا الكائن الشرير .. التمساح ؟ !

قال : ليس شريرا إطلاقا . إنه حارس أمين .. ولقد ارتبط فى طفولتى بتلك الصفة الطيبة .. فلم أغير موقفى منه حتى الآن !

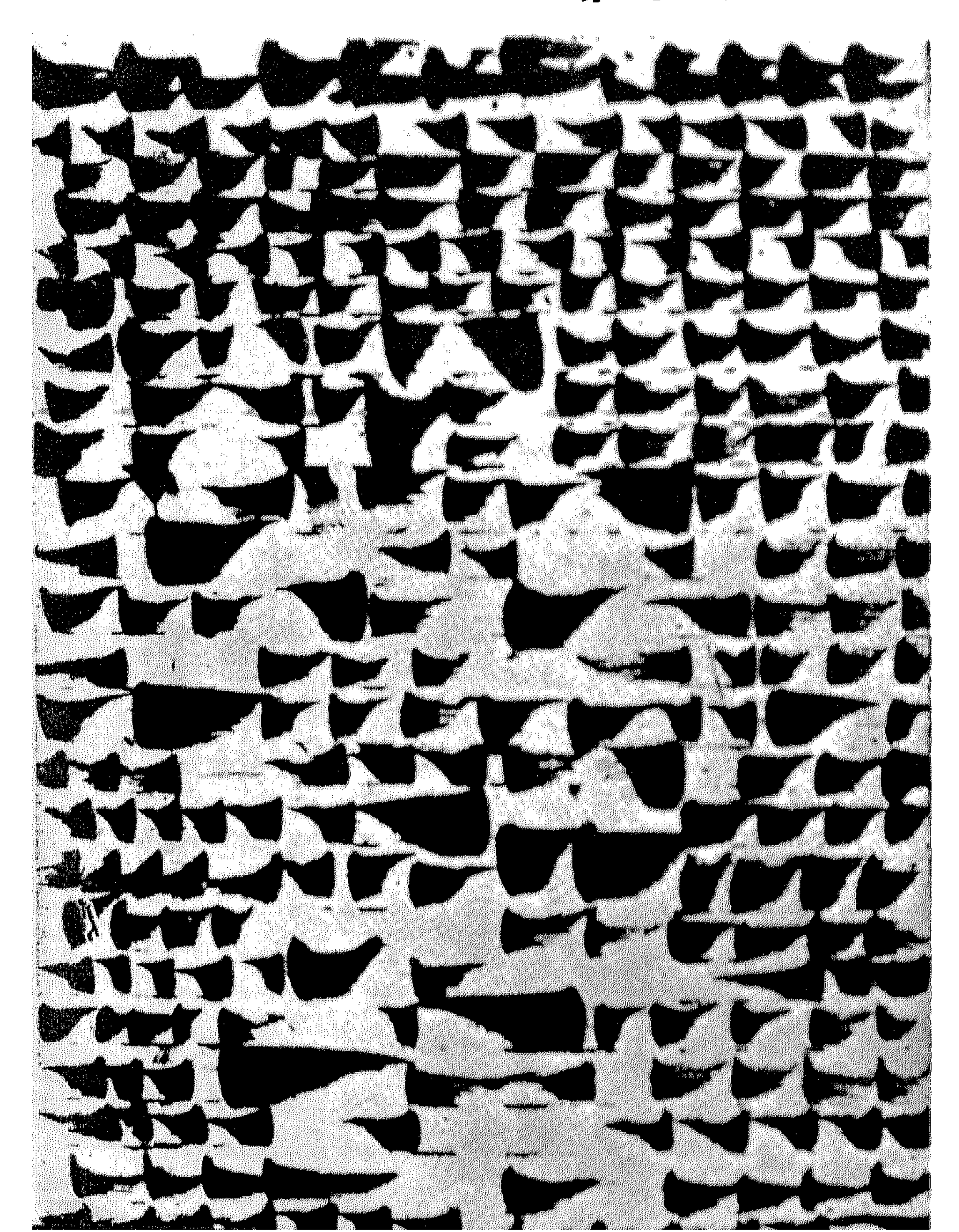
ضم المعرض لوحات من مراحل مختلفة .. كُرّست لارضاء المشاهد .. مرسومة ، وملونة بالألوان « الزيتية » و « الاكليريك » ، كما ضم المعرض رسوما تحضيرية بألوان « الفلوماستر » ـ اضطر اليها الفنان أثناء تنقلاته فى الخارج ـ وهى ـ أى الرسوم التحضيرية ـ لا تختلف ( جوهريا ) فى الأداء مع اللوحات الكبيرة .. المنفذة بخامتى « الزيت والاكليريك » ، فطابع ( اللهوجة ) هو الطابع العام ، وإن كشفت تلك السرعة عن مهارات تحسب للفنان ، فلمساته حية .. متمكنة .. وقدرته على الرسم مؤكدة ، خاصة فى الأطار الخارجى لشخوصة ، وكائناته الحيوانية ، وعلى الرغم من حيوية اللمسة ـ التى استعرضها الفنان بأقصى ما يستطيع ـ فإن ألوانه تتسم بالبساطة ، والتوازن الشديدين بين البارد ، والساخن ، فلا صدام حاد ـ كما هو متوقع ـ بل تعايش ، وانسجام ... فيخفض من درجات اللون البرتقالى ، ويهدىء من الدرجات الباردة ، ويشفف المستويات اللونية .. لتخفيف الكتلة ، والاكتفاء فقط بالايحاء بها .. وكان المتوقع أيضا ـ مع تلك اللمسات الحاذقة ـ أن نرى الجديد ، والجرىء فى « تصميمات » اللوحات .. غير أنه فضل « سكة السلامة » فلجأ فى معظم لوحاته الناجحة ـ تصميميا ـ إلى تصميمات تقليدية ، وإن ( استعار ) فى إحدى لوحاته ـ وعنوانها الوصفى هو ( زواج الرجل السمكة والفتاة الجميلة ) ـ حلا جميلا وإنسانيا ابتكره الفنان الفرعونى ، فلكى يجعلنا نغفل عيب القزم الخلقى وهو جالس القرفصاء إلى جوار زوجته الجميلة فقد وضع الفنان القديم

طفليه موضع ساقيه المفترضتين ، فظهر « طبيعيا » بهما .. كذلك فعل « عسكر » مع العريس السمكة أو القرد ـ القزم ! ..

فأصعد إلى ساقية حارس البيت .. التمساح .. ليكمله طو لا ، ويقلل من الفارق الشاسع بينه وبين معشوقته ! ..

## ● عبد الخالق حسين .. وإنقلاب يدعو إلى الدهشة

لوحة للفنان عبدالخالق حسين



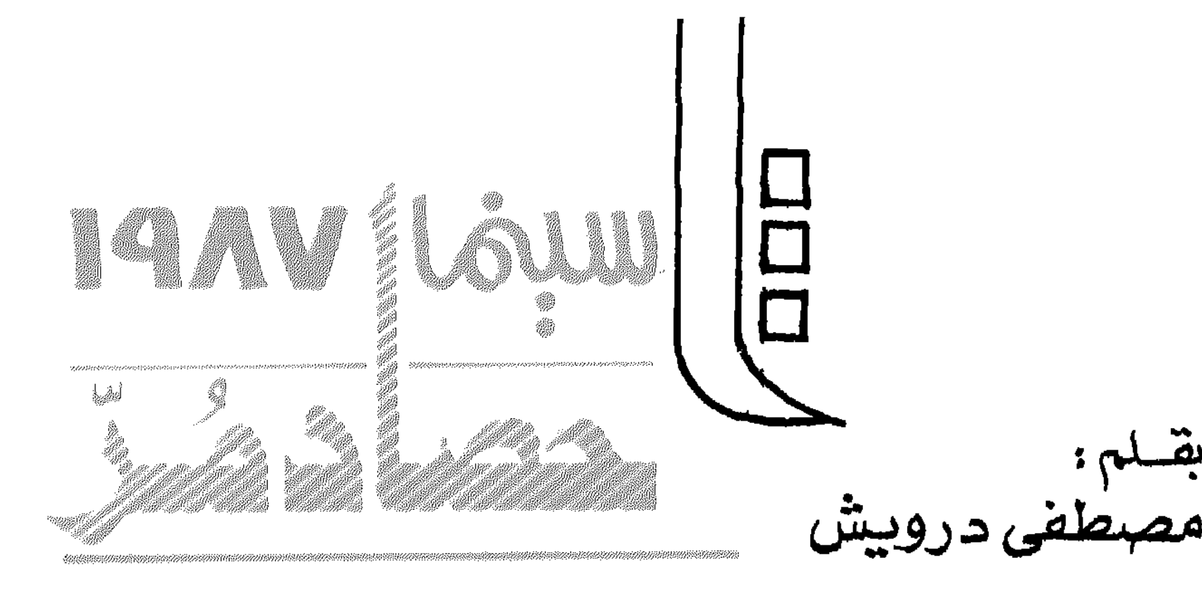
● عبد الخالق حسين
● تخرج فى كلية الفنون التطبيقية عام ١٩٧٣
● يعمل حاليا مدرسا مساعدا بكلية الفنون التطبيقية ( قسم التصوير الجدارى )

ينضم الفنان ( عبد الخالق حسين ) بمعرضه الأخير إلى منظومة الحروفيين العرب ، الذين ينقسمون بدورهم قسمين ، ويتوجهون «بالحرف العربى » وجهتين متصادمتين ، فأما القسم الأول فقد أخذ على عاتقه اكتشاف إمكانات التعبير ـ بل قل « التحريض » فى الحرف ، والكلمة العربية ، وأبرز ممثلى هذا التيار الفنان المصرى الراحل ، « حامد عبد الله » .. الذى تحدى الهيبة المتخفية للحرف العربى ، وجسد الكلمات أشكالا يتحد معناها ومبناها فى كيان عضوى واحد ، أما القسم الآخر فقد اتجه إلى التجميل .. والتزيين دون اعتبار لأى هدف آخر .. ويميل معرض « عبد الخالق حسين » إلى القسم الثانى دون أن يغفل ـ بصورة كاملة ـ القسم الأول .. فمنذ اللحظة الأولى يكشف الفنان « صراحة » عن أهداف المعرض ، فيواجهك بمجموعة من البلاط الخزفى مرسوم ، ومحفور عليه إيحاءات « مجردة » من الحروف العربية .. يحيطه من كل جانب حشد هائل من نماذج من رسوم بالحبر الصينى .. تجعل المتلقى لايرى فيها غير المتكررات ، وربما اضطرته قاعات اخناتون رقم ( ٢ ) المتسعة إلى ملء كل المسطحات بأية



عبدالخالق حسين

طريقة ! غير أن العرض يستقر فى القاعات الداخلية ، ويتبدى التنوع فى اللوحات ومنها ما هو مستقل تماما عن أى بعد تطبيقى ـ واحتلت الحروف والكلمات الواضحة ـ أحيانا ـ موقعها فى اللوحات ، واندغمت ، وتجردت فى لوحات أخرى ، وترتفع قدرات الفنان فى استخدام القلم ( البوص ) العريض فى حروف مستلهمة من الخط الكوفى على مساحات من الورق الأبيض يبقى شىء يدعو إلى الحيرة .. فقد ظل « عبد الخالق حسين » لسنوات مستغرقا فى « المنظر الطبيعى » ، مستلهما إياه من جوانب من البيئة المصرية ، وإذا به ينقلب تجريديا ، متعلقا بإيحاءات الحروف ، والتراكيب الزخرفية الاسلامية .. وعلى الرغم من أننى لست ضد اختياره الجديد فإننى اتساءل مع الآخرين : لماذا ، وكيف تم هذا الانقلاب ؟ !




بقلم :
مصطفى درويش

لم يبق من العام إلا بضعة أيام ، ونودعه الوداع الأول والأخير ..

ومن عجائبه وغرائبه ، وما أكثرها ، أنه ما ان بدأ حتى احتفلوا بانقضاء مائة عام على ميلاد قرية صغيرة اسمها هوليوود ..

وشيئا فشيئا إذا بهذه القرية المنسيّة تتحول إلى أكبر مصنع للأحلام ، وإذا بها مع كرّ الأيام تصبح أهم وأغنى واشهر قرية فى العالم ، بفضل متشرد خالد « شابلن » ومعبودة جماهير وزوجها « مارى بيكفورد وفيربانكس » ومعشوق نساء « ڤالنتينو » وغيرهم كثير ..

وما أن أوشك العام على الانتهاء حتى احتفلنا فى منتصف ربعه الرابع ( ١٦/١١ ) بميلاد السينما العربية على أرض مصر بفضل « ليلى » .. ذلك الفيلم الذى انتجته ومثلته الرائدة « عزيزة أمير » ..

ورغم هذه الأعياد والاحتفالات ، فحصاد الافلام سواء فى هوليوود أو فى مصر ، لايبعث على التفاؤل بحسن المصير .

● القاعدة و الاستثناء

وعلى كل : فاذا ما بدأنا بالسينما عندنا فى مصر ، ووقفنا وقفة قصيرة عند احسن افلامها عبر العام الذى هو على وشك الرحيل لوجدناها قليلة جدا ، ربما لا تزيد على أصابع اليدين ، وباستثناء افلام ثلاثة هى « قاهر الزمن » وهو فيلم من نوع الخيال العلمى ابدعه المخرج الكبير « كمال الشيخ » و « الهروب من الخانكة » وهو فيلم سياسى لصاحبه المخرج « محمد راضى » ظل معطلا زهاء ثلاثة اعوام بسبب القبض على نجمته الاولى « ماجدة الخطيب » و « التعويذة » وهو فيلم



● صاحب العمارة النوبى جلال الشرقاوى وضحيته المرأة

للمخرج « محمد شبل » يخلط عالم الجن والأشباح والأرواح بالسياسة على وجه يتسم بسذاجة منقطعة النظير ..

وكذلك باستثناء ما كان منها من النوع الكوميدى مثل فيلم « رأفت الميهى » الأخير « السادة الرجال » ..

## ● المناحة لماذا !

لا يبقى امامنا سوى نمط من أفلام المناحة يؤكد ان الميلودراما التى استفزت سعيد عبده منذ ستين عاما ، فجعلته يضغط إلى حد السخف فى حجم مسرحية لمحمود كامل اسمها « الوحش » على الوجه الآتى :

« ابطال هذه الرواية سبعة يموت احدهم بصورة طبيعية ، ويموت الثانى خنقا . والثالث يقضى عليه بالموت فى المستشفى ، والرابع يموت منتحرا ، والخامسة امرأة هى ام امين افندى وهذه تموت بمرض القلب ، وهناك رجل مريض بالزهرى ، والطبيب الذى يعالجه قد مات مختنقا ..

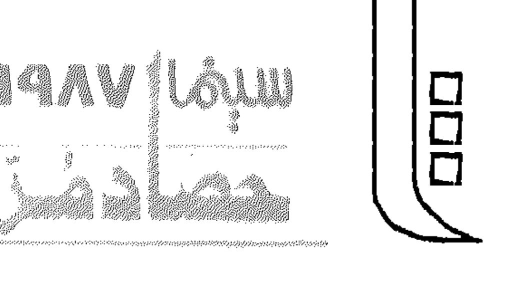
وعندنا فى الطب ان الزهرى المزمن مع عدم العلاج يساوى الموت المؤكد .. مضافا اليه التشويه والآلام » ..

هذا اللون من الميلودراما المعوجّة ، لايزال متحكما متسلطا على مصائر السينما عندنا ، لايزال من الثوابت التى تحصرها فى اقفاص ..

ونظرة طائرة على ما تبقى من احسن الأفلام ، وهى اربعة فقط لاغير ، صبت جميعها فى قالب ميلودرامى فاقع ، قائم على تراكم وتزاحم الفواجع ..

## ● خيبة الأمل

هذه النظرة تؤكد ان الميلودراما فى ابشع صورها لاتزال متسلطة على المخرجين الشبان المعلقة عليهم الآمال ، وذلك لان الأفلام الأربعة وهى « ابناء وقتلة » و « البدروم » و « ضربة معلم » و




« زوجة رجل مهم » ( الاخير عرض على النقاد فى مدينتى باريس وكان ، فضلا عن الاشتراك به فى مهرجانات « موسكو » ، و « ڤالينسيا » و « دمشق » ) ، ثلاثة منها صاحبها المخرج « عاطف الطيب » ..

أما رابعهم فصاحبه المخرج « محمد خان »

واول ما يلفت النظر هو ان « عاطف الطيب » ـ وهو مخرج واعد ـ يخرج ثلاثة افلام خلال موسم واحد ..

ومن هنا تدهور مستواها الفنى .

فلو عقدت مقارنة بينها وبين البرىء » السابق ـ مباشرة ـ عليها ، لجاءت النتيجة فى غير صالح افلامه الثلاثة ، ولظهرت أعمالا سينمائية مجدبة ، لا قيمة كبيرة لها ..

وثانى ما يلفت النظر هو ان « محمد خان » ، وهو من اكثر مخرجي السينما فى مصر معرفة بلغة الفن السابع ، والماما بما يقوم من اصول وقواعد ، قد خيب هو الآخر الظن بفيلمه الأخير ..

وهذه الانتكاسة بالنسبة للمخرجين الشابين لها اسباب ، لعل اهمها ، فيما اعتقد ، هو استسلامهما فى الأفلام الأربعة الى ميلودراما عتيقة ، انتهت بها جميعا الى ختام سخيف ، لا لون له ، مما زاد الأمور افتعالا ..

فضلا عن انهما لم يضعا فيها لا عصارة القلب ، ولا الفكر ..

واول هذه الأفلام « ابناء وقتلة » حدوتة طويلة معقدة ، تكاد تتحول به الى جزاين او بمعنى اصح الى فيلمين لا يمت احدهما للآخر إلا بصلة واهية ..

● فن ام معجنة

وأحداث الجزء الأول تتصاعد حتى تصل الى مقتل « دلال » ( نبيلة عبيد ) بيد مجرم محترف استأجره مطلقها « شيخون » ( محمود عبد العزيز ) للاجهاز عليها ثأرا لشرفه السليب ، وسعيا لضم ولديه التوأمين منها ، فضلا عن الاستيلاء على اموالها ، بحكم ولايته على الولدين وما قد يرثانه من تركتها ، وهو كثير ..

ولا تكاد تختفى « دلال » بمقتلها على قارعة الطريق ، حتى تتكاثر الأحداث وتتداخل على نحو مغرق فى تفاصيله ، غير مقنع فى مبالغته ، مما افقد الفيلم كل منطق وتماسك

فالأب القاتل يغدو تاجر سلاح واسع الثراء ..

والولدان كما « هابيل » و « قابيل » يتركز فى احدهما الشر ( احمد سلامة ) ويتركز فى الآخر الخير ( شريف منير ) ، فاذا بنا نراه معيدا ملتحيا فى الجامعة ، يخفق قلبه بحب طالبة محجبة ( ناهد رشدى ) ..

ولكن القدر كان له بالمرصاد ، فسرعان ما يتكشف لنا ان هذه الطالبة الشريفة الطاهرة ، انما هى ابنة ضابط الشرطة الفاسد ( مجدى وهبه ) الذى عمل على الزج بابيه « شيخون » فى غيابات السجون ابتغاء الانفراد بامه دلال مما كان سببا فى مقتلها ..

وكان يمكن ان ينتهى الفيلم عند هذا ، ويكون محشوا بكل توابل الاثارة

يق بما يكفيه هو ومعظم افلام غير ان كاتب السيناريو اراد لنا ان ن العرض وقد اصابنا دوار من مرّ امامنا من اهوال ، فكان ان هيأ هدا يجتمع فيه كل الابطال ..
هو ذا الاب فى هذا المشهد يطلق ص من غدّارته على غريمه ضابط ة ، فاذا بها تخطىء الهدف ، ر فى صدر ابنه المعيد الفالح ، يأخذ فى الاحتضار امام الجمع ل ، ثم لا يلبث ان يموت ..

## ● الشرف الغالى

فى الأفلام « البدروم » عن قصة يو وحوار « عبد الحى اديب » تدور « حول اسرة فقيرة نزحت من د الى القاهرة حيث عمل عائلها بوابا ى العمارات السكنية ..

والفيلم يبدأ به ـ وقبل العناوين ـ جثة هامدة فى بئر المصعد اثر سقوطه من شاهق .

وتتولى زوجته « أم الخير » ( سناء جميل ) العمل كبوابة بدلا منه ، فضلاً عن تربية اولادها الثلاثة « رقية » ( سهير رمزى ) ، « عائشة » ( ليلى علوى ) ، « يوسف » ( ممدوح عبد العليم ) المصاب بشلل الأطفال ..

والصراع فى « البدروم » يدور بين هذه الاسرة الصغيرة الفقيرة رمزا « للناس اللى تحت » وبين صاحب العمارة الرجل الثرى « الدندراوى » ( جلال الشرقاوى ) واسرته رمزا « للناس اللى فوق » ..

وكعادة فى الميلودراما يتركز الخير صافيا فى أسرة البواب التى تكافح من اجل البقاء ، ويتركز الشر صارخا فى اسرة صاحب العمارة الذى يسلب



التعويذة .. سحر وشعوذة وسذاجة




« رقية » اعز ما تملك بنات حواء ..
ولن أعرض شيئا من تفاصيل الفيلم ، وانما اكتفى هنا بالقول بانه ينتهى فى لقطات الختام باحداث تجعله متجانسا مع نسيج الميلودراما السائدة ، ذلك النسيج المجدب الذى لا ينفع الناس ..
فها هى « رقية » طريحة الفراش فى احدى العيادات ، مجهضة مما حملت فى الحرام ..
وفى خط متواز مع هذا الحدث ، هاهى امها على سلم دار القضاء العالى تطعن « الدندراوى » طعنات قاتلة فى لحظات ثأر وانتقام ..

● الشرطة والإيمان

اما ثالث افلامه - وهو احسنها - فمأخوذ عن سيناريو لبشير الديك ..
وعلى طريقة « سعيد عبده » نستطيع ان نضغط فى حجمه الى حد القول بان الابن يقتل عشيق امه ، الاب يدخل زوجته الخائنة مستشفى للأمراض العقلية حتى يسقط شهادتها ضد ابنها ، ويحيل الضباط الكبار الى التقاعد ، يشترى رجال العدالة ( الشىء الوحيد الجديد فى الفيلم هو القول بان فى مصر قضاة مرتشين ! )
ولا يواجه هذا الطوفان سوى ضابط صغير شجاع ، تقف وراءه تشد ازره مخطوبة تحجبت اثناء جريان الفيلم ( بالمناسبة ) ..
واغلب الظن اننا لو امعنا النظر فى « ضربة معلم » لوجدناه منطويا على عاملين ضفر احدهما فى الآخر ، احـ[illegible] صغار الشرطة فى خدمة الشعب ، والـ[illegible] المجاهدون فى خدمة العدالة ..

● الحسنات والسيئات

فاذا ما انتقلنا الى « زوجة رجل مـ[illegible] - وهو افضل الأفلام الأربعة لو[illegible] انفسنا امام فيلم مهدى من كاتب القـ[illegible] والسيناريو « رءوف توفيق » الى صـ[illegible] وزمن عبد الحليم حافظ ، رامزا بذلك[illegible] عصر عبد الناصر ..
وحكاية الفيلم بسيطة كل البسا[illegible] تقول فيما تقول ان فتاة مفرطة الرومانسية « منى » ( ميرفت امه[illegible] تعيش فى زمن ما بعد العبور مع اسر[illegible] المتوسطة فى « المنيا » حيث تدرس[illegible] وتعشق اغانى العندليب الاسمر ، يقع[illegible] غرامها ضابط مباحث شاب « الم[illegible] هشام » « احمد زكى » ..
فيتقدم لخطبتها ، ويعقد قرانه عليه[illegible] ثم يصطحبها الى القاهرة حيث تكتشف[illegible] انه رجل انتهازى ، متسلق ، لا يتورع[illegible] تلفيق التهم للابرياء إرضاء للرؤساء[illegible]
ويدب بينها وبينه خلاف ، سرعان[illegible] يتفاقم ، فيتحول بعش الزوجية[illegible] جحيم ، عندما تعلم انه فصل من الخد[illegible] عقابا له على اتهام الأبرياء بالباطل[illegible]
ومهما يكن من امر مصداقية وقوع[illegible] هذا الفصل للسبب الذى يقول به الفيلم[illegible] ودون الغوص فى تفاصيل المنغصا[illegible] اليومية التى عكرت صفو حياة « مـ[illegible] حتى جعلتها عذابا متصلا كحبها للسد العالى ..
فالاكيد ان المشهد الأخير من الفيلم جاء مفاجئا بلا تمهيد لا من الواقـ[illegible] من رسم شخصية المقدم « هشام »



...ي حي » اهم افلام ١٩٨٧

البداية شخص عادي يؤدي
الوظيفية كضابط مباحث على خير
فهو مثلا ليس مرتشيا ..
يؤدي واجباته الزوجية على نحو
انحراف عن السلوكيات السائدة
أزواج الشرائح المتوسطة من

هي « منى » في هذا المشهد الشاذ
ذوذ تستنجد بوالدها الذي يجيء
ن الصعيد كي ينقذها من براثن

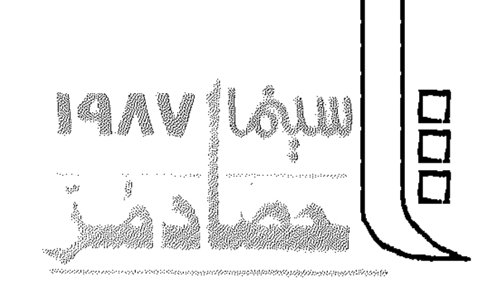
مقدمات يطلق المقدم « هشام »
على حماه كما في الغرب
فيرديه قتيلا ، ثم يصوب فوهة
الى نفسه في مقتل ثم يشد
فيسقط جثة هامدة في بحر من

وهكذا ينتهي فيلم « محمد خان » على وجه يؤكد ان الميلودراما لاتزال الفن الراسخ عندنا رسوخ الجبال ..

وهكذا تطغى سيئات الميلودراما على حسنات الأفلام فتمحوها ..

● قانون الغابة

والآن إذا قفلنا معا راجعين من ازمة السينما في مصر الى ازمتها في هوليوود ، وجدنا ان السينما فيها ـ بعد رحلة طويلة مراحلها اكثر من ان تحصى ، وأعقد من ان تبسط ـ قد شاخت ومواضع العلة فيها انما تكمن اولا في ارتفاع نفقات الانتاج حتى وصلت إلى حوالي خمسة عشر مليون دولار بالنسبة للفيلم العادي ، وثانيا في العجز عن التجديد فنيا في حقل السرد الفيلمي منذ مجيء الصوت في السادس من اكتوبر لعام ١٩٢٧ كما قال بحق




« ستانلى كوبريك » المخرج الأمريكى الذى يعيش فى بريطانيا منذ عشرين عاما الا قليلا ، يخرج افلامه فيها بعيدا عن هوليوود حيث « يسأل الناس عن حالك مع فيلمك وانت تعرف انهم يأملون ان يسمعوا منك ، انك قد تجاوزت الميعاد المحدد للانتهاء من اخراج الفيلم او ان ثمة متاعب بينك وبين النجم » ..

وفى الحق فليس محض صدفة ان الفيلم الأمريكى الوحيد الذى له قيمة فنية تستحق الذكر وهو « رصاصات حية » لصاحبه « كوبريك » ـ هذا الفيلم جرى انتاجه فى المهجر على ارض غير امريكية ..

وأن الفيلم الذى راهنت عليه هوليوود ، وهى تحتفل بعيدها المئوى واعياد اخرى

ترمز ، ولاشك الى استمرار الانتص هذا الفيلم قد راعت ـ وهى تنتجه ان يك عن عالم الاجرام الكبير ، وان يكون كم فى كل شىء مثل « الاب الروحى » .. موضوعه بحيث يكون من إبداع كا سيناريو وحوار يشار إليه بالبنان .

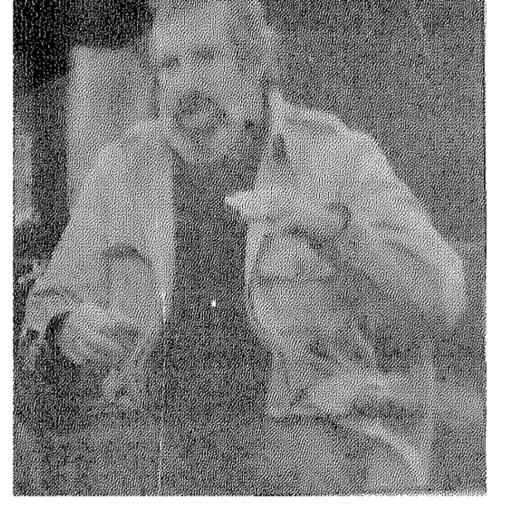
وفى نجومه المختارين لاداء اد الأخيار والأشرار ما صغر منها وما كبر

وفى مخرجه الذى عليه بث الروح كل هذا ، حتى يبعثه اطيافا ع الشاشة ، وكأنها حية تسعى ..

وفى فنانيةُ الآخرين سواء اكا مصممى ازياء او مصففى شعور مهندسى ديكور او مختارى اما التصوير الخارجى او مؤلفين او واضـ الموسيقى التصويرية ـ الى أخر ذلك المهن الأخرى اللازمة لصناعة الفيلم

واخيرا فيما صرف على انتاجه من م وصل ، وياللسفه ، الى خمسة وعشر مليون دولار ، اى خمسة وستين ملي جنيه مصرى ، لا اقل ، ولا اكثر ..

الاشرار ضد الا



بريان دى بالما .. مخرج دموى

هو هذا الفيلم المسخ المهول :
« الاطهار » للمخرج الدموى
دى بالما » الذى بدأ حياته
انية مقلدا « الفريد هيتشكوك »
اخر افلامه « الوجه المشوه » اعادة
بيها لفيلم بنفس الاسم انتجته
فى بداية الثلاثينيات ..
شخصيات « الاطهار » على عكس
الروحى » ليست من صنع الخيال
وانما كما يقال مستوحاة من وقائع
بالفعل ابان عقد الثلاثينيات فى
شيكاغو ، وقت ان كانت تعتبر بحق
الاجرام ..
اريو الفيلم كما كتبه « داقيد ما
» اصطنع دراما من حرب شنها
الأيام « اليوت نسى » ( كيفين
) مندوب الحكومة الاتحادية فى
.. ومعه مغاوير ثلاثة اختارهم من
شيكاغو » ، لما ساد امورها من
بامع واستبداد شامل ..
ء المغاوير الأطهار عبارة عن
امريكى منحدر من اصل ايطالى
ضعيف البصر ( شارلز مارتين
وشرطى متقاعد « جيمى
( شين كونرى المشهور بجيمس
ملى ) .
الاشرار المعلنة ضدهم تلك
لضروس ، فهم عبارة عن عصابة
ى المال بالتهديد والوعيد تحت
آل كابونى » ( روبرت دى نيرو )
ع شرطة وساسة المدينة البدينة
سترته ، ثم اخذ يدير شئونها كما
ستندا الى « فرانك نيتى » ( بيلى
المجنون بحب البندقية ..
دا جسارته من تعطش هذا الفتى
الشاذ إلى اطلاق الاعيرة النارية ، فلا يصيب بها الا فى مقتل ..

وطبعا كما فى افلام الغرب الامريكى التى ابدعها المخرج الراحل « جون فورد » فى سالف الزمان ، ينتهى « الأطهار » بانتصار الأخيار على الأشرار ..

ذلك هو الفيلم الذى انتجته هوليوود احتفالا بعيدها ، محققة به إيرادات تجاوزت فى الولايات المتحدة وحدها رقم التسعة وثمانين مليون دولار خلال الثلاثة اسابيع الأولى لعرضه على الناس ..

وواضح ان موضوعه لا يعدو ان يكون تكرارا لافلام انتجتها هوليوود بالمئات عن المجرمين وعالمهم .. عبر ثمانين عاما او مايزيد من عمر الزمن ..

بل ان مشهد عربة الطفل مع امه على سلالم محطة السكك الحديدية بشيكاغو وسط وابل الرصاص المنطلق من غدارات الاشرار والأطهار ، وهو المشهد الوحيد فى الفيلم الذى يبدو حسب الظاهر انه جديد ، ان هو الا محاكاة مفتعلة لمشهد سلالم أوديسا فى « المدرعة بوتيميكين » رائعة المخرج السوفييتى سيرجى ايزنشتين ( ١٩٢٥ ) ..

وهذا افلاس فى الابداع ما بعده افلاس ..

# عصرية "بلتزار" العجيبة

بقلم: جبرييل جارثيا ماركيز

ترجمة: محمود على مراد

فرغ « بلتزار » من صنع القفص فعلقه فى السقف الامامى بحكم العادة • وحين انتهى من تناول غدائه كان الناس حوله من كل صوب يقولون ان هذا القفص اجمل قفص فى العالم • وجاء الناس زرافات ووحدانا ، لمشاهدته فتكون منهم جمهور غفير أمام البيت •• فما كان من «بلتزار» الا أن نزع القفص من مكانه وأغلق محل نجارته •

وقالت له امرأته « أورسولا » :

ـ ذقنك بحاجة للحلاقة وقد أصبح شكلك كشكل القرود •

فرد عليها :

ـ الحلاقةبعد الغداء لا تجوز •

كان قد مضى عليه اسبوعان دون أن يحلق ذقنه • وكان شعر رأسه قصيرا وخشنا وهائشا كصوف البغلة• وكان شكله العام اشبه بشكل الطفل المذعور ، وان كانت حقيقته تختلف عن ذلك • لقد بلغ الثلاثين فى شهر فبراير وكانت « أورسولا » تعيش معه منذ أربعة أعوام تقريبا دون أن يربطهما زواج ودون أن ينجبا أولادا • وكانت أسباب الحرص لديه كثيرة ولكن لم يكن لديه سبب واحد يدعوه للخوف • ثم انه لم يكن يدرى أن بعض الناس يعتبرون القفص الذى انتهى لتوه من صنعه اجمل قفص فى العالم• والفرق الوحيد بين هذا القفص وغيره ، بالنسبة لشخص مثله تعود أن يصنع الاقفاص منذ طفولته ، كان لا يعدو أن هذا القفص كلفه من الجهد أكثر بقليل مما كلفته سائر الاقفاص التى صنعها •

قالت المرأة :

ـ استرح قليلا اذن• لا يليق برجل بمثل الذقن أن يظهر في مكان •

وبينما كان يسلـ اضطر عدة مرات ترك فراشه المعـ ( الهمك ) ليرى الـ للجيران •• ولم «أورسولا» تعير الـ حتى ذلك الوقت التفات • كانت مـا المزاج لان زوجها صنعته كنجار و تماما لصنع القفـ ولانه ، طوال الأسبو لم يأخذ كفا النوم ، وكان يـ ويروح كالمجا ويقول كلاما ليـ معنى ، وينسى أن ذقنه • ولكن امته انقشع امام منتخلوا بعد ان تم صـ وحين افاق « بلتـ من قيلولته كانت ، كوت له بنطلونا و ووضعتهما على قريب من فراشه ووضعت القفص

الطعام وجعلت
له في صمت ..
ت « بلتزار » يهذا
ل :
بكم ستبيعه ؟
ساب الرجل :
لا ادرى . ساطلب
ستين « بيزو (١) »
ن احصل على

قالت « اورسولا » :
ـ بل اطلب خمسين.
لقد سهرت عليه ليالى
كثيرة خلال الاسبوعين
الماضيين . كذلك فهو
قفص كبير لا اذكر انى
رايت اكبر منه في
حياتي .
وبدا « بلتزار سيحلق
ذقنه . وسال :

ـ اتظنين انهم
سيدفعون لى خمسين
« بيزو » ؟
قالت « اورسولا » :
ـ هذا مبلغ تافه
بالنسبة لرجل مثل
« شيبي مونتييل »
والقفص يساوى هذا
المبلغ . اطلب ستين .
كان البيت غارقا في



## عصفورة "بلتزار" العجيبة

ظل يزهق الانفاس • وكان هذا هو الاسبوع الاول من شهر ابريل • وحين انتهى « بلتزار » من ارتداء ملابسه فتح « الحوش » للتهوية البيت فاندفعت ثلة من الاطفال الى غرفة المائدة •

كان الخبر قد ذاع • وكان الدكتور « اوكتافيو جيرالدو » ، وهو طبيب عجوز راض عن الحياة رغم ان التعب قد نال منه في ممارسة مهنته، يفكر في قفص «بلتزار» وهو يتناول غداءه مع زوجته المقعدة • وكانت في الشرفة الداخلية التي كانوا يضعون فيها المائدة ايام الحر ، اصص زهور كثيرة وقفصان فيهما بعض طيور « الكناريا » •

كانت زوجته تحب الطيور لدرجة جعلتها تكره القطط لان القطط تفترسها • وذهب الدكتور « جيرالدو » ، وهو يفكر في زوجته ، ليعود احد المرضى ، وعرج في طريق عودته على بيت « بلتزار » ليشاهد القفص •

كانت غرفة المائدة غاصة بالناس • وكان القفص ، الذي يشبه قبة ضخمة من السلك ، معروضا على المائدة • وكان يتكون من ثلاثة طوابق داخلية دكان فيه ممرات وغرفة خاصة لنوم الطيور واخرى لاكلها ، كما كان في فضائه المخصص لنزهة الطيور مرجيحة تقف عليها • وكان يبدو كنموذج مصغر لمصنع ثلج ضخم • وتامل الطبيب القفص بعناية دون أن يلمسه وخيل اليه انه بالفعل اعظم من شهرته واروع بكثير من ذلك الذى تمنى في اى وقت من الاوقات ان يهديه لزوجته •

وبحث الطبيب عن « بلتزار » وسط الزحمة وقال له حين وجده :

ـ هذا القفص مغامرة من مغامرات الخيال •

ثم اضاف وهو يرمقه بنظراته التى تشع حنانا كحنان الامهات :

ـ خسارتك • كان من الممكن ان تكون مهندسا معماريا فذا •

واحمر وجه « بلتزا[ر] » خجلا وهو يقول :

ـ شكرا •

قال الطبيب :

ـ هذه هى الحقيقة

كان الطبيب بدينا وكانت بدانته لطيفة نا[عمة] كبدانة امراة حسنا[ء] تقدم بها العمر • وكا[نت] يداه رقيقتين • و[كان] صوته اشبه بصو[ت] قسيس يتحدث باللاتينية

وقال الطبيب وهو ي[ضع] القفص امام الناس [كما يفعل] بائع يعرض بضاعته :

ـ قفص كهذا [ليس] محتاجا الى طيور • [يكفي] ان يضعه المرء بين الاشـ[ـجار] لكى يغرد وحده كما [تغرد] الطيور •

ثم اعاد القفص مكانه على المائدة • و[بعد] لحظة وهو يتفحصه قال :

ـ لقد اتخذت قرار[ا] ساخذه •

قالت « اورسولا » :

ـ ولكننا بعناه •

وقال « بلتزار » :

ـ والمشترى هو « دون شيبى مونتيل

ثم اضاف :

ـ وكان قد كل[فنى به] خصيصا بصنعه •

وبدا الاحترام عـ[ـلى] هيئة الطبيب وقال :

---

(★) دون بالاسبانية لقب يعنى « السيد » ، وهو يطلق على يعتبرون من علية القوم •

- هـل اعطـاك المواصفات ؟
واجاب « بلتزار » :
- لا • بل قال انـه يريد قفصا كبيرا مثل هذا لزوج من طيور «السراب»
ونظـر الطبيب الى القفص وقال :
- ولكن هـذا القفص لا ينفع لطير السراب •
فقال بلتزار :
- بـلى يا سـيدى الدكتور •
واقترب « بلتزار » من المائدة والصبية من حوله وقال :
- مقاسـات القفص محسوبة بدقة •
وجعل يشير بسبابتـه الى أجزاء القفص المختلفة ثم نقر قبته بظهر أصابعه فامتـلأ القفص بـرنين عميق •
واضاف « بلتزار » :
- ليس هنـاك سـلك مقاومته أقوى مـن هـذا السلك • وقد لحمت كـل وصلة من الوصلات مـن الداخل ومن الخارج •
وتدخل أحد الاطفـال فجاة في الحديث :
- انه يصـلح حتى لببغاء •
وقال « بلتزار» مؤمنا :
- فعلا •
وهـز الطبيب رأسـه وقال :
- ان « دون شـيبى مونتييل » لم يعطك بيـانا بالمواصفات ولم يكلفـك بشيء محدد وكل ما طلبه انيكون قفصاكبيرا لزوج من طـير « السراب » • أليس كذلك ؟
قال « بلتزار » :
- هو كذلك •
قال الطبيب :
- بسـيطة : القفص الكبير الذى يصلح لطـير « السراب » شيء وهـذا القفص شيء آخر • ليس هناك ما يثبت أن هـذا القفص هو ذلك الـذى كلفت بصنعه •
وقال « بلتـزار » فى انفة :
- بل هو نفسـه وما صنعته الا لهذا الغرض •
وصدرت مـن الطبيب حركة ضـيق وقالـت « أورسولا » وهى تنظـر الى زوجها :
- باستطاعتك ان تصنع غيره •
ثم قالت للطبيب :
- أنت لست في عجلة •
قال الطبيب :
- لقد وعدت زوجـتى باحضاره لها عصراليوم •
قال « بلتزار » :
- آسف جدا ، سـيدى الدكتور ، ولكن ليس فى الامكان ان يباع شيءسبق بيعه •
وهز الطبيـب كتفيـه وجعل يجفف العرق مـن عنقه بمنديله ويتطلع الى القفص فى صمتدون ان يحيد نظره عـن نقطـة بعينها غير محددة كما لو كانينظر الىقارب يبتعد •
- كم سيعطونك ثمنـا له ؟
ونظـر « بلتزار » الى «أورسولا » دونانيجيب فقالت :

- ستين « بيزو » •
ولم يحولالطبيب نظره عـن القفص وقال وهـو يتنهـد :
- قفـص ايـة فى الجمال • لا يمكن انيكون هناك قفص اجمل منه •
ثم اتجه الى البـاب واخذ يهوى لنفسه بشدة وهـو يبتسم ، وانمحت ذكرى هذه الواقعة مـن ذاكرته الى الابد ، وقال:
- «مونتييل» رجلواسع الثراء » •

وواقعالامر ان «خوزيه مونتييل» لم يكن بالثراء الذى كانت تبدو عليـه مظاهره ، ولكنه كان على استعداد لعمـل اى شيء ليغتنى • وعلى مسـافة قريبة من بيت بلتزار كان « مونتييل » يقيم فى بيت مليء بكل ما يباع • بيت لا يشم فيه أحد رائحـة لشيء ليس فى الامـكان بيعه•وقد سمع(مونتييل) بنبـا القفص ولكنـه لم يكترث له• وكان وسواس المـوت يقض مضـجع زوجته ويجعلها توصـد

# عصرية "بلتزار" العجيبة

الابواب والنوافذ بعد الغداء وتستلقى ساعتين، مغمضة العينين فى ظلام الغرفةو «خوزيهمونتييل» مستغرق فى نومة القيلولة • وفوجئت الزوجة وهي فى هذه الحالة بصخب اصوات كثيرة ففتحت باب الصالة واذا بجمع من الناس امام البيت يتوسطهم « بلتزار » وهو يحمل القفص وقد ارتدى بدلة بيضاء وحلق ذقنه وبدت عليه تلك البراءة المهذبة التي تبدو على وجوه الفقراء حين يصلون الى بيت من بيوت الاغنياء •

واشرق وجه زوجة « خوزيه مونتييل » وهي تقود « بلتزار » الى داخل البيت وصاحت :

ـ ما أروع هذاالقفص •• عيني لم تقع على مثله فى حياتي •

وضاقت زوجة « مونتييل »بزحمة الناس المتجمهرين امام البيت فاضافت :

ـ هاته الى الداخل لئلا تتحول الصالة الى حلبة لصراع الديوك •

لم يكن « بلتزار » غريبا فى بيت « خوزيه مونتييل « فكثيرا ما كان يستدعىاليه ليقوم باعمال نجارة بسيطة لما عرف عنه من كفاءة واتقان لعمله • ولكنه لم يكن يشعر بالارتياح قط بين الاغنياء • كان يفكر فيهم وفي زوجاتهم القبيحات المتأكفات وفي عملياتهم الجراحيةالمخيفة ويخالجه حيالهم دائما شعور بالرثاء• وكان حين يدخل بيوتهم يجد صعوبة فى التحرك دون أن يجر قدميه • وسأل :

ـ هل « بيبو » هنا ؟

وكان قد وضع القفص على مائدة غرفة الطعام• وقالت زوجة « خوزيه مونتييل » :

ـ هو فيالمدرسة ولكنه سيحضر بعد قليل •

ثم اضافت :

ـ « مونتييل » فى الحمام •

والواقع ان « خوزيه مونتييل » لضيق الوقت لم يستحم ، بل اكتفى بدعك نفسه بسرعة بالكحول المعطر برائحة الكافور وخرج ليرى ما الخبر • وكان « خوزيه مونتييل » رجلا حذرا وكان ينام دون مروحة كهربائية ليتمكن خلال نومه من مراقبة اصوات البيت • وصاحت زوجته:

ـ تعال شف هذا القفص البديع •

واطل « خوزيه مونتييل» بجثته الضخمة من نافذة غرفة النوم وقد الصقفوطة الحمام بعنقه وسأل :

ـ ما هذا ؟

وأجابه « بلتزار » :

ـ قفص « بيبو » •

ونظرت اليه المرأة بارتباك وسألت :

ـ قفص من ؟

فقال« بلتزار »مؤكدا:

ـ قفص « بيبو » •

ثم تحول الى « خوزيه مونتييل » قائلا :

ـ « بيبو » طلب منى أن أصنعه •

لم يحدث فى هذه اللحظة شيء • ولكن بلتزار احس كما لو كانوا قد فتحوا له بوابة السجن •• وخرج « خوزيه مونتييل » بسرواله من غرفة النوم وصاح :

ـ « بيبو » !

وهنا ظهر « بيبو » على عتبة الباب • غلام في حوالى الثانية عشرة من عمره له رموش أمه المعقوفة وهدوؤها المثير للعطف •

وأمره « خوزيه مونتييل » :

ـ تعال هنا •• انت طلبت منه ان يصنع هذا القفص ؟

وطأطأ الصبي رأسه فامسكه ابوه من شعره

ليرغمه على النظر اليه وجها لوجه .
- انطق !
وعض الطفل شفته دون أن يجيب . وتمتمت الزوجة :
- « مونتييل » !
فترك زوجها الغلام واستدار الى « بلتزار » منفعلا وقال :
- آسف جدا يا « بلتزار » . كان الواجب أن ترجع الى قبل ان تبدأ في صنع هذا القفص . كيف تتعاقد مع قاصر . أنت الوحيد الذى يفعل ذلك :
وبينما كان يتحدث استعاد وجهه تعبيره الهادىء . ورفع القفص من مكانه دون أن ينظر اليه وناوله لبلتزار قائلا:
- خذه وحاول ان تبيعه لشخص آخر . وارجوك رجاء خاصا الا تجادلنى فى هذا الموضوع .
وربت على كتف بلتزار واستطرد على سبيل الشرح :
- .. فقد حرج على الطبيب أن استسلم للغضب .
هذا والطفل فى مكانه لا يتحرك ولا يطرف له جفن . وظل بلتزار محرجا والقفص فى يده. عندها صدرت من حنجرة الطفل زمجرة كزمجرة الكلب الغاضب ثم ارتمى على الارض وهو يصرخ.

ونظر اليه « خوزيه مونتييل » دون ان يحرك ساكنا . وحاولت الام أن تسترضى ابنها ولكن زوجها نهرها :
- لا ترفعيه . اتركيه يخبط رأسه فى الارض حتى يكسرها ثم الق له بملح وليمون لكى يكون لغضبه طعم .
كان الصبى فى هذه اللحظة ينهج دون دموع .. وامسكته امه من قبضتى يديه لينهض فقال لها « خوزيه مونتييل » بلهجة قاطعة :
- قلت دعيه !
ونظر « بلتزار » الى الطفل نظرته الى حيوان يحتضر من مرض معد ..
كانت الساعة الرابعة عصرا . وكانت «أورسولا» فى نفس اللحظة فى البيت تغنى اغنية قديمة جدا وهى تخرط بصلة :
قال بلتزار :
- « بيبو » !
واقترب من الصبى وهو يبتسم وقدم له القفص . وهب الصبى واقفا فى قفزة واحتوى القفص ، الذى كان فى مثل طوله ، بذراعيه ، وظل ينظر الى « بلتزار » من خلال أسلاكه المعدنية وهو عاجز عن التعبير . ولم تذرف عيناه دمعة.
قال «مونتييل» بهدوء:
- « بلتزار » . قلت لك خذ القفص .

وقالت المرأة للصبى بنظرة آمرة :
- رده اليه .
ولكن بلتزار قال :
- احتفظ به .
ثم بسرعة لخوزيه مونتييل :
- أنا فى الحقيقة ما صنعته الا من اجله .
وخرج « بلتزار » وتبعه « خوزيه مونتييل» حتى بلغ الصالة ثم قال له وهو يسد عليه الطريق :
- لا تكن احمق يا « بلتزار » . خذ قفصك معك الى البيت وكفى بلاهة . انا لن ادفع لك فيه « سنتافو » واحدا .
ورد « بلتزار » :
- لا يهم . لقد صنعته خصيصا لأهديه لبيبى ، ولم أكن انتظر ثمنا له .
وحين شق بلتزار طريقه وسط من جعلهم الفضول يسدون الباب كان « خوزيه مونتييل » يرغى ويزبد فى الصالة وقد امتقع لونه وبدأ الاحمرار يتسرب الى عينيه . وصاح فى ابنه :
- مغفل ! خذ قفصك .. ما كان ينقصنا الا أن تعطى حشرة مثلك أوامر فى بيتى ، عليك اللعنة !
ولما وصل « بلتزار » الى صالون « البلياردو » قابله كلمن فيه بالتصفيق .. لقد كان حتى هذه

# عصرية "بلتزار" العجيبة

اللحظة يظن انه صنع قفصا أحسن من باقي الاقفاص التي صنعها وانه اصر على اهدائه لابن « خوزيه مونتييل » لكي يكف عن البكاء ، وان شيئا من هذا لا يستحق الذكر ، فاذا به يكتشف ان هذا حدث من الاهمية بمكان لدى كثير من الناس· وخامره شعور كالنشوة ·

وقال قائل :

ـ يبدو انهم اعطوك خمسين « بيزو » ثمنا للقفص ·

فرد « بلتزار » :

ـ بل ستين !

وقال احدهم :

ـ ما من شخص غيرك استطاع ان ينتزع مبلغا كهذا من « دون شيبي مونتييل » · هذا حدث جدير بالتسجيل يجب ان نحتفل به ·

وقدموا له كوبا من « البيرة » · ورد لهم بلتزار المجاملة بان طلب على حسابه شرابا للجميع ·

كانت هذه هي المرة الاولى التي يشرب فيها· وعند الفجر كانت الخمر قد لعبت براسه تماما فجعل يتحدث عن مشروع ضخم لصنع الف قفص يبيع الواحد منها بستين « بيزو » ثم لصنع مليون قفص يجني من ورائها ستين مليون « بيزو » ·

وقال وقد اعماه السكر :

ـ اشياء كثيرة لابد من صنعها وبيعها للاغنياء قبل ان يدركهم الموت· انهم جميعا مرضى يوشكون على الهلاك · ولانهم في حال سيىء فمن المحظور عليهم حتى ان يستسلموا للغضب ·

وظل « الفونوغراف » الاتوماتيكي ، على مدى ساعتين يعزف بلاانقطاع ·· وشرب الجميع نخب « بلتزار » وتمنوا له الصحة والحظ والثروة ، كما تمنوا الموت لكل الاغنياء · على انهم حين حانت ساعة العشاء تركوه وحده في الصالون

وانتظرته « اورسولا » حتى الثامنة وكانت قد اعدت له طبقا من اللحم البارد المغطى بشرائح من البصل· وقال لها بعضهم ان زوجها في صالون « البلياردو » ، وان السعادة قد ذهبت بعقله وانه طلب بيرة لجميع الحاضرين · ولم تصدق لان « بلتزار » لم يسبق له ان سكر · وحين آوت الى الفراش قرب منتصف الليل كان « بلتزار » يجلس في الصالون الذى اضيئت انواره ورصت فيه موائد حول كل منها اربعة اشخاص ، امام حلبة رقص في الهواء الطلق كانت تمر من فوقها طيور الكروان ·

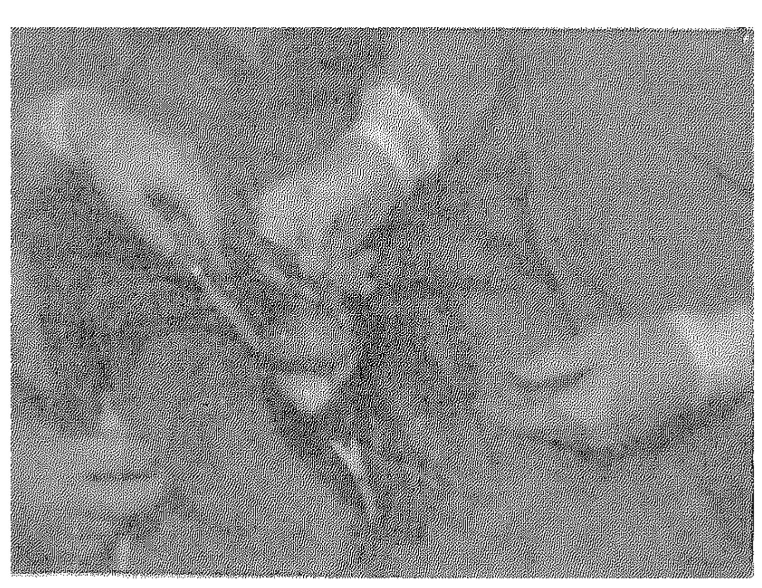
كان وجه « بلتزار » ملطخا باحمر شفاه · وقد حاول ان يمشي ولكنه لم يتمكن من السير خطوة واحدة · وقال لنفسه:آه لو استطعت ان ارقد في فراش واحد مع امراتين· لقد انفق في الصالون مبلغا كبيرا واضطر لترك ساعته كرهن مع تعهد بدفع الباقي في اليوم التالي ·

وبعدها بلحظات تنبه، وقد وقع في الشارع وارتمى على الارض مباعدا ما بين رجليه ، الى انهم يخلعون حذاءه· ولكنه لم يرد ان يفيق من حلم كان اسعد حلم في حياته ·

ولم تجرؤ النسوة اللواتي مررن في الصباح في طريقهن الى الكنيسة لحضور قداس الساعة الخامسة ، على النظر اليه ، فقد اعتقدن انه في عداد الاموات ·

# بنوك الأعضاء البشرية

## بين الحقيقة والخيال!!



بقلم:
د. أحمد التاجي

استحدثت بنوك الدم منذ فترة طويلة ، وكان لها دورها الانسانى فى انقاذ حياة المرضى والمصابين ، ممن كانوا فى امس الحاجة الى قطرات من الدم ، تعيد الى قلوبهم واجسادهم الحياة .

وكان النجاح فى هذا المضمار مشجعا على ان تطلع العلم الى ماهو اكثر واعقد ، حتى خيل له انه يستطيع ان يوفر كل قطع الغيار البشرية دون ادنى مشقة ! فظهرت بنوك اللبن لتمد الاطفال المحرومين من الرضاعة الطبيعية بالغذاء والحنان واجريت عمليات نقل القلوب والكلى وغيرها من الاعضاء والعظام والاوصال البشرية ، ثم استحدثت بنوك المنى والاجنة ، كما بدانا نشهد الان عمليات مايسمى بالرحم المؤجر وغيرها من القضايا التى تتعارض مع الشرائع السماوية ، وتؤدى بعض الحالات الى اختلاط الانساب ،واختلال الوراثة فالى اين يسير بنا العلم والى اين نتجه ؟

# بنوك الأعضاء البشرية

من أطرف التقاليع التى انتشرت حديثا .. البنوك المهتمة بحفظ أعضاء الجسم البشرى حتى تكون تحت الطلب لاى محتاج أو مريض ، وهى فكرة بدأت منذ فترة طويلة ببنوك الدم المعروفة ، ثم تطورت لتشمل معظم أعضاء وانسجة جسم الانسان . أيضا مثل بنوك لبن الام . وبنوك الحيوانات المنوية وبنوك البويضات ، بل وحتى بنوك للاجنة البشرية نفسها .

## بنوك الدم

وبنوك الدم هى أقدم الانواع واكثرها رسوخا وانتشارا فى معظم انحاء العالم لما تقدمه للطب من خدمات جليلة . فهى السبب فى انقاذ حياة كثير من المرضى والمصابين فى الحوادث أو أثناء العمليات الجراحية أو حالات النزيف بعد الولادة وغيرها .

وبالرغم من ذلك فهناك بعض الطوائف اليهودية التى تحرم عملية نقل الدم حتى لو دفع المريض أو المصاب حياته ثمنا لهذا التحريم .

وهناك بعض الشرائع السماوية التى تكره عمليات نقل الدم ولكن تتعامل معها من منطلق قاعدة الضرورات تبيح المحظورات كما فى الاسلام وهناك من لا يمثل لهم نقل الدم اية مشاكل عقيدية .

وبنوك الدم لا تختلف كثيرا عن البنوك العادية فكما أن هناك خزائن لحفظ الاموال فى البنوك المصرفية هناك أيضا خزائن أو على الاصح ثلاجات لحفظ الدم ، وكما يحتفظ الانسان بالفائض من نقوده فى البنوك بغرض الادخار لوقت الحاجة أو الاستثمار ، فهنا ايضا فى "بنوك الدم تحفظ الدماء المتبرع بها من قبل بعض الإفراد حتى يمكن استعمالها وقت الحاجة ولكن غالبا لا يكون الشخص نفسه هو المحتاج ولكن مصاب او مريض اخر قد يكون فى اشد الحاجة لقطرات الدم هذه لانقاذ حياته ، وبالتالى يستفيد شخص أخر من الادخار فى هذه البنوك وقد قل الا يتعامل شخص او افراد اسرته مع هذه البنوك الحيوية ومن هنا فهى نوع من التكافل والتامين والادخار بل والاستثمار الانسانى فى نفس الوقت .

والصورة ليست وردية هكذا فى كل الاحوال ، بل أصبح الدم سلعة تباع وتشترى بالمال ، وهذا هو الوجه المظلم والمؤسف من العملة . وفى كثير من الدول المتقدمة مثل أمريكا منع الاتجار فى الدم بتاتا سواء شراء أو بيعا واستمرت بنوك الدم تعتمد على المتطوعين فقط وعلى درجة وعيهم باهمية وفوائد التطوع بالدم . فقد يصبح المتطوع فى أى وقت من أكثر المحتاجين لرصيد هذه البنوك .

## بنوك القلب والكلى

وهناك أنواع أخرى من البنوك البشرية التى بدأت فى الانتشار خاصة فى الدول الغربية مثل بنوك القلب والكلى وفى هذه البنوك لاتوجد خزائن أو ثلاجات لحفظ هذه الاعضاء الحيوية ولكنها بنوك على الورق فقط أو بالاحرى بنوك داخل الكمبيوتر . فالكمبيوتر يحتفظ بقائمة تضم أسماء العملاء المتبرعين بالكلى على سبيل المثال ويحتفظ فى ذاكرته بكل خصائص هؤلاء الافراد من حيث فصيلة الدم والانسجة وكل البيانات المهمة اللازمة لنجاح عملية نقل الاعضاء البشرية . ويحتفظ الكمبيوتر أيضا فى المقابل ببيان كامل عن المحتاجين لهذه الاعضاء وخصائصهم . فاذا

توفى الشخص المتبرع بجزء من جسمه يقوم الكمبيوتر بارسال اشارة عاجلة لفريق طبى متكامل للاسراع الى مكان الوفاة والقيام بعملية نقل العضو المتبرع به قبل أن يصاب بأى نوع من التلف • ومرة أخرى دخلت التجارة بل والاستغلال فى هذا المجال فأصبحت الاعضاء البشرية تعرض على صفحات الجرائد للبيع وللشراء بأبهظ الاثمان علما بأن كل القوانين والشرائع تمنع وتحرم ذلك • ولكن فى غياب الوعى الصحيح تنتشر هذه التجارة وتزدهر على حساب المبادىء والعدالة الغائبة

● بنوك لبن الام

ونجد نوعا آخر من البنوك البشرية بدأ ينتشر بسرعة فى الغرب وهو بنوك لبن الام • فقد تنبه الجميع أخيرا لاهمية الرضاعة الطبيعية للطفل والام والمجتمع ككل ومن أجل الاطفال المحرومين من نعمة الرضاعة الطبيعية بسبب أو لآخر وحتى لاتغذى الام وليدها باللبن الصناعى بمخاطره ومشاكله انشئت بنوك لتجميع الفائض من لبن الامهات وتوزيعه على الاسر المحتاجة ويتم هذا بنظام بديع فى كثير من الولايات الامريكية قوامه التبرع من قبل الامهات باللبن وتطوع الاشخاص القائمين بتوزيعه كل صباح للمحتاجين دون أى مقابل مادى ويثور الجدل حول شرعية تطبيق مثل هذا النظام فى الدول الاسلامية اذ أن الشريعة الاسلامية تحرم مثل هذه البنوك لشبهة الزواج من الاخوات فى الرضاعة بعد ذلك • وان كانت هناك آراء اخرى تبيح عمل مثل هذه البنوك فى حالة حدوث خلط بين الالبان المختلفة قبل الرضاعة • وهناك آراء أخرى تطالب بانشاء نظام خاص تعرف فيه الام المتبرعة باللبن لطفل معين لتفادى حدوث أى شبهة زواج بين اخوة وأخوات الرضاعة •

* * *

بنوك أخرى كثيرة بدأت تنتشر ايضا فى العالم الغربى وهى بنوك الحيوانات المنوية وبنوك البويضات وبنوك الاجنة ... ولكن مثل هذه البنوك تثير الكثير من الجدل الطبى والقانونى والدينى بل والاجتماعى حتى فى اكثر المجتمعات تحررا •

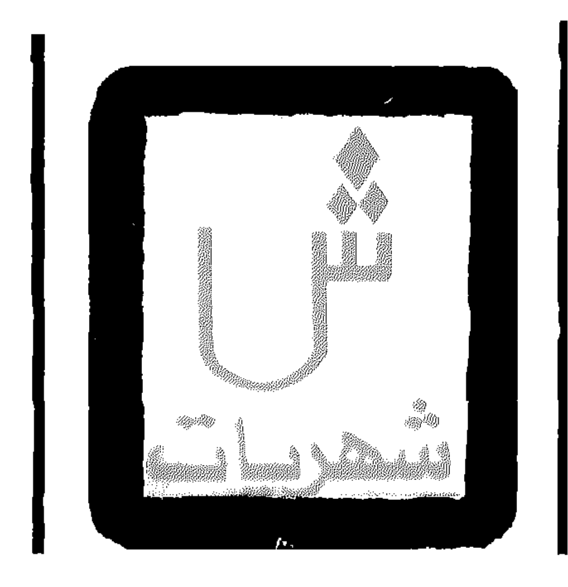
وليحدثنا رجال الاقتصاد عن الجدوى الاقتصادية لهذه العمليات وهل عائدها يناسب تكاليفها الباهظة فى معظم الاحيان وعن جدوى ادخالها للعالم النامى وهل نحن حقا فى حاجة الى مثل هذه العمليات •

كما نرجو أن يحدثنا رجال الدين عن رأيهم فى مثل هذه العمليات بصراحة وبوضوح حتى لا يتركوا مجالا للشك أو البلبلة •

وكذلك يحدثنا رجال القانون عن مدى قانونية التبرع بالاعضاء اثناء الحياة وبعد الوفاة ومدى قانونية حالات بيع الاعضاء التى انتشرت مع الاسف فى الاونة الاخيرة • وليحدثونا بالطبع عن المشاكل القانونية التى ظهرت امام المحاكم بخصوص نقل الاعضاء خاصة فى حالات بنوك السائل المنوى والبويضات والاجنة •

كما أطلب من رجال الاجتماع وعلم النفس أن يحدثونا عن آثار هذه العملية سواء الاجتماعية أو النفسية أو الانسانية •

انها دعوة حارة لفتح باب مناقشة جادة ومثمرة فى موضوع نقل الاعضاء ككل خاصة أنه بدأ يغزو عالمنا العربى بسرعة بالرغم من أن اثاره تثير بلبلة لدى الكثيرين •




# رأى فى الثقافة

## الكتاب المصرى كان غائبا فى معرض المغرب

● اقامت المغرب في الفترة ما بين ٣٠ اكتوبر الى ٨ نوفمبر الماضي معرضها الدولى الأول للكتاب في مدينة الدار البيضاء ، وبصرف النظر عن غلبة الكتب الفرنسية على الكتب العربية بشكل عام ، فانه يمكن القول ـ بناء على ما شاهدته بعيني ـ أن المعرض كان حاشدا وحافلا ، كان اشبه بمعرض القاهرة الدولي للكتاب ، فقد رأيت الأيدى تتخاطف الكتب ، والناشرون يكادون يضجون من زحام المشترين .

لكن المدهش والمحزن أنني تجولت في المعرض شمالا وجنوبا وشرقا وغربا باحثا عن دور النشر المصرية فلم أجد لها أثرا الا من رواق صغير غير لائق علقت عليه لافتة « دار الاهرام » ، لكنه ، وللاسف ، وحتى اليوم الأخير للمعرض لم يكن به سوى أربع نسخ ، قيل لى انها للعرض فقط ، من كتاب محمد حسنين هيكل « ملفات السويس » قابعة خلف المندوب الذى توجهت اليه بالسؤال عن الأمر فذكر حججا عن عدم وصول الكتب يخجل المرء من ذكرها ، بل هي تؤكد الاهمال والتقصير والعجز أكثر من أى شيء آخر .

وحتى ابحث عن الاسباب الحقيقية ذهبت الى ادارة المعرض سائلا فعرضوا على خطابات الدعوات التى وجهوها الى أغلب دور النشر المصرية، العامة والخاصة ، فكانت ردودهم من ذلك النوع « الغائب » !

هل كف المغاربة ، مثلا عن طلب الثقافة المصرية ؟ .

هذا غير صحيح ، لانني وجدت لهفة لدى كل الذين التقيت بهم في المعرض وخارج المعرض على الكتاب المصرى ، مثل لهفتهم على الثقافة المصرية وفى زيارتى لاربع جامعات مغربية وجدت الثقافة المصرية بمكانتها الرائدة في عقول ووجدان الطلبة والاساتذة والمثقفين المغاربة ، لكن ، هل نقول للأسف ؟ من خلال دور النشر اللبنانية ، التي علينا ان نعترف لها بهذا الفضل على الرغم مما تعانيه .

كيف ؟ ولماذا ؟ ولم ؟ يغيب الكتاب المصرى عن مثل هـذا المعرض الحاشد ؟ هذه أسئلة على السادة المتربعين على قمم دور النشر والتوزيع المصرية أن يجيبوا عليها ، لا فقط من أجل حضور الثقافة المصرية ، أغلى وأثمن ما نملك ، بل من اجل انفسهم ، حتى لا يتباكون مرة اخرى على قلة توزيع الكتب ، وأن يبكوا على حالهم ٠

عبده جبير

## رسالة المغرب

### ● ندوة الرواية العربية فى المغرب

● أقام اتحـاد كتاب المغرب فى الفترة ما بين ٣٠ اكتوبر الى الاول من نوفمبر الماضى ، وبالتعاون مع الاتحاد العام للادباء والكتاب العرب مؤتمرا حاشدا تحت شعار « أسئلة الرواية العربية » حضره عدد كبير من الروائيين والنقـاد العرب على رأسهم أحمد اليبورى ( رئيس اتحاد المغرب » ومحمد براده ومبارك ربيع وادريس الناقـورى ، وابراهـيم الخطيب ، وأحمد بوحسن ، وبشير القمرى ، ومحمد عز الدين التازى ، والميلودى شغموم ، وعبد الفتـاح كيلطو ، وغيرهم وغيرهم من النقاد والروائيين المغاربة ، كما حضـره الروائيان السوريان مطاع صفدى ، وخلدون الشمعة والناقـد الروائى الفلسطينى نواف ابو الهيجاء ، ومن العراق شارك كل من فريال غزول ، وسامى مهدى وفؤاد التكرلى ومحمد الجزائرى ، أما من مصر فقد حضر كل من الناقد صبرى حافظ والروائيان ابراهيم أصلان وعبده جبير ٠

وغاية القول باختصار أنه على الرغم من غياب عدد كبير من المبدعين الذين دعوا اليهـا ( أميل حبيب ، ومحمد شكرى ، وحيدر حيدر ، وعبد الرحمن منيف ، وجبرا ابراهيم والطاهر وطـار ورشيد بو جودة ) الا انها اتسـمت بروح عـالية من الجدية والجدة ، كما كان الصراع فيها على أشده بين بعض الممثلين لتيار الرواية التقليدية وتيار الرواية الجـديدة ، ويمكن القول أن أغلب النقـاد والدارسين المغاربة أبدوا تحـيزهم للتيار التجديدى ، وقـد انعكس ذلك من خلال ما قدموه من دراسات عنه ٠

وعلى الرغـم من غياب أسـماء روائية ونقـدية بارزة من مصر ، سبق لاغلبهم حضور ندوات سـابقة فى المغرب ، فان أسماء صنع الله ابراهيم ويحيى الطاهر عبد الله ، وادوار الخراط وجمـال الغيطانى وعبد الحكيم قاسم ، وغيرهم ترددت كثيرا فى الدراسات التى نوقشـت بشـكل لافت ، ممـا يؤكـد على المساحة العريضة التى بدأت الروايا المصرية الجديدة تحتلهـا فى ساحا الرواية العربية ٠

على أية حال لقد اتسمت جلسات الندوة بجـدية المناقشـات ، به وبحدتها فى بعض الاحيان ، كما كا لها ردود فعل واسعة فى أجهـز الاعلام المغربية أن يكن فى الصحـف المغربية بمختلف اتجاهاتها ، أو عب التليفزيون والاذاعة ٠ الأمر الذ ان دل على شىء فانما يدل على حيو الحياة الثقافية فى المغـرب ، وعل الدور الكبير والحيوى الذى يقوم اتحاد الكتاب المغاربة ٠

تبقى بعـــد ذلك ملاحظة رددهــا
لكثيرون هى غياب العنصر النسائى
ى الندوة ان يكن من المبدعات أو
لناقدات ، فلم يشارك سوى الروائية
لمغربية خناثة بنونة بشـهادة عن
لجربتها الروائية ، والناقدة العراقية
الاصـــل المقيمة فى القاهرة فريال
غزول بدراسة لها عن أدوار الخواط

وعلى الرغم من أن اتحـاد كتاب
لمغرب هو هيئة اهلية مستقلة الا انه
م يفت وزير الثقافة المغربى محمـد
ن عيسى دعوة المشاركين فى الندوة
ى حفل عشاء اقامه فى أحد الفنادق
فاخرة فى الدار البيضاء ، وأعلن
ـــلاله ، وبمناسبة النـدوة ، عن
مائزتين سـتمنحهما كل عام وزارة
ثقافة المغـــربية احداهما للرواية
مربية والاخرى للقصة المغربية .

مسرح

## « أحلام الفرسان » ودراما المناســـبات

« احلام الفرسان » هو اسم العرض
عائد من الموسم الماضى ، وقد قـــدم
ى مسرح السلام لمدة اســـــبوع
ناسبة احتفالات اكتوبر ..

ومثلما اخفقت السينما فى التعبير
حقيقى عن انتصـــارات اكتـــوبر .
ءاءت الافلام التى تلفعت بعبـــاءة
عبور اعمالا ملفقة وغير ناضجة بل
سطحية ، ومثلها كانت المعـــروض
سرحية التى تناولت هذه الانتصارات،
خرها كان عرض « احلام الفرسان »
ى ، يفتقد اى قيمة فنية أو فكرية،
يمكن ان نعتبره دراما حقيقيـــــة ،
نما هو مجرد حواريات نسجت من
ـارات انشائية مسجوعة » سـيقت
قسرا على لسان شخصيات هلاميــة
سماها المؤلف ، ووزع على كل منها مهنة
مختلفة ، ثم اكملها بعدة نصـــائح
سلوكية متناقضة ، لكى تندفع كلهـــا
تتحدث بطريقة مباشـــرة وعلى نفس
السياق فى ترنيمات لا معنى لها ،غير
ان الكلمات تجلب الكلمات والتهويمات
تخرج من تداعيات المهرطقه الحماسية،
وما على المخرج الا ان يوزعها هنـا
وهناك ويضيف الموسيقى الصـــاخبة
والرقصات التعبيرية الجامدة والمستهلكة،
ثم قليلا من الاغانى الزائفة والحركات
المفتعلة ، يحيـــــط كل ذلك بممثلين
لا يهمهم ما يقولون .

وقد يكون من الاجدى الا نضـيع
وقت القارىء فى مناقشة هذا العرض
الذى انصرف عنه المتفرجون تماما ..
ولكنه يثير قضية مهمة حول درامـــا
المناسبات التى تقدم من اجل تمجيد
بطولة او اعلاء شأن حدث ، وكثيـرا
ما كتب نقادنا حـول تخلف هــذه
الدراما عن مواكبة الاحداث والتعبير
عنها ، ولكن اعمال المناسبات تترى ،
ووقوعها فى نفس الكليشيهات مستمر،
وكأن الزمن لا يتحرك ولا يتقـــدم ،
ولا احد يريد ان يتعلم .

فهكذا كان يكتب كتبة المناســـبات
ويتقدم المخرجون الجـاهزون دائما ،
وتحشد الطاقات وتتوفر الميزانيات ،
والنتيجة : حصاد كهشـــيم تذروه
الرياح ، فلا قيمة تعطى ولا هــــدف
يراد من كل هذا .

انهـــم بما يفعلون يفقـــدون فن
المسرح اهم خاصية له فى معـــاركة
الواقع والصدام الحى معه ، انهـــم
يريدون ان يظل مسرح الدولة محصورا
فى عروض ميتة ، فاذا ارادوا الابتهاج
بمناسبة قومية اناروا المســــــارح
بعروضهم المظلمه .

والسـؤال الذى قد يتبادر الى الذهن : لماذا هذا الاصرار على تقديم هذه الاعمال الضحلة ، الجواب عندى: ان القيادات المسرحية فيمسرح الدولة صارت تكره المسرح وتكره جمهوره !

## ● المسرح العربي في مصـــر

ضمن احتفالات محافظة السويس بعيدها القومي قدمت فرقة المسـرح الوطنى التونسى من اخراج المنصـف السويسى عرضا باسم «مدينة المقنعين» التى كتبها شوقى خميس ، وقدمت فرقة عراقية مسرحية « ليلة من الف ليلة » اخرجها سامى عبد الحميـد عن نص لفلاح شاكر محمود ، وقد اعيـــد العرضان لجمهور القاهرة على مسرح السلام ٠

ومسرحية « مدينة المقنعين » سبق ان قدمها المخرج احمد زكى عام ٧١ على مسرح الطليعـــة ، والنص كان قد كتبه صاحبه عام ٦١ وقد تناول فيه رحلة معاصرة للسندباد بحثا عن قيم ومطلقات عليا ، عن الحرية والعـدل والحقيقة ، وذلك فى شـــكل مسرحى اقرب للقصيد النثرى ، والذى تحايل المنصف السويسى على تقديمه باسلوب جذاب وشائق ، اذ استخدم مفـــردات المسرح العارى الذى لا يعتمـــد على ديكورات قـــدر اعتمـــاده على اكسسوارات وادوات خاصة بالممثـل لان الممثل هو اداته الاهم ، ينفرد به فى حركة انسيابية تعبيـــرية توحى بالجو وبالمنظر ، ومن خلال التكوينات التى يعتمد فيها الممثـــل على عصى ووشاح ، يشكل مع مجموعة الزمـلاء اقصى ما يســـتطيع من ابداع فنى لاتعطية العروض التقليدية ٠

وقد جذب التعبير الادبى المخـرج فاستغرق طويلا فى ثرثرات مملة ، وحركات متكررة تفتقد بالتتـــابع جمالها وبكارتها ، ولم يكن طاقمــه الفنى بقادر على الخروج من ذلك اذ اتسم الاداء بروح تقليدية لا تناسـب رؤية العرض التجريبية ، فنزح معظمهم للتعبير الميلودرامى والصراخ ٠

ولكن على كل حال عرض جميــل استقبله جمهور المسرح بلهفة وتشوق

**محمد الشربينى**

## تليفزيون

## المثقف المســـتتر

### اســـامة انور عكاشة

لقد تزايد شعورى خـلال السنوات العشرين الاخيرة بأن المثقف فى بلادنا يخشى ان تظهر عليه علامات تفوقه ان يلتقط الناس ثمار الجهد الذى بذله ليلم بجوانب الثقافة العـامة ، التى تعـد من البدهيات فى بلـد يتمتـع بالمكانة التى لاتزال مصر تحتلها بين بلاد العالم ٠٠ برغم ٠٠٠

وكثيـــرا ما تردد ان التغيـــر الاجتماعى يكون اسرع بكثيـــر من التغيرين الثقافى والاخلاقى٠٠وأخذنا ننقب عن شتى التبريرات لما يحدث فى بلادنا ٠٠ لكن الحقيقة اننا نتمادى تيار يدفعنا الى محاولة تسـفيه ما هو رفيع وجميل فى اصرار وثبات على المبدأ يدعو احيانا الى ٠٠ هـل نستطيع ان نقول الاعجاب ؟!

فالبساط باختصار يجذب من تحت اقدام المثقفين فيسقطون بســـر واستسلام يدعوان للعجب ٠ ويتوارى بعضهم ٠٠ اما البعض الاخر فيحاول ان يبقى فى صورة « عصـــرية » ولكن ، لحظه العسير يكشف بسهوله وقد قال احدهم على سبيل المثـل

لكاتب سيناريو ان اسلوبه في عرض موضوعه وكلمات حواره يفضح مستوى عال من الثقافة ! ويبلل العرق جبين الكاتب المسكين وقال مدافعا عن مستقبله في خجل انه حاول ان يصل الى « الناس » ·· حاول ان يكون بسيطا وان ينسى وهو يعد العمل كل ما قرأه ·· قال وهو يكاد يبكى ان الله خلقه يحب الاطلاع والعلم ! ·· حاول أن يخفف من حكم الاعدام ·· ان يدافع عن سمعته في السوق ·· لكن الاحكام في هذا المجال لاتعدل ولا تخفف بل انها تنتشر تضع صاحب السوابق في حب المعرفة في قائمة المرفوضين ·· ويظل المسكين يلعن اليوم الذى مده فيه ابوه او معلمه بكتاب لعين ··

ومن الكتاب الذين يحاولون قدر امكانهم اخفاء حصيلتهم من الثقافة الادبية والتاريخية واطلاعه الواضح على الاساطير والاداب الشعبية ·· اسامة انور عكاشة ·

ـ واتمنى الا تاتى تحية الاعجاب هذه بنتائج عكسية فيفقد شعبيته عند من يقرأ تلك السطور ـ وقد اذهل هذا الكاتب الموهوب فيما مضى حشدا من « المثقفين » بمسلسل « المشربية » حيث ناقش مشكلة الفن للفن الابدية·· هل يعمل الفنان من اجل الناس من اجل توصيل فكره اليهم أم انه يشبع رغبة فى التعبير تنبع من ذاته لا تخص أحدا غيره فينعزل عن الناس ويغوص فى ايقانه بانه مختلف عنهم لا يحتاجهم ويرفض حاجتهم اليه ؟ بعد اختفى اسامة عكاشة عقابا له عن هذا العمل المتفوق ·· سال عنه البعض فى همسات خافتة تركوه يكافح وحده حتى ظهر فى بعض اعمال لفتت الانظار الهادئة ·· الى ان اجبر الحناجر على اطلاق صرخة اعجاب عالية وانضمت فى توليفة عبقرية كل الاصوات الغليظة والناعمة من جميع الاذواق ومختلف العقليات للترحيب بمسلسل « الشهد والدموع » ··فحقق اسامة عكاشة ربما يدون ان يدرى الرباط القومى فى ارجاء البلاد · والتوت الاعناق ناحيته فى انتظار الجديد ، ولم يتخلف الكاتب الفنان فاخذ يضيف فى كل مرة اسبابا للانبهار بقدراته الابداعية وتاثره بما تلقاه من تحصيل مقرق ·

ففى مسلسل « رحلة أبو العلا البشرى » جاءت الصورة الاولى فى مقدمة المسلسل لدون كيشوت لينبئنا منذ الوهلة الاولى بسيمات الشخصية التى يقدمها لنا تلك النفس الانسانية الرقيقة الحالمة التى تهرع لانقاذه من حولها وللتصدى للباطل فى اندفاع لا تكسر من حدته ما تلاقيه من احباطات ·· لا تلوثها قسوة الظروف ومظاهر الشر من حولها · ثم عاد السينارست الموهوب بنفس هدوئه الى الشاشة الصغيرة بمسلسل « وادرك شهريار الصباح » عن مسرحية ترويض النمرة « لشكسبير » كما ذكر فى العناوين ·· بالرغم من اختلاف كل التفصيلات وان جمعت بين العملين فكرة وسيلة الوصول الى قلب المرأة مهما بلغت من توحش فالرجل فى تصور شكسبير كفيل بأن يجد الوسيلة التى يخفض بها انفها ويعيدها الى حظيرته ·· أما أسامة عكاشة فقد لفت نظر مؤسس الدراما « الحديثة » فى رقة بالغة الى أنه يتجنى على المرأة كما تجنى عليها فى معظم مسرحياته حيث كانت الدافع للرذيلة وللجريمة · وربما كان هذا الانصاف للمرأة هو السبب الوحيد الذى دفع كاتب السيناريو الى التنازل عن حقه فى تاليف القصة ·

وبمسلسل « عصفور النار » عـــاد الفنان الكبير ليثبت تنوع مصـــادر ثقافته ، فأوحى من خلال تنـــاوله لموضـــوعه الى روح مسرحيـــة ( انتيجون ) من خــــلال الديــكور بالبنـــايات والاعمـــدة الخرسانية الضخمة كما بدت ‥ وكذلك الجمـع الصامت من الفلاحين المتشحين الذى كان يحيط بالعمدة والذى اخذ يذكـر بالجوقة فى المســرح الكلاســـيكى القديم ‥ والراوى الـذى يندفع الى مسرح الاحداث ليتنبىء بما لا نـراه خارج الساحة ٠

وقد أضـــفى طـــابع المسلســل الكلاسيكى وهذا الاختيار الصـــعب بين الحب والواجب وانتصار الاخير بدون تردد أو تراجع ‥ جـــوا من القوة والجمال الى الروح المصـــرية الخالصة والحوار المنتقى الذى يتميز به اسامة عكاشة ٠

## ليالى الحلمية

وقد فاجأ الفنان جمهوره فى هـذا المسلســـل بتنــــازله عن الرموز والكلاسيكية والفلسفة وأخذ يتعــرض لتاريخنـــا الحديث الذىلم يعشه او يعايشه جيلان من رجالنا مما اعطى الفرصة لمن انتهزها فى ان يصـــور السنوات التى سبقت الثورة على انها عصر الرقى والجاه والسعادة واخـذ يتحسر على تلك الايام ويـؤثر فيمن اكتوى بالام الحاضر ‥ فيضع لمهم الفنان الصورة واضحة لما كان يحدث من فجور بكل معانيه ، ومن تـكالب على الالقاب ومحاولة الانتمـــاء الى الطبقة المتميزة ٠ واستعداد الفنـــان لتقديم جزء ثان للموضوع ربمـــــا يعود بنا الى أمجاد «الشهد والدموع» ولكن بمعان ربما أكثر عمقا لانهـــا تصور حياتنا السياسية فىحقبة مهمة من تاريخنا ٠

وهذه السطور ليست محاولة منـا لعرض نقد لاعمال اسامة انور عكاشة ولكنها مجرد نبذة تعبر عن احساس بفنه وانطباع قد يختلف معه الاخرون ، وهى ايضا دعوة من القلب لان يستمر عطاؤه ‥ وان يدرك من يســتطيع ان يتعظ ان الجدية وحدها تبقى ‥ أما النجاح السريع الذى لا يرتكز عـلى قاعدة فما هو الا ومضة تبهر العين للحظات ٠

**هدى الشوباشى**

---

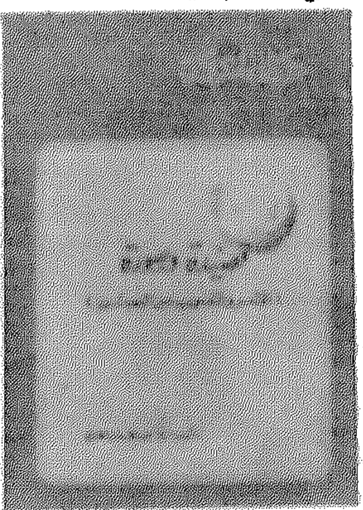
## ● مكتبة الهلال ●

الكتاب : برنامج الغد
تأليف : د ابراهيم شحاته
الناشر : دار الشروق
١٠٠ ص ، ٣٠٠ ق م

يضم هذا الكتاب بين دفتيه المحـاضرة التى القـاها الدكتور ابراهيم شـــحاته نائب رئيس البنك الدولى ومستشاره العام فى كلية الاقتصاد والعلوم السياســـية بجامعة القاهرة ، ويؤكد فى البداية انه وجدهـا فرصة لكى يشـــرح

تصوراته العامة حول ما يواجهه الاقتصاد المصرى ، بل والمجتمع المصرى ، من تحديات وتطلعات وهو يستعد لمواجهة القرن الحادى والعشرين ، كما ينفى ان يكون كلامه هنا معبرا عن وجهة نظر البنك الدولى او اية مؤسسة اخرى . بل « جئت الى هنا للتحدث بصفة شخصية بحتة ، بوصفى مواطنا مصريا اتيحت له فرصة التجول فى العالم كله والعمل عبر السنين فى ثلاث مؤسسات للتنمية الدولية » .

ويرى الدكتور شحاته ان لب المشكلة ، ليس فى مصر فقط ، بل فى العالم العربى كله تكمن فى ان المجتمع يستعد لمواجهة القرن الحادى والعشرين بعقلية القرون الماضية ، ويدعو الى ضرورة مسايرة العصر باللجوء الى البحث العلمى قبل اى شىء ، ويعرض لذلك خطة عملية تتعقب عدة مراحل اولاها : مراجعة احوال مراكز البحوث القائمة، وثانيها انشاء جامعة عربية للتكنولوجيا ، وثالثها هى الافادة بشكل اكبر من المراكز الدولية للبحوث ، بالاضافة الى ان يضع الجميع فى اعتبارهم ان البيئة الاساسية التى يجرى تنميتها هنا ، هى بيئة صحراوية ، ويرى ان برنامجه المقترح للعمل هو من الشمول والعمق بحيث يقتضى تخطيطا استراتيجيا للاقتصاد ، بل وللمجتمع يحدد الاهداف والاولويات بصورة واضحة ويعبىء الجهود لتحقيقها ويتصف بالمرونة التى تشجع على التجديد .

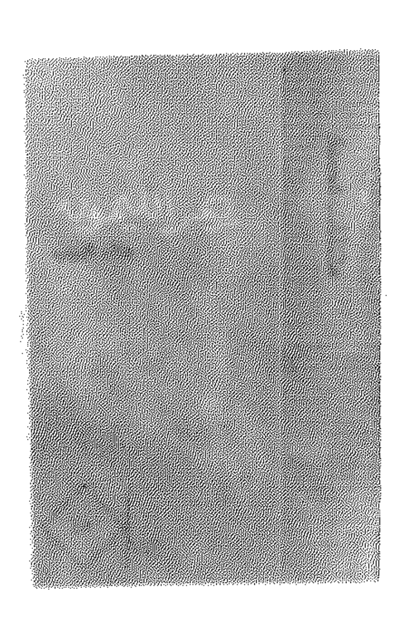


الكتاب : قصيدة وصورة
ترجمة وتقديم : د . عبد الغفار مكاوى
الناشر : عالم المعرفة ـ الكويت
٣٢٠ ص ، جنيه مصرى

يكاد يكون هذا الكتاب موسوعة جديدة اضافها الدكتور عبد الغفار مكاوى للمكتبة العربية ضمن ما اضاف من اعمال متميزة سابقة ، موسوعة جمع فيها ما كتبه عدد كبير من شعراء العالم من قصائد متاثرين فيها بلوحات فنية او تماثيل ، بعضها اوحت به الاساطير وبعضها الاخر نحته او رسمه فنانون محدثون وقدامى .

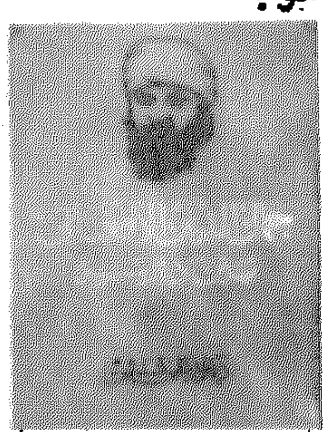
وهو قد اثبت فى هذا الكتاب القيم نصوص القصائد مع صور للاعمال الفنية معرفا بالشاعر والفنان مبينا قيمة القصيدة والعمل الفنى مما يجعل هذا الكتاب فريدا فى مكتبتنا العربية ولعله يكون بداية ودافعا للمؤلف وغيره من الباحثين ليجمعوا لنا القصائد العربية التى كتبت من وحى الصور والرسوم والتماثيل وهو عمل على الرغم من صعوبته فانه يستحق الجهد وبذل العطاء ،

الكتاب : زهر الليمون
رواية : علاء الديب
الناشر : مختارات فصول ، هيئة الكتاب ١٦٠ ص ، ٥٠ ق م



« عبد الخالق المسيرى » هذه الشخصية الروائية التى رسمتها يدى علاء الديب بدقة وبراعة وتظارته الحزينة لكن المتطلعة الى الضوء الخفيف الذى ترتعش به الحياة ، من بعيد، لكن فى جوهرها وأساسها ، هذه الشخصية تكاد تكون اول شخصية ترسمها يدى روائى عربى لتكون شاهدا على زماننا القائم ، الممتد ما بين الستينيات وحتى الثمانينيات دون مباشرة فجة ، بل بفنية عالية تجعل القارىء يكاد ينفجر غيظا من قلة انتاج الكاتب ، الذى يدلل هنا على قوة ونفاذ بصيرة وتمكن من ادوات القص الروائى .

عبد الخالق المسيرى هو زهر الليمون ، يتساقط على الارض وتدوسه الاقدام ، فيختلط بتراب الارض ليزهر من جديد ، نراه وهو ينفعل ويندمج لكن دون افتعال ، حتى لا يبدو الانفعال ظاهرا لكنه نافذ ومؤثر ، انها كتابة تعكس قوة البصر والنظر ، كتابة من نوع جديد ، تكشف عن بطل من زماننا ولد حيا و .. دخل التاريخ من اوسع ابوابه .



الكتاب : جمال الدين الأفغاني بين دارسين
تالف : د . على شلش
الناشر : دار الشروق
٢٤٤ ص ، ٣ ج م

عن جمال الدين الافغاني كتب على شلش من قبل ثلاثة كتب هى « جمال الدين الافغانى» و « الافغانى وتلاميذه : وثائق مجهولة » و « والافغاني ومحمد عبده » ، ويبدو انه وجد جديدا فى الوثائق والكتابات التى دفعه الى اكتشافها

يقول الكاتب : قادنى البحث الى الصحف التى ساهم الافغانى فى الكتابة لها بباريس ولندن ، وعندئذ قادتنى هذه الصحف ، وما نشر عنها من دراسات غير عربية الى الوثائق الجديدة ، ثم قادتنى هذه الوثائق نفسها الى ما اقيم حولها من دراسات ، وبهذا تكاملت امامى صورة واضحة الى حد كبير عن الافغانى

هو اذن يساهم بهذه الدراسة الجديدة عن جديد الوثائق التى وجدها وفيرة بين يديه، ناعيا على الباحثين العرب عدم كشفهم عن الحقائق التى تكشفت عنها قائلا : « حتى الدراسة الوحيدة التى نشرها الدكتور لويس عوض لم تات بجديد لانه اعتمد فيها على مصدر واحد اساسى هو دراسة قامت بها باحثة امريكية اعتمدت بدورها على مصدر واحد اساسى هو الوثائق الانجليزية، وهذه مليئة بالمغالطات والتحيز الطايفى ضد الافغانى والتقليل من شانه » .

# حتى العلماء يُزوّرون النتائج !

## • سيريل بيرت : صاحب أبحاث الذكاء يخونه ذكاؤه فى دراساته حول العلاقة بين الوراثة والذكاء ..

بقلم : د. أحمد أبوزيد

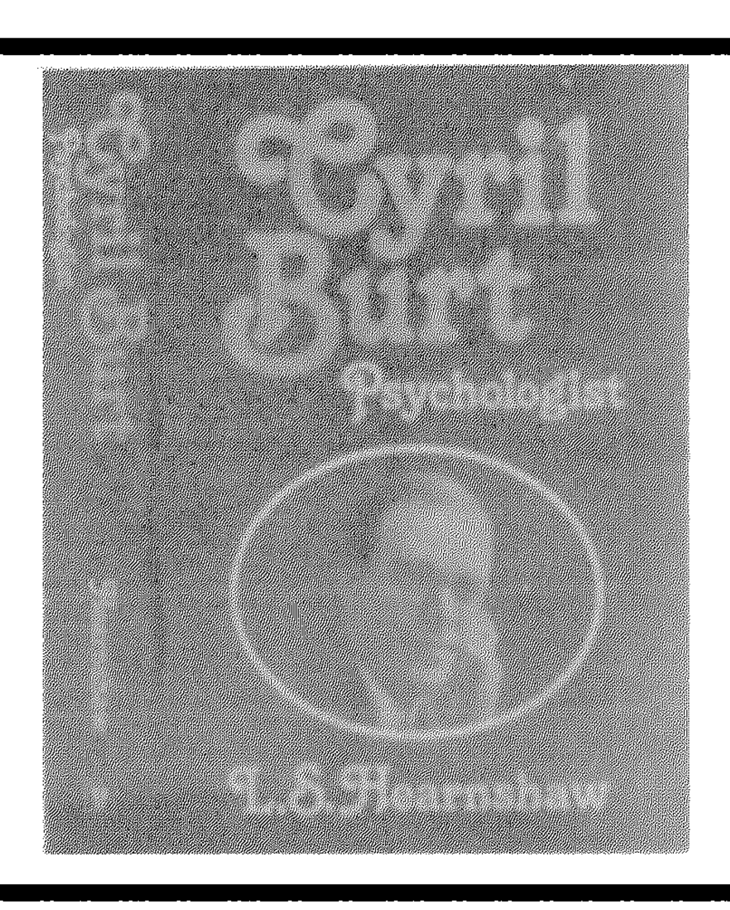
توفى عالم النفس الشهير سيريل بيرت فى يوم ١٠ اكتوبر عام ١٩٧١ عن ثمانية وثمانين عاما ..

وفى يوم ١٦ أكتوبر عام ١٩٧٦ نشرت جريدة التايمز اللندنية إعلانا يقول :

« السير سيريل بيرت .

المرجو من مارجريت هاوارد وجى كونواى اللتين عملتا مساعدتين للسير سيريل فى أبحاثه عن ذكاء التوائم ، أو أى شخص آخر له معرفة بهما الاتصال بأوليفر جيللى ، تليفون رقم ٤٨٥٨٩٥٣ ـ ١ »

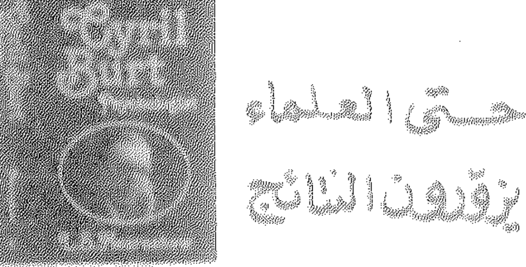
وفى يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٦ نشرت جريدة الصنداى تايمز الأسبوعية وفى صفحتها الأولى مقالا تحت عنوان مثير هو : « عالم نفسانى بارز يزيف معلومات أساسية فى دراساته » ، وإلى جانب العنوان ظهرت صورة سيريل بيرت . وكان المقال بتوقيع الدكتور أوليفر جيللى نفسه الذى ظهر أنه مراسل الصنداى تايمز الطبى ..

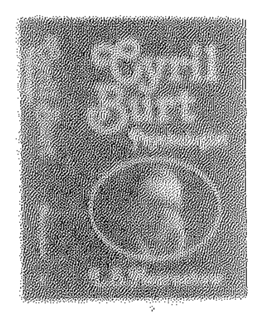



أحدث كتاب صدر
عن سيريل بيرت
يكشف فضيحته

وأثار المقال ضجة كبرى فى الأوساط العلمية فى انجلترا ، إذ لم يكن سيريل بيرت عالما عاديا وإنما كان يعتبر أثناء حياته أبا لعلم النفس فى بريطانيا وواحدا من أشهر و أبرز ستة علماء للنفس فى العالم فى القرن العشرين ، وقد ترك بصماته واضحة على كثير من فروع علم النفس التطبيقى ، كما كانت له إسهاماته فى علم النفس التطبيقى وفى قياس الذكاء ورد متوسط أو نسبة الذكاء إلى أسباب وغوامل وراثية معارضا فى ذلك المدرسة التى تربط الذكاء بالبيئة ، وقد أسهمت كل هذه البحوث والدراسات فى تطوير فلسفة ومناهج التعليم فى بريطانيا وأتخذت نتائج بحوثه فى الذكاء أساسا لاختيار التلاميذ ، وكان له بطبيعة الحال معارضون ونقاد و أعداء من بين زملاء المهنة ولكنه كان يتغلب عليهم دائما ، إلى أن جاء ذلك اليوم من أكتوبر عام ١٩٧٦ وتفجرت تلك الفضيحة العلمية حول اتهامه بتزوير وتزييف نتائج بحوثه .. وأصبحت ( قضية بيرت ) كما عرفت فى ذلك الحين من أهم القضايا التى شغلت الرأى العام المثقف فى بريطانيا والعالم ولاتزال حتى الآن تثير كثيرا من الجدل عما إذا كان بيرت قد تعمد تزييف النتائج أو أن المسألة لا تخرج عن أن تكون مجرد أخطاء غير متعمدة ناجمة عن الاهمال بسبب تقدمه فى السن ..

وقد وجه الدكتور أوليفر جيللى إلى بيرت أربعة اتهامات وهى أن بيرت كثيرا ما كان ( يخمن ) درجة ذكاء الوالدين



ويعتبر هذه التخمينات حقائق علمية .. قاطعة وثابتة ، وانه ليس هناك ما يدل بشكل قاطع على وجود مارجريت هاوارد وجى كونواى اللتين يذكر بيرت دائما انهما كانتا تساعدانه فى إجراء كل بحوثه الميدانية عن التوائم ، وأن علاقة التلازم بين ذكاء الأباء والأبناء لا يمكن أن تصل ابدا إلى كل هذه الدرجة من الدقة مهما اختلفت حجم العينة المدروسة إلا إذا كان ذلك عن طريق التلفيق لكى تتفق الملاحظة مع النتائج المطلوبة ، وأن بيرت كان يزيف أو ( يفبرك ) المعلومات ويخترعها اختراعا لكى تتلاءم مع افكاره وآرائه ووجهة نظره الخاصة عن العلاقة بين الذكاء والوراثة ..

● الوراثة والذكاء

ولكن المسألة كانت فى الحقيقة اكبر واخطر من أن تعتبر مجرد عملية تزييف او تلفيق نتائج بعض البحوث العملية ، رغم خطورة ذلك العمل فى مجتمع يعرف اصول البحث العلمى ويدرك معنى الأمانة العلمية التى يجب أن يتحلى بها العلماء والباحثون ، ولذا فلم يكن غريبا ان تظهر جريدة التايمز فى اليوم التالى لذلك مباشرة ( يوم ٢٥ اكتوبر ) وتعلن صراحة ان النتيجة الطبيعية لما قام به بيرت هى ان نظريته عن العلاقة بين الوراثة والذكاء لم تعد تصلح أساسا للسياسة التعليمية واختيار الطلاب ، بل إنه ليس ثمة ما يدعو بعد الآن إلى التمسك بأعماله وبحوثه الاخرى او الاعتداد بها والاطمئنان اليها وانه من الضرورى إعادة النظر فيها كلها للتاكد من سلامة خطوات البحث وصحة النتائج ..

والواقع ان الشكوك كانت تراود اذهان كثير من العلماء حول اعمال بيرت والنتائج التى كان يعلنها فى كتبه ومقالاته الكثيرة التى كادت تقترب من أربعمائة مقال وتعليق ، ولكن احدا من هؤلاء العلماء لم يوجه إليه ابدا تهمة الخداع والتزييف والتزوير ، بل ان ذلك لم يكن يخطر لاحد منهم على الاطلاق ، ومع ذلك فإن الغموض الذى كان يحيط بالباحثتين المساعدتين هاوارد وكونواى كان يقلق البعض منذ عام ١٩٧٥ وذلك حين اخفقوا فى التوصل اليهما او الاستدلال عليهما من اجل الحصول منهما مباشرة على بعض التفصيلات المتعلقة بالبحوث المبكرة التى قام بها بيرت والطريقة التى تم بها إجراء هذه البحوث والدور الذى قامتا به اثناء ذلك .. واصبحت هاتان الباحثتان المساعدتان تعرفان من ذلك الحين باسم « المراتين المفقودتين »

ولكن حتى قبل ذلك التاريخ كان احد أساتذة علم النفس بجامعة برنستون ، وهو الأستاذ ليون كامين ، قد بدا منذ عام ١٩٧٢ يعبر فى محاضراته وندواته عن ارتيابه فى صحة النتائج التى توصل إليها بيرت عن ذكاء التوائم وعدم سلامة الأسس الامبيريقية التى تقوم عليها تلك النتائج ، وقد قام فى عام ١٩٧٣ بتوزيع نسخ من تلك المحاضرات على نطاق واسع جدا فى كل الجامعات الأمريكية ثم قام

عام ١٩٧٤ بنشر كتاب بعنوان : « العلم والسياسة فى بحوث قياس الذكاء » تعرض فيه بالنقد للدراسات والبحوث التى تستند إلى نظرية وراثة الذكاء وحاول أن يبين انه ليس هناك ما يدعو إلى رفض أو إنكار نظرية العلاقة بين الذكاء والبيئة .

وكان معظم النقد والتجريح من نصيب بيرت بحيث أساء الكتاب إلى سمعته إساءة بالغة ، ولكن ذلك النقد والتجريح كانا يستندان إلى مبررات قوية ..

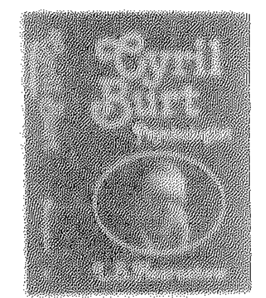
وقد لاحظ الأستاذ كامين أن دراسات بيرت عن التوائم تفتقر إلى المعلومات التفصيلية الدقيقة عن المنهج الذى اتبعه فى جمع المعلومات والذى كان يمكن أن تتعرف منه على وقت إجراء تلك البحوث ونوع الأفراد الذين خضعوا للدراسة كما أن كتاباته كانت تحتوى على أحكام وآراء متضاربة بل ومتناقضة عن نفس الأفراد الذين درسهم إلى جانب وجود كثير من الأخطاء التى قد تكون ناجمة عن الاهمال . والأخطر من هذا كله أن دراساته المختلفة تكشف عن درجة لا يمكن تصديقها من الأطراد فى معاملات الأرتباط فى كل العينات على الرغم من كل ما بينها من اختلافات الحجم .. وكان ظهور كتاب الأستاذ كامين وانتشاره الواسع وما أثير حوله من جدل بين أنصار بيرت وأعدائه هو الخيط الذى أمسك به الدكتور اوليفر جيللى الذى نقل « القضية » إلى الرأى العام .. وتحولت القضية العلمية إلى فضيحة . وأصبحت المسألة أقرب إلى الرواية البوليسية المثيرة وفيها قام بعض العلماء والباحثين بدور المخبر السرى الذى يتتبع خيوط الحادثة لحل طلاسمها واسرارها وهذا كله إن دل على شىء فإنما يدل على مدى حرص العلماء فى الخارج على معرفة الحقيقة والدفاع عن الأمانة العلمية وعن سمعة العلم والعلماء حتى ولو كان فى ذلك تضحية بواحد من أكبر العلماء الثقات ، وظهرت بذلك عن « قضية بيرت » كثير من المقالات والكتب التى تتبع حياته وأعماله وعلاقاته ومراسلاته ومذكراته للحكم عليه بالادانة أو البراءة ..

● لعب بالحقائق

وقد اختلفت الآراء حول هذه « القضية » لدرجة أن البعض ذهب إلى أنها لا تعدو أن تكون مشكلة أثارها بعض اليساريين من انصار مذهب البيئة وأعداء نظرية الوراثة واستغلوها من أجل بعض المكاسب السياسية عن طريق اللعب بالحقائق والوقائع العلمية واثارة مشاعر الفئات الفقيرة والطبقات الدنيا فى المجتمع ، وظهر على الجانب الآخر من يدافع عن بيرت لدرجة أنه يذكر أنه قابل الآنسة مارجريت هاوارد بالفعل قبل أربعين سنة كاملة ولم ينسى أن يذكر بعض التفاصيل عن شخصيتها وابتسامتها وعيونها العسلية وشعرها الكستنائى المصفف ونظارتها الملونة بلون خفيف خاتج ، ولكن تذكر هذه التفاصيل بعد أربعين سنة أمر يثير الشك فى صدق أقوال صاحبها وجديته وهكذا ..

ومما يؤسف له أن أوراق بيرت كانت قد أحرقت بعد موته ، ومعظمها عبارة عن مذكرات وجداول وأرقام وكشوف إحصائيات واستمارات المقابلات التى كان يجريها من الاشخاص الذين يدرسهم وقد تولت إحراق هذه الأوراق التى كانت تملأ بضعة صناديق مديرة بيته أو على

## حتى العلماء يزورون النتائج



الأصح الشقة التى كان يسكنها بمفرده فى لندن ، لأنها رات أن تلك الأوراق لم يعد لها أية فائدة بعد موت صاحبها ولأن معظم المادة العلمية التى تحتوى عليها سبق نشرها بالفعل ، وهكذا إصبح من العسير إن لم يكن من المستحيل معرفة أسماء الأشخاص الذين قام بيـرت بـدراستهم أو اعمارهم ومستـوياتهم الاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك من المعلومات التى تساعد على معرفة مدى صحة النتائج وسلامة المنهج .

ولكن من الناحية الأخرى لم يكن هناك ما يدل على أن تلك الصناديق التى احرقت كانت تضم اوراقا بها بيانات عن دراسته للتوائم وهى المشكلة التى اثارت عاصفة الشك فى اعماله كلها . ثم إنه كان هناك قدر كبير من المراسلات والمذكرات منذ عام ١٩٥٥ حتى وفاته بالاضافة إلى يومياته الخاصة منذ عام ١٩٥٣ ولكنها لم تكن تحتوى على اية معلومات تكفى للاجابة على التساؤلات التى كان يثيرها العلماء او تبدد من شكوك المتشككين . بل الاكثر من ذلك أن هذه المذكرات تكشف عن أن بيرت لم يقم بأى بحوث عملية بعد عام ١٩٥٥ وان كل المقالات التى نشرها منذ ذلك التاريخ كانت تعتمد على بيانات جمعها فى الحقيقة قبل عام ١٩٥٠ ـ وهو العام الذى تقاعد فيه من جامعة لندن ـ بل إن جانبا كبيرا جدا من هذه البيانات يرجع إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية وإن كان بيرت يعطى فى مقالاته الانطباع انه قام بجمعها فى وقت قريب من تاريخ النشر .. كذلك ليس هناك فى تلك المذكرات ما يشير إلى انه كان على اتصال بأى واحد من معاونيه السابقين كما لم يكن لديه اى مصدر لتمويل اى بحوث جديدة بل ولم يحاول الحصول على تمويل من اية مؤسسة من المؤسسات التى تهتم بالبحث العلمى فى مجال تخصصه مما يدل على انه لم يكن راغبا فى الحقيقة فى إجراء اى بحوث ميدانية جديدة بعد تقاعده من العمل الجامعى ..

ثم كان هناك تلك التناقضات الصارخة فى روايته هو نفسه عن بحوثه على التوائم ، فهو تارة يذكر انه كثيرا ما كان يقوم حتى بعد التقاعد برحلات طويلة لمقابلة إحدى الحالات ثم يعهد بعد ذلك إلى إحدى الآنستين هاوارد أو كونواى بمتابعة الدراسة ، وتارة اخرى يذكر ( حين يطالبه بعض الباحثين بعناوين الحالات التى درسها ) انه كان يكتفى بقياس ذكاء الأطفال اثناء فترة العمل اليومى ( قبل تقاعده ) ولذا فإنه لم يذهب إلى البيوت ولذا فإنه لم يحتفظ بالعناوين ، وهذا التضارب فى الروايات كان من أهم الأسباب التى جعلت الكثيرين يتشككون فى أنه قام ببعض تلك البحوث على الإطلاق او أنه على الأقل لم يكن امينا فى المعلومات والبيانات التى يملأ بها مقالاته وأنه كان يزيف هذه المعلومات إن لم يكن يخترعها اختراعا ..

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : لماذا يلجأ إلى مثل هذه الأساليب من الغش والخداع والتزوير رجل له كل تلك المكانة العالية والسمعة العلمية المرموقة مثل بيرت الذى ظل طيلة حياته وحتى بعد تقاعده من العمل الرسمى فى جامعة لندن محل تكريم وإجلال واحترام سواء فى الأوساط العلمية أو المحافل السياسية والدولية بحيث منحته ملكة بريطانيا لقب ( سير ) تعظيما لشأنه واعترافا ( بخدماته ) وانهالت عليه الدرجات العلمية الشرفية لتكريمه ، كما كان له تلاميذ ومريدون فى كل أنحاء العالم المتقدم ؟

يذهب الاستاذ هرنشو الذى كتب كتابا عن تاريخ حياة سيريل بيرت إلى ان الوحدة القاتلة التى كان يشعر بها بعد إحالته إلى المعاش وامتناعه - أو على الأصح منعه - من الذهاب إلى قسم علم النفس بالجامعة هما السبب - أو على الأقل من الاسباب الرئيسية - وراء كثير من مظاهر هذا السلوك الغريب ، وأن المسألة لا تعدو فى جوهرها أن تكون نوعا من خداع النفس أكثر منها خداعا للآخرين .. فقد كان بيرت ( يريد ) أن يخدع نفسه بأنه لايزال يعيش ويعمل وقد أحاط به تلاميذه ومساعدوه مثلما كانت عليه الحال أيام رئاسته لقسم علم النفس بجامعة لندن ، وأنه لايزال محور مدرسة كاملة ونشيطة من المساعدين والباحثين ، ولذا كثيرا ما كان بيرت يكتب فى مقالاته يقول : « لقد قمت انا وزملائى فى البحث » بعمل كذا أو كذا ، بينما الواقع أنه كان يعيش فى شبه عزلة لايكاد يزوره بعد تقاعده من زملائه وتلاميذه ومساعديه بصفة مستمرة سوى باحثة وزميلة واحدة فقط هى الدكتورة شارلوت بانكس التى كانت تحرص على زيارته مرة كل اسبوع لتناول الشاى معه . وكان بيرت ينتظر زيارتها الأسبوعية بفارغ الصبر بحيث كان يسجل فى مذكراته الخاصة غيابها حين يمنعها مانع من الحضور ، وكان بيرت يحاول التغلب على شدة وطأة الوحدة بكتابة الخطابات . وكثرة رسائله إلى أخته والى إحدى السيدات الصديقات وهى السيدة بياتريس وارد تلفت النظر وكان يعالج فيها موضوعات كثيرة ومتنوعة تتراوح من الفن إلى الموسيقى إلى التاريخ إلى العلم .. وكانت بياتريس وارد تكتب إليه كل يوم رسالة واحدة على الأقل واستمرت ، هذه المراسلات بينهما سنين طوالا .. ويقال ان بيرت كان يكتب ما لا يقل عن ١٥٠٠ رسالة كل سنة اى بواقع أربع أو خمس رسائل فى اليوم الواحد ، وهى فى الأغلب رسائل مطولة كثيرا ما كانت تصل الواحدة إلى عشرين صفحة ..

فهؤلاء المساعدون والتلاميذ الوهميون كانوا إذن نوعا من التعويض عن غياب تلاميذه ومساعديه ( الحقيقيين ) بل ان الأمر وصل به إلى حد أنه كان ينشر فى المجلة التى كان يشرف على تحريرها دراسات ورسائل يكتبها هو بنفسه وينسبها إلى مؤلفين ومراسلين وهميين وكانت هذه وسيلة أخرى يمكنه بها من ناحية توكيد آرائه ونظرياته حتى ولو جاء ذلك تحت اسماء لا وجود لاصحابها ، كما كانت طريقة لجذب اهتمام الناس بإنجازاته وأعماله ، وقد نشر فى المجلة اثناء رئاسته لتحريرها مقالات او رسائل لأربعين كاتبا ولكن من بين هذه الاسماء

## حتى العلماء يزورون النتائج

الأربعين لم يمكن الاستدلال على اكثر من نصفها ، والأغلب أنها أسماء لاشخاص وهميين ايضا وأنه وضع هذه الأسماء الوهمية على مقالات ومذكرات ورسائل قام هو نفسه بتأليفها .. ويبدو أن هذا كان هو الحال بالنسبة للآنستين هاوارد وكونواى ، والظاهر انه كان مضطرا لذلك حتى يمكنه الصمود أمام أعدائه من انصار مدرسة علاقة البيئة بالذكاء ، ولذا كان يشير فى الستينيات إلى بحوث كونواى التى لم تظهر نتائجها بعد ..

وزاد من إحساسه بالوحدة تلك العزلة التى فرضت عليه بإبعاده من قسم علم النفس الذى اسهم إسهاما كبيرا فى تطويره منذ أن تولى رئاسته عام ١٩٣٢ بعد تقاعد عالم النفس الشهير سبيرمان وقد عمل بيرت على تعميق التقاليد السامية التي وضعها الأساتذة العظام الذين سبقوه والتى تقوم على إرساء قواعد البحث العلمى فى مجال القدرات البشرية وملامح الشخصية باستخدام طرق القياس النفسى والتحليل المعملى ، وكان ذلك القسم يعتبر اول مدرسة جادة وناجحة فى البحث السيكولوجى فى بريطانيا ، وقد استمرت رئاسة بيرت لذلك القسم المهم حتى تقاعده عام ١٩٥٠ ، وقد استمر البحث عمن يخلفه فى رئاسة القسم فترة طويلة إذ لم يكن من السهل العثور على شخص يستطيع أن يملأ الكرسى الذى شغله أساتذة من أمثال بيرت وسبيرمان وماكدوجال وغيرهم .. وحين وقع الاختيار فى آخر الأمر على استاذ أمريكى ليشغل الكرسى وقع الخلاف بين الاثنين .. فقد استمر بيرت أستاذا متفرغا بالقسم وأراد الرئيس الجديد أن يدخل تعديلات جوهرية تتعارض مع التقاليد التى وضعها الاساتذة السابقون فيما يتعلق بالدراسة والتدريس والبحوث وكان لابد من الصدام بين الاستاذ وخليفته فى الرياسة والإدارة .. وكان لابد أيضا من أن يخرج الأستاذ ويترك الأمر لمن بيده السلطة الفعلية حتى وإن لم تكن له نفس المكانة العلمية ، ولم يكن بيرت من الاشخاص الذين يتقبلون حقائق الحياة المريرة بسهولة أو ينظرون إلى الواقع نظرة فلسفية تخفف من هذه المرارة .. وقد كتب بيرت فى إحدى رسائله الى بياتريس وارد بعد ذلك بسنوات طوال ( يوم ١٠ يوليو ١٩٥٩ )

يقول : « إن الاستاذ الأمريكى الذى خلفنى فى كلية الجامعة كان واحدا من الاساتذة الذين يعتقدون ان الدراسة الصحيحة للانسان تكون عن طريق دراسة الفئران ولذا فإن معظم العمل فى مجال علم نفس الفرد الانسانى انتقل إلى معهد التربية » .. وشعر بيرت ان القسم قد فقد وزنه واهميته ومكانته وحين استقال الاستاذ الأمريكى عام ١٩٥٧ وعاد إلى وطنه كان بيرت يأمل فى ان يعود القسم إلى سابق عهده وأن يسترجع هو نفسه مكانته المفقودة . ولكن الزمن كان قد تغير

وانساق بيرت وراء أوهامه وتخيلاته عن البحوث الجديدة التى يقوم بها عن التلاميذ والمساعدين الذين يحيطون به حتى يثبت لنفسه وللناس أنه لايزال يملك ناصية الزمن ..

## ● تناقض غريب !

ومهما يكن من شىء فلقد كان بيرت كما يقول عنه أحد العلماء الذين عرفوه وكتبوا عن حياته وانجازاته يجمع فى شخصيته بين القوة المثالية والضعف المتناهى وأنه كان يبعث فى الآخرين الاعجاب والاحترام والشك وعدم الثقة فى وقت واحد ، فكان البعض يرفعون من شأنه ويعظمونه ويرهبونه كما لو كان إلها على حد قول أحد تلاميذه السابقين ، بينما كان البعض الآخر يرونه إحدى قوى الشر المدمرة وقد يكوْن من الصعب التوفيق بين كل هذه المتناقضات إلا عن طريق التغلغل فى أعماق تكوينه النفسى واخضاع عالمه النفسى للتحليل النفسى . ولكن الذى يهمنا هنا هو ذلك الدرس الذى يجب أن نخرج نحن به من هذه القصة ونحن نناقش الآن على نطاق واسع فلسفة وسياسة التعليم الجامعى فى مصر ومستقبل هذا التعليم والدور الذى يقوم به علماؤنا فى حياة المجتمع وإسهاماتهم فى البحث العلمى والإنجازات الحقيقية التى انجزوها بالفعل فى مجال البحوث ، فالتزييف والتزوير والخداع والتلفيق فى البحوث العلمية أمور تحدث فى كل مكان ، وتاريخ العلم ملىء بمثل هذه الحالات .. ولكنهم فى الخارج لايتركون هذه الحالات تمر بغير فحص ودراسة ومتابعة ومساءلة حتى يحفظوا للعلم كرامته وللعلماء هيبتهم ..

ولكن ماذا يكون الشأن ياترى لو أننا أخذنا انفسنا بمثل هذه الجدية التى يأخذ الناس انفسهم بها فى الخارج وأخضعنا حياة علمائنا - أو بعضهم على الاقل - وأعمالهم وبحوثهم وكتاباتهم للفحص فى ضوء معايير الأمانة العلمية والقواعد المنهجية الدقيقة ؟ قد تكون النتيجة قاسية .. وقد تسقط بعض الأسماء اللامعة وتتأثر مكانة بعض الاساتذة والعلماء الذين يحظون بالاحترام الزائف ممن لايعرفون حقيقة الأمور . ولكن هذه المواجهة خطوة مهمة وأساسية لاصلاح مسار البحث العلمى والسير فى الطريق الصحيح ..

الهوى

قال العلماء : الهوى أنواع ، أوله العلاقة ، وهو الشىء يحدثه النظر والسمع فيخطر بالبال ، ثم ينمو فيقوى فيصير محبة ، والحب اسم مشترك يجمع ضروبا من ميل النفس كحب الولد والمال ، ثم الهوى ، ثم المودة ، ثم الصبابة ، ثم العشق ، ثم الوله ، والهيام ، والتتيم ، وهو أرفع درجات الحب [illegible]

# العالم في سطور

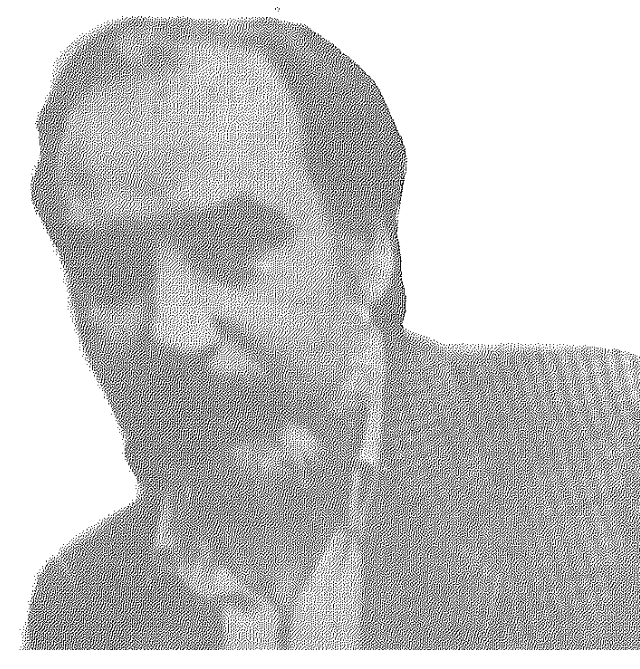


مراكش

## ● البنت أحمد ... تفوز بجائزة جونكور ١٩٨٧ ●

لا شك أن رواية « ابن الرمل » للكاتب المغربي المعروف الطاهر بن جلون هي أفضل أعماله على الاطلاق .. بل هي احدى الروايات العربية البالغة الاهمية التى ظهرت في السنوات الاخيرة • في هذه الرواية تغلغل الكاتب داخل بيئته التى رضع منها منخلال حكايته احمد ابنالتقاليد العربية التى تفضل الولد على البنات .. فبعد سبع بنات قرر أبوه أن يكون الوليد القادم غلاما حتى لو

● الطاهر بن جلون



جاء فتاة • وولدت الفتاة • وكان على الجميع أن يعاملها كولد وأن تسلك حياة الرجال .. وأن ينادونها باسمها الذى عرفت به وهو « أحمد » .. وقد صاغ الطاهر بن جلون هذه الروايه في أسلوب ملحمى رقيق وكان من المفروض أن ينال عنهما جائزة جونكور عام ١٩٨٥ لولا انحياز الاوساط الادبية الفرنسية لروايات أخرى •

يبدو أن تأثير « أحمد » وتجربته الغريبة على الكاتب كانا قويين • فلم يؤثر بن جولون أن يترك هذه التجربة المخصبة دون اعادة كتابتها في صياغة جديدة • وهى أن تقوم الفتاة « أحمد » بالحديث بنفسها عن هذه التجربة وذلك في روايته الجديدة « الليلة المقدسة » التى حازت في الاسبوع الماضى على جائزة جونكور أهم جائزة أدبية في أوربا حيث تعرف مدى المعاناة التى عاشتها هذه الشخصية من خلالها قيامها بقص الوقائع التى عاشتها منذ أن ولدت مزدوجة الشخصية • انا طفلة مقنعة حسب ارادة أبى الذى كان يشعر بالعار والخزى لانه لم ينجب ولدا كما تعلمون فانا هو الغلام الذى طالما حلم به .. اما الباقى فلعلكم تعرفونه •

ومثلما حظت روايته السابقة على اعجاب النقاد والقراء • فان « الليلة المقدسة » تحقق الان نفس الصدى • لدرجة أن أحد النقاد اعتبرها أهم الروايات العالمية منذ رواية « أورلاندو » للكاتبة الانجليزية فرجينيا وولف •

## باريس

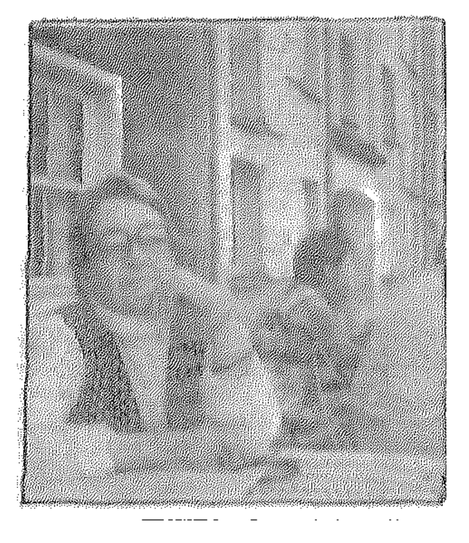
### ● مرجريت : عود على بدء .

أديبة شابة فى الثالثة والسبعين من العمر .

هذا هو حال الكاتبة المعروفة مرجريت دوراس ، ليس فقط منذ أن حصلت على جائزة جونكور فى عام ١٩٨٤ عن روايتها « العاشق » التى وزعت عشرة ملايين نسخة ، ولكن لانها تجدد نفسها مع كل عمل جديد سواء كان رواية تقوم بتاليفها أو مسرحية أو فيلما تكتب موضوعه وتخرجه .

هذه الظاهرة يمكن ملاحظتها بسهولة مع روايتها الاخيرة « أميلى ل » التى قيل أنها محاولة للعودة الى البدايات التى شهدها أدب الكاتبة فى أوائل الستينيات مع روايات من طراز « هيروشيما حبى » و « موديرا ستو كانتيبل » .وهى أعمال مزجت بين السرد التقليدى وتجريبية الرواية الجديدة . ففى روايتها الجديدة تتحدث الكاتبة حول مدينة كيلبوف الواقعة على نهر السين والتى تصلح أن تكون ميناء بتروليا . بل وكما تقول الكاتبة مدينة للحج الادبى ..

ومن خلال هذه المدينة ترصد مرجريت فى روايتها القصيرة - نسبيا - وقائع الحياة اليومية التى يعيشها الناس ليلا ونهارا . الوحدة واللقاءات الحميمة . والحنين واللقاء . وكشأن كل ميناء . فان المدينة تصبح رصيفا يلتقى فيه العابرون والغرباء القادمون من كل فج عميق . البحارة . وعمال النقل . وبنات الليل . فهناك مثلا امرأة تنظم قصيدة عاطفية وهى جالسة فى احدى حدائق المدينة . وبحار انجليزى اعتاد الحضور الى المدينة . وبحارة اسيويون أعتادوا رؤية المياه الحالكة لكثرة رحيلهم فى الليل .



● مرجريت دوراس

والمدينة عند مرجريت دورا أشبه بديكور المسرح الذى يجمع داخله مجموعة من الاشخاص لا يمكنهم الحركة الا فى اطاره . لكنه مع ذلك هش يمكن تغييره دائما بين الفصول .

## فينيسيا

### ● الهستريا .. والطبيعة .. والمسرح ..

جاءت مدينة فينسيا بأدبها وحضارتها وتاريخها الى باريس من خلال مهرجان الخريف المسرحى . حيث عرضت مجموعة من المسرحيات التى تتناول مظاهر الحياة فى مدينة الجندول . من هذه المسرحيات « الخادمة العاشقة » للمؤلف المعروف كارلو جولدونى وهى احدى المسرحيات

القليلة للكاتب التى ندر ان عرضت فى ايطاليا نفسها · حيث تتشابه احداثها مع مسرحية « مريض بالوهم » لموليير · وفى هذه المسرحية يتحدث الكاتب عن الجو الاجتماعى لفينسيا من خلال ما يدور فى قاعة مليئة بالاثاث المتراكم · والعلاقات الاجتماعية المتضاربة بين أسرتين يحدث بينهما شجار دائم بسبب تعصب افراد كل منها للمفاهيم الاجتماعية التى تعتنقها فى مدينة يغلب عليها الطابع المادى مما يبرز انانية الافراد وسيادة مصلحة الفرد ·· مما يزيد من حدة الضجيج وتداخل الحوار وتراكم الاثاث ·

من المهم ان نشير الى ان جولدونى قد امن بالمذهب الطبيعى الذى ينادى بتقليد الطبيعة فى كل أشكالها التى تمزج الهستريا السوداوية المضحكة كاشفا عن رغبة الافراد فى حب التملك · والميل الى النزاع هربا من الوحدة والفقر ·

اما المسرحية الفينسية الثانية فهى مسرحية « مدينة البندقية » التى اخرجها المخرج لوقا روتكونى بعد غياب عن خشبة المسرح استمر اثنى عشر عاما ومن اهم مسرحياته « حديقة الورد » عام ١٩٧٥ · ومسرحية « شكسبير » التى اخرجها بالمشاركة مع الممثل المعروف فيتوريو جاسمان ·

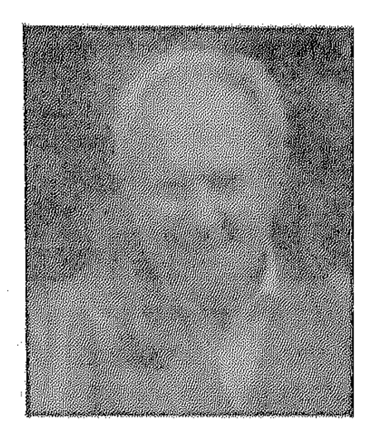
ويعتمد روتكونى على احداث الاضحاك فى ادخال شخصياته المختلفة الى عالم الاقدار الغامض وشلهم عن كل تفكير سليم وعن كل تصرف حكيم مدروس · مما يؤدى الى تحجر المشاعر · ولوكا هو احد المخرجين الذين لا يقرأون النصوص للاستمتاع بالحبكة وانما لملاحظة احتمالات تلاعب الالفاظ الغير صحيحة التى يمكن للممثل ان يحرف بها الكلمة ·

## الفاتيكان

### ● امرأة فاتنة ·· فى القرن السادس عشر

استطاعت « المعبودة » ان تعيد الكاتب المعروف روبير ميرل الى حظيرة التاريخ مرة اخرى من خلال حكايات متعددة تدور فى الفاتيكان فى القرن السادس عشر ·· بعضها حول المناورات الكبرى لاختيار بابا جديد ·· والبعض الاخر عن نساء يتمتعن بحس قوى عشن فى هذه الحقبة من التاريخ · وخاصة معبودة الرجال فيتوريا كورامبونى التى كم دعتها الزوجات أن تترك ازواجهن فى احوالهم · وسميت بالشيطانة البيضاء · لقد اصبحت هذه المرأة دوقة وقور على الكثير من رجال المجتمع أن يحنى هامته امامها · والمرأة ليس لها ذنب فى كل ما يقترف من اثام فيما حولها · فهى بالغة الحس مثيرة للفتنة · وكم تمنى الرجال مشاركتها سريرها بعيدا عن الزواج ومن هنا تولدت المشاكل وتدفقت المتاعب ·

· روبير ميرل هو احد الكتاب المعاصرين ( ٨٦ عاما ) الذين جربوا



● روبرت ميرل

الكتابه في العديد من الانواع الادبية .. وقد عرف أكثر من خلال رواياته التي تنتمي الى كل من أدب الخيال العلمي · وأدب الخيال السياسي .. ففي روايته « يوم الدلفين » يتحدث عن استخدام حيوان الدلفين في الاغراض السياسية لوكالة الاستخبارات الامريكية · أما روايته « مالفيل » فيتحدث فيها عن الصراع بين مجموعتين من البشر بقيتا على قيد الحياة عقب انفجار ذرى · فكررتا نفس أشكال الصراع الانساني الذى كان بين البشر قبل هذا الانفجار ·

كما سبق لميرل ايضا كتابة كل من الرواية التاريخية والواقعية ·وظهرت العديد من رواياته في السينما الامريكية والفرنسية ·

هوليوود .. برلين

## ● ١٩٨٧ .. تساقط اوراق الشجر

ترى ما هي اهم ملامح الثقافة العالمية التي عرفت خلال عام ١٩٨٧ الذى ينصرم بين أناملنا خلال ايام ؟

لا يمكن رصد كل هذه الملامح في سطور قليلة · لكن لو بدأنا بالسينما مثلا فان ادانة التورط الامريكي في حرب فيتنام كانت أهم سمات سينما ١٩٨٧ من خلال فيلمين نال أحدهما اكبر عدد من جوائز الاوسكار هذا العام وتم ذبحه على مدى اسبوعين في القاهرة وهو « بلاتون » لاوليفر ستون · أما الثاني فهو « السترة المعدنيه » الذى عاد به ستانلى كيوبريك الى السينما بعد انقطاع دام ثمانيه أعوام ·

في الفن التشكيلى كانت الفضيحة التي التصقت بالفنان الاسباني جويا كفيلة باعادة كشف حسابات الفن التشكيلى كله على مدى عصوره··فقد اكتشف أحد الباحثين أن العديد من لوحات جويا ليست من ابداعه .. وانها لا تحمل سوى توقيعه ·

أما ابرز الكتب فهو رواية « حكاية الأميرة الميتة » للاميرة التركية كنيزة مراد والتي تتصدر المبيعات ـ انظر الهلال اغسطس ١٩٨٧ ـ منذ أربعة اشهر في كل دول اوروبا وهناك أيضا رواية « الفأرة » للكاتب الالماني جونتر جراس التي ترجمت فور صدورها الى عشرات اللغات · ولا شك ان جراس هو أديب هذا العام ـ بعيدا عن برودسكى وجائزة نوبل المشبوهة ·

لم يكن عام ١٩٨٧ هو عام المسرح في العالم · رغم كثرة العروض التي عرضت فوق خشبات المسرح · وذلك لعدم وجود نص جيد جديد · او كاتب موهوب له نفس العطاء لكتاب موهوبين تتساقط أوراق شجرتهم الواحد تلو الآخر ..

وبمناسبة تساقط أوراق الشجرة فان الاوراق التي تساقطت عام ١٩٨٧ من الفنانين كانت اكثر من تلك التي تساقطت في كل الاعوام السابقة ·



# الطفل ومخاطر التخدير الالكترونى

بقلم: محمد فتحى

**رغم محاولات عديدة ومكثفة للاهتمام بالطفل العربى ، تظل احوال هذا الطفل ابعد ما يكون عن الصورة المأمولة ..**

**ولان الطفولة تعدم المقومات التى تتيح لها مكان بين جماعات الضغط التى تستطيع ان تفرض احتياجاتها ظل الطفل مجرد مناسبة سنوية على خريطة اهتمام المجتمع .. ورغم ماساوية مثل هذا الامر ، لان الحديث يدور عن مستقبل الامة الذى يجب ان يكون شاغلنا فى كل لحظة ، لاباس من انتهاز الفرصة للتذكرة ببعض المخاطر التى تعوق نموهذا الطفل فى عصر الاتصال الالكترونى .**

يعيش الطفل اليوم فى أسرة ربها غارق فى العمل وربتها هالكة فى « صنع الفطائر » بينما يقف على رأس اهتمامات مربيها ( وكيل وزارة التربية والتعليم فى التعامل مع الطفل ) أمور أبعد ماتكون عن التربية والتعليم . وناهيك عن أن ذلك يضطر الاطفال الى « الاعتماد على أنفسهم » بشكل متزايد قبل أن يمتلكوا أدنى مقومات يحتاجها هذا الاعتماد، فانه يعزز من قبضة التلفاز الجبارة على مجمل وجودهم ، بعد أن صار صاحب « أرخص ليال » فى عصر الاتصال الاكترونى ..

لقد بات من مسلمات العصر أن يقضى الطفل أمام التلفاز وقتا يزيد

على الوقت الذى يقضيه فى اللعب او المدرسة ، بل وحتى مع والديه . ومع تنوع البرامج والقنوات ، وامتداد فترات الارسال ، وانتشار رفاق التلفاز الموقرين ( الفيديو والاتارى و ... ) فان المتوقع هو تزايد وقت «الصحبة» باطراد ، بالذات بعد أن دخل الامر فى عمومه مرحلة الادمان ..

وحتى ندرك ابعاد وجذور هذا الادمان ما علينا الا أن نقرأ قول بعض الدارسين المتخصصين بأن الحركة واللون على الشاشة باتا يجذبان الطفل الرضيع أكثر مما يجذبه وجه أمه !!

## ● المخدرات الالكترونية

وليت الامر يكون ادمانا لمتعة راقية كما قد يلوح للبعض لكن الدراسات العلمية أكدت ، بما لا يقبل الشك ، تأثيرات سلبية عديدة لمثل هذه المتعة الموهومة ..

لقد تبين أن مجرد متابعة ما يجرى فى التلفاز ، بصرف النظر عن مضمون هذا الذى يجرى ، يؤثر على كيفية عمل دماغ الانسان ، ويدخله طورا من أطوار البلادة والكسل ( أمر يقاس بتسجيل تموجات وذبذبات نشاط الدماغ ) . وتؤثر هذه الحالة على حاسة الانسان الانتقادية ، ان كانت مثل هذه الحاسة قد تشكلت لديه اصلا ، وتجعل راحته فى مواصلة قبول ما يجرى أمامه دون تمحيص ، وبصرف النظر عن ردود الفعل الضارة المرجاة ، التى ربما حار الانسان فى أسبابها حال ظهورها .

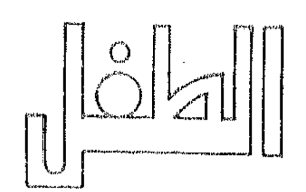
وان كانت هذه حال انسان كبير ناضج فللقارىء أن يتصور حال طفل أخضر العود فى طور التكوين ..

ولا يهمنا هنا التفصيل بصدد الاسباب الفيزيائية والفسيولوجية لمثل هذه الحالة بقدر ما يهمنا التأكيد على ما أثبتته الدراسات من تأثير «مخدر» بكل معنى الكلمة ، ينتج عن ادمان الانسان للتعامل مع هذه الوسيلة الاتصالية ..

واذا تخطينا هذا التأثير العام المغيب لوجدنا فى الابحاث العلمية تأكيدات متكررة على ما يسببه الادمان التلفازى من تدهور فى أداء العين ، وعلى التأثيرات الضارة للاشعاعات الصادرة عن الجهاز العجيب . وناهيك عن التأثيرات المرجاة التى لا تحصى للمتو ثبت بما لا يقبل الشك أن الادمان يورث الكثيرين الصداع والارهاق والارق ناهيك عن القلق والاثارة العصبية ..

ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض الدارسين يرجعون ظاهرة تسارع النمو، التى يشهدها أطفال العالم اليوم ، الى تزايد مثل هذه الاشعاعات.. وتسارع النمو البدنى أمر يختلف عن تحسين النمو ذلك أن أكبر وأبكر لا تعنى أفضل الا بقدر ما تكون تغلبا على ظروف تعوق النمو الطبيعى، لكنها تعد تطورا سلبيا ان جاءت نتيجة لمثيرات زائدة عن الحد .. وقد بينت التجارب التى أجريت على نمو النباتات أمام شاشة التلفاز تسارع نمو هذه النباتات ، بمعدلات ناهزت ٢٥٠٪ (!) من معدلات نمو مثيلاتها فى الظروف العادية .

ولا يمكن أن نتجاوز ، ونحن نتحدث عن التأثيرات السلبية لادمان الجلوس أمام التلفاز ، أن ذلك يحرم الطفل من الحركة واللعب اللذين يحتاجهما نموه البدنى أيما حاجة ، وذلك بالاضافة الى حرمانه من استخدام يديه وأجزاء جسده الاخرى ، الامر الذى أكدت الدراسات على تأثيره الكبير على تنامى مداركه ، كما يحرمه الصحبة الخلاقة مع أترابه ، وهى من الاحتياجات الماسة لنمو الطفل نموا سويا .. علاوة على حرمان الطفل من الجو والتوجيه




الاسرى ، لغرق كبـــــار الاسرة فى مسلسلات التلفاز ولياليه المـــلاح .. وذلك ناهيك عن اضرار عاطفية جمـــة تصيب الطفل ، ولا تلبث أن تؤثر على قدراته الذهنية ، ذلك أن الادمـــــان التليفزيونى يقود الى تضييق دائـــرة العلاقات العامة ( الجيرة مثلا ) بـل والعلاقات العائلية للأسر المختلفة، مما يصعب كثيرا على الطفل التعامل مـع الغرباء والاندماج فى تجمعاتهم .

**● اغتيال عالم الطفولة**

والتطرق الى تاثير مضامين الاعمال التليفزيونية يمكن أن يفتح البـــاب لحـــديث بلا نهاية لهذا لا بـأس من الاقتصار على بعض الخـــطوط الاساسية والاشارات ذات الدلالة ..

ان الاهتمام بالطفل على النحـــو الواجب مهمة يستحيل انجازها الا فى مجتمع متحضر بكل معنى الـــكلمة ، قادر على ادراك مسئولياته غير الآنية وغير الملحة ، وعلى التضحية فىسبيل الوفاء بها . ذلك أن الاطفال يفتقدون الى أى مقومات تتيح لهم مكانا بيـــن جماعات الضغط التىتفرض احتياجاتها، علاوة على أن هذه الاحتياجات مهمـة الكبار وهى مهمة ليست بالسهلة .. ويساهم ذلك كله فى الدنو باحتياجات الاطفال الحقيقية الى آخر بنود قائمـة أولويات المجتمعات المأزومة ..

والنتاج الفنى المخصص للاطفـــال ليس استثناء من هذا الوضع العام ، واذا أخذنا بعين الاعتبار ما يحتاجـه من دراسة مسهبة لعالم الطفل النفسى والعقلى وبكل ما تتطلبه من تكاليف ، لادركنا درجة التردى التى يرزح فيهـا هذا النتاج ، وحتى حين يلجــأ الى الاستفادة من وسائل تثقيف وتسـلية الطفل فى الخارج ، يساعد المناخ العام، على أن يتركز الاهتمام عـلى أســوأ ما فى هذا النتاج الاجنبى .

ويساهم ذلك كله فى تقليص عمـــر البراءة واغتياله ، ويجد الطفل نفسه غارقا ، من خلال التلفاز والادمان على المشاهدة لساعات طوال ، فى عالــم الكبار ومشاكلهم ، وان كان ذلـك فى حد ذاته تشويها لنمو الطفل فان طبيعة ما يقدم الى عالم الكبار يزيد من جرعة التشويه ، بالذات اذا أخذنا بعيـــن الاعتبار مما يهدد احساس الطفل بالامان وما فيه من ســـلوك عدوانى وعنف ودغدغة للغرائز ، ومـــع مراعاة أن الطفل يدرك العالم بطريقة مختلفة تماما عن عالم الكبار ، تضيع فيها الحدود بين ما هو عام وما هو خاص وبيـن الواقع والخيال و ...

**هذا ولا يمكن هنا اغفال تاثير عالم الاعلانات شكلا ومضمونا ، بكل مـــا يكرس فيه من وسائل الجذب والابهار، الذى نال أصلا حظا لم ينله بحال آخر من الدراسة « العلمية » .. لا يمكـــن اغفال تاثير هذا العالم على الطفـــل الاعزل ، وبالذات مع اكتشاف المعلنون قيمة الطفل كوسيلة الى جيب الاسرة.**

ولا أعتقد أنى فى حاجة الى تفصيل فى القول حول رفاق التلفاز الجدد مثل الفيديو والاتارى و ... فهم فىالاغلب متصلين به ، ناهيك عن انه من بينهم أدوات ( كالفيديو ) توســــع دائرة المسموح به **فتدخل الى عالم الطفـــل جرعات أكبر وأكثر فحشا من مضامين العنف والجنس والمخدرات .. لكـــن توجد مجموعتان من الاعتبارات يحسن الا نتخطى الاشارة لهما ..**

الاولى أنه اذا كان من المقطوع بـه

ان العاب « الاتارى » والكمبيوتر تعود الطفل على مهارات صارت من ثوابت العصر ، وتحث فيه قدرات التركيـــز والتحكم ، وربما سرعة البديهــــــة والتصرف فانه من المقطوع به أيضـــا أن ادمانها يورث الكسل ويضر بالبصر ويضيع وقت الطفل دون أن يفيده بدنيا أو ذهنيا ..

والثانية تخص تاثيرات التوسع فى جرعات العنف والجنس وتناول المخدر .. وعلى الرغم من أنى لست منأنصار ابراز وبروزة الجرائم الغـــريبة التى راحت تطرق باب المجتمـــــع المصرى اخيرا فان اغفال نصــــــيب الحث « التلفازى » فى ذلك ناهيك عن دلالاتها والافاق التى تفتحها أمام مجتمعنـــا ، بالذات مع ما ثبت من أن شخصـــية الطفل « تتحلل » مثلا مع كل مــــرة يشاهد فيها حادث عنف ليصبح اكثـــر تصالحا وتقبلا للعنف ..

## ● الاطفال العباقرة

ان ادمان التعامل مع الصـــناديق الالكترونية يمكن أن يؤدى الى تمـــادى قطاعات من الاهالى فى تصورات حول تفرد قدرات أطفالهم ، ومن ثم دفعهــم بل والالحاح على مطالبتهم بانجـــازات تتجاوز القدرات الحقيقية للطفل ،ذلك مع العلم أن واقع الاباء المحيط يشجع على هذا ، وهنا تكمن خطورة رأينا الا ننهى موضوعنا دون التطرق اليها .

ولا يسعنى هنا الا أن أستعين برأى عالم له باع طولى فى الاهتمام بشئون الطفل هو الطبيب الامريكى بنيــــامين سبوك حول خطورة ذلك . يقول سبوك: « ان التاكيد على المباراة الشرسة فى سبيل التفوق يضر كثيرا بقيم مثـــــل التعاون والتكافل والتعاطف والتحـــاب والوئام .. وهذه كلها قيم يحتاجهـــا الانسان اكثر من المبـــاراة .. وانـــا مستاء على سبيل المثال من الطريقـــة التى يجرى بها تدريب الاطفــــــال فى مجال الرياضة ، ويثير دهشتى بدرجة أكبر ما يبديهالآباء من اهتمامبالقدرات « العبقرية » التى يكتشفونها فىأطفالهم .. فهناك آباء ما أن يسمعوا أن أطفالا يقرأون وهم فى الثانية حتى يصيحوا: يا الهى ان علينا الاستعانة بالوسائل التى تتيح لاطفالنا القراءة فى هــذه السن أيضا . وذلك دون أن يطرحـوا على أنفسهم أسئلة أكثر أهمية : عمـا اذا كان هذا التبكير يجعل من الطفــــل قارئا أفضل ؟ وعما اذا كانت هناك أية ميزة لتعلم الطفل القراءة فى الثانيـة بدلا من السادسة ؟.. ان ذلك يضـــفى ضروبا من التوتر والاجهاد الضــــارين بالنسبة للطفل ..

وغنى عن القول الدلالة البالغة لان تاتى مثل هذه الدعوة من المجتمــــع الأمريكى بما يتسم به من ايمـــــان وتكريس للمباراة ، وأن تجىء مـــــع دعوات بضرورة أن يربى الطفل عــلى الاحساس بوجود مشاكل كثيرة لــدى جيرانه ، وضرورة المساعدة فى حــل هذه المشاكل ..

وان كان من الصحيح أن الطفل بما يتسم به من مرونة قادر على تحمـــل جرعات أكبر منالاجهاد ، فانالدراسات العلمية اكدت أيضا ان طفلا من هـــذا النوع يكون اكثر عصبية واكثـــــــر خشونة وأكثر عدوانية بل وشرها ..

**وذلك كله لا ينفى بالطبع أن التلفاز ورفاقه ( الفيديو والأتارى .. ) مـــن سمات العصر وأن الاستيعاب السـليم لعالمهم ـ بل وتقبل بعض مضـــارهما كضريبة ـ ضرورى ومفيد . لكن المهم أن نفعل ذلك فى اطار تصور صحيح ، وبفهم وادراك وعن معرفة لا كمجــرد غرق فى موضات أو صرعات ، وفى جو من التباهى المريض .**

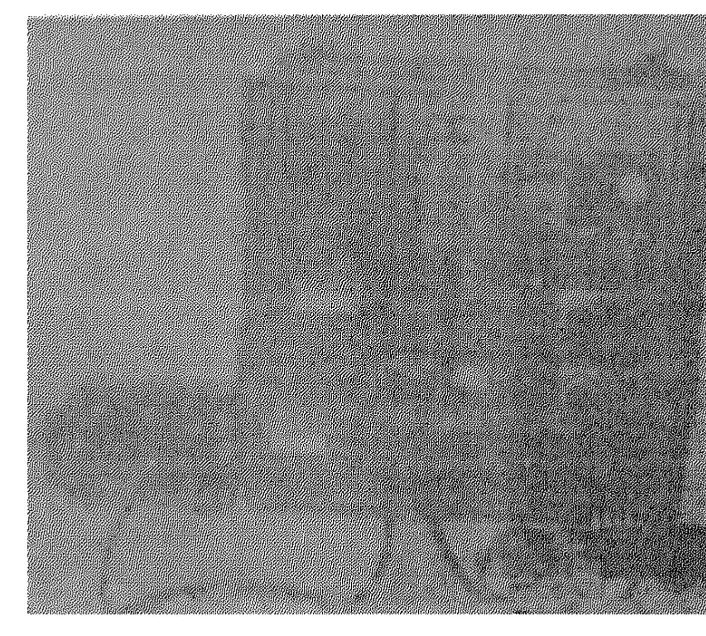



## ● مصر تنتج السلاح

شهدت القاهرة خلال الفترة من ٩ الى ١٣ نوفمبر معرض القاهرة الثانى لمعدات الدفاع .

ولم تعكس المعروضات المصرية « كم » الاسلحة التى تقوم مصر بتصنيعها بنفسها او بالاشتراك مع الغير فقط وانما بينت أيضا « الكيف » والمستوى

الصناعة السلكية واللاسلكية ، احدى ثمار التصنيع الحربى .



التكنولوجى الذى وصلت اليه ، بعد ان جارت الوجهة العالمية فى تصنيع السلاح وترسخت فلسفة تصميم «نظم الاسلحة» وبما يتماشى مع العقائد القتالية للجيوش العربية ، والظروف الجغرافية والمناخية لمنطقة الشرق الاوسط وافريقيا ، الى جانب تطوير القاعدة التكنولوجية للصناعات الحربية ..

وتقوم مصر وفق ما انعكس فى هذا المعرض بانتاج جميع انواع الذخائر والاسلحة الخفيفة والمدافع والهاوتزرات المجرورة او ذاتية الحركة ، وصواريخ الميدان ومنها الصاروخ المضاد للدبابات « سوينغ فاير » ، والعربات المدرعة وعربات الجيب ونظم الاتصالات السلكية واللاسلكية ، وبعض معدات الحرب الالكترونية والحاسبات ، وذلك بالاضافة الى صاروخ « عين الصقر » المضاد للطائرات ، ونظامى الصواريخ «سيناء» و « النيل » للدفاع الجوى ، واجهزة رادارات الدفاع الجوى ثنائية الابعاد ، ولنشات صواريخ اكتوبر ، والطائرة الهليكوبتر « جازيل » ، وطائرة التدريب « توكانو » والطائرة « الالفاجيت » ، علاوة على الطائرات الموجهة بدون طيار ..

وتقود انتاج السلاح المصرى الهيئة القومية للانتاج الحربى والهيئة العربية للتصنيع معتمدة على قاعدة واسعة من الصناعات الثقيلة مثل صناعة الحديد والصلب والدرفلة .. ، ناهيك عن الصناعات الاستراتيجية ..

## ● الرجال يلدون اطفالا

منذ سنوات وقضية ولادة الرجال للاطفال مطروحة على الاوساط العلمية .. لكن القضية دخلت منعطفا جديدا

أخيرا مع اعلان قصير فى مجلة أمريكية جاء فيه : « مؤسسة علمية أمريكية تبحث عن رجل يتسم بالمسئولية ، مفعم بمشاعر الامومة .. يفضل أن يكون ضخم البطن .. مع العلم بأن المؤسسة ستدفع لمن يقع عليه الاختيار تعويضا مجزيا عن امومته ... نرجو ارسال عنوانك وصورتك الى ص٠ب رقم ... »

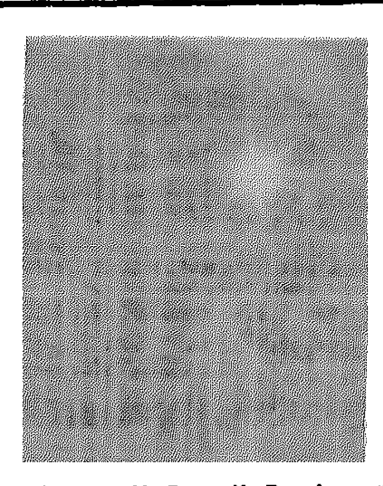
وقد بدأت حكاية التفكير فى حمل الرجل اثر عملية ولادة غريبة تمت عام ١٩٧٩ فى نيوزيلنده حيث وضعت سيدة ، كان قد استئصل رحمها ، طفلة طبيعية ، مما جعل الجدل يحتدم حول أهمية الرحم فى عملية الولادة ، بالذات وقد أمكن حصر ما يزيد على عشرين حالة حمل خارج الرحم ..

وأسفرت دراسات العلماء عن أن الجنين كائن مستقل يستطيع أن ينسج ما يحيط به من الاغشية التى تمده باحتياجاته وذلك فى أى موضع ثرى بالغذاء والدماء ، ودون اعتماد على ما يفرزه مبيض المرأة من هورمونات..

وعند هذا الحد رأت بعض الاوساط العلمية أن الظروف والضمانات اللازمة لاتمام الحمل فى البطن ، بصرف النظر عن كون الحامل رجلا او امرأة قد اكتملت · وان كانت حالات الحمل خارج الرحم جاءت نتيجة لقاءات طبيعية فان حمل الرجل لن يتم الا على يد الطبيب من خلال عملية جراحية ..

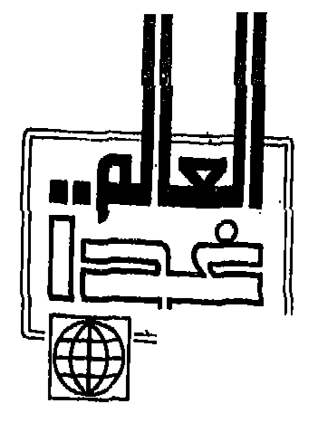
ويرى عدد من الاطباء عبث هذه المحاولة فوجود الرحم ليس عبثا ، والحمل فيه من سنن الحياة التى لا يمكن تجاوزها وأبسط دليل على ذلك زيادة احتمال حدوث النزيف القاتل للحامل عند فصل غشاء الجنين عن الامعاء ، عند الوضع ، ناهيك عن احتمال حدوث النزيف خلال فترة الحمل فوزن الطفل والاغشية التى تحيط به تتجاوز العشرة كيلو جرامات.. وبالطبع فان الاتجاهات التى تعارض مثل هذه الخطوة انطلاقا من الاعتبارات الاخلاقية والاجتماعية أكبر بما لا يقاس ..

## ● اوربا وانتاج الدماغ البشرى



كلفت لجنة التقنية التابعة للسوق الاوربية المشتركة ، فيما يعرف بمشروع « براين » ، عددا من المتخصصين فى الحاسبات الالكترونية ومعالجة المعلومات بوضع برنامج خاص لانتاج « سوبر كمبيوتر » قادر على الاطلاع ، والفهم ، واصدار الاحكام ، واتخاذ القرارات .. أى على أن ينوب تماما عن الدماغ البشرى · وتجيء هذه الخطوة الاوربية كرد فعل للمشروع اليابانى الكبير الخاص بانتاج ما يعرف بالجيل الخامس من الحاسبات الالكترونية أو « الذكاء الصناعى » ·

والحاسب الذى يسعى اليه الاوربيون وراء اليابانيين ليس ضربا من الخيال فهناك حاليا حاسبات تتمتع بهذه القدرة أو تلك من قدرات العقل البشرى اذ توجد الحاسبات التى تسعى الى التفوق على الانسان فى العاب فكرية مثل الشطرنج، كما أن هناك أنواعا منها قادرة على الافادة من تجاربها السابقة ( أى






التعلم ) بحيث تعدل من برامجها ( فى لعب الشطرنج ) على ضوء النتائج التى تحققها · هذا كما أن هناك حاسبات قادرة على الرؤية بل والتعرف على الحروف المكتوبة وخط الانسان والكلام المنطوق وذلك كله بالاضافة الى الانظمة الخبيرة التى تهتم بهذا الحقل أو ذاك من حقول النشاط البشرى ويمكنها أن تصل الى الاستنتاجات الخاصة بتشخيص مرض أو تحديد نتيجة لاعمال التنقيب عن الثروات الطبيعية ..

**وكل هذه انجازات تقرب من انجاز المهمة المطروحة وتبين عدم استحالتها وهكذا لن تمضى سنوات الا وستظهر فى الاسواق العقول الالكترونية الذكية بعد الحاسبات الماهرة ..**

## ● السكن فى كبسولات

مع الاقبال العالمى المتزايد على شراء مكاتب فى مدينة طوكيو ، احدى أغنى عواصم العالم واكبرها ، والى جانب انخفاض نسبة المبانى الجديدة ، صار من المتعذر أن يجد المرء منزلا أو حتى شقة سكنية فى ربوعها ولهذا انتشر أخيرا نمط مستحدث من المسكن وهو كبسولات يقل طولها عن سبعة أقدام ولا يتجاوز عرضها وارتفاعها خمسة أقدام · وعلى ضيقها تزود هذه الكبسولات بجهاز لتكييف الهواء وجهاز تليفزيون ومذياع ومنبه ..

وعلى الرغم من أن هذه الكبسولات مجهزة للبيع كوحدات منفصلة فقد تم اقامة فنادق كاملة منها · والصورة المرفقة من جناح السيدات لفندق من هذا النوع فى حى أوساكا يؤجر الكبسولة لقاء ١٥ دولارا فى الليلة الواحدة ( مقابل ٢٥ دولارا للحجرة فى أرخص وأردأ الفنادق ..

ويقول مصممو هذه الكبسولات انها مصممة بحيث تهيىء لمستخدمها أقصى حد من الراحة والاستمتاع والخلوة الى النفس ! ويرون انها مناسبة للاستخدام فى مواقع الانشاء والمبانى المزدحمة ناهيك عن المستوطنات الجديدة والفنادق ..

## ● عمليات الانقاذ بالاقمار الصناعيه

قبل ٣٠ سنة فكر علماء فضاء عديدون فى استخدام الاقمار الصناعية للعون فى العثور على الافراد الذين حاقت بهم المتاعب والطائرات التى

اضطرت للهبوط فى أماكن غير معروفة والسفن التى تدركها المتاعب فى أعالى البحار وذلك بان يوجه المستغيث اشارة لاسلكية الى قمر صناعى فى الفضاء حال وقوعه فى مأزق لكى ينقل القمر اشارته الى مركز أرضى يخف الى انقاذ المستغيث ·

وفى عام ١٩٧٦ بدأت كندا والولايات المتحدة وفرنسا فى بحث امكان وضع برنامج دولى لتنفيذ هذه الفكرة · وكان الاتحاد السوفييتى يسعى من جانبه الى تنفيذ برنامج مماثل وظهرت مزايا واضحةللتعاون بين البرنامجين فظهرت فكرة البرنامج المشترك « كوسباس ـ ستارسات » الذى يعتمد على شبكة من الاقمار الصناعية تغطى العالم كله ·

وبالفعل اقيم نظام دولى ساهمت فيه الدول السابقة الذكر ونصت اتفاقية البرنامج على تقسيم للعمل يأخذ فى الاعتبار القدرات الفنية والاهتمامات الامنية للدول على أن توفر الولايات المتحدة نيابة عن الدول الغربية الاقمار الصناعية بينما توفر كندا وفرنسا المعدات التى تحملها هذه الاقمار لاكتشاف نداء الاستغاثة واعداد البيانات ، كما يوفر الاتحاد السوفييتى اقمار الشق الخاص به بما تحتويه من معدات ··

ولم تلبث الدول الاخرى أن شرعت فى المشاركة بهذه المنظومة عن طريق بناء المحطات الارضية التى تلتقط اشارات الاستغاثة ، المنقولة عبر الاقمار الصناعية لتنقلها بدورها الى مركز تنسيق الاغاثة الذى يقوم بارسال طائرات الهليوكبتر أو السفن أو القوارب ·· الى المستغيث ·

وبحلول الذكرى الخامسة على تأسيس هذه المنظومة الفضائية كانت قد ساهمت فى انقاذ حياة ما يقرب من الف شخص فى مختلف انحاء العالم ··

## ● ملامح رمسيس بالكمبيوتر

● تدرس هيئة الآثار المصرية مع الجمعية الجغرافية الوطنية الامريكية امكانية استخدام الاساليب الالكترونية فى ترميم واكمال الاجزاء الناقصة من تمثال رمسيس الثانى ( طوله ١٧ مترا ويزن ألف طن ) الموجود حاليا أمام معبد الرمسيوم فى أسوان ·

● بعد أن ثبت نجاح الانترفيرون فى علاج بعض أنواع السرطان ، وبعد توصية «المؤتمر الاوربى لعلاج السرطان» الذى عقد أخيرا باستخدامه ـ الانترفيرون ـ لفعاليته الاكيدة بدأ مركز علاج الاورام والطب النووى بكلية طب القصر العينى فى علاج عدد من الحالات باستخدام الانترفيرون ·

● اختارت منظمة الصحة العالمية يوم ١١ ابريل ١٩٨٨ كيوم عالمى لمحاربة عادة التدخين تحت شعار « التدخين أو الصحة » ، وذلك بعد ان ثبت أن التدخين هو السبب فى ٨٥٪ من الوفيات الناتجة عن سرطان الرئة ، ٧٥٪ من وفيات الالتهابات الرئوية ، ٢٥٪ من وفيات أمراض القلب ·· وبالمناسبة تشير الاحصائيات الى نجاح معظم البلدان الصناعية فى خفض نسبة المدخنين ، بينما تواصل هذه النسبة الارتفاع فى بلدان العالم الثالث ·

دراسة الهلال

# ديون مصر الخارجية
# الماضى والمستقبل

بقلم : د. جلال أمين

**فى ١٩٨٦ تعرض الاقتصاد المصرى لصدمة عنيفة أظهرت بجلاء جوانب الضعف فى بنيان مصر الاقتصادى برمته ، وألقت مزيدا من الضوء على أخطاء تراكمت أكثر من عقد كامل ، وكأن مصر قد طولبت فجأة بأن تسدد حسابا دأبت على تأجيل دفعه عاما بعد عام .**

● هذه الصدمة كانت بالطبع هى الانخفاض الحاد فى أسعار البترول ، وكان العجز المزمن فى ميزان المعاملات الجارية قد أخذ فى التزايد بسرعة منذ بداية سنوات الخطة ( ١٩٨٣/٨٢ ) ، ولكن مع الهبوط الشديد فى أسعار البترول فى أوائل ١٩٨٦ أصبح من المؤكد أن هذا العجز خلال السنة الأخيرة من الخطة ( ١٩٨٧/٨٦ ) سوف يصل الى أبعاد خطيرة من شأنها أن تفرض أعباء اقتصادية لم تواجهها مصر منذ عشرة أعوام على الأقل ، منذ أن أعيد فتح قناة السويس وبدأ تدفق إيرادات البترول ، وينتكس معها معدل النمو أيا كانت السياسة الاقتصادية التى يمكن أن تتبع.(١) فقد أصبح من المؤكد أن إيرادات البترول سوف تنخفض بما لا يقل عن ٥٠ ٪ خلال العام ، وأن تحويلات المصريين العاملين بالخارج سوف تنخفض بدورها نتيجة الانخفاض الشديد فى ايرادات دول البترول المضيفة ، وأن الاتجاه الذى كان قد بدأ بالفعل لعودة أعداد لا يستهان بها من المصريين العاملين فى هذه الدول سوف يزداد قوة ، الأمر الذى يخلق تهديدا جديدا لسوق العمالة فى مصر التى كانت عاجزة ، حتى قبل ذلك ، عن توفير فرص العمالة بالمعدل المطلوب . أما المصدران المهمان الاخران للنقد الأجنبى ، وهما قناة السويس والسياحة ، فقد أصابهما الضعف بدورهما ، الأول بسبب كساد سوق البترول نفسها ، والثانية بسبب ما

اقترنت به ١٩٨٦ والسنة السابقة عليها من أحداث سياسية عنيفة ، أثرت على معدل تدفق السياحة فى مصر .

زاد الطين بلة أن سنة ١٩٨٦/٨٥ اقترنت أيضا بحلول موعد سداد بعض الأقساط لديون سابقة ، زادت بشدة من عبء خدمة الدين فى تلك السنة عن السنوات السابقة عليها . فطبقا لتقدير لصندوق النقد الدولى ، كان المستحق على مصر دفعه فى تلك السنة لخدمة الديون لا أقل من ٥ر٥ بليون دولار ( ٩ر٢ بليون سدادا لأصل الدين ، ٦ر٢ بليون فوائد )(٢) وهو مالا يقل كثيرا عن ضعفى خدمة الديون فى ١٩٨١ ، ويمثل اكثر من ٥٠ ٪ من كل ايرادات مصر من العملات الأجنبية من صادرات السلع والخدمات فى تلك السنة ، أى أنه يلتهم وحده كل ايرادات مصر من البترول وقناة السويس والسياحة جميعا بالاضافة الى نحو ثلث تحويلات المصريين العاملين بالخارج ، بينما كان ما على مصر دفعه فى تلك السنة من الفوائد وحدها يفوق كل ما تلقته خلالها من الولايات المتحدة من قروض ومنح ، مدنية وعسكرية .

### ● التوقف عن الدفع

لم تكن مصر قادرة بالطبع على الوفاء بهذا المبلغ . كانت مصر قد توقفت بالفعل منذ عدة سنوات عن الوفاء ببعض التزاماتها لدائنيها . ففى أعقاب مؤتمر بغداد فى مارس ١٩٧٩ ، أصدرت الحكومة المصرية قرارا بالتوقف عن خدمة ديونها المستحقة للدول المشاركة فى ذلك المؤتمر ، وكان هذا القرار يتعلق بديون قيمتها نحو أربعة بلايين دولار ، وترتب عليه أن توقفت مصر منذ ذلك الوقت عن خدمة ديونها للبلاد العربية بما فى ذلك ديونها لما سمى ، بهيئة الخليج لتنمية مصر ، التى تكونت فى ١٩٧٦ . كذلك توقفت مصر عن خدمة ديونها العسكرية للاتحاد السوفييتى فى ١٩٨٠ . ولا تقوم بخدمة ديونها المستحقة لإيران بالإضافة الى ذلك بدأت مصر فى التأخر فى خدمة ديونها لعدد من الدول الغربية حتى بلغ حجم المتأخرات فى السداد أكثر من بليون دولار فى ١٩٨٥/٨٤ ويقدر البعض أن هذه المتأخرات قد وصلت الى بليونين فى ١٩٨٦/٨٥(٣) .

### ● تركة السادات الثقيلة :

من الممكن النظر الى حالة المديونية الخارجية لمصر كما بدت فى ١٩٨٦ ، وما آل إليه الوضع الاقتصادى بوجه عام فى ذلك الوقت ، من أكثر من زاوية ، كلها صحيح .

فمن الممكن القول ، من ناحية ، بأن التركة الثقيلة التى خلفها السادات للاقتصاد المصرى فى ١٩٨١ ، وتتمثل أساسا فى أعباء ثقيلة من الديون مع بنيان اقتصادى شديد الاختلال بدرجة يعجز معها عن خدمتها ، لم يكن من الممكن التخفيف منها خلال السنوات الخمس الأولى من عهد الرئيس مبارك بسبب تضافر مجموعة من العوامل الخارجية غير المواتية وانقضاء الرواج الذى اتسمت به سنوات السادات الأخيرة ، وذلك حتى لو كانت الادارة الاقتصادية قد ادخلت إصلاحات جذرية على السياسة الاقتصادية

**المتبعة ، إذ أن هذه الاصلاحات ، حتى لو كانت قد طبقت بالفعل ، ما كانت لتحدث اثرها بسرعة ، ومن ثم ما كانت لتنقذ مصر مما تواجهه فى عام ١٩٨٦**

## أخطاء السياسة الاقتصادية

ومن الممكن القول ، من ناحية أخرى ، بأن الوضع الذى آل اليه الاقتصاد المصرى فى ١٩٨٦ ، كان فى الأساس نتيجة لفشل وأخطاء السياسة الاقتصادية المطبقة منذ ١٩٧٤ ، والتى استمرت ملامحها الرئيسية كما هى حتى ١٩٨٦ . إن من الممكن إطلاق وصف « الانفتاح الاقتصادى » للدلالة على الملامح الرئيسية لهذه السياسة ، **ولكن هذا وحده لايكفى للدلالة على كل أوجه القصور التى اتسمت بها وترتبت عليه الأزمة الاقتصادية الراهنة .**

إن من المؤكد فى رأينا ، أن سياسة الحرية الاقتصادية التى دشنت فى ١٩٧٤ ، بما عنته من اطلاق حرية الاستيراد ، وفتح الباب أمام الاستثمارات الأجنبية الخاصة دون تمييز كاف بينها حسب مدى مساهمتها فى زيادة الصادرات ، وأمام فروع البنوك الأجنبية دون رقابة كافية على ما تقوم به من تحويل مدخرات المصريين الى الخارج ، من المؤكد أن هذا وحده كان كفيلا بزيادة عجز ميزان المدفوعات وزيادة المديونية الخارجية . ولكن الذى زاد الأمر سوءا أن سياسة الانفتاح ، كما طبقت بالفعل ، **كانت تتسم ، بالاضافة الى ذلك ، بدرجة عالية من التخبط وعدم الاتساق فحرمت الاقتصاد المصرى حتى من بعض المزايا التى كان يمكن أن تترتب على إطلاق الحرية لقوى السوق وتشجيع الحافز الفردى .**

إن المعنى الذى نريد أن نؤكده هنا هو أنه ، حتى إذا طرحنا الاعتبارات الاجتماعية والايديولوجية جانبا ، وافترضنا أن سياسة الحرية الاقتصادية كانت هى السياسة الافضل فى ظروف مصر فى السبعينيات والثمانينيات من حيث رفع معدل النمو وتصحيح الاختلال فى البنيان الاقتصادى ، وتجاهلنا أثرها على توزيع الدخل على افتراض أنه سوف يصحح تلقائيا مع استمرار معدل النمو فى الارتفاع ، حتى اذا افترضنا كل ذلك ( مع أننا لانميل الى قبوله ) فإن هذه السياسة ما كان من المحتمل أن تصادف النجاح المفترض إلا إذا كان قد توفر لها حد أدنى من الاتساق والانسجام من عناصرها الاساسية . فليس هناك أسوأ ، فيما يبدو لنا ، من سياسة اقتصادية تحاول أن تحقق أهدافا اقتصادية متعارضة فى آن واحد ، كالتى تحاول توزيعا أفضل للدخل مع اجتذاب أكبر حجم ممكن من الاستثمارات الخاصة ، أو التى تحاول أن تحمى القطاع العام فى نفس الوقت الذى تحاول فيه تشجيع الاستثمارات الأجنبية ، أو التى تحاول توفير الضرورات الغذائية بأسعار متدنية فى نفس الوقت الذى تريد فيه تشجيع الصادرات الزراعية ... الخ .

والواقع أن نجاح تجربة التنمية فى مصر فى الفترة ( ٥٦ ـ ١٩٦٥ ) ، التى حقق الاقتصاد المصرى خلالها معدلا

عاليا للنمو وتغييرا ملحوظا ، فى نفس الوقت ، فى الهيكل الاقتصادى ، مع تحقيق مستوى معقول من الاكتفاء الذاتى في الغذاء ، ودون أن تتحمل البلاد عبئا ثقيلا من المديونية الخارجية ، هذا النجاح يرجع الى حد كبير الى ما اتسمت به السياسة الاقتصادية فى تلك الفترة من درجة عالية من الاتساق والانسجام بين مختلف أدوات السياسة الاقتصادية ، حيث تدخلت الحكومة فى أدق تفاصيل النشاط الاقتصادى ، وطبق نظام التخطيط بدرجة من الجدية لم تعرف مصر مثلها قبل تلك الفترة أو بعدها ، وخضعت الاسعار للسيطرة الادارية ، وخفض الاستثمار الأجنبى الخاص الى الحد الادنى ، وكاد يقتصر الاستثمار الوطنى بأكمله على القطاع العام .

على العكس من ذلك اتسمت سياسة الانفتاح الاقتصادى منذ ١٩٧٤ ، وحتى ١٩٨٦ ، بدرجة عالية من التردد وعدم الاتساق فى تطبيق مبدأ الحرية الاقتصادية ، ، وكانت كما يقول التعبير الشعبى « كمن رقص على منتصف السلم » ، أو كمن سقط بين مقعدين ، فلاهى طبقت سياسة الحرية الاقتصادية بحذافيرها ، ولا هى تبنت سياسة التدخل الحكومى الصارم ، بمختلف متطلباتها ، ومن ثم لم تحرز مزايا هذه ولا تلك ، بل عانت من نقائص كليهما . مثال ذلك ميل عجز الموازنة العامة الى التزايد عاما بعد آخر ، إذ فى الوقت الذى استمرت فيه الدولة فى سياسة دعم السلع الضرورية ( بل وبعض السلع الكمالية أيضا ) وفى الالتزام بتعيين المتخرجين ، بما يخلقه كلاهما من عبء فى جانب الانفاق الحكومى ، لم تلجأ الدولة الى تعويض ذلك بزيادة الايرادات الضريبية ومكافحة التهرب الضريبى . وقل مثل ذلك عن أثر تضارب أدوات السياسة الاقتصادية على توزيع الاستثمارات ، إذ بينما استمرت سياسة التحديد الادارى لأسعار بعض المنتجات الزراعية والصناعية ، على نفس النمط الذى كان سائدا قبل الانفتاح ، الأمر الذى لم يكن من شأنه تشجيع الاستثمار الخاص على ولوج بعض أوجه الاستثمار فى هذين القطاعين ، تراخى معدل الاستثمار العام فى كل منهما ولم تستخدم وسائل التدخل الادارى لكبح جماح الاستثمار الخاص فى القطاعات قليلة الانتاجية .

ويذكر الدكتور عبدالجليل العمرى مثالا أخر مهما لنفس الخطأ فى مجال التعليم إذ يقول :

**« كيف نعلل قرار الحكومة بالتزامها بإيجاد عمل لكل من ليس له عمل ، وهو المتبع فى البلاد الاشتراكية ، وفي نفس الوقت لا تتبع السياسة التي يستلزمها هذا ( الالتزام بالتعيين ) من حيث مراقبة توجيه وتحديد من يدخل المدارس الثانوية العامة وعدد من يدخل المدارس الفنية ، وبالتالى نحد من الالتحاق بالجامعات وكلياتها بحيث لاتخرج الا الاعداد المطلوبة من متخرجى الجامعات ، وهو النظام المتبع بدقة فى البلاد الاشتراكية »** . (٤)

على أن الذى يهمنا بوجه خاص فيما يتعلق بمشكلة المديونية ، أثر هذا التضارب وعدم الاتساق على معدل الزيادة فى الواردات بالمقارنة بالصادرات

فهنا أيضا نجد أن الاعتماد على قوى السوق فى تخفيض معدل النمو فى الواردات وتشجيع الصادرات ، كتخفيض سعر الصرف ، كان دائما جزئيا وناقصا ، إذ ظلت الفجوة واسعة دائما بين سعر الصرف الرسمى وسعره فى السوق الحرة ، ولم يقترن هذا بسياسات أخرى يتطلبها منطق الحرية الاقتصادية نفسه ، كالتخفيف من القيود الادارية على الصادرات وتبسيط إجراءات التصدير ، فى الوقت الذى أحجمت فيه الدولة عن التدخل الجدى فى حرية الاستيراد ، واذا بالاستيراد لايكبح جماحه لا قوى السوق الحرة ولا التدخل الحكومى المباشر ، فيزداد ميزان المعاملات الجارية عجزا وتزداد الحاجة الى الاقتراض .

## ● الضغوط الخارجية :

ولكن هناك زاوية ثالثة يمكن النظر منها الى ما آل اليه الاقتصاد المصرى والمديونية الخارجية فى ١٩٨٦ ، حيث تظهر أزمة الاقتصاد المصرى كانعكاس لطبيعة العلاقات الاقتصادية الدولية . ذلك أن من الممكن النظر الى اخطاء السياسة الاقتصادية منذ أوائل السبعينيات ، وما اتسمت به من تحول غير مبرر فى توجهها العام ، ومن مظاهر التضارب وعدم الاتساق بين عناصرها المختلفة ، على أنها كانت فى الأساس استجابة لضغوط خارجية لم يكن من السهل مقاومتها . لقد سبق أن أشرنا الى أن التورط غير المبرر فى الديون فى النصف الأول من السبعينيات كان جزئيا على الأقل استجابة لتوفر السيولة فى أيدى المصارف الغربية ومؤسسات التمويل التى كانت تبحث عن فرص للاستثمار المجزى خارج حدودها ، وان ازمة السيولة التى عانت منها مصر فى منتصف السبعينيات كانت من الوسائل التى استخدمت لفرض تسوية مع اسرائيل لعل مصر ما كانت لتقبلها فى ظروف اقتصادية مختلفة . كذلك فان من الممكن النظر الى الامعان فى التورط فى الديون فى السنوات الخمس الأخيرة من عهد السادات ، رغم كل ماتدفق على مصر خلالها من نقد أجنبى ، على انه كان بدوره ، ولو جزئيا ايضا ، استجابة لضغوط وإغراءات الدول والمؤسسات المقرضة التى كانت تحقق نفعا محققا من الإقراض ، يتمثل فى تصريف سلع وخدمات يصعب تصريفها بغير ذلك ، وكوسيلة اكيدة تمكن الدول المقرضة من فرض إرادتها السياسية فى ايام مقبلة . من الممكن ايضا ان ننظر الى السنوات الخمس التى اعقبت مقتل السادات من نفس المنظور .

ليس المقصود بذلك ان نعفى احدا من المسئولية ، وان نتعلل بمسئولية العوامل الخارجية إراحة لضمائرنا . فكما سبق ان قلنا : إن التورط فى الديون يحتاج الى طرفين لايمكن ان يعفى احد منهما من المسئولية عنه . وإنما المقصود ان نشير الى ان من الخطأ المبالغة فى القدر المتاح من

حرية التصرف أمام صانع القرار الاقتصادى فى مصر ، وان تجنب الخطا فى اتخاذ القرارات الاقتصادية لا يتطلب فقط حدا أدنى من المعرفة والحكمة ، وانما يتطلب أيضا حدا أدنى من حرية الارادة واصرارا على استخدام القدر المتاح منها . وقد كانت مصر دائما ، وبدرجة أكبر من دول كثيرة أخرى ، معرضة لفقدان هذه الحرية ، ولكن هذا لاينفى أيضا أن الرجال ليسوا سواء فى مدى استعدادهم لتولى المسئولية فى ظل ظروف لا يمارسون فيها حريتهم فى التصرف ، كما انهم ليسوا سواء فى حرصهم على استخدام القدر المتاح من هذه الحرية لأبعد مدى ممكن .

● هل يعيد التاريخ نفسه ؟

يهمنا هنا أيضا أن نلاحظ اوجه شبه أخرى بين تجربة مصر فى المديونية الخارجية فى السبعينيات والثمانينيات من هذا القرن ، وما مرت به فى السبعينيات من القرن الماضى والعقود الثلاثة التى تلت الاحتلال الانجليزى لمصر ، فى محاولة لاستشراف مايمكن أن تسفر عنه السنوات القادمة للاقتصاد المصرى .

لقد سبق أن رأينا كيف أن تورط مصر فى الديون فى عهد الخديو اسماعيل اقترن بفترة من الرخاء سال لها لعاب المقرضين والمرابين الأوربيين ، وانه ما أن وصلت الديون حدا لم تعد موارد مصر تسمح معه بخدمة ديونها ، حتى انقض الدائنون عليها مطالبين بالسداد ، وفرضوا على مصر السياسات التى تهيىء لهم استرداد اموالهم وفوائدها ، متسلحين بما وفرته لهم قوات الاحتلال الانجليزى من سيطرة . وقد ترتب على ذلك أن انفقت مصر العقود الثلاثة التالية للاحتلال تنمى مواردها الزراعية لتستخدم الفائض الناجم عنها فى خدمة ديونها . ولكننا نلاحظ أيضا أنه فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، التى فرضت خلالها الأزمة الاقتصادية العالمية على مصر أعباء اقتصادية لاحد لها ، استمرت مصر فى خدمة ديونها الى ان سددتها جميعا وهى اقل ما تكون قدرة على تحمل أعبائها واشد ما تكون حاجة الى الاقتراض بدلا من تسديد الديون القديمة . ولكن الازمة العالمية لم تكن شرا محضا على مصر ( إذ ان قليلا من الأمور هو شر محض ) . فقد اضطرت مصر خلالها الى تطوير هيكلها الاقتصادى ، حيث قامت الصناعات الوطنية الناشئة لتلبى حاجات كانت مصر تلبيها من قبل عن طريق الاستيراد ثم امتنع عليها ذلك بسبب ضآلة مواردها من النقد الاجنبى . وكان استحكام الأزمة نفسه فى عقد الثلاثينيات ، هو الذى فرض على مصر تنويع جهازها الانتاجى ، حينما عجزت مواردها الزراعية وحدها عن القيام بعبء خدمة الديون وتلبية حاجات الاستهلاك فى نفس الوقت .

لايسعنا الآن ( ١٩٨٧ ) ، ونحن فى قمة أزمة المديونية الخارجية وفى ظل تدهور مواردنا من العملات الأجنبية ، إلا أن نتساءل عما إذا كانت تجربتنا التاريخية الماضية يمكن ان تلقى بعض الضوء على احتمالات المستقبل . فالواقع أن حلول أزمة ١٩٨٧/٨٦ ، بعد

نحو عشر سنوات من الرواج النسبى ، شكلت فرصة ذهبية لممارسة الضغط الخارجى على مصر لفرض سياسة اقتصادية جديدة ، تتمثل فى التبنى الكامل لسياسة الحرية الاقتصادية ، التى ظلت مصر طوال اكثر من عشر سنوات تمارسها بتردد وعلى استحياء ، فضلا عما يمكن أن تطالب به كبرى الدول الدائنة ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية ، من بعض التنازلات السياسية ، فى هذا الضوء علينا أن نلاحظ الدور البالغ النشاط الذى يلعبه صندوق النقد الدولى منذ صدمة أسعار النفط فى مطلع ١٩٨٦ ، فنراه يلعب دورا يشبه الى حد كبير ما لعبته مختلف لجان التحقيق وتقصى الحقائق التى ارسلتها الدول الدائنة الى مصر فى النصف الثانى من السبعينيات من القرن الماضى ، ونراه يحقق نجاحا فى الحصول على ما يطلبه من تعديلات فى السياسة الاقتصادية يشبه ما حققه الدائنون منذ مائة عام ، ويجعل إعادة جدولة الديون المصرية مشروطة بتعهد الحكومة المصرية باجراء هذه التعديلات ، وهو ما تحقق له بالفعل فى مايو ١٩٨٧ .

● مرة أخرى شيلوك يقتضى رطل اللحم

نحن إذن ، فيما يبدو لى ، مقبلون على فترة سوف تتسم بمزيج من اهم سمات العقود الثلاثة التالية للاحتلال الانجليزى وفترة ما بين الحربين .

فاصرار الدائنين على استيفاء رطل اللحم كاملا ، أصله وفوائده ، سوف يوجه السياسة الاقتصادية فى السنوات القادمة نحو استكشاف كل السبل الكفيلة بزيادة موارد مصر من العملات الاجنبية ، كما وجهت الادارة البريطانية للاقتصاد المصرى جل طاقتها فى العقود الثلاثة ( ١٨٨٢ - ١٩١٤ ) لزيادة صادرات مصر من القطن استيفاء لحقوق الدائنين . ولكن إذ تقترن الظروف الاقتصادية الراهنة لمصر بعوامل خارجية غير مواتية ، فان ضغط الاستهلاك يصبح الآن ضروريا بدرجة لم تكن متحققة فى أعقاب الاحتلال الانجليزى ، حيث كان القطن المصرى يصادف رواجا ، وكان لايزال أمام مصر مجال واسع لزيادة رقعتها الزراعية ومساحتها المحصولية بمعدل مرتفع .

كذلك فإنه اذ تحل الأزمة الاقتصادية الراهنة فى أعقاب فترة رواج ومعدل للنمو بالغة الارتفاع ، وشيوع انماط للاستهلاك لم تكن مالوفة من قبل فاصبحت تعتبر من قبيل الضروريات ، فإنه لم يعد هناك مفر امام السياسة الاقتصادية من تنويع الهيكل الانتاجى بحيث يتزايد بسرعة نصيب السلع الصناعية المنتجة محليا لتحل محل الواردات ، حتى وان اقترن ذلك بمعدل للنمو اقل بكثير مما اتسمت به السنوات العشر الماضية . والامر هنا يشبه تجربة مصر فى الثلاثينيات ، إذ اقترن

الانخفاض الكبير في معدل النمو بسبب الأزمة العالمية ، بتزايد معدل نمو الصناعة وارتفاع نسبة الاكتفاء الذاتى فى العديد من السلع الصناعية . ان العودة الى شعارات تشجيع الانتاج الوطنى واستهلاك ما « صنع فى مصر » ليست نتيجة اختيار حر بمقدار ما هى نتيجة لظروف الأزمة التى فرضها على مصر تضاؤل مواردها من العملات الاجنبية وأعباء المديونية الخارجية .

على اننا لايجب بالطبع أن نبالغ فى المدى الذى نذهب اليه فى اسقاط تجارب الماضى على الحاضر والمستقبل ، فالتاريخ ، حتى إذا كان يعيد نفسه ، لايمكن أن يعيد نفسه بالضبط . نعم : فى كلا التجربتين يتورط الاقتصاد فى الديون ثم يوجه لخدمة الدائنين ، وفى كلا التجربتين يخضع الاقتصاد التابع لما تفرضه عليه متطلبات التقسيم الدولى للعمل ، أى توزيع الأدوار ( السلع ) التى تقوم بها كل دولة طبقا لمصلحة الدول المسيطرة اقتصاديا وسياسيا . ولكن نمط التقسم الدولى للعمل لايبقى ثابتا الى الأبد ، إذ أن مصالح الدول المسيطرة دائمة التغير .. فإذا كانت خدمة الدائنين قد تطلبت منذ مائة عام تحويل مصر الى مزرعة للقطن ، فهى قد تتطلب الآن تنمية صناعات للتصدير وللاحلال محل الواردات

وإذا كان المستفيد من نمو ثروة القطن منذ مائة عام هم الأجانب من ملاك الأراضى والتجار وأصحاب الرهونات وحفنة ضئيلة للغاية من ملاك الأراضى الكبار من المصريين ، فإن نمو الصناعات الجديدة سوف يفيد منها بالضرورة شرائح أوسع من الطبقة المتوسطة المصرية .

## هوامش الدراسة :

(١) فى بحث قريب العهد لمدير ادارة العمليات بالبنك الدولى ، قدر أن معدل النمو السنوى للناتج المحلى الاجمالى فى مصر انخفض من ٤ر٩ ٪ فى الفترة ( ٧٣ ـ ١٩٨٠ ) الى ٢ر٥ ٪ فى الفترة ( ٨٠ ـ ١٩٨٥ ) الى ٣ ٪ فى ١٩٨٦/٨٥ . انظر :

Hasan, P. : «Structural Adjustment in Selected Arab Countries » ,

المقدم للندوة التى نظمها صندوق النقد الدولى وصندوق النقد العربى فى "أبوظبى" فى ١٦ ـ ١٨ فبراير ١٩٨٧ تحت عنوان :

« Adjustment Policies and Development Strategies in the Arab World »

(٢) تقرير السفارة الأمريكية بالقاهرة عن الاقتصاد المصرى ، ديسمبر ١٩٨٦ ، ص ٢٥

(٣) من مذكرة أمريكية رسمية غير منشورة .

(٤) د . عبدالجليل العمرى : ذكريات اقتصادية واصلاح المسار الاقتصادى . دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٣٢ .




## ● مائة كتاب من التراث العربى ●

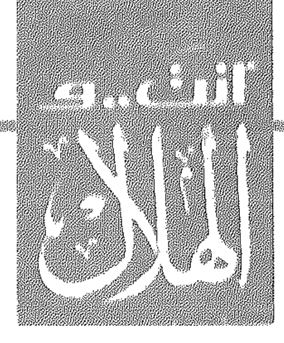
● جاءتنا من الكاتب الكبير الاستاذ حسين احمـــد امين الرسالة التـالية :

ـ على اثر نشر مقالى « حول ازمة تعاملنا مع التراث العربى » فى عدد مارس ١٩٨٧ من « الهلال » وصلتنى مجموعة كبيرة من الرسائل ، يسالنى اصحابها ان امدهم بقائمة باسماء اهم المؤلفات فى التراث العربى • وقد رأيت أن يكون ردى على صفحات الهلال ، تعميما للفائدة ، وتوفيرا للوقت والجهد •

والقائمة المرفقة التى أسميتها « الروائع المـائة من التراث العربى » هى اختيار شخصى محض وثمرة أكثر من أربعين عاما قضيتها فى قراءة كتب التراث • وبالتالى فقـــد يكون اختيارى لكتاب ، أو اغفالى لكتاب ، محل جدل أو سخرية أو غضب • غير أن الارجح أن يحظى نحو ثلاثة أرباع الكتب الواردة فى القـائمة باجماع المتبحرين فى التراث •

وأكرر هنا ما سبق أن دعوت اليه فى المقال المشار اليه ، وهو أن تتبنى احدى حكومات دول النفط مشروعا كذلك الذى تبنته دائرة المعارف البريطانية منذ سنوات ، وهو مجموعة « أعظم كتب العالم الغربى » من هوميروس الى فرويد في أربعـــة وخمسين مجلدا ، فتشكل لجنة من عشرة أو عشرين من العلماء المتبحرين فى التراث العربى ، المدركين مع ذلك لطبيعة ذوق شباب أمتنا المعاصر ، وتنتقى هذه اللجنة بعد النقاش والفرز وتمحيص الاراء المختلفة أعظم مائة كتاب مثلا من المؤلفات العربية منذ امرىء القيس الى الجبرتى ، مستبعدة من هذه الكتب المائة الغث الكثير الذى تحفل به كتب عظيمة كأغانى أبى الفرج أو السـلوك للمقريزى ، ومبقية على بعضها الاخر بصورته الكاملة كمقدمة ابن خلدون وحى بن يقظان لابن طفيل وفصل المقال لابن رشد ، ثم تنشرها فى خمسين أو ستين مجلدا أنيقا بسعر فى متناول العائلة متوسطة الحـال ، بحيث تصبح جزءا من أثاث دارها ، وفى متناول يد أبنائها وتحت نظرهم فى كل يوم ، فتسدى بهذا الصنع خدمة جليلة لابناء جيلنا والاجيال التالية ، اذ تصل بينهم وبين ماضيهم :

١ ـ المعلقات العشر ، ٢ ـ كليلة ودمنة ، ٣ ـ السيرة النبوية لابن هشام ، ٤ ـ ديوان بشار ، ٥ ـ ديوان أبى نواس ، ٦ ـ الرسالة للشافعى ، ٧ ـ المغازى للواقدى ، ٨ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ٩ ـ ديوان الحماسة ، اختيار أبى تمام ، ١٠ ـ رسائل الجاحظ ١١ ـ الحيوان للجاحظ ، ١٢ ـ صحيح البخارى ، ١٣ ـ عيون الاخبار لابن قتيبة ، ١٤ ـ فتوح البلدان للبلاذرى ، ١٥ ـ انساب الاشراف للبلاذرى ١٦ ـ الاخبار الطول للدينورى ، ١٧ ديوان ابن الرومى ، ١٨ ـ ديوان البحترى ، ١٩ ـ الكامل للمبرد ، ٢٠ ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، ٢١ ـ تفسير الطبرى ، ٢٢ ـ تاريخ الطبرى ، ٢٣ ـ مقالات الاسلاميين للاشعرى ، ٢٤ ـ العقد الفريد ، ٢٥ ـ الوزراء والكتاب للجهشيارى ، ٢٦ ـ نقد الشعر لقدامة ، ٢٧ ـ مروج الذهب ، ٢٨ ـ ديوان المتنبى ، ٢٩ ـ كتاب الاغانى ، ٣٠ ـ الامالى للقالى ، ٣١ ـ ديوان أبى فراس ، ٣٢ ـ رسائل اخوان الصفا ، ٣٣ ـ الموشح للمرزبانى ، ٣٤ ـ الفرج بعد الشدة للتنوخى ، ٣٥ ـ الفهرست لابن النديم ، ٣٦ ـ أحسن التقاسيم للمقدسى ، ٣٧ ـ الخصائص لابن جنى ، ٣٨ ـ مقامات الهمذانى ، ٣٩ ـ طبقات الصوفية للسلمى ، ٤٠ ـ الامتاع والمؤانسة للتوحيدى، ٤١ ـ المقابسات للتوحيدى ، ٤٢ ـ تجارب الامم لمسكويه ، ٤٣ ـ القانون فى الطب لابن سينا ، ٤٤ ـ حلية الاولياء لابى نعيم الاصفهانى ، ٤٥ ـ يتيمة الدهر للثعالبى ، ٤٦ ـ تحقيق ما للهند للبيرونى ، ٤٧ ـ اللزوميات للمعرى ، ٤٨ ـ رسالة الغفران ، ٤٩ ـ الاحكام السلطانية للماوردى ، ٥٠ ـ المحلى لابن حزم ، ٥١ ـ طوق الحمامة ، ٥٢ ـ الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ، ٥٣ ـ العمدة لابن رشيق ، ٥٤ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ٥٥ ـ الرسالة للقشيرى ، ٥٦ ـ المقتبس من أبناء أهل الاندلس لابن حيان ، ٥٧ ـ أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ، ٥٨ ـ سيرة المؤيد فى الدين بقلمه ، ٥٩ ـ شرح كتاب السير الكبير للسرخسى ، ٦٠ ـ احياء علوم الدين للغزالى ، ٦١ ـ المنقذ من الضلال ، ٦٢ ـ مقامات الحريرى ، ٦٣ ـ أمثال الميدانى ، ٦٤ ـ اساس البلاغة للزمخشرى ، ٦٥ ـ الذخيرة لابن بسام ، ٦٦ ـ الملل والنحل للشهرستانى ، ٦٧ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر ، ٦٨ ـ حى بن يقظان لابن طفيل ، ٦٩ ـ كتاب الاعتبار لابن منقذ ، ٧٠ ـ تهافت التهافت لابن رشد ، ٧١ ـ فصل المقال لابن رشد ، ٧٢ ـ المنتظم لابن الجوزى ، ٧٣ ـ تلبيس ابليس لابن الجوزى ، ٧٤ ـ رحلة ابن جبير ، ٧٥ ـ معجم البلدان لياقوت ، ٧٦ ـ معجم الادباء ، ٧٧ ـ الكامل فى التاريخ لابن الاثير ، ٧٨ ـ سيرة صلاح الدين لابن شداد ، ٧٩ ـ الفتوحات المكية لابن عربى ،




٨٠ ـ مقدمة ابن الصـــلاح فى علوم الحديث ، ٨١ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، ٨٢ ـ طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة ، ٨٣ ـ وفيات الاعيان لابن خلكـــان ، ٨٤ ـ تنقيح الابحاث للملل الثـــلاث لابن كمونة ، ٨٥ ـ الرسالة الكامليـــة لابن النفيس ، ٨٦ ـ لسان العـــرب لابن منظور ، ٨٧ ـ وســـائل ابن تيمية ، ٨٨ ـ نهاية الأرب للنويرى ، ٨٩ ـ تاريخ الاســـلام للذهبى ، ٩٠ ـ رحـــلة ابن بطوطة ، ٩١ ـ الاحاطة فى أخبـــار غرناطة ، ٩٢ ـ حياة الحيوان الكبرى للدميرى ، ٩٣ ـ مقدمة ابن خلدون ، ٩٤ ـ صبح الاعشى ، ٩٥ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ، ٩٦ ـ خطط المقريزى ، ٩٧ ـ المزهر للسيوطى ، ٩٨ ـ نفح الطيب للمقرى ، ٩٩ ـ الف ليلة وليلة ، ١٠٠ ـ عجائب الاثار للجبرتى ٠

## ● صورة الامبراطورة اوجينى ●

● لفت نظرى فى عدد « اغسطس » من الهلال ان مقـــال « نابليون بونابرت والتاريخ العباسى » تضمن صورة للامبراطورة اوجينى زوجة الامبراطور نابليون الثالث ( ابن شقيق نابليون بونابرت ) ٠

وقد بحثت فى المقال عن العلاقة بين هذه الصورة وبين اى جزء من مضمونه دون جدوى ٠ كل ما فى الامر انه جاء بالمقـــال ان نابليون بونابرت كتب فى مطلع حياته ـ ضمن ما كتب ـ قصة بعنوان « كليون وأوجينى » ٠ وفضلا عن ان هذه قصة تخيل الكاتب احداثها ، فلا يمكن مطلقا ان يكون المقصود بهـــا الامبراطورة اوجينى ٠ فهذه الامبراطورة ولدت عام ١٨٢٦ ، بعد ان كان نابليون بونابرت قد توفى بخمس سنوات !

**احمد حسين الصاوى**

## ● رسالة من طهران ●

● يطيب لى وباقى زملائى فى قسم اللغة العربية ـ جامعة طهران ـ ان نحييكم ونبعث لكم هذه الرسالة الودية ، لنعرب عن خالص تقديرنا لما تبذلونه من مجهود عظيم وما تقدمه مجلتكم العريقة من ثروة فكرية وادبية وثقافية ، واتحافها القراء العرب

بأرقى المقالات والدراسات · وقد وصلتنا أعداد الهلال خلال الاشهر الماضية ، وسررنا بها بالغ السرور وعادت الينا ذكريات أيام زمان عندما كنا ندرس فى البلاد العربية ونقرأ المجلة دائمـــا · ولكن للاسف لم تدم فرحتنا طويلا وانقطعت عنا المجلة مرة أخرى ، لذلك نتوجه برسالتنا اليكم راجين تلطفكم علينا باعداد « الهلال » ، آملين أن تنال رسالتنا اهتمامكم الخاص ورعايتكم الكريمة ·· ولكم منا ألف شكر وتحية ·· والسلام ··

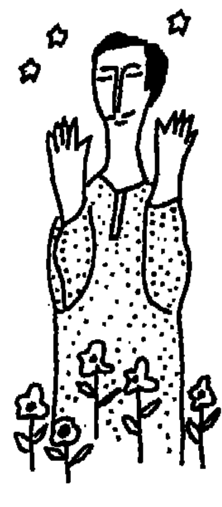
محمد الشاده ـ جامعة طهران

## ● تعليـق :

ـ نحن نرسل أعداد « الهلال » الى كل مكان ، ولكن بعض الجهات تصادرها وتمنع دخولها الى البلاد التى نرسلها اليهـا ، فنرجو أن تسألوا عندكم : أين ذهبت أعداد « الهلال » ، ولماذا لم تصل اليها يدك وأيدى زملائك ؟!

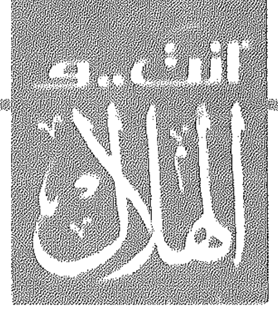
## ● عملية جراحية كبرى ●

● أجريت جراحة فى القاهرة بمستشفى المعلمين لاستئصال « لحمية » من أحد الحبال الصوتية وقد اثبت التحليل أن المرض حميد وهذا لطف بالغ من الله تعالى لا نستطيع القيام بشكره عليه ، فكانت هذه الابيات ، نظمتها فى القاهرة وأرسلها من قنا ، وقدفرض على الطبيب صياما عن الكلام مدة أسبوع فعدت الى قنا صائما ، ولعل من المفيد أن أذكر أن الذى أجرى لى الجراحة طبيب شاب ممتاز يعمل أستاذا مساعدا للانف والاذن والحنجرة بطب قصر العينى :



حمــــدا وشــــكرا لربى ... قـــد فرج الله كــــربى
قــــد كنت جـــد مريض ... والهم يمـــــلأ قلـــبى
ســـألت ربى لطفــــه ... من ذا ســـواه يلبى ؟··
لبى فجـــــاد واربى ... فوق الذى كــــان حسبى
ســـبحان ربى يثنى ... عليـــه قلـــبى وسربى
يا رب أحسن ختــــامى ... بجــــاه حبك ··· حبى
بجاه « أحمــــد » واغفر ... أن جئت ـ عفـــوا ـ بذنب

أحمد قاسم أحمد ـ قنا




## ● ذكرى كامل الكيلانى ●

● اما وانه كان ما كان من امر رسالتى السابقة · فانى غدوت اقص الاثر · واتوخى الحذر · فيما ارسل به اليكم · وما اقدم به عليكم · ولا ارى فى ذلك اى عيب · ولا شك فى هذا ولا ريب ·

وقد ثنت عزمى هذه الرسالة الاخيرة ، عن التفكير فى اى حيلة لكتابة الشعر ، والعدول عنه الى النثر · ولست اعنى انى لن اكتب شعرا · ولن احدث امرا ، ولكن ساترك كتابته بهذه الطريقة المعقدة ·

واعدل لكتابته بطريقة سهلة ميسرة ، شان الشعر الحديث · الذى دب الينا بسير حثيث · فالاعتراف بالحق فضيلة · والعدول عنه « رزيلة » ·· شان شعر هذا الزمان · الخالى من القوافى والاوزان · وليس فى الامكان اجمل مما كان · فاغفر « ذلة » القلم· وقد خاب من ظلم · ولا تؤاخذنى بما زل به لسانى · وعثر به بيانى ·· واليك هذه القصيدة ، على الطريقة الجديدة ، بمناسبة ذكرى الاستاذ كامل الكيلانى ·

رحم الله كاملا ··
لا كان ذكره خاملا ··
« حاذه » اجلا وعاجلا ··
والى روضه غداة كان الروض قاحلا ··
فرعاه وجمل شكله ··
بادب لازال ماثلا ··

جمال محمد جمال طلحة
ابشواى ـ الغربية

● تعليق :

ـ رسالتكم المسجوعة هذه تنم على مقدرتكم فى النثر على اية حال ، برغم اغلاط املائية وضعناها بين اقواس ، كقولكم « رزيلة » بالزاى ، وصحتها بالذال ، وكقولكم « ذلة » بالذال ، وصحتها بالزاى ، لان « الذلة » بالذال هى الذل وقاك الله منه · وفى شعرك تقوح « حاذه » بالذال وصحتها بالزاى ، اى : ملكه ، ويبدو ان قلمك يتعثر بين الذال والزاى ، وهذا خطيه يسير ، وتستطيع اصلاحه · اما شعرك التفعيلى فلا يقل سوء حظ عن شعرك العمودى ، فابتعد ايضا عن الشعر التفعيلى لانه ليس مجرد بتر تفعيسلات هنا وهناك · وليس بالشعر وحده يحيا الانسان ··

● قصيدة عن فلسطين ●

● أرجو اعطائى رايك فى هذه القصيدة من الناحية الفنية والموضوعية وبيان الاخطاء لكى يتسنى لى تجنبها فى قصائدى التالية ·· وقصيدتى هذه عن فلسطين :

يا فلسطين الكليمـا
ايقظى الأرواح فينا
نادى الأحرار نادى
فى طقوسك مغرمينا
كم راى الاباء هولا
بين قتلى وسجينا



احمد فهمى غنيم على
شبراخيت

● تعليق :

ـ ليس لنا راى فى هذه « القصيدة » لانها عبارة عن مجموعة من الاخطاء النحوية واللغوية والعروضية !·· يا عزيزى ·· دع عنك قول الشعر ، ولا تضيع وقتك فيما لا جدوى منه لك !··

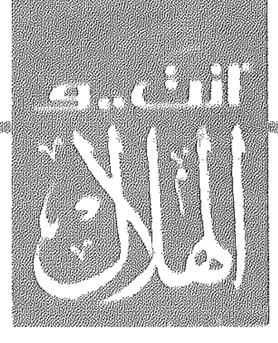
● يا ·· من ●

هبات النسمة ·· كلماتك
وعيون الفتنة ·· قسماتك
وأريج الوردة ·· بسماتك
كيف يصورك الرائى !؟

يس محمد ضوى

● حبيبتى ·· وكفى ●

حبيبتى وكفى ··· اسـطورتى وكفى
ما سرت نحـو الهوى الا لاعترفا
مالى اذا احتبست انفـاس زنبقـة
اهتز فى ربيع الروح وارتجفـا ··
ورحت ابتـاع للأشواق منتجعـا
بين الرياح ·· فوقت العشق قد ازفا
وأن ان البس الاحـلام ذاكـرة
واكتم الليل ـ عنصحوى ـ اذا انتصفا



عينـــاك نافذة للحـــرف قـد فتحت
نظرت منهمـا الى الاشـــعار مرتجفـــا
فتشت فيك عن النيـــــران فارتعشت
كل البحار بقلبى والنـــــدى اعتكفا
فرحت اصـــبغ نور الحـــب من قلقى
وارسل الشـــعر من عينيك مغتــرفا
أبيعـــك الحرف ‥ هل تشرين عالمه
ونبضه ؟ فصداه اليوم قد وقفـــــا
فسافرى فى النـــدى واستوطنى لغتى
وعلمينى لحن العشـــــب ان عزفـــا

عبد الله السمطي
المطرية ـ القاهرة

## ● مع الاصدقاء ●

● عبد الرحمن عبد المحسن البطة ـ المنصورة :
ـ نشكركم على حسن ظنكم وادبكم · اما قصيدتكم التى جعلتم عنوانها « صديق » فهى صحيحة الاوزان ، وليس فيها أخطاء نحوية ولا لغوية ، فنهنئكم ·

● هشام محمد عبد الوهاب ـ ثانوية عامة ـ شبين القناطر :
ـ اهتمامكم بالادب والشعر فى هذه السن الصغيرة ، يستحق التقدير ، أما شعركم فان فى الوقت متسعا له حتى ينضج ان شاء الله ·

● احمد اسماعيل بدوى ـ شبراخيت :
ـ نشكركم ، وأما شعركم فلا غبار على أوزانه ولغته ، ونرحب برسائلكم ·

● يوسف ابو القاسم ـ جزيرة شندويل ـ سوهاج :
ـ شعركم التفعيلى صحيح التفعيلات ·

● محمد أمين الجندى ـ خربتا :
ـ قصيدتكم عن محنة الجنيه المصرى ، ظريفة وواقعية ، ولكن المحنة الان تشمل جميع العملات تقريبا ، وعلى رأسها الدولار ·

● مخمد عبد الله الهادى ـ فاقوس :

ـ مشكلتك ومشكلة زمــــلائك الذين يفوزون بجوائز قصور الثقافة والجماعات الادبية مثل جمــاعة رفاعة الطهطاوى ، انكم تتصورون أن ذلك يدل على بلوغكم قمة الادب وان على جميع الصحف أن تنشر انتاجكم ، وهذا غير صحيح ، وقد تنال هذه القصة او تلك جائزة من الجوائز ، ولا تكون فى الوقت نفسه قد بلغت مســتوى النشر ، أما اشارتك الى أنك مجرد فلاح ، فلا معنى لهـــا ، وان « الهلال » لترحب كل الترحيب بكل انتاج ادبى من فــلاح او غيــر فلاح ، مادام هذا الانتاج صالحا ·

● جابر محمود محمد ـ الضرائب العقارية بطنطا :

ـ قصيدتكم غير صالحة للنشر بسبب كثرة اغلاطها العروضية والنحوية واللغوية والاملائية ، ومعذرة ! ··

● حسن على محمد جابر ـ الازاريطة ـ الاسكندرية :

ـ شعركم لا بأس به وزنا ونحوا وصرفا ، نرجو لكم التقدم الدائم ، واكتبوا الينا ·

● صلاح محمد احمد ـ سوهاج :

ـ أنت كما تصف نفسك « كاتب واديب وباحث ادبى واسلامى ومدرس اللغة العربية بسوهاج » ·· وقد اسعدنا أن تكتب الينا قصة ومقالة ، وفهمنا من رسالتك أنك تكتب القصة الاجتماعية ، وان لك مجموعتين منها ، عدا الروايات ·· فنهنئك حقا بكل هذا النشاط ، ونرحب بك ·

● محمد عبد اللطيف فايد ـ الاسكندرية :

ـ قصيدتكم فى فوائــد « المشى » للصحة ، وبخـــاصة لذوى الكروش ، أسعدتنا بطرافتها ، وان فى المشى لفوائد مؤكدة لــذوى الكروش ولغيرهم من النحفاء الذين لا تتحرك دورتهم الدموية الا بالمشى ، ونحن من هؤلاء !!

● السيد ابراهيم عطية ـ كفر صقر :

ـ نحن نرد على جميع الرسائل ، وأما الانتاج الادبى الذى نتلقاه فانه لا يرد لصاحبه سواء نشر أو لم ينشر ، وهذا تقليد معــروف فى الصحافة من قديم ، وفيما يخصك فنحن نتذكر اننا نشرنا لك ، وردنا على رسائلك ··

● ونشكر اعزاءنا السادة : عبد الفتاح حسان الحسانى ·· عاصم فريد البرقوقى ·· د· عبد المنعم الميلادى ·· رضا ابراهيم عبد المعطى ·· صلاح عبد الحميد عثمان ·· عيد حميدة ·· كريمة احمد عبد المجيد ·· الحسين محمود خضيرى ·· اشرف محمــد ابو العز ·· رفعت محمد بروبى ·· محمود مغربى محمد ·

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ( ١٢ عددا ) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N



وكيل الاشتراكات بالكويت : السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه - ص .ب ٢١٨٣٣ - 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

| البلد | السعر | العملة | البلد | السعر | العملة |
|---|---|---|---|---|---|
| سوريا | ١٧٥٠ | ق . س | ابوظبى | ٦ | دراهم |
| لبنان | ٨٠ | ليرة | مسقط | ٦٠٠ | بيسة |
| الاردن | ٣٥٠ | فلسا | تونس | ١٤٠٠ | مليم |
| الكويت | ٣٠٠ | فلس | المغرب | ١٢٥٠ | فرنكا |
| العراق | ١٣٠٠ | فلس | غزة والضفة | ٦٠ | سنتا |
| السعودية | ٥ | ريالات | داكار | ٦٠٠ | فرنك |
| السودان | ١٢٥ | ق . سودانيا | لندن | ١٢٥ | بنسا |
| البحرين | ٨٠٠ | فلس | ايطاليا | ٢٥٠٠ | ليرة |
| الدوحة | ٦ | ريالات | البرازيل | ٥٠٠ | سنت |
| دبى | ٦ | دراهم | اليمن الشمالية | ١٣ | ريالا |